سلسلة الكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

المجلد السابع عشر:
(170 - 161)

الراصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد ١٦١ صفر ١٤٣٨هـ

إبادة سنة حلب والموصل لصالح سنة بوتين والمالكي

13 الدراما الهندية .. الوثنية تبعث من جديد

27 صلة الحركات السنية بالشيعة وإيران

37 التنظيمات الجهادية والثورات المضادة

الراصد
www.alrased.net

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي
تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦١)
صفر- ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القـول

❁ إبادة سنة حلب والموصل لصالح سنة بوتين والمالكي! ٢

فرق ومذاهب

❁ من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا... ١٢ـ علي جمعة... ..... فادي قراقرة ٤

سطور من الذاكرة

❁ ١ـ ثورات الخوارج ابن سبأ والخروج على عثمان ..... هيثم الكسواني ١٠

دراســــــــات

❁ الدراما الهندية... الوثنية تبعث من جديد ..... فاطمة عبد الرءوف ١٣
❁ الصراع العربي الإيراني توصيف بلا توظيف ..... محمود أبو عبد العزيز القيسي ١٧
❁ معركة الموصل رؤية تحليلية ..... عبد الهادي علي ١٩
❁ بين تقيَّة الشيعة وتقيَّة الأمريكان ..... فارس أنور الفارس ٢٢
❁ صلة الحركات السنية بالشيعة وإيران ..... أسامة شحادة ٢٧
❁ علانية الطقوس الشيعية بمصر... بين الحلم والحقيقة ..... أسامة الهتيمي ٣١
❁ لماذا الأفكار والعقائد لا السلوك؟! ..... د. عصرين محمد النصر ٣٥
❁ التنظيمات الجهادية والثورات المضادة ..... بوزيدي يحيى ٣٧
❁ زيارة إمام الحرم المكي د. خالد الغامدي للسودان... الأبعاد والتأثير ..... د. محمد خليفة صديق ٤٢

كتاب الشهر

❁ النقد الذاتي عند الإسلاميين (١) التيارات القتالية ..... أسامة شحادة ٤٧

قالوا

..... ٥٠

جولة الصحافة

❁ الأزمة الدولية الكبيرة التالية ستأتي من إيران ..... علي رضا نادر ٥٢
❁ البلطجية في خدمة نظام ولاية الفقيه ..... د. محمد السلمي ٥٤
❁ الشيرازية وعداؤها للمرجعيات في العراق وإيران ..... الشيخ حسن إسماعيل ٥٥
❁ توجهات النخبة من "الإخوان المسلمين" نحو إيران ودورها في المنطقة ..... د. فاطمة الصمادي ٥٨
❁ خطاب مفتوح إلى المفوض السامي للأمم المتحدة ..... أنور عبد الرحمن ٦٧
❁ (داعش وزراعة الفوضى في أفغانستان) الحلقة الأولى ..... أبو الوليد المصري ٦

إبادة سنة حلب والموصل لصالح سنة بوتين والمالكي!

منذ عدة سنوات والمشروع الشيعي الطائفي يشن حرب إبادة تجاه أهل السنة في العراق وسوريا ولحقت بهما أخيراً اليمن، ولما عجزت إيران عن إنهاء هذه الحرب لصالحها بالكامل وبقيت المقاومة السنية صامدة، بل وتُحقق بعض الانتصارات، وأيضاً لما تبخر حلم إيران باستباحة اليمن بسهولة وغفلة من العالم بشن عاصفة الحزم ومن ثم إعادة الأمل من قبل التحالف العربي الإسلامي بقيادة السعودية، لم يجد الإيرانيون إلا اللجوء للدب الروسي ليشاركها جريمة إبادة أهل السنة، وذلك بسبب تاريخه العريق في إبادة أهل السنة في الشيشان وأفغانستان ومن قبل في سائر الجمهوريات الإسلامية الروسية منذ عصر الشيوعية وقبلها القيصرية.

وهذه الإبادة لأهل السنة تمثلت في استخدام كل أنواع القنابل من الكيميائية والفراغية والارتجاجية والفسفورية فضلا عن البراميل المتفجرة، التي حولت مدنهم لكومة من الخراب، ومن لم تقتله القنابل فإن الحصار والتجويع كفيلان بذلك، إذ يعاني الملايين من أهل السنة من التجويع المتعمد بمنع وصول المساعدات والمؤن حتى في الهدنات التي ترعاها الأمم المتحدة، والتي تبين أن أقرباء الأسد هم أصحاب الشركات والموظفون في برامج الأمم المتحدة الإغاثية!

ومن نجا من السنة من القصف والجوع، فإن الإبادة تنتظره إذا حاول الخروج وعبور الممرات الآمنة، فآلاف الرجال والشباب مفقودون بعد عبورهم هذه الممرات الآمنة!

وقد سبق لهذا المشروع أن مكّن داعش من السطو والاستيلاء على مناطق أهل السنة حيث قتل خيرة رموزها وقادتها وجرد مقاومتها وثوارها من سلاحهم، وهجّر مئات الآلاف منهم، وجعل مناطقهم هدفا للقصف والعدوان!

وفي مقابل هذه الإبادة الوحشية لأهل السنة على مسمع ومرأى العالم، يقوم بوتين والمالكي ومن قبلهم إيران بمحاولة صناعة كيان ومفهوم جديد لأهل السنة، تكون ميزته الفريدة أنه متطابق تماماً مع الطائفية الوحشية والهمجية الدموية لأعداء المسلمين.

فإيران ومنذ الربيع العربي غيرت استراتيجيتها من عقد مؤتمرات الوحدة الإسلامية إلى عقد مؤتمرات الصحوة الإسلامية، للتحايل على انخفاض شعبيتها بين الجماهير المسلمة في العالم، وحاولت أن تنصب نفسها زعيمة للصحوة الإسلامية ومؤسسةً لها!

وقد تابعها على هذا المسار الرئيس الروسي المجرم بوتين حيث قام الرئيس الشيشاني رمضان قاديروف والملقب بالفتي المدلل لبوتين بالدعوة لمؤتمر «أهل السنة»، وقد كان حضور المؤتمر بين موال لروسيا وإجرامها علانية وبين مخدوع بالشعار الجميل ولا يدرك أبعاد المؤتمر.

ولما تكشفت حقيقة المؤتمر وأنه بهدف حصر مفهوم أهل السنة في بعض الفرق والجماعات دون عموم المسلمين، اضطر شيخ الأزهر للتراجع ومحاولة التنصل من مقررات المؤتمر، وحاول علي الجفري –وهو عراب المؤتمر– التلطيف من نتائجه وتصوير الأمر على

غير حقيقته.

وبرغم أن أهل السنة يبادون على يد روسيا فإن المؤتمر جاء ليبرئ ساحة روسيا من هذه الجريمة من خلال نزع صفة السنية عمّن تقتلهم روسيا في سوريا، كما نزعت وصف السنية عمّن يقتلهم قاديريوف في الشيشان!

فحتى يمضي المشروع البوتيني لعودة روسيا قوية في العالم يجب أن يكون الدم السني هو الوقود لهذه العودة، ولذلك وبكل وقاحة أعلن بوتين أنهم يجربون الأسلحة الروسية في سوريا، وعلى منواله أعلنت الصين كذلك أنها ستجرب ترسانتها الجديدة في سوريا، وكأن أرواح أهل السنة في سوريا لا قيمة لها أو هي ماء ملون!

وعلى نفس المنوال عقد في بغداد مؤخرا الاجتماع التاسع لمؤتمرات الصحوة الإسلامية الإيرانية، والتي بزعم الأمين العام للمجمع العالمي للصحوة الإسلامية علي أكبر ولايتي يشارك به علماء مسلمون من ٢٢ دولة.

ومن تأمل الحضور وجدهم شيعة أو سنة متشيعة! مع بعض الديكور السني من أمثال سليم الجبوري، رئيس البرلمان العراقي.

إن العداء لأهل السنة اليوم هو محل اتفاق عالمي ودولي من أطراف متباينة ومتصارعة إلا علينا، وذلك لأن أهل السنة اليوم يشكلون العائق أمام الكثير من المخططات العدوانية التي تستهدف خيرات الشعوب وثرواتها والسيطرة على موارد القوة والطاقة من جهة.

وبسبب أنهم الكتلة العددية الأكبر في العالم قريباً، حيث يتزايد عدد المسلمين سنويا بسبب نسبة الإنجاب المرتفعة وبسبب كثرة نسبة الشباب فيهم وبسبب كثرة الداخلين في الإسلام من أديان أخرى، مما يشكل خطورة على خصوم الإسلام مستقبلاً.

كما أن أهل السنة بسبب عقيدتهم النقية يرفضون كثيرا من المفاهيم المنحرفة والباطلة والأخلاق والسلوكيات الضارة، والتي تتعارض مع مصالح ضخمة للوبيات سيئة وقوية في العالم، فالمسلمون يرفضون ثقافة الإلحاد وما يتصل بها من إباحية في الفن والموضة واللبس وهذا سوق ضخم جداً في العالم، والمسلمون يحاربون الخمر والمسكرات والمخدرات والتدخين وهذا يتعارض مع مصالح أباطرة العالم، والمسلمون يرفضون الظلم والاحتلال والاستغلال والخداع الذي يهيمن به أقليات دينية أو اقتصادية أو سياسية على الأغلبية بشكل مباشر أو غير مباشر.

لكل هذا فإن اجتماع الشرق والغرب واليهود والشيعة على إبادة السنة هو حقيقة لا تقبل النقاش، وتتنوع وسائلهم في ذلك، فالإبادة الوحشية التي يمارسها الشيعة والروس، يقابلها غزو بلاد الإسلام بالفن الهابط الذي يثير الغرائز والشهوات ويحرف بوصلة الشباب والشابات عن حقيقة القدوات من النبي ﷺ وأصحابه والعلماء للفنانين والفنانات المشبوهين، أو بالفن الذي ينشر الوثنية وعبادة الأصنام ويحرف مفاهيم الإسلام.

ومؤخراً تم تفعيل سلاح مناهج التعليم، والتي يتم مسخها لصالح أجندات علمانية متطرفة في عدد من البلاد العربية تستهدف حصر الدين في مادة التربية الإسلامية، ومن ثم يتم تقليص مادة الدين وتحريفها مع ملء المناهج بأفكار ومفاهيم وسلوكيات علمانية ووثنية وشركية باسم الانفتاح والتعايش وتقبل الآخر، مع أنهم ينفون الإسلام الذي يشكل هوية مجتمعاتنا.

ومن جهة أخرى يتم تشويه صورة أهل السنة برميهم بالإرهاب جميعاً فتغلق مؤسساتهم ويطارد رموزهم، بينما المليشيات الشيعية الطائفية تمارس الإرهاب والإجرام صباح مساء وعلنا على الفضائيات ولا يتم الاكتراث، فضحايا الميلشيات الشيعية هم أهل السنة وهؤلاء دماؤهم رخيصة.

ومن آخر جرائم الميلشيات الشيعية الحوثية في اليمن استهداف مكة المكرمة بصاروخ باليستي، في جريمة إرهابية من الطراز الأول فهي تستهدف قبلة المسلمين الكعبة، والتي تضم في جنباتها الأبرياء والمسالمين من كل أنحاء العالم.

لكن لأن الشرك الشيعي والطائفية الشيعية لا يمكنهما التعايش مع التوحيد والسنة النبوية جاء هذا الاستهداف.

ولكن كل محاولات إبادة السنة واستبدالهم لا يمكن لها أن تنجح مهما كثرت التضحيات والجراح بأهل السنة، والله غالب على أمره ولو كره الكافرون.

من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا
١٢- علي جمعة

إعداد: فادي قراقرة– كاتب فلسطيني - خاص بالراصد

(لأن أكون ذنباً في الحق أحب من أن أكون رأساً في الباطل) رحم الله من قالها لتسطر من بعده أنموذجاً يقتدي به العقلاء، ولتبقى ريحاً طيبة لا تزول بموته بل تستمر ما بقي لوح وقلم؛ نعم قالها عبيد الله بن الحسن العنبري، قاضي البصرة المحدث الثقة!!.

ما لنا ولهم!! فهؤلاء قوم لم تشغلهم الدنيا عما يرضي ربهم، فرفع الله ذكرهم، أما زماننا فلشهوة الرياسة قبول مرعب، تفترس فيه أصحاب النفوس الضعيفة ولو كانت عمّتها كبيرة!

ترجمة مختصرة

ولد علي جمعة محمد عبد الوهاب في محافظة بني سويف في ٣ مارس ١٩٥٣ الموافق ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١هـ، قرأ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد إسماعيل الهمداني شيخ مقرأة الأزهر وقد أتم قراءته عام ١٩٦٩م ثم انتقل إلى القاهرة حيث التحق بالمدرسة الثانوية.

حصل علي جمعة على شهادة البكالوريوس من كلية التجارة في جامعة عين شمس سنة ١٩٧٣، ثم قام كغيره بالانتساب إلى الأزهر في سن متأخرة حيث التحق بكلية الدراسات الإسلامية والعربية وتخرج منها سنة ١٩٧٩م.

حصل على شهادة الماجستير سنة ١٩٨٥ من كلية الشريعة والقانون، وكانت رسالته بعنوان (دراسة وتحقيق مباحث الخاص والخصوص والتخصُّص والظاهر والمؤول عن أبحاث الكتاب الكريم من كتاب البحر المحيط للإمام الزركشي)، كما حصل على شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٨٨ والتي كانت دراسة وتحقيق (بيان المختصر للأصبهاني).

شغل علي جمعة العديد من الوظائف الدينية والعلمية خلال مشواره المهني حيث كان عضواً في لجنة الفتوى بالأزهر الشريف خلال الفترة (١٩٩٥- ١٩٩٧)، وعضواً في مؤتمر الفقه الإسلامي بالهند، ومستشار وزير الأوقاف خلال الفترة (١٩٩٨ – ٢٠٠٣)، والمستشار الأكاديمي للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ومدير مكتب القاهرة خلال الفترة (١٩٩٢ – ٢٠٠٣)، وعضو الرقابة الشرعية لبنك التنمية الزراعي خلال الفترة (١٩٩٧- ٢٠٠٣)، وعضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف خلال الفترة (١٩٩٥- ١٩٩٧).

تولى الإشراف على جامع الأزهر الشريف منذ سنة ١٩٩٩- ٢٠١٣م، وعضو في مجمع الفقه

الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، وعضو في مجمع البحوث الإسلامية التابع للأزهر. وتولى مسؤولية إفتاء الديار المصرية منذ عام ٢٠٠٣م، وحتى ٢٠١٣.

منهجية علي جمعة

التساهل والبحث عن الجواز غالبا هما المنهجية المعتمدة عند علي جمعة، وقد نصّ هو على ذلك في كتابه (الفتاوى العصرية) صفحة (١٠٥) بقوله: (وعندما نرى العلماء يختلفون في شيء، فإننا نقلد من أجاز، وهذه قاعدة مقررة في الفقه الإسلامي عبر التاريخ)، بهذه البساطة يحل جمعة خلاف العلماء! دون النظر إلى هل العلماء الذين أباحوا معهم آية قرآنية أو حديث صحيح عن النبي ﷺ!!؟

أكاذيب وتخاريف علي جمعة

يقرر علي جمعة - بناء على منهجيته في التساهل عموماً- مسائل لم يقلها ولم يقررها أحد من أهل العلم قبله، فضلا عن الكذب الصراح في دعاواه، فمثلا:

❖ نسب علي جمعة كذبا وزورا إلى الإمام الدارمي - والذي لم يتورع علي جمعة عن وصفه بالمجرم- بأنه يشبّه الله عز وجل بالحجارة، وادّعى جمعة أنه قرأ هذا النص أثناء مطالعته لكتاب الدارمي، وهذا الكلام كذب لا أصل له، بل إن الدارمي هو من شنّع على من قال بهذا القول!!

❖ زعم جمعة الإجماع على جواز الصلاة في المساجد التي فيها القبور ونسب هذا القول لكل العلماء؛ وهذا من الكذب الذي له قرون.

❖ زعم كذبا أن عبد الحليم حافظ غنى (أبو عيون جريئة) في مدح النبي محمد ﷺ حيث قال: (عبد الحليم حافظ كان مؤمنا وكان يحب النبي جدا وأغنية أبو عيون جريئة عملها ليمدح النبي عليه الصلاة والسلام، بس بكلمات أخرى).

❖ قال علي جمعة في كتابه (فتاوى البيت المسلم) صفحة (٦٣): (يعبر عنه الأصوليون بقولهم (الترك ليس بحجة) أي أن ترك النبي ﷺ لأمر لا يدل على عدم جواز فعله، وهو أمر متفق عليه بين علماء المسلمين سلفاً وخلفاً)، وزعم الاتفاق من الكذب الذي له قرون.

❖ بتر علي جمعة آية ليجيز ذكر الله بلفظ: الله الله الله، وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١]، رغم أن هذا السياق ورد جواباً على سؤال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ﴾ [الأنعام:٩١]، ثم جاء الجواب: ﴿ قُلِ اللَّهُ .... ﴾ [الأنعام:٩١] [١].

❖ زعم علي جمعة أن ملكة بريطانيا من آل البيت[٢].

❖ يدعي علي جمعة أنه رأى النبي ﷺ في اليقظة[٣].

تناقضات علي جمعة

كتب الباحث المصري مسعود إبراهيم صبري رسالته المعنونة بـ (المستجدات الفقهية لدار الإفتاء المصرية) والتي حاول من خلالها رصد الفتاوى المتناقضة والشاذة التي اختلف حولها علماء دار الإفتاء وعن أثر السياسة والاتجاه السياسي في تطويع الفتاوى لتتناسب طردياً مع المنصب والمال السياسي!!!

فضلا عن البحث في مدى توافر شروط الإفتاء والاجتهاد فيمن تولى منصب مفتي الديار المصرية مع توضيح درجة المفتي بالنسبة للمفتين والمجتهدين، مما يعطي انطباعاً واضحاً عن مدى تأثير القرارات السياسية على عقول من يدعي العلم!!

وهكذا علي جمعة؛ فبين كلام الأمس وفتوى اليوم، كرسي زائل لا يغر المؤمن الذي يقرأ قوله

---

(١) كتاب (البيان لما يشغل الأذهان) لعلي جمعة (٢٥١).
(٢) https://www.youtube.com/watch?v=FlAIjqo8UII
(٣) https://www.youtube.com/watch?v=XLDDWZcXOSk

تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ (القصص: ٨٣).

فمن نصرة لختان الإناث ودفاع عن النقاب وغيرها من المسائل قبل منصب المفتي، إلى أن يصبح الختان ليس من الشريعة ويصبح النقاب ليس من الدين مع إشراقة فجر كرسي مفتي مصر!!!!

كيف هذا يا سماحة المفتي وأنت أنت الذي أفتيت بأن الختان للإناث سنة ومكرمة على قناة دريم قبل أن تتولى منصب الإفتاء حيث قلت: (الختان للإناث سنة ومكرمة ومستحب)[1]، وبعد جلوسك على الكرسي قلت في كتاب (وقال الإمام) (ص ٣١٥): (هذا الحديث .. يبين أن الختان للرجال سنة وللنساء مكرمة؛ وكلمة مكرمة معناها: أنها ليست من الشريعة)، قبل الكرسي كان سنة، وبعد الكرسي ليس من الشريعة!!!

قبل الكرسي قلت على قناة اقرأ: (قضية النقاب يرى فرضيتها وأن النقاب فرض .. الإمام الشافعي والإمام أبو حنيفة والإمام أحمد بن حنبل... فالذي يدعي أن النقاب ليس من الشريعة البتة وأنه عادة: هذا محض خرافة، النقاب موجود من أيام الصحابيات ومنذ أيام الصحابة والنقاب موجود عبر التاريخ وفي الشعر الجاهلي .. فمحض خرافة أنها من عادات الأتراك فهذا الكلام ليس كلاماً علمياً.. وقال الإمام مالك: إذا كانت المرأة باهرة الجمال يخشى منها الفتنة في مدينة ما فحينئذ تلبس المرأة النقاب.

فقال المذيع: الأخت كانت تسأل هل ستثاب على ارتدائها النقاب بالرغم أن هناك من ينكر عليها أن هذا تشدد وليس من الدين، هل ستثاب على ذلك لأنها تبتغي وجه الله تعالى؟

علي جمعة: إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

المذيع: جزاك الله خيرا)[2].

لكن بعد أن طال جلوسك على كرسي (مفتي الديار المصرية) قلت في كتابك (البيان القويم) صفحة (١١٩): (نرى أن غطاء الوجه إذا كان علامة على التفريق بين الأمة، أو شعاراً للتعبد والتدين، فإنه يخرج من حكم الندب أو الإباحة إلى البدعية، فيكون عندئذ بدعة)!!!

حتى القواعد الأصلية التي تنبني عليها الأحكام الشرعية لم تسلم من تحريف الدكتور علي جمعة، فقبل الكرسي قال في كتابه (الإجماع عند الأصوليين) صفحة (٤٢): (نقل عن الإمام أحمد: (من أدّعى الإجماع فهو كاذب، لعل الناس قد اختلفوا)، فهذا ليس اعتراضاً على الإجماع، لا على وقوعه، ولا على حجيته، وإنما هو تنفير من دعوى الإجماع من غير حجة وبرهان).

وبعد الكرسي قال في كتابه (الطريق إلى التراث) في الطبعة الخامسة ٢٠١٠ صفحة (١٣٦): (خدموا إثبات القرآن والسنة أيما خدمة، ولكن من الملاحظ أن تلك الخدمة لم تتم فيما يخص الإجماع، فإنهم لم ينقلوا إلينا الإجماع، مما دعا الإمام أحمد بن حنبل أن يتشكك فيه بالجملة..).

أن يتولى علي جمعة مقاليد منصب الإفتاء ويجلس على كرسي مفتي الديار المصرية هذا شيء طبيعي لكن أن تتغير بعض فتاواه تغيراً تاماً فهذه مصيبة أخلاقية، خصوصاً مع كون الفتاوى المتأخرة تتناسب طردياً مع طلبات السلطة وليس بسبب تجدد اجتهاده فيها!!!

ومن الطرائف التي تذكر في الباب ما ذكره الدكتور علي جمعة في كتابه (فتاوى المرأة المسلمة) صفحة (٤٦- ٤٧): (الصلاة في المساجد التي بها أضرحة الأولياء والصالحين صحيحة ومشروعة، بل إنها قد تصل إلى درجة الاستحباب، وذلك بالكتاب والسنة وفعل الصحابة وإجماع الأمة الفعلي)، رغم أنه كان قد قال في كتابه (البيان لما

(١) https://www.youtube.com/watch?v=MdmNKwdJeVg
بعنوان: مفتي مصر علي جمعة والختان قبل وبعد المنصب

(٢) http://ar.islamway.net/lesson/95801

يشغل الأذهان) جزء (١) صفحة (٤٧): (أما إذا كان القبر في داخل المسجد فإن الصلاة باطلة ومحرمة على مذهب الإمام أحمد)!!

نقول للمفتي: إذا كنت تعلم أن مذهب الإمام أحمد يبطل الصلاة في المسجد الذي فيه قبر على حد قولك فكيف استسغت لنفسك نسبة الإجماع للأمة في مسألة أنت قد نقلت ما ينقض هذا الإجماع؟؟!!

جهالات علي جمعة

كتب علي جمعة رسالتيه الجامعيتين في تحقيق كتب في التراث الإسلامي وأخذ درجة (الدكتوراه) الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، مما يعطي القارئ تصوراً عن مدى إتقان علي جمعة لخدمة التحقيق العلمي، ولكن للأسف، امتلأت كتبه بالمصائب العلمية والنقول غير المنضبطة بل والأخطاء القاتلة في باب التحقيق العلمي، وإليكم من باب المثال:

قام الدكتور علي جمعة مع الدكتور السراج بتحقيق كتاب الفروق للقرافي رحمه الله، والذي طبع بدار السلام بالقاهرة، ومما وقع لهما من أوهام غريبة؛ ما ذكره القرافي في كتابه (١٤٠١/٤) في ترجمة الحَجاج بن يوسف الثقفي وما وقع من خروج ابن الأشعث عليه في الواقعة المشهورة، فكتَبَا كلاماً يبرأ بعضُه من بعض، فقالا: «الحجاج بن يوسف بن حجاج أبو محمد الثقفي البغدادي الحافظ، من تلامذة أبي نوَّاس وأصحابه، منشأ الحجاج بغداد، وطلب العلم. قال أبو داود: هو خير من مئة مثل الرمادي، توفي سنة ٢٥٩هـ»!!!! فأين هذا الرجل وأين الحجاج المذكور والتي توفي قبل تمام المئة هجرية!!

كما وقع لهما أيضاً في ترجمة أمية بن أبي الصلت الذي آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه كما هو معروف في سيرته، فذكر له القرافي عدة أبيات في مدح عبد الله بن جدعان، أحد سادات قريش وأجواد العرب، فجاء المحققان وكتَبَا كلاماً غريباً جداً في ترجمة هذا الشاعر، وقالا ما نصُّه: «هو أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الداني، العلامة الفيلسوف، الطبيب الشاعرُ المُجوّد، صاحبُ الكتب، ولد سنة ستين وأربعمائة، وتنقَّل وسكن الإسكندرية، ثم رُدَّ إلى المغرب، وكان رأساً في النجوم والوقت والموسيقى، مات بالمهدية في آخر سنة ٥٢٨هـ»[1]!!!

فأين أمية بن أبي الصلت الذي أدرك النبي ﷺ وأين هذا المترجم له الذي جاء بعد قرابة خمسمائة سنة؟!! فهل هذه هي مقدرة الدكتور علي جمعة على ضبط العلوم والمعرفة بأدوات التحقيق العلمي!!!؟؟

موقف علي جمعة من الشيعة والتشيع

فمن القول بالدفاع عن الشيعة الإمامية إلى القول بجواز التعبد على مذهبهم إلى الطعون ببعض أصحاب رسول الله، تطورات عديدة يمر بها المفتي علي جمعة ليحاول من خلالها رسم طريقه على الفواصل بين السنة والشيعة ليهون من شأنها، بل ويزيل الفوارق بينها، نعم هذا هو؛ في مقابل حربه التضخيمية على من هم أولى بالاحتضان من الشيعة ولكن المنصب الدنيوي والهوى المتبع يعمي ويصم!!!

فمسألة تحريف القرآن التي يؤمن بها الشيعة، هي محض قول بالقراءات الشاذة فقط عند سماحة المفتي جمعة، قال في كتابه (سمات العصر) ص ١٦٧- ١٦٨: (المسائل التي تتعلق بالرؤيا الأساسية بين السنة والشيعة قد تنحصر في خمس مسائل: القول بتحريف القرآن، ولقد اعتذرت الشيعة عما ورد مما يوهم هذا المعنى القبيح بأن هذا اللفظ باستعمال القراءات الشاذة التي يذكرها أهل السنة في كتبهم غير المعتبرة وغير المعتمدة .... وأن الشيعة والسنة على سواء يقولون بحفظ كتاب الله الذي بين أيدينا..).

ومسألة الطعن في الصحابة عند الشيعة، المقصود منها عنده أن الصحابة غير معصومين وأن انتقادهم مسموح كما صرح به في درس له

(١) انظر مقدمة عمر القيّام على تحقيقه لكتاب الفروق للقرافي.

مسجل[1]، ومثله ما قاله في كتابه (سمات العصر) وتحت نفس الفقرة السابقة: (القول بتكفير الصحابة، ولم نر لأحد من الأئمة المعصومين عند الشيعة كلاما مخالفا في الصحابة الكرام ورأينا أن علماء الشيعة وقادتهم في القرن العشرين ذكروا في كتبهم الترضية على أبي بكر وعمر، وخفت الغلواء)!

ومسألة البداء عند الشيعة الرافضة في أن الله يعلم الكليات لا الجزئيات أصبحت عند سماحته تحت ما يسمى بالنسخ في الأحكام الشرعية[2].

ومسألة التقية عند الشيعة أصبحت عند سماحته حكاية مذهب الخصم عند الخوف[3].

ومسألة العصمة للأئمة صارت عنه أن ما يرويه الأئمة عن رسول الله بالسند[4].

كل هذا أصبح عند سماحة المفتي تفككه التأويلات السمجة والتي خرج في نهايتها متحدثاً عن المخالفات الخمس للشيعة بقوله: (فهذا كان موقفهم من الخمس مسائل بعضها زي ما إنتوا شايفين قد يكون لهم وجه فيه بعضهم قد يكون تجاوزها الزمان، وبعضهم يتكلمون معنا وليس عندهم حجة راسخة)[5].

وعند هذا فقط وبعد تذويب كل الفروق - سواء التي ذكرها أو التي أغفلها- يصبح الخلاف بين السنة والشيعة لا شيء! وعندها فقط ينجح الخطاب العاطفي ليربط على أفواه الناس عامة بحجة الخطر الذي تواجهه الأمة!! كما في كتابه (الدين والحياة) ص١٨٣: (متى ظهرت الشيعة؟ الشيعة موجودة منذ أيام الصحابة .. نشأت الشيعة إلى يومنا هذا .. وعلينا أن نسعى لتوحيد الأمة تجاه الخطر المحيط بنا).

وكانت خاتمة المصائب في هذه القضية فتواه بجواز التعبد بالمذهب الشيعي الإثنا عشري معللاً جوابه بقوله: (إنه يجوز التعبد بالمذاهب الشيعية ولا حرج، وقد أفتى بهذا شيخ الأزهر الراحل محمود شلتوت، فالأمة الإسلامية جسد واحد لا فرق فيه بين سني وشيعي، طالما أن الجميع يصلي صلاة واحدة ويتجه لقبلة واحدة)[6].

وبين هذا وذاك طعون في أصحاب رسول الله ﷺ؛ كقوله في كتابه (الطريق إلى التراث الإسلامي) ص١٣٨: (معاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، وبسر بن أرطأة، وعمرو بن العاص .. فيعود القدح فيهم إلى بعض الجرائم التي ارتكبها كل منهم، فأحدهم زنا، والآخر قتل بعض أهل اليمن، وأحدهم اغتصب الخلافة اغتصاباً). فهل تشيع المفتي أم بدأ مفعول التومان الإيراني؟؟!!!

وهل يدرك المفتي تناقض موقفه هذا في دعواه الانتساب لعقيدة الأشاعرة والتي تحرم الخوض في أصحاب رسول الله والحديث في الفتنة كما نص على هذا علماء الأشاعرة، منهم العلامة ابن رسلان الذي قال: وما جرى بين الصحاب ❖❖❖ نسكت عنه وأجر الاجتهاد نثبت

واللقاني في عقيدته (الجوهرة): وأول التشاجر الذي ورد ❖❖❖ إن خضت فيه واجتنب الحسد

فهل عقيدة جمعة المفتي تغيرت أم أن عقيدته تطورت؟؟!!!

فتاوى شاذة ومضحكة

للمفتي جمعة فتاوى غريبة عجيبة تحتار في الدافع وراءها ولمصلحة من أطلقت، فبعضها تشعر أن أهواء الساسة هي الباعث عليها ومنها فتاوى شابهت فتاوى الشيعة الروافض، وهاكم بعض الأمثلة:

❖ أبو الهول هو نبي الله إدريس[7].

❖ شرب الماء بعد ذكر الله يطفئ حرارة القلب، والأفضل عدم شرب الماء بعد الذكر لمدة

(١) https://www.youtube.com/watch?v=L3e1W9rvhTg
بعنوان: حول الخلاف بين السنة والشيعة أ.د/ علي جمعة
(٢) المقطع السابق الدقيقة ٣٣
(٣) المقطع السابق الدقيقة ٣٤
(٤) المقطع السابق الدقيقة ٣٥
(٥) المقطع السابق الدقيقة ٣٨

(٦) http://www.alarabiya.net/articles/2009/02/04/65714.html
(٧) https://www.youtube.com/watch?v=37xZl3B2vdo

٢٠ دقيقة[١].

❖ أفتى بجواز بيع الخمور في ديار الغرب[٢].

❖ أفتوى بجواز الفوائد البنكية[٣].

❖ أرواح الموتى لديها ما يشبه جوجل إيرث أو الستلايت تكشف به موقع قبر الجسد[٤].

❖ الذي يدرس في الأزهر ينوّر الله قلبه ويغفر الله ذنبه ويهديه الله إلى أقوم طريق[٥].

❖ يمكن للولي أن يقع منه الزنا وهذا لا يصرف عنه الولاية، فإن الله إذا وهب فما سلب[٦]، حيث أن أولياء الله الصالحين عند علي جمعة، قد يزنون مثلهم مثل غيرهم، مستشهدًا بتلميذ المرسي أبي العباس، الذي زنى، مضيفًا أنهم قد يدخّنون أيضًا ويشربون الشيشة!!

فأين الخوف من سوء العاقبة، وأين الخوف من الذنوب؟؟!

❖ يفتي الدكتور علي جمعة بأن من تشكك في زوجته فيما دون الزنا عليه أن يتساهل معها حيث قال: (قبل ما تروح بيتك اتصل بمراتك وقول لها إنك جاي لعل معها رجلا، فأعطِه فرصة ليمشي)، وتابع (إذا عاش رجل مع زوجته وهو لا يعلم أنها على علاقة برجل، وتشكك، فقضى على الشك في نفسه، فلا بأس، والنبي ﷺ، كان يأمرنا بذلك، ويقول (من أتى منكم من السفر، فلا يطرقن أهله بليل).

وأضاف (فوّت لمراتك وعديلها، وهذا التفويت من الدين، وإن عرفت أنها زنت يجب عليك أن تطلقها، فمن تاب، تاب الله عليه، وإن لم تعرف أنها زنت، لا تبحث ولا تفتّش وراءها، لدرجة إن الإيتيكيت الإسلامي يقول لك تتصل بها قبل ما توصل البيت.. ده الجمال والحلاوة، لكن فيه ناس مش عايزة الجمال لكن عايزة الحق، طيب خد بقى المقلب يا أخويا، ووقتها هتلاقي راجل معاها وهتضطر إنك تطلقها)[٧]!!!

❖ ينزل حديث الخوارج والأمر بقتلهم وقتالهم في حق المتظاهرين، ويزعم أنه رأى النبي يقرّه على هذا الفعل[٨].

في الختام؛ مَن كان منهجه العلمي تساهل وعدم تحقيق وتحرير، ويكذب في كلامه وتعليمه وفتواه، ويبدل فتاواه بحسب اتجاهات السلطة والمنصب والكرسي، هو أحق بلقب الضلالي بدلاً من المفتي!

(١) https://www.youtube.com/watch?v=7oKhmfEHMEA
بعنوان: علي جمعة ينصح بعدم شرب الماء بعد الذكر
(٢) https://www.youtube.com/watch?v=ni0i-4yGtsI
بعنوان: فيديو علي جمعة يجوّز للمسلمين بيع الخمور
(٣) https://www.youtube.com/watch?v=i7iHxUNlAtY
بعنوان: على جمعة مفتى #مصر السابق : فوائد البنوك ليست ربا بل ربح نتيجة عمليات تجارية
(٤) https://www.youtube.com/watch?v=nXv9ZH8TYHQ
بعنوان: #والله_أعلم | د. علي جمعة: الأرواح تتلاقى وتتحدث في حياة البرزخ
(٥) https://www.youtube.com/watch?v=eJbUCvr2eYI
بعنوان: د على جمعه يتحدث عن السيد عبد الله بن الغماري وعقائد الوهابية الباطلة
(٦) https://www.youtube.com/watch?v=fXAqTbtlJWQ
بعنوان: فضيحة علي جمعة المشايخ والأولياء لهم الحق في ارتكاب الزنا

(٧) https://www.youtube.com/watch?v=Aj9Ho3Lm-_M
(٨) https://www.youtube.com/watch?v=3okdarevAoE

١- ثورات الخوارج
ابن سبأ والخروج على عثمان

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

لم يُبتلَ المسلمون بشخص كما ابتُلوا باليهودي عبد الله بن سبأ، فعلاوةً على أنه واضع بذرة التشيع ومؤسس أول عقائده، كان وراء الفتنة الكبرى التي زعزعت الدولة الإسلامية، وفتحت باب الفتن، وأدّت إلى مقتل خليفة المسلمين، عثمان بن عفان، رضي الله عنه، في سنة ٣٥هـ.

وعبد الله بن سبأ يهودي من أهل صنعاء باليمن، يُعرف بابن السوداء، نسبةً لأمه الحبشية، تظاهر بالإسلام ليهدمَه من الداخل، حين رآه يعمّ جزيرة العرب، وينتشر في ربوع العالم، وتخفق راياته على مشارق الأرض ومغاربها، «فأراد ابن سبأ هذا مزاحمة هذا الدين بالنفاق والتظاهر بالإسلام، لأنه عَرف، هو وذووه، أنه لا يمكن محاربته وجهًا لوجه، ولا الوقوف في سبيله جيشًا لجيش، ومعركةً بعد معركة، فإن أسلافهم بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع جرّبوا هذا فما رجعوا إلاّ خاسرين، ومنكوبين، فخطط هو ويهود صنعاء خطة أرسل أثرها هو ورفقته إلى المدينة، مدينة النبي ﷺ، وعاصمة الخلافة، في عصرٍ كان يحكم فيه صهرُ رسول الله، وصاحبه، ورضيّه، ذو النورين، عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فبدؤوا يبسطون حبائلهم ويمدّون أشواكهم»[1].

الرجعة والوصيّة

بدأ ابن سبأ يجوب البلاد لتنفيذ مخططه بإضلال المسلمين، وأخَذ يخترع كلامًا من عند نفسه يلقيه إلى الناس، منه الزعم بأن النبي ﷺ سيعود إلى الدنيا بعد الموت، فكان يقول في ذلك للرجل: أليْس قد ثبت أن عيسى بن مريم سيعود إلى هذه الدنيا؟ فيقول الرجل: بلى! فيقول له: فرسول الله ﷺ أفضل منه، فما تنكر أن يعود إلى هذه الدنيا، وهو أشرف من عيسى بن مريم عليه السلام[2]!

انتقل ابن سبأ بعد ذلك إلى الخطوة الثانية باختراعه لفكرة الوصية، فكان يقول: إنه كان قبل النبي ﷺ ألفُ نبي، ولكلّ نبيّ وصيّ، ووصيّ النبي ﷺ هو ابن عمّه وزوج ابنته، علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فمحمد، ﷺ، خاتم الأنبياء، وعليٌّ، رضي الله عنه، خاتم الأوصياء.

ويَذكر العلماء أن ابن سبأ اخترع عقيدة الوصيّة هذه متأثرا باليهودية، فقد كان يقول قبل تظاهره بالإسلام إن يوشع بن نون هو وصيّ موسى عليه السلام، فكرّر مقالته هذه في الإسلام، مع تغيير شخوصها.

واتخذ ابن سبأ عليًّا وآل البيت، رضي الله عنهم، ستارا يرمي من خلالهم إلى الطعن في خليفة المسلمين، عثمان بن عفان، فأخذ يقول للناس: إنّ عليًّا أحق بالحكم من عثمان، لأن النبي ﷺ، أوصى له من بعده،

(*) كاتب أردني.

(١) الشيخ إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة، ص ١٩.
(٢) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٤٤٠.

وإن عثمان خالف وصيّة النبي ﷺ ، وإنه «معتدٍ في ولايته ما ليس له»[1].

وبذلك اعتُبر ابن سبأ واضع بنيان التشيع، ومؤسس أول أفكاره (الرجعة والوصية)، رغم سعي بعض الشيعة المتأخرين إلى نفي ارتباط ابن سبأ بهم، بل نفيه بالكلّية واعتباره شخصية خرافية[2].

جولات ابن سبأ

أخذ ابن سبأ يجوب الأمصار وهو يدعو إلى باطله، ويحرّض على عثمان، وإذا كانت أفكاره تلك لم تجد صدى ولا قبولا في أوساط أصحاب النبي ﷺ ، الذين تربوا على العقيدة الصحيحة وسموّ الأخلاق، فإنها وجدت صدى لدى ضعاف الإيمان والأعراب وذوي الشقاق والنفاق وحديثي السنّ وقليلي التجربة، «فاتّخذ بعضَهم دعاةً فهموا أغراضه ودعوا إليها، وآخرون صدّقوا قولَه فصاروا يدعون إليه عن عماية»[3].

من اليمن اتّجه ابن سبأ نحو الحجاز، حيث المدينة المنورة، في أولى مراحل تنفيذ مخططه، لكنه واجه مجتمعا إسلاميا متماسكا، فاتجه إلى العراق «فهناك مِن القبائل اليمنية، ومِن اليهود، ما يمكّنه من تكوين الصنائع من بينهم، من الموتورين، الذين لم يتمكن الإسلام من قلوبهم، وآثروا عصبياتهم القبلية، وأظهروا الإسلام بعد ردّتهم، على كُرهٍ وغصّة ومضض ... في تلك المجتمعات يمكنه ترويج بضاعة المطاعن والمثالب ضد حاكم المسلمين، وتأليب الهمج المغمورين بنشر الأكاذيب والأراجيف عن الحكام وولاة الأمور»[4].

وفي العراق، كانت البصرة محطته الأولى، حيث أسس نواة تنظيمه السّري هناك، فقد نزل ضيفا عند حكيم بن جبلة العبدي، وهو قاطع طريق متمرد، كان يخرج للجهاد فيُغير على أهل الذمة[5]، وفي البصرة اجتمع إلى ابن سبأ نفرٌ من أهلها، ولقي أذنا صاغية، وكاد الأمر يستفحل فيها، إلى أن تيقظ واليها، عبد الله بن عامر، فأخرج ابن سبأ إلى الكوفة، وكان ذلك سنة ٣٣هـ.

وهناك في الكوفة وجد ابنُ سبأ أيضًا أرضًا خصبة لدعوته، ومِن أسباب ذلك وجود اليهود فيها، والذين أجلاهم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، من فدك وتيماء ووادي القرى إلى الكوفة، حيث أقطعهم أرضا قرب الكوفة، تنفيذا لأمر النبي ﷺ «لا يجتمع بجزيرة العرب دينان»، وهؤلاء اليهود الذين سكنوا الكوفة «كانوا أنشط أعوان ابن سبأ في تنفيذ مخططاته»[6].

وعلى الرغم من أن يقظة والي الكوفة، سعيد بن العاص، وحزمه، شكّلا عائقين أمام ابن سبأ، ما أدّى إلى إخراجه منها، إلاّ أنه تمكن من بذر بذرة أخرى من بذور الفتنة، وترك تأثيرا هناك، فكانت المكاتبات جارية بينه وبين أهل البصرة والكوفة[7].

وإضافةً إلى أنه كوّن تنظيمين سريين في البصرة والكوفة، ونفث فيهما سمومَه، كان لابن سبأ رحلتان نحو بلاد الشام، الأولى منهما كانت في سنة ٣٠هـ، وفيها لقي الصحابيَّ الجليل أبا ذر الغفاري، واستغلّ ما كان يتصف به من الزهد، وأخذ يحرّضه على والي الشام، معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، ويقول له: إن معاوية يسمّي المالَ مال الله، كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين، ويمحو اسم المسلمين[8].

وفي زيارته تلك إلى الشام، التقى بعدد من الصحابة مثل أبي الدرداء وعبادة بن الصامت، رضي الله عنهما، لكنه لم يحصل على مراده منهما، وبعد تجوّل في ربوع العراق، عاد ابن سبأ إلى الشام مرة أخرى، وكان ذلك في سنة ٣٣هـ، ولم يفلح فيها في بذر بذور الفتنة، لحِكمة واليها معاوية، والتفاف أهلها حوله، وحول

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) منهم على سبيل المثال: مرتضى العسكري، في كتابه «عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى»، وقد ردّ عليه الأستاذ علاء الدين البصير ردّا وافيا في كتابه «ابن سبأ الشبح المخيف (للفكر الجعفري ولمرتضى العسكري)» فليرجع إليه.

(٣) الشيخ عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، ص ١٣٠.

(٤) د. حافظ موسى عامر، أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر ودور ابن سبأ في تأسيسها ونشأتها، ص ٦٩ – ٧٠.

(٥) المصدر السابق، ص ٧١.

(٦) المصدر السابق، ص ٥٩.

(٧) المصدر السابق، ص ٨٠.

(٨) المصدر السابق، ص ٩٠.

إمارته، فاختار التوجه نحو مصر، حيث ظهر فيها سنة ٣٤هـ[1].

وفي مصر وجد ابنُ سبأ قبولا لدعوته، حيث كانت تكثر فيها القبائل اليمنية، وكان فيها كارهون لعثمان، رضي الله عنه، بسبب المكاتبات التي كانت تجري بين أتباعه في الأقاليم بأن يكتب كل بلد للبلد الآخر عن مساوئ أميره، ويشيعونها بين الناس.

وبعد عمل منظم استمر لسنوات، حانت ساعة الصفر، وخرجت جموع الغوغاء والمنافقين من مصر والعراق إلى المدينة المنورة، لحصار الخليفة وقتله، واندسوا مع الحجاج، زاعمين أنهم يريدون الحجّ، تمامًا كما فعل الشيعة غير مرّة في وقتنا الحاضر، إذ كانت جموع الحرس الثوري الإيراني تقدُم إلى مكة المكرمة في ثياب الحج، وفي حقائبها المتفجرات لتعيث في الأرض المقدسة الفساد، وتعتدي على الأرواح والممتلكات، كما في موسم الحج لسنة ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م)، وكل ذلك يفعلونه تمهيدا لصرف المسلمين عن مقدساتهم في مكة والمدينة، وتحويلهم إلى قبور الشيعة ومزاراتهم في النجف وكربلاء وقُم ومشهد.

وبعد حصارٍ دام ٤٠ يومًا لبيت الخليفة، تمكّن هؤلاء الخوارج من قتله، صابرا محتسبا، رضي الله عنه، وهو يقرأ القرآن، ليكون ذلك الخروج هو أول خروج على خلفاء المسلمين وحكامهم ممّن يزعمون أنهم مسلمون ومصلحون.

كان خروج ابن سبأ وأتباعه على خليفة المسلمين وقتله نتيجة جهد جماعي وتخطيط استمرّ لسنوات –وهو منهج لا يزال قائماً من قِبل أحفاد ابن سبأ من الخوارج والشيعة الذين تخترقهم المخابرات الدولية- ، وتمثّل هذا الجهد في ما يلي:

١- اتّباع مبدأ تشويه الخليفة وولاته، والطعن فيهم «ابدؤوا بالطعن على أمرائكم»، وإظهار أن هؤلاء الخوارج لا يريدون من وراء كل ذلك سوى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يزال هذا التهييج على الحكام استراتيجية متبعة من قبل أحفاد ابن سبأ الخوارج والشيعة.

٢- اختلاق الكتب والرسائل، ونسبها لكبار الصحابة وأم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، لإظهار أنهم كانوا كارهين لعثمان ولولاته، وأنهم حرّضوا على قتله، وترويج الأخبار الكاذبة هو أخطر أساليب أحفاد ابن سبأ اليوم.

٣- محاولة الإيقاع بين الصحابة، وإظهار التأييد لأحد أطرافهم، كما في سعي ابن سبأ إيجاد خلاف بين أبي ذر ومعاوية، رضي الله عنهما، حول المال وسبل إنفاقه.

٤- اتخاذ أهل البيت وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، ستارا وذريعة للطعن في عثمان، بزعم أنه اغتصب الحكم منهم، وامتدّ هذا الطعن –فيما بعد- ليشمل الشيخين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

أهم المراجع

١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- علاء الدين البصير، ابن سبأ الشبح المخيف (للفكر الجعفري ولمرتضى العسكري)، مركز إحياء تراث آل البيت وشبكة البرهان، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م).

٣- د. حافظ موسى عامر، أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر ودور ابن سبأ في تأسيسها ونشأتها، القاهرة، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٤- الشيخ إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة، لاهور (باكستان)، إدارة ترجمان السنة، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م).

٥- الشيخ عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، الإسماعيلية (مصر)، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

(١) المصدر السابق، ص ٩٧.

الدراما الهندية... الوثنية تبعث من جديد

فاطمة عبد الرءوف(*) – خاص بالراصد

في هذا العالم الذي يمتلئ بالأديان والأفكار والمذاهب والرؤى، والذي هو في أمسّ الحاجة للتعريف بدعوتنا الإسلامية خاصة مع سهولة ذلك في عصر السماوات المفتوحة إلا أنه للأسف ونتيجة لعديد من الأسباب كانت جهودنا في هذا المجال محدودة بينما عانينا نحن من اختراق نسيجنا من الداخل بواسطة هذه السماوات المفتوحة وأصبحنا مسرحا يتم عليه عرض المذاهب والأفكار والفرق الضالة حتى وصل الأمر للدعوة للوثنية جهارا نهارا من خلال الدراما والسينما الهندية التي احتلت مساحات واسعة من بث الفضائيات العربية، بل إنه يوجد أكثر من ثلاث قنوات متخصصة في بث الأعمال الهندية المدبلجة فقط، وهي من أشهر قنوات الدراما العربية.

وفي هذا السياق أحكي موقفا شخصيا لكنه ذا دلالة واضحة على مدى تغلغل هذه الدراما بالجماهير العربية المسلمة فلم تكن المرة الأولى التي أراجع فيها طبيبا وأجلس في صالة الانتظار لأجد شاشة التلفاز تبث أحد أعمال الدراما الهندية، فسألتُ السكرتيرة: لماذا هذه القناة بالذات؟

فأجابتني بثقة وكأنه أمر مفروغ منه: لأنها ما يريده المراجعون وكلما غيرتها طالبوني بإعادتها، كان هذا الموضوع يلحّ علي كثيرا فسألت الكثير من النساء والفتيات عن الدراما الهندية فكانت الأغلبية العظمى ممن سألتهن يشاهدن هذه النوعية من الدراما ومعجبات بها أيما إعجاب لدرجة أن البعض منهن يرتدين عباءات مصممة بطريقة تشبه الساري الهندي المشهور، كما انتشرت محلات الإكسسوارات النسائية التي تبيع مجوهرات تشبه تلك التي ترتديها بطلات المسلسلات الهندية، الكارثة ليست في هذا الانبهار والتقليد ولكن في المضمون المدمر الذي تبثه تلك الدراما التي لاقت ترحيب الجمهور.

الترويج للوثنية

عبادة الأصنام التي تقرب إلى الله، تلك الفكرة الساذجة الغبية التي ارتكست فيها البشرية دهرا طويلا وكنا نسخر في بلادنا الإسلامية من هؤلاء الأغبياء الذين يعبدون الأصنام حتى وقتنا الراهن، حتى أن بعضهم وهو يستنكر الرأي الفقهي القائل بحرمة التماثيل يستند إلى أن عبادة الأصنام والتماثيل كانت تمثل فترة سحيقة تم تجاوزها، وأن التحريم جاء لقرب العهد بعبادة هذه التماثيل، أما في عصرنا الراهن فقد تم تجاوز هذه الإشكالية.

الدراما الهندية في واحد من أهم أهدافها تدعو صراحة وبشكل مباشر لإعادة الاعتبار لهذه الأصنام، وطريقة الدعوة هي الدراما، فالمشاهد

(*) كاتبة مصرية.

الـذي يحـب البطـل أو البطلـة الهندوسـية (بعـض الشباب والشابات يحب لدرجة الهوس) ويرى فيهما نموذجا إنسانيا رفيعا لا شك أنه سيتعاطف مع اللحظات الحميمية الدافئة التي يتبتل فيها بطله لإلهه الذي هو صنمه! وكل مسلسل يعرض لمعبود أو أكثر.

والمتابع للدراما الهندية سيتعرف على الكثير من الطقوس والصلوات والعبادات والأعياد والآلهة الهندوسية، وفي السطور القادمة سأقدم بعض النماذج التطبيقية لعدد من الأعمال الأكثر شهرة، ففي مسلسل «من النظرة الثانية» الذي قامت قناة إم بي سي بوليود بدبلجته، والذي نال شهرة واسعة جدا حتى أن الكثيرين أطلقوا على أنفسهم «مجنون كوشي» أو «مجنونة أرناف» أسماء بطلي المسلسل، تم تقديم أرناف كرجل ملحد لا يؤمن بأي إله، بينما كانت كوشي تلك الفتاة الطيبة البسيطة الرقيقة فتاة متدينة جدا وتعبد (إلهة أنثى، الإلهة ديفي) وتحمل نموذجا مصغرا لها معها في كل مكان وتناجيها وتحكي لها وتطلب مشورتها وتدور كثير من الحوارات بين كوشي وأرناف حول الدين، وهي حوارات تحمل في المحصلة النهائية الدعوة للوثنية من خلال المعبد الحاضر بقوة كمركز مؤثر في كثير من العقد الدرامية وإقامة الصلاة بطريقة معينة وكلام الكهان والشجرة التي تربط فيها خيط الأمنيات فتتحقق والكثير من الرموز الحاشدة التي يكتظ بها المسلسل.

أما مسلسل «حبيبي دائما» الذي نافس مسلسل النظرة الثانية على الاستحواذ على الجمهور العربي والذي قامت ببطولته نفس البطلة التي أحبها الشباب والشابات فلعله الأسوأ على الإطلاق في الدعوة الصريحة للوثنية، ويكفي في هذا السياق المشهد التالي: بينما كان بطل المسلسل يرقد في المستشفى بين الحياة والموت بعد أن أكل طعاما مسموما وبعدما أخبرهم الطبيب أنه ما لم يستعد وعيه مع صبيحة اليوم التالي فإن فرصة نجاته ضئيلة، وقفت البطلة ليلتها بجواره ترقبه وتحدثه وتحمسه وتبكي وتقف بجوار النافذة وتنظر للسماء حتى بدأت الشمس في البزوغ وهو لا يتحرك وعندما جاء صديقه للزيارة تركته معه، وقالت إنها ستعود بعد قليل، وخرجت من المستشفى تجري حافية القدمين حتى بدأت الدماء تنزف من قدميها وهي لا تكاد تشعر، ظلت تجري مهرولة حتى وصلت للمعبد، وقالت للكاهن إنها تريد الصلاة وتريد أن يحقق الإله دعاءها فردّ عليها الكاهن إنه يستعد لإقامة الصلاة وبإمكانها أن تساعده في إعداد الطقوس وأنه إذا أرادت أن يستجيب لها الإله لطلبها فعليها أن تعده بتقديم أغلى شيء في حياتها وتترك هذا الشيء مقابل تحقيق دعائها ويتركها لتفكر بعض الوقت في الشيء الذي تستطيع تقديمه، وبعدها تقف البطلة في منتهى الخشوع أمام الإله الذي هو مجسد لـ (لينجام رمز الإله الهندوسي، قضيب شيفا للعبادة داخل فرج أم الإلهة تارا والدة إله شيفا) رمز جنسي فاضح بكل ما تعنيه الكلمة يوضع عليه الزهور وتقف البطلة أمامه بمنتهى الخشوع تدعو وتصاحبها موسيقى بالغة التأثير ثم ترتفع الموسيقى لتمنحنا إحساسا بالتوتر ومعها صور مسرعة البطلة تدعو بخشوع وتبكي، والصنم قد وضع فيه ما يشبه اللبن وأشعلت من تحته النيران يفور، ثم تظهر صورة البطل وقد دخلت من أسفل كمامته ما تشبه فقاعة خضراء شفافة كتجسيد للروح أو أمر الإله فبدأ يتنفس، الإخراج بالغ الإحكام والترقب سيد الموقف، والمحصلة النهائية أن المشاهد المسلم والمسلمة لا يستنكر هذا الشرك القبيح بل يتطبع مع الأوثان وتصبح مألوفة لديه، وأيضاً يتشكك في قيمة الدعاء لله عز وجل.

إن الإله شيفا عموما هو محور مسلسل «حبيبي دائما» فبطل المسلسل اسمه رودرا وهو أحد أسماء هذا الإله المزعوم والذي يعني اسمه «المدمر»، أما اسم البطلة فهو بارفاتي، اسم زوجة شيفا. وهكذا نعيش في أجواء آلهة الهندوس حيث تمتزج الأساطير بالدراما، وفي هذا السياق لا يمكن أن ننسى إلههم كريشنا الذي هو عامل مشترك في جميع المسلسلات الهندية التي رصدتها.

طقوس الهندوس

المتابع للدراما الهندية لابد أنه سيتعرف جيدا على جميع طقوس العبادة الهندوسية بدءا من المعبد الصغير الموجود في كل بيت، مهما كان صغيرا، ويوضع فيه الإله الذي تعبده الأسرة بحسب موقعها الجغرافي في الهند، وفي العمليين الذين قمت برصدهما كانت ديفي الإلهة الأم في مسلسل النظرة الثانية، وشيفا المدمر في مسلسل حبيبي دائما، تجتمع الأسرة في الصباح الباكر حيث الصلاة التي هي عبارة عن أغان دينية وثنية، وصينية توضع عليها الشموع وحلوى مقدسة يتم تقديمها للإله تعرف باسم حلوى التقدمات وعلبة صغيرة فيها مسحوق اللون الأحمر المقدس ثم يقوم مقيم الصلاة بتحريك الصينية بطريقة معينة حول كل شخص من المشاركين في الصلاة ويعطى له بركة اليوم حلوى التقدمات، ثم توضع النقطة الحمراء بين العينين، هذه النقطة توضع في مكان الشكرة السادسة التي يتحدث عنها علماء العلاج بالطاقة الحيوية والهدف من وضعها في الفلسفة الهندوسية الاحتفاظ بالطاقة داخل جسد الإنسان، وللأسف فإن الهندوس ينشرون دينهم بطريقة عكسية فبدلا من أن يعتنق الإنسان عقيدة ما ثم يمارس العبادات الخاصة بها فإن الهندوس يروجون لعبادتهم كلون من الرياضة أو عن طريق العلاج بالطاقة الحيوية ونحو ذلك مما انتشر في بلادنا، وبعد ذلك وتدريجيا يتم التعرف على العقيدة التي تقف وراء ذلك والتي ستنتهي في المحصلة النهائية لعقيدة وحدة الوجود.

عن الحب والزواج

استطاعت الدراما الهندية إزاحة الدراما التركية التي احتلت سنوات من وجدان العرب المفرغين والذين يبحثون بين ثقافات الشرق والغرب عما يملأ هذا الفراغ، الشباب على وجه التحديد، خاصة الفتيات منهن، يعانين من الفراغ العاطفي والنفسي ربما بسبب تأخر سن الزواج وربما بسبب الطلاق العاطفي الذي تعيشه الكثيرات لأسباب ليس هنا موضع ذكرها، ولا يمكن إغفال دور الفكر النسوي الذي جعل من كيان الأنثى كيانا موازيا للرجل، وتم الضغط على عقول الفتيات للقبول بهذا التصور النسوي بينما بقيت قلوبهن تعاني الفراغ وتبحث عن صورة أخرى للرجل والمرأة، هذا الفراغ أوقع الفتيات في حالة من التطرف المعكوس فتفاعلن وتعاطفن مع نساء مظلومات جدا ومضطهدات وعلى الرغم من ذلك يعشقن الرجل القاسي الظالم ويجدن المبررات له بل ويقمن بأعمال شبه مستحيلة حتى ينبت الحب من القلوب الصخرية المتحجرة التي يعيش بها هؤلاء الرجال، هذه الفكرة التقليدية في الدراما الهندية التي تناولها مسلسلا «من النظرة الثانية» و«حبيبي دائما»، وكلها قصص متشابهة من حيث النسيج العاطفي والنفسي.

المتابع للدراما الهندية سيتعرف جيدا على طقوس الزواج الهندوسي بدءا من ضرورة أخذ رأي الكاهن في توافق الفتى والفتاة حسب توافق أبراجهما أم لا، وهو الذي يحدد الساعة المباركة التي تتم فيها الخطبة مرورا بالحفل الغنائي انتهاءً بالنار المقدسة وأخذ العهود وعقد الزواج الذي ترتديه العروس ووضع الإكليل وتزيين رأس العروس باللون الأحمر.

الكارثة أن كثيرا من الأعمال الهندية تناقش قضية زواج المسلمة من هندوسي، وتدعو لذلك وتصم المسلمين بالتعصب إذا رفضوا ذلك.

العداء والكره للإسلام والمسلمين في السينما الهندية

السينما الهندية طافحة بمعاداة المسلمين واحتقارهم ولذلك حديث آخر، ومن الأعمال الهندية التي ناقشت ذلك:

١- فيلم فير زارا: ويحكي عن قصة حب عميقة تجمع بين الشاب الهندوسي فير والفتاة المسلمة الباكستانية زارا، تلك العلاقة التي ترفضها أسرة زارا التي تريد تزويجها من شاب مسلم، يسافر فير لباكستان ليأتي بزارا للهند

ويتزوجا، لكن والدة زارا تذهب إليه وترجوه أن يبتعد عن ابنتها حتى لا تجلب العار للعائلة، وبمثالية الشاب الهندوسي يستجيب فير لرجاء الأم ويعود أدراجه، لكن والد زارا يلفق له تهمة ويودعه السجن في باكستان، بينما تظن زارا أن فير لقي حتفه في حادث أتوبيس فتسافر للهند وتعيش مع أسرته وتنشىء مدرسة صغيرة لتعليم الأطفال هناك وتعيش على ذكراه، وبعد سنوات عديدة يتم الكشف عن الحقيقة ويعتذر القاضي الباكستاني لفير بعد شهادة من زارا أمام المحكمة الباكستانية، وفي نهاية الفيلم يصطحب فير زارا للعودة للهند ويزين جبينها باللون الأحمر، كناية عن الزواج الهندوسي.

٢- تمرد: يبدأ الفيلم بهجوم جنود باكستانيين على هنود سيخ، وطردهم، وتدنيس شرف بناتهم، ويضطر عندها السيخ للهجرة، والتشرد تحت وطأة الظلم الباكستاني.

بطل الفيلم «تارا سينغ» هندي من السيخ فقد عائلته خلال تلك الأحداث، ورغم عزمه على الانتقام من المسلمين، إلا أنه يقع في حب فتاة باكستانية مسلمة اسمها «سكينة» هي ابنة مليونير باكستاني دمويّ متعصب، ترفض «سكينة» الذهاب إلى باكستان، وتتزوج في الهند من حبيبها السيخي «تارا سينغ»، وترزق بولدٍ منه، يعارض والدها هذا الزواج، ويفضحه في الصحافة الباكستانية، التي لاتقل عنفاً وعنصرية عن الجنود الباكستانيين (حسب الفيلم)، وبعد أن يفشل الأب الباكستاني في التفريق بين الزوجين، يقوم باختطاف ابنته، وإرغام الزوج على اعتناق الإسلام بالتهديد، والعنف، وطبعاً كعادة أفلام بوليوود، يقوم البطل بالانتقام على شاكلة «رامبو الأمريكي»، وبطريقة كاريكاتورية يتراجع الأب المتعصب عن قناعاته، ويعترف قائلا: «لقد نسيت بأن الدين الأكبر، والأعظم هو الإنسانية».

الفيلم يسيء إساءة بالغة للمسلمين، والدين الإسلامي، مثل الزواج المحرم، والمستحيل الذي تم بين بطل وبطلة الفيلم، وأيضا تأدية البطلة المسلمة للصلاة، وهي ترتدي ملابس الهندوس، والسيخ، وتضع حليهم، وزينتهم.

٣- قلبي من أجلك: تدور القصة حول شاب هندوسي عاشق «أجاي»، يرغب الزواج من فتاة مسلمة «عائشة»، لكن والدها يرفض هذه العلاقة، ويطلب من مجرم مسلم «بهيجان» قتل «أجاي»، ينتظر «بهيجان» انتهاء شهر رمضان لتنفيذ الجريمة، ومثل كل القصص الهندية، لا يتمكن الشر من الانتصار، ويفوز الخير، والحب...

الفيلم أبرز كثيرا بشاعة وعنف الفرد المسلم، وسماحة الهندوسي، كما أورد الفيلم صوراً للمسلمين بالمساجد بمن فيهم «بهيجان» المجرم الذي يرتدي الطاقية الخاصة بالمسلمين، والكوفية الفلسطينية تذكيراً للمشاهدين طيلة أحداث الفيلم بديانته، وخلال سير أحداث الفيلم، يتكرر صوت الأذان كرمز للديانة الإسلامية[1].

وهكذا وبتكرار مشاهدة هذه الأعمال السينمائية الهندية يعتاد الشباب العربي المسلم على فكرة حب فتى أو فتاة من دين وثني والقبول بذلك وحقهم في الزواج الطبيعي وربما يتقبل البعض أن رفض وتحريم هذه الممارسات هو لون من التعصب الديني.

وأخيراً .. الأعمال الهندية التي تم دبلجة الكثير منها للغة العربية حتى يسهل التواصل معها بدأت تأتي أكلها، وإلا فما معنى أن يحتفل الشباب في عدد من العواصم العربية كالقاهرة وعمان وبيروت وأبو ظبي ورام الله والدار البيضاء بعيد الألوان الهندي ذي الأصول الدينية الهندوسية ويرقصون فيه الرقص الهندي ويلقون بالزهور والألوان على بعضهم البعض، وبعضهم في حالة عري!

الثقافة والديانة الهندوسية التي استغلت السماوات المفتوحة للتبشير بدينها وثقافتها أو فلنقل بشكل أكثر دقة أنها تكتفي في المرحلة الأولى بإزالة الوصمة العدائية من عقل وقلب المشاهد

(١) جمال الدين بو زيان، صورة الإسلام في بوليود .. كثير من العداء قليل من العدل، بتصرف.

المسلم نحو فكرة الوثنية وتجعله يشعر بالتطبيع مع العادات الهندوسية وكذلك العبادات والطقوس الهندوسية.

الثقافة الهندوسية استغلت أزمة الفكر النسوي الذي أرهق المجتمعات فقدمت نموذجا جديدا لقالبها القديم جداً، حيث قدمت قيم العائلة والأسرة الكبيرة الممتدة واحترام الكبار ولمس أقدامهم واحترام الزوجة الشديد لزوجها والقيام على رعايته، تلك القيم التي دعا المفكر الأمريكي ذو الأصول اليابانية فوكوياما الحضارة الغربية لاستلهامها من المجتمعات الشرقية خاصة الهند حتى لا تنهار منظومة القيم نهائيا في الغرب تحت وطأة الفكر النسوي المتطرف.

الصراع العربي الإيراني توصيف بلا توظيف

محمود أبو عبد العزيز القيسي(*) - خاص بالراصد

على الرغم من الأحداث الساخنة التي تجري على الساحة العربية والإسلامية، ومع التحدي الكبير الذي تواجهه العديد من الدول من قبل إيران والمليشيات الشيعية التابعة لها في جميع مناطق العالم، إلا أن جميع تلك الدول، العربية منها والإسلامية، لا زالت في طور التوصيف لما يجري، معرضة عن كل آليات التوظيف والمواجهة، لا، بل إنها تتجنب عمداً تلك الآليات، إنه الإغراق والتهاوي في هذا الوصف إلى حد التماهي، ولا يخفى أن أغلب تلك القراءات لهذا الواقع والذي يمكن وصفه بمسلسل الثأر التأريخي الذي لا نهاية له على الإطلاق، تعلقت أكثر ما تعلقت بالجانب الوصفي، مكتفية بعرض الوقائع، ولكن بألوان الإعلام الزائف، والذي يأبى أن يصف الحقيقة كما هي أو أن يسمي الأشياء بمسمياتها، هذا الجانب قد أعرض ملياً عن مقدمات ذلك الصراع وأسبابه وحيثياته ومآلاته، والقوة التي ينطوي عليها.

لاشك أن التوصيف ضروري كنقطة انطلاق وخط شروع للتشخيص الصحيح كي تكون الخطوة التالية هي التوظيف ثم الحركة والفعل، ولكن الاكتفاء به والوقوف على التل وندب الماضي، يمسخ الغايات ويحرفها، ومما يزيد الطين بلّة أن أغلب القراءات قدمت توصيفاً مشوها لأصل الصراع وكيفية إدارته ومآلاته بعيداً عن تجارب التاريخ، والتي تمثل بحق نسخة مكررة لهذا الصراع.

فمما أعرضت عنه تلك التوصيفات عمداً أو جهلاً كون الشيعة كلهم أو جلهم إنما يمثلون سيرة الولي الفقيه، وإن خالفوا في بعض الجزيئات التي لا يمكن أن تخرجهم عن خارطة الطريق العامة للولي الفقيه الشيعي.

لقد أغرقت تلك التوصيفات وعزفت كثيراً على أسطورة الشيعة العرب، والرهان على دورهم الوطني في بلادهم، مع أن نظرة سطحية سريعة للواقع وصفحات التاريخ تخبرنا بأن هؤلاء لم يمارسوا دور البناء في بلادهم وأوطانهم إلا على سبيل الكيد والضر، كما أن هذه التوصيفات فرّقت بين مطلق الشيعة وإيران وكأن هناك تقاطعا في الأدوار في هذا المعنى الواحد، ولم تدرك جميع تلك القراءات أن الشيعي –إلا الشاذ النادر الذي يؤكد القاعدة- في أي مكان من بلاد أهل السنة والجماعة يعتبر نفسه خلية جاهزة للعمل حين يأذن له العقل الجمعي بذلك، وأنه صورة طبق الأصل لكل المراجع والمعممين حقداً ولؤماً وكيداً لهذه الأمة.

وفي ظل الدور الساحر الذي يقوم به الإعلام نجد فيضاً من التضليل المتعمد لحقيقة هذا الصراع والإعراض بقصد أو بغيره عن المسميات الحقيقية لهذا الصراع، وأن مأزق هذا الخطاب الوصفي والذي طغى إعلاميا هو طرح أسئلة صحيحة، ثم يضلل الجمهور بتقديم إجابات غير سليمة، بل إنه يقدم مرافعات بائسة عن حب الوطن

(*) كاتب عراقي.

والوفاء للأرض والثروات والخيرات معرضا عمدا عن قضية الدين والعقيدة والهوية، والتي هي الأصل في هذا الصراع.

نعم، إن المشكلة هي تقديم توصيف قاصر بلا توظيف ولا مبادرة للحل، وليت هذا التوصيف قد وقع من تلك الدول والحكومات والمؤسسات والإعلاميين الذين يديرون المشهد والمؤثرين في صياغة القرار فيه، بل حتى العديد من الرموز المحسوبة على التيار الإسلامي السياسي أيضاً يلجأ إلى التعميم والتسطيح والإعراض عن جذور ذلك الصراع وأسبابه وكيف واجهته الأمة عبر تاريخها الطويل.

والراصد الحكيم يلاحظ وبقوة طغيان التوصيفات الفرعية والتي لا تعد إلا أسبابا عرضية، أو طرح توصيفات لا علاقة لها بالواقع الموصوف لا من قريب ولا من بعيد، وهذا نوع من السفه أو هو نوع من هذيان المحموم.

إن هؤلاء يغضون الطرف عن كون إيران دولة دينية حتى النخاع، وأن من السفه مواجهتها بغير منطقها، ثم إن هذا التفريق المتعمد بين الشيعة وإيران، أو بين إيران والمشروع الشيعي، أو بين التشيع وإيران، أو بين الشيعة العرب وإيران، ليس له حقيقة على أرض الواقع، إذ أن نظرة سطحية لتاريخ التشيع تدلك على ذلك التفاعل بين الشيعة ومراجعهم وإيران، ونظرة أخرى للواقع الذي نعيشه تؤكد لهؤلاء الواهمين الحالمين أن ثمة ارتباطا بين كل الشيعة في العالم وبين كل دولة تدعي التشيع ارتباطا عضويا عميقا جداً.

إن توصيف البعض لما يراه من بعض الخلافات الظاهرية التي تحدث بين الشيعة سواء في الدولة الإيرانية أو بين علماء الشيعة بأنها خلافات حقيقية وأن في الشيعة أصواتا محقة يجب مساندتها، ما هو إلا توصيف يشي بالوهم الكثير والكبير، فخلافات القوم على تحقيق أكبر وأعظم المصالح لهم على حسابنا كحال حلفائهم من تحت الطاولة، اليهود!

كما أن محاولة جعل قضية الصراع مع الشيعة وإيران محصورة مع أقطار معينة أو مواجهة مع بعض المسلمين دون سواهم لهي محاولة بائسة ستعود على بقية الدول والمسلمين بمزيد من الخسائر كما رأينا في عدوانهم على الجميع في العراق وسوريا ولبنان واليمن وغيرهم.

لست أدري هل تدرك تلك الدول أن جل الشيعة –على الأقل- إنما يمثلون خلايا مجندة تلقائياً في أي بلد يتواجدون فيه، وقد لا نبعد النجعة لو قلنا إن كل شيعي هو في الحقيقة ممثل حقيقي لخامنئي أو أي مرجع لمراجعهم المعروفين.

إن إيران وكل شيعتها يخوضون حربا دينية وهم يدركون أبعادها وآثارها ونتائجها، في حين أن الدولة العربية تريد أن تجعل منها مجرد قضية صراع سياسي تتحكم فيه المصالح السياسية البحتة، ثم تقوم تلك الدول بعزل وحجب البدايات والمآلات عن شعوبها لفهم حقيقة صراعها مع المشروع الإيراني، ويمنعون عنهم الأدوات والأسباب التي تجعلهم سندا لدولهم، ثم حين تهاجمهم إيران يطلبون من شعوبهم نصرة الدولة، ويريدون من تلك الشعوب خوض المعارك دون أن يتحدثوا عن عقيدة أو دين، بل فقط عن وطن وأرض وشعب وحدود.

بينما تتميز إيران وعموم شيعتها بوحدة الخطاب ما يجعلهم بالحقيقة كتلة لا تتجزأ في السلوك والتطبيق، وتبادل الأدوار بين العوام والخواص قائم بينهم بالبداهة، وذلك من خلال التلقين الدائم والمستمر، فيما تشحن الشعوب السنية بالكثير من السذاجة، ومما يزيد الطين بلّه أن حكام تلك الشعوب وأدواتها الإعلامية التي تصنع شخصيتها تزيد من تلك السذاجة وتدفع بعملية التغريب دفعاً، في حين أن الشيعة لديهم هدف ومشروع واضح ويستخدمون العناوين الواضحة لكل تلك المواجهات وتلك الصراعات.

الدول العربية الإسلامية لا تهتم لقضية «السنة» بل تتنكر لها بشدة، وبالتالي فإن تلك الشعوب تقاتل بلا قضية ولا هوية، وتدخل المعركة بأمعاء خاوية وسيف من خشب.

لم يفقد مراجع الشيعة على طول فترات التاريخ ثقة الجماهير الشيعية بهم، ذلك أن هؤلاء المراجع عرفوا جيداً الأسباب الحقيقية التي تجعل من هؤلاء تابعين وجنودا صالحين مطيعين على طول الطريق، وكذلك فإنهم لم يبخلوا عنهم بذلك الخطاب الذي يتناغم مع مشاعر الباطن وأماني المستقبل، بل إنك لتجد ذلك التناغم العجيب بين هذا المرجع وبين ذلك الشيعي مهما تدنّى مستواه الثقافي وتجاوز حد المعقول والمألوف.

إن ما تفتقده التوصيفات الرائجة بين السنة هو الاختراق الفكري المرجعي لعقول عوام الشيعة بأن الفكر والعقيدة الشيعية هما سبيل عزتهم، ولذلك يقدّم الشيعة الغالي والنفيس في سبيل تحقيق أهداف أولئك المراجع والتي يعدونها في ذات الوقت أهدافا حقيقةً لهم.

إنها حرب جديدة بنفس الآليات والسبل القديمة، فما أشدّ غفلة وحماقة أولئك الذين يتنكرون لتوصيف حقيقة هذه الحرب الشيعية، كما يعرضون ملياً عن توظيفها بشكل سليم.

معركة الموصل رؤية تحليلية

عبد الهادي علي(*) - خاص بالراصد

تكتسب معركة الموصل ضد تنظيم داعش أهميتها من مدينة الموصل نفسها ومن موقعها، وفي كونها المدينة التي دخل منها داعش للعراق في أواسط شهر حزيران سنة ٢٠١٤، ولِمعركة الموصل أبعاد سياسية عديدة، حيث قرعت طبولها قبل أكثر من سنة فلماذا بدأت الآن وما دلالات ذلك؟

من المفترض أن تكون معركة الموصل آخر معركة لإخراج داعش من العراق، وهذا يرجعنا إلى الحديث عن البداية، والبحث عن إجابة السؤال المعلّق: كيف تمكّن مئات الدواعش من هزيمة جيش جرار فرّ من أمامهم دون أن يطلق طلقة واحدة؟ وما الذي حصل في الموصل بالتحديد خلال السنتين الماضيتين؟

دوافع الحكومة العراقية الشيعية وإيران:

من الثابت والواضح أن داعش لم يقتحم الموصل، ولكنه أُدخل إليها بتسهيلات عدّة، ومن الثابت أيضًا أنّ الجيش العراقي لم يُقاتل، بل أُمر بالانسحاب من قبل رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة -آنذاك- نوري المالكي، ومن الثابت والواضح كذلك أنه لم يحاسب أحدًا على هذه الفعلة والخيانة!

طبعاً لن نجد جواباً اليوم ولكن المستقبل كفيل بإظهار الحقائق وفضح المسؤولين العراقيين عن هذه الجرائم بحق العراق وأهله. وإذا كان من المكشوف اليوم أن داعش أُدخل للساحة السورية ليجهض الثورة الشعبية السورية، فهو أدخل للعراق لأمر آخر!

فالحكومة العراقية الشيعية وإيران حققتا هدفهما من وجود داعش حيث كان مبررا ومسوغا لإنشاء الحشد الشعبي الشيعي، وتحويله للقوة رقم واحد في العراق، وأصبحت مليشيا تشبه مليشيا حزب الله في قوتها ونفوذها، والتي تعد حكومة أو دولة موازية للحكومة والدولة اللبنانية، وتسير للتحول لوضع مشابه للحرس الثوري الإيراني الذي همّش الجيش الإيراني، وبذلك أصبح لشيعة العراق قوة عسكرية خارج إطار الدولة والدستور يفرض سطوته على الجميع، ويوظف لموازنة الضغط الأمريكي على الحكومة العراقية الشيعية.

فالحشد الشيعي والجيش العراقي الطائفي يعبث بأي منطقة بالعراق وخاصة مناطق السُّنة بحجّة داعش، وفعلاً أصبح السُّنة بين مقتول أو مسجون أو مهجّر أو تحت الذل والاضطهاد وهو مخطط قديم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

في نفس الوقت أدركت الحكومة العراقية أنّ

(*) كاتب عراقي.

سياسة أمريكا تستنزفها ماليا في حرب دائمة، حتى أصبح العراق البلد النفطي مدينا لصندوق النقد الدولي، وتمَّ بيع نفطه لعدة سنوات قادمة، وشعرت إيران أنّ أمريكا تنافسها في نهب العراق وخيراته، فأصبح من مصلحتهم التخلّص من ورقة داعش حيث تحولت لمصدر إزعاج بدون عائد!

خلفيات الموقف الأمريكي:

بحُجّة حرب داعش أعلنت روسيا عن نيتها القدوم للعراق واقترحت تشكيل رباعية أمنية مشتركة بينها وبين العراق وسوريا وإيران، وهذا يتصادم مع الرؤية الأمريكية التي تعتبر العراق ساحة لها وحدها، وأن الروس لا يحق لهم التدخل فيها بخلاف أمريكا، التي تمكنت أن تتدخل في سوريا ويصبح لها دور بعد أن كانت سوريا حصة روسيا طيلة العقود الماضية.

وبسبب تحقق غاية الشيعة وإيران بالسيطرة على عموم العراق بحجة محاربة داعش، ومحاولة الروس التدخل بالعراق آن الأوان أن يتم التخلص من داعش من قبل الحكومة العراقية الشيعية وإيران وأمريكا ولكن لكل طرف أسبابه الخاصة.

وهذا التوقيت لإخراج داعش هو قرار أمريكي حتى لا تفقد زمام المبادرة في المنطقة؛ وفي نفس اللحظة هذا الوقت يدعم الديمقراطيين في سباق الانتخابات الأمريكية كذلك، ويقطع الطريق على التعاون الإيراني الروسي لإنهاء ملف داعش العراق لصالحهما بخلاف المصلحة الأمريكية.

لكن ماذا عن اللاعب التركي والكردي؟

أما الأتراك فيشعرون أنهم تأخروا عن مشاركة الآخرين بحُصة في العراق، وأنهم فوتوا عليهم أشياء كثيرة، وأن الوجود التركي الاقتصادي في العراق يمكن أن ينتهي بقرار بسيط من الحكومة العراقية؛ لذا كانت معركة الموصل فرصة لا تعوض، فتركيا معنية بالموصل منذ أكثر من ٩٠ عاما فقد كانت تريدها كجزء من إرث الدولة العثمانية.

أيضاً أدركت تركيا أنّ إيران والحكومة العراقية أصبحتا توظف تنظيم PKK الإرهابي ضدها مما يشكل خطراً على أمنها القومي، حيث تم افتتاح مكتب له في بغداد من قبل نوري المالكي الذي يقدم أيضاً ٨٠٠ دولار لكل عضو من أعضائه، الذين يتواجدون اليوم في منطقة سنجار داخل العراق كقوة عسكرية، وهؤلاء يشكّلون الخطر الأكبر على تركيا سواء كانوا في العراق أو سوريا.

لذا تفهم تركيا أبعاد المخطط العراقي الإيراني من استباحة الموصل السنية ودعم PKK الإرهابي بأنه نقل للمعركة للداخل التركي، وتستشعر تركيا بعد الانقلاب الفاشل أن أمنها القومي مهدد من سوريا والعراق بأدوات متعددة منها داعش ومنها PKK وأصبح من الضروري التحرك مبكراً لقطع الطريق على المخططات الإقليمية الإيرانية الشيعية بالحصول على ممر بري يصل إيران بالبحر الأبيض بجوار تركيا، وما يترتب على ذلك من ضرر وتهديد لأمن تركيا، ومخططات أمريكا وإسرائيل وروسيا بإعادة تقسيم المنطقة مما قد يهدد بتقسيم تركيا وتقزيمها من جديد.

وعلى اعتبار أن تركيا وإيران هما البلدان الأكثر قدرة في المنطقة على منافسة إسرائيل، كان الأتراك يخططون بحسن نية وبساطة (وبرؤية إسلامية عامة) خاصة رئيس الوزراء السابق أحمد داود أوغلو لقيام مثلث عربي تركي إيراني للسيطرة على المنطقة، وكان الأتراك يظنون أن إيران سترحب بتقاسم الأدوار بينها وبين تركيا في العراق، وأن من الخير لإيران أن تكون تركيا شريكتها في العراق بدلاً من أن تكون أمريكا شريكتها هناك، ويبدو أن الأتراك بدأوا يستيقظون من هذا الحلم على وقع الخيانات والاعتداءات الشيعية العراقية والإيرانية تجاه تركيا.

ولهذا تشددت الحكومة العراقية برفض الوجود الشكلي التركي في العراق، وصعّدت الموقف مما خدم لعبة إيران الخبيثة لتقليل حصة الخصم التركي بالعراق، ومن جانب آخر: تضرر مصالح القوى والأحزاب الشيعة العراقية من وجود تركيا

السنية كشريك قوي بالعراق؛ لأنّه يعدل كفة سنة العراق.

أما الموقف الكردي فهو موقف معقّد: فطمع الكرد بالموصل طمع قديم، ومنذ الاحتلال الأمريكي سنة ٢٠٠٣ حكم الكرد الموصل، وهي منطقة بالغة الأهمية بالنسبة لحلم كردستان كبرى في سوريا والعراق وتركيا، فهي منطقة عربية فاصلة بين كرد سوريا والعراق، وقد قامت شرطة الأكراد (الأشايس) بدور مبكر في إيصال التطرف للموصل منذ ٢٠٠٣، كي تكون مدينة رخوة يمكن الاستيلاء عليها، وقاموا بتصفية عدد من عناصرها العربية الجيدة، وطموحهم اليوم على ضم سهل نينوى إلى كردستان.

لكن الوضع الكردي هش في الداخل، فثمة صراع بين مسعود البرزاني (أربيل) وحزب جلال طالباني (السليمانية)، وهو صراع قديم جديد، فمسعود لا يُراد له أن يكون رئيس الإقليم ولا يراد التجديد له؛ لذا احتمى ولاذ بتركيا، وجلال حصان إيراني قديم. وهناك صراع بينهما تحرّكه إيران، وحلم الدولة الكردية عالميا غير مطروح حاليا، ونجحت الحكومة العراقية مع إيران في الضغط على مسعود البرزاني بغية إضعافه، فإيران تريد المنطقة الكردية تابعة لها، كي تمنع تحرك كرد إيران للانفصال والاستقلال وتوظيفهم كورقة بيد خصوم إيران، كما تريد إيران استغلال منطقة مسعود (أربيل) كممر لتحركاتها إلى سوريا.

الموصل في الصراع الدولي:

الموصل حاضرة بقوة في الصراع الدولي الكبير بين روسيا وأمريكا من جانب، وبين أمريكا وأوربا من جانب آخر، وبين روسيا وأوربا من جانب آخر.

فروسيا وفق تقسيم المناطق الروسي الأمريكي لا تتدخل في العراق ولا الموصل، وتريد من أمريكا أن تنهي داعش في سوريا والعراق، وترفض تهجير عناصر داعش من العراق إلى سوريا.

بينما إيران؛ ترغب بخروجهم لسوريا، ولا تريد ضرب داعش في سوريا لعدم قدرة النظام السوري على سد فراغ داعش، لأن إنهاء داعش سيمكّن الثوار من التفرغ لحرب النظام إذْ يشكّل داعش عائقا للثورة السورية منذ ظهوره.

أما الدول الأوربية وخاصة فرنسا وبريطانيا فتشعران أن اتفاقيات أوربا في بداية القرن في تقسيم المنطقة قد تتغير لغير صالحها؛ لذا تحرصان على بقاء تقسيمة سايكس بيكو، كما أن روسيا سلّطت الهجرة السورية على أوربا بما يهدد ديمغرافية أوربا ووحّدتها من خلال تصعيد القصف لتهجير السوريين وهو الذي حصل قبل سنة تقريباً؛ ثم تسليط الدواعش بالتفجيرات في أوربا كلما أيدوا الثورة السورية، لذا فداعش أصبح ثقلا على أوربا ولا بد من إنهائه في سوريا والعراق.

تكتيكات وفوائد جانبية لإيران في ظل معركة الموصل:

١- الاستفادة من وجود الحشد الشعبي في مناطق جديدة حيث تعاون الحشد الشيعي ومجموعة جلال طالباني لإضعاف نفوذ برزاني في كركوك والضغط عليه لتهجير العرب السنة من كركوك، لذا جاء هجوم داعش على كركوك قبل أيام.

٢- تعزيز وجود الحشد الشيعي والحكومة الشيعية في مناطق سنية كالأنبار عبر عدة عمليات سريعة، ولذلك جاءت عملية الرطبة التي تبين أنها من تسهيلات ميلشيا مقتدى الصدر «سرايا السلام» وغيرها من مكونات الحشد الشعبي الشيعي.

٣- الاستفادة من داعش الإيرانية في تسهيل دخول الحشد الشيعي إلى منطقة تلعفر بحجة الدفاع عن الشيعة لأن الحكومة وإيران تخططان منذ سنين لوجود محافظة شيعية في شمال العراق، بعد تقسيم محافظة نينوى بين السنة العرب والكرد والشيعة التركمان.

٤- كما أن أحد السيناريوهات المطروحة هو أن ينتقل داعش لصحراء العراق ليبقى يضرب بين

الفينة والأخرى مناطق العرب السنة ليستمر مبرر تدخل الشيعة في المناطق السنية.

لذلك تواجد الحشد الشعبي بالقرب من منطقة داعش في غرب الموصل لدخول تلعفر من طريق منطقة الحضر أولا، ولتسهيل خروج داعش إلى سوريا.

لا يفوتنا أخيرا أن نذكر أن الأمريكان يريدون إطالة أمد الحرب لغاية نهاية الانتخابات الأمريكية للاستفادة منها، ولعلي بذلك سلطت الضوء على تشابك المواقف في معركة الموصل، والأيام حبلى بكل جديد.

بين تقيَّة الشيعة وتقيَّة الأمريكان

فارس أنور الفارس(*) - خاص بالراصد

ينطلق التحالف الغربي الأمريكي مع الشيعة من تناغم ملل الكفر في الخارج، مع خطوط النفاق في الداخل الذي تمارسه الشيعة اليوم بأعلى درجاته ومراتبه مع أمة الاسلام والمسلمين، وتأتي التقية عاملًا مهمًا للتعمية على ما يحدث على الأرض، تضليلاً للرأي العام السني خاصة الذين هم بعيدون عن مواضع الاحتكاك والصدام، حتى لا يثوروا في الأمة وعيًا يفقدهم مكاسبهم ومواقع أقدامهم في بلدان المسلمين التي لهم فيها صولات وجولات، ويصير وضعهم به حرجًا قد يعود عليهم بأبشع الهزائم والانكسارات.

فالأمريكيون والغربيون يديرون دفة الصراع بطريقتهم الخاصة في التخطيط والتنظيم والترتيب، والشيعة هم الجهة التنفيذية الهمجية المتوحشة التي يحسن الأمريكان استخدامها في تحقيق أهدافهم، وهم لن يحتاجوا لكبير جهد وعمل إلا في العمل على شد وثاق أهل السنة في مقابل إطلاق أيادي الشيعة للفتك والقتل، والتقطيع والتحريق، وكل صنوف التعذيب والإيلام التي يوقعونها بنا، وهي تقوم بواجبها فوق المحسوب وأكثر من المطلوب، والواقع في كل من سوريا والعراق واليمن شاهد حي صارخ على ما يحصل بكل تفاصيله وتداعياته.

الشيعة هم المطية التي يمتطيها الشيطان الأكبر! في تنفيذ المشروع المهدوي الذي استبقوا به إمامهم الغائب في الثأر من ذراري قتلة الحسين بفعل آبائهم!!! كما نعق أحدهم بالأمس واصفًا ما سُمِيَ بمعركة تحرير الموصل بأنها «ستكون انتقامًا وثأرًا من قتلة الحسين؛ لأن هؤلاء الأحفاد من أولئك الأجداد».

ولا بد من الإشارة إلى المخدوعين من أهل السنة بالتقية الشيعية - التي تظهر خلاف ما تبطن - في سعيهم الحثيث الى التقارب معهم، مع ظهور كل الأمارات الدالة دلالة قاطعة على زيغهم وانحرافهم وضلالهم، وأنهم يسعون جادين إلى استغفالنا وخداعنا بالتقية وغيرها، وبكل ما يمكن أن يؤدي إلى إضعافنا وإضعاف أمتنا وتوهينها، وإسلامها لقمة سائغة إلى أعدائها.

برغم أن النص القرآني ذكر التقية في سياق استعمالها مع الكفار عند الإكراه ونحوه، فالشيعة على العكس من ذلك لا يستعملونها إلا مع المسلمين أهل السنة والجماعة، وهذا يتناغم مع توصيفهم أهل السنة بأنهم أكفر من اليهود والنصارى. وأزمتنا ومشكلتنا أن الغالبية العظمى من أمتنا الاسلامية السنية لا تعي هذه الحقيقة ولا تلتفت إليها، وبعضنا يحب أن يبقى كالنعامة التي تدفن رأسها!

إلا أن أول المعنيين بالتقية الشيعية وأول المستهدفين بها - قبل غيرهم - هم أمة الإسلام، وهم السواد الأعظم من أهل السنة والجماعة، أما الكفار فلا يحتاج الشيعة إلى استعمال التقية معهم، ولم نعلم إلى يومنا هذا أنهم مارسوا التقية مع الكفار؛ فالشيعة ليس لديهم مشكلة لا مع اليهود ولا مع النصارى، ولا مع المجوس ولا مع ملل الكفر كلها وفق كل

(*) كاتب عراقي.

المعطيات العقائدية والفقهية والتاريخية؛ مشكلتهم العظمى وعقدتهم الكبرى هي مع أهل السنة والجماعة فقط؛ لهم مع أهل السنة ثارات وثارات، ونزعات ونزاعات، ونزغات!

وحال الكثير من أهل السنة والجماعة اليوم في تعاطيهم مع الشيعة، ومع القضية الشيعية، كحال المسلمين مع أهل الكتاب في حبهم ومودّتهم مع شدة بغضهم لهم، وفي اتخاذهم بطانة من دونهم، في الوقت الذي يسعون سعياً حثيثاً إلى خذلانهم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ❖ هَا أَنْتُمْ أُولاَءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ❖ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١٢٢]. إلا أن ما يفعله الشيعة من المجازر في بلدان المسلمين هذه بحق أهل السنة والجماعة يكشف عن ذلك بجلاء لمن أراد أن يبصر حقيقة الشيعة والتقية التي يتسترون وراءها!

والعراق اليوم أحد أهم شواهد العصر على هذا الذي نقول، إلا إذا أردتم حجب الشمس بغربال، وهيهات! ألَم يسلم الأمريكان السلطة ومقاليد البلد لهم، بالاتفاقات السرية، والاجتماعات المغلقة التي كانت على حسابنا وعلى حساب وجودنا وانتمائنا؟ وهم اليوم يريدون تسليم اليمن إلى الحوثيين بطريقة أو بأخرى، وإن كان ولا بد، فعلى الأقل أن يكون لهم وجود وكيان سياسيّ وعسكريّ قويّ في مقابل أن يكون الوجود السني فيها هشًا ضعيفاً لا يقوى على شيء كما حصل ذلك تماما في لبنان الذي صار رهينة لحزب اللات الذي صار يسوس البلد بسياسة البلطجية وقاطعي الطرق؛ فيخطف ويقتل ويحدث الفتن والقلاقل والفوضى والاضطرابات تحت يافطة المقاومة والممانعة التي صارت صك غفران لكل ما يقترفه من جرائم وانتهاكات.

وهذا لا غرابة فيه، فأهل السنة نواصب عند الشيعة، والنواصب بحسب التوصيف الروائي الشيعي: «شر من اليهود والنصارى»؛ فاليهود والنصارى أقرب إليهم منا، وكذلك الملل الكافرة تعي هذا وتعلمه، وتعرف أنها أقرب إلى الشيعة منها إلينا، وصار أساطين الكفر يصرحون بذلك ويعلنونه نهارًا جهارًا لا يستحون منه ولا يخجلون، والشيعة تتناغم معهم في تبادل الود والعشق ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ. وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [سورة المائدة: الآيات ٨٠- ٨٢]؛ ولأجله تتحالف معهم، وتعقد الاتفاقيات السرية والعلنية مع كل هذه الملل الكافرة في القديم والحديث.

فقد تآلفت ملل اليهود والنصارى هذه، على حرب الإسلام وأهله، وتوالفت مدرسة أهل البيت! وأتباع أهل البيت! وشيعة أهل البيت! مع أهل البيت الأبيض! توالفًا حميميًّا، عشقًا وضمًا وتقبيلًا؛ وترى أتباع أهل البيت اليوم يتمسحون ويتمرغون على أعتاب البيت الأبيض يقبلونه ويرتشفونه ويلطعونه، كما يتمسحون بقبور أئمتهم ويتمرغون على أعتابها، لعله اشتبه عليهم هذا البيت بذاك البيت وظنوه واحداً. والمهم أن كلمة البيت واحدة تجمع الجميع!

ويأتي بعد ذلك الترضي على ساكن البيت «بوش رضي الله عنه!!» الذي حقق لهم الحلم الذي لم يحققه الحسين وأولاده وذريته!

ثم خلف بوش المرتضى، أوباما حسين المجتبى؛ فأضاف على هذا البيت المبارك؛ البركات تلو البركات، والمقامات بعد المقامات، لقد تحوَّل البيتُ الأبيض إلى حسينية يندب فيها الحسين الأُوبامي أو الشيعي لا يضر؛ فرقاً واحداً بينهما أن الأول موشحًا بالبياض والآخر بالسواد؛ لكن بعد امتزاجهما وتوليفهما صار اللون رماديًّا قاتمًا؛ ولأن الإمام أوباما الحسين لما تشرف بالبيت الأبيض، أدخل على أهل البيت هذا وأتباعه ومقبّلي أعتابه وأبوابه وأركانه عزاءً روحانيًّا فذًا، ونفحًا حسينيًّا جديدًا، يثوِّر في النفوس العاشقة لأبي عبدالله الحسين مزيدًا من الثأرية والانتقامية، ويزيدهم به أوباما الحسين أملاً في إكمال الشيعة لمشروعهم الحسيني في التمكين! والتسلط! والتخريب! والتقتيل! والتذبيح؛ طبعًا، على مرأى ومسامع السيد أوباما وبرضاه ومباركته؛ أليس هو ابن الحسين؟ وتلكم الشيعة هم أتباع الحسين وأحبابه وشيعته؟ وإذا لم يكن الحسين قاسمًا مشتركًا، ونقطة التقاء في لَمِّ الشملِ، وجمع الكلمة، والتعاون المشترك، والتحالف المشترك في تصفية الحسابات التاريخية المشتركة مع النواصب والإرهابيين؛ فلا نامت أعين الجبناء!!

فليكن – في الحس الشيعي على الأقل – الحسينان واحدًا؛ ما ندري لعل هذا الأوباما بن الحسين هو مهدي الشيعة الذي انتظروه طيلة هذه القرون، أو على الأقل قد تشكَّل في أوباما الحسين لينصر الشيعة، وقد يمكن أن يكون قد اشتبه عليهم هذا الحسين بذاك الحسين، كما اشتبه عليهم البيت بالبيت، المهم أنه سيحقق لهم الأمل المفقود، والهدف المنشود الذي انتظروه سنينَ طوال؛ ولا يضر بعد ذلك: ظهر المهدي أو لم يَظهَرْ؛ وهل سيحقق المهدي حفيد الحسين إلا ما حققه الأوباما بن الحسين؟

المهم أن الشيطان الأكبر! تحول – في ساعة من الزمن – ملاكًا مقدسًا، وكائنًا ملكوتيًّا، وربما إمامًا معصومًا منصوصًا، وأصلحه الله في ليلة؛ فأبكته آهات المستضعفين، وانكسار المقهورين، وأنين وطنين المظلومين على مدار التاريخ؛ الطامعين في وطن قومي لهم في بلاد الرافدين؛ كأولئك المفترشين لأرض الميعاد المقدسة في أرض فلسطين، وقد جمعتهم المظلومية، ووحدت بينهم الوشائج المصيرية، وما لا يعلمه إلا الله من المواقف المصلحية والمحسوبية.

فَرَقَّ الملاكُ المقدس بكل عواطفه وإشفاقاته لهؤلاء؛ كما رَقَّ شاؤول – من قبل – للخراف الضالة من بني إسرائيل؛ فأنزل عليهم رحماته بعد عذاباتِه، ومسراته بعد أحزانه. فحري بهذا الشيطان الأكبر!! عفوًا! الملاك المقدس! أن يُمنَحَ وسامُ المهدوية بأعلى درجاته ومراتبه ومقاماته!

ولم ينس الشيعة لصاحب الفضل فضله، فردوا عليه فضله أضعافًا مضاعفة، وصاعًا بصاعين؛ فهم يقدمون له يوما بعد آخر، وعلى مائدته الموشحة بشعار العدالة، وعلى نصب الحرية الشامخ؛ قرابين المذابح، ونذور المسالخ على مقاصل التعصب الطائفي المقيت، بالدريل والمسالخ، لإدخال الفرح والسرور والحَبور إلى قلبه المكلوم بجرح الحسين.

لكن الشيخ أوباما يحسن التقية بحذاقة، ويمارسها بمهنية هي تقية الدبلوماسية الأمريكية التي تدرس في معاهدها وجامعاتها؛ لا تقية الشيعة الهمجية المتلجلجة في أفواه الموتورين، والمعجونة بعقد التاريخ المظلم، التي خرجت من تحت الأرض من كهوف الكوفة ومغاراتها المنتنة، وعلى أيدي أولئك الزائغين الزائفين الذين كانوا – وما زالوا – ينتحلون مودة أهل البيت.

والشيخ الأمريكي يريد الشيعة يده الضاربة وقبضته الحديدية التي يصفي بها حساباته التاريخية في التحدي الحضاري والتاريخي الذي تواجهه المنظومة الغربية من هذا المارد الإسلامي السني الذي أقلقها قرونًا متطاولة، وأرغم أنوفها في أوحال المياه الآسنة في العمق الأوربي جنوب فرنسا غرباً، وعلى أسوار القسطنطينية شرقاً؛ وشكَّل لها – ولا يزال – أرقًا مزمنًا، وقلقًا أقضَّ مضاجعها، وأورثها مزيدًا من العقد التاريخية والحضارية

وتداعياتها في الخوف من المجهول القادم فهي تعيشه بكل مشاعرها وأحاسيسها ولا تريد أن تنساه؛ فعقد الماضي التاريخية من هذا المارد من كلا الفريقين هو القاسم المشترك بينهما، وهو الذي يرسم خارطة الطريق اليوم كما رسمها بالأمس في هذا التحالف المشؤوم بين الرافضة والغرب، وعلى رأسهم الأمريكان؛ فليكن الشيعة - كما كانوا أبدا - هم حصان طروادة الذي سيفتح لهم منافذ أسوارنا- كما فتحها ابن العلقمي ونصير الطوسي للتتار من قبل، وكما يفتحها شيعة اليوم للأمريكان - ويمهد لها طريق الاحتلال والاستعمار من جديد، ويوطأ فيه لأعداء الأمة التي لا بد من استئصالها والقضاء عليها قبل أن تنهض من جديد، وتعيد أمجادها الغابرة.

وليس أفضل من الشيعة مطية يمتطيها الكابوي الأمريكي لتعبّد له أرض الإسلام

فهذه عادة تاريخية، ونحلة عَقَديِّة وعُقَدية، وطبيعة تتجدد كل حين للشيعة لا يمكنهم تركها ولا التخليَ عنها، حتى يبلغ بهم الأمريكي غايته، ويحقق بهم مآربه، حتى إذا انتفت حاجته منه تخلص من عبئه برصاصة يطلقها في جبينه ليرديه قتيلاً صريعاً غير مأسوف عليه.

المهم أن الشيخ أوباما يحسن التقية وبمنتهى الحذاقة والحِرَفية عندما يقول للمسلمين: «نحن لسنا أعداء للإسلام والمسلمين، والمسلمون ليسوا أعداء لنا» لكن إدارته في نفس الوقت تسمح للآلة العسكرية والميلشياوية بأن تحصد المسلمين من أهل السنة في الشام والعراق واليمن بلا هوادة وبلا رحمة، وتسمح إدارته بتدخل وتدفق الآلاف من ميلشيات حزب اللات والشيطان والميلشيات الشيعية في كل من العراق ولبنان وإيران وباكستان وأفغانستان، وتوج ذلك كله بالسماح للآلة العسكرية الروسية - وبإذن كنسي صليبي - بأن تدك المدن السورية - بأهلها - دكا، وتطحنها طحنًا، وبرغم ذلك كله يبقى أوباما وإدارته بمنأى عن العداء للإسلام وأهله؛ لكن إدارته أيضًا مهتمة جدًا جدًا، وتذرف لذلك أنهار من دموع التماسيح؛ بالأكثرية المظلومة - المزعومة- في العراق ولا بد من استرداد حقوقها المسلوبة طيلة أربعة عشر قرنًا.

وهم كذلك خائفون على مصير ومستقبل الأقلية العلوية النصيرية في سوريا الشام ولا بد من ضمانات صارمة في الحفاظ على حقوقها،

وأن يكون لها وجود مشرف في أيِّ تغيير قادم؛ فالإعلام الغربي والأمريكي ليس مهتمًا بالأكثرية التي تُسحق سحقًا في الشام، لا يلتفت إليها ولا إلى آلامها، بالقدر الذي يؤلمه أن تضيع حقوق الجلادين الأقلية؛ ولعلكم عرفتم الازدواجية في التعاطي الأمريكي الغربي بين الخوف على الأكثرية في العراق، وعلى الأقلية في الشام كشفته الغرف المغلقة، والكواليس المعتمة، في التواطؤ على أمة الاسلام، ودين المسلمين، بين هؤلاء الأعداء التقليديين من خارجها، وهؤلاء المنافقين من داخلها المتسمين بشيعة أهل البيت! وأتباع أهل البيت! فإن ثمة قاسما مشتركا هو الذي يشكل التحالف المشؤوم بينهما؛ فالحقوق لا يستحقها إلا الشيعة في البلدين سواء كانوا أقلية أم أكثرية، ولا بد من خلق كل المبررات إلى حد التناقض الصارخ، والازدواجية في أخس دركاتها، والكيل بمكيالين، طبعا مع خلط الأوراق حتى لا تتكشف الحقائق على ما هي عليه؛ ويأبى الله إلا أن يخرج المكنون، ويظهر المكتوم كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩].

وحين يَحرق الروس حلب ويدمرون كل شيء فيها، فإن الرئيس الأمريكي يوحي لإعلامه بأن يسرّب ويسوِّق كآبته على هذا الذي يحدث فيها، فهذا أقصى ما تقدمه الإدارة الأمريكية وهي ترى المجازر التي تحصد آلاف السوريين.

لكن أوباما، وهو مكتئب على الوضع في حلب، فإنه لن يسمح للحلبيين أبدا بمناطق آمنة، ولا بممرات آمنة، ولن يسعى إلى وضع حد وخطوط

طول وعرض للسلاح الجوي السوري والروسي، ولن يمنعهم من القتل والتدمير، لكنه في مقابل ذلك يمنع السوريين من أن يمتلكوا صواريخ مضادة للطائرات حتى يحموا بها أنفسهم من حمم هذه الطائرات وجحيمها.

إن رسالة أوباما للشعب السوري وفق هذه المعطيات وغيرها؛ أن لا خيار لكم أيها السوريون إلا الموت، ولا شيء غيره!!

أما الشيعة فبرغم كل ما يصنعونه من الجرائم والمجازر والإيغال في دماء الأبرياء من أهل السنة، إلا أنَّهم لا يخجلون من أنفسهم حين ينسبونها إلى هذا البيت الطاهر العفيف! تسويقًا لأنفسهم، وعلى حساب أهل البيت، زاعمين بأن ذلك طاعة لهم، وتنفيذًا لإرادتهم، واستجابة إلى تعاليمهم في نسبة مخالفيهم إلى الكفر والنصب، ثم استحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

وهم في الوقت الذي يقارفون فيه أعظم الجرائر والجرائم، سلخا للجلود، وتقطيعًا للأعضاء، وتمزيقًا للأجساد، وتثقيبًا للأبدان، فهم في ذات الوقت - وبكل صفاقة - يتمسكنون ويرفعون أكف الضراعة تظلمًا وتشكيًّا من أعدائهم الإرهابيين والتكفيريين! وشناعة أفعالهم وبشاعتها لا تقل عن بشاعة أولئك المارقين، بل لا نسبة بينها وبين بشاعة الإرهابيين وشناعتها من أي وجه من الوجوه، وهي التي ستجلب عليهم مزيدًا من العار والشنار كما هو دأبهم في القديم والجديد.

والنفاق الأمريكي والغربي لا يقف عند هذا الحد في التعاطي مع منافقي هذه الأمة في التآمر على أمة الاسلام، فأهل السنة – وحدهم – هم الموصومون بالإرهاب، أما الشيعة فهم حمل وديع ولو قارفوا أعظم الجرائر والجرائم التي يندى لها جبين الإنسانية، لكن ما دام خنجر الشيعة مغروزًا في نحر الاسلام والمسلمين فهم بمنأى عن وصمة الإرهاب، ولو فعلوا الأفاعيل، وما دام سيفهم مسلطًا على رقاب المسلمين فلن تتحرك المنظمات الحقوقية، ولا المنظمات الإنسانية، ولا المحكمة الجنائية ولا ... ولا ... إلخ.

إن إنسانية هذه المنظمات تقف عندما يكون الدم مسلمًا موحدًا، ولا تتحرك إنسانيتهم قيد أنملة في إيقاف النزيف، إن ضمير الإنسانية يتبلد ويموت حين يكون الضحية إنسانًا منسوبًا إلى الإسلام وبالذات إن كان من أهل السنة والجماعة، إنه يصمُّ آذانه عن صراخ الأطفال وأنين الضعفاء، ودموع الثكالى، يعطيها ظهره ولا يلتفت إليها كأنها خلقت من طينة غير طينة الإنسانية التي يتشدقون بحمايتها والدفاع عنها.

ويظهر النفاق الغربي والأمريكي والمكر الصليبي الأهوج أكثر فأكثر، حين يعلنون بلا حياء ولا مواربة بأنهم لا يريدون أن يكرروا تجربة العراق في سوريا، وأنه لابد من الإبقاء على كل المؤسسات الأمنية والمخابراتية والحزبية للنظام، حتى لا يمس التغيير موازين القوى باتجاه أهل السنة والجماعة؛ وإذا كان لابد من التغيير فهو في بعض الوجوه والأشكال والصور لا غير، إرضاءً شكلياً لأهل السنة، بل استغفالًا وتخديرًا لهم، وتنفيسًا مؤقتًا لمعاناتهم، تعود بعدها آلة الذبح والقتل والتشريد فيهم كما كانت في عهدها الغابر، وحتى تبقى المقصلة مسلطة على رقابهم؛ بحسب النفسية الصليبية الحاقدة، وكذا النفسية الشيعية البغيضة.

إنها نفسها الطبيعة التي ورثوها عن أسلافهم في التحامل على هذه الأمة والسعي الحثيث والجاد لسحقها واستئصالها ومحوِ كيانها ووجودها، ودينها وانتمائها، وآثارها ومآثرها.

صلة الحركات السنية بالشيعة وإيران بين وهم الوحدة وخبث الفرقة والطائفية!

أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

اليوم، وبعد تجربة بلغت مئة عام تقريبا من صلة الحركات الإسلامية السنية بالشيعة وإيران لا يزال البعض حائراً لا يعرف حقيقة العلاقة وأطوارها وتاريخها ونتائجها وما هو الصواب والخطأ فيها!

ولا يزال البعض يتوهم أنه أكثر نضجاً وأكبر وعياً وأنه سينجح في إقامة الوحدة والتعاون بين السنة والشيعة والقضاء على الفرقة والعدوان بينهم وأنه سيمكنه تجاوز جبال الجماجم وأنهار الدماء التي سُفكت عبر محطات التاريخ!

إذا تجاوزنا مرحلة جمال الدين الأفغاني، والتي لا تزال بحاجة لحفريات كثيرة لفهم حقيقة فكره وشخصيته ودوره، هل كان مصلحاً صادقاً أم مبشّراً ماسونياً أو إيرانياً وداعية شيعياً، حيث تتنازعه الآراء والنظريات ولا تزال الحقيقة تجاهه لم تظهر وتستقر بعد.

إذا تجاوزنا ذلك وبدأنا برصد علاقة الحركات السنية بالشيعة وإيران سنجد أن بداية ذلك وقع للشخصيات الرئيسة في ظهور الحركات الإسلامية السنية، حيث نشرت مجلة المنار - التي كان يصدرها العلامة رشيد رضا - عدة مقالات له عن فشل تطوير العلاقات السنية الشيعية التي سعى إليها منذ سنة ١٩٢٠م في دمشق في حوارات مع عدد من الشخصيات الشيعية والسنية من أهمها الملك فيصل الأول، وتجددت هذه الحوارات في القاهرة سنة ١٩٢٦، ولكن تبين أن الشيعة لا يريدون علاقات بنّاءة للطرفين أو للأمة بل علاقات لمصلحتهم فقط، وأنهم لا يتورعون عن نشر عقيدتهم وطعنهم في الصحابة بين المسلمين دون اكتراث للتوافق أو الوحدة المزعومة، وقد فصّل ذلك رشيد رضا في كتابه «السنة والشيعة».

بعد هذه التجربة الأولى جاء للقاهرة أبو عبد الله الزنجاني ثم عبد الكريم الزنجاني كمبعوثين شيعيين عراقيين من قبل مرجع الشيعة بالنجف العراقية حسين البروجردي سنة ١٣٥٣هـ، حيث حاولا نشر وبثّ الدعاية للتشيع في المجتمع المصري، ولكن تصدي العلماء المحققين كالعلامتين محب الدين الخطيب ومحمد الخضر حسين وكشفهما حقيقة تعصبهما الشيعي وكرههما للصحابة أفشل هذه المحاولة الأولية.

ثم أتبعهما البروجردي بثالث هو الشيخ محمد تقي القمي الذي تواصل مع الأستاذ حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، وزار مقر الجماعة عدة مرات، كما ذكر ذلك المرشد الثالث للجماعة الأستاذ عمر التلمساني، ونجح القمي بتأسيس دار التقريب في القاهرة سنة ١٣٦٦هـ- ١٩٤٦م، بالتعاون مع البنا، ثم تقابل البنا مع المرجع الشيعي الإيراني أبي القاسم الكاشاني في الحج سنة ١٩٤٨م، وقد تسبب هذا الموقف من البنا تجاه الشيعة إلى تبادل المقالات والردود مع أستاذه محبّ الدين الخطيب، الذي كان قد أسس للبنا أول صحيفة باسم الإخوان، وتولى استصدار ترخيصها باسمه وطباعتها في مطبعته الشخصية، وقد نشرت هذه المقالات في صحيفة الإخوان المسلمين وصحيفة الفتح.

وفي عام ١٩٥٤ زار القاهرة نواب صفوي زعيم جماعة «فدائي إسلام» وهو متعصب شيعي إيراني فكان محل ترحيب وتقدير من الإخوان هناك.

ومن بعد البنا واصلت جماعة الإخوان الصلة بالشيعة بشكل أو آخر، وهنا نجد تجربة د. مصطفى السباعي، مؤسس حركة الإخوان في سوريا، سنة ١٩٥٣، والذي مضى في مسار التقارب والانفتاح مع الشيعة ممثلين بمرجعهم عبد الحسين شرف الدين، ولكنه صدم من إصرار الشيعة على التمسك بكل ما يحطّم الوحدة الإسلامية برغم كل الشعارات الجميلة عن التقارب والتعاون، وقد سجل السباعي تجربته في كتابه «السنة ومكانتها في التشريع».

(*) كاتب أردني.

أما في العراق فقد كان بعض الشيعة أعضاء في جماعة الإخوان، مثل طالب الرفاعي، الذي عُرض عليه تولي قيادة الجماعة سنة ١٩٦٠ لكنه رفض، ثم شارك بتأسيس حزب الدعوة الشيعي العراقي!

ثم جاءت ثورة الخميني سنة ١٩٧٩ والتي أيدتها جماعة الإخوان بكل فروعها في العالم، رغبةً في الوحدة الإسلامية ومحاربة المحتلين، فقام وفد ممثل لعدد من جماعات الإخوان في العالم بزيارة تهنئة للخميني بنجاح الثورة، وتم إسكات بعض الأصوات النشاز في داخل الإخوان والذين كان لهم معرفة واطلاع على عقائد الشيعة وتجاربهم المرّة مثل د. عدنان سعد الدين ود. عمر الأشقر وقد دوّنا تلك الحكاية في مذكراتهم الشخصية.

وبارك ثورةَ الخميني العديد من الشخصيات والجماعات الإسلامية السنية في العالم منهم نجم الدين أربكان من تركيا وأبو الأعلى المودودي من باكستان وغيرهما، بل حتى حركة فتح الفلسطينية هنأت الخميني بالثورة، وكان ياسر عرفات (أبو عمار) أول شخصية تصل طهران لتهنئة الخميني وقد سبق لحركة فتح أن درّبت عناصر حركة أمل الشيعية اللبنانية وعناصر إيرانية شكلت فيما بعد نواة الحرس الثوري الإيراني، وهذا الترحيب من مختلف الحركات السنية بالثورة الإيرانية جاء على خلفية حب الوحدة الإسلامية وشعورا منها بفرحة الشعب الإيراني بالتخلص من ديكتاتورية الشاه.

وقد شارك الخميني في الثورة على الشاه قياداتُ السنة في إيران مثل الشيخ أحمد مفتي زادة والشيخ ناصر سبحاني، واللذين كان جزاؤهما - بعد تمكن الخميني من السلطة- السجن مع التعذيب ثم الإعدام!

وهنا بدأت صفحة جديدة في صلة الحركات السنية بالشيعة وإيران، ففي المرحلة السابقة كانت القضية علاقةً بين جماعة أو تنظيم مع شخصيات شيعية، وكان الإخوان يأملون تسخير الشيعة للمصلحة الإسلامية والوحدة الإسلامية -بتقديرهم هم- بينما كان الشيعة يأملون اختراق الإخوان والمجتمعات السنية من خلالهم، ولكن وعي البعض من القيادات كرشيد رضا ومحب الدين والسباعي منع ذلك، أيضا كان اغتيال البنا في سنة ١٩٤٩، ثم صراع الإخوان مع النظام الناصري سببا لتوقف تمدد العلاقة مع الشيعة.

لكن مع نجاح ثورة الخميني وتكوّن دولة شيعية تتبنى علنًا تصدير الثورة، تحولت العلاقة إلى محاولة دولة توظيف جماعة أو جماعات سنية لمصلحة مخططاتها الطائفية، وهنا مكمن الخطورة!

استغل نظام الخميني هذه العواطف الإسلامية وبدأ بحملة علاقات عامة مع قواعد الحركات الإسلامية من خلال سفارات إيران في الدول العربية والإسلامية حيث بدأت تستقطب الطلبة للدراسة في طهران وتوزع عليهم الكتب والصحف والمجلات التي ترفع شعارات الوحدة والتضامن الإسلامي والعداء للإمبريالية والصهيونية والحكام الطغاة، وفعلاً تأثر بعض الطلبة بذلك وتحوّل بعضهم للتشيع العقدي كما حدث في السودان وتونس والجزائر ومصر وفلسطين ونيجيريا، وأصبح هؤلاء الطلبة اليوم قادة للجماعات المتشيعة في بلادهم!

وتأثر عدد أكبر من هؤلاء بكثير - بل قل جمهور الحركات الإسلامية من القيادات والقواعد- بالتشيع السياسي المتمثل في تأييد إيران في حربها مع العراق، وفي عدائها لدول الخليج العربي، وفي دفاعها عن التشيع ونفيها طائفيته وخطورته في وجه الدعوة السلفية التي انفردت بالتحذير من طائفية وخطر وعدوانية الأفكار الدينية للخميني ونظام الملالي، وشهدت ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي صراعات طويلة وحادة حول حقيقة الخطر والزحف الشيعي الذي ترعاه إيران وتوظف فيه علاقاتها بالحركات الإسلامية السنية بين السلفيين وغيرهم من الحركات الإسلامية.

ورغم أن العديد من الحركات الإسلامية تعرضت للغدر والخيانة من نظام الملالي طيلة تلك السنوات إلا أنها لا تزال تحافظ على موقف ودّي ومتصالح مع نظام الملالي، ومن أمثلة ذلك:

ما تعرضت له جماعة الإخوان في سوريا من خيانة في الظهر بتأييد الخميني علناً لحافظ الأسد

في قتلهم وإبادتهم سنة ١٩٨٢ - كما يقتل خامنئي علناً اليوم مع بشار الشعبَ السوري إخوانًا وغير إخوان- ولكن بقيت جماعة الإخوان - التنظيم العالمي وبقية الفروع- على علاقة وثيقة بنظام الخميني ونظام الأسد!

وأيضاً ما قام به نظام الملالي من رفض استقبال الأستاذ راشد الغنوشي سنة ٢٠٠٧ والذي كان ضمن وفد المؤتمر القومي العربي وذلك بسبب صفقة عقدتها إيران مع نظام بن علي لتسهيل وضع المتشيعين في تونس مقابل عدم دعم الغنوشي بوصفه معارضاً! واليوم نجد الغنوشي يمد يد الصداقة لإيران ووكلائها الشيعة في لبنان وتونس!

وفي لبنان قامت إيران ووليدها حزب الله بإنهاء قوات فجر السنية اللبنانية في الجنوب وطرابلس التابعة للجماعة الإسلامية في لبنان والتي تصدت للعدوان الإسرائيلي سنة ١٩٨٢، حيث تم إضعافها ومن ثم جعلها تحت إمرة حزب الله ومن ثم تم تسليمها لحليف حزب الله فتحي يكن الذي انشق عن الجماعة، وأسس جماعة هلامية موالية لحزب الله!

وفي فلسطين عمد نظام الملالى لدعم حركة الجهاد الإسلامية واختراقها لتصبح شيعية وقد نجح في ذلك نسبياً، ومع ذلك أمرت مَن تشيع من قادة الجهاد بالانفصال وتأسيس حركة الصابرين في عام ٢٠١٤ كحركة سياسية عسكرية بعد أن كان نشاطهم ثقافيا واجتماعيا، أيضا عمد نظام الملالي إلى دعم حركة حماس بالمال والسلاح بقدر ما يحقق لهم تسللا إلى غزة، وسيطرة على مراكز صنع القرار في الداخل والخارج، وقد تبين هذا من تسريب مكالمة د. موسى أبو مرزوق، القيادي في حماس، بأن إيران تكذب ولم تقدم دعمًا لحماس منذ سنة ٢٠٠٩ وحتى نهاية سنة ٢٠١٥، وبرغم كل ذلك يخرج أبو عبيدة، الناطق العسكري باسم كتائب القسام، ليقدم الشكر العلني لإيران سنة ٢٠١٤!

وبرغم كل هذه الغدرات الإيرانية والشيعية وغيرها فقد بقي هوى الحركات السنية مع إيران والشيعة ركضًا خلف سراب الوحدة مع الشيعة والتعاون في المقاومة ضد الصهيونية والإمبريالية، بينما نظام الملالي يراكم التسلل للبلاد السنية وتجهيز الخلايا النائمة وتكوين تحالفات بديلة للمستقبل مع خصوم الإسلاميين من اليساريين والماركسيين والناصريين!

بل لما أعلن الشيخ القرضاوي رفضه للغزو الشيعي الإيراني للبلاد الإسلامية سنة ٢٠٠٦ ومن ثم اعترافه بندمه على انخداعه بدعوى التقريب وأن الشيعة كانوا يستغلون ذلك للتسلل وتشييع السنة في الخفاء، حيث ظهرت نتائج الجهود التبشيرية الإيرانية الشيعية في أوساط الكثير من الطرق الصوفية في السودان ودول أفريقيا وآسيا والتي تسلل لها التشيع بغطاء حب آل البيت وتقديم الأعطيات والدعم ... لقي هذا التبدل في موقف القرضاوي تنديداً من المرشد العام للإخوان المسلمين مهدي عاكف وعدد من الشخصيات المستقلة مثل فهمي هويدي وسليم العوا، لشدة تعلقهم بسراب الوحدة الإسلامية، هذا إذا أحسنّا الظن فيهم! بينما أيد القرضاوي المراقبُ العام لإخوان الأردن د. همام سعيد، والمراقب العام لإخوان سوريا علي صدر الدين البيانوني وراشد الغنوشي رئيس حركة النهضة التونسية وجماعة الإخوان المسلمين في إيران نفسها!

حتى جاء الربيع العربي وكشرت إيران وملاليها وحرسها الثوري وميلشياتها في دول متعددة عن أنيابهم وعدائهم الوحشي تجاه المستضعفين والأبرياء الذين طالما تاجرت بقضاياهم وهمومهم، وقد أحدث هذا صدمة كبيرة في الشارع السني ويقظة نحو لأطماع الإيرانية الشيعية مما أفقد إيران وحزب الله والشيعة الكثير من رصيد شعبيتهم عند أغلب المسلمين في العالم، وهنا حدث تحول في موقف الحركات الإسلامية السنية من إيران والشيعة لكنه لا يزال تحول تكتيكي وليس استراتيجيا.

فبرغم المجازر الطائفية البشعة التي تقوم بها إيران وميلشياتها الشيعية الطائفية من العراق ولبنان واليمن ودول أفريقيا وباكستان وأفغانستان وغيرها ضد الشعوب المستضعفة في العراق وسوريا ولبنان

والـيمن وعمليـات الـتفجير والإرهـاب في الكويـت والبحـرين والـسعودية، فـإن الكـثير مـن الحركـات الـسنية لم تقطـع علاقاتهـا بـإيران ووكلائهـا كحـزب الله، ولا تزال تحافظ على ترك الباب مواربا معها.

فحركـة حمـاس لا تـزال تـصرح بـأن إيـران سـند مهـم للقـضية الفلـسطينية، وحركـة النهـضة في تـونس استـضافت في احتفالاتهـا الأخـيرة سـنة ٢٠١٦، منـدوبين عـن إيـران وحـزب الله، والحركـة الإسـلامية في تركيـا عمومـاً لا تـزال تـرى في مجـازر إيـران بحـق أهـل سـوريا خطـأ سياسـيا لـيس أكثـر، وهـي قناعـة تسود عند قطـاع واسـع مـن الحركـات الـسنية، بـأن القيـادة الإيرانيـة الحاليـة حـادت عـن نهـج الإمـام الخمـيني! والـبعض يعتقـد أن هنـاك أطرافـا في إيـران ورّطـت نظـام الملالـي في هـذه المواقف الطائفية!

ولعـل تغاضـي جماعـات الإخـوان في العـالم عـن إدانـة الحـزب الإسـلامي العراقـي –واجهـة الإخـوان العـراقيين– علـى مـشاركته في شـرعنة النفـوذ الإيرانـي والـشيعي في العـراق مـن أبلـغ دلالات الموقـف المـوارب للحركـات الـسنية مـن إيـران وجرائمهـا الطائفيـة البـشعة، الـتي تمارسـها بكـل إصـرار وعنـاد بـل وتـشرعنها بالفتـاوى والتـصريحات مـن كبـار المراجـع الدينيـة والـسياسية، وتتوافـق مـع إيـران القـوى الـشيعية الأخـرى كـالمرجع الـشيعي السيـستاني، الـذي أصـدر فتـوى تأسـيس الحـشد الـشيعي الطـائفي، ومقتـدى الـصدر الـذي لا يعـارض إلا تقلص نفوذه لصالح مليشيات شيعية أخرى.

فـلا تـزال الحركـات الـسنية تـرفض بـسذاجة تقيـيم إيـران بنـاء علـى مواقفهـا الأيدلوجيـة المعلنـة مـن العـداء لأهـل الـسنة وتكفيرهـم وشـرعنة قتلـهم والوعيـد بـاحتلال مكـة والمدينـة، كمـا يرفـضون بعنـاد مـا تعلنـه إيـران مـن إسـتراتيجية قائمـة علـى التمـدد والاحـتلال لكـثير مـن الـدول العربيـة والـسعي الحثيـث للتعـاون مـع الغـرب وروسـيا وإسـرائيل بمـا يحقـق مـصالحها على حساب المسلمين السنة في المنطقة!

وكـشف الربيـع العربـي عـن مـدى عمـق تعـاون واخـتراق إيـران وحـزب الله والنظـام الـسوري للجماعـات المـسلحة الـسنية كتنظيمـي القاعـدة وداعـش، وبينمـا كانـت الغالبيـة تـرفض الاسـتماع لاتهـام إيـران بالتعـاون واخـتراق القاعـدة قبـل عقـدين مـن الـزمن، تكـشفت الحقـائق الآن بـاعتراف قـادة القاعـدة عـن تقـاطع مـصالحهم مـع إيـران وعـن تلقّـيهم تـدريبات ودعمـا مـن إيـران لمواجهـة أمريكـا والأنظمـة الـسنية، ثـم كـشفت الثـورة الـسورية وواقـع الـسنة في العـراق كيـف خـدم داعـش المـشروع الإيرانـي الـشيعي بتحطـيم وتفتيـت الـصفّ الـسني، وتأليـب العـالم علـى الثـورة الـسورية وأهـل الـسنة جميعـاً، ثـم الـدخول في صـراعات سـنية سـنية، وكـثير مـن هـذا يـتم مـن خـلال اختراقـات إيرانيـة وسـورية لقيـادات داعـش الـذين أطلـق سـراحهم مـن سـجون المـالكي وبـشار لهـذا الغـرض، ومـن ثـم تم زرع كـثير مـن ضـباط الاسـتخبارات العـراقيين والـسوريين في القيـادة لتمرير المخططات الإيرانية!

هـذه سـيرة مـوجزة لتـاريخ صـلة الحركـات الـسنية بالـشيعة وإيـران عـبر مئـة عـام تقريبـاً، وهـي تكـشف بوضـوح عـن سـعي الـسنة خلـف سـراب ووهْـم الوحـدة مـع الـشيعة، الـذين يـسعون نحـو تحقيـق مـشروع طـائفي شـيعي متمثـل باسـتغلال الحـالمين بالوحـدة وخـداع محـبي آل البيت وتوظيف المتحمسين لقتال الكفار.

وللأسـف نجحـت إيـران الملالـي في العبـور علـى ظهـور الحركـات الـسنية الحالمـة للطـرق الـصوفية وكـثير مـن العامـة والطلبـة وقواعـد الحركـات الإسـلامية وكوّنـوا بـؤر تـشيع في مجتمعـات سـنية لا وجـود للـشيعة فيهـا، ومـن ثـم تمكـن الحـرس الثـوري مـن إشـغال العـالم بالإرهـاب الـسني –الـذي يدعمـه ويموّلـه ويوجهـه– عـن عدوانـه وتمـدده في الـدول الـسنية، حتـى أعلـن متحـدثهم عن سيطرتهم على أربع عواصم عربية!

فهـل تـستيقظ الحركـات الـسنية مـن أحلامهـا ويـستيقظ المتحمـسون علـى حقيقـة تلاعـب الـشيعة والملالـي بهـم، بعـد كـل هـذه الـدماء والجمـاجم والتـدمير والخـراب، أم أنهـم يحتـاجون للمزيـد مـن الكـوارث ليفيقوا؟!

علانية الطقوس الشيعية بمصر... بين الحلم والحقيقة

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

لم يعد ثمة شك في أن العلاقات المصرية - الإيرانية تشهد تقاربا شديدا هو الأقوى من نوعه منذ أكثر من ثلاثة عقود، فتصويت المندوب المصري في مجلس الأمن الدولي لصالح المشروع الروسي الخاص بحلب السورية فضلا عن الضغط الذي مارسته إيران على مجموعة الدول المشاركة في مؤتمر لوزان الذي يبحث نفس القضية وذلك من أجل حضور كل من مصر والعراق ومشاركتهما في فعاليات المؤتمر لدعم الموقفين الإيراني والسوري المتعارضين مع الموقف السعودي والأغلبية العربية يعدان نموذجين جليين يؤكدان مدى التقارب الحاصل في هذه العلاقات بغض النظر إن كان هذا التقارب يأتي على حساب العلاقات المصرية – الخليجية بشكل عام والعلاقات المصرية - السعودية بشكل خاص أم لا!

إذ يبدو أن جلّ اهتمام السياسة الخارجية المصرية والمنطلق الرئيس لأغلب تحركاتها هو توسيع دائرة علاقاتها الدبلوماسية مع أكبر عدد ممكن من الدول والقوى الدولية والعمل قدر الإمكان على إزالة التخوف الذي يستشعره النظام السياسي الحالي من أن يعاني من عزلة دولية أو حتى مجرد إبداء المجتمع الدولي تحفظه عليه نتيجة الموقف تجاه ما جرى في مصر في أعقاب أحداث الثلاثين من يونيو عام ٢٠١٣ ومن ثم فإنه لا يلتفت على الإطلاق إلى أن سياساته الخارجية يمكن أن تتناقض بعضها مع بعض، فالتركيز أولا وأخيرا على أن يحدث الانفتاح في السياسة الخارجية دون حتى التنبه إلى أن هذا التناقض ربما يفقده أو على أقل تقدير يضعف علاقته بأهم الذين دعموه ووقفوا إلى جانبه في أحلك لحظاته.

حالة من الترقب

وبطبيعة الحال فقد كان هذا التقارب كفيلا بأن يثير التخوفات والهواجس لدى الكثير من المعنيين بالملف الشيعي في مصر، إذ يدركون جيدا أنه وعلى الرغم من أن هذا التقارب ارتبط بتوافق في وجهتي نظر البلدين تجاه العديد من الملفات الإقليمية والدولية على المستوى السياسي فحسب إلا أنه بلا شك فإنه يمكن أن يكون له دلالاته وانعكاساته الخطيرة على واقع الشيعة في مصر وبعض الدول المجاورة إذ ليس لإيران أو لحلفائها في المنطقة أن يفوتوا مثل هذه الفرصة السانحة دون أن يستغلوها أفضل استغلال من أجل تطويعها لتنفيذ مخطط التمدد الشيعي، خاصة وأن هذا التقارب في حد ذاته يتواءم مع المعلوم من منهجية هذا المخطط الذي غالبا ما تكون أولى خطواته إحداث التعاطف السياسي ثم التعاطف العقائدي ومن ثم الاستقطاب العقائدي.

والناظر في الواقع المصري في الوقت الحالي يلحظ بوضوح شديد ذلك التعاطف السياسي لدى قطاعات كبيرة من مؤيدي النظام السياسي المصري مع المواقف الإيرانية خاصة تلك المتعلقة بدعم طهران المتواصل لبشار الأسد في مواجهته للثورة السورية وهو ما يدفع بعض هذه القطاعات إلى أن تتبرى دفاعا عن طهران والتأكيد على الأهمية الإستراتيجية للتقارب معها وهو غير أنه في الوقت ذاته يمكن أن يمثل خطورة كبيرة على علاقات أخرى لا تقل أهميتها من الناحية الإستراتيجية بل ربما تزيد عليها وهي تلك العلاقات المصرية - الخليجية التي تتبنى وجهات نظر مغايرة لما عليه طهران تجاه العديد من الملفات الإقليمية والدولية.

في هذا السياق لا يمكن أن يجادل أحد في أن هذه المواقف السياسية ستنعكس بشكل كبير على قضية التشييع حيث توافر التربة الخصبة التي

(*) كاتب مصري.

يمكن أن يتحرك خلالها الداعون إلى التشيع في حركتهم ودعوتهم، فمن ناحية لم تعد إيران بعد هذا التقارب ووفق الرأي السياسي الغالب هي تلك الدولة التي تتسم علاقتها مع مصر بالتوتر والقلق وتبادل الاتهامات بين نظاميها الحاكمين فيما أن هذا التقارب سيسمح أيضا للدولة الإيرانية أو حتى حلفائها وعبر الوسائل الدبلوماسية بأن تتواصل مع الحكومة المصرية لتخفيف ما يمكن أن تعتبره ضغوطات يتعرض لها الشيعة المصريون وذلك بدعوى الحق في ممارسة طقوسهم الخاصة، التي بكل تأكيد ستنسحب أيضا على الحركة والدعوة على الآخرين والتي هي جزء أصيل من عقيدة الشيعي.

اقتناص الفرص

على الرغم من وجود فارق كبير بين واقع الشيعة والداعين للتشيع قبل ثورة يناير ٢٠١١ وبين واقعهم بعد يناير ٢٠١١ حيث تمكن الشيعة من انتهاز التداعيات السياسية والأمنية الحاصلة على إثر الثورة في التمكين لنشاطهم والتكثيف من دعوتهم إلا أن ذلك كله لم يكن يحمل مؤشرات خطيرة إذ كان من الطبيعي أن يدرك الجميع أن الأجواء وقتئذ فرصة سانحة لكل تيار فكري أو سياسي أو مذهبي بأن يتحرك بكامل حريته دون أي عائق قانوني أو أمني وهو ما سمح لهؤلاء بأن يجهروا بالعديد من الطقوس الشيعية، في تحد صريح للمجتمع المصري السني فكان أول ظهور علني لهم خلال احتفال العشرات من الشيعة المصريين بذكرى عاشوراء خلال شهر ديسمبر ٢٠١١ بساحة مسجد الإمام الحسين بالقاهرة حيث نصبوا «دي جي» وقاموا بتشغيل «لطميات» و«مراثٍ» شيعية كما رفعوا لافتات تحمل شعارات شيعية، فيما تناولت كلماتهم الثورة المصرية وتشابه مبادئها من الحرية والوقوف أمام الظلم والظالمين ورفض التبعية للأجنبي مع مبادئ ثورة كربلاء في محاولة للإيحاء بأن الثورة المصرية هي استلهام لثورة الخميني.

ولم تختلف كثيرا احتفالات الشيعة في هذا اليوم عمّا يحدث في كل من إيران والعراق ولبنان حيث بدأ توافد الشيعة على ساحة الإمام الحسين منذ الحادية عشر صباحاً، حاملين الرايات السوداء ثم حضر مجموعة من الشيعة على رأسهم محمد الدريني الرئيس السابق للمجلس الأعلى لآل البيت فوقفوا لاستقبال الشيعة المتوافدين على الساحة وهو ما أثار حفيظة الكثير من الشباب السني الذين قاموا بدورهم بالتواصل مع الشرطة التي اضطرت للتدخل قبل أن يتطور الأمر إلى حدوث اشتباكات بين الطرفين.

وبالطبع فإن بعض القيادات الشيعية حاولت أن تقفز فوق الرفض المجتمعي لمثل هذا السلوك وتعطي انطباعا بأن رد الفعل الأمني دليل على استمرار نظام مبارك، وهو ما ذهب إليه الطاهر الهاشمي الذي حمّل نظام الرئيس المخلوع حسني مبارك مسئولية ما حدث ومؤكدا على أن المجتمع المصري لا يمانع من الاحتفال بذكرى كربلاء، مدللا على ذلك بأن الشيعة احتفلوا على مدار الأيام الأولى من شهر محرم وقبيل ذكرى كربلاء فأقاموا مجالس العزاء بمختلف محافظات الجمهورية، وهو نفس ما أشار إليه القيادي الشيعي المعروف الدكتور أحمد راسم النفيس.

المحاولات المتكررة

لم يكن ما حدث في ديسمبر ٢٠١١م عند مسجد الحسين رادعا قويا للشيعة المصريين، لذا فهُم لم يتوقفوا أبدا عن تكرار محاولاتهم ذلك أنه وكما أشرنا فإن عقيدة الشيعي تفرض عليه أن يبذل ما في وسعه من أجل بث أفكار ومبادئ مذهبه وهو ما أسماه الخميني بـ «تصدير الثورة» الأمر الذي يفسر إصرار شيعة مصر على الاحتفال بكل مناسبة شيعية رغم أنهم يعلمون مسبقا أنها ستواجه بتضييقات أمنية تحسبا لأن تستفز هذه الاحتفالات مشاعر الأغلبية السنية التي فضلا عن أنها ترى أن هذه الاحتفالات بدعية وبعيدة كل البعد عن الإسلام ولا تليق بالمسلمين فإنها تفتح الباب واسعا أمام دولة هي إيران لم يعد يخفى على أحد قبح الدور الذي تقوم به في المنطقة.

ولم يثنِ القرار الذي أصدرته وزارة الأوقاف

المصرية والقاضي بغلق مسجد الحسين بعد الصلوات بالتزامن مع يومي مولد الإمام الحسين وذكرى مقتله - رضي الله عنه - في كربلاء الشيعة المصريين ومعهم الشيعة العراقيون وغيرهم من المقيمين في مصر عن تكرار محاولة التجمع في المسجد وأمامه لإقامة طقوسهم وشعائرهم.

كما سعى الشيعة المصريون إلى الاحتفال بمناسبات أخرى، فوفق صحيفة الصباح المصرية قام الشيعة بالاحتفال بعيد الغدير خلال شهر أكتوبر من العام الماضي ٢٠١٥م – ١٨ ذي الحجة ١٤٣٦هـ - وذلك أمام مسجد الحصري في مدينة ٦ أكتوبر التابعة لمحافظة الجيزة.

وكشفت الصحيفة أن الاحتفال تم في خيام تجمع بها الشيعة المصريون والإيرانيون والعراقيون وقياداتهم حيث بدأ الشيخ هاني الموسومي الخميني الحديث عن عيد الغدير وفضله والتأكيد على أن صوم هذا العيد فرض على الشيعة.

وكشفت الصحيفة عن أنه بعد ذلك اصطف الرجال في الأمام بينما وقفت النساء في الخلف وأمام كل فرد تربة كربلاء ثم قام أحدهم برفع الأذان الشيعي ثم قاموا بأداء صلاة يوم عيد الغدير وهى عبارة عن ركعتين من قبل أن تزول الشمس بنصف ساعة ثم بدأوا في قراءة سورة الفاتحة وسورة ليلة القدر وآية الكرسي، كل منهم عشر مرات كون أن هذا يعادل مائة ألف حجة ومائة ألف عمره - حسب اعتقادهم- ليبدأوا بعد ذلك في الدعاء ثم لتتواصل بعد ذلك مراسم الاحتفال حتى أذان المغرب ليرفعوا الأذان بصيغته الشيعية أيضا ثم تناول طعام الإفطار.

وأضافت الصحيفة أنه بعد الإفطار بدأ الرجال والنساء المتشحات بالسواد يشغّلون الأغاني التي تعبر كلها عن مغزى واحد وهو أن على بن أبى طالب ولى الله وأن الإمام المهدي سوف يأتي من الشيعة وأن الشيعة سوف تقوم على بيعته ثم بدأوا باللطم على وجوههم وصدورهم بينما تلطم النساء على وجوههن فقط ليقمن بعد ذلك بذبح الطيور حيث قام الحضور بوضع الدماء على جبين كل منهم وهم يرددون أن «عليًا ولي الله» ليؤدوا بعد ذلك ركعتين على تربة كربلاء ثم يقوموا بخلع الجلابيب السوداء وارتداء البيضاء حيث يضعون عليها دماء الطيور التي ذبحوها ثم يبدأون في إطعام المساكين ليتبعوا ذلك بأداء الحضرة.

أما النساء وعقب الانتهاء من اللطم على الوجه فقد قمن بجلب قطع من القماش الأبيض الملطخ بدماء الطيور وأخذن يمزقنه فيما تولت سيدات أخريات توزيع الطعام على المحتاجين بالشوارع «كنوع من الصدقات على روح على بن أبى طالب».

كما لم تقتصر محاولات شيعة مصر على الاحتفال بالمناسبات الدينية وفق تصورهم فحسب بل امتد الأمر ليشمل أيضا الاحتفال بأعياد إيرانية كعيد النيروز – عيد رأس السنة الفارسية- بما يؤكد مدى التبجح الذي وصل إليه هؤلاء، فللمرة الأولى في مصر وخلال شهر مارس من العام الجاري ٢٠١٦م أعلن الناشط الشيعي المصري فاروق الديب أنهم احتفلوا بعيد النيروز الذي بدأ مطلع شهر جمادى الآخرة، واستمر لمدة خمسة أيام.

وأوضح الديب أنه كان يتم قبل ذلك الاحتفال بعيد النيروز في البحرين وإيران والعراق والكويت ولبنان مضيفا أن الاحتفال به سيكون بالصلاة والتسبيح داخل مساجد آل البيت ثم التجمع في منازل القيادات الشيعية والتهليل وتقديم الهدايا وصوم الأيام الخمس وشراء أشياء لم يتم شراؤها من قبل لتوزيعها على الفقراء فضلا عن توزيع «بندانة» مكتوبًا عليها «علي ولى الله».

وفي مايو من العام الجاري أيضا تجرأ الشيعة المصريون وأدوا طقوسا شيعية بشكل علني ولأول مرة في مسجد السيدة زينب، حيث قام القيادي الشيعي ومنسق ائتلاف «خدام أحباب العترة المحمدية» عماد قنديل بقراءة دعاء «زيارة السيدة زينب» وهو أحد الأدعية التي يقوم الشيعة بقراءتها عند زيارة أهل البيت فيما قام بالتزامن بعض أعضاء «ائتلاف شباب الشيعة المصريين» بالانتشار

في المسجد وتوزيع الحلوى والعطور على المحتفلين وسط ترحيب البسطاء الذين شاركوا في ذكرى مولد السيدة زينب.

التحايل على الموقف

يعي متابعو الملف الشيعي في مصر أن الشيعة المصريين ينطلقون في تعاطيهم مع قضيتهم من خلال محورين أساسيين يتعلق الأول منهما بالترويج كذبا بأن أعدادهم تصل إلى عدة ملايين وأن أغلب أتباع الطرق الصوفية هم من أتباع آل البيت «الشيعة» وهو ما يعلم الشيعة قبل غيرهم أنه ادعاء غير صحيح إذ أن عددهم لا يتجاوز عدة آلاف على أقصى تقدير.

فيما يتعلق المحور الثاني بسعيهم إلى لفت أنظار المجتمع الدولي لهم من خلال محاولاتهم ممارسة طقوسهم بشكل علني في مساجد القاهرة القديمة مع علمهم بأنه سيتم منعهم ومن ثم فهم يسجلون موقفا بأنهم محرومون من معاملة الدولة لهم كأقلية وهو ما يمنحهم اهتماما دوليا وحقوقيا بمتابعة قضيتهم وتولي العديد من المنظمات الحقوقية الدفاع عنهم ومن ثم فلا مانع من أن يكرروا ومع كل مناسبة خاصة بهم الدعوة إلى التجمع والاحتشاد للاحتفال ثم تلبية هذه الدعوة فعلا ، الأمر الذي ربما يعرض بعضهم للتوقيف الأمني وهو ما يكون أحيانا هدفا لديهم حتى يتم إثارته إعلاميا وكسب التعاطف محليا ودوليا.

ولقد اتبع الشيعة هذا النهج مع ذكرى كربلاء يوم العاشر من محرم الماضي ١٤٣٨هـ حيث قاموا قبيل ذكرى كربلاء ووفق ما أكد الباحث المصري المتخصص في الشأن الشيعي وليد إسماعيل بالاستعداد لتوزيع منشورات تحض على الكراهية استغلالاً لأيام محرم وعاشوراء مستهدفة منطقة الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة فيما ألمح علاء السعيد عضو ائتلاف الصحب والآل إلى أن هناك رصدًا دقيقًا لتحركات مجموعات من الشيعة التي تقطن في منطقة ٦ أكتوبر للتواجد في مساجد آل البيت في يوم عاشوراء لممارسة بعض الطقوس الشيعية من لطم الخدود والطبول وشق الجيوب.

وأضاف السعيد أن هؤلاء الشيعة الوافدين من العراق والمتواجدين في منطقة أكتوبر يريدون إثارة الفتنة والبلبلة وإشاعة الفوضى بين المسلمين بالتواجد أمام ضريح «الحسين» كما فعلوا العام الماضي وحدثت اشتباكات في منطقة «الحسين».

ويأتي ذلك ربما تحايلا على الخطة التي أعلنتها وزارة الأوقاف والتي أكدت أنها لن تسمح لأي طائفة مذهبية بممارسة طقوسها داخل مساجد آل البيت وعلى رأسهم الحسين أو السيدة زينب والسيدة نفيسة وخاصة طائفة الشيعة حيث تم التنبيه على جميع الأئمة بعدم السماح بأي احتفالات كما تم التنبيه على العمال في المساجد بضرورة توخي الحذر ومراقبة المترددين على المسجد الذين يقومون بأي طقوس أو أفعال غريبة مؤكدة التنسيق مع أجهزة الأمن في محيط مسجد الإمام الحسين تحسبا لتجمهر أي أفراد من الشيعة وعدم تمكينهم من إقامة أي احتفالات خاصة بهم.

وقد دفع هذا الموقف من قبل الناشطين السنة ووزارة الأوقاف إلى أن ينقل الشيعة احتفالاتهم بكربلاء من مسجد الحسين إلى بيوتهم وفق ما أكد الناشط الشيعي عماد قنديل الذي قال في تصريحات صحفية: «سنقيم احتفالات داخل المنازل بالعبادات والأدعية والتسابيح» فيما قال الشيعي الطاهر الهاشمي: «كل قلب ومنزل مصري هو مقام للإمام الحسين عليه السلام كما هو معروف حب المصريين لأهل البيت عليهم السلام وإذا أغلق باب الضريح فالقلوب مفتوحة على حب الحسين وستبقى كذلك».

غير أنه ومع نجاح المجموعات الناشطة في رصد ومتابعة التحركات الشيعية ومواجهة جهودها التي تستهدف ممارسة الطقوس الشيعية الغريبة علانية وفي أكبر مساجد القاهرة ومن ثم إجهاض مخططهم في انتزاع ذلك فإن هؤلاء لا يعدمون التحايل على الموقف عبر ممارسة نشاطهم في العديد من المناطق والمحافظات بعيدا عن أنظار ورقابة المتابعين الأمر الذي يمنحهم القدرة على استقطاب البعض مستغلين في ذلك إما العوز المالي أو الضعف

العلمي لأغلب هؤلاء، الأمر الذي يستلزم مضاعفة الجهد في متابعة أنشطة هؤلاء حتى لا نفاجأ بين يوم وليلة بأن أتباع هؤلاء وقد تحولوا إلى كتلة بشرية يمكن أن تشكل ضغطا حقيقيا ومن ثم تفرض نفسها وتعلن عن وجودها من خلال ممارسة طقوسها بشكل علني.

لماذا الأفكار والعقائد لا السلوك؟!
في نقد "النقد" الموجّه لتنظيم الدولة (داعش)

د. عصر بن محمد النّصر(*) – خاص بالراصد

عندما تصاعدت ممارسات تنظيم الدولة الإسلامية على الساحة الشامية قابلتها انتقادات كثيرة تتوافق وحجم تلك الأخطاء، إلا أن الملاحظ أن النقد توجه إلى الممارسات الظاهرة والسلوك دون المنطلقات والعقائد والأفكار، أي أن النظر انصب على الأعمال على اعتبار أنها أخطاء يمكن أن يعاد النظر فيها وينصح صاحبها دون معرفة ومعالجة المنطلقات المؤسسة لها، وعلى هذا جرى صنيع كثير من النخب، وقد أوجب ذلك أسباب متعددة؛ كالغفلة عن منطلقات ذلك السلوك وما وراءه من عقائد، وقد أدى هذا المسلك في التعامل إلى تعميق أزمة الجهاد الشامي حيث فقد الحل قيمته لبعده عن أصل الأزمة وجذرها، وفي جانب آخر تسبب تأخر الحل وتكييف الأزمة وفق أصولها وجذورها إلى تأثر كثير من الشباب بدعوة التنظيم، وهذا بدوره عمق أزمة الجهاد، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أصبح هذا السلوك والذي غفل عن منطلقات التنظيم وعقائده سببا في اضطراب الآراء كلما تجددت الأحداث المتعلقة بتنظيم الدولة، ومما ساعد في ذلك عدم القدرة على التمييز بين مكونات التنظيم الدينية والسياسية، وكذلك عدم القدرة على الوقوف على تفاصيل كل من المكونين، وبالتالي تعذر الحل وتأخر، وبيان ذلك أن المكون الديني لدى تنظيم الدولة متميز ومختلف عن غيره من المكونات الشرعية المنتشرة على الساحة العربية والإسلامية، فالتنظيم عبارة عن ظاهرة مركبة من جهة المكونات البشرية فيه والمعتقدات وأسباب الظهور، ويمكن أن نرجع أسباب الضعف في تقييم المكون الديني لدى التنظيم إلى عدم القدرة على التمييز بين المكون الديني والسياسي من جهة، حيث يمثل اجتماعهما وامتزاجهما إشكالا لدى الناظر في كثير من الأحيان، ومن جانب آخر عدم تميز المكون السني والبدعي، حيث مثل التدين أهم علة مؤثرة في نظر الناس إلى التنظيم، وقد خفيت معالم التدين السني لدى كثيرين نتيجة لضعف العلم من جهة وغياب الحدود الفاصلة بين الفرق وما يميز كلًا منها، وقد وجد في التاريخ أمثلة لهذا النوع من التدين وأثره على أصحابه في تطلب دول وممالك على نحو ما ذكر ابن خلدون –رحمه الله- في «مقدمته» حيث قال في وصف أحوال البربر في المغرب: »... وعادوا بعد ذلك للثورة مرة بعد أخرى، وعظم الإثخان من المسلمين فيهم، و لما استقر الدين عندهم عادوا إلى الثورة والخروج والأخذ بدين الخوارج مرات عديدة «(ص١٩٥)، فاجتمع في حالهم أمران: التدين البدعي وتطلب الدولة، ولم يكسبهم هذا شرعية دينية أو شرعية سياسية، وقد أحسن بعض الباحثين في تكييف دولة التنظيم بالدولة الظالمة المتغلبة، وإن كان –فيما يظهر لي- أشكل عليه الجمع بين المكونين الديني والسياسي، حيث أدرك بعض ما يميز إحدى المكونين دون الآخر، وغياب هذا الإدراك عن كثير من النخب فضلا عمن دونهم أوجب اضطرابا في الحكم، وقد ساعد فيما تقدم وصفه من ضعف التمييز، اضطراب النظرة إلى الأنظمة والموقف منها، حيث غلب التوصيف العلماني للأنظمة القائمة في المنطقة على عموم الباحثين الشرعيين، وحصل الخلاف من وراء ذلك في حكم الدار، وقد

(*) كاتب أردني.

تقرر أن هذه المسائل من أكثر المسائل تأثيرا على الساحة الفكرية، وهذا بدوره أضفى قدرا من المشروعية على تنظيم الدولة حيث رفع راية الدين وجعلها شعارا له، حتى أصبح قبلة يقصدها فئام من الشباب المتدين، وقد بلغ الأمر أن عَد بعض الشرعيين تنظم الدولة جزءً من المشروع الإسلامي في مقابل الأنظمة القائمة؛ ولذلك يأتي السؤال المهم في هذا السياق، هل تنظيم الدولة امتداد للمشروع الإسلامي؟ وهل يمثل مشروعا سنياً؟

فلو اقتصرنا على تنظيم الدولة في العراق بعيدا عن تأريخ التيار الجهادي؛ لرأينا أن بقايا النظام العراقي السابق هم مادة التنظيم وأهم مكوناته وهذا بدوره أدخل عليه بعدا جديدا ظهرت آثاره في كثير من الممارسات والأفكار، بل تسبب في تطور نوعي للفكر الجهادي بعامة، وقد مثل التدين = والذي هو العنصر الأهم في تشكيل أي مشروع قائم في مواجهة المشاريع المنافسة الأخرى، سواء الغربية منها أو المشروع الإيراني، المادة الشرعية للتنظيم، وقد سبق هذا المكون مكونات أخرى في المنطقة كالمكون القومي وقبله الشيوعي حيث شكلا مادة المشاريع لبعض الحركات، وقد قدم التنظيم نزعة سنية لم تعرف عبر التأريخ من خلال التضييق على المكونات الدينية والأقليات في المجتمعات التي وجد فيها، وقد كان فيما مضى يمثل البعد السني مادة الحكم للأمة معتبرا كل المكونات، وفي المنظومة الفقهية لدى فقهاء الإسلام أحكام تختص في تكييف العلاقة بين هذه المكونات ونظام الحكم.

وعليه؛ فقد مثلت منطلقات تنظيم الدولة رافدا لكثير من الممارسات، فمنطلق الدولة من حيث هي دولة: كان سببا في عدم الاعتراف بالدول القائمة مما يعني عدم انحصار مشروعه في منطقة واحدة، وأن بقاءه يرتبط في بادئ النظر بقدرته على مقارعة كل الدول المحيطة وما وراءها، أو التخلي عن تلك الأدبيات والتصالح مع واقع تلك الدول، وهذا رأي مطروح في أروقة التنظيم وبعض المؤثرين في سيره، ومن آثار هذا المنطلق كذلك: عدم اعتبار القضاء الذي يتبع الفصائل أو حتى المستقل أو المشترك، ومن ذلك: مطالبة الفصائل بالطاعة وقتال المخالف وتنزيله منزلة المخالف للطاعة الواجبة.

وأما التدين البدعي، فقد أظهر التنظيم تدين الخوارج وهو الذي يتناسب وطبيعة التنظيم ومطالبه، كما تقدم وصفه من حال البربر وتطلبهم للدولة والملك، وقد كان سببا لكثير من الممارسات، من ذلك: الغلو في السلوك والذي ظهر بمظهر العنف في كثير من الأحيان حتى ظهرت على أيديهم فضائع لم تعهد من قبل كقطع رؤوس المخالفين والتمثيل بهم، وحرق الأحياء، واختلاق أنواع من طرق القتل التي لم يأت بها الشرع، ومن ذلك: عدم الالتزام بالمنظومة الفقهية للمذاهب الفقهية المتبوعة، ومن هنا يظهر لنا خطأ كثير من الباحثين في تبرير المسائل الفقهية ومحاولة نفي بعضها خوفا من نسبتها للتراث، غافلا والحالة هذه عن أن الإضافة للتراث لا تكون إلا باجتماع الحكم ومنهج الاستدلال، وهي خاصية المذاهب المتبوعة، والتي ترك التنظيم الانتماء إليها جملة، ومن ذلك: خفاء القدر المميز للهوية السياسية للتنظيم حيث جُعلت الأعمال كل الأعمال متكأً للوصول إلى الحكم، وجعله في نظر كثير من المراقبين محل تردد في القبول والرد، وهذا من أسباب امتناع كثير منهم عن إعلان موقف صريح تجاه التنظيم، ومن ذلك: نزع صفة الجهاد والشرعية عن المخالفين واستباحة ساحات الجهاد وأماكن تحيز ووجود الفصائل في ساحاته.

هذا ما تيسر إيراده في إجابة سؤال يتردد كثيرا في كيفية التعامل مع تنظيم الدولة وما يجري عليه أو له من الأحداث، وهل تعد مخالفته والتحذير منه تخذيلا وظلما أم لا.

التنظيمات الجهادية والثورات المضادة: فوضى في الداخل وتمكين للخارج ليبيا نموذجا

بوزيدي يحيى(*) – خاص بالراصد

انتهجت الانتفاضات الشعبية العربية في بداياتها خيار المظاهرات السلمية والاعتصامات في مواجهتها للأنظمة، واستطاعت في وقت قياسي إسقاط رؤساء عمّروا في مناصبهم عقودا طويلة، وكانوا يهيئون الظروف لتوريث أبنائهم، وهو نجاح فشلت في تحقيقه الكثير من التنظيمات الجهادية التي حاولت إسقاط الأنظمة بالقوة، ونجاحها اليتيم كان في اغتيال الرئيس المصري أنور السادات الذي خلفه نائبه حسني مبارك.

من هذا المنطلق ذهبت جل التوقعات إلى أن الانتفاضات الشعبية ستمتد انعكاساتها السلبية إلى التنظيمات الدينية المتطرفة التي سيقطع التغيير السلمي الطريق عن كل آلياتها في تعبئة وتجنيد الشباب العربي الطموح للتغيير. غير أن الثورات المضادة، وسياسات القوى الإقليمية والدولية، ولجوء المعارضة للعنف المسلح في بعض الدول؛ أعاد دفع التنظيمات الجهادية للساحة بديناميكية أكبر سهلت مهمة إجهاض مشاريع التغيير السلمية التي بشرت بها تلك الانتفاضات في مطلع ٢٠١١.

وبغضّ النظر عن الجدل حول طبيعة العلاقة بين التنظيمات الجهادية من جهة، والثورات المضادة والقوى الأجنبية من جهة أخرى، فإن الوقائع الميدانية تكشف عن تقاطع في المصالح ينعكس في تكامل الأدوار بينها بشكل مباشر أو غير مباشر. ومن الأمثلة التي تعكس هذا الواقع؛ ما يجري في ليبيا منذ سقوط نظام العقيد معمر القذافي، إذ لا خلاف على أن البلد كان كجارته تونس وغيرها من الدول العربية يسير في طريق الانتقال السلمي والسلس بعد إجراء الانتخابات الأولى في جويلية ٢٠١٢ للمؤتمر الوطني العام، ورغم وجود مستوى من العنف –الذي لجأت إليه القوى الثورية لإسقاط نظام العقيد- إلا أن احتواءه كان ممكنا خاصة مع اتجاه الكثير من القوى الجهادية والثورية السابقة نحو العمل السياسي مثل الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة بقيادة عبد الحكيم بلحاج، ولكن الانهيار الشامل والفوضى التي اجتاحت البلاد بدأت بعدما أقدم اللواء حفتر على حركة انقلابية عسكرية «عملية الكرامة» في ١٠ فبراير ٢٠١٤، ادعى أنها تهدف لمحاربة الإرهاب الذي ألصقه بكل معارضيه السياسيين. تأسيسا على هذا نطرح الإشكالية التالية:

- كيف ساهم تنظيم الدولة (داعش) بليبيا في دعم الثورة المضادة؟

المشهد الليبي بعد سقوط نظام القذافي

ظهرت عشية سقوط نظام القذافي مستويات متعددة من الصراع منها بين الثوار أنفسهم حول مستقبل البلاد، وأخرى على المستوى المحلي بين الثوار والموالين للقذافي، أو محايدين حاولوا «ركوب الثورة» والتموضع في النظام الجديد، وامتزج هذا بخلافات تعود إلى فترة النظام السابق بين القبائل وأخرى لأبعد من ذلك، وتزامن كل هذا مع ضعف المجلس الوطني الانتقالي الذي كان من الصعب عليه فرض سلطة الدولة على الخليط الواسع من المجالس العسكرية والجماعات المسلحة واستتباب الأمن في المناطق المضطربة لقدراته المحدودة[1].

إذ كان يقع على عاتقه ترتيب الأوضاع الأمنية، وفي الوقت نفسه تهيئة الظروف لبدء عملية سياسية طبيعية تتجاوز المرحلة الانتقالية، هاتان العمليتان المتداخلتان كان من الصعب تحقيقهما في ظل التباينات المناطقية والقبلية داخل المؤسسات السياسية

(*) كاتب جزائري.

(١) لتفاصيل أكثر حول الموضوع انظر: تقرير مجموعة الأزمات الدولية، نقف معا منقسمين: استمرار الصراعات في ليبيا، تقرير الشرق الأوسط رقم ١٣٠، ٢٠١٢/٠٩/١٤. وينظر أيضا: تقرير مجموعة الأزمات الدولية، المحافظة على وحدة ليبيا: التحديات الأمنية في حقبة ما بعد القذافي، تقرير الشرق الأوسط رقم ١١٥، ٢٠١١/١٢/١٤.

الوليدة، وما زال الصراع من هذه المنطلقات مستمرا، ناهيك عن الخلاف الأيديولوجي بين الإسلاميين والليبراليين.

في ظل هذه الظروف خرج تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا مستغلا تلك الفوضى والاضطرابات للتمدد في البلاد، وكان لافتا المجال الجغرافي الذي تحرك فيه التنظيم والقوى المحلية التي استند عليها لتثبيت سلطته، فضلا عن دورِ مختلف الأطراف في محاربته على أرض الواقع. كما تزايد الاهتمام الدولي بالأزمة الليبية وأصبح التدخل الخارجي أكثر حضورا سياسيا وعسكريا بحجة مكافحة الإرهاب الذي يخفي وراءه مصالح سياسية واستراتيجية للأطراف الأجنبية.

تنظيم الدولة في ليبيا وصراع القوى المحلية:

انطلق تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا من مدينة درنة التي سيطر عليها في ١٩ نوفمبر ٢٠١٤، حيث كثّف حضوره المادي والإعلامي بشكل ملحوظ منذ أن أعلن «مجلس شورى شباب الإسلام» في درنة مبايعته للجماعة قبل شهر من ذلك، ولاحقا اعترف زعيم تنظيم «الدولة الإسلامية» أبو بكر البغدادي بانضمام «أقاليم» برقة وطرابلس وفزان الليبية إلى «الخلافة» التي ينسبها إلى نفسه[١]. ثم بدأ في التوسع إلى أن وصل إلى مدينة سرت، ومنذ ذلك الحين ظل التنظيم يشن هجماتٍ متنوعة داخل ليبيا على غرار عملية فندق كورنثيا في طرابلس، والهجمات الانتحارية في مدينة القبة، والهجمات التي استهدفت سفارتي كوريا الجنوبية والمغرب في طرابلس، وإعدام ٢١ مسيحياً مصرياً، ثم ٣٠ شخصاً على الأقل يعتقد أنهم أثيوبيون مسيحيون مقيمون في ليبيا[٢].

وتنوعت الفوضى التي قام بها التنظيم؛ منها الإجرام الذي يرتكبه بنفسه في حق الليبيين من خلال محاولة فرض أيديولوجيته وتصوراته الدينية عليهم بالقوة، أو ما تسبب به نتيجة صراعه مع القوى الأخرى والتي تحاول القضاء على التنظيم، فهو يشكل أحد أطراف الصراع بين مختلف القوى السياسية في البلاد، ورغم الاتفاق على تصنيفه كخطر على الدولة الليبية واستقرارها السياسي إلا أن المعركة ضده لم تكن بعيدة عن حسابات هذه القوى، والتي تسعى لتوظيفه لترجيح ميزان القوى لصالحها بمختلف الوسائل، وهناك العديد من المؤشرات عن خدمة التنظيم لأجندة اللواء حفتر الذي يسعى من خلال الحرب على تنظيم الدولة إلى تبرير أنشطته العسكرية داخليا ضد خصومه السياسيين، وكسب التأييد الدولي، ودعم قواته بالسلاح.

حفتر والثورة المضادة

برز اللواء المتقاعد خليفة حفتر في الساحة الليبية خلال الثورة طامحًا للعب دور قيادي؛ حيث رأى في نفسه الأهلية والمقدرة على تولي قيادة جيش التحرير الوطني الليبي بدلا من «عبد الفتاح يونس» الذي اغتيل لاحقا، فسعى لتولي قيادة الأركان، بمساندة مجموعة من الضباط الذين أيدوا توليته في أكتوبر ٢٠١١، ولكن المجلس الانتقالي عيّن شخصا آخر بدلا منه، ثم أتت الضربة الأقوى بعد إقرار قانون العزل السياسي الذي قضى على آماله في تولي منصب سياسي[٣].

لم يستسلم حفتر للوضع أو يحاول تغييره سلميا، بل لجأ إلى أقصر الطرق موظفا القوة العسكرية فأعلن يوم ١٦ مايو ٢٠١٤؛ في سلوك لا يختلف عن سلوك النظامين المصري والسوري عن «عملية الكرامة» متهمًا بالإرهاب كل القوى المناوئة له، ففي بداية حركته الانقلابية لم يتوانَ على تصنيف كل القوى الإسلامية كحركات إرهابية، وبرر حربه على هذا الأساس، معاملا المتطرفين

---

(١) أندرو اينجل، توسُّع تنظيم «الدولة الإسلامية» في ليبيا، **معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى**، ٢٠١٥/٠٢/١١، على الرابط:
http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-islamic-states-expansion-in-libya

(٢) تنظيم الدولة في ليبيا.. النشأة وآفاق التوسع، برنامج الواقع العربي، الجزيرة نت، ٢٠١٥/٦/١٣، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/programs/arab-present-situation/2015/6/13/%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B4%D8%A3%D8%A9-%D9%88%D8%A2%D9%81%D8%A7%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%B3%D8%B9

(٣) محمود بيومي، الصراع في ليبيا بين الحسم والتوسع والاستنزاف، منتدى البدائل العربية، ٢٠١٤/٧/٤، ص ٢- ٣.

والإسلاميين السياسيين على حد سواء كإرهابيين[١].

ولاحقا أعاق حفتر جولات الحوار ورفض الحلول السياسية من طرف الجناح السياسي الداعم له والممثل في برلمان طبرق حيث راهن اللواء على القضاء على قوات مجلس شورى ثوار بنغازي والسيطرة على المدينة[٢]، ليصبح جيشه هو القوة الوحيدة في «برقة» وليعزز موقعه التفاوضي، لذلك لم يبدِ تفاعلا كبيرا مع عملية الحوار، لأن قبول التفاوض دون السيطرة على بنغازي ربما لن يحقق ما يصبو إليه من أهداف. وهو في الوقت ذاته في حاجة إلى عدم الابتعاد تماما عن مسار الحوار حتى لا يجد نفسه في مواجهة المجتمع الدولي والأطراف الغربية[٣].

استمد حفتر قوته بالتحالف مع بقايا النظام السابق والمناوئين للتيار الإسلامي من الثوار، فعلاقته بالموالين للقذافي ليست سرا، إذ أعلنت أوساط في قبائل ورشفانة وترهونة وورفلة وكذلك مدينة زليتن في الغرب الليبي دعمها الكامل لحفتر ومساندته. ومن المعروف أن الأوساط نفسها دعمت القذافي خلال الثورة، وأنها قامت بعد مقتله بعدة انتفاضات دعما لأنصاره وبقاياه، كما أعلنت الأجهزة الأمنية الليبية مثل قوات الصاعقة، وقوات الدفاع الجوي انضمامها إلى حفتر[٤].

وبعد عامين من الحرب الأهلية التي أفرزتها عملية الكرامة في بنغازي، يشهد معسكر حفتر انشقاقات بعدما أصيب حلفاؤه بخيبة أمل جرَّاء إعادته الأجهزة الأمنية التابعة للنظام السابق لممارسة أنشطتها القمعية في المنطقة الشرقية وضلوعها في عمليات خطف واغتيال المدنيين[٥].

تنظيم الدولة والثورة المضادة

لا تنطلق الاتهامات للتنظيم بالتوظيف والدعم من طرف النظام السابق من فراغ، فهو اليوم جزء من المشروع الانقلابي لأنه يخدم نفس الأجندات العسكرية الانقلابية على ثورة ١٧ فبراير[٦]. ومن الحقائق الماثلة الدالة على ذلك؛ تمركز التنظيم في شرق البلاد وفي المناطق التي هي في نطاق نفوذ حفتر أو معقل النظام السابق والموالين له، ففي سرت، مسقط رأس معمر القذافي حيث لقي مصرعه في أكتوبر ٢٠١١، مدّ التنظيم يده إلى القبائل التي كانت موالية للنظام السابق ولديها تاريخ طويل من النزاع مع مصراتة[٧]. وتؤكد هذه العلاقة تصريحات أحمد قذاف الدم -أحد رموز نظام القذافي- التي أيد وأشاد فيه بالتنظيم ووصف شبابه بأنهم «أتقياء أنقياء».

وهناك من يفسر سلوك التنظيم في التحالف البراغماتي مع الموالين للنظام السابق بأنه مشابه لما فعله تنظيم «الدولة الإسلامية» في العراق الذي اعتمد

---

(١) أندرو اينجل، المرجع السابق.

(٢) انطلقت لاحقا عملية فجر ليبيا في ١٣ جويلية ٢٠١٤ للتصدي لمحاولات حفتر والمليشيات الموالية له للسيطرة على طرابلس. وتدريجيا تحول الانقسام السياسي إلى مواجهة مسلحة وشاملة مع نزوع الأحزاب والنواب في كلا الطرفين لتأييد وتبني كل من عملية الكرامة أو فجر ليبيا، انظر:
وحدة تحليل السياسات، أزمة الحوار الليبي في مسودة الاتفاق الخامسة، الدوحة: **المركز العربي للأبحاث وتحليل السياسات**، جويلية ٢٠١٥، ص ٠٢.

(٣) **مركز الجزيرة للدراسات**، الحوار الليبي: التحديات وفرص النجاح المحدودة، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٤/٠٢/١٢، ص ٠٤.

(٤) وحدة تحليل السياسات، ليبيا ومخاوف الانزلاق في طريق الاقتتال الأهلي الشامل، الدوحة: **المركز العربي للأبحاث وتحليل السياسات**، جوان ٢٠١٤، ص ٠٣.

(٥) هناك صلة وثيقة بين حفتر الذي عيَّنه برلمان طبرق قائدًا عامًّا (للقوات المسلحة الليبية) في فبراير ٢٠١٥ ورئيس البرلمان عقيلة صالح. وتضم قوات حفتر - عملية الكرامة العسكرية- أقلية من عسكريين سابقين وأغلبية من مسلحين قبليين من المنطقة الشرقية بايعوا حفتر مقابل وعوده لهم ببناء جيش وشرطة نظاميين تحت شعار (محاربة الإرهاب). لتفاصيل أكثر انظر: تموضع القوى السياسية والعسكرية في ليبيا ومستقبل الصراع، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٦/٠٨/٠٧، على الرابط:
http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2016/08/160804122651822.html

(٦) ليبيا.. تصدعات جبهة حفتر ومستقبل تنظيم الدولة، برنامج حديث الثورة، الجزيرة نت، ٢٠١٥/٠٦/١٩، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/programs/revolutionrhetoric/2015/6/19/%D9%84%D9%8A%D8%A8%D9%8A%D8%A7-%D8%AA%D8%B5%D8%AF%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%AC%D8%A8%D9%87%D8%A9-%D8%AD%D9%81%D8%AA%D8%B1-%D9%88%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%AA%D9%86%D8%B8%D9%8A%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9

(٧) كيفن كايسي، وستايسي بولارد، استراتيجية الدولة الإسلامية في ليبيا، **مركز كارنيجي**، ٢٠١٥/٠٣/٢٥، على الرابط:
http://carnegieendowment.org/sada/59491

على المسؤولين البعثيين السابقين، والأمر نفسه في ليبيا حيث استغل التنظيم السخط في جميع أنحاء معقل قبيلة «القذافة» في سرت، وقد يسعى أيضاً إلى اختراق المدن الجنوبية حيث تتواجد القبائل الموالية للقذافي[١] . وهذا السلوك في النهاية يصب في مصلحة الثورة المضادة إذ يصعب الاقتناع أن حلفاء التنظيم سيصبحون بين عشية وضحاها مؤمنين بأفكاره، ثم إن طبيعة العلاقة تستلزم تحقيق مطالبهم التي تخدم اللواء حفتر، الذي يشترك معهم في العداء للقوى الثورية الأخرى.

الخيط الناظم:

يتضح في المحصلة الأخيرة الخيط الناظم بين الأطراف الثلاثة (تنظيم الدولة– الموالين للقذافي- حفتر)، وما يرجح هذا التحليل طبيعة المعارك التي تجري في الساحة، فقد عمد تنظيم الدولة مراراً وتكراراً إلى مهاجمة القوات المصراتية في سرت والمناطق المحيطة بها، واستفزازها، وليس قوات ابراهيم الجضران الموالية لحفتر في الشرق[٢] .

واضطُرَّت قوات مصراتة إلى وقف القتال ضد تنظيم الدولة في سرت من أجل مواجهة قوات الكرامة التي جدّدت هجماتها على طرابلس في أواخر مارس ٢٠١٥[٣] . وبذلك خسرت قوات فجر ليبيا التابعة لرئاسة الأركان المنبثقة عن المؤتمر الوطني العام وكتائب الثوار المساندة لها المعركة في سرت ومواقع عسكرية مهمة في محيطها لأنها كانت تخوض أكثر من معركة في أكثر من صعيد مع أكثر من جماعة، خاصة تلك التابعة للواء المتقاعد خليفة حفتر.

ومن المفارقات أن حفتر - الذي رفع شعار محاربة الإرهاب في المنطقة الشرقية- لم يُفلح في القضاء على تنظيم الدولة في بنغازي وحدها منذ انطلاق عملية الكرامة؛ فمَن أخرج التنظيم من درنة وضواحيها بشرقي ليبيا في مايو ٢٠١٦ هي قوات مجلس شورى مجاهدي درنة الذي تشكّل من كتائب مسلحة مناوئة لحفتر، ومن أخرج التنظيم من صبراتة بغربي ليبيا نهاية فبراير من العام نفسه هم ثوار مدينة صبراتة والمدن المجاورة لها، وهم لا علاقة لهم بحفتر، ومن هزم التنظيم في سرت بوسط ليبيا - أكبر معقل للتنظيم في شمال إفريقيا- هي قوات عملية البنيان المرصوص التي أطلقها المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني مطلع مايو ٢٠١٦، وتُشكّل قوات مصراتة الغالبية العظمى منها ومعها أيضًا تشكيلات عسكرية موالية لحكومة الغويل[٤] .

تمكين القوى الأجنبية:

أصبحت التنظيمات الجهادية مطية أيضا للقوى الأجنبية التي تبرر تدخلها العسكري الذي يخفي وراءه مصالح سياسية واقتصادية وغالبا ما يكون ذلك بالتنسيق مع قوى الثورة المضادة، وفي ليبيا تحججت القوى الغربية بمحاربة التنظيم لفرض حلول سياسية تتوافق مع رغباتها، من خلال فرض اتجاهات تخدم مصالحها السياسية، وإعاقة تمكين القوى المناهضة لها، وهذا ما يظهر في علاقتها مع اللواء حفتر وتنسيقه العسكري معها، فرغم إدانتها بشكل صريح «اعتداءات حفتر في بنغازي» في بيان لها في ديسمبر ٢٠١٤[٥]، لكن لم يترتب عن ذلك اتخاذ مواقف حاسمة ضده، بل على العكس استمر التعاون والتنسيق بين الطرفين خاصة في المجال العسكري. فقد نشر موقع ميدل إيستآي، في الثامن من جويلية ٢٠١٦، تسجيلات تثبت وجود قوات أميركية[٦] وبريطانية وفرنسية في قاعدة بنينا الجوية التابعة لحفتر جنوب شرق بنغازي، وهو ما أكّده العميد صقر الجروشي، قائد القوات الجوية بعملية

(١) **أندرو اينجل**، المرجع السابق.
(٢) **كيفن كايسي**، المرجع السابق.
(٣) المرجع نفسه.

(٤) **تموضع القوى السياسية والعسكرية في ليبيا ومستقبل الصراع**، المرجع السابق.
(٥) **مركز الجزيرة للدراسات**، الحوار الليبي: التحديات وفرص النجاح المحدودة، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٤/٠٢/١٢، ص ٠٤.
(٦) يوجد فريقان من القوات الأمريكية الخاصة، بمعدل خمسة وعشرين جنديا لكل فريق، يتمركزان منذ أواخر ٢٠١٥ حول مدينتي مصراتة وبنغازي في محاولة لتحديد الحلفاء المحتملين ضمن الفصائل الليبية المسلحة في أي حرب قادمة على «داعش» فضلا عن جمع معلومات استخباراتية. انظر: وحدة تحليل السياسات، هل بات التدخل الأمريكي الأوروبي وشيكا في ليبيا؟، الدوحة: **المركز العربي للأبحاث وتحليل السياسات**، جوان ٢٠١٦، ص ٠٣

الكرامة، بعد أيام.

ويبدو أن التدخل الغربي يهدف إلى ترجيح كفة حفتر في صراعه ضد مناوئيه بعد إخفاقه على مدى عامين في إحكام السيطرة على بنغازي. ويرجِّح مراقبون أن مساندة الغرب حفتر تهدف إلى السيطرة على منطقة الهلال النفطي على ساحل برقة بوسط ليبيا ومنع وصول مناوئيه إليها، وهذا يدل على أن قضية إنهاء الصراع وتحقيق الاستقرار في ليبيا لا تعني الغرب بقدر ما تعنيه السيطرة على ثرواتها النفطية[١].

كما اعترف الرئيس الفرنسي، فرانسوا أولاند، بمقتل ثلاثة من القوات الفرنسية إثر تحطم مروحية أسقطتها سرايا الدفاع عن بنغازي منتصف جويلية ٢٠١٦. وطالب المجلسُ الرئاسي لحكومة الوفاق - تحت ضغط شعبي- فرنسا بتوضيح أسباب وملابسات الوجود الفرنسي على الأراضي الليبية. لكن صمت مجلس النواب في طبرق يُرجِّح علمه بهذا التدخل وغض الطرف عنه.

ومن جانب آخر، فالتدخل يكشف ازدواجيةً في مواقفِ فرنسا تجاه القضية الليبية، فهي وإن أعلنت دعمَها لحكومة الوفاقِ الوطني، لا تجد حرجًا في مدِّ يد العونِ لطرف في الصراع لا يعترف بهذه الحكومة[٢]. ما يكشف حقيقة الأهداف الفرنسية التي عبّر عنها مسؤول بوزارة الدفاع الفرنسية بقوله: «إذا تمكنا من تشكيل حكومة الوحدة الوطنية فلن يكون هناك جيش ليبي كما نريده أن يكون»[٣].

ووجود هذه القوات في معسكرات تابعة للواء حفتر يعني أن القوى الأجنبية اختارت من البداية حلفاءها والذين تضمن تبعيتهم طواعية لها، وتبقى المهمة في البحث عن قوى تسير في الاتجاه نفسه وتمكينها، وإضعاف القوى الأخرى المعارضة بعد تحديد بنك العمليات خلال الفترة السابقة، والحجّة هي محاربة تنظيم الدولة الإسلامية. والتنسيق بين حلفائها ليس محصورا في الإطار الداخلي بل يتعداه للإطار الإقليمي، وهذا ما يكشف عنه التعاون بين نظام السيسي وحفتر ما يؤكد تمثيل الأخير للثورة المضادة. فلم يعد خفيًّا دور مصر التي تراهن على قدرة القوات التي يقودها حفتر على حسم الصراع عسكريا في مواجهة الجماعات المسلحة الأخرى، وخصوصا قوات فجر ليبيا التابعة للحكومة الموجودة في طرابلس[٤].

لذلك تعمل مصر على تقوية شوكة عملية الكرامة كي تكون حائط صدٍّ بين نظام السيسي وثورة السابع عشر من فبراير التي تمثّل بدورها التهديد الأكبر لنظامه وراء حدود مصر الغربية. وكذلك كي يكون هذا الحائط فاصلًا بين المعارضة المصرية في الداخل ومثيلاتها في ليبيا، فضلًا عن إزاحة خطر تمدد تنظيم الدولة بعيدًا عن الحدود المصرية من خلال نظام يتصدى له بالوكالة.

ولهذا يهدف مشروع السيسي إلى تدمير حركات الإسلام السياسي الثورية المناوئة لحفتر، وفرض معسكر الأخير على حكومة الوفاق الوطني كجزء من الحل للأزمة الليبية. وهذا يبرز تناقضًا في الدور المصري تجاه حكومة الوفاق، فالخارجية المصرية من جانب أيَّدت رسميًّا حكومة الوفاق وترعى ما قالت: إنها سلسلة لقاءات لتقريب وجهات النظر بين حكومة الوفاق والمعسكر الشرقي، لكن الأجهزة الأمنية المصرية من جانب آخر تدعم حفتر في حربه ضد مناوئيه[٥].

الخلاصة:

تتقاطع مصالح خليفة حفتر إلى حد التطابق مع تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا ما يدل على مستويات من التعاون بين الطرفين تشكل القوى المؤيدة للنظام السابق حلقة الربط فيه، ومن خلال شعار محاربة تنظيم الدولة الإسلامية في ليبيا نجح حفتر في إشغال

(١) **تموضع القوى السياسية والعسكرية في ليبيا ومستقبل الصراع**، المرجع السابق.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) الدولة الإسلامية تواجه صعوبات في كسب التأييد في ليبيا، رويترز، ٢٠١٦/٠٤/١٣، على الرابط:
http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKCN0XA21Y

(٤) **شحاتة عوض**، الدور المصري في ليبيا: الخيارات والمخاطر، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٥/٠٣/٠٨، ص ٠٥

(٥) **تموضع القوى السياسية والعسكرية في ليبيا ومستقبل الصراع**، المرجع السابق.

القوى الثورية بمحاربته، واستغل ذلك لتوسيع نطاق سيطرته خاصة على المناطق النفطية، وإن كان الحظر على تسليح الجيش الذي يطالب به ما زال مستمرا إلا أن التعاون العسكري بينه وبين القوى الأجنبية والضربات الجوية التي يقوم بها الجيش المصري، نماذج عن تعاون وتنسيق أمني على أعلى المستويات، الذي يظهر تطابق الأجندات السياسية لهذه الأطراف مجتمعة.

ولا يمكن التأسيس على المواقف المعارضة لسياسات حفتر من حين لآخر للحديث عن اختلاف أجندات، لأن العبرة بأفعال كل هذه الأطراف خلال هذه السنوات من عمر الأزمة الليبية، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن القوى الأجنبية أظهرت بعض الاعتراض على ما قام به السيسي خلال انقلابه وكثيرا ما تصدر تصريحات وبيانات تنعى الوضع الكارثي لحقوق الإنسان، لكنها سرعان ما اعترفت به بعد إجراء انتخابات شكلية، ولم يختلف سلوكها مع حفتر كثيرا، فرغم تأنيبها العلني له، وعدم دعمه عسكريا بما يطل من أسلحة إلا أن قواعده هي التي تحتضن القوات الفرنسية والأمريكية وغيرها في ليبيا.

وتبقى حجة دائمة لدى هؤلاء في محاربة الإرهاب الذي يمثله تنظيم الدولة الإسلامية، غير أن طبيعة المعارك الدائرة لا تدع مجال للشك في استخدام هذا الشعار في كل الدول العربية والتي لا تعدو ليبيا إلا أن تكون نموذجا مصغرا عنها في محاربة كل القوى المناوئة للمصالح الأجنبية والمعبرة عن رغبات شعوبها، لا عن مصالح ضيقة لفئات محددة تمثلها الثورات المضادة المستعدة لرهن مصالح بلدانها لقوى خارجية من أجل تحقيق ما تريده داخليا حتى إن كلفها ذلك دماء شعوبها تحت غطاء مكافحة الإرهاب.

زيارة إمام الحرم المكي د. خالد الغامدي للسودان... الأبعاد والتأثير:

د. محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد

أثارت الزيارة الأخيرة لإمام الحرم المكي الشريف للسودان د. خالد الغامدي جدلا واسعا واستقطابا حادا في أوساط المجتمع السوداني وألوان الطيف الدعوي، رغم الترحيب الكبير من المجتمع السوداني والاستقبال الحاشد لضيف البلاد منذ وصوله مطار الخرطوم الدولي، لكن بعض الجهات الصوفية في السودان تحفظت على الزيارة، سيما أنها زيارة رسمية، من جهة رسمية حكومية هي المجلس الأعلى للدعوة والإرشاد بولاية الخرطوم، في حين يرى الصوفية أن الدولة السودانية تعاملت بجفاء وبرود مع زيارة الشيخ علي الجفري الذي زار البلاد بدعوة من المجمع الصوفي العام.

وقد تمت دعوة الدكتور الغامدي لزيارة السودان عقب انتهاء موسم حج ١٤٣٧هـ، بعد لقاء جمع رئيس المجلس الأعلى للدعوة الشيخ جابر إدريس عويشة، والشيخ الغامدي، والذي رحب بزيارة السودان وتم تحديد موعد الزيارة وبرامجها المتعددة التي شملت الندوات والمحاضرات والزيارات للجماعات والجامعات الإسلامية ورموز المجتمع السوداني، بجانب مبادرة إمام الحرم للصلح القبلي بين قبيلتي المعاليا والرزيقات في ولاية شرق دارفور بغرب السودان وغيرها.

محطات في زيارة د. خالد الغامدي للسودان:

تمثل زيارة الشيخ الدكتور خالد الغامدي إمام الحرم المكي للسودان بحسب مراقبين مفتاحاً جديداً في التعاون بين المملكة العربية السعودية والسودان في شؤون الدعوة والإرشاد، وستسهم في مد جسور التواصل مع صنوف أهل الدعوة بالبلاد كافة، بعد أن ارتفعت العلاقة السياسية بين البلدين لعلاقة

(*) كاتب سوداني.

استراتيجية.

استهل الشيخ الغامدي زيارته للسودان بصلاة الجمعة في مسجد مجمع النور بضاحية كافوري بالخرطوم بحري، وركز في خطبته حول توحيد صفوف المسلمين وجمع كلمتهم وحرمة دمائهم، وشدَّد على ضرورة وحدة الأمة الإسلامية وتماسكها حتى تستطيع مواجهة التحديات والابتلاءات التي تتعرض لها، ودعا إلى ضرورة نبذ التعصب المذهبي والطائفي واختلاف الآراء، محذراً من اتخاذ التعصب مدخلاً من قبل «شياطين الإنس والجن» لتمزيق الأمة الإسلامية ودمغها بالتطرف والإرهاب.

وقدم د. الغامدي أيضا محاضرة نوعية للائمة والدعاة بقاعة الصداقة الخرطوم بعنوان (محكمات الشريعة الإسلامية وأثرها في درء الفتن)، وشمل برنامج الزيارة محاضرات عديدة في عدد من الجامعات مثل جامعة أم درمان الإسلامية وجامعة إفريقيا العالمية، وغيرها، ومحاضرة بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، وزيارات عديدة منها زيارة مسيد الشيخ الكباشي بالخرطوم بحري، وزيارة مسيد الشيخ الصايم ديمه بأم درمان، وزيارة مدينة الضعين عاصمة ولاية شرق دارفور للصلح بين قبيلتي المعاليا والرزيقات هناك.

ملامح عن المجلس الأعلى للدعوة والإرشاد بولاية الخرطوم.. صاحب الدعوة:

المجلس الأعلى للدعوة والإرشاد بولاية الخرطوم هو الجهة الرسمية التي وجهت الدعوة لإمام الحرم لزيارة السودان، وهو جهاز رسمي يتبع لحكومة ولاية الخرطوم، تأسس سنة ٢٠٠٢م، ويقوم بالإشراف والمتابعة للعمل الدعوي بالولاية ويسعى لضمان تفاعل المجتمع مع الدعوة، كما يقوم المجلس نفسه بالإشراف المباشر على خدمات الحج والعمرة بالولاية.

لم تكن العلاقة بين مجلس الدعوة وبعض المؤسسات الصوفية على مايرام؛ وقد هاجم الأمين العام لجمعية الإمام الأشعري العلمية صلاح الدين البدوي الخنجر مجلس الدعوة في بعض مقالاته واتهم الخنجر رئيس المجلس جابر عويشة بأنه يتحدث باللسان الوهابي تصريحاً أو تعريضاً، وقال إن مؤسسات الدولة في السودان قد أصبحت تنفذ أجندة الوهابية.

وقال إن مقترح عويشة العمل المشترك بين الصوفية والوهابية يخصّ من تفوه به، وهو مجلس الدعوة، وقال: «ولسنا في حاجة إلى عمل يجمعنا بهؤلاء الدخلاء على المجتمع السوداني وأصحاب الأفكار المتطرفة»، وأضاف: «الذي يسعى لجمع الوهابية مع الصوفية من غير دراسة ورؤية كأنه يسعى للحرب الطائفية وإيقاظ الفتنة القائمة فما بين الفريقين بون شاسع»، وقال: «أهل التصوف لا يجتمعون مع الوهابية حتى في فناء المساجد لأداء أعظم شعيرة وهي الصلاة»! وهذا تكريس للفرقة في صفوف الأمة الإسلامية والمجتمع السوداني المسلم.

الصوفية السودانية وزيارة إمام الحرم.. بين الهجوم والترحيب:

من الواضح أن التصوف في السودان لا يجمعه شيء، وطابعه الدائم هو الطرقية المتعددة، حتى بات في البيت الواحد عدة طرق، ولكن برزت في الآونة الأخيرة عدد من اللافتات تدعي تمثيل الصوفية في السودان، وتنتسب إحدى الجمعيات الصوفية والتي أعلنت عدم ترحيبها بزيارة الشيخ الغامدي للسودان وهي جمعية الإمام الأشعري العلمية تحت واحدة من هذه اللافتات وهي «المجمع الصوفي العام» الذي يجمع عددا من الطرق الصوفية، ويسعى ليكون كيانا جامعا للصوفية بالسودان، ويعمل من خلال الروابط العلمية، ليكون كيانا جامع الأهل التصوف، وله أنشطة داخلية وخارجية آخرها مشاركته في مؤتمر غروزني، وعلى المستوى الداخلي له مناشط دعوية داخل الجامعات وعدد من الكليات بالولايات، وقد استضاف عدداً من رموز الصوفية من داخل وخارج السودان منهم الشيخ علي الجفري.

لكن من المؤكد أن هناك خلافات عميقة بين رموز التيار الصوفي حول من يمثل الصوفية بالسودان، حيث ينشط المجلس الأعلى للتصوف في ذات النطاق، ورابطة علماء التصوف، والمجلس الأعلى للتصوف والاتحاد العام للشباب الصوفي، وغيرها من الواجهات التي يدعي كل منها تمثيل التصوف والطرق الصوفية

في السودان.

ومن أبرز الناشطين سيما على المستوى الإعلامي في هذه الجمعية د. صلاحالدينالبدويالخنجر، ويشغل منصب الأمين العام لجمعية الإمام الأشعري العلمية، وينتمي للطريقة القادرية، وهو الذي صدر باسمه بيان جمعية الإمام الأشعري ضد زيارة إمام الحرم، أما رئيسها فهو السماني سعد الدين السماني، والأمين العام لجمعية الإمام الأشعري العلمية هو فتح الرحمن (أبو الحسن)، ويقال إن بعض القائمين عليها من كبار طلبة الشيخ مصطفى عبد القادر رحمه الله، وهم زملاء درس كذلك عند الشيخ ومجازون بالطريقة الختمية، كما ظهرت جمعيات أخرى تعمل في الإطار نفسه دعما للتصوف ومناشطه، منها جمعية الإمام الصرصري وجمعية الإمام الغزالي وغيرها.

أبرز مظاهر التعامل الإعلامي الصوفي السالب مع زيارة إمام الحرم هو بيان الدكتورالخنجر، حيث اعتبر البيان إمامَ الحرم من دعاة التطرف والإرهاب!! واعتبر أن الزيارة تماثل نشاط الشيعة في السودان لكن لترويج الوهابية!!

ووصف البيان مشاركة بعض مشايخ الطرق وأهل التصوف في السودان في برامج الوهابية بما في ذلك أئمة الحرم بتوجيهات من النظام الحاكم وأجهزته بأنها تعتبر خيانة لإرث الآباء والأجداد، وقال البيان: «اعلموا أن أهل السياسة يستدرجونكم إلى السقوط في مهاوي الردى والهلاك، وهم الذين امتنعوا عن المشاركة في برامج الحبيب الجفري وحرَموكم من أداء الصلاة في مجمع النور الذي يفتح للوهابية ليل نهار».

وقال البيان إن العلاقات العامة يجب ألا تكون على حساب المنهج كما أن شيخ الطريقة يعتبر رمزا للعقيدة الأشعرية والمذاهب الفقهية وكل الطرق الصوفية، مشيرا إلى أن الذي له علاقة خاصة بالوهابية يجب ألا يفرضها على المريدين والأحباب لأجل خاطر السياسيين، كما قال البيان إن الخلاف بين الصوفية والوهابية خلاف عقدي في المقام الأول ويحتاج إلى مراجعات فكرية.

ويعتبر بيان جمعية الإمام الأشعري من أبرز مظاهر الإعلام الصوفي ضمن صراع الصوفية والأشعرية ضد السلفية في السودان، رغم أن جمعية الإمام الأشعري لا تمثل إلا فئة محدودة من الصوفية، وهي الفئة التي تتبنى خطابا تحريضيا ضد السلفية، ويرى مراقبون أن بيان الجمعية امتلأ بعدد ضخم من المغالطات والافتراءات المتكررة، من قبيل تكفير جميع المخالفين إلا من كان على طريقتهم، وإسقاط حديث الفتن من قبل المشرق على الدعوة السلفية التي أحياها الإمام محمد بن عبد الوهاب، والاتهام بالإقصاء لجميع المخالفين، وسوء العلاقة مع جميع الجماعات والتيارات الإسلامية، والادعاء بأن دعوة الشيخ محمد رحمه الله تقف سدا منيعا دون تقدم الأمة وازدهارها، والزعم بأن السلفيين يكْفُرُون بالتمذهب والتصوف والأشعرية ويكَفِّرون أصحابهم، والربط بين «الوهابية» وداعش، وهي مغالطات معروفة بعيدة عن الواقع.

وعلى الجانب الآخر رحبت قطاعات واسعة من الصوفية بالسودان بالزيارةواستضافت بعض مناشطها مثل مسيد الشيخ الكباشي ومسيد الشيخ الصايم ديمة وغيرها. وهو ما يثير استغرابا حول وجه استنكار مثل هذه الصلات والأهدافوسعي بعض لافتات المتصوفة لزرع الشقاق بين الجماعات الإسلامية وإحياء العصبيات المذمومة، بدلا من البحث عن مساحات التوافق للعمل على تنميتها والإفادة منها لصالح الإسلام والمسلمين.

زيارة إمام الحرم لمسيد الشيخ الكباشي بالخرطوم بحري:

أبرز محطات زيارة إمام وخطيب الحرم المكي الشيخ خالد الغامدي للسودان، والتي أثارت جدلا واسعا هي زيارته لمسيد الشيخ إبراهيم الكباشي بالخرطوم بحري، وشارك بالزيارة مختلف ألوان الطيف الديني وحضور جماعة أنصار السنة المحمدية، بقيادة رئيسها د. إسماعيل عثمان الماحي، وقد أثارت هذه الزيارة ردود أفعال كبيرة، ووصف احتفال الكباشي بإمام الحرم المكي بأنه مثل إجماعاً غير مسبوق بين أهل القبلة جميعاً، وهو إجماع محمود ومطلوب لتتوحد جميع الفئات التي تظلها مظلة (أهل السنة) لمواجهة المد الشيعي المتحالف مع الكيان الصهيوني الذي يسعى لاستئصال شأفة الإسلام

وأهله.

واعتبر د. الغامدي أن ما حدث في الكباشي مبادرة للأمة كلها، تدعوها إلى التوحد لمواجهة أعدائها، وقد رأى كثير من الصوفيةالسودانيين أن هذه الزيارة مهمة جداً ومطلوبة، وعلى الجانب الآخر لدى السلفيين السودانيين يرى الشيخ الأمين الحاج محمد أحمد، رئيس الرابطة الشرعية للعلماء والدعاة، إنه –من ناحية المبدأ- لا غضاضة في تعاون الناس في أمر الدعوة، على أن لا يكون ذلك التعاون بتنازلات عن الثوابت.

وفي بيان لجماعة أنصار السنة المحمدية حول زيارة إمام الحرم المكي لقرية الكباشي وتداعياتها، قالت الجماعة إن الذهاب لأي شخص لدعوته وتبليغ الدعوة إليه أمر لا غضاضة فيه شرعا. وإمام الحرم جاء إلى السودان للدعوة وليس في زيارة ترفيهية أو تشريفية.

وقال البيان إن اللقاء الذي كان في الكباشي لم يكن للصوفية وحدهم، مع أنه لو كان لهم وحدهم فلا غضاضة في الذهاب إليهم، وإنما كان البرنامج ملتقى لأهل القبلة، لقيادات أنصار السنة، والحركة الإسلامية وغيرهم هدفه تفويت الفرصة على أعداء الأمة من الرافضة وغيرهم الذين يريدون إحداث فتن داخلية في مجتمعات أهل السنة، واستخدام التصوف لتحقيق أهدافهم الداخلية، فلا بد من تفويت الفرصة على أعدائنا في هذه المرحلة.

ورأى البيان أن هذا البرنامج هو برنامج بين دولتين، ومبارك من حكومة البلد ينولهم تقديرهم بمصالحه، ولم تكن هناك مخالفات شرعية في استقبال إمام الحرم بالكباشي، حيث رفضنا استقباله بالنوبة أو دق النحاس أو أي مظهر من المظاهر الصوفية، ولم نذهب إلى ضريح أو قبة وإنما ذهبنا إلى صالون ضيافة القرية، ولا يوجد بجواره أي مظاهر شركية.

ولفت البيان إلى أن الذي تمخض من ملتقى أهل القبلة التأكيد على مرجعية بلاد الحرمين وعلمائها لقيادة الأمة وأنهم أهل الرفادة والسيادة، لا ينازعهم في ذلك إلا ظالم، وهذا ما قالته الصوفية في كلمتهم، والتأكيد على اجتماع كلمة الأمة على الكتاب والسنة، والتأسي بالنبي المصطفى في كل أقوالنا وأفعالنا، والتأكيد على منهج الإسلام الحق واتخاذه مرجعية لحل كل خلافاتنا، هذا ما أكده إمام الحرم في كلمة قوية صادقة معبرة، في مجلس حضرَه كل قادة المتصوفة والجماعات الإسلامية إلا مجموعة محددة رفضت الملتقى، واعتبرت الكباشي انحرف عن منهج المتصوفة، كان هدفهم مقاطعة جميع المتصوفة لهذه الزيارة، وعدم استقباله أو فتح المجال له لمخاطبة الصوفية، وقد حطمت هذه الزيارة كل أهداف هؤلاء من خلال تلك الاستقبالات الحاشدة لإمام الحرم في أحد أكبر تجمع للصوفية.

وأكد بيان جماعة أنصار السنة أن هذه الزيارة حققت مصالح متعددة، وسوف تكشف الأيام القادمة عن ثمارها، والأمة اليوم تمر بمراحل صعبة، من عدو شرس يريد اقتلاع أهل السنة من جذورهم، فلابد من العمل بوعي كبير للمحافظة على مكتسبات الأمة وصد المؤامرات التي تحاك ضدها، وشكر البيان مسيد وقرية الكباشي على حسن استقبالهم وحسن استماعهم، وما أكدوه في كلمتهم في معان نحن في حاجة للتأكيد عليها لمصلحة الدين والوطن نرجو الاستماع إليها، ومن لم يقتنع بما قلنا وبيّنا فليعتبره من حلف الفضول الذي قال فيه النبي عليه السلام: (لو دعيت إليه في الإسلام لأجبت).

ووصف أحد مرافقي د. الغامدي زيارة مسيد الشيخ الكباشي أنها كانت مؤتمر الأهل القبلة حضره قادة الدعوة في السودان من أنصار السنة وغيرهم، بموافقة السفارة السعودية وتأييد الحكومة السودانية، تحدث فيه الشيخ الغامدي عن التوحيد وضرورة البعد عن المخالفات الشرعية ثم تكلم عن جهود المملكة في جمع المسلمين ورعاية الحرمين الشريفين وأن المملكة مركز قوة المسلمين وتآلفهم ووحدتهم، ثم ذهبنا، ولم يحدث شيء من المنكرات أبدا ولا شيء من بدع الصوفية ومن قال غير ذلك فقد كذب. وأن الزيارة أفلحت في كسر شوكة الغلاة من الصوفية في السودان مثل أتباع جمعية الأشعري وغيرهم.

زيارة إمام الحرم.. حتمية التواصل بين المسلمين في المشتركات:

يلاحظ أن زيارة الشيخ الغامدي للسودان، ولمسيد الشيخ الكباشي تحديدا أسهمت بقدر كبير في تقريب وجهات النظر والعلائق بين التيار الصوفيوالسلفيين في السودان رغم تحفظ فئة محدودة، ويرى د. عثمان الكباشي أن الزيارة أكدت أن هناك وعيا استراتيجيا في طبيعة الشخصية السودانية تجعلها تتجاوز دون أن تلقي الخلافات إلى ما هو مهم، والسودانيون كرماء، وإمام الحرم مقامهم قام كبير بحكم أنه يؤم المسلمين في كعبتهم وفي قبلتهم، مشيرا إلى أن هذه السماحة والطيبة والاعتدال والرؤية العميقة تؤهل المسلمين في السودان أن يكون لديهم دور كبير في ما يدور من أزمات وتحديات تواجه المسلمين في العالم الإسلامي كله.

وقال د. عثمان البشير الكباشي وهو وزير سابق للإرشاد بولاية الخرطوم إن السودان هو أقرب بلاد الله الى الحجاز، وزيارة الشيخ الغامدي للسودان هي زيارة للفج الأدنى للحرمين الشريفين، بجانب أن العلائق التاريخية بين البلدين كبيرة ولولا البحر لكانت الخرطوم أقرب مدينة، وما تزال بالطائرة هي أقرب حتى لمدن داخل المملكة نفسها.

وقال الكباشي إن قيادة الحرمين رأت في طبيعة أهل السودان ما يؤهلهم أن يتقبلوا خطاب تجميع المسلمين ووحدتهم وتجاوز خلافاتهم وتذكير المسلمين بوحدتهم ومخاطر تمزقهم، ولعلها أرادت أن تبني خطابا متصلا لأن السودان هو مدخل لأفريقيا.

وقال الكباشي إن ما تم فيا لزيارة من حيث الشكل يعبر عن تجاوز الخطوط الوهمية بين المكونات الإسلامية، والالتفات لضرورات الوحدة الإسلامية في كل زمان ومكان، بالإضافة إلي الحديث حول التحديات الماثلة الآن فى العالم وفي السودان بشكل خاص، والسعي للتقارب بين أهل القبلة الواحدة، واتفق الجميع على أن ما يجمع المسلمين ويوحد المدارس الإسلامية ليس العصبية المذهبية، ولا البحث عن الانتصار للخيارات الفقهية لهذه الجماعة أو تلك، ولا التركيز على الفرعيات أو إعجابك لذي رأي برأيه، ولكن الاجتهاد في تحقيق المقاصد الكلية للدين وتجاوز الفرعيات إلى الكليات والبحث عن القضايا المشتركة التي يمكن أن تجمع على قاعدة الاحترام بين المذاهب.

خاتمة:

جاءت زيارة إمام وخطيب الحرم المكي الدكتور خالد الغامدي لبلاد السودان في إطار توثيق الصلات بين الدول الإسلامية والعربية، والتواصل بين مؤسسات الدعوة والدعاة بين البلدين، بجانب تعزيز منهج الوسطية والاعتدال في البلدين، وتعزيز برامج مشروعات توحيد أهل القبلة بالسودان، وقد حققت الزيارة أهدافها على أحسن صورة، بل حققت أهدافا لم تكن في الحسبان.

يرى مراقبون أن كلمات د. الغامدي خلال عدد من محطات زيارته للسودان يقرأ منها، ومن وراء سطورها نفساً جديداً في الخطاب الديني السعودي تجاه العالم الإسلامي،وأن إمام الحرم لم يزر السودان ليقيم محاضرات تقليدية المعاني بل فيها مقدمات لخطاب ديني سعودي جديد، لإعادة المسلمين كافة إلى مكة، ليست قبلة للصلاة فقط، وإنما عنواناً لوحدة جديدة للمسلمين، إذ أن وجود الحرمين في المملكة العربية السعودية يمنحها قوة رمزية هائلة، تُعيد تموضعها في صدارة القيادة الإسلامية، ولكن ذلك يقتضي تجديدًا في الرؤى والخطاب.

النقد الذاتي عند الإسلاميين
(١) التيارات القتالية

عرض أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة دراسات في الحالة الإسلامية، التي يصدرها مركز نماء للبحوث والدراسات، والكتاب من تأليف محمد توفيق، وجاء في ٢٢٠ صفحة من القطع المتوسط، وكانت طبعته الأولى سنة ٢٠١٥ في بيروت.

يبدأ المؤلف كتابه بتمهيد حول معنى النقد وغايته، وأن القصد منه التقويم والبناء والترميم لا الهدم، وهذا يقتضى مراعاة الظرف السوسيولوجي (الاجتماعي والثقافي) – النفسي الذي يخضع له الطرف المنقود، حتى يحقق فائدة النصح والتقبل.

ويوضح الكاتب غرض الدراسة بأنه تقديم تصور أكثر موضوعية وعلمية في دراسة وبحث جماعات القتال والعنف من خلال استنطاق قادة الجماعات، والجماعات نفسها، في مقابل الكم الكبير من الدراسات الخارجية عنهم، والتي تتصف بالجهل وعدم فهم كثير من منطلقاتهم، خاصة أن الجماعات القتالية تتميز بالتعقيد في أفكارها وعلاقاتها وذلك بسبب كثرة التقلبات الفكرية والتنظيمية والحركية، وفرط سيولة مواقف هذه الجماعات مع الأحداث، كما أنها تتميز بالأنا الجهادية الاحتكارية للحق والحقيقة! هذا كان الفصل الأول من الكتاب.

جاء الفصل الثاني ليعرض في المبحث الأول ٣ نماذج من النقد لأفراد من هذا التيار وهم: أبو الوليد المصري (مصطفى حامد)، وأبو مصعب السوري، وأبو أيمن الحموي.

وأبو الوليد المصري له العديد من الكتب والكتابات النقدية لجماعات القتال، وهو مؤيد لحركة طالبان،

(*) كاتب أردني.

ينتقد أبو الوليد على جماعات القتال أنها منغلقة على نفسها وتحارب بأفرادها أمتها باعتبارهم في معسكر الأعداء بخلاف طالبان التي تحارب بمجتمعها عدوها وعدوهم الخارجي، لكنه يأخذ على طالبان تقصيرها في توظيف الإعلام كسلاح في معركتها، وينتقد بساطة تصور طالبان والقاعدة للمواجهة مع أمريكا، وبسبب السذاجة السياسية وضعف تقدير الواقع كان من السهولة اختراق أجهزة المخابرات لصفوفهما.

أما أبو مصعب السوري فهو ينتقد رفض التيار الإسلامي بعامة، والجهادي بخاصة، للنقد والتقويم والمراجعة بسبب التمسك بالمألوف وتقديس الرجال والقيادات وممانعة المستفيدين من الأوضاع المائلة!

ويلخص واقع العمل الإسلامي الجهادي بقوله: «في خلاصة مسارنا عبر أربعين سنة ما يمكن تلخيصه في كلمتين (لقد كسبنا معارك كثيرة ولكننا خسرنا الحرب في كل الميادين)».

ويجمل أخطاء التيار القتالي في:

١- خطأ في التفكير كالتشدد والتكفير، وضعف التربية الواعية وغياب فقه الواقع والسياسة الشرعية.

٢- خطأ في بنية التيار كالسرية والهرمية والقطرية، وغياب الشوري وانعدام الحس الأمني.

٣- خطأ في الأسلوب بالصدام مع بقية الإسلاميين والمواجهات الطويلة.

أما أبو أيمن الحموي فركز على نقد إعراض الجهاديين عن التعلم من أخطائهم واستعلائهم وتكبرهم على بقية المسلمين وتحول شرعي التنظيمات الإسلامية لعلماء سلطان لصالح قياداتهم التنظيمية، وغيرها.

وجاء المبحث الثاني ليستعرض نقد أفراد لأفراد من التيار القتالي وعرض ١٠ نماذج، هي:

١- نقد أبي الوليد المصري لسياسات ابن لادن المخالفة لأوامر الملا عمر أمير المؤمنين!

٢- نقد المقدسي للزرقاوي في العمليات الاستشهادية وقتل المدنيين وتوسيع دائرة الصراع والتهديدات الإعلامية الجوفاء للعالم وترك القيادة للعراقيين أبناء البلد.

٣- نقد أبي مصعب السوري لأبي قتادة الفلسطيني في تهوره بتأجيج التطرف والغلو في الجزائر.

٤- نقد الظواهري لسيد إمام على كتابه «وثيقة ترشيد العمل الجهادي»، وهنا عرض وجهة نظر الظواهري، ولم يعرض وجهة نظر سيد إمام برغم أنه هو الذي ابتدأ نقد مسار الظواهري.

٥- نقد أحمد سلامة لوثيقة سيد إمام.

٦- نقد مجلس شورى جماعة الجهاد لسيد إمام.

٧- نقد أبي بصير الطرطوسي للمقدسي حول الثورة السورية.

٨- نقد الطرطوسي لسيد إمام.

٩- موقف عبود الزمر من مراجعات الجماعة الإسلامية المصرية.

١٠ – انتقادات الجماعة الإسلامية المصرية على تنظيم القاعدة.

وهذه الانتقادات تكشف عن حجم التباين والتناقض في فكر جماعات القتال والعنف بينما يظن كثير من الشباب أنها ذات موقف فكري موحد وصلب تجاه المميعين من العلماء والمنبطحين من الدعاة، وإذا بهذه الجماعات والقيادات متناحرة متصارعة لا تكاد تتوافق على مفاصل كبرى!

وجاء المبحث الثالث ليرصد النقد الموجه لتنظيم داعش، حيث رصد تطورات نقد وخلاف الظواهري والجولاني مع داعش وخليفته البغدادي، ثم نقد المقدسي لداعش، ثم نقد أبي قتادة لداعش، ثم خلافات أحرار الشام والجبهة الإسلامية مع

داعش، ثم نقد إياد القنيبي لداعش.

وخصص المؤلف الفصل الثالث ليفكك الحالة النقدية لهذا التيار في ٤ مباحث، هي:

١- خصائص هذا النقد الجهادي الذاتي: الوضوح والصراحة، المثالية، ردة فعل وتعليق على ما وقع، عنيف لفظيا، وكم وكيف جيد بحسب المؤلف.

٢- مساحات اشتغال هذا النقد الذاتي: في الجانب الفكري والشرعي رفضت التشدد والتعصب الفكري والمذهبي، وبينت غياب فقه الواقع عن فكرهم، خلل الجهاز المفاهيمي للتيار، نقد كثير من سلوكيات التكبر والاستعلاء.

في الجانب الحركي انتقدت مركزية اتخاذ القرار، التنظيمات السرية والهرمية، خلل الحس الأمني، التهاون في تقدير قوة العدو.

في الجانب السياسي والاجتماعي كشفت ضعف الوعي الحضاري وضعف الصلة بالواقع مما أنتج تكرار الكوارث.

الجانب الأمني والعسكري كان ضبابياً وفي حالة داعش أثيرت شكوك حول تاريخ وخبرة التنظيم في تنفيذ أبشع أشكال القتل مع أرقى تقنيات التصوير والإخراج في مخاطبة الرأي العام العالمي!

٣- تفسير ظاهرة النقد عند الجهاديين: وبسبب تداخل وتركيب ظاهرة جماعات القتال والجهاد فيلزم استخدام عدة أدوات تفسيرية تتنوع بين منظور علم الاجتماع الديني ومنظور تحليلي نقدي لخطابهم والمرحلة العمرية والزعامة والمرجعية وغيرها.

٤- التحليل النهائي لظاهرة النقد الذاتي: يخلص الكاتب إلى أن هذا النقد يكشف عن ضعف علمي تأصيلي شرعي كما يتضح من ردود منظري هذا الفكر الجهادي على بعضهم البعض، كما يكشف عن ضعف في فهم الواقع السياسي القائم وكيفية التعامل معه، وهو ما أنتج العديد من الأخطاء والأزمات، من أهمها أن معظم ضحايا هذه التنظيمات هم أهل السنة الذين يزعم قادة هذه الجماعات أنهم يدافعون عنهم!

وأخيرا يبقي سؤال معلق ويبحث عن جواب:

هل استفاد التيار من هذا النقد؟ وهل استفاد الوافدون الجدد لهذا التيار من هذا النقد؟

صحّ النوم

قالوا: مهم فهم الميلشيات الفكرية لإيران بالخليج ومَن يرفع شعار الحقوق المدنية يحرّضون بحقد على من يقف مع مدنيي الموصل، لا حقوق لديهم إلا بلون الطائفية.

مهنا الحبيل – تغريدة بتويتر

قالوا: نحن انخدعنا كثيرا بنخب الحقوق والحريات والتي تبين أنها نخب طائفية تتستر خلف هذه المصطلحات بحقد أسود ومقيت.

نبيل البكيري – تغريدة بتويتر

يا تطخّه يا تكسر مخّه!

قالوا: منذ أيام عُقد مؤتمر ما يسمى «الصحوة الإسلامية باقية» والذي أقامته حكومة بغداد بضغط من مستشار خامنئي المدعو علي أكبر ولايتي، الذي تطالب به الأرجنتين. المنصة كانت متصدرة من خمسة أشخاص هم من اليمين، شخص معمم إيراني غير معروف، علي أكبر ولايتي، عمار الحكيم، حيدر العبادي ثم الإخواني العراقي رئيس البرلمان العراقي سليم الجبوري...

لم يعد خافيا على أحد أن دعم إيران الإسلامية للحركات المتطرفة والدعوات الإسلامية المتشددة كان له تأثير واضح في نشر ثقافة الكراهية والحقد بين الشباب العربي ...

عليكم أيها العرب أن تفهموا أن الاسلام الحداثي ليس رخاء، بل ضرورة وواجب، من خلاله نحترم أنفسنا وتحترمنا الأمم.

عمر الخطيب – إيلاف ٢٠١٦/١٠/٢٥

صدق في هذه!

قالوا: اليساريون المفترض أن تشغلهم العدالة الاجتماعية وسياسات اقتصادية تحمي المجتمعات والطبقات ودولة راعية للعدالة والتقدم، يشغلهم عموماً الاحتجاج بشأن قضايا لا تقدم ولا تؤخر، ويمضون في تحالفات واتجاهات لامعنى لها في الفكر اليساري المفترض؛ نضالهم مستمد من ولاية الفقيه ولا يعرفون شيئا عن ماركس.

إبراهيم غرايبة – الغد ٢٠١٦/١٠/٢٦

لهذا لا ينزعجون من قتل المسلمين بمئات الآلاف!

قالوا: كشفت دراسة حديثة أجراها مركز Pewالأمريكي للأبحاث، عن أن الديانة الإسلامية ستكون الأولى في العالم بحلول العام ٢٠٧٠، وأن عدد المسلمين سينمو سريعا جدا، من الآن وحتى عام ٢٠٥٠. وأشارت الدراسة إلى أن «الدين الإسلامي يعد الأسرع نموا حول العالم بالنسبة لعدد الذين يعتنقونه».

ولفتت الدراسة البحثية إلى أن «في الوقت الذي يتوقع فيه ارتفاع نسبة سكان العالم إلى ٣٥٪ بحلول منتصف القرن الجاري، يتوقع ارتفاع عدد المسلمين بنسبة ٧٣ ٪ بحيث يزيد من ١.٦ مليار نسمة في العام ٢٠١٠ إلى ٢.٨ مليار».

وتتوقع الدراسة أنه «بحلول العام ٢٠٥٠، سيعادل المسلمون عدد المسيحيين، حيث تعد الديانة المسيحية حاليا الأولى في العالم بنسبة ٣١.٤٪».

وأفاد القائمون على الدراسة أن «سبب زيادة نسبة المسلمين حول العالم، هو عدم معاناتهم من

شيخوخة السكان بعكس الغرب، حيث يبلغ متوسط أعمار المسلمين من ٢٣ إلى ٣٠ في غالبية دول العالم».

وفي العام ٢٠١٠، بلغ سن ٣٤٪ من المسلمين أقل من ١٥ عامًا، في حين أن ٣٠ في المئة من الهندوس، و٢٧ في المئة من المسيحيين، كانوا في السن نفسها أيضًا.

وأوضحت الدراسة أن «هذه الديموغرافية الكبيرة في عدد شباب المسلمين، ستكون هي العامل الأبرز في ارتفاع أعدادهم بصورة أسرع حتى حلول عام ٢٠٧٠، ومن المتوقع أن يحافظ الهندوس والمسيحيون على مواكبة النمو السكاني في أنحاء العالم التي تبلغ ٢٧ في المئة».

إلى ذلك، فإن أعمار جميع المجموعات الدينية المتبقية أقل من أعمار متوسط الشباب، ففي العام ٢٠١٠ كان هناك ١١ في المئة من سكان العالم فوق الـ ٦٠ عامًا، في حين كان ٢٠٪ من أتباع الدين اليهودي يبلغون ٦٠ عامًا أو أكثر.

مفكرة الإسلام ٢٠١٦/١٠/٢٦

الحقيقة المغيبة

قالوا: «نيويورك تايمز»، عبر حسابها الرسمي على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر»، والتي غرّدت عبره لأول مرة باللغة العربية مخاطبة النساء السعوديات: «نود أن نتواصل مع النساء السعوديات.. أخبرونا عن حياتكن، وطموحاتكن، وآرائكن في المجتمع السعودي».

فكتبت أستاذة الحديث بجامعة الأميرة نورة، ومشرفة مركز النجاح للاستشارات التربوية الدكتورة رقية المحارب: «نصف النساء البريطانيات يتعرضن للتحرش في مكان العمل! يمكنكم التواصل معهن ليتكلمن عن حياتهن، وآرائهن، وطموحاتهن».! وأضافت أن: «٧٥٪ من النساء البريطانيات يعانين من اكتئاب نفسي بسبب الضغوط المالية! تواصلوا معهن.. وهناك ٨ ملايين امرأة في أمريكا يعشن وحيدات مع أطفالهن دون أي مساعدات خارجية منذ عشرين سنة! حاوروهن».!

من جهتها علقت الدكتورة نوال البخيت على مطالب «نيويورك تايمز» بقولها: «رمتني بدائها وانسلّت»، وأضافت: «نريد إخباركم عن المرأة المهدرة كرامتها عندكم وعدد اللقطاء والشواذ والأمراض الجنسية المنتشرة بينكم، وإن شئتم تواصلنا معكم بإرسال أطباء لعلاج الفتيات المكتئبات من اغتصاب آبائهن لهن، أو نفتح لكم مصحّات لعلاج المدمنات ومحاضن لإيواء كبار السن».

واكتفت الباحثة والمختصة في شؤون قضايا المرأة سامية العمري بقولها: «لا شأن لكم بحياتنا، والأقربون أولى بالمعروف!» مرفقة مقطع فيديو يكشف معاناة امرأة كندية تصور معاناة المرأة في أمريكا الشمالية.

صحيفة تواصل – ٢٠١٦/١٠/٢٤

هذا اعتراف الإيرانيين!

قالوا: ٢٥٠ ألف نسمة في منطقة زاهدان في سيستان وبلوشستان يعيشون ظروف وحياة ما قبل ١٠٠ سنة.

وزير الداخلية الإيراني،
نقلاً عن تغريدة د. سلطان النعيمي

تخيلوا: كان مرشحا لكرسي مفتي الديار المصرية!

قالوا: «خاض كثير من أنصاف المتعلمين وليس العلماء في مسألة الحجاب وزعموا أنه لا دليل على فرضيته في كتاب الله ولا سنة نبيه، وبما أن الانشغال بأمر السفهاء ضرب من السفه لم يكن مناسبا الرد على هؤلاء بأكثر من قوله تعالى (سلاما) لكن المزعج حقا أن ينسب هذا الكلام إلى أستاذ متخصص في الفقه الإسلامي وأصوله (د. سعد الدين الهلالي) وهو ما أتمنى عدم ثبوته عنه، لأنه إن كان قد قال بهذا فهذه طامة كبرى».

الدكتور عباس شومان، وكيل الأزهر الشريف–
اليوم السابع ٢٠١٦/١٠/٢٧

الأزمة الدولية الكبيرة التالية ستأتي من إيران... أيًا يكن الفائز بالرئاسة الأميركية

علي رضا نادر (محلل رفيع المستوى للسياسة الدولية في مؤسسة "راند") – فوكس نيوز ترجمة: عبد الرحمن الحسيني – الغد الأردنية ٢٠١٦/٩/٢٩

على الرغم من الخطاب المحموم للحزبين الأميركيين، فإن التوقيع على خطة العمل المشترك الشاملة التي تنص عليها الاتفاقية النووية بين إيران ومجموعة ٥+١ (الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، وفرنسا، وروسيا، والصين وألمانيا) تعود بالفائدة على الولايات المتحدة بالتأكيد، نظراً لقيام إيران بشحن معظم مخزونها من اليورانيوم إلى الخارج، وخفضها عدد أجهزة الطرد المركزي التي لديها، وقبولها بعمليات التفتيش المفاجئة. وكل هذا يجعل من الصعب على طهران تطوير أسلحة نووية. لكن خطة العمل المشتركة لم تزل الخلافات الأساسية بين أميركا والجمهورية الإسلامية.

وفي الأثناء، يستمر النظام الإيراني في دعم الإرهاب، وفي الوقوف مع نظام الرئيس السوري بشار الأسد، وفي انتهاك حقوق مواطنيه في الوطن. ومع أن انتخاب حسن روحاني كرئيس في العام ٢٠١٣ جعل التوصل إلى الاتفاق النووي ممكناً، فإنه لم يحدث أي تغييرات رئيسية في إيران.

في إيران، يستمر المرشد الإيراني الأعلى، آية الله علي خامنئي، والحرس الثوري في الاستحواذ على السلطة التي لا يمكن تجاوزها - غالباً من خلال تخطي أو ابتزاز رئيس إيران وتحدي المصالح الأميركية في المنطقة.

من المقرر أن تجري الانتخابات الرئاسية في طهران في العام ٢٠١٧؛ حيث من المرجح أن يواجه روحاني تحدياً قوياً من المؤسسة المحافظة. وكان خامنئي قد وجه انتقادات قوية لخطة العمل المشترك في الأشهر الأخيرة، مدعياً أنها لم تفض إلى تقوية اقتصاد إيران بسبب «خيانة» الولايات المتحدة. وفي حين أن خطة العمل المشترك ربما تكون قد هدأت بعض نقاط التوتر في العلاقات بين الولايات المتحدة وإيران، فإن إيران العنيدة قد تختبر الرئيسة/ أو الرئيس الأميركي الجديد من خلال الدفع بحدود الاتفاقية النووية، وتحدي المصالح الأميركية في الشرق الأوسط بشكل أكثر عدوانية من السابق. وبدلاً من السعي إلى انخراط أكبر مع إيران، كما كان يؤمل، قد تعمد واشنطن إلى تبني سياسات أشد ضد النظام الإيراني.

وكان بعض المؤيدين لخطة العمل المشترك قد أعربوا عن الأمل بأن تفضي الاتفاقية النووية إلى إذابة الجليد بين طهران وواشنطن، بل وربما تقود إلى وضع حد للعداوة الطويلة بين البلدين. وعلى المستوى النظري، كان من الممكن أن يتقوى مركز روحاني الذي غالباً ما يصفه الإعلام الغربي بأنه «معتدل»، بسبب الاتفاقية، وأن يكون قادراً على متابعة أجندته الخاصة بتحرير إيران اقتصادياً وسياسياً.

في الحقيقة، لم يتحسن الاقتصاد الإيراني بالنسبة للمواطنين الإيرانيين العاديين؛ حيث ما تزال معظم البنوك الدولية تتجنب الدخول في أعمال تجارية

مع إيران على الرغم من تخفيف العقوبات ذات الصلة بالموضوع النووي.

كما أن أسعار النفط المنخفضة تشكل عاملاً كارثياً بالنسبة للاقتصاد الإيراني. وربما تكون هذه الأمور خارج سيطرة روحاني، لكن الرئيس لم يدفع أبداً ضد الدور الاقتصادي أو السياسي للحرس الثوري، تاركاً للاعب العسكري والأمني الأكثر قوة في البلاد تحديد أجندة إيران بعد الاتفاق النووي، سواء كان ذلك في الوطن أو في الخارج.

من جهة أخرى، أرسلت حملة الاعتقالات التي يشنها الحرس الثوري على المواطنين الإيرانيين مزدوجي الجنسية تهديدا لمجتمع الشتات الإيراني، وحتى للمستثمرين الأجانب المحتملين الذين كانوا ينظرون إلى إيران ذات مرة على أنها سوق جذابة.

ببساطة، لا تعتبر إيران الآن رهاناً آمناً لمعظم المستثمرين. لكن أكبر إخفاقات روحاني تجسد في عدم قدرته على جسر الفجوة بين المصالح الأميركية والمصالح الإيرانية في الشرق الأوسط.

قد يكون الرئيس ووزير خارجيته الموهوب محاورين مناسبين مع الدبلوماسيين الأميركيين والأوروبيين، لكنهما غير قادرين - أو غير راغبين- في انتهاج سياسات يكون من شأنها تعزيز الاستقرار الإقليمي.

وكان الحرس الثوري الإيراني، تحت قيادة الجنرال المتبجح قاسم سليماني، قد جند عشرات الآلاف من المقاتلين الشيعة للقتال نيابة عن طهران في العراق وسورية، وربما وراءهما أيضاً. وفي حين أن إيران ربما شاركت في محاربة «داعش» مع الحلفاء الأميركيين في العراق، فقد ساعدت مع ذلك في تعزيز الطائفية التي تستمر في تأجيج لهيب الصراع في المنطقة.

كما تبجح المسؤولون الإيرانيون بأن فيلقهم الأجنبي الجديد يُمكن أن يستخدم في «تحرير» أجزاء أخرى من الشرق الأوسط. وقد تحرشت زوارق إيرانية سريعة بقطع بحرية أميركية في مياه الخليج، في حين دعا خامنئي إلى مقاومة أكبر للتواجد الأميركي في المنطقة.

بالإضافة إلى ذلك، ما يزال القمع الذي يمارسه النظام الإيراني في الوطن بمثل السوء الذي كان عليه في السابق. ويستمر الحرس الثوري والقضاء في سجن الناشطين والأكاديميين والصحفيين والفنانين. وباستثناء خطابات عامة قليلة منمقة، لم يعرض روحاني أي مقاومة لقمع النظام، على الرغم من أن التعهد الأول لحملته الانتخابية كان خلق مجتمع أكثر حرية وأقل خضوعاً «للإجراءات الأمنية».

بشكل عام، من غير المرجح أن يتكرر الحماس الذي صاحب أول حملة لروحاني في العام ٢٠١٧. ومع أن من النادر أن يخسر الرؤساء الإيرانيون انتخابات الفترة الرئاسية الثانية، يظل من المرجح أن يواجه روحاني مقاومة كبيرة - ليس من منافسيه المحافظين وحسب، وإنما من ملايين الإيرانيين الذين دعموا في البداية جهوده لتحسين إيران أيضاً.

قد يشكل خامنئي والحرس الثوري - وربما حتى الرئيس الإيراني الجديد- اختباراً للرئيس الأميركي المقبل عندما يواجه/ أو تواجه الأزمات العالمية المتعددة. ويمكن أن تأتي أبرز التحديات من إيران في شكل نشاطات نووية مثيرة للتساؤل، أو حتى ممارسات أكثر تأكيداً للذات في الخليج وفي الشرق الأوسط.

لقد أحاط الخطاب الحزبي بالغموض خطة العمل المشترك من حيث قدرتها على كبح إمكانية تطوير إيران أسلحة نووية. وتعد الاتفاقية النووية نجاحاً كبيراً لأميركا حتى هذه النقطة على تلك الجبهة. لكن على الرئيس الأميركي التالي أن يتبنى سياسة أوسع تجاه إيران، والتي تذهب إلى ما وراء تفعيل اتفاقية خطة العمل المشترك أو الانخراط مع إيران دبلوماسياً.

وتمتلك الولايات المتحدة أصلاً قوات عسكرية ضخمة وحلفاء مسلحين جيداً لمجابهة إيران في الشرق الأوسط. لكن على الرئيس الأميركي التالي أن يسلط الأضواء في الوطن على سلوك النظام الإيراني.

لا يكفي أن تحتفظ الولايات المتحدة بتواجد عسكري قوي في المنطقة أو بيع المزيد من الأسلحة لحلفائها. وإنما يجب أن تترافق هذه الجهود بانتقادات قوية لإساءات إيران في مجال حقوق الإنسان، خاصة على ضوء خيبة أمل الشعب الإيراني من إدارة روحاني.

وبالإضافة إلى ذلك، يجب على الولايات المتحدة زيادة الدعم الذي تقدمه للمجموعات الإيرانية الساعية إلى تقوية المجتمع المدني. وقد ينتقد البعض روابط الولايات المتحدة مع هذه المجموعات، باعتبار أنها قد تنزع الشرعية عنها. لكن غياب إجراء إصلاحات ذات معنى من داخل النظام يرتب على الولايات المتحدة الاستفادة من هشاشة النظام الإيراني في الوطن.

غالباً ما يتم ربط تركيز الولايات المتحدة على ترويج الديمقراطية بحالات فشل سابقة في «تغيير النظام» في الشرق الأوسط، لكن هذا لا يعني أن هذا الاتجاه يمكن أن يكون سياسة قيمة.

يبدو أن الأمل بتحقيق وفاق بين الولايات المتحدة وإيران قد تلاشى. ولا يبدو النظام الإيراني مهتماً بالإصلاح أو بتحسين العلاقات مع أميركا طالما ظل خامنئي والحرس الثوري هم أصحاب اليد العليا.

لا تنص خطة العمل المشترك على أن على أميركا التوقف عن معاملة الجمهورية الإسلامية كعدو. ويجب على الرئيس الأميركي التالي أن يتمتع بالبراغماتية التي تمكنه من رؤية خطة العمل المشتركة باعتبار أنها تخدم المصالح الأميركية من دون الشعور بأنها مقيدة بها.

والنتيجة: يشكل استمرار مناخ القمع والانتخابات الرئاسية التالية، وأفول خامنئي في نهاية المطاف، عوامل قد توفر بعض الفرص المهمة للرئيس الأميركي التالي.

البلطجية في خدمة نظام ولاية الفقيه

د. محمد السلمي – الوطن السعودية ٢٠١٦/١٠/١٩

من المعروف أن اسم النظام الإيراني الحالي قد اقترن بسياسة التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، خاصة دول الجوار العربي، ودعم الإرهاب وإثارة الصراعات الطائفية ودعم الميليشيات والجماعات المسلحة في المنطقة. لكن ربما لا يعرف كثيرون أن نظام ولاية الفقيه قد اعتمد أيضا على سياسات وأدوات مشابهة، وإن كانت مختلفة نسبيا، في تعاطيه مع الاعتراضات السياسية والعرقية والاجتماعية في الداخل الإيراني. ولعل أبرز أدوات النظام الإيراني لتحقيق أهدافه ووأد أي اعتراضات اعتماده على ما يعرف في الداخل الإيراني باسم «الأراذل والأوباش» أو ما يمكن أن نسميه «البلطجية».

تاريخيا، تعود جذور البلطجية إلى مرحلة تأسيس الدولة الصفوية (١٥٠١- ١٧٥٠)، حيث بدأت ظاهرة «البلطجة» بالظهور، ومن أمثلة ذلك ما قام به إسماعيل الصفوي من تجييش لبعض البلطجية الطائفيين المعروفين آنذاك باسم «التبرائيين» ضد السنة، فقد كانوا ينطلقون في شوارع المدن ويلعنون الخلفاء الراشدين الثلاثة الأول (أبوبكر وعثمان وعمر)، ويقتلون كل من لا يلعنهم، وأصبحت هذه الفئة أداة قتل وقمع وإرهاب للناس، وتحويل إيران من دولة سنية إلى شيعية.

هذه الظاهرة برزت جليا في إيران بعد ثورة ١٩٧٩. ومؤخرا صدر في إيران كتاب بعنوان «سيرة الفتوة»، حيث يتطرق لقصص الفتوات والبلطجية المشهورين في إيران، لكن العجيب في الأمر أن هذا الكتاب عمل على تلميع هذه الفئة وتقديمها كرموز للمروءة والشهامة وحسن الخلق، بينما حذّر سياسيون إيرانيون من بينهم مهدي كروبي، أحد رموز «الحركة الخضراء»، بأن النظام يلجأ إلى القوى المخربة من البلطجية، ومؤكدا على أن النظام الحالي يستخدم الأوباش والبلطجية للهجوم على منازل العلماء المراجع، والمنتقدين الدينيين والسياسيين،

والسفارات، والمراكز العلمية والفنية، تحت شعار حماية الثورة ومبادئها!

إن المتابع لظاهرة البلطجة في إيران يدرك أنها تضاعفت بشكل هستيري في الآونة الأخيرة في مدن كثيرة، وبخاصة مدن الأقليات العرقية. ومن الواضح أن المسؤولين الإيرانيين يلجؤون للبلطجية عند حاجتهم في القيام بالأعمال التي لا يرغبون في إقحام أنفسهم من خلالها بشكل مباشر، ومن أمثلة ذلك قيام الحكومة الإيرانية بإقحام مجموعة من البلطجية في الجامعات من أجل قمع الاحتجاجات الطلابية والأشخاص المعارضين والمنتقدين للنظام، وقد تم استخدام هؤلاء البلطجية في أحداث جامعة طهران وتبريز في عام ١٩٩٩.

وإذا ما عدنا إلى الصور والفيديوهات التي تم التقاطها خلال قمع المعترضين على نتائج الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٩ نجد أن أعمال القمع تمت في الغالب على يد أشخاص يرتدون ملابس مدنية، وهؤلاء يتشكلون من قوات الباسيج (التعبئة) والبلطجية. وقد شاهد الجميع عمليات دهس الشباب في شوارع طهران وغيرها، وإلقاء آخرين من أعلى الجسور، وكذلك استخدامهم للقبضات الحديدية والعصي والهراوات.

ومن العمليات التي يقوم بها البلطجية في إيران ما نشرته بعض وسائل الإعلام حول حادثة وقعت في مايو الماضي، لباعة متجولين تعرضوا لهجوم من قبل أشخاص يرتدون الملابس المدنية يرافقون أحد الضباط، حيث انهالوا على هؤلاء الشباب ضربا بالعصي، وتؤكد التحقيقات على أن هؤلاء البلطجية تم تكليفهم من قبل البلدية للقيام بالأعمال التي لا يرغب المديرون القيام بها بشكل مباشر.

من هنا يمكننا القول بأن هناك عدة أسباب للجوء المسؤولين الإيرانيين للبلطجية، من أهمها وجود علاقات قديمة بين هذه الفئة والعديد من المسؤولين، خاصة أولئك الذين يتولون أعمال حفظ الأمن والمنتسبين إلى المؤسسات العسكرية والأمنية مثل «الباسيج» والحرس الثوري وغيرهما، وبالتالي يمكنهم بسهولة الوصول إليهم عند الحاجة، ومن الأسباب أيضا اعتبار بعض المسؤولين الإيرانيين أن العنف هو الحل الأمثل للتعامل مع كل من يحاول التغريد خارج سرب ولاية الفقيه، كذلك إظهار أعمال القمع على أنها ظاهرة مجتمعية غير مسيسة؛ فطالما سعت الحكومة الإيرانية إلى إلقاء مسؤولية أعمال الشغب والعنف على عاتق الشعب أو بعض فئاته والتملص من تحمل مسؤولية تلك الأفعال.

لذا، فإن تغير السلوك العدائي الراهن للنظام الإيراني سوف ينعكس - إذا ما حدث- على الصعيدين الداخلي والخارجي، وكما تعاني دول المنطقة من هذه التوجهات العدائية فإن شرائح كثيرة من المجتمع الإيراني تعاني أيضا من ذلك، وكما يقال: «وظلم ذوي القربى أشد مضاضة». ولكن السؤال الأبرز هنا: كيف ومتى يتغير سلوك النظام الحاكم في طهران؟

الشيرازية وعداؤها للمرجعيات في العراق وإيران

الشيخ حسين إسماعيل - جنوبية ٢٠١٦/١٠/١٤
(الكاتب شيعي ميوله مع الولي الفقيه الإيراني) - الراصد

الشيرازية هي تيار فكري وسياسي أسسه السيد محمد الشيرازي في منتصف الستينات بكربلاء وكان يتناصف الشارع الشيعي في المناطق المقدسة مع حزب الدعوة وكان أشبه بالتيار الصدري بزمننا .. شاب كالسيد مقتدى الان اسمه محمد الشيرازي يرث والده السيد مهدي وجده السيد عبد الهادي بالتصدي للمرجعية دون ان يحظى باعتراف علماء النجف حتى ان السيد محسن الحكيم حذّر من خطر (حركة الرساليين) او حركة المرجعية الاسم الذي أطلقه سيد محمد على تياره .. انا اختلف مع ما ذكره علي المؤمن بكتابه (سنوات الجمر) بأن السيد مهدي الشيرازي كان صاحب السبق بتأسيس الفكر الشيرازي وادعي ان الشيرازية بالعراق كانت بمرحلة النمو مستغلة بعض مظاهر الانقسام بين سكان مدينتي النجف وكربلاء الذي كان يتحول لصدامات في الزيارات بين مواكب المدينتين، فاستغل

الشيرازي الاب رغبة عوام المدينة بالاستقلال عن سطوة المرجعية النجفية وتحولت بمرور الزمن الحوزة الكربلائية الى حوزة تمثل هوية سكان الولاية الذين كان العديد منهم من جذور إيرانية فنشأت حركة الشيرازي بمعزل عن حوزة النجف كمرجعية كربلائية بديلة ولم تكن تملك مشروعاً سياسياً حتى منتصف الستينات.

تطور الأساس الفكري للحركة على يد سيد محمد بعد هجرته للكويت

هارباً من مضايقات البعثيين واعتقال أخيه سيد حسن الشيرازي ثم انتقل لبلده الام ايران بينما ذهب اخوه حسن الشيرازي الى الشام وهناك قام بالتبشير للفكر الشيرازي في سوريا ولبنان ولعل خلافه مع الامام موسى الصدر كان على هذا الأساس ... رغم اني اعتقد ان السيد حسن الشيرازي هو ابرز شخصية معتدلة بهذا التيار ويعود له فضل التقارب بين العلويين والشيعة في سوريا قبل اغتياله من قبل المخابرات العراقية بلبنان.

الشيرازية الإيرانية

في ايران تغولت مرجعية الشيرازي مع ثورة السيد الخميني وكان رأي محمد الشيرازي بولاية الفقيه داعماً ومساندا مع منتظري لذلك احتلت منظمة العمل الشيرازية التي قادها محمد تقي المدرسي شوارع طهران ونصبوا المشانق بمنطقة گلبندگ لمعارضي الثورة وتمددوا بالأجهزة الامنية الإيرانية كونهم في الغالب ايرانيين ولدوا بكربلاء يحملون الجنسيات الإيرانية ويطلق عليهم الايرانيون اسم كربلائيها! محسن الحسيني وسيد كمال الحيدري وهادي المدرسي كانوا الثلاثي القيادي لمنظمة العمل الاسلامي بعد محمد تقي المدرسي قبل ان يخرج كمال الحيدري وينقلب عليهم فيما بعد ويؤسس لنفسه مرجعية منفصلة.

الحركة الشيرازية في ايران تحولت لحركة تشبه حركة (گولن) في تركيا الان، يملكون نصف بازار طهران ويجمعون ملايين الدولارات من أنصارهم بالخليج عدد الحسينيات التي يملكونها في قم وأصفهان كبير جداً، اضافة لدعم مهدي الهاشمي واعتماده عليهم بنشر ما سمي حركات التحرر بالسعودية والبحرين والسودان، وتحول الملف العراقي الى احد الملفات الهامشية عندهم وبدأت الشيرازية التيار الصغير الذي كان همه إثبات مرجعية محمد الشيرازي تفكر بالعالمية ولعل ابرز طرقهم بالانتشار هي الحسينيات والمنابر فقد كان الشيرازيون سابقاً يعتبرون حمزة الزغير الصوت الذي يستقطب لهم المناصرين بشهرته لذلك قاموا بنشر كل كاسيتاته واذا راجعت تراث الردة الحسينية تجد كاسيتات حمزة هي الأكثر والأشهر رغم انه لم يكن افضل من عبد الرضا ووطن، كان الشيرازيون يطبعون ويوزعون كاسيتاته مجانا كذلك فعلوا مع الشاب الصغير باسم الكربلائي الذي نقلوه من مدينة أصفهان للكويت وانطلقت شهرته بشكل مُلفت للنظر مع ان اساتذة باسم كأبو بشير النجفي وجليل وعلي باشا وسيد حسن لم يحققوا ربع شهرته الفضل يعود بذلك لمؤسسة الرسول الأعظم الشيرازية بالكويت فهو الصوت الذي ادخل الشيرازية الى كل بيت شيعي في اصقاع العالم. كذلك فعلت مع الخطباء ويعتبر حميد المهاجر رغم مقدرته العلمية والخطابية المحدودة أشهر خطباء هذا الفكر بالعالم الشيعي تجاوزت شهرته الشيخ الوائلي مع ان الكل يعرف ان امكانياته الخطابية بسيطة لكن الشيرازية كان لها الدور الأكبر بهذه الشهرة.

لم تكن الشيرازية تعلن عقائدها الدينية في الثمانينات لأنها كانت تعمل بمحيط ليس شيعياً في بعض الدول وتسعى لكسب الانصار فكانت تحرص على طرح افكارها السياسية فقط.

الصراع مع ولي الفقيه

استطيع تلخيص اسباب صراع الشيرازيين مع ولي الفقيه بالنقاط التالية بشكل مختصر:

١- دعوة السيد الخميني للانفتاح على العالم السني واحترام الصحابة اعتبرها الشيرازيون انقلاباً عقائدياً لأنهم يسمون السنة البكرية والعمرية ويعتبرون عقائدهم فاسدة.

٢- اعدام مهدي الهاشمي وعزل منتظري لاكتشافهم بعلاقاتهم مع المخابرات الامريكية افقد الشيرازيين قوتهم ونفوذهم داخل الأجهزة الإمنية الإيرانية.

٣- التقارب الكبير بين الشيرازيين والحجتية

بالافكار عكس صراع الحجتية مع ولاية الفقيه فمسهم شرر هذا الصراع.

٤- خوف الحرس الثوري من تنامي الشيرازيين داخل جسم الدولة قد يؤدي الى انقلاب مضاد خصوصا وان السيد الشيرازي كان يطرح فكرة مجلس شورى الفقهاء ضمن إطار ولاية الفقيه اي انه لا يؤمن بولاية الفقيه المطلقة.

٥- اتصور ان فتوى السيد الخامنئي بتحريم التطبير كانت معدة مسبقاً لضرب الشيرازيين الذين يعتبرون التطبير عقيدة لأن الشعب الايراني أساساً لا يؤمن بالتطبير عدا بعض الأقليات التركية، لذلك لا اعتقد ان الفتوى موجهة للإيرانيين ولكن كانت معدة لضرب الشيرازيين وإغلاق حسينياتهم وتحجيمهم لأنهم سوف لن يلتزموا بالفتوى ويدخلوا بصراع مع الرهبر وهذا ما حصل بالفعل، اغلقت كل حسيناتهم واعتقل العديد من قادتهم وفرضت الإقامة الجبرية على سيد محمد الشيرازي واعتقل ولداه.

قد يتصور البعض اني ابالغ بدور الشيرازيين ونفوذهم السياسي القوي في ايران ويعتقد البعض هذا التيار عراقي كربلائي ولكن اغلب هذه المعلومات اخذتها من احد ضباط الحرس الثوري في مدينة قم بالتسعينات وهو شيرازي كربلائي ساهم بغلق اكثر حسينيات الشيرازية بقم وأصفهان للحفاظ على موقعه بالدولة، الشيرازيون تيار تغلغل بالعالم الشيعي ولكن ثقلهم الاقوى في ايران. رغم انهم التيار الابرز بالكويت والبحرين والسعودية.

الشيرازيون العرب

الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين، ومنظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية تعتبر اهم حركات التحرر التابعة للشيرازية وهذا ما يفسر انفصال شيعة البحرين والسعودية عن تبني فكرة ولاية الفقيه لأن قياداتهم بالغالب شيرازية، الشيخ نمر النمر وحسن الصفار من قيادات الحركة الشيرازية بالسعودية، الشيخ حسن شحاته في مصر كان شيرازياً وهذا ما يفسر موقفه المتشدد من الخلفاء والصحابة.

بعد الضربة التي تلقاها الشيرازيون في ايران غيروا خطابهم بالخليج وبدأوا يتبنون خطاباً معتدلاً مع الحكومات العربية، عاد حسن الصفار للسعودية وتبنى الحوار مع السلفيين والدولة، ودخل العديد من شيرازية البحرين في البرلمان وتصالحوا مع آلِ خليفة، النائب الكويتي صالح عاشور يعتبر عراب الشيرازية بالكويت والمشرف على قناة الانوار التي يديرها المليونير الشيرازي الايراني الأصل الحاج اسماعيل جنتي، في العراق عاد السيد محمد تقي المدرسي لكربلاء للحفاظ على الوجود التاريخي في المدينة التي انطلق منها التيار واهتم بالإعلام، ولم يدخلوا بصراعات الاحزاب الشيعية ويعتبر الشيرازيون العراقيون هم اكثر الشيرازيين العرب هدوءاً وحفاظاً على توازنهم، حركة الوفاق لجمال الوكيل وحزب الطليعة للياسري هي أذرع التيار السياسية في العراق.

قنوات الشيرازية:

١- قنوات الانوار.

٢- قناة فدك التي يديرها ياسر الحبيب.

٣- قناة اهل البيت العربي والانگليزي السيد هادي المدرسي.

٤- قناة الهادي.

٥- قناة المرجعية تابعة للسيد صادق الشيرازي .. وغيرها من القنوات الانگليزية والفارسية.

عقائد الشيرازية:

الفكر العقائدي الشيرازي هو خليط بين النسق الاصولي والنمط الفكري الإخباري يتبنون الكثير من افكار الحجتية يستخدمون أساليب الوهابية في المبالغة بالصحابة هم يبالغون بأهل البيت الى حد التأليه وحد تكفير اعدائهم ويسمونهم البكرية والعمرية وتكفير اتباعهم ويسمونهم البترية يعتبرون سب أعداء اهل البيت واجب ويجوزون الخروج عن الذوق الاخلاقي بسببهم بل يوجبونه الى درجة تعتبر محاضرات مجتبى الشيرازي وياسر الحبيب اقرب للأفلام الاباحية في وصف عائشة والطعن بشرفها وشرف الخليفة عمر، ولا يؤمنون بالتقية في إظهار هذه العقائد بل يروّجون لها عبر فضائياتهم.

فكرهم طقوسي عاطفي فهم يقدسون الطقوس وليس الجذور يرفعون مقام اللطم والتطبير الى درجة عقدية ويعتقدون ان من يقوم بهذه الطقوس يكفي ان

يدخل بها الجنة .. أضاف الشيرازية الى التشيع التأسي بعد التبري والتولي .. لذلك هم يعتبرون كل هذه الأفعال الطقوسية هي نوع من انواع التأسي الواجبة وهي اضافة لم يقل بها علماء الشيعة بل أنكر وحرم الكثير منهم هذه الطقوس واعتبرها بدع .. الشيرازية يؤمنون بانحراف كل عالم ينتقد التطبير كالسيد الخامنائي والشيخ الوائلي حين انتقد مظاهر اخراج الشيرازية للجمال في لندن حاربه كل خطباء الشيرازية وعلى رأسهم حميد المهاجر وياسر الحبيب كما انهم يؤمنون بانحرف الشهيد الصدر الاول والثاني والخميني وكل من يدعو الى التقارب مع السنة لأنه بحسب وصفهم يخالف عقيدة التبري من أعداء اهل البيت .. لذلك يستقطب الشيرازية كل الاصوات الشيعية المتطرفة كما استقطبت قناة الانوار حليم الغزي الذي اسس فرقة في أوربا اسماها زهرائيون.

الفكر الشيرازي هو اخطر فكر على التشيع المعاصر لأنه يصادر الخطاب الاعلامي الشيعي بضخامة مصادر تمويله وسطوة فضائياته فالفضائيات الشيرازية انشط من فضائيات ايران نفسها واكثر انتشاراً في العالم الشيعي، كان التيار الشيرازي في زمن السيد محمد الشيرازي اكثر اتزاناً وهدوءاً لكن تعتبر فترة صادق الشيرازي هي الفترة المتأججة فقد عكس الرجل تطرفه الشخصي على التيار وبدأ يتضح وجه التيار الحقيقي بعد دخولهم بصراعات إعلامية مباشرة مع حزب الله وإيران الامر الذي يعده أنصار ولاية الفقيه خيانة للتشيّع الذي تقوده ايران بالمنطقة ووقوف الى جانب الأعداء بينما يضغط الشيرازيون بهذه اللغة الاستعدائية اعلاميا على نظام ولي الفقيه لخلق حصانة لمرجعهم واتباعه في ايران.

موقف التيار من حوزة النجف لا يختلف كثيراً عن موقفه من حوزة قم فقد دخلوا بصدامات إعلامية وخطابية مع بعض علماء النجف الذين اعتبروهم من البترية .. قام أنصار الشيرازية ببعض المظاهرات في المناطق السنية ببغداد سبوا بها رموز السنة وحرضوا على الفتنة الطائفية .. يعتبر بعض رجال الدين كالسيد كمال الحيدري الذي كان من قيادات هذا التيار ان الشيرازيين تستخدم خطابهم المتشدد بعض القوى العالمية لاشعال الحرب الشيعية السنية بالمنطقة.

لازال الشيرازيون يستغلون عاطفة الشيعة ايام محرم لبث الفكر الطقوسي الذي ليس له علاقة بالخطاب الفكري الجعفري ليجعلونه بديلاً عن التشيع الجعفري الذي يعتبر مدرسة فكرية متكاملة في البحث والتحقيق العقدي والفقهي تشهد لها كل مدارس الفكر الاسلامية.

توجهات النخبة من "الإخوان المسلمين" نحو إيران ودورها في المنطقة

د. فاطمة الصمادي – الجزيرة نت ٢٠١٦/١٠/١٨

ملخص تتناول هذه الورقة توجهات النخبة داخل الإخوان المسلمين تجاه إيران ودورها في المنطقة، استنادًا إلى نتائج استطلاع الرأي الذي أجراه مركز الجزيرة للدراسات، وأعلن نتائجه العامة مطلع هذا العام. وتكشف هذه النتائج عن تحولات كبيرة في نظرة الإخوان المسلمين نحو العلاقة مع إيران، وتظهر فجوة كبيرة في العلاقة سببها الموقف من التحولات التي يشهدها الوطن العربي وفي مقدمة ذلك ملف الثورات العربية.

تُظهر النتائج أن قراءة جديدة تتكوَّن داخل صفوف النخبة الإخوانية للسياسات الإيرانية، وهي قراءة تحمل تقييمًا سلبيًّا في الكثير من جوانبه. وعلى الرغم من وجود الكثير من التأثيرات المتبادلة والتقاطعات على صعيد الفكر، خاصة فيما يتعلق بالنظام الإسلامي، إلا أن النتائج تُظهر نفورًا إخوانيًّا من النموذج الإيراني في الحكم.

وتعتقد النخبة داخل الإخوان المسلمين، وفقًا للنتائج، أن البُعد المصلحي بات يطغى على السياسات الإيرانية وتوظيف الملفات العربية لصالح تعزيز نفوذها في المنطقة، وذلك ينطبق على القضية الفلسطينية، فضلًا عن الشعور بأن إيران تقوم بدور سلبي مهدِّد للمصالح العربية. وتؤكد هذه النخبة أن الخلافات العربية- الإيرانية تذكي نار الخلاف بين السُّنَّة والشيعة، فضلًا عن أنها تصب في مصلحة الكيان الصهيوني.

مدخل تاريخي

شكّل شعار «الوحدة الإسلامية» عنوانًا للتقارب بين الإخوان المسلمين في مصر والحركة الإسلامية في إيران، وألقى هذا الهدف بظلاله على العلاقة التي تعود بتاريخها إلى ما قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩، ويمكن إرجاع بداياتها إلى ثلاثينات القرن العشرين. وفي عام ١٩٤٨ أخذت العلاقة وجهًا جديدًا مع تبني الجامع الأزهر لفكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وتشكيل «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» بمساهمة عدد من كبار العلماء ورجال الدين المصريين والإيرانيين.

عمل مؤسِّس حركة الإخوان المسلمين، حسن البنَّا، حتى قبل دعوة الأزهر، على ترسيخ دعوة التقريب بين المذاهب الإسلامية، وكان الكثير من أئمة الشيعة في إيران يحلُّون ضيوفًا على الجماعة في مصر ومنهم السيد القمي ونواب الصفوي. وتؤكد معظم كتابات الإخوان وشهاداتهم على هذا الصعيد أن الإمام البنا كان مؤمنًا بأن «الخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سببًا للتفرقة في الدين، ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء». وعلى الجانب الشيعي، كان لأفكار ومواقف رجال مثل محمد قمي وآية الله كاشاني ونواب صفوي دور كبير أيضًا في تجاوز تلك الحساسيات المذهبية وقد نُقل عن نواب صفوي قوله: «لنعملْ متحدين للإسلام ولنترك كل ما عدا جهادنا في سبيل عزِّ الإسلام. ألم يَأْنِ للمسلمين أن يفهموا ويدعوا الانقسام إلى شيعة وسُنَّة»[١].

وكان التشاور بين الطرفين يأتي في زيارات ولقاءات جمعت البنا بعدد من القيادات الشيعية، وجاء ذلك سابقًا ولاحقًا لتأسيس «التقريب بين المذاهب الإسلامية» التي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي بشكل كبير. وترك اللقاء الذي جمع الإمام البنا والمرجع الشيعي آية الله كاشاني في موسم الحج عام ١٩٤٨ أثره في توطيد عرى العلاقة. ومن أبرز الزيارات التي حدثت على هذا الصعيد زيارة نواب صفوي سنة ١٩٥٤ للقاهرة عقب مشاركته في مؤتمر لنصرة القدس في عَمَّان[٢].

ويعد نواب صفوي، قائد مجموعة فدائيي الإسلام «فدائيان إسلام»، واحدًا من زعماء الحركة الإسلامية الإيرانية الذين ارتبطوا بعلاقات وثيقة مع الإخوان المسلمين. وخلال زيارته إلى مصر ألقى الصفوي في جامعة القاهرة خطابًا حاشدًا أعلن فيه مسؤولية حركته عن اغتيال رئيس الوزراء الإيراني السابق، رزم آراء. وهو الاعتراف الذي جرَّه إلى المحاكمة والإعدام في إيران لاحقًا ولاقى ردود فعل عنيفة في صفوف الحركة الإسلامية. وتزامنت الزيارة مع فترة عصيبة في تاريخ الجماعة عندما قررت الحكومة المصرية حلَّها[٣].

حظيت طروحات سيد قطب باستقبال حافل داخل صفوف الحركة الإسلامية في إيران، وجرى ترجمة العديد من مؤلَّفاته إلى الفارسية، وممن قاموا بعدد من الترجمات: المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في إيران، علي خامنئي[٤]. ووصلت العلاقة ذروتها مع انتصار «الثورة الإسلامية» في إيران؛ حيث تصدرت صورة للخميني الغلاف الرئيسي لمجلة الإخوان «الدعوة»، كما جرى تشكيل وفد لزيارة إيران ولقاء الخميني[٥]. لكن الحماس الإخواني للثورة تراجع وصبغت العلاقة مسحة تردد وتحفظ، بسبب ما أبداه الإخوان من ملاحظات على بعض بنود الدستور الإيراني التي لا تساوي بين سكان الجمهورية الإسلامية، إضافة إلى رفضهم للمحاكمات الثورية

---

(١) يوسف، أحمد، «الإخوان المسلمون والثورة الإسلامية في إيران: جدلية الدولة والأمة في فكر الإمامين البنَّا والخميني»، بيت الحكمة للدراسات والاستشارات، يونيو/حزيران٢٠١٢، ص.ص٢٤- ٢٧.

(٢) «الإخوان والثورة السلمية في إيران، مراجعات فكرية (١)»، ويكيبيديا الإخوان، الموسوعة الرسمية التاريخية لجماعة الإخوان المسلمين، (تاريخ الدخول ٦ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٦):
http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title
الإخوان – والثورة – السلمية – في - إيران

(٣) «الإخوان والثورة السلمية في إيران»، المصدر السابق.

(٤) احمد نجمي، سيد قطب، طلايه دار بيداري اسلامي سيد قطب (سيد قطب زعيم الصحوة الإسلامية)، كشاف الصحوة الإسلامية، مركز اسناد انقلاب إسلامي (مركز وثائق الثورة الإسلامية/ إيران)، ٦ مايو/أيار ٢٠٠٧ (تاريخ الدخول، ٦ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٦):
http://www.irdc.ir/fa/content/5190/default.aspx

(٥) يوسف، أحمد، «الإخوان المسلمون والثورة الإسلامية في إيران»، مرجع سابق. ص.ص٢٤- ٢٧.

والإعدامات التي حدثت في إيران؛ حيث رأى الإخوان أنها تسيء إلى سمعة الثورة[1]. ورغم أن الإخوان اعتبروا أن العراق هو من بدأ بالحرب ضد إيران إلا أنهم وبعد سنوات من الحرب حمّلوا إيران مسؤولية استمرارها[2].

وأدخل موقف إيران من انتفاضة الإخوان في سوريا ضد نظام حافظ الأسد ومذبحة حماه، حين وقفت إيران موقفًا مؤيدًا للنظام العلماني في سوريا، العلاقة بين الطرفين مرحلة جديدة اتسمت بالتوتر وتبادل الاتهامات؛ حيث رأى الإخوان أن الثورة الإسلامية في إيران لم تكن وفية لشعاراتها، فيما بدأت إيران تكيل الاتهامات لجماعة الإخوان بأنها انحرفت عن مسارها الذي أراده لها البنَّا، وباتت عرضة لتأثير التيارات السلفية الخليجية[3].

ورغم التقاء وجهة نظر الجانبين حول الكثير من القضايا وفي مقدمتها القضية الفلسطينية إلا أن العلاقات بقيت محاطة بظلال الشك والاتهام، وجاءت ثورات الربيع العربي وجاء رفض الإسلاميين لاستنساخ نموذج الدولة الإيرانية وكذلك الموقف من الثورة السورية لتتعمَّق الشُّقَّة بين الإخوان وإيران؛ مما ينبئ بفصل جديد من العلاقة لن يكون من السهل تجسير هوة الخلاف فيه. ومن الواضح أن النتائج التي تستعرضها الورقة تكشف عن جانب كبير من أبعاد هذه الهوة ومسبباتها.

استطلاع الرأي

اشتمل استطلاع الرأي الذي نفَّذه مركز الجزيرة للدراسات، وأعلن نتائجه العامة مطلع هذا العام ٢٠١٦، على محاور عديدة، منها: توجهات النخبة الحزبية ممن ينتمون لجماعة الإخوان المسلمين، وهو ما تتناوله هذه الورقة، علمًا بأن الاستطلاع شمل ٨٦٠ مستجيبًا أُجريت معهم مقابلات تليفونية ضمن عيِّناتٍ ممثِّلة للنخبة العربية في ٢١ دولة عربية (وقد نُفِّذ الاستطلاع[4] خلال الفترة ٣٠ سبتمبر/أيلول إلى ٣٠ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٥).

وعكست الانتماءات الحزبية والفكرية للمستجيبين تنوعًا بحيث قال ٣٧٪ منهم: إن الأحزاب الإسلامية هي الأكثر تعبيرًا عن أفكارهم ومصالحهم من بين الأحزاب والاتجاهات الفكرية القائمة في الوطن العربي، فيما لم يجد ١٧٪ منهم من القائم ما يعبِّر عن مصالحهم وأفكارهم، وحددها ٢١٪ منهم بالليبرالية، و١٤٪ منهم بالقومية، و٨٪ باليسارية، وكانت نسبة من رفض الإجابة ٣٪.

هذا، ونتناول في هذه الورقة توجهات الفئة المنتمية لأحزاب تنضوي تحت فكر جماعة الإخوان المسلمين تجاه إيران ودورها في المنطقة ومستقبل العلاقات العربية- الإيرانية.

وجاءت النتائج كالتالي:

تقييم العلاقات العربية- الإيرانية

أظهرت النتائج أن النخبة ذات التوجه الإسلامي وتنضوي تحت أحزاب إسلامية، تنظر بسلبية عالية إلى المستوى الذي وصلت إليه العلاقات العربية- الإيرانية، وتنظر بتشاؤم إلى مستقبل هذه العلاقات:

- العلاقات السياسية: بيَّنت نتائج الاستطلاع أن (٩٥٪) من المستجيبين يعتقدون أن العلاقات السياسية العربية- الإيرانية سيئة (٣٤٪ سيئة جدًّا، ٦١٪ سيئة)، فيما رأى (٤٪) فقط أنها جيدة وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٣٪.
- العلاقات الاقتصادية: تحسَّن تقييم العلاقات الاقتصادية مقارنة بالسياسية لكنه بقي تقييمًا سلبيًّا؛ إذ اعتبر ٦٥٪ أنها (سيئة جدًّا ١٠٪، وسيئة ٥٥٪)،

---

(١) المرجع السابق، ص ٣١.
(٢) المرجع السابق، ص ٣٢.
(٣) المرجع السابق، ص ٣٣.
(٤) استُخدم لهذا المسح أسلوبُ المعاينة الطبقية العشوائية؛ حيث اعتُبرت كلُّ دولة طبقةً مستقلة وجرى توزيع العينة بين مختلف الدول بأسلوب التوزيع المتساوي؛ بواقع ١٠٠ مشاهدة لكل دولة، تقريبًا، مع استثناء بعض الدول من هذا العدد لأن عدد وحدات المعاينة في الإطار قليل، =

وقد تم سحب العينة من الطبقة بأسلوب العيِّنة العشوائية، وقد جرى تحديد حجم العينة بمستوى دقة يصل إلى ٩٨٪ على المستوى الكلي للمتغيرات الرئيسية، وبهامش خطأ يتراوح بين ± ٢,٥- ٣٪. تم تصميم استمارة الاستطلاع وتحكيمها من قِبل خبراء وأكاديميين متخصصين في استطلاعات الرأي والعلوم السياسية والعلاقات الدولية، وأُنجز الاستطلاع في ٢١ دولة عربية، هي: مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين، والسعودية، وقطر، والبحرين، والكويت، والإمارات، وعُمان، واليمن، وليبيا، والسودان، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا، وجيبوتي، والصومال.

ويُعد الاستطلاع هو الأول من نوعه الذي يتناول العلاقات العربية- الإيرانية والموقف من الدور الإيراني في المنطقة العربية وتوجهات النخبة العربية نحوها، وتشكِّل نتائجه مادة غنية للدراسين والباحثين وصُنَّاع القرار.

ورأى ٣٠٪ من المستجيبين أنها جيدة (جيدة جدًّا ١٪، وجيدة ٣٠٪)، وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٥٪.

- العلاقات الأمنية: عكست النتيجة تقييمًا سلبيًّا عاليًا للعلاقات الأمنية بين الوطن العربي وإيران؛ حيث إن ٨٪ فقط يرون أنها (جيِّدة جدًّا ١٪ وجيدة ٧٪)، فيما أكَّدت الغالبية العظمى من المستجيبين ٩٠٪ أن العلاقات الأمنية سيئة (سيئة جدًّا ٤٥٪، وسيئة ٤٥٪). وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٣٪.

- العلاقات الثقافية: وبنسبة وصلت إلى ٨٦٪ (سيئة ٥٦٪، وسيئة جدًّا ٣٠٪)، صنَّف المستجيبون العلاقات الثقافية العربية- الإيرانية بأنها سيئة وسيئة جدًّا. وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٪.

- العلاقات الاجتماعية: اعتبر ٧٨٪ من المستجيبين أن العلاقات الاجتماعية العربية- الإيرانية (سيئة جدًّا ٢٥٪، وسيئة ٥٣٪)، مقابل ٢١٪ من المستجيبين رأوا أنها (جيدة جدًّا ١٪، وجيدة ٢٠٪). وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٢٪.

العلاقات العربية- الإيرانية خلال السنوات الخمس القادمة

كشفت النتائج أن غالبية النخبة ذات التوجه الحزبي الإسلامي، لا تتوقع تحسنًا في العلاقات العربية- الإيرانية على مختلف الصُّعد خلال السنوات الخمس القادمة.

- **العلاقات السياسية:** تدل النتائج على توقع حدوث مزيد من التراجع في العلاقات السياسية خلال السنوات الخمس القادمة؛ حيث يرى ٧١٪ من المستجيبين أن العلاقات العربية- الإيرانية في جانبها السياسي ستكون أسوأ مما هي عليه الآن، فيما يرى ١٧٪ أنها ستكون كما هي عليه الآن، وعبَّر (١٢٪) عن تفاؤلهم بأن تصبح العلاقات السياسية أفضل مما هي عليه الآن.

- **العلاقات الاقتصادية:** توقَّع ما يزيد عن نصف المستجيبين (٥٧٪) أن تكون العلاقات الاقتصادية خلال السنوات الخمس القادمة أسوأ مما هي عليه الآن، فيما رأى (٢٥٪) أنها ستراوح مكانها كما هي عليه الآن، وقال (١٧٪): إنها ستكون أفضل مما هي عليه الآن. وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٢٪.

- **العلاقات الأمنية:** تبيِّن النتائج أن ٦٦٪ من المستجيبين يتوقعون أن تصبح العلاقات الأمنية أسوأ مما هي عليه الآن، فيما توقَّع ١٦٪ منهم أن تكون أفضل مما هي عليه الآن، و١٧٪ منهم توقعوا أن تبقى العلاقات الأمنية كما هي عليه الآن. وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٪.

- **العلاقات الثقافية:** توقع أكثر من نصف المستجيبين (٥٨٪) أن تتراجع العلاقات الثقافية العربية- الإيرانية لتصبح أسوأ مما هي عليه الآن، فيما توقع (٢٨٪) أن تبقى كما هي عليه الآن، وتوقع (١٣٪) أن تصبح أفضل مما هي عليه الآن. وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٪.

- **العلاقات الاجتماعية:** رأى ما يزيد عن نصف المستجيبين (٥٧٪) أنها ستكون أسوأ مما هي عليه الآن، وقال ٢٨٪ منهم: إنها ستبقى كما هي عليه الآن، فيما قال ١٣٪ فقط: إنها ستكون أفضل مما هي عليه الآن. وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٢٪.

أهم المشكلات التي تواجه العلاقات

وفي إجابتهم على السؤال المتعلق بأهم المشكلات التي تواجه العلاقات العربية- الإيرانية، بيّن ٣٩٪ من المستجيبين أن التدخل الإيراني في شؤون الدول العربية هي أهم مشكلة تواجه العلاقات، تلاها المشكلة الطائفية بنسبة (٢٩٪)، ثم الصراع على الدور السياسي والنفوذ بنسبة (٢٨٪)؛ فالتدخل الخارجي الغربي بنسبة ٣٪.

مقولات حول العلاقة

- العلاقات العربية- الإيرانية ودور رجال الدين: حملت غالبية آراء هذه الفئة من النخبة تقييمًا سلبيًّا لدور رجال الدين في إيران والعالم العربي في توتر العلاقات العربية- الإيرانية، وفي تحليل النتائج وافق ٩٥٪ (أوافق بشدة ٦٦٪، وأوافق ٢٩٪) على مقولة: «إن

رجال الدين في إيران يلعبون دورًا كبيرًا في توتر العلاقات»، فيما عارض المقولة ٣٪ منهم. أما فيما يتعلق برجال الدين في العالم العربي وافق ٥٤٪ من المستجيبين على مقولة: «إن رجال الدين في العالم العربي يلعبون دورًا كبيرًا في توتر العلاقات العربية-الإيرانية» (أوافق بشدة ١٣٪، وأوافق ٤١٪)، وعارض ما يقرب من نصف المستجيبين (٤٤٪) المقولة (أعارض ٤٢٪، وأعارض بشدة ٢٪)، ورفض (١٪) منهم الإجابة.

- الموقف من السلوك السياسي لدى الجانبين: تشير النتائج إلى أن النخبة الحزبية ذات التوجه الإسلامي تحمل آراء متقاربة تجاه الطبقة الدينية والطبقة السياسية فيما يتعلق بالعلاقات العربية-الإيرانية، وترى أن الدين والسياسة كليهما وجه للآخر في تقرير مستوى العلاقات، وتكشف النتائج أن غالبية كبيرة من المستجيبين، ٩٦٪، ترى أن السلوك السياسي الإيراني يلعب دورًا كبيرًا في توتر العلاقات (أوافق بشدة ٦٠٪، وأوافق ٣٦٪)، فيما عارض ٣٪ فقط هذه المقولة، وكانت نسبة من رفضوا الإجابة ٢٪.

وفيما يتعلق بالمقولة تجاه السلوك السياسي العربي قال ٥٦٪ إنهم يوافقون على أن السلوك السياسي العربي يلعب دورًا كبيرًا في توتر العلاقات العربية-الإيرانية (أوافق بشدة ١٧٪، وأوافق ٣٩٪)، فيما عارض المقولة ٤٣٪ (أعارض ٣٧٪ وأعارض بشدة ٦٪)، وكانت نسبة من رفضوا الإجابة ١٪.

إيران والقضية الفلسطينية

كشفت النتائج بوضوح أن تعويل إيران على دعمها السابق للقضية الفلسطينية لكسب مزيد من التأييد السياسي لم يعد مجديا كالسابق، وأن هذه القضية وإن كانت عامل تقارب بين هذه الفئة من النخبة العربية وإيران إلا أن نظرتهم للدور الإيراني على هذا الصعيد باتت محل نقد وشك؛ حيث وافقت غالبية المستجيبين ٩١٪ على أن إيران تستخدم القضية الفلسطينية لتعزيز نفوذها في العالم العربي (أوافق بشدة ٦٣٪، وأوافق ٢٨٪)، فيما عارض المقولة ٤٪ (أعارض ٣٪، وأعارض بشدة ١٪).

وكشفت النتائج أن القضية الفلسطينية ما زالت قضية جوهرية لدى الرأي العام العربي على مختلف توجهاته، وأنه يقيس الكثير من القضايا بالاحتكام إليها، وأوضحت النتائج أن ٩٥٪ من المستجيبين من هذه الفئة يحمِّلون الأنظمة العربية مسؤولية التقاعس عن دعم القضية الفلسطينية مما عزَّز من النفوذ الإيراني (أوافق بشدة ٦٥٪، وأوافق ٢٩٪)، فيما عارض المقولة ٩٪ منهم (أعارض ٨٪، وأعارض بشدة ١٪). وكانت نسبة من رفضوا الإجابة أو لم يُبدوا رأيًا ٢٪.

«النموذج الإيراني» في الحكم

يعود الخطاب السياسي الإيراني من حين لآخر إلى طرح مفهوم الديمقراطية الدينية كوصفة مناسبة للشعوب المسلمة، ويواصل التبشير بـ«مشروع الخميني» في إقامة نظام الحكم وحسنات نظام «ولاية الفقيه»، بهدف «ملء الفراغ الموجود»، وكذلك «الديمقراطية الدينية» التي يتحدث عنها مرشد الثورة، علي خامنئي، ويجد ذلك طريقه من خلال التبشير بالنموذج الثوري الإيراني، والدعوة إلى نظام «حُكم الشعب الديني»[(١)].

وهنا، تُظهر النتائج أن إيران فشلت في تسويق تمثيل «ولاية الفقيه للديمقراطية الدينية»؛ حيث إن ٨٦٪ من المستجيبين يرون أن تمثيل إيران لذلك كان سلبيًّا (٦٦٪ سلبي بدرجة عالية و٢٠٪ سلبي إلى حدٍّ ما)، فيما اعتبر ٧٪ فقط أنه كان تمثيلًا إيجابيًّا (٤٪ بدرجة عالية و٣٪ إيجابي إلى حدٍّ ما). وكانت نسبة من رفضوا الإجابة أو لم يُبدوا رأيًا ٦٪.

- فيما يتعلق بنموذج الحكم: تظهر الخلافة نموذجًا مطلوبًا في طرح الإخوان المسلمين، والحكومة المطلوبة بالنسبة لهم هي الحكومة التي تدعو إلى الخلافة. ويعللون ذلك بكون الخلافة هي مظهر وحدة المسلمين. ويمكن رؤية هذا الطرح واضحًا في أدبيات الإخوان، كقادة وجماعة. ويدافع البنَّا عن الخلافة ويرى أنها يجب أن تكون من أصول تأسيس الحكومة الإسلامية[(٢)].

---

(١) الخامنئي: الديمقراطية الدينية يمكن أن تملأ فراغات مستقبل التطورات في المنطقة، الموقع الرسمي لمرشد الثورة الإسلامية، ٨ سبتمبر/أيلول ٢٠١١، (تاريخ الدخول: ٨ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٦).

(٢) مجيد مرادي، نظريه دولت در انديشه سياسي حسن البنا (نظرية =

وتتقدم الخلافة في الفكر السياسي لجماعة الإخوان المسلمين على نماذج الحكم الأخرى، وهي أفضل من الجمهورية والسلطنة، وذلك لأن الخلافة مظهر وحدة المسلمين[1]. وتركت طروحات محمد رشيد رضا تأثيرها على هذا الصعيد؛ إذ لا يعتقد بضرورة أن يكون الخليفة قرشيًّا، وإنما شرطها أن يتصدى لها الإنسان الكفؤ المقبول من الناس والحافظ لأحكام الله، وبذلك يكون من الواجب على الناس طاعته[2].

ويعتقد حسن الهضيبي[3]، أن الحكومة الإسلامية ضرورة، لأن الكثير من الأحكام الإلهية تحتاج إلى سلطة تنفّذها، وتتجاوز حدود الأفراد كالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما أن الحكومة الإسلامية هي ضرورة اجتماعية، وإقامتها مصداق التعاون والتعاضد على الخير، وعدم إقامتها مصداق الظلم[4]. وهذه الحكومة مكلفة بالعمل ضمن الإطار الكلي للإسلام، والحاكم الحق هو من يقوم بتطبيق الشريعة وحفظ الدين والدفاع عنه[5].

على الجانب الآخر، سعت الطروحات الفكرية السياسية للحركة الإسلامية الشيعية إلى تأسيس الدولة الإسلامية، أما الحكومة المطلوبة من قبل الحركة الإسلامية الإيرانية فتقوم على نموذج النيابة في زمن الغيبة. ولذلك، فإن الجمهورية الإسلامية قامت بإحياء نيابة الفقهاء[6]. والحاكم الشرعي عند الشيعة هو الإمام المعصوم، المفسِّر للقرآن، العالم بدقائق أمور الدين، واستنادًا إلى الأحاديث والروايات فهذا المنصِبُ منحصر في الأئمة الاثني عشر من نسل فاطمة الزهراء، ولكن في غيبة الإمام المعصوم، وبينما كان كثير من الشيعة يقولون بعدم مشروعية أية حكومة، كان بعض الفقهاء الشيعة ومن بينهم الخميني، يدافعون عن أن هذه الوظيفة تُوكَل أثناء غيبة الإمام إلى الفقيه الجامع للشرائط. واستنادًا إلى النصوص والأحاديث والروايات قام الخميني بطرح حكومة ولاية الفقيه[7]. ويمكن لهذا النموذج أن يجد وجوه تشابه مع النموذج السني الذي يقترحه الإخوان، فالحاكم لدى الطرفين من غير المعصومين، ولكنه ممن يمتلكون المعرفة بالشأن السياسي والذين يسعون إلى توطيد دعائم الشريعة في المجتمع[8].

وإن كانت إيران قد بنت نموذجها وفق هذه الرؤية، ورغم التقاطعات مع فكر الإخوان المسلمين، إلا أن النتائج تكشف أن الطروحات الإيرانية فيما يتعلق بالنموذج لا تجد الاستحسان داخل صفوف النخبة الإخوانية؛ حيث إن غالبية كبيرة، ٩٨٪، يعتقدون أن إيران لا تمثّل نموذجًا يُحتذَى في الحكم، في حين يعتقد ٢٪ من المستجيبين فقط أنها كذلك. وتبعًا لذلك، رأى ٨٦٪ من المستجيبين أن إيران بلد غير ديمقراطي، و١٣٪ أنها بلد ديمقراطي إلى حدٍّ ما، فيما قال ٢٪ من المستجيبين: إنها بلد ديمقراطي.

- ولاية الفقيه وتسيير الاقتصاد: في تقييمهم لدور نظام ولاية الفقيه وطريقته في إدارة الاقتصاد

الدولة في الفكر السياسي لحسن البنّا)، فصلية العلوم السياسية، خريف ١٣٨١ ش، العدد ١٩، ص.ص٨٣- ١٠٢، ص٩٧- ٩٨.

(١) يحيى فوزي و پهروز پايات، مقايسه تطبيقي اشتراكات و افتراقات انديشه سياسي جنبش اسلامي سني اخوان المسلمين در مصر و جنبش اسلامي شيعي در ايران، (مقارنة تطبيقية للقواسم السياسية المشتركة والاختلاف بين حركة الإخوان المسلمين السنية في مصر والحركة الشيعية الإسلامية في إيران)، مجلة اخبار شيعيان (أخبار الشيعة)، العدد ٣٦ شتاء ٢٠١٢، ص.ص ٧١- ١٠٠، ص ٧٩.

(٢) عباس خامه يار، تأثير انقلاب اسلامي ايران بر جنبش اخوان المسلمين (تأثير الثورة الإسلامية على حركة الإخوان المسلمين)، (رسالة ماجستير)، جامعة طهران، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ١٣٧١، ص ١٨٣.

(٣) حسن الهضيبي (١٨٩١- ١٩٧٣)، مستشار وقاض، شغل منصب المرشد الثاني للإخوان المسلمين، ويوصف بأنه «المرشد المتمحَن»؛ لأنه تولى أمر الجماعة في فترة حرجة من تاريخها شهدت العلاقات مع ضباط الثورة وعلى رأسهم جمال عبد الناصر، وهي الفترة التي قُتل فيها مئات من شباب الإخوان في معتقلات الواحات والسجن الحربي من جرَّاء التعذيب حيث كان النظام يأمل في ذلك الوقت أن يصفّي جماعة الإخوان المسلمين بالقوة (ويكيبديا، وموسوعة الإخوان).

(٤) علي اكبر عليخاني و همكاران، انديشه سياسي در جهان اسلام (الفكر السياسي في العالم الإسلامي)، پژوهشگاه علوم انساني، فرهنگ و مطالعات اجتماعي(تهران، ١٣٨٤)، ص.ص ٤١٨- ٤١٧.

(٥) الهضيبي، حسن، دعاة لا قضاة، (دار التوزيع والنشر الإسلامية، =

القاهرة، ١٩٧٧)، ص ٨٠.

(٦) يحيى فوزي و پهروز پايات، مرجع سابق، ص ٨١.

(٧) امام خميني، ولايت فقيه، «حكومت اسلامي»، أمير كبير، (تهران، ١٣٦٠)، ص ٣٢.

(٨) يحيى فوزي و پهروز پايات، مرجع سابق، ص ٨١.

كشفت النتائج أن ٧٢٪ من المستجيبين يحملون نظرة سلبية تجاه ذلك؛ إذ قال ٤٤٪ منهم إنه سلبي بدرجة عالية، وقال ٢٨٪ إنه سلبي إلى حدٍّ ما، فيما قال ١٦٪ إنه إيجابي (٤٪ إيجابي بدرجة عالية، و١٢٪ إيجابي إلى حدٍّ ما)، وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١١٪.

- ولاية الفقيه وإدارة الصراع مع العالم العربي: أظهرت النتائج أن ٩١٪ من المستجيبين من هذه الفئة، يقيِّمون دور نظام ولاية الفقيه في إدارة الصراع مع العالم العربي بأنه دور سلبي (بدرجة عالية ٧٢٪، وسلبي إلى حدٍّ ما ١٩٪). فيما بلغت نسبة من يرون أنه دور إيجابي ٥٪ (بدرجة عالية ٢٪، وإيجابي إلى حدٍّ ما ٣٪)، وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٣٪.

- ولاية الفقيه وتقديم إيران كنموذج: سجَّلت النتائج تقييمًا سلبيًّا لهذه الفئة من النخبة العربية على هذا الصعيد، وبلغت نسبة ذلك ٩١٪ من مجموع المستجيبين (٧٦٪ سلبي بدرجة عالية، و١٥٪ سلبي إلى حدٍّ ما)، فيما رأى ٦٪ فقط أنه دور إيجابي (٢٪ إيجابي بدرجة عالية، و٤٪ إيجابي إلى حدٍّ ما)، وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٤٪.

إيران وثورات «الربيع العربي»

كشفت النتائج أن الأغلبية من ذوي التوجهات الحزبية الإسلامية القريبة من فكر جماعة الإخوان المسلمين، تقيِّم الموقف الإيراني من خلال سياسات إيران في سوريا والعراق، كما أنه يمكن القول: إن الموقف من الثورة في سوريا على وجه الخصوص وموقف إيران من الثورات العربية عمومًا، تمثِّل أسبابًا مهمة في موقفها السلبي من إيران.

وأوضحت النتائج أن ٩٠٪ من المستجيبين ضمن هذه الفئة، يرون أن مواقف إيران من ثورات الربيع العربي كانت سلبية (٦٦٪ سلبية جدًّا، و٢٤٪ سلبية إلى حدٍّ ما)، مقابل ٧٪ فقط يرون أنها إيجابية (١٪ إيجابية جدًّا، و٦٪ إيجابية إلى حدٍّ ما)، وكانت نسبة الذين لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٣٪.

واعتمد الاستطلاع في معرفة الأسباب أسلوب السؤال المفتوح ولم يحدِّد الإجابات مسبقًا، وجاءت أسباب الـ(٩٠٪) الذين قيَّموا موقفها بالسلبي كالتالي:

- تدخَّلت سياسيًّا وعسكريًّا لدعم الاستبداد وإفشال الثورة بنسبة ٤٠٪.
- تعاملت بانتهازية ورجَّحت مصالحها بنسبة ٢١٪.
- اعتبرت الربيع العربي مهدِّدًا لمشروعها بنسبة ١٤٪.
- حاولت توظيف الثورات العربية خدمة لأهدافها بنسبة ١١٪.
- أجَّجت من الصراع الطائفي بنسبة ٤٪.
- أيَّدت بعض الثورات وعارضت بعضها ٢٪.

أمَّا الفئة التي قيَّمت موقفها بالإيجابي وكانت نسبتها ٧٪؛ فكانت أسبابها:

- دعمت التغيير وعزَّزت الخطاب الثوري في الوطن العربي بنسبة ٤٥٪.
- أيَّدت بعض الثورات وعارضت بعضها بنسبة ٤٥٪.
- رفض الإجابة ٩٪.

كشفت النتائج أن السياسة التي انتهجتها إيران تجاه ثورات «الربيع العربي» تركت تأثيرًا سلبيًّا على صورتها لدى النخبة العربية؛ إذ قالت أغلبية كبيرة، ٩٣٪ من المستجيبين: إن صورة إيران أصبحت أسوأ مما كانت عليه قبل «الربيع العربي»، في مقابل ١٪ فقط يعتقدون أن صورتها أصبحت أفضل مما كانت عليه، و٦٪ منهم أبقوا صورتها كما كانت عليه.

تقييم الحالة في سوريا

شكَّلت سوريا، ومنذ أحداث مدينة حماه وحتى الثورة السورية ضد نظام عائلة الأسد، نقطة خلاف جوهرية بين الإخوان المسلمين وإيران. وفيما يتعلق برؤية هذه الفئة لارتباط المصالح الإيرانية في سوريا بنظام بشار الأسد، أيدت غالبية كبيرة وصلت إلى ٩٤٪ مقولة: «إن سقوط نظام بشار الأسد يهدِّد المصالح الإيرانية في المنطقة»، فيما عارض ذلك ٦٪.

ويشكِّل توصيف الحالة القائمة في سوريا اليوم جانبًا من الخلاف، فبينما تصفها إيران بالتدخل الخارجي والحرب بالوكالة والعمالة للخارج، تراها جماعة الإخوان ثورة شعبية ضد النظام.

واختبر الاستطلاع موقف النخبة داخل الإخوان المسلمين من التدخل الإيراني في ثلاث ساحات عربية بمبرر الحفاظ على مصالحها وأمنها القومي. وجاءت النتيجة في غالبيتها العظمى برفض هذا التدخل، وتفصّلها كالآتي:

- سوريا: عارض ٩٢٪ من المستجيبين التدخل الإيراني في سوريا بذريعة المصالح والأمن القومي (٨٠٪ أعارض بشدة، و١٢٪ أعارض)، فيما أيَّد هذا التدخل ٧٪ (٢٪ أؤيد بشدة، و٥٪ أؤيد)، ورفض ١٪ الإجابة.
- اليمن: عارض ٩٢٪ من المستجيبين التدخل الإيراني في اليمن (٨١٪ أعارض بشدة، و١١٪ أعارض)، في مقابل ٧٪ أيَّدوا ذلك (أؤيد بشدة ١٪، وأؤيد ٦٪)، ورفض ١٪ منهم الإجابة.
- العراق: عارضت نسبة كبيرة وصلت إلى ٩١٪ من المستجيبين التدخل الإيراني في العراق (أعارض بشدة ٧٩٪، وأعارض ١٢٪)، وأيَّد هذا التدخل ٨٪ (٢٪ أؤيد بشدة، و٦٪ أؤيد)، ورفض ١٪ الإجابة.

الدور الإيراني والتقارب مع الولايات المتحدة الأميركية

- الدور الإيراني والمصالح العربية: قدمت النخبة العربية ذات التوجه الإسلامي المنضوي تحت راية الإخوان المسلمين، تقييمًا للدور الإيراني في المنطقة خلال السنوات العشر الماضية من منظور المصالح العربية، وبيَّنت النتائج أن ٨١٪ من المستجيبين يرون أنه دور سلبي يهدِّد المصالح العربية، في مقابل ١٧٪ منهم رأوا أنه دور خليط يحوي جوانب إيجابية وسلبية، و١٪ فقط يعتقدون أنه دور إيجابي يراعي المصالح العربية، وكانت نسبة من رفضوا الإجابة أو لم يُبدوا رأيًا ١٪.
- التقارب الإيراني- الأميركي: أظهرت النتائج معارضةً تجاه التقارب الإيراني- الأميركي؛ إذ عارضه ٦٣٪ منهم، وأيَّده ٢٦٪ من المستجيبين، وبلغت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٠٪.
- مخاوف التقارب: قال ٨٧٪ من المستجيبين «إن لديهم مخاوف من هذا التقارب» (٦٢٪ لديهم العديد من المخاوف، و٢٥٪ لديهم بعض المخاوف)، فيما قال ١٠٪ إنه ليس لديهم أية مخاوف على هذا الصعيد، وكانت نسبة من رفضوا الإجابة أو لم يبدوا رأيًا ٣٪.
- أهم المخاوف: اعتمد الاستطلاع في هذا السؤال على أسلوب السؤال المفتوح، دون تحديد أية إجابات مسبقًا، وبيَّن المستجيبون مخاوفهم بالشكل التالي:
  - زيادة الهيمنة الإيرانية على المنطقة ٢٩٪.
  - إطلاق يد إيران بوصفها شرطي المنطقة ٢٤٪.
  - صفقة لتبادل المصالح بين واشنطن وطهران على حساب الدول العربية ١٦٪.
  - تهديد الأمن القومي العربي ١٢٪.
  - تقسيم المنطقة وتمزيق العالم الإسلامي ١١٪.
  - تأجيج الصراع المذهبي والطائفي ٦٪.
  - رفض الإجابة ١٪.

الاتفاق النووي

- المكانة الإقليمية: توقَّع ٩٤٪ من المستجيبين ضمن هذه الفئة أن يعزِّز امتلاك إيران للتقنية النووية من مكانتها الإقليمية، فيما توقَّع ٦٪ أن لا يترك ذلك أي تأثير. وأبدى ٨٢٪ من المستجيبين ضمن هذه الفئة قلقًا تجاه بروز إيران كقوة إقليمية عقب الاتفاق النووي، فيما لم يُبدِ ١٧٪ منهم قلقًا تجاه هذه المسألة، وكانت نسبة من رفضوا الإجابة ١٪. وعبَّر ٨٨٪ من المستجيبين عن تخوفهم من اتساع رقعة النفوذ الإيراني عقب الاتفاق النووي، فيما ذكر ١٢٪ منهم أن لا مخاوف لديهم تجاه ذلك.
- المواجهات الطائفية: عبَّرت غالبية كبيرة، ٩٥٪، عن مخاوفها من اتساع رقعة المواجهات الطائفية بين السنَّة والشيعة عقب الاتفاق النووي، فيما أجاب ٤٪ منهم فقط بأن لا مخاوف لديهم بهذا الخصوص، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٪.
- تهديد الأمن القومي العربي: وفي هذا المجال نجد أن المخاوف موجودة لدى الغالبية العظمى من هذه الفئة؛ حيث اعتبر ٩١٪ من المستجيبين أن ذلك يمثِّل تهديدًا للأمن القومي العربي مقابل ٨٪ منهم لا يوجد لديهم مخاوف، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو

رفضوا الإجابة ١٪.

- حرب بين العرب وإيران: بيَّنت النتائج أن نسبة عالية، ٦٩٪، متخوفة من دخول المنطقة في حرب بين العرب وإيران، مقابل ٣٠٪ لا يرون أن ذلك مصدر قلق، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ١٪.

- مقدرة إيران الاقتصادية: تخوَّف ٧٥٪ من المستجيبين من احتمالات تعاظم مقدرة إيران الاقتصادية عقب توقيع الاتفاق، فيما لا يحمل ٢٥٪ منهم أية مخاوف بهذا الاتجاه.

مستقبل العلاقات العربية- الإيرانية

لا تنظر النخبة من ذوي التوجه الإسلامي المرتبط بفكر الإخوان المسلمين بتفاؤل إلى مستقبل العلاقات العربية- الإيرانية، وترى أنها تتجه إلى مزيد من التوتر، لكنها تقول بوجود كثير من العناصر المشتركة والموحدة.

- الجغرافيا: تعتقد نسبة تصل إلى ٧٥٪ أن الجغرافيا تمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ٣٦٪، متوسطة ٢٦٪، قليلة ١٣٪)، فيما يعتقد ٢٥٪ منهم أنها لا تمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق.

- الدِّين الإسلامي: كذلك الحال بالنسبة للدين الإسلامي إذ تعتقد نسبة تصل إلى ٧٥٪ من المستجيبين أن الدِّين الإسلامي يمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ٣٤٪، متوسطة ٢١٪، قليلة ٢٠٪)، فيما يعتقد ٢٥٪ منهم أنه لا يمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق.

- التاريخ المشترك: تعتقد نسبة تصل إلى ٧١٪ من المستجيبين أن التاريخ المشترك يمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ٢٣٪، متوسطة ٢٥٪، قليلة ٢٣٪)، فيما يعتقد ٢٩٪ منهم أنه لا يمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق.

- العادات والتقاليد: ترى نسبة تصل إلى ٦٦٪ من المستجيبين أن العادات والتقاليد الاجتماعية تمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ١٠٪، متوسطة ٢٨٪، قليلة ٢٨٪)، فيما يعتقد ٣٢٪ منهم أنها لا تمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٣٪.

- التحديات الخارجية: تعتقد نسبة تصل إلى ٦٣٪ من المستجيبين أن التحديات الخارجية تمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ١٤٪، متوسطة ٢٨٪، قليلة ٢١٪)، فيما يرى ٣٧٪ منهم أنها لا تمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق.

- المصالح المشتركة: تعتقد نسبة تصل إلى ٧٢٪ من المستجيبين أن المصالح المشتركة تمثِّل عنصرًا موحِّدًا في العلاقات العربية- الإيرانية إلى درجة (كبيرة ٢١٪، متوسطة ٣٠٪، قليلة ٢١٪)، فيما يرى ٢٦٪ منهم أنها لا تمثِّل عنصرًا موحِّدًا على الإطلاق، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٢٪.

تداعيات الخلافات العربية- الإيرانية

- الصراع الطائفي: كشفت النتائج عن أن ٩٩٪ من المستجيبين ضمن هذه الفئة، يعتقدون أن الخلافات العربية- الإيرانية تعزِّز من حالة الصراع الطائفي (إلى حدٍّ كبير ٩٠٪، إلى حدٍّ ما ٩٪)، ولا يرى ١٪ فقط أنها تؤثِّر.

- الصراع مع الكيان الصهيوني: بيَّنت النتائج أن غالبية كبيرة، ٩٤٪، من المستجيبين تعتقد أن الخلافات العربية- الإيرانية تؤثِّر لصالح إسرائيل (بدرجة عالية ٧٧٪، ونوعًا ما لصالح ١٧٪)، وقال ٦٪ فقط: إنها لا تؤثِّر.

- مواجهة إيران عسكريًّا: عارض ٦٩٪ من المستجيبين مطالَبَة البعض بعمل عسكري من قِبل دول الخليج ضد إيران (أعارض ٣٦٪، وأعارض بشدة ٣٣٪)، فيما أيَّد هذه المطالبة ٣٠٪ منهم، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٢٪.

التهديد الأكبر

ولقياس هذه القضية جرى توجيه سؤال مفتوح للمستجيبين عن الدولة التي يعتقدون أنها تمثِّل التهديد الأكبر للوطن العربي. وأظهرت النتائج أن «إسرائيل» تمثِّل التهديد الأول للوطن العربي بنسبة وصلت إلى ٥٢٪، تلتها إيران بنسبة ٣٩٪ (بنسبة تجاوزت موقف النخبة العربية عمومًا والتي وصل نسبة التهديد الإيراني لديها إلى ٢٣٪)، وتساوت الولايات المتحدة الأميركية والأنظمة العربية الحاكمة بنسبة ٢٪

لكل منهما، ثم قوى إقليمية ودولية ١٪، وكانت نسبة من لم يُبدوا رأيًا أو رفضوا الإجابة ٤٪.

خلاصات ونتائج

• على الرغم من العلاقة التاريخية بين إيران والإخوان المسلمين، واتفاقهما تجاه الكثير من القضايا وخاصة في تحديد معسكر الأصدقاء والأعداء والموقف من القضية الفلسطينية إلا أن ثورات الربيع العربي، ألقت بظلالها على هذه العلاقة، وأوجدت نقاط خلاف جوهرية تعطي العلاقة منحنى جديدًا، فيه من الافتراق الكثير، وهو ما تُظهره نتائج هذا الاستطلاع بصورة واضحة. ولعل أبرز ما تقوله هذه النتائج: إن الإخوان المسلمين يعتقدون أن إيران وقفت بسلبية عالية تجاه الثورات العربية ولعبت دورًا في إجهاضها، عبر دعم النظام المستبد في سوريا.

• يعتقد الإخوان المسلمون في هذا الاستطلاع أن السياسات الإيرانية تتحمَّل جزءًا كبيرًا من مسؤولية وتوتر العلاقات العربية- الإيرانية، وأن التدخل الإيراني في الوطني العربي يمثِّل أهم مشكلة تواجه العلاقات بين الجانبين.

• أحدث الموقف من الثورة السورية وتأييد إيران لبشار الأسد، شرخًا في علاقة إيران بإخوان مصر، وهي العلاقة التي كانت إيران تعوِّل عليها، كثيرًا، وبدت آثار هذا الشرخ واضحة في الطريقة التي تعاملت بها إيران مع الانقلاب العسكري في مصر وإسقاط حكومة مرسي.

• كانت إيران تتوقع أن تشكِّل كـ«نظام حكم» نموذجًا يُحتذى من قِبل إسلاميي مصر وتونس، خاصة مع نقاط التشابه الكبيرة فيما يتعلق بالحكم الإسلامي داخل المنتج الفكري لمنظِّري الجانبين، لكن ذلك جرى رفضه بصورة واضحة أزعجت إيران التي تظن أن نموذجها هو «الأصلح» للمجتمعات الإسلامية. وتُظهر النتائج أن نخبة الإخوان المسلمين ترفض بصورة كبيرة النموذج الإيراني، وترى أن إيران قدَّمت نموذجها لـ«الديمقراطية الدينية» بسلبية عالية.

• وهذا الافتراق أجهض الأمل الإيراني الذي كان يرى أن المساحة الواسعة المشتركة بين الرؤيتين وخاصة (الخميني وحسن البنَّا) تصلح لرصِّ جموع الأمة في السعي نحو وحدة إسلامية؛ إذ إن نخبة الإخوان ترى أن الحضور الإيراني بات حضورًا مصلحيًّا مُهدِّدًا للمصالح العربية، ويشمل ذلك العنوان الأبرز وهو القضية الفلسطينية.

• لم تعد إيران في صيغتها الحالية تشكِّل الأفق المرجوَّ لإحداث التغيير في العالم الإسلامي، بعد أن كان الإسلاميون مأخوذين ببُعدها ومقدرتها التغييرية.

• دخلت إيران في قائمة الدول المهدِّدة للوطن العربي، وهي التي كانت مستبعَدة من هذه القائمة في فكر الإخوان وممارساتهم. وأبدت النخبة داخل الإخوان في هذا الاستطلاع مخاوف عديدة من اتساع رقعة النفوذ الإيرانية والتقارب الإيراني- الأميركي عقب الاتفاق النووي ورأت أنه يأتي على حساب المصالح العربية.

• ورغم هذا الافتراق الواضح الذي تعكسه النتائج فيما يتعلق بتوجهات النخب داخل الإخوان المسلمين نحو إيران، إلا أنها تُظهر أيضًا الرغبة في تجسير الهوة، وتعكس وعيًا بخطورة الخلاف على الحالة الطائفية والصراع بين السُّنَّة والشيعة، فضلًا عن الصراع مع الكيان الصهيوني.

خطاب مفتوح
إلى المفوض السامي للأمم المتحدة

أنور عبد الرحمن – أخبار الخليج ٢٠١٦/١٠/٢٤

من الواضح اليوم أن الأمم المتحدة أصبحت هي نفسها من أكبر المشاكل التي يعاني منها العالم، بدلا من أن تكون أداةً لحل هذه المشاكل، وأصبحت هي نفسها مصدر تهديد للدول بدلا من أن تحميها.

يكفي هنا - مثالا على ذلك- أن نتأمل التقرير الذي نشرناه في الصفحة الأولى أمس وتضمن التصريحات التي أدلى بها مسئول كبير في الأمم المتحدة، وكشف فيها أن وكالات الأمم المتحدة في البحرين لا يتم استشارتها على الإطلاق أو أخذ رأيها قبل أن تصدر المنظمة الدولية تقاريرها التي تنتقد فيها سجل حقوق الإنسان في البحرين.

هذا الذي كشف عنه أمر شنيع حقا.

السؤال الكبير الذي يطرح نفسه هنا هو: إذا كان الأمر هو على هذا النحو، فلماذا إذن تحرص الأمم المتحدة على أن يكون لها مكتب في البحرين، وما جدواه بالضبط؟ وهل وجود المكتب هو للمظهر والاستعراض فقط؟

يعلم كل القراء أن الدول تعين سفراء في أي عاصمة من عواصم العالم لكي يقوموا بمهام محددة، في مقدمتها أن يرسلوا تقارير، يفترض أن تكون موضوعية ونزيهة، عن الأوضاع السياسية والاقتصادية في البلد الذي يعملون فيه، وعن أي تطور أو موقف معين.

وفي بعض الأحيان، تستدعي الحكومات السفراء لكي تناقشهم ويقدموا تحليلا أكثر عمقا لتقاريرهم في حالة القضايا المهمة، أو إذا كانت تقاريرهم موضع شك أو جدل.

على ضوء هذا، من الخطير جدا، والشنيع حقا، أن يكون هذا هو ما تفعله الأمم المتحدة، وما يفعله بالذات المفوض السامي لحقوق الإنسان في جنيف. من الخطير والشنيع ألا يحرصوا على الحصول على أي معلومات أو نصائح من مكاتبهم وممثليهم في البحرين.

كل البعثات الأجنبية في البحرين تعرف، والعالم كله يعرف، أن جلالة الملك وبمبادرة من جلالته أقدم على خطوة غير مسبوقة حين قرر تشكيل لجنة تقصي الحقائق في الأحداث التي شهدتها البحرين عام ٢٠١١. وهذه اللجنة قامت بتحقيقها على أوسع نطاق، ولم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا حققت فيها وبحثتها، وبعد ذلك أصدرت تقريرها وتوصياتها بشكل محايد، من دون أي تدخل من حكومة البحرين. وهي التوصيات التي قامت الحكومة بتنفيذها بالفعل.

ونحن في الصحافة الوطنية لطالما اعتقدنا أن مكتب الأمم المتحدة في المنامة يقوم بشكل يومي بمتابعة التطورات والأحداث، ويكتب عنها تقارير، سواء كانت سلبية او إيجابية. ولكن أن نكتشف اليوم، من خلال ما قاله هذا المسئول الكبير، أن هذا المكتب والعاملين فيه ليس لهم أي دور على الإطلاق، لا في جمع المعلومات ولا في تقييمها، ولا يقدمون حتى أي تقارير عنها، فهذا أمر مذهل حقا يتجاوز حدود أي منطق.

إذن، من حقنا أن نتساءل: من أين يحصل المفوض السامي لحقوق الإنسان على المعلومات التي يكتب تقاريره عن حقوق الإنسان في البحرين بناء عليها؟ وهي التقارير التي ثبت أنها مضللة ومغلوطة وتشوه سمعة البحرين في الخارج، وتلحق أشد الأذى باقتصادها؟

هل لنا أن نفترض أن المفوض السامي يحصل على هذه المعلومات الكاذبة المضللة فقط من شخصيات المعارضة الأيديولوجية، الذين حصل كثير منهم على حق اللجوء السياسي في عديد من الدول؟

الكل يعلم أن هؤلاء مهمتهم الوحيدة هي ترديد الأكاذيب التي تخدم أجندتهم المشبوهة، والعمل على تزييف حقيقة الأوضاع وتشويه صورة البحرين أمام العالم.

الذي قاله منسق الأمم المتحدة في البحرين كارثي حقا. قال نصا: «ليست لنا أي اتصالات مباشرة؛ لأن مجلس حقوق الإنسان لديه أجهزة وهيئات أخرى تعمل بشكل مستقل عنا». واعترف أيضا بأنه «وفقا للآلية التي يعمل بها مجلس حقوق الإنسان، فإنه لا يتم استشارة هيئات الأمم المتحدة الموجودة في أي بلد».

إننا نعرف أن الأمم المتحدة منظمة ضعيفة، وأنها تتعامل بلا مبالاة وعدم اكتراث مع عديد من القضايا الحيوية الحاسمة. لكننا لم نتخيل أبدا أن تكون قد وصلت إلى هذا الحد من عدم الإحساس بالمسئولية. وبالنسبة إلى البحرين، فإن نتائج وتبعات انعدام الإحساس بالمسئولية على هذا النحو خطيرة ومدمرة.

إننا نرى أن من واجبنا أن نطلب من المفوض السامي أن يقدم تفسيرا لهذه الحقائق الكارثية التي كشفها مسئولهم المعين في البحرين.

وعلى الرغم من أننا لا نعيش في عالم مثالي، فإننا نأمل ألا تتم معاقبة مسئول الأمم المتحدة الذي كشف هذه الحقائق، أو التفكير في عزله من

منصبه، بل بالعكس، يجب مكافأته على صراحته ونزاهته.

إننا نقول للمفوض السامي:

يا سيادة المفوض.. إن الأمم المتحدة يجب أن تكون هي العش الهادئ الآمن للبشرية، لا أن تكون وكرا للجوارح الكاسرة المفترسة.

ونحن في انتظار ردك الرسمي.

(داعش وزراعة الفوضى في أفغانستان)
الحلقة الأولى من سلسلة
(رياح السموم... من بلاد العرب إلى بلاد الأفغان)

أبو الوليد المصري (مصطفى حامد) –
موقع الإسلاميون ٢٠١٦/٩/٢٩

في خطوة نادرة الحدوث، ظهر إلى العلن الخلاف العميق بين حركة طالبان وتنظيم داعش. وفي العادة لا تظهر حركة طالبان تلك الخلافات إلى العلن طالما وجدت سبيلا للدبلوماسية السرية والتناصح (بصوت منخفض جدا) حرصاً على وحدة الصف الإسلامي، وعدم جرح مشاعر أحد.

ولكن قبل فترة وجيزة من الإعلان عن وفاة أمير المؤمنين الملا عمر جاءت نصيحة مكتوبة ومنشورة على موقع الإمارة الإسلامية، وبعدة لغات. وكانت الدماء قد سالت على الأرض الأفغانية منذ زمن بدون أن يسمع عنها أحد، حتى أشتهر أمرها عبر إعلام داعش الأفغاني الذي وسع من تفجيراته المعهودة ضد الأهالي والأهداف المدنية، إضافة إلى أحكامه «الدينية» التي لا يوافقه عليها أحد.

لكن ذلك لا يمنعه من ضرب الركاب وحرق الأحياء وتعذيب المختطفين وانتهاك كل المحرمات، حتى وصفهم أحد الشخصيات الإعلامية والسياسية من حركة طالبان بأن (هؤلاء الدواعش ليسوا مجاهدين ولا حتى مسلمين، وبهم من الدناءة ما يكفي لكشف هويتهم الحقيقية). وكان ذلك الإعلامي المؤرخ يعبر عن عدم رضاه عن تلك الرسالة المفتوحة التي وجهتها الإمارة الإسلامية إلى داعش وما حوته من مجاملات وعبارات مديح سبقت ذكر الاعتراضات مع تهديد مبطن موجه إلى داعش وتحركها التدميري في أفغانستان.

وترى الإمارة أن تحرك داعش يهدر جهاد أربعة عشر عاما خاضها الشعب الأفغاني بنجاح تحت قيادة حركة طالبان. وكأن داعش جاءت الآن خصيصا لإنقاذ الأمريكيين من ورطتهم في ذلك البلد.

وحسب الشهود فإن الدواعش تلقوا دعما جويا من الطائرات بدون طيار أثناء قتالهم ضد مجاهدي حركة طالبان في ولاية ننجرهار، كما تلقوا أيضا «إسنادا كاملا» من الجيش الباكستاني. وباكستان قدمت خدمات لوجستية للدواعش إلى جانب اغتيال المخابرات الباكستانية لحاكم ولاية ننجرهار الحدودية والمعين من قبل حركة طالبان.

عدد كبير من الدواعش قدموا إلى أفغانستان من المنشقين عن حركة طالبان الباكستانية، ويعتقد أهالي المنطقة أنهم مجرد رعاع «بلطجية» قدموا من مناطق باكستان القبلية وتديرهم المخابرات الباكستانية ضمن مخطط تدميري مشترك مع الأمريكيين وحكومة كابل لإغراق البلاد في فوضى ومنع أفغانستان من النهوض مرة أخرى على أسس إسلامية صحيحة، لتكون عضوا طبيعيا ضمن دول آسيا القوية والناهضة.

رافد بشرى آخر لداعش أفغانستان جاء من الجماعة الإسلامية الأوزبكية، بعد استشهاد مؤسسها محمد طاهر، الذي كان مقاوما للتأثيرات السلفية الوهابية على مجموعته. هؤلاء الأوزبك كانوا واقعين تحت ملاحقة خاصة من الجيش الباكستاني والطيران الأمريكي، فقتل عدد كبير من رجالهم لدرجة أن بعض تجمعاتهم خلت من الرجال ولم يتبق سوى نساء وأطفال. فساعدتهم الإمارة الإسلامية في أفغانستان وقدمت لهم حركة طالبان مأوى في عدة مناطق من البلاد وكعادة التنظيمات المسلحة، ما أن شعروا بالأمان حتى شرعوا في ضرب المجتمع الذي آواهم، فبدأوا كالعادة أيضا بتكفير كل من حولهم من بشر، ثم بتفجير كل ما يمكن تفجيره، مع

تمويل أنفسهم بعمليات الاختطاف وطلب الفدية، إلى جانب العمليات الدعائية مثل قتل المسافرين الشيعة على الطرقات وفي وسائل النقل الخاصة والعامة، وتفجير المزارات والبنوك مع روادها من زبائن وموظفين، ثم اختلاق المبررات الشرعية لاتخاذ سبايا من «المشركين والكفار» أي كل من هو ليس بداعشي من المحيط السكاني.

رسالة طالبان إلى داعش جاءت بتوقيع «ملا آختر منصور» كمساعد لزعيم حركة طالبان، ورئيس اللجنة السياسية (وأمير المؤمنين في وقت لاحق بعد وقت قصير من إصدار تلك الرسالة). ونشرت الرسالة على مواقع الإمارة الإسلامية بعدة لغات بما فيها العربية والأوردية والفارسية. وفي ذلك ظهور كامل إلى العلن لخلاف طال التكتم عليه وغابت معظم تفاصيله حتى عن معظم المتابعين.

القسم الخاص بالمجاملات في تلك الرسالة يحتاج إلى بحث خاص لعدة اعتبارات سيأتي ذكرها في الموضع المناسب. أما القسم الخاص بالتحذيرات المؤكدة حول خطورة تحركات داعش على حاضر أفغانستان وجهاد شعبها ضد الاحتلال فيشغل معظم الرسالة التي تنتهي بتحذير واضح في سطورها الأخيرة حيث تشير إلى أن (دفاعا عن مكتسباتها وانتصاراتها التي حققتها بعد تقديم تضحيات هائلة قد تضطر الإمارة إلى رد فعل مناسب). وتلك هي أقوى عبارات البيان العلني وفيها القول الفصل الذي تدور حلقاته على أرض أفغانستان.

بيان صدر باسم الملا محمد عمر قبل الإعلان الرسمي عن وفاته، وفيه تحذيرا أقوى وأشد حسما باستخدام القوة من الآن فصاعدا ضد عدوان داعش على مجاهدي أفغانستان وشعبها، فيقول البيان: (ولذلك أصدرنا الأوامر لجميع مجاهدينا بإحكام وحدة الصف، وأن يسدوا بقوة طريق كل من يقوم بإيجاد الخلافات، ويدمر هذا الصف الجهادي، ويسعى لتفريق المجاهدين).

وبهذا حسمت أفغانستان موقفها إزاء داعش وأعمالها العدوانية وتفريقها لصفوف الأفغان، بالتصدي لداعش / حسب ما هو واضح من تصريحات طالبان/ بالنصيحة والموعظة ثم بالسلاح إذا حاولت المضي قدما في غيها.

تقول حركة طالبان أنها سيطرت على الموقف في إقليم ننجرهار شرق أفغانستان، رغم الدعم الأمريكي والباكستاني للدواعش. وكذلك هو الوضع في غرب أفغانستان وتحديدا في إقليم «فراة»، الذي أصبح هو الآخر تحت السيطرة، فتم إخماد فتنة الدواعش وطردهم من تلك الولاية. وتتداول أوساط إعلامية من خارج حركة طالبان أن هناك جيوبا لداعش في شمال أفغانستان، وأن لديهم معسكرات تدريب أيضا.

الرؤية الاستراتيجية لحركة طالبان ترى أن فتنة داعش في أفغانستان هي مصيدة أمريكية نصبها الاحتلال لحركة طالبان لاستنزاف جهودها وشغلها عن مقاومة الاحتلال ونظامه الفاسد في كابول. في مقابل ذلك تتفادى الإمارة قدر الإمكان المواجهات المسلحة المباشرة مع الدواعش، وتترك مهمة طردهم للعلماء وزعماء القبائل الذين ينشرون بين الناس الوعي بخطورة معتقداتهم الدينية وآرائهم المخالفة لآراء العلماء الأحناف في أفغانستان. وقد انتشر الوعي بين الشعب الأفغاني بحقيقة الدواعش وسوء أخلاقهم طبقا لشهادة كاتب من حركة طالبان.

من دلائل نجاح سياسة طالبان في مكافحة داعش ليس فقط تطهير المناطق الحساسة منهم، خاصة في أقاليم الشرق والغرب، ولكن أيضا فرار الأسماء المشهورة من الذين ارتبطوا بداعش سابقا، واختفاؤهم من بين صفوفه وفي نهاية المطاف وعند الضرورة تستخدم البندقية بقدر الحاجة إليها، دفاعا عن وحدة الشعب المجاهد ووحدة صفوف المجاهدين. لهذا تعتبر حركة طالبان أن (إيجاد أي جماعة أو صف آخر في مقابل صفها عملا مخالفا لمصالح الإسلام والجهاد والمجاهدين) حسب البيان الصادر عن اللجنة السياسية الذي دعا تنظيم داعش إلى عدم التدخل في شئون أفغانستان وحركة طالبان، وأن يكون ذلك موقفا متبادلا بين الطرفين.

ومازالت داعش تسعى إلى شق صفوف حركة طالبان لاستقطاب من استطاعت من قياداتها وكوادرها، ولكنها حتى الآن فشلت في ذلك المسعى فشلا ذريعا حيث أن الحركة تحظى منذ بدء

نشاطها عام ١٩٩٤ بترابط تنظيمي وقيادي ليس له نظير في أفغانستان، أو في أي تنظيم إسلامي آخر خارجها، على الرغم من صدمة وفاة القائد المؤسس للحركة الملا محمد عمر، وتولى أختر منصور القيادة مكانه في ملابسات تشي بتدخل باكستاني من العيار الثقيل، قد يصل إلى درجة دعم انقلاب داخلي وصولا إلى تبديل مسار الحركة وفقا لمتطلبات باكستان وليس الشعب الأفغاني.

وحتى الآن لم تنجح داعش في أفغانستان سوى في ضم الذين طردوا من صفوف طالبان بسبب تجاوزات سلوكية خطيرة.

تجربة جهاد الأفغان ضد السوفييت ماثلة بقوة في موقف حركة طالبان إزاء اختراقات داعش التنظيمية، فقد ضاعت ثمار ذلك الجهاد وتضحيات حوالي مليوني شهيد بسبب تعدد التنظيمات وصراعاتها وفسادها، وتوظيفها الخونة والمجرمين في صفوفها «كمجاهدين». وذلك ما تحاول داعش تكراره مرة أخرى في أفغانستان بعد أن أوشكت المعركة على نهايتها، وانسحبت بالفعل معظم قوات الاحتلال الأمريكي وحلفائه، وسيطرت حركة طالبان على أكثر من ثلاثة أرباع البلاد، وهي تكتسب المزيد من الأراضي في كل يوم. في هذا الوقت الحاسم تظهر داعش بكل دمويتها وفوضويتها فيضطرب بوجودها الصف وتدق الفتن الأبواب بعنف داعشي لم تشهد أفغانستان له مثيلا رغم هول ما شاهدته من ميليشيات إجرامية، مثل «جلم جم» الماركسية الأوزبكية و» تحالف الشمال» الذي تقدم صفوف جيوش الاحتلال في نظير خمسة ملايين دولار.

جاء استدعاء الولايات المتحدة لميليشيات داعش من منطقة الشرق الأوسط بهدف غزو أفغانستان لاتخاذها قاعدة عمليات داعشية ضد دول المنطقة المحيطة بأفغانستان، وفي مقدمتها الصين وإيران والهند وروسيا وجمهوريات آسيا الوسطى التي تمثل الحزام الاستراتيجي لروسيا الاتحادية.

والأهم هو القضاء على إمكانية بناء أفغانستان إسلامية جديدة وعصرية، لصالح شعبها كدولة مستقلة ذات سيادة، على نفس الأسس الثقافية والدينية والأخلاقية التي تمسك بها الشعب الأفغاني ودافع عنها بكل قوة على مدار التاريخ ضد غزوات أكبر الإمبراطوريات الاستعمارية في العالم.

التأسيس «لفوضى خلاقة» في أفغانستان هي الشغل الشاغل للاحتلال الأمريكي منذ لحظاته الأولى في ذلك البلد. مدركا أن الخلافات الداخلية هي أسهل طرق السيطرة وفقا لحكمة الاستعمار البريطاني (فرق تسد) وهي قاعدة فعالة في أفغانستان بوجه خاص. لقد استخدم الاستعمار الأمريكي الاختلافات العرقية بشكل فعال، باعتماده على « تحالف الشمال» كقوة ضاربة في يده، وإلى جانبهم تجار دماء من الجهاديين «السنة»، مع مذهبيين من الأحزاب المسلحة «الشيعية»، ضمن تنوع سياسي ضم شيوعيين سابقين وإخوان مسلمين، وعملاء الليبرالية المتوحشة الجديدة من الأفغان المتجنسين حاملي جوازات دول الاحتلال.

حركة طالبان تخطت ببراعة، ولكن بأثمان غالية من دماء كوادرها، جميع العقبات القبلية والحزبية والمذهبية، ونشرت رابطة الإسلام الجامعة فوق جميع فئات الشعب وبرهنت على صدقيتها في ميدان المعارك وسط حصار إقليمي ودولي خانق وتجاهل إسلامي شامل.

أوشكت الفوضى الخلاقة أن تنهار وينفلت زمامها في المجتمع الأفغاني، ومن الآن انعكست تأثيراتها السلبية حتى على المعسكر الموالي للاحتلال الذي تفككت مكوناته العرقية والسياسية، ما بين كتلة تحالف الشمال الذى باع وطنه، ويمثله على رأس السلطة الرئيس التنفيذي للدولة «عبد الله عبد الله». ثم كتلة عصابة الليبرالية الجديدة ويمثلها الرئيس «أشرف غني» الموظف السابق في البنك الدولي، وهو موفد الاحتكارات المالية والاقتصادية الطامعة في مصادرة ثروات أفغانستان الهائلة، ويعتبر «غني» موظفا لديها في أفغانستان بمرتبة رئيس دولة «مكرر» بالمشاركة مع «عبد الله» طبقا لتقسيم ديموقراطي عبقري فرضه فوق أسنة الرماح جون كيري وزير الخارجية الأمريكي.

كان لابد من «دماء جديدة» لإنعاش سياسة «الفوضى الخلاقة» المترنحة على الأرض الأفغانية، فاستدعى الاحتلال الأمريكي «داعش» على عجل لا تتحمله ظروف أفغانستان. ذلك الاستعجال أتلف «الطبيخ الداعشى»، بفعل مجهودات حركة طالبان، الخبيرة بالسياسة الداخلية في أفغانستان بمقدار خبرتها في هزيمة جيوش الناتو، وبمشاركة وثيقة من العلماء وزعماء القبائل، وأخيرا ضربات رادعة من قوات طالبان عند الضرورة القصوى.

المعسكر التابع للولايات المتحدة تضرر هو نفسه من جراء سياسة (فرق تسد). وظهر أن معسكر الليبرالية المتوحشة بقيادة الرئيس «غنى» يتأهب لصدام مصيري مع لوردات الحرب من «تحالف الشمال». وحتى القوات الأمريكية بدأت تشعر بأن ذلك التحالف الشمالي أخذ ينفض يده بهدوء من التحالف معها عندما رأى أنها سحبت معظم قواتها، وأن القلة الباقية (عشرة آلاف جندي أمريكي) سوف تنسحب بعد وقت ليس ببعيد، بينما قوات طالبان تواصل ضغطها، وأصبحت قوية ونشطة في العاصمة أكثر من أي وقت مضى.

من جانبهم فإن لوردات تحالف الشمال بدأوا في إحياء تحالفهم القديم والتقليدي مع كل من روسيا وإيران أكبر داعمي التحالف في مواجهة طالبان أثناء فترة حكمها الأول، فكان إحياء ذلك التحالف مبررا لتوجيه ضربة أمريكية لأحد المخازن الضخمة للأسلحة والذخائر والتي كان يخفيها أحد كبار قادة تحالف الشمال بالقرب من العاصمة.

يرى المحلل السياسي (عبد الرحيم ثاقب) أن ذلك الإجراء الاستثنائي الكبير كان بداية لصراع خفي بين الأمريكيين من جانب وبين روسيا وإيران من جانب آخر. وأن حزب الجمعية الإسلامية أحد أبرز أعمدة تحالف الشمال والذى اغتيل زعيمه برهان الدين رباني (إخوان مسلمين) عام ٢٠١١، ذلك الحزب ثارت ثائرة رموزه الكبيرة نتيجة تلك ضربة الأمريكية المفاجئة، والتي دافع عنها الجنرال «كمبل» قائد القوات الأمريكية في أفغانستان حين وصف الأسلحة بأنها «غير قانونية»، وأنها كانت تستخدم ضد قواته والقوات الأفغانية معا. وذلك دفع محللين إلى القول بأن روسيا وإيران شرعا يستخدمان تحالف الشمال حليفهما القديم ضد القوات الأمريكية. وأن الروس يرون في ذلك تعويضا عن مستنقع أوكرانيا الذى رتبته لهم الولايات المتحدة، وإضعاف مركز روسيا الجيوسياسي في الشرق الأوسط خاصة في العراق وسوريا، ناهيك عن اليمن وليبيا.

الضربات الأمريكية غير المتزنة تدل على اضطراب عقلية الاحتلال واهتزاز منظومة تحالفاته، وفقدانه السيطرة على وتيرة الضربات العسكرية. ومثال ذلك تلك الضربة الجوية بطائرات بدون طيار ضد داعش في ننجرهار شرق البلاد. بعد أن دعمهم سابقا بنفس الطائرات، وبأعوانه في الجيش الباكستاني الذى قدموا دعما مدفعياً ولوجستيا واستخباريا للدواعش. الضربة الجوية قتلت والى خراسان الداعشى.

تتغير التحالفات الأمريكية طبقا لتغير المصالح، بدون اعتبار لأى عوامل أخلاقية، فالعملاء ليس لهم أي قيمة في حساب الاحتلال. فقد تقصف عملاءها في شرق البلاد وتقدم لهم الدعم في غربها. وهذا ما يحدث في العراق وسوريا واليمن كنماذج في علاقة الأمريكيين بداعش والقاعدة وباقي أفرعهما وتشققاتهما، وهو ما يجرى تطبيقه الآن في أفغانستان. وفى المستقبل القريب سوف تهرب القوات الامريكية من كابول تاركين عملائهم من ليبراليين وإخوان ودواعش وماركسيين، فوق سطح السفارة الأمريكية هناك .. فهل تتسع لهم ؟؟

الراصد
www.alrased.net
سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة
الراصد ١٦٢ ربيع أول ١٤٣٨هـ
شيعة العرب ..
مليشيات إرهابية مشروعة!
هم الغالبون
10
ثورات الخوارج (2) ابن سبأ وأتباعه بعد مقتل عثمان
26
التطبيع الفني بين مصر وإيران .. "زووم" حول الهدف
31
النقد الذاتي عند الإسلاميين (2) الإسلام السياسي

المحتويات

فاتحة القـول

- شيعة العرب... مليشيات إرهابية مشروعة! ٢

فرق ومذاهب

- من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا... ١٣- إبراهيم عيسى ..... فادي قراقرة ٤

سطور من الذاكرة

- ٢- ثورات الخوارج ابن سبأ وأتباعه بعد مقتل عثمان ..... هيثم الكسواني ١٠

دراســـــــات

- التسوية والمصالحة في المجتمع العراقي ..... سمير الصالحي ١٣
- ما هي الوحدة التي تنشدها إيران؟ ..... محمد عثماني ١٦
- التمدد الشيعي في موريتانيا... حقائق الواقع ورهانات المستقبل ..... محمد خليفة صديق ١٨
- إسلاميو ما بعد الحداثة وقضايا المرأة... الهلالي نموذجاً ..... فاطمة عبد الرءوف ٢٣
- التطبيع الفني بين مصري وإيران... "زووم" حول الهدف ..... أسامة الهتيمي ٢٦

كتاب الشهر

- النقد الذاتي عند الإسلاميين (٢) الإسلام السياسي ..... أسامة شحادة ٣١

قالوا

..... ٣٥

جولة الصحافة

- أجندة ترامب للشرق الأوسط: الفرص والتحديات ..... علي حسين باكير ٣٧
- هل يمتلك ترامب سياسة محددة تجاه إيران؟ ..... علي حسين باكير ٣٩
- الجماعات الإرهابية وقوة التأثير الناعمة ..... د. عبد الله بن خالد بن سعود الكبير ٤٠
- المدرسة الإيرانية لفنون السياسة وصناعة الإرهاب! ..... حامد الكيلاني ٤٢
- جسر إمبراطوري إيراني بين القصير السورية وتلعفر العراقية ..... حازم الأمين ٤٤
- داعش وإيران والمهمة المشتركة ..... د. محمد السلمي ٤٦
- دلالات تصنيع إيران أسلحتها في المستعمرات العربية ..... محمد زاهد جول ٤٨
- التهجير القسري في القانون الدولي دماج... تعز نموذجاً ..... د. عبده سعيد المغلس ٤٩
- العقارات... سلاح إيران الأقوى في غزو العواصم العربية ديموغرافياً ..... محمد عبود ٥٠
- بالأدلة... السعودية تواجه مخططاً إعلامياً يقوده اللوبي الأميركي الإيراني ..... جوزيف براودي ٥٢
- حلب والموصل والمستنقع والبعوض ..... د. محمد السعيدي ٥٩
- سر الهجوم الإماراتي على الجفري بعد اعتذار قاديروف والأزهر لـ "السعودية"! ..... محمد عطيفي ٦١
- قانون "الحشد الشعبي" أم "فيلق مكة"! ..... موفق خطاب ٦٢
- ما هو مستقبل المقاتلين الشيعة؟ ..... طارق الحميد ٦٤
- شعوبية فارسية على أنغام "الشاهنامة" ..... إحسان الفقيه ٦٥
- بهائيون في جلسات دعاء تضم مسلمين ومسيحيين وكل يقرأ من كتابه ..... سلام الشماع ٦٧
- هل تخترق الطريقة الأحمدية القاديانية عقول شباب الجزائر؟ ..... رياض معزوزي ٦٩

الرائد

www.alrased.net

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٢)
ربيع الأول- ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

شيعة العرب...
مليشيات إرهابية مشروعة!

يأتي قرار البرلمان العراقي بإقرار قانون الحشد الشيعي والذي يمنح هذه المليشيات الطائفية والإرهابية المشروعية والسند القانوني ليتوج مسيرة حافلة من الإجرام والبطش والإرهاب والطائفية للشيعة العرب من مختلف البلدان وعبر عشرات السنين.

فالشيعة في لبنان مارسوا كافة أشكال الإرهاب والطائفية بحق كل المذاهب والأديان والقوميات، بل وبحق بعضهم البعض منذ نهاية سبعينيات القرن الماضي، ثم صدروا الإرهاب للعديد من الدول العربية والإسلامية والعالمية، والآن يتوجون ذلك بأبشع صور الإرهاب والإجرام والطائفية علنا في سوريا، وبلغت الوقاحة في زعيم شيعة لبنان حسن نصر الله أن يصرح أن أفضل عمل وخطاب له ليس مهاجمة الشيطان الأكبر ولا شتم اليهود والصهاينة، بل أفضل أعماله هو خطابه لنصرة إرهابيي شيعة اليمن الحوثيين ضد السعودية، لتسقط الأقنعة ولتظهر الحقيقة لمن يملك عقلاً حراً وفؤاداً حياً.

ومع كل هذا الإجرام في الداخل والخارج إلا أن شيعة لبنان بشقيهم (أمل وحزب الله) هما موضع ترحيب ومشاركة سياسية الداخل والخارج، وتم تنصيب حليفهم عون رئيساً للبنان بعد تعطيلهم البرلمان والحكومة والرئاسة أكثر من سنة ونصف!

وأما شيعة العراق، فبعد نشوب الحرب مع إيران انقسموا إلى ثلاثة أقسام: قسم والوا إيران على العراق مثل آل الحكيم الذين أسسوا المجلس الإسلامي الأعلى في طهران لمحاربة العراق، وحزب الدعوة الذين هرب أتباعه إلى إيران وحاربوا العراق من هناك، وقسم ثانٍ شارك في حرب إيران لكنه حين وقع أسيرا في يد الإيرانيين تحول لخدمتهم وهم المعروفون باسم التوابين، وقسم ثالث بقي في العراق لم يعلن العداء للدولة ولا العمالة لإيران.

لكن عقب الاحتلال الأمريكي والإيراني رأينا غالبية القسم الثالث لا يختلف في مواقفه الطائفية والإرهابية - عن القسمين الأولين إلا بالشعارات كتيار مقتدى الصدر وجيشه جيش المهدي- بحق جيرانهم وشركائهم السنة، بل حتى الفلسطينيون اللاجئون للعراق لم يسلموا من إرهاب جيش المهدي وإجرامه، ولم تكن الخلافات بين الشيعة إلا على مقدار السيطرة والنفوذ، أما الإجرام والطائفية والإرهاب ضد أهل السنة فهم يتنافسون فيه، ولعل مشاركة تيار مقتدى على إقرار قانون الحشد الشيعي برهان على ذلك.

والعجيب أن الإجرام الشيعي والإرهاب الذي مارسته المليشيات الشيعية كان بدافع طائفي شيعي معلن من كبار القيادات الدينية كما تجسد في فتوى مرجعهم السيستاني بتشكيل الحشد الشيعي ومباركة كافة القيادات السياسية والحزبية الشيعية، ومع ذلك لم يكن هناك موقف حقيقي من المجتمع الدولي والعربي ضد هذا الإرهاب.

وبرغم أن بعض المليشيات مصنفة على قوائم الإرهاب العالمية وبعضها يتبع إيران علنا بحجة طاعة الولي الفقيه، وشاركوا في الإرهاب والإجرام خارج العراق في سوريا بحسب أوامر الولي الفقيه إلا أن نواب الشيعة وبعض خونة نواب السنة كسليم الجبوري صاحب الحزب الجديد قد شرعنوا هذه المليشيات وحولوها لجزء من الجيش الوطني! تحت سمع العالم وبصره!

وفي البحرين أيضاً قام الشيعة - عرباً وعجماً- بمحاولة الانقلاب على الحكم قديماً بداية حكم الملالي وحديثاً مع الربيع العربي، وما بين الانقلابين وبعدهما لا تزال عملياتهم الإرهابية قائمة على قدم وساق تجاه الممتلكات الخاصة والعامة والمواطنين والمقيمين وأفراد الأمن، وكل هذا الإجرام يتم برعاية السفارات الدولية والغربية، وتصدر نصرة لهم دوما بيانات وتصريحات دولية وتصريحات من مؤسسات أممية ومدنية تدافع عن إرهابهم وإجرامهم وتحول دون تقديمهم للعدالة وإنفاذ القانون بحقهم، وكأننا نعيش في عهد الدماء الزرقاء التي لا تنطبق

عليها القوانين، حين كان يطبق القانون على البسطاء كأهل السنة بالإعدام بقطع رؤوسهم، بينما رؤوس (النبلاء) كالشيعة يقطع ظلها على الأرض!!

وفي الكويت منذ قيام سلطة الملالي ساهم شيعة الكويت باستضافة الإرهابيين من شيعة العراق ولبنان لمحاولة اغتيال أمير الكويت ونفذت عشرات التفجيرات ضد المنشآت الرسمية والمدنية والشعبية، وقاموا بخطف طائرتين كويتيتين، ثم زاد بهم الحماس فصدّروا بعض شبابهم للتفجير في مكة المكرمة في موسم الحج!

وفي السنوات الأخيرة قاموا علنا بتكريم وإحياء ذكرى مختطف الطائرات الكويتية اللبناني عماد مغنية وشبابهم الذين شاركوا بمحاولة التفجيرات في مكة!

وبعد الثورة السورية تورط شيعة الكويت برعاية نوابهم في البرلمان بدعم الميليشيات الشيعية العراقية وغيرها بالمال والدعم السياسي في قتل الشعبين السوري واليمني، ثم كشف عن خلية العبدلي والتي تؤكد عسكرة شيعة الكويت، لحجم السلاح المضبوط من مزرعة واحدة فقط! ثم جاءت مخيمات العبدلي هذه الأيام لتبرهن مرة أخرى على عسكرة شيعة الكويت كما تظهره طريقة تصميم هذه المخيمات واستقبالها آلاف الشيعة من البحرين والسعودية!

ولعل من مظاهر شرعنة إرهاب شيعة الكويت أن النائب الشيعي الكويتي السابق عبد الحميد دشتي والمطلوب للإنتربول على ذمة قضايا عدة في الكويت يتنقل عبر أرجاء العالم علناً، بل ويشارك بكل وقاحة واستخفاف في ندوات ومؤتمرات رسمية تابعة للأمم المتحدة!!

ولم تقتصر العسكرة والميليشياوية على أتباع الولي الفقيه في الكويت، بل حتى ياسر الخبيث أعلن من لندن عن تأسيس جيش شيعي!

ولا يختلف الحال مع شيعة السعودية والذين قاموا بأعمال فوضى وتخريب في المنطقة الشرقية بتأليب من الخميني بداية وصوله للسلطة، ثم تواصلت أعمالهم الإرهابية والتي كانت بتحريض من نظام الملالي ومن قيادة التيار الشيرازي المعارض لولاية الفقيه الإيراني!

وبعد تبدل الظروف وإعلان بعضهم التخلي عن السلاح، واصل البقية الإرهاب وأصبح هؤلاء يقدمون الغطاء الفكري والسياسي والإعلامي عن المظلومية الشيعية وأحياناً من على المنابر الرسمية! ولليوم لم تتوقف عملياتهم الإرهابية ضد رجال الأمن في تنفيذ حرفي لغاية وجود الخلايا النائمة لصالح إيران في الدول المعادية لإرباكها وزعزعة أمنها الداخلي وإشغالها عن التمدد الشيعي والإيراني في المنطقة.

وأخيراً يأتي الحوثيون الذين اتصلوا بثورة الخميني في بدايتها، وبعد الإعجاب بالنفَس الثوري فيها أصبح هناك تحول فكري كبير من الزيدية إلى الإمامية، وأعقب ذلك بداية مسيرة إرهابية مستمرة منذ أكثر من عشر سنوات، ولحد اللحظة، نشبت فيها سبع حروب بين الحوثيين والدولة اليمنية!

وبرغم الانقلاب العسكري المعلن على الدولة اليمنية والاستيلاء على سلاح الجيش وأموال البنك المركزي واعتماد سياسة طائفية ضد الخصوم وإرهابية بحق الأبرياء، إلا أن الحوثيين لا يزالون شريكا مطلوبا على طاولة المفاوضات برغم إفشالهم لكل المفاوضات السابقة والانقلاب عليها، ويتم مراعاة مطالبهم والحيف على الشرعية اليمنية لصالحهم.

الخلاصة أن الشيعة العرب في الحقيقة هم ميلشيات مسلحة تبطش بالأرواح بعشرات الآلاف ولم تترك جريمة إرهابية لم ترتكبها أو ممارسة طائفية لم تمارسها، ولكنها مع ذلك تحظى بالوضع القانوني في الداخل والخارج!

وهذا ما كان ليكون لولا أن دولة الملالى نفسها راعية الإرهاب في العالم التي يتعامل معها العالم كدولة محترمة ويعقد معها الصفقات كصفقة النووي، وذلك أنها فهمت المعادلة بعد نوع من التخبط في بداية نشأتها، الإرهاب ممنوع إذا مس المصالح الدولية لكن إن اقتصر على الإرهاب والإجرام بحق المسلمين فكل الخطوط الحمراء تزول وكل الإشارات الحمراء تتحول لخضراء بيسر وسهولة!

وبعد كل هذا لا يزال بعض سذج السنة ينادى بالحوار مع الشيعة والتلاحم الوطني، وذلك بسبب وجود أفراد وشخصيات شيعية لديها خلافات مع القوى الشيعية، وهؤلاء الأفراد بعضهم من غلاة الشيعة كالمرجع الصرخي الذي يصرح علناً بشتم وسب الخلفاء الراشدين مثل ياسر الخبيث، فأين خير ترجون منه؟ والبعض الآخر خلافه مع القوى الشيعية بسبب إقصائه وإبعاده عن القيادة والريادة، وحتى لو كان خلافه فكريا معهم، فهم أفراد لا حضور لهم في الشارع الشيعي بل هم في المنافي، ولا تأثير لهم في الواقع الشيعي، فالقيادات السياسية والاجتماعية والدينية والحاضنة الشيعية الشعبية كلها تصطف علناً خلف ميلشياتها الإرهابية.

هذه هي حقيقة الشيعة العرب، رضي من رضي، وغضب من غضب، وعلى هذا الأساس يجب أن يكون التعامل معهم، وإلا بقيت ميلشياتهم تقتل أهلنا وتدمر مدننا ونحن نرفع شعارات الحوار!

من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا
١٣- إبراهيم عيسى

إعداد: فادي قراقرة– كاتب فلسطيني - خاص بالراصد

لاشك أن الفكر العلماني يشكل أزمة في النطاق العربي والإسلامي، ولا شك أن النفسية المنبعثة من ذلك الفكر المتغرب مهما حاول تبرئة نفسه تحت ألفاظ ومشتقات الوطنية والتنويرية، والإبداع والحرية، سيبقى فكرا مؤذيا ومخربا لأنه فكر منحرف بذاته، ولا يخرج إبراهيم عيسى الذي نقوم بتحليل أفكاره المنحرفة والمتناقضة، عن هذا النمط الشائن والمتدني من الأفكار التي تتسم بالتهور والطيش حينا، وبالتعالي والنقد الباطل حينا آخر، حتى أصبح فكره باطلُه يغلب حقه، ويفوق خطؤه صوابه، وبصورة ممتلئة بالأحقاد وسوء النية.

الوعي بحقيقة ما يبثه هؤلاء الناعقون عبر الفضائيات ضرورة مهمة لا بد منها للدعاة الصادقين، وعلاج ومحاربة هذه الأفكار تحتاج للحكمة والرويّة، خصوصاً مع هذه الحالة التي أخبر عنها النبي ﷺ عنها من تكالب الأمم علينا: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلّة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوّكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت) رواه أبو داود في سننه.

وينطبق على إبراهيم عيسى ما قاله الحبيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيهاالرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة) رواه ابن ماجه وأحمد.

سيرته الذاتية: ولد إبراهيم السيد إبراهيم عيسى في مدينة قويسنا في محافظة المنوفية عام ١٩٦٥م، ثم درس الإعلام بجامعة القاهرة، بدأ إبراهيم عيسى في العمل الصحفي وهو طالب في السنة الأولى بالتحاقه للعمل بمجلة روز اليوسف المشبوهة قولا وعملاً، وهذا يكشف عن انحرافه المبكر والذي ترسخ مع الزمن، ولكن الذي اختلف هو نوع الانحراف الذي يبثه وينشره ويسخر ذكاءه له!

وقد تمكن من الصعود في عالم الصحافة

حتى تولى رئاسة عدد من الصحف الأسبوعية واليومية، ومن ثم دخل في عالم الفضائيات وأصبح نجما مشهورا، وله حضور وتأثير، ولكن بقي راسخاً في الانحراف وبثه مع التقلب بين الشاشات بحثاً عمّن يدفع أكثر، ولذلك تعددت حالات طرده والاستغناء عن خدماته!

البداية اليسارية

بدأ إبراهيم حياته في الخط اليساري، ولذلك ترسخ في منهجه مهاجمة الإسلام ومهاجمة نظام مبارك وحب التحريض والإثارة وصدمة الجمهور، وقد بقيت معه هذه السمات الثلاث مع التغير أحياناً في الزاوية التي ينطلق منها.

مهاجمة الإسلام من أرضية اليسار

لا يختلف اثنان على أن عداء إبراهيم عيسى للتوجهات الاسلامية ثابت أصيل لمنهجه عبر السنين برغم تقلبات الأفكار والمنابر والتمويل الذي عرفه في مسيرته، ففي البداية كان هجومه على الإسلام هجوما عاما ومن خارج الإطار الإسلامي حين كان في حضن اليسار، ويظهر هذا بوضوح في تصريحاته التي كتبها أو نطق بها، ففي كتابه المعنون بـ (كتابي عن مبارك وعصره ومصره) الصادر عن مكتبة مدبولي بمصر عام ٢٠٠٨، فلم يخفِ فيه طعونه بعدم صلاحية الإسلام للحكم، ومن المريب السماح بطباعة هذا الكتاب، وعن سر عدم منعه برغم مهاجمته لنظام مبارك، مع العلم بأن كتب بعض الصحفيين ممن واراهم التراب كانت ولا زالت ممنوعة أمثال محمد جلال كشك رحمه الله!!! وهذا يؤيد التحليل الذي يجعل من إبراهيم عيسى أداة موثوقة لتفريخ الغضب الشعبي ضد نظام مبارك، ولذلك تم الإفراج عنه دون غيره من الصحفيين والإعلاميين الذي غضب عليهم مبارك!

نعود لكتابه صفحة (١٥) حيث قال: (هذه المناهج التي كتبها فقهاء السلطة ووعاظ السلاطين لا حاجة لنا بها، هذه المناهج يجب أن تتغير ونثور ضدها حتى لو كانت أمريكا تريد ذلك، فنحن لسنا هبلاً وعبطاً كي نصر على التخلف والتطرف من أجل معاندة أمريكا)!! وهذا اتهام مبطن للإسلام بالعمالة لأمريكا، واتهام للتراث بالسفاهة والجنون، وبذلك أسقط الماضي والحاضر بخبث بارع، يظهر وبكل وضوح حجم الكره الفاجر في كلام عيسى للإسلام والتيار الإسلامي ويشكل مدى ترسخ وثبات الفكر اليساري والعلماني في شخصيته!!

مشكلة إبراهيم عيسى مع نفس التيار الإسلامي ونفس المبادئ التي يقوم عليها هذا التيار؛ ويظهر هذا الخطاب العدائي لكل ما هو إسلامي في كتابه المعنون بـ (أفكار مهددة بالقتل)، حيث أشاد فيه بعقلية سلمان رشدي صاحب كتاب (آيات شيطانية) وعقلية المدافع عن سلمان رشدي الملحد صادق جلال العظم في ذات الوقت الذي طعن فيه بعدد من الشخصيات لمجرد انتسابهم للتيار الديني بشكل عام!! بل بلغت به الجرأة لوصف المعادين لطريقة سلمان رشدي بأنهم متخلفون في نفس الكتاب، صفحة (١٠٥)!

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]،

هكذا أخبرنا الله عز وجل في القرآن الكريم عن حقيقة الجاحدين وكيف تكشفهم ألسنتهم وأقوالهم.

كرهه للإسلام والقرآن دفعه لمحاولة بائسة للانتقاص من القرآن الكريم من خلال الطعن بالإعجاز العلمي فيه، فيقول في كتابه (كتابي عن مبارك وعصره ومصره) (ص٤٠): (إذا القرآن الكريم يحتوي على إعجاز علمي فممكن تطلع لنا من آياته كيفية صناعة قنبلة نووية أو وسيلة طبية لمعالجة فيروس سي!!)، في بلطجة فكرية بكل مقاييسها!!.

كذبه في تشويه الإسلام

الكذب هي عادة المفلسين ممن لا يمتلكون الحجة على صحة دعاواهم؛ وإبراهيم عيسى في عدائه للإسلام ورموزه مارس الكذب باختراع مفتريات أو نقل كذب الآخرين بشكل كبير، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

❖ ادعى أن عمر بن الخطاب أمر بقتل أهل الشورى ممن ينازع في أحقية من اختير للخلافة بعده، وهذه كذبة شيعية[١].

❖ زعمه بأن الصحابة تضاربوا بالنعال من أجل الحصول على الحكم.

❖ زعمه أن أبا هريرة رضي الله عنه لم يكن في يومٍ من أصفياء النبي ولا من أحبائه ولا وضعه أحد من العلماء في طبقات الصحابة!!

❖ ادعى أن أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي يحتفظ بجثث أعدائه الذين قتلهم في غرفة بقصره، وقد نقل ذلك عن كتاب (بلاط الخلفاء) للمستشرق البريطاني هيو كينيدي!![٢]

❖ ادعى أن صلاح الدين الأيوبي زرع اليهود في فلسطين ليقوموا فيما بعد باحتلالها[٣].

❖ زعمه أن غالبية الشعوب في دول الخليج شيعية المذهب (ما عدا السعودية)!!![٤]

إن تتبع كذبات إبراهيم عيسى أمر شاق لكثرتها، ولكن في هذه الأمثلة إشارة لمستوى انحطاط كذباته وسعة دائرتها.

لكن من نشأ على كره الدين ومن تعوّد قلة الأدب في كلامه كما في رواياته (العراة) و(دم على نهد) -وعنوانها كاف لمعرفة انحطاط فكره- فإن الكذب سيكون من أخلاقه الملازمة.

التحول للحضن الإيراني والشيعي

لوحظ في المنطقة العربية منذ عقد من السنوات تحول عدد من أبواق اليسار والعلمانية وحتى بعض المسيحيين منهم للترويج لخرافات والشبهات الشيعية، ويعد إبراهيم عيسى من أبرز هذه الشخصيات، وهذا التقاطع بين اليسار والشيعة ممكن لتقارب كثير من المنطلقات والسياسات بينهم، وأيضاً وحدة الخصم وهو الإسلام وأهل السنة خصوصاً.

وربما يكون أفضل توصيف لهذه العلاقة هو أنه علاقة نكاح متعة بحسب الدياثة الشيعية، بحيث يحصل كل طرف على متعته من الجنس أو المال أو منهما معاً!

حيث دأب إبراهيم عيسى في مقالاته وبرامجه التلفزيونية في هذه المرحلة على الطعن والحطّ من الصحابة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهم، حيث نشر الكثير من المقالات التي أحدثت ضجة كبيرة لوقاحته ضد الصحابة، وأيضاً قدم أكثر من ٢٠٠ حلقة تلفزيونية ملأها بسبّ وطعن الصحابة وإثارة الشبهات الشيعية بحقهم.

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=zzdneqOJkqU&t=1506s
بعنوان: مدرسة المشاغبين: تاريخ الخلافة الإسلامية، الدقيقة 9 وما بعدها.

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=zzdneqOJkqU&t=1506s
المقطع السابق، الدقيقة ٢٠ وما بعدها.

(٣) https://www.youtube.com/watch?v=AMop-dXEYNk
بعنوان: إبراهيم عيسى صلاح الدين الأيوبي هو سبب احتلال إسرائيل لفلسطين

(٤) ذكر هذا في كتابه (كتابي عن مبارك وعصره ومصره) صفحة (٤٠١).

فهو يطعن في عمر بن الخطاب ويتهمه في عدله ويزدريه بلغة وقحة أخجل من نقلها واكتفي بالإشارة إليها[1]، ويطعن في أبي هريرة ويصفه في مقال له، فيقول: (إن أبا هريرة التصق بالنبي وبالمسجد النبوي من أجل قوت يومه وطعام بطنه مع المعدمين والفقراء والعاطلين)، ويقول في مقال آخر بعنوان (أبو هريرة الإمام الغامض): (وسجل التاريخ أنه كان أكولاً نهماً، وقد أطلق عليه أيضاً لقب شيخ المضيرة. والمضيرة صنف من أصناف الحلوى كان أبو هريرة شغوفاً بها)، ويصفه في نفس المقال فيقول: (إلا أن أبا هريرة هو أول من تم اتهامه في التاريخ بالكذب على النبي، بل لم يشهد رواية حديث نبوي خلافاً وتطاحنا حوله وحول سيرته بقدر ما شهد ورأى أبو هريرة)، واتهم أبا هريرة رضي الله عنه بالكذب على رسول الله ﷺ فقال: (وكان أبو هريرة يبرر كثرة روايته عن النبي بأنه ما دام لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً فإنه لا بأس من أن يروي بل إنه نسب حديثاً للنبي أنه قال: من حدث حديثاً هو لله عز وجل رضا فأنا قلته وإن لم أكن قلته رغم إن الثابت عن النبي ﷺ أنه قال: (من نقل عني ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار)).

ولا يزال إبراهيم عيسى لليوم يرضع من الحضن الإيراني شبهاته وترّهاته، فها هو يطعن في أبي بكر ويصفه بأنه أول الدواعش[2]، وهو عين ما يصرح به غلاة الشيعة من معممي إيران أو الحرس الثوري الإيراني والحشد الشيعي العراقي.

وقد أصدر إبراهيم عيسى كتابه (دم الحسين) ليكرر فيه ويجتر شبهات وطعون ما كتبه دجالو الشيعة والمستشرقون، وقد أشبع علماء السنة الرد عليها وتفنيدها قديماً وحديثاً، وبرغم تكرار هذه الأكاذيب كل مدة ومن دجالين كثر إلا أن هذا الدين قد تكفل الله بحفظه، وسيبقى حملة الدين، وعلى رأسهم الصحابة الكرام نجوم الدنيا والمسلمين، وأما منتقدوهم من الدجالين والحاقدين فمكانهم معروف ومحفوظ في مزبلة التاريخ.

ولما فضح تشيع إبراهيم عيسى أو توظيفه من الشيعة أو زواجه متعة معهم اضطر لتوضيح حقيقة موقفه، فكتب سنة ٢٠٠٩ مقالا بعنوان (ديني ومذهبي)[3] جواباً عن اتهامه بأنه شيعي فقال: (السؤال كله عيب؛ فالمذهب الشيعي ليس تهمة كي يتهم بها المسلم، ومن السخف أن نعتبر مذهبا يعتقده حوالي ١٥٪ من المسلمين تهمة!) ثم قال بعدها: (ويكفي أن ننظر لاتساع هذه الأفكار القائمة على تكفير المسيحيين والشيعة ثم العداء للمرأة والدعوة لعودتها للبيت ولعدم تعليمها والتعامل معها باعتبارها فتنة ملعونة، ثم هذا العداء المطلق الحصري للغرب وللخارج وللعالم) فالرجل يستدعي في خطابه اسلوب البلطجة اليسارية والعلمانية والشيعية بحيث يجمع في رده كل ما له علاقة وكل ما ليس له علاقة، المهم التشغيب وفقط، ولم يتطرق للشبهات الشيعية التي يروجها وهدمه أصول أهل السنة في مقالاته وحلقاته!!

ثم ختم مقاله بقوله: (هذا عن التشيع الذي لن أكونه ولن أذهب إليه مذهبا حتى أموت)، والحقيقة إننا لا ندري ما الذي بقي من التشيع لم يؤيده أصلا إبراهيم عيسى! ويكفيه أن قادة شيعة مصر كمحمد الدريني يعتبرونه منهم، بل في طليعتهم!

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=UWkZuOEiIPc&t=60s
إبراهيم عيسى: عمر بن الخطاب ضرب أبا هريرة بالعصايا.

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=uRRlbOlPCEA
إبراهيم عيسى أبو بكر أول الدواعش والصحابة عملوا مصايب ولازم نراجع قدسية الصحابة.

(٣) https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2009/04/27/163430.html
مقال إبراهيم عيسى بعنوان (ديني ومذهبي).

وإضافة للنقد الديني الشيعي للصحابة تبنى إبراهيم عيسى الدعم السياسي لإيران حيث كان يمنع في الصحف التي تولى رئاستها أي مقال يهاجم إيران أو ينتقدها، برغم أنه يهاجم الإسلام السياسي السني في مصر وحسني مبارك، حتى تساءل الصحفي المصري المعروف إسماعيل فراج علنًا في سنة ٢٠٠٨: لماذا أستطيع مهاجمة مبارك في صحيفة إبراهيم عيسى ولكن لا يمكن نقد خامنئي؟

والعجيب أنه في مقال (ديني ومذهبي) الذي نفى فيه تشيعه نجده يسبّ السعودية ويمدح نظام الملالي ويردد دعايته الكاذبة بأنه يحارب الشيطان الأكبر حيث قال: (الوهابية تخوض حربها الكبيرة تجاه الشيعة هذه الأيام مدفوعة بقوى الغرب وحلفائه من الحكام والحكومات العربية التي تكاد تشعر بالفزع والهلع من أمرين إيرانيين:

الأول: تحالف إيران مع قوى المقاومة ضد العدو الصهيوني مما يعطي لإيران مصداقية لدى الشارع العربي المعادي لإسرائيل.

الثاني: قدرة إيران على ملاعبة أمريكا ومساومة الإدارات الأمريكية وقوتها في المفاوضة والمراوغة والمناورة مما يجعلها تكسب تنمية في قدراتها التسليحية والنووية)، فهل هذا رافض للتشيع أم والغ في التبعية لهم؟

ولليوم لا يزال يدافع عن نظام الملالي، فرغم أنه كان المؤيدين لانقلاب السيسي وأحد الأبواق المطبلة له باعتباره أنقذ مصر من الحكم الديني، إلا أنه يدافع عن النظام الإيراني الشيعي والمعمم حيث هاجم إعلام الانقلاب واصفاً إياه بأنه (سلفي وهابي قح في التعامل مع الملف الإيراني، ولا يراها إلا من خلال عيون الفكر الوهابي، والموقف السعودي)[١].

وقد أحسن الأستاذ عاطف الطيب حين وصف إبراهيم عيسى في مقال له معنون بـ (تعرف على خلفيات إبراهيم عيسى الخمس): (فإبراهيم عيسى يندفع في كتابته الأدبية بنفَس شيعي حاقد، لينفي فرضية الأهلية السنية وليقوي من الموقف الشيعي تاريخياً وعقدياً، وليطعن في المحضن الأموي لتدوين السنة، إذا التشكيك في أسانيد السنة هدف علماني، يتقوى به لتعزيز موقف الشيعة ضد المرحلة الأموية التي نشط فيها جمع الحديث النبوي، وإبراهيم عيسى وتياره طاعن في الأحاديث، لأن صحتها يودي به وبالعلمانية ومرجعيتها، ورغم أنه من دعاة الحاكم السيسي إلا أن كتاباته تدعو إلى الخروج والثورة على السيسي، سيما أن الشروط الحسينية للثورة ضد السيسي متوفرة كما حددها إبراهيم عيسى في كتابه)[٢].

العمالة لأقباط المهجر

من كره إبراهيم عيسى للإسلام والمسلمين تعاونه أو عمالته لأقباط المهجر وغلاة المسيحيين في مصر، وقد كشف نبيل شرف[٣] أنه تم تقريبه من قبل اللوبي الإعلامي التابع لهم والذي يسيطر على وسائل الإعلام في مصر، حيث تم تعيينه في قناة أون تي وأو تي في المملوكتين لنجيب ساويرس، ومنح راتب شهري ضخم قدره (٣٠٠ ألف جنيه)، لكن إبراهيم عيسى قام بالواجب والمطلوب وزيادة تجاه الدعاية والترويج لرؤية الكنيسة وأقباط المهجر.

(١) http://www.fj-p.com/Our_news_Details.aspx?News_ID=76728

(٢) http://www.fj-p.com/Our_news_Details.aspx?News_ID=76728

(٣) مقال على شبكة الإنترنت، بعنوان: كواليس طرد إبراهيم عيسى من قناة ساويرس.

ففتح الصحف التي يديرها لمقالات متطرفي النصارى أمثال الأب يوتا مرقص عزيز، صاحب رواية «تيس عزازيل في مكة» والذي طعن فيها بالنبي ﷺ ونشر له مقالات كثيرة في جريدة الدستور، ومجدي خليل صاحب العلاقات مع اللوبي الصهيوني بأمريكا، وكانت جريدة الدستور برئاسته منذ ٢٠٠٥م تروج لما يسمى «اضطهاد الأقباط» ووصفهم في مقالاته بأنهم «أشرف الناس» و«أطهر الناس»!

وأخذ إبراهيم عيسى يضخم الحوادث بين المسلمين والمسيحيين ويدين المسلمين دوماً دون أدلة أو قرارات من الأمن أو القضاء! وعلى غرار منع نقد خامنئي، منع إبراهيم عيسى نقد البابا شنودة في جريدة الدستور. ولذلك استحق إبراهيم عيسى أن يطلق عليه ساويرس لقب عبقري مصر الأول! ويثني عليه أقباط المهجر دوماً.

الخاتمة (والله متمّ نوره)

رغم تقلبات إبراهيم عيسى في المؤسسات الإعلامية والمراحل السياسية والتحالفات المرحلية إلا أن الثابت الوحيد هو كره الإسلام وحربه وحرب أهله فها هو يقول: (يوم ثلاثين يونيو الشعب المصري طلع ضد المتاجرة بالدين، كشف كل العمائم والذقون دي كلها بقت ما تسواش عنده بصلة، كذابين ومنافقين ومصلحجية وخونة وعملاء ... وضد الحكم الديني لمصر).

لكن بفضل الله عز وجل هو وأمثاله يعترفون أنهم مهزومون برغم كل الضجيج الذي يتمكنون من إحداثه عبر الإعلام الذي يسخّر لهم بكثافة ويمنع على أهل الدين والإصلاح، يقول: (وعايز أفكركوا كلكوا العلاج مش مهم اوي كده ومش مؤثر أوي كده، ولعلنا كلنا أخذنا بالنا إنه الشهر اللي فات كان نسب الانتقاد للتيار السلفي حادة جداً في كل برامجنا، وفي كل قنواتنا التلفزيونية، فجاء السلفيون وكسبوا هذا المكسب فتخففوا من هذا الغرور. أيها الإعلاميون الزملاء إحنا مش مؤثرين أوي بالشارع، ومنغيرش أوي في الأفكار، والناس إحنا بنلعب على ١٥ أو ٢٠ بالمية من المصريين أما الثمانين بالمية منهم فحتى خطبة جمعة تسمعها الست في المطبخ، أهم في التاثير من ألف حلقة مما نعد)[١].

ولعل من أفضل ما يلخص حقيقة إبراهيم عيسى، ما كتبه الأستاذ عاطف الطيب بأن إبراهيم عيسى، الشهير بـ «أبو حمالات» هو: (يساري شيوعي اشتراكي شيعي عسكري)، وهذا الوصف يغني عن ألف كلمة وسطر.

(١) http://www.akhbaralsabah.com/video989.htm

٢- ثورات الخوارج
ابن سبأ وأتباعه بعد مقتل عثمان

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

تناولنا في الحلقة الماضية دور اليهودي عبد الله بن سبأ في الخروج على خليفة المسلمين الثالث، عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وقتله، في سنة ٣٥هـ، كأول ثورات الخوارج ضد المسلمين، ما أدّى إلى زعزعة الدولة الإسلامية، وفتح باب الفتن والشرور.

وفي هذه الحلقة، نواصل الحديث عن مؤامرات الخوارج وثوراتهم وإفسادهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه، حيث تعود بنا الذاكرة إلى تلك اللحظات العصيبة التي أعقبت قتل عثمان، رضي الله عنه، على يد الخوارج البغاة، الذين قدموا إلى المدينة المنورة من العراق ومصر، على وجه الخصوص، حيث استطاع هؤلاء السيطرة على المدينة، والتحكم بها، لدرجة أن الغافقي بن حرب، أحدَ قادة التمرد، وأحدَ قتلة عثمان، أصبح أميرا على المدينة، ولمدة خمسة أيام[1].

بعد ذلك، سعى الخوارج المارقون إلى تنصيب خليفةٍ من الصحابة بعد عثمان، فعرضوا الخلافة على علي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، رضي الله عنهم، إلاّ أن الصحابة زهدوا في الخلافة، ولم يجيبوهم إلى ما طلبوا، وكانوا يتجنّبونهم، إلى أن أيقن عليٌّ، رضي الله عنه، «أن لا مفرّ من تحمل المسؤولية»[2].

بويع عليٌّ بالخلافة في الأيام الأخيرة من العام الخامس والثلاثين للهجرة، وكان الصحابة، رضي الله عنهم، «يرون أنه أفضل مَن بقي من الصحابة البدريين، والعشرة المبشرين بالجنة»[3].

وعلى الرغم من أن اختيار عليٍّ للخلافة تم من الصحابة المتواجدين في المدينة آنذاك، ومن الخوارج البغاة، على حدٍّ سواء، إلاّ أنه وجد نفسه أمام مهمة صعبة، فالخوارج - بأعدادهم الكبيرة- يسيطرون على المدينة، والإشاعات والأكاذيب تنتشر بأنه تواطأ على قتل عثمان، والصحابة يلحّون عليه بالاقتصاص من القتلة.

(*) كاتب أردني.

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٤٧٧.

(٢) د. حافظ موسى عامر، أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر، ص ١٤٧.

(٣) محمد الإمام، رافضة اليمن على مرّ الزمن، ص ٢٧.

وعلى الجانب العقائدي، كان ابن سبأ يتمادى في انحرافاته، فإذا كانت بدايته الزعم بأن النبي ﷺ سيعود إلى الدنيا بعد الموت، أسوة بعيسى بن مريم، عليه السلام، فإنه سرعان ما انتقل ليتخذ عليًّا وآل البيت، رضي الله عنهم، ستارا لإفساد عقيدة المسلمين، فقد زعم هو وأتباعه أن النبي ﷺ عهد لعلي بالحكم من بعده، وأن لدى عليّ علمًا خاصًا، وأن النبي خصّه بشيء من ذلك[1].

ومن الأباطيل التي قال بها ابن سبأ أيضًا: الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة رضي الله عنهم، والتبرؤ منهم، والادّعاء بأن عليًّا هو من أمره بذلك[2]، ثم وصل الغلو ذروته بادعاء أن عليًّا نبي ثم إله[3]، وأنكر موت علي، وادّعى أنه حي يُرزق[4]، ثم زعم ابن سبأ أن عليًّا صعد إلى السماء، وأنه في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطُه[5]، وعلى هذه الأفكار أقام ابن سبأ عقيدة الشيعة لاحقاً.

ومثلما كاد ابن سبأ وأتباعُه لعثمان، وانتهى الأمر إلى قتله، كادوا لعليٍّ، فمشكلتهم ليست مع عثمان، ولا مع وُلاته وأقاربه، بل هي مع الإسلام وأهله، فبعد بيعته، أصدر عليٌّ قراره الأول المتمثل بخروج هؤلاء الغوغاء من المدينة، لكنهم رفضوا قرار الخليفة، بل تحدّوا وتوعّدوا قائلين «لنا غدا مثلها»، وأضمروا الإطاحة به هو أيضا وأخذوا يتربصون به الدوائر[6].

وفي المقابل، كان عليٌّ، هو الآخر، يكرههم ويتربص بهم الدوائر، «ويودّ لو تمكّن منهم ليأخذ حقّ الله منهم»[7]. لكن عليًّا كان يفسّر عدم الاقتصاص منهم بعدم قدرته على ذلك، بسبب قوتهم وكثرتهم، ودعم قبائلهم لهم، «فرأى أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه»[8]، وأبقى هذا الأمر سرًّا بينه وبين الصحابة، «حتى لا ينتشر الأمر ويعلم الثوار بذلك، فيجددوا ثورتهم ويقتلوا عليًّا، وتتجدد المأساة»[9].

المهم؛ أن هؤلاء أصبحوا من جند عليٍّ، بل ومن خواصّه، كما يقول ابن كثير: «وصار أحظى الناس عنده – بحكم الحال وغلبة الرأي، لا عن اختيار منه لذلك- رؤوس أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان»[10]. وقد تمكّنوا من ذلك بعد أن استحوذوا عليه وحجبوا عنه علية الصحابة[11].

وتمرّ الأيام، ويجد عليٌّ، رضي الله عنه، ذات يومٍ نفسَه في مواجهة جيش فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وفيه كبار الصحابة كطلحة والزبير، رضي الله عنهما، لا أحدَ منهم يريد قتال الآخر، بل الخلاف يدور حول معاقبة قتلة عثمان، ووقف إفسادهم.

ولنزع فتيل الخلاف، أرسل عليٌّ المقداد بن الأسود والقعقاع بن عمرو إلى طلحة والزبير رضي الله عنهم جميعًا، واتفقوا على الصلح وعدم القتال[12]، لكن الخوارج البغاة من أتباع ابن سبأ رأوا في ذلك الصلح شرّا مستطيرا عليهم وعلى مصالحهم، إذ أن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم ستؤدي إلى التفرّغ لهؤلاء البغاة، ومعاقبتهم على قتلهم عثمان[13].

---

(١) د. عطا الله المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة والردّ على الفرق، ص ٥٦١ – ٥٦٢.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٦٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٥٦٩.
(٤) المصدر السابق، ص ٥٧٢.
(٥) المصدر السابق، ص ٥٧٤.
(٦) أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية، ص ١٥١ – ١٥٢.
(٧) البداية والنهاية، ص ١٤٧٩.
(٨) الشيخ عثمان الخميس، حقبة من التاريخ، ص ١٨٢.
(٩) أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية، ص ١٥٤.
(١٠) البداية والنهاية، ص ١٤٧٩.
(١١) المصدر السابق نفسه.
(١٢) حقبة من التاريخ، ص ١٧٧، وأصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية، ص ١٦٠.
(١٣) أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية، ص ١٦١.

اجتمع رؤوس الخوارج برئاسة ابن سبأ لبحث كيفية تعطيل الاتفاق، وقد رأى أحدُهم، وهو الأشتر، قتل عليٍّ، وإلحاقه بعثمان، لتعود فتنة، إلاّ أن ابن سبأ كره هذا الرأي منه، لأن عدد أهل الكوفة من قتلة عثمان قليل مقارنةً بالجند الذين كانوا مع القعقاع، وهو ما سيؤدي إلى قتلهم[١].

وتعددت الآراء، ورأى هؤلاء في النهاية أن يفسدوا الصلح من خلال إنشاب القتال بين الجيشين، وقد قال لهم الشّقي ابن سبأ: «يا قوم: إنّ عزّكم في خلطة الناس، فصانِعوهم، وإذا التقى الناس غدًا فأنشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإنّ من أنتم معه لا يجد بدّا من أن يمتنع، ويشغل الله عليّا وطلحة والزبير ومَن رأى رأيهم، عمّا تكرهون»[٢]

وفي جنح الظلام، وبينما أفراد الجيشين نائمون، تسلل أتباع ابن سبأ إلى المعسكرين، وقتلوا بعض الجند، فظنّ كل معسكر أن المعسكر الآخر قد غدر به، ما أدى إلى نشوب القتال، كما خطط لذلك الخوارج السبئية، حيث خفيت حقيقة المؤامرة على الطرفين[٣].

واندلعت المعركة التي عُرفت فيما بعد بـ «الجمل»، نسبةً إلى الجمل الذي كانت تركبه أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، في سنة ٣٦هـ، وسقط فيها الكثير من المسلمين، ومنهم طلحة، والزبير رغم تركه القتال، وشكّلت «الصدام الأول بين أهل الإسلام»[٤]، تمامًا كما يصنع اليوم الخوارج المعاصرون الذين تفرغوا لقتال المسلمين، ومنهم تنظيم داعش الذي وضع جلّ طاقته في قتال فصائل الثورة السورية المحاربة لنظام الأسد وأسياده الشيعة وإيران، فخفف الضغط عن النظام المجرم، وأعاد الثورة إلى الوراء.

استطاع الخوارج أن يكسبوا معركة مهمة في صراعهم مع أهل الإسلام بافتعالهم لمعركة الجمل، إذ أدّت إلى إضعاف المسلمين، وانشغالهم عن الاقتصاص من قتلة عثمان، لينتقلوا إلى مؤامرة أخرى من مؤامراتهم، وإفساد آخر، وهو ما سنتحدث عنه في المقال القادم بإذن الله.

(١) المصدر السابق، ص ١٦٣.
(٢) المصدر السابق، ص ١٦٤.
(٣) المصدر السابق، ص ١٦٥.
(٤) المصدر السابق نفسه.

التسوية والمصالحة في المجتمع العراقي

سمير الصالحي(*)– خاص بالراصد

في خضم المعارك الجارية بين الحكومة العراقية وتنظيم داعش في محافظة نينوى، عرض عمار الحكيم رئيس الائتلاف الوطني وبعض الشخصيات القيادية الشيعية في الائتلاف الوطني ومن هم في سدة الحكم اليوم، فكرة للتسوية والمصالحة في المجتمع العراقي.

أسس التسوية:

١- المبادرة تمثّل رؤية وإرادة قوى التحالف الوطني لتسوية وطنية تنتج مصالحة تاريخية عراقية.

٢- الهدف من هذه المبادرة الحفاظ على العراق وتقويته كدولة مستقلة ذات سيادة وموحدة وفدرالية وديمقراطية تجمع كافة أبنائها ومكوناتها معا.

٣- تلتزم قوى التحالف الوطني ببنود المبادرة بعد الاتفاق والمصادقة عليها.

٤- تعتمد المبادرة على مبدأ التسوية التي تعني الالتزامات المتبادلة بين الأطراف العراقية الملتزمة بالعملية السياسية أو الراغبة بالانخراط بها، وترفض مبدأ التنازل أحادي الجانب.

٥- مسار التسوية الوطنية غير مرتبط، بل هو مكمّل لمسارات المصالحات المجتمعية التي تُترجم على شكل أوامر وإجراءات وتشريعات تخدم المجتمع بكل طوائفه وقومياته، وهذا هو فعل الدولة بكل مؤسساتها التي قامت وستقوم به بغضّ النظر عن مسار التسوية الوطنية، فلا يعني تقديم الرؤى والشروع بالتفاوض للوصول إلى تسوية وطنية إيقاف عجلة الدولة، بأن مبادرة التسوية الوطنية مسار استراتيجي تستمر معه فاعليات ومسؤوليات ومهام وواجبات والتزامات الدولة، تحققت التسوية السياسية التاريخية أم لم تتحقق.

٦- مسار المبادرة إطار وطني يشمل جميع المكونات العراقية العرقية والدينية والمجتمعية، ويمكن المضي به على مراحل ضمن إطار التسوية الوطنية الشاملة.

٧- لا عودة ولا حوار ولا تسويات مع حزب البعث أو داعش أو أي كيان إرهابي أو تكفيري أو عنصري، وتمثيل المكونات والأطراف العراقية يجب أن يخضع للقبول بالثوابت الواردة بهذه المبادرة .

٨- تتعهد بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق بتقديم مساعيها السياسية الحميدة بما في ذلك تحشيد الدعم لعملية المصالحة الوطنية من خلال التيسير وتقديم النصح والدعم والمساعدة في تعزيز والدفع بهذه المبادرة للأمام داخلياً وإقليمياً ودولياً .

ويلزم التنبه هنا للبندين ٥، ٧، حيث يشكلان ألغاما في داخل المبادرة!

(*) كاتب عراقي.

وهـذه المـصالحة الـتي طـرح بنودهـا الائـتلاف الوطني عليها الملاحظات الآتية:

١- مـصالحة تَفـرض هيمنـة الغالـب والمـسيطر مـن الأطـراف الـسياسية في العـراق على طـرف ضـعيف مشرد وأكثر أهله نازحون لا يمكنها أن تنجح.

٢- لم تـأت المـصالحة بمـشروع جديـد، بـل هـي تكـرار للـسابق بـشكل مختلـف. فقـد سـبق أن جعـل المـالكي وزارة للمـصالحة بـنفس هـذا الكـلام الـذي لم يطبق لأنه، لا ثقة بين المكونات العراقية.

٣- المجتمـع العراقـي اليـوم تفككـت عـراه وأصبح مجتمعا طائفيا بفعل سياسات التيار الديني الـشيعي، فهـل مـن الممكـن أن يكـون هـو بذاتـه الدواء؟

٤- مـن الطبيعـي أن مـن سـيوافق علـى هـذه التسوية لـن يكـون طرفـا سـنيا أو كرديـا حقيقيـا بـل طرفـا شـكليا انتهازيـا، فبـدل سـنة المـالكي أو سـنة إيـران سـيوافق علـى هـذه المـصالحة سـنة الائـتلاف الوطني!

٥- يريـد الخـصم تـسويةً وهـو يفكـر بالطريقـة نفـسها تجـاه الـسني أنـه إمـا: (بعثـي أو صـدّامي أو داعـشي أو تكفـيري أو وهـابي أو قـومي أو شـوفيني أو طـائفي ..إلخ). وقـادة الحكـم والائـتلاف يتكلمـون علنـا أو بـين الكـواليس أنـه لا بـد مـن المحافظـة علـى الحكـم الـشيعي، فهـل يريـدون تـسوية تثبّـت لهـم هـذا الهيمنة؟!

إن مـن يـروج لهـذه التسوية هـو التحـالف الـوطني الـشيعي، وهـو طـرف يهـيمن علـى العمليـة الـسياسة، لـذا لا بـد مـن طـرح عـدة استفـسارات لفهـم هـذه المصالحة:

١- في ظـل الانتـصارات والهيمنـة الـشيعية الإيرانيـة على العـراق لمـاذا يطـرح هـذا الخيـار مـن قبـل قيادة الأحزاب الشيعية؟

هنـاك عـدة إجابـات منهـا: أنّ ثمـة مـشروع تـسوية دوليـا كـبيرا لمرحلـة مـا بعـد داعـش تـسعى لـه بعـض الـدول الأوربيـة بإشـراف دولـي، ويريـد الائـتلاف الـشيعي اسـتباق ذلـك وقطـع الطريـق عليـه باتفـاق شكلي مع بعض الأطراف السنية التابعة لهم!

ومنهـا: أن التوجهـات الـشيعية تخـشى مـن ضـياع مكتـسباتها بـإعلان الفيدراليـة في العـراق أو الكونفيدرالية. فتريد تقليل الضغط عليها.

ومنهـا: أن الـشيعة يريـدون شـركاء جـدد مـن الـسنة أو بعـض الـسنة ممـن يلـهثون منـذ زمـن للحـصول علـى حـصة مـن الكعكـة، لأنّ بقـاء الـسنة معارضـين أمـر لا يريـده الائـتلاف الـشيعي، وهـذا طبيعـي كـأي نظام لا يريد بقاء معارضة قوية له بشكل مستمر.

٢- هـل هنـاك قـراءة شـيعية أو إيرانيـة سـلبية لسياسة دونالد ترامب القادمة؟

نعـم هنـاك قـراءة مخيفـة عنـد العـالم أجمـع، وعنـد الـشيعة وإيـران لـسياسة ترامـب المجهولـة، والـتي مـن الممكـن أن تقـرر أمـرا كـبيرا يـضر بمـا توصلوا لـه مـع إدارة أوبامـا، وأن إدارة أمريكـا الجديـدة قـادرة علـى تغـيير قواعـد اللعبـة في العـراق والمنطقـة، لـذلك تهـدف هـذه التـسوية لأن تخفـف الاحتقـان مـن جديـد حتـى لا تـستغل كورقـة أمريكيـة تـضرب بهـا الأحـزاب الشيعية أو إيران في العراق.

٣- ما فائدة هذه المصالحة للائتلاف الشيعي؟

بقـاء الحـال علـى مـا هـو عليـه وإجـراء تبـديل صـوري لـبعض الوجـوه الـسنية والـشيعية، والابتعـاد عـن المطالبـات الدوليـة، وتخفيـف الـضغط علـى الحكومـة الطائفية.

٤- هل هي مصالحة حقيقية أم شكلية؟

لا يمكـن أن تكـون هـذه المـصالحة حقيقيـة، ولا يمكـن لعقليـة إقـصائية اسـتعلائية دينيـة شـيعية أن تكـون جـزءا مـن المـصالحة في أي بقعـة مـن العـالم، وليس العـراق فقـط، هـذه العقليـة لا تعـرف شـيئا اسمـه الـوطن أو المواطنـة، وإنمـا تعـترف فقـط بمـذهبها كـدين، وبتـشيعها كـوطن، ولـذلك رضـيت أن تكـون إيـران هـي قوميتهـا ووطنهـا، هـذا إذا تمكنـت، فـإذا لم تـتمكن اسـتعملت التقيـة وتباكـت علـى الـوطن والحريـة، وصـدق مـن قـال: اسـتخذاء تحـت سـوط الجـلاد وتمـرد حـين يرفـع الـسوط، فـإذا مـا تمكنـت فعلـت الأفاعيـل. كـان حـزب الـدعوة

حمـلا وديعـا في فـترة المعارضـة فـأخرج لنـا أفاعيـه ومجرميه ليحكموا البلاد.

يريـدون أن يعملـوا تـسوية ومـصالحة وهـم مـن يقـرر مـن تلطخـت يـده بالـدماء ومـن لم تـتلطخ، أتـرى لم يـذكروا الميلـشيات الـسائبة، ولم يـذكروا البعثـيين الـشيعة الـذين هـم اليـوم في سـدة الحكـم، ولا الفرسـان الكـرد الـذين كـانوا زمـن النظـام يقتلـون بـالكرد ولـيس العـرب، ولمَ لمْ يـذكروا مهـدي الـصميدعي الـذي قَتـل مـن الـشيعة مـن قتـل، وهـو مـن الـسلفية الجهاديـة الـتي توسـم بـالتطرف، أتراه يكون بجانب الحكومة اليوم فيستثنى؟

ولم يـذكروا أهـل الفـساد وجلّهـم مـن شـيعة الـسلطة والحكـم، ألم يقتـل الفـساد بعـد ٢٠٠٣ اقتـصاد العـراق ويـدمره؟ أبمثـل هـذه الشخـصيات يمكـن أن تعمـل تـسويه إلا أن تكـون لـصالحهم، أفيك الخصام وأنت الخصم والحكم!

من سيقبل التسوية؟

❖ تـاجر سـني يبحـث عـن نفـوذ الـسلطة لحمايـة تجارتـه يمكـن أن يكـون شـريكا لهـذه التـسوية، وفي السنّة عـدد لا يـستهان بـه مـنهم، وهـؤلاء لا فكـر ولا موقـف عنـدهم؛ يـومٌ مـع هيئـة علمـاء المـسلمين، ويـوم مـع إيـاد عـلاوي، ويـوم مـع المقاومـة، ويـوم يتسكعون في بيروت يبحثون عن رضا حزب الله؟!

❖ محـارب جالـد الأمريكـان وانتهـى دوره، فيبحـث عـن دور لـه في حكومـة مـا، فقـد أنفـق عمـره في القتـال وآن أن يكـون لـه منـصب ليـضرب بـسهم. وأن يعود للبلاد بعد أن تشرد في البلدان.

❖ سـني أو كـردي مقبـل علـى الانتخابـات ويريـد التسوية كدعاية انتخابية.

❖ سـني مـستعجل يقـول: خـسر الـسنة كـل شـيء ولا بـد لهـم مـن مكاسـب ولـو قليلـة تخلـصهم مـن بعـض الـشر الـذي هـم فيـه، وهـذا أنـزه الأطـراف لكنـه مغفل ولا صبر له.

التسوية المقبولة:

ربمـا يقـول قائـل: إنكـم معاشـر الـسنة لا ترضـون إلا بـأن يعـود الحكـم لكـم مثلمـا كـان، فـأي تـسوية تريـدون؟ فنقـول: علـى كـل حـال الأطـراف الـتي لا ثقـة بينهـا (وهـذا حـال شـرائح المجتمـع العراقـي وسياسـييه) تحتـاج إلى طـرف ثالـث يُتفـق عليـه كـي يمكـن الوصـول لتـسوية مقبولـة فيهـا شـيء مـن العـدل، نعـم نـرفض العـودة الـصفرية أو سـلب كـل المكاسـب الانتخابيـة، فالـسنة منـذ ٢٠٠٣م سُـلبوا حقـوقهم وظلمـوا، ومارسـوا المطالبـة الـسلمية فلـم تلتفـت لهـم الحكومة بشيء، وتم اتهامهم بالإرهاب والتطرف.

فـإن كنـتم تـشعرون أنـه لا بـد مـن مـشاركة طـرف سـني بـشكل حقيقـي، عنـدها تكـون هنـاك بـواكير تـسوية حقيقيـة، وإلا كانـت تـسوية شـكلية كمـا فعـل المـالكي بـوزارة المـصالحة، حيـث جلـب سـنة مرتزقـة غـايتهم مـصالحهم مـن أراض ومنـازل وأمـوال، لا مصير أهل السنة ومصالحهم.

المـصالحة الحقيقيـة تبـدأ بأفعـال تظهـر حـسن النوايـا تجـاه الـسنة المظلـومين؛ كـأن يطلـق سـراح آلاف الـسنة وخاصـة النـساء الـذين لم يحـاكموا أو الـذين حكـم لهـم بـالبراءة ولم يفـرج عـنهم ويـتم تعويضهم بعدلٍ عن سجنهم وتعذيبهم الظالم.

إننـا نعتقـد أنـه مـن الـصعب علـى عقليـة مثـل العقليـة الـشيعية الحاكمـة أن تتقبـل المـصالحة الحقيقيـة، هذا ما ندعيه ولعل الأيام تكذّب ما ندعيه!

ما هي الوحدة التي تنشدها إيران؟

محمد عثمانلي(*) - خاص بالراصد

مقدمة

في الخطاب الأخير لأمين إيران في لبنان؛ حسن نصر الله، قال: «الحالة الوحيدة التي تعيد المقاومة إلى لبنان هي الانتصار الحقيقي في سوريا»! وتظهر لنا المشاعر الجياشة لهذا الرجل تجاه الشعب السوري، وتجاه الثورة السورية، بأنه يربط مصير المقاومة اللبنانية بـ «الانتصار الحقيقي» المنشود له في سوريا، أو إن صح القول، يربط هذا الانتصار - المزعوم له- بمصير إيران، فهذا الانتصار القبيح الملطخ بدماء السوريين، الذين أبوا العودة لطاولة الذل؛ التي عرفها الشعب بشيوخه وشبابه، ونسائه وأطفاله لأربعة عقود من الزمن، لكن أمين إيران يريد إعادة تكريس هذا الماضي الأليم، ويديم سلطة المستبد على ظهور الثكالى والأطفال، ويعاونه طاغية الشام بالاستنجاد بمليشيات الحشد حتى يتم انتصارهم البئيس!

وليس هذا بأمر مستغرب منهم أبدًا، فإن العقيدة التي يتكلم بها حسن نصر الله هي ذاتها العقيدة الإيرانية التي انبثقت على مدى قرون من الزمن من أجل «وحدة الأمة»! المزعومة عنده، إنها وحدة الأمة الخاصة بإيران، وهويتها، إنها وحدة المذهب الشيعي والإيراني الذي يرفض كل آخر! إنه شعار زائف ترفعه، ومن ثم تقوم على إثره بتفريق أهل الوطن الواحد! حتى أنها تقوم بخداع الشيعة خارج إطار أرضها، وتجعلهم مطيّة لتنفيذ مآربها، فتصنع اللوبيات الشيعية من العرب، وتقوم بتقسيم المجتمع إلى فرقتين؛ أقلية شيعية تمدها بالمال، وغالبية سنيّة متآكلة الحال، تمد أولئك على هؤلاء، وتبدأ الدعوة الشعوبية بعدها إلى لم شملها مع فراخها التي جعلت منهم سببًا لتفكيك المجتمعات! يا لها من وحدة مصونة!!

إن إيران تعيد سيرة وديدن الإمبراطوريات القديمة التي ورثت إيران عرشها، وأقام الخميني فيها سلطته، ففاحت منها رائحة الموت، وجندت أساطيل الرعب، وقامت بنشر التفرق والتشرذم، فالدولة الإيرانية تقيم خطاب الوحدة بما يتناسب مع سياساتها، وبكل وقاحة؛ تنشر الدمار والخراب، مقابل هذا الخطاب! وكذلك فهذه الدولة المليئة بالكراهية والخَرَف، تعاني من مرض مزمن، ووباء عضال، لا يمكن البُرء منه، ولا الانفكاك عنه، فهي تدّعي السلطة على مليار ونصف من المسلمين، في الجغرافيا الإسلامية، وتدّعي وحدتها معهم، وبالمقابل تقوم بنشر الفرقة والتشرذم بينهم، وهذه بالضبط هي الروح الفرعونية التي وردت في محكم التنزيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا، يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ، يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، فإيران دولة تستعلي بالظلمة كالإمبريالية الغربية حالياً، دولة تُشَيِّعُ الخلقَ شرذمة شرذمة، تحرض البعض على الكل، ثم تفتك بالبعض، دولة تذبّح المؤمنين، دولة تنتهك الأعراض، بفساد مرير، وظلامية صمّاء، نعم! فهذه الآية تبيّن لنا جانبا من الوحدة الإيرانية المنشودة!!

ما أشبه اليوم بالبارحة، فبينما يناضل الشعب السوري في سبيل عزّته، يخرج لنا دعاة يدّعون الجهاد المقدس على أرض المسلمين، فما إن شارف زعيم الاستبداد بشار الأسد على الانكماش أمام شعبه؛ الذي رفض أن ينتمي له، إلا جبرًا وإكراهًا، يأتي أمين إيران ويعلن على هذه الأراضي جهادًا يدّعي به أنه سيكون منه نجاح مقاومته في لبنان، وينشئ قاعدة ضرار ينفذ منها مخططات الدول الغربية بالسعي إلى تقسيم البلاد.

(*) كاتب أردني من أصل تركي..

مشروع إيران الحقيقي وشعار الوحدة المنشودة

إن الملاحِظ لما جرى في التاريخ، وما يحدث في الحاضر؛ يستطيع أن يستنتج عدة ملامح أساسية لمشروع إيران، ويمكن بيان ذلك بالخطوات التالية:

١- مشروعها في داخل إيران:
- بناء الدولة.
- تصدير الدعاية السياسية والثورية.

٢- مشروعها في خارج إيران:
- نشر المذهب بسريّة.
- تفتيت الوحدة القائمة.
- تقسيم المجتمع إلى أغلبية وأقلية.
- توظيف الإرهاب.

فعلى صعيد المشروع الداخلي في إيران، فقد تم بناء الجمهورية في عهد الخميني، وتلاها تصدير الدعاية السياسية الخارجية والثورية لبيئة ملائمة تتقبلها، وكل ذلك تحت شعارات الوحدة التي تتستر بها إيران.

وهنا يبدأ المشروع الإيراني في الدول المجاورة، حيث يصبح مجتمعًا تابعاً للفكر الإيراني/ الشيعي، والذي تدعمه بكافة الموارد المطلوبة مما يولد طائفة جديدة تابعة لإيران، بالإضافة لما بداخله من طوائف وإثنيات أخرى، ما يزيد في تفتت هذه الدول تحت شعار الوحدة الإسلامية والتقريب بين السنة والشيعة! وهذه الطائفة (الأقلية الجديدة) غالباً ما توظف لإثارة الإرهاب والبلبلة لصالح المشروع الإيراني.

هذا الواقع في الحقيقة أقرب إلى مسمى «سيناريو التقسيم»، بدلًا من «سيناريو الوحدة»! وهو فعليًا ما تسير عليه إيران في المنطقة، فهي لا تسعى بالفعل إلى وحدة تترك الشعوب تحكم نفسها بقيادة منها، إنما تريد أن تخطفها لمشروع إيراني سلطوي مستبد.

هل الوحدة ممكنة؟

إن الاختلاف الكبير بين توجه إيران الطائفي، وبين طبيعة الشعوب المحيطة بإيران جعل منها عدوًّا مناكفًا لهذه الأقطار، فعلى مر العصور قامت إيران ودولها المتعددة، بمحاولات بائسة لتضم كافة المناطق لها، ولم تنجح، وذلك يعود إلى أساس كبير وهو الاختلاف العقدي والمذهبي والثقافي الكبير بين إيران والدول المحيطة.

وبسبب رفض المحيط للطائفية الإيرانية الشيعة لجأت إيران لبناء شبكات من التجسس والعمالة والبحث عن نقاط ضعف الدول التي تستهدفها، لكي تفرض عليها الوحدة المزعومة!

ولذلك على الأغلبية المسلمة السنية في المنطقة أن تدرك حقيقة خطر الوحدة الإيرانية الشيعية عليها، وأن تدرك أن النجاة لها من هذه الوحدة المفترسة هو بتفعيل أهم مكوّن لديها، وأهم عنصر عندها، ألا وهو أنها تشكل الأكثرية والأغلبية من المسلمين بسنيتها، والتي باتفاقها وتعاونها تستطيع صدّ كل هذه الهجمات الشرسة من مشاريع إيران والدول الغربية التي لم نرَ أي عهد معها، ولا وحدة برعايتها، وإلا كنا نطلب الوحدة بين أسراب الحمام والصقور؟!

التمدد الشيعي في موريتانيا... حقائق الواقع ورهانات المستقبل

محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد

مقدمة:

يسود جدل عريض وسط المجتمع الموريتاني وخارجه حول حقيقة الوجود الشيعي في هذا البلد السني المالكي، وقد كشفت المطالبات الأخيرة للإمام أحمدو ولد أمبرابط الذي يعتبر بمثابة المفتي العام للجمهورية الإسلامية الموريتانية للرئيس الموريتاني محمد ولد عبد العزيز بوضع حد للنشاط الشيعي في موريتانيا جدلا واسعا غير مسبوق كشف حجما كبيرا من الانقسام بشأن المطلب الذي تقدم به الإمام، حيث يرى البعض أن الحديث عن التمدد الشيعي في موريتانيا لا يعدو أن يكون استدرارا لأموال إيران الراعية الرسمية لتصدير هذا المذهب، حيث كان يسود في البلاد تعاطف مع طرح إيران وحزب الله السياسي، بينما يرى آخرون أن الرافضة موجودون في البلاد ويتحينون الفرص لنشر مذهبهم، وأبرموا بليل وحاكوا الخطط ليكون لهم مكان في بلاد شنقيط.

وبين ما أوردته بعض التقارير من أرقام متفائلة أن الشيعة في موريتانيا بالآلاف، وبين النخبة الموريتانية ذات التأثر والميول – الفرانكفوني – التي لا تدرك المآل الإستراتيجي للخطر الشيعي، وبالتالي تقلل منه، لأنها لم تطلع على ما فعله التشيع الفارسي الصفوي في العديد من البلدان العربية التي امتد إليها هذا المد الذي لم يعد فكرا مذهبيا في الفقه والعقائد الدينية فقط، بقدر ما أضحى مشروعا سياسيا واستراتيجيا لزرع الشقاق الطائفي، وتمزيق النسيج الاجتماعي في البلاد، وهو ما سيكون له تأثير سلبي على موريتانيا، التي تعاني أصلا من الإشكال الإثني والعرقي وما يتبع ذلك من صراعات منهكة للدولة والمجتمع.

وفي ظل تنامي العلاقات الموريتانية الإيرانية وتنوعها في السنوات الأخيرة، تمكنت إيران من مد أشرعتها الثقافية والتبشيرية بالمذهب الشيعي في التربة الموريتانية، مما جعل البعض يعتبر أن نشأة طائفة شيعية معتبرة في موريتانيا باتت مسألة وقت، فيما يرى البعض الآخر أن ذلك جزءا من التهويل والتخويف الفاقد للمسوغات المقنعة، ولكن مع اقتراب موريتانيا أكثر في الفترة الأخيرة من السعودية وانتماء نواكشوط للتحالف الإسلامي المناهض للحروب الإيرانية في المنطقة، تراجعت جوانب التعاون الإيراني الموريتاني في المجال الاقتصادي تحديدا دون الدبلوماسي.

يسعى هذا المقال لتناول حقيقة الوجود والتوسع الشيعي في موريتانيا، وإلى أي مدى وصل التشيع في موريتانيا مرحلة متقدمة آن الأوان لمكافحتها والتصدي لها بكل الوسائل قبل أن تصبح كارثية ومدمرة، وهل بات النشاط الشيعي في موريتانيا يستدعي تحرك الجميع لمواجهته قبل تمدده وانتشاره، وتحوله إلى قوة يصعب – بعد ذلك- الوقوف أمامها ومواجهتها.

الوجود الشيعي في موريتانيا.. الماضي والحاضر:

تتفق معظم المصادر حول بداية الوجود الشيعي في موريتانيا أن صاحب أول تأثير وأقدم شخصية شيعية معروفة للشيعة ظهرت للعلن في موريتانيا هو بكار ولد بكار، وقد انضم إلى المذهب الشيعي سنة ٢٠٠٦م، وبات يروج لكتبه ومناهجه بشكل علني وفي الإعلام المحلي، ويوصف ولد بكار من بعض المتشيعين بأنه رجل جاهل ولا يفهم أساسيات مذهبهم، لكنه في المقابل يعتبر من أبرز ممثليهم في موريتانيا، ويعمل بكار على فبركة أخبار عن نشاطات وهمية للشيعة وينشرها في صحف موريتانيا قبل أن يرسلها إلى مراجع شيعية في العراق للحصول على الدعم، وينتمي ولد بكار إلى طائفة المرجع علي السيستاني، واستطاع تنظيم عدة

(*) كاتب سوداني.

احتفاليات شيعية في موريتانيا، إضافة إلى تسيير رحلات للمتشيعين إلى العراق.

ولا تُعرف في موريتانيا حتى الآن نسبة محددة لحجم الوجود الشيعي وعدد المتشيعين، خصوصا أن حالات التشيع لا تزال ممارسات غير معلنة في العديد من المناطق، يضاف إليها عامل ثان وهو التهويل الذي يمارسه المتشيعون لنشاطهم وطبيعة أعمالهم وأعداد المنتسبين إليهم، لنحصل في النهاية على معادلة طرفاها اثنان: تشيع فردي لا مؤسسات معلنة له، وحالة تهويل من قبل قادة لا يعرف لهم أتباع كثر، رغم أن هناك دراسة شيعية تقدر عدد الشيعة في موريتانيا حاليا بـ ٥٠ ألف شيعي»، مشيرة إلى «تركز وجودهم بالأساس في العاصمتين السياسية (نواكشوط) والاقتصادية (نواذيبو) وبعض المدن الداخلية».

كما تنشط سفارة إيران بنواكشوط في عقد لقاءات مع عشرات الشخصيات الموريتانية؛ وتمويل مراكز ومدارس لحفظ القرآن وأخرى لتعليم العلوم الفقهية واللغوية؛ واتبعت السفارة «خارطة الطريق» التي رسمها لها ولد بكار ومساعدوه في نشر التشيع في البلد؛ واستغلال الفئات والمناطق التي ينتشر فيه الجهل والفقر لتحقيق أهدافهم وبلوغ مراميهم.

وقامت السفارة بدعم أنشطة جمعيات أسست لنشر المذهب الشيعي من أبرزها: المركز الإفريقي للدراسات والابحاث الصوفية – جمعية بكار للثقافة والعلوم – منظمة آلِ البيت في موريتانيا، ونجحت السفارة في إرسال ٥٠ طالبا موريتانيا إلى الحوزات العلمية في لبنان من بينهم السيدة اميلمنين التي جاهرت قبل أيام بسب صحابة رسول الله ﷺ.

وتم توزيع هؤلاء الطلاب على: حوزة الرسول الأكرم التابعة لحزب الله، وهي مرتبطة بإيران ومرجعية خامنئي، وحوزة الإمام الرضا في منطقة الغبيري من الضاحية الجنوبية لبيروت، ومعهد الشهيد الأول الذي أسسه محمد مهدي شمس الدين، ويرتبط بالعراق وبمرجعية علي السيستاني.

وفي هذه الحوزات تم تسجيلهم في مرحلة «السطوح» وهي مرحلة يتلقى فيها الطالب دراسة معمقة حول الفقه الشيعي والمنطق، ويضاف إليها دروس في الفلسفة وعلم الكلام والحديث والتفسير. ويعمل الطالب خلال هذه الفترة على حفظ الأناشيد الشيعية التي تمجد آل البيت؛ وتسب الصحابة وأمهات المؤمنين، ويستطيع الطالب في هذه المرحلة أن يطرح آراءه ونظرياته الفقهية الخاصة ليصل من خلالها إلى رتبة «الاجتهاد».

وبعد سنة من الدراسة؛ حصل الطلاب الموريتانيون على شهادة «تجديد الاسلام» وأعلنوا في حفل أقيم في منطقة بعلبك بحضور شخصيات قيادية في حزب الله؛ بيعتهم وولاءهم للإمام الخميني، حينها قررت المرجعية الدينية العليا في ايران إرسال رجل الدين الشيعي اللبناني محمد قانصو لموريتانيا؛ وهي الزيارة التي دقت ناقوس الخطر بتطور المد الشيعي في موريتانيا؛ وتوفر بيئة حاضنة له؛ خاصة بعد تدشين قانصو لمدرسة قرآنية صغيرة باسم الزعيم الروحي لشيعة غرب أفريقيا عبد المنعم الزين، وقد فجرت الزيارة غضبا عارما في صفحات التواصل الاجتماعي ولدى الأوساط الدينية مما دفع الأجهزة الأمنية لاستجواب قادة أحزاب كانوا في مقدمة مستقبلي الزعيم الشيعي.

وقد كشفت مصادر قريبة من السفارة الإيرانية في موريتانيا على أن اتجاهات الشيعة هناك تتضمن اتجاها ثقافيا تموله جمعية البصائر الإيرانية، ومن أبرز نشطائه أحد الصحفيين الموريتانيين المعروفين، وتوزع الجمعية المذكورة مع عدة جمعيات ذات طابع ثقافي كتبا فكرية وفقهية لنشر المذهب الجعفري بموريتانيا، وهناك الاتجاه الديني والتعليمي وتمثله شخصيات وجهات عديدة أبرزها: أحمد يحيى بن بلا، وهو أحد الذين يعلنون تشيعهم ويكتبون القصائد في مدح الشيعة، وقد استطاع جلب عدد من المنخرطين الجدد إلى إيران، إلا أن الإيرانيين يشكون من ابتزازه المالي لهم واستيلائه على الأموال الممنوحة للمشاريع.

وهنـاك محمـد شـريف حيـدره المستـشار الـسابق برئاسـة الجمهوريـة في فـترة الـرئيس الـسابق إعلـي ولـد محمـد فـال، وقـد مـول لـه الـشيعة في موريتانيـا معهـدا باسـم معهـد الإمـام علـي، وعلاقـات شـريف حيـدره مـع الـشيعة بـدأت قبـل ذلـك بـسنوات طويلـة، بحكـم إقامتـه المتكـررة في الـسنغال، وقـد اقـترح علـى السفارة الإيرانيـة في دكـار تـوفير مـنح دراسـية لعـدد مـن أبنـاء اللاجـئين الموريتـانيين إلى الـسنغال وخـصوصا أولئـك النـاطقين باللغـة العربيـة، حيـث تم مـنح ٢٠ شـابا موريتانيـا مـن أبنـاء المبعـدين منحـا لدراسـة المـذهب الـشيعي في إيـران، والتعمـق في فهـم نظريـة التقيـة مـا مكّـنهم مـن الحـصول علـى المـنح والمـساعدات الماليـة في إيـران، والوفـاء لأسـرهم وطـرقهم الـصوفية في موريتانيـا الرافـضة للاخـتراق الشيعي.

دراسـة علميـة حـول الوجـود الـشيعي في موريتانيا:

كـشفت مـا وصـفت بأنهـا «دراسـة علميـة سـرية» أعـدتها جهـات موريتانيـة حـصلت عليهـا صـحيفة «الأخبـار إنفـو» الموريتانيـة أن هنـاك جهـات موريتانيـة تعمـل مـع جهـات إيرانيـة، علـى إعـادة مـا تـصفه الدراسـة «المكانـة التاريخيـة» للـشيعة في موريتانيـا، وقـدمت هـذه الدراسـة نـصائح حـول سـبل اسـتعادة هـذا الـدور، ناصـحة بـالتركيز علـى منـاطق الـشمال الموريتاني، باعتبارهـا مكـان اجتمـاع الثـروة والـسلطة، وكـذا «ضـعف حـضور علـوم أهـل الـسنة فيهـا حيـث تقـل بهـا المحاضـر (المـدارس التقليديـة) والعلماء مما يؤهلها لتكون المنطقة المثلى للتشيع».

ورأت الدراسـة الـتي وصـلت الجانـب الإيرانـي عـن طريـق رئـيس مؤسـسة «انقـلاب» الثقافيـة محمـد جـواد أبـو القـاسمي أن مـستقبل العمـل الـشيعي في موريتانيـا «مـضمون، وجـدّ مبـشر»، مؤكـدا أنـه «يمكـن أن تتحـول معـه موريتانيـا إلى بلـد شـيعي كمـا كانـت في الماضـي، كمـا يمكـن للعمـل الـشيعي أيـضا في الوقـت الحاضـر إذا وجـد تنظيمـا مناسـبا أن يعـوض تراجـع التـشيع في المغـرب وذلـك مـن خـلال جهـود التنظـيم والتـأطير وزيـادة الحـضور في الميـادين الثقافيـة الدعويـة والإعلاميـة والاجتماعيـة الخيريـة والاقتصادية».

وتوقعـت الدراسـة الـتي أعـدتها جهـات موريتانيـة «أن يـؤتي العمـل الـشيعي إذا تـوافرت لـه الـشروط والمقـدرات أكلـه بـسرعة، ليـسمح برفـع نـسبة التـشيع في موريتانيـا مـن ١,٥٪ إلى حـولي ٢٠٪ في ظـرف ١٠ سـنوات قادمـة»، معتـبرة أنـه توجـد «بيئـة خـصبة إذا أتـيح لهـا مـن يتعهـدها، فإنهـا ستـسمح بحـضور شـيعي علـى المـستويين النـوعي والكمـي»، وشـرحت الدراسـة الحـضور النـوعي بالانتـشار «ولايـات بعينهـا (هـي: ولايـة نواذيبـو، وولايـة إنـشيري، وولايـة آدرار، وولايـة تـيرس الزمـور) تـضم أهـم المقـدرات الوطنيـة (منـاجم حديـد، منـاجم ذهـب، منـاجم نحـاس، شـواطئ سمـك، واحـات نخيـل) كمـا ينحـدر منهـا أبـرز رجـال المـال والـسياسة وضباط الجيش».

أمـا الحـضور الكمـي فـشرحته بـضرورة «التركيـز علـى شـرائح قريبـة مـن التـشيع بطبعهـا وثقافتهـا وهـي الحـراطين والزنـوج والـتي تمثـل مجتمعـة أكثـر مـن ٦٠٪ مـن سـكان الـبلاد». ورأت الدراسـة أن أهميـة موريتانيـا «للثـورة الإسـلامية» تنبـع مـن كونهـا «تمثـل أرضـية خـصبة للعمـل الـشيعي»، ولاحظـت الدراسـة مـا وصـفته «بانتـشار حـب أهـل البيـت وتجـذره بـين الـسكان، واتخـاذهم مـن الإمـام علي وبنيه القدوة والنموذج من دون سائر الصحابة».

واقترحـت الدراسـة علـى الجهـات الإيرانيـة والعـاملين معهـا في موريتانيـا، التركيـز علـى منـاطق الـشمال، وكـذا علـى فئـات مـن الـشعب الموريتـاني، هـي: الحـراطين، وإيكـاون، واللحمـة، والزنـوج. وبـررت الدراسـة الاهتمـام بـالحراطين الـذين عـرفتهم بـأنهم (مجموعـة الأرقـاء الـسابقين) بـأنهم «مجموعـة ضـخمة تمثـل ٣٥٪ مـن الـسكان ويهـتم الآن بتمثيلـها في كـل الوظـائف الكـبرى للدولـة لثقلـها الـديمغرافي المعتبر»، ووصفتهم بأنه «من محبي آل البيت».

أمـا «إيكـاون» وهـم طبقـة الفنـانين، فنـصحت بـالتركيز علـيهم «لـدورهم المهـم في نـشر حـب آل

البيت عن طريق الأناشيد والحضور في مختلف التظاهرات الاجتماعية». ووصفت «اللحمة» بأنها «مجموعة أصولها بربرية، وقد عانت من الاضطهاد في الماضي»، معتبرة أنها «مؤهلة لاعتناق مذهب التشيع لبعدها عن الوسط السني المتعلم حيث يسهل إقناعها خصوصا بمذهب آل البيت الذي يجتذب المستضعفين لما يبشر به من مساواة حقيقية وخلاص وتحرر». ورأت الدراسة أن الزنوج «يمثلون ٢٥٪ من السكان في موريتانيا، ويشيع في صفوفهم حب آل البيت والتصوف وهم بيئة مناسبة للتشيع لبعدهم النسبي من الوسط السني».

وعرضت الدراسة لبعض أنشطة الشيعة في البلاد كـ «تخليد ذكرى استشهاد الإمام الحسين، وكذا القيام بإجراء مقابلات ومناظرات في وسائل الإعلام للدعاية للمذهب الشيعي، والرد على التحريفات المغرضة المروجة عنه من قبل أتباع الطائفة الوهابية وعلماء السنة المتشددين، كما قاد الأمر إلى تعالي الدعوات المطالبة باعتراف رسمي من السلطات بالمذهب الشيعي في موريتانيا»، كما قدرت الدراسة «عدد الشيعة في موريتانيا حاليا بـ ٥٠ ألف شيعي»، مشيرة إلى «تركز وجودهم بالأساس في العاصمتين السياسية (نواكشوط) والاقتصادية (نواذيبو) وبعض المدن الداخلية».

وعددت الدراسة عقبات ترى أنها تقف في وجه انتشار التشيع في موريتانيا، منها «مشاكل التنظيم، والتأطير، وتوفير المؤسسات»، وعدم وجود حوزة علمية تؤطر وتنسق عمل الفاعلين الأساسيين في الساحة الموريتانية، وغياب إستراتيجية مناسبة لربط وتأطير الشيعة من خلال مؤسسات رسمية لتنظيمهم وتوفير المساجد والمدارس والمراكز والكتب بهدف ذلك، والافتقار إلى قيادات دينية وفكرية قادرة على تنظيم العمل الشيعي وعلى التخطيط والتنفيذ وبما يناسب الحاجات والتحديات».

وأردفت الدراسة في إطار سردها للعقبات «عدم توفر مؤسسات إعلامية قادرة على مواجهة الدعاية الوهابية القوية التي تحذر منابرها الإعلامية الكثيرة من تنامي المد الشيعي في موريتانيا، واعتماد أكثر الشيعة الموريتانيين لمبدأ التقية بسبب دعاية الوهابيين وغيرهم من السنة وذلك لعدم وجود القادة والمؤسسات التي يقتنعون بقدرتها على حمايتهم».

ورأت الدراسة أن «أبرز المحاولات التي جرت مؤخرا لتأطير الشيعة الموريتانيين، هي المساعي الحثيثة لبكار ولد بكار لتأسيس «حسينية» في مقاطعة عرفات بالعاصمة نواكشوط»، ونقله «تخليد ذكرى استشهاد الحسين في موريتانيا من قبل الموريتانيين الذين كانوا قبل عامين يسافرون إلى السنغال لإحيائه مع الطائفة هناك»، معتبرة أن هذا التخليد «كان إعلانا عن بلوغ الفرع الشيعي بموريتانيا لمرحلة الرشد واستقلاله عن السنغال، كما مثلت هذه الخطوة في رمزيتها انتقال شيعة موريتانيا من التبعية لفرع السنغال إلى الاستقلال عنه، وهو موقف سيزداد بروزا من خلال التصريحات العديدة التي أعلنت عن ولادة المذهب الشيعي في موريتانيا، وتفويج «حجاج» موريتانيين إلى مدينة كربلاء، وتزايد الأنشطة للجمعيات المحسوبة على المذهب بالبلاد والمركزة على تنظيم الندوات والمهرجانات في المناسبات الدينية ذات الطابع الشيعي.

تضمنت الدراسة كذلك تعريفا بمن وصفتهم بأنهم أبرز الشخصيات الشيعية في موريتانيا، وهم: بكار ولد بكار، وأحمدو يحيى ولد بلا، وقد تحول إلى التشيع بعد أن كان شيخا لطريقة صوفية، ومحمد ولد الشيخ ولد الشريف ويعتبر من أهم المرجعيات الشيعية بالبلاد، والأستاذ إشبيه ولد الشيخ ماء العينين: ويرأس حزب الجبهة الشعبية وهو ينتمي لأسرة علم مشهورة (أسرة الشيخ ماء العينين) التي لها حضور ونفوذ بارزان في موريتانيا والمغرب والسنغال، وسبق للأستاذ إشبيه أن شغل منصب وزير الاقتصاد في حكومة الرئيس الأسبق معاوية ولد الطايع، وهو يكتفي بمجاهرته بحب آل

البيت والدفاع عنهم.

وختمت الدراسة بتقديم مقترحات لتعظيم الوجود الشيعي في البلاد منها ضرورة وضع إستراتيجية واضحة للعمل الشيعي تجمع بين تنظيم الشيعة الموريتانيين والعمل على مضاعفة أعدادهم بأقصى وتيرة، وتأسيس مجلس أعلى استشاري للعمل الشيعي في موريتانيا، ودعم تأسيس الجمعيات والنوادي وتبني ودعم البعض القائم منها لكسبه، وإقامة مراكز وحوزات ومدارس ومساجد ومعاهد وجامعات في مختلف المناطق، ومحاولة استمالة الأئمة الموجودين من الشرائح المذكورة لدعمهم، ونصحت الدراسة بـ«إقامة مشاريع اقتصادية في مناطق الأرقاء السابقين والزنوج بالعاصمة والداخل، لجذبهم للمذهب عن طريق التوظيف ومحاربة البطالة في صفوفهم، والتركيز في جانب العمل الاجتماعي على الشرائح المضطهدة، وإعطاء منح لأبناء الشرائح المستهدفة لضمان ولائهم في المستقبل، وتهيئتهم لتولي مناصب قيادية تستفيد منها الطائفة في الحضور والحصول على مزيد من التسهيلات. وكانت الدراسة مصحوبة بدراسة أخرى مالية بمبلغ ٧٠٤,١٠٠ دولارا، لإقامة «مركز الإمام محمد السجاد الثقافي» في نواكشوط، ويضم هذا المجمع مسجدا، ومكتبة مجهزة، ومتحفا، ومختبرا لترميم وصيانة المخطوطات، وقاعة للمحاضرات، وروضة، ومدرسة مجهزتين لتدريس الأيتام، وصحيفة دعوية، وموقع إلكتروني».

خاتمة:

من الواضح أن المحاولات الشيعية لاختراق المجتمعات العربية والإسلامية باتت معروفة وهي مستمرة في البروز والتوسع، ومعلوم أن النشاط الشيعي يتسم بالتقية، ولهذا فمن الصعب اكتشاف أمرهم بسهولة، فالشيعة في العادة يتحركون في صمت شديد إلى أن تقوى شوكتهم، ويستشعرون بقوتهم، ومن ثم يتحينون الفرص للظهور في الوقت المناسب، كما كان في أكثر من بلد عربي، ويبدو أنهم يتخذون من هذه الاستراتيجية سبيلا لعملهم في موريتانيا.

من المؤكد أن الوجود والتوسع الشيعي في موريتانيا بات حقيقة واقعة، ووصل مرحلة آن الأوان لمكافحتها والتصدي لها بكل الوسائل، وبات هذا النشاط الهدام في موريتانيا يستدعي تحركا عاجلا لمواجهته قبل أن يصبح قوة يصعب مواجهتها، ومن الواضح أن النخبة الموريتانية ذات التأثر والميول – الفرانكفوني – لا تدرك المآل الإستراتيجي للخطر الشيعي، لأنها لم تطلع على ما فعله التشيع الفارسي الصفوي في العديد من البلدان العربية التي امتد إليها هذا المد الذي لم يعد فكرا مذهبيا في الفقه والعقائد الدينية فقط، بقدر ما أضحى مشروعا سياسيا واستراتجيا ذا مخالب قتالة، إذا اشتبكت ونشبت أحابيلها في أي بلد فقد زرع فيه الشقاق الطائفي، مما سيدفع بالنسيج الاجتماعي لذلك البلد لمزيد من التمزق والتشتت، وهو ما سيكون له تأثير سلبي على موريتانيا، التي تعاني أصلا من الإشكال الإثني والعرقي وما ينجر عنهما من صراعات منهكة للدولة والمجتمع.

وينبغي للتصدي لهذا الخطر ومواصلة العمل الخيري والدعوي في موريتانيا والتوسع فيه خاصة في المناطق الفقيرة الطرفية التي يستهدفها الشيعة في خططهم التوسعية، والتعامل مع المسعى الشيعي لمنافسة العمل الخيري والدعوي السني خصوصا في مجالات بناء المساجد، وحفر الآبار، وكفالة الأيتام، ومساعدة المرضى، ورعاية الجمعيات الثقافية، كما يستدعي التصدي للخطر الشيعي الإيراني العمل على خلق مؤسسات إعلامية قوية في موريتانيا من بينها قنوات ومواقع، وصحف، وإذاعات محلية، لتفنيد شبهات التشيع والتصدي لخطره.

مراجع:

١- دراسة سرية عن التشيع بموريتانيا، صحيفة الأخبار الموريتانية، العدد ١٢٣، ٢ نوفمبر ٢٠١٥م.

٢- الشيعة في موريتانيا الرموز .. المؤسسات .. المسارات، تقرير بموقع السراج الإخباري، موجود على الرابط: http://essirage.net/node/1843

٣- أحمد باب ولد عبد العزيز، مظاهر التشيع في موريتانيا، مقال منشور على الرابط: http://mourassiloun.com/?q=node/11383.

٤- مقابلات مع طلاب موريتانيين في جامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم.

٥- تقرير التشيع في إفريقيا (تقرير ميداني)، اتحاد علماء المسلمين، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، مركز نماء للبحوث والدراسات.

إسلاميو ما بعد الحداثة وقضايا المرأة... الهلالي نموذجًا

فاطمة عبد الرؤوف(*) - خاص بالراصد

على الرغم من الأهمية الكبيرة لفكرة التجديد الديني التي شغلت كثيرا من المفكرين المسلمين وعقدت لها العديد من المؤتمرات، تلك الفكرة التي نبعت من قوله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا) رواه أبو داود، إلا أن بعضهم انزلق لمحاكاة المدارس الفلسفية الغربية بما تحمله من رؤية مغايرة فقط بعد إلباسها عباءة الدين وإسقاط أهم أفكارها على نصوصنا الإسلامية، ومن ذلك ما قام به الدكتور سعد الدين الهلالي، أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر، من تمثله وتبنيه لمقولات وأفكار مدرسة ما بعد الحداثة، خاصة المدرسة التفكيكية، وإسقاطه ذلك على التفسير القرآني والحديث النبوي ودعوته لمنهج فقهي جديد!

الراصد لمشروع الهلالي المرتكز على فلسفة ما بعد الحداثة نجد أنه يرتكز بصورة أساسية على الهجوم العنيف على الفقهاء والدعاة واعتبارهم أوصياء على الدين، واتهامهم بأنهم يتصورون أنفسهم أنبياء أو أنصاف آلهة، وله حلقات تلفزيونية مطولة خصصت فقط لأجل هذا الهدف، ونستطيع القول بلا مبالغة إن ما لا يقل عن ٢٥ ٪ من كل حلقة أو برنامج للهلالي يتم تخصيصها للانتقاص من الفقهاء وتحقيرهم وتصويرهم بصورة المتسلط الذي يريد فرض رأيه على العوام تماما كما (ترفض حركة ما بعد الحداثة كل عمليات التمثل كشكل الإنابة بمعنى أن شخصا يمثل الآخرين في البرلمان ...) [1].

يرفض الهلالي دور الفقهاء والدعاة في توجيه الناس وإرشادهم لتعاليم الدين، ويرى في ذلك علوا وفسادا بينما يكون البديل الذي يطرحه الهلالي لدور الفقهاء والدعاة هو مجرد البيان والتوضيح، فعندما يَسأل أحدهم فقيها حول مسألة ما يقوم الفقيه بعرض جميع الآراء الواردة في هذه المسألة وينتهي دوره عند هذا الحد فلا يرجح رأيا على آخر، فليس للفقيه رأي وإنما ينقل فقط الآراء بينما يترك للسائل حرية الاختيار بناء على شعوره الشخصي مستدلا بقول النبي ﷺ (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ) رواه أحمد.

ولا يتورع الهلالي من ذكر أن هذا الشعور الشخصي يختلف بحسب ثقافة السائل وبيئته، بل ومصلحته، وبلفظه الحر في اختيار التفسير يتوقف على بنيتك النفسية والذاتية، وهو نفس الموقف الذي اتخذته مدرسة ما بعد الحداثة عندما أعلنت موت المؤلف للنص الأدبي وتركت لكل قارئ حرية الفهم والتأويل والتحليل، المؤلف أو المفكر هو المعادل للمشرع الذي يقود الرأي العام هناك وهو ما تحاول ما بعد الحداثة تفكيكه

(*) كاتبة مصرية.

(١) د. محمد يحيى فرج، إشكالية الحداثة وما بعد الحداثة.

والانقضاض عليه (في إطار مشروع الحداثة الغربي لعب المؤلف دور المشرع في المجتمع بمعنى طرح القيم والأفكار والمعايير التي على الناس أن يتبعوها، فنحن الآن نعيش عصر التنوع الذي لا ينبغي إلغاؤه باسم الوحدة)[1]، المدهش أن الهلالي يكاد ينقل المصطلحات الحداثية حرفيا، ففي برنامجه «فقهيات» يقول: (الدين متعدد. كل واحد يظهر بصمته الذاتية مع الله. في الدين كل واحد ريّس على نفسه)[2].

ما بعد الحداثة كارثة فكرية يبدو أن الهلالي لا يدرك أبعادها النهائية، فالفكر النسوي المتطرف مثلا وهو يختلف تماما عن مدارس تحرير المرأة التقليدية والتي كانت تطالب بمنح المرأة المزيد من الحقوق أو حتى مساواتها الكاملة بالرجل، فالمدارس النسوية المتطرفة تلغي الرجل تماما وتتمركز حول الأنثى.

هذا الفكر النسوي المتطرف هو أحد إفرازات وتجليات ما بعد الحداثة (فكثير من الحركات التحررية في الغرب في عصر ما بعد الحداثة –عصر سيادة الأشياء وإنكار المركز والمقدرة على التجاوز وسقوط كل الثوابت والكليات في قبضة الصيرورة – تختلف عن الحركات التحررية القديمة التي تصدر عن الرؤية Humanist المتمركزة حول الإنسان في مراحل العلمنة الأولى التي انتقلت فيها القداسة واللمحة الغيبية من الله للإنسان، وكانت لا تزال تحمل آثار الولاء المسيحي الديني.

أما الحركات الجديدة فتؤكد فكرة الصراع بشكل متطرف، فكل شيء ما هو إلا تعبير عن موازين القوى وثمرة الصراع المستمر، والإنسان هو مجرد كائن طبيعي يمكن رده إلى الطبيعة المادية، ويمكن تسويته بالكائنات الطبيعية، وبالفعل يتم تسوية الإنسان بالحيوان والنباتات والأشياء إلى أن يتم تسوية كل شيء بكل شيء آخر، فتتعدد المراكز ويتهاوى اليقين ويسقط كل شيء في قبضة الصيرورة؛ ومن ثم تظهر حالة من عدم التحديد والسيولة والتعددية المفرطة، وفي هذا الإطار يمكن أن يخضع كل شيء للتجريب المستمر خارج أي حدود أو مفاهيم مسبقة (حتى لو كانت إنسانيتنا المشتركة التي تحققت تاريخيًّا) ويبدأ البحث عن أشكال جديدة للعلاقات بين البشر لا تهتدي بتجارب الإنسان التاريخية، وكأن عقل الإنسان بالفعل صفحة مادية بيضاء، وكأنه لا يحمل عبء وعيه الإنساني التاريخي، وكأنه آدم قبل لحظة الخلق، قبل أن ينفخ الله فيه من روحه، فهو قطعة من الطين التي يمكن أن تصاغ بأي شكل لا فارق بينها وبين أي عنصر طبيعي مادي آخر)[3]، هذا التعدد والتنوع الذي يبشر به الهلالي هو ما يطلق عليه الدكتور المسيري حالة السيولة المفرطة الناتجة عن تهاوي اليقين وهي النتيجة المنطقية واللازمة لفكر الهلالي، وتطبيق ذلك على الفكر الإسلامي كارثة محققة حيث سيتحول الإسلام لدين سائل لا قوام له ولا حدود، ومجرد مجموعة من القيم المجردة التي يتعامل معها كل إنسان بحسب ثقافته وحاجته.

القراءة التفكيكية

مدرسة ما بعد الحداثة تعد تفكيكا للمعرفة المتعالية في نظر أصحاب هذا الاتجاه ومن ثم من السلطة التي تمثلها هذه المعرفة، فهي تحرر من النموذج المعرفي الديني وتحرر من النموذج المعرفي العقلاني وهي خطاب لهدم السلطة والهيمنة أيّا كان مصدر هذه السلطة والهيمنة.

وتعد زعزعة الخطاب السائد هي المحور الأساسي الذي تقوم عليه فلسفة التفكيك، هذا التشكيك الذي يؤدي في المحصلة النهائية لتحطيم المرجعية مما يحتم النسبية ويشيع الفوضى أو كما

(١) المصدر السابق.
(٢) الحلقة رقم ٥٣.
(٣) د. عبد الوهاب المسيري، التمركز حول الأنثى.

يقول فيلسوف التفكيكية دريدا: (ما يهمني في القراءات التي أحاول إقامتها هو ليس النقد في الخارج، وإنما الاستقرار والتموضع في البنية غير المتجانسة للنصّ، والعثور على توترات، أو تناقضات داخلية، يقرأ النصّ من خلالها نفسه، ويفكك نفسه، أن يفكك النصّ نفسه فهذا يعني أنه يتبع حركة مرجعية ذاتية حركة نصّ لا يرجع إلاّ إلى نفسه، ولكن هناك في النّص قوى متنافرة تأتي لتقويضه وتجزئته)[1].

وهو عين ما يقوم بتطبيقه عمليا وحرفياً الهلالي، ففي حواره مع عمرو أديب في حلقته الشهيرة عن الحجاب تلك الحلقة التي أثارت ضجيجا إعلاميا، نقل له أديب سؤال مشاهدة تسأل عن الحكم في خلع الحجاب من أجل الحصول على عمل تحتاجه ويشترطون عليها خلع الحجاب حتى يتم قبولها، رفض الهلالي الإجابة على السؤال وإنما استعرض آراء المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، ثم قال: «القرآن لم يوضح ما الذي ظهر منها هل هو ظهر بحكم الضرورة فيكون الثياب فقط أم بحكم الحاجة فيكون الوجه والكفين أم بحكم العادة وهي مسألة تختلف باختلاف المجتمعات»، تاركًا المشاهدة تختار ما يناسبها فكأن القرآن على هذا النحو كتاب مطلق النسبية تتعدد تفاسيره بتعدد الأفهام وكل إنسان يختار ما يحلو له، بل إن الهلالي يتعمد إثارة قلاقل وتوترات في النص كما أشار دريدا من خلال اصطناع فجوة ومحاولة ملء فراغها بمجموعة من الخيارات التي يراها متساوية، بحيث ينتهي هذا المنهج في نهاية المطاف بتفكيك المعنى المقصود وإبداله بالعديد والعديد من المعاني المطاطية التي ستصب في النهاية في صالح النفعية الفردية.

هذا المنهج هو الذي أوصله ليساوي بين الفقه الإسلامي والقانون الفرنسي، حيث قال: (فالفقه بجميع مذاهبه وضعي، لأنه استنباط عقلي بشري ويُنسب لصاحبه، والشافعي نفسه قال بذلك «قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب»).

وأيضا قدم نفس التساؤل لهيئة كبار العلماء ومجمع البحوث الإسلامية: (كلامكم شرعي أم وضعي؟ هل نمشي خلفكم أم مع الدستور!

وأجيب بأن كل ما يصدر عن المجامع الفقهية في العالم وضعي، والقانون والدستور مرآة للفقه الإسلامي بآفاقه التعددية الفكرية الرحبة. والمجتمع حسم الخلافات الفقهية وجعلها في قائمة أو لائحة سماها الدستور أو القانون، فصارت هي الشرعية وهي «الإجماع» المعاصر حيث اتفق المصريون على قانونهم ودستورهم، وعلى أساتذة علم أصول الفقه أن يبينوا هذا للناس، لأن الإجماع هو اتفاق جيل من الأجيال أو أهل عصر من العصور على أمر معين.

هذا هو الخطاب الديني الذي يجب أن يسود، وليس الخطاب السائد الذي يقول للناس نحن سنحكمكم بالدين والشريعة وغيرنا سيحكمكم بالقانون الوضعي بتاع فرنسا وضد ربنا! هذه هي الجريمة التي نعيشها ولا أدري متى سيتم تصحيحها!)[2].

نعم الأحكام الفقهية هي اجتهادات بشرية لكنها ذات مرجعية دينية بينما القانون الفرنسي مثلا لا يمتلك هذه المرجعية وهذا هو الفارق الذي تجاهله الهلالي تماما كما تجاهل المعنى الحقيقي لقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥] فاعتبر الآية مبررا لترك الدعوة والأمر بالمعروف

(١) جاك دريدا: مقابلة أجراها كاظم جهاد، مجلة الكرمل.

(٢) د. سعد الهلالي، حوار مع مجلة نصف الدنيا.

واعتبرها نموذجا للحرية الشخصية المطلقة.

إنه المفهوم المشوه للحرية الدينية التي يدعو إليها الهلالي، الذي استعار كثيرا من الأفكار الفلسفية الغربية واستعار أيضا القيم الغربية وجعلها حاكمة على النصوص الشرعية، وبدلا من إنكار السنة النبوية كما فعل جمال البنا اعتمد كثيرا على التأويل المتعسف في قضايا المرأة كنموذج لهذا المنهج المتعسف في التأويل فجعل من قيم كالمساواة والعدل تطبيقا حرفيا لما تطالب به السيداو ووضع هذا الفكر كإطار مرجعي للأحاديث الخاصة بالمرأة[1].

التطبيع الفني بين مصر وإيران... "زووم" حول الهدف

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

باتت مسألة التقارب السياسي بين مصر وإيران واضحة وضوح الشمس أمام الجميع وتؤكدها الكثير من الدلائل والشواهد التي كشفت عن أن هذا التقارب بين البلدين ربما هو أقوى بمراحل من علاقات مصر ببلدان أخرى يأتي في مقدمتها بلدان منطقة الخليج التي يفترض أنها تمثل لها بعدا عميقا للأمن القومي وهو الأمر الذي – وبغضّ النظر عن تأكيد التاريخ له فعلا وواقعا – لم يتردد قادة مصر المتلاحقون بمختلف توجهاتهم عن أن يرددوه بين الحين والآخر.

غير أنه وبقدر ما عكس هذا التقارب بين القاهرة وطهران خطأ في التحركات السياسية لدى الطرفين المصري والخليجي فيما يتعلق بطبيعة هذه العلاقات ومحدداتها بالقدر الذي عكس مدى قدرة إيران ونجاحها في أن تستغل أية ثغرة سياسية أو اقتصادية أو حتى ثقافية في العلاقات المصرية – الخليجية كي تنفذ منها، وتعمل قصارى جهدها ليس فقط لتوسيع الفجوة وتعميق الخلاف والتباين في وجهات النظر وإنما أيضا لتقوم إيران بطرح نفسها كبديل يمكن للجانب المصري أن يراهن عليه ويعتمده حليفا جديدا.

في هذا الإطار لا تتردد طهران على الإطلاق

وكعادتها في التعاطي مع القضايا التي تكون أحد أطرافها من أن تتحرك بخطى ثابتة في كل الاتجاهات بشأن تطوير علاقاتها مع مصر حتى تضمن وباستمرار بقاء ولو الحد الأدنى من هذه العلاقات أو إن شئنا الدقة بقاء شعرة معاوية، فهي لا تحبذ أن تضع البيض كله في سلة واحدة فإن حال الظرف السياسي الإقليمي والدولي من تطوير العلاقات بينها وبين مصر فقد بقي أي شكل من أشكال التواصل بينهما والذي يمكن أن يتسع ويتمدد في لحظة خاصة وهو ما يفسر الكثير من السلوك الإيراني المتمثل في حرصها الدائم على التواصل مع مصر والمصريين.

أهداف التطبيع الفني

على الرغم من أن الساسة وبكل أسف يقيّمون دائما واقع العلاقات بين أي بلدين بتقارب وجهتي نظرهما أو تحركاتهما المشتركة تجاه قضية من القضايا وهو ما يتوافر بشكل واضح كما أشرنا بشأن العلاقات المصرية – الإيرانية في الوقت الحالي والذي وصل إلى درجة إعلان عبد الفتاح السيسي اعتزام مصر تقديم المساعدة إلى جيش بشار الأسد في حربه ضد الثوار وكما هو واضح في ملف اليمن أيضا إلا أن إيران تحرص على ترسيخ العلاقات المصرية – الإيرانية على مستوى الثقافة والفن بقدرٍ لا يقل في أغلب الأحيان عن حرصها على توطيد هذه العلاقات السياسية، ففضلا عن أهمية هذا التواصل لما أشرنا إليه كونه أحد القنوات فإن إيران تدرك أن العمل الفني والثقافي المشترك يعمل على وجود ظهير شعبي قوي لها، هذا الظهير إن لم يؤيد المواقف الإيرانية السياسية فهو

(١) الحلقة ٥٣ من برنامجه فقهيات، حيث يعلن عن منهجه بصراحة ويطبقه على أحاديث تخص النساء.

(*) كاتب مصري.

على الأقل سيتعاطف معها أو يكون لديه مساحة كبيرة من القبول والتفهم لإيران بما يحافظ على صورتها لدى هؤلاء المتعاطفين.

وتتعدد الأهداف الإيرانية من وراء حرصها على التطبيع الفني مع مصر، إذ ويمكن عبر الأعمال الفنية «دراما أو سينما» أن تبث أفكارها السياسية والعقائدية للملايين من المصريين وغيرهم من العرب والمسلمين وذلك عبر طرق غير مباشرة ومن ثم يتم تفادي الحواجز النفسية التي تحول بينها وبين الجماهير في حال كان الخطاب مباشرا وتقليديا، معتمدة في تحقيق ذلك على الكثير من المؤثرات التي يمكنها أن تستميل المشاهدين والمتلقين، وهو ما أشار إليه وحذّر منه العديد من الباحثين الذين تناولوا خطورة الفضائيات الإيرانية والشيعية بشكل عام.

كما تراهن الأعمال الفنية الإيرانية على أن الحس الثقافي للمواطن المصري أو المسلم بشكل عام والذي تشكل في ظل بيئة وقيم إسلامية ستحدث داخله بشكل واعٍ أو غير واعٍ حالة من الجدل حول ما يشاهده من أعمال إيرانية يرى أنها تراعي المعايير والقيم والآداب وبين تلك الأعمال الأخرى التي ربما انسلخت في الكثير من المشاهد عن هذه المعايير وهو ما سيرسخ داخل المشاهد بالطبع موقفا إيجابيا تجاه ما تقدمه الشاشة الإيرانية فيما سيتكون انطباع سلبي للغاية تجاه ما تقدمه الشاشة المصرية أو غيرها حيث الابتذال واهتزاز الرؤية وانعدام الهدف من العمل وهو ما سيدفعه بطبيعة الحال إلى قبول ما تقدمه الشاشة الإيرانية دون أن يخضعه لتدقيق نقدي على مستوى العقيدة أو التاريخ أو الواقع السياسي، الأمر الذي يحقق الهدف الإيراني المنشود.

وأمام هذه الحالة فإما أن يقبل المتلقي كل ما يقدم عبر العمل الفني الإيراني وإما أن تثار لديه الكثير من الإشكاليات والشبهات التي تحتاج منه إلى جهد في البحث والتقصي للوصول إلى الحقيقة بشأن هذه الشبهات، وهو منهج يغيب عن الكثيرين من المنتمين للقطاع المهتم بالفنون بشكل عام، وبالتالي تسهل مهمة الإيقاع بهؤلاء في فخاخ الاختراق الإيراني.

كما تهدف إيران من وراء التطبيع الفني إلى استمالة عدد من العاملين في هذا المجال الذي على الرغم من محدودية العاملين فيه إلا أن له تأثيرا شعبيا وجماهيريا كبيرا للغاية ذلك أن الإعلام المصري كما هو الإعلام الغربي يعطي للعاملين في هذا المجال أهمية خاصة حيث متابعة أعمالهم الفنية وأخبارهم الشخصية بدقة متناهية فضلا عن مواقفهم تجاه القضايا، بما فيها القضايا السياسية وكأن هؤلاء من الكتاب والمفكرين السياسيين، ومن ثم فإن التطبيع مع هؤلاء سيكون له تأثيره على مواقفهم ورؤاهم الذي سينعكس في تصريحاتهم التي ستتأثر بها الجماهير.

والتركيز الإيراني على مصر فيما يخص التطبيع الفني ينبع من إدراك إيران للدور الذي تلعبه مصر في هذا الصدد كونها رائدة في هذا المجال على المستوى العربي حيث تنظر لها البلدان العربية فضلا عن الكثير من الفنانين باعتبارها المحطة الرئيسة لجواز المرور للأعمال الفنية بالإضافة إلى الفنان ذاته والذي إذا تم اعتماده مصريا أصبح فنانا عربيا له وضعه وشهرته فيما لو أنه لم يتم اعتماده في مصر سيبقى محدود الشهرة وفي الإطار المحلي وهو ما يعني أن النجاح في إنتاج عمل مشترك بين مصر وإيران أو توثيق العلاقات بين فناني البلدين سيكون بداية الطريق للتطبيع مع أغلب البلدان العربية.

آليات ووسائل التطبيع

وجهود إيران للتطبيع الفني مع مصر تعود لسنوات غير أن هذه الجهود تكثفت بشكل واضح بعد ثورة يناير ٢٠١١، حيث دعت إيران وفدا سينمائيا كبيرا ضم نحو خمسين من العاملين في كل المجالات السينمائية لزيارة طهران والالتقاء بعدد من السينمائيين الإيرانيين الذين كادوا أن يتوصلوا لاتفاق بشأن إنتاج سينمائي مشترك بين

البلدين.

كما حرصت إيران على أن تدفع بحلفائها في الحكومة العراقية إلى دعوة بعض الممثلين المصريين لزيارة العراق والمشاركة في احتفالات ومهرجانات ثقافية وسياسية ذات صبغة طائفية فيكونوا بهذه المشاركة محاولة لتبييض وجه الحكومة العراقية وبعض الفصائل كالحشد الشعبي الشيعي الذي وجهت له العديد من الاتهامات بأعمال طائفية في العراق.

وعلى الرغم من أن التطورات السياسية في مصر والإقليم برمته حالت دون إتمام العديد مما كانت تخطط له إيران إلا أن القاهرة شهدت مؤخرا بعض مظاهر التطبيع الذي يتزامن مع تقارب سياسي تمثل ذلك في قيام مونديال القاهرة للفن والإعلام بمنح فيلم من إنتاج الحشد الشعبي العراقي المرتبة الأولى في المهرجان وهو ما أكده الحشد الشعبي على موقعه الإلكتروني إذ أعلن أن مديرية الإعلام التابعة له حصلت على جائزة الإبداع التقديرية بمشاركتها بالفيلم الوثائقي «الحشد الشعبي» في مونديال القاهرة للفن والإعلام.

وكان هذا التكريم إشارة قوية للدول الخليجية بخطورة الموقف فهو إشارة إلى أن التطبيع الفني بين البلدين يسير بخطى قوية ويعكس تطورا خطيرا في الموقف المصري، وهو ما دفع الكاتب السعودي جمال خاشقجي، القريب من دوائر صنع القرار في المملكة العربية السعودية، إلى أن ينتقد ما حدث مشيرا في تعليق له على صفحته على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر» إلى أن ما يحدث «عيب» ومتسائلا.. إخواننا في مصر إلى أين أنتم راحلون؟

وجسد هذا التكريم قمة التطبيع وتجاوز الكثير من المواقف التي كان يفترض أن تكون مبدئية وأخلاقية فالفيلم الذي تم تكريمه يسلط الضوء على الأسباب التي دعت إلى تأسيس الحشد الشعبي مدعيا أن هذه الميلشيات هي من لعبت دورًا فعالًا في إيقاف تقدم عصابات تنظيم «داعش» الإجرامي وكاشفا في الوقت ذاته عن الدول المتورطة في مساعدة «داعش»، ومدها بالعدة والعتاد وفتح منافذ حدودية لدخول هذه العصابات إلى الأراضي العراقية غاضا الطرف عن الاتهامات التي وجهت لهذه الميلشيات، ليس فقط من قبل العراقيين، بل أيضا من قبل منظمات حقوقية ودولية بتورطها في إبادة طائفية استهدفت أهل السنة والجماعة في العراق.

وكان قد سبق هذا التكريم خبر مثير بثته وكالة أنباء فارس الإيرانية حيث كشفت عن أن دُور العرض السينمائية في مصر تعتزم عرض الفيلم الإيراني «البودي غارد» أو الحارس الشخصي وهو الفيلم الذي يعلم كل من شاهده أنه يمجد قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني.

وعلى الرغم من أن وكالة الأنباء الإيرانية لم تستند في نقل الخبر إلى مصدر مسئول في مصر إلا أنه أثار حالة من الجدل واللغط لأن عرض مثل هذا الفيلم يعني قبولا بالدور الخطير الذي يلعبه سليماني في المنطقة، فهو الذي يشرف على ما يحدث في العراق وما يحدث في سوريا وما يحدث أيضا في اليمن من حروب تستهدف بالأساس السنة فهو ليس كما يصوره الفيلم منقذا رحيما بالضعفاء.

كما أنه وفي شهر إبريل الماضي أعلنت دِكّة أضِف – مؤسسة التعبير الرقمي العربي – بالمقطم أنها ستقدم برنامج أفلام سيما دِكّة تحت عنوان «لقطة مقربة للسينما الإيراني» تُعرض خلالها ٤ أفلام يقدمها الكاتب السينمائي محمد المصري.

ثم يأتي أخيرا ما تواترت به الأنباء عن قيام شعبان عبد الرحيم وهو أحد المغنين الشعبيين المعروفين في مصر حول تسجيله وتصويره أغنية جديدة حملت عنوان «أنا عندي كلام كتير» تدعم مليشيات الحشد الشعبي في العراق وهي إنتاج مشترك بين مصر والعراق.

إيران البرجماتية

يدرك كل المتابعين للسياسات الإيرانية سواء على مستوى تحركاتها في بلدان المنطقة أو تحالفاتها إقليميا ودوليا أو حتى على مستوى التعارض الفج بين ما تتبناه من شعارات وبين ما تقوم به على الأرض أنها دولة براجماتية من الطراز الأول، وقد غلبت في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية التي هي صانعة لهذه المدرسة السياسية، ومن ثم فلم يكن مستغربا أن تنسحب البرجماتية الإيرانية في السياسة على المجالات الأخرى ومن بينها الفن.

فإيران التي ما فتأت ترفع شعاراتها الإسلامية وتحرص على أن تكون الأعمال الفنية التي تم إنتاجها على أراضيها وبيد فنانيها ملتزمة قدر الإمكان بالشكل والمظهر الإسلامي لا تتردد في أن تسعى إلى التعاون الفني مع «سينما» أخرى ليست فقط غير ملتزمة بهذا الشكل أو المظهر الإسلامي بل إن الكثير من أعمالها ربما يتعارض مع الرؤية التي تتبناها إيران على المستوى الأيدلوجي والفكري، فإيران التي تصنف نفسها بالجمهورية الإسلامية وتعطي لمرشدها الديني والروحي السلطة الأعلى والمرجعية النهائية في البلاد ليس هناك ما يمنعها من أن تتعاون مع جهات فنية ربما تتخذ موقفا مغايرا من الدين الذي لا يعدو عن كونه لدى بعض هذه الجهات علاقة العبد بربه فضلا عن كونه حزمة من الشعائر التي تميز دينا عن آخر وأن دوره المجتمعي لا يتعدى ما تضمنه من أخلاقيات غير ملزمة.

ويجدر بنا هنا أن نطرح تساؤلا جدليا: ماذا لو تم بالفعل التوصل إلى اتفاق بشأن إنتاج فني مصري إيراني مشترك، فهل ستغض إيران الطرف عن مسالة المظهر الإسلامي والالتزام بعدم تصوير ما يعد مخالفا من ناحية الشرع كالنساء العاريات والمشاهد الساخنة وشرب الخمور وتناول المخدرات وغير ذلك مما تتسم به السينما في عمومها؟! وهل ستفرض إيران قصة تتضمن بعض ما تتبناه من أفكار ولو بشكل خفي وماذا سيكون موقفها لو أن السيناريو تضمن همزا أو لمزا كما يحدث في الغالب بالإسلاميين والمتدينين وهل كان سيشارك الفنانون الإيرانيون في هذا العمل وفق الرؤية المصرية أم وفق رؤية إيران التي لا تتناسب مع ما اعتادت عليه السينما المصرية أم أن إيران ستحصر دورها في التمويل المالي للإنتاج؟

تجميل الصورة

في اعتقادي وردا على التساؤلات السابقة أن إيران لم تكن لتصل في شكل التنسيق الطامحة له إلى ما يمكن أن يضعها في موقع الذي يقبل باشتراطات الآخرين فهي دائما تحب أن تكون سيدة الموقف أو أنها الممسكة بخيوط الأمور تحركها كيفما تشاء لتحقق بها أكبر قدر من مصالحها ومن ثم فإنه حتى لو افترضنا جدلا أن ثمة مشروع إنتاج مشترك بين السينما المصرية والسينما الإيرانية فإن غاية ما يمكن تصوره بشأن هذا الإنتاج أن يقوم صانعو السينما المصرية بتوظيف عدد من الفنانين المصريين في إطار عمل سينمائي مشترك شريطة أن يخدم هؤلاء الفكرة التي تريدها إيران فالفن هنا ليس كما يحاول أن يروج الكثير من الفنانين المصريين والعرب «الفن للفن» وإنما الفن بالنسبة لإيران لتحقيق الأهداف والطموحات التي حددها وبصراحة الخميني يوم أن انتصرت ثورة ١٩٧٩م والتي تتلخص في تصدير الثورة والتمهيد لحكم الإمام الغائب.

ولقد أشار الكثير من الباحثين إلى أن أغلب الأعمال الفنية التي تقدمها إيران سواء على مستوى الدراما أو السينما تسعى لتحقيق أهداف منها:

١. تجميل صورة إيران والعمل على تغيير الانطباع عنها عبر تصويرها بأنها بلد يحترم التنوع العرقي والمذهبي والترويج إلى أنها تتمتع باستقرار سياسي ويعمل شعبها قدر سعته على أن يبني نهضته ويقف ضد الاستبداد والغطرسة الدولية.

٢. بث الأفكار العقائدية المتعلقة بالإمام

الغائب ونظرية ولاية الفقيه وضلال أهل السنة.

٣. تشويه الحقائق التاريخية وتزييف بعضها.

٤. الانتقاص من صحابة الرسول ﷺ.

٥. تصوير الجماعات السنية على أنها جماعات عنف تتناحر فيما بينها.

والحقيقة أن الأعمال الفنية الإيرانية نجحت إلى حد ما في تحقيق بعض أهدافها فكان أولا أن تعلقت بها قطاعات كبيرة من المشاهدين المصريين والعرب الذين وجدوا فيها بغيتهم حيث يمكن للأسرة جميعها أن تشاهد العمل الفني دون أن يشعر أحد أفرادها بالحرج لخلوّها من المشاهد أو العبارات الخارجة التي تتضمنها الأعمال المصرية أو العربية فيما أنها تتميز برقي أسلوبها وروعة صورتها حيث تستخدم تقنيات عالية في التصوير والإخراج وتحريك الكاميرا بزوايا تصيب المشاهد بالانبهار والتشجيع على مشاهدة العمل.

وكان ثانيا أن بدأت حالة من الجدل والنقاش التي أثيرت داخل الأوساط الفنية والإعلامية حول الأعمال الفنية الإيرانية والأسباب وراء اهتمام المشاهد المصري والعربي بها وهي النقاشات التي انتقلت من الشكل إلى المضمون.

ثم كان ثالثا أن تسربت الكثير من الأفكار التي بثتها هذه الأعمال الفنية الإيرانية والتي تعرّف عليها المشاهد المصري والعربي إما عبر بعض القنوات العربية التي قامت ببث عدد من الأعمال الإيرانية أو عبر قناة «أي فيلم» الإيرانية التي تبث أعمالا فنية إيرانية «مدبلجة» باللغة العربية سواء مسلسلات كـ «المنسي» و«الذكاء الأسود» و«الإمام علي عليه السلام» و«يوسف الصديق» أو أفلام كـ «واحد من بيننا» و«أنف رخيص» و«الخطوبة» و«شوق الحب».

موقف غامض

ربما لا تثير محاولات إيران للتطبيع الفني مع مصر استغراب المراقبين الذين يعون جيدا طبيعة وتطلعات المشروع الإيراني التوسعي في المنطقة والذي لا يترك بابا إلا ويطرقه، لكن المثير بالفعل هو الموقف المصري وموقف العاملين على السينما المصرية الذين يفترض أن لهم تحفظات على ما يطلقون عليه «الإسلام السياسي» حيث يرى هؤلاء أن محاولة الربط بين الدين السياسة هي شكل من أشكال التطرف الديني وتحميل الدين فوق ما يحتمل – وفق تصورهم – ومن ثم فإنهم يحرصون في ثنايا ما يقدمون على أن ينتقدوا بشدة الذين يتبنون أطروحات «الإسلام السياسي» بمختلف مدارسهم واتجاهاتهم وحركاتهم فكيف وهذا موقفهم من «الإسلام السياسي» يقبلون بالتعاون مع السينما الإيرانية التي تتبنى أطروحات «الإسلام السياسي» أيضا ولكن بشكلها الشيعي، فهل ما يرفضه هؤلاء على المستوى السني يقبلونه على المستوى الشيعي أم ماذا بالضبط؟

بل الأغرب أن من بين الاتهامات التي يمكن أن تلمح لها السينما المصرية في تناولها النقدي لتيارات الإسلام السياسي هو عمالتها لإيران وأن هذه التيارات تحاول أن تجعل من مصر دولة دينية أو دولة ملالي كما هو الحال في إيران وهو ما يسجل مفارقة غريبة تحتاج للكثير من التفسير الذي يدفعنا إلى القول بأننا أمام أحد احتمالين فإما أن حالة الانبهار التي يعيشها الفنانون المصريون والعرب تجاه الأعمال الفنية الإيرانية، التي هي انعكاس لما أبدته الأوساط الفنية العالمية بشأن الفن الإيراني تنحصر في التكنيك أو التقنيات العالية التي يستخدمها العاملون في الحقل الفني بإيران أو أن إيران نجحت بالفعل في أسلوبها الماكر من أن تستقطب عددا من الفنانين المصريين للتعاون معها وهو ربما يفسر لماذا ورغم حملات الانتقاد الإعلامية الشديدة يصر بعض الفنانين المصريين على المشاركة في مهرجانات واحتفالات طائفية!

النقد الذاتي عند الإسلاميين
(٢) الإسلام السياسي

عرض أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

هذا هو الجزء الثاني من السلسلة التي يصدرها محمد توفيق، وينشرها مركز نماء، وقد صدر هذا الجزء في بيروت سنة ٢٠١٦م، وجاء في ٣٠٠ صفحة.

وقضية النقد الذاتي والمراجعة لمسيرة العمل الإسلامي قضية ذات أولوية كبرى خاصة في هذه المرحلة المليئة بالتحديات والفتن، والتي تحتاج إلى تطوير حالة العمل الإسلامي لتجاوز الأخطاء والسلوكيات الكارثية التي تكررت سنوات طويلة.

جاء الكتاب في ثلاثة فصول؛ الأول وهو الأكبر والأهم في الكتاب والذي استعرض فيه الباحث نماذج من النقد الموجه لجماعة الإخوان المسلمين من قبل المنتمين للجماعة تنظيمياً أو فكريا، والذي شغل نصف صفحات الكتاب، وجعل الفصل الثاني لطرح فرضيته بأن جماعة الإخوان تسير نحو تقلص وأفول التنظيم المركزي وتوسع وتمدد دائرة الفكر والنظرية الإخوانية، وكان ناقش في الفصل الثالث والأخير بعض الأسئلة والفرضيات لمرحلة ما بعد جماعة الإخوان التقليدية.

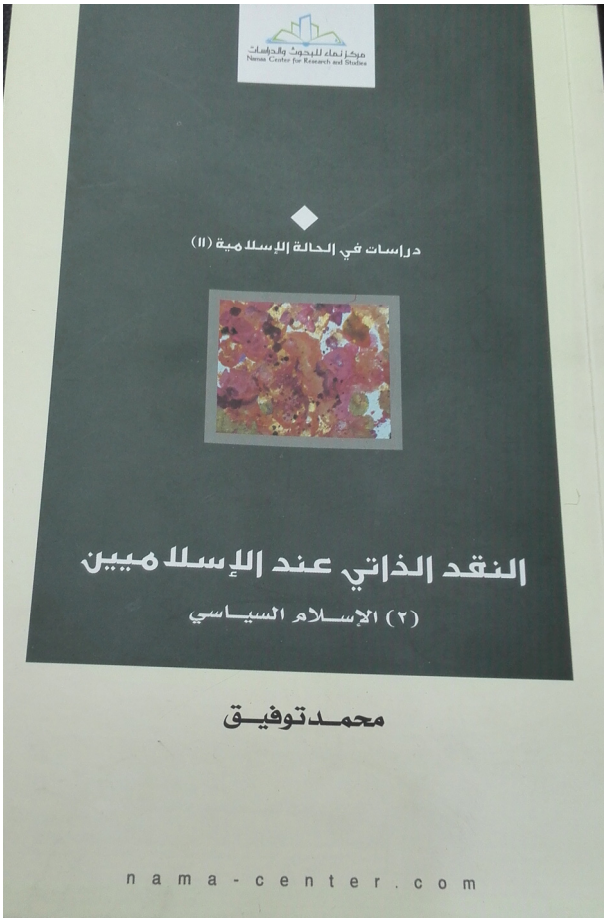

في ختام كتابه يقول المؤلف إنه في هذا الكتاب يرد الجميل للجماعة وقادتها وأفرادها الذين تربى بينهم وحرصا على مصلحة الدين والدعوة والعمل الإسلامي من خلال النصح الصادق والمكاشفة الأمينة.

(*) كاتب أردني.

قصر المؤلف دراسته على جماعة الإخوان المسلمين دون سواها من الجماعات باعتبارها نموذجا ممثلا ومعبرا بشكل كبير، وأيضا اقتصر تحديداً على الفرع المصري منها بسبب كونها الأصل والأقدم وتنوع المحطات التي مرت بها.

يستهل الباحث سرد شهادات رموز وأفراد من التيار الإخواني بملاحظة ضعف مساحة وحضور النقد الذاتي عند الإخوان برغم ضخامة حجمها التنظيمي ومسيرتها الداخلية، وهي قضية سلبية، وقد ظهر هذا في تأخر الجماعة في القيام بنقد ذاتي بعد ما تعرضت له من انقلاب واضطهاد.

جمع المؤلف ١٠ نماذج نقدية إخوانية متعددة الجنسيات والأماكن والخلفيات والأزمنة لتقدم صورة بانورامية لحقيقة أزمة أو أزمات جماعة الإخوان، وهذا وصف مختصر لهذه النماذج:

١- د. عبدالله أبو عزة، وهو فلسطيني عمل في المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين في البلاد العربية، وقد نقد الإخوان مبكرا (سنة ١٩٧٢م) ونقد تصرفات للمرشد حسن البنا نفسه مع احتفاظه له وللجماعة بالود والتقدير، ولم يسرد الباحث طبيعة النقد الذي وجهه أبو عزة للجماعة إلا أنه عجز عن الإصلاح من الداخل بسبب تقديس تراث البنا، وقد فات الباحث أن أبو عزة أخرج كتابا جديدا فصل فيه نقده لجماعة الإخوان والذي رغم أنه ألف قديما مع كتابه الأول إلا أنه لم يطبع إلا منذ عدة سنوات في الأردن.

٢- د. توفيق الشاوي، وهو مصري كان عضوا في قسم الاتصال بالعالم الإسلامي بالإخوان سنة ١٩٣٧م، حيث كان رافضاً لفكرة إنشاء تنظيم دولي لجماعة الإخوان في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، وفات الباحث الاطلاع على كتاب الشاوي الضخم «مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي ١٩٤٥- ١٩٩٥»، والذي سرد فيه الشاوي أخطاء وقع فيها الإخوان مما يلزم التعرف عليها والحذر من تكرارها.

٣- د. عبد الله النفيسي، وهو كويتي وشخصية معروفة، أصدر في سنة ١٩٨٩م، كتابا بعنوان «النقد الذاتي»، حيث انتقد استغراقهم في العمل اليومي عن التخطيط والتفكير للمستقبل، وعدم توثيق الجماعة لتاريخها بشكل علمي ليساعدها على مراجعته وتطويره، وانتقد عدم التزام الاخوان باللائحة الداخلية في عملهم وعدم تطويرها، وتحصين القيادات من المراجعة والمحاسبة.

٤- خلافات فروع الإخوان حول أزمة غزو العراق للكويت سنة ١٩٩٠م، حيث تنازع إخوان الكويت وإخوان الأردن حول ذلك والاستعانة بالأمريكان ضد صدام.

٥- الأستاذ عمر عبيد حسنة، وهو سوري يرأس سلسلة كتاب «الأمة» الذي تصدره وزارة الأوقاف القطرية، حيث تركز نقده للعقلية الذرائعية التي تعرقل المحاسبة والمراجعة، وانقلاب الوسائل إلى غايات بحيث أصبح التنظيم هو الغاية تقريبا! وعدم احترام التخصص وعدم تهيئة قيادات متجددة، وذلك في كتابه «مراجعات في الفكر والدعوة والحركة» سنة ١٩٩١م.

٦- الأستاذ أبو العلا ماضي، وهو مصري استقال من جماعة الإخوان سنة ١٩٩٥م وقدم طلبا لتأسيس حزب الوسط، وانتقد أبو العلا النزاع بين قيادات التنظيم الخاص بالجماعة مع القيادات الفعلية للجماعة، وتداخل النشاط السياسي والدعوي، ومشكلة الوضع القانوني للجماعة.

٧- حل فرع الإخوان في قطر نفسه سنة ١٩٩٩م، بعد دراسة وضعهم في قطر واختيارهم الاندماج في الدولة.

٨- تجربة الإخوان وحسن الترابي في السودان، والتي شهدت انشقاقات متعددة، وتحالف الترابي مع النميري سنة ١٩٧٧م حتى سنة ١٩٨٣م، ثم عودته للسلطة مع انقلاب البشير سنة ١٩٨٩م. حيث نجح الترابي سياسياً لكنه شق صفوف الإخوان، التي

بقيت جماعة هامشية، وكان ذلك أيضاً على حساب المبادئ والأسس الإسلامية التي عرف الترابي بتجاوزها!

٩- د. فريد الأنصاري، وهو من المغرب، وله كتاب «الأخطاء الستة للحركة الإسلامية» صدر سنة ٢٠٠٧م، وتعرض فيه لنقد التيار الإسلامي بمختلف ألوانه، ومما نقد به الإخوان تضخم أو «استصنام» العمل الحزبي التنظيمي لديهم، وأن ذلك أضر بالدور الدعوي وهو الأساس للتيار الإسلامي، وأن ذلك يفتح الباب لتسلل العلمانية للعمل الإسلامي، والتساهل في الالتزام والأخلاق لدى الحركة وقادتها وأفرادها.

١٠- انتقادات أعضاء وجماعات الإخوان في مرحلة ما بعد الانقلاب على حكم الإخوان في مصر سنة ٢٠١٣م، وهو متعدد النماذج كما يلي:

- د. أحمد البيلي، ففي مقالاته سنة ٢٠١٤ يرى أن أخطاء الإخوان تتجسد في عدم وجود رؤية استشرافية وعدم قدرة الجماعة على تطوير برامجها التربوية سريعا بحسب تطور الأوضاع، وعدم وجود انفصال حقيقي بين الجماعة وحزبها، وعجز الحزب عن التواصل مع المجتمع والدولة، وسيطرة القيادة التقليدية الغارقة في التفاصيل اليومية والتي تفتقد التخطيط للأمام، وتصلّب نظم الجماعة الإدارية وصراع الأجيال في الجماعة.

- د. جمال عبد الستار، الذي صرح في ٢٠١٤، أن الجماعة ارتكبت عددا من الأخطاء هي: إدارة الدولة بمنهج إدارة الجماعة، وعدم تطوير هيكل الجماعة وتنظيمها الداخلي.

- نقد مدرسة د. القرضاوي، حيث انتقد القرضاوي فصل الجماعة لعبد المنعم أبو الفتوح، ولم يدعم ترشح د. محمد مرسي، وعقب خلافات الإخوان الأخيرة طالبهم بتقديم مصلحة الإسلام على مصلحة الجماعة، ودعا المختلفين للجنة تحكيم، وطالب بتطوير مناهج التربية والاهتمام بتعميق الثقافة الشرعية لدى أفرادها.

وعلى نفس المسار جاء نقد الشيخ عصام تليمة، مدير مكتب القرضاوي السابق، والذي انتقد اعتبار جماعة الإخوان جماعة المسلمين بشكل مباشر ومقصود أو غير مباشر ومقصود، وانتقد الضعف الشرعي في كوادر الجماعة، وضرورة التحرر من أسر الولاءات التنظيمية، وضرورة رحيل كثير من القيادات عن مواقعهم، وقد كتب مقالا بعنوان «أزمة الإخوان في قياداتها»!

ويرى الباحث أن مدرسة القرضاوى تنادي بتوسيع التيار الفكري لجماعة الإخوان على حساب التيار التنظيمي المركزي، وهو ما سيفصله في الفصل الثاني.

- حذيفة زوبع، نجل القيادي المعروف حمزة زوبع، حيث يرفض أسلوب قيادة الجماعة، ويَعتبر القيادة الحالية مجموعة من الدراويش السذج!

- عمار مطاوع، وهو كحذيفة من شباب الإخوان المنتقدين للقيادة والانغلاق التنظيمي على الذات.

- دراسة «فصل الإخوان عن الثورة» التي أعدها عدد من شباب الجماعة، الذين انتقدوا طبيعة التنظيم الضخمة، والتي تتعارض مع حالة الثورة التي تحتاج مرونة وخفة في الحركة، وأن طبيعة الإخوان لا تصلح لقيادة العمل الثوري، وتعارض أولويات الجماعة مع أولويات الثورة، وسوء سياسة الإخوان في إدارة الحكم وتصريحاتهم الإعلامية غير الموفقة.

- حركة حماس الفلسطينية وحركة النهضة التونسية، عقب الانقلاب وسقوط حكم الإخوان قامتا بمراجعة مواقفهما، فقامت حماس بقبول تشكيل حكومة مصالحة وطنية دون وساطات وبسرعة! وقامت حركة النهضة بقبول خطة الطريق السياسية التي كانت ترفضها لدفع شبح الإقصاء التام لها عن المشهد السياسي كما حدث للجماعة في مصر.

وساق الباحث تصريحات لقيادات من النهضة وحماس تحث على النقد والمراجعة

وتجاوز الأخطاء، ومنها أن الإسلاميين ليس لهم خبرة في الحكم، وعليهم ترك الاستعلاء على الآخرين وسياسة التبرير لأخطائهم والتي تصنع لهم الأعداء بلا سبب!

هذه هي شهادات الإخوان والمتعاطفين معهم، وهذا هو النقد الذاتي للجماعة، وهو يكاد يتفق على وجود خلل في بنية التنظيم وعدم التزام بالقوانين الداخلية، وهناك خلل في الفكر والمعرفة والعلم الشرعي وغيرها، وهناك خلل كبير في القيادة. والغريب أن هذا النقد نقد قديم ومن الداخل ومع ذلك لم يتم علاجه برغم كل هذه السنوات الطويلة!

وفي الفصل الثاني يطرح الباحث نظريته بأن الجماعة عليها التخفيف من القيود التنظيمية وتنفتح على عالم الفكر وتصبح حالة فكرية وليست حزبا مصمتا حديديا، ومن أجل ذلك يحلل الباحث تركيبة الجماعة ليصل إلى أن طبيعتها ترفض العمل الثوري وتميل للمهادنة ولا تتصف بالذكاء والوعي لقيادة التغيير في المجتمع، ويدلل على ذلك بسرد تاريخ الجماعة مع الدولة المصرية منذ العهد الملكي وحتى الآن.

ثم ينتقل المؤلف لتفحص التيارات الداخلية في جماعة الإخوان، حيث كانت البداية بخط البنا، ثم ظهور تيار التنظيم الخاص، ثم جاء طرح سيد قطب الذي تحالف مع التنظيم الخاص لاحقا، ولغاية محنة ١٩٦٥ أصبحت الجماعة فيها ٣ تيارات هي: تيار البنا الإصلاحي، ثم تيار التنظيم الخاص الذي تشرب فكر سيد قطب، وهذا التيار انشطر لقسمين، قسم زاوج فكر البنا مع فكر سيد قطب وشكل التنظيم الحديدي الذي سيطر على الجماعة لعقود طويلة وحتى الآن.

وقسم انفصل عن الإخوان تقريبا وبقي وفيا لفكر سيد قطب مثل تيار أحمد عبد المجيد وعبد المجيد الشاذلي.

ويرى الباحث أن الجماعة = التنظيم المركزي في حالة أفول بسبب انحسار فاعليته وتأثيره في الواقع المصري بعد سجن وقتل وهروب قادته وكثير من أفراده وتدمير مؤسساته، وحصول فراغ في القيادة حولت بعض المجموعات نحو التطرف والعمل العسكري في الخارج أو الداخل بشكل مستقل.

وفي الفصل الثالث يطرح الباحث بعض الأسئلة عن المستقبل، ماذا بعد النقد؟ وماذا بعد الأفول؟

حيث يتساءل عن دقة منهجية نقد الجماعات الإسلامية!

وهل تتوفر داخل الإخوان هيئات مؤهلة علميا للنقد الذاتي؟

لماذا لا نتجاوز فكر البنا؟

هل يمكن اعتماد نموذج حماس في غزة على حالة مصر؟

لماذا يعوض الإسلاميون فقد الأدوات للنهوض والتمكين بالاعتماد على الخطابات العاطفية عن نصر الله؟

لماذا لا نعترف بفشل خطابنا الإعلامي؟

هل يمكن أن نفكر بما بعد مرسي وما بعد الجماعة التقليدية؟

هل يمكن تطوير منظور الدولة ليشمل العلمانية والحداثة؟

وهنا ينتهي الكتاب، ويبدأ البحث عن الأسئلة في الواقع، وهل سنشهد استفادة من النقد الذاتي هذه المرة أم سنعيد إنتاج الكوارث والأزمات كل مدة؟

غدا يذوب الثلج ويظهر المرج!

قالوا: وصف الرئيس الجديد لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي آي إيه)، مايك بومبيو، إيران بأنها أكبر دولة راعية للإرهاب.

وقُبيل تعيينه رئيساً لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، قال بومبيو، في آخر تغريدة له عبر حسابه على موقع «تويتر»، الخميس، إنه يتطلع إلى «إلغاء الاتفاقية الكارثية مع أكبر دولة راعية للإرهاب»، في إشارة إلى الاتفاق النووي مع إيران.

الخليج أون لاين ٢٠١٦/١١/١٨.

مع من؟

قالوا: رضينا بكم محايدين، لكن أن تصطفوا بهذا الشكل الواضح، فهذا ضد مجلس التعاون الخليجي، وضد اليمن، وضد ميثاق الجامعة العربية، بل وضد ميثاق الأمم المتحدة الذي يحظر على إيران تصدير أسلحة.

نقلت وكالة رويترز العالمية عن مسؤولين غربيين وإيرانيين وأمريكيين أن جانباً كبيراً من عمليات نقل الأسلحة الإيرانية للحوثيين في اليمن يتم عن طريق سلطنة عمان. اقرؤوا هذا الخبر، الذي لا يجدي معه نفي. قال مسؤولون أمريكيون وغربيون وإيرانيون لوكالة رويترز إن إيران صعدت عمليات نقل السلاح للحوثيين الذين يقاتلون الحكومة المدعومة من السعودية في اليمن وذلك في تطور يهدد بإطالة أمد الحرب التي بدأت قبل ١٩ شهرا واستفحالها...

وقال المسؤولون إن جانبا كبيرا من عمليات التهريب تم عن طريق سلطنة عمان المتاخمة لليمن بما في ذلك عبر طرق برية استغلالا للثغرات الحدودية بين البلدين.

ويمثل ذلك ورطة أخرى لواشنطن التي تعتبر السلطنة أحد أطراف التحاور الرئيسية وحليفا استراتيجيا في المنطقة التي تشهد صراعات متعددة.

محمد الجميع – مأرب برس ٢٠١٦/١٠/٢١

الحقيقة المغيبة!

قالوا: فاقت الجرائم الإرهابية الفردية التي استهدفت رجال الأمن في المنطقة الشرقية، ونفذها إرهابيون في العوامية تلك التي اقترفها تنظيم داعش في مختلف المناطق، إذ راح ضحيتها ٢٠ شهيدا من رجال الأمن الذين يسهرون على تأمين وحماية المنطقة الشرقية والعوامية، مقابل ١٠ استشهدوا بجرائم نفذها داعش آخر ٣ سنوات.

صحيفة الوطن السعودية- ٢٠١٦/١١/١٩

غزو شيعي سينمائي!

قالوا: اشتكى مجيد مجيدي المخرج الإيراني لفيلم «محمد رسول الله»، من ضعف إقبال الجمهور التركي على فيلمه المثير للجدل.

وقال مجيدي، إن «سبب اختيار مرحلة طفولة وصبا النبي محمد، وجعلها العمود الفقري للفيلم، كونها أكثر الموضوعات التي يتفق عليها المذهبان السني والشيعي».

وأثار الفيلم، الذي يتناول طفولة النبي محمد حتى عمر الثانية عشر، وفترة بزوغ نور الدين الإسلامي، منذ بدء عرضه في عدد من الدول حول العالم، ردود أفعال وانتقادات كثيرة، لا سيما في الشرق الأوسط.

ورد مجيدي على هذه الانتقادات، قائلا: «أتمنى من

ناقدي الفيلم أن يسمحوا للناس بالذهاب إلى دور السينما ومشاهدة الفيلم، ومن ثم ننصت لآرائهم، إيجابية كانت أو سلبية».

ولفت المخرج الإيراني أنه كان ينتظر من مشيخة الإزهر الشريف بمصر وعلماء المملكة العربية السعودية، أن لايسرعوا في انتقاد الفيلم، ويتمهلوا قليلا حتى مشاهدته، ومن ثم ينتقدون كما يشاؤون.

ووصف مفتي السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء الشيخ عبد العزيز آل شيخ، في وقت سابق، فيلم مجيدي بأنه «مجوسي مخالف للشرع ومعادٍ للإسلام».

وحذر المفتي، في تصريحات صحفية، من تداول الفيلم، واعتبره «استهزاء بالرسول وحط من قدره» وأن هدفه «تشويه الإسلام».

من جانبه طالب الأزهر الشريف بعدم عرض الفيلم، مؤكدا أنه لا يجوز شرعا تجسيد الأنبياء، في الأعمال الفنية عامة، والدرامية خاصة، لمخالفته التعاليم الإسلامية المتعلقة بتصوير النبي في الأعمال الدرامية.

بدورها، علقت رئاسة الشؤون الدينية التركية على فيلم مجيدي، وقالت إن «بعض مشاهد ولقطات الفيلم بعيدة جدًا عن الوقائع التاريخية وتحوي عناصر ملفقة».

ووصلت تكلفة الفيلم، الذي يعد الأغلى تكلفة في تاريخ السينما الإيرانية، إلى ثلاثين مليون دولار، واستغرق إنتاجه سبعة أعوام.

وكالة الأناضول ٢٠١٦/١١/٢٢

حقد وإرهاب بوذي

قالوا: أكد مسؤول في الأمم المتحدة أن ميانمار تسعى إلى إجراء تطهير عرقي، وإلى التخلص من أقلية الروهينغا المسلمة على أراضيها.

ونقلت هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» عن جون ماكيسيك، الذي يعمل في المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، أن القوات المسلحة تقتل الروهينغا في ولاية راخين، وتجبر الكثيرين على الفرار إلى بنغلاديش المجاورة.

وتدفق المزيد من المسلمين من أقلية الروهينجا هذا الأسبوع من ميانمار إلى بنجلادش المجاورة، وسط مخاوف من مقتل بعضهم؛ جراء غرق قارب في النهر أثناء محاولتهم الفرار من العنف المتنامي، الذي قتل ٨٦ شخصا على الأقل، وأجبر حوالي ٣٠ ألفا على النزوح.

وقالت الأمم المتحدة إن موجة القتال في الآونة الأخيرة أسفرت عن نزوح ما يقارب ٣٠ ألف شخص حتى الآن وتضرر الآلاف.

عربي ٢١- ٢٠١٦/١١/٢٣

أأيقاظ بنو أمية أم نيام؟

قالوا: يقول خبير عسكري متقاعد إنه من خلال المعاينة يؤكد أن مخيمات العبدلي تصلح كمقار إدارية لدعم وإسناد عملية كبيرة تصل إلى نويصيب.

د. عبدالله النفيسي – تغريدة بتويتر

حقيقتهم المرة!

قالوا: صورة المرأة في السينما الأمريكية منحطة إلى أبعد حد والذكورية تطفح في كل حين .. وازدادت بعد التسعينات بشكل كبير.

ملاك الجهني – تغريدة بتويتر

الإجرام الوقح

قالوا: ٨٪ من الهجمات الروسية في سوريا وجهت ضد تنظيم الدولة خلال الفترة من أكتوبر إلى نوفمبر.

مجلة فورين بوليسي

الإرهاب القانوني

قالوا: إقرار قانون مليشيات الحشد الشعبي من قبل البرلمان العراقي يعني إقرار تشكيل حرس ثوري امتدادا للحرس الثوري الإيراني.

محمد الماجد – تغريدة بتويتر

شعب الكويت ينتفض

قالوا: نتائج انتخابات «مجلس الأمة» الكويتي فوز الإسلاميين والمعارضة وتراجع الشيعة.

الخليج الجديد- ٢٠١٦/١١/٢٧

أجندة ترامب للشرق الأوسط: الفرص والتحديات

علي حسين باكير – عربي ٢١ ٢٠١٦/١١/١٢

ما نعرفه عن الرئيس الأمريكي المنتخب دونالد ترامب من خلال ما أدلى به من تصريحات، وما أظهره من مواقف خلال المنافسة الانتخابية، يقول إنّه شخص استعراضي، ويمتلك شخصية غير مستقرّة، ويحب الارتجال، أي لا يمكن توقّع خطواته.

في المقابل، هناك من يعتبر أنّ المظاهر خدّاعة، وقد لا تعكس الأجندة الحقيقية بالضرورة، وهو ما يعني أنّ خطاب ترامب السابق كان للاستهلاك المحلي فقط، وأنّ سياساته ستكون مختلفة، ولذلك فلا داعي للخوف، فالولايات المتّحدة دولة مؤسسات، وترامب سيضطر في نهاية المطاف إلى أن يخضع لسقف هذه المؤسسات.

هذا الإدّعاء قد يمتلك شيئا من الصحّة، لكنّه ليس مطلقا، ويمكن المجادلة فيه أيضا. صحيح أنّ الولايات المتّحدة دولة مؤسسات لكن شخصية الرئيس وأجندته السياسية تؤثّر بشكل كبير في هذه المؤسسات. المؤسسات لا تمتلك أجندة سياسية بذاتها وإنما يتم استخدامها لتنفيذ أجندة سياسية، كما أنّ الفريق الفائز في الانتخابات يأتي بفريقه وأتباعه على المستوى السياسي في كل المؤسسات لكي يكون هناك انسجام على مستوى القرارات والتنفيذ.

أضف إلى ذلك أنّ الرئيس في الولايات المتّحدة يمتلك صلاحيات حقيقية، وهو قادر إذا ما أراد أن يحقّق أجندته وإن كانت تخالف السياق العام لما اعتادت عليه هذه المؤسسات. أبرز دليل على هذا الكلام أوباما نفسه، ولا سيما ولايته الثانية بالتحديد. وحتى لو افترضنا أنّ هناك جزءا من خطاب ترامب كان للاستهلاك المحلي، فإن هناك خصائص في ترامب راسخة وواضحة ولا يمكن التنكّر لها.

هناك خوف حقيقي داخل الولايات المتّحدة الأن على الصعيد الشعبي والرسمي، في ظل الاستقطاب الذي تحوّل إلى إنقسام مؤخرا مع خطاب الكراهية وحالة الشعبوية التي أتى بها دونالد ترامب. هناك تركيز أيضا على مستوى البنتاغون والخارجية على نقل السلطة بشكل سليم إلى الرئيس المنتخب، وهو ما يعبّر عن حالة القلق التي تسود هذه المؤسسات مع التركيز مؤخرا على دعوة الموظفين لأن يحيّدوا التوجهات السياسية الشخصية عن عملهم.

هذه المعطيات بالتحديد من شأنها أن تخلق حالة من عدم اليقين والذعر وهذا أمر مفهوم. لكن لمواجهة هذا الوضع، سيكون من الأهميّة بمكان أن نراقب وندرس جيدا الشخصيات التي سيختارها ترامب للعمل معه ضمن في فريق إدارته لا سيما في السياسة الخارجية والدفاع والأمن القومي. وبما أنّ الرجل لا يمتلك أي خبرات سياسية أو

عسكرية حقيقية فمن الصحيح أن نفترض أنّ هذه الشخصيات ستؤثّر إلى حدّ كبير على قرارات ترامب في المسائل الحسّاسة.

معظم الأسماء المرشحة لهذه المنصاب تنتمي إمّا الى معكسر المحافظين الجدد (القديم) أو إلى اليمين المتطرّف الغالب على مواقف هؤلاء هو: العلاقة الحميمة جدا مع إسرائيل، الموقف المتشدد من إيران، والعداء للإسلام تحت شعار محاربة الإرهاب. هذه الثلاثية غير المستقرّة، تحملها معها تحديات وفرص عددية، لكنّها ستزيد على الأرجح من حالة الفوضى التي تعاني منها المنطقة ما لم يتم الانتباه جيدا إلى السياسات التي يتم تطبيقها.

ترامب يرفض الاتفاق النووي مع إيران بشكل الحالي، وهذا أمر جيّد للدول التي لطالما شككت في نجاعة هذا الاتفاق. هناك حاجة إلى تحجيم إيران وإعادتها إلى حجمها الطبيعي بعد التمدد غير المسبوق في نفوذها خلال المرحلة الماضية، وهو التمدد الذي جاء نتيجة لسياسات أوباما المقصودة والتحالف غير المباشر مع نظام الملالي.

معظم الدول الإقليمية تعاني اليوم بشكل شديد من سياسات إيران التخريبية، وقد ثبت أنه ليس باستطاعة هذه الدول فعل شيء طالما أنّ الموقف الأمريكي يميل نحو إيران. أمّا وقد جاء ترامب، فإنّ من الممكن العمل معه ضد إيران. ومن المهم جدا في هذا السياق أن لا يقتصر التعاون على الملف النووي وإنما أن يشمل أيضا المليشيات الشيعيّة المسلحة في المنطقة بما في ذلك حزب الله والمليشيات الشيعية العراقية.

في المقابل ما لم يغيّر ترامب من موقفه السلبي من الإسلام ويوازن العلاقة مع إسرائيل من خلال التركيز على حل عادل للقضية الفلسطينية، فإنّ إيران ستستغل هذا الموقف بالتحديد لتجييش الجماعات المتطرفة والشعوب الإسلامية وتعمل على الاستفادة منها لتحمي نفسها ولتزيد من مشاكل الولايات المتّحدة والدول الإقليمية، وهو سيناريو طبّقته طهران بشكل ممتاز منذ العام ٢٠٠٣ تقريبا وحتى العام ٢٠٠٩.

أمّا السلبيّة الأخرى لدى ترامب فتكمن في أنّه لا يمانع أبدا في الاستعانة بأنظمة مثل الأسد والسيسي وبوتين لمحاربة «داعش» و«القاعدة». مثل هذا الأمر يعني العودة إلى المربّع الأول، لأنّه يعتبر تجاهلا لجذور المشكلة والأسباب الحقيقية التي أدت إلى ولادة داعش والقاعدة. إذا لم يتغيّر هذا الموقف، فسندخل في دوامة، وستكون الدول الإقليمية هي الخاسر الأكبر، وقد يصبح ترامب عرضة للابتزاز من قبل هذه الأنظمة، ومن يقبل عروضها في مكافحة الإرهاب فقد يقبل كذلك عروض النظام الإيراني كما فعل أوباما.

سبق لترامب وأنّ أشار إلى إمكانيّة أن تترك الولايات المتّحدة حلفاءها يواجهون المخاطر بأنفسهم دون مد يد العون إليهم خاصّة إذا لم تقم هذه الدول بالدفع مقابل الموقف الذي سيتّخذه ترامب. مثل هذه الوضع قد يشكّل فرصة مهمة لتحفيز الدول الإقليمية للاعتماد على نفسها والتعاون أكثر في ما بينها لا سيما على الصعيد الدفاعي والأمني.

سياسات ترامب قد تدفع أيضا بعض الحلفاء في المنطقة لأن يصطدموا مع بعضهم البعض، أو أن تلغي جهود بعضهم جهود البعض الآخر لا سيما في منطقة الخليج العربي. من الخطر بمكان إذا ما قرر ترامب أن يحارب الجماعات الإسلاميّة التي لا تنتهج العنف أن تنضم إليه بعض دول الخليج، فهذه سياسة عقيمة وسبق وأن تمّ اختبارها أواخر عهد الملك السعودي الراحل عبدالله وأدّت إلى كوارث لا نزال نعاني من تداعياتها حتى اليوم

هل يمتلك ترامب سياسة محددة تجاه إيران؟

علي حسين باكير – عربي ٢١ ٢٠١٦/١١/١٩

هناك الكثير من التكهّنات التي تتعاطى مع جوانب جزئية من تصريحات الرئيس المنتخب دونالد ترامب كأنها سياسات قطعيّة، على الرغم من أن الرجل لم ينته من اختيار فريقه بعد، ولم يعلن بشكل واضح عن رؤيته السياسية في كل الملفّات، في الوقت الذي يعتقد فيه كثيرون أنّه لا يمتلك أصلاً أي رؤية سياسية متماسكة حيال أي من الملفات الأساسيّة.

كل ما هو موجود حتى الآن مجرّد عناوين عريضة ومواقف سطحيّة من قضايا محددة، وهي إن كانت تعطي مؤشرات قوية على توجهات ترامب، فإنّها ليست كافية وحدها لكي نبني عليها تصوّرات كاملة قبل أن يتم الإعلان بشكل نهائي عن تشكيلة الإدارة المقبلة وعن التوجهات السياسية الرئيسية.

في الملف الإيراني، لا يمتلك الرئيس المنتخب ترامب سياسية محددة بعد للتعامل مع النظام الإيراني، فكل ما يمتلكه هو موقف من الاتفاق النووي كان قد أعلن عنه قبل الفوز في الانتخابات الرئاسية. ترامب وصف مرات عديدة الاتفاق النووي بأنّه سيئ وغير مقبول، كما قال حرفيا في إحدى المناسبات إنّ الاتفاق النووي هو «أسوأ ما يمكن أن يكون قد تمّ التفاوض عليه على الإطلاق»، وقد وعد في حال فوزه بأن يجعل من تفكيك الاتفاق النووي «الأولوية رقم ١» لديه. لكن في المقابل، ترامب كان قد ذكر أيضا أنّه سيقوم بإعادة التفاوض حول الاتفاق النووي لتحسين شروطه، وتشديد القيود على إيران، ومراقبة التطبيق التام لكافة بنوده، بشكل لا يسمح للنظام الإيراني باستغلاله لغايات أخرى.

وانطلاقا من هذه المعطيات، فإن من غير المعروف ما إذا كان ترامب سينهي الاتفاق فعلاً، أو سيقوم بإعادة التفاوض عليه. هناك نقاشات عديدة حول هذا الموضوع ربما نتطرق إليها في مقال لاحق، لكن ما نقصده هنا هو أنّ شكل السياسة التي سيتم إتّباعها تجاه إيران لم يحدّد بعد. ما يؤكّد هذا الاستنتاج أيضاً عدم اكتمال قائمة المناصب الرئيسية في إدارة ترامب المقبلة، علما بأنّ لمرشحي هذه القائمة آراء متفاوتة حيال إيران، مع التسليم بأنّ معظم - إن لم نقل جميع- المرشحين ينظرون بسلبية إلى النظام الإيراني.

هذه النقطة الأخيرة بالتحديد تطرح تساؤلاً عن الكيفية التي سيتم بها التعامل مع إيران لاحقا في ظل التناقض الظاهر في الطروحات بين من يريد من هؤلاء المرشحين أن يواجه النظام الإيراني، وبين قبول موقف ترامب في الملف السوري، وهو الموقف الذي لا يرى مشكلة في السياسية الروسية الداعمة للأسد فضلا عن بقاء الأسد نفسه!

لا شكّ أن قبول ترامب بالتحالف مع روسيا لمحاربة داعش والإبقاء على الأسد، يشكّل - على الأقل من الناحية النظريّة- عامل التقاء لا افتراق مع النظام الإيراني الذي يتحالف بدوره مع روسيا تحت شعار مكافحة داعش ويدعم الأسد للبقاء في السلطة. هذا يعني حكما أن انفتاح ترامب على إيران في نفس الموضوع سيكون من ناحية النظرية أيضاً احتمالا ممكناً، وإلا فإنه سيتحوّل في حينه إلى تناقض غير مفهوم.

يعلم النظام الإيراني هذه المعطيات جيداً، ولذلك فقد شرع مبكّراً عبر شخصيات مختلفة، وعلى مستويات متعددة، في إطلاق سلسلة من التصريحات والمواقف التي تهدف إلى التأثير على توجهات ترامب المقبلة. خلاصة القول أنّ ترامب لا يمتلك سياسة واضحة تجاه إيران بعد، وليس من الصائب ربما التوصل إلى استنتاج عميق من خلال

البناء على موقف واحد فقط لا غير، إذ سيكون علينا الانتظار حتى نبني على الشيء مقتضاه، خاصّة أنّ الجانب الإيراني يرى أنّ هناك إمكانيّة للاستثمار في موضوع «محاربة داعش» و«الحرب على الإرهاب» و«تخلي ترامب عن الحلفاء» ليقوم هو بملء الفراغ مجددا، تماماً كما فعل مع أوباما.

الجماعات الإرهابية وقوة التأثير الناعمة

د. عبد الله بن خالد بن سعود الكبير –
الشرق الأوسط ٢٠١٦/١١/٢١

صاغ جوزيف ناي، أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد، مصطلح «القوة الناعمة» لأول مرة في بداية العقد الأخير من القرن الماضي. وعرّفه بشكل عام بأنه القدرة على التأثير والإقناع من دون اللجوء للقوة والإكراه. وانتشر بعد ذلك هذا المصطلح واستخداماته انتشار النار في الهشيم بين الساسة والأكاديميين وطلبة العلوم السياسية. قد يتساءل شخص ما عن علاقة هذا المفهوم بجماعات العنف والإرهاب الموغلة في الوحشية والقائمة على المواجهة المسلحة.

من الصعب تصور امتلاك هذه الجماعات - بالأخص «داعش» - لأي نوع من القوة سوى القوة الصلبة. فعلى سبيل المثال، كان أتباع الزرقاوي يشيدون به على أنه «شيخ الجزارين»، وأفلام الإعدامات بالحرق والغرق وجز الرؤوس التي تصدرها هذه الجماعات تعطي انطباعا أوليا بأنها لا تعير وسائل «القوة الناعمة» أي اهتمام.

لكن الحقيقة مغايرة تماما لذلك. فالمتتبع للجماعات الإرهابية والباحث في شؤونها سيجد أن عالم التشدد والإرهاب والتطرف لا يقتصر على العنف والجانب القتالي العسكري فقط، بل له جانب أنعم يتضمن طريقة الملبس، العبادة، الشعر، الأناشيد، تفسير الرؤى والأحلام، تبادل الروايات حول الكرامات. هذه «الثقافة» والتي عرفها الباحث في شؤون الجماعات المتشددة، توماس هيغهامر، بأنها «المنتجات والممارسات التي تتعدى الاحتياجات العسكرية الأساسية للجماعات المتشددة»، لا بد من أخذها في الاعتبار عند أي محاولة لسبر أغوار سر جاذبية هذه الجماعات واستقطابها للآلاف من الأشخاص حول العالم. إن هذه الثقافة بطبيعتها تخلق جاذبية عاطفية لا يمكن الاستهانة بها، كما أن دراستها والاهتمام بها - وإن كان يبدو أقل أهمية من الاهتمام بمواضيع الأيديولوجية المحركة لهذه الجماعات، وشخوصها، وأهدافها واستراتيجياتها العسكرية - سيعوض نقصًا حادًا في هذا الجانب في الدراسات الأكاديمية حول الإرهاب، يلقي الضوء على كيفية تفكير وتصرف هذه الجماعات، ويعزز فهمنا لأسباب الانضمام لها، ويساعد بالنتيجة على صياغة خطاب مضاد أكثر دقة وأنجع تأثيرا.

إن أول ما يمكن ملاحظته حول هذه «الثقافة» هو استخدام أبنائها للكنى واللباس المميز، خصوصا عصابة الرأس. يمكن فهم ذلك في سياق رغبتهم بتحديد وتكوين «هوية» فارقة لهم يعرفون بها وتميزهم عن غيرهم. وقد اشتهر تنظيم داعش بذلك، خاصة بعد انتشار قصيدة «يا عاصب الراس وينك» التي أنشدها «شاعر داعش» سعد الشاطري المطيري في جلسة تضم عدة أعضاء من التنظيم، منهم القيادي «أبو وهيب» الذي قتل في مايو (أيار) ٢٠١٦، والمنشد السعودي ماهر مشعل الذي انضم للتنظيم في ٢٠١٣ وقتل في ٢٠١٥.

أيضا، من الأمور الملحوظة في عالم هؤلاء المتطرفين كثرة العبادة والزهد وقراءة القرآن والبكاء، وهذا المظهر العام لهم يرسم انطباعًا وصورة حالمة عن عالمهم وثقافتهم لدى أذهان البعض، خصوصًا من أصحاب العلم الشرعي القليل والمحدود، بأنهم هم القابضون على دينهم والممثلون الصادقون له. فمثلا، كان أسامة بن لادن، برواية رفيقه إبراهيم القوصي، خلال فترة إقامته في

السودان يأمر ابنه بفصل الكهرباء عن منزله كل صباح حتى يعيش وأهله الزهد واقعا. كما أنه مما اشتهر عن أبو مصعب الزرقاوي أنه كثير البكاء. والروايات التي يتناقلها ويرويها «المتشددون» اليوم عن بعضهم البعض حول هذا السياق كثيرة. إلا أنهم ليسوا بدعًا في هذا بل امتداد لما كان عليه الخوارج في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومصداق لقول نبينا عليه الصلاة والسلام «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة». فلا تنفع الإنسان كثرة عبادته ولا زهده إن كان ضال الهدى والعياذ بالله.

أما بالنسبة للشعر والأناشيد، فلها موقع مميز في هذه «الثقافة». إن للشعر عند العرب مكانة خاصة، وقد كانت القبائل العربية قديما تسعد بظهور شاعر من أبنائها. وكذا الحال الآن مع الجماعات المتطرفة والإرهابية لإدراكها بأهمية هذا «الوسيط» لإيصال رسائل ومضامين قد تعجز الخطابة السردية أو الكتابة المقالية عن إيصالها. إن صياغة أعنف المضامين وأكثرها سوداوية وانحرافًا في قالب شعري جميل ومؤثر تجعلها تبدو أكثر رومانسية وجاذبية وإنسانية. لذا كثيرا ما تجد من المنتمين لهذه الجماعات احتفاءً بشعرائهم وتداولاً ونشرًا لقصائدهم في المنتديات ومواقع التواصل الاجتماعي. فمن أشهر شعراء «داعش» مثلا السورية المسماة «أحلام النصر» وهي تكتب بالعربية الفصحى، وكذلك السعودي سعد الشاطري الذي يكتب بالعامية.

أما إذا ما صاحب هذا القالب الشعري لحن جميل وصوت عذب، فإن التأثير يكون أصدق قوة وأكثر عمقًا. لذا قلما يمضي شهر أو أقل إلا وتجد نشيدًا متشددا جديدًا يضاف إلى قائمة آلاف الأناشيد التي تدور حول مواضيع عدة من أهمها: تكرار بيان أجر الجهاد و«الشهادة»، وذلك لتأليفها وترغيبها وإزالة الشكوك حولها في نفوس المتلقين، وكذلك إبراز «المتشددين» على أنهم القدوات والمدافعين عن الإسلام ضد الكفرة الصليبيين والمرتدين. لقد أدرك أحد أهم منظري التيار المتطرف أنور العولقي (قتل في ٢٠١١م) أهمية ودور الأناشيد في استنهاض الهمم والتأثير على الشباب، فكتب في كتيب نشره باللغة الإنجليزية مطلع ٢٠٠٩، بعنوان «٤٤ طريقة لدعم الجهاد» أن الأناشيد اليوم من الممكن أن تلعب نفس الدور الذي كان يلعبه الشعر في صدر الإسلام من إلهام للمسلمين وتثبيط للكافرين. كما ذكر العولقي أن الأناشيد تضمن انتشارًا واسعًا للأفكار وهي «عنصر هام في خلق ثقافة الجهاد». كما حث على سد الفراغ فيما يخص الأناشيد باللغة الإنجليزية من قبل الشعراء والمنشدين الموهوبين من أهل اللغة.

وعيًا من جماعات الإرهاب والتطرف بأهمية الأناشيد وتأثيرها، أسس بعضها مؤسسات إعلامية تابعة لها متخصصة في إنتاجها، مثل مؤسسة أجناد الداعشية. كما أن أتباع هذه الثقافة والمتعاطفين معها لا يألون جهدًا في نشر وتحميل هذه الأناشيد عبر مواقع الشبكة الإلكترونية المختلفة وجعلها خلفية لكثير من مقاطع التدريب والقتال الخاصة بتلك الجماعات.

أخيرا، لا يمكن الحديث عن «الثقافة المتشددة» من دون المرور على أحد أهم عناصرها وهي الرؤى والأحلام. قد يبدو هذا الموضوع لمن هو خارج هذه «الثقافة» ليس ذا أهمية كبرى، ولكنه من أهم المحركات والمؤثرات في قرارات كثير من أبنائها، وذلك من خلال ربط الرؤى والأحلام بالواقع، ومن ثم التخطيط والتجهيز على أساسها. إن هذا الجانب أو العنصر لا يعد جديدًا على هذه الثقافة، بل من أقدم جوانبها الذي كان منتشرا بكثرة خلال فترات الجهاد الأفغاني الأول والفترة

ما قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول)، بل حتى قبل ذلك مع جماعة جهيمان. وقد دعا انتشار تعبير الرؤى والاعتماد عليها بين أوساط «المتشددين» قبل أحداث سبتمبر، أبو مصعب السوري - أحد أهم منظري الفكر المتشدد التكفيري - إلى انتقاد الإسراف في ذلك والتنبيه من بعض آثاره السلبية مثل الخمول والكسل وانتظار الفرج، وذلك في فبراير (شباط) ٢٠٠١. إلا أن ذلك لم يخفف من قوة حضور هذا الجانب المهم في «هذه الثقافة» لدى الجماعات والتنظيمات المتطرفة، وشواهد ذلك ودلائله واضحة، بدءا من الجلسة الودية التي جمعت بن لادن ببعض مقرّبيه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر يتداولون أحلاما ومنامات تفسّرها على أنها نصر كبير، وانتهاءً بالكثير من الرؤى والأحلام التي يفسّرها ويتناقلها أبناء هذه الجماعات اليوم تفسيرًا يخدم توجهاتها وأهدافها المرحلية الآنية والمستقبلية. ويكفي على سبيل المثال أخذ جولة سريعة في الموقع الداعشي «موسوعة دار الأرقم للرؤى العامة» لإدراك حجم ومركزية هذا العنصر في ثقافة هذه التنظيمات المتطرفة.

إن جميع هذه العناصر والممارسات التي تكوّن مجتمعة ما يمكن تسميته «الثقافة المتشددة» تستهدف البعد النفسي والعاطفي للمتلقي، وهي أمور، وإن بدت لنا تافهة أو أقل أهمية من غيرها من الجوانب المتعلقة بالظاهرة الإرهابية، إلا أن دورها وأهميتها في تثبيت وتعميق اعتقاد أبناء هذه الثقافة بصحة منهجهم، وجذب عناصر جدد لها لا يمكن الاستهانة به ويجب عدم الغفلة عنه. إن متابعة هذه الجوانب «الحياتية» غير العسكرية للمنخرطين في الجماعات الإرهابية، والتي تعد من أهم وسائل قوتهم الناعمة، ورصد اختلافاتها بين المجموعات وتحولاتها عبر الزمن، يعد مجالاً جديدًا غاية في الأهمية لنا معشر الباحثين والأكاديميين، وكذلك للمسؤولين القائمين على صياغة استراتيجيات المجابهة لخطابات هذه التيارات المتطرفة، من أجل فهم أعمق وتحليل أدق ومواجهة أجدى.

المدرسة الإيرانية لفنون السياسة وصناعة الإرهاب!

حامد الكيلاني - العرب /٢٠١٦/١١

عندما يصف الرئيس الروسي فلاديمير بوتين ممارسات وأسلوب نظام الملالي في طهران، بأنه مدرسة في فن السياسة، فهو لا يجافي الحقيقة، لأنهما من مدرسة واحدة تذكرنا بثنائيات فن المغالاة بالكوميديا أو المأساة معاً؛ كما لو كان إطلاق نار بكل الاتجاهات، فمن يموت حظه عاثر وكان يمكن أن يموت بحادث سير أو نزلة برد؛ لم يعد لهما الموت يعني شيئاً، فالكمال في فن السياسة يبرر قوافل القتلى وفاقدي الأطراف وجموع المهاجرين والمعاقين وبراميل الدموع.

إيران وروسيا تأكلان شعوبنا باستمتاع وليس لديهما مقتنيات الإحساس بالنقص، وتلك أدوات سلطتهما التي صنعت أبشع أنواع الفصل العنصري بين مفاهيم السلطة والقوة وبين حرية الشعوب وحقوق الإنسان، في سياق انطلاق المشروع الإيراني بمرحلته العلنية، بعد إعلان خامنئي انتهاء صلاحية التقيّة وفترة المظلومية، وشعوراً من النظام الإيراني ومقلدي ولايته بالقوة، فإن الكتمان والتعتيم على أسرار تمدد صادراتهم، أمسيا صورة للضعف لم تعد تناسب إمكاناتهم؛ ولهذا اختفت من خطاباتهم لغة الدبلوماسية، خاصة بما يتوجه منها إلى العرب الذين فقدوا أو كادوا يفقدون تماماً العراق وسوريا واليمن ولبنان.

صواريخهم تنطلق مع صواريخ الأخبار الحاملة لنياتهم في تحرير المدن العربية وهم في طريقهم إلى القدس؛ بما يعني استغلال واستثمار فنهم الخاص بمزاوجة الخيال بالأسطورة، مع سلطة أفكار ومنهجية في خلطة اشتهر بها الملالي لتكييف أحزابهم ومجموعاتهم الغوغائية لاستلاب عقول الناس بالخوف من هواجس رغبتهم بحياة

حـــرة لائقـــة وعـــذاب مـــستطير في آخـــرتهم، إذا لم يـستجيبوا في دنيـاهم لأوامـر التعـصب الـصادرة مـن مدرسة الولي الفقيه ومن يمثلها.

تـصريحات مستـشار وزيـر خارجيـة إيـران، فعـلاً مـثيرة للاسـتغراب مـع وجـود قـوانين واتفاقـات دوليـة تجعـل مـن إيـران ودول مـشابهة لهـا في سـعي دائـم وشـغل شـاغل لإحاطـة كـل نـشاطاتها العـسكرية، ومـا يـرتبط بهـا، بـسرية تامـة وقلـق مـن أي رائحـة أخبـار متـسربة إلى الإعـلام أو اسـتخبارات الـدول الكـبرى؛ لكـن مـا الـذي غيّـر مـن نمـط سياسـة ونهـج يفـترض أنـه يـسري علـى الجميـع لتفـادي المـشكلات في العلاقـات وردات الفعـل تجـاه كـل خـرق لمنظومـة الـسلام العـالمي؟ مـا الـذي يـدفع إيـران للتـصريح بامتلاكهـا خطـا لإنتـاج الـصواريخ في سـوريا والعـراق وبلدان أخرى لم يتم ذكرها؟

الـدول المجهولـة مؤكـد مـن بينهـا الـيمن الـذي اسـتخدم فيـه الحوثيـون الـصواريخ باسـتمرار، ومنهـا اسـتهداف مكـة، وأيـضا يمكـن أن يكـون لبنـان في خـط إنتـاج محتمـل، عمومـاً الأمـر لا يتعلـق فقـط بـصواريخ مـصنعة أصـلاً في دول أخـرى مثـل كوريـا الـشمالية أو روسـيا وتـتم زيـادة قـدرتها التفجيريـة وأيـضاً مـداها لتـصل إلى أهـداف بعيـدة لإلحـاق الأذى والتـدمير الواسـع، كمـا هـو التوجـه لـصناعة حمـام دم في حلـب تـوفرت لـه كـل المـستلزمات بوصـول حاملـة الطـائرات الروسـية الأدمـيرال كوزينتـسوف وسـفن حربيـة وبـوارج وطلعـات تدريبيـة أدت إلى سـقوط إحـدى طائراتهـا في المتوسط.

مـن يـضمن أن إيـران لا تمتلـك خطـوط إنتـاج في بعـض دول أفريقيـا لإدامـة الـصراعات في تلـك القـارة بمغـذيات قريبـة وبـذات الأسـلوب في سـوريا والعـراق والـيمن، وهـل تكتفـي بالـصواريخ أم إنهـا تقـوم بإنتـاج طـائرات مـسيرة دون طيـار، وهـو مجـال تـصنيع عـسكري اهتمـت بـه إيـران في بدايـة التسعينات ومـع انتهـاء حربهـا مـع العـراق الـذي أسـقط أكثـر مـن طـائرة علـى أراضـيه في زمـن الحـصار، وبهـذا تكـون الـذخائر للأسـلحة الخفيفـة والمتوسـطة إنتاجا أكيدا في الدول التي ذكرها التصريح.

روسـيا ربمـا تكـون شـجعت إيـران علـى الإعـلان عـن مـصانعها الحربيـة خـارج أراضـيها، وفي ذلـك رسـائل لعديـد مـن الـدول، ولأنهـا مفتوحـة وغـير مغلقـة فـالمعنى عـام يـراد منـه القبـول بـالأمر الواقـع والإذعـان لاسـتعراض القـوة الروسـية الـتي تعتـبر إيـران، في هـذه المرحلـة، حليفـا إسـتراتيجيا مـع سـوريا في المنطقـة بعـد صـفقة بـ١٠ مليـارات دولار لتـسليح إيـران ووضـع قاعـدة همـدان بتـصرف القـوات الروسـية؛ كـأن المنطـق يقـول وليس فلاديمـير بـوتين: إن أي اعتـداء أو مواجهـة بالـضد مـن إيـران تعتـبر موقفـاً معاديـاً مـن روسـيا، وكـذلك هـو الأمـر بالنسبة إلى سوريا.

كـذلك رفـع الحـرج عـن المـصانع العـسكرية الإيرانيـة خـارج سـياجها الجغـرافي، إذا كـان هنـاك حـرج، في حالـة إرسـال شـحنات الأسـلحة إلى دول تخـوض صـراعات مـسلحة وتحـت أضـواء الإعـلام واسـتخبارات العـالم المتطـور، صـناعة الأسـلحة الإيرانيـة في دول متعـددة تفـتح البـاب علـى مـصراعيه علـى حقيقـة هـذا النظـام وتاريخـه منـذ مجيئـه إلى الحكم في العام ١٩٧٩ وبداية أقسى محن المنطقة.

وكـشف مـستمر لسلـسلة متواصـلة مـن ألاعيـب الـسحرة والمقـامرة بمـصير الـشعوب، ومنهـا امـتلاك إيـران للأسـلحة الكيمياويـة واسـتخدامها أثنـاء الحـرب الإيرانيـة العراقيـة بمـا فيهـا مـن خفايـا وملابـسات، وحجـم التعـاون في هـذا المجـال مـع النظـام الـسوري ولـو علـى مـستوى الخـبرات والاسـتخدام ووسـائل التمويـه، لتمريـر المـشروع الـذي تبنـاه الخمـيني بتـصدير ثورتـه أولاً إلى كـربلاء، لكـن دمـاء العـراقيين وتـضحياتهم جميعـاً وتوحـدهم للـذود عـن وطـنهم سـقته الـسم، إلى أن حـدث الاحـتلال الأميركـي ومـن ثـم الانـسحاب وتـسليم

العراق إلى إيران.

مع تصريحات إيران بامتلاكها خطوط إنتاج عسكرية في أكثر من دولة، تسرب خبر نقلها للشحنات الحربية عن طريق «طيران ماهان» المدني، وهذا يذكرنا بمسرحية تفتيش الطائرات القادمة من إيران في مطار بغداد، وهي في رحلتها إلى سوريا للتأكد من خلو شحناتها من أي مواد تصنفها كمواد عسكرية، كان ذلك في السنوات الأولى للصراع السوري والرقابة الدولية على تصدير الأسلحة؛ العراق كان يعتمد الشفافية في تطبيق المعايير الدولية وبإشراف وزير النقل والمواصلات الذي يتولى، الآن، قيادة الحشد الشعبي الطائفي ويتسلم أوامره من المرشد خامنئي ومن مستشار رئيس وزراء العراق لقضايا الأمن قاسمي سليماني.

ومن أجل أن يكون الإعلان واضحاً وصريحاً تم تنظيم أول استعراض مباشر لمجموعات من مقاتلي الحرس الثوري الإيراني، فرع لبنان، على أنقاض مدينة القصير السورية وبمتابعة من القوات الإسرائيلية، تمهيداً للتصريح العلني باستيلاء إيران على سوريا بمساعدة المحتل الروسي، بما يشبه استيلاء إيران على العراق بمساعدة المحتل الأميركي، وكلا الاحتلالين على طريقة التعاقد مع الشركة الكبرى في الظاهر ومن الباطن يأتي دور الشركات الطفيلية وبرامجها الخبيثة التي لا يعيبها شيء مما تفعله، لأنها تعلم مسبقاً إفلاتها من العقاب في ظل وجود الشركة الراعية مالكة القوة والنفوذ.

في غياب الردع الدولي وشيطنة الثورة السورية وخلط أوراق الإرهاب، تسنى لإرهاب الميليشيات الإيرانية الطائفية، وإرهاب النظام الحاكم في سوريا وكل مصانع الدجل التي التقت مع المصالح الروسية، ووجدت لها صوتاً معطِلاً لأي قرار في مجلس الأمن لامتلاك روسيا حق التصويت بالفيتو؛ العبث بالحقائق وتمرير فنونهم السياسية الخاصة التي لا يجيدها غيرهم.

هناك عالم جديد يتكون، فيه الكثير من التحديات تقابلها استجابات حتمية لكنها تحتاج إلى السرعة بعد فراغ أنتج لنا خطوطاً لصناعة الإرهاب بكل تداعياته وصنوفه؛ لكننا دائماً بانتظار من يتجرع السم مرة ثانية وللأبد.

جسر "إمبراطوري" إيراني بين القصير السورية وتلعفر العراقية

حازم الأمين – الحياة ٢٠١٦/١١/٢٠

تتلاشى الفوارق بين ظاهرتي «الحشد الشعبي» في العراق و «حزب الله» في لبنان. الأول ميليشيا مذهبية شيعية تمولها، رسمياً، الحكومة العراقية ويديرها الحرس الثوري الإيراني، والثانية ميليشيا مذهبية شيعية تعترف الحكومة اللبنانية بحقها في الوجود والعمل ويديرها أيضاً الحرس الثوري الإيراني.

والحال أن هذا التشابه راح يُغذي تشابهاً موازياً بين الأشكال الاجتماعية والسياسية للجماعتين في علاقتهما مع مجتمعي وبلدي المنشأ.

لكن التشابه لم يكتمل مصادفة، ذاك أن الحرس الثوري الإيراني لا يرى في الجماعات الشيعية خارج إيران سوى جسور صغيرة لحلم إمبراطوري، غير متبلور عقلانياً، لكنه يحضّ الخطى نحو التحول إلى واقع، على رغم الأكلاف الهائلة التي تترتب عليه. ولطهران هنا قصب سبق في التاريخ، ذاك أن الظاهرتين، «الحشد» و «الحزب»، يشتركان بفرادتهما كنموذجين غير مسبوقين في تاريخ الدول الحديثة.

النظر إلى العرض العسكري الذي نفذه الحزب في بلدة القصير السورية، يبقى خرافياً في أهدافه إذا لم يُنظر إليه انطلاقاً من المهمة الموكلة إلى الحزب في إطار المسعى الإيراني لجَسر مساحات هائلة من الديموغرافيا السنّية المعيقة حلمَ الإمبراطورية الافتراضية. تناول الخطوة الغريبة التي أقدم عليها الحزب تم بالنظر إليها في ارتداداتها ووظائفها اللبنانية والسورية، وأُغفلت الوظيفة الإيرانية للعرض العسكري. فلبنان ليس وحده الذي تعني الخطوة أنه مجرد «بلد سابق»، وسورية أيضاً بنظامها وحكومتها الرسمية ليست وحدها التي جرى عرض عسكري لـ «جيش» غريب على أرضها. الوقائع العراقية متصلة بما جرى في القصير. هناك بالقرب من مدينة الموصل ثمة من يسعى إلى جعل المساحات المنتزعة من «داعش»، ساحات ومعابر لا تخضع لسلطة واضحة ومضبوطة في منظومة العلاقات التي ترسيها فكرة الدولة.

هادي العامري قال أن «الحشد» سيكمل المهمة في سورية بعد هزم «داعش» في العراق. وهناك في شمال العراق، ثمة «قصير عراقية» تقيم فيها أقلية شيعية وأكثرية سنّية، تماماً مثلما تنتشر قرى شيعية قليلة بالقرب من القصير قال «حزب الله» في بداية حربه هناك أنه ذاهب لحمايتها. والقصير العراقية ليست الموصل طبعاً، إنما مدينة تلعفر التي يبدو أن ثمة إقراراً عراقياً وأميركياً بأن «الحشد»، وليس الجيش العراقي، الذي سيتولى خوض المعركة مع «داعش» فيها.

التشابه بين «القصيرين» السورية والعراقية احتاج أحلاماً إمبراطورية حتى تحقق، لكنه اليوم واقع تسنده مآسٍ وتنتظره أخرى. فتلعفر، إذا ما استعنا بالخيال الإيراني، ستتحول معبراً يصل الحدود الإيرانية والعراق بالحدود السورية.

هذا واقع غير متحقق الآن، وتحققه يتطلب «ترانسفيراً» للسكان السنّة لمحافظة ديالا، ومن يراقب الوقائع العراقية يعرف أن جزءاً من هذه المهمة أُنجز، وجزءاً آخر سيستعاض فيه عن «الترانسفير» بإخضاع الجزء المتبقي من السكان، وهذه أيضاً مهمة أنجز بعضها.

قفزة إلى المقلب الآخر من المشهد، إلى القصير السورية، تكشف أن الوقائع متطابقة. وإذا كان «حزب الله» عالقاً بين حقيقة أنه نجح في إفراغ مدن وبلدات ريفَي دمشق وحمص من سكانها السنّة، وبين الواقع الثقيل المتمثل في أن عدداً كبيراً من هؤلاء السكان نزح إلى لبنان ويشكل اليوم عبئاً مذهبياً عليه في بلد المنشأ، فها هو يسعى وبمساعدة نخب سنّية لبنانية حاكمة، أو تتوهم أنها حاكمة، إلى حل هذه المشكلة عبر مشروع خيالي أيضاً يتمثل في نقل جزء من اللاجئين إلى شمال سورية.

وهنا تحضر، وفي مقابل المقارنة بين «الحشد» و «الحزب»، مقارنة موازية بين النخب السنّية التي اختارها «الحزب» و «الحشد» شركاء ضمنيين لهما في هذه المهمة. فإغراق التمثيل السنّي في البلدين بالفساد يبدو قاسماً مشتركاً، وإذا كانت حقيقة التمثيل متفاوتة بين الجماعتين السنّيتين اللبنانية والعراقية لمصلحة الأولى، فالمرء لا يقوى على مقارنات بين نهاد المشنوق مثلاً وأثيل النجيفي، أو بين شقيق أثيل، رئيس مجلس النواب العراقي أسامة النجيفي، وسعد الحريري.

لكن، يبقى الأهم أن هذا المشهد على افتراضيته ينطوي على احتمالات زلزال ديموغرافي مأسوي، لا سيما أن افتراضيته لم تضعف التصميم الإيراني على إنجازه، وأنه لا يبدو أن ثمة مقاومة صلبة له. فوصل القصير بتلعفر، رمزياً على الأقل، يفترض خطوات لا يبدو أن الإيرانيين يقيمون وزناً لتبعاتها. هم يعتبرون أن الحاجز الكردي السوري سيُبدده تحالفهم مع «حزب العمال الكردستاني» الذي سيتولى أيضاً عقبة مدينة سنجار العراقية التي يبدو أن لحزب العمال نفوذاً فيها يفوق نفوذ الأحزاب الكردية العراقية.

السيناريو الإمبراطوري الإيراني يعوقه الكثير من الحقائق حتى الآن: القاعدة التركية القريبة من بلدة بعشيقة العراقية، والبؤر الديموغرافية السنّية بدءاً من بعقوبة في العراق وصولاً إلى حمص في سورية. لكن المؤشرات إلى مباشرة طهران مشروعها كثيرة، وهي مؤشرات مذهلة في وضوحها. ففي ضوء ماذا يمكن المرء أن يُفسر إقدام حزب لبناني على إجراء عرض عسكري في بلد آخر؟ أو أن يقول هادي العامري أن مهمة «الحشد» ستنتقل إلى سورية بعد العراق؟

هذا ما لم يسبق لـ «ميليشيا وطنية» أن جاهرت فيه.

يحصل ذلك في ظل تحول هائل يعصف بالجماعات الشيعية أينما وجدت. زائر جنوب لبنان سيلاحظ شبهاً مستجداً بينه وبين جنوب العراق على مختلف المستويات، بدءاً من العمارة الناجمة عن طفرة الصعود، مروراً بالسيارات صاحبة الزجاج الأسود التي كتب عليها «رافضي ٣١٣»، وصولاً إلى الجنازات الآتية من سورية في الحالة اللبنانية، ومن شمال العراق في الحالة العراقية، وما يرافق هذه الجنازات من تكثيف للطقس المذهبي.

وإذا كان الجسر «الإمبراطوري» الذي تسعى طهران لإقامته عبر الحروب، من حدودها مع العراق في ديالا وصولاً إلى سورية ولبنان، فإن الجسر الذي يتولى إيصال الشعائر المذهبية عبر تكثيف العلاقات بين الجماعات الشيعية، يتولى اليوم إذابة ما علق في بنية هذه الجماعات من خبرات «وطنية» في الدول التي كانت جزءاً منها، والشيعي اللبناني سيشبه الشيعي العراقي أكثر من مشابهته لبنانياً آخر.

المجلس الحسيني الذي أقامه حجاج شيعة إلى العراق في مطار بيروت لا يقل في دلالاته، على هذا الصعيد، عما جرى في القصير وما سيجري في تلعفر.

داعش وإيران والمهمة المشتركة

د. محمد السلمي – الوطن السعودية ٢٠١٦/١١/٩

داعش وإيران وجهان لعملة واحدة عند الحديث عن مخططات استهداف العالم العربي على وجه الخصوص، مؤخرا خرج علينا الجنرال حسن فيروز آبادي، رئيس هيئة الأركان العامة في القوات المسلحة الإيرانية سابقا والمستشار العسكري الحالي للمرشد الأعلى في إيران، خرج بتصريحات نشرتها وكالة أنباء تسنيم المقربة من الحرس الثوري الإيرانية، وتناقلتها عدة مواقع إيرانية أخرى، من بينها موقع قناة العالم. في تلك التصريحات كرر فيروز آبادي مزاعم أن إيران تحارب تنظيم داعش، ولكن الجديد تصريحه بأنه بلاده قد اشتبكت مع أعضاء التنظيم على مسافة ٤٠ كيلومترا من الحدود الإيرانية (العراقية). فما كان من الصحفي الذي يجري الحوار معه إلا وباغته بسؤال منطقي ومتوقع يتمثل في: هل تم الإعلان عن هذه المواجهة المسلحة مع تنظيم داعش؟ جاء رد فيروز آبادي بالنفي، معللا ذلك بأن «إيران تعلم أنها ضربت داعش، وكذلك التنظيم لا يستطيع إنكار أننا قمنا بهذا العمل ضده». ثم اتهم قبيلة عربية - لم يسمها- بدعم الإرهاب في منطقة حدودية مع إيران!

منذ ظهور داعش في منتصف ٢٠١٢ تقريبا، بعد أن اتضح جليا أن نظام بشار الأسد في موقف ضعف أمام الثوار السوريين، ثم توجه جناح من التنظيم إلى العراق وقيام جنرالات الجيش العراقي بالانسحاب من الموصل وتسليمها للتنظيم دون قتال، بل وترك كمية كبيرة ومتنوعة من الهدايا عبارة عن أسلحة متنوعة ومصارف بنكية تحتوي على مئات الملايين من الدولارات، وإيران وداعش يتبادلان «شعارات العداء»، ولكنها محصورة في التصريحات فقط، أما القتل والتدمير والتنكيل والتشريد فمن نصيب العرب السنة في العراق

وسورية، والعمليات الإرهابية التي يتبناها تنظيم داعش والإعدامات وعمليات الغدر والخيانة من نصيب بقية الدول العربية، وعلى رأسها المملكة العربية السعودية.

خلال الفترة الماضية ظهر تصريحان صوتيان لزعيم عصابة داعش، تحدث في الأول لمدة ٣٧ دقيقة تقريبا، وفي الثاني قرابة ذلك، وفي كلتا الحالتين يوزع البغدادي عبارات الموت والحث على القتل والدمار والتخريب في الدول العربية ثم بعد أن توترت العلاقة بين بغداد وأنقرة بسبب الأوضاع في الموصل وغيرها، وقد ضم البغدادي دولة تركيا إلى القائمة. في كلتا الكلمتين المسجلتين لم يتطرق زعيم عصابة داعش إلى إيران ولم يحث عناصره - كما هو حال تعامله مع الدول العربية- على القيام بعمليات «جهادية» ضد النظام الإيراني. أيضا قام تنظيم داعش بإعدام العشرات من جنسيات عربية وشرقية وغربية، مسلمة ومسيحية ولا دينية، وقام بتصويرها وبثها على الإنترنت ولكنه لم يصور عملية إعدام واحدة في حق جندي إيراني، وكلا الطرفين يزعمان أن المعارك مستمرة بين الجانبين في العراق وسورية وهناك اشتباكات مباشرة، كما يزعمون حدثت في تكريت وغيرها.

الواقع المؤلم هو أن من يتتبع تحركات تنظيم داعش يجد أنه يقدم خدمات جليلة للمشروع الإيراني في المنطقة العربية، وأصبحت عناصر التنظيم كالدمى يتم توجيهها إلى المنطقة التي ترغب إيران في استهدافها حتى يتم تنفيذ المشروع من عمليات إبادة طائفية وتغيير ديموجرافي وفتح طريق معبد لإيران من العراق إلى سورية وصولا إلى لبنان، وبذلك تتحقق الآمال الإيرانية التي كررها مسؤولون إيرانيون كثر بأن حدود نفوذهم ستصل إلى ضفاف البحر الأبيض المتوسط.

إن ما نشهده في الموصل من عمليات طائفية من قبل قوات الحشد الشعبي الإرهابي وبقية الميليشيات لم يكن ليحدث دون مبرر قتال داعش في المناطق السنية التي تعد أساسا المناطق التي يستهدفها التنظيم دون غيرها، وهذا مصدر تعجب آخر تجاه المهمة التي ينفذها التنظيم في الداخل العراقي. وعلى الأرض السورية، لم يتم رصد أي مواجهة مباشرة بين قوات بشار الأسد والتنظيم، بل إن الثوار السوريين يؤكدون على تكرار تحاشي الجانبين النظامي السوري وداعش لأي مواجهة مباشرة بينهما.

نعلم أن هناك شبابا متحمسين تم التغرير بهم واستهوتهم الشعارات العقائدية والوعود بالحور العين ونحو ذلك، وتحولوا إلى حطب نار لحروب استخباراتية ومشاريع تستهدف المنطقة، ولا يدرك هؤلاء الشباب ما يدور في غرف التحكم والسيطرة في هذه التنظيمات وقياداتها، والأهداف من وراء إنشاء مثل هذه التنظيمات. لكن هذا لا يبرر مطلقا انسياق هؤلاء الشباب خلف المشاريع الهدامة التي تجعلهم أدوات تنفيذية لتلك الخطط التي تتم إدارتها من خلف الستار وتحت شعارات دينية وطائفية. لقد اتضح جليا أمام كل عاقل وقارئ للأحداث في المنطقة والعالم أن مثل هذه التنظيمات الإرهابية خلقت لأهداف غير التي تظهر بها، وأنه سوف يتم التخلص منها بعد تنفيذ المهمة على أكمل وجه.

إن شعارات العداء التي لم تتجاوز صفحات مواقع الإنترنت ليست سوى جزء من تلك اللعبة القذرة، كما أن داعش وإيران وجهان لعملة واحدة عند الحديث عن مخططات استهداف العالم العربي على وجه الخصوص. وختاما، يرى كثيرون أنه من غير المستبعد أن تشهد إيران حادثة توصف بالإرهابية بعد أن اتضح التقارب في الأهداف بين طهران وداعش لمجرد ذر الرماد في العيون وتشتيت أذهان المراقبين.

دلالات تصنيع إيران أسلحتها في المستعمرات العربية

محمد زاهد جول – الخليج أونلاين ٢٠١٦/١١/٢٠

دون خوف ولا حسيب ولا رقيب أخذت إيران تعلن عن تواجد مصانع عسكرية إيرانية في البلاد العربية، فقد أعلن مستشار وزير الخارجية الإيراني، حسين شيخ الإسلام، يوم السبت ١٣/١١/٢٠١٦، أن إيران تعترف بإنتاج صواريخ باليستية في دول عربية عديدة، وقال إن صناعة الصواريخ الإيرانية ليست محدودة بسوريا، إنما تشمل دولاً أخرى في المنطقة، وذلك بعد يومين من كشف قائد الأركان الإيرانية عن انتقال خط إنتاج الصواريخ الباليستية إلى حلب خلال السنوات الماضية، وحجّتهم كالعادة هي أن هذه الصواريخ الباليستية الإيرانية التي تصنع في البلاد العربية هي لتجنّب ما وصفه بـ«الخطر الإسرائيلي»، وفق ما أوردته وكالة ميزان التابعة للقضاء الإيراني، وبالرغم من أن المسؤول الإيراني لم يحدد الدول التي تنتج فيها إيران صواريخها، لكنه أرسل إشارات واضحة إلى أن العراق من بين الدول التي نقل إليها خط لإنتاج الصواريخ الباليستية الإيرانية، والغريب أن المسؤول الإيراني لا يزال يستخدم شعار الخميني ذريعة بأن: «طريق القدس يمر عبر كربلاء»، متجاهلاً حقيقة واقعية مفادها أن عدد قتلى المسلمين العرب في العراق وسوريا واليمن في سنوات الاحتلال الإيراني تجاوز عدد السكان اليهود الإسرائيليين حتى الآن، أي قبل أن تحرر إيران شبراً واحداً من فلسطين، وربما تحتاج لقتل مليار ونصف مليار عربي ومسلم قبل أن تصل إلى فلسطين بهذه الخطة الإيرانية الطائفية.

وفي وقت سابق اعترفت وكالة تابعة للحرس الثوري الإيراني باستخدام الحوثيين صواريخ إيرانية الصنع، من بينها صاروخ «زلزال ٢» المتوسط المدى ضد السعودية، أي إن هذا الصاروخ لم يطلق على الدولة الإسرائيلية، وإنما على دولة عربية، كما اعترف الحوثيون قبل أيام أنهم أطلقوا صواريخ باليستية باتجاه مطار جدة العسكري، بينما كان يمكن أن يسقط على مكة المكرمة والمسجد الحرام، أو على المسجد النبوي في المدينة المنورة، لولا فضل الله، ثم جنوده الصادقون الذين تعرضوا للصاروخ قبل وصوله إلى هدفه، فخيّب الله ظنون الحوثيين أسيادهم، وفضح جرائمهم وأنطقهم بما يدينهم، فليس استهداف جدة بأقل جرماً من استهداف أي نفس بشرية بغير وجه حق.

هذه التصريحات الإيرانية والتصرفات العدوانية، حتى التي يتمّ تنفيذها على أيدي عناصر عربية ضالة، لا تفسّر إلا أن الحكومة الإيرانية وحرسها الثوري يتعاملون مع الدول العربية التي يتواجون فيها على أنها مستعمرات إيرانية، تفعل فيها إيران ما تشاء من مصانع ومشاريع استعمارية، سواء على أيدي الحرس الثوري الإيراني، أو على أيدي الميليشيات العربية الخارجة عن عروبتها وعن انتمائها لأمتها، مثل كل المتعاونين مع المستعمرين السابقين والحاليين، أيام الاستعمار الإنجليزي أو الفرنسي أو الأمريكي أو غيره.

وهذا يدل على موت الحكومات العربية في هذه الدول العربية المحتلة من إيران، سواء في العراق أو سوريا أو اليمن أو لبنان، فقد جاء ميشيل عون رئيساً للجمهورية اللبنانية بتفاهم إيراني أمريكي، ويتمادى عدوان حزب الله اللبناني اليوم على الحكومة اللبنانية؛ بمطالبته بمقعد وزير الدفاع اللبناني، على طريقة المستعمرين بإلغاء الحكومات الوطنية وتولي وزارة الدفاع للمستعمرين أو المتعاونين معهم، حيث إن مناصب وزارة الخارجية والمالية والدفاع - وهي الوزارات السيادية الكبرى في لبنان- ستكون بيد حزب الله وحلفه تقريباً، وأما استعراض حزب الله العسكري في مدينة القصير السورية يوم الأحد

١٣/١١/٢٠١٦، فهو نعي للنظام السوري أيضاً، وهو ما يؤكد أن إيران تعمل على توحيد الجغرافيا التي تحتلها وتلغي وجود الحكومات العربية ولو كانت موجودة للديكور السياسي والدبلوماسي والدولي، وتقوم في نفس الوقت بتطهير عرقي وقومي وطائفي لكل الرافضين للاستعمار الإيراني في هذه الدول، وحقيقة هذا الاستعمار أنه استعمار فارسي للعرب، حتى لو استخدم شعارات التشيع الطائفية أداة له؛ لأن القرار السياسي والعسكري بيد الفرس فقط، فهل يدرك الشعب العربي والتركي والمسلم حقيقة ما يجري، ويعمل لإحباطه قبل تمكنه أكثر؟

التهجير القسري
في القانون الدولي دماج... تعز نموذجاً

د. عبده سعيد المخلس – مأرب برس ٢٠١٦/١١/٢٢

ما المقصود من التهجير القسري؟

التهجير القسري هو «ممارسة تنفذها حكومات أو قوى شبه عسكرية أو مجموعات متعصبة تجاه مجموعات عرقية أو دينية أو مذهبية بهدف إخلاء أراضٍ معينة وإحلال مجاميع سكانية أخرى بدلا عنها.

ويندرج ضمن جرائم الحرب وجرائم الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية وفق قاموس القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني.

ويعرّف القانون الدولي الإنساني التهجير القسري بأنه «الإخلاء القسري وغير القانوني لمجموعة من الأفراد والسكان من الأرض التي يقيمون عليها» وهو ممارسة مرتبطة بالتطهير وإجراء تقوم به الحكومات أو المجموعات المتعصبة تجاه مجموعة عرقية أو دينية معينة وأحيانا ضد مجموعات عديدة بهدف إخلاء أراضٍ معينة لنخبة بديلة أو فئة معينة، وتعتبر المواد (٦)، (٧)، (٨) من نظام روما الأساسي، التهجير القسري جريمة حرب.

ويفسر حصول التهجير بأنه نتيجة نزاعات داخلية مسلحة أو صراعات ذات طابع ديني أو عرقي أو مذهبي أو عشائري، ويتم بإرادة أحد أطراف النزاع عندما يمتلك القوة اللازمة لإزاحة الأطراف التي تنتمي لمكونات أخرى، وهذا الطرف يرى أن مصلحته الآنية أو المستقبلية تكمن في تهجير الطرف الآخر، ويحصل التهجير في حالة وجود طرف يهدد مجموعة سكانية مختلفة بالانتماء الديني أو المذهبي أو العرقي بعدم البقاء في مدينة أو منطقة أو بلد ما.

وتعرّف اتفاقيات جنيف الأربع المؤرخة في ١٢ أغسطس/آب ١٩٤٩ والبروتوكولان الملحقان بها لعام ١٩٧٧ جرائم الحرب بأنها الانتهاكات الجسيمة للقواعد الموضوعة إذا تعلق الأمر بالتهجير القسري، فالمادة ٤٩ من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ حظرت النقل القسري الجماعي أو الفردي للأشخاص أو نفيهم من مناطق سكناهم إلى أراضٍ أخرى، إلا في حال أن يكون هذا في صالحهم بهدف تجنيبهم مخاطر النزاعات المسلحة.

كما أن المادة (٧- ١- د) من نظام روما الإنساني للمحكمة الجنائية الدولية، تجرم عمليات الترحيل أو النقل القسري، حيث تنص على أن «إبعاد السكان أو النقل القسري للسكان، متى ارتكب في إطار هجوم واسع النطاق أو منهجي موجه ضد أية مجموعة من السكان المدنيين، يشكل جريمة ضد الإنسانية». وبموجب المواد ٦ و٧ و٨ من نظام روما الأساسي، فإن «الإبعاد أو النقل غير المشروعين» يشكلان جريمة حرب، وتعتبر المادة المتعلقة بحظر نقل السكان من مناطقهم جزءً من القانون الدولي الإنساني العرفي.

إن عملية التهجير القسري وعمليات الإبادة الجماعية يتطابق مع ما نصت عليه المادة الثانية من اتفاقية الأمم المتحدة «اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية» التي أقرتها الأمم المتحد في ٩ كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٤٨ وأصبحت سارية المفعول

في ١٢ كانون الثاني/يناير عام ١٩٥١، والتي تعتبر الأفعال التالية المرتكبة بقصد التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو أثنية أو عنصرية أو دينية بمثابة إبادة جماعية:

أ - قتل أعضاء من الجماعة.

ب - إلحاق أذى جسدي أو روحي خطير بأعضاء من الجماعة.

ج - إخضاع الجماعة، عمداً، لظروف معيشية يراد بها تدميرها المادي كلياً أو جزئياً.

د - فرض تدابير تستهدف الحؤول دون إنجاب الأطفال داخل الجماعة.

هـ - نقل أطفال من الجماعة عنوة، إلى جماعة أخرى.

إن ما حدث لأبناء دماج في صعدة سابقاً وما يحدث لأبناء تعز في عدن حالياً يندرج في إطار جرائم الحرب والعدوان ولن يفلت مرتكبوها من العقاب وجرائم البوسنة والهرسك نموذج ودليل.

ملاحظة لا بد منها: أنا مع الإجراءات الأمنية المستندة الى القانون وما ناقشته هنا هو عن الإجراءات الانتقامية التي تُلغي القانون ولا تعمل بموجبه.

العقارات... سلاح إيران الأقوى في غزو العواصم العربية ديموغرافياً

محمد عبود- الخليج أون لاين ٢٠١٦/١١/١٣

«إيران تشتري سوريا والعراق واليمن».. فعلى غرار ما فعله الاحتلال الإسرائيلي بفلسطين، تسير إيران على نفس الخطا أملاً في تغيير ديموغرافي بالبلدان التي سيطرت عليها سياسياً وعسكرياً عبر مليشياتها، حيث انطلق التجار والمقاولون الإيرانيون بدعمٍ من الحكومة الإيرانية وتسهيلات من حكومات الأنظمة لشراء العقارات والأراضي السكنية.

وأملاً في تحقيق حلمها بالإمبراطورية الفارسية، لا تكتفي إيران بدعم حلفائها وإنشاء مليشيات تابعة لها فحسب، وإنما تستخدم وسائل وأدوات مختلفة لإحكام السيطرة على هؤلاء الحلفاء وبلدانهم، وتنوع أساليب الابتزاز ومطالبتها برهن عقارات أو بيعها مقابل دعمها المشروط.

ولحصول تلك الأنظمة على الدعم المشروط، فإن ثمة قوانين جديدة أو قرارات رئاسية تجيز بصلاحيات واسعة أو مطلقة العقاريين الإيرانيين، بحيث تتجاوز تلك الصلاحيات والقرارات حقوقاً لا يحصل عليها المواطنون العاديون، مثلما تدخل رئيس النظام السوري بشار الأسد، على سبيل المثال، بسن قوانين وإصدار مراسيم رئاسية تسمح ببيع الأراضي وشرائها بناءً على الربحية التشاركية.

ففي عام ٢٠١٣ أصدر النظام السوري القانون رقم ٢٥ الذي يسمح فيه بتبليغ أي مدعى عليه بالدعوى غيابيّاً، عن طريق الصحف، في حال لم يحضر إلى المحكمة. ومن ثم سهّل مثل هذا القانون شراء الإيرانيين للعقارات والأراضي التي لم يوجد مالكوها بسبب الحرب الطاحنة التي يهرب منها المدنيون، ولذا يسهل امتلاكه للأرض بعد إخطار المالك غير الموجود عبر الصحف.

ولمزيد من إحكام قبضتها على عقارات العاصمة السورية، تحركت الحكومة الإيرانية بعقد لقاءات متكررة مع المستثمرين ورجال الأعمال الإيرانيين لإقناعهم بفرص الاستثمار العقاري بسوريا، ومطالبتها إياهم بالذهاب إلى هناك، وفق ما ذكره موقع بيك نت الإيراني في ٢٠١٥ الماضي.

وفي اليمن، برغم أن نهب الأراضي بدأ في عهد المخلوع علي عبد الله صالح، إلا أن الفساد تفشى بكثرة بعد انقلاب الحوثيين واستيلائهم على السلطة، الأمر الذي جعل عام ٢٠١٦ كاشفاً عن انتقال «فوبيا» بيع الأراضي وانتشارها في محافظات عديدة باليمن كالحديدة، وتعز، وإب، وذمار، وصنعاء.

عمليات شراء هذه الأراضي يديرها

الحوثيون مباشرة أو من خلال وسطاء تابعين لهم؛ ما طرح العديد من علامات الاستفهام حول أثر ذلك في تكوين المجتمع حال انتهاء الحرب، وهو ما لاحظه مالك إحدى شركات العقارات، عبد الإله جابر، حيث قال في تصريح خاص لـ«الخليج أونلاين» إنه يوجد توجه محموم لقيادات من مليشيا الحوثي لشراء أراضٍ وفلل وشركات في العاصمة اليمنية صنعاء، في غياب تام لرقابة الدولة.

الباحث والمستشار محسن أبو نصار يقول إن الحوثيين يدركون قيمة عبارة «الأرض تبقى»؛ ولذلك سعوا لإحداث تغيير ديموغرافي في معظم أحياء العاصمة صنعاء، وهم يحاولون جاهدين نقل الفكرة إلى محافظات أخرى.

ويشير أبو نصار في حديث لـ«الخليج أونلاين» إلى أن أحياء «الجراف»، والروضة» وغيرها العشرات من أحياء صنعاء، أصبحت مقصورة على المليشيا وأنصارها، وهي مناطق يصعب الوصول إلى معظم الأماكن فيها، وذلك يجسد سياسة زرع الفكر الحوثي المتطرف، وجعل مسألة القضاء عليه أمراً في غاية الصعوبة. مضيفاً أن سياسة تقسيم المدن إلى أحياء طائفية تجعل من المستحيل التعايش بين مختلف فئات المجتمع، وتعيد استنساخ صعدة أخرى خارجة عن سيطرة النظام والقانون في وسط صنعاء.

التغيير الديموغرافي كان من الأسباب القوية التي تدفع إيران بوكلائها من رجال الأعمال والمستثمرين لإحداث تغيير ديموغرافي، في وقتٍ غاب فيه أهل البلد الحقيقيون إثر هروبهم خشية فتك النظام ومليشياته بهم، ومن ثم فإن التحرك الإيراني سوف يكون له انعكاس في رسم خريطة المنطقة الديموغرافية مستقبلاً، بزيادة عدد الشيعة والموالين لها على حساب السكان الأصليين.

الفوضى الخلاقة التي أحدثتها إيران ساعدت على إحداث هذا التغيير الديموغرافي، وفق ما ذكرته صحيفة الشرق الأوسط السعودية في ٢٦ مارس/آذار الماضي، مؤكدةً أن الأراضي التي تقع تحت سيطرتها باتت محل إغراء للإيرانيين، خاصةً أنها تقع تحت حماية قوات كبيرة من الحرس الثوري.

وبالرغم من ترقب إيران انتهاء الحرب في سوريا، إلا أن خطتها في التمكين مرتبطة بمدى طويل يسهل من خلاله السيطرة على مناطق نفوذها سياسياً واقتصادياً وجغرافياً، حتى لو رحلت الأنظمة الموالية لها، فيبقى الوضع لمصلحتها من خلال ملكيتها الواسعة للعقارات والأراضي وتمكين رجال الأعمال والمستثمرين.

والخطة التي تنتهجها إيران في سوريا هي ذاتها التي انطلقت فور خروج الأمريكيين من العراق، وبدأت في تنفيذها في اليمن، بعيداً عن أعين الإعلام وفوضى أمنية انشغلت بها الأطراف المقاومة للوجود الإيراني؛ ما يدفع لأن تصبح طهران اللاعب الأكبر في اقتصاد تلك البلدان.

وتكمن الخطورة في الخطة الإيرانية، أنه بجانب التغيير الديموغرافي القائم حالياً، فإنها بصدد محو آثار العرب في تلك البلدان، وهذا ما نلمسه في قلعة دمشق التي تضم رفات العشرات من صحابة رسول الله ﷺ، وكبار قادة الجيوش الإسلامية التي صنعت التاريخ أمثال الظاهر بيبرس ونور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي وابنه الملك العادل، وفي المقابل، بدأ انتشار الحسينيات في ربوع البلاد في محاولة لترسيخ الحضور الإيراني عبر تكوين ولاءات جديدة لها بعد انتهاء الأنظمة الداعمة.

مؤسس صوت بيروت، جيري ماهر، قال عبر تغريدة له في موقع التواصل الاجتماعي في أبريل/نيسان الماضي: وفي ٢٠١٥ سجل وصول نسبة الصادرات الإيرانية للسوق السورية نحو ٣٦٪، فضلاً عن أن مناقصات حكومة الأسد مفتوحة

فقط للإيرانيين وفق ما ذكره موقع سكاي نيوز في ٣١ مارس/آذار ٢٠١٦.

وبرغم أن عمليات البيع والشراء تتم عادةً بسلاسة قانونية، إلا أن مصادر كشفت عن يأس البائع من مقاومة الأسعار المغرية، أو أنه يضطر إلى البيع خوفاً من التشبيح أو تعرضه للإجبار والإكراه؛ مخافة الفتك به أو بأحدٍ من أبنائه.

بالأدلة... السعودية تواجه مخططاً إعلامياً يقوده اللوبي الأميركي الإيراني

نيويورك: جوزيف براودي- مجلة المجلة ٢٠١٦/١١/٢٠

في عام ٢٠١٦، كشف موقفان يتعلقان بالضغوط التي تمارسها الولايات المتحدة على السعودية عن مدى التوتر الذي وصلت إليه العلاقات بين البلدين، وعمق التحدي الكامن في عملية إصلاحها. الموقف الأول يخص ردود الفعل السياسية والشعبية الأميركية على إعدام الإرهابي نمر النمر في شهر يناير (كانون الثاني)، والثاني يتعلق بتصويت مجلس الشيوخ الأميركي على رفض فيتو الرئيس أوباما على مشروع قانون (جاستا) في شهر سبتمبر (أيلول) الماضي.

عندما وصلت أنباء إعدام نمر النمر إلى واشنطن، أعد البيت الأبيض مادة صحافية ونشرها بين المراسلين المتعاطفين قبل أن تتوفر الفرصة لمؤيدي السعودية بجمع الحقائق للرد. وفي واحد من عشرات الأمثلة، ذكر مقال منشور في «نيويورك تايمز» في الثالث من يناير أن «الكثير من كبار مسؤولي الإدارة أعربوا سرا عن غضبهم من السعوديين، وبسبب «الاستخفاف المتهاون» بكيفية تأثير ذلك في إشعال المنطقة، تكون رأي في الولايات المتحدة بأن الرياض أعدمت «رجل دين»، وتم اعتبار الأصوات الضئيلة نسبيا التي عارضت تلك الرؤية السائدة بأدلة على تورط نمر النمر في أعمال إرهاب كأصحاب أجندات دعائية.

أسئلة كثيرة بلا أجوبة تتعلق بجاستا

في ٢٨ سبتمبر الماضي، صوَّت مجلس الشيوخ الأميركي بأغلبية واضحة على إلغاء فيتو الرئيس أوباما على مشروع قانون «العدالة ضد رعاة الإرهاب» (أو ما يُعرف بجاستا)، والذي يسمح للمحاكم الفيدرالية الأميركية بممارسة الاختصاص الشخصي على أي دولة أجنبية تقدم دعما لأي عمل إرهابي يستهدف مواطنا أميركيا أو ممتلكات أميركية.

لا تزال أسئلة كثيرة بلا أجوبة تتعلق بما إذا كان مشروع القانون يحمل بالفعل قوة القانون كاملة كما هو مخطط أم لا. ولكن يتضح أمر واحد: سوف يسمح القانون، كما يرغب واضعوه وكثير من مؤيديه، لضحايا هجمات ١١ سبتمبر وغيرها من الاعتداءات بالمضي قدما في خطتهم لمقاضاة الحكومة السعودية بسبب مزاعم بضلوعها في الهجمات.

يعكس الموقفان معا حقيقتين صارختين عن المناخ الذي يتم فيه وضع السياسات واتخاذ الإجراءات الأميركية تجاه السعودية. أولا، لا يمكن تفسير العناصر التي تتحدى المصالح السعودية في الولايات المتحدة وفقا لخلاف سياسي حزبي بسيط. من جهة، على الرغم من تعليقات الرئيس أوباما الساخرة عن التحالف الأميركي السعودي، وعلى الرغم من عادة متحدثيه المعروفة بالتنديد بالسعودية في تصريحات لصحافيين أميركيين مع عدم ذكر أسمائهم، كان الرئيس أوباما هو من تحرك لإصدار فيتو ضد مشروع قانون جاستا. في الوقت ذاته، مع الموقف الصارم الذي يتخذه كثير من مشرعي الحزب الجمهوري تجاه إيران وانتقاداتهم اللاذعة لأوباما بسبب تعريضه التحالف التقليدي الأميركي مع البلدان العربية ومنها السعودية للخطر، صوتوا بأغلبية كاسحة لرفض فيتو الرئيس.

النقطة الثانية التي يبرزها الموقفان هي أن مجموعة كبيرة من جماعات الضغط الأميركية

وشركات العلاقات العامة، لا تكفي لمواجهة تلك الحملات الكبيرة ضد المملكة، سواء في دوائر الرأي العام أو أروقة صناعة القرار في واشنطن. بمعنى أن السعودية لا تواجه مشكلة خطيرة فحسب، بل إنها لا تملك حتى الآن الأدوات الكافية للتعامل مع المشكلة.

تمويل صندوق «بلوشيرز»

وسط تلك البيئة العدائية، كما هو معروف أيضا، يشهد أفراد أميركيون ومؤسسات أميركية ممن يرغبون في رؤية تطبيع العلاقات مع طهران «ربيعهم» الخاص. بتمويل من «صندوق بلوشيرز» وفي بعض الحالات الحكومة الإيرانية ذاتها، سواء عبر وسائل غير مباشرة أو مستترة، تُقيم جماعات الضغط الفعلية مثل المجلس الوطني الأميركي الإيراني والمجلس الأميركي الإيراني علاقات قوية مع إدارة أوباما والنخب السياسية ووسائل الإعلام وبدرجة ما الأميركيين على مستوى شعبي. كما أسس نشطاء موالون للنظام «المونيتور» المجلة الإلكترونية ذات الشعبية الهائلة المتحيزة بقوة تجاه إيران والتي أصبحت أشهر مصدر للمعلومات والتحليلات المتعلقة بالشرق الأوسط في واشنطن. في الوقت ذاته، سمح تزامن وسائل التواصل الاجتماعي لنشطاء المعارضة السعودية والبحرينية بتقديم معلومات مغلوطة بشأن الحقائق في السعودية لمنظمات حقوق الإنسان، التي استغلوها كوسائل أخرى للضغط.

إذا كان هناك أمر واضح، فهو أن الأنماط التقليدية لإدارة العلاقات في واشنطن تحتاج إلى المراجعة وإعادة التقييم. تحدث الراحل جيه كراوفورد كوك، الخبير في قيادة اللوبيات، في إيجاز عن كيفية إدارة السعودية لأنشطتها في الولايات المتحدة قائلا: «سعت السعودية للتأثير على القِلة التي تؤثر على الكثرة، بدلا من التأثير على الكثرة التي يجب أن تستجيب لها القِلة». باعتمادها على إقامة علاقات مع عدد ضئيل من رموز النخبة في دوائر صناعة القرار، أصبحت المملكة معتمدة عليهم. وعندما كان هؤلاء الأشخاص يملكون السلطة والنفوذ، كانت المملكة تحظى بالنجاح في واشنطن. ولكن عندما فقدوا السلطة والنفوذ أو قطعوا علاقاتهم مع المملكة، أصبحت السعودية تملك وسائل أقل للدفاع عن ذاتها في أوساط الرأي العام الأميركي أو لدى الإدارة الأميركية. يأتي ذلك في تناقض مع ما حققته جماعات المصالح الأكثر نجاحا في الولايات المتحدة، التي أقامت علاقات بين كل من النخب والجماهير مع الدولة ومؤسساتها وشعبها.

في هذا التقرير الخاص، تسعى «المجلة» عبر لقاءات مع متخصصين في الإعلام والسياسة الخارجية في الولايات المتحدة، مع دراسة مدعمة للخطاب العام الأميركي، إلى استخلاص بعض الحقائق بشأن الإعلام الأميركي والرأي العام وآلية صناعة القرار في الوقت الحالي، بالإضافة إلى تحليل أهميتها للموقف الذي يجد السعوديون أنفسهم فيه في الولايات المتحدة اليوم.

الدجاجة أم البيضة؟

المعضلة الأساسية بشأن العلاقة بين الإعلام وصناعة القرار السياسي في أي مجتمع ديمقراطي هي: هل يؤثر الإعلام في صناعة القرار السياسي أم يستخدم صُناع القرار السياسي الإعلام لتكوين تأييد شعبي للقرارات التي يخططون بالفعل لاتخاذها؟ الأمر أقرب إلى السؤال القديم: «أيهما يأتي أولاً الدجاجة أم البيضة؟».

تأكيدا على الأمر، توجد أدلة كثيرة في الأعوام الأخيرة على أن البيت الأبيض، في عزمه على الترويج للاتفاق النووي مع إيران، عمل عبر الإعلام لاستدراج الشعب الأميركي بالإضافة إلى تقويض الأصوات التي تعارض الاتفاق. ظهرت حقيقة بذل جهد من ذلك النوع بجرأة أمام الجمهور في مقال نشرته «نيويورك تايمز» عن مسؤول الإعلام في البيت الأبيض بن رودس، الذي كان مسؤولا

أكثر من أي شخص إلى جانب الرئيس ذاته عن الترويج الناجح للاتفاق الإيراني أمام الشعب. وصف المقال ببراعة بن رودس كما يلي:

«إنه راوٍ يستخدم أدوات الكاتب لتقديم أجندة مغلفة بغطاء سياسي ولكنها أحيانا ما تكون شخصية. وهو بارع في بناء حبكات عامة بها أبطال وأشرار، ويقدم صراعاتهم ودوافعهم بمجموعة منتقاة بعناية من الصفات والأحاديث والتسريبات على لسان مسؤولين رفيعي المستوى مع ذكر أسمائهم أو من دون ذكرها. وهو الصانع والراوي الأول لخطاب السياسة الخارجية لأوباما، في وقت اجتاحت فيه أمواج وسائل التواصل الاجتماعي الهائلة القلاع الرملية التي كانت تبنيها الصحافة التقليدية... ويظل من المدهش عدم تملكه خبرة واقعية تقليدية من النوع الذي يسبق عادة تحمل مسؤولية مصير الأمم – مثل الخدمة العسكرية أو الدبلوماسية، أو حتى درجة الماجستير في العلاقات الدولية، بدلا من الكتابة الإبداعية».

قدم رودس، الذي تحدث بصراحة مذهلة عن عمله، رؤية ذات صلة بمسألة «الدجاجة أم البيضة». بعد تأكيده بثقة عفوية على أنه من وضع إطار خطاب الإعلام الأميركي عن الاتفاق الإيراني – وبالتالي ما يدركه الشعب الأميركي عن الاتفاق – صرح موضحا نقطة الضعف الجوهرية في الإعلام الحالي والتي جعلت سيطرته ممكنة: «كانت كل تلك الصحف تملك مكاتب في الخارج. والآن لم يعد لديها مكاتب، بل يتصلون بنا لنشرح لهم ما يحدث في موسكو والقاهرة. أغلب وسائل الإعلام تقدم تقاريرها عن الأحداث العالمية من واشنطن. ويبلغ متوسط عمر المراسل الذي نتحدث معه ٢٧ عاما، وخبرته في العمل الصحافي تشمل حضور الحملات السياسية فقط. وذلك تغيير تام. فهم لا يعرفون شيئا حرفيا». بمعنى أنه في ظل ضعف المؤسسات الإخبارية الأميركية جراء تخفيضات الميزانية وتحول المحتوى الإخباري إلى سلعة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، أصبحت الإدارة الأميركية – بسلطتها ومكانتها ومصادرها المعلوماتية الشاملة – مدخلا مسيطرا على دورة وسائل الإعلام لا سيما فيما يتعلق بالسياسة الخارجية.

في حين أن هناك بعض الحقيقة في تصور رودس عن أهميته المدهشة، هناك صورة أخرى تشير إلى أنه بغض النظر عن حجم ضعف الإعلام، فهو يظل قويا في التأثير على قرارات صُناع السياسات داخل الحكومة. ذلك ما يقوله آدم غارفنكل، مؤسس مجلة «ذا أميركان إنترست»، الذي يملك أيضا خبرة كبيرة في الإعلام الحكومي، بصفته كاتب خطابات سابق لوزيري الخارجية كولن باول وكوندوليزا رايس. يقول غارفنكل: «اذهب إلى أي مبنى حكومي وستجد أن التلفزيون دائما مفتوح وهؤلاء الأشخاص لا يقرأون شيئا. إنهم يفعلون فقط ما يفعله الجميع: يشاهدون التلفزيون ويتصفحون الإنترنت وذلك هو إطار معلوماتهم.

كيف يؤثر الإعلام في السياسة؟

لقد أنشأ إطارا معلوماتيا، بموجبه يتم اتخاذ كل قرار. تلفزيون. إذاعة. إنترنت. تواصل اجتماعي. إنها كل تلك المصادر السطحية التي تقودها الصورة أو التعهيد الجماعي. ونظرا لانهيار النموذج التجاري لوسائل الإعلام المطبوعة الجادة، هذا ما تبقى قائما».

وهكذا ربما يكون الإعلام أكثر سطحية من الماضي، وأصبح أقل إمكانية من الماضي على التزود الجيد بأدوات جمع معلوماته الخاصة بمهنية ونزاهة. ولكن من وجهة نظر غارفنكل، لم تقِل قدرة الإعلام على التأثير – ومن المرجح أن يكون كبار صُناع القرار في الحكومة عرضة للتأثر بتغطية المراسل الذي يبلغ من العمر ٢٧ عاما، تماما مثلما هم قادرون على السيطرة عليها. يضيف غارفنكل أن انتشار الأخبار الآنية عبر القنوات الإخبارية التي تعمل على مدار ٢٤ ساعة ووسائل التواصل الاجتماعي يعني أنه حتى وكالات الأنباء التي لا تزال تملك مكاتب خارجية في جميع أنحاء

العالم أصبحت ضعيفة: «كان من المعتاد منذ ٢٥ عاما أن جميع الصحف تضع جدول البرامج التلفزيونية. الآن تغير الوضع. تحول التقارير الإلكترونية السريعة التي يذيعها التلفزيون والإنترنت أخبار أي صحيفة إلى قديمة في الوقت الذي يمكن نشرها فيه. عندما نقرأ عنوانا في (واشنطن بوست) نقول: (أعلم ذلك. شاهدته منذ ساعات)».

يقول غارفنكل إنه حقا لا يستبعد ادعاء رودس بأنه استطاع استخدام دورة الأخبار والهيمنة عليها، موضحا أن ذلك دائما ما تحاول الشخصيات السياسية الكبيرة فعله، غير أنهم أحيانا ما ينجحون وأحيانا أخرى يخفقون: «الأشخاص الموجودون في قمة الحياة السياسية في الوقت الحالي لأنهم يعيشون في هذا العالم طوال الوقت يعرفون كل ذلك. والأشخاص في الإدارة يعملون في الحملات – أي التأثير على الإعلام واستغلاله، والأشخاص الذين يستعينون بهم من داخل وخارج وسائل الإعلام». ولكنه يؤكد على وجود تحول في أسلوب وإيقاع وطبيعة السياسة الخارجية الأميركية، والإعلام يجلس في مقعد القيادة: «من الضروري أن تستخدم المشاعر لجذب انتباه الناس. يمثل ذلك ٩٠ في المائة من اللعبة. بمجرد أن تلفت انتباههم يمكنك أن تقول أي شيء لمدة ٣٠ ثانية. ولكن الأمر كله يتعلق بالترفيه، واستخدام لغة إعلانية قوية مختصرة، ويعد استخدام المجاز مهارة: من فاز ومن خسر، لا وقت لمناقشة قضية لأنها سوف تتطلب تفكيرا، وسوف تحتاج إلى استمرار جذب انتباه المشاهد أو المستمع لمدة تزيد عن ١٥ أو ٢٠ ثانية. لذلك تعتمد جهود التسويق على المشاعر، ولهذا السبب التلفزيون خاضع للصورة بالأساس وليس للكلام. والنتيجة هي إغراقه كلية بفن الأداء، ولا يمكن استحضار القدرات النقدية للمشاهدين عندما يصبح ذلك هو أسلوب العرض. والخلاصة أن وسائل الإعلام في الأساس تستعمر خطابنا السياسي».

تحمل تلك الملاحظات نتيجة ذات مغزى لمحاولات من هم خارج الولايات المتحدة –ومنهم السعودية – للتعبير عن آرائهم في النقاش حول الإعلام والسياسات الأميركية: في مجتمع ديمقراطي، يستطيع المراسل ذاته الذي يبلغ من العمر ٢٧ عاما، والذي يسعى رودس إلى السيطرة عليه، الوصول إلى آخرين خارج الحكومة ربما يملكون مادة يقدمونها لا تقل تأثيرا وربما تكون أكثر صدقا وجدارة بالثقة. ولكن من يكون ناقل المعلومات المناسب للمراسل؟ ومن هو أنسب من يقيم مثل تلك العلاقات؟

معروف أن الإعلام في أي بيئة، والموجه بالضرورة نحو التكافؤ العاطفي لجمهوره على وجه التحديد، يمكن أن يخوض فيه بكفاءة الأشخاص الذين يألفون عن قرب لغة الجمهور وثقافتهم. وإن لم يكونوا من أبناء البلد، فيجب أن يكونوا قد خصصوا وقتا وجهدا كافيين للانغماس في ذلك البلد والحياة بين أبنائه من أجل التواصل بفاعلية معهم – أو بدلا من ذلك لا بد أن يجدوا وسيلة للتشارك بسلاسة مع أبناء البلد في تطوير المحتوى الإعلامي. في الوقت ذاته، هناك بالطبع قيمة متأصلة في المعرفة التي يملكها، على سبيل المثال، المواطنون السعوديون عن السعودية والتي لا يمكن أن تضاهيها معرفة الغرباء عن الدولة. وبالتالي من البدهي أن أكثر حملة إعلامية فعّالة يمكن أن تشنها قوى أجنبية في الولايات المتحدة هي تلك التي تعتمد على شراكة قوية مع مجموعة من الأميركيين ذات دوافع قوية.

أحد الأمثلة الواضحة التي تطرأ على الذهن هي دولة إسرائيل، التي تنسق عن قرب منذ عقود مع أعضاء مؤيدين من الجالية اليهودية الأميركية، وكثير منهم يعملون في الإعلام، للتعبير عن الموقف السياسي للدولة في المناقشات السياسية الأميركية والتقارير الإخبارية والثقافة الشعبية. ولكن هناك أمثلة أخرى جديرة بالملاحظة، وإيران واحدة منها.

يقدم كل من إصدار «المونيتور» وجماعات الضغط الإيرانية (مثل المجلس الوطني الأميركي الإيراني) المذكورين آنفا نماذج موضحة للبراعة الإيرانية مزدوجة الجنسية والثقافة بفضل أبنائها وبناتها الذين رسخوا جذورا لهم في الولايات المتحدة.

مليون أميركي من أصل إيراني يعيشون في الولايات المتحدة

هناك نحو مليون أميركي من أصل إيراني يعيشون في الولايات المتحدة في الوقت الحالي. في الماضي، كان ذلك المجتمع مكونا في الغالب من لاجئين إثر الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩. وكانوا ينظرون إلى نظام الملالي في طهران بكراهية شديدة. على النقيض من العمل لمصلحة طهران في أميركا، شكلوا معقلا جديرا بالثقة لتأييد الموقف الأميركي الذي يجابه ذلك النظام. بيد أن الأوضاع تغيرت على مدار الجيل الماضي وفقا لاتجاه ثقافي يمكن رؤيته أيضا بين الأميركيين من أصل كوبي، والذين كان آباؤهم وأجدادهم من أشد المعارضين لنظام كاسترو. يتشوق الجيل الشاب الذي نشأ وهو يسمع عن بلاده الأصلية فقط عن طريق الحكايات والذكريات وصور آبائه وأجداده القديمة إلى الشعور بالاتصال بتلك البلد التي جاء منها أجداده – والشعور بالأصالة يأتي فقط من خلال إقامة علاقات مباشرة عميقة. والنتيجة هي أن الكثير من هؤلاء الشباب يميلون لتأييد سياسات تسمح سريعا بتطبيع العلاقات مع حكومة بلادهم الأصلية الحالية قدر الإمكان. كما أنهم أكثر انفتاحا للغاية على المبادرات السياسية التي يبديها رموز السلطة في إيران – أو الوكلاء لينو الحديث الذين استعان بهم النظام وأعدهم للعمل على تجنيد حلفاء داخل المجتمع الأميركي الإيراني.

نتيجة لذلك، تتمتع جماعات مثل المجلس الوطني الأميركي الإيراني إلى حد ما بنوع من العمق الاستراتيجي الذي تتمتع به جماعات الضغط التي تضم مواطنين أصليين بالكامل – بالإضافة إلى قدرات تتعلق بازدواج اللغة والثقافة للتنسيق بين الحكومة الإيرانية ومؤيديها في الولايات المتحدة.

إضافة إلى الأنشطة التي يطلقها المجلس بمفرده، يمكنه أيضا أن يستفيد من شبكة من الأميركيين المتعاطفين في شتى المجالات – ومن بينها الحكومة والإعلام والقطاع الخاص والمهن المختلفة – والذين قد يكون من بينهم أميركيون من أصل إيراني بالإضافة إلى أميركيين من أصول عرقية أخرى يقيمون معهم صلات شخصية عميقة على مدار فترات طويلة.

تظهر قوة ذلك التحالف متعدد اللغات والثقافات أيضا في إصدار «المونيتور» الذي حقق نجاحا هائلا. إنه إصدار إلكتروني فقط – ينتهج استراتيجية شابة ماهرة في الترويج عبر وسائل التواصل الاجتماعي – يتكون فريقه إلى حد كبير من مجموعة من الصحافيين والمحررين الأميركيين وزملائهم في دول تملك فيها إيران ميليشيات وكيلة وأبرزها سوريا ولبنان بالإضافة إلى إيران ذاتها. يعمل الفريق المتنوع على ملء الفراغات لدى بعضهم البعض: فالمراسلون الأميركيون يغطون أخبار واشنطن بمهارة، بينما يعمل المحررون والكُتاب من أبناء البلد مع صحافيين من الشرق الأوسط على إعادة صياغة أعمالهم لتجذب القراء الأميركيين، ثم يسوقونها وينشرونها على أساس يومي.

ربما يوصف عامل آخر في نجاح «المونيتور» بـ«مدرسة الـ٨٥ في المائة». تعلم قيادة المؤسسة أنه في أي دولة ديمقراطية، يتحسس الجمهور من المحتوى الإعلامي الذي ينقل رسالة واحدة موحدة. بمعنى أنك عندما تنشأ على الاعتقاد بتنوع الآراء ومبدأ أنه لا يوجد طرف يحتكر الحقيقة، سوف تشعر تلقائيا بالارتياب تجاه أي مصدر معلومات ينكر صدق أي آراء معارضة. وبالتالي، حاول «المونيتور» جاهدا نشر مقالات قليلة متناثرة تنتقد إيران ونظام الأسد وما يسمى «حزب الله» (لنقل مثلا نحو ١٥ في المائة من المحتوى أو أقل)، لتخدم بكفاءة غرض الترويج لمصداقية ٨٥ في المائة من المحتوى الذي يقدم رسالة طهران إلى الشعب الأميركي. تجب الإشارة إلى أن بين أقلية الآراء التي تنشر في «المونيتور» لإضفاء تلك القشرة الموضوعية عددا قليلا من المواطنين

السعوديين الذين يحملون آراء تدافع عن السعودية بين صفحات الموقع. ويبدو أنهم تحت تأثير المبدأ الأميركي: «إذا لم تستطع هزيمتهم، انضم إليهم» – بمعنى أنه في ضوء الشعبية الهائلة التي يتمتع بها «المونيتور»، ربما يستفيدون أيضا من فرصة استخدامه كمنصة للوصول إلى الجمهور الأميركي. ولكنهم بذلك يمنحون الموقع أداة قوية للغاية لنفي الادعاء بأنه إصدار «معادٍ للسعودية».

يلاحظ آدم غارفنكل، الذي ينتقد نظام طهران باستمرار، أن الإيرانيين يملكون «كفاءة عالية» في التعامل مع الإعلام الأميركي، بأسلوب لا يملكه العرب المؤيدون للموقف السعودي في الشؤون الإقليمية. ويقول: «كثير مما يصلني (من مؤسسات ضغط وشركات علاقات عامة) باسم الدول العربية مريع. إنه ثنائي الأبعاد. يمكنك أن ترى بوضوح من يخاطبك ولماذا. وهو أقل تعقيدا من المادة الإيرانية، ومن المؤسف أن من يقدمه أشخاص لا يملكون وعيا إعلاميا بالطريقة التي تناسب الجمهور الغربي. ربما يرجع ذلك لأسباب كثيرة، يعاني فن الخطاب السياسي في العالم العربي في العقود السابقة من الضعف، ويوجد عدد كبير من الأشخاص الذين لم يشهدوا تطور عناصر النقاش المعقدة، بل يخرجون ويلقون ببضاعة زهيدة على الناس».

قوة الترفيه

في الوقت ذاته، يوجد مستوى آخر من الإعلام العام الذي يؤدي دورا أيضا في توجيه تصورات الشعب الأميركي عن أي دولة أجنبية: الإعلام الترفيهي. تُشكل القصص التي ترويها الأفلام والمسلسلات التلفزيونية معرفة الشعوب بـ«الآخر» البعيد، وتمهد الساحة بدرجة ما للتقارير الإخبارية التي تعتمد على الحقائق بشأن الأراضي البعيدة والتي يقدمها الإعلام الإخباري. في مرحلة مبكرة من تاريخ السينما الأميركية، كانت هناك درجة كبيرة من التفاهم المتبادل بين واشنطن وهوليوود يتعلق بجهود تشكيل الإدراك الشعبي للترويج لأجندة سياسية حماسية. على سبيل المثال، في أثناء الحرب العالمية الثانية، تم إنتاج الكثير من الأفلام الكبيرة التي تصور أشرارا من النازيين الألمان أو اليابانيين ضد البطل الأميركي، وبذلك يدعمون المناخ المعلوماتي الذي يستعد فيه الشباب الأميركي للذهاب إلى القتال خارج البلاد. في أعوام الحرب الباردة التالية، أثار عدد كبير من الأفلام المنفصلة غضب رواد السينما تجاه العدو السوفياتي، مثل فيلم «الفجر الأحمر» إنتاج عام ١٩٨٤ الشهير الذي يقوم على تصور افتراضي بأن الاتحاد السوفياتي يغزو الولايات المتحدة ويحتلها.

في الوقت الحالي، يعتقد كثير من المراقبين، خارج الولايات المتحدة، أن صناعة السينما لا تزال مرتبطة سياسيا بواشنطن في تنسيق المحتوى الذي تنتجه وفقا لأولويات السياسة الخارجية الأميركية. ولكن الأمر لم يعد كذلك كما تقول مارثا بايلز، أستاذ الدراسات الإنسانية في كلية بوسطن ومؤلفة كتاب «عبر شاشة في الظلام: الثقافة الشعبية والدبلوماسية العامة وصورة أميركا في الخارج». توضح بايلز: «هوليوود مشروع تجاري تماما. ومن الواضح أن المنتجين توصلوا إلى فكرة أنه من الخطأ تقديم قوالب جاهزة، ومن ثم أصبحت هناك حساسية تجاه الأمر. ولكن لا يوجد قيادات سياسية في واشنطن تسيطر على الرسائل السياسية التي تقدمها أفلام هوليوود بأي درجة».

في الوقت ذاته، في مفارقة، اكتشفت بعض العناصر خارج الولايات المتحدة أنه من الممكن استغلال دافع الربح في هوليوود لكي تنتج صناعة السينما الأميركية أفلاما تروج لمصالح سياسية أجنبية – وليس أميركية، وحتى تلك التي تختلف مع السياسة الخارجية الأميركية. أبرز الأمثلة على ذلك الصين، التي تعد سوقا استهلاكية كبيرة للأفلام الأميركية – ويبدو أن القيادة السياسية تدرك أهمية التعاون طويل الأجل مع هوليوود من أجل تشكيل الأفكار عن الصين بما يصب في مصلحة بكين.

في مثال على هذه الظاهرة، تشير مارثا بايلز إلى أغنى رجل في الصين ونصير بكين القوي وانغ جيان

لين، الذي تملك مجموعته الإعلامية (داليان واندا غروب) ثاني أكبر سلسلة مسارح في أميركا. في الخريف الحالي، وقعت شركة (سوني بيكتشرز) إحدى أهم شركات إنتاج الأفلام الأميركية صفقة للاستفادة من رأسمال وانغ الاستثماري. كما يُجري مباحثات أيضا بشأن صفقة محتملة بقيمة مليار دولار للاستحواذ على شركة الإنتاج المسؤولة عن جوائز (غولدن غلوب). يؤكد وانغ على أن كل تلك الجهود جزء من محاولته «لتغيير العالم الذي يضع قواعده الأجانب».

من وجهة نظر بايلز، ساهمت نتائج مساعي وانغ، إضافة إلى تلك التي حققها مستثمرون صينيون آخرون وجذب سوق المشاهد الصيني لأفلام هوليوود، مناخا في هوليوود تبدي فيه شركات الإنتاج «تملقا مذهلا للصين – مع عجز كامل عن عرض أي شيء سلبي عن الصين». في مثال على هذه الظاهرة، تذكر بايلز الجدل الذي ثار حول إعادة إنتاج فيلم عام ١٩٨٤ «الفجر الأحمر» في عام ٢٠١١. عن طريق شركة (إم جي إم) في هوليوود. كانت إعادة الإنتاج في البداية ستتناول قيام القوات الصينية بدلا من السوفياتية بغزو واحتلال الولايات المتحدة. ولكن لأسباب لا يمكن فصلها عن المصالح التجارية لشركة الإنتاج، تم اتخاذ قرار في اللحظة الأخيرة بتحويل «الأشرار» من صينيين إلى كوريين شماليين. والآن يخضع فيلم جديد من فئة الخيال العلمي بعنوان «الجدار» The Wall لمرحلة ما بعد الإنتاج، تدور أحداثه حول صراع عالمي للدفاع عن الأرض ضد كائنات من الفضاء الخارجي، ولا يوجد حائط صد للدفاع عن البشر سوى سور الصين العظيم. ومن المتوقع أن تظهر الحكومة الصينية في صورة جذابة كحامية قديرة تدافع عن الإنسانية في مواجهة بربرية غير بشرية. وبذلك تبدد النظرة المنتشرة بأن الصين عدو، وتشجع الأميركيين على التطلع إلى بكين من منظور الشراكة.

تبذل بعض الدول في العالم العربي جهودا متواضعة بالمقارنة للاشتراك في عمليات إنتاج مع هوليوود، أملا في تعزيز مهنية صناعة السينما لديها أو لتشجيع منتجي الأفلام الأميركيين على تقديم بلادهم في صورة محببة، أو لكلا الهدفين معا. أحد الأمثلة على ذلك المغرب عبر ورززات عاصمة السينما بها. كذلك توجد مشروعات طموحة في إمارتي دبي وأبوظبي. ومنذ عدة أعوام، تواصلت معي مخرجة الأفلام الأميركية كاثرين بيغلو، أثناء إنتاج فيلم عن القوات الأميركية في العراق والذي فاز بجائزة الأكاديمية «خزانة الألم» (The Hurt Locker). طلبت مني مشورة بشأن مكان تصوير الفيلم، مشيرة إلى أن أفضل وأنسب خيار سيبدو في المغرب. وأضافت أن المملكة الواقعة في شمال أفريقيا ترتبط بشبكة علاقات جيدة في هوليوود، وأن هناك فريقا كاملا على استعداد لتسهيل جميع احتياجاتها في الدولة إذا اختارت العمل هناك. نصحتها بصفتي على دراية بالمنطقة بأن المملكة الأردنية بها أحياء وشوارع تشبه العراق أكثر من أي منطقة في المغرب، وأنه سيكون من الأسهل العثور على ممثلين عراقيين بين مجتمع اللاجئين العراقيين في عَمّان. وبعد بعض المجاملات والمقدمات الهاتفية بين الأطراف المعنية، اختارت بيغلو الأردن، وذهبوا لصناعة التاريخ. كان «خزانة الألم» أول فيلم تخرجه سيدة يفوز بإحدى جوائز الأكاديمية، كما أنه يمثل نصرا كبيرا للمملكة الأردنية في سعيها للشراكة مع الأميركيين لإنتاج عمل ترفيهي ذي جودة عالية. تقع عمليات «الإنتاج المشترك» المشابهة تحت تصنيف مختلف تماما عن القوة المالية التي تملكها الصين في إعادة تشكيل مؤسسات هوليوود لخدمة مصالحها. تسعى المغرب والإمارات ودول عربية أخرى إلى تحقيق أهدافها عن طريق الصداقة والاتفاق والتبادلية والموقف التجاري الذي يجعل مقترحاتهم مقبولة تجاريا إن لم تكن مسببة للتغيير. ولكن يمكن النظر إلى جهود المغرب في ذلك المجال، وربما يكون تاريخ تعاونه مع هوليوود هو الأقدم، بناء على اعتبارات الواقعية السياسية كحملة ناجحة طويلة الأجل لتشكيل تأييد شعبي للمغرب في الولايات المتحدة والحفاظ على تحالف مرن وطويل بين واشنطن والرباط.

حلب والموصل والمستنقع والبعوض

د. محمد السعيدي- الوطن السعودية ٢٠١٦/١١/١٤

يقف العالم أجمع والعالم الإسلامي بشكل خاص في انتظار مأساتين عظيمتين دون أن نجد أي تحرك إسلامي أو عالمي في اتجاه منع وقوعهما أو الحد من أضرارهما على الأقل.

المأساة الأولى: تدمير حلب من قِبَل نظام بشار وحلفائه الإيرانيين والروس، والأخرى: اجتياح الموصل من قبل ما يسمى بالحشد الشعبي وتكرارهم لما فعلوه بأهل السنة من فضائع في كل المدن والقرى التي مرت بسيناريو محاربة داعش من خانقين حتى الفلوجة.

هناك الكثيرون يقولون: إن الحالة قد وصلت إلى مستوى لم نعد قادرين فيه على أن نصنع شيئاً، فالحلقة حول سنة العراق في غاية الإحكام، إذ القوة العسكرية السنية تم القضاء عليها من قِبَل من كانوا يُسمون أنفسهم دولة العراق الإسلامية التي احتكرت الإسلام وبدلاً من أن تتعاون مع جميع تشكيلات المقاومة الإسلامية أو العشائرية أو الوطنية ضد المشروع الأمريكي والصفوي في العراق، قامت بتصفية كل من يقاوم الاحتلال الأمريكي والإيراني مالم يكن داخلاً تحت إمرتها، واعتبرت الجميع خونة وعملاء، وبالفعل هَيّأ لها الأمريكيون والإيرانيون جميع الأجواء المناسبة لتقوم بإراحتهم من أعدائهم، فلما انتهت مهمة هذه الدولة المزعومة بالنسبة للمحتلين قاموا بضربها وتحريض الموتورين من أهل السنة من فعلاتها القبيحة على المشاركة في قتالها فيما عُرِفَ فيما بعد بالصحوات.

فالمقاومة العراقية السنية موؤدة منذ ذلك الحين، وحتى لما أرادت أن تتنفس الصعداء وتنهض فيما عُرف باعتصام الأنبار جاءت داعش بأعلامها وسياراتها لتفض ذلك الاعتصام الذي استمر عاماً كاملاً وتنقذ حكومة المالكي من النتائج الإيجابية المنتظرة لذلك الاعتصام وفي الوقت المناسب.

والدول السنية القادرة على دعم السنة أُغْلِقَت في وجهها كل الطرق لدعم السنة عسكرياً، فأولاً لم يعد هناك كتائب على السطح يمكنها الاستفادة من العون العسكري، وثانياً داعش التي تزعم أنها سنية هي من تقف في طريق وصول أي سلاح لسنة العراق، بل هي في كل المناطق التي كانت فيها عملت على نزع السلاح من أي مقاومة سنية ولو ضعيفة لا تنتسب إليها.

الواضح حقاً: أن السنة في الموصل لم يعد أمامهم سوى النزوح أو مواجهة مصيرهم على يد الحشد الشعبي لأن داعش لن تصنع لهم إلا كما صنعت لأهل تكريت والفلوجة مثلاً بمثل سواء بسواء.

بقي الجيش التركي المتمركز حالياً قريباً من الموصل في أعداد قليلة غير قادرة على مواجهة الحشد الشعبي لمنعه من أي تجاوز على البلاد والعباد بعد خروج داعش.

أما حلب، فقد يقول القائل: إن الكتائب المدافعة عنها في مواجهة النظام وحلفائه حقاً قادرة على الصمود إذا تم دعمها بكثافة لكنه صمود استنزاف لا يحسم المعركة بل يطيلها فقط، وهذا النوع ليس في صالح أحد سوى الأطراف المتفرجة، والمستفيدة من هذا الصراع وعلى رأسها العدو الصهيوني.

المؤسف حقاً أن كل ما تقدم صحيح ، والمؤسف أكثر أنه ليس كل ما في الصورة، فالمشهد أكثر تعقيداً وأسوأ من ذلك بكثير ، لكن هل يعني هذا أنه لم يعد بالإمكان عمل شيء، وأن ما علينا سوى انتظار الأخبار، ومتى ستخرج داعش من الموصل كما خرجت من قبل من جميع المدن والقرى العراقية التي زعمت أنها احتلتها ليدخل الحشد الشعبي ويهجر أهل السنة العراقيين من أكبر عواصمهم في العراق استكمالاً لتغيير التركيبة السكانية في العراق كله لصالح المشروع الإيراني؛ وهل علينا أن نبقى نعد القتلى في حلب من كلا الطرفين؛ قُتِل اليوم من جنود النظام عشرون وقتل أمس من المجاهدين عشرة؛ هل نبقى ليس في

أيدينا غيرُ ذلك؟

الجواب فيما يظهر لي نستفيده من قصة البعوض والمستنقع، فأنت حينما تحارب البعوض في أماكن تواجده، فلن ينقضي البعوض ولن تنتهي أماكن تواجده، بل كلما حاربته في جهة ستجده في جهة أُخرى أو جهات متعددة، لذلك عليك أن تتجه إلى المستنقع حيث تلقي إناث البعوض بيضها وتقوم بدفنه، هنالك لن تلبث حتى يسقط البعوض من تلقاء نفسه إينما توجه.

آن الأوان لنعلم جيداً أن المستنقع الذي تتولد منه كل الشرور المحيطة بنا في العراق والشام واليمن هو إيران، وإن لم تعمل دول الخليج والعالم العربي والإسلامي على إسقاط نظامها، فلن تنتهي جيوش البعوض المنطلقة منها، وإذا كنا نواجهها اليوم في ثلاث دول، فلعل الأيام المقبلة سترينا أسرابها في مصر أو السودان أو عمان، بل ربما نراها في تركياً أو في داخل بلداننا الخليجية نفسها.

ولكن كيف يكون ذلك، وماهي أسرع السبل لإسقاط النظام الإيراني؟

الجواب: يجب أن تعمل دول الخليج بجدية لإعادة الحصار على إيران وأن تستخدم ما تبقى لها من ثقل دولي في عزلها عن العالم؛ إننا نأسف كثيراً حينما نكتشف أن أغنى ثلاث دول خليجية، قطر - الكويت- الإمارات، لاتزال لها تعاملات اقتصادية من تحت الطاولة ومن فوقها مع إيران، وكأن هذه الدول تتصور: أن حقيقة الصراع في المنطقة إنما هو بين السعودية وإيران، وأن لعبها على الحبلين يضمن لها خيارات جيدة فيما لو كانت النهاية لصالح إيران أو كانت لصالح السعودية؛ إن هذا الموقف المنافق لا يُمكن أن يعبر عن دعاوى الأخوة والمصير الواحد التي طالما رددها زعماء الخليج في كلماتهم الافتتاحية والختامية في قمم التعاون الخليجي.

ويجب أن توقِن تركيا أنها كانت مُذْنِبة في حق دينها وأمتها الإسلامية حين اشتغلت لمدة عشر سنوات كرئة تتنفس منها إيران إبان الحصار الاقتصادي والعقوبات الدولية التي فُرِضَت عليها، وأنها باستمرار علاقاتها المتعددة، التجارية والصناعية والزراعية والثقافية مع إيران تُسَوِّد كل صفحة بيضاء حاولت فتحها في العلاقات الإسلامية التركية.

وإذا كان الرئيس التركي وصف أي لقاء مفترض بينه وبين الرئيس السيسي بأنه غير أخلاقي، فإننا نصف جميع اللقاءات التي تمت وتتم بين الرئيس التركي والإيراني أو بين أي مسؤول تركي بأي مسؤول إيراني بأنه لقاء إجرامي في حق الأمة والدين، لاسيما وتركيا ليست مضطرة اقتصادياً لهذه العلاقات الآثمة.

يجب على دول الخليج مجتمعة وتركيا لا أن يقاطعوا إيران وحسب، بل عليهم أن يقايضوا مجتمعين علاقاتهم التجارية والعسكرية بينهم وبين الصين والهند والباكستان ودول شرق آسيا ودول شرق أوربا والاتحاد الأوربي بعلاقات تلك الدول بإيران.

إعلان مثل هذا التضامن ضد إيران يجب أن يكون عاجلاً، وإن أي خسارة اقتصادية يحققها هذا التضامن بين هذه الدول ضد إيران أهون بكثير من الخسائر الأكثر فداحة لو نجح المشروع الإيراني الصهيوني في تحقيق مآربه في المنطقة.

نعم: إن مستنقع طهران يجب أن يدفن وإن مثل هذا التحالف الاقتصادي لو تم بجدية ودون نفاق وانتهازية سيشكل أول وأكبر رتل من أرتال عربات الدفن التي ستقضي حتماً على أقذر وأخطر مرض أصاب أمة الإسلام بعد انتهاء فترة الاحتلال العسكري الأوربي للعالم الإسلامي والذي انتهى قبل عقود.

سر الهجوم الإماراتي على الجفري بعد اعتذار قاديروف والأزهر لـ "السعودية"!

محمد عطيفي – بوابة القاهرة ٢٠١٦/١١/٢٨

فجأة تحول الداعية الصوفي المقيم في الإمارات الحبيب علي الجفري إلى فريسة لمغردين معروفين بقربهم من السلطات الإماراتية ليصبوا عليه اللعنات والتهديدات وذلك بعد أن كان يتم تبجيله وهو المعروف بأنه مكرم ومقرب من الحكام في الدولة الخليجية التي تستضيفه وتوفر له دعما ماليا وسياسيا وإعلاميا هائلا.

المراقبون لاحظوا أن الهجوم على الجفري جاء بعد سلسلة اعتذارات لكل المشاركين في «مؤتمر جروزني» الشهير الذي تسبب في غضب سعودي رسمي وشعبي عارم بعد أن اخرج التيارات السلفية وفي قلبها «الوهابية» من «ملة» الإسلام واعتبرها جماعات مارقة.

وكانت أولى الاعتذارات من الأزهر الذي أصدر شيخه الدكتور أحمد الطيب بيانا تبرأ فيه من المؤتمر وتوصياته مؤكدا أن زيارته لجروزني لم تكن للمشاركة في المؤتمر بل ترافقت معه وتبع ذلك اعتذار آخر من مفتي مصر السابق علي جمعة لتصل ذروة الاعتذارات إلى الرئيس الشيشاني رمضان قاديروف الذي توجه بنفسه إلى السعودية لتقديم الاعتذار وفروض الولاء للقياد السعودية رغم تهديده العلني السابق بقتل أي وهابي يراه. !!

ولم يتبق من قائمة المشاركين الكبار في المؤتمر سوى الجهة المنظمة والممولة له وهي مؤسسة «طابه» التي يرأسها الجفري ويقع مقرها في أبوظبي التي تمولها أيضا، وكان الأغرب هو خروج الجفري متحديا عبر حسابه على تويتر بتكذيب ونفي لاعتذار الرئيس الشيشاني للسعودية.

ويبدو أن تغريد الجفري خارج سرب الاعتذارات بل والتشكيك فيها دفع المسؤولين في أبوظبي للنأي بأنفسهم عنه أو للإيحاء بذلك حتى لا يغضبوا السعودية وخرجت تغريدات لمغردين مقربون بل ومعروف ارتباطهم بالأجهزة الإماراتية تهاجم الجفري وتشكك في دعوته وأفكاره رغم أنهم هم من شجعوا ودعموا هذا التيار من قبل لمحاربة ما يصفونه بـ«الإسلام المتشدد».

وطبقا لما رصده محرر «بوابة القاهرة» فقد بدأ الهجوم على الجفري من حساب «بوحميد uae» المعروف بأنه موجه سياسيا ومقرب من دوائر صنع القرار في أبوظبي حيث شن هجوما عنيفا على الجفري عبر سلسلة تغريدات على حسابه على «تويتر» قال في أولها «بـ #اعتذار_الرئيس_الشيشاني اتباع الجفري الحمقى ماذا هم فاعلون؟

أم ان مولاهم الجفري اصدق من الدولة بوجهة نظرهم ؟ ننتظر .. »

واتبعها قائلا: «إلى اتباع #الجفري بدون تحيه .. إلى من يسمونه مولاهم بدون تحيه .. إلى المتلونين بدون تحيه .. ؟؟#اعتذار_الرئيس_الشيشاني؟؟» مرفقا بتغريدته صورة من تغريدة الجفري التي تشكك في اعتذار قاديروف وصورة اخرى لتصريح للرئيس الشيشاني لوكالة انباء الامارات الرسمية» وا م» يوذح فيه اعتذاره للسعودية رسميا.

ثم أتبع «بوحميد» ذلك بتغريدة اخرى تقول «من يوالي شخص كـ الجفري شاذ عن المجتمع ويهاجم الدولة وقراراتها ولو بشكل غير مباشر عليه ان يراجع نفسه قبل ان يقول كما قالو من قبله #قصو_علي .. «وقال» بوجهة نظري و«يزعل من يزعل» اتباع الجفري فئة كـ #التنظيم_السري يوما ما ستعرفون ان الجفري مولاهم مقدم على الدولة والقيادة .. وستذكرون .. ».

وأعقب حميد ذلك باعادة تغريد لردود وصلته عل تغريداته جمعها تهاجم الجفري والصوفية وتدافع عن الوهابية في ظاهرة لم

تحدث من قبل منها «@uae_love٤٠ الجفري وزمرته لم يضيفوا للإسلام غير بدعهم وخزعبلاتهم و التقديس للبشر دون الله ، فكيف يختلفون عن الجماعات الأخرى؟» و« @uae_love٤٠ الاعتذار وإن كان شفهياً فالصوفيين يكنون حقداً دفيناً على دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب لأنه هدم مزاراتهم ومنعهم من بدعهم».

وكذلك «@uae_love٤٠ المملكة وبقيادتها المتبعة لمنهج محمد بن عبدالوهاب وقفت بجانب الشعب الشيشاني في محنته، فلا قاديروف ولا غيره يستطيع شق الصف».

«وام» على الخط !

الغريب أيضا هو دخول وكالة أنباء الإمارات الرسمية «وام» على الخط والتي أجرت مقابلة خاصة مع الرئيس الشيشاني قاديروف يكيل فيه المديح للسعودية وقيادتها وشعبها وهو من سبق وهدد بقتل أي وهابي يقابله.

كما أشاد بحكمة ورؤية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية في دعم قضايا الأمة الإسلامية ونبذ التطرف ومكافحة الإرهاب بجميع صوره وأشكاله وهو من سبق واتهمها بدعم الإرهاب مبديا اعتذاره صراحة عن مؤتمر جروزني وقال «ان الفترة الماضية شهدت محاولات لشق الصف الإسلامي من خلال الترويج لمؤتمر «من هم أهل السنة والجماعة» الذي عقد بالعاصمة الشيشانية غروزني في ٢٥ اغسطس الماضي بأنه موجه لاستثناء فئة أو دولة معينة .. مؤكدا ان جمهورية الشيشان والمملكة العربية السعودية جسد واحد وان بلاده تؤمن بدور السعودية في العمل على وحدة صف الأمة الإسلامية ونشر السلام والتسامح ومحاربة الإرهاب».

وكان البيان الختامي لمؤتمر جروزني قد احدث ردود فعل غاضبة، بسبب قصره وصف أهل «السنة والجماعة» على «الصوفية، والأشعرية، والماتريدية»، مستبعداً السلفية، وفرقاً إسلامية أخرى. وأوصى المؤتمر، الذي رعاه الرئيس الشيشاني رمضان قاديروف، بـ«حصر أهل السنة والجماعة في الأشاعرة والماتريدية في الاعتقاد، وأهل المذاهب الأربعة في الفقه، وأهل التصوف الصافي علماً وأخلاقاً وتزكيةً، وإخراج كل من خالفهم من دائرة السنة والجماعة».

وكانت مؤسسة «طابة» الصوفية ومقرها أبو ظبي، ومؤسسها رجل الدين الصوفي اليمني الحبيب علي الجفري، قد أعلنت أنها هي التي نظمت مؤتمر «من هم أهل السنة والجماعة؟» الذي حظي بانتقاد واسع النطاق من علماء بارزين في العالم الإسلامي.

وقالت المؤسسة في بيان لها على موقعها الالكتروني، إنها تشرّفت بتعاونها مع صندوق الحاج أحمد قديروف الخيري، ومؤسسة دعم الثقافة الإسلامية والعلم والتعليم، في تنظيم انعقاد المؤتمر العالمي لعلماء المسلمين تحت عنوان «من هم أهل السنة والجماعة؟».

وتعرف المؤسسة الصوفية نفسها بأنها «مؤسسة غير ربحية تسعى إلى تقديم مقترحات وتوصيات لقادة الرأي لاتخاذ نهج حكيم نافع للمجتمع»، على حد قولها لكن المعروف ان الممول الرئيس لها هي أبو ظبي.

قانون "الحشد الشعبي" أم "فيلق مكة"؟!

موفق خطاب – الوطن البحرينية ٢٠١٦/١١/٢٨

أقر البرلمان العراقي أمس الأول قانون «الحشد الشعبي» استناداً إلى أحكام البند أولاً من المادة ٦١ والبند ثالثاً من المادة ٧٣ من الدستور العراقي بعد تمريره من قبل الكتل الشيعية، وبعض من الكتل المتحالفة معها لتتحول تلك الميليشيات والمجاميع المسلحة الخارجة عن القانون والتي أشرف على تشكيلها قائد فيلق القدس بالحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني ومساعدوه العامري ومهدي المهندس ومقتدى الصدر والخزعلي وبعد فتوى السيستاني على إثر سقوط

الموصل بيد تنظيم الدولة «داعش» وانهيار أغلب القطعات العسكرية، إلى قوة رسمية لها تمثيلها وحصانتها وهذه الخطوة تعتبر سابقة خطيرة لم يسبق أن سلكتها أي دولة إسلامية أو عربية عدا إيران التي أردفت قواتها النظامية بفيلق القدس.

وما يثير الانتباه هو ما جاء في نهاية القرار مذيلاً بالأسباب الموجبة له: «لغرض توفير الحماية القانونية لفصائل «الحشد الشعبي» التي توفر الغطاء والجواز الشرعي لتدخلهم العسكري وإضفاء للمشروعية على ما يصدر من أفرادهم أثناء الاشتباك مع العدو في المناطق القتالية ولتنظيم أعمالهم وجعلها تحت نظر الحكومة العراقية وللحيلولة دون السماح باستهدافهم عاجلاً أو آجلاً بذرائع مختلفة ولتأمين أوضاعهم المالية وحقوقهم.. ولأجله شرع هذا القانون».. انتهى.

وتحوم حول هذا القرار الخطير الكثير من الشكوك خاصة في توقيته، لما يمر به العراق من فوضى واحتراب داخلي وطائفية مقيتة وهيمنة إيران على القرار السياسي، كذلك حساسية الموقف المتأزم بسبب القتال الدائر في أقصى شمال العراق، وبالتحديد عند أسوار محافظة نينوى وحرب المدن والشوارع داخل مدينة الموصل، ووجود الآلاف من مجاميع الحشد الشعبي والتي تنتظر ساعة الصفر للدخول في المعركة التي مازالت في بداياتها وتدار من قبل الجيش النظامي بكافة تشكيلاته وقوات البشمركة الكردية، وإسناد جوي لقوات التحالف بقيادة أمريكا، وحسب ما تتناقله وكالات الأنباء والمراسلون مازالت تلك المعركة الحساسة مهنية، ولم تقع فيها الخروقات والجرائم الكبرى وذلك لحسر وتقييد تحركات قوات «الحشد الشعبي» في الحدود الدنيا عدا الجهة الغربية عند قضاء تلعفر حيث فسح المجال من أمريكا وأنيطت المهمة لقوات «الحشد الشعبي» والتي تتحرك بحذر شديد والراصد الدولي والتركي يرقبها بحذر وريبة، ويخشى منها أن ترتكب المجازر حيث إن سجل ذلك الحشد مليء بالجرائم والانتهاكات بحق المدنيين العزل والتي يندى لها جبين الإنسانية.

وما سيعقد المشهد العراقي هو أن قيادات ذلك الحشد جلهم مجرمو حرب ومطلوبون دولياً فإعطاؤهم ذلك القرار الصبغة الشرعية سيفسح لهم المجال واسعاً ومن تحت إمرتهم بالإيغال في الإجرام خصوصاً أنهم معبؤون عقائدياً بالانتقام ممن يخالفهم في المعتقد.

وهم صورة طبق الأصل من «فيلق القدس» الذي أسس في إيران تحت ذريعة الحفاظ على الأمن الداخلي الإيراني ومكتسبات الثورة، ثم ما لبث عندما سنحت الظروف بعبور الحدود ليكون عناصره قوة ضاربة ويد إيران التي تبطش بها في العراق وسوريا ولا نستبعد بعد قرار البرلمان العراقي اليوم أن يتحول هذا الحشد الذي تمت تغطيته بالشعبي وهو شيعي خالص كقيادات وأفراد إلى «فيلق مكة»، فإن ضل فيلق القدس الإيراني طريقه إلى المسجد الأقصى الأسير، وصوب وجهته وفوهات مدافعه إلى دمشق وبغداد، ونحر أهلها، فلا أظن أن «فيلق مكة» العراقي المرتقب سيضل طريقه إلى مكة لكن هذه المرة دون تقية ومن المتوقع أن تدخل المنطقة في نفق مظلم طويل.

فمن يفتي لنا بتشكيل الحشد المقابل الذي يحافظ على ما تبقى لنا من ديار الأمة؟ وإن لم يتم التحوط وأخذ أقصى درجات الحيطة والحذر فسنصحو يوماً والرايات الطائفية ترفرف فوق أسطح منازل الأمة.

ما هو مستقبل المقاتلين الشيعة؟

طارق الحميد – الشرق الأوسط ٢٠١٦/١١/٢٩

في سوريا وحدها يتراوح عدد المقاتلين الشيعة الموالين لإيران ما بين ١٥ ألف مقاتل و٢٥ ألفًا، مقابل قرابة ٢٧ ألف مقاتل سني أجنبي، بحسب ما نشر في صحيفة «فاينانشيال تايمز».. فكيف نقرأ هذه الأرقام؟ ولماذا نركز على المقاتلين الشيعة فقط؟

القراءة الأولية لهذه الأرقام، هي أن سوريا خارج نطاق سيطرة بشار الأسد، وتركيبتها السكانية في خطر حقيقي، لكن القصة هنا ليست الواقع السوري بقدر ما أنها التركيز على مستقبل المقاتلين الشيعة بالمنطقة ككل، والخطر الذي سيشكلونه لاحقًا. وقد يقول قائل ولماذا يُستثنى المقاتلون السنة؟ الإجابة بسيطة، فمقاتلو السنة الأجانب في سوريا تتناقص أعدادهم باستمرار، بحسب الصحيفة البريطانية، جراء محاربة «داعش». كما أن فرص مقاتلي السنة المستقبلية محدودة؛ فإما يواجهون الموت بسوريا، وإما يعودون إلى أوطانهم، التي تحارب الإرهاب أصلاً، وبالتالي فإن مصيرهم هو إما التراجع والاعتدال ما لم يكونوا قد تورطوا في جرائم، وإما الاعتقال، وإما القتل جراء المواجهات الأمنية، بينما الوضع مختلف بالنسبة للمقاتلين الشيعة، سواء في سوريا، أو العراق، أو اليمن، لأنهم تحت رعاية النظام الإيراني.

مقاتلو الميليشيات الشيعية المتطرفة في سوريا، مثلاً، هم إيرانيون، وعراقيون، ولبنانيون، وأفغان، وبالتالي فإنهم لن يواجهوا ملاحقة بعد أن تضع الحرب أوزارها بسوريا، بل ربما يكونون نواة لحزب ما، وبحسب التسوية السياسية، أو يتم إلحاقهم بأجهزة أمنية أخرى محسوبة على إيران بالمنطقة. ولتوضيح الصورة أكثر فنحن الآن أمام ١٥ ألف مقاتل شيعي إلى ٢٥ ألفًا، في سوريا، عدا عن عدد مقاتلي ميليشيا «حزب الله» في لبنان، والحوثيين في اليمن، أضف إليهم قرابة الثمانين ألفًا في «الحشد الشعبي»، المحسوب على إيران، في العراق، مما يعني أن بمنطقتنا ما لا يقل عن مائة وخمسين ألف مقاتل شيعي متطرف منضوين تحت لواء ميليشيات تابعة لإيران، وغير مهددين بملاحقات أمنية، بل العكس، وكما تم بالعراق حيث ألحق «الحشد الشعبي» بالجيش، مما يعني الحصانة، وتحويلهم إلى ذراع عسكرية بيد رئيس الوزراء، أيًا كان، وهو منصب عادة ما يصل إليه الأكثر موالاة لطهران.

وعليه فإن منطقتنا، وتحديدًا الخليج العربي، ونطاق حدوده ونفوذه، أمام خطر حقيقي بسبب الميليشيات الإيرانية المنتشرة بالعراق وسوريا، ولبنان، واليمن، حيث لن تكون طهران بحاجة إلى إرسال قوات نظامية لمنطقتنا ما دام أن لديها هذا العدد من المقاتلين، الذي نطرحه بصيغة متحفظة، وربما يكون أكثر من مائة وخمسين ألف مقاتل متطرف شيعي، خصوصًا أننا لا نتحدث هنا عن الإعلام الإيراني بمنطقتنا، والأذرع المالية، وغيرها، وإنما فقط عدد المقاتلين الشيعة. ولذا فإن القادم خطر ما دام لم يتم التعامل جديًا مع الميليشيات الشيعية بمنطقتنا، لأنها كفيلة بزعزعة الأمن والاستقرار، وأكثر مما فعل «القاعدة»، و«داعش». وعلينا أن نتذكر، ونذكر، بأنه لا يوجد إرهاب إيجابي، فالإرهاب الشيعي لا يقل وحشية ودمارًا عن الإرهاب السني، وكلاهما أعداء لمفهوم الدولة، وأيًا كانت تلك الدولة.

شعوبية فارسية على أنغام "الشاهنامة"

إحسان الفقيه – الحياة السعودية ٢٠١٦/١١/٢٩

زشير شتر خور دن وسو سمار
عرب را ربجايي ر سيده أست كار
كه تاج كيانرا كاند آرزو
تفو باد بر جرخ كردون تفو

ربما يدرك من أصغى سمعه لموسيقى تلك الأبيات الشعرية، أنها تنتمي إلى الشعر الفارسي، وهذا حق، فهي أبيات من ديوان الشاهنامة، لأبي القاسم الفردوسي الأب الروحي للقومية الفارسية، وتعني بالعربية: من شرب لبن الإبل وأكل الضب بلغ الأمر بالعرب مبلغاً. أن يطمحوا في تاج الملك فتباً لك أيها الزمان وسحقاً.

مضمون الشاهنامة يطفح بالفكر الشعوبي الفارسي الذي يُبغض العرب ويُحقّر من شأنهم، ولئن كان صاحب ديوان الشاهنامة توفي في أوائل القرن الخامس الهجري، إلا أن الكتاب ذو مكانة رفيعة لدى الإيرانيين المعاصرين، فلا عجب أن يُلقي الرئيس الإيراني الأسبق خاتمي محاضرة بالمركز الثقافي في مدينة «دوشنبه» الطاجيكية في ٢٠١٣ عن جمال اللغة الفارسية، ويشيد بالفردوسي، وينسب إليه الفضل في حفظ اللغة الفارسية من الضياع بعد الفتح الإسلامي، بحسب قوله.

وأما الرئيس السابق أحمدي نجاد، فلم يجد أفضل ما يهديه إلى بابا الكاثوليك خلال زيارته الفاتيكان من كتاب الشاهنامة.

بعد أكثر من ١٠٠٠ عام على شعر الفردوسي، وتحديداً عام ٢٠١٣ في همدان، كان الجمهور الإيراني يصفق بشدة بحضور أصحاب العمائم السوداء، لا لشيء إلا لأن الشاعر الإيراني مصطفى بادكوبه ألقى قصيدة بعنوان: «إله العرب»، يصبُّ فيها سخطه على جنس العرب، وقال مخاطباً ربه: «لا مانع أن تلقي بي في قاع جهنم، لكن لي شرطاً واحداً، ألا أسمع هناك حرفاً واحداً من اللغة العربية فيزيد عذابي عذابات».

الفكر الشعوبي ليس جديدا في الأمة، وتحدث عنه الإمام القرطبي في تفسيره، حين قال: «الشعوبية تُبغض العرب وتُفضل العجم»، لكنه لدى إيران وريثة الفرس الساسانيين له طابعه الخاص، الذي يدمج بين القومية والمذهبية.

النظرة الشعوبية الإيرانية للعرب قديمة، قِدم سقوط عرش الأكاسرة على يد العرب الذين حملوا الإسلام، ومن ثم ينظرون إلى هذا الفتح على أنه «طمس» للهوية الفارسية يستوجب بُغض العرب، والثأر منهم ومناصبتهم العداء، وهو ما أكده أمير البيان، «شكيب أرسلان» في كتابه «حاضر العالم الإسلامي».

والحق أن الإسلام الذي انطلق به العرب، لم يُلغ معالم الحضارات الأخرى أو يسقطها، وإنما أضفى عليها صبغته الجامعة، وصهر بمنهجه المحكم أبناء هذه الحضارات في بوتقته، إلا أن جمعاً من الفرس حالت نزعتهم العرقية دون اندماجهم مع العرب المسلمين، وانفصلوا عن السياق العام للأمة، ومروا خلال المسار التاريخي بمحطة الانصهار المذهبي ممثلاً في الدولة الصفوية، لتحمل إيران «الخمينية» هذا الميراث القومي المذهبي الذي لا ينفكّ عن مبدأ كراهية العرب. المشروع الإيراني هو مشروع قومي يهدف إلى إعادة مجد الإمبراطورية الفارسية القديمة، لكن إيران الصفوية كما يقول المفكر الإيراني الراحل وملهم الثورة الإيرانية علي شريعتي أضفت على الشعوبية طابعاً روحياً ساخناً، ومسحة قداسةٍ دينية متمثلة في التشيع.

الإيراني الشيعي علي شريعتي، من الإيرانيين القلائل الذين احتفظوا بقوميتهم الفارسية، خالية من الشعوبية، ومن القلائل أيضاً الذين فرقوا بين التشيع العلوي والتشيع الصفوي. هذا الرجل تطرق في كتابه «التشيع العلوي والتشيع الصفوي» إلى

الارتباط القومي المذهبي للشعوبيين الفرس، وأبطل بالأدلة الدامغة ما نسبوه للحسين من زواجه بابنة كسرى يزدجرد، كخطوة على سبيل ربط النبوة بالإمبراطورية الفارسية. فالمشروع الإيراني هو مشروع قومي فارسي، مُحمّل على رأس طائفي كفكرة مركزية ليجتمع عليها الشيعة في كل مكان، لذا كانت بداية المشروع، تلك الثورة التي قام بها الخميني، الذي جاء بنظرية الولي الفقيه التي تنفست بها إيران الصعداء، واتخذت على إثرها المسار الثوري والعسكري التوسعي، على رغم أن الارتكاز الإيراني على المذهبية، إلا أن الصبغة الفارسية تفرض نفسها على إيران التي تعامل العرب بذلك الفكر الشعوبي حتى لو كانوا من الشيعة.

المفكر الكويتي عبدالله النفيسي اقترب من الساسة الإيرانيين ودوائر صنع القرار لفترة تزيد على ٣٢ عاماً، خلُصَ في تجاربه إلى أن الإيرانيين قوم بعيدون عن التديّن، مُحبّون للترف واللهو والتوسع في المباحات، وأن الشحنة الدينية التي حقنتها الثورة الإيرانية بها كانت ضرورة وقتية لمواجهة العراق. النفيسي استعرض في تقديمه لكتاب المشروع الإيراني، النظرة الشعوبية الإيرانية للعرب عموماً، سواء أكانوا سنّة أم شيعة، إذ التقى في طهران المرجع العراقي الشيعي محمد باقر الحكيم، الذي عبّر له عن استيائه من اضطهاد الإيرانيين الفرس لشيعة العرب، ومما أسرّ به الحكيم للنفيسي، أنه يعتزم تعريب المرجعية وإبعاد الفرس عنها، لدى عودته إلى العراق، ورأى النفيسي أن رغبة الرجل في تعريب المرجعية كانت سبب اغتياله بعد عام من هذا اللقاء.

فالتشيع لدى إيران ليس سوى أداة للتمدد في المجتمعات العربية والهيمنة عليها، لكنها في حقيقة الأمر وظاهره تعمل جاهدة على «تفريس» المجتمع الإيراني، فالقومية الفارسية هي المعتمدة في الجمهورية الإيرانية، وإيران تُصر على تسمية الخليج العربي بالخليج الفارسي. الرئيس الإيراني السابق أحمدي نجاد أصدر قراراً في ٢٠٠٦، يقضي بتفريس كل جوانب الحياة الإيرانية: العلمية والثقافية والأدبية، وهو ما يدعمه الدستور الإيراني. إقليم الأحواز العربي الذي احتلته إيران ويمثل نفطها ما لا يقل عن ٨٧ في المئة من النفط الإيراني المعتمد، والغاز يمثل ٩٠ في المئة من إجمالي الغاز الإيراني، بحسب بعض الدراسات، هذا الإقليم الذي يحوي نسبة عالية من الشيعة العرب، يستوي فيه العربي (سني أو شيعي)، في التعرض للاضطهاد الفارسي الإيراني، إذ ألغت إيران كل أشكال مؤسسات الحكم العربية الإدارية منها والسياسية والقضائية، وفرضت اللغة الفارسية على شعب الأحواز، وحاربت اللغة العربية، ومنعت التسمي بأسماء عربية، بل تحارب الشعر العربي، وتنقل عشائر عربية من الأحواز إلى شمال إيران، وتقوم بإحلال عائلات فارسية لإحداث تغيير ديموغرافي، ناهيك عن أحكام الإعدام العشوائية التي يتم تنفيذها بحق الأحواز العرب.

التشيع إذاً في إيران ليس سوى فكرة جوهرية للتعبئة والتجييش، وعن طريقه أحدثت الشقاق والنزاع بين المكوّنين السني والشيعي في الدول العربية، الذي كان يُحل غالباً عبر التاريخ في ميادين السجال الفكري، ولم يصل إلى هذا القدر من الاحتقان إلا في عصر إيران «الخمينية».

ولم يتجاوز صبحي الطفيلي الأمين العام الأسبق لحزب الله اللبناني الشيعي الحقيقة حينما قال سابقاً إن إيران تشكل خطراً على الشيعة والتشيع مستقبلاً. الكيان الصهيوني كان يدرك طبيعة العداء الذي تُكنّه إيران الفارسية الصفوية للعرب، ولذا أكد الباحث والخبير الأميركي في الشؤون الأميركية - الإيرانية تريتا بارسي (إيراني المولد)، في كتابه «التحالف الغادر»، أن الثورة الإيرانية على رغم أنها كانت نكسة لإسرائيل، إلا أنها لم تمنع إسرائيل من دعم إيران، والسعي إلى تحسين علاقتها مع حكومة آية الله الخميني، كثقل مكافئ لأعداء

إسرائيل وهم العرب. لقد خدعت الثورة الإيرانية جميع العرب، خدعت الشيعة كما خدعت السنة، فهي حافظت على المنهج الشيعي ليكون فقط ركيزة للتسويق للنظام الحاكم، ويدفع به في اتجاه العداوة وأتون الصراع المذهبي الذي تؤجج نيرانه إيران.

بهائيون في جلسات دعاء تضم مسلمين ومسيحيين وكل يقرأ من كتابه

سلام الشماع – صحيفة العرب ٢٠١٦/١١/٢٤

على الرغم من قلة عدد البهائيين في المملكة الأردنية الهاشمية، الذي يقدرونه هم بأنفسهم بـ١٠٠٠ شخص، إلا أن دينهم يعد ثالث دين في المملكة بعد الإسلام والمسيحية.

ويتوهم الكثيرون أن البهائية طائفة أو فرقة من أحد الأديان، ولكنها في الحقيقة دين مستقل يؤمن «إيمانا راسخا بوحدانية الله وفردانيته حبا وطاعة لأمره، وأنه الأحد الصمد لا شريك له ولا نظير ولا سبيل لمعرفة ذاته»، كما جاء في كتاب الدين البهائي.

والبهائيون يشكّلون أحد أطياف المجتمع الأردنيّ، منذ بداية القرن الماضي، ويسهمون، قدر مستطاعهم، في تطوير مجتمعاتهم المحلّيّة من خلال معاملاتهم ومهنهم وتفاعلاتهم الاجتماعيّة، إذ عملوا في الزّراعة والتّجارة وفي سلك التّعليم والصّحة والمحاماة، ولا يألون جهدا في مدّ يد المساعدة والتّكاتف مع أيّ فرد أو هيئة قائمة على خدمة مجتمعهم بشتّى الوسائل، وإقامة الحوار وتبادل الآراء حول أهمّيّة المبادئ الروحانيّة ودورها في إصلاح المجتمع، بل والعالم أجمع.

تقول الإعلامية الأردنية تهاني روحي حلمي، وهي من البهائيين، لـ«العرب» مبيّنة «عمليّة بناء المجتمع مسؤوليّة جماعيّة، فهي واجب على كلّ فرد، وحقّ له أن يتمتّع بثمارها، كما أن جوهر مقاربتها الأساسي، هو التعلّم من خلال العمل، فعن طريق بناء قدرات الأفراد وتعزيزها وتطوير خصالهم الروحانيّة، يمكن إيجاد نمط غنيّ ونابض بالحياة في الأحياء والمجتمعات المحليّة» مشيرة إلى أن البهائيين انخرطوا في مساعدة مختلف فئات المجتمع من الأطفال والشّباب والبالغين.

وتضيف الإعلامية تهاني «إن تربية الأطفال تلقى عند البهائيّ كلّ الاهتمام والتّركيز، لأنها تهدف بالدّرجة الأولى إلى تنمية المواهب والقدرات والخصال الحميدة، وكذلك الحال عند الشباب، من خلال مساعدتهم على تنمية قدراتهم، ممّا يشحذ بصيرتهم الروحانيّة ويعزّز انتماءهم للوطن».

يوضح أنس حمودة، أحد أبناء الديانة البهائية في الأردن، ما ذهبت إليه حلمي، فيقول «نحن نبادر في كل حي، مثلاً، إلى جمع الشباب الناشئ من ١٢ إلى ١٥ سنة، وهذه فئة عمرية حرجة لها متطلباتها الخاصة، وليس شرطا أن يكون هؤلاء الشباب من البهائيين، وننظم لهم نشاطا أسبوعيا يقوده شخص أكبر منهم نسميه المحرك، إذ يجتمع بهم ويتدارس معهم قصصا من واقع حياتهم ويوجههم من خلالها إلى كيفية السعي نحو التميز ومساعدة أهلهم، وهذه الأنشطة تتم خارج الدراسة المنهجة وتشكل نوعا من الإضافة إليها».

ويضيف حمودة «وكل ٦ أشهر نجتمع بذوي هؤلاء الشباب لسماع وجهات نظرهم في ما قدمه أبناؤهم لمجتمعهم».

يتدخل في الحديث سعيد رحال، وهو بهائي آخر، ليخبر «العرب» أن الأهالي بدأوا يلاحظون التغير الإيجابي السريع على سلوك أبنائهم داخل البيت منذ الشهور الأولى لانخراطهم في هذه المبادرات.

ويقول رحال «إنه ليس للبهائيين صلاة جماعة فصلواتهم فردية، لكنهم يؤمنون بالعمل الجماعي، والحالتان الوحيدتان في العبادة التي يجتمعون فيها هي عند إقامتهم جلسات الدعاء وأثناء صلاتهم على

الميت، وجلسات الدعاء يحضرها المسلمون والمسيحيون مع البهائيين، حيث يقرأ كل واحد منهم كتابه المقدس، إذ يوحدنا جميعا رب واحد، ونحن نقدم من خلال ذلك صورة واضحة عن وحدة الأديان وروح التسامح، ومن خلال هذه الجلسات نواجه التطرف ونعلن نبذنا للإرهاب ونحصن مجتمعاتنا من تأثيراته ومخاطره».

يعترف رحال أن الطريق الذي يسلكونه ليس مفروشا بالورود، ولكن أن يسير المرء خير من أن يقف ثابتا في مكانه، مشيرا إلى أن جهودهم أثمرت عن تنظيم جلسة دعاء كل ٣ أشهر لقادة الأديان والطوائف للتحاور في شؤون المحبة والتسامح، وعلى الرغم من بساطة هذا النشاط فإنه عمّق المحبة والتفاهم بين أبناء الأديان والطوائف المختلفة.

وكانت آخر جلسة دعاء من هذا النوع قد عقدت في ٢٥ سبتمبر الماضي بمناسبة يوم السلام العالمي بمكتب المبادرة المتحدة للأديان وهي منظمة شبه حكومية، وقرئ خلال هذه الجلسة ما يخص السلام في آيات القرآن الكريم وفي الإنجيل والكتابات البهائية، وقد تبع ذلك نقاش معمق حول بناء السلام وبثه بين أبناء المجتمع.

ويوضح رحال أن لا وجود لطبقة رجال الدين في الديانة البهائية التي لا تقر بوجود وساطة بين العبد وربه، ولكن لدينا هيئة إدارية تنتخب مرة كل سنة تأخذ على عاتقها تسيير الأمور الإدارية للبهائيين، ولدينا دور عبادة ومقابر وأملاك وأوقاف، كما أن البهائيين في الأردن ليست لهم جمعية ولا ينضمون إلى أحزاب سياسية، ولكنهم يبادرون بنحو فردي لخدمة المجتمع في الأحياء التي يقيمون فيها لأن الديانة البهائية تفرض على البهائي العمل والعبادة.

ويشكّل البهائيّون أحد أطياف المجتمع الأردنيّ منذ بداية القرن الماضي، وهم يسهمون قدر المستطاع في تطوير مجتمعاتهم المحلّيّة من خلال معاملاتهم ومهنهم وتفاعلاتهم الاجتماعيّة، والمعروف أن البهائيين بدأوا الإقامة في الأردن منذ أواخر القرن التاسع عشر، عندما جاؤوا مهاجرين من الاضطهاد الإيراني «القاجاري»، أو حجّاجا وزائرين لمقام مؤسس ديانتهم «البهاء» في عكا، في منتصف القرن التاسع عشر. ويعتقد البهائيون أن البهاء نبي، وقد نفي إلى بغداد، ثم إسطنبول، ثم عكا، حيث توفي فيها عام ١٨٩٢، وصارت عكا قبلة لهم، وصارت حيفا مقرا رئيسيا لقيادة البهائية في العالم، والتي يتبعها نحو عشرة ملايين إنسان منتشرين في جميع أنحاء العالم.

سكن البهائيون في العام ١٩٠٢ منطقة العدسية، بأغوار الأردن، وأسهموا بنحو كبير في تطوير تلك المنطقة زراعيا، إذ استصلحوا مساحات شاسعة من الأراضي، واستخدموا آليات وطرقا زراعية حديثة، كما أدخلوا الكثير من المزروعات التي لم تكن معروفة في المنطقة مثل: الموز والحمضيات والباذنجان الذي مازال إلى الآن يسمى «العجمي» نسبة إليهم، ولكنهم في ستينات القرن الماضي فقدوا الكثير من أراضيهم بسبب وضع الحكومة يدها على الملكيات الزراعية في المناطق التي يقطنونها، بعد فتح قناة الغور الشرقية.

ولكن على الرغم من ذلك، مازال حضور البهائيين واضحا في العدسية، فهم يزرعون الحمضيات، وينتجون العسل، ومن المعروف أن أفضل ماء زهر يمكن شراؤه في الأردن، ينتج في مزارع الورد الخاصة بهم. وعلى الرغم من أن البهائيين في الأردن ينتمون إلى أصول إيرانية، فإنهم لا يعبرون عن ثقافة فرعية خاصة بهم، ولا يرون أنفسهم مجموعة إثنية، فهم ينتمون ثقافيا إلى الأردن والأماكن الأردنية التي يعيشون فيها.

الكلام كثير عن البهائية ومعتقداتها، والأوهام حولها كثيرة أيضا ولكن المصادر الرسمية التي يقدمها البهائيون مختلفة كثيرا، فهم لا يختلفون عن المسلمين في رؤيتهم العامة وفي التزامهم الأخلاقي والاجتماعي، وهم يقولون إنهم ليست لديهم أسرار يخفونها، وإنهم منفتحون على

كل من يريد التعرف عليهم.

هل تخترق الطريقة الأحمدية القاديانية عقول شباب الجزائر؟

رياض معزوزي – هافينغون بوست ٢٠١٦/١١/٧

هل تخترق الطريقة الأحمدية القاديانية عقول شباب الجزائر؟ تساؤلٌ بات يطرحه العديد من الجزائريين بعد اكتشاف كتب قاديانيةً وضعت على أرفف المساجد بالبلاد، إضافة إلى ضبط مجموعات من الشباب تتلقى دروساً على أيدي أئمة قاديانيين.

فلم يتخيل كل من عصام بن جوجاع، سليم بارة وعبد الحكيم رحيمي، أبناء منطقة بوقاعة بسطيف شرق الجزائر، عندما ذهبوا لتلقي بعض تعاليم الدين الإسلامي، أنهم سيجدون أنفسهم في نهاية الأمر مقيدين ومقتادين إلى مركز الأمن.

الشباب الثلاثة ألقي القبض عليهم عندماً اقتحم أفراد دائرة أمن منطقة بوقاعة بسطيف بشرق الجزائر فيلا تستخدم للتبشير بالقاديانية بالمنطقة، في ٢٠ من أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٦.

الشباب الثلاثة كانوا برفقة بعض من ادعوا أنهم أئمة ودعاة، وتبين أنهم يعطونهم دروساً في الطريقة الأحمدية القاديانية.

عصام بن جوجاع، طالب جامعي بكلية الهندسة بجامعة فرحات عباس بسطيف، يؤكد بأنه عرف الطريق إلى تلك الفيلا عن طريق زميل التقى به في الجامعة، حيث أرشده إلى زيارة الفيلا في أوقات محددة قائلاً له «إن فيها علماً كبيراً».

وقال لهافينغتون بوست عربي: «قمت بزيارة هذا المنزل الواقع بحي بن عرعار الشعبي، وحظيت باستقبال كبير من قبل أشخاص ملتحين يظهر عليهم العلم الوافر».

واللقاءات بحسب عصام كانت تتم مساء بعد صلاة المغرب، وفيها يتلقون دروساً في الدين الإسلامي.

ويضيف «هذا جعلنا نطمئن ونواصل هذه الجلسات معهم، خاصة بعدما أصبحوا يكلفوننا ببعض الأعمال والبحث عن بعض القضايا في كتب يتم تسليمها لنا».

كتب دون أغلفة وأخرى مبتورة

يعتمد المبشرون بالأحمدية القاديانية في الجزائر، بعد استدراج الشباب على توزيع كتب أغلبها للمؤلف الهندي ميرزا غلام أحمد القادياني، وفي غالب الأحيان يقوم المشرفون في الأيام الأولى من مرحلة استدراج الشباب بنزع الغلاف، والاكتفاء بكشف المحتوى.

وفي هذا الشأن يقول عصام بن جوجاع: «منحت لنا في البداية كتب بلا عناوين، بحيث نقرأ فقط ما بداخلها، بحجة أن الكتب قيمة وقديمة ويتم نسخها فقط، وبعدها أعطيت لنا كتب مخربشة ومبتورة من صفحات وأجزاء، وكانت تقدم لنا دروس تبدو في القمة».

من جانبه، قال عبد الحكيم رحيمي زميل عصام لهافينغتون بوست عربي: «وما زادني اطمئناناً، هو أنه بعد انضمامنا بقرابة شهرين، كلفني «شيخي عرجة س» كما يسمى، بالبحث عن معلومات من كتاب موجود بمكتبة مسجد عمر بن الخطاب، المتواجد بمقربة منا».

يضيف: «وبالفعل ذهبت إلى المسجد، وبحثت عن الكتاب المعنون بفلسفة تعاليم الإسلام، لمؤلفه ميرزا أحمد القادياني وبالفعل وجدته بين مجموعة من الكتب، ما جعلني أشعر براحة لأن مساجدنا لا تستقبل ما هب ودب من الكتب».

لكن تلك الراحة يقول «سرعان ما بدأت تتبخر بعد جلسة عرفنا فيها الشيخ بشخصية ميرزا غلام أحمد، وكان ذلك قبل اقتحام الفيلا من قبل الأمن ليلة ٢٠ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٦».

مهمة لم تكتمل

كان الشيخ عرجة يخطط لتوزيع عدد من كتب القاديانية على رفوف مكتبات المساجد المنتشرة بالمنطقة، عن طريق تكليف الطلبة التابعين له، بأخذ نسخ من هذه الكتب المطبوعة والمنسوخة وتوزيعها بدعوى أنها «صدقة جارية».

ويقول عصام بن جوجاع: «كان هناك ٣ طلاب معنا، كانوا يقومون بأخذ نسخ بأمر من الشيخ عرجة، ويقومون بتوزيعها على بعض المساجد، شرط عدم إخبار الإمام، أي ترك الكتاب على الرف والخروج .

ويضيف «أما نحن فقبل تكليفنا بالمهمة اقتحم الأمن مكان تجمعنا».

من جانبه يقول يقول عبد الحكيم «من عناوين الكتب التي وزعت واطلعت عليها، رحيمي كتابين «البراهين الأحمدية»، و"فلسفة تعاليم الإسلام»، «الهدى والتبصرة لمن يرى» لميرزا غلام أحمد القادياني.

الاقتحام

ليلة ٢٠ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٦ وبعد معلومات ومراقبة مستمرة للفيلا التي كان يتلاقى فيها الشباب، رسم أمن دائرة بوقاعة خطة لاقتحامها ومصادرة كل الكتب والتجهيزات التي تحتويها.

الملازم الأول محفوظ نذير رئيس أمن بوقاعة ذكر لهافينغتون بوست عربي أن رجاله تمكنوا من توقيف واعتقال ١٢ شخصاً أغلبهم من فئة الشباب، وتم التحقيق معهم».

وقد تم بعد التحقيق والمتابعة ،حسب الملازم نذير، «إحالة ٣ أشخاص إلى وكيل الجمهورية لدى المصالح القضائية، بينما تم تخصيص جلسة لباقي الشباب مع أئمة وأساتذة جامعيين لكشف حقيقة الطريقة القاديانية».

ويقول بن جوجاع: «في الحقيقة اكتشفنا بأننا كنا سنرتكب فظائع، لو آمنا حقيقة بما جاء به هذا الذي يسمى ميرزا، إلى درجة أننا هجرنا المساجد، وكانت كل صلواتنا بالمقر الذي كنا نجتمع به»، حسب قوله.

من جانبه يقول زميله رحيمي: «بعد هذه التجربة بحثت كثيراً عن حقيقة الطريقة القاديانية، واكتشفت أننا كنا مخدوعين من قبل هؤلاء الذين يدعون الخلافة والإمامة».

ما هي الأحمدية القاديانية؟

يعتبر الشيخ والداعية الجزائري عامر وهاب الطريق القاديانة، دخيلة على الإسلام، وهي من أخطر الوسائل التي اعتمد عليها الغرب لضرب بلاد المسلمين والتفرقة بينهم بناء على مصالحه، حسب قوله.

والأحمدية أو القاديانية كما قال عامر «حركة دينية أسسها ميرزا غلام أحمد القادياني في الهند والذي بدأ نشاطه كداعية للإسلام ليتدرج بعدها ويدعي أنه المهدي، ثم يدعي بعدها أنه نبي يتلقى الوحي كغيره من الأنبياء، وقد نشأت هذه الحركة تحت رعاية ومباركة الاستعمار الإنكليزي.

وقال وهاب لهافينغتون بوست عربي إن هذه الطائفة تتمدد عبر العالم بتمويلات مشبوهة».

هذه الحركات حسب الشيخ «تدعي أنها إسلامية توعوية وتصحيحية إلا أن حقيقتها أنها حركات سياسية بامتياز تقف خلفها قوى توسعية تهدف إلى نشر الفوضى وزرع أشكال الفرقة والطائفية مما يجعل أي دولة غنيمة باردة للاستيلاء على ثرواتها والتحكم في قرارها. حسب قوله.

ويرى: «أن هذا نوع من الحروب المعاصرة الذي تثيره هذه الطوائف، تكلم عنه بعض المنظرين الغربيين، هي حرب بين أبناء البلد الواحد بإشراف دول عظمى لا تدفع ولا قرشاً واحداً في إدارتها للصراع، فالقاتل والمقتول من نفس الهوية الفكرية والجغرافية المكانية، والمال المستعمل مال ثرواتهم»، حسب قوله.

جماعة مثيرة للجدل

وتعتبر الجماعة الأحمدية القاديانية من أكثر الفرق إثارة للجدل على الساحة الإسلامية، حسب تقرير لهيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي».

وبدأت هذه الطريقة في القرن التاسع عشر عندما ظهر في الهند رجل يدعى ميرزا غلام أحمد قال إنه المسيح المنتظر.

وقد تمتعوا بدعم الاحتلال البريطاني في الهند بعد إعلانهم أن الجهاد قد انتهى بظهور المسيح المنتظر وتأكيدهم ضرورة أن تقوم العلاقة مع الغرب على أساس الوفاق، حسب التقرير.

وارتفع شأن هذه الطائفة في باكستان بعد الاستقلال حيث كان منها أول وزير خارجية باكستاني ظفر الله خان، وفي عهده امتلأت وزارة الخارجية بأعضاء هذه الطائفة.

وبعد أن انتقل العلامة أبو الأعلى المودودي إلى باكستان حيث وصم هذه الطائفة بالكفر، طالما أنها تؤمن بنبي بعد الرسول، وقد بدأ حملة ضدهم استمرت حتى عام ١٩٧٤.

وأصدر البرلمان الباكستاني في عهد رئيس الوزراء ذو الفقار علي بوتو قراراً باعتبار الأحمدية ديناً خاصاً كالهندوسية وبالتالي لم يعد أتباعه في نظر السلطات الباكستانية من المسلمين.

وكان لهذا القرار توابع حيث رفضت السعودية منذ ذلك العام أداءهم مناسك الحج باعتبارهم من غير المسلمين.

كما رفضتها منظمة المؤتمر الإسلامي بكل تياراتها من سنة وشيعة.

وانتقلت زعامتهم من باكستان إلى لندن، حيث يقيم رئيسهم الخليفة الخامس.

كما أن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر قد أصدر فتوى بأن أتباع مذهب القاديانية ليسوا مسلمين.

من جانبه، سبق أن قال رفيق أحمد حياة أمير الجماعة الأحمدية القاديانية في تصريح لبي بي سي إن الأحمدية القاديانية حركة مسلمة، تؤمن بالله وبالرسول محمد والقرآن ومكة والمدينة هي الأماكن المقدسة لأعضاء الطائفة.

وزعم أن الفرق الوحيد بينهم وبين بقية المسلمين أن الفرق الأخرى تعتقد أن المسيح الموعود لم يأت بعد ولكن الأحمدية القاديانية ترى أنه جاء وهو الميرزا غلام أحمد الذي جاء لإصلاح كل الأديان، حسب قوله.

وحول ما يقال من أن هذه الجماعة تلغي الجهاد، نفى حياة ذلك قائلاً إننا لا ننفي الجهاد ولكن الجهاد من وجهة نظرنا في الأساس هو جهاد النفس، والإسلام يرفض الاعتداء على الأرواح.

وفيما يتعلق بعددهم الإجمالي في العالم، قال رئيس الطائفة في المملكة المتحدة إن العدد حوالي ٢٠٠ مليون، في حين تشير بعض التقارير إلى أن عدد أعضاء الطائفة الأحمدية الموزعة في آسيا الوسطى وآسيا والبلدان الغربية لا يزيد عن خمسة ملايين، حسب «بي بي سي».

الحرب

وبسبب تكرار مثل هذه الحالات الخاصة بمحاولة الترويج للقاديانية وغيرها من المذاهب الغريبة عن البلاد، أصدرت وزارة الشؤون الدينية الجزائرية تعليمات صارمة في ٢٥ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٦، تطالب الأئمة بتحمل مسؤولية وجود كتب برفوف المساجد تدعو للأحمدية القاديانية أو المذهب الشيعي.

ويقول جلول حجيمي نقيب الأئمة في الجزائر، أن أوامر وزعت على كافة مساجد الجمهورية، بجرد وتطهير جميع المكتبات والرفوف كانت مفتوحة أو مغلقة، من كل العناوين التي تدعو إلى الطائفية.

ويضيف حجيمي في تصريح لهافينغتون بوست عربي: «التعليمات ركزت أساساً على كتب الطريقة القديانية والكتب الشيعية، وأمرت بالتنسيق مع جهات الأمن في حال رصد أي تحركات مشبوهة في هذا الصدد»، حسب تعبيره.

واعترف المتحدث بوجود نشاط خفي للمبشرين لمثل هذه الحركات، وهي تتخذ من المنازل المعزولة والمهجورة أماكن لنشاطها، وتستدرج الشباب بوسائل مختلفة.

وهو ما ذهب إليه الداعية والشيخ عامر وهاب الذي اعتبر الفقر والجهل من أبرز الأسباب التي أدت إلى ميول البعض واعتناقهم لهذا الفكر، فأنصار الدعوة للقاديانية يعتمدون على توفير المال وضمان الرحلات السياحية وغيرها، وهو ما يفتح شهية الشباب على وجه التحديد.

كيف اقتحمت كتبهم أسوار المساجد؟

واستبعد الداعية عامر وهاب أن تكون الشيعة والأحمدية قد اقتحمتا المساجد الجزائرية من باب الإمامة والإرشاد.

وقال في هذا الصدد: «لا أظن أن الشيعة والأحمديين اقتحموا المساجد كأئمة ومرشدين فهذا بعيد عنهم». واستدرك قائلاً «ولكن هناك حالات جعلوا فيها من المساجد محاضن للتبشير بمعتقداتهم بين الشباب تحت أشكال وصور مختلفة كحلقات تعليم التجويد لجمع الشباب ثم نشر الفكر بطريقة استدراجية وخاصة الفئة غير المتعلمة»، مشيراً إلى أنه في الجزائر توجد نماذج كثيرة لذلك.

ويضيف «من وسائلهم أيضاً تمرير بعض الكتيبات والرسائل الترويجية لفكرهم، مع أن ذلك يبقى أقل خطراً من ساحات أخرى لاستقطاب الشباب لهذا الفكر أخطرها مواقع التواصل الاجتماعي والتي تعتبر أكثر أماناً للمروّجين والمستهدفين، لكثرة مستخدميها ولبعدها عن المراقبة المباشرة.

وهو ما ذهب إليه جلول حجيمي نقيب الأئمة، والذي أكد وجود بعض المروجين لهذا الفكر يقومون بتوزيع مطويات وكتب ترويجية، مع وضع كتب على رفوف المساجد غير المراقبة باستمرار.

ويعد كتاب جامع الأخبار للشيخ محمد بن محمد السبزواري، وكتاب الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، - حسب حجيمي- من كتب الشيعة التي اقتحمت مساجد الجزائر عبر تلك الوسائط.

وخلال حملة التطهير الأخيرة كانت من أبرز الكتب الأحمدية المصادرة، كتب البراهين الأحمدية والهدى والتبصرة لمن يرى، لميرزا غلام أحمد القدياني.

الرصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد ١٦٣ ربيع الآخر ١٤٣٨هـ

الدواعش الخوارج يمهدون الطريق للشيعة الروافض

22 مستقبل الإسلام في مدغشقر بين جهود المسلمين ومطامع إيران

30 المرأة العربية هل كانت ضحية لدعاوى المساواة؟

53 الثورة السورية والكرة بعد الفرة

المحتويات

فاتحة القـول

- الدواعش الخوارج يمهدون الطريق للشيعة الروافض ٢

فرق ومذاهب

- من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا... ١٤ـ أحمد الكبيسي ..... فادي قراقرة ٤

سطور من الذاكرة

- ٢ـ ثورات الخوارج الخروج على علي رضي الله عنه ..... هيثم الكسواني ١٠

دراســــــــات

- إعلام "داعش" الوسائل والأهداف وسبل المواجهة ..... أسامة الهتيمي ١٥
- مستقبل الإسلام في مدغشقر بين جهود المسلمين ومطامع إيران ..... محمد خليفة صديق ٢٢
- البابانية صورة مجهولة للتصوف الشيعي ..... محمد عثماني ٢٨
- المرأة العربية هل كانت ضحية لدعاوى المساواة؟ ..... فاطمة عبد الرءوف ٣٠
- العلاقات الإيرانية الأردنية: التاريخ والمآلات ..... د. مهند مبيضين ٣٤

كتاب الشهر

- مؤشرات التطرف لدى الشباب ..... أسامة شحادة ٤٦

قالوا

..... ٤٩

جولة الصحافة

- حلب بين التفاؤل والتخذيل ..... د. جمال الباشا ٥١
- الثورة السورية والكرة بعد الفرة ..... د. محمد بن إبراهيم السعيدي ٥٣
- هل يمكن الإيقاع بين روسيا وإيران في سوريا ..... علي حسين باكير ٥٥
- الخرطوم وطهران... طلاق بلا رجعة!! ..... جريدة التيار السودانية ٥٦
- طبيعة الاختراق الإيراني لتركيا... معالم النفوذ ومخاطر التأثير ..... علي حسين باكير ٥٩
- الأهداف المخفية لمقاطع الفيديو الإرهابية ..... موفق الخطاب ٦٤
- رد على مقال "وكالة فارس": التغلغل التكفيري في فلسطين ..... موقع الحقيقة ٦٥
- جمهورية الطحين! ..... د. جاسم الشمري ٦٨
- "عربيو طهران"... أو المنتصرون المزمنون ..... منار الرشواني ٦٩
- هندسة الجهل ..... محمد الحاجي ٧٠
- كن طائفي ..... حذيفة العرجي ٧٢

www.alrased.net

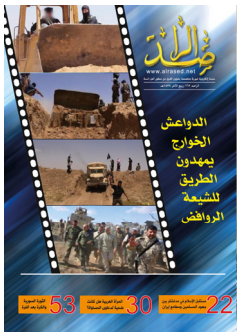

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٣)
ربيع الثاني- ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

الدواعش الخوارج
يمهدون الطريق للشيعة الروافض

في هذه المرحلة الجديدة من عمر أمتنا يتلاقى الخوارج والشيعة من جديد للتخادم والتقاطع كما فعلوا من قبل على يد مؤسسهم اليهودي ابن سبأ.

فبسبب وحدة المصدر نجد أن هناك تقاربا على مستوى الأفكار والمفاهيم والمواقف ومنها:

١- أصل منهج الطرفين اتباع المتشابه من آيات القرآن الكريم ونبذ الآيات المحكمات.

٢- ازدراء وتنقص الصحابة رضوان الله عليهم.

٣- معاداة الدولة والسلطة الإسلامية القائمة والسعي لهدمها.

ولذلك كان ظهور الخوارج والشيعة وامتلاكهم للقوة دوماً يوجه ضد الأمة الإسلامية، فدول الشيعة كالقرامطة والفاطميين العبيديين والصفويين ونظام الملالي اليوم كانت دوماً وبالاً على أمة الإسلام، وفي المقابل كانت دول الخوارج بشمال أفريقيا سبباً للفتنة وتعطيل حركة الجهاد وإثارة الخلافات الداخلية، وذلك بعد زعزعتهم دولة الخلافة الراشدة بقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان والخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

ولذلك كان دور الخوارج عبر التاريخ يتمركز حول زعزعة الأمن وإثارة النزاع بين الناس وحكامهم وإثارة روح الشغب والغضب على قياداتهم، ورفع شعارات براقة وصحيحة لكنها تطبق بطريقة مدمرة وظالمة.

وهذا كله هو نتاج صفاتهم وشخصيتهم التي وصفها لنا النبي ﷺ فيما رواه البخاري حين قال عنهم: «يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة لا يجاوز إيمانهم حناجرهم»، وقال فيهم أيضاً: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»، وفي رواية: «يقاتلون أهل الإيمان ويتركون أهل الأوثان».

وهذا كله مشاهَد ماثل في داعش وأخواتها، فهم حدثاء الأسنان يستقطبون الشباب والشابات الصغار غالباً، وهم أيضاً يركّزون في دولتهم على تربية الصغار على الغلو وهو ما قد يشكل تهديدا بالمستقبل بعد سقوط دولة داعش، إذ ما هو مصير هؤلاء الأطفال الذين غسلت أدمغتهم ودربوا على التفجير والاغتيال؟

وهم سفهاء التفكير وهذا ما تجده في حواراتهم وبياناتهم وخطبهم من تكفير سائر المسلمين وإباحة دمائهم وسقوط كل الخيارات لديهم إلا خيار القتل والتفجير والتخريب، وغياب أي رؤية للإعمار أو الإصلاح أو التنمية.

وأيضاً تجد أنهم مقتنعون أن تخريب الأحوال العامة هو سبب لهيجان العامة والناس على حكامهم مما يحقق خطتهم، بينما الواقع يقول إنهم فشلوا في ذلك في كل مكان كالصومال أو أفغانستان أو العراق أو سوريا فضلاً عن دول الربيع العربي، فعمّ الخراب ولم تتحقق دولتهم ولا مصلحة الإسلام والمسلمين!

وهم أيضا يَقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، وهذا أصبح محل إجماع حيث أن غالب هجمات داعش تكون ضد الفصائل المجاهدة والمقاومة في كل البلاد التي وصلوها، بينما تسلم منهم القوى المناوئة للإسلام غالباً!

وبالمقابل يتكالب العالم على المسلمين بحجّة محاربة الإرهاب والتطرف المتمثل بداعش، فيتم قتل وتهجير مئات الآلاف من خصوم داعش، وتدمر مناطق خصوم داعش، بينما تنجو وتسلم داعش ومناطقها من الهجمات والصواريخ القاتلة، في تلاعب وتخادم خبيث.

وفي عصرنا الحاضر نجد أن الشيعة والخوارج تقاطعت مصالحهم ومن ثم نجح الشيعة في توظيف الخوارج واختراقهم، ويمكن أن نقسم هذه العلاقة لأربعة مراحل، عبر مسيرة نظام الملالي التي قاربت على الأربعة عقود.

المرحلة الأولى: عقب تكوّن نظام الملالي واعتماد سياسة تصدير الثورة، فتم احتضان ودعم جماعات العنف والقتال كالجماعة الإسلامية وحركة الجهاد في مصر، والجماعات المقاتلة في الجزائر، وبدايات تكوّن تنظيم القاعدة عندما كان في السودان.

والمرحلة الثانية: العمل على تثوير الشباب السني ضد حكوماته مع تقريب الشيعة من الأنظمة القائمة كما نصّت على ذلك الخطة الخمسينية السرية الإيرانية، وذلك عقب هزيمة إيران أمام العراق وموت الخميني، وتسلم خامنئي ورفسنجاني الحكم ثم مجيء خاتمي، والسعي نحو التصدير الثقافي للثورة الإيرانية، وفعلاً تحول الشيعة من الصدام مع دول الخليج (تفجيرات مكة، تفجيرات الكويت، محاولة اغتيال أمير الكويت، محاولة انقلاب بالبحرين) إلى حلفاء ورفقاء سلميين في العملية الديمقراطية، وتحول السنة من حلفاء إلى معارضة!

المرحلة الثالثة: عقب أحداث ١١ سبتمبر، والإطاحة بإمارة طالبان ولجوء قادة تنظيم القاعدة لإيران، حيث تم استخدام القاعدة في تنفيذ عمليات إرهابية ضد السعودية، وقد اعترف بتقاطع المصالح مع طهران عدد من قادة القاعدة منهم أبو حفص الموريتاني مفتي القاعدة وأبو محمد العدناني الناطق الإعلامي لداعش.

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة داعش حيث تم تسهيل نشأة داعش وتحركها وتمددها ومدها بالمال والسلاح مع اختراقات في القيادة.

وفي هذه المرحلة أصبحت داعش كالآليات الكبيرة التي تمهد لشق الطرق أمام الآليات الصغيرة، فقامت داعش بتدمير القوى السنية العلمية والسياسية والعسكرية المضادة للمشروع الشيعي والإيراني، وقامت بتدمير البنى التحتية لمناطق السنة، كما قامت بتشويه سمعة السنة وتصنيفهم كإرهابيين، وفي نفس الوقت تقديم كل المبررات والحجج لإجرام المليشيات الشيعية الطائفية بوصفها مدافعة عن السلام في وجه الإرهاب، ومن ثم تقوم داعش بتسليم مناطق السنة للمليشيات الشيعية التي عجزت عن الاستيلاء عليها دون خدمات داعش!

واليوم وقد نجحت داعش في تنفيذ المخطط في العراق وسوريا، وبدأت به في اليمن بمهاجمة القوات العسكرية الشرعية بالتفجيرات الآثمة والغادرة، وإشغال سيناء وليبيا بمعارك لا ثمرة منها ولا فائدة سوى تحطيم الدول والجيوش المسلمة السنية في صراعات عبثية، نراها تفتح جبهة جديدة مع الأردن بتفجيرات إرهابية تقتل الأبرياء ولا تخدم أي قضية أو مصلحة.

فهل لو نجحت داعش في هزيمة أي بلد أو جيش سيكون ذلك لمصلحة الناس وأمنهم وسلامتهم ورفاهيتهم، أم سيكون ذلك بوابة العبور والمرور للمشروع الشيعي بداية، ولغيره من المشاريع المعادية للأمة؟

إن الواقع شاهد في العراق وسوريا على تمهيد داعش الطريق للمشروع الإيراني على حطام المدن السنية بعد تهجير أهلها بفضل كواتم ومفخخات داعش، وها هي اليوم تعبث بأمن الأردن واليمن والسعودية ومعلوم أن ثمرة ذلك تسقط في الحضن الإيراني الشيعي بالدرجة الأولى.

ومن هنا يتوجب على العقلاء وأهل الرأي عدة أمور:

أولاً: الحذر والانتباه لحقيقة المخطط، واليد التي تحرك المخطط وعدم الاكتفاء بإدانة داعش، وإنما أيضًا البحث عن الداعمين والمحرضين والمستفيدين.

ثانياً: سرعة العمل على تحصين المجتمعات من الدعاية الإرهابية الداعشية والشيعية والتي تلقى رواجاً بسبب جودتها الفنية وخبثها بالتلاعب العاطفي، ويساعدها في ذلك الكثير من القصور والأخطاء القديمة والمتجددة في واقعنا السياسي والاقتصادي والأخلاقي والديني.

ثالثاً: ضرورة قيام العلماء والمفكرين بوضع رؤية فكرية تحارب رؤية الدواعش والروافض تصدر منها برامجهم وأنشطتهم، والعمل بشكل صحيح وبطريقة سليمة وشاملة على جميع المحاور المطلوبة من خلال التكامل والتشارك عبر استقطاب كل الطاقات والقدرات.

رابعاً: إن بقاء البوصلة مضطربة في تحديد هوية العدو واستراتيجيته وتحالفاته هو من أخطر الأسلحة التي تستثمر من الدواعش والروافض لغزو بلادنا.

من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا
١٤- أحمد الكبيسي

إعداد: فادي قراقرة- كاتب فلسطيني - خاص بالراصد

التاريخ الإسلامي مليء بالشخصيات التي تلبست بطامات متنوعة برغم زعمها نصرة الإسلام، فمنهم من طعن بالسنة ومنهم من طعن بالصحابة ومنهم من كذب على رسول الله ﷺ ومنهم من عبث بمقررات الدين الأصلية من الأصول والثوابت.

وصاحبنا لهذه الحلقة جمع ذلك كله تحت عباءة التحرر من التعصب والانقياد إلى التحضر والرقي ومراعاة الواقع، فكان كلامه كما سترون بداية للهاوية، نسأل الله له الهداية بعد الضلال والرشاد بعد الغواية.

وتحت إغراء الجهات المشبوهة ما زال هو وغيره ينفذون رغبات أعداء الدين بالتهوين من أصوله وبالجرأة عليه!!!

ترجمته

ولد أحمد عبيد عبد الله الكبيسي في منطقة الكبيسة من مدينة الرمادي في محافظة الأنبار عام ١٩٣٤م، وحفظ القرآن الكريم قبل سن العاشرة ثم أكمل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية، ثم نال البكالوريوس من كلية الشريعة بجامعة بغداد، وحصل الماجستير ثم شهادة الدكتوراه في الشريعة الاسلامية من جامعة الأزهر الشريف سنة ١٩٧٠، وكانت أطروحته للدكتوراه تدور حول «حد السرقة» وأشرف على رسالته العلامة عبد الغني عبد الخالق.

عمل الكبيسي لفترة في مدارس الموصل الثانوية، ثم تسلّم مناصب عديدة في الجامعات العراقية منها: رئيس قسم الشريعة في كلية الحقوق في جامعة بغداد، ورئيس قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية ببغداد، ثم غادر العراق إلى الإمارات، ليعين كمدرس في كلية الآداب ومن ثَّم رئيساً لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة الإمارات التي ساهم في تأسيسها في شبابه، وقد كان الكبيسي عضوا في المجلس الأعلى للجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة !

اشتهر أحمد الكبيسي بتقديمه برامج دعوية وتربوية ولغوية في العديد من القنوات الفضائية، حيث يغلب عليه المزاج الحاد مع مخالفيه، وضيق صدره ظاهر جداً لمن يتابعه في البرامج التلفزيونية.

هذه الحدة والعصبية عند الكبيسي تناقض كلامه عن نفسه حينما تحدث عن دراسته في مصر قائلاً: (هناك اطلعت على النسخة الأصلية من الإسلام بعدما حشي دماغي بالنسخة المزاجية في العراق ... المصريون علّموني أن أفكر بهدوء وعلموني أن الإسلام ليس بهذا الثقل والمشقة الشديدة، عليك أن تكون طيبا لتتعلم الفرز والتعددية والرأي المخالف. حقاً أنا رأيت أن هذا شيء جميل منهم)، ورغم ما في عبارته من طعن مبطن في أهل بلده، إلا أنه لم يتمكن من اكتساب الطبع المصري ولم يلغ عنده المزاجية المدعاة.

لذا نستطيع أن نقول إن المنهجية التي يسلكها أحمد الكبيسي في تقويم الآراء والأفكار هي مزاجية لا منهجية لها، ولعل ضخامة مساحة التناقض والاضطراب البارزة على مواقفه وآرائه هي دليل ذلك.

كذبات وتناقضات أحمد الكبيسي

الكذب عند الدكتور أحمد الكبيسي صنعة متقنة، لكنها سريعا ما تسقط وتظهر عند البحث العلمي لأن الحق بذاته لا يخفى والباطل بنفسه لا يبقى؛ يكاد شعري يقف من هول ما أسمع من كذبات الدكتور أحمد الكبيسي، سواء كذبه على الرسول ﷺ بخاصة أو كذبه على الشريعة بعامة، كما أن له في كلامه وأحاديثه ومواقفه تناقضات كثيرة تدل على اضطراب ونقص في المصداقية.

فمن كذبه على النبي ﷺ نسبته له أحاديث باطلة، بل لم أجد لها مصدراً واحداً، حتى في الكتب التي تخصصت بذكر الأحاديث الموضوعة أو الباطلة أو الضعيفة - ومن باب المثال لا الحصر- :

❖ نسب الكبيسي للنبي ﷺ أنه كان يطوف بالكعبة فلما مر بالركن الشامي قال: اللهم آتنا في شامنا.. وكان حينها رجل قصير خلفه فقال للرسول: يا رسول الله وعراقنا؟ فلم يرد عليه.. وأكمل الرسول: وفي حجازنا وفي يمننا، وهذا الرجل خلف الرسول يقول له وعراقنا، لكن الرسول لم يرد عليه.. وعندما انتهى الرسول ﷺ من الطواف نادى على هذا الرجل وقال له: أعراقي أنت؟ قال له: نعم أنا عراقي.. فقال له: عندما أراد العراقيون أن يحرقوا إبراهيم أراد أن يدعو الله عليهم، ولو دعا الله عليهم لاستجاب.. فبعث الله له جبريل وقال له، قل له: يا إبراهيم ربك يقول لا تدعُ على أهل العراق، وقد جعلت فيهم خزائن علمي وخزائن رحمتي. وهذا الحديث كذب على النبي ﷺ.

❖ نسب للنبي ﷺ أنه اعطى الراية يوم خيبر لأبي بكر وعمر فانهزما، ثم أعطاها لعلي فانتصر، وهذا من الكذب الذي له قرون فلم يعط النبي ﷺ الراية يوم خيبر لأبي بكر ولا لعمر رضي الله عنهما!!

❖ نسب للنبي ﷺ أنه قال في علي رضي الله عنه: (لعن الله من ناصبكم العداء).

❖ نسب للنبي ﷺ أنه قال: (يا خالد؛ دع عنك أصحابي، أنتم مو أصحابي أنتم جئتم بالسيف، أنتم الطلقاء)، وهذا من الكذب الذي لم يقله النبي ﷺ ، ولم يتلفظ به، ومما يزيد ظهور بطلانه وأنه كذب أن مصطلح الطلقاء إنما

المراد به من أطلقهم النبي ﷺ بعد فتح مكة، وكان خالد قد أسلم بعد غزوة الأحزاب وقبل فتح مكة، فكيف يكون من الطلقاء؟!

ومن كذباته الظاهرة على الشريعة والمسلمين بشكل عام:

❖ ادعى الكبيسي أن الذي لقي موسى عليه السلام عند مجمع البحرين ليس الخضر، بل هو البعد الرابع لمحمد ﷺ!

❖ ادعى أن معاوية بن أبي سفيان وأباه رضي الله عنهما ارتدا عن الإسلام بعد غزوة حنين، وهذا من الكذب[1] الذي ليس عليه بيّنة.

❖ زعم الكبيسي أن خالد بن الوليد رضي الله من الطلقاء الذين أسلموا بعد فتح مكة، وهذا من الكذب الظاهر باتفاق المسلمين، فان خالداً قد شهد فتح مكة وقد أسلم بعد غزوة الحديبية في السنة السادسة من الهجرة[2].

❖ زعم الكبيسي أن الروافض صاروا روافض بإسماعيل الصفوي، وصرنا نحن نواصب بمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وقال: ما فيش حدا أحسن من حدا[3].

❖ طعن أحمد الكبيسي في أهل بلده (الأنبار) فسماهم بالنواصب وكان يقول: أنا كنت من الأنبار، وأهل الأنبار نواصب يقولون علي مش بتاعنا[4]!! وهذا من الكذب الذي له قرون حتى رد عليه أهل بلده ومشايخها ببيان مشترك!!

❖ ادعى كذباً أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وهو على فراش الموت قال لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هل لي من توبة؟؟ فقال له ابن عمر: هيهات هيهات يا معاوية، وهذا مما لا يعرف له إسناد فضلاً عن مرجع واحد.

❖ ادعى أن الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان فسق، أما الطعن في علي بن أبي طالب لوحده فهذا كفر!! رغم أنه في حلقة له على قناة دبي قال: (الأنصار والمهاجرين هذول محميين حماية كاملة وسبهم كفر لا لأنهم صحابة، ولكن لأن النبي أوصى بهم وحماهم)[5]!! فإن كان سبّ المهاجرين كفرا، فإن على رأس المهاجرين أبا بكر وعمر وعثمان، فكيف يكون سبهم هناك فسقا ليس بكفر وسبهم هنا كفر؟!

❖ كذبه على الشريعة بقوله إن الصحابة الذين رضي الله عنهم هم: الأنصار والمهاجرون والرضوانيون، وقوله: المرضي عنهم هم أربع مئة أو خمس مئة واحد والباقي كله برا!![6]، وهذا من الكذب بل من سوء الأدب أيضاً.

❖ زعم الكبيسي ناقلاً عن يهودي أن من سيزيل اليهود من فلسطين رجل كردي ولعله يكون من أحفاد برزاني!![7].

❖ نسب لابن مسعود رضي الله عنه؛ ومرة نسب هذا القول إلى عبد الله بن عمر، القول بأن الذي يحرر الأرض المقدسة هم من العراقيين، وهذا كله من الكذب الذي لا زمام له ولا خطام.

❖ ادّعى كذباً أن الله يخلق من جسد المعذب في قبره جسداً آخراً يشبهه في الشكل ولكنه يعذب في السماء وليس في الأرض، وهذا معنى

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=fgeNmIpO5kw
عنوان اليوتيوب: أحمد الكبيسي يتطاول على بعض الصحابة رضي الله عنهم.
(٢) المقطع السابق.
(٣) المقطع السابق.
(٤) المقطع السابق.
(٥) https://www.youtube.com/watch?v=pi0mtwMjhic
آخر الدقيقة الأولى.
(٦) المقطع السابق.
(٧) http://rudaw.net/arabic/middleeast/iraq١٠١١٢٠١٤٢/

عذاب البرزخ عنده.

❖ يزعم أن نائلة بن الفرافصة زوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه، خلعت حجابها عن رأسها في يوم مقتله لما دخل عليه الخوارج ليقتلوه حتى تردهم عن قتل عثمان[١]، وهذا من الكذب بلا نزاع.

❖ اتهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه كفّر أبا بكر الصديق[٢]!!

❖ غلوه في صدام حسين حتى شبهه بالحسن والحسين[٣]، ثم سئل: ماذا تقول في صدام؟ فقال: (صدام مجرم)[٤]!

هل أحمد الكبيسي متشيع أم يحاول تذويب الفروق بين الشيعة والسنة لمصالح شخصية فقط؟!

على غرار تناقض مواقف ومعتقدات الكبيسي الدينية فإن مواقفه السياسية سريعة التقلب والتناقض بحسب تقلب المطامع السياسية، فمنذ احتلال العراق ومواقفه السياسية من الأمريكان والإيرانيين والشيعة تتقلب بحسب قربه وبعده منهم وطمعه في التكسب من نفوذهم.

فبعد الاحتلال الأمريكي للعراق عمل الكبيسي على إنشاء جمعية العلماء المسلمين التي ضمت المسيحي واليهودي والشيعي على حد قوله[٥]، في محاولة لتصدر المشهد الديني والسياسي.

ثم أعلن بعدها عن إعطائه مهلة لجيش الاحتلال الأمريكي لتحقيق وعوده!![٦] في الوقت الذي يعتبر الأمريكيين صمام الأمان في العراق بقوله: (الأمريكان شئنا أم أبينا موجودون ونحن ككل العراقيين نرفض وجودهم، ما من عراقي يريدهم، إلا أن وجودهم أصبح ضرورة الآن، وأنا واحد من الناس أنادي وأعترف أن وجود الأمريكان ضرورة، بدونهم نموت؛ حيث سيختفي هامش الأمن الذي يحققونه والذي لا يزيد عن ١٪، لكننا بحاجة إليه)[٧]!

أما بخصوص الشيعة فسعى الكبيسي إلى أن يحصل على دعم من الحكومة العراقية الشيعية ليكون مرجعاً لأهل السنة في العراق!! لكن باءت محاولته بالفشل، وطرد من العراق أو خرج منها هارباً.

ورغم ذلك بقيت مواقفه متناقضة فيما يخص الشأن الشيعي؛ فمرة يطعن في الحشد الشعبي الشيعي بزعم أنه يقتل أهل السنة، وفي المقابل يثني ثناء عطراً على مقتدى الصدر بخاصة، والتيار الصدري بعامة، وهو المتورط في قتل أهل السنة منذ بداية الاحتلال الأمريكي والإيراني للعراق، بل بلغ به الأمر أن تمناه رئيساً للعراق رغم ما فعله مقتدى الصدر من جرائم القتل في أهل السنة وعلى الهوية، والتاريخ لا ينسى!![٨].

بل تجاوز هذا الحد حتى سئل في إحدى حلقاته عن حقيقة دعمه للتيار الصدري: (هل

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=bZn8tRxbEww &spfreload١٠=
الدقيقة: ١٠

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=AWMkLliZQSY
في آخر الدقيقة الثانية.

(٣) قناة الجزيرة، برنامج الشريعة والحياة (الموقف الإسلامي من الأزمة العراقية)، بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤.

(٤) على قناة العربية.

(٥) https://www.youtube.com/watch?v=uY6yP8oL_yw
برنامج إضاءات - أحمد الكبيسي، الجزء ١ (الدقيقة ٧).

(٦) http://archive.aawsat.com/details.asp?article=169256 & issueno=8925#.WFxfCdJ97IU

(٧) موقع إسلام أون لاين، بتاريخ ٢٠٠٣/٤/٥.

(٨) https://www.youtube.com/watch?v=0F5ZhdNlfyY &t=108s
الكبيسي ونظرته للحشد الشعبي المقدس ولجرذان داعش ٢٠١٦/٦/١٠ - قناة السومرية- الدقيقة ٤٦- ٤٧.

صحيح أنك تعطي مقتدى الصدر مالاً كما قالت صحيفة أمريكية؟!

الكبيسي: قالوا إني أعطيته خمسين مليون دولار وهذا كذب، **ولو كان عندي لأعطيته!**

المقدم: هل تحرص السنة على الصلاة في النجف مع الشيعة ..؟!

الكبيسي: نعم، وأنا أفتخر بذلك(.

وبين هذا وذاك القول بأن المذهب الشيعي إنما هو من جملة المذاهب الإسلامية التي تعددها كتعدد الزهور في الحديقة! والعجب أن يقول هذا الكلام بعد كل ما جرى من عدوان وتكفير وتقتيل من الرافضة وما يجري وما سيجري!!

ومن طاماته طعنه وكذبه على أهل السنة على حساب حبه للرافضة، فعلى قناة دبي لما انتقده أحد المتصلين بشأن وفاة المرجع اللبناني محمد مهدي شمس الدين، عندها عجز لسانه عن الجواب فخرج عن طوره قائلاً: (ألم تعلم أن أهل السنة كانوا يشتمون أهل البيت لمدة ١٣ سنة على المنابر في عهد بني أمية، كفانا تحاملاً على الشيعة)!!، فهلا أتى هذا المفتري بدليله على أننا سببنا أهل البيت لمدة ١٣ سنة؟! ولعله لأنهم على حد قوله: هؤلاء أخوالي! فهنيئاً له بأخواله.

الكبيسي وتأييد العلمانية

موقف الكبيسي من العلمانية موقف مريب بحق فهو يذم الوصف والمسمى ويرضى بالتطبيق والواقع بحجج واهية سخيفة، فمن أقواله: (الدولة الإسلامية لم تقم منذ خمسة عشر قرنا)!! وقال أيضا: (ما من عباءة أشد فُرقة من العباءة الدينية)، والتي أكد عليها بقوله: (أنا لم أكن انفعاليا، أنا عن علم أقول هذا الكلام، العباءة الدينية فرّقت الأمة تفريقاً كاملاً، التفريق بين المسلمين الآن أساسه رجال الدين إذا صحت التسمية أساسه العلماء)، وهذا النفي للدولة الإسلامية طيلة تاريخها ضرب من الجنون والحمق، أما تحميل وزر كل الفرقة للعلماء فهو ظلم، لكن من لديه انحراف منهجي ومطامع شخصية لا يجدي الحوار معه.

ولذلك حين سئل عن البديل الذي يريده قال: (اتركوا الحرية للناس، فلتكن دولة كالإمارات، تصير مسلم تروح على الجامع تروح على الخمارة، وبالتالي دولة دينها الرسمي الإسلام أحكامها إسلامية؛ الأحوال الشخصية إسلامية في المساجد، الإسلام دين الدولة الرسمي والناس أحرار فيما يفعلون وهناك قانون عقوبات على الجميع)[1].

وهذا الموقف المرحب بالعلمانية موقف قديم، إذ يقول الكبيسي إن صدام حسين استشاره في تطبيق حد السرقة بصفته متخصصا في ذلك وهذا موضوع رسالته في الدكتوراه، لكن الكبيسي رفض ذلك وبرر رفضه بقوله: إنه (يحتاج إلى خليفة مسلم وأنت لست بخليفة؟!!)[2]، وهنا تحتار مما تعجب من عرقلته تطبيق حكم شرعي أو من تبريره الذي لا يمت للعلم بصلة!

تلاعبه بأحكام الدين في فتاويه العجيبة

على حساب القيم والأخلاق وعلى حساب الأعراف والعادات يخرج علينا أحمد الكبيسي بمجموعة من الفتاوى سماعها يكفي للحكم ببطلانها، فهي ناقضة لنفسها، لا يقبلها عاقل يفهم دين الله، بل يتجاوزها الجاهل مستحقراً لها لأن الفطر السليمة تأبى الفاحشة وتدفعها.

فهو يشجع أحد الشباب على الزنا بدلاً من أن ينصحه ويعظه، حيث اتصل به شاب أنه يزني

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=N-xQO3Et_sQ برنامج إضاءات - أحمد الكبيسي الجزء ٤.

(٢) المصدر السابق.

مرات وأنه كلما زنى يتوب ثم يرجع إلى ذنبه مرة أخرى، وعندها جاء جواب الكبيسي الفريد العجيب بعد أن لف ودار: (صديقتك هذه تقول لها: زَوَّجتكِ نفسي وتقول لك: قبلت وانتهينا!!

نكاح المتعة ليس زنا ولا يعاقب عقوبة الزنا !!نعم حرام لكن ليس كبيرة ولكن كما لو واحد سبيته) [1]. العجيب أن الشاب الزاني أفقه من الكبيسي حيث هو يسميه زنا وهذا الفقيه يتحايل ويسميه زواج متعة وهو يعرف تحريمه! ثم أيغفل أحمد الكبيسي أن منع الزنا مقصد من مقاصد الدين الخمس التي قامت عليها الشريعة لرعاية مصالح العباد!!

ومن عجائبه تجويز الاختلاط بين الذكور والإناث في التعليم والعبادة والمحاكم والأعراس والاجتماعات السياسية، وأنه (أحد الأحكام الفقهية التي تخضع لاختلاف الزمان والمكان والعوائد، وهذا أصل من أصول الفقه، وباب لا يُنكر تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان)، مؤكداً أن هذا الموضوع يخضع للمزاج واصفاً التصريحات التي تخرج من علماء الدين في تحريم الاختلاط بأنها: (نفشات وخلجات من أناس يعانون اضطراباً نفسياً) [2]، والحقيقة أنه وصَف نفسه بدقة.

وأيضا الكبيسي يفتي بالاحتفال بعيد الحب بشرط عدم وجود ما حرّمه الله، والعجيب أن أغلب المحتفلين به أصلا حبهم حرام!!

وليس ما سبق بأغرب من نفيه لوجود يأجوج ومأجوج بالمعنى المذكور في النصوص وفي اعتقاد المسلمين، وحمله لمعنى يأجوج ومأجوج على كل من يقتل البشر في أي زمن كان فهو يأجوج ومأجوج[3]!!

بل بلغت فيه الجرأة أن يزعم بأن الحديث في مسألة خلق القرآن التي خالف فيها المعتزلة أهل السنة، ومسألة القدر وما يتبعها من مسائل كـ: هل الانسان مسيّر أو مخير؟ من المسائل التاريخية التافهة[4]!!!

الخاتمة

الانتصار للنفس هو السبب الرئيس في كذب أحمد الكبيسي على النبي ﷺ وعلى أصحابه وعلى الدين بشكل عام، والمزاج الغاضب والجهل العلمي وغياب المنهجية المنضبطة هي المسؤولة عن الآراء والمواقف الغريبة والشاذة التي تبناها الكبيسي، وهذا بالتحديد هو ما يفتح له شاشات بعض القنوات الرسمية.

(١) https://www.youtube.com/watch?v=GP8Y_-E8iUU&t=105s
(٢) https://www.alarabiya.net/articles/2010/04/28/107142.html
(٣) https://www.youtube.com/watch?v=bZn8tRxbEww&spfreload١٠=
(٤) المقطع السابق: الدقيقة ٣٣.

٣- ثورات الخوارج
الخروج على عليٍّ رضي الله عنه

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

انتقل الخوارج السبئية بعد إشعالهم الفتنة بين المسلمين في معركة الجمل، سنة ٣٦هـ، إلى مؤامرة جديدة، ففي «الجمل» اندسّوا في صفوف الجيشين، كما بيّنّا في المقال السابق، وكادوا يفقدون عقولهم عندما علموا أن المسلمين تداعوا إلى الصلح وترك القتال، لذلك قاموا بإنشاب القتال بين الفريقين، لأن الصلح بين المسلمين لم يكن في صالح الخوارج.

وبعد معركة الجمل، حدث القتال في «صفّين» بين أهل العراق بقيادة علي بن أبي طالب، وأهل الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان، والفرق هنا أن الخوارج السبئية في هذه المعركة لم يستطيعوا التواجد إلاّ في جيش واحد منهما، هو جيش العراق، حيث كان لابن سبأ جناح سرّي في الكوفة، وآخر في البصرة، بخلاف جيش الشام، الذي فشل في إيجاد العملاء بداخله، وذلك ناجم عن التفاف أهل الشام حول أميرهم معاوية، وولائهم له[١].

وفي «صفّين» تداعى المسلمون إلى الصلح، بأن رفع أهل الشام المصاحفَ فوق الرّماح، قائلين لأهل العراق: هذا بيننا وبينكم (أي القرآن)، قد فني الناس فمن للثغور؟ ومَن لجهاد المشركين والكفار[٢]؟

ولأن عليًّا كان يعتقد أن رفع المصاحف خدعة من أهل الشام لتجنب الهزيمة التي أوشكت أن تقع بهم[٣]، فقد رأى مواصلة القتال، لكنّ الخوارج كانوا يرون عكس ما يراه، وأجبروه على وقف القتال، والرضا بالصلح والتحكيم، تحت ذريعة النزول على حكم كتاب الله، ويرى د. حافظ موسى أن هدف الخوارج الحقيقي من القبول بالتحكيم كان خشيتهم من أن تدين الأمة لعليٍّ في حال انتصاره على معاوية، وأن تتوحد كلمتها تحت لوائه، فيُقدِم على اجتثاث الفتنة التي أعقبت مقتل عثمان من جذورها، ويقتصّ من قتلته، ثم ينطلق في الفتوحات ونشر الدعوة في ربوع الأرض[٤]، وهو ما لا يروق لهؤلاء الخوارج، بل سيدفعون ثمنه، لأنهم هم الذين قتلوا عثمان بن عفّان، وتسببوا بهذه الفتنة.

ووصل الأمر بهم إلى أن يتوعّدوا عليًّا إن هو خالفهم فيما ذهبوا إليه، ويهدّدوه بمصير عثمان، فقالوا له صراحةً: «يا عليّ، أجِب إلى كتاب الله إذ دُعيت إليه، وإلاّ دفعناك برمتك إلى القوم، أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفّان، إنه لمّا ترك

(*) كاتب أردني.

(١) أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر، ص ١٧١.

(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٤.

(٣) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٤.

(٤) أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر، ص ١٦٨ – ١٦٩.

العمل بكتاب الله قتلناه، والله لتفعلنّها أو لنفعلنّها بك»[1].

ولعلّ هذا التهديد لعليٍّ يكشف بوضوح أن الخوارج لم تكن مشكلتهم مقتصرة على عثمان، رضي الله عنه، ولا على أقاربه أو الولاة الذين عيّنهم، كما زعموا، بل إن خلافهم هو مع عموم المسلمين، فإنهم في بادئ الأمر قتلوا عثمان، بزعم أنه خالف الدين، واعتبروا ذلك أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وألحّوا على عليٍّ بقبول الخلافة بعد عثمان، وانضموا إلى جيشه، وأصبحوا من مستشاريه على غير رغبة منه، ثم إذا بهم يتوعدونه ويهددونه بالقتل!!

بعد ذلك، اتفق الجيشان على أن ينتدب كل واحد منهما حكمًا، ليعملا على الصلح وإنهاء القتال، فاختار معاوية من طرفه عمرو بن العاص، أما عليٌّ فعانى مع الخوارج السبئية الأمرّين، فقد أراد أن ينتدب ابن عمّه، عبد الله بن عباس، إلاّ أنهم رفضوا، وفرضوا عليه أبا موسى الأشعري، واجتمع الحكمان، وقرّرا ما يؤدي إلى وقف القتال، وهنا تثور ثائرة هؤلاء الخوارج من هذا التحكيم، رغم أنهم كانوا وافقوا على التحكيم بل طالبوا عليًّا من قبل بالاستجابة إلى وقف القتال.

أما حجة الخوارج من رفض التحكيم فهي أن عليًا ومعاوية حكّما الرجال في دين الله، وصاروا يرددون قول الله تعالى ﴿إن الحكم إلاّ لله﴾، وعليٌّ يَقول في شأن هذه الآية: «كلمة حقٍّ أُريد بها باطل»[2].

وجاوز الخوارج كل الحدود بأن كفّروا عليًا، وطلبوا منه بأن يشهد على نفسه بالكفر[3]، وإعلان التوبة، والعودة عن التحكيم، والرجوع لقتال أهل الشام، وقد قال له أحدهم: «تُب إلى الله من خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واذهب بنا إلى عدوّنا حتى نقاتلهم حتى نلقى ربّنا»[4]. فذكّرهم عليٌّ بأنه دعاهم للقتال من قبل لكنهم رفضوا «قد أردتكم على ذلك فأبيتم»[5]، والآن يطلبون منه معاودة القتال بعد التحكيم والصلح، وبعد أن صار بين الجيشين مواثيق وعهود!

إنه لأمر غريب أن تقوم هذه الشرذمة بتكفير رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة الذين بشّرهم النبي ﷺ بالجنة، وتكفير الصحابة الذين رضي الله عنهم ورسولُه، وما أشبه الليلة بالبارحة، فقد كفّر خوارجُ اليوم علماء المسلمين وقادتهم، وأباحوا دماءهم وأموالهم، لا لشيء إلاّ لأنهم لم يوافقوا هواهم واجتهاداتهم العجيبة، ولم يسيروا خلف خلافتهم المزعومة.

عاد الجيشان من صفين، فرجع معاوية إلى الشام، ورجع علي إلى الكوفة، ورجع معه الخوارج وهم يتدافعون الطريق كله، ويتشاتمون، ويضطربون بالسياط، يقول بعضهم «يا أعداء الله، أدهنتم في أمر الله عز وجل وحكمتم»، ويقول الآخرون «فارقتم إمامنا وفرّقتم جماعتنا»[6].

وقبل دخوله إلى الكوفة انسحب من جيشه قرابة اثني عشر ألفًا، هم الخوارج، وأبوا أن يساكنوه في بلده، ونزلوا في مكان خارج الكوفة، يقال له حروراء[7]. وقد أرادوا التوجّه في بادئ الأمر إلى المدائن[8]، التي كان عليٌّ قد نفى زعيمَهم ابن سبأ إليها لمّا قال مقولاته المنكرة، ليتحصّنوا بها، وينطلقوا منها لمحاربة المسلمين، وتباحثوا في ذلك، ممّا يذكره الإمام ابن كثير، فيقول: «والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلاّل،

(١) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٤.
(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٩.
(٣) جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٤٩٢.
(٤) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١١.
(٥) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١١.
(٦) جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٤٩١، وأصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر، ص ١٧٣.
(٧) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٧.
(٨) مدينة عراقية تقع إلى الجنوب الشرقي من العاصمة بغداد، وكانت فيما سبق عاصمة لدولة الساسانيين الفرس.

والأشقياء في الأقوال والأفعال، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطأوا على المسير إلى المدائن ليملكوها ويتحصنوا بها ثم يبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم - ممّن هو على ما هُم عليه، من أهل البصرة وغيرها - فيُوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها.

فقال لهم زيد بن حصين الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخا، ولا تَخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحداناً لئلاّ يشعروا بكم.

فكتبوا كتاباً عاماً إلى مَن هو على مذهبهم ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليه ليوافوهم إلى النهر، ليكونوا يداً واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحداناً؛ لئلاّ يعلم أحد بهم فيمنعوهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات والأعمام والعمّات وفارقوا سائر القرابات، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسموات»[1]، ولا تزال هذه السرية والمخادعة في الخروج لنصرة تنظيم الخوارج هو المنهج المتبع لديهم.

أما د. حافظ موسى فيرى أن الخوارج عدلوا عن الذهاب إلى المدائن بتوجيه من قيادة التنظيم السرّي الذي كان يقوده ابن سبأ، القابع هناك في المدائن، خشية انكشاف أمره، فضلاً عن أنه لم يكن يضمن هؤلاء على نفسه، ما قد يؤدي إلى عرقلة تنفيذ مخططه، وحدوث صدام مباشر بين الشيعة الخوارج الملتفّين حول زعيمهم وعلي بن أبي طالب[2].

لم ييأس عليٌّ من هؤلاء وأبدى لهم النصح وناظرهم حول ما نقموا عليه، كما أرسل إليهم ابن عمّه، عبد الله بن عباس، حبر الأمة وترجمان القرآن، فناظرهم، وأزال شبهاتهم التي أثاروها حول عليٍّ، وهي:

١- أنه حكّم الرجال في دين الله، عندما وافق على انتداب حكم من طرفه لحلّ الخلاف مع معاوية.

٢- أنه قاتل أناسًا فلم يسبِ ولم يغنم، فإن كان قد حلّ قتالهم فقد حلّ سبيهم، وإلا فلا.

٣- محا نفسه من إمرة المؤمنين[3]، فإن لم يكن أميرَ المؤمنين فهو أمير المشركين.

وقد أجابهم ابن عباس بإجابات شافية على ما أثاروه، فقال لهم: أما قولكم إنه حكّم الرجال في أمر الله، فإني سمعت الله يقول في كتابه: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا لاَ تقتلُوا الصَّيدَ وأنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قتلهُ منكم متعمداً فجَزاء مثلُ مَا قتَلَ مِنَ النعَم يَحّكُمُ بهِ ذوَا عَدلٍ منكُم﴾ [المائدة: ٩٥]، وذلك في ثمن صيد أرنب أو نحوه قيمته ربع درهم فوّض الله الحكم فيه إلى الرجال، ولو شاء أن يحكم لحَكمَ، وقال: ﴿وَإنْ خفتمْ شِقاق بَينهما فابْعثوا حَكماً من أهلهِ وَحَكماً من أهلِهَا﴾ [النساء: ٣٥].

وأما قولكم: قاتل فلم يسبِ فإنه قاتل أمّكم[4]، فإن زعمتم أنها ليست بأمّكم فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها أمكم فما حل سباؤها، فأنتم بين ضلالتين.

وأما قولكم: إنه محا اسمه من إمرة المؤمنين، فإني أنبئكم عن ذلك. أما تعلمون أن رسول الله ﷺ يوم الحديبية جرى الكتاب بينه وبين سهيل بن عمرو، فقال يا عليّ اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال: اللهم إنك تعلم أني رسولك، ثم أخذ الصحيفة

---

(١) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٢.

(٢) أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر، ص ١٧٤ – ١٧٥.

(٣) عند كتابة بنود الصلح في حادثة التحكيم لم يقبل معاوية أن يكتب فيها على أمير المؤمنين، مبرراً ذلك بأنه لم يبايعه ولم يعتبره أمير المؤمنين، ولو كان بايعه أميراً للمؤمنين لما قاتله.

(٤) أي أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فقد كانت في معركة الجمل في الجيش المقاتل لجيش علي رضي الله عنه.

فمحاها بيده، ثم قال يا عليّ اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فوالله ما أخرجه ذلك من النبوة.

قال الراوي عن ابن عباس بعد هذه المناظرة: (فرجع ثلثهم إلى جيش علي، وانصرف ثلثهم، وقُتل بقيتهم على الضلالة)[1].

وإذا كان قسمٌ من هؤلاء اتعظ وعاد إلى رشده، فإن الآخرين أخذوا يستعدون لقتال علي، ويمعنون في تكفيره، وفي تلك الأثناء، عزم عليٌّ على العودة لقتال أهل الشام، وبينما هو كذلك «بلَغه أن الخوارج قد عاثوا في الأرض فساداً، وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل واستحلّوا المحارم.

وكان من جملة من قتلوه عبد الله بن خباب، صاحب رسول الله ﷺ، أسروه وامرأته معه وهي حامل، فقالوا له: من أنت؟

قال: أنا عبد الله بن خباب، صاحب رسول الله ﷺ، وأنتم قد روّعتموني.

فقالوا: لا بأس عليك، حدّثنا ما سمعت من أبيك.

فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستكون فتنةٌ القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي). فقادوه بيده، فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيراً لبعض أهل الذمّة فضربه بعضهم بسيفه فشقّ جلده.

فقال له آخر: لِم فعلت هذا وهو لِذمي؟

فذهب إلى ذلك الذمّي فاستحله وأرضاه.

وبينما هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة فأخذها أحدهم فألقاها في فمه.

فقال له آخر: بغير إذن ولا ثمن؟

فألقاها ذاك من فمه، ومع هذا قدّموا عبد الله بن خباب فذبحوه، وجاؤوا إلى امرأته فقالت: إني امرأة حبلى، ألا تتقون الله عز وجل!

فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها.

فلما بلغ الناس هذا من صنيعهم خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بالقتال أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم ويفعلوا هذا الصنيع، فخافوا غائلتهم، وأشاروا على عليّ بأن يبدأ بهم»[2].

كم يثير أمر هؤلاء الخوارج، وورعهم الكاذب المزيّف، الاستغراب، فيذهبون إلى صاحب الخنزير ليصفح عنهم، ويلقي أحدهم التمرة من فمه لأنها أكلها من غير إذن صاحبها، أما المسلمون وأصحاب رسول الله ﷺ، فلا كرامة لهم ولا حق، يُقتلون وتُقتل نساؤهم بغير ذنب اقرفوه، «يَقتلون صحابيا جليلا، ويسترضون ذمّيا في خنزير»[3]، ومن هذه الحادثة نعرف أن (سنة) الذبح التي يقوم بها خوارج اليوم هي (سنة) سلفهم الخوارج الأول ضد الصحابة!

رأى عليّ بعد ما رآه من الخوارج، أن قتالهم يكتسب الأولوية على أي شيء آخر، بسبب عظيم إفسادهم، يقول ابن كثير: «إذ لو قووا هؤلاء لأفسدوا الأرض كلّها عراقًا وشامًا، ولم يتركوا طفلا ولا طفلة، ولا رجلا ولا امرأة، لأن الناس عندهم قد فسدوا فسادا لا يصلحهم إلا القتل جملة»[4]، واليوم يتكرر شؤم وفساد الخوارج في العراق والشام وغيرها من الدول.

---

(١) انظر المزيد حول المناظرة: هيثم الكسواني، مقال «ابن عباس يناظر الخوارج»، موقع الراصد، زاوية سطور من الذاكرة، العدد ٥٠، شعبان ١٤٢٨هـ، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=4907

(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٣.

(٣) جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٤٩٧.

(٤) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٣.

واجتمع الفريقان في موضع يقال له النهروان[1]، ومع كل ذلك، ظل عليّ يحاول تجنّب قتالهم فعرض عليهم أن يسلّموه قتلة عبد الله بن خباب وأهله، وقتلة الحارث بن مرة العبدي، رسول عليّ إليهم، مقابل أن يتركهم «وبعث إلى الخوارج: أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم لنقتلهم بهم، ثم إنا تاركوكم وذاهبون عنكم إلى الشام، ثم لعلّ الله أن يُقبل بقلوبكم ويردّكم إلى خيرٍ مما أنتم عليه. فبعثوا إلى عليّ يقولون: كلنا قتل إخوانكم، ونحن مستحلّون دماءهم ودماءكم»[2].

وكان لا بد من قتالهم، رغم ما أبداه لهم عليّ والصحابة من نصح وما بذلوه لهم من الأمان، فوقعت معركة النهروان في السنة السابعة والثلاثين للهجرة، وأقبل الخوارج يقاتلون الصحابة، وهو يقولون: «إن الحكم إلاّ لله، الرواح الرواح إلى الجنة»[3]، وحدثت بالخوارج مقتلة عظيمة، ولم يُقتل من أصحاب عليّ إلا سبعة نفر، وقُتل أمراء الخوارج، وعلى رأسهم عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى.

أما حرقوص فكان يُعرف بذي الثدية، وكان مقتله دليلا على صحة قتال علي للخوارج، فقد كان النبي ﷺ قد أخبر عليّا بخروج الخوارج عليه، وأخبره عن أوصاف أحدهم، وهو ذو الثدية، «فصار عليٌّ يبحث عنه في القتلى حتى وجده، فلمّا وجده سجد لله شكرًا، إذ علم أنه على الحق»[4].

(١) موقع يقع إلى الغرب من نهر دجلة، على بعد ٣٥ كم من بغداد.
(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٣.
(٣) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٤.
(٤) حقبة من التاريخ، ص ١٩٧.

أهم المراجع

- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- د. عطا الله المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة والردّ على الفرق حتى نهاية العصر الأموي، الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ (٢٠١٦م).
- د. حافظ موسى عامر، أصول وعقائد الشيعة الاثنا عشرية تحت المجهر ودور ابن سبأ في تأسيسها ونشأتها، مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).
- الشيخ عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية (مصر)، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

إعلام "داعش"...
الوسائل والأهداف وسبل المواجهة

أسامة الهتيمي(*)- خاص بالراصد

سببان رئيسان كانا وراء حالة الدعم والتأييد الجزئي التي حظي بها ما يسمى بتنظيم الدولة الإسلامية «داعش» سواء داخل محيط العالمين العربي والإسلامي، أو خارج هذا المحيط، وهو الدعم الذي اتخذ شكلين؛ أحدهما تمثل في قبول البعض لسلوك وتحركات هذا التنظيم، والآخر انعكس في قدرته على استقطاب أعداد ليست بالقليلة ممن يوصفون بالجهاديين حيث التحق به آلاف الشباب من بعض البلدان العربية والإسلامية فضلا عن الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأوربية فانخرطوا في صفوفه يقاتلون بين جنوده وأنصاره ويأتمرون بأمر قادته.

ويتمثل السبب الأول في طبيعة الظرف السياسي الذي تمر به المنطقة خاصة في العراق وسوريا وهو الظرف الذي كان بمثابة تربة خصبة تترعرع فيها مثل هذه التنظيمات التي لم تكن لتقوى وتتمدد إلا في حالات ضعف الحكومات المركزية واندلاع صراعات مذهبية أو عرقية نتيجة ممارسات الإقصاء والتهميش التي تمارس بحق فئات مذهبية أو عرقية كالذي حدث بحق السنة العراقيين على أيدي الحكومات العراقية المتعاقبة التي تشكلت بعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، فمنذ ذلك الحين وهذه الحكومات التي يترأسها شيعة لم تترك شكلا من أشكال الاضطهاد أو التعسف إلا وماورسته، حتى وصل الأمر إلى ذروته في عهد نوري المالكي، وهو ما أسفر في نهاية الأمر عن تشكل مجموعات تسمت باسم الدولة الإسلامية في العراق وسوريا قامت دعوتها الأولى على حماية أهل السنة في العراق والدفاع عنهم.

وتكرر نفس المشهد تقريبا في سوريا التي أجبر فيها بشار الأسد المعارضة السورية على أن ترفع السلاح حماية لنفسها ضد هذا التجبر الذي مارسه بحقها فكان الاعتقال والتعذيب والحصار والقتل دون هوادة بحق أهل السنة، الأمر الذي حوّل سوريا إلى جحيم مستعر لهؤلاء السنة على أيدي قوات الأسد بمساعدة وإشراف من ميليشيات المرتزقة الشيعة من إيران ولبنان والعراق وأفغانستان وباكستان والذين راح ضحية جرائمهم حتى الآن أكثر من نصف مليون قتيل و١١ مليون لاجئ ومشرد فضلا عن المصابين والمعاقين.

لقد دفعت هذه المآسي التي وقعت في كل من العراق وسوريا الكثيرين إلى أن يتعاطفوا مع أية محاولات للثأر والانتقام حتى لو كان بعضها غير منضبط بالمعايير الشرعية، أو على أقل تقدير فإن هؤلاء المتعاطفين قد قبلوا أي تأويل يمنح مثل تنظيم «داعش» حق ما يمارسه إذ الاستسلام

(*) كاتب مصري.

للرغبة في الثأر يحجب الرؤية عن العقل من أن يرى الكثير من ملامح المشهد ومعطيات الواقع وما يجب أن يكون وما لا يجب أن يكون خاصة وأن البلدان العربية والإسلامية المنوط بها الدفاع عن حقوق هذه الشعوب قد تخلت عنها تماما فلم تقدم ما يخفف عنها فضلا عن عجز الشعوب.

ويتمثل السبب الثاني، وهو ربما السبب الأهم، في الإعلام إذ يمكن أن نقول إن سلاح الإعلام الذي استخدمه تنظيم «داعش» كان له من الأثر ما يفوق بمراحل استخدام السلاح التقليدي وغير التقليدي، فقد استطاع التنظيم وعبر الاعتماد على عدد من الكوادر الإعلامية ذات الكفاءة الإعلامية العالية فضلا عن الأستديوهات والآلات الإعلامية التي امتلكها بعد الاستيلاء على العديد من المدن خلال معاركه من أن يقدم صورة شديدة الإبهار جذبت إليه أعين الشباب المتطلعين الذين رأوا فيما يقدم صورة ونموذجا لانتصار غاب عنهم طويلا، وهي صورة بلا شك تحدث أثرا كبيرا في نفوس هذا القطاع الذي ولد وعاش سنوات عمره لم يرَ فيها إلا الهزائم والانكسارات والصراعات الفكرية والسياسية وغياب الرؤية التي يمكن على أساسها رسم ملامح المستقبل، فأصبح التنظيم وشكل الدولة الإسلامية الذي يروجه حلما يراود هذا القطاع.

ودعم تلك الصورة المبهرة أن إعلام «داعش» نجح وباقتدار أيضا في أن يزيد ضبابية الصورة الخاصة به، وما يجري في تلك المناطق التي يسيطر عليها فبقي الكثير من المتابعين في حالة من عدم التيقن الكامل من تفاصيل المشهد إذ لم يتوان إعلام «داعش» عن أن يفند الكثير من الشبهات التي كانت تثار حوله سواء على لسان من يعتبرهم أعداءه أو من المشايخ والدعاة الذين رفضوا منهجه وسلوكه وحاولوا أن يثنوا الشباب عن الالتحاق بهذا التنظيم.

ولم يكتف التنظيم بالرد على الشبهات، بل إنه حرص على أن يثير المشاعر فقدم عبر وسائل إعلامه صور الدمار والخراب التي تسببت فيها أيدي أعدائه، الذين هم أعداء الإسلام والذين ما اجتمعوا إلا ليحاربوا دولة قررت أن ترفع راية الحق وتعلي كلمة الله محاولا في الوقت ذاته خلال كل هذا أن يقدم الأدلة والبراهين على صحة منهجه وسلوكه.

ويبقى أخيرا ذلك الاهتمام الكبير الذي أولاه التنظيم لمواقع التواصل الاجتماعي فكان أحد أهم أدواته للتواصل مع الشباب والفتيات في كل بقعة من بقاع الأرض فيتحاورون مع هؤلاء الشباب ويردّون على أسئلتهم واستفساراتهم ويقدمون لهم الوعود الوردية في حال قرّروا أن يتركوا بلادهم ويرحلوا متجهين إلى العراق أو سوريا.

في هذا السياق تأتي أهمية الدراسة التي قدمها الإعلامي والباحث حسين عبد الظاهر لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وذلك ضمن أوراق مؤتمر «الإرهاب وسبل معالجته» والذي نظمته الكلية وجاءت تحت عنوان «قراءة في الخطاب الإعلامي لتنظيم الدولة الإسلامية» إذ وفي مقدمة دراسته أكد الباحث أن تنظيم الدولة الإسلامية بات واحدا من أكبر التنظيمات الإرهابية في المنطقة العربية التي وظفت الإعلام على نطاق واسع لخدمة أهدافها فتفوقت في المجال على كثير من التنظيمات، بل والدول، مضيفا أن الخبراء والمراقبين يكادون يجمعون على أن سيطرة التنظيم على مساحات شاسعة في سوريا والعراق واستقطابه عشرات الآلاف من المقاتلين يعودان إلى استخدامه آلة إعلامية ضخمة يواجه بها خصومه ويحشد أنصاره في حرب إعلامية يخوضها بدرجة عالية من التقنية والشمول والاحتراف مستعينا بجنود يصعب حصرهم من المؤيدين الإلكترونيين عبر العالم.

وتحت عنوان فرعي داخل الدراسة أشار الباحث إلى أن بناء قوة تنظيم الدولة الإسلامية لم يتوقف عند قوة السلاح وإعداد المقاتلين بل تخطى

التنظيم ذلك إلى إعداد كتائب من الإعلاميين، فأولى اهتماما كبيرا ببناء منصاته الإعلامية، كما أولى اهتماما كبيرا بإعداد كوادره الإعلامية المدربة بل إن اهتمام التنظيم بإعلامييه لا يقل عن اهتمامه بمقاتليه.

ونقل الباحث عن تقرير أعدته منظمة «مراسلون بلا حدود» يؤكد ما ذهب إليه إذ أفاد تقرير المنظمة أن تنظيم «داعش» عامل الصحافيين المنضوين تحت رايته معاملة الأمراء لضمان بقائهم من جهة وولائهم اللامتناهي من جهة أخرى.

ولفت الباحث إلى أن التنظيم حرص على تأسيس جهازه الإعلامي الخاص في وقت مبكر حيث تعود بداية نشأة الجهاز الإعلامي للتنظيم إلى أيام تسميته «دولة العراق الإسلامية» عام ٢٠٠٦ حين أقام «مؤسسة الفرقان» وبعض المؤسسات الإعلامية الأخرى التي كان لها دور كبير في العديد من المعارك العسكرية والفكرية التي خاضها التنظيم فيما بعد.

وأورد الباحث أسماء بعض المؤسسات الإعلامية التابعة للتنظيم والتي يعتمد عليها في بث مواده الإعلامية ومنها - فضلا عن مؤسسة الفرقان- مؤسسة الاعتصام التي تم الإعلان عنها مع تمدد التنظيم في سورية، ومؤسسة الحياة التي تبث إصدارات مرئية باللغة الإنجليزية كما تصدر مجلة دابق الإلكترونية ومؤسسات أعماق والبتار والخلافة وأجناد للإنتاج الإعلامي والغرباء للإعلام والإسراء للإنتاج الإعلامي والصقيل والوفاء ووكالة أنباء «البركة» ووكالة أنباء «الخير» وإذاعة البيان التي تبث بأمواج قصيرة من مدينة الموصل، ولها أبراج بث في مدينة الرقة، كما تبث نشراتها عبر الإنترنت من خلال موقع يوتيوب فضلا عن مكاتب إنتاج إعلامي في الولايات الخاضعة للتنظيم وجيش «إلكتروني» فاعل على شبكة الإنترنت يتكون من أكثر من ١٢ ألف مناصر تشكل من أكثر من ٨٠ دولة، ويعد أحد أهم التشكيلات التي تناصر التنظيم.

وفي إطار محاولة التعرف على منهجية إعلام التنظيم استند الباحث إلى عدد من النماذج الإعلامية لـ «داعش» وكان من بين هذه النماذج نشرات إذاعة البيان حيث رصدت الدراسة أن هذه الإذاعة تقدم نشرة يومية في حدود ٨ إلى ١٠ دقائق تقريبا وتحتوي كل نشرة على أخبار «الولايات» المختلفة التي يسيطر عليها التنظيم وأخبار معاركه العسكرية سواء داخل الولايات التي تقع تحت سيطرته أو خارجها.

وفي الدراسة تناول الباحث ٥١ خبرا - تم بثها خلال ٥ نشرات - وخلص إلى النتائج التالية:

١- تتسم النشرة بقدر كبير من الاحترافية الإعلامية وفق المتعارف عليه داخل غرف الأخبار.

٢- تتم قراءة النشرة بأصوات إذاعية يبدو أنها مدربة وتتوفر لديها المَلَكات الفنية المطلوبة في قارئي النشرات.

٣- تمثل الأخبار الإيجابية بالنسبة للتنظيم في النشرات نسبة ١٠٠ ٪ فجميع الأخبار تتحدث عن تسجيل انتصارات لتنظيم الدولة ولا يوجد خبر واحد سلبي يرصد هزيمة أو تراجعا عسكريا أو سياسيا للتنظيم أو يتحدث عن أي ملامح فشلٍ أمني أو اقتصادي للتنظيم أو يرصد مظهرا من مظاهر الاحتجاجات الشعبية في المناطق التي يسيطر عليها.

٤- يبث محررو النشرة ألفاظا وعبارات تحط من شأن أعداء الدولة، مثل: «الملاحدة، المرتدون، أولياء الطاغوت، نسأل الله النكاية فيهم ..» وقد وردت هذه الألفاظ وتلك العبارات ١٩٧ مرة خلال ٥١ خبرا.

٥- في المقابل تحتوى النشرة على ألفاظ وعبارات ترفع من شأن وقدر التنظيم وجنوده مثل: «جنود الله، أولياء الله، تمكنوا بحول الله من كذا..، يسر الله لهم ...» وقد وردت هذه الألفاظ والعبارات ١٠٩ مرات خلال العينة.

٦- يعمد محرر النشرة إلى الخلط بين «الخبر» الذي يحتمل الصدق أو الكذب و«الرأي» الذي يعبر عن موقف فكري أو سياسي محدد وهو أمر مستهجن ومرفوض مهنيا.

٧- صك مصطلحات إعلامية خاصة تبدو غير مألوفة لِمستمعي الإذاعات والنشرات الإخبارية على وجه الخصوص وترويجها على نطاق واسع، مثل عبارات : «صال صباح اليوم ... « بدلا من «شن هجوما» أو «هاجم ..» ومصطلح مثل «الفرازة» ويقصد به سلاح «القناصة» أو مصطلح «عملية انغماسية» ويقصد به «الانغماس» في صفوف الأعداء لتفجير النفس فيهم أو إحداث أضرار بالغة بهم.

ويرى الباحث أن الهدف من مثل هذه المصطلحات هو فرض ثقافة وأدبيات التنظيم وإيهام المستمع أن المعركة دينية عقائدية حيث إن معظم هذه الألفاظ وغيرها تتم استعارتها من النصوص الدينية ومن التراث الإسلامي.

٨- لاحظ الباحث خلال دراسة العينة عدم الالتزام بتسلسل جغرافي أثناء بث أخبار الولايات المختلفة الخاضعة للتنظيم أو التي يحاول السيطرة عليها، فمن المتعارف عليه في نشرات الأخبار أن يكون هناك ترتيب نوعي أو جغرافي في قراءة أخبار النشرة كأن يتم عرض الأخبار المتعلقة بحدث واحد ثم الانتقال لأخبار متعلقة بحدث آخر أو أن يتم عرض أخبار المدن والولايات المتقاربة جغرافية ثم الانتقال إلى بقعة جغرافية أخرى أو البدء بعرض أخبار العاصمة والمدن ذات الأهمية السياسية والاقتصادية ثم الانتقال إلى المدن والأقاليم الأقل أهمية وهكذا.

ثم تطرق الباحث إلى نماذج أخرى تناولها بالبحث والتحليل ومنها مثلا الخطاب الإعلامي للمتحدث باسم التنظيم «أبو محمد العدناني»

والذي رأى الباحث أن خطابه الإعلامي في مجمله يتمحور حول النقاط التالية:

١- تبني الخطاب الديني «التقليدي» بما يؤكد أصالة الفكرة الإسلامية لدى التنظيم «من وجهة نظرهم بالطبع».

٢- تذكير أفراد التنظيم بالقيم الإسلامية المتعلقة بإخلاص النية لله تعالى والسمع والطاعة للقيادة وغيرها من الأمور التنظيمية التي لا يجد التنظيم حرجا أمنيا أو فكريا في بثها إعلاميا.

٣- الرد على خصوم التنظيم وتفنيد آرائهم.

٤- الدعاية لأمير التنظيم «أبي بكر البغدادي» وللتنظيم وأفكاره ولـ «الدولة الإسلامية» والعمل على استقطاب أفراد جدد لا سيما ممن ينتمون لتيارات وحركات إسلامية أخرى.

واستدل الباحث على ما ذهب إليه بإيراد عدد من رسائله ومنها رسالته «ويحيى من حيّ عن بينة» ورسالة « السلمية دين من؟!» ورسالته لـ «جنود الدولة» ورسالته «رد العدناني على أحد العلماء».

ولم يفت الباحث أن يتناول خطبة قائد التنظيم «أبو بكر البغدادي» يوم الجمعة في الجامع الكبير بالموصل خلال شهر رمضان الموافق ٣١ يوليو عام ٢٠١٤ حيث أشار إلى عدة ملاحظات منها:

١- أنها خطبة قصيرة زمنيا فلم يشأ أن يطيل على المصلين ولا المستمعين، وربما أراد أن يغير الصورة السلبية التي يأخذها كثير من المصلين عن خطباء الجماعات الإسلامية الذين يطيلون في خطبهم ويرهقون المصلين.

٢- استخدم أسلوبا دينيا بسيطا إلى حد كبير يمكن أن يستوعبه عموم المصلين.

٣- يمكن تقسم الخطبة التي لم تزد عن ١٣ دقيقة و٥ ثوان إلى ثلاثة أجزاء على النحو التالي:

الجزء الأول: وهو حديث ديني عن فضائل شهر رمضان يحث خلاله المصلين وعموم المسلمين على الإكثار من عمل الصالحات خلال الشهر الفضيل. وقد استغرق هذا الجزء من الخطبة ٤ دقائق و٣٠ ثانية.

الجزء الثاني: وقد تحدث عن فريضة الجهاد - بصفة عامة- لإقامة الدين وتطبيق شرع الله وقال: «قوام الدين كتاب يهدي وسيف ينصر» وقد لا

يختلف على هذا الحديث – على الأقل من الناحية النظرية – الكثير من علماء الإسلام والمتدينين من عموم المسلمين. وقد استغرق هذا الجزء من الخطبة دقيقة و٢٢ ثانية.

أما **الجزء الثالث**: فقد خصصه للحديث بشكل مباشر عن «الدولة الإسلامية» متحدثا باعتباره خليفة المسلمين وأميرهم داعيا الناس للانضواء تحت لواء «دولة الإسلام» التي أقامها «إخوانهم» وأشار إلى وجوب إقامة «الخلافة الإسلامية» دون أن يرهق المستمع أيضا – ولا أن يرهق نفسه – بالإتيان بأدلة شرعية عن وجوب إقامة الخلافة أو ما يدلل به على أن دولة «تنظيم الدولة» هذه هي الدولة الإسلامية التي يريدها الله ورسوله.

وقد استوقف الباحث تعبير «البغدادي» عن تقصير المسلمين في إقامة الخلافة وتنصيب إمام حيث قال في خطبته: «وهذا واجب على المسلمين. واجب قد ضيع لقرون وغيب عن واقع الأرض»، الأمر الذي يعني عدم اعتبار البغدادي الدولة العثمانية دولة «خلافة إسلامية» حيث أن سقوط الدولة العثمانية وقع في عام ١٩٢٤م، أي خلال أقل من قرن من الزمان مضيفا: «ولا ندري هل تكون هذه أيضا نظرته للخلافة العباسية وكذلك الأموية؟».

٤- لم يقدم أي وعود لـ «مواطني دولته» بل على العكس ذكرها صراحة «لا أعدكم بما يعد به الحكام والملوك من رفاهية.. إنما أعدكم بما وعد الله تعالى به عباده المؤمنين»، ودعاهم للجهاد في سبيل الله.

ثم تطرق الباحث إلى تحليل مقطعين مصورين من عمليات تنظيم «داعش» أثارا ضجة كبيرة وجدلا واسعا، وهما فيديو حرق الطيار الأردني معاذ الكساسبة وفيديو ذبح ٢١ قبطيا مصريا في ليبيا.

وحول فيلم الكساسبة قال الباحث إن الجهاز الإعلامي لتنظيم الدولة حشد جميع إمكانياته لتحقيق رسالته الإعلامية على مستويات مختلفة وهو ما يمكن ملاحظته في النقاط التالية:

١- بداية من اسم الفيلم «شفاء الصدور» الذي تمت استعارته من النص القرآني «قاتلوهم يعذبهم اللهُ بأيديكم ويخزهم وينصرْكم عليهم ويَشفِ صدورَ قومٍ مؤمنين» مع تلاوة قرآنية بصوت القارئ الشيخ محمود خليل الحصري، وهو من القراء الذين يتمتعون بشعبية واسعة في العالم الإسلامي.

٢- حاول الفيلم أن يقدم كل المبررات التي تسوغ عملية قتل «الكساسبة» بهذه الطريقة البشعة بهدف إرهاب الآخرين واستقطاب أنصار وأتباع جدد.

٣- يبدأ الفيلم بما يسمى في الدراما بـ «آفان تتر» حيث يتم بث عدة لقطات سريعة لعمليات إطلاق نار كثيفة ومتلاحقة واشتعال نيران لا يستطيع المشاهد التفرقة بين ما هو حقيقي وما هو من إنتاج برامج الـ «جرافيك».

٤- يستخدم الفيلم ما يعرف في بناء السيناريو بـ «فلاش باك» مرتين وذلك لإطلاع المشاهد على أحداث تبدو غير حاضرة في أذهان الكثيرين، وهذا التنويع في بناء السيناريو يعطي الفيلم قدرا من الحيوية والتشويق.

المرة الأولى التي استخدم فيها صناع الفيلم «فلاش باك» عندما يعود للماضي بلقطات من عملية أسر الكساسبة بعد سقوط طائرته ويظهر في الصورة مقبوضا عليه من قبل عسكريين يعتقد أنهم تابعون لتنظيم الدولة.

أما المرة الثانية جاءت بالعودة إلى لقطات بثها الفيلم يقول صناعه إنها لآثار الدمار الذي ألحقته غارات الكساسبة ورفاقه على المدن السكنية حيث يظهر في الصور مصابون وقتلى من رجال ونساء وأطفال وبعض الأبنية المهدمة إلا أن اللقطات لم تظهر أيا من الخسائر التي لحقت بتنظيم الدولة الإسلامية.

ويلفت الباحث إلى أن صناع الفيلم حرصوا

على أن ينقلوا خلاله لقاءً مع الكساسبة يدلي خلاله باعترافات، مضيفا أنه لا شك أنه مجبر على الإدلاء بها – فتبدو أن المعلومات التي يقدمها الفيلم يتم توثيقها باعترافات الكساسبة نفسه وهنا يظهر دور فن الجرافيك حيث تظهر على الشاشة الإحصاءات والأرقام وخرائط جرافيك للأماكن التي قصفها طيران قوات التحالف أو التي يخطط لقصفها خلال الأيام القادمة.

ويرى الباحث أن مثل هذه الرسومات الجرافيكية تحقق هدفين مهمين:

الأول: إثراء الشاشة وجعل المشاهد أكثر ارتباطا بها حيث تظهر معلومات تبدو أنها مهمة.

الآخر: يعطي إيحاء للمشاهد أن خطط قوات التحالف سقطت جميعها في أيدي تنظيم الدولة الأمر الذي يكسب التنظيم مزيدا من الإعجاب من قبل المشاهد.

ثم يحلل الباحث الجزء الخاص بالإعدام في الفيلم حيث يرى أن ساحة الإعدام تم اختيارها بعناية فائقة فتم التصوير في ساحة واسعة، في جنباتها مباني مهدمة يعتقد أنها من جراء عمليات عسكرية سابقة قامت بها قوات التحالف ضد «الدولة الإسلامية»، في حين يبدو من حركة الجنود والكساسبة أن هناك سيناريو احترافيا محبكا تمت كتابته بمهارة وتم توزيع وتحديد أدوار من سيظهرون في الفيلم بمن في ذلك الكساسبة نفسه حيث نراه يدخل إلى ساحة تنفيذ حكم الإعدام مرتديا زي الإعدام فيسير بضع خطوات يتلفت حوله وينظر إلى المباني المهدمة وتبدو على وجهه علامات الندم والحسرة، الأمر الذي يؤكد أن هناك سيناريو مسبقا تمت كتابته وأن هناك عملية تصوير تتم بأكثر من كاميرا أو وقف التصوير وإعادة التصوير مرة أخرى. CUT ومن أكثر من زاوية تصوير.

ويوضح الباحث أنه يظهر في الخلفية جنود التنظيم بأجسام فتية وثياب عسكرية مهندمة بعدها يظهر الكساسبة داخل قفص حديدي ثم يظهر أحد القادة الملثمين والذي يعرفه الفيلم بأنه أمير إحدى المناطق التي قصفتها طائرات التحالف، ثم وقبل تنفيذ عملية الإعدام يعرض الفيلم لقطات جرافيك سريعة ومتلاحقة تتحول إلى نيران تملأ الشاشة، الأمر الذي يحدث قدرا من الإثارة، ثم يمسك هذا القائد الملثم شعلة من النار في مواجهة القفص الحديدي وبداخله الكساسبة ثم يشعل النيران في حبل مشبع بمادة تساعد على الاشتعال موصول هذا الحبل بالقفص الحديدي ليتم استعراض حركة النيران المشتعلة في الحبل من أكثر من زاوية، الأمر الذي يكشف عن وجود عملية CUT أو توقف التصوير أكثر من مرة وإعادة التصوير من زوايا مختلفة.

ثم يستعرض الباحث بقية تفاصيل تنفيذ العملية حيث تصل النيران إلى القفص الحديدي

وتشتعل في الكساسبة مشيرا إلى أن صناع الفيلم يدركون أن مشاهد إحراق إنسان حي قد تثير تعاطف الكثيرين لذلك يسارعون بكتابة فتوى للإمام ابن تيمية - تم التلاعب بها- تظهر على الشاشة أثناء مشاهد الحرق، ويرى الباحث أن لكتابة هذه الفتوى أثناء هذه اللقطات عدة أهداف من بينها:

١- محاولة التأصيل الديني للجريمة التي يراها المشاهد فيحولون «الجريمة البشعة» إلى «قصاص عادل مبرر بالدليل الشرعي.

٢- شغل ذهن المشاهد الذي لا يطيق رؤية «المشهد البشع» بقراءة الفتوى والتفكير فيها وفي صاحبها.

٣- شغل ذهن المتلقي بمناقشة هل قَتل الكساسبة بهذه الطريقة حلال أم حرام؟ ولم يتحدث عن عملية القتل نفسها أي أنه تجاوز فكرة «حرمة دم الكساسبة».

ثم ينتقل الباحث إلى تحليل نهاية الفيلم

فيشير إلى أن اختتام الفيلم يتم بنشر قائمة عريضة بأسماء طيارين آخرين على قوائم المطلوبين من قبل تنظيم الدولة مع الإعلان عن مكافأة بقيمة مائة

دينار ذهبي لمن يقتل طيارا «صليبيا» وهو ما يعد إرهابا للقوات المشاركة في التحالف الدولي ليس لهم وحدهم بل ولأسرهم وذويهم.

ولاحظ الباحث أن الفيلم عرض ثلاث شخصيات درامية وهي: شخصية الضحية ممثلة في عموم المسلمين الذين قصفتهم قوات التحالف، وشخصية الجاني ممثلة في الكساسبة وقوات التحالف، وشخصية البطل المخلص أو المنقذ وهو تنظيم الدولة ورجاله، غير أن الفيلم لم يستعرض أيّا من خسائر تنظيم الدولة من جراء الطلعات الجوية لقوات التحالف وذلك لأن إعلام تنظيم الدولة لا يظهر التنظيم إلا في صورة البطل المخلص للأمة المستضعفة.

ويرى الباحث أنه تم توظيف عنصر الأزياء بطريقة تخدم أهداف الفيلم فالكساسبة لم يظهر في الفيلم إلا بزي الإعدام باستثناء لقطات أرشيفية أثناء أسره، الأمر الذي يريد من خلاله صناع الفيلم إلقاء الرعب في نفوس أعدائهم فأي جندي أو ضابط يقع في أيدي التنظيم فهو في حكم الميت، في المقابل نجد حرصا من إظهار جنود الدولة بزي مهندم لا تظهر عليه آثار قصف أو آثار معارك أو حتى آثار المبيت في العراء والهدف من ذلك هو الحفاظ على الصورة الذهنية للبطل.

ولاحظ الباحث أن من المفارقات العجيبة الجديرة بالتوقف عندها توظيف الكساسبة بشكل احترافي في إنتاج الفيلم في حركاته ونظراته مضيفا أنه قد يتساءل البعض: ما الذي دفع الكساسبة بالإذعان للتنظيم والموافقة على تنفيذ السيناريو المكتوب لا سيما وأنه مقتول لا محالة؟

ويرجح الباحث أن يكون الكساسبة قد تعرض لعملية خداع من قبل عناصر التنظيم حيث أقنعوه بالتعاون معهم في إنتاج الفيلم وتم إيهامه بأن الفيلم مجرد عملية إرهاب وتخويف للسلطات الأردنية ولقوات التحالف ولن يتم حرقه، فتعاون معهم في الإدلاء بالاعترافات التي أرادوها وفي مناشدته زملاءه الطيارين وأهاليهم بعدم المشاركة في هذه الحرب، وتعاونه في حركته أمام الكاميرا من أكثر من زاوية، مع إعادة المشهد أكثر من مرة، وفي النهاية تمت عملية الحرق.

ويخلص الباحث من تحليل الفيلم إلى أنه أحدث صدمة ورعبا كبيرين لدى الكثيرين وأنه تتجلى به بوضوح إمكانيات وقدرات التنظيم من الناحية الفنية والإعلامية بهدف إحداث حالة من الرعب، وهذا هو جوهر الخطاب الإعلامي للتنظيم.

وكانت هذه النتيجة هي نفس ما توصل له الباحث بعد تحليل تفصيلي لفيلم التنظيم الخاص بعملية ذبح الواحد والعشرين مصريا على البحر الأبيض المتوسط على أحد الشواطئ الليبية.

وفي ختام الدراسة خلص الباحث إلى عدة نقاط اعتبرها «دلالات الخطاب الإعلامي لتنظيم الدولة» ولخصها في الآتي:

١- استغلال حالة الضعف التي تعاني منها كثير من الأقطار العربية والإسلامية وتقديم الأمة الإسلامية في صورة الضحية.

٢- تقديم أعداء التنظيم في صورة الجاني سواء كان هذا العدو هو «الصليبي الكافر» أو الأنظمة «العميلة المرتدة» أو عموم «المرتدين» من المسلمين أو من الذين كانوا مسلمين.

٣- تقديم أفراد وقيادات تنظيم الدولة في صورة البطل المنقذ الذي يخلص الأمة من العدو المعتدي.

٤- رفض فكرة السلمية في التعامل مع «الأعداء» والحرص على بث الرعب في نفوسهم وتصوير من يقع في أيديهم بشكل مهين.

٥- التقليل من شأن الأعداء وتصويرهم في أسوأ صورة للتأكيد على أنهم «غير معصومي الدم» ويستحقون ما ينزل بهم من عقاب جزاء ما يقترفون بحق المسلمين.

٦- الحرص على إبراز أصالة الفكرة الإسلامية لدى التنظيم من خلال الإكثار من

الاستشهاد بالنصوص الدينية، سواء القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، وأحيانا بأقوال العلماء السابقين بهدف التأثير على المتلقي لاسيما لو كان هذا المتلقي ممن يتمتعون بقدر من الثقافة الدينية.

٧- مخاطبة أفراد التنظيم والمتعاطفين معه خطابا عاطفيا يحاول توظيف الدين لخدمة التنظيم وأهدافه.

٨- الحرص على أن تكون جميع أخبار التنظيم إيجابية وعدم نشر أي خبر سلبي.

٩- التنويع في الخطاب الإعلامي بما يتناسب مع طبيعة الموضوع وثقافة المتلقي، الأمر الذي يضطر الآلة الإعلامية للتنظيم إلى أن تتبنى خطابا تقليديا في بعض الأحيان.

١٠- استغلال جميع الإمكانيات والتقنيات الحديثة في خلق صورة مبهرة للمشاهد تجعله أكثر إعجابا وانبهارا بالتنظيم ورجاله.

١١- فرض وتمرير مصطلحات تعبر عن الفكر الأيدلوجي للتنظيم والإلحاح في استخدامها.

وإزاء هذه الحالة الإعلامية لتنظيم داعش والتي استطاعت أن تساهم في تعقيد المشهد السياسي في المنطقة برمتها فإن الباحث وضع عددا من التوصيات لطريقة التعامل مع هذا الخطاب، ومن هذه التوصيات:

١- عدم حجب المواد الإعلامية التي ينتجها التنظيم لأن الحجب قد يأتي بنتائج عكسية تدفع الشباب للبحث عن التنظيم ومنتجاته الإعلامية في وقت بات من المتعذر فيه حجب المعلومة عن المتلقي.

٢- التوصية بضرورة تغطية أو حذف المقاطع البشعة مراعاة لقيم حقوق الإنسان وقبلها القيم الدينية.

٣- كما يوصي البحث ببث مواد توعوية في ذات الوقت لتوعية الشباب تشرح لهم صحيح الدين وفق رؤية واضحة لا تعمد إلى مجرد الرد على فيديو أو رسالة للتنظيم ولكن تكون هناك منهجية واضحة مستمدة من صحيح الدين.

٤- ضرورة العمل على مواجهة فكر تنظيم الدولة بكافة الوسائل بما في ذلك الوسائل التقليدية.

٥- نحتاج إلى مواجهة هذا الفكر بطرق غير تقليدية وغير مباشرة لمخاطبة شرائح أخرى من الشباب من خلال إنتاج درامي – مثلا- يسعى للتأثير في الشباب بطرق هادئة تؤتي ثمارها على المدى البعيد.

٦- يوصي البحث بعقد جلسات ولقاءات موسعة لشباب نشطاء على شبكات التواصل الاجتماعي من مختلف دول العالم الإسلامي ويتم خلال هذه اللقاءات طرح قضية للنقاش من القضايا التي يتبناها التنظيم ويفكر الشباب أنفسهم في القضية ويضعون حلولا عملية ينهضون هم وزملاؤهم بإنجازها.

٧- من الأهمية بمكان أن نحدد موقفنا من بعض علماء السلف ولا نترك تراثهم نهبا للجماعات المتطرفة وأخص بالذكر هنا الإمام ابن تيمية - رحمه الله - فمن الأهمية بمكان أن نعيد قراءة تراثه وشرحه للشباب وتوضيح أن ما تستند إليه بعض التنظيمات المتطرفة من آراء منسوبة لابن تيمية يتم تحريفها وانتزاعها من سياقها التاريخي والاجتماعي والسياسي الذي صدرت فيه.

٨- إتاحة مساحات أكبر أمام الشباب في عالمنا العربي للتعبير عن قضاياه السياسية والاجتماعية والقضايا العامة، بل وإشراك الشباب في دوائر صنع القرار، فالملاحظ أن التنظيم استغل ما يمكن أن نسميه «انتكاسة ثورات الربيع العربي» ليقول للشباب إن الحل ليس في «الديمقراطية» و«الحريات الزائفة»؛ إنما الحل في التنظيم من خلال المواجهة المسلحة، وإزالة «الطواغيت».

٩- نحتاج المزيد من الدراسات والأبحاث التي تغوص في أعماق هذا التنظيم وتكشف نقاط قواه ونقاط ضعفه وكيفية مواجهته على مستويات مختلفة ولا نكتفي بتبني خطاب إعلامي مفاده أن

هؤلاء أشرار إرهابيون، لا تسمعوا لهم وفقط، بل يجب أن نكشف زيف وخلل وضلال هذه التنظيمات بدراسات علمية مقنعة.

مستقبل الإسلام في مدغشقر
بين جهود المسلمين ومطامع إيران

محمد خليفة صديق(*) - خاص بالراصد

مقدمة:

جزيرة مدغشقر أو ملقاسي أو ملاجاش هي جزيرة في المحيط الهندي في جنوب شرقي قارة أفريقيا، ولا يفصلها عن اليابسة الإفريقية سوى ٤٠٠ كلم، وموقعها الجزري وسط المحيط الهندي عدّل من أحوالها المناخية، وهي خامس أكبر جزيرة في العالم من حيث المساحة، وتبلغ مساحتها ٦٠٠ ألف كلم مربع، ويسكنها ما يقارب من ١٢ مليون نسمة، وهي مستعمرة برتغالية وفرنسية سابقة.

دخلت مدغشقر تحت الحماية الفرنسية في عام ١٨٨٥م وأصبحت مستعمرة فرنسية في عام ١٨٩٦م وظلت كذلك حتى نالت استقلالها في ٢٦ يونيو ١٩٦٠م وأصبحت عضواً في هيئة الأمم المتحدة وفي الكومنولث الفرنسي. يشتغل ٩٠٪ من أهالي مدغشقر في الزراعة، ومن أهم حاصلاتها الزراعية (الفانيليا) إذ تنتج منها نصف إنتاج العالم، بجانب الأرز والذرة والحبوب والقهوة والتبغ وقصب السكر والكاكاو، وأهم المعادن فيها الأحجار الكريمة واليورانيوم والفوسفات والذهب، وهي غنية بثروتها من الماشية ففيها حوالي ١٠ ملايين رأس من الماشية.

أطلق على جزيرة مدغشقر اسم ملاجاش غداة استقلالها، وملاجاش اسم لأكبر القبائل بالجزيرة، وكانت البرتغال قد حاولت احتلالها في سنة ٩١٣هـ، ولكن مقاومة المسلمين للبرتغاليين حالت دون دخولهم الجزيرة، ولكنهم عاودوا الكرّة مرة أخرى في السنة التالية، ودمروا معظم مدن الجزيرة، وسيطروا عليها، وتعاقب عليها الاحتلال، فحاولت بريطانيا احتلالها في مستهل القرن التاسع عشر، وضمها إلى جزر موريشيوس، ولكن تغلبت فرنسا في السباق، واحتلت مدغشقر في سنة ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م، وظل الاحتلال الفرنسي بها حتى نالت استقلالها في (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م).

رغم الوجود الإسلامي في مدغشقر، لكن لا توجد إحصائيات موثوقة تحدد النسبة الحقيقية للمسلمين فيها، ويقدر البعض نسبة المسلمين حاليا بحوالي ربع سكان ملاجاش، وإن كانت بعض المصادر الإسلامية تقدرهم بـ ١٥٪، أي يزيدون على المليون نسمة، ونسبة المسيحيين ٢٥٪، بينما عدد الوثنيين وأصحاب الديانات التقليدية حوالي نصف سكان الجزيرة، وهناك من يقول إن نسبة المسلمين إلى نسبة عدد السكان تبلغ ١٠٪، وقد تختلف النسبة من ولاية إلى أخرى ولكن المتوسط هو ١٠٪. ولكن الإحصائيات الكنسية تذكر أن نسبة المسلمين هي ٢ ٪.

سكان مدغشقر:

سكان مدغشقر بوجه عام هم خليط آسيوي أفريقي، فالعناصر الآسيوية قدمت من الملايو، وإندونيسيا والعناصر الزنجية الأفريقية من زنوج البانتو، وقد اختلطوا بالعرب في جزر القمر، وعرفوا بالسلالة القمرية، ومنهم قبيلة هوفا، وإلى جانب العناصر السابقة كان هناك هجرات عربية ممثلة في قبيلة الأنتيمور، وتعيش الجماعات الأفريقية على السواحل، بينما العناصر الآسيوية في الوسط والجنوب.

وتنتشر بعض مظاهر وعادات الإسلام بين قبائل الساكافا أو الصقلابة كما سماها العرب، وهؤلاء يصلون الجمعة في المسجد والأحد في الكنيسة ويوم الاثنين يعبدون الأشجار!

وهناك قبائل الفلانة، والأنتيمور في جنوب

(*) كاتب سوداني.

شرقي الجزيرة، وهذه الجماعات من أصول عربية، ولا يزال أفراد من قبيلة الهوفا على الإسلام، وكان من هذه القبيلة ملوك مدغشقر، وتعيش هذه الجماعات قرب مدينة ماجونجا، ولقد دخلت ألفاظ عربية كثيرة في لغات مدغشقر، نتيجة الصلات العربية القديمة بهذه الجزيرة، وفي قرية بقرب مدينة (ماجونغا) أكبر مدن المسلمين في مدغشقر، أقام السكان «كعبة» يحجّون إليها مرة كل سنة، ويشترطون لمن يريد الحج أن يلبس ملابس غير مخيطة، ويحرصون في حجهم هذا على الإكثار من الدعاء وذبح ذبيحتهم، وهناك جزيرة «إبراهيم» العربية المسلمة التي أجبر البرتغاليون أهلها على تغيير اسمها إلى جزيرة (القديسة ماري).

المسلمون في مدغشقر:

عند الحديث عن تاريخ دخول الإسلام لمدغشقر تختلف الأقوال؛ فهناك من يرى أنه قديم جدا، وقد أقر المفكر جورج أمبروف في كتابه «التابو» حول مدغشقر، بأن التأثير العربي والإسلامي في مدغشقر أقدمُ بمئات السنين من التأثير المسيحي، ولكن يمكن القول إن البدايةَ الفعليةَ لوصول المسلمين والعرب إلى مدغشقر، كانت في القرن الـ ١٣ الميلادي، عندما بدأ المسلمون بزيارة تلك المناطق لغرض التبادل التجاري، وقد اشترك البحّارة المسلمون من الخليج العربي ومن حضرموت في الهجرات وفي التجارة، وعاشوا أولاً في مستعمرات محددة شمال غرب وشمال شرق مدغشقر، كما أقام المسلمون علاقاتٍ بين المناطق الصحراوية في العالم العربي، ومن بينها سيناء وشبه الجزيرة العربية من جهة، والموانئ الملاجاشية وموانئ جزر القمر من جهة أخرى، وقد لعبت جزر القمر دورًا كبيرًا في المساعدة على تلك الهجرات.

في سنة ١٨٢٠م وصل إلى مدغشقر عدد من الإرساليات التبشيرية من لندن وراهبات مار يوسف وراهبات التبشير بالإنجيل ومبشرو البروتستانت الفرنسيون وغيرهم، وبالرغم من هذه الحملات النصرانية التبشيرية فلم يدخل في الدين المسيحي إلا مليون ونصف مليون من أصل السكان البالغ عددهم آنذاك سبعة ملايين، كما وفد مسلمون من الهند الصينية كجنود للمستعمرين الفرنسيين، وكذلك العرب المسلمون الذين وفدوا من اليمن ومن جزر القمر كان لهم الفضل في انتعاش الروح الإسلامية من جديد في مدغشقر ولا سيما في الجهات الشرقية والشمالية منها.

زاد ازدهار الدعوة الإسلامية بجزيرة مدغشقر عندما انتشر نفوذ مملكة آل بوسعيد العمانية في شرقي إفريقيا، وتزوج السلطان سعيد من ملكة جزيرة مدغشقر، وبسط نفوذه على الجزيرة، كما أسهم سكان جزر القمر في نشر الإسلام في مدغشقر، فهاجر إلى الجزر العديد من القمريين، وهكذا انتقلت الدعوة الإسلامية إلى مرحلة من الازدهار والتوسع، غير أن تشجيع البرتغاليين للبعثات التنصيرية، وقتالهم لأهل الجزيرة، وقربها من مستعمرتهم السابقة «موزمبيق» عرقلا انتشار الدعوة الإسلامية، وساهما في ضرب سياج من العزلة على هؤلاء المسلمين عن العالم الإسلامي.

وعندما ظهرت فرنسا كمنافس لاستعمار الجزيرة، برزت بريطانيا كمنافس آخر، غير أن ملكة الجزيرة (رانا فالونا) اتبعت سياسة عدائية نحو المنافسة الاستعمارية، واستطاعت فرنسا أن تحتل الجزيرة بعد وفاتها في سنة ١٢٦٥هـ - ١٨٦٨م، ثم أعلنت فرنسا استعمارها لمدغشقر في عام ١٨٦٩م، وشجّعت البعثات التنصيرية الكاثوليكية، وفرضت العزلة على المسلمين، وقد كان للمسلمين - البالغة نسبتهم ما يقرب من ٢٥٪ من إجمالي السكان- دورٌ كبير في الجهاد ضدّ الفرنسيين، فقاموا بعِدّة ثورات ضدّ الفرنسيين كان آخرها عام ١٩٤٨م.

نتج عن سياسة العزل والحصار على مدغشقر انقطاع الاتصال بين مسلمي مدغشقر وإخوانهم، ونتج عن هذا الانقطاع بعدهم عن جذورهم، ومن ثم ضعفت اللغة العربية، وكانت لغة ملوك مدغشقر، كما كانت بعض لغاتهم المحلية تكتب بالحرف

العربي، كما ضعفت المعرفة بالإسلام نتيجة انعدام الدعاة ورجال الدين المثقفين، وساد التصوف ودخلت شوائب محلية وثنية وغيرها على الإسلام.

حاليا تنتشر المساجد في ربوع ومدن جزيرة مدغشقر، فيوجد بمدينة تاناناريف، عاصمة البلاد، مركز تابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ويوجد عدد آخر من المساجد في ميناء تاماناف، وفي مدينة ماجونجا جالية عربية كبيرة، وبها ثلاثون مسجداً، وبها مجلس أعلى للشئون الإسلامية، ومن المدن الإسلامية ديجو، ومامنتيرانو، والمسلمون ومدغشقر في حاجة إلى تصحيح العقيدة في نفوسهم، بعد هذا الانقطاع الطويل عن العالم الإسلامي. والهيئات الإسلامية حاليًا تتمثل في هيئات إسلامية، جمعيتان منها بالعاصمة، وهناك جمعيتان في مدينة ماجينقابال، وواحدة في ماجينقا.

قبائل الأنتيمور في مدغشقر:

تنحدر قبائل الأنتيمور التي تسكن في جنوب شرقي الجزيرة من أصول عربية حجازية، ولكن لم يبقَ لها من الإسلام إلا بقايا قليلة بعد أن تحول بعضها إلى الوثنية وخليط من الديانات التقليدية الأفريقية، وتشير بعض الدراسات العلمية إلى أن أجداد قبائل الأنتيمور هاجروا من الحجاز قبل حوالي ٨٠٠ سنة، ويلاحظ وجود كلمات ذات أصول عربية إسلامية في لغتهم، فمثلا أسماء أيام الاسبوع عند قبائل الأنتيمور قريبة من أسماء أيام الأسبوع العربية فعندهم: (سابوتسي) يعني السبت، و(أهادى) يعني الأحد، و(اسنين) يعني الاثنين، و(تلاتا) يعني الثلاثاء، و(أربعا) ويعني الأربعاء، و(كميس) ويعني الخميس، و(زومعه) ويعني الجمعة، وأما أسماء الأشهر فهي أسماء البروج العربية مع بعض التحريف مثل: شهر (الحوتسي) أي الحوت، وشهر(الأذراء) أي العذراء، وشهر (الديزان) أي الميزان، وشهر(الأكربو) أي العقرب، وعندهم مئات وربما آلاف الكلمات العربية، كما أنهم يحرّمون أكل لحم الخنزير وتربيته ولا يأكلون إلا ما ذبحوه بالطريقة الشرعية المعروفة، وقد زارهم وفد يهودي من معهد في باريس لأنهم سمعوا أنهم لا يأكلون الخنزير ليتأكدوا فيما إذا كانوا يهوداً أم لا، وقد استطاعت الكنيسة عبر عشرات المدارس التي أقامتها من تنصير فئة من المثقفين المتعلمين من الأنتيمور، وهناك الكثير جدا من بقايا الإسلام في تقاليد وطقوس الأنتيمور.

يقول الشيخ عبد الرحمن السميط رحمه الله: «منذ سنوات، قادني حب الاستطلاع لزيارة قرية نائية في جنوب شرق مدغشقر اسمها (مكة)، ثم بدأتُ بحثاً علمياً موسعاً عن قبيلة الأنتيمور ذات الأصول العربية الحجازية وهي نموذج من العرب والمسلمين الضائعين في أفريقيا .. مثلهم قبيلة الغبرا في شمال كينيا والبورانا في جنوب إثيوبيا وبعض السكلافا في غرب مدغشقر والفارمبا في جنوب زيمبابوي وملايين غيرهم».

ويمضي السميط قائلا:» وشعوراً مني بعظم المسئولية تجاه الله سبحانه وتعالى فقد قررت أن أقضي أغلب وقتي .. وأنذر ما تبقى من حياتي لصالح قبيلة الأنتيمور .. وأعلم أن الطريق ليس سهلاً .. ولكني أعلم كذلك أن الحساب قد يكون عسيراً لو أنني جلست مع أهلي وأولادي ونسيت إخواني في العقيدة هنا .. ومعذرة إلى الله فقد تأخرت كثيراً .. وها أنا قد استقريت بينهم .. وبنيت بيتي هنا .. لكي أخدم الدعوة في هذه الأصقاع .. وأحمده عز وجل بأن وفقني لعمل أمور كثيرة في خدمة هذه القبيلة من بناء مساجد وكفالة أيتام ودعوة وتعليم وصحة وحفر آبار .. بما فيها إنشاء مقبرة للمسلمين حيث لا توجد واحدة هنا .. فلربما احتجت إليها يوما ما .. !

يقول أهالي قرية «مكة» عن سر هذا الاسم إنه اسم المنطقة التي هاجر أجدادهم منها، لكنهم لا يعرفون أين هي مكة .. مجرد أنها في الشمال .. كما أنهم لم يسمعوا بالسعودية ولا ببلاد العرب، ويقولون عن دينهم إنهم مسلمون بروتستانت، وقالوا إن أجدادهم أخبروهم أنهم مسلمون لكنهم لا

يعرفون الصلاة، ولا الصوم، وأن المنصّرين البروتستانت جاءوا وأخبروهم أن الإسلام والبروتستانتية شيء واحد، وأنهم علّموهم الصلاة وبنوا لهم كنيسة وأعطوهم الإنجيل.

يعتقد أفراد قبائل الأنتيمور أن جدهم الأكبر جاء من بلدة في الشمال اسمها (جدة)، وأن بقربها قرية اسمها (مكة) فيها رجل صالح يحبه أجدادهم اسمه (محمد) ﷺ، وأن جدهم الأكبر اسمه (زاعليو مكرار) أي: صاحب الفخامة علي الكرار، وأن والد «علي الكرار» اسمه محمد، ويقولون إن من أجدادهم (رابكاري) أي صاحب الفخامة أبو بكر، ومنهم (راماري) أي صاحب الفخامة عمر، ومنهم (راوسماني) أي صاحب الفخامة عثمان، وأمهم «رامينا» أي صاحبة الفخامة أمينة، وكتابهم المقدس يسمونه (السورابي) أي الكتاب الكبير، ويكتبونه بالحرف العربي القرآني، وفيه شيء من القرآن ولكن أخطاؤه كثيرة، وفيه كذلك من تاريخ الأنتيمور وأذكار متنوعة وشيء من الشعوذة والسحر، ويقع الكتاب في أكثر من عشرين جزءاً، ويكتبونه على ورق يصنعونه بأيديهم من أوراق أشجار معينة يطبخونها حتى تصبح عجينة، ثم يفرشونها ويتركونها تنشف ولا يرضون كتابة كتابهم المقدس على ورق عادي مستورد.

المطامع الإيرانية في مدغشقر:

جمعت إيران في ١٢ مايو ٢٠١٦ طلابًا من ٣٠ دولة أفريقية في مؤتمر تحت شعار «الأطروحة المهدَوية وواقع أتباع أهل البيت عليهم السلام في أفريقيا»؛ وهو ما يؤكد الإستراتيجية الجديدة لطهران تجاه أفريقيا والتي تعتمد على بناء النفوذ المدني والسياسي قبل تحويل ذلك النفوذ لقوة عسكرية تدور في فلك المصالح العليا الإيرانية. وبالرجوع للمؤتمر وأهدافه، نجد أن الجهات الرسمية الإيرانية تعتبره أكبر مشروع قومي لنشر التشيع والتعريف بمهدي الرافضة ورسالته في ثلاثين دولة أفريقية.

يعرف المتخصصون في الشأن الأفريقي أن الجانب الديني الطائفي يلعب دورًا كبيرًا في الإستراتيجية الإيرانية طويلة الأمد في أفريقيا، التي انطلقت بداية ثمانينيات القرن العشرين. ففي ظل الصراعات الدولية على خيرات القارة السمراء عملت طهران على بناء نفوذ تتفرد به عن تلك القوى المتنازعة، خاصة بدول غرب أفريقيا. ووفقًا لعدد من الباحثين في الشأن الأفريقي فإن إيران استطاعت تحقيق إنجازات نوعية في هذا المجال، وأخذت توسّع من نشاطها ومصالحها عبر بناء نظام مؤسسي شيعي أفريقي تابع للمرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية.

وهذا النشاط الإيراني المحموم، سيما في غرب وشرق إفريقيا، يأتي تتويجًا لجهود شبكة منظمة من القادة والدعاة الشيعة الموالين لإيران والعاملين على تنفيذ الخطة السابقة؛ فقد استطاعت إيران اليوم تشبيك مجالات نشاطها المتنوع، والذي يشمل النفوذ السياسي والاقتصادي، ليصل إلى بناء نفوذ اجتماعي طائفي منظم، وعسكري في شكل ميليشيات مسلحة، كما هو الشأن بالنسبة لـ «حزب الله النيجيري» الذي يتزعمه الزكزاكي.

وحول النشاط الشيعي في مدغشقر، يقول أحد الشيعة الإيرانيين: «لقد زرت مدغشقر عام ٢٠٠١م، وقد كنت من ضمن بعثة عمل لإجراء مسح على مشاريع تتعلق بالاتصالات، وقد خُصص لي سائق يتحدث الفرنسية واسمه جان، وخلال خمسة أيام قال لي بأنه يتكلم العربية (وهو يجيدها) وبأنه مسلم، وقد أسلم خلال دراسته الصحافة في القاهرة، وبعدها ذهب إلى إيران وهناك اعتنق المذهب الشيعي، أخبرني هذا الرجل عن المسلمين في مدغشقر وكيفية التغلغل الوهابي بينهم، وهو ما أصبح خطراً على الإسلام ككل».

تقول بعض الإحصائيات حول الوجود الإسلامي المنحرف في مدغشقر أن عدد الشيعة الإثنا عشرية في مدغشقر يبلغ حوالي ٦ آلاف، وطائفة البُهرة حوالي ٥ آلاف، وطائفة الإسماعيلية حوالي ٣

آلاف، أما بقية المسلمين فهم سنيّون، وهم لا شك الأكثرية التي يجب أن يتم الاعتناء بهم حتى لا تتسرب إليهم البدع والخرافات والتيارات الضالة.

يبقى أن موضوع مطامع إيران وجهدها في نشر التشيع بشرق أفريقيا محط كثير من الإشاعات التي تروّجها إيران وبعض المؤسسات التابعة لأجندتها، خصوصا ما يتعلق بعدد المتشيّعين وانتشار المذهب ومؤسساته. غير أن هذا لا ينفي الخطورة التي أخذ يكتسبها السعي الإيراني الطائفي الحثيث على النسيج الاجتماعي السني بشرق أفريقيا، حيث تركز إيران على مناطق انتشار أهل السنة، مع غياب كامل في المناطق المسيحية والوثنية. واستطاعت فعلاً إيجاد موضع قدم لها بين بعض النخب المؤثرة.

من جهة أخرى، تعمل إيران على ربط التشيّع المحلي بالسياسة الدولية لإيران وأهدافها القومية، مما يهدد شرق أفريقيا بمزيد من التوترات والحروب الداخلية، خاصة مع تنامي الصراع الدولي على أفريقيا، وقرب المنطقة من الحوثيين في اليمن.

مستقبل الإسلام في مدغشقر:

من أبرز الملاحظات على مسلمي مدغشقر سيادة الأمية والجهل بينهم، حيث لا تقوى المدارس القرآنية الإسلامية المتواضعة على الوقوف في وجه النشاط التعليمي التنصيري، الذي دعمته السلطات الاستعمارية، وأمدته بإمكانيات مادية، ونفوذ سياسي، ومن أبرز التحديات أمام الإسلام في البلاد تزايد نفوذ الحركات اليسارية التي ظهرت بالساحل الشرقي لأفريقيا، وانتقل أثرها إلى الجزيرة، وكذلك الحركات العنصرية التي بدأت تظهر في شرقي أفريقيا.

وعندما استولى اليساريون على الحكم في مدغشقر اضطهدوا المسلمين، وحدثت مذبحة سنة ١٣٩٦هـ ضد المسلمين في مدينة ماجينقا، وراح ضحيتها ٢٠٠٠ مسلم قمري، وهاجر بعدها العديد من المسلمين من مدغشقر إلى جزر القمر، وكان المنصّرون خلف هذه المذبحة.

كما يعاني المسلمون في هذه البلاد من مشكلات عديدة، وفي مقدمتها عدم معرفة أسس وأصول الدين الإسلامي الصحيح بصورة كبيرة؛ حيث أن بعض أئمة المساجد في تلك البلاد لا يحفظون سورة الفاتحة، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يتقدمون لإمامة الناس في الصلاة، على اعتبار أنهم أفضل من غيرهم، الذين لا يحفظون أيًّا من آيات القرآن الكريم، إلى جانب ابتعاد عدد كبير من أبناء القبائل عربية الأصول عن دينهم الإسلامي، واعتناقهم أديانًا أخرى بمرور الزمن، أو صورا مشوهة من الإسلام. ويعاني المسلمون كذلك من مشكلة في التعليم؛ لعدم توافُرِ مَن يتحدث العربية والفرنسية، التي هي لغة السكان الأولى.

وتوجد حاليًا محاولاتٌ من جانب عدد من الجهات الإسلامية للاجتهاد في هذه الجوانب، إلا إن هذه الجهود تبقَى محدودةً وفرديةً، وتتطلَّب خططًا قويةً وواضحةَ الأهداف من المنظمات والدول مثل منظمة المؤتمر الإسلامي والدول الإسلامية بصفة عامة، وقد استطاعت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية تأسيس إذاعة إسلامية؛ تساعد مسلمي مدغشقر في معرفة أمور دينهم، والمساعدة في تطوير حياتهم، وكانت فرحة المسلمين بها عظيمة عند افتتاحها.

كما يتطلب العمل الإسلامي في مدغشقر بعض الأمور المهمة مثل الاهتمام بالتعليم الإسلامي، وإنشاء معهد أو مدرسة متقدمة لتخريج الدعاة والمدرسين، وإنشاء بعض المدارس للمرحلتين المتوسطة والثانوية في مناطق تجمّع المسلمين، والنهوض بالمدارس القرآنية، وتخصيص بعض المنح الدراسية لأبناء المسلمين الملاجاشيين في البلدان الإسلامية كما تفعل الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتوفير الكتب الإسلامية باللغة الفرنسية لعلاج غياب الكتاب الإسلامي في المناهج التعليمية، مع الاهتمام بالتعليم المهني لرفع دخول المسلمين، كما ينبغي السعي الجاد لمكافحة

الخرافات والفرق الضالة كالشيعة والبهرة، والحد من نفوذ التصوف.

المراجع:

١. الشيعة في مدغشقر، مقال بدون كاتب، موجود على الرابط:
http://www.aqaed.com/shia/world/madagascar

٢. ثروت البطاوي، المسلمون في مدغشقر .. تاريخ مشرف وواقع مرير، مقال منشور بموقع رسالة الإسلام على الرابط:
http://main.islammessage.com/newspage.aspx?id=17219

٣. رسالة من مدغشقر، منشورة على شبكة أنا المسلم للحوار الإسلامي، على الرابط:
www.muslm.org/vb/showthread.php?180604

٤. الأقلية المسلمة في ملاجاش، مقال منشور بموقع الإسلام، على الرابط:
http://www.al-islam.com/Content.aspx?pageid=1361&ContentID=3017

البابائية صورة مجهولة للتصوف الشيعي

محمد عثمانلي(*) - خاص بالراصد

تفرع عن التشيع فرق وجماعات كثيرة، والسبب الرئيس في ذلك، هو الإنحراف المتأصل في المذهب الشيعي، الذي كان سببًا رئيسًا في إنتاج أفكار ضالة ليس لها علاقة بالدين أصلًا، وفي هذا المقال نريد تبيين أنّ التشيع ضل الطريق عن الإسلام بداية، ثم جاءت جماعات أخرى تفصّدت عن هذا التشيع، فكانت ذات ضلال مضاعف، وإحدى هذه الجماعات هي البابائية.

فقبيل تأسيس الدولة العثمانية (٧٠٠هـ - ١٢٩٩م) وأثناء وجود عدة دويلات في الأناضول وما حولها كانت الدولة الأبرز آنذاك هي دولة سلاجقة الروم، وعاصمتها مدينة قونية، الولاية التركية اليوم، وكانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، بينما كان المد المغولي يتمدد يمنة ويسرة في المنطقة، في هذه الظروف المعقدة؛ نشأت فرقة تسمّى البابائية[١] في أواسط القرن الثالث عشر الميلادي[٢]، في خراسان[٣]، وقد تسمّت بهذا الاسم نسبة إلى لقب زعيمها وهو «بابا»[٤] أو «البابا» أو كما اشتهر عنه بـ «بابا رسول الله»، وهو «إسحاق الفرسودي التركماني المدعي للنبوة»!![٥]، نعم كان يدّعي النبوة، لذلك كان لقبه «بابا إسحاق» رسول الله!!، وكان لهم زي خاص[٦] وقد قلدهم فيه فيما بعد فرقة القزلباش[٧] أصحاب أغطية الرأس الحمراء، التي كان لها الدور الأبرز فيما بعد في معاونة الصفويين على إثارة الفتن داخل الدولة العثمانية، وترجع هاتان الفرقتان إلى أحد أكابر الفرق الشيعية ألا وهي العلوية، ففرقة البابائية والقزلباش مشتركتان في الأصل، وهما ينتميان إلى الفرقة العلوية الأم.

لقد كان مؤسسو فرقة البابائية يحسبون على التركمان السنة قبل أن يكوّنوا هذه الجماعة، و«لكن إسلام هؤلاء التركمان لم يكن سنيًا خالصًا، كإسلام أتراك المدن، وكان ملفقًا من التقاليد الوثنية التركية القديمة، ومن

(*) كاتب أردني من أصل تركي.

(١) هذه ليست فرقة البابية، أو البهائية التي خرجت بعدها، فهاتان فرقتان ظهرتا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، والبابائية ظهرت في منتصف القرن الثالث عشر.

(٢) s18mehmedfuadköprülütürkedebiyatında ilk mutasavvıflar

(٣) إقليم له مدلولان: الأول هو خراسان الكبيرة التي تحوي اليوم عدة بلدان هي إيران وكل الدول المحيطة بها وإلى طاجيكستان شرقًا، ولأن فرقة البابائية انتشرت ضمن إطار دولة سلاجقة الروم في الأناضول (تركيا اليوم) فيرجح بالمقصود بخراسان المعنى الثاني الأقرب من الأناضول وهو إقليم في إيران وأفغانستان ويضم مجموعة من المناطق من بلخ الأفغانية إلى مشهد الإيرانية.

(٤) لفظ بابا يكثر استخدامه في اللغة التركية لكبار السن، وإن كنا سنقول بشكل أوضح باللغة الصوفية لدى المتصوفة الأتراك، وأما العلويون الأتراك اليوم فيسمون شيوخهم بالـ «دادا»، وتعنى الأب الأكبر أو الجد، ولها ذات المدلول تقريبًا.

(٥) http://www.jwd.gov.bh/glossary

(٦) دائرة المعارف الإسلامية؛ مادة البابائية

(٧) فرقة نشأت في منتصف القرن السادس عشر، وزعيمها اسمه شاه قولى Şah Kolu والتى تعنى (يد الشاه) وأحدثت فتنة كبيرة بين المسلمين في قلب الأناضول، أثناء حكم الدولة العثمانية.

عقائد غلاة الشيعة؛ [لذلك نشأت هذه الجماعة المختلطة بهذه العقائد]، وكان مشايخ هؤلاء التركمان وباباواتهم - كما كانوا يلقبون- يتعرضون إلى الكره والبغض؛ بسبب قيافتهم العجيبة وعاداتهم المنافية للشرع، وحياتهم المنحلة[1]»، على شاكلة فرق البدع الشيعية وضلالهم، وقد كان هدفهم الثورة على الدولة السلجوقية، إذ «ثار الشيخ بابا إسحاق مؤسس الطريقة البابائية الصوفية ضد السلاجقة»[2].

فإذًا هي طريقة أصحابها من عوام السنة الذين يسكنون في المناطق البعيدة عن المدن، ولم تصلهم إمدادات العلوم الشرعية مع الفوضى المعيشية في المنطقة، وكان بهم خليط من عقائد الترك القديمة الوثنية، فكانوا صيدًا سهلًا لدعاة الضلال والغلو والتشيع، فنتج عن ذلك ظهور شكل من التصوف الشيعي الذي يقوم على أساس المريد والشيخ، وهذا يشبه إلى حد كبير واقع العلوية التركية القائمة اليوم، فلديهم عقائد شيعية كإيمانهم بالإثني عشر إمامًا، ولكنهم ليسوا مهتمين بالعلوم التي تدرّس بالحوزات الشيعية التقليدية؛ فالعلويون في تركيا اليوم يشبهون إلى حد كبير فرقتي القزلباشية والبابائية اللتين تقومان على مفهوم شيخ ومريدين، وفكر شيعي، بلا فقه للعلوم الشرعية[3]، وهذا الخلط بين التصوف والتشيع هو كذلك موجود اليوم عند مفتي سوريا أحمد حسون، وهو أحد اعلام التصوف، وقد اشتهر عنه في أحد خطبه مقولته «سامحك الله يا عائشة»!![4].

يمكن تلخيص أهم خصائص هذه الفرقة بما يلي:

١) اعتقادهم أن زعيمهم هو نبي من عند الله، وهو اعتقاد صريح يتجاوز مبدأ الإمامة وهو كفر صريح.

٢) اختلاط عقائدها بالعقائد الوثنية، والضلالات الشيعية.

٣) انتفاء أي دور للعلم الشرعي، وتشترك في ذلك مع العلويين والدروز؛ وكلاهما منبثق عن التشيع.

٤) ادعاء تلقي الوحي[5]، والتأويل الباطني للقرآن.

٥) تسمية ثورتهم على الدولة السلجوقية بالجهاد، استغلالًا لهذا المصطلح.

ويشبه حال البابائية حال الصوفية الصفوية التي أسسها صفي الدين الأردبيلي والتي بنيت عليها الدولة الصفوية الشيعية، فكانت الخرافات التي أسسها هذا الشيخ الصوفي (غير المتشيع) جسرًا للخرافات الشيعية الأكثر ضررًا على الإسلام، فالبيئة التي ذكرناها سابقًا تسببت في نشر التشيع في منطقة الأناضول وإنتاج فرقة البابائية، ولكن الفَرق بين الصفوية والعلوية البابائية، هو أن الأولى تشيعت عن تصوف سني، والثانية تشيعت عن جهالة إلى العلوية التي في أصلها تصوف غير سني.

ولقد كان للبابائية دور سلبي ومؤذٍ سياسياً في ظل حالة الضعف السياسي للدول السنّية آنذاك، وانشغال كل منها بنفسها، وانحصار المنطقة بين مطرقة المد المغولي الذي كان مهيمنًا بالفساد والقتل في شرق الأناضول، وسندان الدولة البيزنطية (وعاصمتها القسطنطينية: استانبول) في غربه، فكانت هذه الجماعات تساهم مع هاتين الدولتين في تشتيت تركيز الأمة على أعدائها،

(١) قيام الدولة العثمانية، محمد فؤاد كوبريلي زاده، ط ١٩٦٧، ص ١٧٠.

(٢) http://alawi12.tripod.com/dakoki.htm

(٣) مثل علم الفقه، وعلم الحديث، اللذين يخلو منهما تراث العلويين المليء بخرافات تعارض القرآن والسنة.

(٤) لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع إلى هذا الرابط http://islamicsham.org/article/111

(٥) يشترك معهم في ذلك البابية والبهائية، والشيعة، وفرقهم الإسماعيلية، والدروز، والحشاشون، والعلوية، والنصيرية، والقزلباشية.

ورغم أن البابائية لم تكن منتمية إلى تلك الدول بالعقيدة ذاتها فقد كانت تسدي لها أجلّ الخدمات، في تفريق كلمة الدول السنّية والتي تعد من أشهرها دولة سلاجقة الروم في ذلك الوقت، فـ(كغيرها) من الفرق الباطنية؛ «كاد المسلمون في الأناضول أن ينتهوا عن بكرة أبيهم، فبينما كانوا يخوضون حربًا ضد الفناء على يد البيزنطيين، كان أتباع هذه الفرق الباطنية يقيمون المذابح الجماعية للمسلمين السنة بإتفاقٍ مع الأرمن»[1].

ومن أبشع أمثلة غدر هذه الجماعة العلوية المتصوفة بأهل السنة والجماعة أنّ السلطان السلجوقي كخسرو الثاني بن كاقيباد (ت: ١٢٤٦م) كان منشغلًا عنهم بالقتال مع البيزنطيين في منطقة الأناضول، فقام بابا إسحاق زعيم البابائية «بأمر أتباعه فثاروا في منطقتي كفرسود ومرعش[2] «Kahramanmaraş »، وكان هؤلاء الأتباع مهيئين للثورة؛ لأنهم كانوا يعلمون أنّ زعيمهم سيعلن جهاده على السلاجقة في يوم من الأيام»[3].

إنّ زعيم هذه فرقة البابائية الضالة اعتبر قتال أهل السنة والجماعة جهادًا في القديم، وهذا ما قد سمعناه في حاضرنا من السيستاني مرجع الشيعة بالعراق؛ ومرشد ثورتهم الخامنئي بالجهاد ضد المسلمين، أما خطيب إيران الكاشاني فيعلن انتصار المسلمين على الكفار في حلب بكل صفاقة ووقاحة!!

لكن الفرق الوحيد بين واقعنا وماضينا، هو أن السلطان السلجوقي استطاع قمع فتنة بابا إسحاق مدعي النبوّة، البابائي، ونحن ما زلنا نعاني من فتنتهم وعدوانهم وإجرامهم المتواصل!

وفي الختام؛ إنّه لا فرق بين البابائي «بابا إسحاق» الذي تجرّأ على مقام النبوة وادّعاها، وبين شيعة إيران اليوم، الذين يعتقدون صفات النبوة في الأئمة الإثنا عشر، ودلّسوا في اسمها وقالوا الإمامة!!، وكفّروا أهل السنة وكأن الإسلام حكرٌ عليهم، فإن أئمة الضلال كلهم يدعون إلى منهج واحد، ويقومون بنفس العمل الشنيع الذي ينتهكون به حرمات الدين، والمسلمين.

(١) Osman Turan doğu anadolu türk devletleri tarihim ,s76

(٢) وهذا دليل على موطنهم الجديد الذي انتقلوا إليه من شمال شرق إيران إلى منطقة مرعش، وهي اليوم ولاية تركية تقع في الجنوب.

(٣) قيام الدولة العثمانية، سبق ذكره، ص ٨٢.

المرأة العربية
هل كانت ضحية لدعاوى المساواة؟

فاطمة عبد الرءوف(*) – خاص بالراصد

مضي أكثر من قرن على مشروع تحرير المرأة على الطريقة الغربية حيث اعتمد المشروع على المساواة المطلقة في التعليم كقاعدة تنبني عليها المساواة المطلقة في العمل المأجور انطلاقا للمساواة الكاملة على الصعيد السياسي والقانوني والاجتماعي.

وفي حين أخفق هذا المشروع التحرري الغربي أن يحقق هدفه بالكامل، أي المساواة المطلقة، إلا انه استطاع أن يحقق الكثير من الإنجازات المرحلية يكفي في هذا الصدد أن نشير لنجاحه في أوساط النخبة كما حقق نجاحات بين أبناء الطبقة الوسطى، وأصبحت فكرة مثل تطابق المناهج الدراسية فكرة مقبولة بل قد تصل لحد البداهة بينما بقيت مسألة عمل المرأة لا تلقى نفس النجاح السابق بينما لم يحقق المشروع التحرري العلماني نجاحا يذكر على الصعيد السياسي مثلا.

في هذا المقال نحاول رصد وتقييم النتائج التي عاشها المجتمع العربي بناء على هذا المشروع الذي فرض عليه بالقوة حيث تبنته معظم الحكومات العربية.

الأنوثة والعلم

العلم والقدرة على التعلم هما خصيصة إنسانية

(*) كاتبة مصرية.

مرتبطة بجوهر وجود الإنسان ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة :٣١]، وفي هذا السياق فإن العلم حق للإنسان وواجب عليه، لا فرق في ذلك المبدأ العام بين رجل وامرأة لأن (طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجه، وما لم يشر السياق إلى تحديد جنس معين فالخطاب موجه لكل مسلم ومسلمة.

لكن الإنسان، أي إنسان، لا يحيط بجميع العلوم ولا يمكنه ذلك بل من العبث المطالبة بذلك، فأي إنسان يكون لديه تخصص أساسي وبعض التخصصات الفرعية ثم لديه بعض المعارف العامة، القيمة الحقيقية للتعليم أن يخدم أهداف الإنسان وأولويات حياته ويكسبه المهارات اللازمة لممارسة هذه الأولويات وذلك كله لا يختلف بين الرجل والمرأة، الإشكالية تكمن في طبيعة التخصص الأساسي وطبيعة الأولويات بين الرجل والمرأة هل هي متطابقة أم مغايرة؟

لو ألقينا نظرة على أوضاع المرأة العربية المسلمة منذ قرن من الزمان سنجد أن الجهل كان هو المسيطر على أوضاع النساء، بل لا يكون من المبالغة في شيء لو قلنا إن معظم المجتمع كان يرزح تحت وطأة الجهل لكن الوضع النسائي كان كارثيا حيث شاعت بعض الأحاديث المغلوطة التي أحكمت دائرة الجهل على النساء ومن ذلك الحديث الموضوع (لا تعلموهن الكتابة، ولا تسكنوهن الغرف، وعلموهن سورة النور).

على أن ذلك لا يمنع من أن النساء كن يجدن فنون الطهي والتدبير المنزلي وهي فنون مهمة وسوف أوضح ذلك فيما بعد ولكنها لا تكفي مطلقا لمنح المرأة قيمة الإنسان، بدأت الدعاوى لتعليم المرأة من منطلق خدمة وظيفتها الأساسية كزوجة وأم فلا بد من تعلم والقراءة والكتابة وبعض أصول الصحة العامة كما أوضح ذلك قاسم أمين في كتابه الشهير «تحرير المرأة».

هذه البداية التي دعا إليها الكثير من رجال الإصلاح والتي لاقت قبولا من حيث المبدأ وواجهتها معوقات في التنفيذ كما واجهتها قوة وتحكم العادات والتقاليد التي رأت في المرأة عورة لا يجب أن تخرج إلا مرتين إحداهما من بيت أبيها لبيت زوجها، ومرة من بيت زوجها إلى القبر، وهذا أمر طبيعي في مجتمع يعشش فيه الجهل حتى وإن كان بعض رجاله يجيدون القراءة والكتابة، المجتمع الضعيف المهزوم المحتل لا يمكن أن يحمل رؤية مستقيمة مستمدة من الشرع بل ينحرف بالشرع حتى يتناسب مع ما ألف من عادات وتقاليد جعلته شعبا محتلا.

إلا أن الرغبة في التحرر من الاستعمار سارت في مسارين مثّل أحدهما الاحتماء بالشريعة الحقيقية للتحرر الكامل ومثل المسار الآخر الرغبة في تقليد الدول المحتلة للسير على ما ساروا عليه ومن ضمن ذلك تقليد الحياة الاجتماعية وأفكار مساواة المرأة.

ساند الاستعمار المسار الثاني حيث أن أحد أهداف الاستعمار ليس فقط احتلال الأرض ولكن احتلال الثقافة ويكفي للتدليل على هذا استعراض جهود فرنسا بالجزائر لإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية، المسار الثاني هو الأكثر سهولة فهو استنساخ رديء للتجربة الغربية في النهضة دون توافر الشروط الموضوعية اللازمة لذلك وهو تكريس لحالة الهزيمة الحضارية وإن بدا في شكل براق جذاب.

ويكفي للتدليل على هذا التعمق في المقارنة بين كتابي قاسم أمين «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة» سنجد أن الكتاب الأول «تحرير المرأة» يكثر من الاستشهاد بالقرآن والشريعة ويدعو لتعليم المرأة كي تستطيع أن تؤدي وظيفتها كزوجة وأم بشكل ملائم، بينما نجد أن كتابه الثاني «المرأة الجديدة» يكثر من الاستشهاد بسيرة الأوربيات ويدعو لتقليد نمط الحياة الأوربية الاجتماعية، وما حدث بعد قاسم أمين أن قطعت رائدات الحركة النسائية مسارات طويلة في نفس السياق، ولو رصدنا واقع المرأة في نهايات القرن العشرين حتى

وقتنا الراهن سنتوصل لهذه الحقائق.

تعليم مبتسر

تعليم المرأة في تزايد واضح فالأغلبية الساحقة من الفتيات العربيات يتعلمن في المدارس ويزيد عدد النساء اللائي يلتحقن بالجامعة عن عدد الرجال، وعلى الرغم من أن نسبة الأمية أعلى في صفوف النساء عنها في صفوف الرجال فهذا يعود للأجيال الأكبر سنا أما الأجيال الجديدة فهناك تساوٍ شبه مطلق في الالتحاق بالتعليم بل والوصول لمرحلة التعليم الجامعي.

هناك تطابق في مناهج التعليم المقدم للذكور والإناث بدءا من مرحلة ما قبل التعليم الابتدائي وحتى التعليم الجامعي، فقط تقدم بعض المناهج النوعية كالاقتصاد المنزلي والتعليم الصناعي كأنشطة لا تضاف للمجموع وبالتالي لا تمثل أي أهمية للطلاب والطالبات.

لا تتلقى الفتاة أي دراسات خاصة تعلمها مهارات إدارة المنزل وأسس التغذية السليمة ولا مناهج التعامل مع الطفل وهناك اتجاه متنامٍ، خاصة لدى الفتيات المتفوقات، لاحتقار مثل هذه الدراسات وعدم اعتبارها علما.

الكثير من الفتيات يهدفن من استكمال الدراسة الجامعية إلى الحصول على وضع اجتماعي يؤهلهن للحصول على فرصة زواج متميزة.

ترفض الكثير من الطالبات في مرحلة التعليم الثانوي والجامعي الزواج بحجة استكمال الدراسة في دائرة غير مبررة وغير منطقية. وتدل الدراسات الاجتماعية أن فترة الدراسة تشهد الكثير من فرص الزواج للطالبات والتي تقل بعد التخرج وتزداد ضعفا بمرور السنوات.

إذن نستطيع القول إنه كلما طالت عدد سنوات الدراسة قلّت فرصة الفتاة في الزواج، فنسبة الفتيات اللاتي تجاوزن الثلاثين دون زواج تصل لـ ٣٥ ٪، فإذا ما تزوجت لم تقدم لها دراستها ما يفيدها من مهارات لازمة فتحدث صدمة بداية الزواج ويكفي في هذا الصدد أن نذكر أنّ ٣٠٪ من حالات الطلاق تحدث في العام الأول من الزواج.

تداعيات خطيرة

إلا أن التداعيات الخطيرة على المرأة العربية تمثلت في أطروحة وجوب العمل المأجور واعتبار السيدة التي لا تعمل في عداد البطالة، فالنسويات انتقلن من اعتبار العمل حقا للمرأة لاعتباره واجبا عليها وأحد لوازم الوجود الإنساني واعتبار النساء اللاتي لا يتفقن معهن في نفس الرؤية نساء مغيبات.

وعلى الرغم من ذلك لم تنجح النسويات في إقناع الرأي العام أو الرأي النسائي بحتمية العمل المأجور وبقيت نسبة المرأة في القوى العاملة منخفضة ولا تتجاوز ٢٥٪ بينما يصل المتوسط العالمي لمشاركة المرأة في القوة العاملة ٥٠٪ على الرغم من أن أعداد المتعلمات في العالم العربي في زيادة مطردة ولا تزال النسبة الكبرى من هذه الأيدي العاملة تعمل في المجال الزراعي.

وعلى الرغم من ذلك تشير أصابع الاتهام لعمل المرأة بتسببه في عدد من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية فبينما يعاني العالم العربي من أزمة بطالة خانقة ولا يجد الشباب فرصا للتوظيف يتساءل الكثيرون إذا كانت الأولوية لتوظيف الإناث أم توظيف الذكور.

لو قيّمنا نتائج الواقع وفقا لمصلحة الإناث فالنظرة القصيرة تشير إلى أن مصلحة المرأة تتمثل في الحصول على وظيفة تدرّ عليها عائدا ماديا بينما النظرة الاستراتيجية تتمثل في أن بطالة الذكور ستجعلهم مضطرين للعزوف عن الزواج ومن ثم ترتفع نسبة العنوسة في صفوف الفتيات.

من جهة أخرى؛ تبرز مشكلات اجتماعية متعددة ناتجة من الاختلاط في العمل بدءا من العزوف عن الزواج لأن هناك إشباعا من نوع ما يتحقق من هذا الاختلاط مرورا بالمشكلات الزوجية الناجمة من الاختلاط بزميلات العمل كالسعي للزواج الثاني في أحسن الأحوال أو الانحراف وإنشاء علاقات محرمة، وهذا كله واقع اجتماعي موجود.

أيضا برزت على سطح المجتمع ظاهرة ابتزاز النساء العاملات للمشاركة في تأسيس منزل الزوجية والمساهمة الإجبارية على نفقة ومصروفات البيت، فكأن عملها أهدر حقها الطبيعي في النفقة.

العمل والكفاءة

فهل كان خروج المرأة للعمل على حساب نصيب الرجل، بمعنى أن عمل النساء ساهم في بطالة الرجال خاصة في ظل محدودية فرص العمل في بلادنا العربية؟

تُدافع الكثير من الناشطات النسويات عن عمل النساء وأنه لم يأتِ على حساب نصيب الرجال ويزعمن أن الكفاءة هي معيار العمل وأنه من غير العدل أن يحصل الرجل على الوظيفة لمجرد أنه رجل وتحرم المرأة الأكثر كفاءة لكونها أنثى فهل حقيقةً تعمل النساء لأنهن أكثر كفاءة؟

قد ينطبق هذا المعيار (الكفاءة) على الوظائف الأكثر تطورا كوظيفة التدريس في السلك الجامعي أو كالباحثين في مراكز الأبحاث مثلا، أما القاعدة الشعبية للأعمال والوظائف كعمال المصانع فصاحب العمل يبحث عن العامل الأقل تكلفة، اليد العاملة الرخيصة التي تعمل لساعات أطول والتي تثير مشكلات أقل هي المعيار الأساسي لاختيار العمالة، ونظرة للأتوبيسات التي تحمل العاملات في الصباح للمناطق الصناعية في مصر مثلا كتلك المصانع الموجودة في العاشر من رمضان وتلك الموجودة في مدينة السادس من أكتوبر سنجد عشرات الأتوبيسات التي تحمل عاملات صغيرات السن يعملن في قطاع النسيج وبعض الصناعات الغذائية ومن المعلوم أن أجر العاملة يقل بنحو الثلث عن أجر العامل ولا يتم التأمين عليهن خاصة أن الكثيرات يعملن لفترات مؤقتة حتى تستطيع جمع بعض المال اللازم لزواجها فلا يطالبن بالتأمين أصلا وتميل العاملات للقبول بعدد ساعات عمل أطول أو إضافية وهن بوجه عام أقل شغبا فلا يسعين للاعتصامات والاضرابات العمالية ونحو ذلك من وسائل الضغط العمالي.

وهناك مهن أخرى يتم فيها اختيار العنصر النسائي ليس بسبب الكفاءة ولكن بسبب الاستغلال الجنسي ليس في صورته المباشرة فحسب ولكن فيما يمكننا أن نطلق عليه التسويق بدافع جنسي كفتيات الإعلان والكثير من السكرتيرات والعاملات في المقاهي والقرى السياحية.

نستطيع القول إذن إن عمل المرأة وتوظيفها في كثير من الأحيان لا يكون معياره الكفاءة وقد يسهم فعليا في تكريس البطالة في صفوف الرجال كما يسهم في ضعف الأجور بناء على نظرية العرض والطلب ووجود أيدٍ عاملة أكثر رخصا ولا شك أن هذا يصبّ في المحصلة النهائية على قدرة الشباب على الزواج ومن ثم شيوع العنوسة في المجتمع وانتشار الأمراض الاجتماعية.

العلم والعمل

ما هو الهدف من التعليم؟ هذا السؤال الملحّ والذي يقدم كأكبر تبرير لعمل المرأة: لماذا تعلمت إن لم تستثمر تعليمها في العمل ولماذا تتحمل الدولة ميزانية تعليم الفتيات إن لم يكن هناك مردود اقتصادي يعود عليها؟ لا يمكن إنكار العلاقة الوثيقة بين دراسة علم ما ثم العمل والتخصص فيه لذلك فمن الأفضل أن تتخصص الفتاة في مجال تستطيع العمل منه إن أرادت بحيث يعود بالنفع عليها أو على مجتمعها كالقطاع التعليمي والقطاع الطبي لكن هناك بعض المجالات التي يدرس فيها العلم لأجل العلم كالفلسفة والتاريخ مثلا، فهل نحرم الفتاة حقها الطبيعي في المعرفة في أي فرع من العلوم شاءت سواء كان أدبيا أم علميا ونرهن ذلك بحتمية العمل؟!

إن هذا القول هو أكبر مصادرة للحرية الشخصية التي ينبغي أن تتمتع بها المرأة، وفتاة وصلت لدرجة راقية من التعليم لا يمكن اتهامها أبدا بأنها امرأة مستلبة عندما تقرر وبكامل إرادتها أن تتفرغ لبيتها وأسرتها وزوجها وأطفالها، لكنها تناقضات الفكر النسوي الذي تزعم أكبر مدارسه

الليبرالية، فبينما يتم وصم الإسلاميين بأنهم يحاولون ممارسة الوصاية على المرأة يقومون هم بممارسة كل صور القمع والوصاية والديماغوجية حتى يتم فرض نمط معين للحياة الاجتماعية على النساء.

العلاقات الإيرانية الأردنية: التاريخ والمآلات

د. مهند مبيضين(*) –
مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية ٢٠١٦/١٢/٢٤

مقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على أبرز مَحطَّات العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة منذ بداياتها دبلوماسيًّا عام ١٩٤٩، وكيفية تطوُّرها وإلامَ وصلت الآن، مرورًا بالأحداث الإقليميَّة في المنطقة، التي أثَّرَت بشكل كبير على هذه العَلاقة، التي اتَّصَفَت بالتعاون والتفاهم والشراكة قُبَيل الثَّوْرة الإيرانيَّة، وكيف انتقلت إلى العداء والقطيعة والبرود في زمن إيران الثَّوْرة.

بداية العَلاقات بين الدولتين

منذ بداياتها، شهدت العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة عديدًا من التناقضات والتذبذبات في قوتها، وقد ساعد على ذلك السياساتُ الإقليميَّة والحروب المجاورة لكلا البلدين في المنطقة، وقد تباينت المواقف سياسيًّا واستراتيجيًّا، إذ يُعتبر الأُردُن ضمن محور الاعتدال بسبب معاهدة السلام مع إسرائيل، واعترافه بالسُّلْطة الفلسطينيَّة ومنظَّمة التحرير ممثِّلًا شرعيًّا للفلسطينيّين، بالإضافة إلى التحالف مع الولايات المُتَّحِدة التي تتصادم إيران معها حاليًّا، ومع الغرب بشكل عامّ، وعلى النقيض تعترف إيران بحركة حماس ممثِّلًا شرعيًّا لفلسطين، وهذا يضع إيران في محور الممانعة.

هكذا يكون للصراع الإقليمي الدور الأكبر في التأثير على التناقضات التي تتَّسم بها العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة، وفي ما يلي نستعرض التطوُّر التاريخي وأبرز محطات العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة.

في بداياتها في فترة ما قبل ١٩٢٥ كانت العَلاقات الأُردُنيَّة (شرقيّ الأُردُن تحديدًا)- الإيرانيَّة تقتصر على عَلاقات تجارية، بداية من الزمن العثماني حين كانت الأُردُن تخضع للسُّلْطة العثمانية، وحتى زمن الإمارة، وبقيت العَلاقات كما هي بعد سقوط الخلافة العثمانية وانتهاء حكم الأسرة القاجارية في إيران بتسلُّم الشاه رضا خان بهلوي (١٩٢٥- ١٩٤١) الحكم فيها، وسلّم الحكم بعد ذلك لابنه محمد رضا بهلوي. في أثناء حكم البهلوي أُنشئَت أول قنصلية إيرانيَّة في القدس الشريف، وكانت الاتصالات الإيرانيَّة مع المنطقة تتمّ عن طريقها، ومع الأمير عبد الله الأول في تلك الفترة حين كان أميرًا لإمارة شرقي الأُردُن[1].

في عام ١٩٤٦ وبعد أن استقلّ الأُردُن ونودي به مملكة وبالأمير عبد الله الأول ملكًا على الأُردُن، افتُتحت القنصلية الإيرانيَّة الأولى في عمان، وتلاها افتتاح قنصلية أُردُنيَّة في طهران، إذ زار الملك عبد الله الأول إيران في ١٩٤٩، وكان لهذه الزيارة واللقاء مع البهلوي الأثر الأكبر على توطيد العَلاقة بين الدولتين، الذي تَمَثَّل في توقيع معاهدة صداقة لتعزيز التعاون وفتح فرص وآفاق جديدة لهذه العَلاقة. وقد وُقِّع عديد من المعاهدات بين الدولتين، من أهمِّها اتفاقية التعاون الثقافي في ١٩٦٠، والتعاون التجاري في ١٩٦٣، والتعاون في القضايا المالية في ١٩٧٣، واتفاقية التعاون السياحي ١٩٧٥، التي لم تُنَفَّذ نتيجة لثورة ١٩٧٩[2].

في عهد الملك الراحل الحسين بن طلال أُنشئَت

(*) كاتب أردني.

(١) ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية ١٩٨٠- ٢٠٠٣، مجلة دراسات إقليميَّة، جامعة الموصل، العدد ٣٢، ص١٩١- ٢٢٤، ٢٠١٣.

(٢) جونسون والزويري، معضلة السياسة والأمن في العلاقات العربيَّة الإيرانية: حالة الأُردُن، مركز الدراسات الاستراتيجية- الجامعة الأُردُنيَّة، ٢٠٠٨. انظر أيضًا: ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، ص٢.

السفارة الإيرانيَّة في الأُردُن، بعد زيارة الشاه محمد رضا عام ١٩٥٩ للأُردُن، وكان لقضيَّة الصراع الفلسطينيّ- الإسرائيليّ في تلك الفترة الأثر الأكبر على العَلاقات بين الأُردُن وإيران، وعلى أثر قيام الجمهورية العربيَّة المُتَّحِدة في ١٩٨٥ تَوَطَّدَت العَلاقة بين الأُردُن والعِرَاق، لكن الثَّوْرة التي قام بها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف للإطاحة بالنِّظام الملكي العِرَاقيّ أدّت إلى انسحاب النِّظام العِرَاقيّ من الاتحاد وانهياره، مِمَّا أدَّى إلى تخلخُل العَلاقات الأُردُنيَّة- العِرَاقيَّة وبقاء الأُردُن في عزلة سياسيَّة، مِمَّا دعا الملك الحسين بن طلال إلى تعزيز العَلاقات بين الأُردُن وإيران للحفاظ على الأمن الداخلي واستقلال الأُردُن من أي اعتداء، كان هذا واضحًا في البيان المشترَك الذي أدلى به الملك الحسين في أثناء الزيارة المذكورة حين قال: «إن الأُردُن وإيران يؤكِّدان استقلال بلديهما وصيانتهما من أي تهديد خارجيّ أو تخريب داخلي»، وهذا يشير إلى أن السياسيات الإقليميَّة المجاورة لعبت دورًا في توطيد هذه العَلاقة في تلك الفترة[١].

بدا كأن العَلاقات تخلخلت بناء على السياسات الإقليميَّة آنذاك بسبب اعتراف إيران بدولة إسرائيل في ١٩٦٠/٧/٢٣، إذ أكَّد شاه إيران أن اعتراف إيران بإسرائيل لم يكُن جديدًا، بل هو تأكيد لاعتراف سابق صُرِّح به في عام ١٩٥٠، مِمَّا دعا الملك الحسين بن طلال إلى اتِّخَاذ موقف سريع وإرسال برقية إلى شاه إيران في ١٩٦٠/٧/٢٦ يحثُّه فيها على التراجع عن قرار دولته، وفي ما يلي عرض صحيفة «المنار» للخبر[٢]: «وعبَّرَت رسالة الملك الحسين بن طلال إلى شاه إيران بعد هذا الاعتراف الذي عدّه الملك الراحل صدمة للصداقة بين البلدين[٣].

وقد بدا واضحًا إصرار الشاه بهلوي على موقف بلاده وسعيه لتعزيز العَلاقة بإسرائيل في حال ازدادت الضغوط العربيَّة، إذ بدأت الدول العربيَّة بسحب السفراء من إيران، وبداية ذلك كان سحب السفير السُّعُودِيّ للمشاورة، وقد صرَّح حابس المجالى رئيس الحكومة الأُردُنيَّة آنذاك مُعرِبًا عن أسف الأُردُن والأُردُنيين من موقف إيران تجاه إسرائيل والاعتراف بها، إلا أن هذا كله لم يؤثِّر سلبًا على عَلاقة إيران بالأُردُن بشكل كبير. وفي عام ١٩٦٥ أطلق الملك فيصل ملك السُّعُودِيَّة في حينها مشروع ما سُمِّي «الحلف الإسلامي» الذي دعمه شاه إيران لوقف ثورة جمال عبد الناصر في ذلك الوقت[٤]، وأيَّدَ الأُردُن فكرة الحلف خوفًا على الاستقرار والأمن الأُردُني بسبب تخلخل الأوضاع السياسيَّة في الدول المجاورة، وللوقوف في وجه التيَّار الثوري بقيادة جمال عبد الناصر، إلا أن المشروع بقي موقوفًا ولم يُوضَع في حيز التنفيذ بسبب حرب يونيو/حزيران ١٩٦٧، التي وقفت فيها إيران إلى جانب الأُردُن، وصرّح شاه إيران على أثر خسارة أراضيها في الضفَّة الغربية، بأحقيَّة الأُردُن في استعادة أراضيه في الضفَّة وضرورة الانسحاب الإسرائيليّ منها لإحلال السلام[٥].

بعد ذلك استمرت العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة في مسارها كما هو، وكان لزيارة الملك الحسين بن طلال لإيران في عام ١٩٧٣ وتحديدًا في ٢٠ نوفمبر، كما أوردت الصحف، الأثر الكبير في تحسين وتعزيز العَلاقات بين البلدين، إذ رافق الملك

(١) الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠٠٤. انظر أيضًا، ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، ص٣- ٤؛ المجالي، محمد مصلح، العلاقات الأُردُنيَّة العربيَّة، رسالة ماجستير، الجامعة الأُردُنيَّة، ٢٠٠٣.

(٢) صحيفة المنار، العدد ٣٤، تاريخ ١٩٦٠/٧/٢٤، ص١.

(٣) صحيفة المنار، عدد ٣٨، تاريخ ١٩٦٠/٧/٢٨، ص١. المنار عدد ٤٣، تاريخ ١٩٦٠/٨/٢.

(٤) محافظة؛ علي، العرب والعالم الإسلامي منظّمة المؤتمَر الإسلامي والمؤسسات التابعة لها، نُشر في الدستور، ٢٠٠٨/٧/٢٧.

(٥) جونسون والزويري، معضلة السياسة والأمن في العلاقات العربيَّة الإيرانية: حالة الأُردُن، مركز الدراسات الاستراتيجية- الجامعة الأُردُنيَّة، ٢٠٠٨. انظر أيضًا: ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية ص٣- ٤. صحيفة الدستور في ١٩٦٨/٤/٣.

رئيس الحكمة الأُردُنيَّة زيد الرفاعي، وزيد بن شاكر رئيس الأركان في الجيش الأُردُني، وأسفرت الزيارة عن تزويد إيراني للأُردُن بأربع وعشرين طائرة من طراز «F5»، علمًا بأن إيران كانت حصلت عليها من الولايات المُتَّحِدة الأمريكية، وقد أخذت إيران الموافقة الأمريكية على تزويد الأُردُن بها[1].

ونشرت الصحف خبر الزيارة، وقالت إن الهدف الرئيسي للزيارة هو التنسيق مع الدول العربيَّة والإسلامية لمواجهة مرحلة العمل السياسي التي تسببت فيها حرب رمضان لاستعادة الأراضي المحتلة وحقوق الفلسطينيّين[2].

بعد مؤتمَر الرباط في أكتوبر ١٩٧٤، الذي أسفر عن الاعتراف بمنظَّمة التحرير ممثِّلًا وحيدًا شرعيًّا لفلسطين، وكثرة الحديث عن غضب الملك الحسين ورفضه توقيع الاتفاقية، نَفَت الصحف الأُردُنيَّة الخبر وأشادت بدور الحسين في نجاح المؤتمَر، ومن ذلك ما جاء في صحيفتَي «الرأي» و«الدستور» يوم ١٩٧٤/١٠/٣٠.

دعا هذا المؤتمَر الملك الحسين إلى تقوية عَلاقاته مع إيران لاستعادة النُّفُوذ الذي كان يملكه مع وصايته على فلسطين قبل الاعتراف بالمنظَّمة وإنهاء الخلاف بينها وبين الأُردُن[3].

وفي عام ١٩٧٥ زار الشاه مرة أخرى أراضي الأُردُن على خلفية أحداث ١٩٧٤ ومؤتمَر الرباط، فحلَّقَت في سماء الأُردُن طائرات «F5» التي أعطتها إيران مُسبَقًا للأُردُن في أثناء استقبال الشاه[4].

أكَّد الشاه في هذه الزيارة دعمه الكامل للأُردُن في مسيرة إحلال السلام وإعادة الأراضي الفلسطينيَّة لأصحابها، وكان لهذه الزيارة وقع كبير في تعزيز العَلاقات بين الدولتين.

(١) ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية ص٤، صحيفة الرأي الأُردُنيَّة في ١٩٧٣/١١/٢٠، عدد ٨٢٤.
(٢) الرأي، العدد ٨٢٥، تاريخ ١٩٧٣/١١/٢١، ص١.
(٣) الدستور، العدد ٢٦٠٨، تاريخ ١٩٧٤/١٠/٣٠، ص١.
(٤) صحيفة الرأي الأُردُنيَّة، في ٧/كانون الثاني/١٩٧٥، ص١.

بقِيَت العَلاقات على هذه الحال في أفضل أوضاعها إلى أن بدأت في عام ١٩٧٨ حركة الانقلاب لإسقاط الشاه الإيران في إيران، مِمَّا دعا الملك الحسين إلى زيارة الشاه في إيران وإعلان دعمه ومؤازرته له في نوفمبر من العام نفسه[5].

وقد جرى الحديث في بعض الدول عن أن زيارة الملك الحسين لفرنسا/باريس في شهر ديسمبر من عام ١٩٧٨ حملت بعض محاولات الإصلاح بين الثَّوْرة الشعبيَّة الإيرانيَّة والشاه الإيرانيّ، ممثَّلة في لقاء الخُميني في باريس، إلا أن الأُردُن نفى تلك الأخبار مؤكِّدًا أن زيارة الملك الحسين في باريس لم يكُن بها أي لقاء مع الخُميني، وهو فعلًا ما لم يُثبَت بأي وثيقة ولا خبر، ولا أحد يستطيع أن يؤكِّد أو ينفي هذا اللقاء[6].

انتهت الثَّوْرة الإيرانيَّة في ١٢ فبراير عام ١٩٧٩ بسقوط الشاه محمد رضا وقيام الجمهورية الإسلامية، وأبدي الأُردُن في بداية الأمر هدوءًا وصمتًا، إلا أن الملك الحسين أرسل برقية تهنئة للنِّظام الجديد في ذكرى الثَّوْرة معترفًا فيها بالنِّظام الإسلامي والجمهورية الإسلامية الجديدة، ومهنِّئًا بذكرى الثَّوْرة التي قاموا بها[7].

العَلاقات في زمن حَرْب الخَلِيج الأولى

في عام ١٩٨٠ عندما اندلعت الحرب الإيرانيَّة-العِرَاقيَّة بدأت العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة في التخلخل والضعف في عدة أوقات، وقد تفاقم الأمر إلى القطيعة في بعض الأحيان. وقد قامت الحرب الإيرانيَّة- العِرَاقيَّة لعدة أسباب، من أهمها[8]:

- الخلاف على الحدود بين الدولتين.
- الخلاف المذهبي بين السنة والشِّيعَة.

(٥) الرأي الأُردُنيَّة، ١٩٧٨/١١/٢٦، ص١.
(٦) مجلة السياسة الدوليَّة، القاهرة، شهريات السياسة الدوليَّة، عدد ٥٤، ص٢٣٣، ١٩٧٨.
(٧) أبو طالب، حسن، على هامش الحرب: التقارب العِرَاق الأُردُني، مجلة السياسة الدوليَّة، القاهرة، عدد ٦٣، ص١١٤، ١٩٨١/١. الخبر من الرأي الأُردُنيَّة: في ١٩٧٩/٢/١٤.
(٨) الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠٠٤.

– أحقيَّة السيطرة والنُّفُوذ على الخَلِيج بعد الانسحاب البريطاني.

– الأقلِّيَّات، خصوصًا الأكراد.

– مطالبة العِرَاق بالاعتراف بالسيادة العِرَاقيَّة على أراضيها ومياه الأنهار العِرَاقيَّة، وإنهاء الاحتلال الإيرانيّ للجزر الواقعة قرب مضيق هرمز (طنب الصغرى، وطنب الكبرى، وجزيرة أبو موسى).

من العوامل التي أدَّت إلى التقارب الكبير بين العِرَاق والأُردُن - وهو الأمر الذي ألقى بالعَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة إلى الحضيض- اتِّهام العِرَاق لسوريا بالتخطيط لتنفيذ انقلاب في بغداد على نظام الحكم، في الوقت الذي تَوَتَّرَت فيه العلاقات الأُردُنيَّة- السوريَّة لاتِّهام سوريا للأُردُن بدعم الإخوان المسلمين في سوريا[1]. وفي وقت لاحق من عام ١٩٧٨ رفض الأُردُن معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر في كامب ديفيد، الأمر الذي عزَّز مكانة الأُردُن لدى العِرَاق الرافض أبدًا لأي سلام مع إسرائيل[2].

ومن أهمّ دوافع دعم الأُردُن للعراق في حربه ضدّ إيران، أن الأُردُن رأى في تلك الحرب حائلًا دون تصدير الثَّوْرة الإيرانيَّة إلى المنطقة، وبالذات لحلّ الصراع العربيّ- الإسرائيليّ، والفلسطينيّ تحديدًا، إذ دعمت الجمهورية الإيرانيَّة الإسلامية فصائل المقاومة مثل حزب الله في جنوب لبنان، وحركة حماس في فلسطين، الأمر الذي يُلغِي دور الأُردُن سياسيًّا في هذه القضيَّة، كما أن موقف سوريا المؤيِّد لإيران في حربها على العِرَاق زاد من تَخَوُّف الأُردُن من فرض نفوذ وسيطرة إيران على المنطقة كلها لا على العِرَاق فحسب إن نجحت في حربها على العِرَاق، إذ نَدَّدَت سوريا بهجوم العِرَاق على إيران وسمَّته إلهاءً مُدَبَّرًا من العِرَاق للأمة الإسلامية عن حربها مع إسرائيل، وأشارت سوريا إلى أن الصراع العِرَاقيّ- الإيرانيّ لا يتعدَّى كونه صراعًا على الحدود، في حين يُعتبر الصراع العربيّ- الإسرائيليّ صراع بقاء. وبات الأُردُن في خِضَمِّ هذه الفوضى بين أكبر خطرين: الإسرائيليّ والإيرانيّ، مِمَّا أدَّى إلى وقوفه إلى جانب العِرَاق ليضمن حدوده وسلامة أرضه من أي هيمنة، وفي الوقت ذاته يبقى موقفه قويًّا تجاه الكيان الإسرائيليّ، لأن العِرَاق يُعَدّ الدعم الأقوى لموقف الأُردُن ضدّ إسرائيل بعد خروج مصر من الصراع العربيّ- الإسرائيليّ بتوقيع معاهدة السلام في كامب ديفيد ١٩٧٨[3].

وكانت إيران قد بدأت الحرب بعدة أحداث متفرقة حيث قامت بعدة انتهاكات بعد عام ١٩٨٠ وأساءت إلى القنصلية العِرَاقيَّة في أرضها وأخذت تهاجم العِرَاق في خطب الجمعة، وتبثها عبر الإذاعة مِمَّا أدَّى إلى تفاقم الامور وزيادتها سوءًا. ولا يخفى على القارئ للأحداث في هذه الحرب عمق الخسائر والهجمات وكمية الأسلحة المستخدمة في تلك الحرب[4].

وقد اتخذ الأُردُن موقفًا واضحًا في هذه الحرب انحاز فيه لجانب العِرَاق في أكثر من محفل، وتعددت وسائل التعبير عن الدعم والتأييد للعراق في حربها مع إيران، فالملك الراحل الحسين بن طلال لم يدّخر جهدًا، من مراسلات وزيارات واتصالات ودور في المؤتمَرات، ليعبِّر عن تأييد الأُردُن للعراق كُلَّما تَسنَّى له ذلك، وأدَّى موقف الأُردُن إلى إعلان إيران قطع عَلاقتها تمامًا مع الأُردُن في

(١) سلمى عدنان وآخرون، موقف الدول العربيَّة من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، مجلة آداب ذي قار، عدد ٣، ص١٨٢، ٢٠١١.

(٢) ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية ١٩٨٠- ٢٠٠٣، مجلة دراسات إقليميَّة، جامعة الموصل، العدد ٣٢، ص١٩١- ٢٢٤، ٢٠١٣.

(٣) سلمى عدنان وآخرون، موقف الدول العربيَّة من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، مجلة آداب ذي قار، عدد٣؛ انظر أيضًا: الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠٠٤.

(٤) الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠٠٤. ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، ص٧.

١٩٨١/١/٣١[١]. وفي عام ١٩٨٢ زار الملك الحسين العِرَاق وأجرى مباحثات مع الرئيس العِرَاقيّ صَدَّام حُسَين[٢]، وأسفرت هذه الزيارة عن عِدَّة أمور اتفق عليها العاهلان، من أهمها فتح باب الجهاد والتطوُّع للقتال في الجانب العِرَاقيّ في الأُردُن، ومن ذلك أنه قد فُتحَت ١٥ مركزًا للتطوُّع في عمان، بما أُطلِقَ عليه لاحقًا «قوات اليرموك» الأُردُنيَّة التي بلغت ما يقارب ٢٥٠٠ متطوع بقيادة الشيخ عطا شهوان[٣].

بذل الملك الحسين مجهودًا كبيرًا في دعم العِرَاق، واتَّخَذ الدعم شكلًا اقتصاديًّا أيضًا تَمثَّل في إتاحة ميناء العقبة للتجارة العِرَاقيَّة بالاستيراد والتصدير، إضافةً إلى فتح المجال الجوي الأُردُني للطائرات العِرَاقيَّة لنقل الإمدادات العسكريَّة[٤]، وعلى النقيض فقد أتاحت سوريا لإيران مجالها الأرضي والجوّي لعبور ما يقارب ١٥٠٠ جندي إيرانيّ إلى لبنان بعد اجتياح جنوبها عام ١٩٨٢ للدفاع عنها بوجه العدوان الإسرائيليّ، كما أتاحت مطارات سوريا القريبة من الحدود العِرَاقيَّة للطائرات الإيرانيَّة لشَنّ هجمات جَوِّيَّة على القواعد العِرَاقيَّة[٥]، وبالنسبة إلى الموقف الأُردُني لم يكتفِ الحسين بالدعم الذي أشرنا إليه للعراق، بل تَحدَّث عن طبيعة الصراع في عديد من المؤتمَرات والزيارات، وأشار فيها إلى دعمه بلدًا وشعبًا وحكومةً للعراقيّين ضدّ إيران، وتذكر المصادر كلمة الملك الحسين في أثناء زيارة المستشار الألماني للأُردُن في ١٩٨٣/١٠/٥، فقد تَطرَّق الملك إلى الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة معتبرًا أن الحرب فُرضت على العِرَاق الذي تَعرَّض لعدوان إيرانيّ[٦].

وفي كلمة أخرى له قال الملك الراحل الحسين في حفل العشاء الذي أقامه جلالته تكريمًا للرئيس الباكستاني محمد ضياء الحقّ بتاريخ ١٩٨٧/١٠/٤، لم يتوانَ الحسين عن ذِكْر الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة وطلب التدخُّل لإنهائها.

وفي كلمة ألقاها الحسين في الحفل التكريمي الذي أقامه لفخامة رئيس وزراء الهند السيد راجيف غاندي في ١٩٨٨/٧/١١، أكَّد أبسط ما يدعو إليه غاندي وهو إحلال السلام وتقليل الخسائر في الأرواح.

يوم ١٩٨٧/٧/١ زار الرئيس النمساوي فالدهايم الأُردُن بناءً على دعوة من الملك الحسين، وفي زيارته لعمان عرض الملك الحسين عليه قضيَّة الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة، وقال: «إن منطقتنا مُبتَلَاة بمشكلة أخرى متفجرة متمثلة في الحرب الطاغية التي تدور رحاها منذ نحو سبع سنوات بين العِرَاق وإيران، وعلى الرغم من القرارات كافَّةً الملازمة الصادرة من مجلس الأمن بهذا الشأن وجميع الجهود التي بذلتها الدول الإسلامية ومجموعة دول عدم الانحياز ومنظَّمة الأُمَم المُتَّحِدة واستجابة العِرَاق لكل مسعًى يهدف إلى وقف القتال، فإن إيران ما زالت مُصِرَّة على مواجهة هذه الحرب المدمِّرة التي أصبحت تهدِّد أمن المنطقة برُمَّتها وسلام العالَم بأجمعه، بل إن إيران تسعى لتوسيع نطاق الحَرْب الخَلِيجية».

وقد أكَّد الملك الراحل الحسين بن طلال أن هذه الحرب يجب أن تَلقَى حدًّا لِمَا تسببه من خسائر مادية وبشرية وخلخلة للأمن في المنطقة، كما تَطرَّق الملك إلى هذه الحرب في عديد من مراسلاته مع عديد من الجهات العربيَّة والدوليَّة.

وفي عام ١٩٨٤، في ١٤ من شهر مارس/آذار، عُقِد مؤتمَر وزراء الخارجيَّة العرب في بغداد، لمناقشة الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة، ووضع حدّ لها،

(١) الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ٢٠٠٤.
(٢) جريدة الرأي في ١٩٨٢/١/١٧.
(٣) سلمى عدنان وآخرون، موقف الدول العربيَّة من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، مجلة آداب ذي قار، عدد ٣، ص١٨٢؛ ذنون، فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، ص٨.
(٤) سلمى عدنان وآخرون، موقف الدول العربيَّة من الحرب العِرَاقيَّة الإيرانية، مجلة آداب ذي قار، عدد ٣.
(٥) الصرايرة؛ أروى محمد، موقف الأُردُن من الحرب العِرَاقيَّة الأُردُنيَّة، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٤.
(٦) جريدة الرأي، ١٩٨٣/١٠/٦.

وانبثق عنه عدة قرارات، وهو ما ذكرته الصحف كما يلي في اليوم الذي يليه[1]: «دعا هذه المؤتمَر إلى وقف إطلاق النار والالتزام والاستجابة لقرارات السلام الدوليَّة، كما دعا إيران إلى احترام عَلاقتها مع الدول العربيَّة، واعتبر أي هجوم على أي قُطْر عربيّ هجومًا على الأقطار العربيَّة كافة كما جاء في قرارات قمَّة فاس ١٩٨٢».

في الفترة من ١٩٨٥/٨/٢٠ إلى ١٩٨٦/١٠/٢٨، تمَّت بين إيران والولايات المُتَّحِدة صفقة سُمِّيَت بـ«إيران غيت» أو «إيران كونترا»، سلّح فيها المليادير السُّعُودِيّ عدنان خاشقجي إيران بنحو ٣٠٠٠ صاروخ «تاو» مضادّ للدروع وصواريخ «هوك» أرض- جَوّ مضادَّة للطائرات مقابل إطلاق سراح خمسة أسرى أمريكان في لبنان. أدَّت هذه الفضيحة - كما وصفتها وسائل الإعلام- إلى هجوم إعلامي كبير على إيران، وإلى طرح كثير من التساؤلات حول مصير الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة، وقد أدان الأُردُن هذه الصفقة واعتبرها «فضيحة إيرانيَّة»، وعبَّر الملك عنها بشجبه الصفقة، مؤكّدًا أن الولايات المُتَّحِدة فقدت مصداقيتها في الشرق الأوسط وأن آخر ما كان يتوقَّعه هو أن تعزِّز الإدارة الأمريكية قوة إيران بهذا الشكل في المنطقة[2].

العَلاقات بعد انتهاء الحرب ١٩٨٨

وَفْقًا لقرار مجلس الأمن الدولي والوثيقة رقم S/RES/٥٩٨/١٩٨٧ من وثائق الأُمَم المُتَّحِدة المتاحة عبر موقعهم الإلكتروني لقرارات مجلس الأمن، فقد اجتُمع بمندوب دولة العِرَاق دون أن يحقّ له التصويت في الجلسة، واتُّخذ القرار رقم ٥٩٨[3]، وفي ٢٠ أغسطس/آب ١٩٨٨، أجرى الحسين اتصالًا مع الرئيس صَدَّام حُسَين يهنئه فيه بوقف إطلاق النار وبدء مباحثات إنهاء الحرب[4].

المشكلة الآن أصبحت كالتالي: إن وقوف الأُردُن بهذا الشكل القويّ مع العِرَاق ضدّ إيران في الحرب أدَّى إلى استنكار إيران لهذا التصرُّف وقطع العَلاقات الإيرانيَّة مع الأُردُن، كما أن بعض التقارير الإسرائيليَّة أشار إلى وجود دعم عسكريّ للأُردُن في حرب العِرَاق، طبعًا لصالح الجانب العِرَاقيّ، إلا أن إيران لم تستطِع إثبات تَوَرُّط الأُردُن فعليًّا من الناحية العسكريَّة ضدّها في الحرب، وبناءً على ذلك لم توجِّه إيران أي تهديد إلى الأُردُن كما فعلت مع دول الخَلِيج، كما أن المسؤولين في العِرَاق والأُردُن طالَمَا أثنَوْا على الوقوف جنبًا إلى جنب في هذه الحرب، إلا أنهم نفوا أي وجود لمساعدة عسكريَّة من القوات الأُردُنيَّة على أرض العِرَاق، كما أن المحللين السياسيِّين يشيرون في هذا الصدد إلى أن حنكة الملك الحسين أكبر وأعظم من أن يؤدِّي بلاده إلى الهلاك، إذ كان الملك الراحل يُدرِك تمامًا في ذلك الوقت أن القوة العسكريَّة لإيران كانت أقوى من القوة العسكريَّة للأُردُن، وكان من الممكن أن تقوم حرب وتدخُّل إيرانيّ على أراضي الأُردُن إن ثبت أيُّ تَوَرُّط له في الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانيَّة، ناهيك بوقوفه بجانب العِرَاق إعلاميًّا، مِمَّا أعطى الأُردُن فرصةً لإعادة العَلاقات مع إيران لاحقًا.

العَلاقات بعد حَرْب الخَلِيج الثانية ١٩٩٠

بعد وفاة الخُمينيّ ١٩٨٩ تَسلَّم الرئيس هاشمي رفسنجاني الحكم في إيران، وبدأت السياسة الخارجيَّة لإيران بالتغيُّر عن طريق توطيد العَلاقات الخارجيَّة مع عديد من الدول وتجاوُز ما مضى، وانتهاء فكرة تصدير الثَّوْرة، مِمَّا حدا بالأُردُن إلى أن يبادر إلى إعادة العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة، فكان لحَرْب الخَلِيج بين العِرَاق والكُوَيْت وَقْع

(١) جريدة الرأي ١٩٨٤/٣/١٥.

(٢) فليح؛ حسين علي، أثر السياسة الأمريكية في الحرب العِرَاقيَّة- الإيرانية، مجلة السياسة والدوليَّة، كلية العلوم السياسة، الجامعة المستنصرية، عدد ٢٠، ص٢١٣، ٢٠١٢.

(٣) وثائق الأُمَم المُتَّحِدة، قرار مجلس الأمن الدولي ١٩٨٧، الوثيقة رقم S/RES/٥٩٨/١٩٨٧))، المتاحة عبر موقعهم الإلكتروني.

(٤) جريدة الرأي الأُردُنيَّة، في ١٩٨٨/٨/٢٠، ص١.

كبير في إعادة العَلاقات الإيرانيَّة- الأُردُنيَّة، إذ تواصل مندوب الأُردُن في الأُمَم المُتَّحِدة آنذاك مروان القاسم، مع الجانب الإيرانيّ لإيجاد موقف مشترَك للدولتين بالنسبة إلى حَرْب الخَلِيج[1]، وقد أغلق الأُردُن مكاتب «مجاهدي خلق» المعارضين لإيران، وأنهى أي امتيازات وتسهيلات أُعطِيَت لهم. وكانت زيارة وزير الخارجيَّة الأُردُني طاهر المصري لإيران في ١٩٩١/١/٢، استكمالًا لِمَا بدأ من عمل عن طريق مندوب الأُردُن في الأُمَم المُتَّحِدة سابقًا، لإعادة العَلاقات واتِّخَاذ موقف واحد بشأن حَرْب الخَلِيج[2]، فأعادت هذه الزيارة العَلاقة بين الدولتين وبدأت بإشادة إيران بالجهود الأُردُنيَّة التي تحاول الوصول إلى حلّ سلمي بشأن الصراع بين الكُوَيْت والعِرَاق.

في ١٩٩١/١٢/٩، انعقد المؤتمَر الإسلامي السادس في السنغال/داكار، حيث التقى الملك الأُردُني الحسين بن طلال مع رئيس إيران آنذاك هاشمي رفسنجاني، فأعاد هذا اللقاء الثقة في عَلاقات الدولتين وتوطيد أواصر التعاون والتبادل الثقافي والاقتصادي[3].

في العام ذاته عادت العَلاقات إلى التوتُّر بسبب اكتشاف الأُردُن تنظيمًا يُسَمَّى «جيش محمد» ألقت القوات الأُردُنيَّة القبض على عديد من أعضائه وسجنتهم بتُهَم عديدة، مثل إحراق مكتبة المركز الثقافي الفرنسي، وإطلاق بعضهم النار على واجهة بنك بريطاني، وتفجير سيارتين لضابط في المخابرات العامَّة ولرجل مسيحي... وقد اعترف عديد منهم بأن التنظيم يتلقَّى دعمًا من إيران. إلا أن حسن روحاني زار الأُردُن لينفي دور إيران في دعم هذه الجماعة، وليؤكّد دعم إيران للأُردُن وحرصها على الأمن الداخلي فيه وعدم التدخُّل في شؤونه الداخلية. وقد أُطلِق سراح المسجونين من هذه الجماعة بعفو عامّ في ١٩٩٢[4].

وفي نفس العام ١٩٩٢ عاد التوتُّر من جديد على أثر اكتشاف مخازن للأسلحة في الأُردُن، في ما وصفته الأُردُن بـ«محاولة انقلاب على الحكم»، ووصفته حركة «حماس» بأنه «محاولة لنقل أسلحة إلى الضفَّة الغربية والمقاومة»، وقد كانت هذه الأسلحة من دعم إيرانيّ لحركة «حماس»[5].

وقد شهد عام ١٩٩٤ تراجعًا وتدهوُرًا حادًّا في العَلاقات الأُردُنيَّة- الإيرانيَّة، بسبب توقيع معاهدة وادي عربة التي انتقدت إيران الأُردُن على أثرها انتقادات واسعة، وفي الوقت ذاته طرد الأُردُن السفير الإيرانيّ في ذلك الوقت أحمد داستمالجان، ومعه ٢١ دبلوماسيًّا إيرانيًّا، بتهمة إنشاء منظَّمة أو خليَّة إرهابيَّة لمقاتلي حزب الله و«حماس» في الأُردُن. وجاء ردّ إيران في عام ١٩٩٦ باتِّهام الأُردُن بإيواء أفراد من المعارضين لها من «مجاهدي خلق»، وطالبت بطردهم من أجل الإبقاء على العَلاقات بين الدولتين[6].

كانت أحداث عام ١٩٩٤ هي السبب الأكبر الذي يُبقِي على تَوَتُّر العَلاقات بين الدولتين، وأهَمُّها توقيع معاهدة وادي عربة، إذ نظر كل من الأُردُن وإيران إلى إسرائيل بشكل مختلف، فالأُردُن كان هدفه الأول والأهَمّ الحفاظ على البنية الداخلية والأمن الداخلي للبلد، فوجد في توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل الطريقة الوحيدة لإبقاء السلام والأمن الداخلي بالذات مع عدد السُّكَّان الكبير ذوي الأصل الفلسطينيّ، وسُكَّان المخيمات الفلسطينيَّة على أرض الأُردُن، الذّين كان لهم الأثر الأكبر في دفع الأُردُن إلى توقيع المعاهدة، للحدّ من التوتُّرات والتقليل من فرص أي توتُّر في أرضها،

(١) القرعان؛ صالح أحمد، الموقف الأُردُني من أزمة الخَلِيج، رسالة ماجستير، الجامعة الأُردُنيَّة، ١٩٩٣.

(٢) تقرير الجزيرة. نت، تقرير «العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، محطات من التوتُّر والحذر» نشر في ٢٠١٦/٤/١٩.

(٣) جريدة الرأي الأُردُنيَّة، في ١٩٩٢/١٢/٩.

(٤) عبد الناصر؛ وليد، إيران: دراسة عن الثَّوْرة والدولة ص٨٦- ٨٧، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٧.

(٥) المصدر السابق.

(٦) Will Fulton, Ariel Farrar-Wellman, Robert Frasco, "Jordan-Iran Foreign Relations", 2011. http://www.irantracker.org

كما أن الحصول على مساعدات لتغطية حاجة هؤلاء من الغرب والأُمَم المُتَّحِدة كان مشروطًا بالسلام مع إسرائيل، حتى لا يعادي الأُردُن الغرب ويصبح في معزل عن أيّ دعم هو بحاجة إليه[1]، من ناحية أخرى لم ترَ إيران في إسرائيل الا عدوًّا يجب إنهاء وجوده، ولم تكُن إيران في يوم ما بلدًا حوى لاجئين أو مهجّرين، إلا أن الموارد فيها أكثر من موارد الأُردُن التي تفي بالكاد احتياجات الساكنين على أرضه.

من هنا برز الاختلاف، وكان لكل دولة وجهة نظر في قضيَّة الصراع الإسرائيليّ- الفلسطينيّ.

في عام ١٩٩٧، حين تَولَّى محمد خاتمي الحكم في إيران، تَحسَّنَت العَلاقات بين الدولتين وشهِدَت كثيرًا من الزيارات المتبادَلة من شخصيات دبلوماسيَّة وسياسيَّة مرموقة في الدولتين، منها زيارة الملكة رانيا العبد الله في عام ٢٠٠٠، التي التقت فيها عديدًا من النساء اللاتي شغلن مناصب عديدة في الدولة، منهن معصومة ابتكار التي ترأس منظَّمة حماية البيئة، ومستشارة الرئيس لشؤون المرأة زهرة شوجاي[2].

العَلاقات زمن الملك عبد الله الثاني

في قِمَّة الألفيَّة للأمم المُتَّحِدة التي عُقدت في نيويورك في ٦- ٢٠٠٠/٩/٨، التقى عبد الله الثاني ملك الأُردُن للمرة الأولى الرئيس الإيرانيّ محمد خاتمي، في لقاء كان مفاده ضرورة توطيد العَلاقات بين الدولتين، وبدعوة وجهها العاهل الأُردُني للرئيس الإيرانيّ لزيارة الأُردُن في الوقت الذي يختاره الأخير[3].

لكن العَلاقات عادت إلى التوتُّر والتراجُع على أثر اعتقال السُّلُطات الأُردُنيَّة أربعة فلسطينيِّين مِمَّن عادوا للتَّوِّ من إيران وبحوزتهم مبالغ مالية ضخمة، يُعتقد أنها كانت لتجهيز خلايا لتنفيذ عمليات ضدّ إسرائيل، وخلال ستة أشهر تَلَت هذه الحادثة اكتشفت السُّلُطات الأُردُنيَّة ١٦ مجموعة مماثلة، واعتُقل ٨٣ أُردُنيًّا مِمَّن تَلَقَّوا تدريبًا في إيران، وهو ما دفع الملك عبد الله الثاني إلى الإعراب عن قلقه من الغايات الإيرانيَّة وما ترمي إليه، خوفًا من أن يصبح الأُردُن قاعدة لها لتنفيذ عمليات ضدّ إسرائيل، وهو ما يضع الأُردُن في خَطّ المواجهة المباشرة مع إسرائيل إن حدث ذلك، وقد وصف الملك عبد الله في تصريح له هذه المحاولات بأنها تُثبِت أن إيران باتت تشكِّل خطرًا على المنطقة، الأمر الذي دعا إيران إلى الردّ بعنف على هذا الكلام، عن طريق وزير الدفاع الإيرانيّ شمخاني الذي قال إن «تصريحات الملك عبد الله الثاني تنمّ عن قِلَّة خبرته السياسيَّة»[4].

وفي نوفمبر ٢٠٠١ لم يبقَ أمام الملك عبد الله سوى طرح هذه القضيَّة مباشرة مع الرئيس الإيرانيّ خاتمي، في مكالمة هاتفية، وبعد شهر جاء ردّ خاتمي بأنه بالفعل اتُّخِذَت خطوات مؤسفة في قضيَّة هذه الجماعات، إلا أنه نفى أي عَلاقة لحكومته بالموضوع، مِمَّا أثار غضب الملك الأُردُني، فناقش خاتمي الموضوع مع المجلس الأعلى للدفاع الوطني في إيران، لاتِّخاذ موقف يُلغِي أي مخاوف للأُردُن. وبناءً على هذه الأحداث التقى الملك مع جورج بوش رئيس الولايات المُتَّحِدة آنذاك، وقد اتفق الطرفان على أن المتشددين في الحكم الإيرانيّ يعملون على تأجيج الصراع الفلسطينيّ- الإسرائيليّ عن طريق إيجاد خليتين، إحداهما حزب الله في لبنان، والأخرى في الأُردُن، ضمن هذه التنظيمات والجماعات المسلَّحة من إيران، مِمَّا دعا صحيفة «جمهوري إسلامي» التابعة لخامنئي إلى توجيه اتّهام

(١) المجالي، محمد مصلح، العلاقات الأُردُنيَّة العربيَّة، رسالة ماجستير، الجامعة الأُردُنيَّة، ٢٠٠٣.

(٢) جريدة الحياة، نشر في ٢٠٠٠/٧/٤، العدد ١٣٦٢٨، الصفحة ٣. انظر أيضًا وكالة الأنباء الكُوَيْتية في ٢٠٠٠/٧/٣ حيث نشر الخبر تحت عنوان « عقيلة العاهل الأُردُني تصل إيران في أول زيارة لملكة منذ الثَّوْرة الإسلامية.

(٣) جريدة الدستور الأُردُنيَّة، ٢٠٠٠/٩/٤.

(٤) ذنون؛ فواز موفق، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية ١٩٨٠- ٢٠٠٣، مجلة دراسات إقليميَّة، جامعة الموصل، العدد ٣٢، ٢٠١٣.

إلى الأُردُن بقلب موقف الولايات المُتَّحِدة ضدّ إيران. ومع هذا فإن المؤشرات السياسيَّة والتحليل لهذا المواقف تدلّ على أن الدولتين تحاولان الإبقاء على الخلاف بينهما ضمن الحدود التي يمكن تداركها.

موقف أمريكا والأُردُن السابق دعا إيران إلى تبليغ الأُردُن عن طريق استدعاء السفير الأُردُني[1] وإعلامه، باحتجاج إيران على تأييد الملك عبد الله الثاني لاتّهامات الرئيس جورج بوش التي وجَّهَها إلى إيران، وتَحدَّث عن دول «محور الشر» إذ ربط بين العِرَاق وإيران وكوريا الشمالية، وأدان امتلاك هذه الأنظمة أسلحة دمار شامل، وقد أذاعت الإذاعة الإيرانيَّة في فبراير/شباط ٢٠٠٢، انتقاد حكومتها لتأييد الملك عبد الله الثاني هذا الخطاب[2].

شهدت الفترة ٢٠٠٠- ٢٠٠٢ عديدًا من المواقف التي أخلَّت في العَلاقات بين البلدين، فبالإضافة إلى ما ذُكر أعلاه، اتَّهم السفير الأُردُني في طهران، إيرانَ باختراق أرض بلاده والإخلال بأمنها، وكان هذا أول انتقاد حادّ يُوجَّه إلى إيران بعد تَولِّي الملك عبد الله الثاني سُلُطاته الدستورية، وقد استدعى الأُردُن سفيره بسام العموش دون التصريح بأسباب ذلك.

وأشارت صحيفة «الشرق الأوسط» في عددها ٨٥٩٣ بتاريخ ٢٠٠٢/٦/٨، إلى أن إيران استضافت لقاء المجموعات والفصائل الفلسطينيَّة على أرضها، برئاسة المرشد الإيرانيّ، وقد نفى خاتمي أيّ عَلاقة له بهذا اللقاء، بيد أن الأحداث وقتها كانت تُفضِي إلى أن سياسة إيران تجاه القضيَّة الفلسطينيَّة لم تعُد تابعة لإدارة خاتمي، بل كان المرشد الإيرانيّ يسيطر عليها كُلِّيَّةً. وكان لهذا اللقاء أثر سيِّئ على العَلاقات، بحيث خرجت المجموعات بنتيجة هي استخدام الأُردُن ولبنان قاعدتين لمهاجمة إسرائيل ومحو وجود الكيان الصهيوني عن الخريطة، وهو ما أثار غضب الأُردُن وخوفه على أمنه الداخلي، إلا أن خاتمي حاول قدر المستطاع إبقاء الصراع في حدود ما يمكن السيطرة عليه وعدم الوصول إلى القطيعة بين الدولتين، وتابع نفي تَدَخُّل حكومته بهذه الأحداث.

في ٢٠٠٣/٩/٢ كانت أول زيارة للملك الأُردُن إلى طهران منذ عام ١٩٧٩ وقيام الثَّوْرة في إيران، وقد التقى فيها الملك عبد الله الثاني مع محمد خاتمي، وذكرت الصحف، ومنها صحيفة «الوطن» السُّعُودِيَّة، أن هذه الزيارة كان وساطة أُردُنيَّة بين إيران والولايات المُتَّحِدة لإعادة العَلاقات وسبل الحوار بشأن الملفّ النووي الإيرانيّ.

وقد نَفَت الأُردُن أنها سلّمت خمسة من «مجاهدي خلق» لإيران لإعادة سبل التفاوض بينها وبين إيران، وفي ٢٠٠٣ أزالت الولايات المُتَّحِدة اسم «مجاهدي خلق» من المنظَّمات الإرهابيَّة مقابل تسليمها السلاح، وهو ما فعله مجاهدو خلق مقابل الحماية الأمريكية.

ما بعد غزو العِرَاق ٢٠٠٣

مثَّل الغزو الأمريكي للعراق نقطة خلاف بين الدولتين من منظورهما للحرب، فالأُردُن وجدت فيه مأساة وضغطًا كبيرًا نتيجة للمهاجرين إليها، وعانت من استقبالهم وتوفير العيش الكريم لهم نظرًا إلى محدودية الموارد فيها، التي تكفي بالكاد سُكَّانها، ومن ناحية أخرى زاد تَوَسُّع وجود «القاعدة» في الأُردُن، الأمر الذي أثبته تفجير عدة فنادق في الأُردُن في ٢٠٠٥، وتبنته القاعدة[3]. أما إيران فوجدت في الغزو الأمريكي للعراق والإطاحة بصَدَّام حُسَين نصرًا استراتيجيًّا كبيرًا يؤدِّي إلى سيطرة الأغلبية الشِّيعِيَّة في العِرَاق ونصرتها لإيران، ومِن ثَمَّ كان الغزو الأمريكي يُعتبر نصرًا وخارطة سياسيَّة جديدة لإيران، في حين

(١) صحيفة الشرق الأوسط، ٢٠٠٢/٦/٨، العدد ٨٥٩٣، خطوة إيرانية مماثلة منتظرة بعد سحب السفير الأُردُني.

(٢) تقرير الجزيرة. نت، تقرير «العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، محطات من التوتُّر والحذر»، نُشر في ٢٠١٦/٤/١٩.

(٣) تقرير الجزيرة. نت، تقرير «العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، محطات من التوتُّر والحذر»، نُشر في ٢٠١٦/٤/١٩.

تَكلَّف الأُردُن فوق طاقته من ضغط على البنية التحتية والموارد والتهديد لأمنه الداخليّ نتيجة هذا الغزو.

وقد زاد النُّفُوذ الإيرانيّ في العِرَاق نتيجة عدم تدخُّل الدول المجاورة، خصوصًا أن من تَسلَّموا مقاليد الحكم في العِرَاق كان أغلبهم منفيًّا، وعاد بعد الإطاحة بصَدَّام من المنفى. زيادة النُّفُوذ الإيرانيّ أدَّت بالملك عبد الله الثاني إلى استخدام وصف النُّفُوذ بـ«الهلال الشيعي»[1]، كناية عن القوى الإيرانيَّة المتحكمة في المنطقة، ففي مقالة له مع صحيفة «واشنطن بوست» في ٢٠٠٤ اتهم الملك عبد الله الثاني إيران بنيّتها تكوين جمهورية إسلامي في العِرَاق وأنها تسعى لتكوين هلال فارسيّ يضمّ العِرَاق وسوريا ولبنان. وفي ٢٠٠٤/١٢/٢٥ حذّر وزير الخارجيَّة الأُردُنيَّة الملقي من خطر إيران على العِرَاق والمنطقة، ومن سعيها لِمَا سُمِّي بـ«الهلال الشيعي».

وقد قاطعت إيران مؤتمر جيران العِرَاق الذي عُقد في الأُردُن في ٢٠٠٥ بحُجَّة أن الأُردُن يوفر مأوًى للبعثيين ويخطِّط لاستعادة الحكم الهاشمي في العِرَاق! وقد بقي التوتُّر قائمًا على العَلاقات، ففي عام ٢٠٠٧ أشار معروف البخيت رئيس الوزراء الأُردُني آنذاك إلى اشتراك إيران في أحداث غزة ومساعدة حماس على السيطرة على القطاع وحكمه.

بعد فشل العدوان الإسرائيليّ على جنوب لبنان في ٢٠٠٦، اتخذت إيران موقفًا واضحًا في جانب التكتُّل الذي ضمّ سوريا وحزب الله والمقاومة الفلسطينيَّة، في مواجهة مع التكتُّل الذي ضمّ الأُردُن ومصر والسُّعُودِيَّة، وقد اختلفت وجهات النظر في طريقة مواجهة هذا العدوان وعدم السماح للنفوذ الإيرانيّ بالتوسُّع في المنطقة[2].

النُّفُوذ الإيرانيّ في الأُردُن وقرع أجراس الخطر

منذ بدء العَلاقات لم يحظَ النُّفُوذ الإيرانيّ بأي فرصة للتعاظم في الأُردُن، نتيجة القلق منه على أمن الأُردُن والسلام الداخلي له، إلا أن الغزو الأميركي للعراق أثَّر كثيرًا في زيادة نسبة الشِّيعَة، ومن المعروف أن مُعظَم العائلات اللاجئة إلى الأُردُن من العِرَاق هم من الشِّيعَة، وأن هذه الطائفة تفضِّل الانفصال بحكمها دومًا، تجاوز الأُردُن الخط المسموح وبدأ قرع أجراس الإنذار خصوصًا بعد عام ٢٠٠٥. التزايد الشيعي في الأُردُن بات يؤثّر على السُّكَّان الأصليين، فقد وجدت الإحصائيات أن ٣٠ عائلة من مخيَّم البقعة قد تَشيَّعَت، وكذلك بعض العائلات في إربد ومادبا السلط والزرقاء[3].

المشكلة أن الشِّيعَة في الأُردُن من أصحاب الأموال، والمشكلة الأكبر حصولهم على الجنسية الأُردُنيَّة وقيامهم بالاستثمار، ومن هنا ظهر القلق والخوف من تأثير سيطرة المال، وقد كان لهزيمة إسرائيل وتحرير جنوب لبنان أثر في زيادة التشيُّع، إذ يحظى حسن نصر الله زعيم حزب الله بشعبيَّة كبيرة سياسيًّا وإعلاميًّا بسبب موقفه تجاه القضيَّة الفلسطينيَّة. وقد تغيرت السياسات الأُردُنيَّة تجاه السياحة الإيرانيَّة في المنطقة إذ مُنحَ عديد من التسهيلات لزيارة القبور والأضرحة التي تعني لفئة الشِّيعَة كثيرًا، وبُنِيَ مسجد عند ضريح الصحابي جعفر بن أبي طالب بتمويل إيرانيّ، وبات مشهد النواح عند هذه الأضرحة أمرًا مألوفًا على الأراضي الأُردُنيَّة! وهنا نُذكِّر بموقف الملك عبد الله الثاني وتحذيره من قيام هلال شيعي في المنطقة يمتد من إيران إلى البحرين وسوريا في المنطقة، بحيث تصبح إيران ليست فقط دولة لها عَلاقات خارجيَّة مع الأُردُن، بل ودولة مجاورة في الحدود الشمالية

(١) المصدر نفسه.

(٢) أحمد؛ سليمان علي، سياسة إيران الخارجيَّة تجاه الدول العربيَّة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ٢٠١٢.

(٣) الجازي؛ ممدوح بريك، النُّفُوذ الإيراني في المنطقة العربيَّة على ضوء التحولات في الساسة الأمريكية، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠١١.

والشرقية، وربما الغربية إن تغلغلت بين صفوف المقاومة الفلسطينيَّة أيضًا[1]!

وثائق ويكيليكس ودعوة نجاد

أبدى الأُردُن انزعاجه من تصريحات أشار إليها الرئيس أحمدي نجاد دون أي مناسبة للحديث عن الأمر، أشار فيها إلى مخطَّط إسرائيل لتقسيم الأُردُن وإقامة دولة فلسطينيَّة على أرضه.

تأرجحت العَلاقات بين البلدين بناءً على عديد من الوثائق التي كُشِفَ عنها بعد قضيَّة ويكيليكس الشهيرة، التي أدَّت إلى انفتاح في العَلاقات بين الدولتين، فقد أشارت وكيليكس إلى أن إحدى الوثائق تكشف تصريحاً لزيد الرفاعي، يقول فيه إن الحوار مع إيران لا جدوى منه ولن يصل إلى النتائج المرجوَّة، وإن حصلت إيران على السلاح النووي فسيكون الحلّ عندها عسكريًّا، مِمَّا دعا الأُردُن إلى المسارعة في الردّ بالنفي وأن ما تحمله وثائق ويكيليكس مجرَّد تحليلات للمسؤولين الأمريكيين. وفي بيان للردّ أكَّد الملك عبد الله الثاني أن موقف الأُردُن تجاه إيران وملفها النووي ثابت، وأن الأُردُن يرفض بشكل قاطع أي تدخل عسكريّ ضدّ إيران ويحذّر من أن أي عمل مثل هذا سيؤدِّي إلى إحلال كارثة في المنطقة وتدمير السلام والأمن فيها. وقد أدَّى هذا البيان إلى انفتاح أكبر في العَلاقات بين الدولتين تَمثَّل في ما اعتبره الرئيس الإيراني السابق نجاد مصداقية من الجانب الأُردُني الرافض للحرب على إيران، وقد أرسل مع مدير مكتب الرئاسة رحيم مشائي وفدًا خاصًّا إلى الملك عبد الله الثاني وتَسلَّم الملك دعوة من الرئيس الإيرانيّ أحمدي نجاد له لزيارة طهران، وأعلن عن قبولها[2] [٤٧]، إلا أن الغضب الداخلي الذي واجهه نجاد بسبب دعوته الملك عبد الله الثاني لزيارة طهران، شكَّل ضغطًا كبيرًا عليه أدَّى إلى إرجاء الزيارة.

وفي تقرير استطلاعي صدر عن مركز الدراسات الاستراتيجيَّة في ٢٠١٠/٨، رصد الرأي العامّ عن رأي المواطنين في التدخُّل الإيرانيّ في المنطقة، أشارت النتائج إلى أن ٥٤٪ من المواطنين يؤيِّدون أن إيران تشكل تهديدًا للأُردُن، في حين أيدت وجهات النظر بنسبة ٦٩٪ عند قادة الرأي أن إيران تهدد المصالح الأُردُنيَّة[3].

ماذا بعد الربيع العربيّ؟

بعد أحداث الربيع العربيّ التي بدأت في ٢٠١١، أخذ الأُردُن يُبدِي قلقًا كبيرًا تجاه دور إيران في دمشق وبغداد وبيروت وصنعاء. وفي أول زيارة لاستعادة رمق العَلاقة بين الدولتين بعد انقطاع سبع سنين، زار وزير الخارجيَّة الإيرانيّ محمد جواد ظريف الأُردُن في ٢٠١٤/١/١٤. في المقابل في ٢٠١٥/٣/٧ زار وزير الخارجيَّة الأُردُني آنذاك ناصر جودة طهران، ليلتقي الرئيس حسن روحاني للحديث في سبل مكافحة الإرهاب والتطرف.

وفي العام نفسه رحّب الأُردُن بالاتفاق النووي الذي وقعته إيران مع الغرب في فيينا في ٢٠١٥/٧/١٤، إلا أن العَلاقات شابتها شوائب من جديد عند بدء محاكمة خالد الرباعي، النرويجي الجنسية، في محكمة أمن الدولة الأُردُنيَّة، بتهمة العمل لحساب الحرس الثوري الإيرانيّ والاشتباه في التخطيط لأعمال إرهابيَّة على أرض الأُردُن في ٢٠١٥/٧، وفي ٢٠١٥/٨/٤ وجَّهت السُّعُودِيَّة والأُردُن رفضًا قاطعًا لأيّ محاولة تَدَخُّل من إيران في المنطقة العربيَّة والتأثير على أمنها الداخلي.

ومن العام نفسه في ١٢/٢٥، أشارت وكالة أنباء «فارس» الإيرانيَّة إلى زيارة وزير الأوقاف الأُردُني لمدينة قم الإيرانيَّة، والتقائه مع مسؤولين إيرانيّين من ممثلي الحج مثل علي القاضي، وبحثه معهم التعاون بين

(١) المصدر السابق، انظر أيضًا: تقرير الجزيرة «العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية، محطات من التوتُّر والحذر»؛ ذنون، فواز، العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية.

(٢) تقرير قناة الجزيرة في ٢٠١١/٤/١٤، من إعداد محمد النجار، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews

(٣) العلاقات- الأُردُنيَّة- الإيرانية- تراوح- مكانها /١٤/٤/٢٠١١/

الـدولتين ومكافحـة الإرهـاب، ودعـا القاضـي في هـذه الزيـارة إلى توطيـد العَلاقـات والتعـاون في شـتى المجـالات بـين الـدولتين وإزالـة أيّ سـوء تفـاهم مـن شـأنه أن يعيـد العَلاقات إلى التوتُّر والقطيعة.

إلا أن الأُردُن في نـوفمبر ٢٠١٦، رفـض طلبًـا إيرانيًّـا بزيـارة نـصف مليـون سـائح إيرانـيّ للأراضـي الأُردُنيَّـة وزيـارة الأمـاكن المقدَّسـة للشِّيعَة فيهـا، معلِّلًا ذلك برفض الأُردُن أيّ تدخُّلات في شؤونها الداخلية.

ووصـف الأُردُن اقتحـام السـفارة السُّعُودِيَّة في طهران من الشهر نفسه بأنه «خرق واضح للقانون».

تبـعَ هـذا الوصـفَ اسـتدعاءُ السـفير الإيرانـيّ لـدى الأُردُن وتـسليمه مـذكرة احتجـاج علـى الحادثـة. وفي أبريـل ٢٠١٦ حـذّرَت السُّعُودِيَّة والأُردُن مـن التـدخُّل الإيرانـيّ، ورفـضتا أي تَـدَخُّل إيرانـيّ في المنطقـة مـن شـأنه أن يُخِـلّ بـأمن الـدولتين، وقـد حـذّرَت كـل منهمـا مـن اسـتمرار السـياسيَّة الإيرانيَّـة في المنطقـة بوصـفها بأنهـا تنمِّـي الإرهـاب وتُـشعِل الفـتن. وانتهـت الأمـور إلى اسـتدعاء السـفير الأُردُنـي في طهـران ليُبـدِي الأُردُن اعتراضـه علـى مـا وصـفه بـ«وقفـة تقييميـة للتدخل الإيرانيّ في الشؤون العربيَّة»[1].

الخاتمة

أشـارت هـذه الدراسـة في المجمـل إلى تـاريخ العَلاقـات الأُردُنيَّـة- الإيرانيَّـة منـذ بـداياتها، ومرورهـا بعديـد مـن سـنوات الازدهـار وعودتهـا إلى التـأرجح والتخلخـل، والانقطـاع في بعـض الفـترات، مـرورًا بـذكر الأحـداث والأسـباب الـتي أدَّت إلى هـذا التذبـذب في العَلاقـات بـين الـدولتين، ومـن الواضـح أن فـترة العَلاقـات قبـل الحـرب العِرَاقيَّـة- الإيرانيَّـة، وفـترة مـا بعـد انتهـاء الحـرب في بدايـة التـسعينيات، شهدت أفضل الأوضاع بين الدولتين.

وانتهـت الدراسـة بالإشـارة إلى سـحب السـفير الأُردُنـي مـن إيـران في مطلـع العـام الحـالي، وبقـاء العَلاقـات متراوحـة بـين التـوتُّر والـصداقة، ومحـاولات الدولتين للإبقاء على أي توتُّر بينهما قيد السيطرة.

وأشـارت الدراسـة إلى اخـتلاف التوجُّهـات بـين الـدولتين ومنظورهمـا السـياسي لمـا يحـدث في المنطقـة، خـصوصًا القـضيَّة الفلـسطينيَّة والـصراع الإسـرائيليّ- العربـيّ، بالإضـافة إلى محـاولات إيـران فـرض نفوذهـا في المنطقـة واتِّخَـاذ الأُردُن في أكثـر مـن مـرة قاعـدةً لـشَنّ الهجمـات علـى إسـرائيل، وهـو مـا نفتـه الحكومـة الإيرانيَّـة، وأشـارت إلى خطـوات مؤسـفة في هـذا الاتجـاه تفعلـها جماعـات غـير تابعـة للحكومة الإيرانيَّة ولا تمثلها.

وفي ظـلّ آثـار مـا يُـسَمَّى «الربيـع العربـيّ»، والثَّـوْرة الأهليـة في سـوريا، ووجـود حـزب اللّه في لبنـان والنُّفُـوذ الإيرانـيّ عـن طريـق الـشِّيعَة في العِـرَاق، وبقـاء الـصراع الإسـرائيليّ العربـيّ ماثلًـا إلى اليـوم، فـإن القـارئ يجـد مـن الـصعب الوصـول إلى الوفـاق التـامّ بـين الـدولتين، بـسبب تعـارض المـصالح في القـضايا الـسياسيَّة والإقليميَّـة في المنطقـة، وسـعي إيـران المـستمر لتوسـيع نفوذهـا وفـرض سـيطرتها وتَدَخُّلـها في شـؤون الـدول المجـاورة لـلأُردُن، ومـن ناحيـة أخـرى فـإن الأُردُن لـه عَلاقـات وطيـدة مـع دول مجلـس التعـاون الخَلِيجـي والسُّعُودِيَّة التي لها عَلاقات شائكة مع إيران.

هكـذا تبقـى العَلاقـات الأُردُنيَّـة- الإيرانيَّـة محـلّ تَـراوُح بـين صـداقة وتـوتُّر وقطيعـة، نتيجـة لعـدة أسـباب، منهـا اخـتلاف المـصالح، والعَلاقـات الدوليَّـة، وتأييـد أحـدهما عديـدًا مـن الأطـراف الـتي يعـدّها الآخَـر خطـرًا علـى أمنهـا ومـصالحها، بالإضـافة إلى العَلاقـات الإقليميَّـة للـدولتين الـتي لهـا أثـر بـالغ في تقوية أو إضعاف العَلاقة بينهما.

أخـيرًا كـان تحـذير الملـك عبـد اللّه الثـاني مبكِّـرًا مـن خطـر تَمـدُّد إيـران في المنطقـة العربيَّـة، وهـو خطـر متحقِّـق اليـوم ونفـوذ واقـع في أكثـر مـن بلـد عربـيّ، ولكـن الأُردُن لم يخـرج عـن التـصوُّر العربـيّ الـذي تقـوده المملكـة العربيَّـة السُّعُودِيَّة للأمـن القـومي العربـيّ، فبـادل إيـرانَ القطيعـةَ جَـرَّاء الاعتـداءات علـى السـفارة السُّعُودِيَّة في طهـران والتـدخُّلات المـستمرَّة، وما زال الأُردُن متماهيًا تمامًا مع الموقف السُّعُودِيّ.

(١) عمان نت الإخباري، «انفتاح في العلاقات الأُردُنيَّة الإيرانية تتخلله مخاوف كامنة»، نُشر في ٢٠١٠/١٢/١٧.

مؤشرات التطرف لدى الشباب

عرض أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

هذه باكورة سلسلة الدراسات لمركز دلائل، وهي في الأصل جزء من رسالة الدكتوراه للمؤلف د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الهليل، والتي حصل عليها من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الدراسة جاءت في ٨٠ صفحة من القطع المتوسط، وصدرت طبعتها الأولى في الرياض سنة ١٤٣٧هـ.

فكرة الكتاب هي وضع بعض المؤشرات الفكرية والسلوكية التي تكشف للأسرة مبكراً عن تأثر أبنائها بفكر الغلو والتطرف، ما يساعد على سرعة العلاج والوقاية قبل التورط الكامل بتقبل منظومة التطرف والغلو أو الأعمال الإرهابية.

قامت الدراسة على بحث ميداني في المجتمع السعودي من خلال استبيانات أجاب عليها خبراء في التعامل مع أصحاب الفكر المتطرف، وبعض الموقوفين أمنيا على خلفية قضايا الغلو والتطرف، وبعض المتراجعين عن فكر الغلو، وبرغم خصوصيتها بدراسة الواقع السعودي إلا أن فيها مقدارا كبيرا مشتركا مع العديد من الدول والمجتمعات الأخرى.

(*) كاتب أردني.

وبعد تحليل الاستبيانات وصل الباحث إلى مجموعة من المؤشرات التي يشير وجودها لاحتمالية وجود تأثر بفكر الغلو والتطرف مما يستدعي اليقظة والمتابعة والوقاية والعلاج، وقسّم هذه المؤشرات إلى أربعة مجالات: الاقتصادية، والاجتماعية، والنفسية، والفكرية، وسنعرضها بإيجاز:

١- المؤشرات الاقتصادية

- التغير في الوضع المالي سلباً أو إيجاباً، حيث تختفي نقوده دون مبرر واضح، أو يغتني دون سبب، أو التخلي عن بعض المقتنيات الثمينة أو ظهورها فجأة، وكذلك ممارسة أنشطة خيرية بطريقة غير رسمية أو واضحة.
- ممارسة أنشطة تجارية مشبوهة.
- العزوف عن العمل الحكومي مع توفره، والاتجاه نحو التجارة البسيطة كبيع الخضار والعسل وما شابه، وتبرير ذلك بشبهات شرعية حول مشروعية العمل الحكومي.
- استغلال العمل الخيري لأعمال غير صحيحة، أو استباحة المال العام لصالح جهات أخرى.

٢- المؤشرات الاجتماعية

- عدم مشاركة الفرد في المناسبات الاجتماعية، وقلة الخلطة بالمنزل مع الأهل، ومرافقة أشخاص غير معروفين أو يبدو عليهم التشدد والغلو.
- قطع العلاقات والصداقات السابقة بطريقة مفاجئة.
- اتخاذ أصحاب جدد في الواقع أو عبر النت مشبوهين أو متشددين.
- الذهاب مع الغرباء لرحلات برية باسم الصيد، أو لصلاة الجمعة عند خطيب محدد لديه تشدد.
- عقوق الوالدين وقطيعة الرحم وكثرة المنازعات مع الأسرة، وتزايد النقد للوضع العام والعلماء والقادة.

٣- المؤشرات النفسية

- الانطوائية عن الأسرة والأصدقاء، ومتابعة مواقع النت المتشددة والغالية.
- التوتر والقلق والخوف عند ذكر أجهزة الأمن أو جرائم الغلاة.
- الوسواس والشك والاكتئاب ما لم يكن له سبب معروف.
- اختلال السلامة النفسية وظهور سلوكيات غريبة كإطالة الشعر وترك حسن المظهر.

٤- المؤشرات الفكرية

- التكفير، للمجتمعات والدول والقادة والجرأة على تكفير المعيّن، وتمني الانتقام منهم.
- الغلو بتقديس بعض رموز تيار العنف والقتال.
- تبني رؤية متطرفة تجاه الرياضة والبنوك والوطنية، والتركيز على السلبيات والتفسيق والتخوين.
- التشدد والميل للغلظة في القول والعمل والمعتقد.
- أحادية الرأي والتصلب فيه ورفض آراء الآخرين.
- الاعتماد على الرؤى والأحلام وتحميلها أكثر مما تحتمل.
- إسقاط الرموز العلمية والشرعية والسياسية.
- التجرؤ على الفتوى مع عدم القدرة العلمية خاصة في القضايا الكبرى.

- تتبّع الزلات وإشاعتها بهدف التنقيص من الدولة والعلماء وغيرهم ممن يعارضون أفكار الغلو والتطرف.

هذه هي المؤشرات التي يجب أن تتبّه الأسرة لحدوث خلل لدى أي فرد فيها مما يستدعي تدخلها، علمًا بأن للأسرة عدة أدوار، دورين منها قبل حدوث مشكلة الغلو والتطرف الأسرة هما:

١- الدور البنائي بدايةً بالتنشئة السليمة للأطفال دينياً واجتماعياً، بتعليمهم مبادئ الإسلام الصحيحة المنافية للغلو والتطرف، والتفاعل الإيجابي مع الآخرين.

٢- الدور الوقائي بترسيخ مفهوم التفكير النقدي للأفكار والسلوكيات، وإشاعة ثقافة الحوار بين أفراد الأسرة، ومتابعة صداقاتهم وقناعاتهم، وتوجيههم نحو عمل الخير والعلم النافع.

وهناك دوران للأسرة بعد حدوث مشكلة الغلو والتطرف فيها، هما:

٣- الدور العلاجي بالنصح والإرشاد بأسلوب حسن ومؤثر، وبيان النتائج السلبية لما يقوم به، وأنه مخالف لعادات الأسرة وتاريخها، وتفنيد القناعات الخاطئة، ومحاولة إبعاده عن رفقائه، والعقاب إذا اقتضى الحال، ورفع الأمر للجهات المختصة إذا لزم الأمر.

٤- الدور الرعائي وهذا يكون بعد عودته للأسرة لمتابعة إصلاحه، فعليها تشجيعه وتصبيره ومعاونته بالتفاؤل والمستقبل، وإشعاره بتقديره لذاته، وإظهار مشاعر العطف والتراحم، والحرص على مشاركته في المناسبات الاجتماعية.

إن مجتمعاتنا الحاضرة والتي تعاني من مشكلة الغلو والتطرف تحتاج إلى تلخيص مثل هذه الدراسات بأساليب متنوعة وتعميمها على الأسر والآباء والأمهات ولا تبقى حبيسة الجدران والأرفف في مكاتب المسؤولين، حتى نخطو فعلا نحو محاربة التطرف والغلو وصيانة فلذات الأكباد من شرورهما.

كارثة حلب: الجُناة

قالوا: كان أول خرق خطير في السفينة هو الهجوم الذي قامت به حركة الزنكي بمعاونة كتيبة أبي عمارة وجبهة النصرة على تجمع «فاستقم» الذي كان يرابط على نحو ثلث جبهات المدينة، ثم الهجوم الآخر الذي قام به تحالف الغلاة - النصرة وأبي عمارة وكتيبة أشدّاء- على فصيلَي جيش الإسلام وفيلق الشام. ذلك البغي الآثم أسقط قطعة مهمة من حزام حلب الدفاعي، لأن البغاة استولوا على معظم أسلحة وذخائر الفصائل الثلاثة واعتقلوا بعض مقاتليها وقادتها، بل إن قائد أبي عمارة الساديّ المجرم (الملقب بأبي بكري) اختطف بعض مقاتلي التجمع، فساقهم من الرباط إلى سلخانة الكتيبة وعذّبهم حتى الموت، لا سامحه الله.

مجاهد مأمون ديرانية

٢٠١٦/١٢/١٥

الفِكر الظلامي كيف ينمو وكيف يُجفّف؟

قالوا: في الإعلام نظريتان:

١- النظرية المعرفية؛ فالشخص الفارغ سهل عليه أن يتقبل أية فكرة جديدة وفق نظرية الاستجابة المعرفية، والشخص المليء فكرا وعلما يرفض قبول أية فكرة تخالف ما بُني عليه وحصن به، وذلك وفق نظرية التنافر المعرفي.

٢- نظرية الولاء (Loyalty)؛ فالشخص الذي لا يجد ما يحقق له استجابته المعرفية ينصرف إلى من يحقق له ذلك أو يشبع له حاجاته فيواليه دون غيره.

في ضوء ذلك يتبيّن لكلّ ذي لبّ أنّ: تفريغ الأجيال من ثوابتها وقيمها الراسخة، وتسطيح وعيهم لهو من خرق التخطيط الواعي الذي يرفد الفكر الإرهابي ويغذيه، وتُسهم في ضياع أجيالنا واستهدافهم واختطافهم وضياعهم من بين أيدينا.

تحصين الأجيال وبناؤهم بالعقيدة الصافية والعلم الثابت والمنهج القويم وتعميق وعيهم بدينهم الحقّ وتبصيرهم بمبادئه كما نزلت على النبي ﷺ وطبقها وفهمها صحابته الكرام وعدول الأمة وثقاتها، مع مجانبة تحريف المنحرفين وغلوّ الغالين والشاطحين، لهو السبيل الأقوى لمناهضة الإرهاب وتجفيف منابعه.

د. محمد أحمد ربابعة،

صفحته الشخصية

الحشد الشيعي أخطر من داعش

قالوا: إن الخطر الحقيقي على استقرار العراق والأمن في المنطقة على المدى الطويل يأتي من ميليشيات «الحشد الشعبي» المدعومة من إيران، وليس من تنظيم داعش.

... إن تجاوزات الميليشيات الشيعية ضد المدنيين السنة تشكل تهديدا لكل الجهود الرامية إلى جعل المكون السني جزءا من الحل في العراق وليس عاملا للفشل.

وحذر من تنامي نفوذ هذه الميليشيات المدعومة إيرانيا بحيث تصبح الحكومة العراقية عاجزة عن احتوائها.

مهمة دحر داعش في العراق يجب أن تنجز من خلال القوات العراقية المدعومة من التحالف الدولي، مشيرا إلى ضرورة خلق قوات سنية مناوئة لداعش، ووقف تجاوزات الميليشيات الشيعية بحق المواطنين السنة التي تزيد من حدة التوتر الطائفي في البلاد.

واستبعد التحالف بين واشنطن وطهران في العراق، متهما إيران بأنها جزء من المشكلة لا الحل، محذرا من أن تنامي نفوذها في الشرق الأوسط، سيؤدي إلى اتساع رقعة التطرف وربما «انتشار نووي» في المنطقة.

الرئيس السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، ديفيد بتريوس

موقع سكاي نيوز ٢٠١٦/١٢/٢١

مستقبل لبنان المحتمل

قالوا: إذا ما حققت إيران وحزب الله أهدافهما في سوريا، فسيعودان قريبا إلى النغمة التقليدية القديمة القائمة على معزوفة «الموت لإسرائيل». سيكون هناك حاجة حينها

للتشديد على هذه المعزوفة التي قد تتطلب ما يمكن تسميته بالاشتباك المنخفض المستوى مع إسرائيل وذلك ليعيد الحزب وتعيد إيران من ورائه بناء شرعيّتهم وشعبيتهم الإقليمية التي فقدوها في السنوات القليلة الماضية.

لا شك أنّ حزب الله سيكون بحاجة إلى راحة بعد المستنقع السوري، وهذا يفترض انّه لن يبادر إلى افتعال حرب مع إسرائيل، وأنّ مصلحته ستقتضي منه التركيز على رسائله السابقة تجاهها، وهي الرسائل التي سمحت له في المرحلة الماضية بأن يترك ظهره مكشوفا لها، وأن يثق بأنها لن تشنّ هجوماً عليه.

وذلك، فإذا ما راقبنا الوضع في لبنان مؤخراً، فسنرى أنّ حزب الله قد بدأ بخطوات لتحصين نفسه وتأمين الراحة التي نتحدث عنها من خلال إعادة إحياء النظام السياسي الميّت في البلاد وتغلغله في المؤسسات الرسمية، والحرص على أن يكون حلفاؤه في الواجهة السياسية للبلاد، وذلك كي يستطيع الحزب الاختباء وراء الدولة اللبنانية فتتولى هي مهمّة الدفاع عنه في الأزمات، تماما كما كان يحصل سابقا خلال العقود الثلاثة الماضية.

لكن القرار النهائي في أمورٍ من هذا النوع لا تعود إلى الحزب نفسه وإنما إلى المرشد الأعلى، تماماً كما كان الأمر عليه في العام ٢٠٠٦ أيضاً. بالنسبة إلى إيران، فإنّ حزب الله في لبنان هو فرع خارجي للحرس الثوري الايراني، ولذلك فعندما يأتيه الأمر، لا مجال للاجتهاد فيه. في المرحلة المقبلة، وإذا ما قام ترامب بتشديد الخناق على النظام الإيراني ولاسيما فيما يتعلق بالاتفاق النووي ودور إيران الإقليمي فسيكون نظام الملالي بحاجة إلى حزب الله وإلى معركة إسرائيلية بأسرع مما يتصوّر كثيرون.

علي باكير – موقع عربي ٢١،
٢٠١٦/١٢/٢٤

الجيش الإلكتروني الإيراني

قالوا: أعلن قائد ميليشيات الباسيج للطلبة في المدارس الإيرانية، علي صابر هاماني، عن تشكيل «كتائب إلكترونية» من طلبة المدارس بهدف «إشراكهم في الحرب الإلكترونية الناعمة ضد البلاد»، وذلك على غرار «الجيش الإلكتروني» المشترك التابع لأجهزة الاستخبارات الإيرانية، والذي يتولى مهمة مراقبة النشاطات المعادية عبر الإنترنت.

ونقلت وكالة «فارس» عن هاماني قوله إن قسم الباسيج للطلبة أنشأ «لجنة الفضاء المجازي» لتدريب هؤلاء الطلبة على كيفية النشاط ولعب دور مفيد عبر شبكات التواصل الاجتماعي وتوعيتهم بأضرار هذه الشبكات.

وتقوم هذه اللجنة بإقامة دورات شارك فيها ٢٠٠ طالب من النخبة من مختلف المحافظات لتدريبهم على كيفية إدارة الصراع في الفضاء المجازي (الإنترنت).

العربية نت ٢٠١٦/١٢/٥

تركيا غاضبة من إيران

قالوا: أكد مدير أحد المواقع الإخبارية التركية الناطقة بالعربية أن توجيهات وصلت لهم تقضي بالتركيز على «دور إيران في المجازر التي تحصل في حلب والتركيز على دور الميليشيات الإيرانية في محاولة إفشال اتفاق وقف إطلاق النار في حلب.

وكالة «الأناضول» الرسمية بثت منذ مساء الأربعاء العديد من الأخبار التي تتهم إيران بشكل مباشر بتخريب الاتفاق، وذكرت اسم جنرال إيراني قالت إنه يشرف على ميليشيات شيعية تقوم بارتكاب المجازر ضد المدنيين في حلب.

وركزت وسائل الإعلام التركية خلال الساعات الأخيرة على مصطلحات «الميليشيات الإيرانية» و«الميليشيات الشيعية التي تديرها إيران»، و«مرتزقة إيران في سوريا»، ومنذ صباح أمس الخميس نقلت الفضائيات الإخبارية التركية عمليات إخلاء المدنيين والمقاتلين من مدينة حلب عبر البث المباشر، وهاجم عشرات المحللين السياسيين والكتاب المقربين من الحكومة إيران بقوة في مقالاتهم صباح الخميس.

وأطلقت خمس محطات إذاعية تركية برنامجاً مشتركاً بعنوان «صوت حلب» بهدف تسليط الضوء على المأساة الإنسانية التي تعيشها مدينة حلب، .. وفي حادثة تكررت في ثلاث فضائيات، لم يتمكن مقدمو البرامج ونشرات الأخبار من إتمام برامجهم بعد أن انهاروا بفعل البكاء الشديد أثناء عرض مقاطع فيديو للقتلى من الأطفال والنساء ومناشدات الأطفال المحاصرين داخل أحياء حلب الشرقية.

ومساء الأربعاء، خرج آلاف المواطنين الأتراك والسوريين في مظاهرة أمام القنصلية الإيرانية في إسطنبول للتضامن مع أهالي حلب المحاصرين، والتنديد بالتدخل الإيراني في سوريا وعرقلتها اتفاق وقف إطلاق النار وإخلاء المدنيين، وذلك بدعوة من عدد من منظمات المجتمع المدني التركية المقربة من حزب العدالة والتنمية الحاكم.

القدس العربي
٢٠١٦/١٢/١٦

حلب بين التفاؤل والتخذيل

د. جمال الباشا – صفحته الشخصية

بين بثٍّ روح التفاؤل في الناس وتخديرهم شعرة، فمنشأ الأول العلم والبصيرة والقراءة الواعية لسنن الله وفقه الواقع بسياقاته بعيدا عن النرجسية الحالمة، ومنشأ الثاني العواطف الجياشة واستقراء النصوص الشرعية المتفائلة بطريقة خاطئة وتكلف إسقاطها على الواقع.

وفي الطرف الآخر من المعادلة يقف فريق آخر ليس له وظيفة سوى التخذيل وتثبيط العزائم، ولا يحسن سوى النقد الهدام، نظرته سوداوية قاتمة، لا يقع نظره إلا على النقائص، ولا يخط قلمه غير المعايب.

يضعُ شروطا مثالية تعجيزية للنصر لم تكن موجودة حتى في عصر النبوة.

نسي هؤلاء أنَّ المنافقين كانوا ينتشرون في المدينة النبوية ويتمالؤون على المؤمنين ليل نهار، وأنَّ رأسهم رجع بثلث الجيش يوم أحد، وأنَّ الرماة خالفوا أمر النبي ﷺ طمعا بالغنيمة وكان ذلك سببا في تقهقر المسلمين في المعركة.

وأنه لم يخلُ عصر الصحابة الكرام من نزاعات وخلافات داخلية أضرَّت بالدولة الإسلامية وأخَّرت توسُّعها.

والعبرة في تقييم الحالة العامة والحكم عليها من خلال تحولاتها الإيمانية وعزيمتها الجهادية صعودًا ونزولا.

أخبرتني السنن أنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ الفرَج مع الكرب، وأنَّ مع العسر يسرا، وأنَّ الفئة القليلة بالإيمان تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله، وأنَّ المؤمن مكلف بأداء ما كلف به من إقامة شرع الله ودينه، وحصول النتائج بيد الله وحده، وأنَّ العبد يستعجل النصر ولكنَّ الله لا يعجل لعجلته.

أخبرتني السنن أنَّ دورة التاريخ أطول من عمر الفرد، ولأجل ذلك تتشوف نفس الواحد منا إلى رؤية النتائج العاجلة في حياته، لكن من قرأ التاريخ أدرك أنَّ النصر قد تصنعه أجيال متعاقبة، فقد يزرع الأجداد ويقطف الأحفاد.

لقد اختل مفهوم النصر وميزانه عند بعض الناس فبات لا يرى النصر إلا في صالح القاتل ضد المقتول دون الأخذ بعين الاعتبار أوجه النصر الأخرى كالثبات على المبدأ وصلابة الإرادة وظهور الحقيقة وتعرية الباطل.

قال لي أحدهم يوما: إنَّ الصحابة قدَّموا تضحياتٍ جساماً في سبيل دينهم فاستحقوا النصر والتمكين، فهل قدَّمت الأمة اليوم كما قدموا؟

فكان جوابي: نعم، سيشهد التاريخ أنا رأينا صورا من البطولات في الأمة لم يشهدها أسلافنا ولم نقرأ عنها من قبل.

إذا كان في الأمة من سحبه المشركون على رمال مكة الحارة، فقد رأينا من تفنن المجرمون بتعذيبهم حتى الموت بالمثقاب الحديدي والتيار الكهربائي، وأُجلسوا على الخوازيق.

رأينا من قضى في السجون سنوات وهو عار بلا ثياب في شدة البرد، وقُلل عنه الطعام حتى التصق جلده

بعظمه ليموت موتا بطيئا.

رأينا مئات الآلاف بما فيهم العلماء والدعاة وحفظة القرآن يعذبون في السجون من أجل دينهم.

آلاف النساء انتهكت أعراضهن في سبيل دينهن.

إن كان الناس يقتلون في ما مضى بالسيوف والرماح فالقتل اليوم بالبراميل المتفجرة التي تمزق الأبدان وتفتت العظام، فكم من شهيد دفن في صندوق كرتوني صغير لأنه لم يبق من أشلائه إلا ما تحمله اليد الواحدة.

إن كان الرعب فيما مضى ببرق السيوف فوق الرؤوس فرعب اليوم بأصوات الصواريخ والطائرات التي تبلغ بالقلوب الحناجر.

الموت اليوم بنكهة سموم الكيمياوي ووهج الفسفور الأبيض.

وإن أكل المحاصرون في شِعب أبي طالب أوراق الشجر فقد أكل المحاصرون في الغوطة القطط والكلاب.

لقد رأينا أحد الأبطال وقد دفنه الجلاوزة حتى رأسه وهو معصب العينين، يساومونه على أن يذكر طاغوتهم بالتوحيد، فيردد بقوة وثبات: لا إله إلا الله محمد رسول الله فينقطع صوته مع انقطاع نفسه بردم التراب عليه.

إن كان في سالف الأمة خنساء صبرت على فقد أبنائها الأربعة في سبيل الله، فقد رأينا اليوم مئات الخنساوات تفقد العشرة وزيادة من أهلها فتحتسبهم عند الله وتقول: كلنا فداء للإسلام، ولم تذرف لها عين.

رأينا فتىً من جند الإسلام دون البلوغ يحيط به الشبيحة من كل مكان يوسعونه ضربا ويأمرونه بالسجود لصورة طاغوتهم فيقترب منها متظاهرا بالاستجابة ثم يبصق عليه.

أليس من الظلم والإجحاف أن ننسى كل هذه البطولات، وأن نتنكر لأكثر من مليون شهيد قتل من الأمة في هذا العقد على يد الظالمين من الرافضة والنصيرية والروس والصليبيين، بسبب تخاذل من تخاذل، وخطأ من أخطأ؟!

هل تلومونا على حسن ظننا بالله الكريم الذي توعد عباده بالنصر إن هم نصروه فقال: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾؟!

أقولها وبكل صراحة.. لم أكن في وقت من الأوقات أعظم تفاؤلا مني اليوم.. لقد كان أكثر الناس في غفلة وجهل وسبات عميق، نعم يأكلون ويشربون ويتنفسون ولكن بلا همٍّ ولا قضية، ووصل بهم الحال في غفلتهم أنهم يرون الشيعة إخوانا لهم، ويعوِّلون عليهم في تحرير فلسطين، في الوقت الذي كانت إيران تسير في مشروعها الاستراتيجي للهيمنة على المنطقة بأسلوبها الناعم وبمدد من كل أعداء الملة في الداخل والخارج، بما فيهم اليهود، فجاءت هذه الثورات المباركة لتسقط القناع عن هذا المشروع الكارثي قبل تحقيق أهدافه، وفضحته وهتكت ستره، وصار أصغر أبناء الأمة واعيا بالخطر الشيعي ومشروعه في المنطقة، وهذا المكسب لو لم تخرج الثورات إلا به لاستحق الكلفة، ووالله لو أنفقت الأمة مئات المليارات لشراء هذا الوعي ما قدرت عليه.

إنَّ لدينا في الشام اليوم ما يزيد عن مئة ألف مجاهد قد باعوا أنفسهم لله، وفي الأمة عشرات الملايين من الأبطال الذين يتحرَّقون في تربُّصهم لملاقات عدوِّهم حينما تُتاح لهم الفرصة، قد ألهبتهم الأحداث من حولهم، وصار الجهاد أشهى لأحدهم من الماء البارد على الظمأ.

ولا ينبغي أن ننسى أنَّ أعداءنا قد دفعوا ثمنا باهظا في تلكم النزالات، وسَلوا مقابرَ النجف والسيدة زينب، وطائرات الشحن الأمريكية عن مئات آلاف النعوش التي أرسلها المجاهدون من الميادين.. إنهم يألمون كما نألم، ونرجو من الله ما لا يرجون، فقتلانا في الجنة وقتلاهم في النار.

إنَّ نصر الله قريب وَفق هذه القراءة التي عرضتها بإيجاز، والشواهد على ما ذكرت كثيرة جدا، ولا ينبغي أن يُفهم من كلامي هذا أنَّ النصر سيكون خلال بضعة أشهر ولا بالضرورة أن يكون في بضع سنين، ولكني أقول: إنَّ الأمة اليوم في حالة نهضة ووعي إيماني وسياسي غير مسبوق، وقد أبدت من الصمود والتضحية في سبيل عزتها وانعتاقها من الطواغيت ما يجعلها على الطريق الصحيح، وأما وقت بلوغ النهاية فعلمه عند الواحد الأحد وحين يأذن، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الثورة السورية والكرة بعد الفرة

د. محمد بن إبراهيم السعيدي – الوطن السعودية ٢٠١٦/١٢/١٩

قبل أسابيع كتبت مقالاً بعنوان: «مأساة سوريا، مقترح الحل ومعالم المستقبل» وبَيْنَ ما سأكتبه هنا وما كتبتُه هناك ارتباط في الموضوع وفي النتائج أيضا، ففي هذه الأيام نعيش جميعاً مأساة حلب، وهي مأساة يجب أن لا تمثل نهاية الثورة السورية، لأن ذلك إن كان فهو يعني نجاح مرحلة مهمة تم تأجيلها أربعة وثلاثين عاما من مراحل المشروع الصهيوني في بلاد الشام، وكان مقرراً لها أن تنتهي عام ١٩٨٢م إلا أنه تبين للكيان الصهيوني أن كُلفتها ستكون عاليةً جداً، فتم إرجاؤها إلى أن يأتي اليوم الذي يتمكن فيه هذا الكيان إنجاز هذه المرحلة دون خسائر.

وبالفعل فإن ما يحدث في سوريا، وإلى حد كبير ما يحدث في العراق أيضا من إفراغ كل مساحات غرب الفرات من أهلها، هو المرحلة الممهدة للغاية الأكبر، وهي توسيع دولة إسرائيل باتجاه حدها الشرقي المزعوم وهو نهر الفرات.

وقد كانت محاولة رئيس الوزراء الصهيوني الهالك إيريل شارون اجتياح لبنان عبارة عن تجربة، أو جس نبض أثبت أن العجلة في تنفيذ المشروع لن تؤتي ثمارها المطلوبة، وهم اليوم يَرَوْن أنهم يعيشون في الوقت المناسب، فهاهي الهجرة السورية والعراقية تتم على أيدي أطراف أخرى ليس من بينهم رجل واحد من الصهاينة.

المعممون الإيرانيون وأزلامهم ودُمَاهُم، يعلمون جيداً أن الروس ليسوا قادمين من أجلهم، لكنهم لا يمانعون في خدمة المشروع الصهيوني وهو بناء دولة ملك آل دَاوُدَ، على أمل كبير، وربما على يقين بأن الشراكة الاستراتيجية مع الصهاينة سوف تحقق لهم مكاسب كبيرة في مشروعهم الخاص، وهو بناء دولة المهدي المزعوم، فهناك رابطة قوية بين المشروعين وهي رابطة الخرافة، التي تجمعهم أيضا مع الصهاينة الأمريكيين الذين يسعون من خلال دعمهم لكيان إسرائيل لإنشاء دولة المسيح المنتظر.

هزيمة السوريين في حلب يجب أن لا تكون نهاية الثورة السورية لأمور كثيرة أحدها هو ما تقدم تفصيله، أما الأسباب الباقية فهي كثيرة منها الشرعي، ومنها السياسي ومنها الاجتماعي، ومنها الإنساني والعالمي.

والسؤال كيف لنا ذلك، أي: كيف لنا أن لا نجعلها نهاية الثورة، مع أن معظم التوقعات تفيد بأن المجاهدين سوف ينتقلون من حلب إلى أدلب وبالطريقة نفسها سيتم حصارهم، ومن ثَمّ تصفيتهم فالمسألة إذاً مسألة وقت لا غير؟ هكذا يقولون.

والجواب: أن الثورة السورية بالرغم من البكاء والآلام التي نستمع إليها في كل مكان، وبالرغم من الحديث الكثير المُحبِط الذي نجده في الشاشات والصحف ووسائل التواصل الاجتماعي، وأيضا بالرغم من الحكمة المُصْطَنعة والتي يُطلَب أصحابها بالتسليم للأمر الواقع واستخدام الأوراق المتبقية للضغط في اتجاه الخروج بشيء من المكاسب بدلاً من الخروج بالخسارة المحضة. أقول إن الثورة السورية بالرغم من كل ذلك لا تزال تملك مقومات البقاء بل ومقومات النصر أيضا، لكنها لا تستطيع الإفادة من هذه المقومات حتى تواجه نفسها ويواجه أنصارها أنفسهم بأسباب فشلها.

إن هذا التفرق الكبير بين الفصائل السورية يجب أن ينتهي الآن، ويُكَوِّن الجميع وحدةً اندماجية تتخلى فيها كل الفصائل الصغيرة عن قياداتها وتدفع بعناصرها نحو الجيش السوري الموحد؛ أن هذه الخطوة قد تم عرضها في الملتقى الذي عُقِدَ في الرياض للفصائل السورية، وقَبِله ممثلوها جميع الفصائل الكبيرة ما عدا النصرة التي لم تعترف بهذا اللقاء أصلاً؛ لكن المشكلة جاءت في الميدان، فبعض الفصائل لم تعترف بما اتجه إليه ممثلوها في ذلك اللقاء، والآخرون لم يُقدِّموا أكثر من التعاون الجزئي، واتخاذ غرفة عمليات موحدة في بعض المواقف الصعبة، ومع ذلك فقد كان للتعاون اليسير أثره الكبير في الانتصارات التي تحققت في حلب قبل أشهر، والتي شَكَّلَت الدافع الرئيس للنظام وأزلامه، لإعادة الكرة التي انتهت بالهزيمة المنكرة كنتيجة حتمية للتنازع والتفرق بين الفصائل السورية.

ويجب أن يُواجه كل فصيل يأبى الاندماج لأسباب فكرية مزعومة كما هو حال فتح الشام [النصرة] وجميع الفصائل المُطَوِّعة لها، والتي تأبى الاندماج باعتبارها هي الممثل الوحيد وفق زعمها للجهاد الحقيقي ومقاومة العدو، أو لأسباب تنظيمية ومالية، كما هو حال فضائل أخرى ذات مصادر للدعم تحول بينها وبين الاندماج، هذه الفصائل يجب أن تواجه بالبراءة منها، ومطالبة عناصرها بالانضمام إلى الجيش الموحد.

تكميلاً لهذا الأمر يجب على الدول الداعمة للثورة السورية أن تحصر دعمها في الجيش الموحد، وأن تقف في وجه أي دعم شعبي لفصائل خارجة عن هذا الجيش.

إن وجود جيش واحد ذي حركة متناسقة، وقيادة واحدة خبيرة وغطاء داعم هو السبيل الوحيد لإنقاذ المقاتلين السوريين من التنازع واستغلالهم من قِبَل دول ومؤسسات خارجية للاقتتال بينهم نيابة عنها، أو مجالاً للمنافسة الإعلامية بين دول ومؤسسات أُخَر، كما أنه السبيل الوحيد لإيقاف فوضى إنشاء الفصائل الذي وصل إلى حد أن قُطَّاع الطرق والمهربين وتجار المخدرات أصبحوا يُنْشِؤون فصائل تحت زعم الجهاد يغلقون بها الطرق، ويحتلون بها الأحياء كي يتقاضوا الإتاوات من المارين والأهالي؛ وهي ظاهرة سيئة جداً معروفة في طول سوريا وعرضها، وإن كان الكثيرون يأبون الاعتراف بها حرصاً على سمعة الجهاد.

وجود جيش بهذا الشكل سوف يزيل أسباب تأخر الدعم من الدول الملتزمة بالقضية السورية، لأن جيشاً موحداً يعني أن له متحدثاً رسمياً واحداً وتوجهاً سياسياً واحد يتناسب مع حاجاته العسكرية وتطلعاته المستقبلية، ولا يُمكن أن يصدر عنه ما يُقلق الدول الداعمة للثورة من تصريحات معادية لهذه الدول نجدها اليوم تصدر من أناس محسوبين على قيادة بعض الفصائل في سوريا، ولا نسمع من الآخرين براءة منها أو رداً عليها، ومن حق أي دولة داعمة أن تتوجس من أمثال هذه التصريحات، وتُشدد الإجراءات والتحريات في إيصال دعمها للمجاهدين.

كما أن مثل هذا الاندماج في جيش واحد سيُسَهِّل فرصة استعمال الأسلحة التي أوصلتها الدول الداعمة فعلياً لبعض فصائل المجاهدين الكبرى، ولم يتمكنوا من الاستفادة منها لأسباب عديدة أهمها فوضى العمل المسلح.

ولنكن واقعيين وغير مكابرين ولا مأسورين للأحلام وتفخيم الذات ونقول: إن الثورة السورية بحاجة لدول أوربا والولايات المتحدة، وقد أثبتت التجارب أن أي تعالي على هذه الحقيقة هو مكابرة قاتلة، وفشل كبير في التفكير وتقدير الأمور بقدرها، ولا يمكن أن تقف هذه الدول مع ثورة فوضوية، لا يُمكن التفاوض أو التحاور معها، ولا معرفة تطلعاتها، وذلك لكثرة رؤوسها وتشعبها وتباين طرقهم في التفكير.

الأهم من كل ذلك أن لا نيأس ولا نقنط، وأن نعتبر ما مر من فشل ليس أكثر من دروس نستفيد منها ونتلافى أخطاءها بأقصى سرعة، وأن لا نجامل أحداً في سعينا الحثيث لإعادة بناء أنفسنا وتدارك أخطائنا.

الإجراء الذي أراه عملياً ويجب أن تبدأ جميع

الفصائل به، هو اجتماع ممثليها جميعاً من جديد وفي الرياض أيضا وإعلان الاندماج التام تحت قيادة واحدة وهيكل واحد يختاره الأكثرون وترتضيه الدول الداعمة وعلى رأسها المملكة العربية السعودية، وليلهجوا بصوت واحد ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾.

هل يمكن الإيقاع بين روسيا وإيران في سوريا؟

علي حسين باكير – عربي ٢١ - ٢٠١٦/١٢/١٧

منذ أن تدخّلت موسكو عسكرياً في سوريا في سبتمبر من العام ٢٠١٥، لم يتوقّف الحديث عن وجود خلافات بين روسيا وإيران في الملف السوري، لكن لم يثبت في أي مرحلة من المراحل أنّ مثل هذا الافتراض حقيقي أو واقعي .

صحيح أنّ هناك بعض الاختبارات اللاحقة التي أثبتت أنّ الطرفين لا يمتلكان بالضرورة رؤية متطابقة حيال بعض التفاصيل، لكن من قال إنّ غياب مثل هذا الأمر يعني أنّ الجانبين أصبحا على طرفي نقيض؟! بل على العكس، إذ لطالما تحدّثنا عن الكثير من الشواهد التي كانت تشير إلى أنّ طبيعة الدور الروسي والإيراني في سوريا هي طبيعة تكاملية وليست صداميّة.

تشير التقارير إلى أنّ ترامب وكذلك العديد من الأشخاص الذين اختارهم ليكونوا معه في الإدارة الأمريكية الجديدة، يمتلكون علاقات جيدة للغاية مع بوتين. لقد امتدح بوتين ترامب عدّة مرات خلال الحملة الانتخابية للأخير، وكذلك دافع ترامب عن بوتين وعن روسيا في العديد من المناسبات. قبل عدّة أيام، اختار ترامب الرئيس التنفيذي لشركة إكسون موبيل «ريكستيلرسون» لحقيبة وزارة الخارجية، فأصدر الكرملين بيانا أشاد فيه بتيلرسون واصفاً إياه بالشخص المحترف جدا، مضيفا أنّ «بوتين يعرفه شخصياً».

في المقابل، فإنّ كل المؤشرات المتوافرة حتى الآن تشير إلى أنّ موقف إدارة ترامب من إيران سيكون متشدداً للغاية، حيث من المنتظر أن تقوم بكبح التمدد الإقليمي للنظام الإيراني، وهو الأمر الذي يثير تساؤلات حول الكيفية التي سيتم فيها الجمع بين هذه التناقضات سيما في ما يتعلّق بنظام الأسد، وذلك في ضوء العلاقة التكاملية - حتى الآن- بين روسيا وإيران في سوريا.

إحدى أوجه الأجوبة المحتملة على هذه التساؤلات هو محاولة إحداث شرخ أو تناقض بين روسيا وإيران في سوريا. مثل هذا الأمر قد يصبح ممكناً إذا ما ثبت أنّ الافتراضات المبدئية أعلاه صحيحة، وما يعزز من إمكانيّة حصول مثل هذا الأمر أنّه سيكون بالإمكان التخلي عن الدور الإيراني الذي شرع نفسه في سوريا تحت يافطة مكافحة الإرهاب، لصالح الاعتماد على تركيا للقيام بمثل هذه المهمة.

في مثل هذه الحالة ستضم المعادلة كل من إدارة ترامب وروسيا وتركيا، وهو مثلث قد يجد الانسجام المطلوب للاتفاق سيما وأنّ هناك من يعتقد في تركيا أنّ العلاقات مع إدارة ترامب ستكون أفضل بكثير من العلاقة مع إدارة أوباما. إذ سبق لترامب الذي يمتلك مصالح اقتصادية في إسطنبول أن امتدح الرئيس التركي، وبدوره دافع أردوغان بطريقة غير مباشرة عن ترامب عندما طالب من ينتقده بأن يحترم نتائج الانتخابات التي أتت به إذا كانوا يؤمنون بالديمقراطية حقاً. كذلك كانت هناك مواقف إيجابية لمايكل فلين، مستشار الأمن القومي في إدارة ترامب، تجاه تركيا.

لكن، هل من الممكن حقّاً أن يتم خلق هوّة بين الجانب الروسي والإيراني في سوريا؟ وهل من الممكن للروسي أن يجبر إيران على تغيير أجندتها، أو ربما إخضاع أجندتها للأجندة الروسية وتاليا للمثلث الأمريكي- الروسي- التركي؟

حتى الآن، بدا عدم التطابق في المواقف بين روسيا وإيران واضحاً في حالتين فقط في سوريا، الأولى كانت

عندما استخدمت روسيا قاعدة عسكرية في إيران قرب هدمان في آب/ أغسطس الماضي لضرب أهداف في سوريا وأعلنت بعدها ذلك على الملأ الأمر الذي تسبب بمشاكل داخلية في إيران.

أمّا الحالة الثانية فهي الاتفاق الذي توصلت إليه تركيا وروسيا بخصوص حلب، ولأنّ إيران لم تكن جزءاً منه فقد حاولت عبر ميليشياتها وعبر النظام السوري تخريبه بكل الوسائل الممكنة، فهي في نهاية المطاف تعتبر أنّها تتحمّل الدور الرئيسي على الأرض عبر ميليشياتها الطائفية المسلّحة، ويجب أن يكون لها كلمة في أي اتفاق يتم التوصل إليه.

هناك من يعتقد بأنّ خلق هوّة بين روسيا وإيران سيكون ممكناً في عهد ترامب، وأنّ الحالات السابقة قد توفّر فرصاً محتملة وتعزّز مثل هذه الفرضية، لكن بشرط أن يتم التسليم بقيادة روسيا للملف الروسي بشكل رسمي. ففي مرحلة من المراحل ما قبل الاتفاق النووي بين إدارة أوباما والنظام الإيراني وافقت روسيا على فرض عقوبات متصاعدة على إيران، وسيكون لموسكو مصلحة بالتأكيد في المرحلة القادمة أن لا تزيد إيران من إنتاج النفط والغاز لأنّ ذلك قد يؤثّر على الأرجح سلبا عليها، كما أنّه قد يقتطع حصّة من أسواقها الخارجية فضلا عن أنّه قد يقوّض من استخدام الطاقة كسلاح في السياسة الخارجيّة الروسية.

إذا ما صحّ مثل هذا التقييم، فهذا يعني أنّ الجانب التركي بدأ يستبق مثل هذا السيناريو ويعدّ الأرضيّة اللازمة له من خلال انفتاح أكبر على موسكو في الملف السوري، لكن في جميع الأحوال سيكون علينا الانتظار لنرى حقيقة السياسية الخارجية التي ستتّبعها إدارة ترامب تجاه كل هؤلاء اللاعبين قبل أن نستطيع إعادة تقييم مثل هذا السيناريو بشكل أفضل.

الخرطوم وطهران... طلاقٌ بلا رجعة!!

جريدة التيار السودانية – ٢٠١٦/١٢/

على نحوٍ مفاجيءٍ، أنهت وزارة الخارجية استئجار مبنى سفارة السودان بطهران، وباعت محتوياته كَافّة، فيما قامت بتشميع سفارة إيران بالخرطوم بالشمع الأحمر التي تقع في ضاحية المقرن – مربع ١٥ - منزل ٤ - جنوب البنك الزراعي وإخضاعها للحراسة، في إشارة تؤكد إصرار الخرطوم على قطع العلاقات الدبلوماسية مع طهران بشكل نهائي، وأنّه لا أمل في إعادتها، ولم يتم التعرف على أسباب دواعي التطور وأسباب تَشميع سفارة إيران بالرغم من قيامها بطرد سفيرها في الخرطوم على خلفية الهُجوم على السفارة والقنصلية السعوديتين في طهران، وألقت التطورات السياسية والأمنية التي تعيش على وقعها المنطقة العربية بظلالها على العديد من دول المنطقة وبأوجه مُختلفة وكان للسودان نصيبٌ في ذلك، حيث قامت الخرطوم بقطع علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية مع إيران، واتّجهت نحو تصحيح مسار علاقاتها مع السعودية وبقية دول الخليج التي تفاعلت مع هذا الخيار ووفّرت مُقومات نجاح هذا المسار لا سيما في ظل تنامي الخطر الإيراني في الفترة الأخيرة.

زيارة لموقع السفارة

توجّهت (التيّار) أمس الثلاثاء إلى حي المقرن، حيث تُوجد سفارة جمهورية إيران الإسلامية، والطريق الذي تقع فيه السفارة لا يوحى إليك البتة بأن هذه المنطقة فيها سفارة لدولة كبيرة مثل إيران، والثابت في المقار الدبلوماسية كثرة الوجود الشرطي والأمني للمؤسسة، وهنا يعم هدوء تام أمام موقع السفارة، سوى بعض الشباب ينزوون تحت شجرة ضخمة يحتسون الشاي، واللافت للنظر أنّ في جنبات السفارة تكثر النفايات والأكياس المتطايرة هنا وهنا مما يُؤكّد أنّ السفارة لم تعد تُمارس مهامها، وهذا ما أبانه أحد المصادر بالقرب من السفارة بعد أن استنطقته (الصحيفة) حول موضوع

السفارة، حيث قال إنّها مغلقة منذ أكثر من خمسة أشهر، وهذا بسبب تقارب حكومة الخرطوم مع حكومات دول الخليج وهما العدو اللدود لدولة الفقيه، وعندما حاولت أن أصوِّر اعترض المصدر بشدة على هذا العمل..!

تحجيم المد الشيعي

الباحث في شؤون الجماعات الإسلامية د. مُحمّد خليفة صديق يقول لـ(التيَّار)، إنّ الحكومة ظلت طوال الفترة الماضية تحاول وقف التمدد الشيعي بالسودان باعتبار أن طهران في السابق كان لَديها مستشارية ثقافية تُحاول من خلالها نشر التشيع بالبلاد من خلال عقد المحاضرات ونشر الكتب وزيارة بعض الجماعات لنشر أفكارها في مُحاولة منها لتعظيم الوجود الشيعي، ويضيف بأن المشارية الثقافية الإيرانية التي تم إغلاقها كان بمباركة جميع الطوائف الدينية، والتي كانت تريد اختراق أفريقيا عبر السودان، كما تريد أيضاً التمدد في الدول العربية، وصرفت طهران موارد كبيرة في بث أفكارها السامة، ما حدث الآن هو ذروة الطلاق بالثلاثة بين إيران والسودان، ويعتقد خليفة أنّ القرار ربما صدر من الجهات المعنية على خلفية قيام السفارة بمهام تشيعية مشبوهة خارج نطاق مهامها.

التقارب بين الخرطوم والرياض

ويُشير الباحث إلى أنّ التقارب بين الخرطوم والرياض مؤخراً سبب رئيس في المقاطعة مع طهران، ويتابع: «السودان مصلحته واضحة من خلال هذا القرار بناءً على حيثيات أخذها، ولأن السفارة ظلّت تقوم بأدوار مشبوهة في محاولة لاختراق المجتمع السوداني الخطوة التي حدثت بتشميع السفارة بالشمع الأحمر وهذا يشير لبيان وقوع الطلاق البائن»، كما لا توجد نية لعودة العلاقات بين البلدين التي تمت مُقاطعتها بالكامل من السودان والبحرين والسعودية، بينما دول الخليج لم تبعد التمثيل الدبلوماسي مع إيران، ويؤكد محمد خليفة ان قرارات الحكومة الصائبة جاءت في وقت كان فيه حزب اللّه يحاول اختراق السودان عبر التمدد الشيعي الإيراني، ويزيد محدثي بأنه ما زال هناك تمدد شيعي مما يتطلب من الحكومة متابعة الوضع لقطع الطريق أمام الخلايا الشيعية النائمة والتي تعمل في الخفاء ويجب منع تمددها، كما حث السلطات بمتابعة هذه الجيوب للتصدي لمخاطرها.

وجهات نظر مُختلفة

واختلف مُحلِّلون سياسيُّون حول تداعيات وأسباب قطع الخرطوم علاقتها مع طَهران وتَقَارُبها مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي، ورأى مختصون أن تحول السياسة الخارجية «سلباً» تجاه إيران جاء بعد زيادة الاهتمام السعودي بالشؤون السودانية، الأمر الذي سيعيد الخرطوم لعُمقها العربي وسيؤثر على «نفوذ» طهران في منطقة القرن الأفريقي والبحر الأحمر، ويعتقد آخرون أنّ قطع العلاقات بين إيران والسودان يرجع لحاجتها لدعم مالي في ظل تردي الأوضاع الاقتصادية فيها بعد انفصال دولة جنوب السودان.

علاقة سطحية

ويقول الأكاديمي د. عبد الوهاب الأفندي، رئيس برنامج العلوم السياسية في معهد الدوحة للدراسات العليا في حديث بثه موقع «وكالة الأناضول» إنّ «العلاقات السودانية مع إيران سطحية إلى حد كبير، وكانت تأتي ضمن مساعٍ سُودانية لاستدراج الدعم الإيراني لتلبية متطلبات الحروب المتعددة التي تخوضها»، ويضيف الأفندي أنّ التغيير في علاقات البلدين لم يكن ناتجاً عن تحولات في السياسة السودانية، إنّما عن تحولات في سياسة السعودية ودول الخليج التي كانت ترفض أيّ بادرة تقارب مع السودان حتى قبيل حرب اليمن، ورأى أن فرضية وجود علاقات استراتيجية بين السودان وإيران لسعي الأخيرة للسيطرة على باب المندب خاطئة. ومما يدلل على «سطحية العلاقة» السودانية الإيرانية كما يرى الأفندي، أنّ الخرطوم كَانت تَحصل على دعم اقتصادي من الصين في الغالب.

عودة تاريخية

العلاقات السودانية الإيرانية سارت منذ استقلال السودان عام ١٩٥٤ حتى الآن سيراً طبيعياً باستثناء حقبة الثمانينات التي أيّدت فيها السودان العراق في حربه إيران. والمُلاحظ على هذه العلاقة أنّها متينة في شقها السياسي هشّة في بُعدها الاقتصادي والثقافي.

وساءت علاقة إيران بالسودان إثر تأييد الأخير للعراق في حربه إيران، ولم تتحسّن هذه العلاقة إلا بعد الإطاحة بنظام حكم الرئيس جعفر النميري في أبريل ١٩٨٥، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن والخط البياني لعلاقات البلدين ما بين التصاعد والتنازل.

بدأ الجليد يذوب بين إيران والسودان بعد تولي الصادق المهدي رئاسة الحكومة عقب انتخابات عام ١٩٨٦ وتكللت جهود البلدين لتطوير العلاقات بينهما بزيارة المهدي لطهران والتي كان من نتائجها عودة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين البلدين.

واستمرت العلاقة في التحسن والتطور وزادت الروابط بينهما عمقا ومتانة عقب انقلاب - الذي تولى الحكم انقلاب الإنقاذ في العام ١٩٨٩ - وكان من مظاهر هذا التحسن الزيارات المتبادلة على كل المستويات السياسية، فزار الرئيسان الإيرانيان هاشمي رفسنجاني ومن بعده محمد خاتمي الخرطوم ورد لهما الرئيس عمر البشير الزيارة في مرات عدة متتالية.

ومما ساعد كذلك على تحسين العلاقة، الدور الذي قامت به إيران لتقريب وجهات النظر وحل الخلافات بين السُّودان وبعض جيرانه من الدول الأفريقية مثل أريتريا ويوغندا، وهو الدور الذي نشط في القيام به الرئيس الإيراني وقتها هاشمي رفسنجاني.

العلاقات الاقتصادية

هذا على المُستوى السياسي، أما على المُستوى الاقتصادي، فإنّ العلاقات التجارية بين البلدين لا تتناسب مع مُستوى تطور العلاقات السياسية بينهما - كما ذكر في حديث سابق المستشار التجاري في السفارة السودانية بطهران عبد الرحمن خليل - إذ لا يتعدى حجم التبادل التجاري بينهما ١٥٠ مليون دولار سنوياً.

والأسباب التي تقف وراء هذا الضعف البادي في العلاقات الاقتصادية والتجارية تكمن - كما يقول خليل - في عدم معرفة رجال الأعمال في كلا البلدين بمتطلبات السوق في كل منهما، وعدم الإلمام الكافي بما تنتجه كل دولة ويُمكن أن يستفيد منه المستهلك فيهما، كذلك يرجع السبب إلى عدم وجود خُطوط نقل مُباشر بين البلدين حيث لا يوجد حتى الآن خط بحري ولا جوي بينهما، فلابد أن يمر الراكب السوداني الذي يريد أن يذهب لإيران بالبحرين أو الإمارات أو سوريا.

طرد السفير الإيراني

وفي الرابع من يناير الماضي طرد السودان، السفير الإيراني لديه وكامل البعثة، واستدعى سفيره من إيران، وذلك بسبب تدخلات طهران في المنطقة والاعتداءات التي تعرضت لها سفارة وقنصلية السعودية لديها.

وأبلغ وقتها المدير العام لمكتب رئيس الجمهورية الفريق طه عثمان، ولي ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان قرار الطرد، مؤكّداً إدانة السودان للتدخلات الإيرانية في المنطقة، وعبّر وفق «وكالة الأنباء السعودية» (واس)، عن وقوف الخرطوم وتضامنها مع المملكة في مُواجهتها للإرهاب وتنفيذ الإجراءات الرادعة له.

وتنظر السعودية إلى السودان باعتباره «بوابة مشروعها الاستراتيجي في القرن الأفريقي والبحر الأحمر وحلقة الوصل بين الدول العربية وشرق أفريقيا»، كما تصف الرياض مشاركة جنود سودانيين بالقتال في اليمن بأنه «دفاع عن عروبة اليمن، وتلاحم مصيري مع السعودية في مواجهة النفوذ الإيراني».

طبيعة الاختراق الإيراني لتركيا... معالم النفوذ ومخاطر التأثير

علي حسين باكير – مجلة البيان ٢٠١٣/١/٧

تشهد العلاقات التركية - الإيرانية تدهوراً سريعاً منذ اندلاع الثورة السورية في مارس من العام ٢٠١١، بعدما عرفت صعوداً خلال بداية فترة حكم حزب العدالة والتنمية. ويشوب هذه العلاقة حالياً نوع من التشنج والحذر المتبادل رغم الجهود التركية لاحتواء الخلاف المتفاقم بين الطرفين حول مجموعة واسعة من المواضيع: من الملف الاقتصادي، إلى النفط والغاز، إلى ملف حزب العمال الكردستاني، إلى السياسة الإيرانية في العراق والمنطقة، وأخيراً وليس آخراً إلى موقف النظام الإيراني ممّا يجري في سورية.

خلال المرحلة السابقة دفعت تركيا فاتورة كبيرة بوقوفها أمام الغرب عندما أرادت الوصول إلى تفاهم عادل يحفظ للإيرانيين حقوقهم في الملف النووي ويجنّب طهران والمنطقة مزيداً من التأزّم، كما أدّت دوراً كبيراً في كسر حاجز العقوبات الذي يعمل على تآكل الاقتصاد الإيراني والدفع به نحو الانهيار؛ رغم الضغوط الكبيرة التي تعرضت لها من الولايات المتحدة والغرب، ناهيك عن الحملات الإسرائيلية التي كانت قد بدأت تستهدف تركيا إعلامياً واقتصادياً وسياسياً، وحتى عسكرياً؛ عبر الاعتداء على «أسطول الحرية» أو عبر إقامة تحالفات جديدة مع اليونان وقبرص اليونانية.

كيف قابلت إيران كلّ هذا الجهد التركي في أوّل اختبار حقيقي لنيّاتها؟ بدأت طهران باتهام تركيا بأنها مشاركة في مؤامرة للإطاحة بالنظام السوري وبأنها ذراع الغرب في المنطقة، وبدأنا نسمع بشكل مكثّف عن أطماع تركيا، ثم شرعت مختلف القيادات السياسية والعسكرية الإيرانية في توجيه تهديدات لأنقرة، لا بل إنّ طهران شرعت في التحرّك داخل تركيا وتوظيف عديد من الجهات للضغط على الحكومة، مستغلة المساحة التي تتيحها الديمقراطية والحرية في التعبير للتشويش على الرأي العام، كما استخدمت بعض الجهات الإقليمية الخاضعة لنفوذها وتأثيرها لمهاجمة تركيا وانتقادها.

ولحسن حظ الأتراك فإنّ هذا الاختبار كشف لهم عن التوجّه الحقيقي لإيران، في الوقت الذي كانت فيه شريحة لا بأس بها تعتقد أنّ طهران مخلصة وصادقة في علاقاتها مع تركيا؛ إذ تبيّن لهم فيما بعد أنّ النظام الإيراني لا يمكن الوثوق به، خصوصاً أنه لا يفوّت أي فرصة ليستثمرها في نشر حالة عدم الاستقرار الإقليمي، والتسبّب أيضاً في شروخ عميقة اجتماعية وطائفية وسياسية في المنطقة، ناهيك عن أنّ جهود التخريب هذه بدأت تصل إلى الداخل التركي، وهو ما ساعد في تسليط الضوء على الخطر الإيراني.

هذه الخلاصة هي نتيجة نقاش بدأ يطفو على السطح في تركيا، ويقوده عدد من الكتّاب والباحثين والإعلاميين، حتى بعض الشخصيات الرسمية المعروفة والمحسوبة على الحكومة. ويُعتبر بولنت كينيش، أستاذ العلاقات الدولية وصاحب كتاب «إيران: تهديد أو فرصة؟»، واحداً من هؤلاء.

يقول «كينيش»، المتخصّص بالشأن الإيراني والمحرّر المسؤول في صحيفة «زمان» التركية الواسعة الانتشار؛ إنّ «هناك جهوداً إيرانية حثيثة تُبذل لاختراق المجتمع التركي لغاية التمدّد الشيعي الحاصل أخيراً في المنطقة، وهو ما يمثل تهديداً حقيقياً لتركيا». ويضيف: «لقد اتّسعت دائرة الحديث عن هذا التهديد أخيراً، لكن ما يجب ملاحظته هو أنّ هذا التهديد مختلف عن التهديدات الأخرى للإمبريالية الأمريكية أو التأثير الإسرائيلي، لكونه مقنّعاً ومختبئاً ويعمل في البنى التحتية، ويَدّعي أنه صديق».

وأمام هذه الصفات يشير كينيش إلى وجود إشكاليتين، «الأولى تكمن في ارتفاع تأثير هذا النفوذ الإيراني لأنه غير مرئي بالنسبة إلى العامة من الناس،

والثانية في عدم القدرة على التأهّب والاستعداد لمواجهته نظراً إلى طبيعته وخصائصه المذكورة أعلاه».

النفوذ الإيراني داخل تركيا شبيه إلى حدّ ما في تركيبته بالنفوذ الإيراني داخل الدول العربية، وإن بقدرة تأثير وتخريب أقل، لا سيما من الناحية المذهبية، لكن ذلك لا ينفي أنّ لإيران مصادرَ يمكن الاعتماد عليها في تركيا وتوظيفها لخدمة المصالح الإيرانية أو للإضرار بالمصالح التركية نفسها.

من إيجابيات الأزمة السورية رغم كل التحديات التي فرضتها على تركيا، أنّها كشفت طبيعة النفوذ الإيراني في الداخل التركي بشكل غير مسبوق؛ إن من حيث المفاهيم والآليات والأدوات، وإن من حيث أنصار النظام الإيراني على الساحة التركية. وقد تبيّن أنّ هؤلاء ليسوا محصورين في إطار واحد أو تحت يافطة أو تجمّع واحد. حتى الحزب الحاكم مخترق بعناصر متعاطفة مع إيران إن لم تكن مؤيدة لها عموماً، وهو ما يعني أنّ إيران كانت حريصة طيلة الفترة الماضية على الاستثمار في الداخل التركي في أكثر من مجال: في الإعلام، في الاقتصاد، في السياحة، وحتى في دعم الأقليات الطائفية في تركيا.

الاختراق الإعلامي والتأثير على الرأي العام:

بعدما كان الحديث عن الموضوع يقتصر غالباً على مناقشات خلف الأبواب المغلقة وفي إطار محدود وضيق منعاً لإثارة أي حساسيات؛ بدأت بعض الجهات التركية تشكو من نشاط اللوبي الإيراني في تركيا، وذلك بشكل علني للمرة الأولى. فتسارع الأحداث الإقليمية، وتضارب رؤى وبرامج البلدين إقليمياً، واشتعال الثورة في سورية؛ كل ذلك سرّع من المحاولات الإيرانية للتصدي لموقف تركيا أو إثارة المشاكل لها على الأقل في عدد من المواقع والبلدان الإقليمية، والأهم في قلب تركيا من الداخل.

ولا تختلف طريقة عمل اللوبي الإيراني المتخصص في التأثير على الرأي العام في تركيا - والذي يضمّ عادة أفراداً أو مؤسسات أو جماعات موالية لإيران - عن طريقة عمله في الدول العربية، وإن كان لإيران نفوذ أكبر وأوسع وأكثر تأثيراً في العالم العربي عنه في أنقرة، حيث يصار عادة إلى تجيير طاقات عمل هذا اللوبي لدعم المصالح الإيرانية أينما وجدت في المنطقة، وفي حالتنا هذه دعم النظام السوري.

وتعتمد طريقة العمل الإيرانية في هذا المجال على ثلاثة مداخل رئيسية:

- الأقليات الطائفية المرتبطة بإيران عقائدياً أو سياسياً، وغالباً في هذه الحالة الأقليات الشيعية والعلوية.
- التيارات المتعاطفة مع النموذج الإيراني، سواءً من الناحية الثورية أو من الناحية الدينية، والتي باستطاعتها أن تخدم الأجندة الإيرانية في البلد المستهدف، أو تغطي على الطابع الطائفي للعنصر الأول، سواء كانت إعلامية أو ثقافية أو حزبية أو أكاديمية، وغالباً ما تكون سنيّة في هذه الحالة.
- وأخيراً هناك المدخل المالي الذي يتم من خلاله شراء ذمم ضعاف النفوس أو الذين عادة ما يقومون بعرض ولائهم مقابل أتعاب مالية أو خدمات أخرى.

ويضمّ هذا اللوبي صحفيين وإعلاميين ومثقفين وسياسيين أيضاً، كما يضم إلى جهده المجموعات التي لها تقاطع مصالح أو تخاصم حزب العدالة والتنمية. ويستهدف هذا اللوبي مؤخراً التأثير على الرأي العام التركي، وهو فاعل في هذا المجال، حيث تستطيع أن تجد سيلاً من المقالات والتقارير التي يكتبها المحسوبون على هذا اللوبي في الإعلام التركي.

ولا يقتصر عمل هذا اللوبي على بثّ الروايات التي تساند النظام السوري، بل إنّ عمله يستهدف القرار السياسي للحكومة التركية أيضاً.. وهو إن لم يحقق كل أهدافه، إلا أنه نجح على ما يبدو في إرباك المبادرات التركية الداعمة للثورة السورية، أو التشويش عليها، بحيث يعرقل عملها أو يصدّها.ومن المفارقات أنّ الأحزاب العلمانية التركية التي كانت تتهم حزب العدالة والتنمية باستمرار بأنه يحوّل البلاد إلى إيران أخرى؛ أصبحت تصطف مع النظامين السوري والإيراني لدوافع تتعلق بالسياسة المحلية التركية وبالخصومة مع حزب العدالة والتنمية.

ويَعدّ المحلل التركي جوك هان باجيك أنّه من المفارقات أن نلاحظ تأثير النفوذ الإيراني على تركيا بما في ذلك على السياسة الداخلية في البلاد، في الوقت الذي يكاد فيه التأثير التركي يكون منعدماً على إيران. ورغم وجود أقلية أذرية تركية كبيرة جداً في إيران، إلا أنّ التأثير التركي عليها محدود، كما أنّه من النادر جداً أن تجد تأثيراً تركياً على المثقفين أو الإعلاميين أو الأكاديميين الإيرانيين.ويضيف باجيك: «لا يجب أن نهمل القوة المالية لهذا اللوبي، فهناك أكثر من ١٠٠٠ شركة تركية يملكها إيرانيون في تركيا، وهي مرتبطة أيضاً بشبكة من الخدمات الاجتماعية والسياسية غير الرسمية التي تعمل على التأثير في الطرف المتلقي في الوقت الذي لا يوجد فيه لتركيا شيء مماثل في إيران».

الاختراق الاقتصادي:

من المعلوم أنّ إيران تعاني مؤخراً مصاعب اقتصادية ضخمة جداً هي الأكبر ربما منذ الحرب الإيرانية - العراقية، ويلاحظ أنّ سلسلة العقوبات المفروضة عليها عام ٢٠١٢ لا تشبه أيّاً من مثيلاتها التي فرضت عليها سابقاً؛ فقد انخفض إنتاج طهران من النفط بنحو مليون برميل يوميّاً عمّا كان يتمّ سابقاً، كذلك انخفضت عائدات النفط بنحو ٧ مليارات دولار شهريّاً مقارنة بعام ٢٠١١. وقد ألهبت هذه العقوبات الضغوط الداخلية، حيث ارتفعت أسعار السلع وانخفضت قيمة العملة (الريال)، والذي فقد نحو ٨٠ في المائة من قيمته خلال عام واحد فقط.

ونظراً إلى هذه المصاعب، تبحث إيران في يأس عن منافذ جديدة تستطيع من خلالها الالتفاف على هذه العقوبات، أو التقليل من وطأتها على الأقل؛ نظراً إلى أن الالتفاف عليها أصبح في غاية الصعوبة. وفي هذا المجال، لاحظت تقارير تركية عدة لجوء إيران إلى أنقرة للتخفيف عن الضغط الاقتصادي الداخلي الذي بدأ يولّد مشاكل اجتماعية خطيرة وصدامات مع عدد من الطبقات الاجتماعية والتجّار أنفسهم.

وفي هذا الصدد، كشف تقرير صادر عن اتحاد الغرف التركيّة أنّ ١٧ في المائة من الشركات (٤٤ من أصل ٢٥٣) التي أُسّست في تركيا خلال أيلول ٢٠١٢ لوحده فقط؛ تبيّن أنّها مموّلة من إيران، وهي المرة التاسعة على التوالي التي تحتل فيها طهران لائحة الصدارة فيما يتعلق بالجهات التي تؤسس شركات داخل تركيا.

فقد شهد عدد المؤسسات التي تم إنشاؤها في تركيا بدعم إيراني، ارتفاعاً سريعاً منذ بداية عام ٢٠١٢، وبلغ عددها ٦٥١ شركة، لتتفوق بذلك على ألمانيا وروسيا وأذربيجان بواقع ٢٥٢ للأولى، و١٢٦ لكلّ من روسيا وأذربيجان، علماً أنّ عدد المؤسّسات الإيرانية بلغ عام ٢٠١١ نحو ٢١٤٠ شركة، بزيادة بلغت نحو ٤٠ في المائة عن عددها عام ٢٠١٠.

وتثير هذه النشاطات الاقتصادية الإيرانية قلقاً لدى أوساط مختلفة من الطيف التركي؛ من سياسيين واقتصاديين، خصوصاً أنّها تركّز على القطاعات الاستراتيجية المهمّة، ومعلوم أنّ مفاتيح الشركات الاقتصادية الإيرانية يديرها الحرس الثوري الإيراني، فمعظم النشاط الاقتصادي الإيراني يركّز في تركيا على قطاع الطاقة والاتصالات والبناء.

لكن لوحظ أيضاً، ومع اشتداد العقوبات على إيران، حصول نقلة في التركيز على هذه القطاعات إلى قطاعات أخرى يأتي في طليعتها قطاع الصيرفة والمال وقطاع المعادن والذهب، علماً أنّ صادرات الذهب التركية إلى إيران ارتفعت بشكل هائل خلال الأشهر السبعة الأولى من العام ٢٠١٢ لتبلغ ٦ مليارات دولار، ولتشكّل زهاء ٧٥ في المائة من قيمة السلع التركية المصدّرة إلى إيران خلال تلك الفترة.

وتخشى أوساط تركية من أن يؤدّي هذا الاختراق الإيراني للاقتصاد التركي إلى زيادة المشاكل الداخلية، على اعتبار أنّه يزيد من النفوذ السياسي لإيران وكلّ من يرتبط بها عبر هذه المؤسّسات والشركات التي تقيم معها عادة شبكة من المنتفعين، ويتمّ من خلالها تمويل عدد من الجهات المشبوهة داخل البلاد، خصوصاً في هذه المرحلة الصعبة والحرجة التي تشتبك فيها الحكومة التركية مع

النظام السوري، ناهيك عن موضوع خرق العقوبات الدولية والعقوبات المفروضة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، حيث من الممكن أن يؤدّي التوسّع الإيراني في الاقتصاد التركي والالتفاف على العقوبات الدولية، إلى مواجهة غير مطلوبة بين أنقرة وكلّ من حلفائها الغربيين؛ واشنطن والاتحاد الأوروبي.

الاختراق الأمني:

في آب (أغسطس) من العام ٢٠١٢، كشف جهاز مكافحة التجسس التابع للشرطة التركية شبكات تجسس إيرانية تعمل داخل الأراضي التركية، ولم يتم الاكتفاء بنشر بعض الصور عن اعتقال هؤلاء الجواسيس، وعن بعض الاجتماعات التي تم عقدها بينهم وبين مشغليهم الإيرانيين، إذ تم في بداية شهر أيلول تسريب تسجيلات فيديو إلى إحدى القنوات التركية التي بثّتها بدورها لتثبت مدى حجم المؤامرة وخطورتها على الأمن القومي التركي.

فشبكات التجسس الإيرانية كانت تعمل بتوجيهات ومطالب من الجهات الرسمية الإيرانية للتخطيط والتنفيذ لعمليات تزعزع الأمن والاستقرار التركي، وذلك عبر العمل على رصد منشآت حكومية استراتيجية وعسكرية من أجل استهدافها، إضافة إلى التنسيق مع حزب العمال الكردستاني واستيقاء المعلومات منه حول عديد من المواقع العسكرية والمدنية التركية المهمة، إضافة إلى واقع بعض المدن والبلدات على الحدود مع إيران وقدرات الجيش التركي، لا سيما الجويّة؛ مقابل حصوله على مساعدات لوجستية تمكّنه من استهداف القوات التركية.

الكشف عن هذه الشبكة جاء بعدما ألقت السلطات التركية القبض على إيرانيين اثنين ومواطن تركي في منتصف شهر آب الماضي وعُثر معهم على معلومات وصور أرشيف إلكتروني يحتوي على عناصر تمسّ أمن الدولة التركية. وقد تبين أنّ هذه الشبكة لم تكن الوحيدة، إذ تمّ إلقاء القبض على جاسوس إيراني كان ينسّق مع حزب العمّال الكردستاني، وقد اعترف أنّه عضو في الحرس الثوري الإيراني، وقد قاد ذلك إلى إلقاء القبض على ٩ آخرين بينهم مواطنان إيرانيان.

وفقاً لوكالة الاستخبارات التركية، فإن إيران أرسلت أكثر من ١٠٠ جاسوس متدربين بشكل احترافي عالٍ جدّاً ويعملون بأغطية متنوعة؛ كصحافيين وأعضاء في السفارة الإيرانية. ويعتقد أنّ الموقف التركي من النظام السوري واختلاف المصالح بين أنقرة وطهران حول هذا الموضوع؛ أدى إلى إيقاظ الخلايا الإيرانية النائمة التي كان عملها يتوزع على ثلاثة محاور رئيسية:

- محور يتعلق بدعم إرهاب حزب العمال الكردستاني تجاه تركيا وإثارة القلاقل والاضطرابات في شرق البلاد حيث الوجود الكردي الكثيف.
- محور يتركز على جمع المعلومات تحضيراً لاستهداف مصالح أمريكية وغربية حال تصاعد الأزمة في سورية أو حيال البرنامج النووي الإيراني.
- ومحور يتعلق بإرسال معلومات وتفاصيل عن اللاجئين السوريين والمعارضة السورية في تركيا.

لم تكتفِ إيران بقطع التعاون مع الأتراك فيما يتعلق بمكافحة حزب العمال الكردستاني، بل انتقلت إلى العمل معه أيضاً ضد تركيا! يقارن المحلل التركي كريم بالجي بين إيران وإسرائيل فيقول «إنّ الإيرانيين كانوا دائماً جيدين في عمليات التجسس، وإنّ كلا الدولتين تتميزان فيما يتعلق بالشغف في جمع المعلومات خارج حدودهما، بغض النظر عما إذا كانوا سيستخدمون هذه المعلومات أو لا، يوظفونها أو لا، يحتاجون إليها الآن أو لا».

الكشف عن وجود ١٠٠ جاسوس إيراني يعملون بشكل فاعل على الأراضي التركية، أثار دهشة الجميع وفاجأهم بشكل لا يقبل الشك، لكنّه أعطى مؤشراً في نفس الوقت على أنّ هذا الرقم قد يكون قمّة جبل الجليد فقط.يقول بالجي: «منذ عهد الحشاشين حتى اليوم تنخرط الحركات الشيعية في عمليات جمع المعلومات واستخدام المعلومات لاكتساب القوة أو الابتزاز أو لاختراق المجموعات التي يرون أنّها تشكل تهديداً لهم. المشكلة في شبكات التجسس هذه أنّها مرتبطة مع عمل بروبجندا الملالي والمؤسسات المالية التابعة للباسيج

والحرس الثوري فيما يعرف بالدولة العميقة في إيران. وأدعي أنّ هناك نسبة ١ إلى عشرة بين الجواسيس والملالي و١ إلى عشرة بين الملالي ورجال الأعمال المرتبطين بالباسيج في كل الدول التي يعمل فيها الإيرانيون في المنطقة، وهي النسبة المتعارف عليها التي يجب أن تتوافر لدى أي دولة توسعية بمذهب توسعي وهوية توسعية حتى تنجح».

وعليه؛ فإذا كان هناك ١٠٠ جاسوس إيراني يعمل لصالح طهران في تركيا، فإنّ هذه المعادلة تفترض أن يكون هناك ١٠٠٠ ملّا شيعي معمم و١٠٠٠٠ رجل أعمال مرتبط بالمؤسسات المالية للحرس الثوري. ولعل هذا ما يفسّر الارتفاع الهائل في عدد المؤسسات الإيرانية التي تم افتتاحها في تركيا خلال العشر سنوات الماضية.

الاختراق المذهبي الطائفي:

تاريخياً؛ وضع علويو تركيا الذين يمثلون ما بين ٥ ملايين إلى ١٠ ملايين مواطن على أقصى تقدير من إجمالي عدد المواطنين ذي الغالبية السنيّة؛ مسافة بينهم وبين العلويين في الدول المجاورة، كما أنّهم ركّزوا على الجانب العلماني وليس الديني. لكن ما إن اندلعت الثورة السورية حتى بدأت بعض الجهات تعمل على تجييشهم في إطار حملة دعم النظام السوري، حيث شهدت إسطنبول بداية عام ٢٠١٢ على سبيل المثال توزيع عدد من المنشورات تحثهم على دعم النظام السوري.

ورغم أنّ هذه التحركات ليست على مستوى كبير بل ما دون الصغير، إلا أنها تحمل رسائل في مضامينها.. وبدا أنّ خطاباً داخلياً لدى بعض الجهات في الأقلية العلوية التركية على سبيل المثال، بدأ يتفاعل مع السياسة الإيرانية والدعاية الرسمية للنظام السوري؛ فالروايات حول ما يجري في سورية بالنسبة لهم واحدة، وهي مطابقة لما يقوله بعض النافذين في صفوف الحركات أو الأحزاب أو التجمعات الشيعية التابعة أو المتأثرة بالنفوذ الإيراني في العالم العربي؛ كتصريحات نصر الله في ذلك الوقت، وجلّ روايتهم تقول إنّ «لا شيء يجري في سورية، وإن هناك بضعة إرهابيين يعكّرون صفو الأمن والاستقرار في البلاد ويمنعون الرئيس الأسد من المضي قدماً في الإصلاحات، وعدا عن ذلك فالحياة طبيعية والناس تخرج وتتفسح»!

يقول علي بيرال، رئيس جمعية أهل البيت في هاتاي – تركيا: «نحن نعرف تماماً أنّه لا تجري أي عمليات قمع في سورية، طبعاً هناك بعض المشاكل الصغيرة، لكن يجب إعطاء نظام الرئيس الأسد الوقت اللازم لتطبيق الإصلاحات الديمقراطية، فالملايين تقف في صفّه». ونستطيع من خلال المقارنة أن نرى مدى التقارب الشديد على سبيل المثال بين هذا التصريح وبين ما صرح به أمين عام «حزب الله» حسن نصر الله آنذاك من أن لا شيء يجري في حمص!

اختراق أمن الطاقة:

لا تتورع إيران عن استخدام الاقتصاد في الألعاب السياسية الإيرانية المعهودة للضغط والابتزاز؛ فعلى سبيل المثال: بلغ حجم التبادل التجاري بين تركيا وإيران عام ٢٠١٠ نحو ١٠,٧ مليار دولار، منها ٣ مليارات دولار صادرات بضائع تركية إلى طهران، والبقية في أغلبها واردات نفط وغاز منها. أما في عام ٢٠١١، فقد بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين نحو ١٦ مليار دولار، تدفع تركيا منها نحو ١٢,٥ مليار دولار ثمن الواردات من النفط والغاز، علماً أنّ إيران تبيعه لأنقرة بأسعار أغلى بكثير من سعر السوق! وهو ما يزيد الهوّة في عجز الحساب الجاري في تركيا، ناهيك عن استخدام الغاز والنفط الإيرانيين للابتزاز، كأن يتمّ قطعه في أوقات حرجة بالنسبة إلى الداخل التركي، أو في أوقات تتعلق بمسائل سياسية.. إذ تبيع طهران الغاز لأنقرة بسعر يفوق سعر السوق بكثير، إذ تشتري تركيا على سبيل المثال المتر المكعب الواحد من الغاز من أذربيجان بسعر ٣٣٠ دولاراً، وتدفع لروسيا نحو ٤٠٠ دولار للمتر المكعب الواحد، وهو السعر الذي يتطابق مع سعر السوق العالمية، أما إيران فتبيع تركيا المتر المكعب الواحد من الغاز بقيمة ٥٠٥ دولارات! وهو الأمر الذي دفع أنقرة إلى اللجوء للمحاكم الدولية للبَتّ في القضية أمام تعنّت الإيرانيين

في تعديل السعر.

إضافة إلى مشكلة السعر وإمكانية استخدام الابتزاز عبر قطع الإمدادات الإيرانية خلال فصل الشتاء (وهو ما تكرر عدة مرات)؛ تعتمد أنقرة على دولتين بشكل شبه كامل فيما يتعلق بإمدادات الطاقة من الغاز والنفط، هما روسيا وإيران، وهو ما يعدّ اختراقاً كبيراً لأمن الطاقة لديها، إذ من الممكن أن يؤثّر على خيارات البلاد الاستراتيجية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

وإدراكاً منها لهذه المخاطر، تشرع الحكومة التركية، على ما يبدو، في العمل بشكل هادئ ومن دون ضجيج للابتعاد عن إيران شيئاً فشيئاً فيما يتعلق بالاعتماد على السلع الاستراتيجية؛ فخلال العام الماضي نجحت تركيا في رفع عدد الدول التي تستورد منها النفط من ١١ إلى ١٨، والغاز من ٥ إلى ٩، مع توجّه لزيادة التنويع مستقبلاً، إذ قرّرت شركة «توبراش» التركية على سبيل المثال عام ٢٠١٢، أكبر مستورد للنفط في البلاد؛ إبلاغ الإيرانيين بأنها ستخفض وارداتها من إيران بنسبة ٢٠ في المائة، مقابل رفع حجم الواردات النفطية من ليبيا بحصّة تساوي نحو ١٢ في المائة ممّا تستورده تركيا من إيران، وذلك بموازاة محادثات لرفع نسبة ما تستورده أيضاً من السعودية والعراق.

خلاصة:

قد تمتلك إيران القدرة الآن أو لاحقاً على تقليص تعاونها الاقتصادي وقطع إمدادات الغاز عن تركيا، والحد من تدفّق السياح الإيرانيين، ومنع أنقرة من استخدام الممر الإيراني لإيصال الشاحنات التركية إلى وسط آسيا؛ لكن هذه المخاطر لا تعد أكبر هواجس تركيا من طهران، فالأهم من كل ذلك قدرة إيران على خلق مشاكل لتركيا على الصعيد الأمني الداخلي والإقليمي، خصوصاً فيما يتعلق بقدرة طهران على القيام بعمليات أمنية تضليلية منظّمة في الداخل التركي، أو استعمال المنظمات الإرهابية على سبيل المثال كحزب العمال الكردستاني، وهو أسلوب درجت إيران على استخدامه مع عديد من الدول العربية.

الأهداف المخفية لمقاطع الفيديو الإرهابية

موقع الخطاب – صحيفة الوطن البحرينية ٢٠١٦/١٢/٢٦

نستلم يومياً عن طريق أجهزتنا الذكية وعبر مواقع التواصل الاجتماعي العشرات من مقاطع الفيديو، وأخطرها تلك التي تروج لنهج القتلة والإرهابيين. وبدون ترو وتفكير يساهم البعض في ترويج تلك المقاطع ليقدم خدمة دون وعي بنشر أفكارهم وسمومهم وسط المجتمع وبالمجان.

لكن هل فكر أحدنا يوماً من هي الجهة القائمة على إنتاج وتسويق هذه المقاطع ومن يتحمل كلفتها الباهظة؟

وربما بعضها فيه من المغامرة والمخاطر ما لا يحمد عقباه، والتي تصعب على الأشخاص العاديين وغير المدربين مسبقاً بإتقانها والتعامل مع الأجهزة ذات التقنية العالية من أرقى الكاميرات وقد لا تمتلكها دول ولا مؤسسات إعلامية عريقة لتغطي المقطع ذي الثواني والدقائق المعدودات من كل جوانبه.

إن أغلب مقاطع الفيديو الإرهابية التي تصلنا عبر الأثير اليوم هي من مناطق النزاع الساخنة وبالتحديد من العراق وسوريا، وهي إما من إنتاج الدوائر الإعلامية لتنظيم «داعش» و«القاعدة» سابقاً، أو هي من إخراج وتنفيذ الميليشيات التي تعمل بإمرة إيران وكلاهما له غاياته الخفية من ترويج تلك المقاطع الإرهابية!!

فلنبحث أولاً عمن تستهدفهم «داعش» من التعمد ببث مقاطعهم الفيديوية بين الحين والآخر، والتي أصبحت معروفة للجميع ويتمثل أغلبها في تصفية الخصوم إما بقطع الرقاب أو الإعدام حرقاً أو غرقاً أو رمياً بالرصاص مع موسيقى وأناشيد تتغنى ببطولاتهم الزائفة والإسلام ونبيه منهم براء.

والغاية منها بث الرعب في قلوب الأفراد والمؤسسات العسكرية للدول التي تتعامل مع ملف الإرهاب، مما يجعل تلك الدول تفكر ألف مرة قبل إرسال جندها أو مراسليها للتلاحم في معارك برية، والتي هي الفيصل في حسم المعركة والقضاء عليهم بل في اكتفائهم بالحرب الجوية والصواريخ عن بعد، مما يطيل من أمد المعركة ويفسح المجال لتمدد الإرهاب ومجاميعه ويفاقم آثاره!!

أما المقاطع التي تسربها الميليشيات الإيرانية وشبيحة بشار الأسد والحوثيون وأنصار «حزب الله» فلها شأن خطير جداً، فقادة تلك الميليشيات ليسوا من الغباء ليسربوا تلك المقاطع التي ربما قد تدينهم في يوم ما، بعد تخلي الحاضن الإيراني أو الدولي عنهم وتضعهم تحت طائلة القانون والملاحقة الدولية، فيتعمد منتجو تلك المقاطع التركيز على الضحية وإخفاء الجلاد وأغلب تلك الانتهاكات تحصل مع مدنيين عزل، فإما هم من علماء الدين أو من النساء أو الأطفال القصر أو ذي الشيبة.

فما الغاية إذن من بث هذه المقاطع وبهذه البشاعة؟

لقد بحثت في هذا الجانب كثيراً وتبين لي أن الهدف من وراء تسريبها فيه سر عظيم ربما غفل عنه الكثير ويتمثل في: «استثارة عاطفة شباب الأمة المتحمس الغيور على حرمة دينه ورموزه وأهله وتأجيج مشاعرهم وإيصالهم إلى حالة الغليان ثم الاستدراج إلى أرض القتال».

وهنالك ربما البسطاء من خطباء المنابر من يزيد الطين بلة ليوصلوا أولئك الشباب المتحمس دون إدراك إلى نقطة اللا عودة، فسرعان ما يتم تنظيمهم سراً بعد ذلك الشحن لتكوين مجاميع تخرج تحت جنح الظلام إما كوفود سياحية أو دينية لتحط في نهاية المطاف في مناطق قريبة من أماكن النزاع، لينخرط بعدها أولئك المساكين وتحت مسمى «الجهاد» وهم غير مؤهلين له إطلاقاً فيقعون في الفخ، فتتلقفهم هنالك مجاميع مهمتها تدريبهم على عجالة ثم زجهم في أتون المحرقة، وبذلك استطاعت تلك المقاطع الشيطانية أن تفعل فعلها في اصطياد شباب الأمة باستدراجهم ثم نحرهم.

حيث كما هو معلوم أن الحرب اليوم مع إيران هي حرب توسعية ولا تكتفي إيران بإدارتها على أرض العراق والشام واليمن وباقي شباب الأمة خارج سيطرتها، علماً بان خيرة شباب العراق وسوريا قد تم تصفيتهم أو تشريدهم أو احتواؤهم خلال العقد الماضي، والخوف القادم هو على شباب هذه الأمة، والذين هم عنوان قوتها وهذه إحدى الوسائل غير المكلفة لاستدراجهم ثم نحرهم وبأقل الجهد والكلف..

فهل وصلت الرسالة يا معشر الشباب؟

فلنكن في أقصى درجات الحذر سادتي في التعامل مع ما تلتقطه أجهزتنا الذكية ولا نكن مطية رخيصة للأعداء لنساهم في قذف شبابنا في المحرقة.

رد على مقال "وكالة فارس": التغلغل التكفيري في فلسطين ومخاطره على القضيّة

موقع الحقيقة – ٢٠١٦/١٢/٢٤

قديما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخوارج حين قالوا: « إن الحكم الا لله» ... كلمة حق أريد بها باطل .. فكثير من الأمور قد تكون حقا لكن يراد من إشاعتها ورفع شعاراتها استغلالها من قبل الباطل فعلى .. سبيل المثال عندما ترفع إيران شعار تحرير فلسطين فهو حق لكن الهدف الإيراني من رفع هذا الشعار هو تمددها العقائدي للدين الشيعي ...

في مقال نشر على صفحة وكالة فارس وقد نسخ من موقع «الوقت» ونشرته كذلك بعض المواقع بعنوان: «التغلغل التكفيري في فلسطين ومخاطره على القضيّة»، وهذا نص من هذا المقال:

«لا شكّ في أن هناك أرضيّة مناسبة لظهور هذا الفكر في فلسطين سواءً بسبب انخراط بعض الفلسطينيين من سكّان سوريا ولبنان في صفوف هذه الجماعات، أو بسبب الفقر التي

تستغلّه الجماعات التكفيرية لجذب الشباب العاطلين عن العمل عبر الخطاب الحماسي الذي تهواه أذانهم، وفي حال حصلت هكذا خطوة، ستعمل هذه الجماعات ابتداءً على إيجاد الشرخ بين فصائل المقاومة ومحورها في سوريا ولبنان وإيران». إ.هـ

صحيح ان الفكر التكفيري الخارجي فكر مدمر وما دخل مجتمعا إلا أشاع فيه الفتن والخراب لذلك كانت البدعة التي حذر منها الرسول ﷺ هو فكر الخوارج .. وقال صلى الله عليه وسل عنهم: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[1].

لكن هنالك تسائلاً مهما من هو التكفيري في نظر إيران التي تتشدق بمحاربة التكفيريين ومحاربة المنهج التكفيري .. إن كل سني يوالي أبا بكر وعمر والصحابة الكرام ويقر بخلافة أبي بكر وتقديمه على كل الصحابة ويرفض ترهات الشيعة وخرافاتهم حول تأليه الأئمة ويرفض استعباد الناس باسم الخمس والمتعة فهو تكفيري وقديما كان يطلق عليه ناصبيا وبعد ذلك أطلق عليه وهابيا وحاليا تطور الأسم إلى إرهابي وتكفيري ...

وهذا نص بأطلاق لفظ الناصبي على أبي حنيفة من كتبهم: قال المفيد في كتابه (عدة مسائل ص ٢٥٣، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧٠ ط قم): .. أطلق لفظ الناصبي على أبي حنيفة...

وقال حسين بن الشيخ محمد آل عصفور البحراني في (المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية ص١٥٧ ط بيروت): على أنك قد عرفت سابقاً أنه ليس الناصب إلا عبارة عن التقديم على عليٍّ عليه السلام... وقبلها قال في ص١٤٧ من كتابه: بل أخبارهم تُنادي بأنَّ الناصب هو ما يُقال له عندهم سنياً ... يعني أن أهل السنة كلهم نواصب وبالتالي هم تكفيريون ومنهم أبا حنيفة طبعا!!!!!

وهذا حكم الناصب عند الخوئي ليثبت هذه الحقيقة: ولا فرق بين المرتد والكافر الأصلي الحربي والذمي والخارجي والغالي والناصب (منهاج الصالحين ١١٦/١ ط نجف)[2].

تطور الأمر إلى إطلاق أسم التكفيري والإرهابي على كل من يتصدي للمشروع الشيعي الإيراني فأهل السنة في العراق الذين قاوموا الإحتلال الأمريكي هم تكفيريون وأهل السنة في سوريا الذي تصدوا للنصيرية وعلى رأسهم بشار هم تكفيريون أيضا كذلك أهل السنة الذين تصدوا للحوثيين في اليمن هم تكفيريون ومن أرد التوثق فليستمع الى الإعلام الإيراني وحلفائه وأذنابه...

إن إيران التي دأبت تُسْمِعْ صياحها ونياحها حول التحذير من التكفير هي أكثر من استفاد من هذا الفكر[3] بل إنها هي من تدعم الجماعات التكفيرية والخارجية ذلك لشيطنة أهل السنة أولا وتأليب العالم عليهم وضدهم ثانيا.. ومن ثم تقديم نفسها كبديل محارب ضد الإرهاب أمام الغرب.. ولا نتكلم عن لغز فقد أصبح هذا واضحا لكل ذي عينين...

والكل يعلم أن رئيس الوزراء السابق نوري المالكي المتطرف قد سعى لتقديم شكوى ضد نظام بشار لتسهيله دخول الجماعات التكفيرية إلى العراق (ولعله لم يكن يفهم اللعبة بعد).

كما أن بشار نفسه قد أطلق الكثير من عتاة التكفير من السجون السورية لشيطنة الثورة السورية ووصمها بالإرهاب كما أن المالكي كذلك صنع نفس الفعل عندما أخرج

(١) صحيح وضعيف سنن النسائي للشيخ الألباني حكم الحديث: صحيح.

(٢) لا ندري من هو التكفيري ...

(٣) أي الفكر الخارجي.

الكثير من عتاة التكفيريين من سجن أبي غريب .. في عملية سمجة ومكشوفة ذلك للتخلص من الحراك السني العراقي آنذاك.

إن هنالك تعاون فاضح بين إيران ومن تطلق عليهم التكفيريين .. فإيران قد سهلت تدفق القاعدة من أفغانستان إلى العراق عند احتلاله من قبل الأمريكان كما إن عددا من أتباع القاعدة موجودون في إيران ... فقد نشرت وكالة الحدث الدولية وثائق قالت عنها أنها «مهمة»، و«صادرة عن جهاز المخابرات العراقي» تزعم تعاون إيران في تمويل وتدريب وتسليح عناصر ‹تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين›.

وجاء في الوثائق الصادرة عام ٢٠٠٦، أماكن تواجد المعسكرات «داخل إيران» والجنسيات التي تقوم بتدريبها على «عمليات التفجير واستخدام الأسلحة المختلفة وبإشراف عناصر من الحرس الثوري الإيراني».

كما تؤكد الوثائق المسربة، أسماء «المشرفين على تدريب عناصر القاعدة في إيران» وهم كل من «محسن رضائي نائب رئيس مصلحة تشخيص النظام الإيراني، علي شمخاني وزير الدفاع الإيراني، حسين زماني مسؤول الإدارة والميرة، الدكتور أحمد جلال قومي مسؤول الأمن الداخلي في تنظيم القاعدة»، مع وجود سبعة أشخاص آخرين من «المخابرات الأفغانية المرتبطين بالحكومة الأفغانية وينتمون إلى تنظيم القاعدة»[1].

وذلك بالإضافة إلى كتابات سيف العدل، أحد قيادي القاعدة، والتي أشار فيها إلى دور إيران في دعم القاعدة، خاصة في السنوات السابقة لعام ٢٠٠١. كما إن تقرير وزارة الخزانة الأمريكية حول عناصر تنظيم القاعدة أكد أنهم على صلة مباشرة بإيران، وأن منهم من كان وسيطا بين القاعدة والحكومة الإيرانية، ومن بين الأسماء التي تم إعلانها: (عادل محمد عبد الخالق في ٢٠٠٨، ومصطفى حامد في ٢٠٠٩، وياسين السوري في ٢٠١١).

وغير هذا كثير على علاقة إيران بالتنظيمات التكفيرية فإيران لا مبدأ عندها ومستعدة للتعاون مع الشيطان لتنفيذ أهدافها فالشعارات شيء والواقع شيء آخر ...

من ينظر إلى خارطة العالم الإسلامي يجد بأن كل مكان يدخله التكفيريون يمثل صفقة دسمة للولي الفقيه، فإيران هي المستفيد من قضية الإرهاب والحرب عليه ..

فحيثما حل الفكر الخارجي حلت معه وتعايشت الباطنية الشيعية، وصدق ابن تيمية عندما قال: فَهَاتَانِ الْبِدْعَتَانِ: بِدْعَةُ الْخَوَارِجِ وَالشِّيعَةِ حَدَثَتَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ. (منهاج السنة).

وكما ذكرنا فإن التكفير بدون ضوابط هو خطر محدق على كل مجتمع وهو خطر على فلسطين إن دخلها ولا يستبعد أن تسهل دخوله الصهيونية إلى الأراضي المحتلة حتى تحدث الفتن والقلاقل في مجتمعنا الفلسطيني مما يؤدي إلى تشتته ووهنه وضعفه ليكون في التالي لقمة سائغة وسهلة ابتلاعها من قبل بني يهود ..

إن إيران التي تذرف دموع التماسيح خوفا من تسلل التكفير إلى فلسطين هي في الحقيقة من تسعى لغرسه في تلك البلاد كما حصل في أفغانستان والعراق وسوريا وليبيا وقد يكون ذلك بالتعاون مع الصهيونية ..

لقد وقف مجتمعنا الفلسطيني موقفا صلبا ضد التشيع وتمدده وقد ضرب أهالي ٤٨ المثل العليا في التصدي لمشروع إيران وسفهوا كبرائها ووقفوا موقفا مشرفا مع مظلومية السنة الذين يذبحون بسكين الرفض في العراق وسوريا ..

---

(١) موقع نبض الشمال.

كذلك كان موقف أهل غزة ..

فما الحيلة أمام إيران لاختراق المجتمع الفلسطيني غير إطلاق قطعان التكفيريين لتمزيق مجتمعنا وتدميره ليكون بالتالي لقمة سائغة تخترقه إيران وهذا يمثل أيضا هدف يهودي كما ذكرنا فتتقاطع مصالح الشيعة واليهود ومثل هذا حصل كثيرا وواقعنا أكبر شاهد بل أصبح هذا من المسلمات ...

فماذا يريد اليهود غير دين يسب ويسفه خير قادتنا وأسلافنا الذين فتحوا ربوع هذه الأرض المباركة وعلى رأسها بيت المقدس المشرف ..

إذا التكفير يمثل خطرا كبيرا على فلسطين لو دخلها لكن خطورته لا تقل عن خطورة التشيع بل إن الطرفين يعملان سوية بل إن أحدهما نتاج الآخر ... فالطرفان يكفران أهل السنة ويسعون لاجتثاثهم، لذا نصيحتنا لأهلنا في فلسطين أن يكونوا منتبهين وألا يقعوا بالفخ الذي نصب لأهلنا في سوريا والعراق حيث أدخل التكفير من أجل القضاء على الجهاد في تلكم البلدين ومن ثم كان مقدمة للتدخل الإيراني والأمريكي وقد استيقظنا على احتلال إيراني للعراق وسوريا وهذا الذي يخطط لفلسطين ...أن تسقط بيد الولي الفقيه ليكون حارسا امينا لدولة اليهود كما يفعل الذنب حسن نصر الشيطان في لبنان وكما فعل آل الأسد النصرية في سوريا لينام بني صهيون قريري العين آمنين فالشيعة وعلى مر العصور والدهور لم يكونوا الا جسرا لكل معتدي على بلاد المسلمين ...

نسأل الله أن يحفظ أن أهل السنة في كل مكان من كيد الكائدين ومكر الماكرين اللهم آمين.

جمهورية الطحين!

د. جاسم الشمري – الغد ٢٠١٦/١٢/٢٧

لا يمكن للإنسان أن يعيش من دون مجتمع. وهذا المجتمع بحاجة لإدارة أو دولة. وتنظم العلاقة بين الدولة والمواطنين بقانون، لأنه من دون القانون لا يمكن أن تسير عجلة الحياة. وهذا القانون يسمى دستوراً، ينبغي أن يُحترم –من الدولة والمواطنين على حد سواء- لأنه وضع لحماية الدولة وهيبتها، وتحقيق ما فيه خدمة المواطن والحفاظ على إنسانيته وكرامته.

حكام العراق على مدى السنوات الثلاث عشرة الماضية التي تلت الاحتلال، يؤكدون على «هيبة الدولة»، وضرورة تطبيق الدستور وعدم مخالفته. وهذا تصميم إيجابي، لكن - واقعياً- الحال على خلاف ذلك تماماً.

اليوم، حينما نُحاول متابعة بعض الظواهر الغريبة عن ثقافة العراقيين قبل العام ٢٠٠٣، نجد جملة من العجائب التي تهز الضمير وتحرك الوجدان وتثير الانزعاج لكثرتها، وغالبيتها تتم بمباركة الحكومة وتأييدها. من بينها ظاهرة أو حكاية القيادي في الحشد الشعبي «أبو عزرائيل».

«أبو عزرائيل»، واسمه الحقيقي أيوب فالح الربيعي، يمتاز ببشرة سمراء، وجثة ضخمة، حليق الرأس ولحيته سوداء وكثة الشعر، ويحمل غالباً بندقية وسيفاً وأجهزة اتصالات، ويتجول في مختلف مدن العراق برفقة اثنين من الحماية الخاصة به.

الحكاية ببساطة أن «أبو عزرائيل» ظهر في عشرات مقاطع الفيديو وهو يهدد بعبارة «إلا طحين»، ويقصد بها أنه سيطحن «الأعداء». فصار معروفاً بكلمة «إلا طحين».

والملاحظ أن «أبو عزرائيل» يتصرف وكأنه مسؤول حكومي من ناحية اللقاءات والتصريحات. ومن بين لقاءاته - الرسمية وغير الرسمية- مقابلة وفد من الحوثيين، وتهديده للسعودية، وظهوره مع قاسم سليماني الزعيم في الحرس الثوري الإيراني. وهو يتدخل حتى في شؤون الدولة الداخلية والخارجية، وبلغ الأمر درجة تهديده لتركيا وبعض دول الجوار، وتهكمه على رئيس حكومة بغداد، هذا فضلاً عن تصويره للعديد من الجرائم وهو يتفاخر بها.

قناة «فرانس ٢٤» وصفت «أبو عزرائيل» بـ«رامبو العراق». ووكالة «رويترز» ذكرت عن تاريخه أنه «تنقل بين فصائل مقاتلة قبل أن ينتمي إلى مليشيات «كتائب الإمام علي» التي يقودها حجي شبل (ثري مقرب من رئيس الوزراء العرقي السابق نوري المالكي). ويقال إنها تحصل على رعاية إيرانية خاصة، حيث تتلقى تمويلها من طهران ويدربها ضباط من الحرس الثوري وحزب الله اللبناني.

وأضافت الوكالة»، في ٢٨ آب (أغسطس) ٢٠١٦، أن صورا نشرتها مواقع التواصل الاجتماعي أظهرت قيام أبو عزرائيل بحرق جثة قال إنها لمقاتل سني في تنظيم «داعش» بمدينة بيجي، وتعليقها من قدميها على نار مشتعلة، وتقطيعه أوصالها - التي اهترأت بسبب الاحتراق- بسيف يحمله في يده.

وعلى رغم ذلك، وفي أيار (مايو) ٢٠١٥، تلقى أبو عزرائيل «وسام المرجعية» من ممثل المرجعية في كربلاء. وقبل أيام، تداول ناشطون في مواقع التواصل الاجتماعي مقطع فيديو ظهر فيه «أبو عزرائيل» بصحبة السفير الروسي في بغداد، والذي قال بلغة عربية ركيكة: «إلا طحين»!

هذه الأفعال غير القانونية والمتخلفة، متناقضة مع المبادئ الأساسية في الدستور العراقي. إذ تؤكد المادة (١) على أن: «جمهورية العراق دولة اتحادية واحدة مستقلة ذات سيادة كاملة». وكذلك المادة (٧): «تلتزم الدولة بمحاربة الإرهاب بجميع أشكاله».

وبموجب ما تقدم من نصوص قانونية نتساءل: هل هذه الأفعال الإرهابية والتهديدات العلنية الصريحة للمواطنين ولدول الجوار، وكذلك اللقاء بمسؤولين رسميين وغير رسميين من العراقيين والإيرانيين واليمنيين هي نشاطات رسمية أم من دون علم الدولة؟ وهل أبو عزرائيل مسؤول في الدولة العراقية حتى يطلق هذه التصريحات المدمرة لعلاقات العراق الإقليمية؟ وهل مجمل هذه الأفعال تُعد من دعائم بناء جمهورية العراق أم جمهورية «أبو عزرائيل» أو جمهورية الطحين؟

الدول التي تعتز بنفسها لا تسمح بمثل هذه الظواهر أن تنتشر، لأنها نوع من عصابات الشوارع التي تتغول في الغابات المهجورة، وفي المناطق النائية! وينبغي أن تنشر هيبة الدولة بالعدل والقانون وإيقاف هذه الرموز الهدامة لأسس التعايش المجتمعي والسلم الوطني والدولة المدنية.

"عربيو طهران".. أو المنتصرون المزمنون

منار الرشواني – الغد ٢٠١٦/١٢/١٧

أغلب، إن لم يكن جميع أتباع إيران العرب الحاليين، كانوا من أشد مؤيدي صدام حسين بلا قيد أو شرط، حتى الاحتلال الأميركي للعراق في العام ٢٠٠٣. وما يُفترض أن يكون مفارقة هو أن هؤلاء ذاتهم سيعلنون سريعاً انتصارهم بعد سقوط نظام صدام! وذلك، بشديد بساطة، عبر عكس ولائهم وتأييدهم ليغدو لخصم البعث الأشد في العراق؛ أي إيران التي صارت تسيطر على بغداد.

طبعاً، يبرر هؤلاء القوميون واليساريون نقل البندقية من الكتف إلى الكتف بزعم «ملء الفراغ»؛ أي إن الاحتلال الإيراني أفضل من

الاحتلال الأميركي. وهم ينطلقون في ذلك من قناعة بـ«غباء الشعوب العربية» ونسيانها أن عروبيي ويساريي طهران تحديداً، كانوا السباقين إلى إصدار كل الفتوى القومية واليسارية ناهيك عن الدينية التي تحرم على الحكومات العربية، تحت طائلة التخوين، التعامل مع «المنطقة الخضراء» التي تمثل الاحتلال الأميركي وعملاءه! وهي الخيانة - بتوصيفهم- التي ستصبح مبررهم للدفاع عن الاحتلال الإيراني للعراق.

انسجاماً مع هذا الولاء الجديد، سيصبح صدام حسين بتصريحاتهم «إرهابياً». فليس هذا الوصف بسبب مراجعة أدت إلى احترام مبدئي لحقوق الإنسان، يتم على أساسه قياس سجل بعث العراق إبان عهد صدام؛ بل العكس! صار صدام إرهابياً في نظر مؤيديه القوميين والأمميين السابقين، فقط لتبرير إبادة من تسميهم طهران ووكلاؤها في بغداد «فلول/ أيتام» صدام، وهم لا يشملون أقل من سُنّة العراق ككل!

حتماً يعرف الجميع أن «انتصار» احتلال العراق ليس الأول ولن يكون الأخير، لدى هؤلاء القوميين واليساريين. فالنموذج الأول كان بـ«انتصار» نكسة العام ١٩٦٧؛ حين أفشل جمال عبدالناصر والبعث السوري العدوان الإسرائيلي، فقط ببقائهما في الحكم، لقاء ثمن بخس، هو سيناء والجولان والضفة الغربية! كما أنه نصر يحققونه الآن في حلب.

فـ«عروبيو طهران» لا يترددون بالاحتفال على الرغم من أن كل الأكاذيب التي ألقوها على المعارضة السورية لتبرير الجرائم بحق السوريين جميعاً، لا تتجسد حقيقة لا جدال بشأنها إلا على الطرف المقابل فقط. فمن استجلب التدخل الخارجي هو بشار الأسد، والذي يدين أيضا ببقائه لعشرات المليشيات من المرتزقة متعددي الجنسيات، إنما الموحدين في الانتماء الطائفي والتمويل الإيراني.

طبعاً، ولأن أتباع إيران يعتبرون كل معارض للأسد، ولو سلمياً، «داعشياً»، فتسمع من يخبرك أن المعارضة أيضاً متعددة الجنسيات (بإدخال عناصر «داعش» ضمنها). ولا يبدو معيباً أو مخجلاً بالنسبة لهم أن يماثلوا بين رمز قوميتهم ويساريتهم، ومن يعتبرونه «رئيس دولة شرعي»، وبين تنظيم إرهابي!

لكن مع اتساق مفهوم «النصر» لدى هذه الفئة، تجب ملاحظة الانحدار في الثمن الذي تدفعه. فرغم «النكسة»، بقي الاحتلال الإسرائيلي احتلالاً ولو بالتصريحات. أما «احتلال العراق» فصار مدعاة للتباهي بالعلاقات الوطيدة مع المحتل الإيراني. فيما «نصر حلب» فيستدعي الاحتفال لا باحتلال روسي إيراني فقط، بل أيضا بتهجير أهل حلب على أساس طائفي، كما غيرها من مدن وبلدات سورية خرجت مطالبة بالحرية والكرامة.

بعد ذلك، يمكن لنا تخيل أي كارثة ستكون عنواناً لانتصار هؤلاء في فلسطين! ولا سيما أن أكبر إهانة واستفزاز اليوم للشبيحة العابرين للحدود سؤال: متى الموعد مع التحرير الإيراني- الروسي لفلسطين؟ علماً أن الخرافة المؤسسة للانتشاء بقتل العراقيين والسوريين هي البحث عن الطريق إلى فلسطين.

هندسة الجهل

محمد الحاجي – صحيفة مكة ٢٠١٦/٦/٨

على مر الأزمنة، تصارع السلاطين والساسة على حق امتلاك المعرفة ومصادر المعلومة. فالمعرفة قوّة وسلاح، بشكلٍ يوازي المال والعتاد العسكري. ولأن المعرفة بهذه الأهمية، هناك من يحاول الاستئثار بها لنفسه. ولهذا تأسس مجال «إدارة الفهم» في الأوساط الأكاديمية والسياسية. تُعرّف وزارة الدفاع الأمريكية مفهوم «إدارة الفهم Perception Management» بأنه أي (نشر) لمعلومات أو أي (حذف) لمعلومات لأجل التأثير على تفكير

الجمهور والحصول على نتائج يستفيد منها أصحاب المصالح. ولأن النشر والحذف يتطلّبان أساليب دقيقة ومعرفة تامة بعلم النفس والسلوك والإدراك، قام باحث ستانفورد المختص بتاريخ العلوم Robert Proctor بصياغة ما يُعرف بعلم الجهل Agnotolgy وهو العلم الذي يدرس صناعة ونشر الجهل بطرق علمية رصينة.

بدأ علم الجهل في التسعينات الميلادية، بعدما لاحظ الباحث دعايات شركات التبغ التي تهدف إلى تجهيل الناس حول مخاطر التدخين. ففي وثيقة داخلية تم نشرها من أرشيف إحدى شركات التبغ الشهيرة، تبيّن أن أبرز استراتيجية لنشر الجهل كان عن طريق «إثارة الشكوك في البحوث العلمية التي تربط التدخين بالسرطان». ومن حينها انطلق لوبي التبغ في أمريكا لرعاية أبحاث علمية مزيّفة هدفها تحسين صورة التبغ اجتماعيا ونشر الجهل حول مخاطره.

كما هو مُلاحظ هنا، الجهل ليس انعدام المعرفة وفقط، بل هو (مُنتَج) يتم صنعه وتوزيعه لأهداف معيّنة، غالبًا سياسية أو تجارية. ولتوزيع هذا الجهل بين أطياف المجتمع، انبثقت الحاجة لمجال «العلاقات العامة»، الصنعة التي تُعتبر الابن الأصيل للحكومة الأمريكية على حد تعبير تشومسكي. فعن طريق لجان «العلاقات العامة» تم تضليل الرأي العام الأمريكي والزج به في الحرب العالمية الأولى سابقا وغزو العراق لاحقا، بما كان يُعرف بالـ Creel Commission.

هذا التضليل استراتيجي ومُمنهج حسب أساسيات علم الجهل، والتي تستند على قنوات ثلاث: بث الخوف لدى الآخرين، إثارة الشكوك، وصناعة الحيرة. وليس هناك أنصع مثالا من الحكومات في تجسيد مبدأ إثارة الرعب لدى المواطنين لتمرير مصالحها وأجندتها. فتارة، يتم صنع أعداء وهميين لتحشيد الرأي العام، وتارة يتم ترعيب الجمهور بالقدر المظلم إذا لم يشاركوا في هذه المعركة وتلك، وكأن الأرض ستفنى بدون هذا «الهجوم المقدّس». لا غريزة بشرية تنافس غريزة حب البقاء، ولذا من الممكن أن تبيع السمك في حارة الصيادين عندما تهدّد أمنهم وبقاءهم!

وأما إثارة الشكوك فهو ثاني أعمدة التجهيل، ويتم توظيفه غالبا في القطاع التجاري والاقتصادي، وهذا بالتحديد منهج الكثير من الشركات. فبعد هبوط مبيعاتها بنسبة ٢٥٪، بدأت شركة كوكا كولا العالمية بدفع ما يقارب ٥ ملايين دولار لباحثين أكاديميين لتنفيذ مهمة تغيير فهم المجتمع حول أسباب السمنة، وذلك بتقليل دور المشروبات الغازية في انتشار السمنة وتوجيه اللوم إلى عدم ممارسة التمارين الرياضية! هذه «الأبحاث المدفوعة» يتم نشرها لإثارة الشكوك في ذهنية الفرد حتى يعيد تشكيل موقفه بما يتناسب مع أجندة هذه الشركات.

ولأن كثرة المعلومات المتضاربة تصعّب من اتخاذ القرار المناسب، يدخل الفرد في دوّامة من الحيرة حتى يبدو تائها وجاهلا حول ما يجري، ويزيد العبء النفسي والذهني عليه، فيلوذ بقبول ما لا ينبغي القبول به، طمعا في النجاة من هذه الدوامة، وهذه تحديدا هي الغاية!

في هذا العصر الرقمي، بات الجهل والتضليل سلعة يومية تُنشر وتُساق على الجمهور، من حكومات وشركات وأصحاب نفوذ. والصمود أمام كل هذه القوى يتطلّب جهودا ذاتية ووعيا مستقلا يبحث عن الحقيقة بعيدا عن العاطفة والأمنيات. وسيكون من قصر النظر وفرط السذاجة لو اعتقدنا أن «علم الجهل» و«إدارة الفهم» و«العلاقات العامة» محصورة على الغرب، بل هي أقرب إلينا من أي شيء آخر!

"كُن طائفي"

حذيفة العرجي

يقولونَ لي: لا تكن طائفي..
أُحاولُ.. لكنني أفشلُ
فباسمِ عليٍّ أنا أُقتَلُ
وباسمِ الحُسينِ أبي يُقتلُ
وعمّي، وخالي..
وأمّي و أُختي
وكلّ رفاقي..
فما أفعلُ؟

❖❖❖

يقولونَ لي: لا تكُن طائفي..
تعايش بُحبٍّ معَ القاتلينَ
معَ المُجرمينَ..
معَ الشاربينَ دماء البَشَرْ
معَ الوحشِ يقتلُ كلَّ غُلامٍ تَسمى عُمَرْ
يُريدونَ منّيَ شُربَ دمائي
بكلِّ برودٍ، وكلِّ غباءِ

❖❖❖

يقولونَ لي: لا تكن طائفي..
وخُذ بالتقيَّةِ كالآخرينْ
وأرفضُ طبعاً..
فلستُ وشِعريَ كالآخرينْ
وفعلُ التقيّةِ فعلُ النِفاقْ
ولو قالَ فيهِ جميعُ الرفاقْ
يريدونَ منّيَ ألّا أُبينْ
وأن أجعلَ الشِعرَ عبداً ذليلاً
يعيشُ على فضلَةِ الظالمينْ
وأرفضُ طبعاً..
لأنّي بكُلّ اعتزازٍ وفَخرٍ
نذرتُ حياتيَ للمُتعبينْ

❖❖❖

يقولونَ لي: لا تكُن طائفي..
فما أبشعَ الشاعرَ الطائفي
أَفِقْ وانتبه.. كُلُّنا مسلمونْ
وإنّي أشكُّ!
- أشكُّ الحقيقةَ- في أنّهُم مُسلمونْ!
فهل مُسلمٌ من يسبُّ عُمرْ؟
ويرمي العفيفةَ بالفاحشة؟
ويأمَنُ جانبَهُ الكافرونْ
ولا يأمنُ المسلمونْ؟
يقولونَ لسنا نسبُّ الصحابةَ..
واللّهُ يشهدُ والمؤمنونْ
وشِعري أنا.. أنّهُم كاذبونْ

❖❖❖

يقولونَ لي: لا تكُن طائفي..
فليسوا يهوداً..
نَعم في الحقيقةِ ليسوا يهودْ
ولكنَّهُم يخدمونَ اليهودْ!

❖❖❖

يقولونَ لي: لا تكُن طائفي..
وآهاتُ أُمي التي في العِراقِ
وصرخاتُ أُختي التي في اليَمنْ
وطفلي الذي في دمشقَ يُباعُ بدونِ ثَمنْ
وعَجزُ الشيوخِ، وخوفُ اليتامى
وجُرحُ الشَهيدِ بغيرِ كَفَنْ
يُناديننَي:
بريءٌ عليٌّ منَ الظالمينَ
بريءٌ حسينٌ.. فكُن طائفي!

الإرهاب الإيراني والشيعي بترويج المخدرات

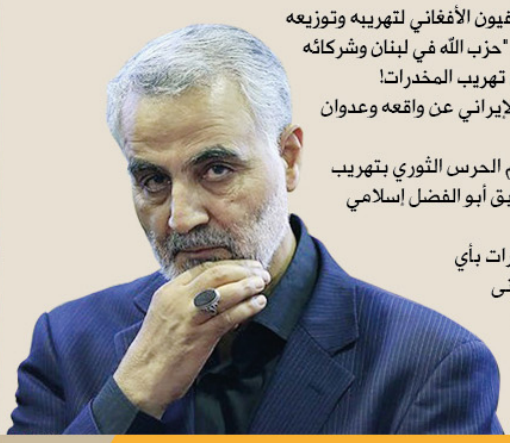

تعتبر إيران من أكبر مهربي المخدرات في العالم، فهي أكبر مشترٍ للأفيون الأفغاني، وهي كذلك أكبر منتج للهيروين الذي تستخرجه من الأفيون الأفغاني لتهريبه وتوزيعه في العالم، فهي تربط بين مزارع الإنتاج في أفغانستان وأسواق الاستهلاك في الدول الأخرى عبر أذرعها "فيلق القدس" لدول الجوار، وعبر "حزب الله" في لبنان وشركائه من مافيا السلاح والمخدرات وتبييض الأموال لدول أوروبا وافريقيا وأميركا اللاتينية، حيث يقال إن عندهم فتوى من الولي الفقيه تبيح لهم تهريب المخدرات!

وتعد إيران من أكثر دول العالم في تداول المخدرات حيث يقدر استهلاكها السنوي ٥٠٠ طن! بقيمة ٣ مليارات دولار، لإلهاء الشعب الإيراني عن واقعه وعدوان مشروع الملالي على العرقيات الداخلية والدول المجاورة.

يعترف كثير من ساسة إيران بقيام النظام والحرس الثوري بالتجارة وتهريب المخدرات، فهذا الرئيس السابق لإيران أحمدي نجاد اتهم الحرس الثوري بتهريب المخدرات عندما وصفهم في أحد تصريحاته "بالإخوة المهربين" وهم الذين يمتلكون عددا من الموانئ، أما الدبلوماسي الإيراني السابق أبو الفضل إسلامي فقال في ٢٠١٥/٣ عبر راديو زمانه الإيراني بأن تهريب الحرس الثوري للمخدرات بدأ في الثمانينيات من القرن الماضي.

وكان مصطفى بور محمدي وزير العدل الايراني قد صرح لصحيفة تجارت فردا في ٢٠١٣/١، قائلا: "مما لا شك فيه فإن تهريب المخدرات بأي شكل من الأشكال خيانة للبشرية، ولا فائدة ولا خير فيها ليقوم أحد الأجهزة بممارسته، فمن يفعل ذلك، ومن يفكر في ذلك بدون أدنى شك أنه يضر البلاد، وسوف لن نرى الخير والبركة ولا المنفعة من وراء ذلك"، في تلميح للحرس الثوري، أما رحماني فضلي وزير الداخلية في حكومة روحاني فيصرح ويقول: "الأموال القذرة الناجمة عن تهريب المخدرات تستخدم في جميع القطاعات... قسم من الأموال القذرة الناجمة عن المخدرات تدخل السياسة والانتخابات ونقل السلطة السياسية في البلاد".

أما محسن سازغارا أحد مؤسسي الحرس الثوري المنشقين فيعلنها بقوله: "الحرس الثوري ضليع في تهريب المخدرات وتجارة الجنس".

أمثلة لعدوان إيران ومهاجمة دول العالم وإغراقها بالمخدرات

١- العراق:

صرح مدير اللجنة الوطنية العراقية لمكافحة المخدرات؛ ومحافظ مدينة ديالى عمر الحميري أن ٩٠٪ من المخدرات في العراق مصدرها إيران، وأن الهدف هو إغراق العراق ودول الخليج بالمخدرات، عبر الحدود البرية المشتركة ومطار النجف لأن الطائرات المدنية التابعة للحرس الثوري لا يتم تفتيشها بتواطؤ بعض المليشيات الشيعية الموالية لإيران.

٢- دول الخليج:

في ٢٠١٢/٣، قبضت السعودية على شحنة مخدرات قادمة من إيران تبلغ نصف طن من مادة الحشيش.

وفي ٢٠١٤/٤ أحبطت السعودية محاولتين لتهريب ٢٢ مليون قرص مخدر، قيمتها مليار و٣٨ مليونا، تتبع شبكة تهريب دولية يقودها سوريون وإيرانيون.

وفي ٢٠١٤/١٠ بالإمارات ضبطت ٥ ملايين حبة مخدرة، كان سيتم توزيع نصفها في الإمارات، والنصف الآخر يتوجه إلى السعودية.

وفي ٢٠١٥/١٢، ضبطت باخرة إيرانية حاول قبطانها تهريب كمية كبيرة من المواد المخدرة وضبط شخصان يحملان الجنسية الإيرانية عبر ميناء خالد البحري بإمارة الشارقة.

وفي ٢٠١٥/٨، ضبطت في مطار الكويت شحنة قادمة من لبنان تحوي ٤ ملايين حبة مخدرة.

وفي ٢٠١٠م اتهم الرائد مبارك بن عبد الله المري، مدير جهاز مكافحة المخدرات في البحرين السلطات الإيرانية بأنها تقدم تسهيلات لمهربي المخدرات التي تنطلق من الأراضي الإيرانية باتجاه البحرين.

٣- اليمن:

أعلن مصعب الصوفي، نائب مدير مكافحة المخدرات اليمني، أن بلاده ضبطت ٣٣ طناً من الحشيش خلال عام ٢٠٠٩ غالبها قادمة من إيران كانت ستهرب إلى دول الخليج خاصة السعودية. وهو ما تؤكده إدارة المخدرات السعودية التي تقول إن ٨٠٪ من حجم المخدرات المضبوطة مصدرها اليمن.

٤- أذربيجان:

نشر موقع "ويكيليكس" برقية عن السفارة الأمريكية في أذربيجان تستند إلى تقارير سرية لمحققي الأمم المتحدة أن كميات الهيروين التي مصدرها إيران، والمصدرة إلى أذربيجان، ارتفعت من ٢٠ ألف كيلوغرام في ٢٠٠٦، إلى ٥٩ ألفا في الربع الأول من ٢٠٠٩ وحده، وأن أذربيجان من الطرق الرئيسة لتصدير الهيروين نحو أوروبا والغرب.

٥- تركيا:

حيث أن ٧٠٪ من تجار المخدرات الذين قبض عليهم في تركيا مؤخراً على علاقة وثيقة بإيران، إذ عمدوا إلى استئجار أراض داخل إيران قريبة من الحدود التركية لزراعة المخدرات فيها ومن ثم نقلها إلى تركيا وتسويقها في البلدان الأوروبية.

٦- ماليزيا:

في ٢٠١٤/٤ أعلن مرتضى جاودان السفير الإيراني في كوالالمبور، بأنّ ٨٦ سجيناً إيرانياً في ماليزيا حكم عليهم بالإعدام بتهمة تهريب المخدرات، من إجمالي ٢٢١ سجيناً إيرانياً، معظمهم متهمون بجرائم متعلقة بتهريب المخدرات.

٧- أوروبا:

في ٢٠١٤/١ ضبطت الجمارك الألمانية ٤٥ كيلوجرامًا من الهيروين، تم تعبئته داخل السجاجيد التي تصدرها إيران إلى بلجيكا وفرنسا وبولندا وافريقيا.

٨- الصين:

في ٢٠١١ بالصين تم ضبط أربعة قوارب لشركات تتبع الحرس الثوري، فيها كميات كبيرة من المخدرات كانت متجهة لأستراليا ونيوزلندا.

٩- حزب الله:

اعترف الإيراني منصور سيار، الذي قام بالتخطيط لاغتيال وزير الخارجية السعودي بوجود علاقات تجمع بين حزب الله اللبناني وإيران بعصابات تهريب المخدرات في المكسيك.

وأقام حزب الله اللبناني علاقات تجارية وشبكات واسعة مع كارتيلات المخدرات في أمريكا الجنوبية مثل مجموعة أوفيسينا دي انفيغادو الكولومبية الشرسة والمتخصصة في تهريب كميات ضخمة إلى الولايات المتحدة وأوروبا انطلاقاً من المثلث الحدودي على حدود البرازيل والأرجنتين وأوروغواي، حيث يشتري ويهرب مئات الأطنان من المخدرات التي يحتكرها في منطقة الأنديز، لتجد طريقها إلى فنزويلا، ومنها تنطلق السفن لإغراق السوق الأوروبية مروراً بغرب وشمال أفريقيا، حيث يعتمد الحزب على قوته المالية لشراء صمت وتورط ضباط كبار في فنزويلا، وشيوخ قبائل الطوارق والسياسيين في الصحراء الكبرى في أفريقيا.

الراصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد ١٦٤ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ

أدوات المشروع الإيراني الشيعي العدواني

27 خطواتك الخمس لبناء وعي سليم بالأحداث والوقائع

31 مسيرة القاعدة وداعش في الصومال ... قراءة في المآلات والنتائج

48 التهجير القسري في سوريا السياسات، الأدوات والتبعات

الرائد
www.alrased.net

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي
تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٤)
جمادى الأولى- ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القـول

- أدوات المشروع الإيراني الشيعي العدواني ٢

فرق ومذاهب

- من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا... ١٥- محمد شحرور.....فادي قراقرة ٤

سطور من الذاكرة

- ٤ ثورات الخوارج اغتيال الخليفة الرابع..... هيثم الكسواني ١١

دراســــــــات

- الإعلام الشيعي الموجه للأطفال... خطورة التحديات وسبل المواجهة..... فاطمة عبد الرءوف ١٥
- السياسة المصرية... هل فقدت البوصلة؟..... أسامة الهتيمي ١٩
- الوجود التركي بالعراق خدم المصالح العراقية والتركية الوطنية..... سمير الصالحي ٢٤
- خطواتك الخمس لبناء وعي سليم بالأحداث والوقائع..... أسامة شحادة ٢٧
- مسيرة القاعدة وداعش في الصومال... قراءة في المآلات والنتائج..... محمد خليفة صديق ٣١

كتاب الشهر

- نقد الليبرالية..... أسامة شحادة ٣٦

قالوا

..... ٤٠

جولة الصحافة

- حوثنة التعليم وخطره على الأجيال الصاعدة في اليمن..... أبو مالك ماجد الحكمي ٤٢
- الدعم الغربي للحركات الشيعية المعارضة في الخليج العربي..... المرصد الاستراتيجي ٤٣
- بيان ببغي عصابة جند الأقصى الخارجية..... مجلس شورى أهل العلم في الشام ٤٦
- التهجير القسري في سوريا السياسات، الأدوات والتبعات..... د. ياسر سعد الدين ٤٨
- الإسلاميون وآفة "السذاجة"..... د. محمد أبو رمان ٥٦
- حروب إيران: ألعاب الجاسوسية والمعارك المصرفية..... ياسر جزائرلي ٥٧
- "الكفاح المسلح"...آلية إيرانية لتنفيذ مخطط إسقاط الملكية بالبحرين..... بوابة الخليج العربي ٦٢
- الفوبيا المتقابلة.... من المستفيد؟..... د. فراس الزوبعي ٦٣
- المظلومية السنية في العراق وسوريا..... محمود رأفت ٦٣
- روسيا و"الأسد" وإيران فصول في المواجهة و"الممانعة"..... عبد الوهاب بدرخان ٦٤
- تركيا وإيران... حليفتان أم متنافستان؟..... محمد رضا جليلي ٦٦
- يحدث في العراق الآن... سليماني ومسجدي يحكمان..... هارون محمد ٦٨
- هكذا يحصل الحوثيون على ٣,٥ مليون دولار يومياً؟..... يمن برس ٦٩

أدوات المشروع الإيراني الشيعي العدواني

لا يزال المشروع الإيراني الشيعي العدواني والطائفي مصرا على مواصلة عدوانه وجرائمه بحق المسلمين بخاصة، والعالم بعامة، برغم ما يلاقيه هذا المشروع الطائفي والإرهابي من رفض وإدانة على مستوى كافة الشعوب الإسلامية والعالمية.

فقد فضح هذا المشروعَ وكشف حقيقته الطائفية الإجرامية الإرهابية صمودُ الشعوب البريئة في العراق وسوريا ولبنان والبحرين واليمن أمام آلة الإجرام الإيراني والشيعي الذي تداعت له العديد من المجاميع الشيعية من مختلف دول العالم، كما أن تطور وسائل الإعلام والاتصال كان لها دور كبير في توثيق الجرائم البشعة للمشروع الإيراني الشيعي، فإذا كان البعض يشكك في روايات التاريخ عن مدى الحقد الأسود الذي يكنّه الشيعة وملاليهم للمسلمين والتي تمثلت في خياناتهم عبر التاريخ للمسلمين وتعاونهم مع أعداء الإسلام أو في جرائمهم الإرهابية التي قاموا بها في دويلاتهم كالقرامطة والفاطمية والصفوية والخمينية، فإن جرائمهم الإرهابية الوحشية في العراق وسوريا والبحرين واليمن وغيرها قد تم توثيقها بالصوت والصورة، وعلى الهواء مباشرة في بعض الأحيان.

حيث تنوعت جرائمهم من السجن والتعذيب الوحشي إلى الاغتصاب والقتل السادي بطرق يتفتت لها قلب الرجال، لكنها تكشف عن سذاجة السادرين خلف الوحدة والتقريب بين السنة والشيعة إذ:

كل العداوات ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين

ولكن إيران لا تزال تصر على مواصلة عدوانها الإرهابي والطائفي من جهة كما هو قائم على الأرض في كل ساحات الصراع وتحاول إفشال مفاوضات الأستانة بخصوص سوريا كونها لا تحقق لها كل أطماعها في سوريا، ومن جهة أخرى تسعى إيران للظهور بمظهر الحريص على السلام والأمان في المنطقة كما في تصريحات وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف في دافوس التي تستغرب حالة الصراع بين السعودية وإيران، وأن على السعودية إيقاف تدخلها في اليمن والبحرين وسوريا!

وهذا التوزيع للأدوار (الشرطي الجيد والشرطي السيء) حيلة قديمة اعتادتها الدول الظالمة والمجرمة ولكنها تروج على كثير من البسطاء والبلهاء وتحافظ من خلالها على أتباعها وأنصارها، وهذا يجعل من كشف وفضح وتعرية أدوات المشروع الإيراني الشيعي في هذه اللحظة مطلبا مهما حتى نمتلك الرؤية الشاملة لأدوات العدوان أولاً، وإبطال فعالية هذه الأدوات ثانيًا، وسد الثغرات التي يستغلونها لصالح مشروعهم وتسللهم من الشقوق والفجوات.

إذ يقوم المشروع الإيراني والشيعي على الخطوات التالية:

١- الاختراق للمجتمعات والدول لكسب القبول والأنصار وزرع العملاء والخلايا وصناعة الزعامات والمليشيات الموالية، تحت شعارات الوحدة الإسلامية ونصرة المشروع الإسلامي ودعم المقاومة والممانعة والمستضعفين وحسن الجوار.

٢- زعزعة هذه المجتمعات والدول للسيطرة عليها من الداخل سياسيا أو بالقوة الانقلابية الداخلية أو الخارجية.

٣- التعمية والإلهاء عن هذه السياسات والسلوكيات العدوانية في الداخل والخارج.

٤- الدخول في مفاوضات طويلة وعرقلتها كلما تقدمت للحفاظ على المكاسب على الأرض، والحفاظ على أصل المشروع الإيراني.

٥- دخول مرحلة هدنة إذا تغيرت الظروف لغير صالحهم مع الحفاظ على أكبر قدر من المكاسب، وانتهاز الفرصة لاحقا للعدوان والتمدد.

ولتنفيذ هذه الخطوات يعتمد نظام الملالي على أدواته الداخلية كالحرس الثوري أو السفارات ونشاطاتها المختلفة، أو علاقاته السياسية والاقتصادية، ولن نتعرض لها هنا.

وبالمقابل هناك العديد من الأدوات الخارجية التي يستخدمها نظام الملالي لصالح مشروعه الإيراني والشيعي والتي تتمثل في:

١- المجاميع الشيعية في الدول الأخرى: حيث تقدم إيران نفسها كحامية وحاضنة لأي شيعي أو متشيع في العالم، بحيث تصبح هذه المجموعات الشيعية بمثابة مكون وطني يمثل مطالب إيران في هذه الدول بدلا من كونها مكونا كسائر المكونات تحرص على المصلحة الوطنية المشتركة.

ومن ثم تقايض هذه الحماية والرعاية بتنفيذ أجندة الأطماع الإيرانية والشيعية، بداية من اتباع الولي الفقيه دينيا، مرورا بالتأييد لسياساته، انتهاء بتكوين مليشيات عسكرية تأتمر بأمر ولي طهران دون اعتبار لسيادة دولهم كما شاهد العالم أجمع توافد مليشيا شيعية من أكثر من ١٥ دولة في سوريا!

٢- اليساريين والاشتراكيين والناصرين والشبيحة أفرادا وأحزابا: لقد تحول هؤلاء (المناضلون) التقدميون لأنصار للملالي وأنصار الولي الفقيه، والذين يمثلون آخر أشكال الحكم الثيوقراطي!

ففي العديد من الدول أصبح الحليف السياسي للمشروع الإيراني الشيعي الطائفي هو القوى التقدمية واليسارية حيث تنادى

بالسياحة الدينية لدعم التعددية والاقتصاد، وأن الميلشيات الشيعية هي الحليف والنصير في محاربة التطرف والإرهاب.

٣- الأذرع الإعلامية: لقد أدركت إيران مبكرا دور الإعلام فحرصت على بناء منظومة إعلامية مسيطرة في الداخل الإيراني مع تغييب الصوت الآخر من الداخل والخارج، ثم بنت شبكة إعلامية قوية تابعة لها تخاطب الخارج بعدد من لغات العالم، ولم تكتفِ بذلك بل تمكنت من اختراق الإعلام المقابل لها حيث زرعت من جهة كثيرا من أتباعها في الإعلام العربي كقناة الجزيرة والعربية وغيرها، بل حتى القنوات العالمية كالبي بي سي العربية التي تكاد تعد صوتا إيرانيا، فضلا عن كثير من الصحفيين الأجانب.

وهناك أيضا الكثير من الصحفيين والإعلاميين (المستقلين) الذين يقومون بخبث ودهاء بتمرير الدعايات الشيعية كعبد الباري عطوان وفهمي هويدي.

٤- منظمات حقوق الإنسان المتواطئة مع مشروع الملالي: حيث دعم الملالي الكثير من مؤسسات المجتمع المدني، وخاصة الحقوقية في بلادنا وفي الغرب من أجل الدفاع عن الإرهابيين المتورطين في عمليات إجرامية ضد أوطانهم وشركائهم في الوطن.

وفكرة العمل الحقوقي والمدني كانت في البداية جزءا من المنظومة الغربية لترسيخ الديمقراطية والليبرالية في المجتمعات الإسلامية، لكن المشروع الإيراني والشيعي وجد فيها فرصة سانحة لتشويه صورة الدول السنية ووصمها بالإرهاب والقمع والاعتداء على المواطنين الأبرياء الشيعة، والذين قاموا فقط بقتل رجال الشرطة والأمن مرات ومرات كما في البحرين والسعودية، أو بتقويض النظام والتحريض على قتل رجال الشرطة والانقلاب كنمر النمر في السعودية ومرتضى السندي في البحرين.

٥- التجارة: حيث يقوم الحرس الثوري بإدارة آلاف الشركات في دول العالم لنشر نفوذهم وهيمنتهم وزرع خلاياهم وعملائهم تحت بريق الذهب والدولارات.

٦- اللوبيات السياسية: لقد أعاد نظام الملالي إحياء اللوبيات الإيرانية في الغرب، وخاصة أمريكا، للدعاية للمشروع الإيراني والشيعي وأنه الشريك في محاربة الإرهاب والتطرف، بل تواصل الملالي مع الإيرانيين القوميين في الغرب والمعادين للملالي من أجل إقناع الغرب وخاصة إدارة ترامب القادمة للحفاظ على إيران وحصر العداء بالملالي وعدم تكرار سياسة أمريكا في العراق التي دمرت العراق وليس نظام صدام حسين فقط!

٧- الفنانين والمطربين: لم يستثنِ أصحاب العمائم والمقاومة والممانعة حتى الساقطين من أهل الفجور كفاروق الفيشاوي وحنان شوقي وشعبان عبد الرحيم وغيرهم، برغم أن ملالي إيران يزعمون أنهم ضد والسينما العربية، والمصرية تحديدا، بسبب التبرج والاختلاط والعري والفواحش التي تمتلئ بها، إلا أن الملالي لا يمانعون في الاستفادة من عرق هؤلاء الممثلين والممثلات والمطربين والمطربات لتمرير مشروعهم الشيعي الطائفي للجمهور الغائب عن الوعي خلف شاشات السينما والتلفزيون والهواتف المحمولة، فالغاية تبرر الوسيلة!

٨- حركات العنف والتطرف: تتكشف في كل يوم المزيد من الأدلة والإثباتات عن اختراق هذه الجماعات وتمويلها وحمايتها من قبل نظام الملالي وتوظيفها لصالحه، كتنظيم القاعدة الذي آوته إيران وسهلت دمشق عبوره للعراق، أو داعش الذي سهل المالكي وبشار هروب قيادته من سجونهما ثم سلماه مدينتي الموصل وتدمر بأسلحتها، إذ هذه الجماعات والتي أحيت فكر ومنهج الخوارج تقدم خدمات جليلة للمشروع الإيراني والشيعي فهي تزعزع أمن واستقرار الدول السنية المستهدفة من هذا المشروع، وقامت بضرب وإضعاف وإنهاك قوى الثورة والمقاومة للمشروع الإيراني والشيعي في العراق وسوريا واليمن، وأيضا وصمت منهج أهل السنة بالإرهاب عالميا من خلال تنفيذ عمليات إرهابية عبثية في أوربا والعالم في لحظات فارقة صرفت أنظار العالم عن جرائم وإرهاب المشروع الإيراني والشيعي طيلة حكم نظام الملالي الممتد لقرابة ٤ عقود.

٩- الطرق الصوفية المتشيعة: نجحت إيران في كسب بعض الطرق الصوفية لمناصرتها وتبني منطقها السياسي والفكري على غرار الطريقة العزمية بالقاهرة، وهؤلاء يشكلون خزانا بشريا تتاجر به طهران في دعايتها ونفوذها في البلاد المستهدفة.

١٠- الحركات الإسلامية السنية ذات التمويل الإيراني: وهذه الحركات تتنوع في مدى خدمتها للمشروع الإيراني الشيعي الطائفي الإرهابي بين حركات عميلة ومستأجرة بالكامل كحركة الصابرين في غزة والتي لها أشباه في العديد من الدول العربية والإسلامية وقد تجاوزت التشيع السياسي للتشيع العقدي، وبين جماعة نصف عميلة للمشروع الإيراني حيث هي متشيعة سياسيا تقريبا لكن بعض الحياء والإيمان لا يزال يحول بينها وبين التشيع العقدي، وهي برغم كل هذه المجازر والطائفية الإيرانية لا تزال تمدح إيران وتعتبرها نموذجا محترما للحكم الإسلامي كحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وأيضا هناك من يشابهها.

وهناك حركات لديها تفريط كبير جداً بالمبادئ الإسلامية القائمة على التمسك بالحق والعدل ولكنها تكاد تتحول لحركات قُطرية ضيقة لا تراعي إلا مصالحها القطرية الضيقة ولذلك تعلن دوما مدحها لإيران علانية ولا تجرؤ على انتقاد وفضح طائفية وإجرام إيران بحق المسلمين ولا حتى بحق أبناء شعبها من قبل إيران ووكلائها في العراق ولبنان وسوريا واليمن إلا في غرف مغلقة كحركة حماس في فلسطين وعموم جماعة الإخوان المسلمين.

ووظيفة هؤلاء في خدمة المشروع الإيراني توفير العملاء لإيران كما فعلت الجهاد بتفريخ الصابرين، وفتح الطريق لإيران لاختراق جماعات إسلامية سنية حيث ربطت حركة الجهاد بعض الفصائل الصغيرة في غزة وكذلك بعض الإسلاميين في الجزائر بالإيرانيين، وأيضا تستفيد إيران من هذه الصلات بمنع تجريم إيران والتشيع وقطع صلتهم بالأمة الإسلامية مما يجعل جرح الأمة دوما نازفا وملوثا ومخترقا من المشروع الإيراني والشيعي، وهم لا يتعلمون إلا بالقطعة، فالبلد الذي يَقتل الإيرانيون والشيعة فيه أعضاء الإخوان يعادون إيران والشيعة ولكن البلد الذي لا يَقتلون فيه الإخوان يبقي الإخوان على ود يقوى ويضعف مع الملالي، وكأن الولاء هو لدم أعضاء جماعتهم وليس لدم المسلمين!

وبهذه الأدوات وحسن توظيفها يقوم نظام الملالي بالعمل على تنفيذ مشروعه الطائفي والإرهابي، وطالما لم تسحب هذه الأدوات من يده أو تعطل بعمل حكيم وجاد فإن المشروع الإيراني الشيعي قد يتوقف أو يتراجع خطوات لكنه لن ينتهي إلا بانتهاء دولة الملالي نفسها لأنها إذا توقفت عن العدوان على الجيران والعالم تقوضت من الداخل بغضب الشعب على سوء أوضاعه.

من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا
١٥- محمد شحرور

إعداد: فادي قراقرة– كاتب فلسطيني - خاص بالراصد

لقي مشروع محمد شحرور دعاية وترويجا في الأوساط العلمية والشعبية وتفاعلت معه كثير من القنوات الإعلامية مما أثار جدلاً ونقاشاً على الصعيد العربي عامة.

وهو، وأمثاله من منتجات وروافد الفكر الغربي غايتهم مقاومة الانبعاث الإسلامي، وقد صرح أساطينهم في وجوب التصدي للتمدد الإسلامي، بأي أداة وأي أسلوب يعمل على إضعافه، كقول مسيو شاتليه: (فلنقتصر إذن على القول بأن سير العالم الإسلامي تدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها، وذلك أمر طبيعي ممكن التحقيق) [1].

ترجمة

ولد محمد أديب شحرور في مدينة دمشق عام ١٩٣٨م، درس المراحل الأولى من تعليمه في دمشق، ثم سافر بعد الثانوية إلى الاتحاد السوفيتي لدراسة الهندسة المدنية بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٤، ثم بعد عودته إلى دمشق سافر إلى دبلن للدراسة في الجامعة الإيرلندية، حتى حصل منها على شهادتي الماجستير عام ١٩٦٩ والدكتوراه ١٩٧٢.

بدأت اهتمامات محمد شحرور بتأويل القرآن في عام ١٩٧٠، لما كان في إيرلندا وهو بصدد إعداد أطروحته للدكتوراه، التي لم تكن في العلوم الإنسانية أصلاً، واستمر هذا الاهتمام حتى عام ١٩٩٠ حين أصدر أول كتاب له في هذا الشأن والمثير للجدل (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة) ويعد هذا الكتاب الضخم أهم كتاب قدم فيه محمد شحرور نظريته في التأويل (التحريف) إلى جانب الممارسة العملية لذلك.

ثم توالت كتب شحرور على نفس النظرية التي انطلق منها في كتابه الأول، ومن هذه الكتب (الدولة والمجتمع) الصادر عام ١٩٩٤، وكتاب (الإسلام والإيمان منظومة قيم) وقد صدر عام ١٩٩٦، وكتاب (نحو أصول فقه جديدة للفقه الإسلامي فقه المرأة، الوصية، الإرث، القوامة، التعددية، اللباس) عام ٢٠٠٠، هذا إلى جانب البحوث والمقالات التي ينشرها في المجلات

(١) الغارة على العالم الإسلامي، صفحة ٩.

والدوريات العربية وبعض المجلات الأجنبية، إضافة إلى المحاضرات التي يلقيها في عدد من العواصم العربية، و(الفتاوى) التي تتناغم بوضوح مع مشروعه التأويلي للنصوص الدينية والقراءة الجديدة للإسلام.

وبرغم تصدي كثير من أهل العلم والفضل لبيان تهافت كتب وأفكار شحرور إلا أنه لم يتمكن من الرد عليهم ولو ببنت شفة!

المنهجية والمنطلقات

ماركسية الدكتور محمد شحرور مفروغ منها عند العقلاء تماماً ولا تحتاج لكثرة أخذ ورد، ولا ينفع معها نفي الدكتور لها مع تصريحه بمبادئها وتعظيم رؤوسها ومفكريها، فبنظرة عابرة إلى أول كتبه نجد عنده المناداة بما عند الماركسية من فلسفات وضعية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، يقول الدكتور شحرور: (إن العرب منذ البعثة إلى يومنا هذا، اهتموا برسالته وهجروا نبوّته، ولكن اهتم بنبوته كل معاهد الأبحاث العلمية والجامعات في العالم، وكل الفلاسفة ابتداءً من أرسطو، مروراً بكانت وإنجلز وهيجل وديكارت) [1].

هذا وأمثاله يثبت النزعة الماركسية وبقوة عند شحرور، كيف لا؟! وهو منقاد لها تماماً في أحكامه فهو يفرض أن الحقيقة الموضوعية، هي الأشياء المادية الموجودة في الأعيان خارج حدود الوعي، وأن الحق هو الوعي المطابق لها، وهذا جزء من أجزاء فلسفة سارتر اليهودية[2].

فضلا عن تنزيله لفلسفة هيجل على القرآن الكريم، فلسفة (صراع المتناقضات)، كما في تفسيره الفلق بصراع الأضداد.

وبناءً على ماركسيته ومادية المجحفة، ومن هذا المنطلق لم يخفِ محمد شحرور منهجيته في التعامل مع الإسلام بشكل عام، فقد سطر آراه وفكره بكل وضوح، قائلاً: (فمن هنا نرى أن أطروحات التجديد لا معنى لها ولا تؤتي ثمارها، وإنما هي تكرار للذات وللسلف، وهي مجموعة من الخطابات والكلمات الرنانة بدون أي معانٍ أو أفكار مفيدة.

فأي تجديد لا يسمى تجديداً إلا إذا اخترق الأصول، وعلينا أن نعي حقيقة تاريخية هامة جداً وهي أن التاريخ الإنساني حسب التنزيل الحكيم يمكن أن يقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى مرحلة الرسالات التي انتهت برسالة محمد ﷺ. **والمرحلة الثانية مرحلة ما بعد الرسالات والتي نعيشها نحن. أي أن الإنسانية الآن لا تحتاج إلى أية رسالة أو نبوة، بل هي قادرة على اكتشاف الوجود بنفسها بدون نبوات،** وقادرة على التشريع بنفسها بدون رسالات.

والإنسانية اليوم أفضل بكثير من عصر الرسالات، لأن البشرية كانت بحاجة إليها للرقي من المملكة الحيوانية إلى الإنسانية، أما نحن فلا. وعلينا أن نعي أن المستوى الإنساني والأخلاقي في تعامل الناس بعضهم مع بعض أفضل بكثير من قبل وحتى في عهد الرسالات. **فالبكاء على عصر الرسالات لا جدوى منه، لأننا الآن في مستوى أرقى معرفياً وتشريعياً وأخلاقياً وشعائرياً)** [3].

محمد شحرور يشك بوجود الله وباليوم الآخر

وعلى القاعدة التي سبق ذكرها والمتعلقة بأن الحقيقة هي المادية فقط عند شحرور واعتماده على الدليل المادي فقط لمحاكمة النصوص، يُظهر لنا شحرور ماركسيته العقدية؛ ففي موقعه على شبكة الإنترنت سأله أحدهم عن رأيه في طريق من طرق الملحدين الذين ينكرون الأديان: (ما رأي الدكتور محمد المحترم في كلام الربوبيون؟

(١) الكتاب والقرآن، ص ٨٤.

(٢) التحريفات المعاصرة، عبد الرحمن حبنكة، ص ١٣٤- ١٣٥.

(٣) تجفيف منابع الإرهاب، ص ٢٦.

الجواب: الربوبية هي الاعتقاد بوجود خالق للكون، ولكن لا يتدخل في شؤون الكون. وأن الأديان كلها من نتاج البشر، والدعوات والصلوات لا تستجاب، والحوادث اليومية ليست ناتجة عن رغبة إلهية، إنما هي نتائج طبيعية لأسباب تحدث في الحياة. وكل شيء مفتوح، لا شيء مقدّرا مسبقاً.

فالربوبيون يعتمدون المنهج العلمي، ويعتمدون على أنفسهم في حل مشكلاتهم وتحقيق أهدافهم في الحياة. وأخلاق الربوبي ناتجة عن التزامه الذاتي بالخير وابتعاده عن الشر، وناتجة عن تحضره وتحضر مجتمعه.

هناك بعض الربوبيين يعتقدون أن الله أو الـ God أو الإله أو Deity أو the خالق الكون يتدخل في الكون. وبعضهم يؤمن بنوع من الحياة بعد الموت.

ولكن من وجهة نظري، لا جدوى عملية من التفكير في صفات الله أو العلاقة معه (أو معها) **ولا فائدة من التفكير في حياة بعد الموت. فقد تكون هناك حياة بعد الموت أو لا. فإن كان هناك حياة بعد الموت، فلا وجود للعقاب فيها**، لأن العقاب كان سيملك معنا في الدنيا، ولكن بعد الموت لا فائدة منه. فالبشر سيكونون في نظام وجود مختلف عن الدنيا، وستكون الحياة بعد الموت سعيدة، هذا إن وجدت طبعاً.

ولكن الفكرة الأكثر منطقية هي أن الحياة تنتهي بالموت، **فلا يوجد دليل حسي واضح أو عملي على وجود الحياة بعد الموت**. وبالتالي تكون التجربة التي تختبرها بعد موتك هي نفسها التجربة التي اختبرتها قبل ولادتك. وبما أن الإنسان يملك فرصة واحدة للعيش، فعليه أن يغتنمها ويعيش الحياة لأقصى حد، دون أن يضر أو يؤذي الآخرين طبعاً.

وجود خالق الكون هو نتيجة منطقية يستنتجها الربوبيون من وجود الكون وجماله الطبيعي وإبهاره العلمي. ولكن لا يستطيع أحد أن ينفي أو يثبت وجود الحياة بعد الموت، ولا يستطيع أحد أن يتوصل إلى صفاتها، إن وجدت)!!

بل زاد الطين بلة في جوابه على أحدهم قائلاً: (الأخ دلشير، أنا أؤمن بالله واليوم الآخر إيمان تسليم، ولا يوجد دليل علمي ينفي أو يثبت وجود الله واليوم الآخر، استدل من خلال التنزيل الحكيم، الذي أعتبره تصديقاً لا تسليماً نص إلهي، على ما يؤكد وجود الله، ولا يمكن للإله العادل ألا يعاقب القاتل أو السارق أو قاطع الطريق، وألا يكافيء المظلوم والمضطهد، لذا لا بد من يوم آخر.

وإن كان الخالق قد وضع قوانين للكون يسير عليها فهو قادر على التدخل حين يشاء، ومنذ الرسالة المحمدية أصبح تدخل الله في الكون غير مباشر، **وهناك جزء جيد من طروحات الربوبيين لا غبار عليه**، فلا يوجد مصائب عشوائية أو صدف، والصدفة موقف معرفي بحت)!!!.

وطرح الربوبيين يعتمد على أن الله لما خلق البشر تركهم، فلم يرسل لهم الرسل، وبالتالي فالربوبية التي يثني عليها شحرور تنكر النبوات كلها، وهذا كفر بركن من أركان الإيمان!!

محمد شحرور العلماني

لا يختلف خطاب محمد شحرور في شأن العلمانية عن الخطاب الحداثي المعاصر؛ لأنه جزء منه، وبالتأكيد مع محاولة اللعب في بعض الألفاظ من أجل تزييبن الكعكة لمن يأكلها، فقد سطر شحرور قائلاً: (الدولة العلمانية كما أراها، هي الدولة التي لا تأخذ شرعيتها من رجال الدين (الهامانات)، وإنما تأخذ شرعيتها من الناس، فهي لهذا دولة مدنية غير مذهبية وغير طائفية، وبما أن الاسلام لا يعترف أصلاً برجال الدين، وليس بحاجة إليهم ليعطوه الشرعية، والهامانات هم من يدعي الاختصاص بالدين والحفاظ عليها ... والدولة العلمانية هي الدولة التي تتعدد فيها الآراء، وتصان فيها حرية الرأي والرأي الآخر) [1].

(١) الدولة والمجتمع، ص ١٩٦.

ويقول: (وبهذا نرى أن الدولة الإسلامية دولة علمانية بحتة)[1]، وهذا تزييف وتحريف فالإسلام ليس فيه رجال دين نعم، لكن المسلمين ملزمون بتحكيم أمر الله عز وجل والذي بينه لنا في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وهذا يتناقض مع العلمانية التي لا تلتزم بالقرآن والسنة، بل تحاربهما، وفي أحسن الأحوال تعتبر اتباعهما شأن شخصي لا يجوز أن يلزم به المجتمع.

محمد شحرور والمرأة

يحاول محمد شحرور في كتابه (نحو أصول فقه جديد) ربط موضوع الخطيئة بالحجاب، الذي هو غطاء الرأس عندنا، لينتهي من خلاله إلى إنكار وجوب غطاء الرأس؛ وسبب هذا عنده أن الحجاب إنما فرض على المرأة ستراً لخطيئتها، يقول محمد شحرور: (مسألة لباس المرأة وحجابها قديمة، تعود إلى ما قبل التاريخ المكتوب، ويلاحظ دارسها أنها ترتبط دائماً في التراث القديم بمسألة أخرى هي مسألة الخطيئة الأولى التي تواكب بدورها مسألة بدء الأنسنة، ويعني بها بداية الجنس الإنساني ذي الأصل البشري وذلك بنفخة الروح، حتى أن تنزيل الحكيم ذاته أشار إلى هذه الرابطة- العلاقة، معتبراً أن ستر الجسد عند آدم وزوجه في الجنة، نتيجة طبيعية حين بدت لهما سوآتهما بعد أن أكلا من الشجرة المحرمة وذلك طبقاً للتفاسير الموروثة)[2].

وبغضّ النظر عن حجم التلفيق الظاهر في كلامه ومحاولة ربط الحجاب بالخطيئة التي لا يوجد دليل على هذا الرابط سوى ما في عبارته (ما قبل التاريخ المكتوب) مما يكشف غياب الموضوعية والمعقولية عن مثل هذه الطروحات، ليصل من خلالها إلى محاربة الحجاب (غطاء الرأس) بدعوى أنه مظهر من مظاهر ظلم المرأة الباقية في الشريعة من رواسب الشرائع التي قبلها، فيقول: (ولم تكن الرسالة المحمدية، من هذه الزاوية بالذات أحسن حظاً من سابقاتها. ولم يكن الفقهاء والمفسرون، في مسألة المرأة أكثر اعتدالاً من سابقيهم من سدنة وأحبار وكهنة ورسل)[3] مع ظهور وقاحته في طعنه في شريعة الإسلام كما هو ظاهر للقارئ المنصف، وكما قال ربنا جل في علاه: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وعندها تراه وبكل وضوح يقول: (وتأكيداً لما قلناه وقاله كثيرون من أن اللباس والحجاب عند المرأة ليس تكليفاً شرعياً بقدر ما هو سلوك تقتضيه الحياة الاجتماعية والبيئة)[4]... لينتهي إلى خلاصته التي أرادها أعداء الإسلام من المرأة بعد تجريدها من عفتها بقوله، وتحت باب الحد الأدنى: (الحد الأدنى للباس المرأة بشكل عام هو تغطية الجيوب العلوية (الثديين وتحت الإبطين) بالإضافة إلى الجيوب السفلية وهو ليس لباس الظهور الإجتماعي ... لباس الخروج الاجتماعي للمرأة هو ابتداء من الحد الأدنى، وهو حسب أعراف المجتمع الذي تعيش فيه وحسب ظروف الزمان والمكان، بحيث لا تتعرض للأذى الاجتماعي، ويتدرج حتى يبلغ الحد الأعلى بإظهار الوجه والكفين فقط)[5].

ويقول في نفس الصفحة: (غطاء الرأس بالنسبة للرجل أو المرأة ليس له علاقة بإسلام ولا بإيمان وهو يتبع أعراف المجتمع بشكل عام)!!!

لذلك لم يكن من الغريب على من يقول بهذا أن يجيز للمرأة الخروج بمايوه البحر بحجة أنها تلبس الحد الأدنى الذي أذن فيه الله عز وجل[6]!!

لم ينته محمد شحرور عند مسألة الحجاب فيما يخص المرأة، بل جعل كلامه في مسائل لها دور مهم في إفساد بيوت المسلمين، ولعلها هي الحرب

---

(١) المصدر السابق، ص ١٩٧.
(٢) نحو أصول فقه جديد، ص ٣٣٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٣٤٨.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٥٥.
(٥) المصدر السابق، ص ٣٧٨.
(٦) https://www.youtube.com/watch?v=JO0oLu1hWq8

التي يريدها التغريبيون، فقد ذكر ضمن كتابه المذكور سابقاً جملة من المسائل التي تتعلق بالقوامة للرجل أو للمرأة؛ وانتهى فيه إلى أن القوامة متعلقة بمن يحسن الإدارة بشكل صحيح بغض النظر عن جنسه[1]، ورغم وضوح الآية (الرجال قوامون على النساء) إلا أن التحريف لدلالتها واجب يمليه عليه من يستخدمه لذلك!!

نظرة موجزة في كتابه (تجفيف منابع الإرهاب)

شنّ محمد شحرور في كتابه هذا حرباً على كثير من المفاهيم الإسلامية العميقة بلغت حد الجرأة على شخص رسول الله ﷺ ، فهو يقول: (فالذي يدعي فهم كتاب الله ككل من أوله لآخره فهماً مطلقاً ولو كان النبي ﷺ نفسه، إنما يدعي شراكة الله في المعرفة)[2]!!

وهذا كلام خبيث يتّهم النبي ﷺ بجهل معنى الوحي الذي جاءه! ويتهم الله عز وجل أنه أنزل وحيا لم يُفهم، والله عز وجل يقول: ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾.

بل لا ينبغي لعاقل يعظم قدر الله عز وجل نسبة المعرفة لله تعالى بخلاف العلم فإن ما يسبق المعرفة هو الجهل كما هو مقرر.

ويقول شحرور أيضا: (السنة النبوية هي الاجتهاد الأول، والخيار الأول للإطار التطبيقي الذي اختاره محمد ﷺ لتجسيد الفكر المطلق الموحى إليه، لكنه ليس الخيار الأخير وليس الوحيد)[3].

فهذه الدعوة لاعتبار السنة اجتهادا في فهم القرآن وأن الرسول ﷺ قد يصيب وقد يخطيء طعن في مقام النبوة، وفيه تسوية بين الرسول ﷺ وسائر الناس وهو نفي مبطن للنبوة ذاتها!! فضلا عن فتحه لباب شر عظيم بجواز الطعن في السنة بحجة الاجتهاد، وهذه المرحلة تجاوزها محمد شحرور بكل تأكيد.

ومما يكشف عن ضعف وركاكة وزيف فكر شحرور السقطات التي يقع بها في تزييف الوقائع والأحداث واعتماده على أمور غير عقلانية لنصرة باطله، ومن ذلك طعنه بالإمام الشافعي حتى يتمكن من ترويج منهجه الباطل المحرف، فهو يتهم الشافعي بتقبل الرشوة من السلطان، فيقول: (لقد كان الشافعي يعرف ذلك كله، فهو فصيح من حيث النسب لكونه قرشياً وفصيحاً من حيث الثقافة لكونه يحفظ عشرة آلاف بيت من الشعر، لكنه فضل أن يداهن سلطانه العباسي المستبد أبا جعفر المنصور فكانت النتيجة أنه باع دينه بدنيا غيره..)[4].

وهذا كلام مجانين لا كلام من ينصّب نفسه مصححا لمنهج فهم الإسلام والقرآن في عصرنا الحاضر، فمعروف أن ولادة الشافعي رحمه الله كانت في عام ١٥٠هـ، وأن موت أبا جعفر المنصور كان في عام ١٥٨هـ في الوقت الذي كان فيه قد مضى من عمر الشافعي ٨ سنوات فقط، فمتى باع الشافعي دينة للخليفة المنصور!؟ لكن الحقد على الإسلام وعلمائه يدفع هؤلاء الجهلة عديمي الأمانة والعلم للكذب بوقاحة.

بل بلغت به الوقاحة أن يكذب وينسب لأبي بكر الصديق وخالد بن الوليد في حرب المرتدين جرائم ومخازيَ وتجاوزات يزعم أنها تكفي اليوم لترسل صاحبها إلى محكمة مجرمي الحرب في لاهاي[5].

محمد شحرور ونظرية داروين

بعد كل ما مضى لم يعد غريباً أن نسمع من محمد شحرور قولاً تمجّه العقول السليمة؛ فالرجل ينتصر لنظرية داروين في أصل الإنسان، بل بلغ به الحد أن جعل داروين خير من فسر نظرية الخلق، فيقول: (وخير من أول آيات خلق البشر عندي هو

(١) نحو أصول فقه جديد، ص ٣١٥.
(٢) تجفيف منابع الإرهاب، ص٢٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٤١.
(٤) المصدر السابق، ص ٨٤.
(٥) المصدر السابق، ص ٢٤٩.

العالم الكبير تشارلز داروين، فهل عرف داروين القرآن؟ أقول: إنه ليس من الضروري أن يعرف، فقد كان داروين يبحث عن الحقيقة في أصل الإنسان، والقرآن أورد حقيقة أصل الإنسان، فيجب أن يتطابقا إن كان داروين على حق، وأعتقد أن نظريته في أصل البشر في هيكلها العام صحيحة لأنها تنطبق على تأويل آيات الخلق) [1].

ويقول شحرور: (إن هذا الفهم المادي لنظرية المعرفة القرآنية يرد على أوهام ذوي الفهم المثالي للقرآن، الذين يرفضون نظرية التطور والارتقاء ويسخرون من نظرية داروين بزعم أنها غير علمية، وحجتهم في ذلك قائمة على التساؤل التالي: لماذا تطور الإنسان من القرد، وبقي القرد قرداً؟! وجوابنا هو أن الله تعالى نفخ الروح في البشر «وهو فصيلة من المملكة الحيوانية» فأدى ذلك إلى أنسنته وارتقائه عن عالم المملكة الحيوانية. ولو أنه نفخ الروح في فصائل أخرى لارتقت أيضاً. إن نفخة الروح هي الحلقة المفقودة في نظرية داروين حول الأنسنة)[2].

وهذا الكلام باطل ويصادم صريح آيات القرآن الكريم الذي ينفي كون البشر من الحيوانات لأنه خلق بشكل مباشر من الله عز وجل من الطين، ولكن لأن غاية شحرور تحريف القرآن والإسلام لصالح العلمانية وأساطيرها فإنه يحاول بكل قوة تطويع الآيات لأوهامه وخيالاته.

نماذج من تحريفات محمد شحرور

إن هذه الفتاوى الشاذة او المنحرفة لمحمد شحرور تكشف حرصه على محاربة الإسلام من داخله وعن مدى خبث تنظيراته التي قد يخفى على بعض الناس مراميها السيئة، لأن الحرب على الثوابت الدينية جزء لا يتجزأ من منظومة متكاملة لحرب الإسلام.

قال محمد شحرور: (علينا اعتبار كل الأحاديث المتعلقة بالحلال والحرام والحدود، التي لم يرد نص فيها في الكتاب، على أنها أحاديث مرحلية مثل الغناء والموسيقى والتصوير واعتبارها أحاديث قيلت في حينها حسب الظروف السائدة، وعلينا أيضاً اعتبار كل أحاديث الغيبيات التي لا تنطبق مع القرآن مثل عذاب القبر والروح على أنها سر الحياة، على أنها أحاديث ضعيفة أو موضوعة وعدم الأخذ بها) [3].

وجرياً على هذه القاعدة لم يكن من الغريب محاولات محمد شحرور العديدة لحرف البوصلة، فهذا هو المطلوب والمراد، الطعن في الموروث الفقهي والتراثي الإسلامي بشكل كلي، بحجة أو شبهة؛ سخيفة أو مضحكة، ليتوصل من خلال ذلك لهدم قدسية القرآن الكريم وأحكامه!!

ومن تحريفاته أيضًا:

❖ أن الآية التي ذكرت المحرّمات في القرآن ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ إنما ذكرت الحد الأدنى من المحرمات التي لا يجوز النقص فيها، لكن يمكن الزيادة عليه في العدد على سبيل الاجتهاد، كتحريم بنات العم وبنات الخال، في مصادمة لقول الله تعالى: ﴿وتلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ [4].

❖ ذكر ضمن فلسفته في قضية الحد الأدنى أن الآية القرآنية: ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾، إنما تفيد جواز الزيادة في الميراث للحد الأدنى الذي هو الانثى، والإنقاص من ميراث الذكر على افتراض أنه الحد الأعلى، وعلى هذا فيجوز سنّ قانون التسوية في الميراث بين الذكر والأنثى[5]!!

❖ يزعم شحرور أن نهيَّ النبي ﷺ عن شيء ليس

(١) الكتاب والقرآن، ص ١٠٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٣.
(٣) المصدر السابق، ص ٥٧٢.
(٤) المصدر السابق، ص ٤٥٣.
(٥) المصدر السابق، ص ٤٥٣ وما بعدها.

تحريماً؛ لأنه ليس شموليا ولا أبديا [١].

❖ يزعم شحرور أن مسيلمة الكذاب لم يكن كاذباً، بل كان صادقاً فيما قال، ومثاله الآيات التي نسبها مسيلمة الكذاب لله: (الفيل❖ وما الفيل❖ له خرطوم طويل) [٢].

❖ يزعم شحرور أن حد السرقة ليس المقصود به قطع اليد كما هو متبادر إلى الذهن بل المقصود بها قطع يده عن المجتمع؛ أي عزله عن المجتمع[٣].

❖ يزعم محمد شحرور أن العبودية لله غير مطلوبة، وأن الصلاة ليست عبادة[٤].

❖ يزعم محمد شحرور أن الخمر ليست حراما لذاتها، إنما حرمتها بما يطرأ عليها من الإسكار[٥].

❖ يدعو شحرور إلى حصر التعددية الزوجية بالأرامل ذوات الأيتام، وأن الزوجة الثانية لا ترث[٦].

❖ يزعم محمد شحرور أن الأوثان والأصنام ليست محرمة لذاتها، إنما تكون محرمة لما يطرأ عليها من الشرك فقط[٧].

الظاهر على مجموع هذه المسائل والفتاوى هو الضرب الواضح لقيم وتعاليم الإسلام، بل هدم لأركان التعظيم لله ولرسوله، وهي جزء لا يتجزأ من دعوى الانحلال الخلقي في المجتمعات الإسلامية!

الخاتمة

محمد شحرور شخصية تم تناولها في عشرات الكتب والمقالات، وكان غالب التركيز في نقده على كتابه الأول (الكتاب والقرآن) الذي هو باكورة أعماله وبالتالي فإن الكتب التي تلته لم تلق من العناية في النقد ما لاقاه كتابه الأول.

فالرجل دعوته خطيرة من جهة المآلات، وفي المقابل لا يتقن صناعة الرد على خصومه لأنه لا يمتلك الأدوات المعيارية لنقدهم، وغالباً ما يتعذر بأنه أخطأ أو أنه قد بقيت فيه رواسب من التراث.

فالواجب على عقلاء الأمة الذود عن حياض هذا الدين بالكتابة فيه وفي أمثاله إبراءً للذمة بين يدي الله عزوجل.

---

(١):https://www.youtube.com/watch?v=sbw6rUmvCsA

(٢) https://www.youtube.com/watch?v=WyhSKtvQTII

(٣) https://www.youtube.com/watch?v=qAxsEwMSp 2Q&spfreload١٠=.

(٤) https://www.youtube.com/watch?v=omfgSLnko8E

(٥) نحو أصول فقه جديد، ص ١٤٧- ١٤٨.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٨٢.

(٧) المصدر السابق، ص ١٤٨.

٤- ثورات الخوارج
اغتيال الخليفة الرابع

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

بعد هزيمتهم في موقعة النهروان، سنة ٣٨هـ، على يد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، صمّم الخوارج على اغتياله، إضافة إلى صحابيين آخرين هما معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، رضي الله عنهما، ويبدو للوهلة الأولى أن اختيار هذه الأسماء الثلاثة للاغتيال جاء بناءً على حادثة التحكيم، التي تداعى لها المسلمون بعد القتال الذي نشب بينهم في معركة صفّين، حيث عليٌّ خليفة المسلمين وقائد جبهة العراق، وفي الطرف الآخر معاوية أمير الشام، وقائد الجبهة الأخرى، وقد انتدب من طرفه عمرو بن العاص حكمًا، فيما انتدب عليٌّ أبا موسى الأشعري، رضي الله عنه.

وبدلاً من أن يفرح الخوارج بلجوء الطرفين المتحاربين من المسلمين للتحكيم من أجل حقن دمائهم، ووقف القتال والخلاف في صفوفهم، إذا بهم يخرجون بأمر غريب، ورأي عجيب، وهو أن هؤلاء الذين لجؤوا للتحكيم إنّما حكّموا الرجال في دين الله!! وقد أشركوا بالله بسبب ذلك، وحكَموا على عليٍّ بالشرك والكفر، وطالبوه بالتوبة، وبأن يشهد على نفسه بالكفر[1]، وصاروا يرفعون بوجهه شعار «لا حُكم إلاّ لله»، وهو يقول لهم إنها «كلمة حق أُريد بها باطل»[2].

وهكذا هم الخوارج على مرّ الزمن، من لم يلتزم بفهمهم فهو كافر، ومن لم يوافقهم في اجتهادهم فهو مشرك، حتى لو كان خليفةَ المسلمين، وابن عمّ النبي ﷺ، وزوج ابنته، وأحد الذين بشّرهم بالجنة، وليت الأمر يقتصر عندهم على الفكر والاعتقاد، إذ سرعان ما يتحول الاعتقاد عندهم إلى قتال للمسلمين واستباحة للدماء التي حرّمها الله وللأموال والأعراض، ولذلك لا نستغرب تكفير افراخهم اليوم للكثير من العلماء والمجاهدين الذين يخالفونهم!

وقد مرّ بنا من قبل أن الخوارج كانوا يقاتلون الصحابة ويكفّرونهم، وهم يعتقدون أنهم يتقربون بذلك إلى الله، ففي النهروان خرج قائدهم ليقول لعليٍّ: يا ابن أبي طالب، لا نريد بقتالك إلاّ وجه الله والدار الآخرة، وعليٌّ يقول لهم: بل مَثلكم كما قال الله عزوجل ﴿قل هل نُنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يَحسبون أنهم يُحسنون صُنعًا﴾[3]، وفي

(*) كاتب أردني.

(١) د. عطا الله المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٤٩٢.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٩.

(٣) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٨٠.

تلك المعركة كانوا يصيحون ويهتفون: الرّواح الرّواح إلى الجنة»[1].

وما يحصل اليوم من الخوارج المعاصرين لا يكاد يختلف عن أسلافهم بشيء، فالواحد منهم يَقتل الأبرياء، وهو يظن أنه سيذهب إلى الجنة بصنيعه هذا، وثانٍ يفجّر نفسَه وسط سوق أو تجمع فيه النساء والأطفال والشيوخ الأبرياء، أو في تجمع للمجاهدين، ثم تجده يهتف «فزتُ وربّ الكعبة»، وثالث استحوذ عليه الشيطان، وأوهمه أن الحور العين باتت أقرب إليه من شراك نعله، وما علم أن النار مثل ذلك.

التخطيط للمؤامرة

بدأ التخطيط لاغتيال الخليفة الرابع، علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بالتقاء ثلاثة من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن عمرو، المعروف بابن ملجم، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي، اجتمعوا فتذاكروا قتل عليٍّ إخوانهم من أهل النهروان فترحّموا عليهم، وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟ كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم، فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا.

فقال ابن ملجم: أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب.

وقال البرك: وأنا أكفيكم معاوية.

وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص.

فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا سيوفهم فسمّوها، وتواعدوا لسبع عشرة من رمضان لينفّذ كلّ واحد مهمته، فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة، حيث مقرّ الخلافة آنذاك، فدخلها وكتم أمره، حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها[2].

ومِمّا زاد من عزم ابن ملجم على تنفيذ جريمته بعد وصوله إلى الكوفة، أنّه رأى امرأةً أُعجب بجمالها، وخطبها إلى نفسه، فاشترطت عليه من ضمن المهر أن يَقتل عليًّا، حيث كان أبوها وأخوها من ضمن قتلى النهروان، فوافق ابن ملجم على شرطها هذا فورا، وقال لها: والله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل عليّ، فتزوجها ودخل بها، ثم أخذت تحرّضه على ذلك، واقترحت له رجلا من قومها يقال له وردان، ليعاونه في جريمته.

حاول ابن ملجم أن يستميل شخصًا آخر، يُدعى شبيب، لتنفيذ الجريمة، لكنه واجه مشقّة في إقناعه، فقد كان شبيب في بادئ الأمر يهاب من الإقدام على قتل رجل بفضل عليٍّ ومكانته، حيث دار بين ابن ملجم وشبيب الحوار التالي:

- هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟
- وما ذاك؟
- قتل عليّ.
- ثكلتك أمك! لقد جئتَ شيئا إدًّا، كيف تقدر عليه؟
- أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا.
- ويحك لو غير علِيٍّ لكان أهون علَيَّ، قد عرفت سابقته في الإسلام وقرابته من رسول الله ﷺ، فما أجدني أنشرح صدرا لقتله.
- أما تعلم أنه قتل أهل النهروان؟
- بلى.
- فنقتله بمن قتل من إخواننا[3].

وبعد هذا الحوار وافق شبيب على معاونة ابن ملجم ووردان، وفي الليلة المحددة لتنفيذ الاغتيال،

(١) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٤.

(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٣٨.

(٣) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٣٨.

وهي السابع عشر من شهر رمضان، من سنة ٤٠هـ، جاء هؤلاء الثلاثة ومعهم سيوفهم، يترقبون خروج عليّ لصلاة الفجر، فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها عليّ، فلما خرج جعل يُنهض الناس من النوم إلى الصلاة، ويقول: الصلاة الصلاة، فثار إليه شبيب بالسيف فضربه، ثم أتبعه ابن ملجم بضربة أخرى بالسيف على قرنه، فسال دمه على لحيته، رضي الله عنه.

ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حُكم إلا لله، ليس لك يا عليّ ولا لأصحابك، وجعل يتلو قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾. ونادى عليّ بالناس: عليكم به، وهرب وردان فأدركه رجل فقتله، وذهب شبيب، وأُلقي القبض على ابن ملجم، وقدّم عليّ رجلاً فصلى بالناس صلاة الفجر، وحُمل علي إلى منزله، وحُمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف، فقال له: أي عدوّ الله ألم أُحسن إليك؟

قال: بلى.

قال: فما حملك على هذا؟

قال: شحذته[1] أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه.

فقال له علي: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلق الله.

ثم قال: إن متّ فاقتلوه، وإن عشتُ فأنا أعلم كيف أصنع به[2].

ثم قُبض رضي الله عنه، وغسّله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، رضي الله عنهم، وصلى عليه الحسن، ويذهب ابن كثير إلى أنه دُفن بدار الإمارة بالكوفة، خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته، ما ينفي أن يكون مدفونا في مقامه الذي بالنجف، ويقول: «وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له، ويقال: إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة»، ثم يروي ابن كثير قول القائل: «لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة»[3].

أما المجرم فقُتل جرّاء جريمته، ومن عجيب ما يُذكر أنّ ابن ملجم قبل إقامة الحدّ عليه، قام عبد الله بن جعفر بقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فلم يجزع، وأخذ يقرأ القرآن، ثم جاؤوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال: إني أخشى أن تمر عليّ ساعة لا أذكر الله فيها[4]!!

ويتعجب الشيخ عثمان الخميس، كما نتعجب نحن، من ذلك الذي يقتل علي بن أبي طالب، ويخشى أن تمرّ عليه لحظة بدون ذكر لله، فيقول: «سبحان الله!! هذا هو الضلال المبين والعياذ بالله، يستبيح دم وليٍّ من أولياء الله ثم يخشى أن تمرّ عليه لحظة لا يذكر الله فيها»[5]، ولذلك فإن تلبس بعض خوارج عصرنا من داعش وأمثالها بالعبادة والطاعة لا يعني سلامتها من الانحراف والإجرام كحال ابن ملجم والذي وصفه النبي ﷺ بكونه أشقى الناس لقتله على رضي الله عنه!

ولأن المؤامرة لم تقتصر على عليّ، إذ كانت تقتضي قتل معاوية وعمرو بن العاص أيضا، فإن الذي وُكّل بقتل معاوية هجم عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في اليوم المحدد، فضربه بالسيف، وقيل: بخنجر مسموم، فجاءت الضربة في وركه فجرحت إليته، ومُسك الخارجي فقتل.

وأما الآخر، فإنه كمن لعمرو بن العاص عند خروجه إلى الصلاة، فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد في ذلك اليوم فخرج نائبه، وهو خارجة بن أبي حبيبة، فحَمل عليه الخارجي فقتله

(١) أي سنّ السيف.
(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٣٨ – ١٥٣٩.
(٣) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٤٠.
(٤) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٤١.
(٥) حقبة من التاريخ، ص ١٩٩.

وهو يعتقده عمرو بن العاص. فلما أُخذ الخارجي قال: أردتُ عَمراً وأراد الله خارجة[1].

فرح الخوارج لموت عليّ، فهكذا هو دأبهم، يقتلون الصالحين، ويَفرحون لموتهم، وقد أنشد أحد شعرائهم فيما بعد يثني على ضربة ابن ملجم، ويقول:

يا ضَربةً مِن تَقي ما أرادَ بها
إلاَّ لِيَبْلُغَ مِن ذي العرشِ رِضْوانا
إنِّي لأَذْكُرُهُ يَوماً فَأَحْسَبُهُ
أَوْفَى البَرِيَّةِ عِندَ الله مِيزانا[2]

لكن على الجهة الأخرى، وهناك في المدائن التي نُفي أو هرب إليها، كان عبد الله بن سبأ، صاحب الدور الأكبر والأخطر فيما سبق بقتل الخليفة الثالث، عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وإيقاع الخلاف والفتنة بين المسلمين، يخرج بزندقة جديدة، وبدعة جديدة تضاف إلى بدَعه السابقة، ليقول إن عليّا لم يمت، وردّ على الذي أخبره بموته بقوله: «كذبتَ يا عدو الله! لو جئتَ لنا بدماغه في صرة، وأقمت على مقتله سبعين عدلاً ما صدّقناك»[3].

واستمرّ ابن سبأ في غيّه، فزعم أن المقتول لم يكن عليًّا، وإنما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم، عليه السلام، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصبُ والخوارجُ في دعواها قتل علي، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبّهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلا يشبه علياً فظنوا أنه علي، وعلي قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه[4].

ترتب على تلك البدعة (إنكار موت علي، وضرورة رجعته إلى الدنيا) إبطال الآخرة[5]، وبذلك يكون ابن سبأ قد أضاف للتشيع بدعة جديدة، ولا عجب في ذلك، فالسبئية هي الصورة الأولى من صور التشيع، التي انتسبت إلى عليٍّ، رضي الله عنه، بالغلو، والتأليه، والأكاذيب المختلفة[6].

المراجع

١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- د. عطا الله المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة والردّ على الفرق حتى نهاية العصر الأموي، الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ (٢٠١٦م).

٣- الشيخ عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية (مصر)، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٤- علاء الدين البصير، ابن سبأ الشبح المخيف (للفكر الجعفري ولمرتضى العسكري)، مركز إحياء تراث آل البيت وشبكة البرهان، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م).

٥- عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، دار المعرفة، بيروت.

(١) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٤٠.
(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٤٠.
(٣) علاء الدين البصير، ابن سبأ الشبح المخيف، ص ٣٥.
(٤) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٣٣ – ٢٣٤.
(٥) د. عطا الله المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٥٧٦.
(٦) د. عطا الله المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٥٧٧.

الإعلام الشيعي الموجه للأطفال... خطورة التحديات وسبل المواجهة

فاطمة عبد الرءوف(*)– خاص بالراصد

أطفال كل أمة هم كنزها الاستراتيجي، فمستقبل الأمم مرتبط أشد الارتباط بتلك التربية التي يتلقاها صغارها، لذلك فلا عجب إن وجدنا الفلاسفة والمصلحين منذ القديم يعتنون أشد العناية بنمط هذه التربية، ويكفي في هذا الصدد أن نذكر تلك التفاصيل الدقيقة التي وضعها أفلاطون كمنهجية لتعليم وتربية الأطفال.

اهتم الإسلام اهتماما فائقا بالأطفال، بدايةً من اتخاذ قرار الزواج حيث أن الأب الصالح والأم الصالحة هما حجر الأساس المتين الذي تبنى عليه شخصية الطفل، والمتأمل للسيرة النبوية يدرك الكمّ الكبير الذي أولاه النبي ﷺ للأطفال فكان يؤذن في أذن الطفل ويحنكه ويتحدث مع كل فئة عمرية بما يناسبها بداية من الفطيم وحتى الطفل في مرحلة طفولته المتأخرة قبيل البلوغ.

الأذان الذي يؤذن به في أذن الطفل اليمنى هو أول رسالة إعلامية يسمعها الطفل المسلم وهي رسالة العقيدة وأصول السلوك القويم، وعلى هدي هذه الرسالة تتعدد التطبيقات التي يقوم بها المربون وفقا لعمر الطفل وشخصيته، تلك التطبيقات التي أخذت شكلا مغايرا في العصر الحديث، عصر السماوات المفتوحة التي كان يمكن لها أن تكون إحدى أهم الوسائل في صقل وصياغة شخصية الطفل المسلم، ولكن للأسف ما حدث هو العكس تماما فالطفل بطبيعته ينبغي أن يكون مُعظم تعليمه عن طريق اللعب والمرح في حين أن تجربة الفضائيات الإسلامية تصب غالبيتها في أشكال تقليدية للغاية، وعندما بدأت بعض الفضائيات الإسلامية في بث مواد ملائمة للطفل المسلم بدا واضحا أن هذه الفضائيات تسير بخطى هزيلة جدا لا تنافس بقية القنوات الموجهة للطفل.

واجه المربي المسلم المعاصر مشكلة كبيرة فهو لا يستطيع منع طفله من مشاهدة قنوات الأطفال، خاصة تلك التي تعرض الكارتون، بينما يجد القنوات العربية التي تقدم مثل هذه النوعية من المواد تنقل من الكارتون العالمي المليء بالسحر والشعوذة بل والوثنية، وعلى الجانب السلوكي تطفح بالعنف والدماء الذي أثبتت الدراسات النفسية الحديثة بما لا يدع مجالا للشك أنها مسئولة عن كثير من السلوك الجامح للأطفال وضعف تركيزهم وفرط حركتهم.

في هذا الخضم الإعلامي الموجه للطفل، والذي يريد صياغة عقله ووجدانه حيث يتبنى معظم علماء النفس نظرية مفادها أن ٩٠٪ من شخصية الإنسان تتكون خلاله سنواته الأولى، نجد أن هناك خطرا داهما يزحف نحو الطفل المسلم بنعومة فائقة قد يصعب اكتشافها، ذلك هو خطر قنوات الأطفال الشيعية الناطقة باللغة العربية، وسأكتفي هنا بتحليل قناة طه الشيعية حتى نعرف مدى الخاطر الداهم الذي يواجهه أطفالنا الذين لا يمتلكون العقل النقدي الذي يمكّنهم من المقاومة.

(*) كاتبة مصرية.

الأشهر الهجرية

الأشهر الهجرية هو نشيد من أناشيد قناة طه يعرّف الطفل المسلم بأسماء الشهور الهجرية لكن الخبث الشيعي يربط بين هذه الشهور وبين مناسبات شيعية، تقول كلمات النشيد:

هذا محرم الحرام

فيه الحسين انتصر (راية فوق مسجد مكتوب عليها: يا حسين وفتيان وفتيات يرتدون السواد ويلطمون صدورهم).

جمادى الأول فيه مولد الحوراء

ومن جمادى الثاني شعت أنوار الزهراء

شهر شعبان في نصفه خلق المنتظر

(ويهتف الأطفال) اللهم عجّل فرج مولانا صاحب العصر والزمان

عجل الله فرجه الشريف

ذو الحجة

ها الشهر الفرحة بتزيد

تتغنى بأفضل عيد

عيد الغدير الأغر

ها الشهر الفرحة بتزيد (تقف لافتات بالرايات الخضراء مكتوب عليها الغدير).

وهكذا بين التبشير بإمامهم الغائب وبين جعل عيد الغدير أهم أيام ذي الحجة ولا يذكر يوم عرفة ولا أي من مناسك الحج ولا حتى عيد الأضحى.

لطميات أطفال

الطفل الذي يتابع قناة طه سيتعرف على معنى فن اللطميات فهناك ما يسمى لطميات أطفال وهي تحمل نفس أفكار اللطميات الأخرى، ولكن كلماتها سهلة لتكون مناسبة للطفل ولحنها خفيف نوعا ما ويؤديها أطفال ومنها هذه اللطمية:

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

طاف الهدى لمرآك نارا تكويني

هان الردى للقاك يا نور ديني

كل يوم جرحه بات يدميني

فيه قطب النداء قم يا مهدينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت فادينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت فادينا

كان القوم في سبات ردحا طويلا

كان الدين في الحياة يحيا ذليلا

كنت أنت يا حسين صدق سبيلا

صار الموت في رضاك دربا مبينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

يا لصيحة الحوراء في أرض الطفوف

تبكي أمها الزهراء والحشد ألوف

جل بأمي العزاء في أقسى الحتوف

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

يا لثارات الحسين يا مؤمنينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

والفيديو المصاحب للّطمية: طفل يرتدي السواد واقف في صحراء تحت راية مكتوب عليها (الحسين) ثم تنتقل الكاميرا لضريح فسيح يقف فيه أطفال يرتدون السواد والقليل منهم يرتدي اللون الأخضر وفتيات يرتدين الجلباب الأسود يرددون النشيد، وهم يقومون باللطم على صدورهم، ويقف بعض الأطفال تحت ضريح مكتوب عليه (السلام عليك يا خولة بنت الحسين)، وبين الحين والآخر ترفرف راية سوداء مكتوب عليها (يا حسين) ويظل هذا اللطم طوال النشيد، وفي النهاية يقترب المنشد من الضريح ويتمسح فيه بحزن ويمسح رأسه وجبهته وسائر وجهه، ويبقى السؤال: ممن سيؤخذ ثأر الحسين؟ وأي رسالة ثأرية موجهة للأطفال؟

لطمية لبيك لبيك

لبيك لبيك أبا عبد الله

خير لهم نفوس اشتاقت الخلودا
لم ترض إلا دينا أن يبقى أو تبيدا
فأصبحت ضحايا وأرضت المجيدا
لبيك لبيك أبا عبد الله
فالشيخ قد تهادى حب الحسين فخري
والطفل قد تنادى حسين ذا أميري
وحرة تنادي في الحشر أنت ذخري
والعبد راح يرجو مسكا سيغدو عطري
لبيك لبيك أبا عبد الله
ولو ترى سعيدا حيث غدا يحامي
ويدفع السهام والصدق في القيام
ومذ هوى صنيعا بالنبل والسهام
أتى بعزم ليث وفيت يا إمامي
لبيك لبيك أبا عبد الله
لبيك لبيك أبا عبد الله
والحر جال يزهو في الحرب زان بدرا
لم أرضَ إلا دربا حيث الجنان تشرى
حتى هوى عسيرا بالتبر صار تبرا
وفي هوى الحسين قد عاش يوما حرا
لبيك لبيك أبا عبد الله
والكل منهم يسعى لينصر الصلاحا
وفي خطا الحسين رأوا بها الفلاحا
وفي سبيل الله قد عانقوا الصفاحا
حتى مضوا كراما وأثخنوا جراحا
لبيك لبيك أبا عبد الله
ومذ ثووا على الأرض وعطروا ثراها
شاقت لهم جنان وأشرقت رباها
لهفي له وحيدا قد ظل ابن طه
نادهم سلام قد نلتم مناها
لبيك لبيك أبا عبد الله

في هذه اللطمية التي يغنيها ثلاثة اطفال تشتد فيها أصوات اللطمات التي يؤديها أطفال يرتدون الجلابيب السود وقد ربطوا على رؤوسهم عصائب مكتوب عليها (عشاق الحسين)، وفي بداية الفيديو المصاحب للطمية يأخذ كل منهم قطعة تربة من تلك التي يطلق عليها التربة الحسينية ثم يصلون ويسجدون عليها.

السم والعسل

لو أن قناة طه تم تخصيصها للطميات الأطفال لكفانا القوم محاولة كشف خداعهم لأن الأطفال ببساطة لا يستسيغون مثل هذه اللطميات الغارقة في الحزن والألم وصعبة الكلمات، لكن الحقيقة أنه وبمهارة شديدة تم إخفاء هذه اللطميات بين الكثير والكثير من الأناشيد الممتعة والكارتون المميز والبرامج الجذابة، فاللطميات لا تحتل إلا جزءا صغيرا على القناة واحدة بين الحين والآخر لتقوم بعمل التطبيع الوجداني مع هذا اللون من الفن وما يطرحه من قضايا، ومن الأناشيد الجذابة والممتعة على قناة طه نشيد جحا مثلا المميز بالرسوم المصاحبة له ولحنه الخفيف المرح.

أنشودة جحا

الشمس خرجت تبتسم
من خلف الجبال
هنا فلاح يحرث
هنا تلميذ يدرس
هذا جحا
جحا على ظهر الحمار
والولد كما كل الصغار
ولكن في منتصف الطريق
لمحوا نظرات تلتمع
سمعوا همسات ترتفع
ما أقسى هذا الإنسان
تاركا ابنه يسير
الناس على حق يا ولدي
سيقال عني في بلدي
أني ظالم أني قاس
وقد يشكوني للحاكم
تعال اركب مكاني
وبعد مئات الأمتار
سمعوا همسات تنتشر
وجدوا نظرات تلتمع
هذا الولد يبدو قويا وأبوه لم يعد فتيا
ماذا سنفعل يا ولدي سيقال عنك في بلدي
أنت الصغير لا تشفق على الكبير
ركبا معا
وما هي إلا دقائق حتى
سمعوا همسات ترتفع

لمحوا نظرات تلتمع
مسكين هذا الحمار
فليشفق الإنسان على ضعف الحيوان
فلنحمل نحن الحمار
ولنرجع إلى أرض الدار
تعالت الضحكات
هذا هو جحا المجنون
مجنون فعلا في الأساس
من يظن أنه قادر أن يرضي كل الناس

أناشيد أطفال صغار

هناك مجموعة كبيرة من الأناشيد الخفيفة الموجهة للأطفال الصغار حتى يتم اجتذاب جميع الأطفال من جميع مراحل الطفولة مثل أغنية (السيارة رشيقة) التي يصاحبها كارتون حلو لسيارة حمراء تتحرك وبداخلها الأب والأم المحجبة وطفلان صغيران في الخلف والنشيد له لحن خفيف يناسب الأطفال الصغار ومرحلة الطفولة المبكرة. أيضا نشيد حيّنا الجميل، ونشيد الصرصور والنملة.

هناك مجموعة أخرى من الأناشيد الموجهة للطفل في مرحلة الطفولة المتوسطة مثل نشيد حسان وهناك أناشيد توجه لأطفال الطفولة المتأخرة لأنها ذات طابع تعليمي ممزوج بمتعة الأناشيد مثل نشيد (لغتي ما أحلاها) والفيديو المصاحب عبارة عن مجموعة من التلاميذ في مدرسة ومعهم معلم يشرح بعض قواعد اللغة بطريقة محببة، فهناك على السبورة صور جميلة وكلمات بارزة يقول النشيد:

لغتي لغتي ما أحلاها
يا أستاذي ما أبهاها
قرآنا يهدي الأجيالا
اسم فعل حرف
يحلو فيها الوصف
هي ألفاظ العرب فلنحفظها يا أطفال

وتستمر الأغنية للتعريف بالأفعال وأنواعها والحروف.

ومن الأناشيد الموجهة لأطفال مرحلة الطفولة المتأخرة أيضا نشيد (يلاّ نصنع طيارة) التي تتحدث عن الجدار العازل حيث الأطفال يلعبون سويا وفجأة يفصل بينهما الجدار العازل لكن الأطفال يصنعون طائرة ورقية عليها علم فلسطين وعلم لبنان وتستطيع طائرات الأطفال عبور هذا الحاجز وتبدأ كلماتها:

يلاّ نصنع طيارة
ونغني للريح

كما تقدم القناة عددا من البرامج الناجحة كالطفل والمحتل ونادي طه، كما تنتج القناة أيضا بعض أفلام الكارتون كمسلسل حامل المسك، وهكذا قد يخدع المربي في هذه القناة ويظنها قناة هادفة وممتعة لأنه لن يصطدم بهويتها الشيعية من مجرد مشاهدة بعض فقراتها، وربما لهذا سيطمئن ويترك للطفل أمر اكتشافها، وهنا سيبتلع الطفل السم بينما يعتقد المربي أنه يأكل العسل.

الكارتون بيننا وبينهم

بينما تهتم قناة طه بإنتاج كرتون خاص بها على درجة كبيرة من الحرفية نجد أن قنواتنا الإسلامية لا تزال تحبو في هذا المجال، ومن المعروف أن الكارتون من المواد المحببة للغاية للأطفال والتي نفتقدها بشدة في القنوات الإسلامية فقناة مثل «طيور الجنة» وبقدر ما أحدثت من زخم كانت تفتقد لهذه النوعية من المواد، وقناة المجد للأطفال هي قناة مشفرة ولا تصل للكثير من أطفال العالم العربي، أما قناة سمسم فقد استطاعت عرض قدر معقول من المواد الكارتونية التي جذبت الأطفال إلى شاشتها، وقد تطورت كثيرا منذ نشأتها الأولى وحتى اللحظة الراهنة فقد كانت بداياتها بالغة الضعف وكان الإقبال على مشاهدتها ضعيفا للغاية وكان من الصعب إقناع أي طفل للتخلي عن قنوات الأطفال التقليدية لصالح (سمسم) التي لم يكن فيها إلا مجموعة من الأناشيد التي تَستخدم لغة غير متناسبة مع الأطفال وألحانا ثقيلة جدا ومجرد طفل يؤدي ولم تكن تستخدم المؤثرات الصوتية إلا بشكل بدائي.

الآن أصبحت (سمسم) واحدة من القنوات المؤثرة والتي يستطيع المربي المسلم ترك أطفاله أمام شاشتها وهو لا يخشى من المحتوى الفاسد، وفي الوقت ذاته تستطيع جذب انتباه الطفل بل وتعليمه العديد من القيم النبيلة، وتبث القناة بعض الكارتون العالمي الشهير مثل توم وجيري لكن الرقابة الشرعية للقناة حذفت الموسيقى واستبدلتها بمؤثرات صوتية أخرى كما أنهم لا يقدمون الحلقات التي تحتوي على مخالفات شرعية.

كما عرضت أيضا مسلسل (عدنان ولينا) وهو مسلسل ياباني مدبلج إلى العربية ويقع المسلسل ضمن إطار ما بعد نهاية العالم.

لكن المشكلة لم تحل بعرض كارتون عالمي لا تظهر فيه مخالفات جلية بل ينبغي توخي الحذر عند اختيار الكارتون لأنه يعبر عن ثقافة المجتمع وإن كان الكارتون الأمريكي مليئا بالعنف وبعض المشاهد التي تخدش الحياء، فالكارتون الياباني أيضا يحمل رؤية المجتمع الوثني الذي أنتج الكارتون وأفكاره فيما يخص المستقبل، البعث، الحياة الثانية، نهاية العالم، وهكذا.

طريق المواجهة

التحذير من خطر قنوات الأطفال الشيعية لا يكفي لمنع الخطر لأن الواجب أن يكون هناك مقابل يملأ فراغ الأطفال، وليس من المعقول أن يظل أطفالنا محاصرين بين الكارتون العالمي بانحلاله وعنفه وأساطيره وبين كارتون الشيعة وما فيه من فساد في العقيدة، حتى لو كان الكارتون خاليا من الخطأ، فالتطبيع مع القنوات الشيعية سيجعل الطفل يدمنها ويشاهد برامج أو أناشيد أو لطميات تحمل أصول المذهب، وبالتالي لا حلّ إلا بإنتاج كارتون خاص بنا معبر عن هويتنا الحضارية.

بالتأكيد هو أمر ليس بالسهل، سواء على المستوى الفني أو المادي، ولكن لماذا لا نأخذ درسا من اليابانيين الذين بدأوا إنتاج أفلام الكرتون سنة ١٩٧٥ وكانت بداية متواضعة للغاية والآن هم ينافسون بشراسة على المستوى العالمي، نجحوا حتى غيروا المصطلح فهم لا يطلقون على إنتاجهم لفظة «كارتون» وإنما «إنمي» والسبب في ذلك هو دعم الحكومة اليابانية لمنتجي أفلام ومسلسلات الكارتون حيث يتم دعمهم بنسبة ٥٠٪ إلى ٧٠٪ من تكاليف الإنتاج، والأمر نفسه يحدث في فرنسا حيث تحصل شركات إنتاج الكارتون على دعم يصل لـ ٥٠٪ إلى ٦٠٪. وهو الشيء ذاته الذي تقوم به الحكومة الإيرانية، إنها ليست بالمعركة البسيطة إنها معركة الهوية الحضارية، معركة بالغة النعومة والتي لا يكون ضحاياها إلا من الأطفال.

السياسية المصرية... هل فقدت البوصلة؟

أسامة الهتيمي(*) - خاص بالراصد

من الطبيعي أو ربما من المشروع لدى البعض أن تطرأ تغيرات على السياسة الخارجية لأي بلد ما لكل مرحلة أو فترة زمنية إذ يتوقف هذا على طبيعة النظام الحاكم والتوجهات السياسية والأيدلوجية التي يتبناها هذا النظام بين الحين والآخر، والتي بها يحدد ما يرى له أنه يمثل ويحقق المصلحة العامة لهذا البلد، وهي الفلسفة التي ارتكزت عليها واتخذتها العديد من الأنظمة العالمية ومن ثم فإن المعيار الرئيس لتحديد هذه السياسيات الخارجية في عرف هذه الأنظمة يكون في الغالب هو المصلحة بمختلف أشكالها بعيدا عن الالتزام أو بالأحرى التقيد بأية معايير أخرى سواء كانت قيمية أو أخلاقية أو حقوقية أو ما شابه مما يمكن أن يكون - وفق تصورهم - عقبة أمام تحديد المواقف والسياسات، بل على العكس فإن هذه المعايير تكون أحيانا مجرد أدوات أو وسائل يتم توظيفها والتستر خلفها لتحقيق المصلحة، والمصلحة فقط.

وعلى الرغم من أن هذا المنهج البراجماتي ربما يحقق بعض المصالح بالفعل لبعض الوقت إلا أنه يصبح فخا كبيرا تقع فيه أية دولة من الدول فتفقد الكثير من مصداقيتها فيما تقتصر لغة خطاب الآخرين معها على المصلحة أيضا وهو ما يدفع هؤلاء إلى السعي لامتلاك «أوراق ضغط» بكل السبل المشروعة وغير المشروعة حتى لا يصبح الآخرون مجرد «مفعول بهم» فحسب حيث يؤمرون فينفذون فيتم استخدام تلك الأوراق بطريقة تختلف من بلد إلى بلد حسب قوته وحجمه وقدرته على التأثير فتكون بين الأقوياء محاولة لتحقيق التوازن في القوى وتكون من قبل الضعيف في مواجهة القوي كمحاولة لانتزاع بعض المكاسب التي تحفظ له ماء وجهه أو تضمن له البقاء حتى حين.

(*) كاتب مصري.

بين البراجماتية والتناقض

وبعيدا عن التطرق إلى الملاحظات والانتقادات التي وجهت إلى الفلسفة والسياسة البراجماتية إلا أنها أضحت واحدة من الأسس المتعارف عليها في السياسة الدولية، فضلا عن التحليل السياسي، حيث يقوم المحللون السياسيون بالاستناد إليها في تفسير الكثير من السلوك السياسي لبعض الأنظمة.

غير أن ثمة فارقا بين البراجماتية وبين التناقض في المواقف السياسية يدركه المتابعون والمراقبون فالبراجماتية التي يمكن أن تتعامى عن المبادئ والقيم وشعارات الحرية والديمقراطية وغيرها أو اتخاذ مواقف فردية وأنانية تصل إلى حد التدخل العسكري من أجل تحقيق المصلحة شيء فيما أن التناقض الذي يدفع صاحبه إلى قول أو فعل الشيء وعكسه في وقت واحد شيء آخر، وعليه فإن انتهاج سلوك «التناقض السياسي» لا يعكس إلا حالة من التخبط والعبث التي يمارسها أي نظام سياسي وبالتالي فإن أية محاولات لإدراج هذه التناقضات تحت لافتة البراجماتية ليست إلا مغالطات تستهدف التخفيف من وطأة رد الفعل الرافضة لهذا «التناقض السياسي».

فالولايات المتحدة الأمريكية مثلا يمكن أن تغضّ الطرف عن الممارسات الديكتاتورية وغير الحقوقية التي يرتكبها نظام من الأنظمة السياسية الحليفة لها بل ويمكنها أن تواصل دعمها لهذا النظام لكنها تظل وحتى اللحظة الأخيرة في حالة عمل دائم على أن تبدو وكأنها تدافع عن الديمقراطية والحريات بل وتحرص على أن تمارس صورا من صور الضغط، ولو ظاهريا، من أجل دفع هذا النظام للالتزام بقيم الديمقراطية والحريات وحقوق الإنسان.

كما أنه، وفضلا عن أن ممارسة «التناقض السياسي» تُفقد من يتبناه المصداقية، فإنه يعرضه أيضا لمخاطر شديدة أقلها انعكاس ذلك على علاقاته الخارجية التي يغيب عنها مع تراكم المواقف الاحترام المتبادل الذي من المفترض أن يظلل هذه العلاقات ليجد هذا الطرف نفسه بعد فترة في عزلة دولية فرضها هو نفسه على نفسه أو يصبح في الحد الأدنى مجرد أداة تتلاعب بها القوى الكبرى بعد أن فقد الحلفاء الداعمين له.

التناقضات والمشهد المصري

بذل المتابعون والمراقبون للمشهد السياسي في مصر جهدا مضنيا منذ اندلاع ثورة الخامس والعشرين من يناير في محاولة لتفكيك هذا المشهد وطرح السيناريوهات المستقبلية التي يمكن على أساسها أن تؤول إليه الأوضاع فانصبت أغلب الرؤى على توقعات بترجيح النظام السياسي ما بعد الثورة لانحيازات سياسية على حساب سياسات أخرى ربما كانت عنوانا بارزا لنظام الرئيس المخلوع حسني مبارك، في حين رأى آخرون أن النظام الجديد سيكون أكثر انفتاحا ويحاول معالجة الأخطاء التي وقع فيها نظام المخلوع ويحاول في إطارها أن ينهض بالدور المصري إقليميا ودوليا بعد تلك الحالة التي أصابته حيث تراجع هذا الدور بشكل كبير خلال نحو ربع قرن من الزمان سواء كان على المستوى العربي أو الإفريقي أو حتى على مستوى المحيط الإسلامي.

والحقيقة أن ما ذهب إليه هؤلاء المراقبون مع تباينه كان يصادف في أحيان كثيرة واقع السياسة المصرية منذ تنحي مبارك وحتى الشهور الأولى من تولي عبد الفتاح السياسي لمقاليد الحكم في البلاد إذ حاولت السياسة الخارجية المصرية أن تمارس دورا يرقى بعض الشيء إلى تطلعات الجماهير المصرية حتى لو كان هذا الدور يثير حفيظة البعض، وهو أمر طبيعي في ظل الاختلافات والتباينات الأيدلوجية.

ونظرا لطبيعة الظرف السياسي الذي كانت تمر به البلاد بعد إزاحة الدكتور محمد مرسي في عام ٢٠١٣ وحتى انتخاب السيسي في ٢٠١٤ حيث تصاعد حالة الاستقطاب السياسي الحاد في هذا الوقت نتيجة الصراع بين مؤيدي السيسي ومعارضيه فقد كانت السياسية الخارجية المصرية في حالة انحياز شبه كامل لمواقف البلدان التي لم تتردد في دعم السيسي ماليا وسياسيا.

فلم يكن من اللباقة أو الكياسة أن تتباين وجهة النظر المصرية مع ما تتبناه هذه البلدان حول العديد من القضايا والملفات الرئيسة والبارزة في المنطقة، وكان من الطبيعي أن تتعاطى مصر مع هذا الواقع وفق ثلاثة مناهج، تمثل الأول في إعلانها مرارا عن متانة علاقاتها مع أغلب بلدان الخليج وبعض القوى الإقليمية التي دعمت وأيدت المسار السياسي في البلاد وأبرزها المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة فيما تمثل الثاني في

عدم ترددها في أن تتخذ مواقف مناوئة لبعض البلدان والقوى التي رفضت هذا المسار وعارضته وأبرزها تركيا وقطر، فيما تمثل المنهج الثالث في حرص النظام وحتى اللحظة الأخيرة على أن يخاطب ودّ بعض القوى التي آثرت أن تجلس في مقعد المراقب والمتابع ليكسب هؤلاء إلى صفه عبر مخاطبتهم بلغة المصالح وعقد الصفقات الاقتصادية والتجارية وأبرزهم فرنسا وألمانيا وبريطانيا وروسيا.

لا للسلة الواحدة

بشكل براجماتي كان كل ما مارسته السياسة الخارجية المصرية خلال تلك الفترة يلقى قبولا لدى البعض معتبرين أنه يسير وفق المنطق ذلك أن أكثر ما كان يشغل النظام آنذاك هو ترسيخ أقدامه في الحكم والتخفيف من وطأة الاستقطاب السياسي والعمل على منع التواصل بين القوى الإقليمية والدولية من ناحية، وبين دعم المعارضة المناوئة لهذا النظام من ناحية أخرى، وانتزاع الاعتراف الدولي به فلا يتعرض لعزلة تضعفه وتقوي من شوكة هذه المعارضة.

غير أنه لم تكن تمرّ شهور على استتباب الأمور للنظام المصري الجديد فضلا عن تراجع الحراك السياسي المناهض لهذا النظام حتى بدأت تطرأ على سياسته الخارجية حزمة من التغيرات الشديدة جدا والتي حملت تناقضات وتباينات بالجملة أوجدت حالة من الحيرة وعدم الفهم لدى الكثير من المراقبين الذين استشعروا إزاء هذا الوضع أنهم فقدوا الأدوات التي يمكن عبرها فهم وتحليل ما يدور، فضلا عن استقراء سيناريوهات المستقبل.

وبدا أن النظام السياسي لا يتردد في الإدلاء بتصريحات وفعل ما يناقضها في ذات الوقت بل واتخاذ مواقف تتباين أشد التباين مع ما كان قد أعلن عنه قبل فترة وجيزة وهو ما وسع الفجوة بينه وبين أطراف كانت بالأمس القريب أقرب ما تكون له لتتحول هذه العلاقة الوطيدة إلى حالة من العداء الخفي ثم وفي لحظة يتم رصد مواقف أخرى تندرج تحت بند محاولات التقارب وإزالة التوتر، وهكذا دواليك.

وبالطبع، وفي سياق محاولات البعض لتجميل الصورة والتخفيف من حدة هذه التناقضات فقد فسر هؤلاء هذا السلوك بأنه عمل بالمبدأ القائل «لا تضع البيض كله في سلة واحدة» وأن مصر وفي هذه المرحلة بالذات يجب أن تسعى إلى الانفتاح على كل القوى حتى يمكنها أن تقيم جسورا من التواصل الذي سيفرز بكل تأكيد تنسيقا وتعاونا يساهم في عملية إعادة البناء والتنمية على مختلف المستويات.

نماذج بارزة

ويأتي التقارب المصري مع كل من روسيا وإيران خاصة فيما يتعلق بطريقة التعاطي مع ملفي الأزمة السورية والحرب في اليمن كنموذج يكشف بجلاء عن حالة «التناقض السياسي» في مصر ذلك أن هذا التقارب جاء في الوقت الذي يفترض فيه أن القاهرة أعلنت قبل ذلك التقارب وبفترة وجيزة عن انحيازها وتبنيها لرؤية محددة عكستها تصريحات لا لبس فيها، كأن يجيب السيسي وبلغة حاسمة عندما سئل عن الذي يمكن أن تفعله مصر إذا تم تهديد أي دولة عربية؟ فقال: «مسافة السكة.. آه محدش يتهدد وإحنا موجودين ..لأ.. مش هيحصل.. أبدا»[1] ، في إشارة إلى أنه لن يتردد في أن يقدم يد العون والمساعدة لأية دولة تتعرض للتهديد وهي التصريحات التي فهم الجميع وقتها أن المقصود بها دول الخليج التي كانت تتعرض لتهديدات إيرانية إذ لم يكن هناك أي دول أخرى تتعرض لتهديدات.

غير أنه ورغم هذه التصريحات لم تتحرك مصر بالشكل الذي كان ينتظره عرب الخليج يوم أن انطلقت عاصفة الحزم في مارس عام ٢٠١٥ إذ يعلم الجميع أن مشاركتها كانت مجرد مشاركة شكلية وليست عملية فيما أجرت القاهرة وبشكل مباشر حوارات مع الحوثيين فضلا عن أنها سمحت لوسائل الإعلام الرسمي منها والخاص بأن تهاجم عاصفة الحزم بلا هوادة وهو ما أثار استياء الكثير من المتابعين والمراقبين السعوديين الذين اعتبروا أن هذه الهجوم يعكس الموقف الرسمي.

وعلى كلٍّ فقد جاء هذا الموقف بالطبع كاشفا إلى حد كبير عن حقيقية السياسة الخارجية المصرية فها هي دولة عربية هي المملكة العربية السعودية تتعرض لتهديد صريح من قبل المتمردين الحوثيين في اليمن الذين هددوا المملكة بصراحة بضرب أراضيها واحتلال مكة

(١) https://www.youtube.com/watch?v=0b51JH8jCRs

المكرمة قبيل عاصفة الحزم وبعدها إذ وفي ١٢ مارس ٢٠١٥ قام مسلحو جماعة أنصار الله الحوثيين بإجراء مناورات عسكرية بمعدات عسكرية ثقيلة على الحدود السعودية فيما صرح القيادي الحوثي، محمد البخيتي، بأن الحوثيين سوف يحررون نجد والحجاز وأن قواتهم جاهزة لمواجهة أي هجوم سعودي وأنهم لن يتوقفوا إلا في الرياض في حين أعلنت قيادة قوات تحالف دعم الشرعية في اليمن نهاية شهر أكتوبر ٢٠١٦ اعتراضها لصاروخ باليستي أطلقته الميليشيات الحوثية من محافظة صعدة باتجاه منطقة مكة المكرمة.

ولا يختلف الأمر كثيرا فيما يخص الأزمة السورية، فالموقف المصري وحتى انتخاب السيسي رئيسا للجمهورية كان قريبا إلى حد كبير من الموقف العربي الذي يرى أن بقاء بشار الأسد يشكل تهديدا لأمن واستقرار المنطقة ومن ثم فلا بد من إزاحته وعدم القبول بأن يكون طرفا في العملية السياسية في البلاد غير أن مصر وبدون تنسيق مع بقية القوى العربية الفاعلة في الملف السوري تبنّت خيارا جديدا يرى أن بقاء الأسد هو الضمانة لبقاء سوريا موحدة ومن ثم لم يتردد السيسي في أن يعلن عبر تصريحات متعددة دعمه لجيش بشار الأسد ومن ذلك ما جاء على لسانه خلال مقابلة مع تلفزيون البرتغال خلال زيارته لها في نوفمبر ٢٠١٦ حيث قال ردا على سؤال حول إمكانية إشراك قوات مصرية في عمليات سلام بسوريا: «من المفضل أن القوات الوطنية للدول هي التي تقوم بالحفاظ على الأمن والاستقرار في مثل هذه الأحوال حتى لا يكون هناك حساسيات من وجود قوات أخرى تعمل لإنجاز هذه المهمة»، مضيفا: «الأولى لدينا أن ندعم الجيش الوطني على سبيل المثال في ليبيا لفرض السيطرة على الأراضي الليبية والتعامل مع العناصر المتطرفة وإحداث الاستقرار المطلوب ونفس الكلام في سوريا حيث ندعم الجيش السوري وأيضا في العراق».

وبغضّ النظر عن صحة ما قيل بعد ذلك حول وجود أسلحة مصرية الصنع بيد قوات الجيش السوري أو وجود طيارين مصريين في بعض المدن السورية فإن تصريحات السيسي كانت واضحة وتؤكد أنه بالفعل أصبح هناك انحياز لبشار الأسد في معركته ضد الثورة السورية ومن ثم فإنه انحياز لوجهة النظر الروسية والإيرانية اللتي تتبنى الدفاع عن الأسد وتصرّ على بقائه رئيسا لسوريا مهما كانت الكلفة المالية والبشرية وهي وجهة نظر تبتعد كثيرا عن الرؤية العربية التي تبنتها جامعة الدول العربية من قبل وتجسدت في أن المعارضة السورية هي التي احتلت مقعد سوريا في الجامعة.

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى مسألة في غاية الخطورة تتعلق بالأمن القومي العربي ففضلا عن أن إيران نجحت بالفعل في أن تحدث شرخا في العلاقات بين أهم القوى العربية فإنها أخضعت مفهوم الأمن القومي إلى التفكيكية والنسبية فلم يعد ثمة توافق عربي على هذا المفهوم فما تراه الرياض تهديدا للأمن القومي لم تعد تراه القاهرة تهديدا، والعكس بالعكس، ما يعكس إلى أي مدى غابت قنوات الحوار والتشاور والتنسيق المشترك سواء بشكل مباشر أو عبر جامعة الدول العربية التي ورغم ترهلها تمثل الإطار الجامع للدول العربية.

ماذا يجري؟

بلا شك فإن هذه التطورات الحادثة تطرح سؤالا مهما وهو «ماذا يجري وما تفسيره؟» والحقيقة أن الإجابة ليست سهلة فهي معقدة ومركبة لأقصى درجة فهي في جانب تحتاج إلى فهم الموقف المصري مما يجري في سوريا ومدى تغير وجهة النظر المصرية وإعادة تقييمها للربيع العربي الذي يبدو أنها باتت تراه وفق تصريحات عدد ليس بالقليل من المسئولين المصريين بأنه جزء من الفوضى الخلاقة التي كانت قد أعلنتها وزيرة الخارجية الأمريكية رايس خلال زيارتها للقاهرة في العام ٢٠٠٥، ومن ثم فإن انتصار هذه الثورة على الأسد يعني أن تنسحب هذه الحالة على بلدان أخرى، وهو ما لا يجب أن يحدث.

كذلك فإن ثمة جانبا يتعلق بمساعي مصر إلى أن تفتح آفاقا من التعاون مع روسيا التي هي العدو اللدود للولايات المتحدة الأمريكية، فمن ناحية تمثل هذه العلاقات المصرية – الروسية ورقة ابتزاز للإدارة الأمريكية بقيادة باراك أوباما الذي لم يكن راضيا بشكل كامل عن الأوضاع في مصر ويمارس ضغوطا تتعلق بالحريات وحقوق الإنسان فيما كانت مرشحة حزبه الديمقراطي للرئاسة هيلاري كلينتون تنظر إلى جماعة الإخوان المسلمين المناوئة للنظام السياسي المصري نظرة تتعارض مع النظرة المصرية الرسمية.

ومن ناحية أخرى فإن التقارب مع روسيا يعني أن يكون متاحا أمام مصر مصدر آخر للسلاح غير التقليدي

فضلا عن إقناع الجانب الروسي بإعادة تسيير الرحلات الجوية للسياحة الروسية في مصر حيث كان عدد السائحين الروس في مصر هو الأعلى بين كل الجنسيات الأخرى.

أما فيما يخص التقارب مع إيران فإن الجانب المصري ينظر إلى ذلك من عدة زوايا أيضا أبرزها أن التلويح بهذا التقارب مثّل وسيظل يمثل ورقة ضغط على البلدان الخليجية التي تخشى من هذا التقارب إذ يمنح ذلك إيران ضوءا أخضر بأن تصعد من تحركاتها في المنطقة وهي التحركات التي تأتي في إطار مشروع توسعي عدواني.

وعلى الرغم من أن التخوف المصري من المشروع الإيراني في المنطقة لا يقل عن التخوف الخليجي إلا أن القاهرة تستهدف من وراء التقارب مع طهران أن تؤكد أولا على استقلالية قرارها وأنها ليست تابعة لأي طرف كان حتى لو كان هذا الطرف من الداعمين لها، وثانيا أن تبعث برسالة للداعمين بأن هذا الدعم لا يجب أن يكون مشروطا، غير أنه فاتها أن مثل هذه الخطوات تمثل خطرا كبيرا لا يمكن تدارك تداعياته على المنطقة برمتها.

فالدولة الإيرانية ليست بالسذاجة التي تسمح فيها أن يتم توظيف علاقات معها دون أن يكون لهذا ثمنه الباهظ، فالمعروف أنها لا تضيع فرصة إلا واستغلتها لتحدث ثغرة يمكن من خلالها أن تنفذ لما تريد وهو ما حدث بالفعل مؤخرا فما أن قرأت توتر العلاقات المصرية السعودية حتى سارعت بشتى الطرق إلى أن تزيد من هذا التوتر وتعمل على الاستفادة منه لتحقيق أهدافها وهو ما أكدته الأنباء التي تواردت نهاية ديسمبر من العام الماضي عن استثمارات إيرانية جديدة في مصر فيما رحبت الحكومة العراقية القريبة الصلة بطهران بإمداد مصر بالاحتياجات النفطية وهو ما دفع وزير النفط المصري طارق الملا إلى زيارة العراق لتوقيع اتفاقية يتم بموجبها توريد كميات من النفط بديلا عن شحنة النفط الشهرية التي كانت تقدمها شركة النفط السعودية «أرامكو» وتوقفت منذ شهر أكتوبر ٢٠١٦ ردا على موقف مصر المتناقض في مجلس الأمن الدولي حيث أيدت مصر مشروعين متعارضين بمجلس الأمن بخصوص حلب السورية أحدهما تقدمت به روسيا والآخر تقدمت به فرنسا إذ كانت السعودية تتوقع من مصر أن تعترض على المشروع الروسي وهو ما لم يحدث، الأمر الذي دفع ممثل المملكة إلى أن يعتبر ذلك أمرا مؤسفا ومؤلما.

كذلك فإن ثمة زاوية أخرى تدفع القاهرة إلى التلويح بالتقارب مع طهران تتعلق بتعاون اقتصادي بين البلدين خاصة وأن طهران لم تفتأ بين الحين والآخر تعرض هذا التعاون على القاهرة منذ نجحت ثورة يناير في الإطاحة بالرئيس مبارك وقد برز في هذا مثلا موضوع السياحة الإيرانية لمصر والذي أثير في عهد الدكتور محمد مرسي وفشل نتيجة الضغوط الشعبية الرافضة لهذا المشروع.

ولنا هنا أيضا أن نتساءل: هل يمكن أن تقدم إيران على المستوى الاقتصادي ما قدمته وتقدمه دول الخليج لمصر؟ الإحصائيات المتباينة تقول إن البلدان الخليجية قدمت لمصر خلال نحو ثلاثة سنوات من ٢٣ إلى ٤٠ مليار دولار ما بين منح وقروض وتسهيلات ائتمانية، وهو بالطبع رقم كبير جدا ما كان لإيران أن تقدمه، إذ المعلوم أن الناتج المحلي لإيران لا يتجاوز ٣٦٤ مليار دولار سنويا في حين أن الناتج المحلي للملكة العربية السعودية لوحدها نحو ٦٤٦ مليار دولار فيما أن إيران تعاني من مشكلات اقتصادية كبيرة لذلك ووفق خبراء اقتصاديين فإن أقصى ما يمكن أن تقدمه إيران لمصر سنويا لا يتجاوز ٥ مليارات دولار كقروض أو تسهيلات ائتمانية فضلا عن أن هذا سيكون له مقابله الذي بلا شك سيمثل خطورة على الأمن القومي المصري.

الانعكاس على الداخل

الوضع في الداخل المصري لم يختلف كثيرا حيث العديد من القرارات والتحركات التي أثارت لغطا كبيرا في الشارع المصري وأفقدت المراقبين مرة أخرى البوصلة التي على أساسها يمكن تحليل هذا المشهد، فبعد أن وقّعت الحكومة المصرية اتفاقية ترسيم الحدود مع السعودية والتي بموجبها تسلم مصر جزيرتي تيران وصنافير تراجعت الحكومة نتيجة ضغط شعبي حيث رفض البعض الاتفاقية فيما رفض البعض الآخر الطريقة التي اتبعتها الحكومة في توقيع اتفاقية على قدر من الأهمية وهو ما دفع البعض للتظاهر رفضا لهذه الاتفاقية ما كان سببا في احتجاز العشرات ثم جاء الحكم القضائي الذي ألغى العمل بالاتفاقية لتطعن الحكومة، فيما تم الإفراج عن المحتجزين على خلفية تظاهرات رفض الاتفاقية.

ثم يتصور الناس أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد حيث من المرجح أن يكون الحكم النهائي تأييدا للحكم الأول فضلا عن أن الفترة الأخيرة شهدت حملة إعلامية شديدة اللهجة ضد السعودية وهو ما أكد لدى البعض أن ثمة نية تتجه إلى التراجع عن الاتفاقية غير أن الحكومة وفي خطوة مفاجئة وقبيل أيام من صدور الحكم النهائي أحالت الاتفاقية إلى مجلس النواب للتصويت عليها وفي ذات الوقت تدفع بإبعاد بعض الإعلاميين المعروفين بانتقادهم الشديد للمملكة العربية السعودية وسياساتها وتعتقل عددا ممن شاركوا في تظاهرات رافضة للخطوة الحكومية فضلاً عن الإعلان عن تخصيص أرض لجامعة الملك سلمان في شبه جزيرة سيناء وتوقعات بزيارة قريبة لخادم الحرمين الشريفين لمصر وهو ما أثار من جديد العديد من التساؤلات في الشارع المصري حول دوافع ما يتم اتخاذه من سياسات أو قرارات.

وبعيدا عن مناقشة الاتفاقية وقضية الجزيرتين فإن دلالة ما حدث هو أن حالة من التناقض تتسم بها كل ممارسات هذه الحكومة وأن التخبط يظلل كل تحركاتها، الأمر الذي يعكس أمرين مهمين أولهما عدم امتلاك مشروع سياسي يمكن أن يمثل دليلا إرشاديا يرجع له لاستقراء واستشراف السياسات ويكون المشترك الجامع لكل القوى والشخصيات الداعمة للنظام السياسي، وثانيهما هو وجود حالة من التنازع داخل مؤسسات اتخاذ القرار حيث انتقلت حالة الاستقطاب السياسي وإن كان بشكل جزئي إلى هذه المؤسسات وهو التنازع الذي إن استمر فسيرجح معه أن تتواصل هذه الحالة من التخبط لفترة مقبلة.

الوجود التركي بالعراق
خدم المصالح العراقية والتركية الوطنية

سمير الصالحي(*) – خاص بالراصد

لا يختلف اثنان على أن مصالح إيران مقدمة على مصالح العراق عند أغلب البرلمانيين الشيعة العراقيين، وأن النادر من ساسة الشيعة بالعراق مَن هو خارج أطر السيطرة الإيرانية، حتى أصبح كثير منهم بمثابة الناطق باسم مصالح إيران في العراق، ومما يثبت ذلك ويكشفه بوضوح طريقة تعامل هؤلاء الساسة الشيعة مع قضية تواجد قوات تركية في شمال العراق، والتي دار حولها جدل وخلاف علني بين الحكومة العراقية والحكومة التركية.

وكان الأتراك قد دخلوا إلى شمال العراق بطلب رسمي عراقي، من رئيس الوزراء حيدر العبادى، وموافقة رئيس البرلمان العراقي سليم الجبوري، ومسعود برزاني رئيس إقليم كردستان، ومحافظ نينوى أثيل النجيفي، لكن عند اقتراب موعد معركة الموصل طلبت الحكومة العراقية - بتحريض إيراني- من القوات التركية الخروج من الأراضي العراقية.

فهاجم البرلمان العراقي التدخل التركي ورئيس وزراء تركيا والرئيس التركي بفجاجة ووقاحة رغم أن الوجود التركي عبارة عن قوات محدودة العدد بالقياس للتدخلات الإيرانية وغيرها.

ولقد أدركت تركيا أبعاد هذا الهجوم فأدانت الخارجيةُ التركية قرار مجلس النواب العراقي الذي رفض تمديد بقاء القوات التركية داخل الأراضي العراقية، وأعربت عن احتجاجها بشدّة على ما ورد فيه من افتراءات واتهامات باطلة.

(*) كاتب عراقي.

وقال بيان للوزارة التركية: ندين القرار الذي صدر عن مجلس النواب العراقي، ونحتج بشدّة على القسم الذي تضمّن افتراءات مشينة ضد رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان، ونعتبره مسألة غير مقبولة بتاتا. وأضاف أن الخارجية تعتقد بأن القرار لا يعكس آراء شريحة كبيرة من الشعب العراقي الذي وقفت تركيا إلى جانبه لسنوات عديدة، وسعت لدعمه بكافة الوسائل المتاحة.

وعندما شعرت إيران بصلابة موقف الرفض التركي، حرّكت أذرعها المباشرة في العراق؛ فهدد القيادي في كتائب سيد الشهداء، رضا الساعدي، بضرب المصالح التركية في العراق قائلاً: إن كافة الفصائل المقاتلة المنضوية تحت منظومة الحشد الشعبي اتفقت على ضرب المصالح التركية في العراق، وإنها بصدد أن تعمم بيانات في الأسواق عامة وبين المواطنين تدعو إلى مقاطعة البضائع التركية.

أما هادي العامري، القائد الميداني لهذه الميليشيات، فسارع إلى تهديد الأتراك الموجودين في شمالي العراق بأن يدمر دباباتهم فوق رؤوسهم، إذا لم يغادروا المناطق العراقية التي دخلوها.

ودعا زعيم التيار الصدري، مقتدى الصدر، مجلس الأمن الدولي لإصدار قرار يلزم تركيا بإخراج قواتها من العراق.

خلفيات تشدد تركيا ببقاء قواتها في العراق

إن تمسك تركيا بالبقاء في معسكر بعشيقة بالعراق ناتج من أن تركيا اليوم تشعر أن العراق والمكون السُّني فيه سيكون بالكامل تحت الهيمنة الإيرانية مما يهدد أمنها القومي، ولا تريد أن تكرر خطأها في سوريا بعدم المبادرة لحماية أمنها بنفسها، حيث تستشعر تركيا أن العراق - بتوجيه إيراني- أصبح حاضنة لإرهاب حزب العمال الكردستاني Pkk ضد أمن تركيا، ويعد Pkk منظمة إرهابية عند تركيا وأكثر دول العالم، حيث تمارس الاغتيالات والتفجيرات التي أودت بحياة ٤٠ ألف تركي منذ تشكل الحزب بصورة سرية سنة ١٩٧٨م، وهو يستند لأفكار ماركسية لينينية، وفي تاريخ عدائه لتركيا خدم وتعاون مع دول متعددة؛ منها إسرائيل والنظام السوري وإيران وروسيا.

وفي الآونة الأخيرة، وبعد الثورة السورية، أصبح هذا الحزب مدعوما من قبل أمريكا بحجّة محاربة داعش، في تقاطع بين سياسات نظام بشار وأمريكا، حيث أكد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بأن الأسد قد أودع المناطق الكردية السورية تحت عهدة حزب العمال الكردستاني، ويقوم النظام السوري بتدريب الحزب عسكريا.

ويبدو أن توظيف PKK في العراق ضد تركيا هو جزء من منظومة أكبر لإضعاف تركيا بقيادة حزب العدالة والتنمية، وهذه المنظومة تتقاطع فيها مصالح جهات متعددة منها؛ أمريكا وأوربا من جهة وإيران وسوريا والعراق وروسيا من جهة أخرى، والانقلاب الفاشل الأخير في تركيا جزء من هذه المنظومة.

من هنا شعرت تركيا مؤخراً أن التمدد الإيراني في سوريا والعراق، والتعاون الأمريكي الإيراني في عهد أوباما يستهدف تركيا ليجعلها بلدا غير مستقر؛ ولذلك تكاثرت العمليات الإرهابية فيها في السنتين الأخيرتين، في تمهيد لتمزيق تركيا مستقبلا.

من أجل التصدي لهذا السيناريو قامت تركيا بعدم الانسحاب من العراق ومحاولة عرقلة المخطط الإيراني فيه قبل أن يصل إلى الأراضي التركية عبر موجة النازحين العراقيين، كما حدث مع النازحين السوريين.

صحيح أن التدخل التركي جاء متأخرا، شأنه شأن الدول العربية؛ لكنه خدم المنطقة والعراق، وهو وجود إيجابي وليس وجودا سلبيا كالوجود الإيراني، فتركيا والدول العربية لا تريد إقصاء الشيعة ولا تريد تغيير البنية الديمغرافية كما تفعل إيران وأحزابها في داخل العراق، وفي داخل إيران نفسها؛ وقد كشف منسق مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في العراق مؤخراً عن إحصائية لسكان العراق تقول إنّ السُنّة أغلبية في العراق بواقع ١٦ مليون شخص، والشيعة تعدادهم ١١ مليون مواطن، مما يبطل مزاعم الشيعة بأنهم الأكثرية المظلومة!

لماذا تدعم إيران حزب العمال الكردستاني في العراق:

مصلحة إيران الإستراتيجية أن لا تدعم انفصالا كرديا في أي بلد؛ لأن ذلك ينعكس عليها سلبا، لكن إيران تتلاعب بالمكونات الكردية الخارجية حتى لا تتحالف مع أكرادها، ومن جهة أخرى توظفهم في تحقيق

مصالحها في الدول المجاورة؛ ولذلك دعمت حزب العمال الكردستاني ضد تركيا، حيث سيطرت إيران على حزب جلال طالباني في السليمانية «الاتحاد الوطني الكردستاني»، والذي يدعم حزب العمال، بينما تمتلك تركيا علاقات وثيقة مع مسعود برزاني، رئيس إقليم كردستان.

ولذلك يدعم قائد فيلق القدس الإيراني، قاسم سليماني، تواجد حزب العمال في شمال العراق، وطلب منه المشاركة في استعادة الموصل، ليكون ورقة ضغط ضد تركيا في سوريا والعراق، وورقة ضغط ضد الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة بارزاني.

الحكومة العراقية وحزب العمال الكردستاني:

هل من المصلحة العراقية وجود حزب العمال الكردستاني؟

من المنطقي أن الجواب لا؛ لأن العراق في حرب مع داعش، ولايريد فتح جبهات ضده مثل تركيا، لكن الحكومة العراقية دائما تؤكد أنها تابعة غير مستقلة، تعمل لمصلحة غيرها وعلى الأخص إيران؛ لذا ساهمت بإدخال حزب العمال لمدينة سنجار (١٢٠ كم عن مدينة الموصل) للسيطرة عليها، لذا اتهم رئيس مجلس قضاء سنجار ويس نايف الحكومة بالتخطيط مع الحشد الشعبي لإدخال حزب العمال وتأسيس مقاطعة له على الحدود السورية العراقية.

وهذا الملف يقوده رئيس الوزراء السابق نوري المالكي؛ لأن من مهامه زعزعة منطقة كردستان، ودعم حزب العمال بأوامر إيرانية، ويساعده في ذلك فالح الفياض وبعض العملاء السنة من بقايا الصحوة.

لذلك كان رئيس الوزراء التركي بن علي يلدريم واضحا عندما صرح من كردستان أن حزب العمال لن يستطيع التخفي تحت عناوين مختلفة، هو ومنظمات مثل PYD، وYPG، فهي تعتبر واحدا بالنسبة لتركيا، مؤكداً رفض بلاده تواجد «العمال الكردستاني» في سنجار شمال غرب العراق.

مدينة تلعفر صراع تركي إيراني (سني شيعي):

مدينة تلعفر تقع غرب الموصل بـ ٦٠ كم، وأكثر أهلها من التركمان، يتراوح السنة فيها بين ٧٠- ٨٠ ٪ والبقية شيعة، ومخطط الشيعة منذ زمن هو فصل تلعفر كمحافظة مستقلة لخلق جيب شيعي في الشمال (السني)، وهذا كان واضحا من توجه قوات الحشد الشعبي تجاه مدينة تلعفر بعد أن أصرّت تركيا وغيرها بشكل قوي وعلني على أن الحشد الشيعي يجب أن لا يدخل مدينة الموصل؛ لذا كانت وجهة الحشد لتلعفر بعد أن عجزت إيران عن فرض رغبتها، ولما حاولت قوة من الحشد الشيعي مخالفة ذلك تعرضت لضربات أمريكية فتراجعت، كما كانت الطائرات التركية تحوم فوق سماء تلعفر لمنع الحشد الشيعي من التقدم داخل المدينة، التي يتواجد اليوم بها التركمان السنة فقط، أما الشيعة فقد هاجروا للمحافظات الشيعية بعد دخول داعش.

في تلعفر هدف إيراني آخر، وهو مطار تلعفر لأنه يؤمن لإيران خطًا لنقل الأسلحة إلى سوريا ونقل الجنود بصورة مباشرة، وإيران تريد ربط العراق بها وبسوريا كي يكون خطا مستمرا.

لذلك كانت عرقلة الأتراك وتهديداتهم ضد الممارسات الطائفية رسالة قوية لإيران برغم المصالح الاستراتيجية الحقيقية لتركيا مع إيران والتي لا تريد فقدانها كالغاز الإيراني والتعامل الاقتصادي الكبير.

هل الوجود التركي هو لمصلحة تركيا فقط أم لمصلحة العراق أيضًا؟:

ربما يقول القائل إن تركيا تفكر بنفسها من خلال تواجدها في العراق، نقول حتى لو كان ذلك صوابا؛ فالعراق اليوم بلاد مستباح لا سيادة لديه، وعبارة عن مجموعة قطع على رقعة الشطرنج تتلاعب بها إيران وأمريكا وغيرهما، فالكلام على السيادة له وقت آخر، والعراق كله وليس السنة فقط بحاجة لقوة تحدث التوازن به، وتركيا تساعد على ذلك.

إن تركيا والدول العربية لم يسبق لها أن طمعت في العراق، وفكرت في التدخل به كما تفعل إيران، لذلك العراق بحاجة لدول الأقليم كي توجد توازنا حقيقيا به أمام الهيمنة الإيرانية، فضلا عن صراع الدول الكبرى على أرض العراق.

لذا فإن الوجود التركي الداعم للسُنة مهم جداً لموازنة الوجود الإيراني؛ حيث تواصل إيران ألاعيبها الخبيثة بشراء قادة سنة جددا لتجذير نفوذها وهيمنتها عبر واجهات سنية عميلة وتابعة لها، لذا يحتاج العراقيون جميعا للدور التركي المتأخر، وللدور العربي الغائب لحد الآن.

وقد ساهمت تصريحات تركيا القوية والعلنية والمتكررة، خاصة تصريحات الرئيس التركي أردوغان، المحذرة من الممارسات الطائفية في تحرير الموصل في لجم المليشيات الشيعية والقوى الطائفية في الجيش العراقي عن كثير من جرائمها، والتي شهدتها مدن أخرى كالفلوجة وغيرها.

والتدخل التركي يلقى قبولا من قبل أهالي الموصل، وهم كلهم سُنّة، ومن قبل بقية سنة العراق، ومن قبل شرفاء العراق أجمعين، كرئيس إقليم كردستان الذي أحسّ بأن وقوف تركيا إيجابي حتى للكرد لفرض التوازن بين الصراع الكردي الكردي، ولفرض التوازن ضد رغبة إيران بالسيطرة على كردستان.

ولا يضر الوجود التركي رفض مجاميع تتصادم مصالحها الشخصية أو الطائفية أو الفئوية مع مصلحة العراق عموما، والسنة خصوصا، بتقليل وتحجيم النفوذ الإيراني الطائفي من أمثال:

❖ سُنة المالكي عموما، وبضعة نواب محافظة نينوى خصوصا؛ أمثال عبد الرحمن اللوزي، وعبد الرحيم الشمري، وأحمد الجبوري وأقربائه الذين شاركوا المالكي في مؤامرته بإدخال داعش للموصل، ووقفوا ضد الوجود التركي الرمزي والمحدود متجاهلين السيطرة الإيرانية التي تشمل كل العراق!؟

❖ مجموعة جلال طالباني التابعة لإيران، ومنهم رئيس الجمهورية فؤاد معصوم، الذي يقبل بالهيمنة الإيرانية العسكرية والسياسية علنا حتى على المنطقة الخضراء!

❖ ساسة الشيعة لأنهم تبع لإيران من جهة، ولأنهم يدركون أن التدخل التركي يقوي سُنّة العراق ويضعف هيمنتهم.

مطلوب تدخل عربي مساند للأتراك:

تحتاج تركيا إلى مساندة عربية وخاصة من المملكة العربية السعودية، القوة الإسلامية المعنوية والمادية، بعمقها الديني والاقتصادي، وكذا قطر وجميع دول الخليج، والأردن، فعلى الجميع أن يساندوا تركيا في موقفها تجاه العراق؛ لأن تركيا الأقدر على مساندة إيران داخل العراق، وليس مساندتها في العراق وحسب بل في أمور شتى منها الاقتصاد، وتشكيل حلف جديد سني عربي إسلامي يواجه التحديات الإيرانية.

إن مواقف دعم تركيا للعراق قوية جدا، فهي المحتضن لأكبر جالية عراقية، وأكثرهم من أهل السنة، كما أن تركيا لها مصالح قوية في العراق؛ لذا من الصعب على الأمن القومي التركي أن يترك العراق لأن مردود ذلك سلبيا على تركيا نفسها، والعراق من المفترض أن يستفيد من هذه المصلحة، فالوجود التركي وجود إيجابي، يحتاج إلى مساندة، وفي هذا مصلحة للجميع.

خطواتك الخمس
لبناء وعي سليم بالأحداث والوقائع

أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

تختلف الآراء والتحليلات حول الكثير من الأخبار والأحداث والوقائع لدرجة التناقض التام، وبسبب كثير من التحليلات الخاطئة اتخذت الكثير من المواقف والقرارات التي تسببت بخسائر فادحة وكوارث ضخمة، ولذلك أصبح من الضروري إعادة النظر بطرق التفكير والتحليل والفهم، من أجل تلافي الأخطاء السابقة والوصول لحالة وعي صحيح تجاه الأحداث والوقائع.

وفي ما يلي خطوات خمس منهجية مقترحة للوصول إلى وعي ناضج وسليم لفهم وتحليل الأخبار والأحداث والوقائع.

١. سلامة المنهج

كشفت دماء آلاف الأبرياء من الأطفال والنساء والرجال والمسنين على يد الميلشيات الشيعية والإيرانية في عدد من دولنا كالعراق واليمن وسوريا والبحرين والسعودية وغيرها أن الانخداع بإيران والشيعة كان خطأ فادحا، وأنه تكرار لكوارث التاريخ الدامية.

علّق الإمام الذهبي على خطورة مسار أهل البدع حين لخص كارثة انخداع وتقريب أبي جعفر المنصور لمؤسس منهج المعتزلة عمرو بن عبيد، بقوله: «اغتر بزهده وإخلاصه، وغفل عن بدعته»، وبعد هذا التقريب

(*) كاتب أردني.

للمعتزلة واختراقهم للدولة بسنوات، شهدت الأمة إرهاب المعتزلة بإلزام المسلمين كافة بعقيدتهم الباطلة (خلق القرآن) بالبطش والعدوان، وفي سبيل ذلك قتلوا العلماء وسجنوهم حتى سجنوا الإمام أحمد بعد ضربه وتعذيبه.

وفي هذا الوقت تتكرر الكارثة، فقد غفل البعض عن بدعة الخميني وبدعة البغدادي، واغتروا بشعاراتهما البراقة حول نصرة المستضعفين ومحاربة الكفار والمعتدين، ولكن الحقيقة أن بدعتيهما جلبتا الكوارث على بلاد الإسلام.

إن التبين والتفحص لسلامة المنهج هو الخطوة الأولى لسلامة المستقبل، وأن لا تضيع جهودنا هباء، وأن لا نكون ضحايا لفئات مجرمة قد نكون بسذاجتنا ساهمنا بنموها وانتشارها.

وهذا يلزم معرفة قادة العمل الإسلامي لحقيقة الأفكار المحركة للطوائف والتجمعات، وأبعاد آلياتها وأساليبها في التغلغل والتسرب بيننا لإيذائنا والسيطرة علينا، والسبيل لذلك اعتماد العلم والمعرفة ومطالعة التاريخ والواقع في بناء القناعات والمواقف والاعتماد على أهل التخصص الثقات، وعدم الاغترار بالقناعات العاطفية والشعارات الجذابة والتفرد بالقرارات.

لقد عانت أمتنا في السنوات الأخيرة من بروز وتلميع ودعم بعض الشخصيات بسبب طلاوة لسانها وبريق شعاراتها وجاذبية أطروحاتها، وبرغم تحذير بعض العلماء والعقلاء من هذه الشخصيات مبكراً إلا أن الغفلة وحسن الظن ونقص الحزم ساهمت في تصاعد شعبيتها، ولما تعرضت الأمة للمحنة وجدنا هذه الشخصيات في صفوف الأعداء! ومن هذه الأمثلة أبو القعقاع محمود قولا غاصي في حلب، وعلي الجفري في اليمن، وعلي جمعة وعمرو خالد في مصر، وعدنان إبراهيم، الفلسطيني الأصل، من المهجر، وغيرهم كثير.

أمتنا اليوم تُشن عليها حرب أفكار معلنة، ويجب على قادة العمل الإسلامي أن يكونوا على قدر المعركة بالوعي العلمي المعرفي وإسناد المهمة لأهلها من العلماء والمفكرين الحقيقيين، والاستعداد لمقارعة مختلف الأفكار والشبهات، والبدء بتحصين الأمة فكرياً، من خلال الاستثمار الأمثل لموارد وطاقات الدعوة الإسلامية، وهي موارد كبيرة جداً تحتاج إلى قيادة واعية وخطاب صحيح.

على عاتق نخب أهل السنة اليوم مسؤولية قيادة الأمة، فهل يكونون على قدر المسؤولية ويأخذوها بحقها، ويتبعوا فيها السنة النبوية بتوسيد الأمر لأهله، ولذلك كان سيف الله هو خالد، وليس الصديق.

٢. دقة المعلومة وسلامة التحليل

سجل الملا عبد السلام ضعيف، أحد قادة طالبان، في كتابه «حياتي مع طالبان» أن عدم تقبل الملا عمر، زعيم طالبان، للمعلومات التي قدمها إليه بصفته سفير طالبان في باكستان وسوء تقديره لحقيقة نية أمريكا بالهجوم على أفغانستان عقب حادثة ٩/١١ في نيويورك كان سبباً في زوال إمارة طالبان، وهو تكرار لسوء تقدير صدام حسين بخطورة وحماقة غزو الكويت وردة فعل العالم، وأمريكا تحديداً.

ولا يزال كثير من العمل السياسي في عالمنا الإسلامي على مستوى الحكومات والمعارضات، ومنها التيار الإسلامي، يعاني من معضلة ضبابية وعدم دقة وموثوقية المعلومة من جهة، ومن سوء التعامل معها وتحليلها بشكل غير سليم من جهة أخرى، مما يتسبب بكوارث ضخمة ويلحق خسائر بالغة وفادحة لمسيرة النهضة والبناء على كافة الأصعدة.

ولذلك بعد سلامة المنهج لا بد من الحرص على دقة المعلومة باعتماد مصادر سليمة وموثوقة في أمانتها وفي وعيها، فبعض الناس هو محب للخير لكنه غير دقيق أو غير ذكي، لا يفرق بين الحقيقة والانطباع والزيف والتزوير، وكما عرفنا في علم الرجال التفريق بين الأمانة والضبط في الحفظ، ونحتاج اليوم إلى معيار في التفريق بين الأمانة والضبط في الوعي لسلامة المعلومة.

وبعد الحصول على المعلومة السليمة يجب التعامل معها بطريقة سليمة وموضوعية بحسب المناهج العلمية المختصة بها، وهذا هو السبيل لبناء قرار سليم.

في غزوة بدر، وهي الغزوة الأولى للمسلمين، كان النبي ﷺ وأصحابه بحاجة لمعرفة حجم جيش قريش ليخططوا للمعركة، وتمكن بعض الصحابة من

الإمساك بغلام لقريش فحاولوا استنطاقه عن عدد قريش فقال لهم: هم كثير، فأخذ الصحابة يضربونه!

ولكن النبي ﷺ استطاع الوصول للمعلومة حين سأله: «كم ينحرون من الجزور»، فقال: عشرًا كل يوم، فقال رسول الله ﷺ: «القوم ألف، كل جزور لمائة».

بهذه المنهجية يمكن الوصول لبناء الخطط والقرارات والتصورات، لكن البقاء في مدارات الظنون والخيالات والمعلومات المشوشة والناقصة والمغلوطة، والتعامل معها بسطحية وسذاجة وطيبة في عالم السياسة المعقد والمركب اليوم هو انتحار سياسي، ولعل كتاب «الخيال السياسي للإسلاميين ما قبل الدولة وما بعدها» للدكتورة هبة رؤوف يقدم نموذجا واضحا لضعف المعلومة وتشوشها في قضية مركزية في خطاب الإسلاميين وهي قضية الدولة، وللأسف يتكرر هذا في قضايا أخرى دون تعلم أو اعتبار اللاحقين من السابقين، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

٣. معرفة الخصوم ومكائدهم من علامات الوعي

بعد سلامة المنهج ودقة المعلومة وسلامة التحليل يلزم المؤمن العاقل النبيه معرفة خصومه ومكائدهم، وقد ذكر الله عز وجل ذلك فقال: ﴿وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ [الأنعام: ٥٥]، وذلك أن أعداء الإسلام عبر العصور يكيدون للإسلام ﴿وقد مكروا مكرَهم وعند الله مكرُهم وإن كان مكرُهم لتزول منه الجبال﴾ [إبراهيم: ٤٦].

ولذلك؛ من يتأمل واقعنا المعاصر على مستوى الدول أو الحركات والمعارضة يجد أن هناك فجوة كبيرة في وعي دولنا وحركاتنا ومعارضتنا تجاه خطط خصومنا ومكائدهم وصفقاتهم ومفاوضاتهم، ويمكن أن نرى هذا بوضوح في كلام د. كامل أبو جابر الذي يقول: «كنتُ في مؤتمر مدريد رئيساً للوفد الفلسطيني الأردني كوزير للخارجية، وسمعتُ كلاماً في ذلك المؤتمر من شامير، رئيس وزراء الكيان الصهيوني، ورئيس الوفد في مؤتمر مدريد، حيث قال: «سندخل مفاوضات ولو استمرت لعشر سنوات، ... قبل أيام بدأت أراجع ما تم الحديث عنه في مؤتمر مدريد العام ١٩٩١، ولم أعِ ما قاله شامير تماماً، إلا الآن»!!

وتركيا اليوم تواجه وضعا صعبا بسبب أنها لم تدرك مبكراً -كما تصرح- أبعاد توريط إيران وأمريكا وروسيا لها في سوريا، مما عقّد وضعها الداخلي وأربك دورها المطلوب في سوريا.

وبسبب الغفلة والجهل عن مخططات واستراتيجيات نظام الملالي الشيعي انساقت جماعات إسلامية متعددة وشخصيات فكرية خلف شعارات التقارب والوحدة السنية الشيعية، فاخترق الشيعة أغلب الجماعات الإسلامية وكسبوا ولاء قادة وأفرادا فيها انشقوا عن إخوانهم، وأعلن بعضهم تشيعه، وبعضهم أسس تنظيمات شيعية، وعبر غفلة وغباء هذه الجماعات تنامى الحضور الإيراني في المجتمعات السنية، وباجتماع الغفلة الرسمية والشعبية تمكّن الحرس الثوري الإيراني من تكوين الخلايا الإرهابية النائمة في بلاد سنية متعددة وتكوين أحزاب شيعية تهدد السلم والأمن المجتمعي كما في العراق ولبنان واليمن والبحرين.

إن معرفة طرق وأساليب ومخططات الخصوم قضية ليست مستحيلة، ولكنها تحتاج إلى سلامة المنهج أولاً، ودقة المعلومة، وسلامة التحليل، وثقافة واسعة ومعرفة بالتاريخ وتبصر بمجرياته، ومتابعة للواقع وتطوراته، وعندها تتكشف المؤامرات وتسقط الفخاخ.

٤. الرؤية الشاملة والواسعة ضرورة

نحن نعيش في عالم كبير من جهة، وصغير من جهة أخرى، بسبب تشابك وسهولة المواصلات والاتصالات حتى سمي القرية الكونية، ولذلك حتى تكتمل دائرة الفهم المتمثلة بسلامة المنهج ودقة المعلومة وحسن التحليل ومعرفة الخصوم ومكائدهم يلزم توسيع دائرة النظر في التاريخ والجغرافيا والعلاقات لأي أمر ندرسه.

فالنبي ﷺ وجّه أصحابه لخارج الجزيرة العربية نحو الحبشة حين ضاقت بهم بطاح مكة وبرر ذلك بقوله: «إن فيها ملكا لا يُظلم عنده أحد»، وفي هذا دلالة واضحة على مدى اتساع دائرة الرؤية التي كان النبي ﷺ

يمتلكها عن واقعه برغم صعوبة المواصلات والاتصالات في عصره.

واليوم كم سبّب ضيق الرؤية من مصائب وكوارث، حيث لا ينتبه أولو الأمر من العلماء والأمراء لما يجري في حدائقهم الخلفية من قبل الأعداء، وبرغم تكرار هذه المكائد إلا أن اليقظة والمعالجة دون المأمول في أفضل الأحوال! فقد سبق لدولة اليهود أن اخترقت دول أفريقيا، وحتى الإسلامية منها، عبر المساعدات التقنية وتبادل المعرفة لتكسب نفوذا سياسيا في الأمم المتحدة وتكسب من خيراتها الكثيرة.

وعلى درب اليهود سار ملالي الشيعة في طهران، فتسللوا إلى أفريقيا وآسيا باسم المساعدات والاقتصاد، وتكررت زيارات رؤسائهم للقارة الأفريقية وتزايدت سفاراتهم فيها ومؤسساتهم الشيعية التبشيرية، بينما تقلصت السفارات والمؤسسات الدعوية السنية، وغابت القيادات السنية عن زيارة أفريقيا، مما زاد نفوذ اليهود والشيعة وإيران في أفريقيا على حساب المسلمين والسنة!

من مشاكل غياب الرؤية الواسعة والشاملة عدم الاستفادة من التجارب السابقة، والبقاء في دائرة تكرار تجارب الفشل دون التقدم لخطوة إضافية، أو تغيير طريقة التعاطي مع الأحداث، اليوم ومع توجع القلب لما حدث في حلب من فشل، يجعلنا نستذكر مآل ثورات سابقة في تونس والمغرب وليبيا والجزائر ضد الاستعمار، وكيف أن ما يحدث في سوريا اليوم يشبه كثيراً ما سبق أن حدث، من إطالة أمد الصراع وبثّ الفرقة في صفوف الشعب وتعارض مصالح الدول المتنفذة مع مصلحة الشعب، والعمل على صناعة بديل من الثورة يقبل بمراعاة مصالح الدول الخارجية وعند ذلك تنجح الثورة!

ولنا في تجربة د. توفيق الشاوي الطويلة، والتي دوّنها في كتابه الضخم «مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي ١٩٤٥- ١٩٩٥» بيان عملي لكل تلك الخطوات في ثورات تحرر دول شمال أفريقيا.

كما فيها عبرة هامة لخطورة خلل الفكر السياسي الإسلامي الموروث لدى الحركات الإسلامية المعاصرة، كما ظهر في الربيع العربي والتي عبر عنها الشاوي بقوله: «إن التيار الإسلامي لا يطفو على السطح، ولم يستطع أن يحافظ على مركزه القيادي في مرحلة الكفاح الوطني بالأساليب السياسية، لأنه لا يتقنها، ولكن عندما يفتح باب المجابهة بالقوة وتلجأ الحركة الوطنية إلى اقتحام ميدان الفداء والاستشهاد ففي هذه الحالة يتقدم الإسلاميون الصفوف» صفحة ٣١٦.

والدكتور الشاوي كان عضوا في قسم الاتصال بالعالم الإسلامي بجماعة الإخوان المسلمين منذ عام ١٩٣٧م وتولى متابعة ودعم الثورات التحررية لدول شمال أفريقيا، لكنه افتتح مذكراته بقوله: «أعتذر لكثير من إخواني الذين طالما عابوا عليّ التعاون مع مَن كانوا يعتبرونهم غير جديرين بالثقة التي أوليتها لهم... وكنت أقنع نفسي أن الوطنية تكفي لكي تجمعني بهم في ساحة الكفاح الوطني ... الآن اكتشفت أن هذا النقد الذي وجّه إليّ كان صحيحاً، وأن كثيراً من الوطنيين الذين وثقت فيهم ... لم يكونوا جديرين بهذه الثقة»، وللأسف لا يزال الكثير منا يكرر هذه الثقة في غير محلها من الشيعة وإيران والماركسيين واليساريين والعلمانيين الذين انقلبوا لشبيحة يؤيدون الطائفية والاستبداد والدموية، برغم علمانيتهم.

٥. فهم القضايا المركبة والمتعددة الأبعاد علامة النضج الفكري

بعد خطوات سلامة المنهج، ودقة المعلومة، وصوابية التحليل، وإدراك حقيقة الخصوم ومكائدهم، وسعة النظرة، يلزم امتلاك الرؤية المعمقة التي لا تكتفي بالنظرة المسطحة الواسعة للأشياء بل تغوص في عمقها وتكشف عن طبقاتها وارتباطاتها وعواملها المتعددة ومآلاتها القادمة.

لقد استشرف النبي ﷺ ضرر قتل رأس المنافقين ابن أبي سلول على مسيرة ومستقبل الدعوة الإسلامية، فقال: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»، وهو مراعاة لمآلات الحدث ويقظة لأهمية الإعلام والرأي العام ووجوب أن نقطع أسباب التشويش الإعلامي على المصالح الإسلامية من قبل خصوم الإسلام، وهو ما تتفنن داعش في القيام به بإصداراتها المتقنة مما شوه صورة الإسلام بطريقة لا مثيل لها من قبل!

ولنا في قصة الفاروق ومعاوية رضي الله عنهما مثال على تعقد القضايا، فقد عاتب الفاروق معاوية على اتخاذه

موكباً في تحركاته، فبرر معاوية ذلك بقوله: «يا أمير المؤمنين: إنّا بأرضٍ جواسيسُ العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت. فقال الفاروق: لا آمرك ولا أنهاك».

وفي عالمنا اليوم تعقدت القضايا وتركبت بشكل أصبح يُشْكل على كثير من العقلاء والأذكياء وليس عامة الناس وبسطائهم فحسب، فمن تعقيدات وتركيبات الثورة السورية أن الإجرام الإيراني والشيعي في سوريا يهدف للاستيلاء على سوريا موحدة وليست مقسمة بحسب ما ترغب أطراف أخرى، لأن تقسيم سوريا وظهور دويلة كردية جديدة يهدد وحدة إيران ويعزز انفصال أكرادها ويفتح الطريق لبقية القوميات للمطالبة بالانفصال والعودة للاستقلال الذي فقدته على يد والد الشاه في عشرينيات القرن الماضي!

فالحرص الإيراني على وحدة سوريا ليس حباً بسوريا والسوريين والوحدة، بل حرصاً على أنفسهم وكيانهم، وهذا الحرص على وحدة سوريا ومنع قيام دويلة كردية تتقاطع فيه مصلحة إيران وتركيا برغم تناقض رؤيتهم حول مستقبل سوريا والأسد.

من تعقيدات الثورة السورية أيضا أن ما أنقذ بشار الأسد لليوم هو عدم توفر بديل عنه في الثورة يمكن أن يرضى به الفرقاء في الداخل والخارج، فمع الأسف قرار مستقبل سوريا ليس بيد السوريين!

إن فهم تعقيدات المشهد يحتاج إلى توظيف كل الخطوات السابقة التي أشرت لها لفصل طبقات المشكلة وتحديد تقاطعات أطرافها وموازنة أضرارها وفوائدها، ومن ثم تحديد أقل الخسائر في حالات الضعف، أو أعلى المكاسب في حالات القوة، وعندها نكون قد وصلنا إلى مرحلة النضج والبناء المتدرج وتجاوزنا حالة ردود الأفعال أو التهور والمغامرة.

خاتمة

أحسب أن توظيف هذه الخطوات الخمس من قبل المشتغل بالتحليل والفهم للأحداث والوقائع سيكون لها انعكاس إيجابي في تطوير دقة الرؤية وعمقها واقترابها من الصواب أكثر، وتجنب كثير من الأخطاء والكوارث، وسيكون للممارسة والوقت دور في التطوير والإضافة لها لتكون أفضل وأحسن.

مسيرة القاعدة وداعش في الصومال... قراءة في المآلات والنتائج

محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد

مقدمة:

تعود جذور فكر الغلو في التربة الصومالية إلى نهاية ثمانينيات القرن الماضي مع مشارف نهاية الحكم العسكري للرئيس محمد سياد بري، حيث تم افتتاح أول معسكر جهادي في الصومال من قبل شباب الاتحاد الإسلامي الصومالي بمدينة كسمايو في فبراير ١٩٩١م، وتتابع تأسيس المعسكرات بصورة دراماتيكية في كل من طوبلي، وراسكمبوني، ومركا، ومقديشو، وقو، إلى جانب محافظة جذو، وقد تميزت تجربة الاتحاد الإسلامي بالتوسع أولا، ثم الانحسار الدراماتيكي السريع نتيجة للعقبات العشائرية والمناطقية المتفجرة، كما عانت أيضا تجربة الاتحاد الاسلامي من المعارك غير المخطط لها، والاستهداف الخارجي الكثيف، مما أجبر الوجود الجهادي على الانزواء في مناطق محدودة مثل لاسقوري بالساحل الصومالي.

يتتبع هذا المقال وجود التنظيمات الجهادية في الصومال من تنظيم القاعدة وحركة الشباب المجاهدين والمحاكم الصومالية، وصولا إلى ظهور داعش، ومن ثم يناقش مسيرة العنف والدماء التي ولغت فيها هذه التنظيمات ضد الشعب الصومالي، بجانب تجاوزاتها الأخرى على المستوى المحلي والاقليمي.

بين القاعدة والمحاكم والشباب وداعش .. في الأرض الصومالية:

أول وجود لعناصر تنظيم القاعدة في الصومال يعود لعام ١٩٩٢، وانصبّ تركيز القاعدة حينها على دعم الاتحاد الإسلامي ومعسكراته بالمدربين، لكن تلك

(*) كاتب سوداني.

العلاقة لم تتخذ شكلا عميقا بسبب التباين الواضح في الاستراتيجية الحركية بين القاعدة (الجهاد العالمي) والاتحاد (الجهاد القطري المحلي)، ولكن مع مرور الوقت أنشأت القاعدة تحالفا أعمق مع طرفين على هامش الاتحاد الإسلامي، أحدهما مجموعة حسن تركي في محور الجنوب الأقصى، الذي أثمرت العلاقة معه عن تجهيز أول معسكر جهادي عالمي في الصومال، وثانيهما مجموعة القيادي عبد الله أحمد سهل بمحور مقديشو، والتي لعبت دورا ملموسا في ضرب القوات الأمريكية بمعارك مقديشو، وشكلت فيما بعد أولى بذور تجربة حركة الشباب المجاهدين.

لم يكن للعنصر الجهادي ذي الأشواق العالمية دورا يذكر كتيار متمايز في تأسيس المحاكم الإسلامية في الصومال في مرحلتها الأولى سنة ١٩٩٨، وفي مرحلتها الثانية بعد فشل مؤتمر عرتا في جيبوتي، لكنه شكّل إحدى القوى الضاربة بعد اندلاع معارك الحسم العسكري بمقديشو في مارس ٢٠٠٦، ولهذا بالتحديد كان بإمكان هذا العنصر الدخول في تشكيلات ومجالس المحاكم الإسلامية.

ثم ظهرت حركة الشباب المجاهدين كتطور للحركات الصومالية المرتبطة بالقاعدة في بداية عام ٢٠٠٤، وكانت الذراع العسكري لاتحاد المحاكم الإسلامية التي انهزمت أمام قوات حكومة الصومالية آنذاك، غير أنها انشقت عن المحاكم بعد انضمامها إلى ما يعرف بـ «تحالف المعارضة الصومالية»، وبعد ذلك انهار اتحاد المحاكم الإسلامية وانقسم لعدة حركات تحمل السلاح في وجه الدولة والمجتمع، وقدر عدد المنتمين لحركة المحاكم الإسلامية آنذاك بين ٣ آلاف إلى ٧ آلاف عضو تقريبًا.

ونفذت الحركة عدة عمليات وتفجيرات أهمها اغتيال وزير الداخلية الصومالي السابق عمر حاشي أدن في ١٨ يونيو ٢٠٠٩، ومعه ٣٠ شخصًا على الأقل، وتهاجم الحركة الفتيات في الشوارع؛ بسبب عدم ارتدائهن زيًّا مناسبًا، على حد وصفها، وتعادي الغرب وتقاتل ضده وضد من تعتبرهم موالين له من حكومات وأنظمة أو مواطنين مسيحيين، حيث تقتلهم على المذهب والديانة والهوية، كما تتشدد ضد مرتكبي المعاصي، وتعتبر ممارسة الرياضة معصية.

أما ظهور داعش في الصومال؛ فكانت النواة الأولى له في منتصف شهر أكتوبر ٢٠١٥، بعد أن أعلنت مجموعة مسلحة منتمية لحركة الشباب الصومالية يقودها عبدالقادر مؤمن، أحد القيادات البارزة للشّباب، ولاءها ومبايعتها لداعش، وتتمركز هذه المجموعة في جبال غالغالا وهي المنطقة الشرقية لجمهورية أرض الصومال غير المعترف بها دوليا، ثم تبعتها مجموعة مسلحة أخرى من حركة الشباب تنطلق في مناطق جوبا الواقعة بأقصى جنوب الصومال أعلنت ولاءها لداعش ومبايعة أبي بكر البغدادي، علما بأن أفكار تنظيم داعش كانت موجودة أصلا في الساحة الصومالية عند بعض المجموعات ذات الصلة بالقاعدة مثل الاتحاد الإسلامي وحركة الشباب المجاهدين قبل اغتيال زعيم حركة الشباب أحمد عبدي غودني، الذي كان يتبنى سياسة القبضة الحديدية لإدارة مجريات حركته ومنع تسريب هذه الأفكار إلى عناصره وقياداته الميدانية.

إعلان بعض فصائل حركة الشباب عن انضمامها إلى داعش كشف عن الخلافات والانقسامات الحادة في صفوف حركة الشباب، حيث قررت الحركة مواجهة عناصرها الذين انضموا إلى داعش عسكريا؛ فخاض الجانبان (الفصيل الموالي لتنظيم القاعدة وأنصار داعش) مواجهات مسلحة أسفرت عن قتلى وجرحى في صفوف الجانبين. وهددت حركة الشباب على لسان ناطقها الرسمي علي محمود راغي (علي طيري) أكثر من مرة بقطع رأس أي عنصر ينشق عنها للانضمام إلى داعش.

بعد مقتل العديد من أنصار داعش على يد أنصار القاعدة، فرت بعض القيادات المنشقة عن الحركة والمنتمين لداعش من القبضة الحديدية التي يتعرضون لها، وسلموا أنفسهم إلى الحكومة الصومالية هربا من قمع أنصار القاعدة واغتيال العديد من قياداتهم.

ومن بين القيادات الموالية لداعش، والتي استسلمت للحكومة مالك عبد الوهاب، الذي يحمل الجنسية الأميركية، والذي يطلق عليه اسم «جونز»، حيث سلم نفسه للقوات الحكومية المتمركزة في مدينة براوي، وتشير بعض التقارير إلى أنه خضع للاستجواب لدى

الاجهزة الأمنية التابعة للحكومة، وتشير بعض المعلومات إلى أن مالك عبد الوهاب سلّم نفسه للقوات الحكومية بعد مراجعات داخلية أثناء اعتقاله، حيث تقبل الدولة كل من يستسلم، وتخضعه لعملية تأهيل ومراجعة لأفكار الغلو.

وعلى الرغم من الضغوط التي تعرضت لها الفصائل الموالية لداعش الصومال؛ إلا أنها تمكنت من السيطرة على بعض البلدات بجنوبي الصومال، كما أن عناصر داعش الموجودين في جبال غالغالا بشمال شرقي البلاد قاموا بعدة تحركات في محاولة لبسط سيطرتهم في تلك المناطق، وتشير بعض المعلومات إلى تمركز عناصر داعش في محافظات جوبا السفلى والوسطى بولاية جوبالاند، كما أنه يوجد عناصر أخرى في المحافظات الشرقية لولاية بونتلاند وفي محافظة بكول بولاية جنوب غرب الصومال. وتمثل مناطق جوبا المعقل الرئيس لعناصر داعش في الصومال.

إلا أن نشاط التنظيم تعرض للانحسار والتراجع عقب تصاعد العمليات العسكرية للقوات الصومالية والإثيوبية المدعومة دوليًا، والتي أسفرت عن انسحاب التنظيم من مناطق تمركزه في محيط العاصمة الصومالية وجنوب ووسط الصومال.

وفي هذا الصدد يمكن اعتبار موجة تصاعد الهجمات التي نفذها التنظيم في الآونة الأخيرة ضد القوات الصومالية وقوات الاتحاد الإفريقي، بمثابة محاولة لمحاكاة نموذج «داعش»، حيث استهدفت التفجيراتُ الانتحارية التي نفذها محيطَ القصر الرئاسي والبرلمان ومركز العاصمة منذ مطلع أكتوبر ٢٠١٤، مما أسفر عن سقوط عشرات القتلى، فضلا عن قصف التنظيم لموقع هبوط طائرة الرئيس الصومالي حسن شيخ محمود لتفقِد القوات الصومالية عقب السيطرة على ميناء براوي الاستراتيجي في ١١ أكتوبر ٢٠١٤.

ترى بعض الدراسات أنّ رقعة عناصر داعش في الصومال تزداد وتتّسع يوما بعد آخر في المرحلة الراهنة رغم كل الضّغوط العسكريّة والضّربات القاسية التي تتلقاها من قبل عناصر حركة الشباب الموالية للقاعدة، وذلك لأسباب عديدة، لكن بروز داعش كتنظيم جهادي مسلح جديد، واندلاع جبهات قتالية أخرى في البلاد يعني بالنسبة للصوماليين مزيدا من التأزيم للوضع الأمني والاقتصادي بالبلاد، وخطف آمال ومستقبل بقية الأجيال التي بقيت من آثار الصراع الطاحن الذي شهده الصومال على مدار أكثر من عقدين من الزمان.

مصائب داعش والقاعدة في الصومال:

وجود القاعدة وداعش في الصومال جرّ على البلاد مزيدا من المشكلات والمصائب، تزيد من التركة المثقلة للبلاد التي ترزح في إشكالات متعددة منذ غياب الدولة فيها منذ أكثر من عقدين، ومن أبرز تلك التداعيات السالبة والحصاد المر للقاعدة وداعش في الصومال، ما يلي:

❖ فشلت القاعدة وداعش وبقية فصائل التطرف من تقديم البديل للشعب الصومالي الذي عانى من فساد وظلم وفشل نظام سياد بري، وحالة الفوضى التي أعقبت سقوطه، فهذه التنظيمات أيضاً لم تجلب الأمن والاستقرار للبلاد، بل ساهمت بقوة في زيادة الاضطرابات والتفجيرات والاغتيالات، ومن ذلك:

٦. استباحة حركة الشباب المرتبطة بالقاعدة لدماء المسلمين بحجة أنهم مرتدون وموالون للغرب.

٧. اغتيال حركة الشباب لعلماء ومثقفين وقيادات المجتمع في الصومال داخل المساجد منهم العلامة الدكتور أحمد حاج عبد الرحمن في ديسمبر ٢٠١١م، والشيخ عبد القادر فارح نور في فبراير ٢٠١٣م.

٨. إعدام المواطنين بمجرد تهمة تعاونهم مع الحكومة الصومالية في مقديشو.

٩. استباحة حركة الشباب لدماء الجبهات الإسلامية المسلحة في الصومال، كالحزب الإسلامي في أكتوبر ٢٠٠٩م، لفرض أجندتها ورؤيتها الفكرية والسياسية والإدارية بالقوة العسكرية على الساحة.

١٠. تصفية أبرز قيادات تنظيم القاعدة – من العرب والأفارقة – وأبرزهم إبراهيم أبو طلحة السوداني في يناير ٢٠٠٧م، وصالح علي نبهان الكيني في ١٥ سبتمبر٢٠٠٩م، وفضل عبدالله في ٨ مايو ٢٠١١م، وهو من جزر القمر على يد أجنحة في حركة الشباب نتيجة خلافات داخلية.

١١. نفذت حركة الشباب عمليات إعدام ميدانية وهجمات ضد أفراد كانوا قد بايعوا تنظيم الدولة في مناطق بإقليم شبيلي السفلي جنوب الصومال، حيث كانت الحركة توعدت كل من يعلن ولاءه لداعش أو حتى يُبدي تعاطفه معه، وهو الوعيد الذي تمثَّل في تنفيذ تلك العمليات .

١٢. أعدمت حركة الشباب أحد قياديها، وهو المهندس السوداني محمد مكاوي إبراهيم نهاية ديسمبر عام ٢٠١٥ الذي فر من معتقله بسجن كوبر في الخرطوم قبل تنفيذ حكم بالإعدام صدر بحقه وآخرين في أعقاب إدانتهم بقتل دبلوماسي أميركي بالسودان، حيث أكد أحد رفقاء مكاوي في تدوينة على الانترنت، دون أن يفصح عن هويته، أن الشاب اغتيل على يد منتسبين لتنظيم القاعدة في الصومال، بعد أن أظهر رغبته في الانسلاخ والانضمام لتنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، وقال: «عندما بزغ نور الخلافة، وأبت قيادة الحركة أن تنصاع للحق وأن تصلح المسير، أظهر رغبته للّحاق بدولة الإسلام، وما كان يظن أن الحال وصل بحركة الشباب إلى هذا القاع من الفساد».

١٣. تستخدم كل من القاعدة وداعش في الصومال الأساليب المرعبة ضد المواطنين مثل قطع الرؤوس، الأمر الذي أدى إلى زرع الخوف والرعب في نفوسهم.

١٤. تستخدم كل من القاعدة وداعش في الصومال الأساليب المروعة التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين والتي لا تلقي بالاً لمراعاة فقه المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

❖ لم تقدم هذه الجماعات شيئا يذكر في رتق النسيج الاجتماعي أو المساهمة في التعليم أو الصحة أو أي نوع آخر من حاجات المجتمع الضرورية، ولا البناء والإعمار.

❖ كما أن هذه التنظيمات المسلحة لم تسمح بالمشاركة السياسية للإسلاميين كجزء من النسيج المجتمعي الصومالي، بل استهدفتهم بالتخوين والتكفير والقتل والاغتيال وتشريدهم والتنكيل بهم.

❖ كان لها دور كبير لا يخفى في تدمير اقتصاد البلاد ومعاش الناس وإفقار الشعب وتجويعه وتشريده، كما أن من تداعيات وجود داعش في الصومال تضرر فئة المستثمرين العائدين من دول المهجر لبلادهم، وهم الفئة الأكثر تضررًا في حال دخل التنظيم بشكل فعلي على خطوط الحرب مع الحكومة الفيدرالية والقوات الإفريقية، باعتبارهم جزءًا من الثورة الاقتصادية التي شهدتها العاصمة في الفترة الأخيرة بسبب تحسن الأمن فيها، وسيضطر هؤلاء إلى الهروب إلى الخارج مجددًا ومعهم رؤوس الأموال التي حاولوا استثمارها في بلادهم.

❖ كما لعبت كل من القاعدة وهذه الحركات المسلحة دورا ملموسا في تحويل الصومال كمركز للقرصنة البحرية، مما يجعلها دولة إرهابية ويضر بمصالح المواطنين الأبرياء.

مخاطر مستقبلية

صارت الصومال بسبب نشاط القاعدة وداعش بمثابة أهم مصادر السلاح للتنظيمات الجهادية في دول الإقليم، مما قد يجعل تنظيم «داعش» يعتمد على الصومال في توفير احتياجات خلاياه، سواء في سوريا والعراق أو في شمال إفريقيا واليمن، من السلاح في حالة تشديد الحصار الدولي المفروض على تدفقات السلاح العابرة للإقليم.

وأيضا ساهم تمركز تنظيم الدولة في جبال غالغلا، وطول أمد بقائه في تلك المناطق، في تنشيط القرصنة البحرية؛ فالموقع الجغرافي المهم لهذه المناطق وإطلالتها على ساحل المحيط الهندي دفع هذه الحركات إلى محاولة التواجد في الموانئ والمدن الساحلية، نظرًا لأهمية تلك المواقع بالنسبة له في نقل الأفراد والسلاح والأموال إلى مجموعاتها المختلفة، وهو ما يعني بقاء احتمال استخدام تلك المناطق في تهديد الملاحة الدولية مستقبلا.

كما أن هناك تخوفا مشروعا من احتمال تطوّر حركة الشباب في ظل تركيبتها الحالية، لتمثل دور «حركة طالبان» في أفغانستان وباكستان لكن بطريقة أكثر «أفريقية»، وتستمر في سعيها لمشروع توسعي لن يتوقف قبل السيطرة على القرن الأفريقي كله.

ويعني كل ما سبق اتساع دائرة الخطر على منطقة جنوب البحر الأحمر، خصوصاً في القسم الشمالي من الصومال، في (جمهورية أرض الصومال) غير المعترف بها دولياً، وإلى أي مدى ستكون قادرة على مواجهة أي

تقدم لـ «حركة الشباب» أو غيرها من دون دعم خارجي. حيث يعني سقوط (أرض الصومال) في يد هؤلاء إمكانية تغلغل هذه الحركات في دولة جيبوتي المجاورة، وهي الجزء الأضعف على ساحل البحر الأحمر، والجزء الأهم لإطلالها على باب المندب، ولدورها اللوجستي في أزمة اليمن، كما أنها تمثل واحة مستقرة في محيط يغلي بالأزمات.

وتبقى احتمالات التدخل الإثيوبي والكيني في الساحة الصومالية واردة من حين لآخر، خصوصاً أن التداخل الديمغرافي بين الصومال وبين هذين البلدين، يشي بمثل هذا الاحتمال الذي قد يكون مشتركاً، وبمساندة محدودة من الاتحاد الأفريقي.

مع العلم أن أديس أبابا ونيروبي تجدان نفسيهما وسط ساحة صراع أفريقي - أفريقي، من السودان إلى بوروندي، في غياب أي أفق تصالحي. وسيؤدي غرقهما في المستنقع الصومالي إلى نشوب مشاكل أخرى داخلية، قد تؤدي إلى ازدياد مخاطر الانقسام الداخلي، أو على الأقل مطالبة بعض المجموعات الصومالية في داخل كينيا وإثيوبيا بالانفصال أو بالحكم الذاتي.

خاتمة:

يمكن القول إن ثمة مؤشرات عديدة تدعم من احتمالات اتجاه بعض التنظيمات الجهادية في الصومال، وفي مقدمتها حركة شباب المجاهدين، إلى تعزيز علاقاتها مع تنظيم داعش، سواء من خلال مبايعة التنظيم وقياداته، أو عبر التنسيق بين الطرفين للتغلب على الحصار الإقليمي الذي يتعرضان له، وهو ما يمكن أن يفرض تداعيات سلبية ليست هينة على أمن ومصالح دول المنطقة، مع بقاء احتمالات الحرب بين الفريقين وإمكانية تحقيق داعش لانتصارات عسكرية ضد حركة الشباب يظل واردا في الوقت المنظور.

من المؤكد أن وجود تنظيم داعش في الصومال سيضيف للمنطقة مآسي وانتهاكات غير إنسانية جديدة أكثر مما تمارسه حركة الشباب ضد الشعب الصومالي، كما أن داعش لديها نوايا ومطامع اقتصادية واستراتيجية بالاستفادة من الخيرات الطبيعية في باطن الأرض الصومالية، وقد يحتاج الأمر لإجراء مزيد من البحوث والدراسات حول شأن داعش في الصومال للعثور على معلومات إضافية ومتابعة عملياتها في الصومال.

كما يتطلب الأمر تجفيف منابع ومصادر التمويل الاقتصادي لداعش وحركة الشباب في الصومال والتي تعتمد على الدعم الخارجي في تسيير نشاطها، وتوعية المجتمع وتحذير الأهالي من المعتقدات الخاطئة المخالفة للعقيدة الصحيحة والممارسات غير الإنسانية التي يرتكبها تنظيم داعش في العالم، سيما في بلاد العراق وسوريا وليبيا ونيجيريا وغيرها.

مراجع:

١. أبعاد التقارب المُحتمل بين «داعش» والتنظيمات الإرهابية في الصومال، مركز الروابط للدراسات السياسية والاستراتيجية:
http://rawabetcenter.com/archives/1506

٢. شافعي أبتدون، تنظيم الدولة في الصومال: بين الوهم والحقيقة، مركز الجزيرة:
http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2016/05/160531061345557.html

٣. هل يتمدّد تنظيم داعش إلى الصومال، صومالي تايمز:
http://www.somalitimes.net٠١/١٢/٢٠١٦/

٤. تنظيم الدولة وحركة الشباب.. جذور التأسيس ومسارات التقاطع، الإسلام اليوم:
http://somaliatoday.net/%D8%AA%D٩

نقد الليبرالية

عرض أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة كتاب البيان رقم ١٠٩، عن مركز البيان للبحوث والدراسات، وكانت طبعته الأولى قد صدرت سنة ٢٠٠٩م، وجاء في ١٩٠ صفحة من القطع الكبير، أما مؤلف الكتاب د. الطيب بو عزة فهو دكتور في الفلسفة من المغرب، وله عدد من المؤلفات.

في المقدمة يبين المؤلف أن الهدف من هذا الكتاب الذي يبحث عن معنى الليبرالية وقيمها ومبادئها وتطبيقاتها المجتمعية هو أن الليبرالية تقدم اليوم بوصفها الحل والنموذج الوحيد في مجال السياسة والاجتماع بدون منازع ومنافس وعلى مستوى العالم!

ويبين أنه سيقوم بنقد الليبرالية من خلال مقاربة فلسفية تتناول أسسها النظرية لكشف زيف المزاعم الليبرالية الكبرى، وبنقد لواقع تطبيق وتطورات الليبرالية عبر التاريخ والحاضر، مع التنبيه أن نقد الليبرالية لا يعني نقد الحرية أو تمجيد الاستبداد، بل هو نقد لحصر الحرية بالليبرالية دون دليل، بل إن المؤلف يرى أن الحرية اليوم هي تحرير الإنسان من الليبرالية!

في الفصل الأول من فصول الكتاب الستة يناقش المؤلف دلالة مفهوم الليبرالية، حيث يرصد أن صعود الليبرالية لواجهة المشهد الثقافي جاء في تسعينيات القرن الماضي بعد انهيار المعسكر الشيوعي والفكر الماركسي فأعلنت الليبرالية كنموذج فكري وسياسي أقدر على تنظيم الاجتماع وإدارة المشكلات السياسية والاقتصادية.

ومقابل هذه الرؤية التبجيلية لليبرالية هناك توجه مناهض لها باعتبارها قناعا يخفي تغول الرأسمالية وتفتيت أنساق القيم وتدمير مقومات الأخلاق، وأنها تعجز عن تحقيق شعاراتها

(*) كاتب أردني.

الاقتصادية كالرفاه لأن ذلك يتناقض مع واقع الجشع الرأسمالي القائم على الحرية والفردية دون ضابط أخلاقي.

يحاول الليبراليون تعريف الليبرالية بأنها الحرية، وهذا تزييف، فالحرية ادّعتها كثير من المذاهب والفلسفات، وليس هناك تعريف متفق عليه لليبرالية وفي الحقيقة هناك ليبراليات متعددة، وبالعودة للمعاجم والتاريخ نجد أنها من اللفظ اللاتيني «ليبراليس» وتعني الشخص الكريم النبيل الحر، وحتى نهاية القرن الثامن عشر لم يعرف لفظ الليبرالية، بل عرفت كلمة «ليبرال» التي تعني المتحرر فكرياً، لكن في نهاية القرن التاسع عشر ظهرت لفظة الليبرالية بوصفها دالة على رؤية مذهبية لها أساسها الفكري ونظريتها السياسية والاقتصادية.

ولكنها كانت رؤى متغايرة متنوعة يجمعها أنها فلسفة/ فلسفات اقتصادية وسياسية، ترتكز على أولوية الفرد بوصفه كائنا حراً، حيث تعني من الناحية الفكرية حرية الاعتقاد والتفكير والتعبير، وحرية الملكية الشخصية في الجانب الاقتصادي، وحرية التجمع وتأسيس الأحزاب، واختيار السلطة من الناحية السياسية. وبذلك تكون الليبرالية تكونت في الواقع قبل تشكل المصطلح.

فانفتاح الوعى الأوربي على عوالم خارج النص الكنسي كالعالم العربي والإسلامي والإغريقي والروماني أحدث دهشة وصدمة للعقل الأوربي القرطوسي، وأحدثت فيه النزعة الإنسانية، ومع توسع حركة التجارة وظهور طبقة التجار ثم حركة الصناعة والصناعيين سيتغير النظام الإقطاعي السائد، إذ التجارة والصناعة تحتاجان إلى عمال وزبائن، لذلك يجب تحرير العبيد ليصبحوا عمالا، وبذلك يرى المؤلف أن الليبرالية لم تنشأ بوصفها توكيدا لحرية الإنسان، بل بوصفها توكيدا للحاجة لاستغلاله بطرائق تناسب الثورة الصناعية! ولذلك ترافق مع انهيار نظام الإقطاع إبادة الهنود الحمر واستعباد شعوب أفريقيا ونهب خيراتها على يد النظام الليبرالي الرأسمالي، وقامت البرلمانات الليبرالية بتشريع ذلك! مما ينزع عن الليبرالية وهْم تحرير الإنسان، وأن الحرية ترتبط بالليبرالية حصرا كما يزعمون.

في الفصل الثاني يتناول د. بو عزة النظرية السياسية لليبرالية من خلال الصيرورة التاريخية لها وللمحددات المفاهيمية لها ويركز على الدور المركزي لثلاث شخصيات هي: ميكافيلي، لوك، مونتيسكيو.

حيث قام ميكافيلي بترسيخ فكرة الفصل بين السياسة والأخلاق كجزء من الفكر الواقعي الذي جاءت به الميكافيلية لتأسيس عصر الحداثة الذي يقوم على القطيعة مع العصور الوسطى ذات الخلفية الدينية، والفصل بين السياسة والأخلاق ظاهر في الليبرالية الكلاسيكية والليبرالية الجديدة، ولذلك يَعد المؤلف ميكافيلي أول منظر للسياسة الليبرالية بخلاف ما هو شائع.

أما دور جون لوك في السياسة الليبرالية فهو ترسيخ البعد الفردي، وأنه الأساس في الوجود بما يلغي قيمة الجماعة ومصالحها، وينبّه المؤلف لمفارقة التناقض في الفكر الليبرالي في شخصية لوك، فبينما كان ينظر لحق الإنسان بالحرية ويدعو للفردية فقد كان يعمل في تجارة العبيد!

أما مونتيسكيو فقد رسخ في السياسة الليبرالية الفصل بين السلطات في الدولة، وأن الحرية السياسية تكون في إطار القانون وأن حرية الفرد مقصورة على الفرد المالك بالمفهوم الاقتصادي وليس عموم الأفراد!

وجاء الفصل الثالث ليفحص النظرية الاقتصادية لليبرالية، والتي تقوم على مفهوم مادي للإنسان، كما عبر عنها فوكوياما في كتابه «نهاية العالم» (الإنسان هو بالأساس حيوان

اقتصادي)، وقد أصبحت هذه الرؤية أسلوب عيش وأسلوب تفكير، ويراد لها أن تسود رؤية البشر في العالم! وهذه رؤية تصطدم بحقيقة كينونة الإنسان التي تتجاوز المادة لتجمع الروح معها، وهذا ما تتجاهله الليبرالية.

سبق أن نبّه المؤلف إلى أن الليبرالية - بوصفها فكرا بشريا- في الحقيقة هي ليبراليات، فبداية الليبرالية كانت في فرنسا وكانت ذات بُعد فلسفي فكانت ضد حركة التصنيع بخلاف ما هو متوقع! ثم عقب الثورة الفرنسية والتمرد على الإقطاع ظهرت مبادئ الملكية الخاصة وحرية الفرد في التصرف في ملكيته ورفض تدخل الدولة بالاقتصاد، وذلك على أرضية تعظيم دور الأرض كمصدر للثورة.

لكن آدم سميث سيقدم تطويرا لليبرالية بنقل مصدر الثورة من الأرض للعمل، ولذلك لمزيد من التنمية لا بد من مزيد من العمل مع الادخار للفائض لمزيد من الاستثمار، ولذلك كان الاستهلاك مرفوضا ليبراليا بخلاف الليبرالية الجديدة اليوم المسمّاة النيو ليبرالية! وفي كل هذه الأعمال لا قيمة للأخلاق أو مصلحة المجموع والمجتمع، بل القيمة للمصلحة الفردية بأي شكل!

وبذلك تكتمل الحلقة الضارة بالبشر حيث تم تحويل البشر لحيوانات مفترسة لا أخلاق لها تسعى نحو مصالحها الخاصة فقط مهما أضرت بالبشر أو البيئة.

التعريف والنقد لليبرالية الجديدة كان موضوع الفصل الرابع، فبعد ظهور الليبرالية في القرن الثامن عشر إلا أنها توارت للوراء وبقيت في الزاوية منذ مطلع القرن العشرين بعد صعود الماركسية وقيام الاتحاد السوفيتي وظهور الأنظمة الفاشية، التي حققت نجاحات اقتصادية مع تخلف وانحطاط في مستوى الحريات، حيث انصب النقد الموجه إليها على الحد من حرية الفعل الاقتصادي، واعتبار الليبرالية نظاما قديما فقد صلاحيته! ولذلك كان الخطاب الليبرالي في ذلك الوقت خطابا انهزاميا، بخلاف خطابها اليوم الذي يزعم أنها الحل الوحيد ونهاية التاريخ!

وبعد أزمة العالم الاقتصادية عام ١٩٢٩م تنبهت الرأسمالية لوجوب تدخل الدولة في الاقتصاد على يد جون كينز، وعرف هذا التعديل بالنظرية الكينزية، حيث انتقد فردية الليبرالية وفوضى الحرية التي أنتجت البطالة، وبعد حرب ١٩٧٣ وارتفاع سعر البترول ظهرت مجددا مشكلة البطالة والتضخم، وكان الحل المقترح هو التراجع عن تدخل الدولة والنظرية الكينزية والتي سميت بالليبرالية الجديدة! واعتمدت من قبل المنظمات الاقتصادية الدولية كصندوق النقد، وجاء انهيار الاتحاد السوفيتي ليعطي الليبرالية الجديدة قوة دفع باسم العولمة لفتح الأسواق وتعميم نظرتها إلى العالم، مع تعديل طفيف بجعل المنفعة هي محدد القيمة وليس العمل كما قررت الليبرالية في القرن التاسع عشر على يد سميث.

ومن جديد كسرت الضوابط والقيود، أما جشع رأس المال الباحث عن منافعه ومصالحه الفردية دون اعتبار للدولة أو المجتمع أو الآخرين، حتى أصبح السوق كيانا مقدسا يحرم التدخل فيه، بحيث أصبح كوَثن جديد مقدس، واعتبار أي نقد لاقتصاد السوق بأنه نابع من نقص الإيمان بالحرية!

لكن تناقضت هذه الليبرالية الجديدة مع نفسها حين آمنت بحرية فتح الأسواق والحدود أمام البضائع ولكنها رفضت حرية مرور العمال عبر حدودها! وقد تبدى هذا واقعا بالرفض للمهاجرين عموما واللاجئين السوريين خصوصا، وتتناقض الليبرالية مع نفسها مرة أخرى حين تفرض حرية تنقل بضائعها دون منح الآخرين حرية عدم تنقلها كما تمنع هي حريتهم في التنقل كأفراد!

وهذا جعل من حرية السوق وتنقل البضائع أن تنعكس على تشكيل النسق النفسي والقيمي للمجتمعات والشعوب لتعيد تشكيلها بما يحقق مصالح أصحاب السوق خاصة مع تطور أساليب

الدعاية وتعظيم قيمة اللذة مما يحول الإنسان لمستهلك، بل مستهلك من الأشياء، بما يعظم مرابح وثروات الرأسماليين العابرين للحدود والدول!

الليبرالية والأخلاق هما موضوع الفصل الخامس، الحرية المطلقة وهْم لا وجود له، فالإنسان محكوم بحتميات بيولوجية ومجتمعية رضي أم أنكر، وحتى الليبرالية تعترف بهذا مرغمة فتنكر حرية الأطفال والمجانين.

والحرية مفهوم غير متفق على مدلوله، وقد بدأ في الفكر الغربي من خلال حركة الإصلاح الديني، بمعنى فتح المجال للتفاعل مع النص المقدس مقابل احتكار الكنيسة للتعاطي معه، ثم مع تحطم احتكار ودور الكنيسة أصبحت الحرية الليبرالية تعني حرية الفرد بوصفه مالكا اقتصاديا بعد أن كان عبداً في نظام الإقطاع، وبذلك هي تستبدل استبداد الإقطاع باستبداد رأس المال.

ولذلك فإن الحرية في المفهوم الليبرالي الذي يعظم المنفعة واللذة الفردية تتصادم مع الأخلاق التي هي إلزام وقيد، ولذلك تتحرر الليبرالية من الأخلاق ولا تحفل بها وتهتم بما يحقق الرغبات مهما كانت عبثية وتافهة إذا حققت منفعة صاحبها ولذته، وهذا ما يفسر تصاعد موجة الانحلال في الإعلام والمنتجات.

وكان الفصل الأخير حول الخطاب الليبرالي العربي، ويقسمه المؤلف لخطاب عربي كلاسيكي قديم تعامل مع الليبرالية في لحظة غزو أوربا للعالم العربي وكانت الفلسفة الليبرالية هي المهيمنة، وخطاب عربي معاصر.

ويعتبر المؤلف أن الخطاب العربي القديم كان تعاطيه معها أفضل من الخطاب المعاصر، إذ غالبهم تفاعل مع الليبرالية باعتبارها رؤى وأفكارا ومفاهيم يعاد تأصيلها من الدين والتراث ولا يتعاملون معها كنسق جاهز متكامل كما يفعل رواد الليبرالية العرب اليوم.

كما يشير المؤلف إلى أن رواد الليبرالية في عالمنا العربي برغم مرور خمس عشرة سنة على تنظيراتهم فإنهم لم ينتجوا بحثا محترما عن الليبرالية التي ينادون بها!

ويختم المؤلف كتابه بالتأكيد على زيف زعم الليبراليين أن الليبرالية هي الحل لمشاكل العالم، وأن الليبرالية هي في الحقيقة موضة سرعان ما تزول كغيرها من الشعارات، وأن ربط الحرية بالليبرالية هو ربط زائف.

نعم، لليبرالية دور في بيان فضل الحرية والعقلانية والكرامة، لكنها حرفت هذه المعاني بربطها بالمادة فقط، وحررت الإنسان من سلطة السياسة لتسقطه تحت سلطة الاقتصاد.

وبهذا يبقى الباب مفتوحا لعودة البشرية للدين، ولكن البشر يحتاجون من أهل الدين تقديم رؤى مفصلة تعالج تعقيدات الحياة.

١٩٠ ألف قتيل فقط!

قالوا: كشفت وثائق «ويكيليكس» أنه من مجموع ٢٨٤ ألف ضحية في العراق، فإن ١٩٠ ألفا قُتلوا على يد ميليشيات المالكي، كما اعتمدت سياسة المالكي على تصفية خصومه السياسيين التابعين للحلف السني، حيث قام بقتل ٥ قيادات سنية في ٢٠٠٩، وعلى رأسهم محافظ مدينة نينوى.

نجاة المضحكي –
البلاد البحرينية ٢٠١٧/١/١٩

أوربا مسلمة بعد ١٠ سنوات

قالوا: إن القارة الأوروبية التي تعيش اليوم بنمط ملحد وثني، ستتحول إلى الإسلام في غضون ١٠ سنوات بسبب غبائها، نتيجة للاجئين المسلمين المتدفقين على أوروبا والتيار الإلحادي المتزايد بسرعة بين الشعوب الأوروبية، خصوصا أن المسلمين ينجبون الأطفال، وهو الأمر الذي نفتقر إليه نحن الأوروبيين.

وأضاف أن أوروبا بدأت التحرك بصورة تتلاءم مع الاعتقاد الوثني في الوقت الذي يتم فيه تطوير قوانين معادية للذات الإلهية، مشيرا إلى أن هذا الانهيار الأخلاقي والديني يعود بالنفع على الإسلام مع ضعف الاعتقاد المسيحي وعدم عمل الكنائس بصدق وخلو الندوات التي تعقدها.

وذكر ليبراتي أيضا أن المناطق في أوروبا التي يباشر فيها القساوسة تعاليمهم الدينية ما زالت تحافظ على هويتها الدينية إلا أنه يجب العودة إلى تطبيق تعاليم المسيحية.

ووفقاً لآخر إحصائية من عام ٢٠١٠، قام بها معهد بيو، فقد وصل عدد المسلمين في كل أوروبا، عدا تركيا، إلى ٤٤ مليون نسمة، أي ما يُشكل حوالي ٦٪ من إجمالي سكان أوروبا.

كارلو ليبراتي،
رئيس أساقفة مدينة بومبي الإيطالية
موقع النشرة ٢٠١٧/١/١٩

لهذا يقتلون ويضطهدون المسلمين

قالوا: وذكر إحصاء منتدى «الدين والحياة» العامة التابع لمركز أبحاث «بيو» الأمريكي، أن عدد المسلمين في العالم، سيرتفع من ١,٦ مليار نسمة إلى ٢,٧٦ مليار بحلول ٢٠٥٠، كما سيرتفع عدد المسيحيين من ٢,١٧ مليار إلى ٢,٩٢ مليار نسمة، وسيتقلص عدد اليهود حينها بمعدل النصف، في وقت يشكلون فيه حالياً نسبة ٢٪ من سكان العالم.

وأضاف أن نسبة المسلمين في العالم ستصل من ٢٣,٢٪ في ٢٠١٠م إلى ٢٩,٧٪ بحلول ٢٠٥٠م، في حين ستبقى نسبة المسيحيين دون تغيير عند ٣١,٥٪.

وأشار إلى أن المسيحيين في الولايات المتحدة، سيتراجع عددهم من ثلاثة أرباع السكان إلى الثلثين فقط في ٢٠٥٠م، ولن تكون الديانة اليهودية وقتها هي الأكبر بعد المسيحية هناك، بل سيتعدى عدد المسلمين عدد اليهود.

موقع النشرة ٢٠١٧/١/١٦

هذه حقيقة عدالتهم وعلمانيتهم

قالوا: أوضح تقرير نشره مكتب المساواة الحكومي (GEO)، أن ٢,٧ مليون مسلم في بريطانيا يواجهون صعوبات بالغة، تحول دون حصولهم على فرص عمل أو أجور مناسبة، مقارنةً بالبريطانيين الذين يعتنقون الديانة المسيحية أو غيرها.

وأضاف، أن «عدم وجود بيانات شاملة ومتكاملة تساهم في قبول المزيد من المسلمين في التعليم العالي، تنعكس سلبًا على فرص حصولهم على فرص عمل». وأوصى الحكومة بتحديد خطة لمواجهة حالات عدم المساواة، والعنصرية التي يواجهها مسلمو البلاد في قطاع العمل.

وكشفت دراسة حكومية بريطانية أخرى، في شهر ديسمبر الماضي، أن النساء المسلمات من الأقليات البنغالية والباكستانية يواجهن عنصرية شديدة في أماكن العمل ويصعب عليهن الالتحاق بالمناصب الإدارية.

موقع النشرة ٢٠١٧/١/١٦

إيران تعبث بتركيبة ديالي الديموغرافية

قالوا: رفضت مليشيات الحشد الشعبي عودة نازحي محافظة ديالى إلى مدنهم بعد مرور أكثر من عام ونصف العام على استعادتها من سيطرة تنظيم الدولة، حيث لم يسمح لعودة أكثر من ٢٠٠ ألف نازح يتواجدون في مخيمات النزوح بعد نزوحهم من مدن «جلولاء، السعدية، المقدادية، الخالص، أبي صيدا، منصورية الجبل»، رغم التعهدات التي أبدتها السلطات الأمنية في المحافظة قبل نحو شهرين من نهاية العام الماضي بإعادة النازحين خلال مدة أقصاها ٦٠ يوما، إلا أنه لم يتغير شيء على أرض الواقع بعد مرور ١٩ يوما على انقضائها.

وقال مستشار مؤسسة أبعاد للأبحاث، المحلل السياسي وسام الكبيسي: إن محافظة ديالى منطقة إستراتيجية مهمة جدا بالنسبة للعراق ولمشروع ولاية الفقيه في المنطقة، لأنها أقرب نقطة تصل إلى بغداد، وعندما ننظر إلى الحدود العراقية- الإيرانية ونجد هذا المشروع الذي يريد التمدد في المنطقة ويستعمل العراق كنقطة انطلاق لمشروعه فإن محافظة ديالى هي التي تفصل بينه وبين بغداد.

فمحافظة ديالى هي ذات غالبية سنية سواء من العرب والكرد والتركمان، مع نسبة من الشيعة، فبالتالي من مصلحة مشروع ولاية الفقيه أن يعمل على هذه المحافظة بشكل كبير جدا، وإيران بدأت من ٢٠٠٣ في المحافظة واستغلت تنظيم الدولة لتحقيق أهدافها في المحافظة.

يشار إلى أن محافظ ديالى مثنى التميمي هو أحد قياديي مليشيا بدر بزعامة هادي العامري الذي يسيطر على القرار الأمني والسياسي في المحافظة، حسبما ذكر مراقبون.

عربي ٢١، ٢٠١٧/١/١٩

متى نفهم!

قالوا: قلنا ألف مرة إن هناك جيشا الكترونيا إيرانيا لديه ١٠٠ ألف حساب على تويتر، وفيه فرق للدول والقبائل والسلف والإخوان وأقسام السلف والجهات والحجاز و....

يوسف علاونة،
تغريدة بتويتر

بالضبط

قالوا: لو كان هناك قنوات لمواجهة الفكر المتطرف كما هو حال قنوات الكورة والدوريات لتحقق نجاح كبير في بث الوعي الوسطي والمعتدل.

بدر العامر،
تغريدة بتويتر

المستور الذي ينكشف

قالوا: كشفت صحيفة «وول ستريت» الأمريكية عن زيادة مبيعات تنظيم الدولة، نظام الرئيس السوري بشار الأسد بالنفط. ونقلت الصحيفة في تقريرها عن مسؤولين أمريكيين وأوروبيين تأكيدهم الأمر، بتوفير التنظيم الوقود «المهم للأسد»، مقابل المال «المهم للتنظيم».

ورأت الصحيفة أن العلاقة التجارية بين النظام والتنظيم ساعدت في تثبيت الأخير في مواجهة الضغط العسكري غير المسبوق عليه في سوريا والعراق، مشيرة إلى أن التبادل التجاري جرى رغم الجهود المبذولة من روسيا وإيران للقضاء على التنظيم.

وأوضح المسؤولون أن شراء الأسد النفط والغاز من تنظيم الدولة يعد مصدر التمويل الرئيسي حاليا، وحلت مكان العوائد التي جمعها التنظيم سابقا من رسوم نقل البضائع والضرائب على الأجور داخل مناطق سيطرته.

وقال المسؤول بوزراة الخارجية الأمريكية، عموس هوكشتاين إن «أرباح التنظيم وإنتاجه للطاقة يدعمها حاليا النظام السوري».

وتشير «وول ستريت جورنال» إلى التناقض الحاصل في سلوك الأسد، حيث أن حكومته تحصل على الغاز والنفط من التنظيم، في الوقت الذي تخرج فيه تصريحات معادية له.

وكشف مسؤولون غربيون عمّا يعتقدونه ردة فعل التنظيم على تأخر نظام الأسد، حيث يشكون في أن تنظيم الدولة قام بتفجير حقل غاز سوري منفصل في الأسبوع الأول من الشهر الجاري لإرسال رسالة التأخر بالدفع وضرورة القيام به.

عربي ٢١، ٢٠١٧/١/٢٠

عجز الثقة

قالوا: مد إرهاب الولي الفقيه الصفوي يصل إلى جبل تومور في ألبانيا بتشييد مقام العباس، والمعنيون نيام.

مصطفى كامل،
تغريدة بتويتر

الحمد لله

قالوا: دعاؤكم - يوم كنتم تدعون - لحلب، لم يذهب سدى، قد استجاب الله ضراعتكم وعلم صدقكم، فمن رأى سير الأحداث من بعد، يعلم أنه مجيب دعوة المضطرين.

د. لطف الله خوجة،
تغريدة بتويتر

حوثنة التعليم وخطره على الأجيال الصاعدة في اليمن

أبو مالك ماجد الحكمي – صفحته على الفيس بوك

السيطره على التعليم وتوجيه بوصلة التعليم في اليمن، تتصدر اولويات الحركه الحوثية. فبعد تعيين يحيى بدر الدين الحوثي الشقيق الاكبر لزعيم الحركة الحوثيه وزيراً للتربية والتعليم في الحكومة الانقلابية ، بدء اتباع الحركة الحوثية يفرضون أفكارهم المنحرفة وعقائدهم الفاسدة في المؤسسات التعليمية، وسارعوا لتغيير بعض المناهج الدراسية، وقاموا باستبدال مدراء المدارس والمعلمين، باخرين موالين للحركة ويحملون نفس العقائد والأفكار.

وقاموا بتدريس (ملازم) المؤسس الأول للحركة الحوثية حسين بدر الدين الحوثي، وادخالها ضمن المنهج التعليمي، وهم بذلك يشوهون أفكار الطلاب بتعبئة طائفية مقيته ، ويجبرون الطلاب على ترديد الشعارات الحوثية والصرخة بدلاً من النشيد الوطني. ويمنحون شهادات نجاح ومعدلات مرتفعة للموالين لهم.

وتسعى قيادات الحركة الحوثية إلى إحكام السيطرة على مفاصل التعليم، عن طريق تعيين مدراء مكاتب ومدراء مدارس من الموالين لهم، رغم أنهم لاعلاقة لهم بالعمل التعليمي.

كما تصر على استخدام المدارس في الدعاية ونشر أفكارهم بين طلاب المدارس، وكل ذلك لتنشئة جيل عقائدي موالي لهم. فالتعليم هو أقوى سلاح يمكنك استخدامه لتغيير العالم.

فلذلك يقوم أتباع الحركة الحوثية، وبتوجية من يحيى بدرالدين الحوثي (وزير التعليم الانقلابي)، بزرع محتويات مذهبية في مناهج التعليم، وجعل (ملازم) حسين بدرالدين الحوثي تزاحم الكتاب المدرسي.

وعقب تعيين يحيى بدرالدين الحوثي وزيراً للتعليم في حكومة الإنقلابيين، شكل لجنة لإعادة صياغة المناهج التربوية، سيما مواد التربية الإسلامية والتاريخ.

بل وصل الأمر بيحيى بدر الدين الحوثي، أن وجه بإتلاف كتاب (التربية الإسلامية) داخل مطابع الكتاب المدرسي.

وكان ذلك بعد ان وجد في الكتاب صورة توضيحية لطفلة تصلي وهي ضامة يديها وليست مسربلة، واعتبر هذه الرسمة تخدم ما أسماه التوجه (الوهابي).

وتقوم الحركة الحوثية بإرسال أتباعها إلى المدارس لتدريس (ملازم) حسين بدرالدين الحوثي - وهذه الملازم تحوي محاضراته التي جمعت- والتي تمثل المصدر الفكري الوحيد المنقول عن مؤسس الحركة، الذي يغذي عقول أتباع الحركة.

إن التغذية الفكرية لطلاب التعليم في اليمن بالفكر الحوثي، سيكون ورقة سوداء في قادم الأيام. والجدير بالذكر أنهم يعدون لمنهج تعليمي جديد، ذو صبغة طائفية بامتياز، يسعون لتعميمه في العام الدراسي القادم، في المدارس التي يسيطرون عليها.

وكل ذلك من أجل الحصول على جيل يمكن أن يدفع مستقبله وحياته بسهولة ثمناً في سبيل ما يعتقد، وستدفع الأجيال الصاعدة في اليمن ثمن حوثنة التعليم.

الدعم الغربي للحركات الشيعية المعارضة في الخليج العربي

المرصد الاستراتيجي – ٢٠١٥/٧/١٥

التدخل في الشؤون الداخلية والدور التأزيمي لبرامج دعم الديمقراطية في دول مجلس التعاون:

تبنت الإدارة الأمريكية السابقة سياسة «دعم الديمقراطية» في الشرق الأوسط باعتبارها أحد أهم ركائز الأمن القومي للولايات المتحدة، وأفضل وسيلة لمواجهة التشدد الإسلامي، حيث عبر الرئيس الأمريكي السابق عن ذلك في خطاب له عام ٢٠٠٣ بقوله:

«منذ ستين عاماً والدول الغربية تغض الطرف عن غياب الحريات في الشرق الأوسط، ولكن هذا التغاضي لم يجلب لنا الأمن، لأنه لا يمكن تحقيق الاستقرار على حساب الحرية، وسيكون من غير المقبول بعد الآن القبول بالوضع الحالي في المنطقة».

ولتحقيق ذلك فقد اعتمدت الإدارة الأمريكية في مطلع عام ٢٠٠٤ برنامجا طموحا يهدف إلى إحداث متغيرات جذرية في بنية الأنظمة العربية وسياساتها الداخلية، من خلال برامج تنفذها مؤسسات دعم الديمقراطية وتتضمن: تنظيم برامج تدريبية، وإقامة ندوات حوارية، وعقد اجتماعات تنسيقية مع الشخصيات السياسية المعارضة يهدف: «نشر ثقافة الديمقراطية» وتدريب: «زعماء المعارضة» على المطالبة بتحسين أوضاعهم وفق المبادئ والأسس الديمقراطية.

وكان من أبرز الجهات المستفيدة من هذه البرامج جماعات التشيع السياسي في الخليج العربي، حيث ظهرت دراسات متعددة تحدد اتجاهات التيارات الدينية والجماعات التي يمكن للإدارة الأمريكية التفاوض معها، وتعتبر الدراسة التي قدمتها مؤسسة «راند» عام ٢٠٠٣ أحد أهم المحاولات التي بذلت لوضع أسس التعاون مع الجماعات الدينية، كما أصدر قسم البحوث والدراسات بالكونجرس الأمريكي دراسة مهمة عام ٢٠٠٦ بعنوان: «سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في دعم الديمقراطية: المعضلة الإسلامية»، واستخدم فيها لأول مرة مصطلح: «المناطق الرمادية» لتحديد مدى اقتراب تلك الجماعات أو ابتعادها عن استحقاقات الدولة المدنية بعداً أو قرباً.

وتزامن صدور هذه الدراسات مع عقد لقاءات بين مسؤولين أمريكيين وقادة جماعات شيعية في عواصم غربية، وعلى إثر تلك اللقاءات تعززت علاقات جماعات التشيع السياسي مع الإدارة الأمريكية التي سهلت لزعمائها فرص المشاركة في برامج تدريب و«تأهيل القادة»، وحظيت هذه الجماعات بتمويل سخي من منظمات دعم الديمقراطية وبالأخص منها: «الوقف القومي للديمقراطية» (National Endowment for Domocracy)، التي تعمل في أكثر من ١٠٠ دولة حول العالم، وقد بلغت ميزانيتها السنوية: ١١٥ مليون دولار عام ٢٠٠٩، و١١٨ مليون دولار عام ٢٠١٠، و١٠٥ ملايين دولار عام ٢٠١١.

أما بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: فقد بلغ مجموع ما أنفقته (NED) عام ٢٠٠٩ على برامج دعم الديمقراطية: ١٧,٨٢١,٠٠٠ دولار، وأنفقت عام ٢٠١٠ على هذه البرامج ١٥,٤٢٠,٠٠٠ دولار، وكان لمصر والبحرين نصيب كبير من هذا التمويل.

وعلى الرغم من تحفظ (NED) على المبالغ التي تدفعها للمعارضة الشيعية في البحرين على سبيل المثال؛ إلا إنه من الواضح أن: جمعية الشفافية البحرينية والجمعية البحرينية لحقوق الإنسان والمركز البحريني لحقوق الإنسان التي يهيمن عليها كوادر جماعات التشيع السياسي هي من أبرز الجهاز المستفيدة من تمويل هذه المنظمة.

كما عمدت الإدارة الأمريكية إلى تنظيم برامج تدريبية لقادة الجمعيات الشيعية المعارضة في كل من: البحرين، والمغرب، والولايات المتحدة الأمريكية، ومنها برنامج «قادة الديمقراطية» الذي رعته وزارة الخارجية الأمريكية عام ٢٠٠٨، وشارك فيه زعماء من المعارضة الراديكالية في بعض دول مجلس التعاون.

كما حظيت هذه الجماعات بدعم السفارات الأمريكية في دول الخليج العربية التي تدير برامج «مبادرة الشراكة الشرق أوسطية» (MEPI) لتعزيز الديمقراطية، والتي قامت بتنظيم زيارات رسمية لزعاماتهم مع مسؤولين وأعضاء في الكونغرس، وربطهم بالصحافة الغربية والمنظمات الحقوقية الرسمية والأهلية.

وقد بدأت هذه المبادرة عملها عام ٢٠٠٤ من خلال تمويل منظمات غير حكومية لدعم حقوق الإنسان في العالم العربي، ومن أبرز الذي عملوا مع هذه البرامج، واستفادوا من تمويلها: رئيس تحرير صحيفة الوسط منصور الجمري، وأمين الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان عبد الله الدرازي، ورئيس الجمعية البحرينية للشفافية عبد النبي العكري، وكذلك عبد الهادي الخواجة ونبيل رجب بمركز البحرين لحقوق الإنسان.

وبعد تنفيذ مجموعة برامج مع قيادات المعارضة المحظورة، ركزت (MEPI) على تدريب عناصر شابة من الجيل الجديد، عبر دورات تدريبية تناولت: «التأثير على الرأي العام من خلال الرسائل المصورة»، و«تدريب الصحفيين والمدونين على تحسين حقوق الإنسان وحمايتها»، ومن أبرز الذين استفادوا من هذه البرامج مريم بنت عبد الهادي الخواجة، وزوجها عبد النبي المسقطي، ومجموعة من الصحفيين والمدونين والمسؤولين النقابيين.

ولما اندلعت الأحداث بالبحرين في شهر فبراير ٢٠١١ ظهرت بصمات هذه الخلايا التنظيمية من خلال نشاط المدونين، والنقابيين، وناشطي حقوق الإنسان، وغيرهم من المنضوين لدورات وبعثات برامج (MEPI) ومن الملفت للانتباه أن القائمين على هذا البرنامج قد انبروا لدعم نشاط الخلايا المعارضة في أروقة السياسة الأمريكية، إذ عُينت مريم الخواجة رئيسا على طلبة البرنامج في جورج تاون، واستدعيت لإلقاء كلمة أمام لجنة حقوق الإنسان في الكونغرس، كما نظمت المؤسسة لها مقابلة مع وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلنتون.

وعمدت (MEPI) إلى اعداد برنامج زيارة حافلة لكل من نبيل رجب وعبد الجليل السنكيس، وحظيت شباب البحرين لحقوق الإنسان التي يترأسها محمد المسقطي (زوج مريم الخواجة) بدعم من البرنامج، الذي أمّن للمسقطي تغطية إعلامية غير مسبوقة خلال الأحداث.

في هذه الأثناء نظم المعهد الوطني الديمقراطي (NDI) بالتعاون مع المنظمة الأمريكية الأمريكية للسلام (USIP) ملة عدائية غير مبررة ضد البحرين، تضمنت عقد مجموعة لقاءات متلفزة عبر الإنترنت مع معارضين قاموا بمهاجمة الحكم في البحرين، وشارك في هذه الحملة أعضاء من: جمعية الوفاء، وجمعية وعد، وجمعية البحرين لحقوق الإنسان، والاتحاد البحريني لنقابات العمال، وجمعية شباب البحرين لحقوق الإنسان.

وفي تعليق على النشاط الذي قام به كل من (MEPI) و(NDI) و(IRI) ضد الحكم في البحرين؛ كتب رون نيكسون مقالاً في صحيفة نيويورك تايمز أشار فيه إلى أن الثورة التي وقعت في البحرين كانت من فعل مجموعات ممولة ومنظمة من قبل برامج دعم الديمقراطية الأمريكية، وأكد نيكسون حصول هذه المجموعات على مبالغ وتدريب من قبل الإدارة الأمريكية بهدف شن الحملات، ومخاطبة الرأي العام، والتعامل مع وسائل الإعلام، ومراقبة الانتخابات، وعلى رأس هؤلاء كوادر مركز البحرين لحقوق الإنسان.

وقد ظهر في هذه الأحداث مجموعة من أقطاب هذه البرامج، وعلى رأسهم ليسلي كامبل، الذي كان يترأس برنامج (NDI). ثم انضم إلى فريق (IRI) وقد أكد كامبل أن المعهد قد: «ساعد أكبر مجموعة معارضة في البحرين على تنظيم نشاطها السياسي»، وإجابة على التساؤل حول كيفية الاجتماع مع قادة هذه الجمعية والتنسيق معهم، أجاب كامبل: «لدينا برامج مشتركة معهم، وتترسخ هذه العلاقة من خلال تقديم الدورات التدريبية لهم».

حركة التشيع السياسي وتقاطعات الدعم الإيراني – الغربي

ويمكن تتبع تقاطعات الدعم والتمويل الإيراني – الغربي لهذه الجماعات من خلال جهود تعزيز الشبكة الشيرازية في المجال الحقوق والتي أنشأت عدة خلايا لهذه الشبكة في تسعينيات القرن الماضي؛ حين قررت «الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين» نشر كوادرها في الغرب، ونجحت في تأسيس قواعد ارتكاز لها في الدنمارك (الذي استقر بها الخواجة وأسس فيها «المنظمة البحرينية لحقوق الإنسان» عام ١٩٩٢) وكذلك في: السويد، وبلجيكا، وبريطانيا، وإسبانيا، والولايات المتحدة الأمريكية التي قدم إليها رجل الدين الشيرازي السيد حسن القزويني عام ١٩٩٣، ونشط في «المركز الإسلامي» بمسجد ديترويت في ولاية ميتشيغن، والذي يمثل أهمية للشيعة في أمريكا بسبب وجود أعداد كبيرة من الشيعة اللبنانيين في تلك المدينة، وقد أعيد بناء المسجد عام ٢٠٠٥ ليصبح أكبر مسجد في الولايات المتحدة بتكلفة قدرها ١٥ مليون دولار.

وعلى إثر إعلان المبادرة الإصلاحية في البحرين؛ قام أعضاء الحركة «الرسالية» بتأسيس «مركز البحرين لحقوق الإنسان» الذي أشهر بالبحرين في يونيو ٢٠٠٢، وكان من أبرز المساهمين في تأسيسه إضافة إلى عبد الهادي الخواجة: رئيس جمعية «الرسالة» الشيرازية جعفر العلوي الذي تولى مهمة تأسيس «اللجنة الوطنية للشهداء وضحايا التعذيب في البحرين»، والرئيس الحالي لجمعية «خلاص» عبد الرؤوف الشايب الذي تولى رئاسة اللجنة التابعة للمركز مدة ثلاث سنوات.

واهتم المركز بتدريب عشرات الناشطين من كوادر الحركة الرسالية، وربطهم بشبكات الحركة في الغرب، واستغل عبد الهادي الخواجة عضويته في مختلف الجهات الحقوقية بالغرب لضم خلايا الحركة الرسالية إلى هذه المنظمات، مستفيداً من الفرص التي توفرت له، وبالأخص منها تكليفه من قبل برنامج (Equitas) الكندي لتعليم حقوق الإنسان بتأسيس شبكة إقليمية لمعلمي حقوق الإنسان عام ٢٠٠٤، وكذلك من خلال عمله في تدريب كوادر حقوقية في البحرين والخليج العربي عامي: ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ لصالح منظمة

Frontline. وعلى الصعيد نفسه نشط برنامج Middle East Partership Initiative بالبحرين في مجال تدريب عناصر شابة من الجيل الجديد، عبر دورات تناولت: «التأثير على الرأي العام من خلال الرسائل المصورة»، و«تدريب الصحفيين والمدونين على تحسين حقوق الإنسان وحمايتها»، ومن أبرز الذين استفادوا من هذه البرامج مريم عبد الهادي الخواجة، وزوجها محمد عبد النبي المسقطي، ومجموعة من الصحفيين والمدونين والنقابيين.

كما أشرف الوقف القومي للديمقراطية National Endowment for Democracy على تقديم الدعم المالية للمنظمات البحرينية المعارضة في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن أبرز المعارضين الذين يتمتعون بدعم هذه المؤسسة: المعارض البحريني حسين عبد الله من خلال مركزه: (Americans for Democracy and Human Rights in Bahrain) الذي يحظى بتمويل NED، وقد كرمته هذه المؤسسة عام ٢٠١١ تقديراً لجهوده في دعم الديمقراطية في العالم العربي.

وكان حسين عبد الله قد قدم إلى الولايات المتحدة لدراسة البكالوريوس ثم الماجستير في العلوم السياسية، وعمل بعد ذلك متدرب في الكونغرس الأمريكي، واستغل عمله لتكوين علاقات مع أعضاء لجنة حقوق الإنسان في الكونغرس الأمريكي، واستغل عمله لتكوين علاقات مع أعضاء لجنة حقوق الإنسان في الكونغرس الأمريكي Congressional Human Rights Commission، وعلى رأسهم: السيد James MCGovern، والسيدة Donna Edwards، اللذين يدعماه في الدوائر الرسمية، ولديهما علاقة وثيقة بلجنة حقوق الإنسان في البرلمان البريطاني والتي كان يترأساه Lord Averbury، حيث عقدوا فعاليات مشتركة في الفترة ٢٠٠٨ ٢٠١٠، ضمت عبد الهادي خلف، وحسن مشيمع، ونبيل رجب، وعبد الجليل السنكيس، ومريم الخواجة.

وبالإضافة إلى علاقاته مع شخصيات أمريكية متعاطفة مع اللوبي الإيراني في واشنطن؛ تمتع حسين عبد الله بصلات وثيقة مع زعماء التيار الشيرازي، وكذلك مع قناتي: «العالم»، و«المنار» حيث يعد همزة الوصل بين الشخصيات المعارضة في الداخل والنشاط المعارض في الخارج، ويمارس مهمة لتواصل وتبادل المعلومات مع كل من: منظمة العفو الدولية، وهيومن رايتس ووتش، ومنظمة أطباء بلا حدود، والبرلمان الأوروبي، ومنظمة صحفيين بلا حدود.

جدير بالذكر أن حسين عبد الله يمثل نموذجاً لتغلغل كوادر التيار الشيرازي المعارض في النشاط الحقوقي بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان أغلب عناصر هذا التيار قد قدموا إلى الولايات المتحدة الأمريكية كطلبة، وحصلوا على بعثات دراسية وتمويل من صناديق ومؤسسات شيعية، كما لعبت بعض المؤسسات الأمريكية دوراً في ابتعاث عدد من الطلبة مثل منحة Fulbrigth، وغيرها من البعثات التي تقدمها مؤسسات دعم الديمقراطية.

وقد شكلت هذه المجموعات مؤخراً: «اللجنة البحرينية للتنسيق» (Bahrain Coordinating Committee) والتي تضم سبع منظمات حقوقية معارضة تهدف إلى توحيد جهود اللوبي وتشكل نشاطا ضاغطا في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي:

Americans for Democracy and Human Rights in Bahrain, Bahrain Watch, Bahrain Witness, Bahrain Human Rights Society, Bahrain Centre for Human Rights, Bahrain Youth Society for Human Rights, Bahrain Forum for Human Rigths.

وقد حظيت هذه اللجنة لدعم وتأييد عشرات منظمات حقوقية غربية وعربية، كما انبرت مجموعة من المنظمات الحقوقية والقنوات الفضائية العراقية للتسويق لهذه اللجنة وإجراء المقابلات مع القائمين عليها، وخاصة في حملاتهم للمطالبة بالإفراج عن عبد الهادي الخواجة، والفعاليات التي يتم تنظيمها للإفراج عن نبيل رجب، إضافة إلى دعوة الإدارة الأمريكية للضغط على حكومة البحرين بهدف الإفراج عن المتورطين في الأحداث الأخيرة.

وتثور فضائح التمويل الإيراني لبعض الشخصيات العلمية بين الفينة والأخرى، فقد تزامن نشر كتاب «بعد الشيوخ: الانهيار القادم للأنظمة الملكية في الخليج» لمؤلفه كريستوف ديفيدسون من جامعة درم البريطانية مع قيام صحيفة «غارديان» بنشر مقال (١٠ فبراير ٢٠١١) تحدثت فيه عن تلقي جامعة درم مبالغ طائلة من الإدارة الأمريكية لإجراء دراسات وعقد فعاليات حول إيران، حيث قامت الجامعة بالتواصل المباشر مع شخصيات دينية متشددة ودعت مسؤولين إيرانيين للمشاركة في هذه الفعاليات.

وبالإضافة إلى التمويل الأمريكي؛ أقر كريستوفر ديفيدسون بأن الجامعة قد تلقت أموالا من الحرس الثوري الإيراني، وكذلك من السفارة الإيرانية وذلك بهدف: «عقد فعاليات تهدف إلى تقريب وجهات النظر بين الغرب ومختلف مؤسسات الحكم في إيران».

وذكرت الصحيفة أمثلة عن مبالغ حصلت عليها الجامعة من الإدارة الأمريكية ومن الحكومة الإيرانية على حد سواء، ومن جملة ذلك مبلغ خمسة آلاف جنيه إسترليني سلمته الحكومة الإيرانية إلى الجامعة لعقد ندوة عام ٢٠١٠.

وأشارت الصحيفة إلى أنه على الرغم من ادعاء ديفيدسون أن هذه البرامج تهدف إلى تعزيز الديمقراطية وتشجيع الحكومة الإيرانية إلى دعم الحريات العامة واحترام حقوق الإنسان؛ إلا أن ديفيدسون في الواقع لا ينتقد الحكم في إيران على الإطلاق، بل يقوم (مع مجموعة من طلابه) بشن حملات إعلامية ضد دول الخليج العربية والبحرين بصفة خاصة، ويبشر في الإعلام الغربي بقرب «سقوط الأنظمة الخليجية»، حيث تحدث في برنامج «سكاي نيوز»، في فبراير ٢٠١٢، عن فرص «السقوط الاقتصادي» لإمارة أبو ظبي بعد الأزمة التي مرت بها دبي.

ورأت الصحيفة أن الدافع الحقيقي لموقف ديفيدسون السلبي من دولة الإمارات العربية المتحدة هو غضبه من مشاركتها في قوات ردع الجزيرة التي دخلت البحرين عام ٢٠١١، كما يقوم عدد من طلاب ديفيدسون بالمساهمة في حملات المعارضة الشيعية ضد الرياض والمنامة ويعملون مع أقطاب المعارضة المتطرفة في بريطانيا وعلى رأسهم سعيد الشهابي وابنته آلاء، حيث يعمل تلميذه «مارك أوين جونز» (Marc Owen Jones) مع آلاء الشهابي في موقع «مراقب البحرين» Bahrain Watch ويشاركهم في إدارة الموقع أمريكي من أصل غيراني وباحثين أمريكيين وباحثين أمريكيين يعملون جميعاً ضمن دائرة اللوبي الإيراني في واشنطن.

كما ينشط عدد من الأكاديميين البريطانيين في لندن ضمن هذه الدائرة من خلال عقد فعاليات في جامعاتهم، ويستفيدون من عضوياتهم في مراكز بحثية بريطانية مرموقة لنشر مادة إعلامية ضد دول الخليج العربي والبحرين بصفة خاصة، ومن ضمن هؤلاء الباحثين «كريستيان أولريكسون» (Kristian Ulrichsen) الذي لم يسمح له بدخول دولة الإمارات العربية المتحدة في ٢٣ فبراير ٢٠١٣ للمشاركة في مؤتمر تنظمه كلية لندن للدراسات الاقتصادية London School of Economics بجامعة لندن بالتعاون مع الجامعة الأمريكية في الشارقة حول التحولات في الشرق الأوسط، حيث يشترك أولريكسون مع ديفيدسون في تهجمه بعلاقات مشبوهة مع الشهابي، إذ إنه يعتبر أحد أبرز المشاركين في الفعاليات التي تنظمها المعارضة الخليجية المقربة من إيران في العاصمة البريطانية لندن.

جدير بالذكر أن الشبهات تحوم هذه الكلية منذ فترة، ففي نهاية التسعينيات تحدثت الصحافة البريطانية حول تغلغل عناصر إرهابية متشددة فيها، وفي الفترة التالية أظهرت فضيحة منح سيف الإسلام القذافي في شهادة الدكتوراه نظير التمويل السخي الذي حصلت عليه من والده معمر القذافي.

وقد أصدر كبير القضاة في بريطانيا اللورد وولف تقريراً في نوفمبر ٢٠١١ أكد فيه إدارة كلية لندن للدراسات الاقتصادية (LSE) بجامعة لندن قد: «ارتكبت أخطاء ووقعت في تجاوزات أساءت كثيرا إلى سمعتها».

بيان ببغي عصابة جند الأقصى الخارجية ومساندة جبهة فتح الشام لهم

مجلس شورى أهل العلم في الشام
بيان المجلس رقم: ٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ [البقرة: ٢٧].

والقائل: ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمره الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ [الرعد: ٢٥].

والقائل: ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون في كل مرة وهم لا يتقون، فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون، وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾ [الأنفال: ٥٨].

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل:
«ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه» رواه مسلم.

والقائل: «من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له» حديث حسن رواه أبو داود في سننه وأحمد في مسنده... أما بعد:

فإن الفصائل الثورية والجهادية في سورية، التي وقفت في وجه عصابة النظام النصيري وأشياعهم، تتعرض الآن لامتحان صعب، وعقبة كؤود في المناطق المحررة، أمام شدة هجمات الطائرات الروسية والنصيرية، والحشد المجوسي، وأذنابهم من الخوارج كلاب أهل النار من عصابة ما يسمى (جند الأقصى).

لقد كشرت عصابة جند الأقصى الخارجية الباغية، منذ أشهر عن أنيابها، ومن قبلها أمها داعش، ضد الفصائل المقاتلة، وارتكبت بحقهم مختلف أنواع الجرائم والفساد، من القتل والاغتيال والسطو المسلح على العتاد والأموال المعصومة، وباتت جرائمها مكشوفة للقاصي والداني، ولم تعد تخفى على أحد.

وإن حماية جبهة فتح الشام لهؤلاء الأشرار المرة بعد الأخرى، والحيلولة دون اجتثاثهم، ومنع القصاص من كبراء مجرميهم، لهو أمر يستحق الوقوف عنده، وبيان مخالفته للمنقول والمعقول.

فإن الفصائل جميعا قد اكتوت بنار هذه العصابة الداعشية الخارجية، حتى جبهة فتح الشام، وبات محتما على الجميع تخليص الساحة من شرورهم، وملاحقتهم في كل ناحية، وقتلهم قتل عاد، وقد صدر من مجلس شورى أهل العلم قبل أشهر فتوى مطولة، ببيان شرهم وغدرهم بالمسلمين، ووجوب الأخذ على أيديهم، وقتلهم واجتثاثهم (وذلك برقم ٥١، وتاريخ ٦ محرم ١٤٣٨هـ) فحالت دون ذلك فتح الشام عند قبولها ببيعتهم...

والآن أعادوا تجميع فلولهم، باسم فتح الشام، وتحت رايتها، وقاموا بضرب أحرار الشام في جبل الزاوية بقرية إيلين وغيرها من جديد.

لذا فإننا في مجلس شورى أهل العلم نبين ما يلي:

١- تجميل جبهة فتح الشام المسؤولية لقبولهم بيعة هؤلاء الخوارج الأشرار، ونرى وجوب وقوفها مع الفصائل في جهادهم ضد هذه الشرذمة المارقة.

٢- حماية جبهة فتح الشام لهؤلاء المجرمين، والحيلولة دون القصاص منهم، ثلمة كبيرة في سجل فتح الشام الجهادي.

٣- على جبهة فتح الشام أن تعلن البراءة منهم ديانة، وتترك حمايتهم والدفاع عنهم، ولا يحسن بها الدفاع عنهم أبدا، حتى لا يضيع جهادها، ولا تزرع فتنة صماء في قتال الفصائل المجاهدة، فتبوء بإثم ما يسفك من الدماء المحرمة، ويسلب من الأموال المعصومة، فيتسلط العدو على ما تبقى من المحرر، قال عليه الصلاة والسلام: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من غير منار الأرض» رواه مسلم.

٤- إن جبهة فتح الشام قطعت على نفسها منع عصابة جند الأقصى عند مبايعتهم لها من بغيهم وعدوانهم، وأوهمت الفصائل بقدرتها على ضبطهم، والأخذ على أيديهم، فرضيت الفصائل حفظا للساحة، ومنعا للفوضى، التي تضعف الفصائل، وتقوي الأعداء، لكنها لم توف بهذا العهد أبدا، وهذا فيه نكث للعهد، فتطالبها بالوفاء بعهدها، أو رفع حمايتها لجند الأقصى...

٥- إن ساندت جبهة فتح الشام عصابة جند الأقصى، فهي تدخل نفسها ومن معها من الجنود تحت حكم الله تعالى: بالبغي على الفصائل المجاهدة الأخرى، ونقض العهود والمواثيق، وإيواء المحدثين في الأرض، لأجل شرذمة مارقة ليس لها دواء إلا القتل، وترتهن لفتاوى عابرة للحدود في تكفير فصائل الساحة عدوانا وظلما.

٦- إن الأحداث الأخيرة في جبل الزاوية، كشفت لنا تلبيس فتح الشام على الفصائل، وأنها عاجزة عن ضبطهم، والأخذ على أيديهم، وباتت الشكوك تراود الجميع أن فتح الشام ما هي إلا ركن خفي في دعم هذه العصابة المجرمة، وعدوانها على الفصائل، فتطلب منهم إصدار بيان رسمي في هذا، وإلا فإن سكوتهم على عدوان جند الأقصى على الفصائل، وعدم منعهم من ذلك، والتظاهر بموقف المستقل، عند رد الفصائل لهذا البغي، لهو قرينة دالة على مشاركة فتح الشام لهم في هذا البغي والعدوان، وإن لم يصرحوا بذلك، فإن لسان الحال أقوى من لسان المقال.

٧- من حق الفصائل المجاهدة الدفاع عن نفسها، ورد بغي وصيال جند الأقصى، ومن يقف خلفهم سواء كانت جبهة فتح الشام أو غيرها، فهذا حق مشروع كفلته الشريعة الإسلامية، بل واجب لا يحل تركه أبدا.

٨- إذا ثبت أن جبهة فتح الشام هي المحركة لعصابة جند الأقصى في اعتدائها الأخير في جبل الزاوية على الفصائل، فإننا في مجلس شورى أهل العلم ندعو جميع جنود وقادة فتح الشام للانشقاق عنها، وتركها، والالتحاق بالفصائل الأخرى، فلا يحل البقاء معهم، ولا تكثير سوادهم، ولا القتال معهم.

وإن هذا البيان يشمل كل من يحمل فكر الجند وقد تبنى منهجهم، وفعل فعلهم، فحكمه حكمهم بأي اسم تسمى فردا كان أو جماعة أو فصيلا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مجلس شورى أهل العلم في الشام

الأحد: ٢٤ ربيع الثاني لعام ١٤٣٨ هـ - الموافق: ٢٢ / كانون الثاني/ ٢٠١٧

التهجير القسري في سوريا
السياسات، الأدوات والتبعات

د. ياسر سعد الدين – مركز أمية للبحوث ٢٠١٧/١/٢٠

التهجير القسري – تعريف وتوصيف

التهجير القسري هو سلوك وممارسة تنفذها قوى حكومية أو شبه عسكرية أو مجموعات متعصبة تجاه مجموعات عرقية أو دينية أو مذهبية، بهدف إخلاء مدن وقرى وأقاليم لإحلال مجاميع ومجموعات سكانية مختلفة عرقيا أو مذهبيا أو طائفيا بديلا عنها، ليصار إلى تغيير سكاني – ديمغرافي.

التهجير القسري يعرّفه القانون الدولي الإنساني بأنه «الإخلاء القسري وغير القانوني لمجموعة من الأفراد والسكان من الأرض التي يقيمون عليها»، وهو ممارسة مرتبطة بالتطهير وإجراء تقوم به الحكومات أو المجموعات المتعصبة تجاه مجموعة عرقية أو دينية معينة، وأحيانا ضد مجموعات عديدة بهدف إخلاء أراضٍ معينة لنخبة بديلة أو فئة معينة، وتعتبر المواد (٢)، (٧)، (٨) من نظام روما الأساسي، التهجير القسري جريمة حرب.

عمليات التهجير القسري، تُعدّ وفق المادة (٤٩) من اتفاقيات جنيف الأربع، المؤرخة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩، والبروتوكولان الملحقان بها لعام ١٩٧٧، جرائم حرب دامغة. وتشكل عمليات التهجير القسري انتهاكاً فاضحًا «لاتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية» التي أقرتها الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، والتي تعدّ - في مادتها الثانية- أن كل ما يؤدي إلى التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية، بمنزلة إبادة جماعية.

تغيير البنية الاجتماعية في سوريا ما بين التشيع والتهجير

بعد الهيمنة الإيرانية على العراق إثر الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، اندفع الإيرانيون باتجاه تشكيل مشروع الهلال الشيعي، لتكون العراق وسوريا ولبنان مناطق نفوذ للسياسة الإيرانية وتابعة لها وتدور في فلكها. النفوذ الإيراني في لبنان من خلال حزب الله كان وما زال جليا وصارخا، من هنا عمد الإيرانيون وخصوصا في مرحلة حكم بشار الأسد إلى محاولات للهيمنة على سوريا من خلال تغيير البنية الاجتماعية المذهبية لها عن طريق نشر التشيع في صفوف أبنائها. وقد رصد معارضون وسياسيون نشاطا إيرانيا محموما في هذا الإطار (ما بين عامي ٢٠٠٦- ٢٠٠٧) وصدرت عن «جبهة الخلاص الوطني» المعارضة بقيادة عبد الحليم خدام نائب الرئيس الأسبق بيانات تحذر من خطر التشيع على البنية الاجتماعية والديموغرافية السورية.

تعددت أدوات التشيع وأساليبه في سوريا منها على سبيل المثال: إنشاء عدد كبير جدا من المزارات الشيعيّة في أنحاء مختلفة من البلاد، الإغراءات الماليّة والاقتصاديّة والتعليمية للفقراء، الإعلام الموجه، ونفوذ حزب الله السياسي والعسكري خاصّة بعد حرب لبنان عام ٢٠٠٦، ونشوء الحلف الثلاثي (حزب الله –الأسد –إيران) والذي دفع بعمليات التشيّع والنفوذ الإيراني ليصل إلى أوجه في سوريا.

وكمثال للتغلغل الشيعي فقد أنشئ في منطقة السيدة زينب وحدها أكثر من ١٢٢ حوزة شيعية وثلاثة كليات للتعليم الديني الشيعي، ما بين العام ٢٠٠١ و٢٠٠٦، كما حصلت أول جامعة إسلامية شيعية على ترخيص أمني للعمل في سوريا في عام ٢٠٠٣. وقد كانت عملية التشيع صارخة وفاقعة الأمر الذي حدا بأكثر من ٢٠٠ من كبار علماء الشام وسوريا لإصدار بيانا في تموز٢٠٠٦، موجّها بشكل مباشر وخاص إلى بشّار الأسد، يعبرون فيه عن غضبهم وحنقهم من المد الشيعي الحاصل في البلاد مع إشارات واضحة إلى أنّه يتم برعاية رسمية وبخلاف كل القوانين المعمول بها في البلاد بما في ذلك القوانين والقرارات الحكوميّة والرسميّة والتي تسري حتى على الشأن السنيّ (مجلة المجلة ١٨- ٨- ٢٠١٦، علي حسين باكير).

وقد صدرت دراسات وكتب عديدة ترصد نشاطات التشيع في سوريا في تلك الفترة وتوثقه منها دراسة نشرت عام ٢٠٠٩ للبروفيسور خالد سنداوي، وهو متخصص في الدراسات الشيعيّة بعنوان «التحوّل الشيعي في سوريا»، ودراسة للمعهد الدولي للدراسات السوريّة في فترة متقاربة بعنوان «البعث الشيعي في سوريا ١٩١٩- ٢٠٠٧».

وفي مرحلة ما بعد اندلاع الثورة السورية ووقوف إيران وحزب الله وميلشيات شيعية عسكريا مع نظام الأسد، تبدلت استراتيجية التشيع والتي تحتاج إلى وقت وجهود لتحل محلها عمليات متسارعة من التهجير القسري والتغيير الديموغرافي. ولم تكن سوريا استثناء فقد سبقتها وما تزال تسابقها عمليات تهجير وتغيير ديموغرافي في العراق تستهدف العرب السنة تحديدا وبشكل واضح وفاضح.

رأس النظام والتهجير القسري

صدرت عن بشار الأسد مواقف وتصريحات مباشرة وغير مباشرة تتناول مسألة التهجير القسري والتغير السكاني، منها: في كلمة مطولة إلى رجال دين تابعين لنظامه خلال لقاء جمعه بهم في نيسان ٢٠١٤، قال بشار الأسد أنه يوجد عشرات الآلاف من الإرهابيين السوريين (الثوار) وأن خلفهم حاضنة

اجتماعية تقدر بملايين السوريين معتبرا أن ذلك يعني أن البلاد أمام حالة فشل أخلاقي واجتماعي.

خلال كلمة ألقاها الأسد ٢٠١٥/٧/٢٦ أمام وفود رسمية ونقابية، قال إن «الوطن ليس لمن يسكن فيه أو يحمل جنسيته وجواز سفره، بل لمن يدافع عنه ويحميه»، مشيداً بدعم إيران العسكري والاقتصادي والسياسي والمشاركة الفعلية لحزب الله بالقول «إخوتنا الأوفياء بالمقاومة اللبنانية امتزجت دماؤهم بدماء إخوانهم في الجيش وكان لهم دورهم المهم وأداؤهم الفعال والنوعي».

بعيد إتمام عملية التهجير القسري في داريا وعقب أداءه صلاة عيد الأضحى يوم ٢٠١٦/٩/١٢ في المدينة الخاوية على عروشها والمفرغة تماما من أهلها وأبنائها، رد الأسد على سؤال مندوب وكالة سانا عما يتردد عن قضية التغير السكاني في داريا وأمثالها بقوله إن التغيير الديمغرافي يتغير عبر الأجيال لافتا إلى أن ذلك يستند إلى مصالح المواطنين في تلك المناطق. وقال الأسد: عمليا سوريا كأي بلد متنوع، الحالة الديمغرافية تتبدل عبر الأجيال بسبب مصالح الناس الاقتصادية، والحالة الاجتماعية والظروف السياسية تتنوع لذلك لا تستطيع أن ترى مدينة كبرى ولا صغرى طبعا لا أتحدث عن الريف فالقرى وضع مختلف لكن المدن دائما تكون متنوعة وخاصة داريا والمدن التي تكون قريبة من المدن الكبرى كدمشق وحلب فهي مدن متنوعة لا يمكن أن تكون من لون واحد وشكل واحد.

في لقائه مع صحفيين أجانب في ٢٠١٦/١١/١ منهم مديرة مكتب نيويورك تايمز في بيروت آن برنارد قال الأسد: النسيج الاجتماعي في سوريا هو اليوم أفضل بكثير من ذي قبل.

أساليب ووسائل التهجير القسري والتغيير الديموغرافي

إعادة التنظيم العمراني وإطلاق مشاريع كبرى: بدأت هذه المشاريع فيما مرحلة ما قبل اندلاع الثورة السورية وكانت البداية بمشروع «حلم حمص» بإشراف محمد اياد غزال محافظ حمص السابق والمقرب من الأسد عام ٢٠١٠ وكان المشروع أحد أسباب الاحتقان في حمص والتي أدت لتأجج الاحتجاجات الشعبية. كان المخطط يرمي لتهديم حمص القديمة وبناء مراكز تجارية بقلب المدينة التاريخي وإنشاء أبراج سكنية لمضاعفة الاستيعاب السكاني من مليون إلى ثلاثة ملايين لتغيير التركيبة الديمغرافية لأحياء حمص بجلب سكان من الريف والقرى واسكانهم بالمدينة. تكرر المشهد والمخطط في محيط دمشق وتحديدا في بساتين المزة من خلال المرسوم التشريعي رقم /٦٦/ بتاريخ ٢٠١٢/٩/١٨ والقاضي بإحداث منطقتين تنظيميتين في مدينة دمشق الأولى في منطقة جنوب شرق المزة من منطقتين عقاريتين، الأولى مزة – كفرسوسة والثانية جنوب المتحلق الجنوبي وتضم المناطق العقارية مزة – كفرسوسة – قنوات - بساتين داريا – القدم. تدخل إيران بشكل سافر في موضوع تلك المناطق وإعلانها عزمها على بناء مشروع أبراج سكنية تدعى الأبراج الإيرانية كون تلك المنطقة ملاصقة للسفارة الإيرانية بشكل مباشر، يدخل ضمن إطار المحاولات المحمومة للتغيير الديموغرافي للمنطقة.

شراء العقارات: قام تجار ومقاولون إيرانيين بشراء عقارات وأراض سكنية في مدن السورية بتشجيع ودعم من الحكومة الإيرانية وبتعاون من نظام الأسد. وجندت إيران شبكة من العملاء في المخابرات والأمن ومن تجار العقارات ومجموعات السماسرة وأصحاب المكاتب العقارية في سوريا، عبر ضخها ملايين الدولارات في محاولات محمومة منها لشراء عقارات وأملاك السوريين المنهكين من الحرب والراغبين بالفرار من الموت، لصالح أفرادها وعناصرها في كل منطقة حيوية (الشرق الأوسط ٢٦- ٣- ٢٠١٦). في نفس السياق نشر موقع السورية نت تقريرا ٢٨- ٧- ٢٠١٥ وردت فيه شهادة لاحد سكان دمشق قال فيها أن تجار يتبعون لإيران اشتروا منازل في قلب دمشق بمبالغ كبيرة، وأنه «قد باع منزله في حي المزرعة بـ ٤٠ مليون ليرة لرجل أعمال خليجي، تبين فيما بعد أنه يعمل لصالح شركات إيرانية تعمل على السيطرة على أكبر قدر ممكن من المنازل في دمشق». ويضيف الدمشقي في شهادته «بعتُ منزلي وسافرت إلى تركيا متيقناً أني لن أعود إلى هذه المدينة يوماً لأني لم أكن الأول ممن باعوا بيوتهم لإيرانيين فهناك الكثير من الأمثلة لأشخاص باعوا بيوتهم في العدوي والمزرعة وشارع بغداد».

اقتراف المجازر ونشر الرعب في صفوف المدنيين: اقترفت قوات الأسد العديد من المجازر بحق المدنيين إضافة لإعمال الاعتقال والتعذيب الوحشي والذي كان النظام بتقديري يسرب متعمدا أفلام وصور لها لبث الرعب والخوف في قلوب السكان ودفعهم للنزوح والهروب. ومن أبرز هذه المجازر والتي شكلت علامات فارقة في تتابع الأحداث وما آلت إليه (ساسة بوست ٢٦- ١- ٢٠١٦):

مجزرة الحولة: وقعت يوم ٢٥ مايو ٢٠١٢م في قرية الحولة بريف حمص، ضحاياها ١٠٨ قتيل بينهم ٣٤ امرأة و٤٩ طفلاً. اقتحمت قوات الأمن والشبيحة القرية تحت غطاء من قذائف الدبابات حيث قام الشبيحة باقتحام البيوت وذبح من فيها.

مجزرة القبير: وقعت يوم ٦ يونيو ٢٠١٢م في قرية القبير قرب مدينة حماة، ضحاياها ١٠٠ قتيل بينهم ٢٠ طفلاً و٢٠

امـرأة. اقتحمـت قـوات الأمـن والـشبيحة القريـة وقتلـت مـن سكانها تحت وابل من قصف صاروخي لجيش النظام.

مجزرة داريا: وقعت ما بين ٢٠ – ٢٥ أغسطس ٢٠١٢م في مدينة داريا بريف دمشق، ضحاياها ما بين ٤٠٠ – ٥٠٠ قتيل. قامت قوات النظام بشن قصف مدفعي عنيف على المدينة مما أوقع عددًا من القتلى. اضطر السكان على وقع القصف العنيف للهرب منه باتجاه مسجد سليمان الديراني لكن قوات النظام حاصرت المسجد وقامت بتصفية السكان داخله، كما أوقعت العديد من عمليات الإعدام الجماعية.

مجزرة نهر حلب: وقعت في الفترة بين ٢٩ يناير و١٤ مارس ٢٠١٣م في حوض نهر حلب. في نهاية شهر يناير ٢٠١٣م تم العثور على ما يقارب ١١٠ جثة لرجال وصبية تم تقييد أيديهم من الخلف وتكميم أفواههم بشريط لاصق مع وجود عمليات تعذيب واضحة وآثار طلقات نارية في الرأس. تقرير لمنظمة هيومان رايتس ووتش أشار إلى أن هؤلاء القتلى لم ينخرطوا مع قوات المعارضة، وأنهم مجرد سكان في المدينة تم إلقاء القبض عليهم خلال نقاط التفتيش الخاصة بجيش النظام السوري. وفي الفترة بين فبراير ومنتصف شهر مارس تم العثور على ما بين ٨٠ إلى ١٢٠ جثة إضافية بنفس الوصف السابق حيث كان يتم العثور على عدة جثث بشكل شبه يومي.

مجزرة البيضاء: وقعت في يومي ٢ و٣ مايو ٢٠١٣م في قرية البيضاء بمحافظة طرطوس. ضحاياها أكثر من ٧٢ قتيلًا. فقد قتلت قوات الجيش والشبيحة المرافقة عددا كبيرا من المدنيين في القرية بعد اقتحامها للقرية أعقاب حدوث اشتباكات بين الجيش والمعارضة قرب البيضاء.

مجزرة جديدة الفضل: اقترفت بين يومي ١٦ – ٢١ أبريل ٢٠١٣م في منطقة جديدة الفضل في ريف دمشق، ضحاياها أكثر من ٥٠٠ قتيل. فبعد حصار محكم، قامت قوات النظام السوري بعمليات قصف صاروخي وعمليات إعدام ميدانية بحق سكان المنطقة، بالإضافة لعمليات مداهمة للسكان خلال محاولة دفن جثث ذويهم. بعيد ذلك تم العثور على مئات الجثث بينها العشرات لأطفال ونساء في صورة هياكل عظمية محروقة.

مجزرة الغوطة–الكيماوي- : وقعت يوم ٢١ أغسطس ٢٠١٣م في الغوطة شرق دمشق. تمت المجزرة باستخدام الأسلحة الكيماوية المحظورة دوليا، حيث راح ضحيتها المئات من سكان المنطقة نتيجة استنشاقهم لغاز الأعصاب القاتل بعد قيام قوات اللواء ١٥٥ المتمركز بمنطقة القلمون بإطلاق ١٦ صاروخًا بدءًا من الساعة الثانية والنصف فجرًا باتجاه منطقة الغوطة الشرقية، ثم أطلقت صواريخ أخرى باتجاه مدينة زملكا وبلدة عين ترما ومدينة المعضمية بمنطقة الغوطة الغربي.

العبث بالسجلات العقارية والشؤون المدنية: تم حرق السجلات والعقارية والمدنية لطمس حقوق الأهالي (السنة غالبا) للعقارات، واستبدالها بملكيات للشيعة والعلويين كما فعل النظام في حمص ٢٠١٣- وميليشيات الحماية الكردية لصالح الأكراد في منبج ٢٠١٦ (دراسة عن التهجير القسري – مركز جسور – سبتمبر ٢٠١٦). في نفس السياق، نقل تقرير لمارتان شيلوف في الجارديان البريطانية (١٤- ١- ٢٠١٧) عن مسؤولين كبار في لبنان يراقبون ما يعتقدون بأنه إحراق منهجي لمكاتب السجل العقاري في المناطق السورية التي استعاد النظام السيطرة عليها، فعدم وجود سجلات يجعل من الصعب بالنسبة للمقيمين إثبات ملكية المنزل. والمكاتب التي تم تأكيد حرقها هي في الزبداني، وداريا، وحمص والقصير على الحدود اللبنانية، التي استولى عليها حزب الله في أوائل عام ٢٠١٣.

كما قامت إيران بالتعاون مع أجهزة النظام بتزوير بيانات وقيود السجلات العقارية وتزوير وكالات ووثائق الكتّاب بالعدل وغيرها مما يتعلق بنقل الملكيات العقارية، ومن ثم نقلت الملكيات، إما مباشرة عن طريق دوائر السجل العقاري في المناطق، أو عن طريق استصدار أحكام قضائية لدى المحاكم المدنية. كما عمدت إيران من خلال نظام الأسد إلى تجنيس لشخصيات من مكونات غير سورية جلبتهم من الخارج وطلبت من النظام تجنيسهم مقابل الدفاع عنه، فهناك مجموعة كبيرة تقدرا بالآلاف من الشخصيات والعناصر والميليشيات تم تجنيسها، لتصبح مستوطنات إيرانية في سوريا، حسب المعلومات التي يتم تناقلها (الشرق الأوسط ٢٦- ٣- ٢٠١٦).

سياسة الحصار والتدمير والتخيير بين التهجير والإبادة: محاصرة المدن والقرى وتجويعها وحرمان أهلها من مقومات الحياة. وإجبار السكان المحاصرين على توقيع هدن مقابل وقف القصف السجادي والبراميلي عليها تمهيدا لتهجيرهم من مدنهم وقراهم، تحت ضغط الجوع والحصار والتهديد بالإبادة. سياسة بدأت عام ٢٠١٣، وأصبحت سياسة معلنة ومطبقة بعدها.

في الفقرة التالية نستعرض بعضا من النماذج الصارخة لهذه الممارسات التي ترقى إلى جرائم إبادة وجرائم ضد الإنسانية.

مناطق ونماذج صارخة من التهجير القسري

بدأ النظام وداعمه الإيراني ومن بعد الروسي بتطبيق سياسة تخيير المحاصرين من أهل المدن والقرى المستهدفة ما بين التجويع والإبادة أو التسفير والتهجير، بشكل علني عام

٢٠١٣ وتصاعد الأمر ليصل إلى مدينة حلب نهاية العام الماضي. ضمن هذا الإطار، نشر مراسل صحيفة الغارديان البريطانية في بيروت مارتن شيلوف والحائز على جائزة اورال للصحافة تقريرا في الصحيفة ١٤- ١- ٢٠١٧، كشف فيه قيام إيران بتنفيذ عمليات تغيير ديموغرافي، عبر طرد سوريين من دمشق ومحيطها وتأمين الطريق الرابط بين العاصمة السورية والحدود اللبنانية من خلال إحلال عائلات من العراق ولبنان محل العائلات السنية التي يتم طردها، الأمر الذي سينعكس مستقبلاً ليس على سوريا وحدها، وإنما أيضاً على النفوذ الإيراني في المنطقة، بحسب التقرير. ونقل التقرير عن مسؤول لبناني كبير قوله إن إيران والنظام لا يريدون أياً من السنة بين دمشق وحمص والحدود اللبنانية، مضيفا بأن هذا يمثل تحولا تاريخيا في التركيبة السكانية.

فيما يلي بعض من المناطق التي تعرضت للتهجير القسري والتطهير المذهبي:

القصير: اجتاحتها مليشيات حزب الله، عام ٢٠١٣، وهجرت أهلها ودمرت مساجدها، ومنعت أهلها من العودة إليها، ووطنت مكانهم شيعة من مليشيات طائفية وأهمهم لواء الرضا مع عائلاتهم، ولم يخف الحزب نيته تحويلها ملاذا آمن للشيعة، حيث يؤكد النائب اللبناني معين المرعبي تواجد مطلوبين للحكومة اللبنانية من حزب الله، مقيمين فيها، متمتعين بحماية مليشيات الحزب (التهجير القسري – الجسور للدراسات – سبتمبر ٢٠١٦). المدينة التي تحولت إلى ثكنات عسكرية ومراكز لتدريب الميليشيات الشيعية شهدت عرضا عسكريا كبيرا لحزب الله بمناسبة ما يسمى بيوم الشهيد ١٣- ١١- ٢٠١٦ شارك فيه المئات من مقاتلي الحزب، بالإضافة إلى فوج المدرعات الذي استعرض عشرات الدبابات والآليات الثقلية والمدافع.

مدينة حمص: المدينة التي شهدت كما ذكر سالفا محاولات من النظام لتبديل تركيبتها السكانية في مرحلة ما قبل الثورة، بدأ منها تطبيق سياسة التهجير القسري والتغيير السكاني. فقد تعرضت أحياء المدينة القديمة والتي تسكنها أغلبية سنية إلى قصف واسع وتدمير شبه كامل دفع معظم أهلها للجوء والنزوح. وبعد حصار دام لعامين، انتهى بعقد اتفاق بين النظام ومعارضيه برعاية روسية في ٤ أبريل ٢٠١٤، يقضي بإخراج المقاتلين البالغ عددهم ٢٢٥٠ مقاتلاً، إضافة إلى المدنيين الذين كانوا محاصرين معهم في المدينة إلى الريف الشمالي. هذا الاتفاق أدى، بحسب الناشط الإعلامي في مدينة حمص يعرب الدالي إلى تفريغ المدينة من معارضي النظام، واستقطاب موالين بدلاً عنهم، حيث انخفض عدد سكان حمص من مليون ونصف نسمة قبل بداية أحداث الثورة السورية إلى قرابة ٤٠٠ ألف نسمة حالياً، بعد أن تم تهجير قرابة ٦٥٪ من سكان المدينة الأصليين نحو دول الجوار ومحافظة إدلب (حسام الجبلاوي – مركز رفيق الحريري للدراسات الشرق الأوسط).

داريا: أربع سنوات من الحصار والجوع والقصف أجبرت من بقي من سكان داريا على التفاوض مع النظام في أغسطس ٢٠١٦، والقبول بالتهجير القسري الذي فرضه عليهم أو إبادتهم، لتتحول المدينة التي كانت تضم ٢٥٠ ألف نسمة قبل الثورة إلى مدينة فارغة من سكانها وخاوية على عروشها. بقيت داريا محاصرة أربع سنين محرومة من قوافل المساعدات الطبية والغذائية لتدخلها في ١٠ يونيو ٢٠١٦ أولى قوافل الأمم المتحدة وفد غاب عنها المساعدات الضرورية وحضرت حبوب موانع الحمل وخيم مقاومة البعوض. كانت شروط النظام بعد قصف عنيف وبشكل متواصل استخدم فيه كل أنواع الأسلحة: إما إخلاء المدينة بشكل كامل وتام وإلا إفنائها وإبادة من بقي فيها بالقذائف والحمم، ولم يكن أمام المحاصرين المنهكين وفي ظلال صمت دولي ولا مبالاة عالمية إلا القبول بشروط النظام القاسية والرضوخ لها. وبحسب تقرير نشرته الغارديان البريطانية على موقعها (١٤- ١- ٢٠١٧) فقد تم استقدام ٣٠٠ عائلة شيعية عراقية للاستيطان في داريا التي هجر منها أهلها.

معضمية الشام: بعد سنوات من الحصار القاس وبعد عمليات القصف المستمر دخلت معضمية الشام في ريف دمشق الغربي في مسار التهجير والتغيير الديموغرافي ليكتمل بالتهجير ما بدأه النظام باستهداف الحياة حصارا وقصفا. ففي يوم ١٩- ١٠- ٢٠١٦ تم إخراج مئات المقاتلين مع عائلاتهم نحو إدلب شمال سوريا.

الزبداني: منطقة الزبداني من المناطق المستهدفة بالتهجير والتغيير السكاني، ففي مفاوضات جرت أغسطس ٢٠١٥ بين وفد إيراني وحركة أحرار الشام بالنيابة عن جيش الفتح، طالب الإيرانيون بمبادلة السكان الشيعة في كفريا والفوعة الواقعتين في إدلب بسكان الزبداني الواقعة في ريف دمشق وبشكل متعاكس. وهو ما رفضته المعارضة وأدى إلى انهيار تلك المفاوضات. غير أن محاولات التهجير السكاني المحمومة استمرت بوتيرة متسارعة. ففي تقرير نشره موقع الجزيرة نت ٣١- ٧- ٢٠١٦ أكد الأهالي وناشطون أن حزب الله اللبناني ينفذ تهجيرا طائفيا ممنهجا للسكان بمنطقة الزبداني المحاذية للحدود مع لبنان، حيث أجبر الحزب أكثر من خمسين عائلة على مغادرة منازلهم بمنطقة العقبة، ثم نهب مقاتلو الحزب

المنازل وأحرقوها. وروت إحدى السكان أن مقاتلي الحزب اقتحموا المنطقة وطلبوا من الأهالي إحصاءً دقيقا لسكان كل منزل، مبررين ذلك بجلب مساعدات من الأمم المتحدة، وبعدها مباشرة بدأت عملية التهجير على مراحل، حيث أبلغوا ساكني كل حارة بوجوب المغادرة خلال خمسة أيام. ووفق المجلس المحلي في بلدتي مضايا وبقين، فإن هذه الواقعة تعد حلقة في «مسلسل التهجير الممنهج» الذي ينفذه حزب الله في منطقة سهل الزبداني بتسهيل من قوات النظام، حيث أجبر الحزب نحو مئتين وخمسين عائلة على مغادرة منازلهم خلال عامين، كما أجبروا قرابة خمسين ألف مدني على النزوح من الزبداني. ويقول رئيس المجلس المحلي محمد عيسى «أدركنا منذ بداية المعارك في المنطقة أن الهدف هو تغيير التركيبة السكانية على أساس طائفي، عبر تهجير الأهالي بغض النظر عن توجههم السياسي، فحتى المؤيدون للنظام تم تهجيرهم». ويضيف أن الجامع الكبير في بلدة الحوش حوله حزب الله إلى حسينية شيعية «ما يؤكد الدافع الطائفي وراء عمليات التهجير»، معربا عن مخاوفه من تغيير التركيبة السكانية بالمنطقة وتحويل كل المساجد إلى حسينيات.

مدينة حلب: تم تهجير أغلب سكانها تحت القصف المتواصل والبراميل والصواريخ، فتناقص عدد سكانها في المناطق الشرقية التي كانت تحت سيطرة المعارضة منذ عام ٢٠١٢، من نحو ثلاث ملايين إلى ٣٠٠ ألف نسمة. ومع اشتداد الحصار القاتل والقصف الروسي بأسلحة وصواريخ متطورة وفراغية رضخ المعارضون وتم توقيع اتفاق في ديسمبر ٢٠١٦ والذي نص على تهجير ونقل المقاتلين وعشرات الآلاف من المدنيين نحو ريف حلب أو محافظة إدلب. نفذت قوات النظام والميليشيات التي تقاتل معها حملات إعدام ميدانية فور بسط سيطرتها على أحياء حلب الشرقية ، منها إعدام الكادر الطبي لمشفى الحياة في حي الكلاسة، بعد اقتحامها للمستشفى أثناء تمشيطها للمنطقة. كما أعدمت ٣٤ شخصا وأحرقت حتى الموت تسعة اطفال في حي الفردوس، كما نفذت مجموعة من الإعدامات الميدانية في أحياء الكلاسة، الفردوس، الصالحين وبستان القصر. ويبدو أن أحد أهداف تلك الحملات بالإضافة إلى الانتقام، دفع عموم المدنيين إلى النزوح والهجرة والفرار والتخلي عن بيوتهم وممتلكاتهم.

التهجير الداخلي في أرقام

تتباين التقديرات في أعداد النازحين واللاجئين في سوريا وهو أمر طبيعي نظرا لطبيعة الصراع القاسية واساليب الدمار العنيفة والسياسة الوحشية التي يستخدمها النظام وداعموه. ومع التباين بين التقديرات إلا إنها جميعها تجمع على ضخامة الكارثة وعظم المصاب السوري والذي أصبح من أعظم المآسي الإنسانية في عصرنا الحالي وربما على مر الدهور والعصور. ففي تقرير صدر عن «مركز رصد النزوح الداخلي» والذي يتبع للمجلس النرويجي للاجئين في ١٣- ٥- ٢٠١٤ تصدرت سوريا قائمة البلدان التي تشهد نزوحا داخليا في العالم خلال عام ٢٠١٣، مع وصول عدد الهاربين من هول الأحداث المتواصلة إلى ٩٥٠٠ شخص يوميا؛ إذ سجل نزوح عائلة واحدة على الأقل كل دقيقة. وذكر التقرير أن سوريا تشهد أكبر أزمات النزوح في العالم وأسرعها تفاقما، لافتا إلى أن نسبة النازحين السوريين داخل بلادهم تبلغ ٤٣ في المائة. وبحلول نهاية عام ٢٠١٣، كان ٨,٢ مليون شخص قد نزحوا على مدار العام، بزيادة قدرها ١,٦ مليون نازح جديد عن العام السابق. وهذا الأمر يمثل زيادة مذهلة تبلغ ٤,٥ مليون نازح على الرقم المسجل في عام ٢٠١٢، مما يشير إلى ارتفاع قياسي للعام الثاني على التوالي. في حين نشر الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية إحصائية قبيل إصدار التقرير النرويجي، قدرت أعداد النازحين داخل سوريا ٨,٨ مليون، مقابل ٣,٢ مليون لاجئ خارج سوريا. ولفتت إحصائية الائتلاف إلى أن خمسة ملايين ونصف المليون طفل بحاجة إلى مساعدة، منهم أربعة ملايين و٣٠٠ ألف داخل سوريا، و٢,٨ مليون طفل سوري خارج التعليم، و٨ آلاف حالة اغتصاب.

في مؤتمر صحفي عقد في العاصمة الأردنية عمان يوم ٢٤ أكتوبر ٢٠١٦ ونشر تفاصيله موقع المفوضية، قال المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين فيليبو غراندي بأنه منذ بداية الصراع في عام ٢٠١١، نزح أكثر من ٦,٥ مليون شخص داخل سوريا بينما لجأ حوالي خمسة ملايين شخص إلى الخارج، لا سيما إلى البلدان المجاورة. وقال غراندي: «إن حدود سوريا مغلقة تقريباً أو يصعب جداً عبورها، وتشعر البلدان المجاورة بأن قدراتها استُنفدت مع استقبال حوالي خمسة ملايين لاجئ سوري. وهذا يعني أن السوريين عالقون داخل سوريا في هذا الوضع المستحيل». وأضاف غراندي: «هذا يعني أن النزوح داخل سوريا سيزداد أكثر فأكثر. ونحن نقدر بأن يكون ٦,٥٧ مليون شخص خارج منازلهم اليوم، وأنا متأكد من هذا العدد سيرتفع إذا لم يتوقف القتال».

في مقال نشره موقع سي إن إن العربي بتاريخ ٢٦- ١٢- ٢٠١٦ بقلم فادي الجردلي (بروفيسور في السياسات والأنظمة الصحية في الجامعة الأمريكية في بيروت وعضو مجلس إدارة منتدى الأنظمة الصحية العالمية) ورشا فضل الله (باحثة في شؤون الأنظمة الصحية وعضو في منتدى الأنظمة الصحية العالمية)، جاء فيه أن المعنيون بالشأن الإنساني يصفون الأزمة السورية بأنها أسوأ أزمة إنسانية في تاريخنا المعاصرة، فيما تشير التقديرات إلى أن عدد النازحين داخل سوريا يقارب ٧,٥

مليون نازح، في حين يتجاوز عدد من نزحوا إلى الدول المجاورة ٤,٨ مليون.

التهجير القسري والمواقف الدولية

تراوحت المواقف الدولية مما يحدث في سوريا من تهجير قسري وجرائم حرب من مواقف سلبية تحاول التستر والتهرب من مسؤولياتها بتصريحات وتنديدات لفظية جوفاء إلى تواطؤ وتورط بأشكال عدة في التهجير القسري إن كان بأساليب مباشرة أو غير مباشرة.

فيما يلي استعراض مختصر لمواقف الأمم المتحدة والولايات المتحدة وروسيا:

الأمم المتحدة: لعبت الأمم المتحدة دورا سلبيا للغاية منذ بدايات حملات التهجير القسري ٢٠١٣ وتراوح دورها بين الوساطة غير الأخلاقية في اتفاقيات التهجير القسري أو الإشراف عليها. وعلى الرغم من صدور قرارات من مجلس الأمن ومنها القرار ٢٢٥٤ والذي تضمن إدخال المساعدات الإنسانية إلى المناطق المحاصرة، فإن مجلس الأمن والأمم المتحدة عجزت أو تظاهرت بالعجز أمام قصف الطائرات الروسية ١٩- ٩- ٢٠١٦ رتلاً لشاحنات إغاثة كانت متوجهة إلى بلدة أورم الكبرى بريف حلب الغربي، مما أدى إلى إحراق شاحنات الإغاثة ومقتل العديد من عناصر الهلال الأحمر المرافقة لتلك الحملة.

في عددها الصادر في ٢٩- ٨- ٢٠١٦ نشرت صحيفة الغارديان البريطانية تحقيقا استقصائيا يكشف عما يمكن اعتباره تواطؤ من الأمم المتحدة في دعم نظام الأسد. وأماط التقرير اللثام عن تقديم الأمم المتحدة مساعدات بملايين الدولارات لنظام بشار الأسد في سوريا من خلال برامج المساعدات الإنسانية التي تقدمها المنظمة لمتضرري الحرب في سوريا. وأشارت الغارديان إلى أن النظام استغل هذا البرنامج لمصلحته من خلال شركات محددة سمح لها بالتعاون مع الأمم المتحدة، اتضح لاحقاً بأنها شركات عائلية تابعة للأسد وعائلته، الأمر الذي أتاح للنظام الاستفادة من ملايين الدولارات. وبحسب تحقيق الصحيفة، فإن غالبية الشركات التي تتعامل معها الأمم المتحدة في سوريا هي شركات يفترض أنها خاضعة لعقوبات اقتصادية من طرف الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، ومن بينها شركة لأسماء قريبة بشار وأخرى لابن خاله رامي مخلوف. وهكذا تتحول المعونات الأممية التي يفترض أنها لمساعدة السكان المحاصرين إلى أدوات ووسائل لتشديد الحصار عليهم ودفعهم لقبول النزوح والتهجير القسري.

وتحت عنوان «مساعدات الأمم المتحدة لا تصل إلى معظم المناطق السورية المحاصرة»، نشرت الغارديان البريطانية في عددها الصادر يوم ١٢- ٩- ٢٠١٦ تقريرا صادما. فقد عرضت الصحيفة بيانات تُظهر أن حوالي ٩٦٪ من المساعدات تذهب إلى مناطق النظام، في الوقت الذي لا تصل فيه سوى ٤٪ من المساعدات إلى مناطق المعارضة، ونتيجة لذلك، فإن كل الوفيات بسبب الجوع في سوريا حدثت في مناطق المعارضة. وأكدت معدتا التقرير الصحافيتان إيما بيلز ونك هوبكنز على أن: استراتيجية الجوع حتى الركوع، التي يعترف بها النظام، عادة ما تتوج بهدنة محلية، تتوسط فيها الأمم المتحدة وتدعمها، ويؤكد على ذلك مشهد خروج المدنيين المجوعين من بلدات تم تحويلها إلى أكوام من الركام، تصاحبهم سيارات الأمم المتحدة البيضاء اللامعة، مشهد أصبح مألوفاً. كما ذكر التقرير أنّ عدم وصول المساعدات إلى البلدات المحاصرة كان سببا رئيسيا لإخلاء بلدات من سكانها.

وفي مؤتمر صحفي عقب انهيار المفاوضات في جنيف ١٩- ٤- ٢٠١٦، انتقد رياض حجاب عدم التزام الأمم المتحدة بتطبيق تعهداتها في البنود الإنسانية، كاشفاً أن المبعوث الدولي إلى سوريا ستيفان دي مستورا لم يستطع انقاذ شاب مريض في بلدة مضايا التي تحاصرها ميليشيا حزب الله اللبناني، رغم المناشدات العديدة التي وجهتها المعارضة إلى الأمم المتحدة لإخراجه، كما عجزت الأمم المتحدة عن إدخال علبة حليب للأطفال المحاصرين. وذكر حجاب أن أكثر من ٦٠٪ من المساعدات الأخيرة التي وصلت شملت مواد تنظيف.

عقب بدء عملية الترحيل من حلب الشرقية صرح المبعوث الأممي الخاص إلى سوريا ستيفان دي ميستورا في ٢٢ ديسمبر ٢٠١٦: «ذهب الكثيرون منهم إلى إدلب التي يمكن أن تصبح حلب التالية»، موجهاً بذلك رسالتين، أولاها: اعتبار المرحّلين من حلب مطاردين لا ضحايا، وهذا وصف يجيز لمشهد الحصار والتشريد تعقب أثرهم أينما حلوا، دون التطرق مباشرة لوصفهم بأنهم إرهابيون أو حتى معارضون غير مرحب بهم، وثانيها: اعتبار الترحيل من حلب خطوة منجزة نحو مخرج سياسي تسمح بالعودة لمسلسل جنيف، وليس جريمة حرب في بشاعتها - كالتي وقعت في سربرنيتشا أو أشد خزياً- تستوجب الانتقال بالمشهد نحو لاهاي. وعلى اعتبار مكانة صاحب التصريح في الأمم المتحدة؛ لنا أن نفهم في موقف هذه الأمم مباركة لسياسة الحصار والتهجير، وسرورا لدرجة تسمح بتجاوز مواثيق حقوق الإنسان، لا سيما أن الأمم متحدة تعاطت بشكل مختلف مع تقدم المعارضة في حلب بينما سارعت إلى توجيه نداء للمعارضة لإبرام هدنة ٧٢ ساعة عقب

تمكن الأخيرة من كسر الحصار في يوليو الماضي، أي في وقت ظهر فيه وكأن رؤية موسكو للحل من خلال «نموذج غروزني» مهددة بالفشل (طارق أحمد بلال – الجزيرة نت، ٢٩- ١٢- ٢٠١٦).

الولايات المتحدة الأمريكية: في خطاب الاتحاد لباراك أوباما يوم ١٢- ١- ٢٠١٦وصف مقاربته للأزمة السورية بأنها النهج الأكثر ذكاءً. ويبدو أن المقصود أن واشنطن تترك الآخرين ليتورطوا عمليا وأخلاقيا وعسكريا في سياسات تخدم أهدافها ومصالحها مع التنديد اللفظي والإعلامي بتلك السياسات. السياسة الأمريكية في المنطقة والتي بدأت في العراق قامت على التأجيج الطائفي وإعادة رسم خريطة المنطقة ابتداء من تصريحات لمسؤولين أمريكيين عقب احتلال العراق ٢٠٠٣ عن شرق أوسط جديد. مرورا بحديث صحفي لواشنطن بوست مطلع ٢٠٠٥ لوزيرة الخارجية الأميركية حينها كونداليزا رايس، كشفت فيه عن نية الولايات المتحدة بتشكيل الشرق الأوسط الجديد عبر نشر ما أسمته الفوضى الخلاقة في المنطقة. أما مدير الاستخبارات الأميركية جون برينان فقد قال في أكتوبر ٢٠١٥: عندما انظر إلى الدمار في سوريا وليبيا والعراق واليمن يصعب على أن اتخيل وجود حكومة مركزية في هذه الدول قادرة على ممارسة سيطرة أو سلطة على هذه الحدود التي رسمت بعد الحرب العالمية الثانية. أما مدير المخابرات الأمريكية السابق مايكل هايدن فصرح لصحيفه لو فيجارو الفرنسية في حزيران ٢٠١٦ بأن هناك دولتين ستختفيان من الشرق الأوسط قريبا، وذلك علي ضوء اتفاقية سايكس بيكو، لنواجه الحقيقة لم يعد هناك وجود للعراق ولا سوريا ولبنان، مضيفا: اصبح كل هذا تحت مسميات عديده فهناك الدولة الإسلامية والقاعدة والاكراد والسنه والشيعة تحت مسمي سابقا سوريا والعراق.

سياسات الولايات المتحدة في سوريا شجعت –إن لم نقل تورطت- وبطريقة غير مباشرة في جريمة التهجير القسري والتطهير العرقي من خلال سياساتها القائمة على تأجيج الطائفية والعرقية في سوريا أيضا. فواشنطن تدخلت بشكل مباشر وجيشت العالم من أجل مدينة عين العرب- كوباني في حين لم تحرك ساكنا وهي تشهد تدميرا شاملا وممنهجا لقرى ومدن سورية تسكنها غالبية عربية سنية. في تقرير بعنوان «لم يكن لنا مكان آخر نذهب إليه» لمنظمة العفو الدولية صدر أكتوبر ٢٠١٥، كشف النقاب عن موجة من عمليات التهجير القسري وتدمير المنازل والتي تُعد بمثابة جرائم حرب نفذتها الإدارة الذاتية بقيادة «حزب الاتحاد الديمقراطي» الحزب الكردي السوري والذي سيطر على المنطقة. ويفضح التقرير التهجير القسري وعمليات هدم المنازل في شمال سوريا موثقا أدلةً على وقوع انتهاكات مفزعة، من بينها روايات شهود عيان وصور ملتقطة بالأقمار الاصطناعية، موردا تفاصيل عن عمليات تهجير متعمدة لآلاف المدنيين فضلاً عن تدمير قرى بأكملها في مناطق تخضع لسيطرة «الإدارة الذاتية»، وتُعتبر الإدارة الذاتية حليفاً أساسياً على الأرض للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة في قتالها ضد «داعش». وبطبيعة الحال لم تندد واشنطن بسلوك حلفائها الذين دربتهم وسلحتهم ناهيك عن محاسبتهم ومساءلتهم!

ولعل تصريحات مندوبي أمريكا وبريطانيا وفرنسا، خلال جلسة طارئة لمجلس الأمن الدولي بشأن حلب يوم ١٣- ١٢- ٢٠١٦، تختصر الموقف الأمريكي والدولي من التهجير القسري. فقد دعت المندوبة الأميركية لمجلس الأمن، سامنثا باور، إلى إجلاء آمن للمدنيين، وخاطبت مليشيات النظام وإيران بقولها: عار عليكم ما فعلتموه في حلب. فيما طالب مندوب فرنسا بالعمل على وقف إراقة الدماء، وإجلاء السكان بشكل آمن، وتقديم المساعدة لمن هم بحاجة إلى ذلك، أما المندوب البريطاني لدى الأمم المتحدة، ماثيو رايكروفت فقد قال، إن على النظام وأتباعه تسهيل إجلاء المدنيين من حلب. تصريحات المسؤولين الثلاثة تختزل جريمة التهجير القسري بالمطالبة بتنفيذها بشكل آمن دون الحديث عن وجوب معاقبة مقترفيها وجلبهم للعدالة الدولية، وفي الأمر تشريع خطير لجريمة كبرى تمس شعب بريء.

روسيا الاتحادية: الدور الروسي في جريمة التهجير القسري في سوريا كان صريحا وواضحا ومن غير موارية ولا مداهنة. بدا التحريض الطائفي –والذي يشكل بذرة السوء للتهجير القسري- الروسي مبكرا حين صرح لافروف في مارس ٢٠١٢ بأن روسيا لن تسمح بقيام حكم سني في سوريا. لافروف أطلق تصريحه المستهجن في وقت كانت الثورة السورية ترفع شعارات وطنية جامعية بعيدة كل البعد عن التهميش والإقصاء. ثم جاء التدخل العسكري الروسي السافر والعنيف في سبتمبر ٢٠١٥ ليعيد ويجدد تطبيق سيناريو غروزني في القصف السجادي واستخدام أسلحة فتاكة وصواريخ مدمرة وفراغية ومن بعد قنابل النابالم الحارقة لتخير المحاصرين في البلدات السورية بين الإفناء أو التهجير.

كما شكل ابرام اتفاقيات تحت مسمى المصالحة الوطنية، أشرفت عليها روسيا عبر قاعدتها في مطار حميميم فصلا مؤلما في ملف جرائم التهجير القسري، والتي أدارها بعض الأشخاص في المناطق التي تعرضت للحصار والتجويع والقصف والتهديد المباشر بالإبادة. وتوسعت اتفاقيات المصالحات وتسارعت وتيرتها تحت وطأة تراجع القضية السورية سياسيا في المحافل الدولية، وشعور السوريين

بالخذلان وبأن المجتمع الدولي غير معني بالجرائم التي ترتكب ضدهم، إن لم يكن شريكا فعالا فيها.

وبعيد جريمة إتمام إفراغ داريا المحاصرة من أهلها وتهجيرهم دعت الخارجية الروسية إلى استخدام ما أسمته بالتجربة الناجحة لإخراج المسلحين من داريا بريف دمشق في مناطق سورية أخرى، منتقدةً تصريحات مندوبة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة ساماتا بور بخصوص ما جرى في داريا، والتي اعتبرت أن النظام مستمر بالحل العسكري، وأشارت المتحدثة باسم الخارجية الروسية ماريا زاخاروفا إلى أن داريا تشير إلى استمرار الجهود من أجل التسوية السلمية.

وفي نفس السياق كانت موسكو وبعد نجاح النظام في إطباق الحصار على أحياء حلب الشرقية في ١٧ يوليو الماضي تدعو عبر شعارات إنسانية زائفة ومخادعة لإفراغ المدينة من سكانها. ففي ٢٨ يوليو أعلن وزير الدفاع الروسي سيرغي شويجر، إن روسيا بالتعاون مع النظام، ستطلق عملية «إنسانية» واسعة النطاق في حلب، لمساعدة السكّان الذين وصفهم بأنهم «رهائن للإرهابيين» للخروج من المدينة، مشيراً إلى فتح ٤ ممرات، ثلاثة منها للمدنيين وواحد للمقاتلين.

بعد استعراض المواقف اللاعبين الرئيسيين واشنطن وموسكو، ربما من المفيد النظر في قراءة تحليلية لطرف بعيد نسبيا عن الصراع المباشر في سوريا حول حقيقة تلك المواقف. ففي مقال كتبه البروفيسور إيال زيسر، المحاضر في جامعة تل أبيب وأبرز المستشرقين الإسرائيليين في صحيفة «يسرائيل هيوم» يوم ٢٥- ١٠- ٢٠١٦ وترجمه موقع عربي ٢١، تحدث الكاتب عما أسماه خفايا المخطط القذر الذي تنفذه الولايات المتحدة وشريكتها روسيا وبالتعاون والتنسيق مع إيران في كلاً من سوريا والعراق، عبر تطبيق مشرع طائفي ممنهج يهدف إلى «اقتلاع السُنة» من المنطقة، وتوطين المكون الشيعي، وذلك في غفلة وتخاذل وعجز من العالم الإسلامي والعربي.

وأشار زيسر إلى أن العمليات العسكرية التي يخطط لها المحور الشيعي في كل من سوريا والعراق تهدف إلى طرد السنّة أو أكبر عدد منهم من منطقة الهلال الخصيب، لا سيما المناطق التي تقع على ضفاف نهري الفرات ودجلة والمناطق الساحلية من سوريا. وأوضح البروفيسور أن الأهالي «السُنة» الذين يفرون حالياً من مدينة الموصل ويتحولون إلى لاجئين في الخارج يكملون مشهد الطرد الجماعي الذي يتعرض له السنة حالياً في سوريا، منوهاً إلى أن ملايين السنة قد فروا من العراق وسوريا حتى الآن، لافتا إلى أن الهلال الخصيب الذي كان يقطنه قبل عقد من الزمان ٢٠ مليون سني، لم يتبق منهم الآن إلا أربعة ملايين نسمة.

وأكد الكاتب أن نظام الأسد هجر حتى الآن ثمانية ملايين سني، مشيراً إلى أن عددهم قد يصل إلى ١١ مليون.

وشدد زيسر على أن الولايات المتحدة وروسيا تلعب دوراً مباشراً في مساعدة إيران على تنفيذ المخطط، وقال «إن الغطاء الذي تمنحه روسيا للمليشيات الشيعية لتنفيذ جرائم حرب في سوريا، والغطاء الذي تمنحه الولايات المتحدة للمليشيات نفسها في العراق يدلل على أن طرد السنّة من المنطقة يحظى بدعم القوتين العالميتين». وأكد زيسر بأن ما يتم في العراق وسوريا هو «تطهير عرقي بكل ما في الكلمة من معنى، لكن العالم يرفض تسمية الأمور بمسمياتها»، وإلى أن استكمال الحرب على الموصل يعني أن المزيد من ملايين السنّة سيتحولون إلى لاجئين في الأردن ولبنان وتركيا وبقية أصقاع العالم، معتبراً وجود داعش بمثابة مثل «هدية» لأولئك الذين يرون أن مصالحهم تتحقق في إعادة صياغة حدود الشرق من جديد.

تبعات وتداعيات التهجير القسري على سوريا ودول الجوار

يعبد التهجير القسري الطريق ويمهده لتقسيم سوريا ربما كبداية لإعادة رسم خريطة المنطقة وتفكيكها وتشكيل الشرق الأوسط الجديد والذي ما فتىء يبشر به كثير من المسؤولين الدوليين وعلى الأخص الأمريكيين منهم. فبالإضافة إلى إشارات وتصريحات كثيرة، تحدث بشار الأسد في مرحلة ما قبل التدخل الروسي العسكري عن مصطلح سوريا المفيدة والتي تستحوذ على المناطق الاستراتيجية ويغلب على سكانها الطابع العلوي خصوصا مع حملات التهجير القسري. وما بعد التدخل الروسي وفي مطلع مارس ٢٠١٦ تحدث سيرغي ريابكوف نائب وزير الخارجية الروسي بأن «روسيا لا ترى مانعا أمام إمكانية إنشاء جمهورية فدرالية، في حال توافقت الأطراف المشاركة في المفاوضات بشأن سوريا على ذلك !!».

ما حدث ويحدث في سوريا ضمن تواطؤ دولي يحول التهجير القسري من جريمة حرب وإبادة إلى أداة سياسية مقبولة بحكم الأمر الواقع وتحت شعارات إنسانية زائفة بذريعة إنقاذ ما يمكن إنقاذه. تشريع وتقنين التهجير القسري وإشراف الأمم المتحدة على تنفيذه سيجعل من تكراره أمرا مقبولا ومألوفا. ومع كثرة ترداد الحديث عن يهودية الدولة العبرية من أوباما وغيره ومن سنوات وفرض نتنياهو الاعتراف الفلسطيني بذلك كشرط للتفاوض معهم، أمر يثير التخوف والريبة من تهجير

جديد للفلسطينيين ضمن إعادة تشكيل المنطقة جغرافيا وديموغرافيا.

التهجير وتمزيق الكتلة البشرية الأكثر تماسكا والتي تشكل العمود الفقري في المنطقة والتي تتقاطع مع المكونات الأخرى بالدين والقومية والمذهب - العرب السنة- سيؤدي لاستمرار هيمنة الدولة العبرية في المنطقة بل وتعزيزها بشكل ساحق ومطلق ولعقود. ولا يستبعد أن تستفيد إسرائيل من الصراعات العنيفة والحروب المدمرة مع الفراغ السكاني الناتج عن النزوح واللجوء الكبيرين في إقامة حلمها المنشود في إسرائيل الكبرى.

تدمير قطاع عريض وواسع من السوريين وتعريض إنسانيتهم لظروف قاسية واختبارات مريعة، وحرمان جيل كامل من التعليم وتمزيق الأسر وتحويل العمود الفقري للمنطقة –العرب السنة- إلى قضية إنسانية وإغاثية من الدرجة الأولى.

اهتزاز الاستقرار السياسي والاجتماعي في المنطقة وتحويلها إلى بؤر صراع داخلية متقدة ومتواصلة تفتح الباب على مصراعيه أمام التدخلات الأجنبية والحروب الداخلية والتي تحول بين المنطقة والتنمية والتقدم العلمي والتقني وتبقيها مختبرات تجارب وسوقا استهلاكية تستنزف مقدراتها الاقتصادية بشراء السلاح والحماية الخارجية ولو كانت وهما أو سرابا.

التأثير سلبا على شرعية الأنظمة السنية في المنطقة في عيون شعوبها والتي تلمس عجزها عن وقف جرائم الإبادة والحرب على السوريين ممن يتعرضون لعقوبات جماعية شديدة القسوة لمجرد انتماءاتهم المذهبية والقومية. ازدياد تقبل وقبول الفكر المتطرف بين صفوف الشباب والذي يشعر بالعجز والمهانة، وكأننا نحاول إطفاء الحرائق بسكب الوقود والبنزين عليها مما يدخل المنطقة في دوامات مفتوحة من التيه والعنف وضياع البوصلة قد تمتد لعقود.

ازدياد التهديدات الإيرانية لدول المنطقة مع سقوط الساتر الغربي والشمالي وتحول العراق وسوريا لدول تابعة لإيران ومعادية للجوار.

الإسلاميون «وآفة السذاجة»

د. محمد أبو رمان – العربي الجديد ٢٠١٦/١/٢٢

استدرج النائب الأردني، طارق خوري، نواباً من أعضاء كتلة جبهة العمل الإسلامي (الإخوان المسلمين) في مجلس النواب الأردني، الأسبوع الماضي، إلى «فخّ» مكشوف، عندما تعرّض، في كلمته، للرئيس المصري السابق، محمد مرسي، بصورة عرضيةٍ، فثارت ثائرة الإسلاميين، ودخلوا في مشاحناتٍ مع نوابٍ آخرين، وضرب أحدهم على طاولة رئيس المجلس، فتمّ اتخاذ قرار (من لجنة التأديب في المجلس) بإيقافه عن حضور الجلسات مدة معينة.

في اليوم التالي، اشتغلت الماكينة الإعلامية الرسمية، المباشرة وغير المباشرة، على الاستثمار في حالة الغليان لدى الإسلاميين، ومقاطعتهم كلمة النائب، وطريقة احتجاجهم، لتصويرهم بأنّهم يعملون وفق أجندةٍ غير وطنية أولاً، مرتبطة بالجماعة الأمّ في القاهرة.

وثانياً بأنّهم يمارسون البلطجة ضد زملائهم.

وثالثاً بأنّهم غير ديمقراطيين.

ورابعاً بأنّ غضبهم على موضوع مرسي تجاوز القضايا الوطنية الأخرى التي كان يجري الحديث عنها تحت القبة، ومنها وصف النائب الجيش الأردني بحراسة حدود الكيان الصهيوني، ما أحدث بلبلةً كبيرة في الشارع، ولدى الرأي العام.

ليس النائب خوري مرتبطاً بالدولة، وللفخّ الذي نصبه علاقة بصدام الأيديولوجيات والأجندات بينه وبين الإسلاميين. وكان قد اتّهمهم بأنّهم دواعش. لذلك نقول «فخّاً»، لأنّه تعمّد التحرّش بهم واستفزازهم، مثل لاعب كرة قدم يستفز الخصم ويستدرجه إلى ما يؤدي إلى طرده من الملعب، وعدم تركيزه. وهذا ما وقع مع الإسلاميين، فخدموا بخفّةٍ شديدةٍ أجندة خصومهم، وخسروا الصورة الإعلامية بجدارة.

إذا تجاوزنا ما حدث معهم تحت قبة البرلمان الأردني، وفكّرنا أكثر فيما يتجاوز ذلك، وما هو أكبر حجماً، أي التجربة المصرية، فهل يختلف الأمر؟

طبعاً، بكل تأكيد، كانت هناك ثورة مضادّة، وتحضير للانقلاب العسكري وتواطؤ دولي..إلخ.

نبصم على ذلك كله بالعشرة، إلاّ أنّ العدو الأكبر للإسلاميين، بالإضافة إلى نرجسيتهم التنظيمية، كان سذاجتهم السياسية، وخفّتهم في التعامل مع تعقيدات موازين القوى على أرض الواقع، فاستدرجهم الجيش والنخبة الإعلامية والمركز البيروقراطي- الأمني في مصر إلى الفخّ بسهولة شديدة.

على الصعيد الإداري، قد يكون الإسلاميون أفضل من غيرهم بكثير، والمقصود هنا الذين يدخلون اللعبة السياسية، فجماعة الإخوان في الأردن ومصر وأحزابها، وأحزاب النهضة التونسي والعدالة والتنمية المغربي وغيرها، تمثّل طيفاً عريضاً من الطبقة الوسطة التكنوقراطية- المهنية العربية، من أساتذة الجامعات والمهندسين والأطباء والمعلمين ورجال الأعمال من الطبقة الوسطى.

لكنّ مشكلتهم الكبرى، تحديداً، في المشرق العربي أنّهم لا يمتلكون النخبة المسيسة الواقعية- البراغماتية، القادرة على قراءة المعادلات الواقعية، والتعامل معها بذكاء وتجنب حقول الألغام، على النقيض من الحالة المغاربية عموماً، وتحديداً في تونس والمغرب.

رأينا كيف أنّ الإسلاميين تجنّبوا كل ما وقع فيه إسلاميو مصر، بينما التزم أشقاؤهم في المغرب بالمسار البراغماتي إلى أبعد مدى، فلم يتركوا مجالاً لخصومهم للنيْل منهم، على الرغم من كل الجهود المبذولة، وخصوصاً في الانتخابات الأخيرة، لإسقاطهم والإيقاع بهم.

ربما من الجدير دراسة فيما إذا كان الفصل بين الدعوي والسياسي، والالتزام بأحزاب سياسية محترفة، قد ساعد الإسلاميين المغاربة (عكس المشارقة) على تطوير قدراتهم السياسية وخطابهم، بينما بقي الإسلاميون المشارقة حبيسي الدوران حول الذات والصراعات الداخلية، والوقوع المتكرّر في أخطاء غير منطقية.

الطريف في الأمر أنّ التخبط الإسلامي في مجلس النواب تزامن مع تخبط أخطر وأسوأ في موقفهم من الدولة المدنية، إذ كان أحد قيادات حزب جبهة العمل الإسلامي قد صرّح إنّ الحزب لم يتفق على أنّ الدولة المدنية من الإسلام، قبل أن يصدروا، في اليوم التالي، تصريحاً يقولون فيه إنّهم يقبلون الدولة المدنية ذات المرجعية الإسلامية، ليكرّروا الأخطاء نفسها التي وقع فيها أشقاؤهم المصريون، ويقعوا فريسةً سهلةً لخصومهم الذين اتهموهم بازدواجية الخطاب وعدم الوضوح.

لا تؤشر الاختبارات الأولية للإسلاميين الأردنيين، بعد عودتهم إلى «اللعبة السياسية»، على نضج كافٍ ولا استفادة من دروس المرحلة السابقة، وما يحدث حولهم، وربما خروج القيادات الحكيمة والتاريخية مع الانشقاقات التي أخرجت قيادات الجناح المعتدل من الجماعة هي ما يفسّر هذا الأداء الباهت إلى الآن.

حروب إيران:
ألعاب الجاسوسية والمعارك المصرفية، والصفقات السرية التي أعادت تشكيل الشرق الأوسط

ياسر جزائري – مجلة سياسات عربية عدد (٢٣) ٢٠١٦/١١

مؤلف الكتاب[1] جاي هو صحافي يعمل في صحيفة وول ستريت جورنال، بدأ بالكتابة عن الشرق الأوسط في ٢٠٠٦ مع اندلاع الحرب بين إسرائيل وحزب الله. وكان أول من كشف عن المحادثات السرية التي جرت بين الولات المتحدة وإيران في سلطنة عمان، ومهدت لاتفاق فيينا حول برنامج إيران النووي. كذلك كان سولومون الصحافي الذي اختاره الرئيس السوري بشار الأسد لإجراء أول مقابلة معه بعد اندلاع الثورات العربية. وفي هذا الكتاب يعرض المؤلف للظروف التي تمت فيها المقابلة.

تكمن أهمية الكتاب في أنه يقدم سرداً مفصلاً للمحادثات السرية والعلنية بين إيران والولايات المتحدة، والمواجهات التي حدثت بين الطرفين، كما أنه الكتاب الأول الذي تناول العلاقات الأميركية – الإيرانية عقب توقيع اتفاق فيينا. ويغطي الكتاب خمس عشرة سنة من العلاقات بين البلدين، أي منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، لأن هذه الهجمات مثّلت نقلة نوعية في سياسة البلدين، إذ استغلتها إيران للتعاون مع الولايات المتحدة للتخلص من أعدائها على حدودها الشرقية والغربية. واتفاقية فيينا هي تكريس لهذا التحول الذي بدأ في عام ٢٠٠١. يشير المؤلف إلى أن أنصار الاتفاق يقارنونه بالانفراج détente الذي حدث بين الصين والولايات المتحدة في عهد الرئيس ريتشارد نيكسون في عام ١٩٧٢.

(١) Jay solomon, The Iran Wars Spy Games, Bank Battles and the Secret Deals that Roshoped the Middle East (New York: Random House, 2016)

في الفصل الثاني «الفرصة الضائعة»، يروي سولومون كيف بدأت نظرة البلدين إلى بعضهما تتغير. فبعد أن عرضت إيران التعاون مع الولايات المتحدة في حربها أفغانستان، استغل وزير خارجية أميركا كولن بأول المؤتمر السنوي للأمم المتحدة في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠١، لكي يصافح وزير خارجية إيران آنذاك كمال خرازي (ص٤٢). إلا أن الاتصالات لم تؤد إلى تقارب وتعاون أكبر بسبب عدم ثقة الولايات المتحدة بإيران.

فبينما عرفت محادثات بون (ألمانيا) من أجل مستقبل أفغانستان تعاونا، كان يعقد اجتماع بين خبراء أميركيين وعناصر من المعارضة الإيرانية في روما في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١ من أجل إسقاط النظام الحاكم في إيران. فقد كان المحافظون الجدد يعتقدون أن غزو العراق سيؤدي إلى إسقاط النظام في إيران (ص١٩)، وهو الفكر الذي عبر عنه ديفيد ورمزير David Wrnser في كتابه حليف الطغيان: فشل أميركا في هزيمة صدام حسين (١٩٩٩).

في الفصل الثالث «الهلال الشيعي»، يتناول المؤلف استعداد أميركا لغزو العراق واتصالاتها بالمعارضة العراقية المقيمة بالخارج، بما فيها تلك المقيمة في إيران، قبل بداية الحرب، سافر فرانسيس بروك Francis Brroke مع أحمد جلبي إلى إيران التي أبلغتهما عدم معارضتها لإسقاط صدام حسين شرط ألا تحتل أميركا العراق لفترة طويل (ص٦١). كانت الولايات المتحدة تعرف منذ البداية وجود «غزو إيراني سري» (ص٦٤) للعراق، وهذا ما أكده محافظ الديوانية خليل جليل حمزة (قتل بعبوة ناسفة في ٢٠٠٧) في مقابلة جرت مع مايكل روبن – وهو خبير بالشؤون الإيرانية أرسلته وزارة الدفاع الأميركية ليساعد في بناء الحكومة الانتقالية في العراق في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٤، قائلا إن المخابرات الإيرانية بدأت في أيار/مايو ٢٠٠٣ تعبر الحدود العراقية – الإيرانية مع العراقيين الذين كانوا مقيمين في إيران خلال حكم صدام حسين، إذ لم تعد الحدود بين البلدين مراقبة بعد سقوط صدام (ص٦٦). واشتكى حمزة إلي روبن أنه بينما كانت إيران تغدق الأموال على أنصارها في العراق، لم تكن الولايات المتحدة تدعم العراقيين غير المناصرين لإيران بمشاريع تنموية (ص٦٧). وكان مايكل روبن قد حذر وزارة الدفاع الأميركية في تقرير أرسله في تموز/ يوليو ٢٠٠٣ أي بعد ثلاثة أشهر من إعلان جورج بوش نهاية العمليات العسكرية، من تصاعد النفوذ الإيراني.

على الرغم من تحذير روبن، فإن وزارة الدفاع الأميركية اختارت عدم مواجهة الإيرانيين في العراق لتفادي اندلاع صدام معهم، «لذلك سُمح لطهران وحلفائها بالعمل تقريبا دون مضايقات» (ص٦٣).

هنا لا يوضح المؤلف لماذا احتلت أميركا العراق إذا كانت غير مستعدة لمواجهة النفوذ الإيراني في العراق؟ ألم يكن تبرير احتلال العراق هو إحداث تغير في المنطقة كان سيؤدي إلى سقوط نظام الحكم في إيران، كما ادعى ديفيد ورمزير؟ بعد تأسيس نفوذ في العراق انتقلت إيران إلى مرحلة إخراج الولايات المتحدة من العراق من خلال إرسال أسلحة وتكنولوجيا العبوات الناسفة المزروعة في الطرقات، والتي قتلت ٢٠ في المئة من جنود الاحتلال في الربع الأخير من ٢٠٠٦ (ص٧٣).

أجبرت هذه الهجمات الجيش الأميركي على تأسس وحدة خاصة لمواجهة إيران وحلفائها في العراق (ص٧٦)، وقامت بأول عملية ضد قوات القدس الإيرانية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦، عندما ألقت القبض على الجنرال محسن شيرازي – أحد أعوان قائد قوات القدس قاسم سليماني – وحققت معه لعشرة أيام (ص٧٧). وبعد ذلك بأسبوعين هاجم الجنود الأميركيون البعثة الإيرانية في أربيل واحتجزوا خمسة إيرانيين. من بين المقرات التي هاجمتها والشخصيات التي ألقت القبض عليها بسبب عمليات معادية للجيش الأميركي كان الأخوان قيس وليث الخزعلي، اللذان انشقا عن جيش المهدي وأسسا عصائب أهل الحق في ٢٠٠٦.

بعد تعيين بترايس قائدا للقواعد الأميركية في العراق، تبادل رسائل التهديد مع قاسم سليماني مرتين، الأولى عبر جلال طالباني والثاني عبر هادي العامري، أحد قادة حركة بدر (ص٨٠- ٨١).

في الفصل الرابع «محور الممانعة»، ينتقل المؤلف إلى سورية لينقش تعاونها مع إيران من أجل إفشال الخطط الأميركية للهيمنة على العراق من جهة، ومواجهة تحرك رئيس وزراء لبنان الحريري الذي حاول إنهاء تحكم النظام السوري في لبنان أو تقليصه من جهة أخرى.

يشير المؤلف إلى الملفات التي استولت عليها وزارة الدفاع الأميركية في سنجار في نهاية ٢٠٠٧، وتعود إلى فروع القاعدة في العراق. وضمت هذه الملفات معلومات جمعتها الدولة الإسلامية في العراق بين آب / أغسطس ٢٠٠٦ والشهر نفسه من ٢٠٠٧، عن حركة نحو ٧٠٠ جهادي أجنبي سافر أغلبهم إلى مطار دمشق الدولي قبل العبور إلى العراق (ص٩٢- ٩٣).

كذلك يتناول هذا الفصل دور جون كيري في العلاقات السورية – الأميركية، قائلاً إن كيري أصبح

ممثل «الدكتاتور السوري» في واشنطن (ص٩٩). كان للسناتور كيري اهتمام بسياسة الشرق الأوسط، وقد كون علاقات مع العديد من قادة المنطقة من خلال زياراته المتكررة لها، وكانت إحدى هذه الزيارات لدمشق في ٢٠٠٦ على الرغم من معارضة الرئيس بوش لها. وتوطدت العلاقة بين الأسد وكيري بعد عشاء استمر أربع ساعات في دمشق جمع كيري وزوجته مع الأسد وزوجته في آذار/ مارس ٢٠٠٩. وفي العام نفسه، أصبح كيري رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، وأخذ يسافر إلى دمشق وتل أبيب لمحاولة إحياء عملية السلام بين البلدين.

بعد سرد اغتيال بعض علماء الطاقة النووية الإيرانيين في الفصل الخامس وتفاصيل الحصار المصريف الذي فرضته أميركا على إيران في الفصل السادس، ينتقل المؤلف ليتناول في الفصل السابع محاولة أوباما الفاشلة في فترته الرئاسية الأولى للتوصل إلى اتفاق مع إيران.

وفي الفصل الثامن «الذهب الأسود»، يصف المؤلف تحرك الولايات المتحدة في المجال الأكثر انعكاسا على الاقتصاد الإيراني، قائلا إن فرض حصار نفطي على إيران كانت أولوية السياسة الخارجية لأوباما.

في هذا المجال كان للمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت الدور الرئيس في إنجاح هذا الحصار، إذ إن فرض حصار نفطي، يكمل الحصار المصرفي، تطلب تعويض نفط إيران بزيادة إنتاج نفط دول أخرى غنية به. لذلك أرسل أوباما في ٢٠٠٩ دنيس روس في جولة ليقنع هذه الدول برفع إنتاجها بصفقة كبيرة لكيلا يرتفع سعر النفط عند بدء الحصار النفطي على إيران.

فسيناريو كهذا كان سيضعف مساعي أوباما لإخراج الاقتصاد الأميركي من أكبر أزمة اقتصادية حلت به منذ الركود الكبير في ١٩٢٩. وبالفعل بدأت السعودية والإمارات برفع إنتاجهما للنفط بعد زيارة روس. كذلك سافر روس إلى الصين لإقناعها بشراء النفط العربي بدل الإيراني. تلا ذلك، بحسب سولومون، قيام ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد بزيارة سرية إلى الصين في ٢٠١٠ ليبلغها استعداد بلاده لرفع إنتاجها للنفط بأربعة أضعاف لتأمين حاجات الصين من دون أن يرتفع سعر النفط (ص١٩٦- ١٩٧).

وفي مقابلة خاصة، صرح رئيس مخابرات السعودية السابق تركي الفيصل، في ربيع ٢٠١١ في قاعدة عسكرية قريبة من لندن بحضور جنود أميركيين وبريطانيين، أن السعودية بإمكانها أن تعوض عن النفط الإيراني بكل سهولة (ص١٩٧). بعد إطباق الحصار على النفط الإيراني في النصف الثاني من ٢٠١٢ هبط تصدير إيران للنفط من أكبر من ٢٠٥ مليوني برميل يوميا إلى ٧٥٠ ألف برميل يوميا (ص٢٠١).

في الفصل العاشر «الطريق إلى فيينا»، يصف سولومون دور سلطنة عمان في الاتفاق النووي. بعد انتخاب أوباما لفترة ثانية، وحصول السلطان قابوس على موافقة إيران، أرسل السلطان رجل الأعمال العماني سالم بن ناصر الإسماعيلي لعرض وساطة مسقط بين إيران والولايات المتحدة. ولم تعترض الولايات المتحدة على محاولة الإسماعيلي إقامة علاقات تجارية مع إيران، على الرغم من حصارها المصرفي على الأخيرة (ص٢٧٣).

اضطلع سالم والسلطنة بدور رئيس في إطلاق سراح ثلاثة سجناء أميركيين، كانت إيران قد اتهمتهم بدخول أراضيها بطريقة غير شرعية بينما كانوا يتجولون في جبال كردستان. نجح سالم في وساطته، إذ أطلق سراح الثلاثة مقابل نصف مليون دولار عن كل واحد منهم، إضافة إلى إطلاق الولايات المتحدة وبريطانيا سراح أربعة سجناء إيرانيين. هذه الصفقة غير المتوازنة (ثلاثة أميركيين مقابل أربعة إيرانيين ونصف مليون دولار عن كل أميركي) هي أحد دلائل المؤلف على أن الولايات المتحدة كانت تريد الوصول إلى اتفاق مع إيران مهما كان الثمن، وتبرير الحكومة الأميركية هذا السلوك على أن الخيار الآخر هو تطوير إيران لقنبلة ذرية. إلا أن سلومون يشكك في هذا التبرير مشيرا إلى أن الولايات المتحدة خففت الضغط على إيران تماما في الوقت الذي بدأ الحصار الاقتصادي يؤدي ثماره. لكن سلومون لا يسأل لماذا فعلت المتحدة ذلك.

بعد نهاية هذه الوساطة في أيلول / سبتمبر ٢٠١١، سافر كيري إلى مسقط في الثامن من كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١، ليناقش مع السلطان قابوس بدء المحادثات بخصوص برنامج إيران النووي. بعد ستة أشهر (في تموز / يوليو ٢٠١٢)، حدث أول لقاء بين المتفاوضين الأميركيين والإيرانيين، عقب انتخاب روحاني في حزيران / يونيو ٢٠١٢، حاول الطرفان عقد لقاء بين روحاني وأوباما في نيويورك على هامش الدورة السنوية للأمم المتحدة، إلا أن روحاني غير رأيه في آخر لحظة، خوفا من أن تضعه هذه المقابلة في موقف محرج مع المتشددين في إيران. بعد فشل هذا اللقاء، أجرى أوباما مكالمة استمرت نحو ١٥ دقيقة مع روحاني عندما كان الأخير في طريقه إلى مطار نيويورك (ص٢٦٤). وهذا دليل ثان على أن أوباما كان يسعى وراء الاتفاق أكثر من إيران.

في الفصل الحادي عشر «ظل خامئني»، يبين سولومون أن الولايات المتحدة هي التي قدمت التنازل تلو الآخر للتوصل إلى اتفاق. وأهم هذه التنازلات كان حول التخصيب، إذ انتقلت الولايات المتحدة من موقف رفضه إلى قبول حد معين منه. يقول سلومون إن إيران أدركت أن الولايات المتحدة تريد الاتفاق أكثر منها بقدر التوصل إلى الاتفاق المؤقت في ٢٠١٣، والذي سمح لإيران بالحصول على ٧٠٠ مليون دولار شهريا (ص٢٦٣). يضيف الكاتب «البيت الأبيض كان يدعم الإيرانيين لكي يبقوا في المفاوضات مما قلل من قدرة الولايات المتحدة على الضغط ماليا» (ص٢٦٣). في تشرين الثاني /نوفمبر ٢٠١٤، أرسل أوباما رسالته الرابعة إلى خامئني عارضا عليه التعاون ضد تنظيم الدولة في العراق في حال التوصل إلى اتفاق حول برنامج إيران النووي.

في خاتمة الكتاب، يشير المؤلف إلى أن قاسم سليماني زار موسكو بعد عشرة أيام من توقيع اتفاق فيينا في ١٤ تموز/ يوليو ٢٠١٥، وبحث مع وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو خطط إنقاذ النظام في سورية بعد تقدم المعارضة في ربيع ٢٠١٥ (ص٢٨٣- ٢٨٥). مهد هذا الاجتماع لتدخل روسيا في سورية الذي بدأ في نهاية أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥، يقول سولومون إن أمل كيري والبيت الأبيض بأن يؤدي اتفاق فيينا إلى اتفاق لإنهاء الحروب في سورية واليمن يدل على أنهم مصابون «بالطرش» (ص٢٨٥)، لأن إيران أكدت عدة مرات بأن الاتفاق لن يكون له أي انعكاس على سياستها في المنطقة. لم ينعكس الاتفاق حتى على سلوك إيران مع الولايات المتحدة، إذ استمرت إيران بإلقاء القبض على أميركيين واتهامهم بالتجسس كما فعلت مع مراسل صحيفة واشنطن بوست جايسون ريزايان. وكما حدث سابقا، قامت الإدارة الأميركية بإطلاق سراح سبعة إيرانيين متهمين بتهريب الأسلحة مقابل إطلاق سراح أربعة أميركيين سجناء في إيران. قبل يوم من إطلاق سرحهم، أرسلت الولايات المتحدة ملياراً وسبعمئة مليون دولار إلى إيران، قائلة إنه جزء من أموال إيران منذ فترة الشاه (ص٢٩٤).

انعكس ارتياب المؤلف من الاتفاق على علاقاته مع الإدارة الأميركية التي منعته من أن يكون بين الإعلاميين على متن الطائرة التي كانت تقل وزير الخارجية جون كيري خلال مباحثات برنامج إيران النووي. وكان سبب منعه من الطائرة هو ادعاء الإدارة بأنه انتهك قاعدة عدم التكلم عن أمور يتم الحديث عنها في الطائرة. يؤكد سولومون بأنه لم يكن يدري بوجود برتوكول كهذا. السبب الحقيقي لمنح سولومون هو أنه سأل سؤالا محرجا فيما إذا كانت الولايات المتحدة قد «خوّفت» فرنسا وأجبرتها على قبول الاتفاق، إذ كان موقف فرنسا من التخصيب أكثر تشددا من أميركا (ص٢٩١). وفي هذا الكتاب ينتقم الصحافي من كيري من خلال توجيه نقد قاس لم يخص به أي سياسي آخر، إذ يقول إن تعامل كيري مع بشار الأسد «أظهر بصفة مقلقة ضعف قدرة في الحكم على الأشياء، ما يثير تساؤلات حول قدرته على فهم أهداف قادة العالم» (ص١٠١).

في كتاب سلومون نقطتا ضعف يجب التنويه إليهما. الأولى هي أن سلومون يقدم العديد من الادعاءات التي تتناقض مع معلومات وردت في مصادر أخرى، أو معلومات لا يمكن دعمها أو التأكد من صحتها. مثلا، يقول المؤلف إن أميركا أجبرت على إعطاء إيران أسلحة خلال الحرب العراقية الإيرانية من أجل إطلاق سراح المختطفين الأميركيين في لبنان، وهذه رواية يكررها الصحافيون والمؤرخون. لكن روبرت غيتس، وزير دفاع أميركا السابق (٢٠٠٦- ٢٠١١)، يقول في كتابه الواجب (٢٠١٤) إن سياسة الولايات المتحدة خلال الحرب بين العراق وغيران كانت «واقعية بلا رحمة، فنحن لم نكن نريد لأي من الطرفين أن ينتصر، وفي بعض الأوقات كنا نعطي مساعدات سرية متواضعة لكل الطرفين»[1]. أي إن إعطاء الأسلحة لإيران لم يكن فقط مقابل إطلاق سراح رهائن أميركيين، بل من أجل إطالة الحرب. شهادة غيتس هذه لها وزنها، لأنه كان في خضم الأحداث في تلك الفترة. فقد انضم غيتس إلى وكالة الاستخبارات الأميركية في ١٩٨٦، وأصبح نائب مديريها بين عامي ١٩٨٦ و١٩٨٩. وكان الرئيس ريغان قد رشحه في ١٩٨٧ ليصبح رئيس الوكالة المركزية، إلا أن علاقته بفضيحة «إيران – كونترا» أدت إلى سحبه هذا الترشيح. ولكنه اصبح مدير الوكالة المركزية في ١٩٩١، في عهد بوش الأب.

يدعي المؤلف كذلك أن الاتفاق النووي قيّد أيدي أميركا في سورية (ص١١)، لذلك لم يمض أوباما في تهديده بخصوص استخدام النظام السوري للأسلحة الكيميائية، إلا أن سفير إسرائيل الأسبق في الولايات المتحدة (٢٠٠٩- ٢٠١٣) مايكل أورن كشف في كتابه حليف (٢٠١٥) أن الوزير الإسرائيلي وعضو حزب الليكود يوفال ستاينيتز Yuval Steinitz هو صاحب الفكرة. يضيف أورن بأن إسرائيل قامت بعرض الفكرة على روسيا، وعرضها نتنياهو على أوباما الذي قبلها. لا يربط أورن بين عدم الرد على استخدام النظام السوري للأسلحة الكيميائية ومسار

(١) Robert M. Gates, Duty; Memoirs of Secretary at War (New York: AlFrend A. Knopf, 2014), pp.178- 179.

المحادثات الأميركية – الإيرانية حول برنامج إيران النووي[1]. ومن المغالطات التي يرتكبها المؤلف الادعاء في بداية الكتاب (ص١٠) وفي نهايته (ص٢٩٩) بأن مواجهة دور إيران في المنطقة دفع بالسعودية وتركيا وقطر إلى دعم الجماعات الجهادية، ما أدى إلى ظهور تنظيم الدولة، وهي محاولة لرمي مسؤولية ظهور تنظيم الدولة على الدول التي دعمت الثورة السورية، وإغفال دور السياسة الأميركية في المنطقة التي أوجدت أوضاعا ساهمت في ظهور هذا التنظيم.

إحدى النقاط التي يجب نقاشها هي الادعاء الأميركي بأن هذا الاتفاق تم من أجل تفادي حرب بين إسرائيل وإيران أو إيران والولايات المتحدة. ولكن هل كانت حرب كهذه ممكنة؟ فإيران دولة كبيرة ذات قدرة على القتال أثبتتها خلال حرب طويلة مع العراق. إذا كانت الولايات المتحدة لم تستطع إخضاع العراق، وهي بثلث حجم إيران مساحة ونصفها سكانا، إضافة إلى أنها كانت منهكة بسبب الحروب والحصار الاقتصادي، فكيف كانت الولايات المتحدة ستفعل ذلك مع إيران؟ أي إن الحرب لم تكن خيارا أصلا.

ولو كانت إسرائيل قادرة على تدمير برنامج إيران النووي لفعلت ذلك من دون انتظار الولايات المتحدة، كما كانت قد فعلت مع برنامجي العراق وسورية. قد يكون هناك عامل آخر في الاتفاق مع إيران وهو رغبة أميركا في إشراك إيران في الحرب على تنظيم الدولة. ولكن لماذا لم تتجه أميركا إلى حلفائها العرب: دول الخليج والأردن ومصر؟ ولماذا تحالفت مع الكرد بدل التحالف مع تركيا؟ هذه أسئلة لا يطرحها المؤلف، ولكن يجب نقاشها لفهم استراتيجية العلاقة بين إيران والولايات المتحدة.

نقطة الضعف الثانية في الكتاب هي أنه على الرغم من تميزه بعمق التفاصيل حول تطور العلاقات بين البلدين منذ ٢٠٠١، فإنه يتجاهل كل الكتب التي نشرت في الولايات المتحدة منذ ٢٠٠١ عن إيران ودورها الإقليمي وعلاقتها بالولايات المتحدة، وهي عديدة، كتبها أميركيون وإيرانيون – أميركيون، مثل حميد دباشي وراي تقية. وأهم هذه التكب وأكثرها تأثيرا هو صحوة الشيعة (٢٠٠٦) لولي نصر[2]، أستاذ العلاقات الدولية الذي أصبح لفترة سنتين أحد مستشاري البيت الأبيض، قبل أن يستقيل ويهاجم سياسة أوباما في كتابه الأمة التي يمكن الاستغناء عنها (٢٠١٣)[3]. غياب هذه الأبحاث يجعل فهم سولومون لديناميكية العلاقات الإيرانية – الأميركية سطحيا، ما يؤدي إلى سوء فهم البعد الاستراتيجي لهذه العلاقات.

يدعو خبير الشرق الأوسط روبرت بير، والذي كان يعمل سابقا في وكالة الاستخبارات المركزية، في كتابه عن إيران، الشيطان الذي نعرفه (٢٠٠٨)[4]، إلى حلف بين إيران والولايات المتحدة، فمثل هذا الحلف سيقوي نفوذ الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. إن إعادة قراءة كتاب بير بعد ثماني سنوات من رئاسة براك أوباما يسلط الضوء على نقاط التشابه بين ما دعا إليه بير وسياسة أوباما في الشرق الأوسط. ما قاله بير هو تأكيد لما كان والي نصر قد قاله في صحوة الشيعة إذ ادعى نصر بأن إيران هي حليفة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط في مواجهة التطرف السني. أي إن كتاب بير يكمل كتاب نصر، فهو لم يأت من رجل ولد في إيران قد يشكك بعض الأميركيين في ولائه، ولكن من خبير كان قد عمل في وكالة الاستخبارات الأميركية، أي إن بير يضفي المزيد من الشرعية الأميركية، أي إن بير يضفي المزيد من الشرعية على ما كان نصر قد خطه.

على الرغم من تجاهل كتاب سولومون لهذه الكتب، فإنه غني بالتفاصيل، وهو إضافة قيمة إلى الكتب التي تناولت العلاقات الإيرانية – الأميركية. يحتاج فهم البعد الاستراتيجي لهذه العلاقات إلى دراسة تحلل كل هذه الأعمال، إضافة إلى الأخذ في الحسبان تاريخ العلاقات الإيرانية – الأميركية قبل هجمات سبتمبر ٢٠٠١، وقبل اندلاع الثورة الإسلامية في إيران. وقد سلط أندرو سكوت كوبر الضوء على هذه الفترة من حكم الشاه وأورد تفاصيل لم تكن معروفة من قبل في كتابه، ملوك النفط: كيف غيرت الولايات المتحدة وإيران والسعودية ميزان القوى في الشرق الأوسط (٢٠١١)[5]. وكان تريتا بارسي قد كشف في كتابه، التحالف الغادر: المحادثات

(١) Michael B. Oren, Ally: My Journey across the American – Israel Divide (New York: Random House, 2015), pp.344- 345.

(٢) Vali Nar, The Shia Revival: How Conflicts within Islam will shape the future (New York: W. W. Norton, 2007).

(٣) Vali Nasr, The Dispensable Nation: American Foreign Policy in Retreat (New York: Doubleday, 2013).

(٤) Robert Baer, The Devil We Know: Dealing with the New Iranian Superpower (New York: Crown Publishers, 2008), p.239.

(٥) Andrew Scoot Cooper, Oil Kings; How the U.S, Iran, and Saudi Arabia Changed the Balance of Power in the Middle East (New York: Simon & Schuster, 2011).

السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة (٢٠٠٨) [١]، عن العلاقات السرية بين إيران وإسرائيل بعد الثورة الإسلامية. تعطي كل هذه الكتب الباحث الفرصة لفهم أعمق للعلاقات بين إيران والولايات المتحدة.

«الكفاح المسلح»... آلية إيرانية لتنفيذ مخطط إسقاط الملكية بالبحرين

بوابة الخليج العربي – ٢٠١٧/١/١٩

في الوقت الذي توعد فيه أكثر من مسؤول إيراني، بأن البحرين هي الهدف الذي يلي حلب، في إشارة إلى دعم المعارضة الشيعية البحرينية، أكد مرتضى السندي، المتحدث باسم تيار الوفاء، أن مرحلة الثورة السلمية لم تجلب للشعب البحريني غير الاضطهاد، مؤكدا أن أنصاره «سيتواجدون في الميدان وفي العمل المسلح»، فهل أعطت إيران الضوء لخلاياها النائمة للبدء في مخطط إسقاط الملكية البحرينية وزعزعة الأمن والاستقرار؟.

جاءت تصريحات «السندي» ردًا على إعدام ٣ رجال شيعة أدينوا بقتل ٣ من رجال الشرطة في هجوم بعبوة مُتفجرة عام ٢٠١٤، في أول واقعة إعدام من هذا القبيل منذ سنوات.

وتقول السلطات البحرينية إن البعض يستغل النشاط الحقوقي لتمرير أجندة وشعارات طائفية ومذهبية بعيدة تماما عن المطالب الحقوقية، كما تتكر المنامة أي تمييز ضد الشيعة، وتتهم إيران بإثارة اضطراب داخل المملكة.

حركة الوفاء الإسلامي

«تيار الوفاء الإسلامي» هو حزب شيعي تأسس في البحرين في منتصف عام ٢٠٠٩ على يد المعارض الشيعي عبد الوهاب حسين على أحمد إسماعيل، الذي يعد أحد أشهر رموز المعارضة البحرينية، وأحد أعضاء لجنة العريضة وأصحاب المبادرة. ويتخذ هذا الحزب من مدرسة «ولاية الفقيه» في إيران التي أسسها آية الله الموسوي الخميني، مرجعية وخريطة للفكر، ويدين بالولاء للمرشد الأعلى في إيران آية الله على خامنئي.

«إسقاط الملكية في البحرين»، وتأسيس ما يسمي الجمهورية البحرينية الإسلامية يعد أهم مطالب هذه المجموعة الشيعية، والتي بدأت تتخذ شكل تكتل واضح أثناء الاحتجاجات البحرينية التي اندلعت أوائل عام ٢٠١١.

تحريض إيراني

وتعمل هذه المجموعات المسلحة على تحريض الشارع البحريني ضد نظام الحكم، وبث البيانات والدعاية المغرضة التي تدعو إلى تغيير نظام الحكم باستعمال العنف والقوة لإحياء تيار الوفاء الإسلامي.

ومن جهته، قال رئيس المنتدى الخليجي للأمن والسلام فهد الشليمي، إن هذا الخطاب الطائفي مدعوم من إيران، وإنه لا يفيد أحدا.

وأضاف الشليمي - في تصريحات له - أن من يلجأ إلى العمل العسكري سيواجَه بعمل عسكري أقوى منه.

ذراع الحرس الثوري

وأعلنت البحرين، في ٦ يناير (كانون الثاني) ٢٠١٥، ضبط خلية إرهابية أُطلق عليها «قروب البسطة» مرتبطة بالحرس الثوري الإيراني وما يسمى «حزب الله» اللبناني، خططت لتفجيرات «خطرة» في المنامة.

وثبت قيام المتهمين بالالتقاء بقيادات من الحرس الثوري الإيراني وقيادات من منظمة ما يسمى «حزب الله» اللبناني الإرهابية، لتلقي الدعم المالي والفني اللازمين لتنفيذ المخططات الإجرامية لتنظيم «قروب البسطة» الإرهابي داخل مملكة البحرين، والإنفاق على أنشطته داخل المملكة.

مخطط اغتيالات

وعقب حادث اقتحام سجن جو، حذر مراقبون من الخطوة القادمة لإرهاب إيران في البحرين، المتمثلة في مخطط اغتيال ضد شخصيات سياسية وإعلامية بهدف إسقاط المملكة في الفوضى.

وقال الكاتب والمحلل السياسي العراقي داود البصري، إن البحرين تقع في دائرة التركيز الإرهابي الشيعي العراقي-الإيراني، وأن إسقاطها مطلب استراتيجي لقرامطة العصر الحديث والتضامن معها واجب أخلاقي عظيم. وحذر الكاتب والمحلل السياسي العراقي مملكة البحرين قيادة وشعبًا من حملة اغتيالات إرهابية إيرانية قادمة لإدخال البحرين في لجة الفوضى والرعب.

أطماع إيرانية بالبحرين

ويرى مراقبون أن ما يحدث في البحرين من محاولات لزعزعة استقرار الدولة ما هو إلا حلقة من حلقات الأطماع الإيرانية في الشاطئ الغربي للخليج العربي، وبخاصة البحرين، والسبب أن إيران ترى البحرين أفضل نقطة للوثوب على أراضي

(١) Trita Parsi, Treacherous Alliance: The Secret Dealings of Israel, Iran, and the United States (Yale: Yale University Press, 2008).

السعودية وباقي دول الخليج، وهي بهذا تسعى للاستفادة من وجود نحو ٢٠٪ من سكان البحرين من ذوي الأصول الإيرانية.

وكشف انكسار حلب ونصر إيران المزعوم نوايا طهران الخفية، حيث وجهت شخصيات ومؤسسات إيرانية التهنئة بما وصفتها بـ«الانتصارات الربانية» بسيطرة النظام السوري المدعوم من ميليشيات موالية لإيران وسلاح الجو الروسي على مناطق المعارضة في حلب، معيدة الأمر إلى «المدد الغيبي»، وسط توجيه تلميحات واضحة إلى ملفات أخرى مثل اليمن والبحرين.

وفي ٢١ من يونيو (حزيران) ٢٠١٦، هدد قائد فيلق القدس الإيراني قاسم سليماني، البحرين، بدخول الحرس الثوري فيها وإشعال أعمال مسلحة داخل المملكة.

وأعلنت حينها وزارة الداخلية أن سليماني كان يحاول تقسيم المجتمع البحريني، بتشجيع الشبان على انتهاك الدستور وشق المجتمع طائفيا.

الفوبيا المتقابلة... من المستفيد؟

د. فراس الزوبعي – الوطن البحرينية ٢٠١٧/١/١٨

لا يمكن إنكار اقتران الإسلام في ذهن العقل الغربي بصورة مغايرة تماماً لحقيقته وواقعه، فحالما يذكر الإسلام يتبادر إلى ذهن العقل الغربي مجموعة صور مرتبطة بالقتل والعنف والهمجية والتخلف، هذه الذهنية صنعتها وسائل الإعلام الغربية وعملت على تشكيلها بشكل منظم كجزء من مهمة توسيع دائرة العداء للإسلام والمسلمين على مدار سنين طويلة، وهي في واقعها حرب إعلامية أنتجت ظاهرة الخوف من الإسلام أو ما بات يعرف بـ«الإسلاموفوبيا»، وفي المقابل نجد قسماً غير قليل من المسلمين أصبحوا متشددين تجاه الغرب متخوفين منهم، فنجد أنفسنا أمام «فوبيا» متقابلة، ومع تنامي هذا الخوف أو الفوبيا يتأكد أن هناك أطرافاً منتفعة منها وتعمل على تغذيتها واستمرارها.

بالنسبة لتشكيل صورة الإسلام في ذهن العقل الغربي ليست وليدة التاريخ الحديث، بل هي مأخوذة من مواقف مسبقة تعود لتاريخ العلاقة بين عالمي الإسلام وأوروبا المسيحية قبل قرون طويلة مضت، وما تفعله وسائل الإعلام الغربي اليوم هو اجترار الخطاب الاستشراقي الذي قدم للغرب صوراً مزيفة عن الإسلام والمسلمين، فقد عمل المستشرقون سنين طويلة على تشويه صورة الإسلام في كتاباتهم ودرسوا الإسلام لا ليتوصلوا إلى الحقيقة، بل ليجدوا مواطن يبنون عليها تزييفهم وافتراءهم على هذا الدين، ومن هؤلاء استمدت وسائل الإعلام قوالب وصوراً ذهنية جاهزة عن الإسلام، وبدأت تروجها وتصنع رأياً عاماً عالمياً كاذباً عن الإسلام والمسلمين، الأهم من ذلك أن هذه الصور الذهنية ليست فقط صوراً كاذبة أنتجها المستشرقون، وإنما هي استحضار لصورة الأوروبيين الحقيقية في القرون الوسطى والتي يعملون اليوم على تركيبها على المسلمين.

في مقابل ذلك وعلى الجانب الآخر لا نجد أي فعل مماثل من المسلمين تجاه الغرب، وكل الدراسات التي أجراها المسلمون حول الغرب تركز على إنتاج تصور حقيقي عن الغرب وواقعه، بل نجد مؤلفات عربية تتحدث عن صورة مشرقة للغرب روج لها مثقفون ومفكرون مسلمون زاروا الغرب في بدايات القرن العشرين، لكن ومع كل ذلك نجد أنفسنا اليوم أمام واقع تبدلت فيه هذه الصورة عند عدد غير قليل من المسلمين وباتوا ينظرون إلى الغرب نظرة عدائية، وهذا لم تأتِ من فراغ، فالخراب الذي حصل مع بدايات القرن العشرين ويحصل اليوم في بلاد المسلمين نجد الغرب حاضراً وطرفاً فيه، كما أن أكثر المسلمين حدة وعدائية للغرب هم أولئك الذين عاشوا في الغرب لاسيما في بعض دول أوروبا ولم يتقبلهم الغرب ويدمجهم في مجتمعه، فنشأ جيل بردة فعل عدائية تجاه الغرب وهو ما يفسر لنا انضمام عدد غير قليل إلى تنظيم الدولة «داعش» ممن يحملون جنسيات أوروبية.

هذا الموقف بين الطرفين انتفع منه تجار الحروب وعرابو الإيديولوجيات، فأججوا النزاعات وعمقوا سوء الفهم بين الشعوب وتكسبوا من ورائه، ونجحوا إلى حد كبير في عملهم، فـ«الإسلاموفوبيا» في تنامٍ مستمر ومشاعر العداء والشعور بالظلم من الغرب يتنامى أيضاً، لكن تبقى هناك حقيقة وهي أن الغالبية العظمى من الغربيين والمسلمين يميلون إلى العيش بسلام بعيداً عن الصراعات.

المظلومية السنية في العراق وسوريا

محمود رأفت – إيران بوست ٢٠١٧/١/٢٠

ما يجري في بلدان المشرق الإسلامي، يحمل مؤشرات خطيرة على مستقبل المنطقة بأكملها، فالمخطط الإيراني الاستيطاني الاستئصالي المرضي عنه أمريكيا مستمر في إسقاط حواضر العالم الإسلامي الواحدة تلو الأخرى.

وبات من الطبيعي على سبيل المثال لا الحصر، أن يخرج علينا القيادي في فيلق القدس الإرهابي «ايرج مسجدي»

ويقول «كان الخط الأمامي لمقاتلينا حتى الأمس هو آبادان وخرمشهر ومهران وحاج عمران ولكن الآن أصبح الموصل ولبنان وحلب وسوريا».

وكلما سقطت مدينة، تبدأ التهديدات باستهداف مدن أخرى، بل وبلدان أخرى، يحدث كل ذلك في ظل موت سريري فعلي لكثير من الأنظمة السياسية في البلدان الإسلامية، لا نتحدث هنا عن «مواجهة» بل على الأقل رد فعل لفظي، ولكن حتى الإدانة والاستنكار باتت غائبة، بل إن الطامة الكبرى أن هناك أنظمة عربية تؤيد جهارا نهارا ما يجري بحق المدن السورية والعراقية بحجة ما أسموه «محاربة الإرهاب»، رغم أن الوقائع والتجارب أثبتت أن المستهدف هو المكون السني فقط لا غير!.

المشروع الاستئصالي الإيراني يسعى لتغيير ممنهج لديموغرافية المنطقة (سوريا والعراق واليمن ولبنان كخطوة أولى ومن ثم الجزيرة العربية)، وقد نجحت إيران حتى الآن في تلك الاستراتيجية التوسعية فعلى سبيل المثال لا الحصر أقدمت مليشيات إيران العسكرية على تجنيس عشرات الآلاف من الشيعة من جنسيات محل السكان السنة الأصليين، كما حدث في عدة أحياء بدمشق كالسيدة زينب ومناطق عدة من سوريا، وكما حدث في أحياء عدة من بغداد إذ كان يتم إرسال رسائل التهديد والوعيد لقاطني الأحياء المختلطة، وعندما كانت العائلات ترفض الخروج كان يتم تصفية أئمة المساجد وبعض من شباب تلك العائلات لإجبارها على الخروج من تلك الأحياء، حدث ذلك أمام أنظار قوات الاحتلال الأمريكي في العراق، وازداد فظاعة بعد خروج الأمريكان، كما حدث في محافظات الجنوب العراقي وخصوصا البصرة، حيث تم تهجير الكثير من العائلات وتصفية العشرات من أئمة المساجد والشباب، والأمر نفسه حدث في حزام بغداد ومحافظة ديالى العراقية.

المشكلة الحقيقية، أننا أمام مخطط محكم له أبعاد تاريخية عميقة، ومخطئ من يظن أن كتلة اللهب في المنطقة لن تتسع، فمنذ عدة عقود كانت مركز الأبحاث الغربية ترسم لنا خرائط تظهر بلداننا مقسمة ومفتتة، وعليه فلا نستغرب صمت الغرب على الابادة الجماعية التي جرت في حلب والفلوجة وبعقوبة وتعز والرمادي والزبداني وحمص، فهذا هو مخططهم لتقسيم المنطقة، وهذه هي حدود الدم التي اختاروها لنا.

الغرب يدرك جيدا أن مع كل هذا التجييش الإيراني الهائل، ومع وجود عشرات الآلاف من المليشيات الموالية لإيران فإن المنطقة حتما ستجر إلى حرب إقليمية واسعة، فإيران تجاهر بأنها ستقيم حكومة إسلامية عالمية تحكم العالم الإسلامي، وللأسف قادة إيران لا يدركون أن مخطط الغرب على المدى البعيد سيستهدفهم كذلك، وأنهم اليوم ليسوا إلا أداة لتنفيذ مخططات نسجتها مراكز الأبحاث الأمريكية.

كل ما سبق لا ينبغي أن ينسينا أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي أشعلت النيران الطائفية في المنطقة، وهي التي انحازت لإيران وسلمتها العراق على طبق من ذهب، بل ودعمت مليشيات الحشد الشيعية التي يقودها قاسم سليماني بالغطاء الجوي العسكري في العراق، وصمتت عنها وهي تشاهد بأقمارها الصناعية أرتال تحمل عشرات الآلاف من المقاتلين الشيعة الإيرانيين والعراقيين واللبنانيين وهم يتجهون لقتل الشعب السوري وأطفاله.

الكيان الصهيوني أيضا مستفيد مما يجري، فإسرائيل الكبرى تمتد بحسبهم من الفرات إلى النيل، وهي بذلك تشمل أراضي شاسعة من سوريا والعراق وإخلاء تلك المناطق من السكان وتدمير مدنها يصب أيضا في الاستراتيجية الإسرائيلية المتعلقة بنبوءاتهم التوراتية.

ما يجري في المنطقة إذا، لم يعد سرا أو خافيا، على أحد إلا قلة قليلة أضاعوا البوصلة ولا أظن أنهم سيستعيدونها مجددا، ولابد من استراتيجية مواجهة على كافة الأصعدة، فالجميع مستهدف والأمر جلل، ولم يعد هناك من مجال لإضاعة مزيد من الوقت، ولابد من إنهاء المظلومية السنية في العراق وسوريا، فأمن المنطقة بأكملها مرتبط بذلك، فإن استمرت هذه المظلومية فحتما سيدفع الجميع ثمن ذلك..

روسيا و«الأسد» وإيران...
فصول في المواجهة و«الممانعة»

عبد الوهاب بدر خان – الحياة ٢٠١٧/١/١٩

أصبح التحالف بين روسيا والنظامين السوري والإيراني مواجهة مفتوحة لن تلبث أن تظهر معالمها أكثر فأكثر. وتمر الأزمة السورية حاليا بأخطر مرحلة، وبصراع متصاعد بين «الحلفاء» على من تكون له الكلمة الأخيرة ليس فقط في تقرير مسار الأزمة وإنما في تقرير مستقبل سورية.

وفيما يبدي نظام بشار الأسد وحليفه الإيراني «ممانعة» جلية في تمرير خطط روسيا، ليس واضحا ما إذا كانت الأخيرة بلغت درجة من التمكن (عبر إعادة تأهيل الجيش السوري وتنظيمه) لفرض إرادتها. وقد أدى انشغالها باحتمالات وهمية لمواجهة مع الولايات المتحدة أو حتى مع

تركيا، ثم بمعركة حلب لحسم الوضع شمالا، إلى تغافلها عما يحصل في دمشق ومحيطها، بل عما يحصل في حمص وحماة ودرعا.

لذلك، بدا الأمر كأن الروس نفذوا، متقصدين أو غير متقصدين، ما رسمه المخطط الأسدي — الإيراني، ولم يعملوا إلا في النطاق الذي حدد لهم. وعلى رغم أن فاعليتهم توسعت على مستويات عدة عسكرية وسياسية، إلا أنهم لم يتحكموا بالحيز الذي يحتله التنسيق بين النظام وإيران.

يقتضي الاستدلال إلى المواجهة بين «الحلفاء» معاينة جملة تطورات كان أبرزها التصعيد في وادي بردى. لكن ثمة وقائع حدثت وبقيت أشبه بألغاز تحتاج إلى من يفك رموزها، وإن لم تكن غامضة دائما. لعل أبرزها الصمت الروسي المطبق إزاء عودة تنظيم «داعش» إلى تدمر، بالسيناريو السابق نفسه، وبأعداد أكبر من تلك التي «اجتاحت» المدينة منتصف مايو/أيار ٢٠١٥.

ففي ديسمبر/كانون الأول الماضي، «استعاد» التنظيم المدينة في وضح النهار ناقلا نحو خمسين دبابة على مسافة ٢٥٠ كيلومترا مكشوفة من دون أن يتعرض لأي إزعاج أو إعاقة، وكما في المرة السابقة هربت/انسحبت قوات النظام المعززة بحضور إيراني وبوجود روسي رمزي (استخباري).

وما أعاد «داعش» إلى تدمر هو حاجة «ممانعة» دمشق وطهران إلى خدماته، إذ كان احتلاله مدينة أثرية ذات سمعة عالمية شكل تطورا حاسما في حصر الأزمة السورية في خانة «الحرب على الإرهاب».

ولأن التوجه الروسي إلى وقف النار وترتيب مفاوضات في آستانه يعيد الأزمة إلى واقعها الداخلي كصراع بين نظام ومعارضة، فقد استدعى الأسد والإيرانيون «داعش» مجددا إلى تدمر، إلا أن تكرار السيناريو المكشوف قد لا يؤدي إلى النتائج ذاتها.

تنبغي أيضا معاينة وقائع أخرى، فما الذي استدعى أن يدمر «داعش» معمل «حيان» للغاز في ريف حمص الشرقي الذي وصفه وزير الخارجية الكرواتي بأنه «تدمير لأكبر منشأة اقتصادية في سورية منذ اندلاع الأزمة» (كرواتيا تملك ٤٥٪ من المعمل).

هل نفذ «داعش» أوامر النظام، أم اعتبر النظام أن لا عودة له إلى تلك المنطقة فقرر تدمير المنشأة ليحرم أعداءه من مرفق اقتصادي مهم؟

الأكيد، أنه تخريب متعمد من دون أي مبرر أمني، لكن هناك مصادر تعزوه إلى هاجس «ترسيم الحدود»، فالأسد يوهم المتعاطفين معه عربيا ودوليا بأنه يحارب لإبقاء سورية موحدة، وهؤلاء المتعاطفون يصدقونه ويتجاهلون أجندة إيران القائمة على تثبيت نفوذ دائم في سورية عبر التغيير الديموغرافي في محيط دمشق وحيثما أمكنها ذلك.

ثمة أسئلة أيضا، ودائما في إطار تلك المواجهة، عن التفجيرات الأخيرة سواء في كفر سوسة أو في جبلة وطرطوس، امتدادا إلى المعلن/ وغير المعلن عنه من غارات إسرائيلية. لا إجابات واضحة، لكن الحدس التحليلي لدى السوريين، موالين ومعارضين، كما لدى أي شعب يشهد حربا داخلية، يميل إلى ربط الأحداث وتفسيرها أحيانا بما يقرب من «نظرية المؤامرة»، ولا يعني ذلك أنه مخطئ كليا.

فالتفجير في جبلة هو الثاني الذي يقع خلال فترة قصيرة في موقع لا يبعد سوى كيلومترات قليلة من قاعدة حميميم الروسية، وبديهي أنه يوجه مع تفجيرين آخرين في طرطوس رسالة إلى الروس بأن أمنهم في قواعدهم يمكن أن يهدد من دون أن تكون طائراتهم ولا بوارجهم قادرة على الرد. وهكذا، فإن الإرهاب الذي منع أي تدخل دولي أو عربي مباشر في سورية يمكن أن يستخدم حتى ضد الروس إذا اقتضت الظروف استهدافهم.

لكن في أي سياق يمكن إدراج تفجير كفرسوسة الذي قتل فيه ثمانية من عسكريي النظام، بينهم عقيد في المخابرات؟

قال إعلام النظام أنه «تفجير إرهابي» نفذه انتحاري، لكن طبيعة المكان وعدد القتلى أبقيا ملابسات الحادث غامضة، ولم يتهم النظام أي جهة محددة ما يمكن أن يعني أنه ربما يشك في «جهة صديقة» وأن ما حصل هو تهديد مقابل تهديد. هذا يقود إلى تساؤل عن الغارات الإسرائيلية المتوالية على مطار المزة، فليست كلها ضد شحنات سلاح مخصصة لـ «حزب الله»، وإذا لم تكن بتنسيق مدروس مع الروس فإنها تبدو متناغمة مع ما يريده الروس من دون أن يكون هؤلاء متورطين مباشرة.

لا يعني ذلك أن الإسرائيليين مهتمون بوقف النار أو حريصون على نجاح السعي الروسي إلى إنهاء الصراع، لكنهم وجدوا في التطورات الجارية ما يمنحهم فرصة لمفاقمة التباعد والخلاف بين الروس والإيرانيين.

وكان لافتا مثلا، أن قراءات معارضين لمواقف النظام من الهدنة وشروطها في وادي بردى التقطت تأرجحا بين تشدد ومرونة على وقع اتصالات روسية وضربات إسرائيلية وتصلب

إيراني، إذ جاءت أفضل المبادرات للهدنة غداة ليلة طويلة من غارات إسرائيلية على مطار المزة ومحيطه.

وحملت اسم مدير مكتب الأمن القومي علي مملوك الذي سمى فيها اللواء المتقاعد أحمد الغضبان مفاوضا عن مقاتلي وادي بردى ومشرفا على تنفيذ ما يتفق عليه، ولما حضر الأخير بادر أحد ضباط النظام إلى قتله في ما اعتبرته المعارضة «إعداما ميدانيا»، وأجهضت «المبادرة».

كان واضحا خلال الأسابيع الأخيرة، أن النظام والإيرانيين اختاروا وادي بردى ثغرة لضرب الاتفاق الروسي — التركي على وقف شامل لإطلاق النار. كانت منطقة الوادي شهدت طوال الأعوام الماضية مناوشات، لكنها بقيت في شبه هدنة نسبية، وتحول مصدر إرواء دمشق في عين الفيجة ومنشآته عنصرا رادعا للطرفين، فلا «الجيش الحر» يهدده لئلا يستدرج هجوما واسعا عليه، ولا قوات النظام — و«حزب الله» تحديدا — تستهدفه لئلا تتسبب بتعطيش العاصمة.

غير أن هذا «الرادع» أسقط بعد التغيير الروسي لقواعد اللعبة، غداة معركة حلب، والاتجاه إلى عملية متدرجة يزعم أن هدفها إنهاء الصراع. إذ بدأت الهجمات على وادي بردى تتكاثف وتعنف بالتزامن مع الاجتماع الثلاثي، الروسي — التركي — الإيراني، واتضاح أن موسكو تطور تنسيقها مع أنقرة لتغيير وجهة الأزمة وإدارتها.

اتضح أيضا أن وادي بردى والغوطة الدمشقية بشرقها وغربها كانا ثغرة في الدور الروسي. ففيما ضغطت موسكو للحصول على «وقف شامل لإطلاق النار» وبنت عليه دعوتها إلى مفاوضات عسكرية في آستانه تمهد لمفاوضات سياسية في جنيف، دخلت قوات النظام والميليشيات الإيرانية في سباق مع الوقت للسيطرة على وادي بردى لكنها صدت وتكبدت خسائر كبيرة، عندئذ راح النظام يقصف منشآت المياه في عين الفيجة وتوصل إلى تعطيلها قبل يومين من إعلان اتفاق وقف النار (٢٠١٦/١٢/٢٩)، ليصبح حرمان دمشق من المياه ورقة إعلامية في يده وذريعة لاستمراره في القتال.

قيل دائما، ولا يزال صحيحا، أن أي وقف لإطلاق النار وشروع في مفاوضات سياسية يشكلان بالنسبة إلى الأسد بداية النهاية حتى لو طالت. وينطبق الأمر أيضا على إيران ونفوذها.

إذ إن الترتيبات العسكرية المتداولة لهدنة دائمة تتضمن بالضرورة سحب ميليشياتها، كما أن أي حل سياسي ترضى به المعارضة أو يفرض عليها سيعني في حد أدنى أن سلطة الأسد لن تعود مطلقة وأن بنية نظامه ستتعرض لاختراق، وإلا فإنه لن يكون حلا ولن ينهي الصراع.

لا بد أن تدرك روسيا أن حليفيها كانا يبجلان دورها حين كانت ترتكب التدمير الإجرامي، فإذا كفت عنه فإنهما سيعمدان إلى تدمير شامل لتخريب أي معادلة جديدة.

تركيا وإيران... حليفتان أم متنافستان؟

محمد رضا جليلي: وثيبري كيلنر –
(لوموند ديبلوماتيك) ٢٠١٧/١/١٩
ترجمة: عبد الرحمن الحسيني – الغد الأردنية ٢٠١٧/١/٢٢

كانت إيران وتركيا براغماتيتين دائماً في علاقاتهما الثنائية على الرغم من تنافسهما، ومواقفهما المختلفة أحياناً. لكن انتفاضات الربيع العربي كشفت - وفي بعض الأحيان خلقت- عداوات عميقة. وقد ظهرت الخلافات منذ بداية الأزمة السورية. وكانت أنقرة على وفاق جيد مع دمشق كجزء من سياستها «صفر مشاكل مع الجيران»، لكنها بعد أن حاولت (عبثاً) إقناع حكومة الرئيس بشار الأسد بإجراء إصلاحات، منحت دعمها للمعارضة. أما إيران التي تعتمد سياستها الشرق أوسطية برمتها على سورية، فقد تبنت موقفاً مخالفاً كلية، فدعمت حكومة الأسد وجندت حلفاءها في لبنان، بما فيهم حزب الله، وشبكات أخرى: من الميليشيات الشيعية العراقية بالإضافة إلى متطوعين شيعة من بلدان مختلفة شاركوا في حصار شرق حلب. وبينما أصبحت إيران أهم حليف لحكومة الأسد - على الأقل حتى التدخل الروسي في أيلول (سبتمبر) من العام ٢٠١٥- كانت تركيا تخول حلف شمال الأطلسي بنشر دفاعات مضادة للصواريخ على أراضيها بعد انتهاك مجالها الجوي من جانب سلاح الجو الروسي، وأيضاً لحماية نفسها من صواريخ تطلق من سورية. وكانت إيران معارضة لهذه القرارات التي رأت فيها تهديداً مباشراً.

وفي الأثناء، تشعر الحكومة الإيرانية بأن تركيا تخلت عن سياستها المستقلة عن الولايات المتحدة، والتي كانت قد بدأت في العام ٢٠٠٣ عندما رفضت تسهيل التدخل العسكري الأميركي في العراق. وفي تموز (يوليو) ٢٠١٥، منحت تركيا للولايات المتحدة التخويل باستخدام قاعدتها الجوية في إنجرليك لشن ضربات جوية ضد قوات «داعش». واستفز هذا القرار، على الرغم من أنه ساعد في احتواء تقدم «داعش»، غضب إيران التي نظرت إلى ذلك بشكل رئيسي على أنه طريقة جديدة من تركيا للسعي إلى التقارب مع الولايات المتحدة. كما شعرت إيران بالقلق من تجمع تركيا والسعودية وقطر على سورية في بداية العام ٢٠١٥، عندما اتفقت البلدان

الثلاثة على تنسيق عملياتها وزيادة دعمها المقدم للمعارضة السورية. وسرعان ما اثمر هذا التنسيق: فمن آذار (مارس) ٢٠١٥ تقدمت قوات الثوار في أجزاء مختلفة من سورية. فضغطت إيران تبعاً لذلك على روسيا لتتدخل.

على الرغم من التوصل إلى الاتفاق النووي الإيراني في تموز (يوليو) ٢٠١٥، بدأت تركيا وإيران حرباً كلامية حول سورية، واتهمتا بعضهما البعض بدعم الحركات الإرهابية. وغضب الرئيس رجب طيب أردوغان بسبب اتهامات وسائل الإعلام الإيرانية التي قالت إن تركيا تشتري نفطاً من آبار النفط السورية التي يسيطر عليها «داعش». وعندما توطدت الروابط مع بعض دول الخليج النفطية، أسست تركيا في أيار (مايو) من العام ٢٠١٦ - ولأول مرة منذ أفول الامبراطورية العثمانية- قاعدة عسكرية على أراضي أقرب حليف إقليمي لها، قطر. وتعكس هذه المبادرة التحالف السني الذي دشنته السعودية في آذار (مارس) ٢٠١٦، وتشترك في عضويته كل من تركيا وقطر. قد أثارت هذه التطورات - ونفاذ تركيا إلى الخليج الذي تعتبره إيران منطقة نفوذ خاصة لها- قلق إيران.

مع أنهما متعارضتان بشكل كبيرة في الكثير من القضايا الإقليمية، تظل تركيا وإيران مرتبطتين مع بعضهما من خلال التجارة والطاقة. وتشتري تركيا النفط والغاز من إيران بينما تستورد إيران سلعاً استهلاكية تركية. لكن الاختلافات السياسية تلقي بثقلها: فقد هبطت قيمة التجارة البينية من ٢١,٨٩ مليار دولار في العام ٢٠١٢ إلى ١٣,٧ مليار دولار في العام ٢٠١٤، وإلى ٩,٧ مليار دولار فقط في العام ٢٠١٥. ومع أن هذا التراجع يعزى في جزء منه إلى هبوط اسعار الهيدروكربونات، فإن هذه المستويات تبقى أقل بكثير من الهدف الذي كان البلدان قد حدداه والبالغ ٣٥ مليار دولار. وحتى مع ذلك، عرضت إيران خدماتها كوسيط خلال الأزمة التي نجمت بين أنقرة وموسكو عندما أسقطت تركيا طائرة مقاتلة روسية قيل أنها اخترقت المجال الجوي التركي في تشرين الثاني (نوفمبر) في العام ٢٠١٥، في سعي منها، من دون شك، إلى تحسين علاقاتها مع تركيا. وفي إشارة على أن البراغماتية ما تزال سائدة، وقعت إيران وتركيا على اتفاقية حول السياحة في العام ٢٠١٦، وما تزالان تبحثان سبل التعاون الاستراتيجي في مجال النفط والغاز.

منحت محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا يومي ١٥- ١٦ تموز (يوليو) الماضي إيران فرصة لم تكن تحلم بها لتحسين علاقاتها مع جارتها. فبينما كان الانقلاب يجري، غرد وزير الخارجية الإيرانية على «تويتر»، معلناً دعم إيران للحكومة التركية. كما أعرب المجلس الأعلى للأمن القومي في إيران، والذي يرأسه الرئيس حسن روحاني، عن الدعم الرسمي «للحكومة الشرعية لتركيا». وتضاربت هذه الاستجابة الفورية مع الرد الذي اتسم بالبطء لبلدان «الناتو» التي تعتبر الحلفاء الرسميين لحكومة أردوغان. وبعد وقت قصير من الانقلاب الفاشل، اقترح روحاني عقد مباحثات حول قضايا إقليمية، مستفيداً بوضوح من ذلك التطور لدعوة الحكومة التركية إلى إعادة النظر في موقفها من سورية. وفي أقل من شهر، كان هناك تقارب. ويتركز الإجماع على ثلاثة أهداف رئيسية بحثت أصلاً، وإنما من دون نجاح، في محادثات سرية جرت بعد ثلاثة أشهر من انتخاب روحاني: المحافظة على سيادة سورية الإقليمية؛ ومحاربة كل الحركات المتطرفة والإرهابية؛ وتأسيس حكومة وحدة وطنية عبر انتخابات باشراف الأمم المتحدة.

مع ذلك، ومع وجود تفاهم رسمي على هذه النقاط، سادت خلافات، وخاصة حول دور الأسد، مما جعل التقارب هشاً. وكانت الولايات المتحدة وتركيا تعملان من أجل إذابة الجليد في علاقتهما التي أصبحت باردة بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة؛ واجتمع أوباما وأردوغان في أوائل أيلول (سبتمبر)، وكانت تركيا قد شنت قبل ذلك بشهر عملية درع الفرات في شمالي سورية بالتعاون مع الولايات المتحدة من دون تحذير إيران. ولأنها أُخذت بالمفاجأة، اعتبرت إيران العملية انتهاكاً لسيادة سورية، واتهمت تركيا بتعقيد الوضع الإقليمي. لكن هذا لم يمنع تركيا من توسيع عملياتها لتأسيس منطقة آمنة كأمر قائم للمعارضة في الأراضي السورية. ويعتبر هذا الملاذ الآمن مهماً مع سقوط آخر معاقل للثوار في شرق حلب، لكنه لا يسر إيران.

وهكذا، وعلى الرغم من أن إيران وتركيا تسعيان رسمياً إلى إرضاء بعضهما، كما اقترح عقد اجتماع بين روحاني وأردوغان على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول (سبتمبر) الماضي، فإن مواقفهما تستمر في التباين على صعيد السياسة الإقليمية. ففي رد على السياسة الخارجية الإيرانية، حول القضية الشيعية، يصور أردوغان نفسه بالتدريج على أنه حامٍ للسنة. وفي العراق، في سياق العمليات العسكرية لاستعادة الموصل، دان أردوغان تواجد المليشيات الشيعية المدعومة من إيران على الأراضي العراقية، واصفاً إياها بأنها تشكل تهديداً للسنة. وعمد إلى حشد قوات على الحدود مع العراق، ملمحاً إلى أن هذه القوات لن تقف مكتوفة الأيدي إذا عانى السنة خلال العمليات ضد «داعش» في الموصل وتلعفر (التي توجد فيها أقلية تركمانية كبيرة).

يعتقد بعض المراقبين أن هذا التحذير لداعمي إيران في العراق - وبشكل غير مباشر للسياسة الإيرانية في العراق- يمكن أن يشكل أساساً لتقارب بين الحكومة التركية وإدارة ترامب. وإذا حدث ذلك، فإن من الصعب إرضاء إيران في ضوء الطريقة التي يتحدث بها ترامب ومستشاروه عنها.

يحدث في العراق الآن... سليماني ومسجدي يحكمان

هارون محمد - العرب اللندنية ٢٠١٧/١/١٩

يبدو أن الجنرال الإيراني قاسم سليماني، الذي يعد الحاكم السياسي والعسكري العام في العراق بلا منازع، تنتظره مهام كبيرة وكثيرة خلال عام ٢٠١٧ الحالي، على مستوى المنطقة العربية والعراق جزء منها، لذلك اضطر إلى استقدام كبير مستشاريه إيرج مسجدي إلى العاصمة العراقية بصفة «سفير» في خطوة مدروسة لتحويل السفارة الإيرانية في بغداد وفروعها في البصرة والنجف وكربلاء وأربيل والسليمانية، إلى غرف عمليات خاصة، تتولى تنفيذ السياسات المرحلية والاستراتيجية والأجندة الإيرانية المستقبلية، في العراق والمنطقة برمتها، لأن طهران في الحقيقة، لا تحتاج إلى سفارات وسفراء وقناصل وملحقين في العراق، لأن الكثير من قياديي وكوادر الأحزاب والميليشيات الشيعية، إيرانيون أبا عن جد، ويعملون كمخبرين وجواسيس لها، يخدمون مصالحها، أفضل بكثير من منتسبي وأعضاء بعثاتها الدبلوماسية والاستخبارية الإيرانيين.

تعيين مسجدي الذي يشغل منصب المستشار الأعلى لقائد فيلق قدس الجنرال قاسم سليماني، ومفردة «الأعلى» لها وقع خاص في العقيدة الشيعية، وتستخدم للمبالغة والتعظيم لمن يوصف بها، بعنوان «سفير» في بغداد، وهو الذي خدم في الحرس الثوري أكثر من ٣٥ سنة، ويتمتع بنظرة عميقة حيال الأوضاع السياسية والأمنية والطائفية في العراق، كما نشرت التقارير الرسمية الإيرانية في تعريف سيرته الشخصية والوظيفية، وبسبب هذه «النظرة العميقة» اختاره الجنرال سليماني مستشارا أعلى له قبل سنوات، لم يأت صدفة أو اعتباطا، وإنما لأنه جزء أو طرف في المشروع الإيراني الذي ينفذه سليماني في العراق وسوريا ولبنان حاليا، ومقدماته «الهلال الشيعي» الذي لم يعد هدفا باطنيا أو سرا مخفيا.

وقبل أيام اعترف خطيب حسينية براثا جلال الدين الصغير وهو صوت إيراني صارخ، بأن «الهلال الشيعي سيتحول في المستقبل القريب إلى «المحيط الشيعي» بعد أن أصبح للشيعة حضور قوي في البحرين الأحمر والمتوسط، إضافة إلى «الخليج الفارسي» ويحكمون في العراق وسوريا ولبنان واليمن وغزة، وينشطون داخل المنطقة الشرقية السعودية والبحرين والكويت، ويتكاثرون في مصر والسودان والمغرب وأفريقيا».

وعندما كتبنا وحذرنا أكثر من مرة وفي هذا المكان بالذات من صحيفة «العرب» من تحركات الجنرال سليماني وخصوصا في المحافظات السنية العربية التي تستقطب اهتمامه ليس حبا بها ولا احتراما لأهلها، فإننا انطلقنا من وقائع وحقائق على الأرض تعزز ما نقول. فعلى صعيد محافظة ديالى، فإن السلطات الإيرانية حولت معسكر أشرف لمجاهدي خلق بعد إخلائه، إلى قاعدة إيرانية مئة بالمئة، وقد عمد الجنرال سليماني الذي أشرف على هيكلتها، إلى نشر لواء من الحرس الثوري فيها، بعد أن صادر مساحات زراعية شاسعة في محيطها بعمق ٧ كيلومترات وهجر سكانها الفلاحين الفقراء، ووسع المهبط القديم لطائرات الهليوكبتر، وطوره إلى مدرج يستقبل منذ عامين طائرات نقل عسكرية وقتالية بمعزل عن الحكومة العراقية.

أما قضاء جرف الصخر شمال محافظة بابل، فإن القوة المسلحة التي تحتل القضاء بعد طرد داعش منه، إيرانية بالكامل، اعترف رئيس الحكومة والقائد العام للقوات المسلحة حيدر العبادي، بأنه سأل عن هويتها وارتباطاتها من هيئة الحشد الشعبي، دون أن يحظى بجواب واضح عنها، بل إن ضباط هذه القوة احتجزوا وزير الداخلية السابق محمد سالم الغبان ومرافقيه في العام الماضي، عندما حاول زيارة القضاء ضمن جولة تفقدية للمحافظة، ولم يطلقوا سراحه رغم أنه قيادي في ميليشيات بدر الشيعية، إلا بعد مرور ثلاث ساعات على احتجازه وببرقية من طهران، وقبل ستة شهور قال محافظ بابل صادق السلطاني لوفد من نازحي المدينة منعوا من العودة إلى ديارهم، إن منطقة جرف الصخر ليست من مسؤولياته ولا تدخل ضمن سلطاته وموضوعها معقد.

وفي ما يخص محافظة صلاح الدين فإن قرية المزرعة في أطراف تكريت باتت أيضا قاعدة إيرانية لا يعرف عنها أي شيء، باستثناء لافتات بالعربية على مسافات بعيدة عنها تحمل عبارة «ممنوع الاقتراب

والتصوير»، في حين أصبح قضاء بيجي تحت السيطرة الإيرانية تماما، ومحظور على المحافظ ونواب المحافظة الوصول إليه، وسبق لفنيين إيرانيين أن فككوا معدات وأجهزة مصفاة وهو أكبر مصافي النفط والغاز في الشرق الأوسط، ونقلوها بشاحنات تحمل أرقاما إيرانية وتحت حراسة ميليشيات بدر والعصائب وكتائب حزب الله إلى قصر شيرين، مرورا بسامراء والعظيم والمقدادية وخانقين والمنذرية علنا.

وقبل أسبوعين منعت قوة من كتائب حزب الله / النجباء، وهي إيرانية التأسيس والتجهيز والتسليح وحتى التقليد المذهبي، مفرزة أميركية انطلقت من قاعدة سبايكر لاستطلاع منطقة الفتحة في جبال حمرين، بعد أن رصدت دواعش فيها، ولم تنفع محاولات الأميركيين بالتفاهم مع «النجباء» الذين هددوا بقتل كل من يتواجد في منطقة نفوذهم.

واضح أن مشروع الهلال الشيعي الإيراني، قد انتهت إجراءاته الميدانية في محافظتي ديالى وصلاح الدين، ولم يبق غير ربطه بقضاء تلعفر في غربي الموصل، الذي انتشرت في جنوبه وحدات الحشد الشعبي وصولا إلى الحدود السورية.

أما محافظة الأنبار فإن المشروع الإيراني يستهدف تقزيمها، وعزلها عن العاصمة بغداد ومحافظتي صلاح الدين والموصل، واقتطاع قضاء النخيب الذي ألحق عمليا وإداريا بمحافظة كربلاء، والعمل جار للسيطرة على قضاء الرطبة المجاور للأردن، وقطع اتصال المحافظة بالحدود السعودية بعد الاستيلاء على معبر عرعر، وتحويله إلى محافظة النجف التي أعلنت رسميا في الأسبوع الماضي عن تخصيص لواءين من الحشد الشعبي لحراسته.

الهلال الشيعي الإيراني في شقه العراقي، نفذ بدقة ودون اعتراض أي جهة أو دولة، ولا يستبعد أن يصبح مسجدي المسؤول الأعلى عنه بعد إعلانه، يدير شؤونه من مقره في بغداد، بعد استكمال إجراءاته في سوريا ولبنان وهي جاهزة تقريبا، لأن رئيسه سليماني سيتفرغ حتما للمشروع الأكبر؛ «المحيط الشيعي».

هكذا يحصل الحوثيون على ٣.٥ مليون دولار يومياً؟

يمن برس – يمن مونيتر ٢٠١٧/١/٤

تعد الموارد النفطية لليمن الركيزة الأساسية لاقتصاد البلد والخزينة العامة للدولة، ومنذ اجتياح الحوثيين للعاصمة صنعاء في سبتمبر/ أيلول ٢٠١٤م وضعوا أيديهم على مؤسسات القطاع النفطي- قبل بقية القطاعات- وفق عدة مراحل، مستغلين أياً من الأحداث في البلاد للاستحواذ عليها.

تنقل الحوثيون من مؤسسة نفطية إلى أخرى، استهدفوا المؤسسات التابعة للحكومة أو الشركات الأجنبية العاملة في البلاد، طردوا المسؤولين الحكوميين المعينين - بدرجة أساسية الإدارة المالية وأمناء الصناديق- وعينوا ممثلين عن الجماعة كما زرعوا في كل مؤسسة ممثلاً لهم (يدعى مشرف)، لا يمر قرار إلا بموافقته.

اعتمدت شبكة «يمن مونيتور» على معلومات دقيقة توصلت لها من مسؤولين معنيين بالقطاع النفطي في البلاد، وكان هذا الموضوع مدرجاً في أبرز أجندات الصحافي «محمد العبسي» الذي توفي (مسموماً) في صنعاء في ديسمبر/ كانون الأول الماضي، ومثلت مدونته مرجعاً رئيسياً لوثائق فساد الجماعة وكافح من أجل إيضاحها لليمنيين.

ما يكشف عنه التحقيق؟

حصل فريق الباحثين في هذا التحقيق لـ «يمن مونيتور» على بيانات صدرت من المسلحين الحوثيين، خلال عام (٢٠١٥) و(٢٠١٦)، إضافة إلى الوثائق التي نشرها أصدقاء «العبسي» في ما يمكن وصفه بـ «الإرث» الاستقصائي لمرحلة حكم الأمر الواقع للحوثيين والرئيس اليمني السابق، ويعتقد الكثير من الصحافيين أنه قُتل مسموماً عندما كان ينقب عن معلومات لثلاث شركات نفطية يملكها الحوثيون تدير القطاع النفطي بكاملة (استيراد- تصدير- سوق سوداء).

ويكشف التحقيق كيف أن المشتقات النفطية (وحدها) تعطي إيراداً للحوثيين بشكل سنوي حوالى مليار و ٢٥٠ مليون دولار، ما يقرب من (١٠٤ مليون ١٦٧ ألف دولار شهرياً)، بشكل يومي (٣ مليون و٤٧٢ ألف دولار) في المحافظات الخاضعة لسيطرتهم.

كيف كانت البداية؟

كانت البداية عندما كان الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي، قيد الإقامة الجبرية في منزله بصنعاء، مرر الحوثيون صفقة «كارثة» تقضي بتمرير اتفاق عقد شراكة بين شركة توتال وبين الحكومة اليمنية تصبح بموجبها شركة توتال شريكاً في قطاعين نفطيين إنتاجيين هامين هما قطاع ١٨ (صافر) والقطاع ٢٠ المجاور له (شبوة ومأرب)، وكلاهما قطاعان تشغلهما الشركة المملوكة للدولة «صافر».

وفي تفاصيل وآثار الصفقة، منحت توتال الفرنسية، المعروفة بفسادها «العابر للقارات»، حسب تعبير الصحافي العبسي، حق الإنتاج في قطاعات نفطية انتاجية مهمة، مقابل لا شيء، ما يعني حرمان خزينة الدولة اليمنية من موارد مالية كبيرة، لقاء رشاوى وعمولات تمنحها توتال لسماسرة الحوثي، الذين زعموا أنهم جاؤوا لإنقاذ اليمنيين من براثن الفساد!

رفض الحوثيين التخلي عن النفط

تواصلت شبكة «يمن مونيتور» بالشركة اليمنية للنفط للحصول على معلومات حديثة بما أن تحالف الحوثيين والرئيس اليمني السابق قد قاموا بتشكيل حكومة موازية في صنعاء، (نوفمبر/ تشرين الثاني) والسؤال عن إيرادات الشركة. رفض ثلاثة من كبار المسؤولين الرد على الأسئلة، لكن موظفاً له علاقة بالأمر تحدث بصراحة حول ما دار في أول زيارة لوزير المالية في حكومة الحوثيين (صالح شعبان).

وقال المسؤول لـ «يمن مونيتور «: «زار صالح شعبان شركة النفط بعد يومين من إعلانه وزيراً للمالية في محاولة للبحث عن إيرادات لخزينة الدولة بعد نقل البنك المركزي إلى عدن، وطالب بتوريد الإيرادات إلى حساب الحكومة لدى البنك المركزي. واشتاط المسؤولون الحوثيون غضباً».

وأبلغ الحوثيون «شعبان» رفضهم توريد المبالغ لحساب حكومة الشراكة مع حليفهم «صالح»، وما كان عليه إلا المغادرة يجر خلفه أذيال الخيبة. - كما أفاد المسؤول الذي فضل عدم الكشف عن هويته.

أحجية السوق السوداء

في يوليو/ تموز ٢٠١٥م، أعلنت ما تسمى بـ «اللجنة الثورية العليا» لجماعة الحوثي أنها قررت تعويم أسعار المشتقات النفطية وفقا للأسعار العالمية، وهو ما يعني رفع الدعم عن المشتقات بشكل نهائي، وفتح المجال واسعا لاستيراد القطاع الخاص مباشرة.

ومن المصادفة أن الحوثيين اجتاحوا العاصمة صنعاء بمبرر قرار لحكومة الوفاق (التي رأسها محمد سالم باسندوة) في يوليو/ تموز ٢٠١٤م رفع الدعم عن المشتقات النفطية!

لكن ما يهم الحوثيين هو فتح المجال نحو استيراد القطاع الخاص مباشرة وبيعه في الأسواق السوداء، وفي ظل تحكم الجماعة بالميناء الذي يمد المحافظات الخاضعة لسيطرتهم بالاحتياجات (الحديدة) - غربي البلاد- فإن الأمور ستكون أكثر وضوحاً وانتاجية للحصول على الإيرادات، وتأسيس رؤوس أموال جديدة في الدولة.

يشير قرار التعويم، أيضاً، الذي يمر عليه قرابة (١٨ شهراً)- عام ونصف- إلى رفع رسوم الجمارك، والضرائب، وصندوق الطرق، وصندوق التشجيع، وهي رسوم كانت تضاف للسعر السابق، وتورد لخزينة الدولة، تحت البنود السابق ذكرها. كما قضى القرار بـ «إضافة خمسة ريالات يمنية للتر الواحد، من مادتي البنزين، والديزل، لتمويل إنشاء محطة كهرباء، ويورد المبلغ للحساب المضاف للمشروع في البنك المركزي اليمني. وأقرت اللجنة أيضا، إضافة رسوم على أسعار المشتقات لصالح إنشاء ميناء نفطي، لمدة أربعة وعشرين شهرا، بواقع ستين ريالا (٠,٢٧٩ دولار) على اللتر الواحد من مادة الكيروسين، و٥٤ ريالا (٠,٢٥١ دولار) على اللتر الواحد من مادة البنزين، و٧٩ ريالا (٠,٣٦٧ دولار) على اللتر الواحد من مادة الديزل.

ولتفكيك إجمالي ما حصل عليه الحوثيون لأجل مشاريعهم، وفق قرار التعويم، حصل «يمن مونيتور» على بيانات للاستهلاك (خلال عام ٢٠١٥م) في المحافظات الخاضعة لسيطرة الجماعة - مع أن الجماعة خلال العامين الماضين كانت الإيرادات بما فيها المحافظات المحررة تورد إلى حسابات المذكورة في البنك المركزي.

وبما أن الأوضاع كما هي خلال العام (٢٠١٦) بل على العكس انفرج استيراد المشتقات النفطية منذ تولي الأمم المتحدة مسألة الرقابة على الوردات إلى اليمن منذ مايو/ آيار ٢٠١٦م. خصوصاً وأن دراسة الأرقام ستكتفي للمحافظات الخاضعة لسيطرة الحوثيين.

ويظهر ذلك في الجدول الآتي:

المحافظة	كمية المبيعات من الوقود عام ٢٠١٥ (مليون لتر)
تعز	٢٠٣
حجة	٢٤٧
البيضاء	١٥٤
ريمة	٤
عمران	٨٨
صنعاء	١٣٧
إب	١٢١
الحديدة	٤٥٢
المحويت	١٦
ذمار	١٥٦
صعدة	٩٨
الأمانة	٤٢٦
الإجمالي	٢,١٠٢ مليار لتر

❖الإحصائيات عن تقارير خاصة بـ «وزارة التخطيط» الخاضعة لسيطرة الحوثيين لكل المحافظات اليمنية.

قرابة مليار دولار كزيادة في قرار التعويم

وإذا فرضنا أن متوسط ما ستأخذه الجماعة في اللتر الواحد للمشروعين (الميناء النفطي- والمحطة الكهربائية) سيكون (٦٥ ريالاً) فإن الجماعة ستحصد، خلال العام الواحد، (١٣٦ مليار و ٦٦٣ مليون ريال)، وفي عام ونصف ستحصل الجماعة المسلحة على (٢٠٤ مليار و٩٤٥ مليون ريال)، ما يقارب (٨١٩ مليون و٧٨٠ ألف دولار)، هذا فقط خلال المدة بين يوليو/تموز ٢٠١٥م- عند صدور قرار التعويم- إلى ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٦م، فيما يخص ما نص عليه القرار من مبالغ مالية على المشتقات النفطية لإنشاء محطة كهرباء و ميناء نفطي خاص، وهو ما لم يحدث ابداً، أو تظهر نواحي باتجاهه.

فجماعة الحوثي لم ترفع الدعم عن المشتقات النفطية فقط، بل كالعادة كانت الجبايات الجديدة فرضاً لتقوية رؤوس أموال الجماعة المسلحة والحصول على إيرادات تخص الجماعة وحدها.

الأسواق السوداء

خلال عام ٢٠١٥م و٢٠١٦م كانت الأسواق السوداء هي المسيطرة بشكل واضح في المحافظات الخاضعة لسيطرة الحوثيين، وليست فقط الشركات الأخرى بل أيضاً شركة النفط اليمنية الخاضعة لسيطرة الجماعة.

رصد فريق لـ «يمن مونيتور»، مع نهاية عام ٢٠١٦م انخفاض واسع في الأسواق الموازية للباعة الجوالين للمشتقات النفطية، في العاصمة صنعاء، بعد أن كانت دراسة سابقة نشرت بداية العام الماضي تشير إلى وجود ٧٠٠ سوق سوداء معظمها على مداخل المدينة.

يعود السبب في ذلك إلى أن محطات التعبئة تبيع بسعر (السوق السوداء) عبر شركة النفط التي يفترض بكونها - حتى قبل قرار التعويم- المستورد والموزع الأساس للنفط.

وحسب السعر الرسمي للجالون البنزين فإنه لا يتجاوز (٢٧٠٠ ريال) ما يقرب(٩ دولار) لكن المحطات تبيع الجالون بـ(٥٠٠٠ ريال) وكحد أدنى (٤٢٠٠ ريال) وفي بعض الفترات والتي استمرت أشهر كانت السوق السوداء تبيع الجالون بـ(٦٠٠٠) ريال. فيما يبلغ سعر الجالون من الديزل (٤٥٠٠ ريال) تقريباً (١٥ دولار) من السعر الرسمي له والمقدر بـ(٢٥٠٠ريال). (الأسعار الرسمية بعد رفع الدعم عن المشتقات النفطية).

وقال المسؤول في شركة النفط لـ «يمن مونيتور»، إن الشركة مستمرة في بيع (الجالون) من النبزين ب ٣٦٠٠ ريال في بعض مراكز البيع بالمحافظات، لكن بكميات قليلة ونادراً ما يقوم أصحاب السيارات والشاحنات بالحصول على الكميات المطلوبة لهم بالرغم من الطوابير الطويلة، ويقرر فقط ٦٠ لتر لكل سيارة.

من خلال ما سبق، يمكن الافتراض أن المتوسط الأدنى الذي يجنيه الحوثيون هو (٢٠٠٠ ريال) من كل جالون يقومون بتوزيعه بمعنى (١٠٠ ريال)- أقل من ٤ دولار) في كل لتر، فإن إجمالي ما يجنيه الحوثيون خلال العام كأقل تقدير (٢١٠ مليار و ٢٠٠ مليون ريال)، بما يعني أن الحوثيين حصلوا خلال العام من خلال فارق (السعر فقط) بين (الرسمي والسوداء) مبلغ (٨١٩ مليون و ٧٨٠ ألف دولار) خلال العام وستصل اليمن العامين منذ بدء عمليات التحالف العربي في اليمن في مارس/ آذار، عندها يكون الحوثيون قد حصلوا على (مليار و٦٣٩ مليون و ٥٦٠ ألف دولار).

احتكار الحوثيين سوق الاستيراد

لا تقتصر أرباح الحوثيين على هذه فقط من الإيرادات، بل إن قرار «التعويم» قام بتفصيل الإستيراد على مقاس الجماعة، أعلن الحوثيون في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥م عن «لائحة الضوابط والإجراءات المنظمة لاستيراد المشتقات النفطية»، وهي اللائحة التي تمكن من الاستيراد دون الرجوع إلى شركة «النفط» اليمنية.

ورغم الانتقادات التي وجهها مجلس تنسيق اللجان النقابية لشركة النفط اليمنية إلا أن الحوثيين مضوا في طريقهم، ودعا بيان للمجلس أثناء اصدار اللائحة إلى «إلغاء قرار التعويم الكارثي، ووقف التعامل مع التجار المتورطين في السوق السوداء، وعبر الوسطاء المحليين، وتجنيب شركة النفط تدخلات مشرفي جماعة الحوثي غير المؤهلين.

ولوح المجلس بالتصعيد ما لم تستجب قيادة شركة النفط الحالية لمطالبهم المشروعة، وأبرزها «سحب اللائحة، وإلغاء قرار التعويم، أو إعادة النظر فيه بما يكفل حل مشكلة تموين مؤسسة الكهرباء، ومحاربة السوق السوداء ووقف التعامل مع كل من تورط في تجارته».

وفور صدور اللائحة تقدمت ثلاث شركات نفطية يملكها الحوثيون للسيطرة على سوق النفط في اليمن، وحدها فقط وليس شركات أخرى سواها، هذه الشركات تأسست فوراً ودون إبطاء مع الإعلان عن اللائحة، وحصلت على التراخيص.

وهذا الموضوع كان آخر ما تابعه «محمد العبسي» قبل وفاته المُقلقة منتصف ديسمبر/ كانون الأول الماضي، وهو ما دفع أسرته ونقابة الصحافيين اليمنيين للمطالبة بلجنة محايدة لتشريح الجثة وتحديد سبب الوفاة.===

وتشير مراسلات لـ «العبسي» قبل وفاته مع صحافيين وناشطين، تورط قيادات في جماعة الحوثي بتأسيس شركات تحتكر استيراد المشتقات النفطية من الخارج. من ذلك ما كشفه الإعلامي اليمني محمد الربع عن رسالة وجهها إليه العبسي قبل أيام من وفاته، طلب فيها من الربع الذي يعمل في قناة «يمن شباب» التي تبث برامجها من الأردن، الحديث عن «هوامير الفساد النفطي»، وقال العبسي في رسالته إنه أجرى بحثاً استقصائياً عن تجار السوق السوداء في اليمن واتضح له أن أكبر الشركات النفطية المحتكرة حالياً استيراد النفط ثلاث شركات كلها لقيادات حوثية.

وحسب المراسلات فإن الشركة الأولى الكبيرة هي لـ «محمد عبدالسلام» الناطق الرسمي باسم جماعة الحوثي المسلحة وأسماها «يمن لايف» ويديرها شقيقه، والشركة الثانية لتاجر السلاح الحوثي المعروف دغسان محمد دغسان واسمها «أويل برايمر»، بينما تعود الشركة الثالثة واسمها «الذهب الأسود» للحوثي علي قرشة الذي كان عضواً في لجنة الوساطة أثناء الحرب الخامسة، مشيراً إلى أنه تم إنشاء شركة في إمارة «دبي» من قبل الحوثيين كواجهة تقوم بشراء النفط باسمها صورياً حتى لا تواجههم مشاكل في الحصول على تراخيص من قبل دول التحالف.

وأشارت مراسلات العبسي إلى أن ارتفاع سعر الدولار إلى أكثر من ٣٠٠ ريال في فترة وجيزة سببه سحب العملة الصعبة من السوق والمتاجرة بها في استيراد النفط، ما يعد في نظر العبسي أحد الأسباب التي تجعل محمد عبدالسلام وفريقه المفاوض في محادثات السلام مع الحكومة الشرعية، يفشل أي حلول أو فرص للتوصل إلى السلام في اليمن، وإبقاء الوضع الحالي كما هو لأطول وقت ممكن حتى يتمكنوا من تكوين ثروة تمكنهم من البقاء اقتصادياً.

ونشر محمد الربع عدة وثائق زُود بها من قبل «العبسي» تؤكد كل ما ذكره، بينها رسالة موجهة من الشركة اليمنية للنفط إلى بنك اليمن الدولي تطلب فيها تحويل مبلغ ثلاثة ملايين و٤٢١ ألف دولار من حسابها لمصلحة شركة «الذهب الأسود» التي يمتلكها القيادي الحوثي علي قرشة، مقابل ٧٠٠ طن متري من الديزل.

وخلال العامين الماضيين تشكلت طبقة تجارية جديدة في السوق اليمنية من الحوثيين، اذ أنشأت قيادات حوثية عدة شركات صرافة، وفتحت عدداً كبيراً من محطات بيع المشتقات النفطية، ومعارض لتجارة السيارات، الأمر الذي مكنها من تكوين ثروات كبيرة، تم تسخير أجزاء منها لشراء الأراضي والمنازل في العاصمة صنعاء وبقية المدن التي يسيطر عليها مسلحو الجماعة الذين يسعون أيضاً لإنشاء شركة اتصالات جديدة من الجيل الرابع، بيد أن يحيى الراعي رئيس مجلس النواب المحسوب على «صالح»، تمكن من تجميد الترخيص لهذه الشركة في اللحظات الأخيرة.

من الملاحظ أن هذا النموذج في إدارة السوق السوداء «مستورد»، يشبه، إلى حد كبير، إدارة «الحرس الثوري» في إيران لمؤسساته الموازية في بلاده، بما في ذلك السوق السوداء التي يديرها بتشريع حكومي كاستدامة لموارده المالية، فالحرس الثوري يملك موانئ خاصة به لتهريب المشتقات النفطية، وهو أحد أكبر الرابحين من انهيار العملة مقابل الدولار، لدرجة وصلت في التجار الإيرانيين للتعامل بالذهب، وهذا ما حدث فعلاً في اليمن مع انهيار العملة اليمنية خلال الفترة الماضية.

مؤشرات التطرف لدى الشباب

هذه بعض المؤشرات الفكرية والسلوكية التي تكشف للأسرة والمجتمع مبكراً عن تورط أبنائها بفكر الغلو والتطرف، ما يساعد على سرعة العلاج والوقاية قبل التورط الكامل بتقبل منظومة التطرف والغلو أو الأعمال الإرهابية.

١ المؤشرات الاقتصادية

- التغير في الوضع المالي سلباً أو إيجاباً، حيث تختفي نقوده دون مبرر واضح، أو يغتني دون سبب، أو التخلي عن بعض المقتنيات الثمينة أو ظهورها فجأة، وكذلك ممارسة أنشطة خيرية بطريقة غير رسمية أو واضحة.
- ممارسة أنشطة تجارية مشبوهة.
- العزوف عن العمل الحكومي مع توفره، والاتجاه نحو التجارة البسيطة كبيع الخضار والعسل وما شابه، وتبرير ذلك بشبهات شرعية حول مشروعية العمل الحكومي.
- استغلال العمل الخيري لأعمال غير صحيحة، أو استباحة المال العام لصالح جهات أخرى.

٢ المؤشرات الاجتماعية

- عدم مشاركة الفرد في المناسبات الاجتماعية، وقلة الخلطة بالمنزل مع الأهل، ومرافقة أشخاص غير معروفين أو يبدو عليهم التشدد والغلو.
- قطع العلاقات والصداقات السابقة بطريقة مفاجئة.
- اتخاذ أصحاب جدد في الواقع أو عبر النت مشبوهين أو متشددين.
- الذهاب مع الغرباء لرحلات برية باسم الصيد، أو لصلاة الجمعة عند خطيب محدد لديه تشدد.
- عقوق الوالدين وقطيعة الرحم وكثرة المنازعات مع الأسرة، وتزايد النقد للوضع العام والعلماء والقادة.

٣ المؤشرات النفسية

- الانطوائية عن الأسرة والأصدقاء، ومتابعة مواقع النت المتشددة والغالية.
- التوتر والقلق والخوف عند ذكر أجهزة الأمن أو جرائم الغلاة.
- الوسواس والشك والاكتئاب ما لم يكن له سبب معروف.
- اختلال السلامة النفسية وظهور سلوكيات غريبة كإطالة الشعر وترك حسن المظهر.
- ارتداء اللباس الأفغاني أو غطاء الرأس بالألوان غير المألوفة (البني والرمادي والأخضر)، أو الطاقية السوداء (طاقية الزرقاوي).
- ترك الصلاة في المساجد خاصة صلاة الجمعة وفي رمضان.

٤ المؤشرات الفكرية

- أحادية الرأي والتصلب فيه ورفض آراء الآخرين.
- الميل للغلظة في القول والعمل والتشدد في الآراء، والتركيز على السلبيات والتفسيق والتخوين.
- الاعتماد على الرؤى والأحلام وتحميلها أكثر مما تحتمل.
- التجرؤ على الفتوى مع عدم القدرة العلمية خاصة في القضايا الكبرى.
- الغلو بتقديس بعض رموز تيار العنف والقتال.
- تتبّع الزلات وإشاعتها بهدف التنقيص من الدولة والعلماء وغيرهم ممن يعارضون أفكار الغلو والتطرف.
- رفض العمل السياسي السلمي للإصلاح والتغيير.
- التكفير، للمجتمعات والدول والقادة والعلماء والجرأة على تكفير المعيّن، وتمني الانتقام منهم.

هذه هي المؤشرات التي يجب أن تنبّه الأسرة لحدوث خلل لدى أي فرد فيها مما يستدعي تدخلها، بالنصيحة والزجر، وإذا لم ينفع لا بد من إبلاغ الجهات الرسمية.

المصدر: كتاب "مؤشرات التطرف عند الشباب"، د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الهليل، مركز دلائل.

الراصد
www.alrased.net
سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة
الراصد ١٦٥ جمادى الآخر ١٤٣٨هـ
أُمّتُنا .. وعدوان الداخل والخارج
16
التجربة السياسية الشيعية الحديثة
31
رواية رحلة الدم .. إبراهيم عيسي يتعرى
40
العرب السنة في العراق المأساة وآفاق الحل

المحتويات

فاتحة القـول

- أمتنا وعدوان الداخل والخارج ٢

فرق ومذاهب

- أقطاب العلمانية ..... طارق منينة ٤

سطور من الذاكرة

- ٥ـ ثورات الخوارج محاولة اغتيال الحسن بن علي ..... هيثم الكسواني ١٣

دراســــــــات

- التجربة السياسية الشيعية الحديثة ... ١ـ تجربة إيران ..... بوزيدي يحيى ١٦
- إعلان السودان محاربة التشيع في أفريقيا ... الخلفيات والأبعاد ..... د. محمد خليفة صديق ٢٤
- الفكر النسوي وأثره على ارتفاع معدلات الطلاق ..... فاطمة عبد الرءوف ٢٨
- رواية رحلة الدم ... إبراهيم عيسى يتعرى ..... أسامة الهتيمي ٣١

كتاب الشهر

- العرب السنة في العراق المأساة وآفاق الحل ..... أسامة شحادة ٤٠

قالوا

..... ٤٣

جولة الصحافة

- الإطار المرجعي لسياسات إيران التوسعية في الإقليم ..... د. بشير موسى نافع ٤٥
- اللعب على ثقافة القطيع ..... د. فراس الزوبعي ٤٧
- # ـ لا لروحاني ـ في ـ الجزائر ..... هشام منوَر ٤٨
- "الإقليمية" في جوهر الاشتباك الروسي ـ الإيراني ..... د. علي حسين باكير ٥٠
- إيران أم إسرائيل من هو العدو؟ ..... ناجي حرج ٥٢
- حزام الفتن حول جزيرة العرب ..... د. نزار السامرائي ٥٤
- لكيلا "نكون نعاجيّين" ..... مجاهد مأمون ديرانية ٥٥
- الحشد يطبق خطة لتغيير ديموغرافي بالعراق ..... ليث عبد الواحد ٥٧
- جدوى تصنيف الحرس الثوري تنظيما إرهابيا ..... د. محمد السلمي ٥٨
- رؤية تركيا لأهمية تحرير الباب لصالح السوريين ..... محمد زاهد غول ٦٠
- الدستور الروسي في سوريا ونموذج الشيشان ..... حسن أبو هنية ٦٣
- عمالة بين الأمس واليوم ..... عبد الرحمن السقاف ٦٦
- لماذا على حماس الابتعاد عن إيران اليوم وليس غداً؟ ..... د. علي حسين باكير ٦٧
- هل حكام إيران دولة "ولاية الفقيه" مسلمون؟؟؟ ..... د. بسام ضويحي ٧٠
- وداعاً للحل الإيراني في الشام ..... أحمد موفق زيدان ٧١

www.alrased.net

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٥)
جمادى الآخرة - ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

أمتنا وعدوان الداخل والخارج

تعيش أمتنا في هذه المرحلة الصعبة منعطفاً كبيراً، فالقوى العالمية في حالة تخبط؛ فهذه أمريكا لا ندري هل اقترب موعد أفول نجمها مع تولي ترامب القيادة، أم أن ما يحدث هو تجديد لشبابها وقوّتها؟ وهذا الاتحاد الأوربي يعاني المشاكل والتفكك بانسحاب بريطانيا منه، ويعاني من صعود القوى اليمينية المتطرفة عبر الانتخابات الديمقراطية كما حدث مع هتلر وموسيليني من قبل!

أما روسيا بوتين فهي تستعيد عدوان الدب الروسي الشيوعي على جيرانه مطلع القرن الماضي ولكن باسم القومية الروسية هذه المرة!

والصين تزال تزحف وتتمدد اقتصاديا على المنهج الرأسمالي بينما تدار سياسيا بالطريقة الشيوعية الديكتاتورية!

والجامع المشترك بين هذه القوى العالمية المتخبطة والمتصارعة فيما بينها أننا نحن المسلمين الضحية لصراعهم وتخبطهم، فالمسلمون في هذه الدول الكبرى يعانون من الاحتلال والاضطهاد والظلم خاصة في روسيا والصين، أما في أمريكا وأوربا فهم يعانون تفشي حالات العدوان والعنصرية عليهم، ففي أوربا وقعت سنة ٢٠١٥ وحدها ٧٠٠٠ حالة اعتداء على المسلمين! وبالمقابل دشن ترامب عهده بقرارات مجحفة بحق المسلمين.

ولم يسلم المسلمون في خارج هذه الدول من تخبط وصراع هذه القوى، فالطائرات الروسية لا تزال تقصف في درعا وحماة برغم تعهداتها وضماناتها في مؤتمر الأستانة لرعاية وقف إطلاق النار، ولا يزال التراخي الأمريكي والأوربي يمنح الطاغية بشار الأسد قبلة الحياة والبقاء والمشاركة في مفاوضات السلام الرابعة في جنيف.

ولم يقف الأمر عند ذلك بل شهدنا تواطؤ إدارة أوباما الأمريكية مع إيران لعقد صفقة ذهبية على حساب المسلمين في المنطقة، سمح من خلالها لإيران بالتغول والعدوان والإجرام، وساهم الروس مع الإيرانيين بتنفيذ المجازر البشعة والإبادات الجماعية والقصف الأعمى المجنون ضد الأبرياء من الأطفال والنساء والرجال.

وكعادة اليهود المجرمين فقد استغلوا ما يجري لجني أكبر قدر من المكاسب، فزادوا من وتيرة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، وتمادوا في الاعتداء على المسجد الأقصى والقدس، ونشر الأكاذيب بأنهم يواجهون الإرهاب والتطرف، ولذلك فهم مضطرون لترسيخ يهودية الدولة وإجبار الفلسطينيين من عرب الـ ٤٨ على التماهي مع الهوية اليهودية وإلا فمصيرهم الطرد من أرضهم برغم جنسيتهم الإسرائيلية، فقد انتهى زمن الدولة العلمانية والليبرالية والحرية، وجاء زمن الدولة اليهودية!

وفي ظل هذه الحالة من التخبط والفوضى تجرأت دول تافهة كبورما البوذية لشن حرب تطهير وإبادة دينية وطائفية بحق المسلمين الأركان فيها، فقتلوا مئات الآلاف وشردوا الملايين، وأيضا شنت دولة أفريقيا الوسطى حربا ظالمة مجرمة على المسلمين فيها، ولم تلقَ هذه الجرائم حسابا وعقابا حقيقيا مما زاد في طغيانهم وإجرامهم ضد المسلمين الضعفاء.

وحالة التخبط والصراع هذه بين هذه القوى الكبرى لا يعرف أحد ما قد تمتد إليه من زمان أو ما قد تتطور إليه من صراع مفتوح أو محدود، وهل ستكون فيما بينهم أم ستجري على أرضنا وتسير بسببها دماء أهلنا؟

وهذا كله يستوجب من الأمة العودة لربها ودينها وتجعلهما القدوة والبوصلة التي تسير من خلفها، فإن هؤلاء ما تسلطوا على أمتنا إلا بسبب انتشار المعاصي والمنكرات والمفاسد من العامة والخاصة والساسة، وتركنا الأخذ بالأسباب الشرعية والكونية، وهذا الضعف والهوان الذي تعيشه الأمة من أسبابه تقصير أهل العلم والدعوة عن القيام بواجبهم الصحيح، لأنهم كما قال الشاعر:

يا علماء الدين يا ملح البلد من يصلح الملح إذا الملح فسد

والمنكرات والمعاصي التي عوقبنا عليها وقصّر العلماء في دفعها لا تقتصر على الفواحش الأخلاقية والمظالم السياسية والمفاسد الاقتصادية بل أيضا انتشار البدع والفرق الضالة وأهمها الشيعة والخوارج، ومنها الأحباش والبهائية والقاديانية وغيرها، ولعل أثر هذه الفرق في إضعاف الأمة وهوانها أكبر من أثر المنكرات الأخرى، كما يلي:

١- هذه الفرق الضالة تنخر في جسد الأمة من داخلها فتحرف دينها وتضعف صلتها بربها حيث تضع الوسائط بين الأمة وبين الله عز وجل باسم الإمامة وباسم الأولياء وباسم الشهداء.

٢- هذه الفرق تحارب البقية من العلماء الصادقين فتسجنهم أو تقتلهم مما يزيد في جهالة الأمة وضياعها.

٣- هذه الفرق تتحالف مع أعداء الأمة الخارجيين عبر التاريخ، وتحالف الشيعة والروس اليوم ضد أهل سوريا أكبر دليل.

٤- هذه الفرق تقتل المسلمين أكثر مما تقتل من أعداء الأمة، فهل توجد مقارنة أصلا بين قتلى إيران وداعش من الكفار وكم قتلا من المسلمين؟

وبجانب عداوة هذه الفرق الضالة للأمة الإسلامية من داخلها هناك التيار العلماني المتطرف الذي يشمل أفرادا وقوى من أصول مسلمة، وأفرادا وقوى من أقليات غير مسلمة، والتي تجد في حالة التخبط العالمية والتهديد الإرهابي الداعشي فرصة ثمينة للمجاهرة بعداوة الإسلام والطعن فيه والمطالبة بالعلمانية الفجة والصريحة، وبعضهم أقل وقاحة فيغلفها باسم المدنية والتعايش.

هذه هي حالة الأمة اليوم: عدوان من خارجها ومكر وخيانة من داخلها، وقوى الخارج تَدعم بشكل مباشر وغير مباشر قوى العدوان الداخلية ولو تعارضت مع أيدلوجيتها، لأن في دعمها إضعافا واستنزافا لقوة الأمة وإشغالها عن بناء قوتها واستعادة مجدها.

منذ أن انطلقت «الراصد» كانت الرؤية واضحة بأن الخارج يوظّف الفرق الضالة لمصلحته ضد الأمة، واليوم نجد أن هذا التوظيف يتم تكثيفه ومضاعفته، وإذا كان قبل عقد ونصف التركيز على الشيعة فإنه في هذه المرحلة تم إضافة الخوارج لهذا التوظيف وذلك من قبل الشيعة ومن قبل الخارج الغرب والشرق، لإبقاء الساحة الإسلامية مشتعلة.

وهذا تذكير لما كتبناه في افتتاحية العدد الأول قبل ١٤ عاما:

«أيها القارئ الكريم يسعدنا أن نضع بين يديك جهداً نراه ضرورياً في رصد حركة الفرق والطوائف المخالفة لمنهج أهل السنة والمسلمين، والداعي لهذا ما تشهده أوضاع المسلمين اليوم في كافة أرجاء الأرض من انبعاث لفكر هذه الطوائف أولاً، وتشكيل هذه الفرق والطوائف دولاً وقوى سياسية فاعلة، وأهم من هذا أنها بدأت بالتسرب إلى أهل السنة والمسلمين وافتراس الكثيرين من أبنائهم وقادتهم.

إن الصراع في عالمنا اليوم هو بين القوى المتدينة، سواء قلنا بصراع الحضارات أم لم نقل، فإن سيطرة القوى المتدينة ظاهرة لكل مراقب، وتعمل هذه العقائد على فرض المواقف والسياسات على العديد من الدول والقوى بصرف النظر عن صحة وصواب هذه الأفكار.

وإن أعداءنا، واليهود تحديداً منهم، ومن القديم حاربونا من خلال إنشاء ورعاية وتوجيه الفرق الضالة والمبتدعة والتحالف معها، واليوم الساحة مهيأة أكثر من أي وقت مضى لرعاية وإنشاء ودعم العديد من القوى البدعية والطائفية لتكون سلاحًا بيد أعداء الإسلام لكن باسم الإسلام!

وإن نظرة على خارطة العالم الإسلامي مع وضع أسماء القوى الطائفية والفرقية المؤثرة فيها ليوضح بشكل لا نقاش فيه هذا الخطر الزاحف من داخلنا دون أن يعيره الكثير من المسلمين الانتباه الكافي.

ومن أجل هذا كانت هذه المجلة التي تهدف إلى تبصير أهل الإسلام بخطر الفرق والطوائف على مستقبل الدعوة الإسلامية وبلادهم، وتوضح لهم حقيقة الأدوار التي يقومون بها مع التحذير من الخطط القادمة وكيفية العمل على مقاومتها». أ.هـ

وللأسف لم تجد تحذيراتنا القديمة من الخطر الشيعي ما كنا نرجوه من يقظة مبكرة، وأن نتمكن من منع وقوع الكوارث التي نعيشها اليوم بسبب تمدد الفكر الشيعي الطائفي التكفيري والإرهابي في غالب الدول الإسلامية ونجاحه بإنشاء ميليشيات شيعية إرهابية طائفية من مختلف الدول والأقطار ساهمت في الحرب الطائفية على المسلمين في سوريا.

ونرجو اليوم أن تجد تحذيراتنا من استمرار الخطر الشيعي الإرهابي الطائفي آذانا واعية، فالخطر الشيعي حتى لو هُزم في سوريا واليمن والعراق فإنه لن يزول حتى يزول نظام الملالي أولا، ثم تفكيك شبكاته في مختلف التجمعات الشيعية في العالم، ثم وجود وعي مقاوم حقيقي يجتث بقايا الأفكار الطائفية والإرهابية بمختلف صورها العسكرية والسياسية والمدنية.

إن إيران اليوم إذا صدقت إدارة ترامب في تحجيمها ستنتقل للسيناريو الآخر وهو سيناريو التعايش والتفاهم على طريقة إسرائيل في مسيرة السلام، «ما استوليتُ عليه فهو لي، ونتفاوض على ما عندك»! ثم لا شيء كما يعلن ويصرح سادة السلطة الفلسطينية! وقد سبق أن انخدع البعض بانفتاح خاتمي واعتدال روحاني والتي كانت فرصة للملالي من زرع الخلايا النائمة وتجييش الشيعة في العالم خلفهم.

ونرجو أن تجد تحذيراتنا بخطر فكر الغلو والخوارج المتمثل في داعش والقاعدة وأخواتها آذانا صاغية، فإنهم اليوم أداة في يد الشيعة وفي يد الروس والغرب، من أجل المزيد من إضعاف أمتنا وتشتيتها وتنفيذ ما يعجزون عن تنفيذه بأنفسهم.

ولفهم خطر هذه الجماعات المتطرفة والخارجية يكفي أن نتأمل هذين المثالين: تكرار هجمات داعش على تركيا دون إيران، برغم أن داعش تزعم أنها تقاتل إيران وتركيا في سوريا! وتوعد داعش حركة حماس بالقتال قبل قتال اليهود وإسرائيل حين يصلون غزة!

إن ظاهرة الغلو المعاصر هي استمرار لظاهرة الخوارج الأولين في خطوطها العامة، والتنبه لها ولخطورتها من أول درجات الوعي اليوم، والعمل على مقاومتها بكل وضوح وقوة واجب شرعي من جهة، وسيجنب الأمة أكلافا باهظة في المستقبل، قد لا تقل عما دفعته الأمة اليوم من دماء وأعراض وأموال بسبب التهاون تجاه الخطر الشيعي الإرهابي الطائفي، لسذاجة بعض العلماء والمثقفين والجماعات الإسلامية وانخداعهم بشعارات التقريب والوحدة مع الشيعة!

والشباب الغاضب اليوم لهوان أمته وعدوان الفجار عليها إذا كرر الخطأ الجسيم بالتهاون في شأن الخوارج والغلاة بالتحالف معهم ضد الطغيان والظلم، فلن ينفع الأمة بشيء بل سيمكن للأعداء من رقاب الأبرياء، ومن بقي مخلصا سيكون ضحية لسذاجته وغيرته الجاهلة!

فالحذر الحذر.

أقطاب العلمانية

طارق منينة

تباشر الراصد على حلقات نشر الطبعة الجديدة من كتاب الأستاذ الباحث طارق منينة "أقطاب العلمانية"، وهو الكتاب الذي سدّ ثغرة كبيرة في المكتبة العربية قديماً، وتحوي هذه الطبعة مزيدا من الإضافات والفوائد.

مقدمة الطبعة الجديدة

إن الحاجة لمثل هذا الكتاب، بعد الثورات العربية، أصبحت شديدة وملحّة، في وجه طغيان الخطاب العلماني الجامح والفاقد للعقل والذي اشتاط غضبا وامتلأ غيظا وحنقا، بمجرد شعورهم بقرب سيادة الوعي العلمي الإسلامي على مواقع السيادة! وقد ارتأينا من قبل أن نخوض المعركة الفكرية بواقعية وميدانية ولغة سهلة مفهومة، فلم نجعل لبحثنا طابعاً انعزالياً أو نخبويا بعيداً عن أوضاع الأمة وما يجري فيها، خصوصاً وقد رأينا – منذ عقود- كيف دعمت العلمانية القمعية، ورؤوسها الكبيرة، الاستبداد بكل صوره، لتمرير الأجندات التخريبية والتحريضية، وعلى الرغم من أن الجماهير المسلمة لم تلقِ بالاً لأصحاب تلك العلمانية المتسللة، بل لم تعرفهم أصلا، غير أن أولئك العلمانيين يتسللون من الحدائق الخلفية (الشاشة، الأفلام، الروايات، السياسة، التعليم، المؤتمرات، والكتب)، محاولين التأثير من ألطف الوسائل وأشدها تأثيرا.

ولقد ظهرت كتابات علمانية بعد الثورات، أي بعد صدور طبعتنا الأولى لهذا الكتاب بأكثر من عشر سنوات، راحت تفسر هذه الثورات المدهشة بتصورات مستغربة، وأقوال مستهجنة، ودعاوى باطلة غير واقعية، ولا يخفى على القارئ مقولة حلمي النمنم في المؤتمر المشهور عن مصر والعلمانية وأن مصر علمانية بالفطرة! وأنه لا توجد - بزعمه - ديمقراطية بدون دم!

وهي نفس منهجية هاشم صالح في كتابه الأخير «الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التاريخ»، وكان جابر عصفور قد دافع من قبل عن النمنم (الذي كان قد كتب عن البنا وسيد قطب) تحت عنوان (جمعية جبهة علماء الأزهر) [1] قائلا إن : «جمعية جبهة علماء الأزهر التي أظنها تخرق كل القوانين... فضلا عن التحقير من مكانة أنصار الدولة المدنية، الذين توصف كتاباتهم بأنها قاذورات الأقلام الفاجرة ويوصف فيه الكاتب الكبير حلمي النمنم بكلمات بشعة مثل لو أن سفيها ذهب فأكل فخلط متضلعا من قمامات القاهرة التي ملأت فجاجها ثم نام مستقلا فحلم فهذي لم يأت بأقبح مما فاه به هذا النمنم علي رؤوس الأشهاد، وأمثال هذا كثير وأقبح في بيانات لا بد أن تخضع للقانون، فالفرق هائل بين حرية الرأي والسباب البذيء، ولا بد أن يأخذ القانون

(١) الأهرام، ٦ يوليو ٢٠١٠م.

مجـراه، ليوقـف الـذين صـاغوا هـذا البيـان وأمثـالهم عـن تحقـير الخـصوم الفكـريين ووصـفهم بمـا يعاقـب عليه القانون؛ إن الحرية مسؤولية أيها السادة».

وقـد عـين النمـنم وزيـراً للثقافـة، بعـد تعـيين عـصفور، ومـا زال وزيـرا حتـى لحظـة كتابـة هـذه المقدمـة في بـدايات عـام ٢٠١٧، أي بعـد ١٧ عامـا مـن الطبعـة الأولى لكتابنـا هـذا، وكـان فيمـا قالـه جـابر عـصفور في حـوار لـه مـع الإعلامـي محمـود الـوروارى مقـدم برنـامج «منـارات» علـى فـضائية «العربيـة»، أن مـصر كانـت في أشـد الحاجـة إلى رئـيس مثـل عبـد الفتـاح السيـسي ليأخـذ علـى عاتقـه تجديـد الخطـاب الـديني، كـون تطـوير الخطـاب الـديني قـضية أمـن قـومي يهـدد الـبلاد وتحتـاج إلى شـجاعة كـبيرة مـن أجـل إنجازهـا. وتـابع: «إننـا في حاجـة لاسـتعادة روح تفكـير ابـن رشـد عنـد الحـديث عـن فكـرة تجديـد الخطـاب الـديني، مؤكـدا أن الخطـاب الـديني هـو جـزء مـن الخطـاب الثقـافي العـام، لـذلك فـالتخلف الثقـافي يعرقـل التجديـد، مطالبـا بـضرورة وجـود مـشروع عربـي عقلانـي موحّـد لتطـوير الحـوار الـديني والسياسي في مجتمعاتنا العربية».

وكـل واحـد يعلـم أن جـابر عـصفور هـو أكثـر مـن تكلـم عـن القمـع والحريـات والمـستقبل الواعـد، وهـو كما يقدمونه: رائد الحرية والدولة المدنية في مصر.

ولقـد كـان دأب هـؤلاء قـديما - منـذ تغـوّل الفكـر الماركـسي في بلادنـا- وحـديثا، أن يقيّمـوا الأحـداث هزيمـة أو نـصرا، بالمعـايير العلمانيـة الخاطئـة، فـسواء كـان الأمـر هزيمـة للعـرب، كمـا كـان في عـام ٦٧، علـى يـد نظـام تغـرب في الاشـتراكية وتوغـل في الدكتاتوريـة والقمـع، أو كـان بعـد نـصر وثـورة علـى الأوضـاع المـشينة (بعـد ثـورات أمتنـا لبدايـة الألفيـة الثالثـة)، فـإنهم مـا يزالـون يرمـون الإسـلام بـالتخلف وأنـه هـو سـبب الهزيمـة: كمـا فعـل صـادق جـلال العظـم، في كتابـه (نقـد الفكر العربي)، بعد هزيمة ٦٧م.

وأنـه سـبب انحـراف أهـداف الثـورة، بـزعم حـازم صاغية في كتابه (الانهيار المديد).

وكـذلك يقومـون بتـشويه صـورة الـدعاة إليـه كمـا في كتـاب (سياسـات الأديـان) لنبيـل عبـد الفتـاح، والـذي صـدر عـن مكتبـة الأسـرة ٢٠٠٣م برعايـة زوجـة مبـارك، الـتي مـررت للعلمـانيين كـثيرا مـن أباطيلـهم، كمـا أن لنبيـل عبـد الفتـاح كتابـه (الجديـد) الآخـر عـن الثـورة (النخبـة والثـورة، الدولـة والإسـلام الـسياسي والقوميـة والليبراليـة) وهـذا الأخـير صدر عام ٢٠١٣م.

ومـن ذلـك أيـضا كتـاب (ضـد التعـصب) لجـابر عـصفور، والـذي ينتـصر فيـه لنـصر حامـد أبـو زيـد وقدحه في القرآن والرسول.

كـذلك فقـد أصـدر المجلـس الأعلـى للثقافـة عـام ٢٠١٢ كتـاب (الهويـة) لحـسن حنفـي، ولا شـك أن هـذا الكتـاب خـدم التوجـه الـدكتاتوري العلمـاني، وقـد تكلـم فيـه حنفـي عـن الإخـوان وحـزب الحريـة والعدالـة، كمـا كـرر نفـس كلامـه القـديم عـن الاغـتراب (متـأثراً بفيورباخ) والهويـة الإلحاديـة كمـا بينـت ذلـك في كتابنـا هـذا في الفـصل المخـصص لحنفي.

كـذلك لم يُـرد يوسـف زيـدان أن يفـوت الفرصـة في التعقيـب علـى الثـورة لـشدها علمانيـاً إلى أوهـام العلمانيـة وأحلامهـا ورغباتهـا، وذلـك بـالزعم أن إقامـة حكومـة دينيـة في مـصر معنـاه كـارثي، ويقـصد طبعـا حكومـة يحكمهـا إسـلاميون فكتـب (فقـه الثورة) الصادر عن دار الشروق عام ٢٠١٣ [١].

كـذلك خـرج علينـا فهمـي جـدعان هـو الآخـر بكتـاب صـدر عـام ٢٠١٤م، بعنـوان (تحريـر الإسـلام ورسـائل زمـن التحـولات)، إصـدار الـشبكة العربيـة للأبحـاث، زوّر فيـه حقيقـة الإسـلام وحقيقـة تيـار النهـضة الإسـلامية الحديثـة مـساهماً في تـشويه

(١) انظر: فقه الثورة، ص ٦١.

المشهد أكثر مما هو حاصل، متوسلاً بمدح التجربة التاريخية الإسلامية لهدم فعل النهضة الإسلامية الحديثة ووأدها ودفن معالمها وتشويه صورتها وتمرير الأفكار العلمانية من خلال ذلك، وهو يخلص إلى فكرة: «تحرير الإسلام من جملة العقائد والتصورات والفهوم والمواقف... بردّ الأمور إلى نصابها وبذل الوسع من أجل صوت الإسلام»[١] ، ويدعو إلى إبعاد الإسلام عن الحكم لأن الحكم طبيعته غير أخلاقية، فهو يدعونا لترك السياسة والفعل السياسي للتصور: «الذي رسمه ميكافيلي والديمقراطيات الليبرالية الحديثة»[٢].

أما نوال السعداوي فقد كتبت أيضاً كتاباً في الثورة، وذكرتنا بالثورة الجنسية التي أرادتها في الستينيات، فقالت في كتابها الجديد هذا (الثورات العربية): «في الستينات من القرن الماضي، صدر كتابي «المرأة والجنس»[٣] ، وذكرتنا بأنها اليوم ما تزال على ما كانت عليه في الماضي: «كانت كلمة ثورة تعني الكفر، ننشد في المدرسة هذه الكلمات الثلاث «الله، الوطن والملك» كانت الثورة تعني الكفر بالثلاثة معاً وفي وقت واحد، ودون فصل أحدهما عن الآخر»[٤].

وأما سمير أمين (المُنظر الاشتراكي الماركسي) فقد صدر كتابه (ثورة مصر) عن دار العين عام ٢٠١١م، وكعادة المتغربين يقول إنه من المشكوك فيه تحول الإخوان إلى منظمة ديمقراطية[٥] فالإخوان تنظيم منغلق، أهله أثرياء (زعم!)! وأن لهم تأويلا متجمدا أخذوه من محمد رشيد رضا: «الذي يمثل الوهابية في التأويل المتجمد، والمتخلف الأقصى للإسلام»[٦] وعلى العكس فإنه يأمل في التحول «نحو الاشتراكية»[٧] فللرجل باع: «في الطريق الطويل نحو الاشتراكية العالمية، فأحد الشروط المهمة الضرورية لجعل هذا الهدف ممكنا هو بالتأكيد تجديد الفكر الماركسي الخلّاق»[٨] للوصول للاشتراكية.

أما هاشم صالح فتجده دعا في كتابه (الانتفاضات العربية في ضوء فلسفة التاريخ)، إلى مواجهة الإسلام بالدم، بعد أن أعجزه النقد، رافضاً أن تكون للإسلام أي سيادة عليا، فقال: »... تطبيق الشريعة مستحيل في العصور الحديثة لأنها مضادة في معظم بنودها لكل إعلانات حقوق الإنسان والمواطن»[٩] ، وعن المسلمين يقول إنهم: «لا يستطيعون أن يفهموا أن هناك عدة طرق تؤدي إلى الله لا طريقا واحدا أو دينا واحدا... أن تخرج من كل الأديان والمذاهب وتعتنق الفلسفة التنويرية الكونية دينا»[١٠] ، ويقول عن نفسه وهو يتكلم عن التيارات العلمانية: «إن هذه الأحزاب والأيديولوجيات التقدمية استهانت أكثر مما ينبغي بأهمية التيار الديني ومدى تغلغله في أعماق الشعب.

منذ سنوات وسنوات كنت أرى بأم عيني مدى ثقل الماضي وتراكمات الماضي ومدى تأثيرها على العقول. ولهذا السبب انخرطت في ترجمة محمد أركون المفككة لتراكمات التراث الإسلامي الموروث من الداخل. هذا من جهة، كما انخرطت في نقل فكر التنوير الأوروبي المفكك للتراث المسيحي ... لقد اشتغلت على كلتا الجبهتين»[١١] ، وقال : «فإن الربيع العربي مفيد جداً، لأنه سيجبرنا على خوض معركة المصارحة وتصفية الحسابات

(١) تحرير الإسلام ورسائل زمن التحولات، ص ١٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٧.
(٣) الثورات العربية، نوال السعداوي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص ١٤٧.
(٤) المصدر السابق، ص١٤٩.
(٥) ثورة مصر، ص ٢٧.
(٦) المصدر السابق، ص ٢٨.
(٧) المصدر السابق، ص ٤٧.
(٨) المصدر السابق، ص ٩٩.
(٩) الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التاريخ، ص ٢١١.
(١٠) المصدر السابق، ص ٢٦٤.
(١١) المصدر السابق، ص ١٩.

التاريخية مع أنفسنا... كنا نعتقد أننا هضمنا الحداثة وتجاوزنا «القادمة» كلياً»[1].

وقال من قبل: «وهذا يعني أن التغيير لا يمكن أن يحصل بدون عنف، خصوصاً في أوقات الاحتقانات المتراكبة، والمنعطفات التاريخية الكبرى، فبالعنف تنطلق الشحنة الهائلة للحرية. والعنف هو لغة من لا لغة لهم، من مُنعوا عن فتح أفواههم زمناً طويلاً، وبالتالي فإن التقليد الكهنوتي المهيمن الذي يكاد يخنق الأنفاس ويقضي على نسمة الحرية في جوانح الإنسان قد يدفع المفكرين الأوروبيين دفاعاً إلى الانفجار... والانفجار ضد الذات من أصعب أنواع الانفجارات لأنه يكاد يحرق الأخضر واليابس ويقضي على القريب قبل البعيد، ولكنه يبقى الحل الوحيد إذا ما زاد الكبت عن حدّه وأطبقت هيبة «الأب-التراث» على «الأرواح والعقول»[2]، إنه لا يدعو إلى حرق المراحل كما قال لكن إن حدث التغيير أو حان وقته فلا بد من الصدام[3].

ومعلوم أن هاشم ومعه محمد أركون قاما معا بنقد القرآن، في كل كتاباتهم، بصورة تبين ضحالة ما هم عليه من أوحال الفكر الغربي. وهاشم صالح يعيش في فرنسا منذ عقود، وهو الذي كتب: «ينبغي أن يعلم القارئ العربي أن تعليم الدين ممنوع منعاً باتاً في المدارس العلمانية الفرنسية. بل الدين غائب كلياً تقريباً عن الحياة العامة للمجتمع وعن الساحة الثقافية.

وحتى على مستوى الجامعات ما عادوا يدرسون علم اللاهوت... باختصار فإن الدين أصبح قضية شخصية بحتة ولا وجود له في الحياة العامة. لقد فُرغت منه تفريغاً»، وقال: «كما يستهزئون بالأديان والعقائد والقديسين جملة وتفصيلاً دون أن يخشوا على أنفسهم من الاغتيال».

وهو نفسه الذي يشرح لنا الوضع في الغرب كله فيقول: «يضاف إلى ذلك أن الحياة في الغرب أصبحت مادية استهلاكية قائمة على فلسفة المتعة والملذات، أما ما عدا ذلك من قيم ميتافيزيقية وروحانيات فلا وجود له أو لا معنى له في نظر أغلبية الناس. بل حتى الشعر اختفى تقريباً لأنه لا مردود إنتاجياً له في عصر التكنولوجيا والصناعة والمنفعة المادية المباشرة والمحسوسة، وبالتالي ففلسفة الحياة انقلبت رأساً على عقب»[4].

من تونس كذلك صدر كتاب عبد المجيد الشرفي عام ٢٠١٤م، قام فيه بالكلام عمّا أسموه بـ «الإسلام السياسي» ووضع بين السطور مواقفه العلمانية الكاذبة ضد الإسلام والقرآن والصحابة، فزيف الشرفي بلا شرف معالم الإسلام الأولى، وكذلك غرض الصحابة من الفتوحات، فردد في كتابه هذا (المكتوب بعد الثورات الأخيرة أو أثناء اشتعال بعضها) أقوال المستشرقين، وأرجع الأمر للغنيمة والعصبية، كما راح يرجع الشريعة إلى أصول بشرية، وزعم أن العصر الحديث وما أتت به علوم الإنسان والمجتمع أظهرت أنها شرائع بشرية نسبية[5].

والرجل يكذب كأنه يشرب الماء فيزعم أن قيمة الحرية وقيمة العدل قيمة حديثة لا توجد في القرآن، وكذلك العدالة الاجتماعية والدفاع عن المستضعفين الفقراء من الناحية المادية والمساكين وضحايا الاستغلال والجشع»[6]، كما أنه راح يقدح في الإسلاميين بأنهم كان أولى لهم أن لا يركبوا السيارات لأن عدم ركوبها يتماشى مع مبادئهم، فقال: فالمفروض أن اتباع السلف في كل

(١) المصدر السابق، ص ٢٠.
(٢) معارك التنويريين والأصوليين في أوروبا، هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، لبنان، طبعة ١، عام ٢٠١٠، ص ٩.
(٣) المصدر السابق، ص ١٠.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٥، ٣٦، ٣٧.
(٥) مرجعيات الإسلام السياسي، عبد المجيد الشرفي، دار التنوير، تونس، عام ٢٠١٤م، ص٢٦.
(٦) المصدر السابق، ص ٣٦

فقال: فالمفروض أن اتباع السلف في كل شيء يقتضي ركوب الحمار والجمل، أو يستنكف عن استعمال الكهرباء، بينما المفروض أن يستعمل شمعة، وأن لا يستعمل كل وسائل الاتصال الحديثة، التي يشترك فيها أتباع الإسلام السياسي مشاركة قوية جدا، إذا أن حضورهم على الشبكة العنكبوتية كبير، فالمفروض أن لا يقعوا في أمثال هذه التناقضات، فإما أن يأخذوا بسلوك السلف أو أن لا يأخذوا به[1]، وقال بأن القدماء لم يولوا لـ«قيمة الابتكار والاختراع»، و«إنتاج المعرفة»، أية أهمية!![2]، فألغى من وراء ذلك، كل منجزات حضارتنا العلمية والتكنولوجية في أطول مدة حضارية علمية شاملة، عرفها العالم، في كافة مجالات علوم الطبيعة والفلك والطب والصيدلة وصناعة الأجهزة والمراصد والمختبرات والمكتبات، ودراسة الأرض وما فيها.

المدهش أنه يناقض نفسه بعد صفحات فيقول: «ويُنكر الإسلاميون، عن جهل بقواعد العمران البشري، أن الحضارة الحديثة استفادت من الحضارات السابقة، وآخرتها- هكذا كتبها - الحضارة الإسلامية، وتجاوزتها ...»، ثم يزعم في نفس الصفحة أننا لن نتعود حتى في فترات الازدهار على الوعي بمنطق التغيير، وأن الأمر «ثقافي بالأساس»[3]!

وقد زعم أيضاً، أن الإسلام السياسي يريد أن يولي حاكما لا يُسأل ولا يُحاسب أبدا[4]، وهذا من أشنع الكذب، والرجل رغم شهرته ووجود تلاميذ له إما لم يقرأ أي كتاب من كتب علمائنا المعاصرين، وإلا فهو مفترٍ، يعلم ويزوّر.

كذلك هاجم الشريف ما يسمى بحجاب المرأة المسلمة بأنه تقليد للراهبات في الغرب، ويمنطق حجته بمزيد من السخف فيقول: «إن لبس الخمار بالطريقة التي تسمى عند الإسلامويين بـ«اللباس الشرعي»، إنما فيه تشبه غير واع بلباس الراهبات في الغرب، أي أن هؤلاء الذين يريدون مقاومة كل ما هو غربي، بدعوى أنه معاد للإسلام، هم في الآنِ نفسه واقعون تحت تأثير هذا الغرب ...، أو على الأقل بعض المظاهر التي كانت منتشرة فيه...الناحية الثانية هي أن اللاتي يلبسن الخمار واقعات في نوع من الاستلاب، متى كن هن الراغبات في لبسه، وليس مفروضاً عليهن، هذا الوقوع في الاستلاب معناه، أن المرأة تدافع عن ما يكرس دونيتها دون وعي»[5].

اتهامات الشريف لثورات الربيع العربي جمعها أيضاً كلها صاحب كتاب «ربيع زائف، نقد الثورات العربية لعام ٢٠١١»، وهو رجل ماركسي واسمه ناهض حتر، صدر كتابه عن دار التقدم الأردني عام ٢٠١٣م.

وأخيراً أصدر تلميذ محمد أركون، وهو د. محمد الحداد، كتاباً بعنوان «التنوير والثورة، دمقرطة الحداثة أم أخونة المجتمع؟» سنة ٢٠١٤، عن دار التنوير بيروت، وهو مجموعة مقالات كان قد كتبها في صحيفة الحياة اللندنية. ويؤمن الحداد بعدم وجود ثوابت أو جواهر في رؤيته المادية للتاريخ: «وجهة النظر التاريخية لا تؤمن بوجود جواهر أو ثوابت... الإنسان ليس بالفطرة... متدينا»[6].

وهو عندما يتكلم عن الدين فهو نسبي لا حقيقة له، وعندما يتكلم عن العدل واحترام كرامة الإنسان وحرية التعبير يضع في باله المشروع العلماني ما بعد الحداثي، الذي يفتح تلك الأمور على آخر ما عليه الغرب ليوم الناس هذا[7] من إباحية وعلاقات خارج الزواج وبيع الأجساد وغيرها،

(١) المصدر السابق، ص ٨، ٢١.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٦، وله مجموعة أكاذيب مجتمعة في صفحة ٣٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٤١.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٤.
(٥) المصدر السابق، ص ٣٤، ٤٤.
(٦) كتابه الإسلام نزوات العنف، واستراتيجيات الإصلاح، لمحمد حداد، دار الطليعة، ط ١، ٢٠٠٦»، ص ٦.
(٧) انظر مثلا كتابه «البركان»، ص ٧٨.

حتى أنه يقول إنه يجب فهم موضوع الزنا لكن بصورة حداثية تدخل النظرة القديمة إليه في حيز «الظروف القديمة»، والآن اختلفت الظروف فيمكن للإنسان أن يفعل ما يشاء في حرية تامة، فالزنا- وتعدد صوره - لم يحرم إلا للضرر الذي استطاع الغرب الحديث - بزعمه- تجنبه!!![1].

وبما أن الضرر – بزعمه- زال اليوم، فليكن موقفنا من موضوع الزنا هو الموقف الحداثي!! فبعد أن نفى أي وجود للشريعة، فهي عنده «شيء لم يكن ولا وجود له» قال:» وكان الزنا يدخل اضطراباً في بنية الأسرة والقبيلة في عصور لم تعرف فيها وسائل التوقي ومنع الحمل»!![2].

كما أنه يقول اعتراضاً على مفهوم تعداد الرجل في الإسلام لما لا يكون التعدد للنساء أيضاً[3] ونص كلامه هو: «فلماذا لا تقتضي أيضاً تعدد الأزواج في الحالات المقابلة».

زعم، أيضاً، في السياق، وكأنه مستشرق لم يعش في بلاد المسلمين، أن المسلمين يجبرون بناتهم وزوجاتهم على ارتداء الحجاب «إجبار البنات على ارتداء الحجاب والتلويح بقطع يد السارق ورجم الزاني، أي الرجوع إلى مجموعة من الأحكام تضمنها النص المؤسس لكنه لم يكن مشرعها، بما أنها كانت موجودة قبله، فالنساء ارتدين الحجاب قبل الإسلام كي لا تلوث شعورهن وأجسادهن عواصف الصحراء ... وغبار المدن... وكان الزنا يدخل اضطراباً في بنية الأسرة والقبيلة في عصور لم تعرف فيها وسائل التوقي ومنع الحمل»[4].

فهؤلاء العلمانيون نشروا أحقادهم العنيفة وما يزالون يفعلون إلى لحظتنا هذه ضد تيار النهضة الإسلامية، لأنه تيار أصيل ومتأصل في الأمة، إنهم يريدون أن يخرجوا الأمة من دينها إلى علمانية ولائكية ولا دينية ولا أخلاقية، مع أنهم يتكلمون عن أخلاق يجب أن تُستعاد، لكن من خلال (العلمانية الجديدة)![5]، تجعل الدين شعائر لا شأن له بقيادة الدنيا وسيادة الدولة التي قيامها مجتمعات المسلمين، ولقد كتب عزمي بشارة[6] كتابه (الدين والعلمانية) لهذا الهدف.

فالسيادة العليا، بالنسبة لهؤلاء الحمقى، يجب أن تكون للعلمانية (عقول الفلاسفة الغربيين وأصحاب المصالح والمال والقانون والفكر) بكل ما لها من طفرات وتحولات في عالم الإنسان والمجتمع، وعالم السياسة الكونية والاقتصاد، والأخلاق والثقافة، وغير ذلك من عوالم الإنسان المعاصر، من تعليمية وإعلامية، وقيمية وواقعية (إباحية وتجارية لا ضوابط فيها).

وأخيرا نقول إن هذه الطبعة الجديدة للكتاب فيها زيادات مفيدة، وقد تعمدنا منذ البداية أن نقرب مادة الموضوع للجماهير حتى يسهل عليها فهم القضية، وقد حاولت تفادي عائقين للذهن والقراءة السهلة هما: الرطانة الثقيلة وكذلك التعابير الشائكة والكلمات العويصة المحبكة التي ينفر منها جمهور واسع من القراء، كما أن اللغة الأكاديمية الصعبة تحول دون الوصول للنتيجة بطريق ميسور، فيجب أن يحظى التركيز على ما يقال بالنصيب الأكبر في موضوعنا، لا على ما

(١) بمناسبة هذا الكلام الفارغ أقول: أنا أعمل في دار للمسنين والعجزة في هولندا منذ ٢٠ عاما، وكان فيها طابق كامل لمرضى الإيدز، وأغلبهم شباب، وسألت إحداهن وكانت صورتها على الحائط رائعة الجمال: هل هذه صورتك؟ فأجابت بإشارة من وجهها الشاحب: نعم!
وكان بعضهم قد تلقى المرض من شوارع الدعارة المنتشرة في المدن الغربية التي يقوم على رعايتها الأطباء!

(٢) البركان لمحمد الحداد، ص ٥٠

(٣) المصدر السابق، ص ٧٠ .

(٤) المصدر السابق، ص ٥٠

(٥) انظر العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية للمسيري، ص ٧٦.

(٦) كتب أخيرا عن ثورة مصر كتابا من جزأين، وهو بالعموم أفضل من كتب من العلمانيين عن الثورة المصرية.

يزركشه الكاتب غالبا أو يقوم عامدا بتعقيد كلماته وإغلاق الأذهان تجاهها، ونسأل الله أن يحمي أمتنا المصرية، وعالمنا الإسلامي كله، من أن تخوض كما خاضوا في العلمانية والدكتاتورية الفاشية.

وكنت قد ألّفت هذا الكتاب عام ٢٠٠٠م، وطبع مرتين وقد لقي قبولا طيباً فلله الحمد، إلا أني حذفت وأضفت ونقحت في الكتاب، وكان الفصل الذي حظي بزيادات كثيرة وتنقيحات هو الفصل عن محمد أركون.

أسأل الله أن ينفع القارئ به وأن ينفعني بدعائه.

والله من وراء القصد

طارق عبد الباقي منينة

٢٢ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ

الموافق ١٨ فبراير/ شباط ٢٠١٧م

لاهاي - هولندا

مقدمة الطبعة الأولى

«العلمانية» هي الترجمة العربية لكلمة « secularité، secularism» في اللغات الأوربية، وهي ترجمة مضلله لأنها توحي بأن لها صلة بالعلم، بينما هي في لغاتها الأصلية لا صلة لها بالعلم، بل المقصود بها في تلك اللغات هو إقامة الحياة بعيداً عن الدين أو الفصل الكامل بين الدين والحياة[١].

تقول دائرة المعارف البريطانية في تعريف كلمة «secularism» (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها، ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر... ومِن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ«secularism» تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النَّهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية، وبإمكانية تحقيق طموحاتها في هذه الحياة القريبة، وظل الاتجاه إلى «secularism» يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية)[٢].

(١) مذاهب فكرية معاصرة، أ. محمد قطب، ص ٤٤٥.

(٢) المصدر السابق نفسه.

فما يسمى «secularism» والمترجمة في العربية بالعلمانية هي حركة مضادة للدين، وليس للمسيحية فقط، هذه الحركة سيطرت في الغرب على الحياة كلها فتمّ عزل الدين عن الحياة كلها وصبغت علومها بصبغتها، فصارت علوم الإنسان والاجتماع والنفس والاقتصاد والسياسة والفن مضادة للدين ومناقضة لمبادئه.

هذا حدث في الغرب... هيمنت الفلسفة العلمانية على الحياة كلها.

وكانت لها السيادة العليا وما تمنحه للدين بيد تأخذه باليد الأخرى! عن طريق التعليم والإعلام والقانون وكل أدوات ووسائل السلطة العليا للفلسفة والدولة الحديثة.

أما في العالم العربي والإسلامي، فالعلمانيون يتبنون «العلمانية» لكن هل هي العلمانية التي يتبناها الغرب أم هي شيء آخر وضع له هذا المصطلح؟! نترك للعلمانيين العرب الإجابة!!

الأمر الذي نريد التأكيد عليه هنا هو أننا لن نستدعي من أقوال المفكرين والعلماء المسلمين في هذا الشأن إلا بعد أن يكون «العلمانيون» قد استعرضوا أقوالهم، وحكم بعضهم على بعض، وفسَّر بعضهم مذاهب بعض، ووضع بعضهم بعضاً موضع النقض.

بيد أننا فضَّلنا أن نضع في هذه المقدمة مجموعة مهمة من الأسئلة «المثارة» التي تخص موضوع كتابنا، بحيث يجد القارئ الإجابة عليها بين دفتي هذا الكتاب، وبالانتهاء من قراءة هذا الكتاب يكون القارئ الكريم قد تعرف على موقف «العلمانيين العرب» من «الدين» و«الوحي» و«النبوة» و«المرجعية الإسلامية» و«التراث» و«الشريعة».

وهذه هي الأسئلة التي تخص «العلمانية» التي يتبناها «العلمانيون العرب»:

١- هل مقاصد الإسلام الكلية هي مقاصد العلمانية الكلية؟

٢- هل تُناقض المرجعية العلمانية - أو تنْقضُ! - المرجعية الإسلامية؟

٣- هل تريد العلمانية إقامة مجتمع مدني داخل الأطر والثوابت الإسلامية، أم أنها تستعير أطرا وأيديولوجيات مغايرة ومناقضة وهادمة لهذه الأطر والثوابت؟

٤- هل العلمانية هي انتهاج النهج العلمي بدون رفض العقيدة الإسلامية، وبدون نبذ الدين والوحي؟

٥- هل ممثلو الاتجاه العلماني لا يستبعدون الدين ولا يعادونه وأنهم فقط يحرصون على الفهم، فهم التراث والدين معاً، كما في كتاب التفكير في زمن التكفير لنصر حامد أبو زيد ص ٢٢؟

٦- ما هو الغرض الرئيسي والحقيقي، والهدف الأعلى المنشود للحضور العلماني في العالم العربي والإسلامي؟

٧- وهل قال العلمانيون شيئاً في هذا الشأن؟

٨- وهل هم صُرحاء في مواقفهم من الإسلام والعقيدة؟

٩- وهل احتلوا مواقع في عالم الفكر والتوجيه والتأثير في عالمنا العربي والإسلامي؟

١٠- هل يجب أن يتعامل المسلمون مع العلمانية على أنها ضد الدين وضد «الشريعة» وضد «المبادئ الإسلامية»؟

١١- هل في «العلمانيين» «فقهاء مسلمون» و«علماء مجتهدون» أو «مفكرون مسلمون»؟

١٢- هل يطرح بعض العلمانيين أيديولوجياتهم من خلال الإسلام بغية السيطرة علية من «الداخل» وتغيير معالمه ببطء؟

١٣- هل هناك خطر حقيقي على الإسلام والمسلمين من العلمانية؟

١٤- هل الدعوة إلى «المرجعية الإسلامية» والحفاظ على «الهوية الإسلامية» هدف «غربي» لتكريس التخلف والجمود في العالم العربي والإسلامي؟!!

١٥- هل هناك أهداف مشتركة بين الفصائل العلمانية تجاه الإسلام وعملية الإحياء الإسلامي؟

١٦- هل تسعى العلمانية، فعلاً، لفصل الدين عن الحياة في العالم العربي والإسلامي أم أنها علمانية تكتفي بفصله عن السياسة؟ وبمعنى آخر: هل العلمانية التي يدعون إليها في عالمنا هي علمانية شمولية تقيم الحياة بعيداً عن الدين أم أنها «علمانية جزئية» تفصله عن السياسة فقط؟

١٧- هل مفاهيم «العقل» و«الحرية» و«الإبداع» في «العلمانية» هي نفسها مفاهيم «العقل» و«الحرية» و«الإبداع» في الإسلام؟؟

١٨ - هل العلمانية هي «الدنيوية القائمة على ساق الشريعة» أم أنها «دنيوية تنبذ الدين وتطرد الشريعة» وإذا كانت الأولى فهل شوّه الإسلاميون صورتها لغرض استقطاب الجماهير؟ وإذا كانت الثانية فهل يجب إعلان الحرب عليها؟

١٩- هل خلَق سيد قطب التباسا ما بشأن العلمانية، مثل القول بأنها معادية للأديان أم أن هناك نصوصا ثابتة عن علمانيين تؤكد ما قاله سيد قطب وترفع عنه تهمة خلق الالتباس؟

٢٠- هل يقوم الإسلاميون بعملية خلق دلالي للعلمانية عن طريق الانتقال من مسألة «فصل الدين عن الدولة» إلى «فصل الدين عن المجتمع» بينما العلمانية بريئة من الفصل الأخير؟!

٢١- هل تعاطف الإسلاميون مع كنيسة العصور الوسطى المظلمة التي حاربت العلم والعلماء أم أنهم وقفوا في وجه العلمانية ويدينون ما قامت به الكنيسة في عصورها «المظلمة»؟

٢٢- هل علوم الإنسان والمجتمع وغيرها من العلوم الاجتماعية والدينية والنفسية والفنية الغربية الحديثة جداً تلغي الدين وترفض الوحي؟

٢٣- هل الحضارة الإسلامية مضادة للإنسان كما قال المستشرق «فون غروبناوم» في كتابه «الإسلام الحديث» ص ٤، أم أنها حضارة الإنسان وكرامة الإنسان؟

٢٤- هل بدأ العلم والتقدم والاكتشاف والتجريب في منهج متكامل وعلى قواعد آمنه مع الحضارة الإسلامية أم بدأ مع النهضة الأوربية؟

٢٥- هل الاتهامات التي توجه للعلمانيين تضعهم في موضع الدفاع عن النفس بلا جريرة ولا ذنب وأنها على سبيل الافتراء؟ وهل الدافع المحرك للاتهامات هو الظن بالكاتب قبل الكتابة، والاسترابة في نوايا الفاعل قبل مقاربة الفعل، وأنه قائم على نوايا مظنونة وليس حكماً على نصوص الكتابة نفسها كما يقول الكاتب العلماني جابر عصفور[1]؟

٢٦- هل هناك سبب قوي - مثل حضور الصحوة الجماهيرية الإسلامية مثلاً - يجعل العلماني في كتاباته اللاحقة - لو صحّ وجود هذا العلماني في عالمنا العربي!! - أن يتراجع عن بعض أقواله التي صوبها تجاه الإسلام مثل إنكار وجود العقل في الإسلام أو إنكار وجود علاقة الحب بين العبد وربه أو إنكار وجود مفهوم للعلم أو المساواة أو الحرية أو العدل في الإسلام أو إنكاره لبعض الثوابت القرآنية؟!

هذه مجموعة أسئلة تلحّ على المثقف العربي والمسلم، وتحتاج لإجابة شافية كافية عنها، ونأمل بهذا الكتاب أن نكون قد قمنا بذلك وعرّفنا القارئ العربي والمسلم بنشاط العلمانية وفكرها وأيديولوجياتها وخططها في العالم العربي والإسلامي.

طارق عبد الباقي منينة

٢٩ ربيع الآخر ١٤٢١ الموافق ٣١ يوليه ٢٠٠٠م

لاهاي – هولندا

---

(١) قال ذلك في جريدة الحياة: مقالة تحت عنوان سجن كاتبتين – الأربعاء ١٦ فبراير ٢٠٠٠، وذكر فيمن ذكره سيد القمني وحسن حنفي ونصر حامد أبو زيد والكاتبة ليلى العثمان وعالية شعيب.

٥- ثورات الخوارج
محاولة اغتيال الحسن بن علي

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

بويع الحسن بن علي، رضي الله عنهما، بالخلافة بعد مقتل والده على يد الخوارج في سنة ٤٠هـ. وعليّ بن أبي طالب، هو الآخر، بويع بالخلافة بعد مقتل سلفه، ذي النورين عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وعلى يد الخوارج السبئية أيضا، أواخر سنة ٣٥هـ، وهكذا قتل الخوارج في صدر الإسلام خليفتين من خلفاء المسلمين الراشدين، واثنين من العشرة المبشرين بالجنة والسابقين في الإسلام، وصهري رسول الله ﷺ، كما حاربوا جموع الصحابة الذين رضي الله عنهم ورسولُه بعد أن كفّروهم وأباحوا دماءهم.

ولم يكن الحسن بعيدا عن سهام الخوارج وعن فهمهم السقيم، فخلال الأشهر القليلة التي قضاها في الحكم قبل تسليمه إلى معاوية، رضي الله عنه، تعرض الحسن إلى محاولتي اغتيال، كانت الأولى منهما في أعقاب الشائعة التي سرت بمقتل قائد جيشه، قيس بن سعد، إذ فور سماع الجند بذلك عمّت الفوضى بينهم، «وانتهب بعضهم بعضا، حتى انتهبوا سُرادِق[1] الحسن، حتى نازعوه بساطا كان جالسا عليه، وطعنه بعضُهم»[2].

أمّا المحاولة الثانية لاغتياله فكانت على يد الخوارج، وتحديدا على يد شخص اسمه الجراح بن سنان، وتذكر لنا المصادر التاريخية أن الجراح هذا كان صاحب سيرة سيئة منذ زمن طويل، فهو أحد الذين افتروا على سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، عندما كان واليًا على الكوفة، أيام خلافة الفاروق عمر، رضي الله عنه، وسَعوا في عزله، في وقت عصيب جدا، ففي ذلك الوقت استطاع ملك الفرس يزدجرد أن يحشد جموعا كثيرة لقتال المسلمين، وسعدٌ، والي الكوفة وقائد معركة القادسية من قبل، والمسلمون هناك يبحثون أمر تشتيت جموع الفرس وقتالهم، فما كان من سعدٍ إلاّ أن دعا على هؤلاء المفترين، وكان مستجاب الدعوة، «فكان لهم من سوء الخاتمة نصيب»[3].

يقول ابن كثير في شأن هذه الشكوى: «وثار أهل الكوفة على سعد في غبون هذا الحال، فشكوه في كل شيء حتى قالوا: لا يُحسن يصلي!! وكان الذي نهض بهذه الشكوى رجل يقال له: الجراح بن سنان الأسدي، في نفر معه، فلما ذهبوا إلى عمر فشكوه إليه، قال لهم عمر: إن الدليل على شرّكم نهوضكم في هذا الحال عليه، وهو مستعد لقتال أعداء الله، وقد جمعوا لكم، ومع

(*) كاتب أردني.

(١) في المعاجم: هو الخيمة أو المنصّة أو المكان الذي يجتمع فيه الناس في المناسبات كالعرس والمأتم ونحوهما.

(٢) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٥٦٨.

(٣) د. علي بن محمد الصلاّبي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، ص ٣٢٩ (الهامش).

هذا لا يمنعني أن أنظر في أمركم.

... ثم دعا سعد على الجراح وأصحابه، فكلٌّ أصابته قارعة في جسده، ومصيبة في ماله بعد ذلك»[1].

وقبل الحديث عن محاولة الجراح بن سنان الآثمة لاغتيال حفيد رسول الله ﷺ، **الحسن بن علي**، نودّ التوقف عند أمرين هامّين أثارتهما الشكوى المقدمة ضد سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه:

الأول: أن الخوارج –قديما وحديثا- لم يُعرف عنهم سابق صلاح، ولا سابقة في الإيمان والإسلام والالتزام بأحكامه، فهذا الخارجي (الجراح بن سنان) لا يتورع أن يفتري على أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين في الإسلام، وقادته الكبار، بأنه لا يُحسن الصلاة!!

وقد رأينا في العصر الحديث بأن معظم جماعاتهم عادة ما تتكوّن من أصحاب الانحراف، فكم من «داعشي» معاصر أُلقي القبض عليه أو عثر على جثته، وفيها آثار من شرب الخمور أو تعاطي المخدرات، وكيف انتقل بعضُهم من النقيض إلى النقيض، ليصبح بين يوم وليلة أسد السنة والمجاهد البطل والمغوار، ومفتيا مرموقا لا يُشقّ له غبار.

الآخر: أن الخوارج لم يُعرف عنهم تقدير المصالح والمفاسد الشرعية، ولا وضع مصلحة الإسلام في المقدمة كما تجلى من إحداثهم الشرخ وخلخلة صفوف المسلمين المرابطين في مواجهة الفرس، فقدموا إلى المدينة يشتكون زورا وبهتانا على قائد المسلمين هناك، سعد بن أبي وقّاص، وفد أنّبهم الفاروق عمر، رضي الله عنهم لصنيعهم هذا: «إن الدليل على شرّكم نهوضكم في هذا الحال عليه، وهو مستعد لقتال أعداء الله، وقد جمعوا لكم...».

ولم يختلف سلوك الخوارج المعاصرين عن أسلافهم في هذا الأمر، ولنا في الثورة السورية خير دليل، فكم اغتال «الدواعش» من مجاهدين معارضين لنظام الأسد النصيري ولإيران وروسيا، بحجج واهية، فأضعفوا ساحة الجهاد ومنظماته الفاعلة، وتركوا المجال لأعداء الدين يسرحون ويمرحون ويحرزون التقدم تلو الآخر، ويعيثون في أرض المسلمين وأهل السنة الفساد.

وما فعلوه في سوريا، فعلوه أيضا في العراق، وفعله قبلهم تنظيم القاعدة، فقد تفرغوا لقتال أهل السنة المقاومين للمشروعين الأمريكي والإيراني هناك، بحجّة أنهم عملاء وخونة، وتركوا الساحة السنية نهبا للطامعين والمحتلين.

محاولة الاغتيال

وبالعودة إلى محاولة اغتيال الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، فإنها جاءت في أعقاب نجاح مفاوضات الصلح بينه وبين معاوية، رضي الله عنه[2]، فمَن كان على مذهب الخوارج في جيشه قالوا «قد كفر الحسن كما كفر أبوه من قبله، فشدّوا عليه فنهبوا متاعه، ثم لم يكتفوا بذلك، بل أرادوا أن يكون مصيرُه كمصير أبيه، فكمن له الجراح بن سنان الأسدي الخارجي، فطعنه بخنجر مسموم في فخذه، ولكنه لم يصب منه مقتلا، ونجا الحسن من مؤامرة خارجية لاغتياله»[3].

وقد ورد عند البعض أن الجراح قعد ينتظر الحسن، فلما مرّ ودنا من دابته أخذ بلجامها، ثم أخرج معولاً كان معه وقال: أشركتَ يا حسن كما أشرك أبوك من قبل، وطعنه بالمعول في أصل فخذه، فشقّ في فخذه شقًا كاد يصل إلى العظم، وضرب الحسن وجهه، ثم اعتنقا وخرّا إلى الأرض، ووثب عبد الله بن الخضل الطائي، فنزع المعول من يد الجراح، وأخذ ظبيان بن عمارة التميمي بأنفه

(١) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٣، ص ١٤٠٢.

(٢) د. علي بن محمد الصلاّبي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، ص ٣٢٩.

(٣) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، ص ١١١.

فقطعه، وضرب بيده إلى قطعة آجرة فشدخ بها وجهه ورأسه حتى مات، وحُمل الحسن إلى المدائن .. ثم إن سعد بن مسعود أتى الحسن بطبيب، وقام عليه حتى برئ[1].

تعطي محاولة الاغتيال هذه مثالا واضحا على حرص الخوارج على قتل الصالحين من هذه الأمة وتكفيرهم، أما اتهام الحسن وأبيه عليّ، رضي الله عنهما، بالشرك والكفر فهو مما يثير السخرية والأسى، فإذا كان عليٌّ، وهو أحد المبشرين بالجنة، والسابقين في الإسلام، وخليفة المسلمين، مشركا بالله، فمن هو الموحّد في نظر الخوارج؟؟

ولقد رأينا الخوارج المعاصرين يكررون سيرة القدامى منهم، فيحكمون على من يخالفهم في الرأي من هذه الأمة أو ينتقد مسلكهم بالكفر والردّة، ويعتبرون قتلهم وقتالهم أولى من قتال الكافر الأصلي.

ولعلّ آخر «تقليعة» قاموا بها في هذا الشأن، هي تلك القائمة التي أعلنها تنظيم الخوارج «داعش» مؤخرا لعدد من العلماء والدعاة، وبعضهم يعدّ من كبار علماء المسلمين وأهل السنة ودعاتهم، كيوسف القرضاوي ومحمد العريفي وعائض القرني وسعد البريك ونبيل العوضي ومحمد حسان وناصر العمر وعبد العزيز الفوزان ومحمد المنجد وعدنان العرعور، حيث نفى التنظيم في بيانه عنهم العلم، واعتبرهم «عملاء لا علماء» ووصفهم بأنهم «أئمة الكفر»، والأدهى والأمرّ أنه دعا لاغتيالهم، لأنهم - بزعمه- «شركاء في الحرب الصليبية» ضد التنظيم، و«حمير آذوا المجاهدين»[2].

(١) د. علي بن محمد الصلاّبي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، ص ٣٢٩ – ٣٣٠.

(٢) موقع عربي ٢١، بتاريخ ٢٠١٧/٢/١٢م، على الرابط:
https://arabi21.com/story/984493/%D9%85%D9%81%D8%A7%D8%AC%D8%A3%D8%A9-%D9%85%D8%AF%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%80-%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D8%B4-%D8%AF%D8%B9%D8%A7-%D9%84%D8%A7%D8%BA%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D8%A3%D8%A8%D8%B1%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%A1-%D8%B4%D8%A7%D9%87%D8%AF

المراجع

١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- د. علي بن محمد الصلاّبي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ٢٠٠٤م.

٣- د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

التجربة السياسية الشيعية الحديثة... من المعارضة إلى السلطة
١- تجربة إيران

بوزيدي يحيى(*) – خاص بالراصد

دشنت الثورة الإيرانية في سنة ١٩٧٩م مرحلة سياسية جديدة في الشرق الأوسط كان من أهم مظاهرها تجاوز عقيدة الانتظار لعودة المهدى الشيعي الغائب لقيادة العالم وانخراط ملالي الشيعة في ممارسة السياسة والحكم مباشرة.

أسس الخميني نظام حكم شيعيا وحاول تصديره لدول الجوار والعالم، وقد فشلت محاولات محاكاة التجربة الإيرانية حرفيا في الأقطار العربية، غير أن ذلك لم يمنع من تحقيق اختراقات متفاوتة، خاصة على الساحة العراقية، فعقب الاحتلال الأمريكي في ٢٠٠٣ استحوذ الشيعة على السلطة في العراق، وأما الحالة اللبنانية والحوثية فشكّل فيها الشيعة دولة داخل الدولة، بينما بقيت التجارب الأخرى في حدود التأثير العام.

رافق هذه التطورات السياسية جدل داخل البنية الشيعية وخارجها نظرا للإشكالات الفقهية والسياسية التي ظهرت في النظرية والتطبيق، في مقدمتها الموقف من الدولة الوطنية، ومن المكونات الاجتماعية الأخرى، وطبيعة التفاعل مع القضايا الإسلامية، خاصة بعد انفجار الانتفاضات الشعبية في ٢٠١١ وأشكال الاصطفاف السياسي.

وللإحاطة بمختلف هذه القضايا كانت هذه السلسلة من المقالات التي ستتناول التجربة السياسية الشيعية الحديثة بشكل مفصل من خلال الوقوف عند أهم محطاتها، ومناقشتها وتقديم صورة موضوعية عنها، هذه التجربة التي ما تزال إحدى المعضلات التي تؤرق المجتمعات والدول العربية لضبابية الرؤية حولها، والناجمة عن الفهم الخاطئ لأبعاد الظاهرة سياسيا.

إيران وولاية الفقيه: سلطة الغائب وسطوة القائد

تعتبر التجربة الإيرانية المعاصرة امتدادا للتجربة الصفوية رغم الفوارق، إذ أصبح التشيع منذ تلك اللحظة قرينا بالأنظمة السياسية التي حكمت إيران، وأضحت المؤسسة الدينية الشيعية واجهة للأنظمة السياسية، وكثيرا ما لعب المراجع دورا في صعودها وسقوطها. وما يميز التجربة الخمينية عن التجارب السابقة أنها احتلت مركز السلطة ولم تبقَ على هامشها كما في الحالات السابقة. وقد وجد الشيعة فيها الحلقة المفقودة بين حكم الأئمة والأمة من خلال نظرية «ولاية الفقيه» التي جعل منها النظام الإيراني النموذج الأمثل في الحكم الإسلامي وسعى لتصديرها إلى المجتمعات الإسلامية الأخرى.

(*) باحث وكاتب جزائري.

وبعد مشارفة التجربة على إتمام عقدها الرابع والتأثيرات التي رافقتها ولا زالت تداعياتها تتجلى في المحيط العربي، من الأهمية قراءتها في سياقها الشيعي والإسلامي على حد سواء، ومحاولة تقييمها التي تتداخل فيها عدة اعتبارات، منها الخلفية الدينية للنظام والبعد الأخلاقي المرتبط بها، فقد رفع النظام السياسي الإيراني باعتماده نظرية ولاية الفقيه التي تنطلق من أسس دينية شيعية سقف معايير قراءته وتقييمه، فهو يعتبر نموذجه الأمثل في التعبير عن القيم الإسلامية وفق منظومته العقدية الشيعية، فحجر الزاوية في هذا النظام تلك الأسس التي سار عليها الإمام علي بن أبي طالب، الخليفة الراشد الرابع، ومن قبله سنة رسول الله ﷺ في سيرته السياسية، وبإعلان الالتزام بحتمية ولاية الفقيه في زمن الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن المهدي) على قاعدة الولاية النائبة عن الإمام الغائب، ما اعتبره مفكرو النظام أساسا صالحا لتكوين جمهورية إسلامية[1].

ومن جانب آخر يجب عدم إغفال تمظهرات الحداثة في الدولة والحكم الإيراني من خلال مستويات المأسسة والتمثيل الشعبي كون النظام يعتبر نفسه متميزا عن النماذج الغربية الأخرى، وأفضل منها لاستدراكه السلبيات الموجودة في الأنظمة الديمقراطية من خلال المزاوجة بين القيم الإسلامية والمبادئ الأخلاقية التي تحكمها، والقوانين الوضعية التي تضمن العصرنة بطرح مفهوم الديمقراطية الدينية. حيث قدم الدستور الإيراني عبر اجتهاد الفقهاء الشيعة نظرية للسلطة تعتمد في عمقها على الصفوة الثقافية، والدمج بين السلطة والقيم الأخلاقية التي أقرت معها الشريعة، وسعى إلى دمج الشورى الإسلامية بالديمقراطية الغربية[2].

إخفاقات الأطروحة الخمينية: بين النظرية والتطبيق

قدم الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» نموذجه في الحكم الذي اصطلح عليه بـ «ولاية الفقيه»، وتقوم فكرته الأساسية على أنه لا بد في زمن غيبة الإمام من بديل عنه تقام به أحكام الإسلام، ويعرف به الحلال والحرام، ويحكم فيه بالشريعة، وتكون علاقات الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى مبنية على ما أراده الله ورسوله، أي تقوم حكومة إسلامية مقام الإمام وتنوب عنه في غيبته[3].

وقد تعرض هذا النموذج لانتقادات من كبار مراجع الشيعة في حجم الخميني ومقامه، وربما أكبر منه في سلم المرجعية الدينية مثل كلبايكاني والنجفي[4]. وانطلق معارضو «ولاية الفقيه» من فرضية عدم قدرة الفقيه على إرساء الحكم مثل الأئمة المعصومين، وذلك بسبب ظروف العصر الحديث، وأن هذا الفقيه إذا أمسك بزمام السلطة مباشرة وتعرضت الحكومة لصدمة ما، فإن هذه الصدمة ستترك آثارها على أسس ومعتقدات الشيعة[5].

وحتى أعضاء من الجمعية التأسيسية رفضوا منصب المرشد مثل آية الله ناصر مكارم الشيرازي لعدم وجود ضمانات بأن يتمتع خليفته بمؤهلات قيادية مماثلة للخميني[6]. وآية الله صاحبي الذي حذر من منح صلاحيات كبيرة للمرشد كونها

---

(١) غضنفر ركن آبادي، **الإسلام والنظام السياسي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية**، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة الفكر الإيراني المعاصر، ط١، ٢٠١٦، ص ٢٩١.

(٢) **المرجع نفسه**، ص ٣٧٥.

(٣) محمد سليم العوا، **المدارس الفكرية الإسلامية: من الخوارج إلى الإخوان المسلمين**، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠١٦، ص ١٤١.

(٤) فهمي هويدي، **إيران من الداخل**، القاهرة: دار الشروق، ط١، ٢٠١١، ص ١٤١.

(٥) غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٤١٦.

(٦) هالة العوري، **إيران بين عدالت خانه وولاية الفقيه**، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠١٠، ص ٣١٠.

ستخلق سيادة ووصاية ليس لها مثيل، وأن ذلك من شأنه أن يضع السلطة الدينية بحكم العمل السياسي محل انتقاد، وفي ذلك نهاية للإسلام[1].

ومن جهة أخرى اعتبر علماء دين شيعة آخرون مثل محمد جواد مغنية أن التسليم بما قاله الخميني حول ولاية الفقيه إدانة لكل المجامع الشيعية العلمية منذ غياب الإمام الثاني عشر إلى قيام الخميني[2]. لأنها تعني أن الفقهاء منذ عصر الغيبة كانوا مقصرين في تحمل مسؤولياتهم للقيام بهذا الدور الذي لم يقم به أئمة أهل البيت أنفسهم[3]. وطرح بعض المراجع بدائل عمّا جاء به الخميني على غرار «نظرية ولاية الأمة على نفسها» لآية الله محمد مهدي شمس الدين.

ومن الإخفاقات على المستوى النظري أيضا أن الرؤية الإيرانية التي تتجاوز الحدود الوطنية بنص دستور ١٩٧٩، والتي جاءت حينها في سياق الحماس الثوري والسعي لتصدير الثورة - ومن هذا المنطلق يمكن تبريرها- إلا أنه بعد عشر سنوات ومرور عقد على التجربة في الحكم لم تتم مراجعة هذه المواد في التعديل الدستوري سنة ١٩٨٩ والذي كان في آخر حياة الخميني، وبعد مرور قرابة ثلاثة عقود على حكم خامنئي لم يتم أيضا مراجعة الدستور أو كتابة دستور جديد يستدرك هذه المواد، مما يؤكد أنها ضمن أسس النظام الدينية التي لا يمكن الاستغناء عنها. وهذا يتعارض مع مفهوم «الدولة» كما أنه أوقع الشيعة خارج إيران من المؤمنين بـ «ولاية الفقيه» في معضلات سياسية مع أوطانهم ومجتمعاتهم.

وعمليا تمثل أول إخفقات النموذج في تراجع الخميني عن الشروط التي وضعها لتولي المنصب، حين أدرك أن المرجعية والقيادة ربما لا تجتمعان إلا نادرا في شخص معين، وبالتالي فإن تفكيك هذه اللازمة بينهما يصبح ضروريا[4]. فمجرد التنازل عن شرط المرجعية يعني عمليا الخروج عن «ولاية الفقيه»، وهذا ما تأكد بعد وفاته إذ لم يمر تولي خامنئي القيادة دون انتقادات من المراجع الدينية خاصة مع ضعفه في هذا المجال حينها، ولذلك فأيًّا كان القائد التالي فإن الانتقادات له ستكون أشد، خاصة مع تعدد توجهات المراجع ومواقفهم، وتراجع دورهم في الحياة السياسية مقارنة بالعقد الأول من الثورة، وكان لخامنئي نفسه دور في تحجيم السلطة السياسية لرجال الدين[5].

أما الإخفاق الثاني فيتجلى في الاتساع المستمر لدائرة الرفض لـ «ولاية الفقيه» فبعض المراجع الذين يرفض جلّهم النظرية من الأساس كما سبق الإشارة، وتراجع البعض الآخر الذي كان يدافع عنها كآية الله حسين منتظري الذي أصبح أول ضحاياها، بعد إقالته من منصب نائب الولي الفقيه وإقصائه من الحياة السياسية ثم فرض الإقامة الجبرية عليه حتى وفاته، لينتقل الرفض إلى الطبقة السياسية الثورية التي كانت تؤيدها، فالتيار الإصلاحي بعد أن كان مدافعا عنيدا عن ولاية الفقيه المطلقة القائمة على التعيين زمن الخميني، أصبح ينادي بولاية فقيه تقوم على الانتخابات وبتحديد صلاحيات الولي الفقيه، والبعض داخل التيار ينادي بـ «وكالة الفقيه» بدلا من ولاية الفقيه، وبعض منظريه لا يؤمن أساسا بها، ويقدم الجمهورية الإسلامية[6].

أما الإخفاق العملي الثالث فيظهر على المستوى الشعبي الذي تتزايد المسافة بينه وبين ولاية الفقيه، فلا يمكن إنكار ما أصاب النظرية في الاحتجاجات التي شهدتها إيران عقب انتخاب محمود أحمدي نجاد عشية الانتخابات الرئاسية

(١) **المرجع نفسه**، ص ٣١١.
(٢) محمد سليم العوا، **المرجع السابق**، ص ١٤٣.
(٣) علي الأمين، **ولاية الدولة ودولة الفقيه**، بيروت: دار مدارك للنشر، ط٢، يوليو ٢٠١١، ص ٣٩.
(٤) مختار الأسدي، **أزمة العقل الشيعي: مقالات ممنوعة**، بيروت: دار الانتشار العربي ط١، ٢٠٠٩، ص ٣٣٢.
(٥) فاطمة الصمادي، من يخلف خامنئي: المرشحون والقوى الداعمة، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٥/٠٣/١٥، ص ٥.
(٦) **المرجع نفسه**، ص ٧.

العاشرة في ٢٠٠٩، وهي الاحتجاجات التي عبّرت عن نفسها بالحركة الخضراء، وتصاعدت شعاراتها من التشكيك بالنتائج وشعار «أين صوتي؟»، إلى الهتاف ضد المرشد ووصفه بالديكتاتور عبر شعار «الموت للديكتاتور»، وصولا إلى إحراق صور الخميني، والهتاف ضد مجتبى خامنئي، الاسم المطروح كمرشد قادم[١].

المأسسة: جدلية الثورة والدولة

أهم ما يحسب للنظام الذي أسسه الخميني تجاوزه لمخاطر التقسيم وحفاظه على الوحدة الوطنية لإيران في زمن الفوضى التي أعقبت الثورة. وعلى المستوى المؤسسي أنتج أيضا العديد من مؤسسات صنع القرار التي تتيح للكثير من الفاعلين قدرا من المشاركة، فقد استطاعت الثورة الإيرانية منذ اليوم الأول بناء إطار قانوني ودستوري يحكم حركتها، ويضمن استمرار النظام السياسي. واستكملت هذه العملية من خلال بناء المؤسسات التي انقسمت إما إلى مؤسسات جديدة بالكامل أو معدلة أو حتى مؤسسات قديمة موروثة من نظام الشاه. وقد عكست هاتان المسألتان (الإطار القانوني وبناء المؤسسات) رغبة في إحداث التحول من الثورة إلى الدولة[٢].

واستطاع النظام أن يوجد مجموعة من المؤسسات المرتبطة بأيديولوجية الثورة والنسيج المجتمعي الإيراني، وليس فقط بقيادتها. حيث تجاوز الخميني واحدة من أهم المشكلات التي يتعرض لها نظام يرتبط بزعامة كاريزمية؛ مأسسة النظام الجديد. فقد تكفلت المؤسسات الجديدة التي أنشأتها الثورة، بنقل قيمها إلى الأجيال الجديدة والحفاظ عليها. وتوسيع قواعدها الاجتماعية بما يسمح لها بالتغلغل في وسط المجتمع الإيراني، ويمكّنها من الاستمرار بعد غياب الخميني[٣].

ومنحت مختلف المؤسسات المنتخبة والمعينة قدرا من الصلاحيات جعلها تلعب دورا متباينا في رسم السياسات، هذه التنوع يبقي الباب مفتوحا للتغيير السلمي واحتواء المعارضة، خاصة وأن النظام حافظ على دورية الانتخابات لكل المؤسسات، ما جعله يتمتع بقدر كبير من المرونة مكنته من تجاوز الكثير من الأزمات وضمان استمراريته، وهذه الآلية (الانتخابات) تشكل المرتكز الأساسي للسلطة لتأكيد مواكبتها للأنظمة السياسية المعاصرة وتحقيق «حكم الشعب» خاصة مع نسبة التأييد الكبيرة التي حصل عليها عشية إقرار الدستور الأول للبلاد[٤].

استمرار النظام بهذه الثنائية المؤسساتية عكس عدم قدرته على الانتقال إلى الدولة، إذ ينعدم في الدستور الإيراني التوازن بين السلطات[٥]. فالسلطة التنفيذية منقسمة، والبرلمان يملك حق منح الثقة للوزراء كلّ على حدة – قبل تعيينهم، ولكن في تشريعه للقوانين يجابه بمجلس صيانة الدستور الذي له حق الاعتراض على القوانين إذا وجدها مخالفة للشريعة الإسلامية - وفق العقيدة الشيعية- ، كما يشرف المجلس على انتخابات مجلس الخبراء الذي ينتخب القائد، ويحدد من يحق له الترشح لرئاسة الجمهورية، ومجلس الشورى. لكن في المقابل هذا المجلس يقيد عمله مجلس تشخيص

---

(١) **المرجع نفسه**، ص ٦.

(٢) أمل حمادة، **الخبرة الإيرانية: الانتقال من الثورة إلى الدولة**، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط١، ٢٠٠٨، ص ٢٣٥.

(٣) **المرجع نفسه**، ص ٣٥٩.

(٤) انطلق النظام الإيراني من قاعدة شعبية كبيرة جدا عبّر عنها الاستفتاء على الدستور الإيراني في ١٩٧٩ والذي حصل على موافقة الأغلبية المطلقة بـ ٩٨ بالمائة من المصوتين، وهذه الشرعية في جوهرها تعبير عن حالة الزخم الثوري أكثر منها عن استيعاب لطبيعة النظام، إذ على المستوى النخبوي والممثل في المرجعيات الشيعية حينها فإن الأغلبية كانت ضد ولاية الفقيه باستثناء الخميني، ووفق المنطلقات الإسلامية فإن هذه الصفوة هي مصدر الشرعية وليس الانتخابات التي تعتبر آلية ديمقراطية رفضها الخميني نفسه.

(٥) غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٣٥٤.

مصلحة النظام الذي له حق البت في الخلافات بينه وبين البرلمان.

وفي التدافع الكبير بين المؤسسات أثبتت الأزمات انحياز النظام في الكثير من المواقف إلى الثورة، وظهر ذلك من خلال استمرار دور المؤسسات الثورية الموازية لمؤسسات الدولة التقليدية؛ سواء ما تعلق منها بالجانب الأمني كالحرس الثوري، أو الطبيعة التشريعية كمجلس تشخيص مصلحة النظام ومجلس الرقابة على القوانين، والتي تمكنت من خلال القواعد القانونية وعلاقاتها بمراكز القوة في المجتمع من ضمان دور يفوق الدور التشريعي الذي يقوم به البرلمان[1].

وما يقطع بذلك وضعية مؤسسة المرشد التي تحسب على الثورة وليس الدولة، وتنتهي إليها الكلمة الأخيرة في صنع القرار، فهو الذي يمسك بتلابيب الحكم. وعلى أهمية الانتخابات إلا أنها ليست معيارا أساسيا أو وحيدا لتأكيد «ديمقراطية» الأنظمة السياسية، فهناك مؤشرات أخرى كثيرة يجب أخذها بعين الاعتبار أيضا، خاصة عند الوقوف على واقع الأحزاب السياسية التي تعتبر المحرك الأساسي للانتخابات، إذ لم تستطع إيران إنتاج أحزاب سياسية رغم محافظتها على دورية الانتخابات، فجلّ الأحزاب التي ظهرت في الساحة السياسية ظلت تسبح في كنف السلطة، فأغلب الأحزاب هي إما أحزاب حكومية أو نشأت بعد وصول مؤسسيها إلى السلطة مثل «كوادر البناء»، لهاشمي رفسنجاني و«جبهة المشاركة» لمحمد خاتمي[2]. وبدل انضواء الأفراد تحت مظلة حزب تبعًا لأهدافه وبرامجه، فإن ما يحدث هو وجود شخصية مركزية يقوم عليها الحزب، ولذلك يكون مستقبل الأخير مرهونا بمستقبل ذلك الشخص وحضوره[3].

ولم تنجح الأحزاب الإيرانية أيضا في تدوين نظرية حزبية تتلاءم مع الإطار المرجعي للجمهورية الإسلامية، ولذلك بقيت موضوعات عديدة مثل: المجتمع المدني، والحريات، والعدالة، والتعددية، قضايا خلافية شائكة في دائرة الجدال السياسي الإيراني، وما زالت عاجزة عن تقديم إجابات بشأنها. وعلى الرغم من الاستخدام الواسع لمصطلح الإصلاحات، فإن إيران لا تزال تفتقد تعريفا واضحا لهذا المصطلح حتى من طرف الحركة الإصلاحية نفسها[4].

وبتحييد هذا البعد (الانتخابات) تتجلى العديد من مظاهر الاستبداد والتسلط في النظام الإيراني، ويأتي منصب «المرشد الأعلى» في مقدمتها، فرغم انتخابه غير المباشر من طرف مجلس الخبراء المنتخب بدوره بشكل مباشر من الشعب إلا أنه يبقى في النهاية معبرا عن «ثيوقراطية» النظام، كما أن الصلاحيات التي يحوز عليها وعدم تحديد مدة زمنية لولايته تتنافى مع مبدأ التداول على السلطة، فالقائد يتمتع بوضع شديد التميز، ويتدخل في عمل كافة سلطات الدولة، وهو ليس جزءا من السلطة التنفيذية، فهو السلطات جميعا من جانب، وهو الحكم بينها حسب الدستور من جانب آخر، لأنه قادر على إلغاء أي قرار يتخذ من قراراتها[5].

ووجود رؤساء سابقين والتداول المستمر على هذا المنصب صحيح أنها سمة يتميز بها النظام الإيراني عن غيره من الأنظمة العربية التي نادرا ما يوجد فيها رئيس سابق، وهي دليل على حيوية النظام الإيراني[6]. لكن في الوقت نفسه يجب عدم إغفال أن الرئيس هو الرجل الثاني في هرم صنع القرار، فإيران هي الدولة الوحيدة في العالم التي يتنافس فيها رئيس الجمهورية مع قوى أخرى على المركز

(١) أمل حمادة، **مرجع سابق**، ص ٢٣٧.
(٢) فاطمة الصمادي، **التيارات السياسية في إيران**، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٢، ص ٣٤٢.
(٣) **المرجع نفسه**، ص ٣٤٧.
(٤) **المرجع نفسه**، ص ٣٤٦.
(٥) غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٤٤٧.
(٦) **المرجع نفسه**، ص ٤٩٠.

الثاني في النظام[1]. وبذلك هو يماثل من حيث التراتبية القيادية رئيس الوزراء في الأنظمة العربية، بغض النظر عن طريقة الوصول إذ غالبا ما فشل رؤساء الجمهورية الإيرانيون في تجسيد مشروعيتهم الشعبية عند اصطدامهم مع المرشد الذي يملك آليات عديدة لترويضهم.

وسلوك المرشدين الخميني وخامنئي لم يختلف عن أي حاكم متسلط مستبد، بدايةً بإقصاء المعارضة وكان مراجع الدين الذين تمنحهم مكانتهم الدينية حق الاجتهاد ومخالفة الرأي في مختلف المسائل أول من تم الحجر عن آرائهم بإقصاء كل من يخالف نظرية ولاية الفقيه والتضييق عليهم، وإن اكتفى الخميني في التعبير عن ضيقه منهم بمجرد الانسحاب من قم والانتقال إلى طهران، والتزام الصمت تجاه ذلك التيار الذي يتصدره مراجع آخرون. غير أن تلاميذ الخميني والسائرين على نهجه ذهبوا بعيدا في الهجوم على معارضي ولاية الفقيه، حتى اشتهر هتاف: «الموت لمعارضي ولاية الفقيه»، وهو ما أغضب المراجع الآخرين ولم تفلح جهودهم في محاولة إبطال هذا الهتاف الذي ذاع بين الجماهير واستقر بسرعة بالغة. ولم يبادر الخميني لزجر جمهوره ومطالبتهم باحترام المراجع ومقامهم، ما يعني أنها رسالة في الرد على معارضيه[2].

أما آية الله شريعتمداري الذي كان شريكا للخميني في مقاومة حكومة الشاه، ثم اختلفا سياسيا بعد الثورة بعدة سنوات، بسبب اعتراضه على فكرة ولاية الفقيه وما ترتب عليها من منح سلطات واسعة للولي الفقيه في الدستور الإيراني بعد انتصار الثورة. وظهر هذا الخلاف علانية عندما أسس شريعتمداري الحزب الجمهوري للشعب الإسلامي ليكون المعارض الأساس للحزب الجمهوري الإسلامي، فأبعد عن المسرح السياسي، ثم اتهم بتأييد مؤامرة قادها صادق قطب زاده (وزير خارجية سابق بعد الثورة) لاغتيال آية الله الخميني، فحددت إقامته في بيته حتى وفاته[3].

كما أسست محكمة خاصة برجال الدين من أهم اختصاصاتها القضايا التي تتعلق بالتآمر ضد القيادة أو توجيه الإهانات إليها من قبل رجال الدين ثم كافة التصرفات والأعمال غير الشرعية التي يرتكبها رجال الدين، ثم كافة المنازعات المحلية المخالفة للأمن العام التي يكون أحد خصومها أحد رجال الدين[4]. وبعد اعتراض رئيس الجمهورية أبي الحسن بني صدر على مسألة ولاية الفقيه، ساند الخميني القوى السياسية التي وقفت ضد الرئيس، وهو ما أدى إلى إسقاطه فيما بعد[5].

وسار المرشد الثاني على الدرب نفسه حيث سعى للظهور بمظهر الأب والقاضي العادل بين مختلف التيارات السياسية المتصارعة داخل بنية النظام، لكن الممارسة أثبتت عكس ذلك تماما؛ فانطلاقا من معرفته التامة بأنه يفتقر إلى احترام كبار علماء الدين في البلاد وإلى شعبية الخميني على حد سواء، تحرّك بدايةً ببطء وحذَر لتعزيز موقعه. فأكد للنخب السياسية والدينية في النظام عدم نيته تغيير الوضع القائم لكنه عمد بدهاء إلى بناء ما افتقر إليه كرئيس أي قاعدة مستقلة من الدعم وشبكة شخصية تكون بمثابة «عينيه وأذنيه»[6].

وجعل من نفسه فوق كل الانتقادات، فالمعروف عنه عدم السماح لأحد بانتقاده، فهو أحد الخطوط الحمر القليلة في السياسة الإيرانية، بل عقوبته شبه مضمونة بالسجن. وليست عائلة خامنئي بالمعفية من

(١) نيفين عبد المنعم مسعد، **صنع القرار في إيران والعلاقات العربية الإيرانية**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ٢٠٠٢، ص ١٨٠.

(٢) فهمي هويدي، **مرجع سابق**، ص ١٤١.

(٣) محمد سليم العوا، **مرجع سابق**، ص ١٤٤.

(٤) غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٤٨٧.

(٥) **المرجع نفسه**، ص ٤٧٤.

(٦) كريم ساجد بور، في فهم الإمام الخامنئي: رؤية قائد الثورة الإسلامية الإيرانية، **مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي**، ص ١٠.

هذه المسألة، فضربت قوّات «الباسيج» الموالية للولي الفقيه أخاه الأصغر رجل الدين الإصلاحي هادي الخامنئي ضربا مبرحا بعد إلقائه خطبة انتقد فيها سلطات الولي الفقيه[١].

وعلى الرغم من أنه معروف بالموازن الدقيق فإنه ما برح يفضّل المحافظين على الإصلاحيين. فقاوم رغبة رفسنجاني في التوصل إلى تسوية مع واشنطن، كما أفشل تطلعات خاتمي نحو دولة أكثر ديمقراطية، وميل أحمدي نجاد إلى المواجهة المفتوحة مع أمريكا وإسرائيل[٢]. وهو لا يتوانى عن استعمال مؤسسات الدولة لتحقيق أهدافه الإقصائية، ففي الانتخابات الرئاسية ٢٠١٣ لم يقدم مجلس صيانة الدستور سببا قانونيا لرفض ترشح الرئيس الأسبق أكبر هاشمي رفسنجاني، كما لم يبرر المجلس سبب رفضه ترشيح مستشار الرئيس أحمدي نجاد، رحيم مشائي.

ورغم تدخل خامنئي وإصداره «حكم حكومتي» لقبول ترشح مصطفى معين ومهمر علي زادة. إلا أنه لم يفعل الأمر نفسه مع رفسنجاني الذي تم استبعاده رغم المطالب الموجهة له في هذا الصدد[٣]. وعلى سبيل المثال أيضا رفض مجلس صيانة الدستور الذي انتهى عام ٢٠٠٨ حوالي ٤٠ بالمائة من مشاريع القوانين التي أصدرها مجلس الشورى، وهو ما يعني أن الانتخابات التشريعية لا تعبر بشكل كاف عن «حكم الشعب»، لأن ٤٠ بالمائة من التشريعات ترد من هيئة غير منتخبة يتحكم في أعضائها المرشد الأعلى، وفي انتخابات ٢٠٠٤ رفض المجلس ترشيح ٢٥٠٠ مترشح، أي بنسبة ٣١ بالمائة من المترشحين، وأغلبهم من الإصلاحيين، ومن بينهم ٨٠ مترشحا كانوا أعضاء في مجلس الشورى السابق[٤]. وفي انتخابات ٢٠١٦ رفض المجلس ٩٠ من المرشحين الإصلاحيين (٣٠ من أصل ٣٠٠٠ مترشح).

(١) **المرجع نفسه**، ص١١.

(٢) **المرجع نفسه**، ص٠٧.

(٣) فاطمة الصمادي، رفسنجاني ومشائي.. تبعات الإقصاء، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٥/٠٥/٢٣، ص ٢.

(٤) وليد عبد الحي، **إيران مستقبل المكانة الإقليمية عام ٢٠٢٠**، الجزائر: مركز الدراسات التطبيقية والاستشراف، ط١، ٢٠١٠، ص ١٩٢.

النظام الإيراني والقيم الأخلاقية:

وظف الخميني في الثورة ضد الشاه خطابا أخلاقيا جعله مطية لبناء نظام طائفي تسلطي، مستثمرا الخطاب الشعبوي الذي يزخر به القاموس الشيعي، خاصة ذلك المتداول في الطقس العاشورائي ومظلومية كربلاء التي تكرس روح العداء والانتقام من المجتمعات السنية، وسعى إلى تصدير هذا النموذج بحديثه عن ثنائية الاستكبار والمستضعفين مبشرا بدولة مهدوية جعلت الشيعة في حالة هيجان لتحقيق طموحات أثبتت الوقائع أنها مشروع فارسي بلغة دينية شيعية فقط[٥].

واستلزم وصول الخميني إلى السلطة والحكم الكثير من التصرفات التي تجاوزت الولاية فيها حدود الولاية المعروفة والثابتة في الأحوال الشخصية إلى التصرف في الدماء والأموال، وهي تصرفات تعتبر حسب الذهنية العامة عند الشيعة وبحسب السائد الفقهي، من صلاحيات النبي والإمام المعصوم أو المأذون من قبلهما، فالسعي للإمساك بالسلطة السياسية الذي يؤدي إلى إزهاق النفوس وإتلاف الأموال ومصادرتها في عصر غيبة الإمام يحتاج إلى المبرر الشرعي المستند إلى أدلة شرعية من الكتاب والسنة[٦].

وبعد وفاة الخميني أكد أتباعه الثوريون بصورة أكثر حماسا تمتعه بما يشبه العصمة. ومما يعبر بشكل خاص عن مكانته التي تقترب من مكانة الإمام؛ ضريحه الموجود جنوب طهران والمزود بقبة معدنية مطلية بالذهب وبمآذن فولاذية تكاد تكون

(٥) جاء في مقدمة الدستور الإيراني: «تحمل القوات المسلحة أعباء الرسالة الإلهية، وهي الجهاد في سبيل الله والنضال من أجل بسط حاكمية القانون الإلهي في العالم. وأن يكون القرن الخامس عشر لهجرة الرسول الأكرم – ﷺ – ، قرنا تحقق الحكومة العالمية للمستضعفين وهزيمة المستكبرين كافة، في إشارة إلى ظهور الإمام المهدي. انظر: غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٣٠٤.

(٦) علي الأمين، **مرجع سابق**، ص ٣٤.

نسخة عن ضريح الإمام الحسين في كربلاء وأبعاد أكبر[١].

أظهر تجسيد هذه القيم النظرية على أرض الواقع ما يخالف ذلك تماما، والبداية من آلية معرفة الولي الفقيه، فربط اختيار المرشد بمجلس الخبراء، أدخل في مسألة الاختيار بحد ذاتها شرطا سياسيا يعتمد في مضمونه على كل ما في الانتخابات من تكتيكات ومناورات ووسائل أخرى تحيط بالعملية الانتخابية التي تبعدها أحيانا عن الأخلاقية الصارمة التي ينص عليها المشرع الإسلامي[٢].

وفي اتجاهات أخرى برزت الكثير من الممارسات التي تتنافى مع القيم الأخلاقية التي رفعها النظام وسوّق بها نموذجه للعالم الإسلامي؛ نكتفي بالإشارة إلى مفارقة فاصلة تكشف الانفصام الذي يعاني منه نظام الملالي. فقد جعل الشيعة من تولية الأقارب أحد المداخل لشبهاتهم التي تطعن في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويفترض في نموذج الحكم الشيعي أن يخلو من هذه المظاهر، غير أن واقع النظام الإيراني معاكس لذلك تماما، حيث تشكل «العائلية» إحدى سماته البارزة بما تعينه من ملحقات الفساد السياسي الذي يصاحبها، فالنخبة الإيرانية تتميز بكونها عائلية ترتبط فيما بينها بوشائج القرابة والنسب والمصاهرة، بحيث ينتشر أفراد العائلة الواحدة في أكثر من موقع، بل تتغلق بعض المؤسسات أحيانا على أسر وبيوتات بذاتها[٣]. ولا توكل الوظائف العليا إلا للأقارب من الدرجة الأولى لمن هم في السلطة أو أصدقائهم المقربين، والذين يقومون بدورهم بتعيين أقاربهم وأصدقائهم في المواقع الحساسة والمؤثرة[٤]. وتعد هذه العائلية في تكوين النخبة مصدرا مهما من مصادر الإفساد السياسي[٥]. ويعاد تدوير النخبة الإيرانية باستمرار، سواء باستمرار الشخص الواحد في المنصب نفسه لفترات طويلة، أو بتقلبه في مواقع مختلفة على مدار حياته[٦].

وهناك الكثير من حالات الفساد المرتبطة بهذه الظاهرة يمكن الإشارة إلى حالة عائلة القائد آية الله علي خامنئي باعتباره الممثل الأول للنظام، فاسم ابنه مجتبى خامنئي يتردد كثيرا في الأوساط السياسية كأحد الخلفاء المحتملين لأبيه، الذي أصبح رجلا قويا في النظام يجمع بين تأييد الحرس الثوري وقوات التعبئة «باسيج»، وعدد لا يستهان به من رجال الدين، في مقدمتهم آية الله مصباح يزدي.

وكشفت وثيقة لـ» ويكليكس» أن المرشد خامنئي يعدّ ابنه الذي تلقى تعليما دينيا ليخلفه في منصب المرشد. وقد تعاظم حضور مجتبى ونفوذه خلال السنوات الأخيرة في مختلف المؤسسات القوية في إيران، ولعب دورا كبيرا في انتخاب أحمدي نجاد عام ٢٠٠٥، واتهمه مهدي كروبي صراحة بالتدخل في الانتخابات بصورة غير قانونية، وكذلك الحال في إعادة انتخاب نجاد في ٢٠٠٩، وأثناء الاحتجاجات التي أعقبت الانتخابات خرجت شعارات تندد بدور مجتبى خامنئي[٧] ولديه نفوذ مالي وأمني، ويمتد هذا النفوذ إلى خارج إيران، حيث تجمعه علاقات قوية مع قادة كبار في حزب الله، ووجهت له اتهامات بخصوص صفقات تجارية مع الخارج، وسعى خلال السنوات الأخيرة لتذليل العقبات التي تعترضه، وانخرط في الدروس الدينية

(١) هاينس هالم (ترجمة محمود كبيو)، **الشيعة**، لندن: الوراق للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١، ص ١٥١.
(٢) غضنفر ركن آبادي، **مرجع سابق**، ص ٣٥٨.
(٣) نيفين عبد المنعم مسعد، **مرجع سابق**، ص ١٨٣.
(٤) ويلفريد بوختا، **من يحكم إيران؟: بنية السلطة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية**، أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، ٢٠٠٣، ص ٢٦.
(٥) نيفين عبد المنعم مسعد، **مرجع سابق**، ص ١٨٣.
(٦) **المرجع نفسه**، ص ١٨٤.
(٧) فاطمة الصمادي، من يخلف خامنئي: المرشحون والقوى الداعمة، الدوحة: **مركز الجزيرة للدراسات**، ٢٠١٥/٠٣/١٥، ص ٩.

سعيا للوصول إلى مرتبة مجتهد. ودخل في صراع مع حفيد المرشد الأول حسين الخميني، لإدراكه مبكرا أنه أحد العقبات التي تحول دون توليه المنصب، لذلك تم ربط الشباب الذين أطلقوا الاحتجاجات ضد حسين الخميني وحاولوا منعه من التدريس في قم بمجتبى[1].

هذا على المستوى الداخلي، أما خارجيا فقد أجهزت الثورات العربية على آخر القيم الأخلاقية التي لطالما تشدق بها النظام الإيراني خلال العقود السابقة، فبعد صفقاته في العراق مع الشيطان الأكبر، ومساهمته في توسيع الشروخ الاجتماعية بدعم الأحزاب السياسية الشيعية الموالية له، ومليشياتها العسكرية، أبان سلوك النظام الإيراني عقب الانتفاضة السورية أن الاستضعاف يصلح فقط مع الشيعة حين يكونون في موقف ضعف، وأنهم في الحكم يعبرون عن سلطة الغائب وينفذون أوامره بقتل وتشريد السنة تحقيقا للعدالة المهدوية.

إعلان السودان محاربة التشيع في أفريقيا... الخلفيات والأبعاد

د. محمد خليفة صديق(*) - خاص بالراصد

مقدمة:

جاء إعلان رئيس جمهورية السودان المشير عمر حسن أحمد البشير في حواره أخيرا مع قناة الإخبارية السعودية عن مخطط تقوده إيران في القارة الإفريقية لنشر التشيع عبر التعليم وسفر البعثات التعليمية إلى طهران وطرق أخرى مختلفة لينقل الاتهامات الشعبية لإيران بنشر التشيع والطائفية لتصبح اتهامات رسمية تصدر عن رئيس دولة كانت إلى وقت قريب تعتبر دولة صديقة لإيران، حيث كشف البشير في حواره أن الجهات المختصة في السودان أعدت دراسات حول مخططات النظام الإيراني لنشر الفكر الشيعي في قارة أفريقيا وتقييم الأخطار الناجمة عنها، خاصة وأنها أسهمت في حدوث خلل اجتماعي في دول مثل نيجيريا، إلى جانب العنف الطائفي.

وقد قام السودان بالفعل بإغلاق المستشارية الثقافية الإيرانية بالخرطوم وملحقاتها من مراكز ثقافية ومراكز لتعليم اللغة الفارسية في بعض مدن السودان الأخرى، وأتبع ذلك بإغلاق السفارة الإيرانية بضاحية المقرن في الخرطوم، ولكن يبدو أن ملف الأنشطة الإيرانية المشبوهة، خاصة في نشر الفكر الرافضي، لم تنتهِ بعد، حيث برز إلى السطح من جديد الحديث على لسان الرئيس البشير، مصحوبا بدراسات علمية ميدانية حددت مكامن الخطر ومواطن الضعف التي يلج منها المد الإيراني لإفريقيا عموما، والسودان خصوصا.

خلفيات تاريخية وواقعية:

تاريخيا كان افتتاح أول مركز ثقافي إيراني في السودان في عام ١٩٨٨م في عهد رئيس الوزراء السوداني السابق الصادق المهدي، وخلال عهد الإنقاذ تمددت المراكز والمؤسسات الايرانية في البلاد ليصل عددها إلى ٢٦ مركزاً بالعاصمة والولايات حتى لحظة إغلاقها من قبل الحكومة السودانية، بسبب ما أسمته تجاوز التفويض الممنوح لها والأعراف الدبلوماسية.

ولكن بعيداً عن العرف الدبلوماسي ومدى خرقه فإن المسؤولين الإيرانيين استغلوا التعاون من الأوساط السودانية وتواصلوا مباشرة مع قيادات وزعامات بعض الطرق الصوفية السودانية تحت مظلة محبة آل البيت، كما أن المستشار الثقافي كانت له علاقات وثيقة مع حزبي الأمة القومي بقيادة الصادق المهدي، والوسط الإسلامي بقيادة يوسف الكودة، تحت زعم أنه يعمل من أجل الوسطية، ووصل به الأمر بأن يحاضر في إحدى كليات جامعة النيلين، وتقام الأسابيع الثقافية الإيرانية في الجامعات مصحوبة بمعارض الكتاب والتراث الإيراني.

(١) المرجع نفسه، ص ١٠.

(*) كاتب سوداني.

كما استغلت إيران تحسن علاقتها بالسودان في مجال التعاون العسكري لبسط نشاطها المذهبي الهدّام، كما وضح ذلك الرئيس البشير في حوار له مع قناة العربية أن السودان كان له تعاون في مجال الصناعات العسكرية والحربية مع إيران، خاصة في الصناعات التي يصعب على السودان الحصول عليها من جهات أخرى بسبب الحصار الذى كان مفروضا على السودان.

وقد أشار تقرير مهم صدر نهاية عام ٢٠١٢ عن منظمة «بحث تسليح الصراع» البريطانية إلى توزيع الأسلحة الإيرانية في أفريقيا. وتشمل هذه الأسلحة راجمات الصواريخ وقذائف الهاون والألغام الأرضية، وهي أسلحة أنتجت منذ عام ٢٠٠٢، ومثل السودان أبرز الأمثلة الأفريقية على عمق التعاون العسكري بينها وبين إيران حيث يشمل هذا التعاون تصدير أنواع من الأسلحة والذخائر والمعدات الإيرانية للسودان، وذلك قبل تدهور العلاقات بين البلدين وانضمام السودان لتحالف عاصفة الحزم.

ويرى مراقبون أن إغلاق بوابة السودان أمام المد الرافضي جنّب البلاد ويلات مستقبلية كانت ستحدث له أسوة بالبلدان التي دخلها الرافضة، مثل اليمن ولبنان وسوريا إلى جانب العراق والبحرين، حيث ارتبط وجودهم بالأنشطة الدموية العنيفة، كما أنه حصّن الشعب من مذهب منحرف به من السلوكيات ما لا يقبله الشارع السوداني، مثل زواج المتعة وضرب الأجسام بالجنازير وغيرها، وفوق ذلك أصبح حائط صد لغرب أفريقيا وشرقها وجنوبها، مما يقلل حجم التشيع في تلك المناطق رغماً عن أنه دخلها تحت لافتات إنسانية وصناعية وتعاونية.

وهناك عدد من المكاسب جناها السودان من طرده للإيرانيين، حيث حدث تقارب مع القوى الإقليمية في المنطقة مثل السعودية وبقية دول الخليج العربي، والذي انعكس إيجابا في علاقات السودان مع المجتمع الدولي، خاصة أمريكا صاحبة قرار رفع العقوبات الاقتصادية، لتأتي بذلك خطوة انضمام السودان لتحالف دعم الشرعية في اليمن بقيادة المملكة العربية السعودية، معززة لثقة العرب، والخليجيين خاصة، في السودانيين، ثقة انعكست تطوراً في العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والأمنية بين تلك الدول والسودان.

رؤية البشير للخطر الإيراني في إفريقيا:

وفيما يخص أمن المنطقة والفتنة الطائفية التي تشعل إيران فتيلَها وتسعى لتوسيع اللهب لأفريقيا، نوّه الرئيس عمر البشير في حواره مع قناة الإخبارية بخطورة مشروع التشيّع الإيراني واستهداف طهران لأهل السنة في سوريا وفي العراق ولبنان واليمن، تمهيدا لدولتها الصفوية الممتدة إلى أدغال أفريقيا، وقال إن المسلمين في أفريقيا رغم أنهم أكثرية في عدد كبير من دولها، إلا أنهم ظلوا مستضعفين رغم كثرتهم، ويعانون من الجهل والتهميش لأن الاستعمار الغربي جعل التعليم داخل الكنائس، ونتج عن ذلك إحجام المسلمين عن إدخال أولادهم للكنائس خوفا من التنصير، كما أشار لتنصير عدد من القيادات السياسية في إفريقيا مثل الرئيس السنغالي الأسبق ليبولد سنغور، والرئيس الغيني السابق جون عبد الرحمن».

وحول مداخل إيران لإفريقيا قال البشير: وقد دخلت إيران من نفس الباب الذي دخل منه الاستعمار إلى أفريقيا، وهو باب التعليم، حيث بدأت في توفير المنح والفرص لتعليم أبناء السودان وأفريقيا ومن ثم تحويلهم إلى شيعة اثني عشرية.

وقال البشير إن السودان استشعر هذا الخطر الإيراني الكبير على القارة وأبنائها، فقام بالتعاون مع الأشقاء بالسعي لضرورة مواجهة هذا المشروع الطائفي، فأنشأ السودان جامعة إسلامية هي «جامعة أفريقيا العالمية» والتي تستقبل سنويا ٣ – ٤ آلاف طالب من داخل أفريقيا، بجانب طلاب من أكثر من ٧٠ بلدا حول العالم.

وكشف البشير أن السودان لديه دراسة كاملة لمخطط إيران ونشاطها المذهبي لتشييع المسلمين في إفريقيا، ووصف هذا النشاط بأنه خطير بكل المقاييس، وهدفه إضعاف المسلمين، مؤكداً

حصوله على معلومات بتشييع حوالي ٥ ملايين مسلم في نيجيريا، وهي أكبر دولة في إفريقيا من حيث عدد السكان، ووصف ذلك بأنه رقم كبير، ومؤشر خطير جداً، خصوصاً أن هذا النشاط الإيراني أحدث خللاً اجتماعياً في نيجيريا، وأسهم في تفشي العنف الطائفي الذي تغذيه طهران، علما بأنه لم يكن هناك حضور للشيعة في إفريقيا سابقاً، وقال البشير إن هذا النشاط الإيراني الهدام يوجب علينا مضاعفة الجهود لتحصين المسلمين من خطر التشيع والمد الإيراني في المنطقة.

وقال البشير في الحوار المذكور إن السودان يتحمل اليوم عبء التصدي لمشروع تشييع القارة الإفريقية من خلال فتح أبواب الجامعات السودانية لأبناء القارة، إلى جانب إسهامه في البعثات التعليمية في الدول الإفريقية، لتقويض مخطط إيران لنشر التشيع في القارة الإفريقية عبر مجال التعليم، وسفر البعثات التعليمية والإعلامية إلى طهران.

وقال البشير إن السودان لم ولن يندم على مقاطعته إيران ولا يأبه بتقنيتها الحربية التي كانت هي فقط الفاعل المستتر في جملة العلاقات السابقة بين البلدين، والتي وضع حدّا لها، وأضاف: «قناعتنا راسخة بأن هناك حلف ثلاثي (صهيوني صليبي فارسي)، وهو الذي يدير كل العمليات في المنطقة العربية، وما يحدث في سوريا وفي اليمن واضح جدا، وما يحدث كذلك في العراق واضح جدا، وحتى في لبنان وبكل أسف حتى داخل ليبيا كل هذه القضايا واضحة جدا، إنها تدمير للمنطقة العربية، وإبادة للمسلمين السنة، حيث إن أهل السنة في العراق والمدن السنية في العراق يتعرضون إلى استهداف وجرائم كبيرة جدا، نعم وجود «داعش» كان عنصرا مغذيا للتبرير لاستهداف المدن السنية في العراق، والمحاولة المستمرة لإيقاف الدعم من أجل الإجراءات الإنسانية وإيصال الإغاثة في بعض المناطق في سوريا عامة وفي حلب تحديدا، كنموذج، لذلك في ذهننا مخطط لتقسيم المنطقة ما بين إسرائيل، وللأخيرة مشروع «إسرائيل الكبرى» ممتد من الفرات إلى النيل، وأيضا هناك مشروع «الدولة الصفوية» التي تحاول ألا تكتفي بخريطة فارس القديمة بل تحاول التمدد حتى في المناطق العربية داخل الجزيرة العربية، وفي الهلال الخصيب في سوريا ولبنان وفي جنوب الجزيرة في اليمن، طبعا نحن متابعون الاختراق الكبير في أفريقيا وفي عملية تشيّع تقوم بها إيران بصورة كبيرة جدا، حيث أنشئت الآن الكثير من الجامعات، وهناك الكثير من الفرص التي تكون في شكل منح دراسية للدراسات العليا، لأبناء المسلمين في أفريقيا، علما بأن غالبية المسلمين في أفريقيا، في الدول الأفريقية التي كانت ترزح تحت نيران الاستعمار كانوا محرومين من التعليم لأن التعليم كان في الكنائس، حيث أتيحت فرص التعليم لأبناء غير المسلمين، أو حتى أبناء المسلمين الذين دخلوا تلك المدارس حيث تعرضوا لعمليات تنصير، رغم أن أفريقيا كانت قارة مسلمة قبل دخول الاستعمار، ولكن الاستعمار اخترقها بالكنائس، وبقي التعليم وسط المسلمين ضعيفا، ولذلك نقول إيران استغلت هذا الضعف وبدأت تعطي منحا دراسية لعدد كبير جدا من الطلاب في أفريقيا وعبر ذلك يتم تشييعهم، وإرسالهم ليصبحوا هم بدورهم عناصر لنشر المذهب الإثني عشري الرافضي، بل بدأت تطلق مدارس وجامعات داخل أفريقيا ولذلك فإن تقسيم مسلمي أفريقيا إلى سنة وشيعة رغم ضعف المسلمين في أفريقيا بسبب قلة التعليم، يشكل خطرا كبيرا جدا، وهي تعمل بشدة لمحاصرة كافة المنطقة العربية من كل الاتجاهات والهدف هو أنه عندما يضعف العالم العربي يفسح المجال بكل سهولة لإقامة كيان دولة إسرائيل الكبرى والدولة الصفوية التي يخطط لها من جديد».

وحول الأثر السلبي أو الضرر الذي وقع على السودان جرّاء القطيعة بين الخرطوم وطهران سياسيا واقتصاديا، قال البشير: «العلاقة مع إيران كانت في بعدها السياسي إلى حد ما يبرز في

المحافل الدولية، ولكن في المجال الاقتصادي لم يكن هناك تعاون يذكر بين البلدين، لأننا دائما كنا نصطدم في أي محاولة لتطوير علاقاتنا الاقتصادية مع إيران بموضوع الديون، حيث كانت لإيران ديون محدودة على السودان منذ أيام شاه إيران، في عهد الرئيس الأسبق جعفر محمد نميري، ولكن الفوائد الربوية على هذه الديون أدّت إلى تضخمها، وكنا دائما نصطدم بصعوبة كبيرة وتعنت وقسوة في إجراء أي تطور في علاقات اقتصادية أو تجارية، ما لم تحلّ قضية الديون، وفي فترة الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، حاول أن يتجاوز هذه المرحلة ولكنه اصطدم هو الآخر بنفوذ سلطات البنك المركزي وتبادل مواقف، فكانت هي العقبة الأساسية».

وقال البشير: «كان هناك تعاون في مجال التصنيع الحربي ... محدود جدا، وكان الدفع هنا بمقابل، ولكن بالنسبة لنا كنا نجد فيها بعض التقنيات التي حرمنا من التزوّد بها من عدد كبير من بلاد العالم المتقدمة بسبب العقوبات التي فرضت على السودان، فكانت ملاذا اضطراريا ملحّا، ولكن بالتأكيد ما فقدناه في قطيعة علاقتنا مع إيران، هو فقد التعاون في مجال التصنيع الحربي من بوابة الجزيئية التقنية المطلوبة، ولكن على الصعيد الاقتصادي ليس هناك علاقات أو تعاون يذكر في المجال الاقتصادي، وبالتالي ليس هناك ما خسرناه اقتصاديا، جراء هذه القطيعة».

أبعاد الدور السوداني في محاربة المخطط الإيراني في إفريقيا:

من الواضح أن قرار السودان بقطع علاقاته مع طهران وإغلاق سفارتها في الخرطوم جاء بعد تشاور ودراسات علمية حددت مكامن الخطر ومواطن الضعف التي يلج منها المد الإيراني لإفريقيا عموما، والسودان خصوصا، ومن ثم سعى السودان لحمل هذا العبء في التصدي للمد الرافضي في إفريقيا، عبر عدد من الطرق، منها: زيادة الفرص التعليمية للطلاب في القارة وقبولهم في جامعة أفريقيا العالمية في السودان، وهي جامعة عالمية كانت تسمى في السابق المركز الإسلامي الإفريقي، كما قاد السودان نشاطا فكريا ودعويا عبر مجمع الفقه الإسلامي، وبعض الجامعات جعل الكثيرين يتراجعون عن اعتناق الفكر الرافضي، ثم أتت الخطوة الكبرى من المجلس الوطني (البرلمان السوداني) الذي شرع قانوناً يجرّم من يسب الصحابة، وصحب ذلك تنقيح لبعض مقررات المدارس التي أدخلت فيها بعض صور الفكر الشيعي.

كذلك تحرك السودان بجدية ضد أنشطة إيران لنشر التشيع وبسط وجودها العسكري والاقتصادي الآخذة في التزايد في إفريقيا، لتوسيع نفوذ إيران في المنطقة، وهو ما يتطلب مواجهة الأمر بجهد جماعي مدروس ومؤسس لمعالجة الداء قبل استفحاله، في ظل الأحداث المتوالية والسريعة والمؤثرة على الأمن والسلام في إفريقيا، والتي تستوجب إيجاد إستراتيجية إسلامية عربية موحدة مستقبلية تتعامل بجدية مع كل الأخطار المطروحة، وعلى رأسها الخطر الإيراني.

وقد وصلت مخاوف المد الإيراني في إفريقيا إلى مستوى التهديد، فقد استطاعت إيران أن تخدم تطلعاتها للوجود الكبير في إفريقيا لتمكين الحوثيين على الضفة المقابلة للبحر الأحمر من إفريقيا، حتى تحول اليمن إلى إقليم تابع لها، ولكن جاءت «عاصفة الحزم» وأطاحت بكل الحسابات التي كانت حتى وقت قصير في حكم المؤكدة.

وبعد إغلاق باب السودان في وجه إيران كقاعدة تنطلق منها نحو إفريقيا، سعت إيران لطرق أبواب أخرى لتكون سندها الداعم في إفريقيا، وتساعدها في تحقيق حلمها الذي لا تستطيع تحقيقه من السودان، وصولا للتحكم في الممرات المائية العربية من مضيق باب المندب وحتى

قناة السويس، على طول البحر الأحمر، مع ضمان وجود إيراني في كل دول إفريقيا.

إن اعلان السودان محاربة التشيع في إفريقيا يحتاج بالضرورة القصوى وقوف الدول العربية والإسلامية مع السودان في استراتيجيته لمحاربة التشيع في إفريقيا لضمان عدم تمدد إيران في الفراغات التي أوجدها الغياب العربي، والسعي لتأهيل دعاة أفارقة متخصصين في تبيين عقائد الرافضة بأسلوب علمي وموضوعي وسطي باللغات المحلية المعروفة في إفريقيا، والاستفادة القصوى من القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية لتخصيص مساحات للدعاة والعلماء الأفارقة لمخاطبة المسلم الإفريقي داخل القارة باللغات المتاحة لبيان الخطر الإيراني وسبل مكافحته وتطويقه.

الفكر النسوي
وأثره على ارتفاع معدلات الطلاق

فاطمة عبد الرءوف(*) – خاص بالراصد

«أستطيع أن أنفق على نفسي فأنا أحصل على راتب يساوي راتبه» هذه هي الكلمات التي قالتها السيدة الريفية التي تعمل معلمة ردا على والدتها التي تنصحها بحسن التعامل مع زوجها ووجوب طاعتها له، المعلمة التي على وشك الطلاق بسبب خلافات كثيرة ليس بينها أمر جوهري، فكل ما هناك خلافات صغيرة وكثيرة تحمل اختلافا في وجهات النظر، وفي كل مرة تصرّ المعلمة أن يعاملها الزوج معاملة الند للند وإلا فهي لا تحتاجه أو كما قالت لوالدتها إنها تعمل مثله ولديها راتب يساوي راتبه وتستطيع أن تنفق على نفسها جيدا.

أما تلك الطبيبة الشابة التي تركت منزل الزوجية طالبةً للطلاق فتقول إنها لا تقبل أن يعاملها زوجها معاملة أقل من تلك التي تحظى بها في مكان عملها فهي لم تدرس كل تلك السنوات وتتفوق في دراستها إلا كي تعامل كـ «دكتورة» وأن على زوجها أن يتعامل معها في البيت بالطريقة نفسها.

وهذه الصحفية التي أقامت دعوى خلع بسبب الغيرة التي يبديها زوجها بسبب الاختلاط بالزملاء والمصادر أثناء عملها الصحفي ترى أن هذه هي طبيعة عملها الذي لا يمكنها التنازل عنه بينما يمكنها التنازل عن هذا الزوج الذي يعيش بعقلية «سي السيد» على حد تعبيرها.

أما هذه الإدارية فابتسمت لي وهي تقول: أُنفق مثل ما ينفق في البيت حتى يكون لي من القرار مثل ما له، فمن يملك يحكم وإذا حدث وتم طلاقي وهو أمر ليس مستبعدا، فأنا لا أحتاج إليه، وإذا خيّرني بين عملي وبينه فلن أتردد في اختيار عملي، عملي هو الأمان الحقيقي وليس ظله.

أما هذه الأستاذة الجامعية التي حصلت على الطلاق مؤخرا فلم يكن هذا الطلاق مفاجئا على الإطلاق فقد ظلت لسنوات في حالة صراع مع زوجها المشترك معها في نفس القسم، صراع مَن يحقق الدرجة أولا ومن يحصل على الترقية قبل الآخر، وكانت كثيرا ما تتّهمه أنه يحاول إهدار وقتها الثمين بسبب طلباته الخاصة حتى يثبت أنه الأكثر نجاحا بينما هي ترى أن لديها مقومات نجاح أعلى إلى أن حققت هدفها واستردت وقتها وتم الطلاق.

الندية والطلاق

هذه النماذج السابقة هي نماذج من الواقع، قد يكون هناك رتوش هنا وهناك، وأسباب أخرى إضافية تساعد على تعميق المشكلات والصراعات داخل البيوت وتعجل بوقوع الطلاق لكن تبقى الندّية واحدة من أهم أسباب الطلاق الذي تعاني منه بلادنا، فالظروف الاقتصادية الصعبة وتدخّل الأهل بل حتى مشكلات العلاقة الخاصة كلها أسباب قديمة كانت موجودة من قبل ولم تكن معدلات الطلاق تتفجر بهذا الشكل الكارثي فما

(*) كاتبة مصرية.

هو المتغير الذي حدث في واقعنا وأدى لهذه التحولات؟

يشير بعض المختصين لوسائل التواصل الاجتماعي وما سبّبته من حالة سيولة في العلاقات، ويشير البعض الآخر للمواقع الإباحية وكليبات الأغاني التي تشيع الفاحشة، وهي أسباب وجيهة لرفع معدلات الطلاق بالفعل.

لكن هذا الحجم الضخم من حالات الطلاق يشير إلى أن هناك متغيرا أكثر عمقا حدث في العقل الجمعي وأن هناك نمطا معينا من الثقافة الجديدة بدأ بعملية إزاحة للثقافة القديمة، وفي اعتقادي أن هذا المتغير هو ثقافة المساواة المطلقة التي بشرت بها «السيداو» وعملت عليها مؤتمرات المرأة الأممية بدأب شديد، وتم تحويلها لبرامج محددة لها مدى زمني معين وبخطط مرنة تختلف حسب التركيبة السكانية والشريحة العمرية المستهدفة، وتم متابعة النتائج بشكل دوري حتى بدأت ثمار هذه الأفكار تؤتي أكلها بتفكيك الأسرة النمطية كما يطلقون عليها، وما النماذج التي استشهدتُ بها إلا ثمرات لهذه الأفكار.

ويكفي في هذا الصدد أن نتمعن فيما تطرحه المادة ١٦ من اتفاقية «إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة» الفقرة الأولى حيث تنص على أن (تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة في كافة الأمور المتعلقة بالزواج والعلاقات العائلية، وبوجه خاص تضمن، على أساس المساواة بين الرجل والمرأة:

(أ) نفس الحق في عقد الزواج.

(ب) نفس الحق في حرية اختيار الزوج، وفي عدم عقد الزواج إلا برضاها الحر الكامل.

(ج) نفس الحقوق والمسؤوليات أثناء الزواج وعند فسخه.

(ح) نفس الحقوق والمسؤوليات بوصفهما أبوين، بغضّ النظر عن حالتهما الزوجية، في الأمور المتعلقة بأطفالهما وفي جميع الأحوال، يكون لمصلحة الأطفال الاعتبار الأول.

(هـ) نفس الحقوق في أن تقرر، بحرية وبإدراك للنتائج، عدد أطفالها والفاصل بين الطفل والذي يليه، وفي الحصول على المعلومات والتثقيف والوسائل الكفيلة بتمكينها من ممارسة هذه الحقوق.

(د) نفس الحقوق والمسؤوليات فيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية على الأطفال وتبنّيهم، أو ما شابه ذلك من الأعراف، حين توجد هذه المفاهيم في التشريع الوطني، وفي جميع الأحوال يكون لمصلحة الأطفال الاعتبار الأول.

(ز) نفس الحقوق الشخصية للزوج والزوجة، بما في ذلك الحق في اختيار اسم الأسرة والمهنة ونوع العمل.

(ح) نفس الحقوق لكلا الزوجين فيما يتعلق بملكية وحيازة الممتلكات والإشراف عليها وإدارتها والتمتع بها والتصرف فيها، سواء بلا مقابل أو مقابل عوض).

الفقرة ج في هذه المادة تتحدث عن المساواة الكاملة في الحقوق والواجبات أثناء الزواج ولا حديث هنا بالطبع عن التكامل، هذه المساواة التي تم تسويقها في المسلسلات والبرامج الحوارية ومحاضرات المدارس والجامعات والكتب المدرسية مستثمرة المظالم التي قد تتعرض لها المرأة أثناء زواجها أتت أكلها، قد لا تدرك السيدة التي تصرخ عند كل خلاف إنها «صاحبة مرتب» أنها منسحقة أمام مخطط شيطاني يبدو في ظاهره منقذا ومخلصا بينما في باطنه مدمرا ومفككا، هذه السيدة قد لا تكون سمعت أبدا عن «سيداو» ولا عن مؤتمرات بكّين، لكنها وعلى الرغم من ذلك تنفذ بحرفية شديدة ما جاء في هذه المقررات.

عن هذه التغيرات الاجتماعية يقول الدكتور أحمد المجدوب: (كما أن التغيرات الاجتماعية تمثلت في زيادة فرص عمل المرأة، وظهور دعاوى المساواة الكاملة والمطلقة بين الرجل والمرأة، وما فيها من تطرف فهو يناصب مبدأ القوامة للرجل العداء، وظهرت المطالبة بما يسمى حقوق المرأة،

ممـا جعـل العلاقـة المـستقرة في الغالـب تعـاني مـن الاضـطراب والخلـل، وهـذه الـتغيرات لم يـصاحبها توعيـة كافيـة للفتيـات بالكيفيـة المـرادة للحـصول على حقوقها، ولم يـتم توعيتها مـن أجـل الإبقـاء على الأسـرة والـزواج مـع أخـذ حقوقها بحيـث لا تـشذ عـن الأوضـاع الفطريـة والطبيعيـة، فالـدعاوى البراقـة كـثيراً مـا تخـدع المـرأة ويجعلـها تتنـازل في مقابـل حقوقها المزعومـة عـن أسـرتها واسـتقرارها، فحـدث تغـير أدوار داخـل الأسـرة، فحتـى الـثلاثين عامـاً الماضية كـان الـزوج يقـود الأسـرة بسـلام وهـدوء بـدون دعـاوى وشـعارات، لكـن مـع مـساهمة المـرأة في الإنفـاق على الأسـرة جعلـها تطالـب بالمـساواة، وقـد تـصدر القـرارات الأسـرية مـن منطلـق أنها تـساهم مثله في نفقـات المنـزل لأن المـرأة في هـذه الحالـة كمـا يقولـون بالبلـدي «تـستقوي» علـى زوجهـا وتطالـب بالطلاق عند أي خلاف).

هـذه النديّـة المقيتـة تمـرر للعقـل البـاطن للفتـاة منـذ سـن صـغيرة منـذ أن يقـال لهـا إن شـهادتك سـلاحك، والحقيقـة أن التعلـيم سـلاح حقيقـي ضـد الجهـل، لكـن العبـارة تقـال في سـياق تحـذير الفتـاة مـن غـدر الـزوج الـذي تؤمنـه بالحـصول علـى الـشهادة ثـم الحـصول على العمـل ومـن ثـم تتقـي شـره فـإن أحـسن في علاقتـه بهـا فـالأمور طيبـة وإن كـان هنـاك إسـاءة أو شـبهة إسـاءة فـلا صـبر ولا مجاهـدة ولا أي شـيء مـن الثقافـة القديمـة، ثقافـة المثـل الـشهير: (المـرأة اللـي صـبرت دارهـا عمـرت)، بـل ذهـاب للطـلاق، فـإن لم يكن فالخلع فهي لم تعد بحاجه لمهره وصداقه!

وبالتـالي فـلا ننـدهش ممـا أعلنتـه وكـشفت عنـه الهيئـة العامـة للإحـصاء في المملكـة العربيـة الـسعودية عـن إحـصائية حـول المـسح القـومي للربـع الثالـث لعـام ٢٠١٦ حيـث ظهـر فيهـا ارتفـاع عـدد المطلقـات العـاملات في المملكـة إلى قرابـة ٧٣ ألـف مطلقـة في حـين بلـغ عـدد النـساء المطلقـات غـير العـاملات لقرابـة ١٥ ألـف مطلقـة، أي أن نـسبة طـلاق المـرأة العاملـة خمـسة أضـعاف المـرأة الـتي لا تعمـل، قـد يكـون الـسبب في ذلـك أن المـرأة غـير العاملـة بحاجـة لمـن ينفـق عليهـا فتبقـى مرغمـة علـى حيـاة لا تريـدها، لكـن المؤكـد أيـضا أن الكـثيرات يمارسـن الاسـتقواء بالراتـب والعمـل ويطـالبن بالنديـة والمـساواة الكاملـة، وربمـا تلجـأ بعـض النـساء للطـلاق بـسبب الـضغوط الهائلـة الـتي تتعـرض لهـا في محاولـة التوفيـق بـين العائلـة والعمل.

أرقام مرعبة

إذا أردنـا أن نعـرف الحجـم الحقيقـي لعمليـة التفكيـك والهـدم الـتي تتعـرض لهـا بُنيـة المجتمـع فـإن حاجتنـا للغـة الأرقـام تكـون بالغـة الأهميـة، وهـذه نظـرة سـريعة ولكنهـا مفزعـة مرعبـة تـبين بعـضا مـن جوانب الكارثة التي ينزلق إليها المجتمع:

- وفقـاً لإحـصائيات وزارة العـدل في المملكـة العربيـة الـسعودية لعـام ٢٠١٥ فهنـاك ٧.٨ حـالات طـلاق تحـدث في الـسعودية كـل سـاعة، أي نحـو ١٨٨ حالة يومياً.
- أمـا تـونس فتـسجل ١٠٠٠ حالـة طـلاق شـهرياً، وفقـاً لمركـز الإحـصاء الـوطني التونـسي، أي نحـو ٤ حـالات كـل ٣ سـاعات، وهـو رقـم ضـخم لمجتمـع يبلـغ عدد سكانه نحو ١١ مليون نسمة.
- وفي العـراق ارتفعـت حـالات الطـلاق بنـسبة ٧٠٪ في الـسنوات العـشر الأخـيرة، وأصـبحت تـسجل حالات الطلاق أكثر من ٦٠ ألف حالة سنوياً.
- أمـا الجزائـر فقـد وصـلت عـدد حـالات الطـلاق فيهـا إلى ٦٠ ألـف حالـة سـنوياً، أي حالـة كـل ١٠ دقائق.
- أمـا مـصر فالوضـع فيهـا كـارثي بمعنـى الكلمـة حيـث سـجلت الإحـصاءات الدوليـة بـالأمم المتحـدة أخـيرا ارتفـاع نـسبة الطـلاق فـى مـصر حتـى أصبحت الأولى عالميا.

وتـشير آخـر إحـصائية للجهـاز المركـزي للتعبئـة والإحـصاء أن هنـاك حالـة طـلاق كـل ٦ دقـائق، بمعـدل ٤٠٪، وهـذا يعـني أن مـصر أصـبحت الأولى في العـالم العربـي في عـدد حـالات الطـلاق، إذ ارتفعـت نـسبة الطـلاق مـن ٧٪ لتـصل إلى ٤٠٪ خـلال الخمـسين عاماً الأخيرة فقط.

ووفقاً لجهاز التعبئة والإحصاء، سجلت مصر حالة طلاق كل ٦ دقائق خلال عام ٢٠١٣، أي ٢٤٠ حالة طلاق يومياً.

كما بلغ إجمالي عدد حالات الخلع والطلاق عام ٢٠١٥ ربع مليون حالة، بزيادة ٨٩ ألف حالة عن عام ٢٠١٤.

الخلع والمساواة

إذا كان الخلع حقا للمرأة أقرّته الشريعة الإسلامية لمن تريد أن تفارق زوجها لبغضها إياه وعدم قدرتها على معاشرته بالضوابط الفقهية المعروفة فإنه من الملاحظ أن النساء توسعن فيه كثيرا جدا حتى أن الدكتور شوقي علام مفتي الجمهورية صرح بأن قانون الخلع الصادر عام ٢٠٠٢ من ضمن أسباب زيادة نسب الطلاق.

فما الذي دفع النساء للتساهل كثيرا في طلب الخلع؟ هناك بلا شك أسباب موضوعية وراء الكثير من حالات الخلع لا أستطيع أن أنكرها كسوء خلق الزوج الذي لا يُحتمل، وبطء إجراءات التقاضي في حال طلب الزوجة التطليق، فلا يكون أمامها من حل إلا اللجوء للخلع، لكن قلة صبر بعض الزوجات وعدم منح أنفسهن فرصة ثانية لمحاولة الحوار والإصلاح هي ظاهرة تحتاج للتأمل ووضعها تحت دائرة الضوء.

الاستقلالية الشديدة والنديّة المبالغ فيها والتحسس الشديد لكل كلمة من الزوج أو أهله، بل لا أبالغ إن قلت التوجس وسوء الظن واستسهال إنهاء وقضم رابطة الزوجية، كل هذا أحد الثمار المرة لفلسفة المساواة البائسة التي صورت للمرأة أنها وفي حياتها الزوجية تدخل لمعركة قد تفقد فيها هويتها واستقلالها، لذا فعليها أن تدخل مسلحة وأهم أسلحتها هو عملها المأجور الذي يحفظ لها كرامتها التي ينبغي أن تكون بالغة التوجس وهي تحميها فلا تقبل ولا تمرر أي كلمة أو أي موقف لا تحقق فيه مساواتها الكاملة.

بل وأعرف من النساء من تتجاوز فكرة المساواة لفكرة السيطرة والاستحواذ على الزوج وهي ترى أن هذا حقها، وتصبح علاقة زوجها بأهله مثلا ضمن دائرة ملكيتها الخاصة أو حقوقها التي تتوهمها وبالتالي تتوتر العلاقة الزوجية كثيرا، ومع أول هفوة أو خطأ أو ما تتصور هي أنه كذلك لا تجد صعوبة كبيرة في اللجوء للخلع كأسرع وأسهل طريقة لفصم عرى الحياة الزوجية دون أي شعور بالألم أو الندم والبعض منهن يقمن بعمل احتفال كلون من التقليد الجديد الذي قد ينتشر في المستقبل القريب، ربما يكون السبب في هذه التقليعة هو التأكيد للنفس وللآخرين أنه ليس هناك ما نتألم من أجله بل العكس نحن سعيدات ونحتفل أيضا!

إن أفكار المساواة المطلقة التي قتلت الكثير من المشاعر الناعمة الرقيقة التي كانت تعيش في قلب المرأة مرشحة كي تتحول لأفكار الانحياز الكامل للأنثى ومن ثم لمزيد من الانهيار الاجتماعي والتفكك الأسري كما لو كنا نسير على نفس الطريق التعيس الذي مشته أوربا من قبلنا.

رواية رحلة الدم...
إبراهيم عيسى يتعرى

أسامة الهتيمي(*) - خاص بالراصد

في ظني أنه ليس هناك من يسعد بإصدار رواية «رحلة الدم .. القتلة الأوائل» الصادرة في نهاية سنة ٢٠١٦ للكاتب الصحفي المصري إبراهيم عيسى أكثر من الشيعة والغرب وأعداء الإسلام، ذلك أن الرواية الطويلة جدا، والتي تجاوزت صفحاتها الـ ٧٠٠ صفحة، كلها تؤكد على ثلاث مسائل رئيسة يحاول هؤلاء بكل الطرق أن يؤكدوا زعمهم بأنها راسخة في الذهن الإسلامي منذ صحابة رسول الله ﷺ وحتى اللحظة

(*) كاتب مصري.

ألا وهي: «التكفير والعنف والمادية»، حيث لا يفتأ يروج الغرب والموالون له وبشكل صريح أنهم الأساس الذي انطلق منه المسلمون في نشر دعوتهم وإجبار الناس على الانضواء تحت رايتهم وذلك في إطار جهودهم للحد من التمدد الإسلامي ونشر «فوبيا» بين الأمم من هذا الدين ورجاله.

وعلى الرغم مما مثلته رواية «مولانا» التي قدمها إبراهيم عيسى قبل أربع سنوات من خطورة، ذلك أنها تناولت قضايا مهمة وحساسة إلا أنها لا تقارن على الإطلاق برواية «رحلة الدم»، فالأخيرة كانت ضربا مباشرا وصريحا في صحابة الرسول ﷺ ، الذين هم تلامذته الأوائل، والمعبرون بشكل أكبر عن قيم الإسلام وتوجيهاته، وعليه فإن وصف ما هم عليه من هذه السلوكيات السلبية في مجملها هو إسقاط مباشر على الإسلام ذاته.

ومن هنا جاء رفض وفضح مجمع البحوث الإسلامية لافتراءات عيسى في هذه الرواية وإصداره تقريرا حولها سنعرض لأبرز ما جاء فيه لاحقا.

رحلة الكذب والتشويه

ليس ثمة مبالغة في القول بأنه لولا إهداء إبراهيم عيسى والتنويه الذي كتبه في مقدمة روايته فضلا عن تلك الكلمات القليلة التي تحدثت عن الرواية في الصفحة الأخيرة من الغلاف وذكر بعض الصحابة بأسمائهم لما تخيل القارئ أن تكون شخصيات الرواية هي شخصيات لصحابة الرسول الكريم ﷺ ، وإنما هي «عصابة» لا يشغلها إلا «المال والنساء وسفك الدماء».

ربما من الطبيعي أن تتضمن السيرة الذاتية لكل امرئ على وجه الأرض - بعيدا عن الخلاف حوله - ما يمكن أن نعده جوانب إيجابية وما يراه البعض جوانب سلبية، فتلك عادة البشر لكن إبراهيم عيسى وخلال روايته تناول أغلب شخصيات الرواية وبينهم صحابة وكأنهم ذئاب بشرية، فلا يمكنك على الإطلاق أن تستشعر بالرضا تجاه أية شخصية من بينهم، بل إنك حتما ولا بد وأن تنظر لكل منهم على حدة باعتباره رجلا ماديا انتهازيا متآمرا وحقيرا لا يسعى إلا لتلبية نداءات الرغبة في السلطة أو المال أو شهوة الجنس، وهو موقف بكل تأكيد يجافي حقيقة وواقع صحابة الرسول ﷺ.

ومن ثم فإن ما قدمه إبراهيم عيسى في هذه الرواية لا يعدو عن كونه «رحلة كذب أو رحلة تشويه أو رحلة افتراء أو رحلة ادعاء أو رحلة فتنة أو رحلة الدعوة للرذائل بل ورحلة الملل أيضا»، وهي الرحلة التي يبدو أنها تجسد بعضا من خطوات مشروعه الذي يستهدف في النهاية القضاء على النموذج والقدوة ويفتح الأبواب على مصراعيها أمام تحلل الجميع من القيم والأخلاق حيث بدأها برواياته خلال مرحلة شبابه، التي صنفها البعض بأنها روايات «بورنو» من مثل «دم على نهد» ثم جاءت رواية «مولانا» التي عرف كل من قرأها أو شاهد ذلك الفيلم السينمائي الذي نُسج منها وحمل نفس اسمها أنها ليست إلا محاولة لتشويه صورة الدعاة والوعاظ والحديث عن وحدة الأديان وغير ذلك من القضايا الشائكة ثم تأتي أخيرا رواية «رحلة الدم.. القتلة الأوائل» التي ووفق ما قال عيسى نفسه إنها بداية سلسلة يعتزم كتابتها، لكن وكما اتضح من جزئها الأول فإن المقصود بالقتلة الأوائل هم صحابة النبي ﷺ ، وبذلك تكون غاية هذه الروايات تشويه صورة الصحابة رضوان الله عليهم.

وعلى الرغم من أن أهل السنة والجماعة حدّدوا موقفهم بشكل صريح من الصحابة رضوان الله عليهم فلم يعتبروهم ملائكة، وفي ذات الوقت قيّموا مواقفهم وسلوكهم وفق ما يجب أن يلتزموا به من معايير التأدب معهم رضوان الله عليهم إلا أن إبراهيم عيسى يحاول بكل الطرق أن ينتصر لفكرة مذهب الشيعة الذين يتخذون موقفا عدوانيا تجاه الصحابة بانتقادهم وتكفيرهم، هل هذا لأن عيسى ينحاز لمذهب الشيعة ويؤمن بما يطرحه الشيعة أو هي محاولة للاستئناس بروايات تاريخية اعتمدها الشيعة أو نجحوا في الترويج لها حتى نقلها

بعض المحسوبين على أهل السنة لكي يضرب الرؤية السنية؟ أيّا كانت حقيقة موقف عيسى فهو مسلك يعكس خبث الرجل ومكره ورغبته في ضرب الفكر الإسلامي برمّته.

وبموضوعية شديدة فإن موقف أهل السنة من الصحابة رضوان الله عليهم أكثر منطقية وعقلانية من هؤلاء وأولئك ذلك أنهم لا يتعاملون مع الصحابة بقدسية لا محدودة كما يفعل بعض المتطرفين أو يحاول أن يروج لهذا بعض العلمانيين الذين في قلوبهم مرض، كما أنهم لا يتعاملون مع الصحابة بهذا الرفض أو الهجوم الحاد عليهم والذي يتبناه الشيعة باعتبار غالب الصحابة منافقين أو كافرين، ومن ثم فإن نظرة أهل السنة إلى خلاف الصحابة على أنه خلاف طبيعي وفتنة يمكن أن يشهدها أي مجتمع خاصة عندما يتعلق الأمر بالسياسة وطريقة إدارة الحكم وهي كلها أمور نسبية وغير مطلقة، وهو في نظري موقف يكشف مدى تناقض العلمانيين إذ وفي الوقت الذي يتخوفون فيه من أن تكون أطروحات الإسلاميين مقدسة وغير قابلة للنقاش وهو الأمر الذي ينفيه وباستمرار الإسلاميون يحاول هؤلاء وبمختلف الطرق أن يجمعوا كل شاردة وواردة حول الخلاف بين المسلمين في التاريخ في إطار خطّتهم المنهجة للتشويه.

الروايات والحكايات المكذوبة

في اعتقادي أن عبقرية إبراهيم عيسى في رحلة الدم تتمثل في شيء واحد فقط هو قدرته اللامتناهية على أن يوظف كل الروايات المكذوبة التي خلت من أسانيد صحيحة ليشكل في نهاية الأمر تلك الصورة البشعة التي يسعى ويحرص على إثباتها لهؤلاء الصحابة الكرام مستندا في الوصول بها والترويج لها على أمرين:

أولهما: إيهام المتلقي - سواء عبر التنويه على صفحات الرواية أو عبر تلك الحملة الدعائية التي صاحبت إصدارها- أن كل ما أورده من أحداث هي أحداث واقعية نقلها من العديد من المصادر التاريخية.

وثانيهما: الرهان على أن القليل من مطالعي روايته سيبحث وراءه للكشف عن زيف ادعائه وبطلان دعواه واليقين بأن هذه القلة الباحثة عن الحقيقة لن تجد من المنابر القوية التي يمكن عبرها أن يعلنوا عن هذا الزيف ويفضحوا هذه الادعاءات.

وقد تنبه مجمع البحوث الإسلامية إلى هذا الأمر فأصدر تقريرا حول الرواية أكد فيه أن الرواية اعتمدت في أغلب سرد شخصياتها وأحداثها على أخبار موضوعة وكاذبة وضعيفة، بعضها من مصادر شيعية، والتي حللها عيسى من وجهة نظره بهدف تصوير الصحابة الكرام لدى القارئ بصورة تنزع عنهم الاحترام.

وقال المجمع إن الرواية تبنّت ما يسمى بـ «عقيدة نزع القداسة» التي تتبناها التيارات شديدة الانحراف والتي تقتنع بعدم تمييز الإنسان على سائر الكائنات وذلك على خلاف ما نصّت عليه الكتب المقدسة، مضيفا أن الرواية تعمدت بناء صورة مشوهة للصحابة من خلال الإيحاء بأن جميع الشخصيات بالرواية المشار إليها حقيقة وكل أحداثها تستند على وقائع وردت بمراجع تاريخية ذكر منها «فتح العرب لمصر لألفريد بتلر، وسقيفة حبَّى لجورج كدر وأنساب الأشراف للبلاذري الشيعي»، الأمر الذي يشير إلى رغبة المؤلف في التأكيد بأن ما تضمنته الرواية من رؤى وتحليل هو الواقع وليس من خيال الكاتب.

ومن تلك الروايات المكذوبة التي تضمنتها «رحلة الدم» ما نسب للسيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تجاه الخليفة عثمان رضي الله عنه: «اقتلوا نعثلا فقد كفر»، وهي مقولة مكذوبة على السيدة عائشة، واستند عيسى فيها على ابن أبي الحديد الشيعي المعتزلي، وهي رواية جاءت من طريق سيف بن عمر، الذي قال عنه يحيى بن معين وابن أبي حاتم: ضعيف الحديث، وقال النسائي

فيه: كذاب وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، قال: وقالوا: إنه كان يضع الحديث، وقال الدارقطني: متروك، وقال ابن أبي حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي، وقال أبو داود: ليس بشيء، وقال ابن عدّي: عامّة حديثه منكر[١].

وقد تعمد عيسى إهمال وتجاوز الروايات الصحيحة أن أم المؤمنين كانت تكنّ للخليفة عثمان كل احترام وتقدير لأنها تدرك عظيم منزلته في قلب رسول الله ﷺ، والذي أخبرها عن عثمان ونقلته هي لنا: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» رواه مسلم.

ومن الروايات المكذوبة التي حشا عيسى بها روايته رواية ضرب الخليفة عثمان بن عفان لعمار بن ياسر وقد ردّ هذه الفرية الكثير من العلماء مؤكدين أن الرواية التي جاءت بشأن ذلك غير صحيحة فسندُها فيه انقطاع وأن المسلمين لا يقبلون إلا ما نقل نقلا صحيحاً فقط[٢].

ومنها القطع بأن عثمان رضي الله عنه لم يصلّ على جنازة عبد الله بن مسعود، وهو أمر لم يثبت، وقد جاءت فيه العديد من الروايات، ومن بينها روايات تحدثت عن أن ابن مسعود أوصى إلى الزبير بن العوام فيقال إنه هو الذي صلى عليه ليلا ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك وقيل بل صلى عليه عثمان، وقيل عمار، فالله أعلم[٣].

ومنها ذكره قصة ضرب عثمان لابن مسعود رضي الله عنهما وهي كذب باتفاق أهل العلم فإنه لما ولي الخلافة أقرّ ابن مسعود على ما كان عليه من الكوفة[٤].

وأما روايته الطويلة عن الصحابي عبد الرحمن بن عديس ومشاركته في الخروج على الخليفة عثمان وقتله فيما بعد فهي أيضا رواية غير ثابتة، رواها فقط ابن لهيعة، وهو شيعي شديد الضعف، وما ذكره الدارقطني من أن عبد الرحمن أحد الذين ساروا إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه من أهل مصر فيحتاج لمعرفة الإسناد الذي اعتمد عليه الدارقطني، فإن كان الواقدي فهو مردود، ثم ليس كل من ركب إلى عثمان كان يريد قتله بل كثير منهم كان يريد عزله فحسب[٥].

وأما حديثه عن قيام محمد بن أبي حذيفة بتزوير رسالة من السيدة عائشة أم المؤمنين وخاتمها فهو أمر مشكوك فيه ولم تثبت صحته.

كما أن القصة التي ذكرها عيسى كثيرا في «رحلة الدم» حول مروان بن الحكم ووصفه بأنه ابن الطريد استنادا إلى رواية أن الرسول ﷺ نفى أباه الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس إلى الطائف لكونه حاكى مشيته عليه الصلاة والسلام فقد طعن فيها كثير من العلماء، وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله هذا وأجاب عن إرجاع عثمان رضي الله عنه مروان إلى المدينة على فرض أن يكون النبي ﷺ نفاه إلى الطائف، فقال في منهاج السنة ما مختصره: الحكم بن أبي العاص كان من مسلمة الفتح، وكانوا ألفي رجل، ومروان ابنه كان صغيراً إذ ذاك، فإنه من أقران ابن الزبير والمسور بن مخرمة، عمره حين الفتح سن التمييز: إما سبع سنين أو أكثر بقليل أو أقل بقليل .. ولم تكن الطلقاء تسكن بالمدينة في حياة النبي ﷺ. فإنْ كان قد طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة. وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه، وقالوا: هو ذهب باختياره[٦].

(١) http://www.saaid.net/Doat/saud/19.htm
(٢) https://antishubohat.wordpress.com/2013/07/11/darb/
(٣) http://www.aqaed.com/book/274/sahwa-05.html
(٤) http://library.islamweb.net/newlibrary/display_book.php?idfrom=683&idto=683&bk_no=108&ID٣٨١=
(٥) http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=73985
(٦) http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id١٨٠٤٦٣=

ومنها حديثه عن خطبة محمد ابن أبي بكر لعاتكة وهو خبر غير صحيح فضلا عن افتراء إبراهيم عيسى في إشارته (ص ٥٩٠) بأن هذه الخطبة المعلنة تمت وهي لا زالت في فترة عدّتها من الزبير رضي الله عنه.

وأما ما أورده من تفاصيل عملية مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه ودوافعها ومن قام بها فهي مغلوطة إلى حد كبير، فقد ألمح أكثر من مرة إلى أن الدافع الرئيس لمقتله لم يكن سياسيا فأشار إلى دوره رضي الله عنه في توحيد المصحف الشريف وأن ذلك كان سببا لنقمة الكثيرين عليه، فيما ذهب إلى أبعد من ذلك حيث أورد على لسان الكثيرين حكم تكفير عثمان، وهذا مما لم يثبت أبدا.

كما زعم أن دفن عثمان تأخر، فضلا عن دفنه في مقابر اليهود، وأنه لم يشيعه إلا اثنان من الصحابة وزوجته نائلة، وهي أقوال ومزاعم غير صحيحة فقد دفن عثمان بن عفان في حش كوكب البقيع، وهو أول من دفن هناك وليس في مقابر اليهود كما يشيع البعض، قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية: (وأما موضع قبره فلا خلاف في أنه دفن بحش كوكب شرقي البقيع) وقال: (ثم كان دفنه ما بين المغرب والعشاء خيفة من الخوارج، وقيل بل استؤذن في ذلك بعض رؤسائهم فخرجوا به في نفر قليل من الصحابة وذكر منهم طلحة والزبير وعلي). وقال أيضاً: (وقد عارضه بعض الخوارج وأرادوا رجمه، وإلقاءه عن سريره، وعزموا على أن يدفن بمقبرة اليهود بدير سلع، حتى بعث علي رضي الله عنه إليهم من نهاهم عن ذلك) [١].

هذا غيض من فيض من العديد من القصص والحكايات والروايات المكذوبة التي نسج منها إبراهيم عيسى روايته التي لا تمت أغلبها للحقيقة بأية صلة إذ لم ينشغل عيسى على الإطلاق بالبحث والتقصي حول صحة ما يَستند إليه من روايات وأحداث فقد كان كل همّه هو البحث عن قصص تصنع له نسيجا دراميا يحقق فيها هدفين هما الإثارة والتشويه ليس إلا، ومن ثم فلا مانع من أن يأخذ بكل رواية تساهم في هذا غاضّا الطرف عن كل التحذيرات من الوقوع في فخ ترديد حكايات التاريخ دون تثبت، ومنها ما أشار إليه العلامة ابن خلدون الذي قال: (وكثيرا ما وقع للمؤرِّخين والمفسِّرين وأئمَّة النَّقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرَّد النّقل غثًّا أو سَمِينًا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سَبَرُوهَا بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النَّظر والبصيرة في الأخبار فضلُّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط) [٢].

لكن الأسوأ الذي يمكن أن تخلص به بعد الانتهاء من قراءة الرواية وما فيها من أكاذيب هو أن تكتشف أن الظروف التي عاشها عبد الرحمن بن ملجم المرادي، قاتل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه - تؤكد أنه ورغم تنطعه وقسوته إلا أنه لم يكن إلا شابا باحث عن المثالثات والقدوة الحسنة التي كان يظن أنه سيجدها في صحابة الرسول الكريم ﷺ، لكنه ومن خلال معايشته لهم ومراقبته لسلوكهم أصابته الصدمة، ومن ثم فقد القدوة والنموذج، الأمر الذي يعني أن إبراهيم عيسى ربما يحمّل ضمنيا هؤلاء الصحابة مسئولية قتل عثمان كما سيحملهم وفق ما هو متوقع - إن كتب بقية أجزاء السلسلة- مسئولية قتل علي رضي الله عنه ليكونوا هم القتلة الأوائل!

(١) http://mawdoo3.com/%D8%A3%D9%8A%D9%86_%D9%82%D8%A8%D8%B1_%D8%B9%D8%AB%D9%85%D8%A7%D9%86_%D8%A8%D9%86_%D8%B9%D9%81%D8%A7%D٨٦%٩

(٢) https://antishubohat.wordpress.com/2013/07/11/darb/

الجنس وقلة الأدب

كلما مررت بواحدة من تلك الفقرات الجنسية وما أكثرها في رواية «رحلة الدم» أجدني أحمد الله عز وجل أن الرواية جاءت في أكثر من ٧٠٠ صفحة وأنها مملّة لا تجذب قارئها، إذ كيف يمكن لغثاء مثل هذا الغثاء أن يقرأه ويطلع عليه شبابنا وفتياتنا في ظل أجواء أصبح فيها أصحاب هذا الغثاء هم صفوة المجتمع ونخبة مثقفيه يقولون فيُسمع لهم ويكتبون فيتم الترويج لما يكتبونه وكأنه زبدة الفكر البشري وعصارته فيما تتلقفه الصحف والفضائيات مادة يتكلم فيها الجميع حتى يصبح هذا الغثاء هو ما ليس قبله وما ليس بعده!

وقد أقحم الكاتب أغلب المشاهد الجنسية في أحداث الرواية بشكل قبيح وفج ما كشف عن مجرد رغبة محمومة لديه في تحقيق الإثارة لدى المتلقي فضلا عن تجاوز حدود الأدب واللياقة خلال الحديث عن صحابة النبي ﷺ، وهو بالطبع لا يهدف من وراء ذلك إلا كسر الحدود التي يجب التزامها خلال الحديث عن صحابة الرسول الكريم تحت ادعاء أنه لا قداسة لأي شخص، فالجميع بشر غير مفرّقٍ بين مفهوم القداسة الذي يزعمه ويدعيه وبين التأدب في ذكر الصحابة رضوان الله عليهم.

ونماذج المشاهد الجنسية في الرواية أكثر من أن يمكننا حصرها في مقال أو دراسة فالرواية كما أشرنا طويلة للغاية فضلا عن أنه من المخجل أن ننقل مثل هذه المشاهد التي لا أعرف كيف تجرأ الكاتب على أن يضمنها رواية تتخذ من صحابة الرسول الكريم شخصيات وأبطالا لها.. لكن وعلي أية حال إننا وفي إطار التدليل على ما ذهبنا له مضطرين إلى الإشارة إلى بعض هذه النماذج والتي حاولتُ جاهدا أن أنتقي أقلّها فحشا ومنها:

في صفحة ١٣٤ الفقرة الثالثة، يقول على لسان الصحابي عبد الرحمن بن عديس في حديث له لعمرو بن العاص: «وإن هؤلاء الجند معك منذ عام في حرب طالت وقد تركوا زوجاتهم ونساءهم وخاضوا غمار المعارك وغبار الصحراء محرومين من أثداء النساء وأفخاذهن كاتمين شهواتهم التي أحلّها الله ثم نكتشف أن الجيش حظي بسبايا من روميات وبضات نمن على صدوركم يا رجل وربتم على مؤخراتهن وتأتونهن أنّى شئتم».

وفي نفس الصفحة وفي الفقرة التالية يعقب الكاتب متحدثا عن عمرو بن العاص قائلا: «كان ابن العاص يعرف سر مجيئهم لكنه لم يكن يفهم هذا الإلحاح في قضية انتهت حتى إن السبايا تجمعن منذ ساعات خلف باب هذا الرواق وقد ارتدين ثيابهن واستعددن للعودة إلى أهلهن لكن ابن العاص لم يكن يعرف كذلك أن ابن عديس وكنانة قد رأيا جمع النساء قبل المجيء للغرفة واطلعا على السر الذي صدم كلا منهما بخبط بين فخذيه فسخنت العروق وغلت الأعصاب من بياض البشرة ...».

وفي صفحة ١٤٠ يقول: «ومصر تفتح ذراعيها للعرب المنتصرين لكي يجيئوا بنسوتهم فلا خطر محدقا ولا خوف لاحقا والاستقرار في هذه الأرض يتطلب أفخاذا بأفخاذ وبطونا فوق بطون..».

ومن ذلك ما ورد في صفحة ٢٢١ خلال الحديث عن شخصية عبيد بن الليثي إذ قال عن زوجته واسمها حبى: «صحيح أن عبيد بن الليثي زوجها ومعشوقها وقرة عينها وأير حياتها».

ومن ذلك ما جاء في صفحة ٢٢٢: « لا تهتم حبى بكلام عبيد كثيرا ولا تظن أن كلامه يهمها حتى قليلا، هي تتعشق عرقه وعظمه، تذوب حين تلمس لحيته صدرها وتصعد حتى وجهها أو تهبط فيهزها شعره الخشن الأسود حين ينغرس في بطنها...».

ومنه أيضا في نفس الصفحة: «إني أوصيك بوصية إن قبلتها سعدت ونعمت بذلك انظري إن هو مد يده إليك فانخري وأظهري له استرخاء وفتورا فإن قبض على شيء من بدنك أو جارحة من جوارحك فارفعي صوتك بالنخير مدا وتنفسي الصعداء ... فإن أولج عليك فأكثري اللفظ وغربي وأظهري غنجا وحركة وعاطيه من تحته ...».

ويقول عن الخليفة عثمان رضي الله عنه في صفحة ٢٢٦: «لكن حين وصل الخبر إلى عثمان بن عفان وهو في مدينته على سرير خلافته بين نساء لا يحركن القلب ولا يمتعن الروح الممدودة من تعب المسؤولية ونصب المهمة وتطلع عجوز مثقل بهموم أمة إلى ما يبعث البهجة والابتهاج».

ومن ذلك أيضا ما جاء في صفحة ٢٢٧ على لسان نائلة زوجة الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهي عبارات لا تحمل أي أدب حول الخليفة ولا زوجته حيث يقول على لسان نائلة التي تحكي لحبى عن الليلة الأولى مع الخليفة: «ودخل الخليفة إلى سريره فجلس وكنتُ هناك في ركن على أريكة لا زلت أجمع شتات روحي وأنفض عني قديم حياتي فقال لي: هل آتي لك أم تأتين لي؟ قمت لحظتها بين الدلال والإقبال وجلست عند حافة فراشه فلامست أنفاسه بأنفاسي وقلت له: ليس مثلك من يذهب لمثلي بل لم آت إلا إليك ولقد تركت بلادي حين دعوتني لك فأتيتك إلى أرضك وإلى بلدك وإلى سريرك»، ثم تضيف: «وقع شغفي في قلبه فكأنما سقيت ظمأ جفّ معه جوف حياته فمدّ يده على عمامته يخلعها فبانت صلعته كبيرة وعارية ومفاجئة فأحس أنها خبت روحي فقال لي: لا تفزعنك صلعتي أيتها الحسناء فقمت وأخذت رأسه في نحري وقبلتها».

ومنها ما ورد في صفحة ٢٥٠: «فتجثو على ركبتيها وتأخذه بين ذراعيها وتدس رأسه بين نهديها وتربت على ظهره .. ».

ومن ذلك ما ورد في صفحة ٢٧٠: «كان لا بد وأن تحس نصرها فوق جسده، لم تسمح له أن يفوتها فيسحب روحها من بين فخذيها هذا الشاب المليح طريحة عشقه جريحة أيره مدت يدها فتلقت صدره بقبضة مدهونة بزيت وحناء ردها عنه بضرب ذراعه لكنها تماسكت وأحكمت قبضتها تعصره فأهوى بها على الفراش فكان لها ما خططت، جردته من ثيابه واستحكمت فوقه»، والحقيقة أن الرواية مليئة بمثل هذه المشاهد ولعل الأقبح في هذا السياق هو ما أورده في صفحة ٦٦٤ حيث الفحش في القول بعد دقائق من وصفه لمقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال: «نظر سودان - أحد قتلة الخليفة - إلى امرأة عثمان الراقدة عليه فاتسعت عيناه محملقتين في جسد نائلة وقد تحشرج صوته متبللا بالشهوة تكتسح ذكورته .. ما أجمل مؤخرتك يا امرأة .. بحد السيف دما جذب عباءة نائلة عن مؤخرتها فإذا بنجيح - أحد رجال الخليفة - المترنح من أثر الضرب والطعن يستند على ركبته ويزحف بسيفه تحت ساقي سودان ثم يطعن النصل أسفل بطنه... ».

إشارات خطيرة

ويا ليت كل ما سبق أشبع نهم إبراهيم عيسى وأرضى رغبته في التشويه والإثارة بل إنه حرص كل الحرص على أن يضمّن نص الرواية العشرات بل المئات من الإشارات والتلميحات التي حملت مضامين فكرية خطيرة تتشابه إلى حد كبير مع ما ذهب إليه العديد من المستشرقين الذين أثاروا الشبهات حول الإسلام ورجاله، وهو أمر يحتاج إلى تفصيل آخر.

ومن بين هذه الإشارات ما هو سياسي ومنها ما تعلق بالفكر الديني أو ما تعلق بطبيعة وتكوين شخصيات صحابة الرسول ﷺ وكرر بعضها في عدة مواضع ومن أمثلة ذلك بشكل موجز:

❖توصيف الفتح العربي الإسلامي لمصر على أنه احتلال، مثله مثل أي احتلال أجنبي وكذلك الحديث عن الظلم الذي وقع من المسلمين على أقباط مصر (ص ٣٩٢).

❖الإشارة في عدة مواضع إلى أن المصريين كانوا أكثر رقيا وتمدنا من العرب الأجلاف.

❖الحديث عن عمرو بن العاص وكأنه جاهل بفقه الحرب وشروط السبي (ص ١٣٠).

❖التشكيك في نسب عمرو بن العاص وأن بعض الصحابة يصفونه بابن النابغة في إشارة لأمّه (ص ١٣٥).

❖التشكيك في نسب عقبة بن نافع أيضا (ص ١٣٦).

❖تصوير صالح القبطي المصري باعتباره الأفضل (ص ١٣٦).

❖قيم الطبقية كانت تسود نظرة الأمراء في التعامل مع الجند (ص ١٤٠ – ١٦٣- ١٩٨).

❖تحقير شأن الصحابة وإظهارهم كأنهم عنصريون (ص ١٤٨- ٢٨٥ - ٣٣٥ - ٣٤٢- ٤٣٥).

❖إظهار الصحابة وكأنهم يستخفّون بتوجيهات وتعليمات القادة والأمراء (ص١٥٩).

❖إظهار بعض الصحابة في حالة استعلاء (ص ١٩٩- ٢٠٠).

❖الإصرار على تسمية المدينة المنورة باسمها قبل الإسلام «يثرب» (ص ٣٥٤).

❖تجاهل الصلاة على النبي الكريم محمد ﷺ في مواضع كثيرة (ص ٢٣٨).

❖إشارات متكررة أن الصحابة كانوا يميلون إلى الراحة والترف والدعة (ص ١٩٤- ٢٨٢).

❖إظهار الصحابة غير ملتزمين بأدب الحوار، وسباب بعضهم لبعض (ص٣٣٦- ٣٨٣- ٥١٢).

❖تلميحات بعدم صدق إسلام عبد الله بن أبي سرح (ص ٣٣٩).

❖الجهاد كان لدوافع سياسية بحته وليس للدفاع عن الإسلام أو الدعوة إليه (ص ٣٩٤- ٤١٢).

❖إظهار الصحابة منشغلين دائما بالغنائم (ص ٤٢٠- ٥٦٨).

❖إطلاق أحكام التكفير بين الصحابة بلا أية قيود (ص ٤٢٩ - ٥٢١ - ٥٨٠– ٦٠٦ – ٦٢٤).

❖اتهام بعض الصحابة بالكذب (ص ٤٥٠).

❖صراع الصحابة على الإمامة في المسجد (ص ٤٨٢).

❖عدم التأدب في مخاطبة زوجة الخليفة (ص ٥٤٤).

❖مشاهد تمثيلية غير مقبولة لطريقة حوار الصحابة فيما بينهم (ص ٥٨٥- ٥٨٨).

❖إظهار الصحابة وكأنهم لا يتوقفون عن التفكير في النساء (ص ٦٠٤).

❖تكرار مزاعم التمثيل بالجثث (ص ٦٦٥– ٦٧١– ٦٩٢).

خاتمة

لا يمكن لقارئ الرواية التي حشدت كل هذا الكم الهائل من الروايات والأحداث التاريخية بهذه الطريقة وعلى هذا الشاكلة إلا أن يصاب في داخله بحالة من «القرف والتقزز» من هذه العصبة أو العصابة التي يفترض بها أن تكون خير ممثل عن القيم الإسلامية غير أن الأخطر أن تنعكس هذه الحالة بشكل سريع على البعض فيصاب بحالة أخرى من الاستخفاف بهذه القيم والتشكك في مدى صحتها أو قدسيتها أو حتى عدم جدواها وصلاحيتها، وهو ما يمكن أن يترجم سريعا لدى هؤلاء بشكل سلبي في طريقة تعاملاتهم ونظرتهم العامة إلى المجتمع ومفهوم الحلال والحرام وبالتالي المشاركة بشكل أو بآخر في انهيار المنظومة القيمية على مختلف المستويات، ذلك أن كل متلقٍّ يظن في نفسه أنه أفضل في سلوكه بمراحل من هذه النماذج الفجة.

كما أن تقديم هذه الأحداث على هذه الشاكلة وبهذا السرد المبتور والمبتسر هو في نظري أهم وأخطر رسالة أراد الكاتب أن يبعث بها، ذلك أنه أراد أن يسوغ ويقدم المبررات لكل حاكم ظالم أو مستبد بل لكل ناشط سياسي غير سوي إذ لو كان هذا هو واقع الصحابة رضوان الله عليهم وفق ما جاء في الرواية فإن كل سلوك يصدر من آخرين يصبح مستباحا في العمل السياسي.

بالتأكيد لسنا ضد الإبداع أو أن يترك الكاتب لخياله أن يسرح كيفما يشاء ينسج القصص والحكايات ويصف الشخصيات لكن أن يطال هذا الخيال شخصيات تاريخية حقيقية بل ومن كبار الصحابة رضوان الله عليهم ممن عاشوا

سنوات الإسلام الأولى فإن هذا بلا شك يحتاج إلى وقفة وتأمل بل إبداء ملاحظات ورفض ورد، ذلك أن السكوت على مثله يساهم بكل تأكيد في تشكيل رؤى وأفكار سلبية عن جيل الصحابة لدى المتلقي.

هذا يدفعنا إلى أن نطرح تساؤلا نراه في غاية الأهمية يتعلق بحقيقة موضوعية موقف هؤلاء من السنة النبوية وأحاديث الرسول الكريم ﷺ إذ تراهم في مواضع كثيرة يرفضون أحاديث وردت في كتب الصحاح كالبخاري ومسلم ويعتبرونها من الأحاديث المكذوبة على الرسول ﷺ أو الموضوعة على الرغم من أن من البخاري ومسلم اتّبعا منهجا دقيقا لأقصى درجة في جمع روايات ما جاء في كتابيهما، بينما يحاول هؤلاء في تناقض مكشوف أن يشكلوا وعي وثقافة وآراء الجماهير المتلقية لما يكتبون من خلال حكايات وروايات تاريخية ثبت أن أغلبها مكذوب لا علاقة له بالحقيقة وأن كتابها ورواتها لم يخضعوها لتلك المعايير الدقيقة التي اتبعها كل من البخاري ومسلم؟ مما يكشف عن النوايا الخبيثة لدى هذا الفريق.

ولا يفوتنا في هذا الإطار أن نبطل شبهة يكثر ترددها وهي أن أهمية رواية إبراهيم عيسى تتمثل في أنها تطرقت إلى بعض المسكوت عنه في التاريخ الإسلامي وأن عبقريته في أن يخرج لنا أحداث هذه الفتنة.. والحقيقة أنني لا أعرف على أي أساس يستند هؤلاء في طرح رؤاهم؟ .. هم ربما يحاولون أن يستخدموا بعض العبارات والأكليشيهات المنمقة ليس إلا لإبهار المتلقي وإثارته فيكتب الكاتبون «رحلة الدم .. رواية تتحدث عن المسكوت عنه» وكأن إبراهيم عيسى قام بسبق صحفي فكشف عمّا لم تصل إليه يد أحد من قبله ونسي هؤلاء أو تناسوا أن كتب التاريخ مليئة بكل الأحداث وأن الأمر في متناول كل من يرغب في الوصول إليه غير أن البعض يؤثر أن يثير قضايا مثيرة لكنها تفتقد إلى الأدلة المسندة والثابتة فضلا عن أن إعادة ذكرها لا يعود بالفائدة الحقيقية على أمة تعاني حالة من التشتت والخلاف والتشرذم وأن الأوْلى بأهل الوعي فيها أن يدفعوا بها إلى التوحد والصمود والمقاومة غير أن ما يقوم به عيسى وأمثاله ليس إلا إضعافا لها من جهة، وبحثا عن الشهرة ولو كان ذلك على حساب واقع الأمة وإثارة فتنها من جديد.

العرب السنة في العراق المأساة وآفاق الحل

عرض أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

صدرت هذه الدراسة مؤخرا عن مركز حقائق للبحوث والدراسات في ١٧٥ صفحة من القطع المتوسط، وهي تتناول لبّ الأزمة العراقية منذ سقوط نظام صدام حسين سنة ٢٠٠٣م، وهي أزمة اضطهاد وإقصاء السنة العرب في العراق من قبل الحكومة الشيعية الطائفية، وتركز الدراسة على الفترة بين ٢٠١٤- ٢٠١٦.

وترتكز الدراسة في بيان مدى بشاعة الظلم والاضطهاد الواقع على العراقيين العرب السنة ومدى ضخامة الجرائم الطائفية التي تعرضوا لها على وثائق المنظمات الحقوقية الدولية وآراء نخبة من الساسة الأميركيين، وذلك باعتبارهم محايدين ليست لهم مصالح طائفية كما تردد الماكنة الإعلامية الشيعية العراقية والإيرانية ضد كل محاولة عراقية سنية لفضح الجرائم الإرهابية المرتكبة ضدهم.

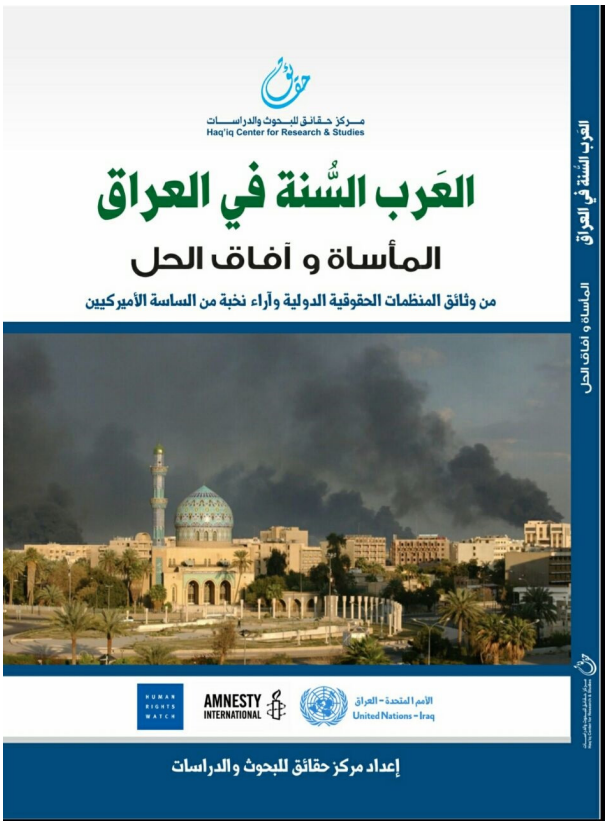

في التمهيد للدراسة تم لفت النظر لبعض الحقائق حول مأساة العرب السنة في العراق، من خلال كشف التناقض السائد في كثير من المقالات والتحليلات بخصوص العراق، والتي تؤكد على البعد الطائفي السني لحكم حزب البعث برغم أن حزب البعث هو حزب علماني يحوي من الشيعة في عضويته ما يقارب السنة أو يفوقهم، بينما يتم رفض وصم الحكم الشيعي للعراق من قبل أحزاب شيعية دينية بالطائفية برغم كل تصرفاتها الطائفية التي وصلت لحد أداء قسم الانضمام للجيش بصيغة شيعية طائفية وعند مقام شيعي!

(*) كاتب أردني.

كما نبه التمهيد على إغفال كثير من وسائل الإعلام لجرائم داعش بحق العرب السنة والتركيز فقط على جرائمها بحق الشيعة والمسيحيين واليزيديين، حيث جرائم داعش بحق السنة أكثر وأوسع ضررا، فداعش لا تقتل السني على هويته كما تفعل المليشيات الشيعية إلاّ أنها تقتل السنة على مخالفتهم لآرائها وأوامرها من جهة وهذا هو سبب جرائمها بحق العلماء والخطباء والقادة وفصائل المقاومة السنية، ومن جهة أخرى فإن داعش تجبر السنة على خوض معاركها الفاشلة مع كافة القوى ثم تنسحب من مناطقهم بعد تجريدهم من سلاحهم وقادتهم وتتركهم لقمة سائغة للمليشيات الشيعية الطائفية والإرهابية.

وأيضا لقد تم بناء العراق الجديد على أسس طائفية مقصودة بتسليم الحكم للشيعة من قبل أمريكا، وقد أفرز ذلك سياسات طائفية دائمة ترتكز على قمع المكوّن السني بحجة محاربة التطرف والإرهاب المتمثل في داعش، لكن الحكومة الطائفية تحارب داعش وتحارب المكون السني بأكمله باعتباره حاضنا وداعما ومؤيدا لداعش، وفي نفس الوقت تتغاضى عن كل الجرائم بحق السنة من قبل أجهزتها ومليشياتها مما يجبر بعض السنة على القبول بداعش، وبذلك تتواصل مأساة السنة بين ظلم وإجرام داعش، وظلم وإجرام الحكومة التي تدفعهم لحضن داعش، ثم تتخلى عنهم داعش ليواجهوا إجرام المليشيات الطائفية! والغرب يقف متفرجا على هذه المأساة لأن من يزعم محاربة داعش هو من يقتل السنة وهم المليشيات الشيعية، وفي النهاية فالخاسر الوحيد والضحية لكل ذلك هم الأبرياء من العرب السنة!

في القسم الأول من هذه الدراسة تم استعراض أبرز معالم المأساة السنية في الفترة من ٢٠١٤- ٢٠١٦ كما يلي:

١- **تدمير المناطق السنية:** فقد تم توظيف محاربة داعش سنة ٢٠١٤ لتدمير مناطق السنة، حيث أكدت تقارير منظمة العفو الدولية أن القوات الحكومية وميليشيا الحشد الشيعي ارتكبت جرائم حرب.

ففي مدن محافظة صلاح الدين وثقت منظمة هيومن رايتس ووتش إحراق وتفجير ١٤٢٥ من المنازل في تكريت وما حولها دون حاجة عسكرية لذلك! وفي ناحية آمرلي تقول هيومن رايتس ووتش إن تدمير المباني في ٤٧ قرية ذات أغلبية سنية كان منهجيا ومدفوعا لتغيير التركيبة السكانية السنية، حيث نهبت ودمرت المنازل والمحال والمساجد والمباني العامة، وأن ما يزيد عن ٣٨٠٠ مبنى قد تم تدميره نتيجة لذلك.

وفي محافظة ديالى تم هدم عدد من المساجد ونهب المنازل وتدميرها بحسب تقارير بعثة الأمم المتحدة. كما رصدت البعثة تدمير قرية شمسية العربية في محافظة كركوك من القوات الحكومية، أما مدينة الرمادي فقد عبر مراسل وكالة رويتر عن حالها بأنها أصبحت مدينة أشباح شبه مدمرة، فقد دمرت المباني وهجّر أهلها! أما منسقة عمليات الأمم المتحدة في العراق فقد اعتبرت الرمادي أسوأ مكان في العراق تعرض للتدمير، وفي تحليل بعثة الأمم المتحدة هدم ٦٤ جسرا ومعظم شبكة الكهرباء، وبحسب صور الأقمار الصناعية فهناك ٢٠٠٠ منزل مدمّر تماما و٥٧٠٠ مبنى متضرر.

وفي الفلوجة تم استخدام القنابل البرميلية كما هو الحال في سوريا، وقد تسبب ذلك بالكثير من التدمير والقتلى، كما تم توثيق استهداف مستشفى الفلوجة أكثر من ١٦ مرة في تقرير هيومن رايتس ووتش.

٢- **الإعدامات الجماعية:** حيث ارتكبت الميلشيات الشيعية العديد من المجازر بحق العرب السنة بين عامي ٢٠١٤- ٢٠١٥، وقد وثقت المنظمات الحقوقية الدولية عددا من هذه المجازر على النحو التالي:

مجزرة سوق مويلحة في الحلّة، حيث قتل ٥٣ شخصا، كانت أيديهم مقيدة ومصابين بطلق في الرأس.

مجزرة قرية الكراغول بمحافظة صلاح الدين، حيث قتل ١٤ شخصا واختطف ٣٣ آخرون.

مجزرة قرية بروانة بمحافظة ديالى، حيث قتل بين ٥٦- ٧٠ شخصا.

مجزرة جامع مصعب بن عمير بمحافظة ديالى، حيث قتل ٣٤ شخصا وهم يؤدون صلاة الجمعة في المسجد.

مجزرة في بعقوبة بمحافظة ديالى، حيث خطف وأعدم ١٥ شخصا، وعلّقوا على أعمدة الكهرباء.

كما أن الحكومة ومليشياتها قامت بإعدامات جماعية كثيرة لسجناء سنة عرب بدون حق، بحسب تقارير هيومن رايتس ووتش.

٣- **تعذيب المعتقلين:** إن تعذيب السجناء العرب السنة هو نهج ثابت للحكومات الشيعية ومليشياتها بهدف طرد السنة وتهجيرهم لخارج العراق، وقد فضحت عدة تقارير دولية تلك الممارسات كالضرب وسوء الخدمات والتكدس والاعتداءات الجنسية، خاصة على النساء، حيث هناك ما يزيد عن ٥٠٠٠ سجينة سنيّة، وعدم توفر محامين في المحاكمات، وغياب العدالة في القضاء وتفشي الرشوة.

٤- **التهجير:** ترصد الدراسة أن التهجير كان محدودا في عام ٢٠٠٣، ثم تصاعد مع حكومة الجعفري في ٢٠٠٥ وبرزت آنذاك فرق الموت، وبعد تفجير سامراء عام ٢٠٠٦ تولى جيش المهدي التابع لمقتدى الصدر تهجير سنة بغداد والبصرة وديالى، في الفترة ٢٠٠٩- ٢٠١٣، فهاجر كثير من العرب السنة إلى إقليم كردستان بسبب الضغوط الحكومية عليهم بتهم الإرهاب، ومع سيطرة داعش على الفلوجة عام ٢٠١٤ بدأت موجة هجرة سنية جديدة من كل منطقة تسيطر عليها داعش.

وعند كل مواجهة مع داعش تحدث هجرة للسنة عن مناطقهم، وبعد رحيل داعش أيضا يتعرض من تبقى من السنة للتهجير من قبل المليشيات الشيعية التي تتعمد التدمير والنهب والخطف والقتل، فبحسب دراسة المنظمة الدولية للهجرة تم تهجير ٣,٢ مليون سني من محافظات الموصل والأنبار وصلاح الدين بين ٢٠١٤/١- ٢٠١٥/٩.

٥- **التغيير الديمغرافي:** لم تكتف المليشيات الشيعية بتدمير البلدات السنية وتهجير أهلها بالقصف الأعمى، بل تمنعهم أيضا من العودة لمنازلهم بعد رحيل داعش عن مناطقهم بحجة أنهم مؤيدون لداعش، ووثقت تقارير المنظمات الدولية ذلك في ديالى وصلاح الدين وحزام بغداد.

٦- **اضطهاد سنة بغداد:** حيث وثقت تقارير لهيومن رايتس ووتش ما يتعرض له السنة في بغداد من مداهمة واعتقال تعسفي وإهانات على الحواجز وخطف، مما اضطر بعض السنة لتغيير أسمائهم لأسماء مقبولة عند الشيعة وتغيير أماكن سكنهم.

وفي القسم الثاني تناولت الدراسة آراء بعض الساسة الأمريكيين حول سبب هذه المأساة وأنها نتيجة خطئهم بدعم الشيعة على السنة عموما، وتأييد المالكي خصوصا في سياساته الطائفية، بحجة محاربة الإرهاب، ورأوا أن المليشيات الشيعية أصبحت الخطر الأكبر في المنطقة، وأن الحل لهذه المعضلة هو بدعم المكون السني ضد التطرف الشيعي والتطرف الداعشي، ليكون مستقلا وقادرا على حماية نفسه مما يوقف الأطماع الإيرانية.

في النهاية؛ إن مأساة سنة العراق ممكن أن تتكرر في عدد من التجمعات السنية في دول أخرى طالما أنها تفتقد لقيادة واعية للأخطار الإيرانية والأخطار المتطرفة الداعشية، وواعية لخلل السياسات الغربية والأمريكية، إن أهل السنة مستهدفون في وجودهم وقوتهم ووحدتهم، وعليهم التعاون فيما بينهم ودفع الأخطار والأطماع عنهم بحكمة وقوة.

بين الحقيقة والكذب

قالوا: إيران تقيم مؤتمرا دوليا عن فلسطين وتدّعي مناصرة الفلسطينيين، والحقيقة أنها وحلفاءها قتلوا من فلسطينيي سوريا ٣٤٤٣ واعتقلوا ١١٦٤، وهجّروا ١٤٢٠٠٠.

وليد الطبطبائي- تغريدة بتويتر

كالعادة

قالوا: لم نسمع ردا من قبل حزب الله على قصف إسرائيل مراكز تابعة له وللحرس الثوري الإيراني، نديم قطيش قال: «نصر الله يخطب وإسرائيل تضرب»، برافو نديم.

Fares Souaid تغريدة بتويتر

هل نتدارك ما فات تجاه الميليشيات الشيعية؟

قالوا: في ١٥ أغسطس ٢٠١٤ صدر قرار مجلس الأمن رقم ٢١٧٠ تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة، وخصص القرار صفة «المقاتل الأجنبي» في سوريا لأولئك الذين انضموا من الخارج إلى ثلاثة أطراف فقط هي: تنظيم الدولة «داعش»، وجبهة النصرة، وتنظيم القاعدة، بالإضافة إلى أي جماعة ترتبط بشكل مطلق بتنظيم القاعدة... وبسبب ضعف الدبلوماسية العربية وغياب الرؤية الاستراتيجية أصبح الإرهاب مرتبطا حصرا بالجماعات المدرجة في القرار، وأصبح المجتمع الدولي يركز فقط على محاربة هذه الجماعات...

الجميع مشغول الآن بداعش والقاعدة، لكن ما أن ينتهوا من الأمر حتى يكون الأوان قد فات على مواجهة هذه الميليشيات الشيعية التي تشكل خطرا راسخا ومقيما. هناك حاجة لتحجيم هذا المسخ عبر نزع الشرعية عن دوره، وعبر الضغط عليه ومحاصرته واستهدافه، ولا يمكن تحقيق ذلك بشكل فعال من دون قرارات دولية. الظروف لطرح مثل هذا الأمر مناسبة الآن لكن على اللاعبين المعنيين مسؤولية إعداد الأجندة إلى الواجهة والحرص على إثارتها دوما والدفع باتجاه تنفيذها.

د. على باكير- صحيفة العرب ٢٠١٧/٢/١٤

من بشائر الخير

قالوا: ٣٢٠ أوروبياً يدخلون في الإسلام يومياً.

رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا لبرنامج بلا حدود

بركات القاعدة والنصرة والفتح!

قالوا: إذا أردت أن تكونَ بأمان ولا تتعرض للقصف في أحياء برزة والقابون ما عليك إلا الجلوس بالقرب من مقراتِ الغلاة، خوارج هتش.

إعلامي مُقاتل - تغريدة بتويتر

حقد رهيب!

قالوا: الشرطة الصينية في عاصمة مقاطعة شنغيانغ الغربية التي يقطنها الإيغور المسلمون حددت مكافأة قدرها ألفي يوان (٢٧٥ يورو) لمن يبلّغ عن شاب ملتح أو امرأة منقبة في إقليم شينجيانغ الواقع بشمال غرب البلاد.

الجزيرة نت – ٢٠١٧/٢/٢٣

حوّلوه لشعب مجرم!

قالوا: وزير الداخلية الإيراني: أكثر من ١٠ ملايين إيراني يعملون في تجارة المخدرات!!

قناة صفا الفضائية - تغريدة بتويتر

أن تأتي متأخراً خير من أن لا تأتي أبداً!

قالوا: إيران تسببت في إذكاء الطائفية، وأخذت تنشر التشيع المنحرف وتمارس الطائفية بأسلوب خبيث في كل المنطقة، فهي أساس الشر في العراق، ولولا دعمها الخبيث لسقط نظام الطاغية بشار، وهي وراء الانقلاب الخبيث في اليمن، وهي وراء إذكاء الطائفية في الخليج، وغير ذلك الكثير، قد آن الأوان لقطع يد إيران الخبيثة في المنطقة قبل أن تتسبب في تدمير الأمة.

د. طارق سويدان،

صفحته بالفيس بوك ٢٠١٧/٢/١٣

القاديانية تتغلغل في بلادنا

قالوا: سيدي رئيس الجمهورية المحترم عبد العزيز بوتفليقة، نحن أبناء الجزائر ننتمي إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية التي أسسها على حسب معتقدنا وقناعتنا ميرزا غلام أحمد القادياني، الإمام المهدي والمسيح الموعود الذي بشّر به سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي أسسها في سنة ١٨٨٩ بأمر من الله تعالى، وتنتشر اليوم جماعتنا في أكثر من ٢٠٠ دولة في العالم.

والجماعة الإسلامية الأحمدية هي جماعة دينية علمية، هدفها تجديد الدين، وليست جماعة سياسية، بل هي مشهورة في العالم أجمع بنشر السلام، واليوم بفضل الله هي تحت قيادة الخليفة الخامس ميرزا مسرور أحمد، رجل السلام العالمي الذي يشارك في المحافل الدولية بخطاباته الداعية إلى الإسلام ونبذ كل أشكال العنف والإرهاب ...

وإننا سيدي الرئيس نتعرض لحملة شرسة من طرف الإعلام وبعض المسؤولين في الدولة، الذين ينعتوننا بالكفار والخارجين عن ملة الإسلام والعياذ بالله، وإننا بصفتك رئيس الدولة والحامي الأول لحرية أبنائها في اختيار توجهاتهم الفكرية، سيدي نطلب منك التدخل لوقف هذا التهجم غير المبرر من طرف هيئات من الدولة، ونعلمكم أنه يوجد أكثر من ١٧ فردا في السجون بسبب اختيارهم للانتساب للجماعة الإسلامية الأحمدية، وهناك من تجاوز عمره ٧٠ سنة، وهو لا زال يقبع في السجن إلى يومنا هذا.

كما نطلب سيدي اعتماد جمعيتنا التي قدمنا ملفها للجهات المعنية، وقد قوبلت بالرفض دون مبرر من وزارة الداخلية، واليوم نعمل كل ما في وسعنا لإيصال صوتنا لسيادتكم، نرجو منكم أخذ طلبنا بعين الاعتبار والتفهم. وفي الأخير سيدي تقبل منا فائق التقدير والاحترام.

ممثل الجماعة في الجزائر محمد فالي،
موقع الحوار ٢٠١٧/٢/٩

قالوا: أعلنت الشرطة الجزائرية أنها اعتقلت الزعيم الوطني للطائفة الأحمدية في البلاد و١١ من أتباعه، كانوا ينشطون على مستوى ولاية الشلف غربي البلاد.

وأمرت محكمة الشلف بإيداع خمسة منهم الحبس المؤقت ووضع أربعة تحت الرقابة القضائية، في حين تم إخلاء سبيل البقية.

هسبريس – ٢٠١٧/٢/٢٢

بعض ما يجب أن نقوم به

قالوا: انتشر وطغى في الأدبيات الديبلوماسية خلال سنين ماضية مسمى (القوة الناعمة)، ثم ضمر ليحل بدلا عنه ما كان أحد فروعه يومًا ما، وهي (الدبلوماسية الثقافية).

... لكن السؤال الذي بدأ يحضر أخيرا، هو: هل ما زال للقوة الناعمة أو الديبلوماسية الثقافية مكان في هذا العالم، بعد موجة تنامي اليمين المتطرف، الذي لا يؤمن كما يظهر من خطاباته وقراراته، إلا بدبلوماسية (القوة الخشنة)؟!

... هل هذه دعوة للتخلي عن الديبلوماسية الناعمة بكامل أطرها وأدبياتها؟!

لا، لكنها دعوة لإعادة النظر في الجرعة التي تحتاجها الديبلوماسية المعاصرة من النعومة، وما ينبغي خلطه معها من الخشونة اللازمة والملحّة للأسف!

من جانب آخر، فإن الأثر الذي تصنعه منافذ الديبلوماسية الشعبية بات يفوق، وفي شكل كبير أحيانا، أثر الديبلوماسية الرسمية، ولذا تكاثرت في معظم دول العالم مؤسسات المجتمع المدني التي تعنى جهودها الديبلوماسية بتغطية هذا الفراغ الثقافي بين المجتمعات، وتجسير الفجوة الناتجة عن سوء فهم يؤول إلى سوء تفاهم بين المجتمعات، ثم بالتالي بين الدول.

في فرنسا، وفي منظمة اليونسكو كانت تردنا منشورات أو بيانات أو دعوات لحفلات موسيقية أو لمعارض عن الفن الفارسي العريق، ولا تكاد تجد اسم أو رائحة الحكومة الإيرانية في المناسبة، على رغم أن استقصاء بعض الأجهزة (المختصة) يؤكد أن المؤسسة الإيرانية الرسمية هي التي تقف خلف هذا النشاط وتموّله وتوجّهه، لكن دونما أي بروز أو ظهور لها، أو عبارات دعائية معلقة في بهو الاحتفال!

ديبلوماسيتنا الشعبية بحاجة ماسة إلى:

توسيع مداها أولا.

وإلى إعطائها حرية كافية، ولا أقول مطلقة.

وإلى تنسيق إطارها العام في ما بينها، لكن من دون التدخل في التفاصيل والمضامين.

د. زياد الدريس – صحيفة الحياة ٢٠١٧/٢/٢٢

الإطار المرجعي لسياسات إيران التوسعية في الإقليم

د. بشير موسى نافع – القدس العربي ٢٠١٧/٢/٢٣

يقول الإيرانيون وأصدقاؤهم العرب إن موقف طهران، والميليشيات التابعة لها، من سوريا لا علاقة له بالطائفية. تقف إيران إلى جانب النظام السوري، وتقدم التضحيات من أبنائها للحفاظ عليه، لأنه نظام مقاوم، ولأنه وفر الدعم والمساندة لقوى المقاومة. إن سقط النظام السوري، يقول هؤلاء، سيستباح الإقليم من الإسرائيليين والأمريكيين. والمدهش، وبعد سنوات ست من الغرق في الدم السوري، أن هذه الهرطقة السياسية لم تزل تمثل الخطاب الرسمي لسياسة إيران الإقليمية، وخطاب الاعتذاريين من حلفائها.

لم يلحظ هؤلاء أن مثل هذا الادعاء يحمل تنديدا بالشعب السوري برمته، وكأن السوريين ليسوا محل ثقة لتولي شؤون وطنهم ولا يمكن أن يؤتمنوا على خيارات دولتهم السياسية.

نظام الأسد وحده من يمكن الثقة في موقفه من المقاومة، أما عموم الشعب السوري، الذي لم يتحمل شعب مثله أعباء القضايا العربية الكبرى طوال قرن من الزمان، فلا يمكن الثقة فيه. ولكن هذا الخطاب يذهب أكثر من ذلك، عندما يغض النظر عن مجمل سياسات إيران الإقليمية، ويسقط من الذاكرة، كلية، التاريخ القريب لهذه السياسات.

افتتحت إيران مرحلة التوسع الإقليمي بمساندة الغزو الأمريكي لأفغانستان في خريف ٢٠٠١، وتوفير تسهيلات ملموسة للقوات الأمريكية الغازية. وفي نهايات ٢٠٠٢ ومطلع ٢٠٠٣، عندما بدأت الاستعدادات الأمريكية لغزو العراق، شجعت إيران حلفاءها من القوى السياسية الشيعية على التعاون مع الأمريكيين، بل وتوفير معلومات مغلوطة لواشنطن حول سلاح العراق النووي والكيمياوي، لدفع عجلة الغزو.

وإن كان التعاون الإيراني مع إدارة بوش في أفغانستان تم بصورة خفية نوعا، فقد كان القادة العراقيون الشيعة ينطلقون، جهارا نهارا، من طهران إلى لندن وواشنطن للالتقاء بالمسؤولين الأمريكيين، والمشاركة في توفير غطاء عراقي للحرب الوشيكة على العراق. خلال السنوات التالية، برزت القوى السياسية الشيعية العراقية، وثيقة الصلة بإيران، باعتبارها الحليف الرئيس لإدارة الاحتلال، وأداة الاحتلال في إعادة بناء الدولة العراقية.

ولم يشهد عراق ما بعد الغزو والاحتلال حادثة صدام واحدة بين القوى السياسية الشيعية والمحتلين على خلفية من الحرص على العراق

واستقلاله. وقعت حوادث صدام، نادرة، بين الطرفين عندما ظن القادة الشيعة، في مناسبات معدودة، أن الأمريكيين يتراجعون، أو يعيدون النظر، في سياسة تسليم مقاليد العراق لهم.

في السنوات التالية، وبعد أخذت السلطة في الانتقال ليد العراقيين، عملت إيران بكل الوسائل من أجل أن تحكم الطبقة السياسية الشيعية، الحليفة لها، قبضتها على السلطة ومقدرات البلاد.

في ٢٠١٠، عندما فازت القائمة العراقية، ذات التوجه الوطني، في الانتخابات، عارضت إيران أي دور قيادي للقائمة العراقية في التحالف الحاكم، وأصرت على عودة المالكي رئيسا للحكومة. وفي ٢٠١٢، عندما خرج العراقيون في اعتصامات شعبية، رافعين مطالب محدودة ومتواضعة ومبررة بكل المقاييس، دعمت إيران الوسائل الدموية التي استخدمها المالكي لقمع حركة الاحتجاج.

وليس في أفغانستان والعراق وحسب، بل أن طهران لم تخف تأييدها لنظام الأسد، ومنذ اللحظات الأولى لانطلاق الثورة السورية، عندما كانت حركة التظاهر والاحتجاج الجماهيري هي التعبير الوحيد للثورة. خلال شهور ٢٠١١ الطويلة، لم تكن هناك دولة واحدة، لا بين تلك التي تحسب من خصوم إيران، مثل دول الخليج ومصر، ولا تلك التي تحتفظ بعلاقات حسنة مع إيران، مثل تركيا، قد عبرت عن انحياز ملموس لحركة الثورة السورية.

إضافة إلى ذلك، لم تكن حركة الثورة قد تطورت إلى نزاع مسلح، ولم يكن هناك بالتالي وجود لا للنصرة ولا جماعة الدولة الإسلامية. الحقيقة، أن أغلب الدول المهتمة بالشأن السوري، مثل قطر وتركيا، التي جمعت قياداتها علاقات وثيقة مع نظام الأسد، بذلت جهودا هائلة خلال ٢٠١١ لإقناع الأسد على وقف سفك دماء أبناء شعبه، والذهاب إلى خيار إصلاحي جاد، يوحي بمقابلة الشعب في منتصف الطريق.

لم يكن ثمة من يدعو إلى سقوط النظام، ولا إلى إطاحة الأسد.

وفي الوقت نفسه، انطلقت محاولات وساطة وحل من دوائر عربية غير رسمية، ومن دوائر رجال أعمال سوريين في الخارج، وثيقة الصلة بنظام الأسد ومؤيدة له. في إحدى هذه المحاولات، تقدم رجل أعمال سوري بمسودة دستور سوري جديد، يؤسس لإصلاحات في بنية النظام، بدون إسقاطه.

والمدهش، في أغلب هذه الحالات، أن النظام كان يبدي موافقة أولية على المقترحات التي تقدم له، ولكن هذه الموافقة سرعان ما يتم التخلي عنها بعد استشارة الحلفاء الإيرانيين وفي حزب الله اللبناني. مرة بعد أخرى، وبالرغم من محاولات الأتراك الحثيثة مع إيران، أظهر الإيرانيون إصرارا هائلا على بقاء نظام الأسد واستمراره، بكل الصلاحيات التي تؤهله لاستمرار تحكمه المطلق في مقاليد الحكم ومقدرات الدولة.

ولم يكن ثمة تفسير للموقف الإيراني سوى خشية الإيرانيين من أن يؤدي تخل، ولومحدود، من قبل النظام، عن بعض سلطاته، إلى مزيد من التدهور في موقف المجموعة الحاكمة.

ولم يكن الموقف الإيراني في اليمن أقل طائفية عن مثيله في العراق وسوريا. وفرت الثورة اليمنية فرصة غير مسبوقة لانضواء الحوثيين في الاجتماع السياسي اليمني، بعد سنوات طويلة من الصراع بينهم وبين نظام عبدالله صالح. لم تكن صلات الحوثيين، السياسية والعسكرية والطائفية، بإيران خافية، ولكن أغلبية اليمنيين حسبت أن عهدا جديدا يبدأ في البلاد، وأن الحوثيين يمكن أن يتحولوا إلى شركاء في بناء

يمن يحتضن أبناءه جميعا وقوى شعبه السياسية المختلفة.

ولكن الحوثيين، وأصدقاءهم في طهران، كان لهم حسابات أخرى. خلال شهور قليلة من انطلاق المرحلة الانتقالية، بدأ الحوثيون زحفا مطردا من أجل السيطرة على الدولة اليمنية، وإخضاع اليمنيين جميعا لسلطة طائفية حصرية. ولتحقيق هذا الهدف، لم يكن لدى الحوثيين، ولا الإيرانيين، من مانع أخلاقي من التحالف مع الرئيس المخلوع، الذي خاضوا سلسلة من الحروب ضد نظامه.

لعبت إيران، التي ولد نظامها الجمهوري من ثورة شعبية عارمة، في العراق وفي سوريا واليمن دور الثورة المضادة بامتياز، بدون أدنى اكتراث بآمال الشعوب وتضحياتها في الدول الثلاث. الحالة الوحيدة التي اختارت فيها إيران الوقوف مع الحراك الشعبي الاحتجاجي كانت البحرين، رغم أن لا استبداد البحرين، ولا سياسات نظامها الحاكم، يمكن مقارنتها بالسياسات الفاشية الدموية التي تبنتها أنظمة المالكي والأسد والحوثيين.

والمدهش في كل هذا أن حركة الاحتجاج الشعبي البحرينية كانت في صورتها الأغلب حركة الجناح الشيعي من أهل البحرين.

الدولة الحديثة هي في جوهرها كيان سياسي، وليست كيانا مسيحيا أو شيعيا أو سنيا. لكن الإطار المرجعي للمشروع التوسعي الإيراني كان طائفيا من البداية، وكذلك كان الدينامو المحرك لآليات هذا المشروع وأدواته. ولد هذا المشروع بتوجهاته الطائفية انقسامات عميقة وباهظة التكاليف في المجتمعات العربية ذات التنوع الطائفي، ورسب أحقادا وعدوات.

وليس ثمة شك في أن الرد على هذا المشروع من مواقع طائفية مخالفة سيفاقم من حجم هذه الانقسامات والأحقاد.

ثمة ضرورة لأن يواجه التوسع الإيراني من على أرضية وطنية وإسلامية جامعة، ولكن هذه المواجهة لن تحقق أبدا أهدافها إن أخطأت في قراءة حقيقة المرجعية والأدوات التي تنطلق منها السياسات التوسعية الإيرانية.

اللعب على ثقافة القطيع

د. فراس الزوبعي– الوطن البحرينية ٢٠١٧/٢/١٥

ثقافة القطيع ليست بعيدة عن مجتمعاتنا العربية لأنه في الحقيقة بعضها مصابة بها،

فليس من المستغرب أن نجد اليوم من يحسن اللعب على هذه الثقافة ويستخدمها في الخروج من أزماته، لا سيما إذا وقف خلفه نظام شر مثل نظام الملالي.

خور عبد الله اسم تردد كثيراً في الإعلام الأسبوعين الماضيين، وهو ممر مائي يقع جنوب العراق ومن خلاله يطل العراق على الخليج العربي، لست هنا لأتحدث عن ملكية هذا الخور كما هو حاصل في الإعلام فما يهمني هو طريقة افتعال الأزمات والتعاطي معها، وباختصار فإن من تبعات غزو العراق للكويت سنة ١٩٩٠ صدور قرار مجلس الأمن بالرقم ٨٣٣ في العام ١٩٩٣ يرسم الحدود بين العراق والكويت ويجعل من خور عبد الله قسمين قسم للعراق وآخر للكويت، ولم يصادق على هذا القرار في العراق إلا في ٢٥ نوفمبر ٢٠١٣، ثم صدر في العراق قرار آخر قبل أسبوعين يقضي بتخصيص مبلغ مالي للترسيم ووضع العلامات، وفجأة افتعلت أزمة شعبية في العراق تحولت إلى مهاترات واستعراضات كلها تقول وبنفس واحد «خور عبد

الله عراقي» ثم تهديدات وقصائد شعرية، ليس من شأنها إلا تكريس حالة العداء والكراهية بين الشعبين العراقي والكويتي، والعجيب أن كل هذه المهاترات والمزايدات موجهة إلى الكويت حكومة وشعبا ولم يتحدث أحد عن أن المشكلة هي من تبعات غزو الكويت، كما لم يتحدث أحد عن سلوكيات الحكومة العراقية في ٢٠١٣ التي لم تراجع مجلس الأمن وتعترض على قراره في ١٩٩٣ إن كان في قراره إجحاف كما هو رأي الفنيين والقانونيين في المسألة.

المحصلة النهائية من هذه القضية هو تنامي حالة العداء بين كثير من عوام العراقيين والكويتيين، والتي تمتد جذورها في الواقع إلى ما قبل غزو العراق للكويت، وأصبحنا أمام جيل في البلدين لم يشهد غزو الكويت وولد بعدها، لكنه يحمل اليوم عداء لم يحمله من عاش مرحلة الغزو، وبفضل ثقافة القطيع نجح من له مصلحة في نقل أزمة إن كانت واقعة فكان يجب وقوعها بين الشعب العراقي وبين الحكومة التي سلطتها إيران وأمريكا عليه، فحول الأزمة إلى أزمة بين الشعب العراقي والكويتي، وبفضل ثقافة القطيع انساق كثير ممن لا يعترفون بحكومة العراق الحالية ويعدونها حكومة احتلال، وراء هذه المهاترات وأصبحوا جزءاً منها، وبفضل ثقافة القطيع لم يتحدث أحد عن احتلال إيران لحقول النفط العراقية وما زالت مستمرة باحتلال المزيد منها بل ابتلعت العراق كله، فلم يتذكر أحد هذا الواقع الأسود وانشغل الجميع بالحديث عن خور عبد الله الذي هو في نهاية الأمر قضية عربية عربية، وبفضل ثقافة القطيع استطاعت إيران أن تجد لميليشياتها ما تشغلها به وهي قضية خور عبد الله، وبالتأكيد من يقود القطيع يعي جيداً حقيقة ما يفعل، وفي النهاية الرابح الأكبر هي إيران التي تمكنت من ابتلاع العراق وتنمية الفرقة بين الأخوة والأشقاء الذين مهما اختلفوا ومهما كانت المشاعر بينهم فهم أشقاء ليس بيد أحد منهم تغيير هذه الحقيقة.

- لا لروحاني - في - الجزائر...
تقارب رسمي لا يغسل أدمغة الشعوب

هشام منوّر - الخليج أونلاين ٢٠١٧/٢/١٢

ما إن أعلن السفير الإيراني بالجزائر، رضا عامري، الخميس ٩ فبراير/شباط، عن زيارة مرتقبة للرئيس الإيراني، حسن روحاني، إلى الجزائر، حتى اشتعلت مواقع التواصل الاجتماعي بمناقشة الزيارة المرتقبة، وسط تفاعل كبير من نشطاء وحقوقيين لإلغاء الزيارة؛ بسبب مواقف إيران السلبية تجاه دول المنطقة.

السفير الإيراني كشف خلال كلمة له في احتفال بالذكرى الثامنة والثلاثين للثورة الإيرانية أقيم بالجزائر، بحضور وزير التعليم العالي والبحث العلمي الجزائري، طاهر حجار، ووزير الطاقة، نور الدين بوطرفة، أنه يقوم بتنظيم برنامج لزيارة سيقوم بها الرئيس الإيراني، حسن روحاني، إلى الجزائر في القريب العاجل، بحسب وكالة «إرنا» الإيرانية.

وأشار عامري إلى أن العلاقات بين طهران والجزائر «نموذج ناجح للروابط بين الدول»، مذكراً بالزيارات التي قام بها الرئيس الجزائري، عبد العزيز بوتفليقة، إلى طهران، وتلك التي قام بها الرؤساء الإيرانيون السابقون إلى الجزائر، مشيراً إلى ثلاثة رؤساء إيرانيين زاروا الجزائر.

#لا_لروحاني_في_الجزائر

التفاعل الشعبي مع إعلان السفير الإيراني في الجزائر بدأ متسارعاً، إذ دُشِنت حملة على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر»، لرفض

زيارة روحاني وإلغائها، وشهد الوسم «#لا_لروحاني_في_الجزائر» تفاعلاً جزائرياً لاقى صدى له في أوساط الناشطين، خصوصاً دول الخليج.

الناشطون الجزائريون عبّروا في تغريداتهم عن رفض سياسات إيران في المنطقة، ودورها في تخريب دول عربية وزعزعة أمنها، مثل سوريا واليمن والعراق والبحرين، محذرين من التغلغل الإيراني في الجزائر ودول الشمال الأفريقي، في أعقاب ما سموه «انكشاف ممارساته في دول المشرق العربي، لا سيما في دول مجلس التعاون الخليجي».

وذكر النشطاء في مواقفهم بحملة مشابهة نشطت في الجزائر قبل فترة لطرد الملحق الثقافي في السفارة الإيرانية بالجزائر، أمير موسوي؛ لكونه «يسعى بقوة إلى نشر التشيع في الجزائر، تحت ستار التقارب الاقتصادي بين إيران والجزائر»، بحسب قولهم.

الجدل المثار حول النشاط الإيراني «المحموم» لنشر التشيع في الجزائر، إثر تسريب مقاطع مصورة لشبان جزائريين في مدينة وهران يمارسون طقوساً شيعية، دفع وزارة الشؤون الدينية في الجزائر إلى إرسال مذكرة إلى أئمة المساجد لمنع تداول الكتب التي تدعو إلى التشيع، ومراقبة مكتبات المساجد من أجل منع وصول هذه المؤلفات إليها.

- بيئة مناوئة.. ولكن!

الكاتب والمحلل السياسي الجزائري، إدريس ربوّح، قال في حديث مع «الخليج أونلاين»، إن الجزائر «ترتبط بعلاقات قوية ليست استراتيجية مع إيران، وتنظر إلى جدية الطرف الإيراني في العلاقة مع حلفائه».

وبحسب الخبير السياسي، يتجسد دور الجزائر في التعاون مع إيران على مستوى ما يعرف بـ«التحالف الآسيوي»؛ مع الصين كشريك تجاري، وإيران كشريك سياسي إقليمي، وروسيا في مجال الغاز والسلاح، «وكذلك التقارب حول العديد من الملفات الإقليمية؛ منها موقف الجزائر الرافض لتدخل حلف الناتو في ليبيا، وكذلك الملف السوري، بمعنى أن الجزائر تتوافق مع إيران حول عدد من ملفات المنطقة».

ومع التقارب الواضح بين الحليفين في ملفات إقليمية، يلفت ربوح خلال حديثه لـ«الخليج أونلاين» إلى أن «علاقة الجزائر مع إيران تتجسد في سياسة المصالح المشتركة بين البلدين، وليس لها أي عمق داخل المجتمع الجزائري».

ويعزو ربوّح ذلك إلى أن «صورة طهران ساءت منذ بداية الأزمة السورية لدى المجتمع الجزائري؛ بسبب موقف إيران وحزب الله السلبي في سوريا، وكذلك دورها السلبي في العراق واليمن ودورها الطائفي في المنطقة».

ويؤكد المحلل السياسي أن دول المغرب العربي «مجتمعات تدين بالمذهب المالكي حتى القراءات، ولا يمكن أن تقبل بديلاً عنها، ويعتبر المذهب أو الفكر الشيعي المتطرف دخيلاً على هذه المجتمعات؛ لذلك من الصعب أن تجد المؤسسات الثقافية الإيرانية بيئة مناسبة لأي نشاط يمكن أن تقوم به داخل المجتمع الجزائري»،

واستدرك بالقول: «سوى نشاطات قد تكون بسيطة كحال الجمعيات التنصيرية، التي تستغل أفراداً من الشباب عن طريق المال والإغراء لنشر أفكارها بشكل محدود جداً، دون الجهر بها».

- علاقات مستقرة

ارتبطت الجزائر وإيران بعلاقات وطيدة في عهد الرئيس الراحل، هواري بومدين، وزمن شاه إيران.

ورعت الجزائر توقيع الشاه محمد رضا بهلوي، ونائب الرئيس العراقي حينذاك، صدام حسين،

على الاتفاق الشهير بين إيران والعراق سنة ١٩٧٥ والمشهور بـ«اتفاقية الجزائر»، والتي وضعت حداً للخلاف الحدودي بين البلدين.

وإثر قيام ما تعرف بـ«الثورة الإيرانية» عام ١٩٧٩، رحبت الجزائر بقيام الثورة في إيران، وزار الرئيس الجزائري الأسبق، الشاذلي بن جديد، طهران عام ١٩٨٢.

وبعد قطع العلاقات الدبلوماسية الإيرانية الأمريكية عام ١٩٨٠، رعت الجزائر المصالح الإيرانية في واشنطن. وتمكنت الدبلوماسية الجزائرية من التوصل إلى اتفاق مع إيران، للإفراج عن رهائن في السفارة الأمريكية بطهران.

- **فترة توتر**

اتهمت الحكومة الجزائرية في عهد رئيس الوزراء الجزائري الأسبق، رضا مالك، إيران بدعمها السياسي والإعلامي لـ«الجبهة الإسلامية للإنقاذ»، وانتهى الأمر بقطع الجزائر علاقاتها الدبلوماسية مع طهران في مارس/آذار ١٩٩٣. كما تراجعت الجزائر عن رعاية المصالح الإيرانية في أمريكا.

- **عودة الدفء**

ظهرت بوادر التصالح بين إيران والجزائر منذ عهدي الرئيسين الجزائريين الأسبقين، علي كافي والأمين زروال، وترسخ هذا التوجه مع الرئيس الحالي، عبد العزيز بوتفليقة، فأعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في سبتمبر/أيلول ٢٠٠٠ وتم تبادل السفراء في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠١.

وزار الرئيس بوتفليقة إيران في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٣، كما زار الرئيس الإيراني الأسبق، محمد خاتمي، الجزائر في أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٤، وبذلك كان أول رئيس إيراني يزور الجزائر منذ عام ١٩٧٩.

ويلمح الرئيس الجزائري بوتفليقة مراراً خلال تصريحاته إلى حق «حكومات الجنوب» في امتلاك التكنولوجيا النووية لأغراض سلمية، يعني ذلك ضمناً الوقوف إلى جانب إيران في ملفها النووي، وتعزيز التعاون الاقتصادي على خلفية التقارب السياسي بين حكومتي البلدين.

ومع تقارب المواقف السياسية بين طهران والجزائر في الملفات الإقليمية، يرجح مراقبون أن ينعكس ذلك على العلاقات الاقتصادية. حيث أنشأ البلدان لجنة اقتصادية مشتركة عقدت أول اجتماع لها في يناير/كانون الثاني ٢٠٠٣ في الجزائر. وانبثق عن هذه اللجنة توقيع عشرين مذكرة تفاهم بين البلدين، تشمل العديد من المجالات.

"الإقليمية" في جوهر الاشتباك التركي - الإيراني

د. علي حسين باكير – القبس الكويتية ٢٠١٧/٢/٢١

خلال أقل من أسبوع، شنّ مسؤولون أتراك حملة انتقادات لاذعة ضد السياسة الخارجيّة الإيرانيّة في المنطقة، ونُقِلَ عن رئيس الجمهورية التركية تحذيره خلال زيارته للبحرين الأسبوع الماضي من عنصرية فارسية، تسعى إلى تمزيق العراق وسوريا، وفق أجندة طائفية.

وفي المؤتمر الذي أقيم في ميونخ قبل أيام، أشار وزير الخارجية التركي مولوود تشاووش أوغلو ــ خلال كلمة له وسط حضور دولي رسمي عالي المستوى، وبمشاركة وزير الخارجية الإيراني ــ إلى أنّ طهران تهدد أمن واستقرار المنطقة، وأنّ لديها طموحاً إقليمياً يستند إلى سياسة طائفية، قائلاً: «سياسة إيران الطائفية تقوّض ـ للأسف ـ السلام في عدد من الدول الإقليمية؛ مثل البحرين والسعودية، وعدد آخر من بلدان الخليج. إيران تسعى أيضاً إلى تحويل سوريا والعراق إلى دولتين شيعيتين، وهذا أمر خطير للغاية، ولذلك نحن بحاجة إلى أن نحث

إيران على التوقّف عن هذا الطموح الذي يمس بالاستقرار والأمن».

وفي السياق نفسه، شدّد موجز اللقاء الذي تمّ في ١٨ فبراير الجاري بين رئيس الوزراء التركي بينالي يلديريم ونائب الرئيس الأميركي مايك بنس على اتفاق الطرفين في عدم السماح لإيراني بتقويض الأمن والاستقرار في المنطقة.

هذا الانتقاد التركي الشديد والعلني للسياسة الطائفية الإيرانية في المنطقة ولأجندة النظام الإيراني التوسعيّة دفع بهرام قاسمي المتحدث باسم الخارجية الإيرانية إلى القول إنّ إيران تأمل في أن «يتحلّى المسؤولون الأتراك بالمزيد من الذكاء في تصريحاتهم تجاهها، كي لا تضطر إلى الرد، وأنّ إيران ستلتزم جانب الصبر، ولكن للصبر حدوداً». وبموازاة ذلك، قامت الخارجية الإيرانية باستدعاء السفير التركي في طهران هاكان تكين على خلفية التصريحات التركية، وأبلغ إبراهيم رحيم بور نائب وزير الخارجية الإيراني السفير التركي اعتراض بلاده الشديد وإدانتها هذه التصريحات الموجّهة ضدّها.

وردّ الناطق باسم الخارجية التركية حسين مفتي أوغلو بالقول «لا يمكن فهم أو تقبل الاتهامات الإيرانية للآخرين، بينما لا تتورّع عن إرسال من لجؤوا إليها بسبب الأزمات في المنطقة، إلى ساحات الحروب، وهي المسؤولة عن التوتر وعدم الاستقرار في المنطقة»، في إشارة إلى تجنيدها الشيعة الأفغان للذهاب للقتال في سوريا، مضيفا أنّ إشادة الإيرانيين بسياسة بلادهم الخارجية الإقليمية تتعارض بشكل كبير مع مخاوف الأمم المتحدة ومنظمة التعاون الإسلامي من هذه السياسات، داعياً إيران إلى إعادة النظر في سياساتها تجاه دول المنطقة واتخاذ خطوات بنّاءة في هذا المجال.

جملة من الأسباب

يعود تصاعد الانتقاد التركي لإيران في هذه المرحلة إلى جملة من الأسباب ذات الطابع الإقليمي، من بينها ما يقول مسؤولون أتراك رفيعو المستوى إنّها جهود إيرانية حثيثة لتقويض الوضع في سوريا، من خلال حثّ الأسد والميليشيات الشيعية على الاستمرار في العمليات العسكرية، ومحاولة عرقلة التعاون الروسي ـــ التركي وافتعال مشاكل وخلافات بين الجانبين.

ويترافق ذلك ـــ أيضاً ـــ مع مجيء الإدارة الأميركية الجديدة التي تبدو ـ على عكس الإدارة السابقة ـــ مستعدة لاتخاذ خطوات عقابيّة جادة بشأن التوسع الإيراني الإقليمي، ومنفتحة على التعاون مع دول المنطقة، للحد من قدرة إيران على زعزعة الأمن والاستقرار، وهو ما يؤكد المعلومات الخاصة التي نقلناها سابقا عن فحوى الاتصال الهاتفي الذي تمّ بين دونالد ترامب والرئيس التركي في ٧ فبراير الجاري.

ويحاول الجانب التركي التناغم مع بعض أوجه سياسات إدارة ترامب للتأكيد على النقاط المشتركة، وفي هذا المجال بالتحديد يساعد انتقاد إيران على تحقيق هذا الغرض، لا سيما مع تصاعد وتيرة الاستياء التركي من السياسات الإيرانية من جهة، ولأنّ مثل هذا الموقف سيدفع ـ أيضاً ـ باتجاه تمتين العلاقة مع دول مجلس التعاون، حيث تتطابق الرؤى بين الطرفين في ما يتعلق بسوريا والعراق واليمن، وكلها ملفات لا يجمع بينها إلا وجود تدخّل إيراني قوي، طائفياً وعسكرياً وسياسياً.

وفي الوقت الذي يرى فيه البعض أنّ مثل هذا التوتّر مؤقّت وسيزول، يعتبر آخرون أنّ الاختلاف الجوهري والعميق بين الطرفين موجود، وسيبقى كذلك، وأنّ وجود علاقات اقتصادية قوية مع إيران بحكم الجغرافيا لا يمكن أن يمنع الجانب

التركي من انتقاد النظام الإيراني بشكل قوي، والإشارة إلى مكمن التناقض معه إزاء سياساته الطائفية والتخريبية في المنطقة.

هناك من يعتقد أيضاً أنّ الواقعيّة تتطلّب إشراك إيران في حل المشاكل المشتعلة في المنطقة، وأنّ استبعادها ستكون له نتائج عكسيّة؛ إذ إنّها ستبقى قادرة على التخريب والتعطيل، في حين إنّ إشراكها سيعطي الإمكانية لدول المنطقة لاحتوائها، لكن مثل هذه الرؤية لدى بعض المسؤولين الأتراك تتجاهل بطبيعة الحال الخبرة التاريخية بسلوك النظام الإيراني.

تباينات داخلية

مثل هذا التباين لا يقتصر أيضاً على المتابعين فقط، ففي حين لا يخفي مسؤولون أتراك رفيعو المستوى ــ من بينهم الرئيس أردوغان ــ امتعاضهم من إيران، وانتقادهم لها سرّاً وجهراً، حينما يستدعي الأمر ذلك، لا يريد بعض النافذين في تركيا في مواقع مختلفة من صنع القرار حصول تصعيد مع طهران، وغالبا ما يسعى هؤلاء للتأثير بطرق مختلفة في الاتجاه الأول استناداً إلى مبررات مختلفة اقتصادية وسياسية، في حين يعتمد بعضهم على التوجه «الإسلامي المحافظ» لجسر الهوّة معها، وهو اتجاه، وإن تقلّص كثيرا في تركيا في السنوات الأخيرة، مقارنة بما كان عليه قبل اندلاع الثورات العربية، إلا أنّه لم ينته بشكل كلي.

نائب رئيس الوزراء والناطق الرسمي باسم الحكومة التركية نعمان قورتولموش كان قد قال للصحافيين مؤخرا إنّ «إيران وتركيا بلدان صديقان. هناك اختلاف في وجهات النظر من حين لآخر، لكن لا يمكن أن تولد عداوة بسبب تصريحات، وحتى لو ظهرت خلافاتنا السياسية مع إيران فإنه ينبغي عدم تضخيمها بشكل كبير».

ومن المفارقات أنّ الجانب الإيراني حاول استغلال الزيارة التي أجراها رئيس الجمهورية حسن روحاني إلى كل من الكويت وسلطنة عُمان للترويج بأنّ إيران تسعى إلى علاقات جيّدة مع جيرانها، في الوقت الذي حرص فيه الجانب التركي على توحيد الأجندات إزاء القضايا الإقليمية المشتعلة.

ومن البديهي القول إنّه ما لم ترجّح كفة العلاقات السياسية والاقتصادية والأمنيّة التي تضمن ترسيخ المصالح المشتركة مع طرف من هذه الأطراف (إيران ودول الخليج العربي)، فإن التجاذب سيبقى قائماً، علماً بأنّ هناك من يسعى بالفعل إلى توثيق العلاقة مع دول الخليج العربي للتخلّص من قدرة إيران على استخدام بعض الأوراق في ليّ ذراع تركيا إقليمياً، لكن لا يزال هناك تخوّف لدى المسؤولين الأتراك من عودة ملف «الإخوان المسلمين» كملف خلافي بين تركيا وبعض دول مجلس التعاون، في حال شروع إدارة ترامب في تصنيف «الإخوان» منظمةً إرهابية، وهو الأمر الذي لو حصل فعلاً فإنه لن يصبّ إلاّ في مصلحة إيران.

إيران أم إسرائيل من هو العدو؟

ناجي حرج -

موقع الجبهة الوطنية والقومية والإسلامية ٢٠١٧/٢/١٨

غالبا ما يحشر اسم إسرائيل عندما يكون الحديث عن الخطر الإيراني، وكأن هنالك من يقول تعالوا نقيم صداقة مع إسرائيل مقابل ان نعادي إيران ! أو لننسى القضية الفلسطينية ونتوجه الى ما تمثله إيران من خطر... وذلك غير صحيح، فالمشروعين معاديان لنا...

حقيقة لا اعرف لماذا نصر على عدم الاعتراف ان إيران هي من اختار، بمحض ارادتها، ومن مدة طويلة جدا ان تكون عدوة للعرب. وقد تعاظم وترسخ ذلك بعد مجيء خميني للسلطة. فقد نصب نفسه امامنا لكل الامة ولم

يكن ينتظر من العرب، حملة الرسالة الإسلامية، سوى ان يقدموا له فروض الولاء والطاعة.

بمجيء خميني، تحولت كل عقيدة إيران السياسية والفكرية والتعليمية لترسيخ العداء للعرب (الجهلة المتخلفين ....اكلة الجراد. ... الخ، مع الشكر لما انارنا به د. نبيل العتوم)..

مع ذلك يقول بعض الاساتذة: علينا ان لا نقع في الفخ. وكاننا مغفلين وهنالك من يود ايقاعنا في فخ العداوة مع إيران.

فهل بدأ العرب العداوة لإيران؟ ام انها اعلنتها صراحة منذ الايام الاولى ل(ثورتها) انها تسعى الى تصديرها الينا.

كثيرون مازالوا منبهرين بما يسمونه الثورة الإيرانية. نعم ثار الشعب ضد الشاه لكن الثورة انقلبت على الشعب المسكين وتحولت الى حكم دكتاتوري باستخدام الدين غطاء لذلك فكانت (ولاية الفقيه) هي الوسيلة لهذا الحكم الذي هدفه المعلن حسب الدستور (التوسع) الى كل الدول الاخرى ليجاري بذلك اي دولة استعمارية امبريالية.

طبعا هنالك من يرى ان حال الامة سيء وكانت تواجه عدو واحد هو (إسرائيل) لذلك فهو يمني النفس في ان لا يزداد اعداءها. وهذا عين الصواب، لكن لقد سبق السيف العذل فقد حسمت إيران امرها في معاداة امتنا بمشروع يتغلغل وينمو بتسارع من موريتانيا غربا الى البحرين شرقا وهدفه قضم هذه الامة باسم الدين والحوار وذلك من خلال المراكز الثقافية التي هدفها المعلن التقريب والتوحيد في حين ان هدفها الأساس، هو التخريب والتدمير واثارة الفتن. واقسم بالله ان الدول العربية الساكتة على ذلك التغلغل سترى في وقت جد قريب نتائج هذا السكوت واثاره الكارثية.

ومن هنا فامامنا عدوين يتربصان شرا بنا لكل أساليبه وخططه لكنهما يتخادمان احيانا عندما يكون الهدف تدمير مقدراتنا (إسرائيل كانت تمد خميني بالسلاح اثناء الحرب مع العراق - إيران كونترا)، لقد دمرت إسرائيل المفاعل النووي العراقي عام ١٩٨١ بغارة مباشرة، لا نعرف ما الذي منعها من تدمير اي مفاعل نووي إيراني او حتى محاولة ذلك..؟

وبعد غزو ٢٠٠٣ فقد سعدت إسرائيل بحل الجيش العراقي وتحول العراق الى دولة فاشلة....لكن من حقق لها ذلك؟ لقد حاولت امريكا من خلال خطط وقرارات لكن المقاومة العراقية كادت تحبط كل ذلك واقتربت هزيمة اميركا في العراق لولا ان إيران قد تغلغلت بسرعة الى مفاصل الدولة من قبل عملائها القدامى والجدد ومدت ميليشياتها بكل اسباب القوة لتبدء حملات القتل والتهجير الطائفي فاضطرت الملايين الى الهجرة من العراق (بعد عام ٢٠٠٦) في موجات لم تحدث ابدا - كما توقع كثيرون - عند بدء الحرب على العراق في ٢٠٠٣. ثم واصلت جرائمها حتى حولت العراق الى دولة فاشلة فحققت لإسرائيل ما لم يكن في احلامها....

إيران عملت و تعمل بجد على الصعيد الدولي وضمن خطط وعمل سياسي دؤوب، ومن خلال اذرع تنتشر في مختلف العواصم، على ربط (السنة) بالارهاب. وقد حققت بذلك نتائج واضحة من خلال دعم عشرات المنظمات غير الحكومية ومراكز البحوث..وهو ما تطلب عمل مضني بالمقابل لمجابهتها لكنه عمل اعتمد على مبادرات فردية دون ان تقف دولة داعمة لذلك.

ختاما، لنكن واضحين....ما المطلوب منا....في تقديري:

١. ليس المطلوب مطلقا التطبيع مع الكيان الصهيوني المحتل بسبب العداوة مع إيران فذلك قمة الخيانة....بل مجابهة المشروعين الاستعماريين.

٢. ليس المطلوب معاداة الشيعة العرب بل العمل على مجابهة عمليات نشر التشيع الذي تقوم به إيران في المجتمعات العربية (السنية).

٣. ليس المطلوب المبادرة والهجوم على إيران بل يجب اجهاض مشروعها التوسعي في بلادنا ومجابهته بالفكر والتنوير وفضح أساليبها ومحاربة ميليشياتها وتجريم اعمالها.

حزام الفتن حول جزيرة العرب

د. نزار السامرائي -
مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية ٢٠١٧/٢/٢٠

ربما كانت الحكومة الشرعية في اليمن وكل من يساندها في معركة الأمة ضد المشروع الإيراني العدواني التوسعي الذي لا يخشى من ردود فعل المسلمين أو المجتمع الدولي عندما يرفع شعار تصدير الثورة ونشر بدعة «ولاية الفقيه» الساقطة أخلاقيا وشرعيا في كل الأرجاء، ربما كانت مقصّرة إلى أبعد الحدود في نشر معاناة أبناء مدينة تعزّ من ظلم مليشيا الحوثيين الإرهابية التي تحاصر المدينة وتخنقها منذ اليوم الأول للانقلاب الذي نفذه الحوثيون بتواطؤ متعدد المحاور إقليميا ودوليا اضطلعت عناصر علي عبد الله صالح في تنفيذه بالدور الميداني الكبير، وكأن هناك ثأرا تاريخيا مع هذه المدينة تحمله أطراف كثيرة متعددة الدوافع والنوايا هذه المدينة التي تتميز بأنها مدينة المعرفة والثقافة والأكثر تقبلا لحوار الثقافات وتلاقحها، ويبدو أن طابعها ودورها الريادي في الثورة الشعبية ضد علي عبد صالح عام ٢٠١١، كان سببا في معظم ما عانت منه وما تزال.

وربما كانت حكومة عبد ربه منصور هادي فاشلة نتيجة عجز أو لعدم وجود رؤية سليمة في كوادرها، في التعرف على آليات التخاطب إعلاميا مع المجتمع الدولي والمنظمات الإنسانية والأمم المتحدة، أما إسماعيل ولد الشيخ أحمد فهو أحد مرتزقة الوظيفة والجاه المفقود اللذين توفرهما له مهمته كممثل للأمين العام لشؤون اليمن ولو كان ذا قيمة تذكر لما فرط به بلده وهو الذي يحتاج إلى أي جهد للخروج من معضلاته الداخلية ولكنه عوض نقصه في العمل للأمم المتحدة، فهو لا يريد لمهمته أن تنتهي أبدا بل هو حاله كحال ديمستورا وكوبلر وغيرهم من شاغلي الوظائف الأممية الذين لا يطيب لهم إلا الرقص على أنين الضحايا الممتزج مع دوي المدافع وأزيز الرصاص بين المتحاربين من دون تكافؤ في حجم القوة النارية ومناظر البؤساء والجائعين والمشردين في الفيافي.

فلماذا تقام كل هذه الضجة الدولية والتي شاركت فيها منظمات حقوقية وإنسانية دولية حول ما يصفه «ولد الشيخ أحمد» في تقريره بعد بدء معركة تحرير «المخا» بالوضع الإنساني المأساوي في الساحل الغربي لليمن «على البحر الأحمر»؟ وأين كانت الأمم المتحدة وممثلها ولد الشيخ والمنظمات الحقوقية والإنسانية عما يحصل لمجموع الشعب اليمني جراء ما تفرضه مليشيا الحوثيين وصالح من إجراءات وتدابير وانتهاكات منهجية لحقوق الإنسان؟ وهل حقا أن المحنة الإنسانية في الساحل الغربي لليمن لم تنشأ إلا بعد انطلاق معركة تحرير الساحل ابتداء من باب المندب وميناء المخا ومن ثم الحديدة وصولا إلى نقطة الحدود مع المملكة العربية السعودية؟ ثم لماذا لا تريد الأمم المتحدة جعل ميناء عدن العاصمة المؤقتة لليمن محطة استقبال المعونات الإنسانية وليس الحديدة؟ على الرغم من أن الجانب الأعظم من تلك المساعدات تأتي من المملكة العربية

السعودية؟ وكأن هناك إصرارا على تحويل تلك المساعدات لصالح ميزانية الانقلابيين الذين يجبون الضرائب عليها وتمويل ميزانية إرهابهم؟ أم أن المحنة تتجسد في سطو المليشيات الخارجة على الشرعية المحلية والعربية والدولية على مقاليد اليمن وثرواته على محدوديتها؟ وفي اعتماد أكثر الوسائل الإرهابية بطشا والمقتبسة من تقاليد دولة الولي الفقيه وشعار تصدير الثورة وأذرعها الخارجية مثل مليشيا حزب الله اللبناني ومليشيا الحقد الطائفي التي يحمل أفرادها الجنسية العراقية المكتسبة بعد الاحتلال الأمريكي الإيراني؟ وإذا كانت نوايا الشر قد حددت الموانئ اليمنية على البحر الأحمر كمراكز للمساعدات الغذائية وغيرها من المساعدات الإنسانية، فهذا جزء من قرار التآمر على الشرعية في اليمن وخاصة من جانب إدارة الرئيس الأمريكي الراحل باراك أوباما التي حرصت على عدم فتح جبهة لها مع إيران في أي ساحة في العالم، وكأنها تسعى للإبقاء على بؤر التوتر الدولية كي يكون ذلك مسوغا لأمريكا للتواجد في كل مكان تحت لافتة حماية الأمن القومي الأمريكي من الأخطار الخارجية.

إن الحديث عن معاناة اليمنيين أمر مشروع لأنه حقيقة لا يمكن تجاهلها، ولكن غير المشروع فيه هو محاولة تحويل جانب منه إلى الشرعية، وحتى في حال تحميل طرف المعادلة مسؤولية متكافئة غير جائز أبدا، فالانقلابيون ينفذون نيابة عن إيران إحدى صفحات المشروع الإيراني التوسعي الذي يريد تطويق الجزيرة العربية بحزام الفتن الفارسية والقواعد البحرية والقواعد الصاروخية لنشر ولاية الفقيه في دول العالم الإسلامي بلا استثناء، ولم يخف زعماء إيران المعممون أو العسكريون أو زعماء الأذرع الإرهابية التابعة لهم نيتهم في بسط الهيمنة الفارسية تحت لافتة التشيع، فاستطاعت استغفال بعض الشيعة العرب الذين هم على استعداد لبيع أنفسهم بثمن رخيص لكل من يدفع أكثر، ثم ليكونوا مخالب وأنيابا لإيران الإرهابية في كل مكان، لهذا يجب على الشرعية مواصلة التحرك العسكري لحسم معركة الساحل وعدم منح الإرهابيين فسحة لاسترداد الأنفاس، كما أن تعزيز التحرك السياسي والدبلوماسي لعزل إيران على الساحة الدولية، والتحرك الإعلامي بنشاط أكبر لتعرية دوافع الضجة التي تشارك فيها أطراف إقليمية ودولية لا تخلو من نكهة فارسية ذات نهايات ناعمة ولكنها مدببة إلى حدود غير متصورة.

وعلى العرب والمجتمع الدولي ألا يقعا فريسة خديعة الزعم الإيراني بوجود تيارين في إيران، إصلاحي ومعتدل، فلا اعتدال في إيران وإنما تبادل أدوار محكوم بدقة من قبل المرشد بين وجوه لا تختلف في تنفيذ المشروع الإيراني العالمي وإن اختلفت على الغنائم وحتى في وجود اختلاف بين المعممين في إيران فهي خلافات تنحصر في من يقدم أكثر لإعطاء دفعة أقوى للمشروع الإيراني التوسعي العدواني.

لكيلا نكون "نعاجيّين"

مجاهد مأمون ديرانية - مدونته ٢٠١٧/٢/١٣

- ١ -

دعوت من نحو سبعة عشر شهراً إلى استئصال عصابة جند الأقصى وتشريد عناصرها لكسر شوكتهم وكفّ شرهم ولوقفهم عن البغي والغدر والعدوان، وكتبت بعدها في التحذير من هذه العصابة والدعوة إلى استئصالها مرات كثيرات، فاتُّهِمت في ديني وأمانتي ولقيت عنتاً كبيراً من الشبيحة والحمقى والمشاغبين. ثم ظهر من ضرر

هذه العصابة وإثمها وبغيها ما كشف أمرها وأثبت شرّها، حتى إذا همّت بعض الفصائل بقتالها (وعلى رأسها أحرار الشام) بادرت جبهة النصرة إلى احتوائها وقدمت لها الحماية والحضن الرؤوم.

ولمّا نشر أبو يحيى الحموي (أمير الأحرار حينها) كلمته المشهورة في هذه العصابة الآثمة ووصفَها بالشرذمة النجسة ردّ عليه حسام الشافعي، المتحدث الرسمي باسم جبهة النصرة، ردّ بعشرات التغريدات التي أسبغ فيها على عصابة الجند من كريم الأوصاف ما جعلها في رتبة الصحابة والأولياء، وكان مما قاله في تلك التغريدات: «عذراً أيها الشيخ الكريم، فإننا لم نقبل بيعة شرذمة نجسة، بل مجاهدين أطهار سمع الجميع بصولاتهم في معركة تحرير إدلب».

ثم دار الزمان نصفَ دورة فصار الأطهارُ خوارجَ وأعلنت جبهة النصرة الحرب عليهم وبدأت بقتالهم قتال الإفناء والاستئصال.

- ٢ -

لن أخاطب جبهة النصرة ولن أسألها، فإنني أعلم أن قتالها للجند إنما هو قتال مصلحة ونفوذ ليس فيه شيء لله، ولا تهمني نتيجة القتال، فإنه وسيلة ينتقم الله بها من الطرفين، وهو من باب ضرب الظالمين بالظالمين، إنما أوجّه خطابي وسؤالي لمَن دافع عن عصابة جند الأقصى يومَها واتهم من قاتلها أو دعا إلى قتالها بالعمالة والخيانة والتحريش والإفساد، سؤالي لهؤلاء الناس: ماذا أنتم اليوم قائلون؟

إنْ قلتم إن الجند مجاهدون أطهار لزم من قولكم أن النصرة (هيئة تحرير الشام) بغاة معتدون آثمون، وإنّا - إذن- بانتظار إدانتكم واستنكاركم لهذا البغي والعدوان. وإن قلتم إن الجند مجرمون آثمون يستحقون القتال والاستئصال فأين تذهبون برأيكم القديم؟ وبأيّ شيء تختلفون عن الذين سُئلوا ذات يوم: ما تقولون في عبد الله بن سلام؟ كيف تكون جماعة الجند يوماً خِياراً من خيار ثم تغدو في يوم آخر شِراراً من شرار؟

سوف تسمعون من النصرة أنواعاً من الأعذار والتبريرات، ولعلهم يقولون: اختلفت الظروف وصار قتال الجند اليوم فريضة ومصلحة بعدما كان بالأمس حراماً ومفسدة. عندما تسمعون منهم هذه التبريرات ستقفون أمام لحظة من لحظات الحقيقة: إما أن تَؤوبوا إلى عقولكم فتنفضوا عنها الغبار وتبدؤوا باستعمالها بعد التعطيل الطويل (وأرجو أنها ما زالت تعمل) أو ستصدقون وتبدؤون بترديد ما تسمعون، فنقول لكم عندها: لكل داء دواء يُستطَبّ به إلا الغفلة والهوى، فاستجيبوا لنداء الهوى والعصبية إن شئتم، أو ابقوا - إن شئتم- نعاجيين.

- ٣ -

وُلدت في اللغة الإنكليزية بعد الحرب العالمية الثانية كلمة جديدة لم تكن من قبل: (Sheeple)، وهي منحوتة من كلمتَي الناس والنعاج (sheep+people) وتصف الذين ينقادون طواعيةً للتوجيه الخارجي. ربما كانت كلمة «نعاجيّين» مناسبة لوصف هؤلاء الأشخاص الذين تخلّوا عن نعمة العقل وزهدوا في التفكير الحرّ وآثروا أن يمشوا مع القطيع كالنعاج بلا تساؤل ولا تفكير، أجّروا عقولهم لغيرهم وقبلوا راضين بأن يكونوا أبواقاً يرددون ما يقوله الآخرون.

يا أيها المؤيدون لجبهة النصرة والمدافعون عنها في كل واد ونادٍ وفي كل حال وحين، ويا من دافعتم بالأمس عن جند الأقصى وخوّنتم مَن قاتلهم قتال الدفاع ودَرْء الشر ودَفْع العدوان: أعيذكم بالله أن تكونوا نعاجيين! افتحوا أعينكم المغلّقة وشغّلوا عقولكم المعطلة ولو مرة واحدة، وعندها ستبصرون الحقيقة: إن جند الأقصى كانوا خوارج على الدوام، وإن جبهة النصرة آوتهم وهم معتدون مُحْدثون، فتحقق فيها وعيد الصادق المصدوق:

«لعن الله من آوى محدثاً»، وسوف تلقى وعيدها ولو بعد حين.

افتحوا أعينكم وشغّلوا عقولكم وسوف تكتشفون الحقيقة، وستدركون أن الدفاع عن المجرمين جريمة تعادل في وزرها وقبحها الجريمةَ التي ارتكبها المجرمون، فلا تكونوا - منذ اليوم- ظهيراً ونصيراً للظلَمة والمعتدين.

الحشد يطبق خطة لتغيير ديموغرافي بالعراق

ليث عبد الواحد – عربي ٢١ ٢٠١٧/٢/٢٢

كشف مصدر موثوق لـ«عربي٢١»، الأربعاء، عن خطة وضعتها مليشيا بدر بقيادة هادي العامري، لإحداث تغيير ديموغرافي في المناطق ذات الغالبية السنية بعد أن تتم استعادتها من تنظيم الدولة.

وقال المصدر رافضا الكشف عن هويته، إن الخطة تتلخص بأن «تنشئ مليشيات الحشد الشعبي منظمات مجتمع مدني تعمل من أجل إعادة إعمار وتأهيل المناطق المحررة بتمويل وإسناد حكومي وحزبي، وحتى من منظمات دولية».

وبعد ذلك، وفقا للمصدر، فإن «المليشيات تتحول إلى منظمات مجتمعية بمختلف الصنوف وتتمدد لتشغل مؤسسات الخدمة، وأجهزة الدولة المحلية بما لها من نفوذ وسلطة وتمويل، ثم يدخل أفرادها الانتخابات كمواطنين أصلاء من أبناء المحافظة».

وأكد المصدر القريب من الحشد الشعبي، أن «هذه الخطة تم بالفعل المباشرة بتنفيذها في محافظتي ديالى والأنبار، فيما يجري اليوم العمل على قدم وساق لتطبيقها في محافظة نينوى بعد استكمال استعادة مدينة الموصل بالكامل».

وكانت «عربي٢١» نشرت في وقت سابق من شهر كانون الثاني/ يناير الماضي، تقريرا عن رفض مليشيات الحشد الشعبي عودة نازحي محافظة ديالى إلى مدنهم بعد مرور أكثر من عام ونصف العام على استعادتها من سيطرة تنظيم الدولة.

ولم يسمح لعودة أكثر من ٢٠٠ ألف نازح

يتواجدون في مخيمات النزوح بعد نزوحهم من مدن «جلولاء، السعدية، المقدادية، الخالص، أبي صيدا، منصورية الجبل»، عقب سيطرة تنظيم الدولة عليها في حزيران/ يونيو ٢٠١٤.

ورغم التعهدات التي أبدتها السلطات الأمنية

في المحافظة قبل نحو شهرين من نهاية العام الماضي بإعادة النازحين خلال مدة أقصاها ٦٠ يوما، إلا أنه لم يتغير شيء على أرض الواقع بعد مرور ١٩ يوما على انقضائها.

وفي تقرير آخر نشرته «عربي٢١» في تشرين أول/ أكتوبر الماضي، كشف عن «قيام مليشيا بدر بافتتاح مقر لها أطلق عليه اسم (المكتب الثقافي لمنظمة بدر) في البوعلوان بمنطقة النسّاف غربي مدينة الفلوجة».

المصادر، أوضحت في حينها أن المقر تم افتتاحه في منزل خال لأحد عناصر تنظيم الدولة، فيما يدير المكتب أحد شباب المنطقة ويدعى اختصارا «ص.م» العلواني.

يذكر أن مصادر خاصة أفادت في ٣٠ حزيران/ يونيو الماضي،

بأن مليشيا الحشد الشعبي وضعت خطوات ستباشر بتنفيذها لتغيير هوية مدينة الفلوجة «السنية»، بعدما تمت استعادتها من تنظيم الدولة بشكل كامل.

وتسيطر مليشيا بدر على قضاء الدور أحد أكبر مدن محافظة صلاح الدين الخالي من

المكون الشيعي، منذ استعادته من تنظيم الدولة في آذار/ مارس ٢٠١٥، فيما اتهمت المليشيا بخطف نحو ١٦٠ مدنيا من أهالي القضاء ولم يعثر عليهم حتى الآن.

وتتعرض محافظة صلاح الدين ذات الغالبية السنية، إلى ممارسات عدة تتبعها منظمات ومليشيات مرتبطة بإيران لتغيير هويتها، وذلك بعدما تمت استعادة أغلب أقضيتها من سيطرة تنظيم الدولة، حسبما ذكرت مصادر خاصة.

وقالت مصادر في حديثها لـ«عربي٢١»، في كانون أول/ ديسمبر الماضي، إن «خطوات التشييع المجتمعي تجرى على قدم وساق منذ استعادة مدن المحافظة من تنظيم الدولة وحتى الآن، وذلك من خلال توافد أبناء المحافظة إلى إيران بذريعتي التدريب والسياحة».

وبالتعاون مع السلطات الرسمية في المحافظة، فإن إيران توجه دعوات إلى أبناء معظم العشائر السنية في المحافظة وأبرزها عشيرة الجبور، لزيارة إيران بدعوى السياحة، وتوفر لهم مبالغ مالية أيضا، ومن ثم تحث العشائر على تدريب أبنائها في إيران، وفقا للمصادر.

جدوى تصنيف الحرس الثوري تنظيما إرهابيا

د. محمد السلمي – الوطن السعودية ٢٠١٧/٢/١٥

تناول مختلف وسائل الإعلام مؤخرا بالحديث، مشروعا أميركيا جديدا لتصنيف الحرس الثوري الإيراني تنظيما إرهابيا. هذا المسعى الأميركي الجديد من الممكن ألا يخرج عن كونه مجرد توجه جديد للرئيس الأميركي دونالد ترمب الذي لا يخفي عداءه لإيران منذ بدء حملته الانتخابية حتى الآن، توجُّه يقضي بمواجهات صريحة بين الإدارة الأميركية الجديدة والنظام الإيراني.

ولكن المتأمل للواقع يكتشف أن كل ما حدث ويحدث لا يزال بادرات أوّلية في مرحلة المناوشات الإعلامية بين طهران وواشنطن، هذه المناوشات التي من المعتاد أن تستغرق وقتا طويلا نسبيّا، وفي كثير من الأحيان تبقى في الإطار الإعلامي. المهم في هذا الصدد أن التوجه الأميركي الجديد، القائم على التصدي للسلوك العدواني الذي ينتهجه النظام الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، في العالم كله، بالإضافة إلى ما تقدّمه إيران من دعم مباشر وغير مباشر للجماعات الإرهابية، وما تقترفه من تغذية للطائفية، إذا كان موجودا وحقيقيا، وأدّى بالفعل إلى تصنيف الحرس الثوري تنظيما إرهابيا، فإنه إذا ظل حبرًا على ورق، دون اتخاذ خطوات حقيقية ورادعة، فقد لا يكون سببا في أي تغير لتوجهات نظام الملالي.

والأمر ليس بدعا ولا ظنّا، فالتاريخ يثبت لنا أن القصة مكررة بحذافيرها، وربما مع نفس الأطراف، فقط مع اختلاف الأسماء، فحزب الله اللبناني، وتحديدا جناحه العسكري، صُنّف تنظيما إرهابيا، إذ صنفت الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد الأوروبي الحزب، وكذلك اتخذ مجلس التعاون الخليجي في مارس ٢٠١٦ قرارا بتصنيف ميليشيات حزب الله بقادتها وفصائلها والتنظيمات التابعة لها والمنبثقة عنها، منظمة إرهابية، وهو القرار الذي أيده وزراء الداخلية العرب، ولكن على الرغم من هذا نجد حزبا يصول ويجول في لبنان وسورية، ويكبر حجمه وتتسع رقعته في العراق وغيرها، فما فائدة مثل هذا التصنيف إذا لم يحظ بتطبيق فعلي وإجراءات مناسبة تحدّ من مخاطر الكيان المصنف إرهابيا؟

والشرط الأساسي لاتخاذ خطوات جادة وحقيقية في هذا الصدد هو أن تكون الإدارة

الأميركية التي تُبدِي العداء للنظام الإيراني، أن تكون جادة في التصدي لسلوك الحرس الثوري، عازمة على استئصال خطره من الجذور، فإذا كان لديها هذا العزم فإن عليها أن تتتبّع أذرع هذا التنظيم من أجل محاصرتها وتضييق الخناق عليها حتى يصيبها الإجهاد وتستنزف مواردها فيقل خطرها حتى ينتهي.

وللحرس الثوري الإيراني أربع أذرع رئيسية:

الذراع الأولى هي الذراع العسكرية، مع كل ما يرتبط بها من ميليشيات ومرتزقة مجلوبة من باكستان وأفغانستان، وأُنفِق عليها ملايين الدولارات لتجهيزها وتسليحها، ثم نشرت في عدة دول في المنطقة، مثل العراق وسورية.

أما الذراع الثانية فهي الذراع الاقتصادية للحرس، وتضم ما للحرس الثوري من استثمارات ضخمة حول العالم، ويمكن للإدارة الأميركية أن تتتبع عناصر هذه الذراع الذين يظهرون في هيئة مدنية، ثم تضعهم على قوائم المطلوبين، بما يقيّد حركتهم ويهدد استثماراتهم ويغلق صنبور الأموال الذي يصب في حوض الحرس الثوري، بما ينعكس اقتصاديا بالسلب على قادة الحرس الثوري ورموز النظام الإيراني، وقبل هذا وبعده على تسليح الحرس الثوري والمرتزقة التابعين له.

أما الذراع الثالثة من أذرع الحرس الثوري التي ينبغي للإدارة الأميركية قطعها من منبتها، فهي النشاط الأيديولوجي لهذا التنظيم، وهذا النشاط ينشط عن طريق ما يسمى «المراكز الثقافية» التي تنشئها إيران في عدد كبير من الدول، وفي الجامعات الخاصة التي يبنيها النظام الإيراني لنشر أفكاره وبثّها لتطويع العقول لتقبّل نظام الملالي وولاية الفقيه، كما أن هذه المراكز أدوات فعالة كأداة لزرع خلايا جاسوسية في الدول.

أما الذراع الرابعة والأخيرة التابعة للحرس الثوري فهي المؤسسات «الخيرية»، وهي مؤسسات يزعم النظام الإيراني أنها مؤسسات خيرية تهتم بالعمل الإنساني، إلا أن الواقع يقول إنها توفر غطاء اجتماعيا لما يمارسه الحرس الثوري من خلالها من نشاطات تجنيد لأعضائها، وتوغّل في المجتمعات المختلفة في دول المنطقة والعالم. فإذا كانت الإدارة الأميركية، والرئيس الأميركي دونالد ترمب، جادَّين في حملة العداء المعلنة ضد النظام الإيراني، فإن هذا العداء لن يكون له أثر، لا على المدى القريب ولا على المدى البعيد، ما لم يترجم إلى إجراءات حازمة وحاسمة، من شأنها بتر أذرع الحرس الثوري الأربع، لتجفيف منابعه الاقتصادية التي تُمدّه بالمال لشراء وتطوير السلاح والإنفاق على ميليشياته الإرهابية، وإعلان أعضائه قادة وجنودا إرهابيين، إيرانيين كانوا أو غير إيرانيين، ليستشعروا الخطر والتهديد الحقيقي، خصوصا مع ما سيتعرض له التنظيم من أزمة اقتصادية، بالإضافة إلى التعاون مع الدول المختلفة التي تنشط فيها المؤسسات «الخيرية» و«الجامعات» التابعة للحرس الثوري، لفرض رقابة صارمة عليها على أقل تقدير، أو إغلاقها إذا أمكن ولزم الأمر، لمنع نشر أيديولوجيا الحرس الثوري والنظام الإيراني في هذه الأماكن. ودون اتخاذ هذه الخطوات فإن تصنيف الحرس الثوري تنظيما إرهابيا، سواء نُفّذ أو لم ينفَّذ، سيظل - كما قلنا - حبرا على ورق.

رؤية تركيا لأهمية
تحرير "الباب" لصالح السوريين

محمد زاهد غول - صحيفة القدس العربي ٢٠١٧/٢/١٨

من ضرورات فهم المعارك والحروب العسكرية فهم المسارات السياسية التي تصاحبها، سواء كانت قبلها أو بعدها، والأهم في الغالب ما يتبعها من أحداث ومسارات سياسية، تتخذ من المعارك العسكرية وسيلة لتحقيقها.

وتركيا بدعمها لـ «الجيش السوري الحر» بوصفه الفصيل العسكري الوطني الأكبر لقوات المعارضة في شمال سوريا تسعى لتحقيق أهداف مشتركة، وفي مقدمها تأمين المناطق العربية لسكانها الأصليين، لمنع احتلالها من الأحزاب الانفصالية، أو لتحريرها منهم إن كانوا قد احتلوها بذرائع كاذبة ودعم خارجي.

ففي حين غفلة محلياً، ومدروسة دولياً من أمريكا وإيران وبشار الأسد ونوري المالكي ظهر تنظيم «الدولة» في العراق وسوريا واستولى على معظم الأراضي العراقية والسورية، في مشهد عسكري غير صادق ولا بريء، مما أضطر وزير الخارجية الأمريكي جون كيري إلى اتهام نوري المالكي بأنه هو المسؤول عن تسليم الموصل لتنظيم «الدولة»، وكذلك تعرف المخابرات الدولية أن بشار الأسد على صلة مع بعض قادة تنظيم «الدولة» قبل أن يطلق سراحهم من سجونه وبعدها. أما دونالد ترامب الرئيس الأمريكي فقد اتهم سلفه باراك أوباما بتأسيس تنظيم «الدولة» أو«داعش»، لأن إدارته هي المشرفة على التسهيلات التي قدمها المالكي وبشار للتنظيم، الذي من مستودعات الأسلحة والعربات المدرعة والذخيرة الكبيرة في سوريا والعراق معاً، فقد ورث التنظيم من المالكي وحده عتاداً وأسلحة وذخائر أربعة فرق عسكرية انسحبت من الموصل وسلمتها للتنظيم.

لذا كان من الواجب في ذلك الوقت تحليل أهداف هذه الدول من تسهيل تأسيس «الدولة».

لكن شدة الأحداث واللغط الدولي الذي صنعته إدارة أوباما من مؤتمرات في جدة وباريس وغيرها لتشكيل تحالف دولي لمحاربة «الدولة « كما وصفها بيان مؤتمر باريس في ١٥ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٤ وتشكيل تحالف من ستين دولة صرف الأنظار عن الأسئلة المهمة، ولكن تركيا رفضت المشاركة في الأعمال العسكرية للتحالف لمحاربة التنظيم حتى تُبين أمريكا خطتها وأهدافها من تشكيل هذا التحالف وطبيعة عملياته العسكرية، لكن أمريكا رفضت ذلك، لأنها تريد إدارة المعركة لسنوات قبل أن تعمل على تصفية هذه الدولة المزعومة، مع استغلال أعمالها المشبوهة لربط تهمة الإرهاب بالإسلام وليس بالتنظيم المتمسح باسم الإسلام فقط.

وبقيت تركيا لأكثر من سنة وهي ترفض المشاركة في العمليات العسكرية للتحالف الدولي ضد «الدولة» في سوريا والعراق، ولكن أمريكا وبعد فشلها في توريط تركيا بهذه الحرب المجهولة، وفشلها في توريط الفصائل السورية المعتدلة في أن تدخل في قتال مميت مع هذا التنظيم، لاقتناعها بأنه أداة بيد الغير، وبالتالي يمكن استغلاله في معارك مع كل الأطراف لمجرد القتال وتحقيق المصالح الدولية فقط.

ظهور تنظيم «الدولة» واستهداف المناطق السنية

هكذا بقيت جبهات سوريا والعراق مشتعلة لسنوات من بعد ظهور» الدولة» وستبقى كذلك، لأن من أهداف تأسيسه تدمير البنية التحتية في العراق وسوريا، وبالأخص الأماكن التي توصف

ديمغرافيا بالمناطق السنية، فتم تدمير كل مدن السنة في العراق، والآن يتم تدمير الموصل على مرأى العالم بحجة تحريرها ممن يسمى بـ«داعش»، بينما عملت أمريكا بحجة تطهيرها من التنظيم على محاولة تنفيذ مشروع التقسيم بإعطاء المدن العربية إلى تنظيمات إنفصالية كردية طامعة في تكوين كيان سياسي خاص بها.

والخشية أن تبقى أمريكا وحتى بعد أوباما متبنية لهذه الاستراتيجية القديمة في تقسيم سوريا، ولكن بطريقة مختلفة، ليس بفرضه بالقوة العسكرية، بل ستجعل منه خلاصا يطالب به الشعب السوري السني والعلوي والدرزي والكردي والعربي والتركماني، ولذلك كان لا بد من إنقاذ ما يمكن إنقاذه طالما أن إيران وروسيا وأمريكا متفقون على تقاسم المصالح في سوريا بتقسيمها على أتباعهم، فالصراع الآن على المدن ومن يأخذها تحت سلطته قبل أن تفرض أمريكا وروسيا والأطراف المشاركة في الصراع السوري وقف إطلاق نار ملزم أولاً، وتحت طائلة العقوبة والحساب عند مخالفته ثانيا.

لقد استغلت أمريكا حاجة العرب السنة في العراق وسوريا إلى الحفاظ على ذاتهم سياسيا وعسكريا، ودفعت بهم إلى المشاركة في العملية السياسية في العراق بحسب دستور بريمر، ولكنهم لم يحققوا شيئا من النفوذ السياسي ولا العسكري ولا المالي، وتم تكرار الأمر نفسه بهم في سوريا قبل أن يأتي دستور روسيا الذي وزعته في مؤتمر أستانة الأول على استحياء، فكانت ردود أفعال السنة انفعالية، فتشتت قواهم وانتماءاتهم وفصائلهم السياسية والعسكرية، وفوق ذلك أخطأ كثير منهم بوثوقهم في الوعود الدولية الكاذبة بأن المؤتمرات السياسية في جنيف أو فيينا أو أستانة قد تأتيهم بالحل السياسي، بينما هم يساقون إلى الاستسلام والتقسيم، ولذلك لم يكن أمام تركيا إلا أن تدعم «الجيش السوري الحر» باسترداد أراضيه ومدنه وقراه وأريافه من أيدي المحتلين لها، سواء كانوا أحزاباً انفصالية كردية، أو من تنظيم «الدولة».

لقد حاولت تركيا ان تسترد هذه المدن من «الدولة» دون قتال ودون قتل لأن في مدينة الباب وحدها مائة ألف من المواطنين المدنيين، وتركيا حريصة على أرواح الأبرياء. وقد انسحب تنظيم «الدولة» من مواقع وأُخرج من أخرى بالقوة المحدودة ولكنهم رفضوا في غيرها، فكان لا بد من استعمال القوة التي يملكها «الجيش السوري الحر»، ولأن بقاء تنظيم «الدولة» في هذه المدن والأرياف لن يوقف القتال في سوريا، بل سيجعلها سببا لمواصلة كل ألوان العدوان الروسي والأمريكي والإيراني والكردي، الذي يواصل تدميره لسوريا، بحجة تحريرها من «الدولة»، بينما سيطرة الجيش السوري الحر عليها يعني امتلاكها من قبل أهلها أولاً، وهو ما يحقق للشعب السوري مناطق آمنة يلجأ إليها من أمكان الاقتتال والصراع.

لماذا تأخرت تركيا في دخول الباب؟

لقد تأخرت تركيا في دخول الباب لعدة أشهر من موعدها المرسوم لأنها لا تريد أن يكون هناك عدد كبير من الضحايا المدنيين ومن «الجيش السوري الحر» ولا من الجنود الأتراك الذين يقدمون الدعم لـ«الجيش السوري الحر»، لكن ما أخر ذلك ليس «الدولة» وحده وإنما محاولة إيران عرقلة مسار مؤتمر أستانة، ومحاولة بشار الأسد مقايضة خروج «الدولة» لإدخال قواته فيها بأوامرإيرانية، ومقابل إفساح المجال لقوات «الدولة» في أماكن أخرى، فهو يريد الباب للمفاوضات السياسية والمساومة على مواقف أخرى، بينما «الجيش السوري الحر»

أقدر على دخولها واستردادها، فقال الرئيس التركي رجب طيب أردوغان يوم الأحد ١٢ من الشهر الحالي وهو يغادر تركيا إلى البحرين: «إنّ طرد تنظيم «داعش» الإرهابي من مدينة الباب بريف حلب الشرقي، بات مسألة وقت لا أكثر، وإن قوات الجيش السوري الحر المدعومة من قبل تركيا، يمكنها إعلان السيطرة على المدينة في أي وقت». وأوضح « أنّ قوات «الجيش السوري الحر» وقوات المهام الخاصة التركية، دخلتا مركز مدينة الباب، وأنّ عناصر «داعش» الإرهابية بدأت بإخلاء مواقعها والانسحاب إلى خارج المدينة».

لقد حاولت إيران عرقلة عملية «درع الفرات» باستهداف ثلاثة جنود أتراك بتاريخ ٢٤ تشرين ثاني/نوفمبر ٢٠١٦، وهاهي روسيا تحاول عرقلة العملية في مدينة الباب أيضاً باستهداف مقاتلة روسية لموقع الجنود الأتراك قبل أيام فقتلت ثلاثة وجرحت أحد عشر.قالت روسيا في ردها الرسمي» أن القصف كان عن طريق الخطأ»، ولكن ليس مستبعداً أن تكون قد اعتمدت في إحداثياتها على جيش الأسد. وقد رد أردوغان عن قتل الجنود الأتراك بالقول: «إن رئاسة هيئة الأركان التركية نشرت معلومات كافية حول هذا الموضوع، وإن ما دار من حوار بيني وبين نظيري الروسي فلاديمير بوتين، يلخص حقيقة هذه الحادثة»، دون أن يذكر تفاصيل تلك المحادثة. ولكن مواصلة تركيا التقدم في الباب يعني أن روسيا تتفهم الأهداف التركية، بحق الشعب السوري تطهير مدنه من الأجانب، ورداً على سؤال حول ما إذا كانت عملية «درع الفرات» ستنتهي بعد السيطرة على مدينة الباب، أجاب أردوغان: « إنّ العملية لن تتوقف عقب تحريرالمدينة المذكورة من «داعش»، وأنّ الهدف الرئيسي لتركيا، هو تطهير كافة المنطقة من عناصر التنظيم، وتعلمون أنّ المعقل الرئيسي للتنظيم، محافظة الرقة الشمالية، فعندما يتم تطهير الرقة من هؤلاء الإرهابيين، حينها يمكننا القول بأنّ شمال سوريا خلت من «داعش»».

وتركيا تعلم أن حسم الموضوع في الباب يحتاج إلى دعم من قوات التحالف، ولكن أمريكا لم تلبي الدعوة التركية حتى الآن، وتراوغ في مسألة الباب وتحرير الرقة، بل عندما حاصر «الجيش السوري الحر» مدينة الباب بدأت أمريكا تتلكأ في تحرير الرقة وتؤجلها، وربما تعمل لإبقائها مع تنظيم «الدولة» لاستقبال الفارين من الموصل، بدليل عدم استهداف قوافلهم التي تدخل سوريا من العراق، وكذلك لا تمانع تقديم تنظيم «الدولة» الدعم لقواته في الباب من الرقة، وكأنها تعاكس الخطة التركية لتحرير الباب.كما أن ميليشيات إيران والأسد يواصلون خرق الهدنة لعرقلة التفاهم التركي الروسي، وهذا لا يتم إلا بالتفاهم مع أمريكا، لأن أمريكا لم تقبل خروج الرعاية للحل السياسي إلى أستانة بديلا عن جنيف، وعملت من خلال إيران والأسد وبعض الدول العربية إلى إعادة المفاوضات إلى جنيف، وجعل الروس طرفا شريكا وليس راعياً للمؤتمر.

لقد استطاعت تركيا من خلال دعم «الجيش السوري الحر» تحرير بعض مدنه وهو يواصل تحرير الباقي، وتسعى تركيا من خلال مطالبتها بالمنطقة الآمنة جعل هذه الأراضي التي يسيطر عليها «السوري الحر» أولى المناطق الآمنة، فتركيا اضطرت إلى أن تكون في المعركة لتكون فاعلة على طاولة المفاوضات كما خططت الحكومة التركية، سواء في سوريا أو في العراق، فمستقبل سوريا والعراق يمس الأمن القومي التركي مباشرة، ولذلك أجاب أردوغان على السؤال السابق إن «درع الفرات» سوف يستمر بعد الباب إلى منبج، حيث لا ذريعة أن تبقى تحت سيطرة قوات «حماية الشعب الكردية» بعد تحريرها من «الدولة»، فـ«الجيش السوري» الحر أولى بها، لأن منبج مدينة

عربية وليست كردية، هذا إذا تم قراءة الجغرافيا السورية قراءة قومية. إن تركيا تأمل أن تكون الادارة الأمريكية الجديدة جادة في إقامة مناطق آمنة لمساعدة الشعب السوري من القتل والاضطهاد الطائفي والعرقي، فتركيا لا تقاتل بالنيابة عن الشعب السوري أولاً، ولا تدعم «الجيش السوري الحر» إلا من أجل أن يجد الشعب السوري منطقة آمنة، تأمل ان تجد مشاركة أمريكية لرؤيتها، ولا خلاف على أن تأخير انسحاب «الدولة» من الباب قد اعاق تحريرها، ولكن السؤال من يطالب «الدولة» بعدم الانسحاب؟ ومحاولة الأسد بالسيطرة على الباب تعطي جواباً أولياً، ولكن السؤال التالي من يطلب من الأسد المزاحمة على السيطرة على الباب؟ وهل الهدف مواجهة الجيش السوري فيها أم منع المنطقة الآمنة، التي يدرك الأسد أنها ستكون ضد أحلامه باستعادة السيطرة على شمال سوريا.

لقد أعلنت تركيا أنها على استعداد للمشاركة الدولية في تحرير الرقة، ولكنها لا تقبل ان يكون تحريرها بمشاركة قوات سوريا أو أي ميليشيا انفصالية، كما لا ترى بأن تقدم محاربة «الدولة» على إسقاط الأسد في الرؤية الأمريكية الجديدة قد لا تكون صحيحة، لأن الأسد هو المتسبب و«الدولة» هي النتيجة، الأسد هو الأصل وتنظيم «الدولة» هو الفرع، فقطع الفرع لا يحل المشكلة، ولو قطع الأصل يزول معه الفرع حتماً، بانتهاء أسباب وجوده، وتركيا قادرة على تشكيل قوة عسكرية تقدر بعشرة آلاف مواطن سوري لتحرير الرقة، وحتى يكونوا حراس المنطقة الآمنة على الأرض، بينما أمريكا لم تعلن عن موافقتها على الرؤية التركية.

لم يخف الرئيس التركي أردوغان خططه للمنطقة الآمنة عن الرئيس الأمريكي ترامب، ولا عن مدير المخابرات الأمريكية بومبيو عند زيارته لتركيا يوم ١٢ من الشهر الحالي، ولكن أمريكا حتى الآن تشارك تركيا بالموافقة على المنطقة الآمنة دون إعلان موقفها من مشاركة «قوات سوريا الديمقراطية» أولا، فإذا كان ترامب جادا بمعالجة المشاكل الأمنية في الشرق الأوسط فعليه أن يتجاوب مع مطالب أهلها الرئيسيين، وعدم وضع خطط مشتركة مع المحتلين الأجانب كما فعل أوباما مع إيران، ولا السعي لتغيير التقسيمات السياسية الحالية في سوريا والعراق ولا غيرها، وإلا فإن الاستقرار الأمني لن يجد سبيله لعقود قادمة.كما أن تقسيم سوريا والعراق سيخدم في النهاية أهداف إيران في إيجاد كيانات طائفية تابعة لها، كما أن محاولة حل المشكلة السورية ببقاء الأسد سيكون مكافأة أخرى لإيران من ترامب في اللحظة التي يدعي أنه سيمزق الاتفاق النووي معها، وأن سياسته نحو إيران ستكون مختلفة عن سلفه أوباما.

الدستور الروسي
في سوريا ونموذج الشيشان

حسن أبو هنية – عربي ٢١ ٢٠١٧/١/٢٩

عندما شرعت أمريكا بغزو العراق في ٢٠ آذار/ مارس ٢٠٠٣ على خلفية «حرب الإرهاب» كانت روسيا في نفس الوقت تجري استفتاء على الدستور التي قدمته إلى الشيشان وكانت نتيجته محسومة سلفا بالموافقة. حينها قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين: إن مسالة وحدة أراضي روسيا، وبمعنى آخر مسألة استقلال الشيشان، قد أقفلت بعد الاستفتاء الذي عبر الشيشانيون من خلاله عن خيارهم السلام على حد قوله، واليوم تقدم روسيا مسودة دستور جديد لسوريا بالتزامن مع عودة أمريكا إلى العراق مع تصاعد حملة «الحرب على

الإرهاب». وإذا كانت روسيا بوتين أنجزت مهمتها في الشيشان مع تصاعد اليمين المحافظ لأمريكا جورج بوش فإن روسيا بوتين تسعى لإنهاء مهمتها في سوريا مع تنامي اليمين الشعبوي لأمريكا دونالد ترامب.

لا يختلف الدستور الروسي المقترح في سوريا جوهريا عن الدستور الروسي المنجز في الشيشان، فكلاهما يعيد تعريف هوية الدولة بما يضمن هيمنة روسية مطلقة، حيث تقترح المسودة الروسية منح رئيس الجمهورية صلاحية إعلان الاستفتاء حول المصالح العليا للبلاد وإزالة تعابير تشير إلى عربية الجمهورية السورية وإحلال اسم «الجمهورية السورية» وجعل تغيير حدود الدولة ممكنا عبر الاستفتاء العام، وإزالة أي مادة تشير إلى هوية الدولة الإسلامية تحت ذريعة حماية الأقليات، ويأتي مشروع الدستور المقترح بعد توقيع اتفاقيات بعيدة المدى تضمن تفرد روسيا بسوريا وفي سياق نظرية سوريا المفيدة بعد تدمير حلب والسيطرة عليها كما حدث مع تدمير غروزني كمدينتين شكلتا رمزا للمقاومة والمعارضة في كلا البلدين.

في سياق استغلال واستثمار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الحملة الأمريكية في «الحرب على الإرهاب» وهي حروب وضعت وصممت لتبرير الغزو والاحتلال والهيمنة والسيطرة تتبادل القوى الكبرى المصالح والمنافع والأدوار حيث يتحول «الإرهاب» إلى مسألة ذاتية غير موضوعية قابلة للتفسير والتأويل، فعندما غزت أمريكا العراق قايضت العراق بالشيشان وبعد أن كانت أمريكا ترفض وصف المعارضة الشيشانية بالإرهاب وتعتبرها حركة مقاومة مشروعة بدلت موقفها وأدرجت تلك المعارضة على قائمتها الإرهابوية، وشرّعت الأبواب لتنكيل روسيا بالمعارضة الشيشانية المطالبة بالاستقلال.

تحاول روسيا أن تستنسخ الحل الشيشاني في سوريا على وقع «حرب الإرهاب» رغم الفروقات المعتبرة بين البلدين وصعوبة نجاح ذات الخطوات والتكتيكات في إطار الإستراتيجية الروسية التي تهدف إلى إثبات قدرة روسيا على التدخل العسكري في جوارها البعيد في الشرق الأوسط إلى جانب قدرتها على التدخل العسكري في جوارها القريب في القوقاز وأسيا الوسطى، إذ تساعد هذه التدخلات روسيا على خلق الأوهام بأنها لا تزال قوة عالمية قادرة على فرض أجندتها من خلال استثمار مواردها العسكرية والدبلوماسية.

جاء تدخل روسيا في سوريا في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥ بعد لقاء أوباما بوتين على هامش اجتماعات الأمم المتحدة وتفاهمات وزراء خارجية البلدين كيري لافروف، حيث تبدلت التوجهات والاتجاهات بمزيج من العمل العسكري والدبلوماسي حين جلب الرئيس الأسد إلى موسكو بزيارة مفاجئة في منتصف تشرين الأول/أكتوبر وفي وقت لاحق من الشهر نفسه التقى وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف مع وزير الخارجية الأمريكية جون كيري، فضلاً عن وزراء خارجية المملكة العربية السعودية والأردن وتركيا وإيران في فيينا. وبعد ذلك اجتمع ممثلون عن ١٩ دولة في نفس المدينة، بناء على طلب روسيا، لمناقشة حل سياسي لمستقبل سوريا، وأعقب ذلك مجموعة أخرى من المحادثات في ١٤ تشرين الثاني/نوفمبر مما أدى إلى صفقة طَموحة لم تكتمل آنذاك وباتت ناجزة في أستانة.

على خطى الشيشان عمل بوتين في سوريا عبر محطات عديدة وآخرها الأستانة على حشد تأييد دولي للحصول على دعم وتأييد الإستراتيجية الروسية التي تهدف إلى تحويل الثورة السورية من أزمة إلى عملية لمكافحة الإرهاب، فاتفاق ١٤

تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٥ كان عبارة عن «خطة سلام» من ثماني نقاط وزعتها روسيا في الأمم المتحدة قبل المحادثات، وتنطوي على صياغة دستور جديد مع مراعاة المدخلات التي ستقدمها جماعات المعارضة وتنظيم انتخابات رئاسية بحلول عام ٢٠١٧، الأمر الذي سوف يقدم في مؤتمر أستانة في ٢٣ كانون الثاني/يناير ٢٠١٧.

في محطة أستانة تموضعت الثورة السورية في سياق الإستراتيجية الروسية للحرب على الإرهاب، وهذه المرة لم تقتصر على مشاركة دولية بل قوى كانت تعد ثورية حيث تكون وفد المعارضة السورية من ممثلين عن ١٤ فصيلاً عسكرياً هي: «فيلق الشام» و«جيش العزة» و«جيش الإسلام» و«صقور الشام» و«جيش إدلب الحر» و«جيش النصر» و«شهداء الإسلام» و«الفرقة الساحلية الأولى» و«صقور الشام» و«الجبهة الشامية» و«تجمع فاستقم» و«لواء السلطان مراد» و«الجبهة الشامية» و«الجبهة الجنوبية» (تجمع فصائل الجيش الحر في الجنوب السوري)، إلى جانب مستشار سياسي وحقوقي، وقد جاء البيان الختامي لأستانة ليؤكد على أن «تعيد الوفود المشاركة تأكيد إصرار الجميع على القتال ضد تنظيم «داعش» و«النصرة» على أن يجري فصل مجموعات المعارضة المسلحة منها.

على خطى الشيشان تمضي سوريا فالإستراتيجية الروسية لبوتين تمكنت من تحويل المقاومة والثورة إلى تكتيكات «حرب الإرهاب» حيث تصبح الشيشان نموذجا ناجحا في تحويل الثورة إلى حرب على الإرهاب، كما صرح رئيس الوزراء ديمتري ميدفيديف في وقت سابق أن الشيشان تشكل «نموذجا فريدا في تاريخ مكافحة الإرهاب»، وهو نموذج استنسخ في سوريا واستند في الشيشان على قصف وحشي دون تمييز دمرت فيه غروزني بشكل عشوائي أسفر عن مقتل الآلاف من المدنيين وتم إجبار الآلاف على النزوح عن ديارهم وبعدها بدأت روسيا استهداف المعتدلين.

النموذج الشيشاني الناجح في روسي أفضى إلى تبعية الشيشان الكاملة لروسيا، عندما أشرف الكرملين على الانتقال السياسي في غروزني وتم صياغة دستور جديد وتعيين أسرة قاديروف الديكتاتورية في السلطة عن طريق انتخابات رئاسية صورية. لقي أحمد قاديروف، أول قائد اختاره بوتين، مصرعه بقنبلة عام ٢٠٠٤. وحلّ محله ابنه رمضان قاديروف الذي لا يمل من القول بأن رئيس الشيشان وجنود الشيشان جميعهم مستعدون للتضحية من أجل الرئيس بوتين، ومن أجل الدفاع عن روسيا.

بالنسبة لروسيا لا فرق بين قاديروف أو بشاروف وحتى علوشوف فالأهم هو تثبيت النفوذ الروسي في سوريا كما الشيشان بوجود نماذج ترتدي زي حكماء مكافحة الإرهاب على الطريقة الروسية، فالرئيس الشيشاني رمضان قديروف دعا إلى تطبيق النموذج الروسي في الصراع السوري والاقتداء بحملة مكافحة الإرهاب في الشيشان ونصح المعارضة السورية بالتوحد مع جيش الرئيس السوري بشار الأسد، في المعركة المشتركة ضد الإرهاب، وكتب على صفحته على إنستغرام، مذكراً أنه في جمهورية الشيشان، وخلال فترة قصيرة نسبيا من الزمن تم القضاء بالكامل على الإرهابيين الدوليين من ٥١ بلدا، وقال قديروف «لا يوجد أي بلد آخر، باستثناء روسيا، التي يمكن أن تقضي على بؤر الإرهاب، الذي يهدد سلامة البلاد. وهنا كان يجري نفس الشيء الذي يجري في سوريا».

ما قامت به روسيا في الشيشان يجري على قدم وساق في سوريا من خلال إيجاد معارضة موالية بعد تطهير المعتدلين ثم المتطرفين، فقد عمدت روسيا في الشيشان إلى إستراتيجية عسكرية ـ أمنية تقوم على تصفية القيادات الشيشانية جسديا، بدءا بـ«جوهر دودايف»، ومروراً بـ«زيلمخان يندربايف»، ووصولا إلى «مسخادوف»، وامتدت إلى القيادات الجهادية كشامل باسييف، أو من المقاتلين الأجانب أمثال: خطاب، وأبي الوليد الغامدي، وأبي حفص الأردني وغيرهم، والبحث عن قاديروف سوري يتماهى مع متطلبات مكافحة الإرهاب الروسية التي تستند إلى رفع كفاءة من الأجهزة الأمنية في الحرب على ما يسمى الإرهاب.

خلاصة القول أن روسيا تعمل على تطبيق نموذج الشيشان في «الحرب على الإرهاب» على سوريا لترسيخ مكانتها كقوة عالمية قادرة على فرض نفوذها العسكري والسياسي في جوارها القريب والبعيد وهي تتبع إستراتيجية أقرت مرتين في عهد بوتين تتعلق بالأمن القومي ومحاربة الإرهاب تعتمد على استخدام مواردها العسكرية والدبلوماسية لحشد تأييد دولي وتستند إلى تكتيكات تعتمد على خلط الاعتدال بالتطرف في الصراعات واستدخال قوى محلية طموحة تتدرج من اعتبارات الثورة والمقاومة إلى مقتضيات مكافحة التمرد وحرب الإرهاب، ورغم الفوارق بين حالة الشيشان وسوريا إلا أن مسارات الصراع السوري وسلوك المعارضة لا يشي بنتائج مغايرة فقد توقفت جبهات القتال مع النظام ومقاومة الاحتلال واشتعلت المعارك بين الفصائل وفق مقتضيات حرب الإرهاب.

عمالة بين الأمس واليوم – عمالة السيد شبر ودناءة الشيخ علي سلمان

عبد الرحمن السقاف – منتديات مملكة البحرين ٢٠١٧/٢/٢٢

تتنوع العمالة، وتتشكل الخسة، وتختلف الدناءة، غير أنّ أشد أنواع الدناءة، وأشد حالات الخسة أن يبيع الإنسان وطنه، ويرتمي في احضان العدو، ظاناً منه أنه صديق حبيب!

١٤ فبراير ٢٠١١م، وما حصل فيه من انقلاب فاشل مظلم! من حسنات هذا الانقلاب أنه كشف كثيراً من الوجوه المزيفة، والتي تدّعي حب الوطن! من الذين كشفت عمالتهم مبكراً، وبانت نواياه ومخططاته، الشيخ علي سلمان. أراد أن تكون بلاده مرتعاً للفوضى والفساد.. وهاله وأغضبه أن تنعم بلاده بالأمن والاستقرار.

الشيخ علي سلمان يدّعي العروبة والمواطنة، غير أن قلبه وهواه يميل لناحية الشرق، وتحديداً للفارسي الصفوي. فيرى في إيران الصفوية الملاذ والخلاص. كان يُخفيه في صدره، حتى انطقه الله به على حين غره.

وَمَهما تَكُن عِندَ اِمرِئٍ مِن خَليقَةٍ
وَإِن خالَها تَخفى عَلى الناسِ تُعلَمِ

دخل درع الجزيرة لإعادة الأمن والاستقرار فما كان من الشيخ علي سلمان إلا أن يُعلنها صارخاً مذهولاً وضارباً بيده على الطاولة: «سنستنجد بإيران». كلمة تحمل خساسة ودناءة ببيع الوطن بثمن زهيد لعدو صفوي!

لم استغرب حقيقة هذا الموقف من العميل الصفوي (علي سلمان)، فالتاريخ يُعيد نفسه، وله في ذلك سابقة، سبقه بها السيد شبر الستري!

يقول علي البلادي البحراني في كتابه:

(أنوار البدرين)، صفحة (٢٤٢): « العالم المحدث الأجل السيد شبر ابن السيد علي ابن السيد مشعل الستري البحراني الغريفي كان رحمه الله تعالى من العلماء المحدثين والفقهاء المتبحرين... وكان السيد شبر المذكور في آخر عمره أخذته الغيرة الإيمانية على ما جرى على أهل البحرين من الحكام المتغلبين عليها من الظلم والعدوان وغصبهم الأموال وتشتتهم في كل مكان وأداه نظره واجتهاده وإن لم يُوافقه عليه أكثر علماء زمانه إلى جمع العساكر من أهل البحرين والقطيف الساكنين هناك لأخذ بلاد البحرين من أيدي أولئك المتغلبين الظالمين فاقتضى نظره الشريف أن يستند أولاً إلى سلطان العجم وهو (ناصر الدين شاه القاجاري)، ليكون له ظهراً ولكون البحرين ملكاً للعجم وتغلب عليها أولئك فلما سمع بذلك المتغلبون عليها هنالك أرسلوا إلى حاكم شيراز بالهدايا الكثيرة والبراطيل الوفيرة لكسر سورة ذلك السيد وسافر ذلك السيد إلى شيراز فلم يجتمع به ذلك الحاكم ولم ينظر إلى ما جاء إليه ذلك العالم فبقي في شيراز مقدار أربعة أشهر متكدر الخاطر عادم المعين والناصر إلى أن تُوفي بغصته قبل بلوغ أمنيته ».

كانت حادثة السيد شبر واستنجاده بالعدو الفارسي الصفوي، قديمة أكل عليها الدهر وشرب، تقارب عام ١٢٨٥هـ، أي في عهد الشيخ علي بن خليفة بن سلمان رحمه الله، وأعادها (علي سلمان) في عام ١٤٣١هـ، في عهد جلالة الملك حمد بن عيسى ال خليفه حفظه الله، أي بعد (١٤٦ سنة).

تشابهت الدناءة واتفقت العمالة بين السيد شبر والشيخ علي سلمان، ولعل جينات الصفوية تنتقل من سابق إلى لاحق!

وصدق قول الشاعر:

ففي السماء طيور اسمها بقع

إنَّ الطيور على أشكالها تقع

ولله الحمد كلا الاثنين ـ السيد شبر والشيخ علي سلمان ـ غصّا بجريرة عمالتهما، وباءا بخساسة دناءتهما، ورد الله كيدهما في نحرهما، وكانت البشارة العظيمة، أن حفظ الله مملكة البحرين قديماً وحديثاً.

لماذا على حماس
الابتعاد عن إيران اليوم وليس غداً؟

د. علي حسين باكير - عربي ٢١ ٢٠١٧/٢/١١

تجرى مؤخرًا محاولات لإعادة العلاقة بين حركة حماس وكل من إيران وحزب الله إلى ما كانت عليه سابقًا قبل الثورة السورية، وتخلق مثل هذه الخطوة حالة جدلية كبيرة لاسيَّما من الناحية الأخلاقية والمبدئية بشكل ينزع القدسية عن القضية الفلسطينية ويجرّدها من اعتباراتها السامية المتعلقة بقضية مقاومة محتل ومستوطن على اعتبار أنّ ما يفعله النظام الإيراني في عدد من الدول العربية لا يقل عما يفعله الصهاينة في فلسطين بل يزيد.

لكنّني لن أناقش هذا الموضوع هنا، فسأتركه لمقال آخر، وسأركز عوضًا عن ذلك على الشق السياسي المتعلّق بالجهود الجارية لتوثيق العلاقات بين حماس وإيران وحزب الله والانعكاسات الخطيرة والمدمّرة لمثل هذه الخطوة في هذا التوقيت بالتحديد على حماس، وعلى القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني.

هناك من يقول: إنّ حركة حماس قامت خلال السنة الأخيرة بمراجعة نتيجة تراجع المد الثوري والوضع المصري والتحول في ميزان القوّة لصالح إيران وأدواتها في سوريا ولبنان والعراق، وإنّ الجهود المبذولة لتوثيق العلاقة مع إيران نابعة من هذه المراجعة، لكن لا يبدو أنّ مثل هذه الخطوة تأخذ بعين الاعتبار أنّ هناك رئيسًا جديدًا في الولايات المتّحدة الأمريكية، وأنّ هناك سياسات جديدة أيضًا في المنطقة.

ولأنّه من الصعب بمكان توقّع تحرّكات الرئيس ترامب، فإن المنطق السليم يفترض أنّ التحوّط من كل ما من شأنه أن يضع الشعب الفلسطيني في موقف أصعب من الموقف الحالي، يجب أن يكون أولويّة لدى حماس. المشهد العام بخصوص العلاقة مع إيران لا يشير حتى هذه اللحظة إلى أنّ هناك أيَّ نوع من أنواع التحوط، بل هناك تأكيد على التقارب مع إيران ومع حزب الله، وهو أمر خطير جدًّا لاسيَّما في هذه المرحلة بالتحديد لعدّة أسباب أهمها:

أولًا: سبق للشخصيات الرئيسية في إدارة ترامب - بمن فيهم الرئيس نفسه- أن أدلت بتصريحات تكشف عن فحوى التوجهات المتشددة التي سيتم انتهاجها ضد إيران. خلال الأيام القليلة الماضية تحوّل الجدل الكلامي بين الإدارة وبين إيران إلى فعل، فتمّ فرض العديد من العقوبات على النظام الإيراني. تشير المؤشرات المتوافرة حاليًّا إلى أنّ الاشتباك الأمريكي- الإيراني يسلك مسارًا تصاعديًا، وهذا ما يفترض أنّ النظام الإيراني سيقوم في مرحلة من المراحل بالرد أيضًا.

لكن وكما علّمنا تاريخ نظام الولي الفقيه وسلوكه، فهو أجبن وأضعف من أن يقوم بالمعركة بنفسه، وإنما يرد باستخدام وكلائه وعملائه ويخوض معركته بهم في ملعب غيره، ومن الغني عن التعريف أنّ الملاعب العربية هي الملاعب المفضّلة للنظام الإيراني، وللساحة الفلسطينية دورها بطبيعة الحال، وقد تكون الساحة المفضلة لإيران في مرحلة من المراحل القادمة، فافتعال حرب هناك سيركّز الأنظار على إسرائيل، وسيصهر الإسلاميين والقوميجين واليساريين في بوتقة واحدة، وسيجيّر الرأي العام لصالح إيران، ولكن من غير الممكن لإيران فعل ذلك ما لم يكن لها مدخل إلى الساحة الفلسطينية.

عودة العلاقة بين حماس وإيران تفتح المجال للأخيرة لكي تستخدم الساحة الفلسطينية في معركتها مع أمريكا و/أو مع إسرائيل، وحتى وإن لم تستخدم إيران حماس نفسها لمثل هذا الغرض، يكفي أنّ مثل هذا الانفتاح سيؤمّن لها الشرعية اللازمة للعب في الملعب الفلسطيني، فضلًا عن إمكانية استخدامها للحركات الأخرى المحسوبة عليها. مثل هذه الخطوة سترتد بالتأكيد على الشعب الفلسطيني وعلى حركة حماس نفسها، وسيدفع هؤلاء الثمن غاليًا في الوقت الذي ستتغنى فيه إيران بـ«دعمها» للمقاومة، بينما تجلس مع الكبار لتتفاوض بهم. ألم يحصل ذلك من قبل بالفعل؟

ثانيًا: بغض النظر عما تقوله حماس عن نفسها وعن مدى استقلاليتها في أي علاقة مع إيران، أو عن مدى قدرتها على أن تفرض نفسها لاعبًا موازيًا في الثقل والدور مع دولة بحجم إيران، فإن كثيرين يرون أنّ مثل هذه العلاقة بين حركة وبين دولة، هي علاقة غير متوازنة بطبيعتها وستكون اليد العليا فيها لإيران دومًا، وهو ما سيتيح لملالي طهران استخدام حماس بحكم الأمر الواقع شاءت الحركة أم أبت.

مثل هذا التصور خطير جدًّا خاصّة أن هناك من يؤمن في الغرب بأنّ حماس هي بالفعل جزء من منظومة إيران الإقليمية بما في ذلك الكثير من أقطاب هذه الإدارة الأمريكية الجديدة. تعزيز

العلاقات مع إيران في هذا التوقيت سيعزز بدوره من نظرة هؤلاء، وستكون حجّة إضافية لهم لاستهداف الحركة (إعلاميًّا، سياسيًّا، اقتصاديًّا، وربما عسكريًّا أيضًا). إسرائيل سيكون لها مصلحة أيضًا في التركيز على أنّ حماس تدور بالفعل في فلك إيران إذا ما تحسّنت علاقة الحركة بإيران، ومن غير المفهوم لماذا يجب علينا أن نعطي الإسرائيليين والمتطرفين المعادين لحماس ورقة إضافية في يدهم لدعم مزاعمهم، في حين أن انعكاسات أيّ دعم مزعوم من إيران للحركة يفوق بمراحل ضخمة واقع هذا الدعم!

ثالثًا: إسرائيل لها موقعها المميز اليوم في قلب الإدارة الأمريكية وليس كما كان عليه الأمر في عهد أوباما؛ ولذلك فإن القادة الإسرائيليين سيكونون مستعدين لشن حروب مع ضمان حصولهم على الدعم ليس من إدارة ترامب فقط، بل ربما من روسيا أيضًا. وفي مثل هذا الموقف، من الأفضل الابتعاد عن كل ما من شأنه إعطائهم ورقة أو ذريعة لشن حرب ثبت خلال السنوات الماضية أنّهم إذا لم يضطروا لمصلحتهم الخاصة إلى دخولها فإنهم لن يدخلوها.

في المقابل، ليس هناك أدنى شك من أنّ النظام الإيراني سيحرص إذا ما تصاعد اشتباكه مع الإدارة الأمريكية أو مع إسرائيل على فتح جبهة إقليمية، فهذا أمر مفروغ منه ومثبت تاريخيًّا بحكم التجارب الكثيرة التي مررنا بها في المنطقة. فلسطين لن تكون مستثناة من المعادلة الإيرانية، والمشكلة أنّ النظام الإيراني لا يكترث بتاتًا لما سيصيب الناس أو البلاد في مثل هذه المعارك، فهو في نهاية المطاف لا يدفع من جيبه أي شيء. ما تسببت به إيران في لبنان من دمار لاسيَّما في العام ٢٠٠٦ لتحريك ملفها النووي فقط كفيل بإثبات وجهة النظر هذه، فهل ستكون حماس مستعدة لتحمّل مثل هذه التكاليف من أجل إعادة العلاقة مع إيران؟! وهل سيكون الشعب الفلسطيني قادرًا على تحمل مثل هذه المعارك لأهداف لا علاقة لها لا من قريب ولا من بعيد بهم أو بفلسطين؟!

رابعًا: يجب أن لا ننسى أيضًا أنّ هناك حديثًا متواصلًا عن نيّة إدارة ترامب وضع الإخوان المسلمين على قائمة الإرهاب، وهذا يعني أنّ حماس على الرادار الأمريكي منذ البداية، وأنّه ليس هناك من داعٍ لرفع الخرقة الحمراء أمام الثور الهائج، وأنّ البديل في مثل هذه الأوضاع هو الحرص التام على الحصول على الدعم الكامل للشعوب العربية والإسلامية. وفي هذه النقطة بالتحديد فإنّ العلاقة مع إيران وحزب الله لا تساعد على تحقيق هذا الهدف وإنما تخلق شروخات كبيرة في الواقع العربي والإسلامي الداعم لحماس والذي يعتبر الحاضنة الحقيقيّة لحماس حتى لدى أتباع حماس أنفسهم. لا بدّ من الاعتراف بأنّ هناك شرائح واسعة جدًا في العالم العربي والإسلامي باتت تنظر إلى النظام الإيراني وتوابعه في المنطقة على أنّه نظام احتلال وتهجير واستيطان قام خلال سنوات قليلة فقط ماديًّا ومعنويًّا بأضعاف ما قام به الصهاينة في فلسطين خلال أكثر من نصف قرن - وهذا ادعاء قابل للبرهان والإثبات أيضًا بطريقة علمية- ، وأنّ جريمة العلاقة بين حركة تحرر إسلامية (حماس) وبين إيران لا تقل عن جريمة علاقة أيّ طرف مع إسرائيل بل تزيد عنها لأنّ أصحاب العلاقة مع إسرائيل لا يدّعون ما تدّعيه حركات التحرر الإسلامية.

خلاصة القول وبغض النظر عن الذرائع التي يسوقها البعض لتبرير توثيق علاقة حماس بإيران وأتباعها، ومن منطلق حسابات الربح والخسارة المحضة، إيران لا تقدّم أي شيء بالمجّان، وحتى لو افترضنا جدلًا أنها فعلت ذلك، ليس هناك من أدنى

شك في أن التكاليف الكارثيّة المدمّرة المترتبة على ذلك أكبر من أيّ دعم مزعوم أو موعود من نظام الملالي إلى حماس.

هل حكام إيران
دولة «ولاية الفقيه» مسلمون؟؟؟

د. بسام ضويحي – مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية ٢٠١٧/٢/٢٠

إن ما تم تداوله بين الأخوة الكرام حول إيران والتقارب منها أوالتعامل معها أمر غريب وعجيب من وجهة نظري وهو إن دل على شيء فإنما يدل عن غياب الميزان والبوصلة في أن واحدة وبناء عليه أود ان أبين النقاط التالية:

أولا: من الناحية الشرعية والاعتقادية فحري بنا أن نتبين عن طريق العلماء الثقات المتخصصين:

هل إيران دولة ولاية الفقيه بما تعتمد عليه من معتقدات ومرتكزات اعتقادية شيعية حول القرأن الكريم الذي بين أيدينا وعنأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن الصحابة الكرام أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وعن نظرتهم تجاه المسلمين السنة في العراق وسورية واليمن بل المسلمين السنة داخل ايران !!!!!

وبناء على الفتاوى المتعددة من دولة ولاية الفقيه باستحلال دمائهم وأعراضهم وما يجري على أرض الواقع اليوم في سورية والعراق في بلاد المسلمين ؟ ؟ وهل هم يعتبروننا مسلمين أم لا؟؟ حقيقة بناء على معتقداتهم لا تصريحاتهم السياسية والتقية التي يدينون بها فالجواب هنا إخواني جواب شرعي محدد حري ان يكون بعيد عن العواطف والأمزجة.

والجواب أجاب عليه كل العلماء الثقات في الماضي الحاضر المعاصر وأرى ان لا نضيع الوقت باجتهادات غير متخصصة وتبريرات بعيدة عن علوم العقيدة، مرفق رأي العلامة محمد الحسن الدودو:

(لعل لبسا حصل لدى بعض الإخوة بين إيران كدولة و نظام معاد لما جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم و مباين للاعتقاد الذي ترك عليه المسلمين من بعده و مجاف للقرآن و السنة اللذان هما أساس هذا الدين و معتمد في مقابل ذلك على الخرافة و الأوهام المناقضة للعقل و الوحي و الفطرة و يحمل روح العداء لهذه الأمة و يتحالف مع أعدائها و يغزو ديارها و يدمر كل ما قدر على تدميره دون مراعاة لإنسانية و لا أخلاق. و بين إيران الشعب الذي ينطق جمهور أفراده بالشهادتين مع ما يقع فيه أكثرهم من ما يناقضهما. فإيران بالمفهوم الأول لا جرم أنها تمثل الكفر كله و العداوة كلها و الإجرام كله. و إيران بالمفهوم الثاني يقال في أفراد الشعب إن الأصل في من نطق بالشهادتين عصم دمه و ماله و عرضه ما لم يعتد و عدم تكفير العوام قبل قيام الحجة عليهم والله يوفقنا و إياكم لكل خير).

ثانيا: ما هو المشروع السياسي للدولة الإيرانية دولة ولاية الفقيه ؟ وماهي استراتيجيتهم لتصدير الثورة إلى دول الجوار والدول العربية والإسلامية وفرض معتقدات ولاية الفقيه على شعوب المنطقة بالقوة وإقامة دولتهم وإمبراطوريتهم على أشلائنا وركام بلداننا.

فكما كتب في دستور الدولة الإيرانية وكما وضحه إمامهم الخميني وخامينئي و الجنرال الهمداني وكما هو مكتوب في كتاب نظرية أم القرى لمؤلفه جلال لاريجاني الذي هو أخو علي لاريجاني رئيس البرلمان الإيراني والذي يدرس اليوم في جامعات طهران وقد قام بترجمته إلى العربية الدكتور نبيل العتوم من مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية.

وكما يتم اليوم تدريس الطلاب الإيرانين في كتب التربية والتعليم الإيرانية عن صورة العرب الهمج الذين هدموا الإمبراطورية الفارسية !!!!!!

وكما يحدث اليوم بشكل عملي وواقعي في كل من العراق واليمن وسورية من قتل وإيذاء واستباحة للأعراض وذبح وتقتيل للأطفال ودمار يرافقه تصريحات وتأكيدات من خامئني ومن القيادات الدينية والعسكرية في دولة ولاية الفقيه حيث يؤكدون أن حربهم وجهادهم في هذه الدول هو قتال مع الكفار والمشركين أحفاد يزيد ومعاوية ويجب أن يستمر القتل حتى يبلغ عدد القتلى ألف ألف من الكفار من ذرية يزيد ومعاوية ليسرع ويهيء ظهور المهدي المنتظر وللوصول بعدها الى القدس عن طريق حلب فأمل من الأخوة قبل الكلام عن ايران والدفاع عنها أو الهجوم عليها ان يأخذوا بالمنهج العلمي الذي يحترم العقل وبعدها يصدروا أحكامهم واجتهاداتهم الصائبة إن شاء الله.

هذا من ناحية أما الناحية الأخرى فإنني أرى أننا أصبحنا أمة وللأسف أمة كلام وتنظير بعيدا عن الواقع ونواميس الكون ولوازم التغيير بل هروبا من الواقع الأليم حيث لا نريد أن نخرج من المستنقع الذي وقعنا فيه.

فمن الحري بنا أن نأخذ بأسباب القوة بكل جوانبها ومعانيها بالعمل والسلوك والواقع لا بالكلام فقط والتنظير فما وصلت إليه أمتنا ودولنا من مراتب الضعف والهوان أغرى بنا هرتزل وهنري كامبل وسايكس بيكو وبلفور وبرنارد لويس وبريجينسكي وهنري كسينغر وشاه ايران وخميني وخامئني و قاسمي وبوش وأوباما وترامب!!!

كيف لا ونحن أمة ضعيفة مشتتة إرتضت اليوم أن تكون ذليلة مستعبدة يعربد في أرجائها صهيوني لئيم وصليبي حاقد وايراني رافضي خسيس متآمر على أمتنا عبر التاريخ يطعنها من الخلف بخنجره المسموم الحاقد والذي أتمناه من المدافعين عنه أن يذكروا لي معركة واحدة خاضتها ايران لنشر الإسلام في بلد غير مسلم أو أن يذكرولي بلدا غير مسلم فتحه هؤلاء الروافض ؟؟؟

سنبقى على هذا الحال ما لم ننهض ونأخذ بأسباب القوة كلها وهي تبدأ من النية الصادقة وإرادة التغيير الذاتية والاعتماد بعد الله على أنفسنا وما نملك من الإمكانيات البشرية والموارد الإقتصادية والرصيد الحضاري من القيم والثقافة ورفض العبودية وإحياء فريضة الجهاد وأخواتها المكملات لها وعندها يحق لنا بل من الضروري أن نبادر الى رسم ومشاركة العالم بمستقبله بل نحن من يرسم التقاطعات في المصالح مع الإيراني و الصليبي ويبادر الى ايجاد العلاقات بأنواعها مع الصديق والعدو.

وداعاً للحل الإيراني في الشام

أحمد موفق زيدان – موقع الخليج العربي ٢٠١٧/٢/٢٢

لخّص العميد حسين همداني قائد الحرس الثوري الإيراني إلى الشام عام ٢٠١٢ في مذكراته التي ألقاها على الصحافي الإيراني علي بابايي في كتابه الذي حمل عنوان «رسائل الأسماك» صدرت أخيراً الاستراتيجية الإيرانية في الشام حين قال إنها كانت تهدف إلى إنشاء مليشيات دفاع وطني بعد أن رفض الجيش الأسدي التعاون معه ومع غيره من الإيرانيين، فالإيراني أدرك تماماً منذ الحرب الأميركية ـ الإيرانية على العراق أن بقاء الجيش العراقي على حاله يعني أن ولاءه سيظل لغيرهم، ومع كل الطائفية التي يتمتع بها الجيش الأسدي إلا أن عقيدته العسكرية لا تزال روسية بامتياز وبالتالي لن يكون بمقدور طهران تغيير تلك العقيدة بين ليلة وضحاها، فلجأت إلى فكرة إنشاء المليشيات الطائفية وتمزيق الجيش الأسدي للنفاذ إلى صنع القرار الحقيقي، وتشكيل

مليشيات طائفية بحمض نووي إيراني بامتياز، تماماً كما فعلت من قبل في العراق واليمن ووو...

الاستراتيجية الإيرانية إذن تعتمد على إنشاء مليشيات طائفية وهو ما برع فيه الفرس وهو ما يذكره ابن تيمية في كتبه من أن الفرس كانوا يسعون إلى الاعتماد على المرتزقة من المليشيات الأجنبية وهو أمر غير مكلف جسدياً ولا مالياً فضلاً عن كلفته في مجال العلاقات الدولية هذه الأيام، ولذا رأينا الاستراتيجية الإيرانية هذه في العراق عبر تأسيس عشرات المليشيات الطائفية وذلك لسهولة التحكم فيها وعدم تقوية مليشيا واحدة قادرة مستقبلاً على التمرد عليها، وهو ما حصل في اليمن ولكن نظراً للظروف الخاصة فقد كانت مليشيات الحوثي وحيدة فريدة في الميدان قد يكون ساعدها على ذلك بعدها الجغرافي عن إيران وهو ما يقلل من خطورة الانقلاب عليها، ونفس الأمر حصل في أفغانستان إذ أنها سعت إلى تشكيل مليشيات طائفية تحت عنوان فاطميون الأفغاني.

الاستراتيجية الروسية على ما يبدو توصلت إلى قناعة راسخة باستحالة الحسم العسكري في الشام على يد العصابة الطائفية وهو الأمر الذي يزعج الإيرانيون تماماً لأن الهدف الذي جاؤوا من أجله في عام ٢٠١٢ قد انهار تماماً وبالتالي فإن التركة الشامية قد يتم تقاسمها بين الأتراك والروس، وهو الأمر الذي سيحجم الدور الإيراني وسيدفع بطهران إلى الملعب العراقي لاسيما بعد الحديث المتكرر عن مواجهة إيرانية ــ أميركية في اليمن وباب المندب وتصريحات مسؤولين غربيين وغيرهم من أن السنة الحالية سنة حل للأزمة اليمنية، تزامن هذا مع اتصالات بين فصائل للجيش الحر مع حزب الله عن سماحه للاجئين في لبنان من العودة إلى القلمون وهو مطلب غريب عجيب، لا يفهم إلا في سياق التراجع الإيراني والطائفي في الشام..

فكرة المليشيات الطائفية في الشام لم تنجح على ما يبدو في حسم الخيار الإيراني، وبالتالي فإن الحل الإيراني لم يعد مطروحاً على ما يبدو، وبات المطروح هو الحل الروسي الذي يسعى إلى تقوية العصابة الطائفية وإيجاد خلطة بين المعارضة والعصابة الطائفية، وإن كان هذا غير ممكن التحقيق في ظل بحور الدماء وبحور المهاجرين والمشردين الذين لا يمكن لهم أن يعودوا إلى الوطن ما لم يضمنوا حلاً كريماً يحفظ لهم كرامتهم وعزتهم ويحول دون الفتك والبطش بهم مستقبلاً كعادة العصابة الطائفية ...

تدرك إيران تماماً أن قوتها وسطوتها في الفوضى وخلقها وديمومتها، وليس في الاستقرار واستتبابه، ولذا فهي تسعى إلى إطالة أمد الحرب والفوضى إلى أقصى ما تستطيع، فهي غير معنية بمعادلة الاستقرار والسلام، وإنما معنية بمعادلة الفوضى والحرب وهو ما يظهر جلياً في المناطق التي تغزوها وتحتلها ..

السجل الأسود لأبرز إرهاب وجرائم الشيعة العرب

الراصد
www.alrased.net

	١٩٨٠-١٩٨٩	١٩٩٠-١٩٩٩	٢٠٠٠-٢٠٠٩	٢٠١٠-٢٠١٦
البحرين	محاولة انقلاب	أعمال متكررة من الفوضى والشغب وحرق للممتلكات العامة والخاصة. محاولة انقلاب.		محاولة انقلاب تحت غطاء الربيع العربي. الاعتداءات المتكررة على الشرطة. ضبط "سرايا الأشتر" التابعة لإيران
السعودية	- تفجير منشآت للبتروكيماويات في مدينة الجبيل	تفجير أبراج الخُبر	دعم الحوثيين بالمال للانقلاب على الدولة	اعتداءات متكررة على الشرطة
لبنان	حصار وإنهاء المقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان. تدريب جزائريين من أتباع مصطفى بويعلي الذين دخلوا في صدام مع نظام الشاذلي. اغتيال عدة دبلوماسيين سعوديين بأنقرة وتايلاند. تدريب مؤسسي حزب الله الحجاز للقيام بأعمال إرهابية ومدّهم بالمتفجرات لتنفيذ تفجير الجبيل. اغتيال بعض رجالات الجيش اللبناني: العقيد سليمان المظلوم، والملازم أول جورج شمعون ثم العقيد ميشيل زيادة والنقيب كاظم درويش. اغتيال عدد من الصحفيين اللبنانيين: سهيل طويلة ثم خليل نعوس وميشيل واكد ونور طوقان وحسين مروة ومهدي عامل	تدريب أعضاء من جماعة الجهاد المصرية. تدريب فصائل جزائرية. إرهابية مثل "الجيا" و"الفيدا" و"حزب الله الجزائري". اغتيال أربعة دبلوماسيين سعوديين في تايلاند. عماد مغنية يلتقي أسامة بن لادن ويتفقان على تدريب أعضاء القاعدة بمعسكرات إيرانية بالسودان وإيران ولبنان. زراعة وتهريب المخدرات. تدريب وتزويد حزب الله السعودي على تنفيذ تفجير الخبر بالسعودية. حماية وإخفاء أحمد المغسل قائد حزب الله الحجاز والمسؤول عن عدة عمليات إرهابية لسنوات طويلة.	اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري اجتياح العاصمة بيروت ورفض سيطرة الدولة والجيش على المطار قبض السلطات في القاهرة على خلية تابعة لحزب الله مهاجمة وتخريب مقر قناة وصحيفة المستقبل إسقاط الحزب طائرة هليكوبتر للجيش اللبناني وقتل قائدها النقيب الطيار سامر حنا	قتل وإبادة ضد الشعب السوري الثائر. اغتيال العميد وسام الحسن، رئيس شعبة المعلومات بالأمن الداخلي. مهاجمة مقر تلفزيون الجديد. مهاجمة مكتب قناة الجزيرة. حصار وتجويع وقتل الفلسطينيين في مخيم اليرموك. القبض على عناصر من حزب الله في خليتين إرهابيتين في الرياض وجدة. السلطات الكويتية تضبط خلية إرهابية تابعة لحزب الله اللبناني. إرسال مدربين عسكريين. لتدريب ميلشيا الحوثيين على أعمال إرهابية. تفجير فرع "بنك لبنان والمهجر" ببيروت
الكويت	- محاولة اغتيال أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد - تنفيذ عدة تفجيرات في مكة ضد الحجاج - تفجير مقاهٍ شعبية - خطف طائرتين كويتيتين		تخريب مكتب قناة إم بي سي دعم الحوثيين بالمال للانقلاب على الدولة	المشاركة في قتل الثوار والشعب السوري. ضبط خلية العبدلي التي تمتلك أطنان المتفجرات.
العراق	تفجير حفل طلابي في جامعة المستنصرية. تفجير السفارة العراقية ببيروت. تفجير وزارة التخطيط ببغداد بسيارة مفخخة. مهاجمة أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد. استهداف أنابيب النفط العراقي. مشاركة إيران في حربها على العراق		شن حرب إبادة طائفية وفرق موت ضد السنة شملت قطع الرؤوس وحرق الجثث. تدمير ومصادرة مساجد ودائرة الوقف السني. قتل وتهجير الفلسطينيين السنة في بغداد. اغتيال أكثر من ٤٠٠ ضابط وطيار عراقي ممّن شاركوا بالحرب ضد إيران.	قتل وإبادة ضد الشعب السوري الثائر. قيام نوري المالكي بتهريب قيادات القاعدة من سجون بغداد، ثم تسليم مدينة الموصل لداعش. إنشاء الحشد الشعبي الذي قام بالكثير من الجرائم الطائفية
اليمن			خوض عدة حروب مع الدولة. دعم الحوثيين للقاعدة في اليمن	الاستيلاء على الدولة بانقلاب عسكري. تفجير مساجد في دماج وذمار وعمران. رفض إصدار بيان يدين القاعدة في مفاوضات الكويت. قتل الناس جوعا ومرضا بحصار المدن كتعز وغيرها

الراصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد ١٦٦ رجب١٤٣٨هـ

أيها العرب لا تفوتوا فرصة القضاء على الإرهاب الإيراني

24 حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج

42 حوار مع د. محمد مورو: المشروع الإيراني سيفشل لأنه عكس اتجاه التاريخ

46 السياسات الطائفية في اليمن

المحتويات

فاتحة القـول

- أيها العرب لا تفوتوا فرصة القضاء على الإرهاب الإيراني ٢

فرق ومذاهب

- أقطاب العلمانية (٢) ..... طارق منينة ٤

سطور من الذاكرة

- ٦ـ ثورات الخوارج الخروج في عام الجماعة ..... هيثم الكسواني ٢٠

دراســـــــات

- حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج (١) ..... أسامة شحادة ٢٤
- مظلومية أهل السنة في إيران ١ ..... ماجد العباسي ٣٢
- نقاط التشابه بين الدولة الصفوية والجمهورية الإيرانية ..... عبد الرحمن السقاف ٣٥
- حوار مع د. محمد مورو ..... أسامة الهتيمي ٤٢
- السياسات الطائفية للحوثيين ..... خاص بالراصد ٤٦
- المرأة الغربية وتحديات البيت والعمل ..... فاطمة عبد الرءوف ٤٨
- التجربة السياسية الشيعية الحديثة... من المعارضة إلى السلطة ..... بوزيدي يحيى ٥٢

كتاب الشهر

- من هو عدونا في إيران؟ ..... أسامة شحادة ٥٨

قالوا

..... ٦١

جولة الصحافة

- وزارة الشؤون الدينية أصبحت ملحقة بوزارة التربية ..... نسرين مومن ٦٣
- إيران و"القاعدة" الشراكة الفاسدة ..... حمد الكعبي ٦٤
- رؤية نقدية حول مسودة الاستنتاجات ..... اللجنة الإسلامية الدولية للمرأة والطفل ٦٥
- مَن وراء تنامي ظاهرة الإلحاد بمصر "بلد الأزهر"؟ ..... بوابة الخليج العربي ٦٧
- الخطر الإيراني أعظم من أي وقت مضى ..... علي حسين باكير ٦٨
- حقيقة مؤسسة المواطن الرسالي الشيعية بالمغرب ..... إبراهيم الصغير ٦٩
- مجلس أعلى لشيعة مصر... انفتاح مع إيران يتستر وراء "العمل الخدمي" ..... الخليج الجديد ٧٠

الراصد
www.alrased.net

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٦)
رجب- ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

أيها العرب
لا تفوتوا فرصة القضاء على الإرهاب الإيراني

لم يصل إرهاب نظام ملالي طهران طيلة العقود الأربعة الماضية هذا المستوى من العدوان، ولا هذا المستوى من الانكشاف والفضيحة وسقوط أكاذيبه التي كان يخدع بها الكثير من النخبة والعامة من الحكومات والشعوب، وهذا المستوى من التوحّد الرسمي والشعبي على رفض ومكافحة الإرهاب الإيراني، ولذلك فإن الفرصة سانحة اليوم لوضع حدٍ لهذا العدوان والإرهاب الإيراني المتواصل طيلة تاريخ نظام العمائم الطائفية في طهران.

وهذا الإرهاب الإيراني يتمثل في الجرائم التالية:

١- ممارسة الديكتاتورية على الشعب الإيراني بمختلف أطيافه وحملات الإبادة والتهجير للمعارضين الإيرانيين من مختلف العرقيات والقوميات والمذاهب والأفكار، فلم يسلم من إرهاب هذا النظام رجال الدين الشيعة الذين لم يقبلوا بدكتاتورية الولي الفقيه، فتمّ سجنهم وإقصاؤهم مثل آية الله شريعتمداري وآية الله حسين منتظري.

ولم يسلم من إرهاب الملالي شركاؤهم في الثورة على الشاه من مختلف الأطياف والتوجهات بدءًا بالرئيس أبو الحسن بني صدر، وصولا لحركة مجاهدي خلق.

ولم يسلم من إرهاب وعدوان الملالي الشيعة العرب في الأحواز أو السنة الفرس في محافظة فارس ومحافظة هرمزجان ومحافظة أبو شهر، وغيرهم من القوميات والعرقيات والطوائف.

ولم يسلم من إرهاب وعدوان الملالي حتى أنصار النظام ممن قد يخالفون بعض الشخصيات النافذة فيه، فقد رأينا الوحشية البالغة التي قام بها نظام الملالي لخصومه من الداخل بحملات الاغتيال ومن ثم القمع الوحشي لأنصار ما يدعى بالمعتدلين والثورة الخضراء من أتباع رفسنجاني وميرموسوي ومحمد خاتمي.

٢- مواصلة سياسات نظام الشاه العدوانية والتوسعية، سواء تجاه الشعوب والدول المحتلة التي تطالب بحريتها كعرب الأحواز والبلوش والأكراد، أو باستمرار احتلال الجزر الإماراتية الثلاث واستفزاز الإمارات بتحركات عسكرية فيها، أو عبر المطالبة المستمرة باحتلال البحرين خصوصا، والخليج عموما.

٣- العمل الدؤوب على تطويع الشيعة في العالم ليكونوا تبعا لنظام الملالي وأداة بيده ضد دولهم ومجتمعاتهم المسلمة خصوصا، في محاكاةٍ وتقليد للسياسة اليهودية باعتبار اليهودية قومية وليست دينا!

٤- النصّ في الدستور على نية التوسع والتدخل في شؤون الآخرين باسم حماية المستضعفين، وفعلا لم يتوقف الملالي عن تصدير الثورة لدول الجوار والعالم عبر عمليات إرهابية شملت: دعم الانقلابات، واغتيال الزعماء والقادة، وخطف الطائرات، والقيام بالتفجيرات والاغتيالات في مختلف القارات.

٥- إنشاء خلايا إرهابية نائمة ومليشيات مسلحة في الدول الأخرى.

٦- شنّ الحروب على الشعوب المجاورة كما في العراق وسوريا واليمن، ومعاونة الأمريكان على احتلال أفغانستان والعراق.

٧- إيوائهم ودعمهم للتنظيمات الإرهابية كقادة تنظيم القاعدة وتنظيم داعش وحزب العمال الكردستاني والمليشيات الشيعية لنشر الفوضى والإرهاب في المنطقة لصالح الأجندة الإيرانية.

٨- تهديد الملاحة الدولية في حرب الخليج الأولى، وحاليا بمحاولة السيطرة على باب المندب عبر ميلشيات الحوثيين أو الحرس الثوري الإيراني.

٩- رعاية ودعم كبير لتجارة المخدرات عبر العالم.

هذه الخطوط العريضة للإرهاب الإيراني الذي يرعاه نظام الملالي في طهران ضد العالم العربي والإسلامي، والعالم أجمع.

وقد أصبح معلوما للجميع - حكومات وشعوب- أن كثيرا من الجرائم الإرهابية التي جرت في هذه العقود

هي من تنفيذ نظام الملالي، مباشرة أو عبر وكلائه وحلفائه أو عبر دعمه لتنظيمات إرهابية أخرى، ولذلك صدرت أحكام قضائية في دول مختلفة ضد النظام الإيراني بإدانته بجرائم إرهابية من آخرها وأهمها إدانة الملالي بالمسؤولية عن تفجيرات ١١ سبتمبر في نيويورك

وقد كان للثورة السورية الدور الأبرز في فضح طائفية وإرهاب نظام الملالي وحزب الله والميليشيات الشيعية من مختلف دول العالم ونزع ورقة التوت عنهم لكثير من المناصرين والمخدوعين بهم، وفي العراق كانت سياسة وإرهاب وطائفية الأحزاب الشيعية ومليشياتها هي السبب في وضوح الرؤية لمدى تبعيتها لإيران وهيمنتها على قراراتها.

واليوم وقد أصبح عدوان وإرهاب نظام ملالي إيران ووكلائها في كل الدول معلوما ومجرّما، فلا بد من اتحاد الكلمة والموقف على التصدي لهذا الإرهاب وإيقافه وإنقاذ الضحايا في الداخل والخارج من جرائمه، وذلك عبر خطوات قوية واضحة ومعلنة، تشمل:

١- إدانة عربية جماعية للإرهاب الإيراني، ووضع حد لوكلائه في الدول العربية.

٢- استصدار قرار أممي بإدانة ومعاقبة الإرهاب الإيراني.

٣- وقف التلاعب الإيراني بورقة فلسطين عبر عمل جاد ومثمر لنصرة القضية الفلسطينية.

٤- فضح الدعم الإيراني لإرهاب القاعدة وداعش وإبطال دعاوى إيران بكونها تكافح الإرهاب.

٥- المطالبة بالتوقف عن أنشطتهم الإرهابية ودعم المليشيات الإرهابية وادّعاء تمثيل شيعة العالم.

٦- اشتراط مواقف إيرانية معلنة، اعتذارية وتعويضية عن جرائمها الإرهابية.

٧- اشتراط تعديل الدستور الإيراني الذي يشجع على الإرهاب، وحلّ مؤسسة الحرس الثوري.

٨- تعديل تركيبة النظام الإيراني السياسية بحيث يكسر احتكار الملالي للسلطة.

إذا اجتمع العرب والمسلمون على هذه المطالب فبالتأكيد ستكون نهاية هذا الإرهاب وشيكة، لأن ما ساعد ملالي قم على التطاول في عدوانهم وإرهابهم هو تفرّق كلمة العرب والمسلمين تجاه إيران ومشروعها الإرهابي، إذ تمكن ملالي إيران فيما مضى من خلال رفع شعارات المقاومة والممانعة من شق صف العرب والمسلمين لمعسكرين متناحرين، وسهّل لهم هذا الشرخ المزيد من كسب الولاءات الشيعية والسنية والعلمانية خلفهم عبر استراتيجيات إعلامية واقتصادية وسياسية حوّلت هؤلاء المناصرين ليصبحوا أدوات بيد الملالي تفاوتت بين تحول بعضهم لميليشيات طائفية وظيفية بالكامل لصالح الملالي كحال حزب الله وكثير من الميليشيات الشيعية وحتى بعض المتشيعين، وبين من هو لوبي إيراني في الوسط العربي والإسلامي والسني، وبين من يبحث عن العظمة الإيرانية نكايةً ببعض الحلفاء أو للضغط عليهم!

واليوم سيحاول الملالي من العودة لشق الصف باستمالة بعض الأنظمة العربية التي في فلكهم كالعراق وسوريا ولبنان وربما الجزائر وعُمان أيضا، كما أنهم سيحاولون عبر حلفائهم المخلصين اليوم من التيار اليساري للتشغيب على دعوات محاربة الإرهاب الإيراني بأن ذلك اصطفاف مع الإمبريالية الأمريكية! بينما قدوم الشيعة لحكم العراق على الدبابة الأمريكية واستنجاد الشيعة وبشار بالأمريكان وصفقة خامنئي وأوباما وغيرها فهذه كلها لا غضاضة فيها عندهم!!

ومن جهة أخرى ستعمل إيران على إعادة استمالة حركات المقاومة الفلسطينية كحركتي الجهاد وحماس لتعويم سمعتها وغسل خيانتها، وللأسف يبدو أن هناك تقبلا منهما أو من بعض القيادات فيهما للقيام بهذا الدور المخزي والقيام بوظيفة محامي الشيطان، وعلى نفس المنوال ستسعى عمائم قم لتوريط بعض القيادات الإسلامية المستقلة وقادة بعض الجماعات الإسلامية، فهل ينتبه هؤلاء لحقيقة الجريمة التي يرتكبونها بحق دينهم وأنفسهم وأهليهم؟ أم سيكررون خطاياهم الممتدة عبر هذه العقود الطويلة ويكونون من أسباب هزيمة المسلمين وتمزقهم؟

وطبعا ستلجأ عمائم إيران لحث القاعدة وداعش للقيام بالعديد من الجرائم والعمليات الإرهابية هنا وهناك لإشعال الكثير من الحرائق ونشر سحابة من الدخان تخفي جرائم وإرهاب إيران وتبرز جرائم هؤلاء والتي ستتحرك لتضخيمها الماكنة الإعلامية الضخمة التي سمّنتها إيران عبر السنين بالتومانات والدولارات وصبايا المتعة ولفائف الحشيش!

يا عرب ويا مسلمون: الفرصة اليوم سانحة للقضاء على الإرهاب الإيراني لكن يلزم التحرك الجماعي والمشترك لمقاومة هذا الإرهاب على المستوى الرسمي والمستوى الشعبي، ويلزم تعاون الجميع في ذلك وعبر كافة المجالات السياسية والإعلامية والدينية والاقتصادية، كما يجب فضح وعزل عملاء وأعوان إيران بكل وضوح وشفافية.

كما يلزم الالتفات للداخل الإيراني الذي يحتاج إلى عون جيرانه للتعبير عن نفسه والحفاظ على مستقبله عبر دعمه ليهتك ستر الإرهاب والإجرام المصبوب عليه ومساعدته للحصول على حقوقه المسلوبة وخيراته المنهوبة.

فهل ننتهز الفرصة وننجز هذه المهمة، التي تشكل أحد مبررات اليهود في استمرار احتلالهم لفلسطين، وأعوان الغرب والشرق في عرقلة النهوض والتنمية للشعوب والدول في المنطقة، كما أنها تبث الفرقة والنزاع والشقاق بين أبناء الشعب الواحد.

أقطاب العلمانية (٢)
طارق منينة

تباشر الراصد على حلقات نشر الطبعة الجديدة من كتاب الأستاذ الباحث طارق منينة "أقطاب العلمانية"، وهو الكتاب الذي سدّ ثغرة كبيرة في المكتبة العربية قديماً، وتحوي هذه الطبعة مزيدا من الإضافات والفوائد.

الفصل الأول
الإسلام وحضارته والعلمانية ومدى مشروعيتها

قام المجتمع الإسلامي على مشروعية إسلامية ومقومات ربّانية، وقامت حضارة المسلمين على ثوابت الإسلام ومبادئ القرآن، وعلى هدي السنة النبوية التي أرساها وأحياها رسول الله ﷺ.

انطلق المسلمون يقيمون مجتمعاتهم، التي نشأت أصلاً تحت ظلال القرآن وقيَمه، ويبنون حضارتهم التي كوّن أساساتها الوحيُ، ويطوّرونها داخل هذه الأطر المجيدة، انطلقوا غير مخالِفين ولا معارضين ولا معترضين على الشريعة الإلهية القرآنية والقائمة على العدل والتوازن، والهادفة إلى تحقيق سعادة الإنسان في الدّارين، فلم يتبعوا سنن اليونان الأسطورية الوثنية في النظر للكون، ولا تبنوا فلسفاتهم الخرافية، بل قاموا بإصلاح ما ورد من أخطاء في تلك النظريات اليونانية، وما ارتبط بها من خرافات عن الكون ونشأته والمرأة والكواكب.

فكانوا إذا مدّوا أبصارهم إلى السماء -وكان القرآن قد وجّههم إلى دراسة الكون وتعقّل آياته وتسخيرها- ، وأيديهم إلى باطن الأرض وكنوزها وخُضرها وطعامها ومائها، ومشوا في مناكبها، يرسمون الخريطة ويدرسون الجغرافيا، ويكتبون عن تاريخ الشعوب والفِرق والأعراق والأفكار، وينظرون ويلاحظون ويقارنون ويكتشفون ويُنجزون، ويبحثون ويقيسون ويجرّبون ويخترعون مناهج العلم والنظر، ويصنعون ويبدعون ويبتكرون ويطبّبون ويعالجون، وكانوا يمشون على هدي الدعوة الربانية للنظر والتدبر والتفكر.

وكانت تعاليم القرآن وإشاراته إلهامًا على سلوك هذا السبيل لإقامة العمران البشري على جناحي المعرفة الحقّة: معرفة إله هذا الكون البديع، ومعرفة طريقة الحياة على الأرض بما يحفظ للإنسان حياته وأمنه، ويمنحه السكينة والاطمئنان فيما هو يثوِّر الأرض ويطوِّر الحياة عليها!

وكانت فتوحاتهم هائلة في عالم الأرواح وتزكية النفوس، وعالم الأبدان وصحة الأجساد، أي في علوم الدنيا والدين معًا.

لقد حوى القرآن منهجاً كاملاً للحياة، يشمل جزئيات الحياة جميعها، بما فيها العلم، ولقد وضع كل جزئية في مكانها الصحيح، وهذا الأمر بالذات هو أهم ما قدّمته الحركة العلمية الإسلامية التي لم يكن نشاطها في ظل الوحي الإلهي مضاداً ولا معاكساً لبقية احتياجات الفطرة وبقية الحاجات النفسية والحيوية[1].

ولقد تطور المسلمون انطلاقاً من هذا «الوحي الرباني»

(١) انظر: واقعنا المعاصر، للأستاذ محمد قطب، ص ٨٤. في دراسة البيروني عن الهند وما فيها من عادات ومعتقدات، بدأها بقوله:» إنما صدق قول القائل «ليس الخبر كالمعاينة» لأن العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله»، انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، للبيروني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، ص ١٣.

الذي حثهم على النظر في الكون، وأوجب عليهم تدبر آيات الله والتعرف عليها، في عبودية تامة من الإنسان الخليفة والمكرَّم تكريما إليها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤].

وهو سبحانه هنا، لا يتكلم عن عالم السحر والخرافة كما زعم العلماني الجزائري- الفرنسي، محمد أركون في بحوثه[1]، ثم يدعو القلب للتعامل معه!، وإنما يدعو قوماً عقلاء إلى تدبر الآيات، آيات السماوات والأرض ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾!!!

ولنترك هذا الكلام الفارغ لأركون - ومثله كثير لتلاميذه ومَن سبقه إليه، لنتركه قليلاً ولنسِر في طريقنا مهملين -مؤقتاً- تلك النظرة الاستشراقية، والعلمانية العبثية، لماهية العقل في الإسلام، وستره وحجبه، وتشويهه، وتغطية إنجازاته وفضله على الغرب، فما كلّم القرآن الناس بالآيات الكونية والعلاقات السببية، وما وجّه إلى النظر إلى المدارات الكونية والسنن الطبيعية والأسباب السماوية والأرضية والأفلاك إلاّ لحث العقل على عملية تفكير عميقة وطويلة الأمد ودائمة.

«إن هذه الحضارة تجاوزت في تموجاتها الكبيرة مساحة الأرض إلى السماء، ولحظات الفناء إلى عالم الخلود. . . فلقد مضى النشاط الحضاري ينقّب في الأرض.. يكشف عن السنن والنواميس والطاقات المذخورة. . يتابع حاجات الإنسان وأشواقه.. يتفحص دوافعه وغرائزه»[2].

فما كان واقعاً محسوسا، تاريخيا ووقائعياً، وعلميا وإبداعياً في تاريخ حضارتنا، طويلة المدة، يؤكد كلامنا، ويثبت أن كلام القرآن أنتج علماً واسعاً وحضارة زاهرة محسوسة ومُشارا إليها في التاريخ.

لقد أودع الله «الفطرة البشرية»: طاقة المعرفة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة الآية: ٣١]، فلم تكن «المعرفة» بكل أبعادها غريبة عن هذه الفطرة ولا غير متلائمة مع طبيعتها، وطبيعة هذا الكون، وإنما الفطرة الإنسانية تشكل جزءاً من هذا الكون، مهيأة للتعرف عليه مستعدة للاحتكاك به، وتطوير ما وصلت إليه منه على هدي السنن الربانية إن أرادت الأمان والسلام معه، وابتغت الرحمة والسكينة والرشاد.

فلم يكن العلم القرآني عدواً للعقيدة، ولا العقيدة الربانية عدوة للعلم، فالعقيدة الإسلامية حرّرت العقل من التقليد، ونقلته نقلة عجيبة من الصحراء إلى الآفاق، ومن الأرض إلى السماء، ولهذا أقبل المسلم على المعرفة والتفاعل مع الكون المادي بلا صراع أو عداء بين «الإنسان» وبين «الله» ، كما حدث في التاريخ الغربي، بل حب وإقبال ورغبة من العبد في المعرفة وتقصّي العلوم وإجراء التجارب واختراع المناهج وصناعة الآلات والمبتكرات، والاستفادة من ثمارها المتكاملة مع بقية علوم المنهج القرآني الشامل للحياة كلها.

ففي مجال علوم العمران البشري نجد القرآن قد حرّض المسلمين على النظر في الكون والربط بين الآيات والأسباب، وتسخير السنن وإعمال العقل في الماديات والروحانيات.

كما أمر بالمشي في الأرض، مشي الباحث الراصد المستكشف المستفيد، الآخذ للعبر والدروس والقائم على التجربة والمحاولة، وذلك باستعمال العقل وإعمال التفكير. أمم تفكر وتؤسس للعلم والنظر، وأفراد يسيحون في الأرض ويربطون بين الأسباب، ويفيدون الإنسان ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي

---

(١) يقول هاشم صالح العلماني الراديكالي عن التفسير العلماني لأركون لكلمة «يعقلون» الواردة في الآية السابقة: «كان أركون قد خصص دراسة كاملة لشرح كلمة (يعقلون) في القرآن. وبيّن عن طريق التحليل الألسني والسيميائي أن معناها هناك ليس هو المعنى الذي نستخدمه اليوم، وليس هو المعنى الذي أسقطه على هذه الكلمة المتكلمون والمفسّرون في القرنين الثالث والرابع الهجري ... إن معناها التزامني والأيتمولوجي مرتبط بالبيئة البدوية للجزيرة العربية، وهي تعني حرفياً: الربط. كأن نقول مثلاً: عقل الدابة أي ربطها لكيلا تفلت»، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص ٤٢.

(٢) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، الدكتور عماد الدين خليل، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص ٧٦.

مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك، الآية: ١٥] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية، الآية: ١٣] وكل ما في السماوات وما في الأرض من آيات إنما هي ليتدبرها عقل الإنسان ﴿... لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وما دام الكلّ من الله سبحانه وتعالى، الخلق والتسخير، الوجوب والتوجيه، فما على الإنسان إلا أن يمضي في هذا السبيل على «علم» وفي حالة «تواضع لا غرور فيه» غير مخالفٍ للسنن ولا متكبرٍ على ربّه وخالقه ومبدعه ورازقه!

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [العلق الآيات: ١- ٥].

انطلق المسلمون في المسار الذي رسمه الله لهم، وانطلقت حضارتهم بهذه التوجيهات والإرشادات، والتعليمات والتشريعات، في عبودية تامة لله عز وجل، فاحتكوا بالكون المادي واستنبطوا طاقته بحسب ما فتح الله عليهم في أزمانهم في الطب والحساب والفلك والهندسة والتاريخ والاجتماع[1] وغير ذلك مما فتح الله به عليهم في مجالات الحياة الإنسانية والروحية والمادية.

وخطا إنسان هذه الحضارة أشواطاً بعيدة في طريق البحث العلمي وعالم الاكتشاف والتجريب، وكانت فتوحاته منطلق العلوم وقواعدها في أوروبا كما اعترف بذلك كثير من العلماء الغربيين.

بيْد أن حضارة المسلمين لم تعمر «الآلة» على حساب «البيئة» و«الإنسان» على حساب «الطبيعة» ولا «المادة» على حساب «الروح» ولكنها انطلقت تعمّر على سُنَّة التوازن ومادة الاتفاق والاتساق، فعمّرت الأرض والإنسان والمجتمع - بحسب ما وصلت إليه من علوم - وحافظت على النفس والروح والجسد ولم تمزق شيئا من ذلك لحساب استقلال مزعوم للإنسان أو لصالح كيان على كيان!

فلم تفسد الإنسان لصالح الإنتاج أو التقدم!، ولم تُفسد الفرد لصالح المجتمع، أو تُغلّب مصالح الفرد على مصالح المجتمع والتطور. لم تنطلق في عالم الروح مهملةً الجسد، ولا بنوازع الجسد ممزقةً الروح البشرية التي هي جوهر الطبيعة الإنسانية، إنما أخذت بيد الإنسان، كل الإنسان، عقله وحسّه، روحه وفكره، مشاعره وخياله، أخذت به إلى الأمان، وتعرّف فيها على حقيقته وطبيعته وحدوده ومكانته في الكون ومدى تكريم الله له كإنسان وكسيّد الأرض وخليفة.

وكما يقول د. عماد الدين خليل فالإسلام رسم للعلاقة بين الإسلام والعالم خطاً جديداً «خطًا يقوم على الوئام والانسجام، والتكامل والتوافق، والتجانس والالتحام بين الإنسان والطبيعة، بين الجماعة المؤمنة والعالم»[2].

ولقد أخطأ العلماني عبد الله القصيمي إذ راح يوجّه الإهانة للإسلام والمسلمين عندما دافع عن مفهوم السببية في الكون، وراح يجعل التديّن ضد التطور والتحضّر، وذلك عندما قال في كتابه (هذي هي الأغلال): «فطبيعة المتدين- غالبا- طبيعة فاترة، فاقدة للحرارة المولدة للحركة، المولّدة للإبداع»، وقال: «فإنه لا يكاد المرء أن يجد متديناً حرفياً استطاع أن يكون في الحياة شيئاً مذكورا»[3].

كذلك فإنه راح يتّهم ثقافتنا الإسلامية بما هي بريئة منه قطعاً، فقد قال: «وإطلاق القوى المختلفة من الحدود والقيود لا يكون -في رأي هذه الثقافة- إلا للخالق وحده»، وأنها ثقافة ترضي الله بتخصيصه وحده بالعلم،

(١) أكدت الأستاذة الألمانية زيجريد هونكة: أن المسلمين أبدعوا في علوم البصريات والفيزياء والكيمياء القائمة على التجربة، وعلم حساب المثلثات، وعلم الاجتماع، وفضلاً عمّا لا يحصى عدده من المكتشفات والمبتكرات الثمينة في مجال العلوم التجريبية، فإن أثمن هدية قدّمها المسلمون للغرب هي منهجهم في البحث العلمي، كذلك عرض الأستاذ محمد كرد علي في الجزء الأول من كتابه «الإسلام والحضارة العربية» ما حققه المسلمون بالتفصيل في مختلف العلوم: الكيمياء والطب والبصريات والدواء والفلك، وللأستاذ عمر فروخ والدكتور عبد الحليم منتصر كتابات أخرى في الموضوع نفسه، وتحفل المكتبات العربية بدراسات حول التفوق العربي والإسلامي، بل إن جامعة كمبردج بدأت منذ عام ١٩٩١م في إصدار دورية متخصصة كل ستة أشهر تحت عنوان «العلوم والفلسفة عند العرب»، وهناك موسوعة من ثلاثة أجزاء حول العلوم عند العرب صدرت في لندن ونيويورك لاثنين من العلماء هما رشيد راشد وورجيس مورلون، نقلاً عن مقالة للأستاذ فهمي هويدي في جريدة الأهرام، ٢٥ أغسطس ١٩٩٨ «السنة ١٢٣ – العدد ٤٠٨٠٤» بعنوان «الذين يكرهون أمّتهم وتاريخهم» وقد نقلت منها هنا بتصرف.

(٢) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، ص ٤٩.

(٣) هذي هي الأغلال، عبد الله القصيمي، منشورات الجمل، عام ٢٠٠٠م، ص ١٨.

وهي تقنع أهلها «أن العجز عن العلم علم»، ويقصد أن يبقى الإنسان جاهلاً بالأسباب والعلل في الكون، وأن ذمّ علم الإنسان هو نفسه ثناء على الله مع أن العلم الإسلامي في عالم الكون والطبيعة، والأجساد والمواد هو بتقييم الإسلام ثناء من المسلم على الله وتحميد وتكبير وتهليل وتعظيم وتسبيح لله!، كذلك فإنه يزعم أن المسلمين: «ما فتئوا يضعون الأهاجي المريرة الواصفة للإنسان بجميع أوصاف الانحطاط الذهني وغير الذهني»[1].

ولو كان ذلك ما ظهرت حضارة الإسلام العلمية المؤمنة في التاريخ، ولا أقامها علماء حمدوا الله وسبّحوه في مقدمات كتبهم العلمية في عالم الطبيعة والكون والمادة والإنسان.

إن أي اختبار لتاريخ المدة الطويلة لحضارة الإسلام سيكشف زيف مقولة القصيمي التي يحتفي بها العلمانيون من بعده، يقول لوبون: «إن العرب بلغوا درجة رفيعة من الثقافة بعد أن أتموا فتوحهم بزمن قصير... وكان حب العرب للعلم عظيماً... وكان العلماء ورجال الفن والأدباء من جميع الملل والنحل، من يونان وفرس وأقباط وكلدان يتقاطرون إلى بغداد ويجعلون منها مركزاً للثقافة في الدنيا»[2].

فالتوحيد يضع المسلم قبالة الله سبحانه وهو مسؤول عن العالم من حوله: «مسؤولا عن قدراته التي أودعه الله إياها ... في التوحيد يغدو الكون والعالم والطبيعة من صنع الله القادر المهيمن المبدئ المعيد، ويتحرر المسلم من سائر الخرافات والصنميات التي تلبّستها الطبيعة والعالم في المذاهب والأديان الأخرى. فعرقلت انطلاقه الحر للكشف عن السنن والطاقات والنواميس»[3].

وتقول كارين آرمسترونج، وهي الراهبة التي تركت الرهبنة، وانغمست في فلسفات الفكر المادي الغربي: «يشدّد القرآن على استخدام العقل في فك رموز آيات أو رسالة الله. يجب على المسلمين ألاّ يتخلوا عن عقولهم، بل عليهم أن ينظروا إلى العالم بتمعّن وفضول. فهذا الموقف بالذات هو الذي مكّن المسلمين لاحقاً من بناء تراث جميل للعالم الطبيعي الذي لم يعُد خطراً على الدين كما عدّته المسيحية»[4].

وقد ذكرت كارين هذا الكلام بعد أن عرضت الآية القرآنية المجيدة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤]، وأضافت: «خلال القرن التاسع احتكّ العرب بالعلم والفلسفة الإغريقيين... وكان العرب المسلمون آنذاك يدرسون الفلك والكيمياء والطب والرياضيات بنجاح كبير لدرجة أن معظم الاكتشافات العلمية خلال القرنين التاسع والعاشر قد تحققت في الإمبراطورية العباسية، وكانت أكبر مما تحقق في أية فترة سابقة من التاريخ»[5].

فلقد بث القرآن روحَ الملاحظة، ووضع أصول التفكر في الكون، وأشار إلى مبدأ التسخير، وحرّض على العلم والدراسة واستخدام القلم واكتشاف الأدوات للتقدم في العلوم التي كان مبدأ فيضانها من القرآن: «أرشد المؤمنين به إلى هذه العلوم في الآيات الكثيرة التي بيّن بها آياته تعالى في خلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، فإن دلالة الشمس والقمر والكواكب والسحاب والمطر والبحار والأنهار والجبال وأنواع النبات والثمار على قدرته تعالى ومشيئته وحكمته ورحمته ودلالة ما في مجموعها من وحدة النظام على وحدانيته، كل ذلك لا يكمل للناظر فيها إلا بقدر علمه بما فيها من الخواص العجيبة والنظام الدقيق»[6]. عمل الإسلام على إطلاق العقل من قيوده وتسريحه في عوالم الطبيعة علويّها وسفليها؛ ليبحث عن حقائقها وينتفع بها، فإن الله قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

(١) انظر: هذي هي الأغلال، ص ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٠.
(٢) حضارة العرب، ص ١٧٤.
(٣) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، ص ٦٩.

(٤) الله والإنسان، على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر، كارين آرمسترونج، ترجمة محمد الجورا، دار الحصاد، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص ١٥٣.
(٥) المصدر السابق، ص ١٧٧.
(٦) مجلة المنار، الفقه والعلوم العصرية في القرآن، عدد نوفمبر ١٩٢٨م، جمادى الأولى - ١٣٤٧هـ، المجلد٢٩، ص٥٢٥.

مِنْهُ﴾ [الجاثية الآية: ١٣][1].

فبالوحي القرآني، –كما يقول عماد الدين خليل– وُضعت «الجماعة البشرية المؤمنة في قلب العالم والطبيعة، ودفعتها إلى أن تبذل جهدها من أجل التنقيب عن السنن والنواميس في أعماق التربة، وفي صميم العلاقات المادية بين الجزئيات والذرات.. إننا بإزاء حركة حضارية شاملة تربط، وهي تطلب من الإنسان أن ينظر إلى السماوات والأرض، بين مسألة الإيمان ومسألة الإبداع، بين التلقي عن الله والتوغل قدما في مسالك الطبيعة ومنحنياتها وغوامضها، بين تحقيق مستوى روحي عال للإنسان على الأرض وبين تسخير قوانين الكيمياء والفيزياء والرياضيات لتحقيق الدرجة نفسها من التقدم والعلو الحضاري على المستوى المادي (المدني) ولم يفصل الإسلام بين هذا وذاك»[2].

اقرأ قوله تعالى: ﴿أولَم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ (الأعراف: ١٨٥)، وقوله: «قل سِيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق» [العنكبوت: ٢٠]، وقوله: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ [الروم: ٥٠]، وقوله: ﴿انظروا إلى ثمره اذا أثمر وينْعِه﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقوله: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب. ونزّلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جناتٍ وحبَّ الحصيد. والنخلَ باسقاتٍ لها طلع نضيد﴾ [ق: ٦-١٠]، وقوله: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ [لقمان: ٢٠]، وقوله: ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ [هود: ٦١]، وقوله: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣١].

فالآيات ترسم صورة تجعل من العلاقة بين الإنسان والكون علاقة سيد أرضي وخليفة إنساني سُخّرت له وأُخضعت له «كتلة العالم» لا ليفسد فيها، لا، فالقرآن يقول ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ [الأعراف: ٥٦]، ويقول: «وأصلِح ولا تتبع سبيل المفسدين» (الأعراف: ١٤٢)، وإنما لتلبية متطلبات خلافته على الأرض وإعماره للعالم على عين الله»، وهكذا فالعالم والطبيعة، وفق المنظور الإسلامي –يقول عماد الدين خليل– قد سُخّرا للإنسان تسخيرا، وإن الله سبحانه قد حدد أبعادهما وقوانينهما ونظمهما وأحجامهما بما يتلاءم والمهمة الأساسية لخلافة الإنسان في العالم وقدرته على التعامل معه تعاملا إيجابيا فاعلا[3].

ومعنى هذا أن القرآن وضع مستقبل المسلم للأحسن وليس للأسوأ، مستقبله مع الطبيعة والعمران، والعقل، مستقبله مع الاكتشافات والإنجازات، مستقبله مع البحث والنظر ودراسة الكون والحياة، وقد سعى إلى أن يغير التوحش القبائلي أو السطوة الإمبراطورية الجاهلية بالطبيعة إلى ما هو أفضل للبشرية كلها، وقد كان، وكانت آيات القرآن تفعل فعلها في العلماء.

لقد وضع البيروني الآية الكريمة ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] نصب عينيه وفي ثنايا كتابه عن الجواهر، فهل كان يضع اندهاشا خرافيا بين يدي بحثه العلمي؟[4]. يقول جون فريلي: «وقد كان أبرز شخصيات النهضة الإسلامية من العلماء الجامعيين الذين تفننوا في شتى ضروب العلم وتناولوها في كتاباتهم، ومن بينها علم الفلك... بلغ عدد الأعمال التي تنسب إلى أبي ريحان البيروني (٩٧٣-١٠٥٠م) ١٤٦ عملا، تتضمن رسائل في علم الفلك، والتنجيم، وعلم تأريخ الأحداث، وقياس الزمن والجغرافيا، والجيوديسيا، والخرائط، والرياضيات (وتشمل الحساب والهندسة والمثلثات) والميكانيكا والطب والأدوية والأرصاد الجوية والمعادن (ومن ضمنها الأحجار الكريمة)... إضافة إلى شروح مفصلة لأدوات

(١) مقاله بعنوان «الشريعة والطبيعة والحق والباطل» مجلة المنار: ٢٠ شعبان ١٣١٧هـ، ٢٤ ديسمبر - ١٨٩٩م.
(٢) مدخل إلى الحضارة الإسلامية ص ٣٣، ٤٥.
(٣) مدخل إلى التاريخ الإسلامي، ص ٣٩.
(٤) انظر: مصباح علاء الدين: كيف وصلت العلوم الإغريقية إلى أوروبا عبر العالم الإسلامي، دار الكتاب العربي –بيروت عام ٢٠١٠م، جون فريلي، ص ١٢٢.

رصده واختراعاته»[1].

أما الشريف الإدريسي فيقول في مقدمة كتابه الجغرافي المشهور «نزهة الآفاق»: «الحمد لله ذي العظمة والسلطان والطول والامتنان والفضل والإنعام والآلاء الجسام، الذي قدّر فحكم، ورزق فأنعم، وقضى فأبرم، ودبّر فأتقن، وذرأ وبرأ فأحسن ما صور، فاتصلت بالعقول معرفته، وقامت في النفوس حجّته، ووضح للعيون برهانه، وقهر الألباب قدرته وسلطانه، الهادي إلى سبيل عزه تفضلاً وإرشاداً، والدال على ارتباط النعم به قولاً واعتقاداً، جاعل عجائب مخلوقاته وبدائع مصنوعاته سبيلا إلى معرفته، وسلما إلى علم قدمه وأزليته، وإن في بعض ما خلق لعبرة لأولي الأبصار، وذكرى لذوي الخواطر الصقيلة والأفكار، فمن آياته خلق السموات والأرض، فأما السماء فرفع سمكها، ونظم سلكها، وزيّنها بالنجوم، وجعل فيها الشمس والقمر آيتين يُستضاء بهما في الليل والنهار، ويستعلم بمجاريهما تعاقب الدهور والأعصار، فأما الأرض فبسط مهادَها وأرسى أطوادها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، وأسكنها خلقه فبوأهم أملاكها، وأجرى لهم أفلاكها، وعرّفهم مسالكها، وعلّمهم منافعها ومضارها، وهداهم إلى السير فيها برا وبحرا وسهلا ووعرا، كل ذلك منه جلّت قدرته بحكمة وتدبير ومشيئة وتقدير، فتعالى من هذا ملكه وسلطانه وصنعه وبرهانه».

كما بدأ محمد بن جابر البتاني (٨٥٨- ٩٢٩م) كتابه «زيج الصابي» بالاستشهاد بآية من القرآن الكريم في مدح علم الفلك هي: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ **[يونس: ٥]**[2]. قال جون فريلي: «لتبدأ نهضة إسلامية انتقلت ثمراتها في نهاية المطاف إلى أوروبا الغربية، وقد حدد العلماء المسلمون بداية عصر التنوير هذا بعهد هارون الرشيد» وأضاف: «وذكر البتاني في مقدمة كتابه «الزيج» أن الأخطاء التي وجدها في الرسائل الفلكية المتقدمة قادته إلى تطوير النموذج البطليموسي (القائل بأن الأرض كرة ثابتة في وسط الكون، وأن الشمس والقمر والكواكب السيارة تدور حولها في مدارات دائرية)، وذلك بإضافة نظريات وملاحظات جديدة، تماما مثلما تعامل بطليموس مع عمل هيبارخوس وغيره من سابقيه، ... ترجمت كتابات البتاني الفلكية إلى اللاتينية وبقيت في قيد الاستعمال حتى القرن السابع عشر»[3].

أما ابن الشاطر (١٣٠٥- ١٣٧٥م) الذي أنجبته دمشق، فقد تأثر بأعمال أبي علي المراكشي، الذي ألّف في سنة ١٢٨٠م تقريبا خلاصة وافية في علمي الفلك الرياضي والأدوات الرياضية، فقد طوّر نموذجا كوكبيا أصليا يختلف اختلافا جوهريا عن نموذج بطليموس، كما قال جون فريلي: «ثم استعمله لإخراج مجموعة جديدة من الجداول في كتاب سمي «الزيج الجديد»، ذكر في مقدمته كيف أنه أنشأ هذا العمل بعد قراءة كتب علماء الفلك المسلمين المتقدمين، الذين مافتئوا يعبّرون عن شكوكهم حيال نموذج بطليموس الكوكبي، لكنهم لم يتمكنوا من صوغ نظرية جديدة، وقد قال: **«لذا فإني سألتُ الله العلي القدير أن يُلهمني ويوفقني لابتداع نماذج تُبرز ما كان مطلوبا، فمكنني – تعالى جدّه وله الفضل والمنة- من ابتكار نماذج جامعة للنماذج الكوكبية لمعرفة درجات خط الطول وخط العرض وجميع المعالم الأخرى التي يمكن رؤيتها، إضافة إلى حركاتها، نماذج لا تتطرق إليها - بحمد الله- الشكوك التي أحاطت بالنماذج السابقة... ظلّ كتاب الزيج الجديد لابن الشاطر المرجع في دمشق لعدة قرون... وكانت دراسات مؤرخي العلوم قد أظهرت في سنة ١٩٥٧ أن نموذج القمر الذي استعمله ابن الشاطر كان مماثلا في جوهره للنموذج الذي استعمله كوبرنيكس في سنة ١٥٤٣، علمًا بأن البحث لم يُظهر بالتفصيل كيف شقّت النظرية الفلكية الجديدة طريقها من دمشق إلى إيرلندا في غضون قرنين»**[4].

هذه هي الحقيقة التي يُراد حجبها علمانياً، أو يراد تخطيها وتجاوزها والتخلص منها إلى المعرفة العلمانية

(١) المرجع السابق، ص ١٢٧، ١٢٨.
(٢) المرجع السابق، ص ١٢٢.
(٣) المرجع السابق، ص ١٢٢.
(٤) المرجع السابق، ص ١٤٨.

بفرضياتها وتخرصاتها الفاشلة، والتي يثبت العلمانيون أنفسهم كل مرة فشل قديمهم أو ضيق أفقه وعفنه (الداروينية، الماركسية، البنيوية، النظريات العرقية، وهلمّ جرا)، احتفاء بالجديد أو القديم المُعدل والمتحلل من أشد قواعده رسوخًا!

الزحف على حواضر الإسلام

بيّنا أن حضارة «المسلم» في الأندلس والشرق الإسلامي قامت على أسس العلم الإسلامي المفارق لمعارف البيئة الجاهلية وأساطيرها، التي بُعث لإزالة آثارها في النفوس والعقول والعلم، وتلك الأسس لم تكن –في الأصل والفصل– منفصلة عن السماء، ولا متكبّرة أو مُعرضة أو مستغنية على «الله»، ولا عن إشارات الوحي وتوجيهاته الأصيلة، ولا كانت مستقلة عن شريعته – ومنها وجوب العمل بالأسباب– وتعاليمه التي أبدعت فكراً رائعاً على مساحة واسعة لعدة قرون، فكراً رائعاً في علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه والأصول وعلوم اللغة والفيزياء والفلك والجغرافيا وغيرها كثير، والحقيقة أن أوروبا لم تشعر بما في مفاهيمها الدينية مِن خَلل إلا حين احتكت بالإسلام والمسلمين عن طريق المعابر الثلاثة الكبرى التي عبّر عنها التأثير الإسلامي في أوروبا، وهي الحروب الصليبية والعلاقات التجارية التي أنشأتها (جنوة) و(البندقية) مع العالم الإسلامي والعلاقات العلمية والثقافية التي انتشرت من الأندلس وصقلية الإسلامية[1].

فبينما كانت الحياة في أوروبا في العصور الوسطى المظلمة كئيبة يمخر فيها الجهل وتعشش فيها الخرافة، ويتحالف في عالمها الإقطاع المذل مع انحراف الكنيسة العقدي والعلمي! كانت الأندلس (إسبانيا والبرتغال) منارة في قلب أوروبا، فيها التوحيد، وفيها الحرية والعلم، وفيها المدنية والنظافة، وفيها الإسلام صاحب التعاليم الراقية والتطوير النافع![2].

وما أن سمع الشباب الأوربي بعالَم الأندلس حتى توافدوا عليه ينهلون من علومه، ولم يمنع المسلمون أحداً من هذا العلم الذي توصلوا إليه بفضل الله ومفاتيح قرآنه الكريم، - فلا إله إلا الله مفتاح العلوم، ومنها علوم الكون والطبيعة- وهم لم يُقبلوا على العلوم والمعارف والبحوث والتطبيقات لصالح المسلمين فقط، وإنما لصالح «الإنسان» ككل.

تعلم أبناء أوروبا علوم المسلمين، وبدأوا محاولة التعبير ونفي الجمود الطاغي على حركة العلم في المسيحية، فثارت عليهم الكنيسة المنحرفة عن حقائق الإنسان والطبيعة والكون والكتاب المنزل، فأُحرق من أُحرق، وقُتل من قُتل، حتى انطلقت أوروبا بفضل ثورة المسلمين المعرفية والتجريبية، فثاروا على المسيحية وظلمات عصورهم المتخلفة المظلمة، ومع التقدم البطيء والصراع المستمر بين الكنيسة المنحرفة والذين ثاروا عليها، بدأ الدين يخبو في النفوس، وبدأت الفلسفة - بخيرها وشرها- تحتل مكانة الكنيسة.. والدين!

فهذا أسقف قرطبة (ألفارو) الذي راح يجأر بشكواه بكلمات مؤثرة تصور بلواه كما عرضتها المستشرقة الألمانية زيغرد هونكه في كتابها المسمى «الله ليس كذلك»، قال أسقف قرطبة: «**إن كثيرين من أبناء ديني يقرؤون أساطير العرب(!) ويتدارسون كتابات المسلمين من الفلاسفة وعلماء الدين، ليس ليدحضوها وإنما ليتقنوا اللغة العربية ويحسنوا التوسل بها حسب التعبير القويم والذوق السليم. وأين نقع اليوم على النصراني – من غير المتخصصين- الذي يقرأ التفاسير اللاتينية**

---

(١) قضية التنوير في العالم الإسلامي، لمحمد قطب، ص ٣٨. وقال العلماني عبد الله العروي: «ما يهمّنا في كتاب باسكال هو أنه... لا يذكر بالاسم نبي الإسلام إلا في أربع مناسبات، غير أن سير الاستدلال يوضح أن مشكل الإسلام يشغله كثيراً كما لو كان يرى أنه الدين الذي يدين به خفية حملة العلم التجريبي من أنصار الحرية والعدل. وهذا يشير إلى أن اعتراضات الإسلام على المسيحية كانت منتشرة جداً في تلك الأوساط، وأنها كانت تفضل على البروتستانتية بعد أن تحولت النحلة الجديدة إلى مؤسسة كنسية لا تقل استبدادية عن كنيسة روما في كل من جنيف وألمانيا وإنجلترا»، (مفهوم العقل، العروي، ص ٥٧).

(٢) في بحث حول الفلك والرياضيات عند المسلمين لأحد كبار مستشرقي المعهد الكاثوليكي الفرنسي في باريس، البارون «كارادي فو» (نشر في كتاب تراث الإسلام الذي أشرف عليه السيد توماس أرنولد) قرر مؤلفه بوضوح: «إن العرب ارتقوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى، في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للانعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها. ووصل الأمر إلى ذروة ازدهارهم العلمي في القرنين التاسع والعاشر (الميلاديين). واستمر ذلك الازدهار إلى القرن الخامس عشر، ومن القرن الثاني عشر فصاعدا كانت حواضر العرب محط أنظار كل غربي يميل إلى العلم ويتذوقه». انظر مقالة الأستاذ فهمي هويدي «الذين يكرهون أمّتهم وتاريخهم»، في جريدة الأهرام العدد (٤٠٨٠٤).

للإنجيل، بل من ذا الذي يدرس الأناجيل الأربعة، والأنبياء ورسائل الرسل؟.. وا حسرتاه! إن الشباب النصارى جميعهم اليوم، الذين لمعوا وبزوا أقرانهم بمواهبهم لا يعرفون سوى لغة العرب والأدب العربي! إنهم يتعمّقون دراسة المراجع العربية باذلين في قراءتها ودراستها كل ما وسعهم من طاقة، منفقين المبالغ الطائلة في اقتناء الكتب العربية(!) وإنشاء مكتبات خاصة، ويذيعون جهرا في كل مكان أن ذلك الأدب العربي جدير بالإكبار والإعجاب!

ولئن حاول أحد إقناعهم بالاحتجاج بكتب النصارى فإنهم يردّون عليه باستخفاف، ذاكرين أن تلك الكتب لا تحظى باهتمامهم!.. وا مصيبتاه! إن النصارى قد نسوا حتى لغتهم الأم، فلا يكاد اليوم واحدا في الألف يستطيع أن يدبج رسالة بسيطة باللاتينية السليمة، بينما العكس من ذلك، لا تستطيع إحصاء عدد من يحسن منهم العربية، حتى لقد حذقوه وبزوا في ذلك العرب أنفسهم».

إن سحر أسلوب المعيشة العربي قد اجتذب إلى فلكه الصليبيين إبان وقت قصير، كما تؤكد شهادة الفارس الفرنسي «فولشير الشارتي» وها نحن الذين كنا أبناء الغرب قد صرنا شرقيين!، ثم راح يصوّر أحاسيسه وقد تملّكه الإعجاب بالسحر الغريب لذلك العالم العجيب بما يعبق به من عطر وألوان، تبعث النشوة في الوجدان، ثم يتساءل بعد ذلك مستنكرا: «أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب؟!، بعد ما أفاء الله علينا وبدّل الغرب إلى الشرق»[1].

وقد أوردت كارين آرمسترونج نص «ألفارو» الذي أوردناه عن هونكه، منذ هنيهة، وذلك في كتابها «الإسلام في مرآة الغرب محاولة جديدة في فهم الإسلام»[2]، وقالت قبل عرضها له: «كانت العلاقات المسيحية الإسلامية جيدة عادة، كان المسيحيون –مثل اليهود– ينعمون بحرية دينية كاملة ضمن الإمبراطورية الإسلامية، وكان معظم الإسبان يشعرون بالاعتزاز لانتسابهم إلى الثقافة العربية الإسلامية الرفيعة التي كانت متقدمة على غيرها بسنوات مشرقة كثيرة».

كما أورده ويل ديورانت في موسوعته (قصة الحضارة)[3] فقال: «وكان المسيحيون من رجال الدين وغير رجال الدين يفدون بكامل حريّتهم وهم آمنون من جميع أنحاء أوربا المسيحية إلى قرطبة، أو طليطلة، أو إشبيلية طلاباً للعلم، أو زائرين، أو مسافرين. وقد شكا أحد المسيحيين من نتيجة هذا التسامح بعبارات –يقصد ألفارو– تذكرنا بشكاية العبرانيين القدماء من اصطباغ اليهود بالصبغة اليونانية فيقول: «إن إخواني المسيحيين يُعجبون بقصائد العرب وقصصهم، وهم لا يدرسون مؤلفات فقهاء المسلمين وفلاسفتهم ليردّوا عليها ويكذبوها، بل ليتعلموا الأساليب العربية الصحيحة الأنيقة... وا حسرتاه! إن الشبان المسيحيين الذين اشتهروا بمواهبهم العقلية لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة غير علوم العرب وآدابهم ولغتهم؛ فهم يُقبلون في نهم على دراسة كتب العرب، ويملؤون بها مكتباتهم، وينفقون في سبيل جمعها أموالاً طائلة، وهم أينما كانوا يتغنّون بمديح علوم العرب».

والغريب أن ألفارو هذا هو من اشتكى من قومه، يقول ديورانت تحت عنوان: «الكنيسة في الحضيض» (١٣٠٧- ١٤١٧) وقد رفع الأسقف الأسباني ألفارو بلايو عقيرته بقوله: «إن الذئاب تسيطر على الكنيسة وتمتص دماء الشعب المسيحي».

إن ذلك كله يؤدي عند العقلاء إلى ربط الوحي والقرآن بنتائج فاعلية علمه المنشئ للعلم العقلي والتجريبي، المادي والسببي، الروحي والوجداني والشعوري، ولكن عملية الحجب والعزل، الكتمان والستر، كانت وما زالت تتم لتغييب الحقائق العليا، والمحسوسة في التاريخ، فمِن زرْع الوحي نبتت علوم الحياة، التي استفادت أوروبا والغرب منها أيّما استفادة.

«ولقد كان النموذج الإسلامي قائماً حول أوروبا من الشرق والغرب والجنوب، بل إنَّ أوروبا لم تعرف العلم الحقيقي إلا حين أرسلت أبناءها يتعلّمون في مدارس المسلمين في الأندلس والشمال الإفريقي وصقلية الإسلامية؛ فلئن كانت الكنيسة قد ارتكبت حماقاتها بمعاداة العلم والعلماء، فلقد كان الحلّ هو نبذ دين

(١) الله ليس كذلك، ص ٤٢- ٤٣.
(٢) ص ٢٢.
(٣) ج ١٣، ص ١٩.

الكنيسة الفاسد، لا نبذ الدين كله، وقد رأوا نموذجاً مفلحاً منه في العالم الإسلامي... ولئن كانت «المكايدة» هي العملة المتبادلة بين الكنيسة من جهة والعلماء من جهة، فلقد كان المقتضى السليم لذلك هو أن يرد العلماء للكنيسة إلهَها المزيف الذي تعذب العلماء باسمه وتطاردهم، ويفروا إلى الله الحق الذي وجدوه معبوداً عند أولئك العلماء الأفذاذ الذين تتلمذوا عليهم وتعلموا العلم على أيديهم، والذي وجدوا العبادة الصحيحة له تخرج مثل هؤلاء الأفذاذ، وتتيح لهم حرية البحث العلمي بلا قيود»[1]، لكن مجرى الأحداث والتاريخ سار بسيناريو مختلف تماماً.

الطريق إلى العلمانية الصلبة ثم السائلة

أما الانقلابات الكبرى، والتبدلات الضخمة فقد بدأت مع بداية القرن التاسع عشر، وجاء «دارون»[2] فكتب كتابه «أصل الأنواع» سنة ١٨٥٩م، ثم في سنة ١٨٧١م نشر كتابه في «أصل الإنسان» وادّعى أن أصله حيوان! وهكذا بدَل أن تترفع الحضارة الغربية إلى مستوى الحضارة الإسلامية والكرامة الإنسانية التي حرصت عليها، نزلت إلى مستوى «الحيوان»[3].

في البداية وقفت الجماهير في جانب الكنيسة ضد نظرية دارون: فقد عزَّ عليها بطبيعة الحال أن يصمها دارون بالحيوانية، وينزع عنها «قداستها» وتميزها ورفعتها، حين ينزع عنها كرامة الإنسان ويردّها إلى أصل حيواني. ولكنها - رويداً رويداً - في المعركة الحادة التي قامت بين دارون وبين الكنيسة غيّرت موقفها! فقد وجدت أن هذه فرصة سانحة للإجهاز على ذلك الغول البشع الذي يضطهد الناس بسلطان الدين. ونسيت الجماهير بعد فترة كرامتها الإنسانية، وفرحت بالانطلاق والتحرير، ولو في إهاب الحيوان![4].

ثم جاء «فرويد»[5] فاستخدم نظرية «دارون» في أصل الإنسان، وقال بأن هذا الإنسان هو ذو نفسية جنسية تسيطر على كل تصرفاته، حتى الدين، فهو نتيجة لعملية كبت جنسي قديم تجاه (الأم)!! التي قام الأولاد من أجل الحصول عليها بقتل أبيهم.. ثم أظهروا الندم فعبدوا (الوالد) ثم «الطوطم»[6] ثم ظهرت الأديان تباعاً نتيجة هذه العقدة المرضية التي حدثت للأولاد من كبت الجنس وقتل الأب! ويطالب «فرويد» بإطلاق الغرائز والتحرر من الدين للخروج من الكبت الموروث![7].

يقول «يونج» أحد تلاميذ فرويد المقربين: «لقد قال لي فرويد إننا ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية» وقال لي: ينبغي لنا أن نجعل من الجنس عقيدة!!![8].

ويقول المسيري إن فرويد وأمثاله من اليهود الذين يقومون بتقويض الذات الإنسانية يقومون بعملية تقويض جذرية: «وهم أيضاً يغوصون في ظلمات النفس البشرية، ويصلون إلى عناصر الهرطقة المكبوتة التي تتحدى المعيارية القائمة، فيقومون باكتشافها وبلورتها ودغمها نحو المركز... يقومون بإحلال النص المهرطق مكان النص المقدس، **وهم بذلك يحوّلون الخارجي إلى داخلي، والعكس بالعكس،** ففرويد يتولى تعرية الرغبات المهرطقة في الذات الإنسانية، **ودريدا سيد التقويضيين... فهناك في كل أنحاء العالم (مثقفون يهود)- بالمعنى المجازي أو الوظيفي- جعلوا همهم** فتح النصوص المقدسة عن طريق إعلان أن النص المقدس صامت يمكن أن يحمل أي معنى يريده المفسّر، ثم قاموا بإعادة تفسيرها وتحميلها معنى مهرطقاً حتى يسود الظلام وتهيمن

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ٤٨٠.

(٢) تشارلز روبرت دارون العالم البريطاني الطبيعي الشهير، (١٨٠٩-١٨٨٢م)، نال وسام الاستحقاق الروسي سنة ١٨٧١ وفي عام ١٨٧٨ صار عضوا في الأكاديمية الفرنسية. عمل سكرتيراً للجمعية للجيولوجية من سنة ١٨٣٨ إلى ١٨٤١ - بتصرف من «الإسلام ونظرية دارون» لمحمد أحمد بشميل ص ١٩، ٢٠.

(٣) في بداية شهر أغسطس ١٩٩٨م أعلنت نشرات الأخبار الهولندية أنهم اكتشفوا بعض فصائل الحيوانات يمارس بعض الذكور منها الجنس مع الذكور فقالوا بأن هذا دليل على أن هذه الممارسة في عالم الإنسان - الذي زعموا أنه من أصل حيواني!- ممارسة مشروعة بدليل وجودها في عالم الحيوان!!

(٤) التطور والثبات في حياة البشرية، محمد قطب ص ١٩، ٢٠.

(٥) هو عالم نفس «يهودي نمساوي!» ولد عام ١٨٥٦ وعمّر طويلاً حتى مات في عام ١٩٣٨. ألّف نحو ثلاثين كتاباً في الدراسات النفسية.

(٦) الطوطم هو حيوان أو نبات أو أي ظاهرة طبيعية أو أي شيء آخر مقدس لدى جماعة أو قبيلة أو جنس من الشعوب الوثنية، ويرمز للجماعة ويحميها، وأول طوطم عند فرويد هو السلف المتحد وبعد ذلك يمثل الإله الحيوان أو أنه يحمل صفات الحيوان، انظر: النبي موسى والتوحيد، لفرويد، ص ١٠٥.

(٧) وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه من هذا الفصل.

(٨) في كتابه: ذكرياتي عن فرويد 'Memorials of Freud' والذي صدر في الستينيات، انظر: مذاهب فكرية معاصرة ص ١٢، ١١٥.

العدمية»[1] وهنا تؤول العلمانية إلى دورها الأخير، دور السيولة وفقدان المرجعية!

فالمرجعية النهائية هي - في الحقيقة- إنكار المرجعية، والمطلق الثابت الوحيد هو النسبي المتغير، وهذا هو ما يُعبر عنه الفكر المادي بالقول «لا ثبات إلا لقوانين التغير». ومع هذا تظل هناك الداروينية وفكرة البقاء للأقوى باعتبارها المرجعية الوحيدة الثابتة في عالم الواحدية السائلة وما بعد الحداثة والنظام العالمي الجديد»[2].

ومن المعلوم أن العلمانية ليست مجرد تعريف، كما قال المسيري، وإنما ظاهرة لها تاريخ، وتظهر من خلال حلقات متتابعة...إنه في المراحل الأولى من هذه المتتالية تسود العلمانية الجزئية، حينما يكون مجالها مقصوراً على المجالين الاقتصادي والسياسي، وحين تكون هناك بقايا مطلقات مسيحية وإنسانية، وحين تتسم الدولة ووسائل الإعلام وقطاع اللذة بالضعف والعجز عن اقتحام (أو استعمار) كل مجالات الحياة، وحين تكون هناك معيارية إنسانية أو طبيعية / مادية. ولكن.. في المراحل الأخيرة، ومع تزايد قوة الدولة ووسائل الإعلام وقطاع اللذة، وتمكنها من الوصول إلى الفرد وإحكام القبضة عليه من الداخل والخارج، ومع اتساع مجال عمليات العلمنة وضمور المطلقات واختفائها، وتهميش الإنسان، وسيادة النسبية الأخلاقية، ثم النسبية المعرفية (باهتزاز الكليات) تظهر العلمانية الشاملة في مرحلتيها: الصلبة والسائلة..» [3].

ثم جاء «دوركايم»[4] فجعل الإنسان مميع الشخصية، فلا شيء ثابتا في حياته، لا القِيم، ولا الفطرة، ولا الدّين، فكلّها تخضع للتطوير والتبديل «فهو يريد أن يلغي شخصية الفرد إلغاءً تاماً ويلغي إرادته» ليخضع لقهر خارجي.

وقال - كغيره من فلاسفة أوروبا- بأن الدّين والأسرة والزواج أشياء ليست فطرية، فهي ظواهر اجتماعية تخضع لتطور المجتمعات! والآن.. يوجد تطور.. – ويعلّق الأستاذ محمد قطب على كلامه: فلتكن الهمجية.. وأهلاً بالجريمة فهي ليست ظاهرة اجتماعية معتلة! (هكذا تؤدي نتائج النظرية وتفسير نتائجها عند الأستاذ محمد قطب)، وإنما هي ظاهرة اجتماعية طبيعية ومفيدة للجميع!!: «ومن ثم تكون الجريمة الظاهرة الوحيدة التي تنطوي بصفة لا تقبل الشك على جميع أعراض الظاهرة السلبية»[5]: «ولكن معنى ذلك أيضا أننا نؤكد من جهة أخرى أن الجريمة عامل لا بد منه لسلامة المجتمع، وأنها جزء لا يتجزأ من كل مجتمع سليم»![6].

وبعد دوركاييم بدأت المذاهب المنحرفة الأخرى في الظهور، وأصبحت تظهر بسرعة التطور والتحول في مناحي الحياة التي تحتل العلمانية مواقعها ومجالاتها، وكما يقول العلماني القمعي جابر عصفور: «ومِن ثم ظهور نظريات واتجاهات جديدة تحل محل نظريات واتجاهات تنسحب من بؤرة المشهد... حتى إن الفيلسوف الواحد ينتقل من نظريته إلى غيرها»، ويضيف عصفور:» لانسحاب الأضواء عن النزعة البنيوية التي عرف بها تودوروف... انصراف تودوروف نفسه عن البنيوية التي هجرها إلى نظريات الخطات الأحدث»[7]. حتى ظهرت أعراض الخلل في النفس البشرية في هذه الحضارة التي أخذت من المسلمين نصف حضارتهم وتركت النصف الأهم وهو عقيدة الإسلام الشاملة أو شريعة الإسلام الكاملة، التي فيها سعادة الإنسان مدنياً واجتماعيا، دنيوياً وأخروياً.

إعلانات الموت العبثية المؤدية للانهيار والسيولة

أعلنت المذاهب الجديدة «الغربية» انفصالها عن السماء، وتحللها من القيم الربانية ثم الإنسانية القديمة، أعلن نيتشة - مثلاً- «أن الله قد مات»!، فأعلنت استغناءها عن الله سبحانه، تعالى عمّا يقولون، وهي

(١) الحداثة وما بعد الحداثة، عبد الوهاب المسيرى وفتحى التريكي، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠، ص ١٤١، ١٤٢.
(٢) العلمانية الشاملة، عبد الوهاب المسيري، ج ١، ص ٢٤٢.
(٣) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢١.
(٤) إميل دور كايم أو دورك هايم أو دور كحاييم، عالم اجتماع يهودي فرنسي (١٨٥٨- ١٩١٧) له كتبٌ من أشهرها (مقدمة في علم الاجتماع)، انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص ١١٤.

(٥) انظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ص ١٢٨.
(٦) نقلاً عن التطور والثبات في حياة البشرية، ص ٢٢٤.
(٧) آفاق العصر، جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٧م، ص ١٣١.

تأكل وتشرب من كونه وأسباب الحياة الطبيعية التي أبدعها أحسن إبداع وسخّرها لهم أعظم تسخير، وبالتالي استغنوا عن الشريعة والدين والأخلاق والأسرة، بل وأخيرا بإعلان موت الإنسان عن «الإنسان»!، وقد عبّر ميشيل فوكو عن نهاية الإنسان، بل موته في الغرب، وفلسفاته الأخيرة في آخر صفحات كتابه «الكلمات والأشياء»، قال فيها: «موت الله والإنسان الأخير متلازمان»! وقال: «الإنسان سوف يندثر مثل وجه من الرمل مرسوم على حد البحر»، و«الإنسان مشرف على الموت»[1] ، ومن المعلوم أن فوكو شرعن الخروج عن الأسرة والعلاقة الطبيعية ودافع عن الأسر الجديدة، وله كتب معروفة في فلسفة ذلك وفلسفة المثلية، والشذوذ باعتباره صحة وقوة في المجتمع.

إن الدكتور المسيري يبين لنا –تبعاً لهايدجر- أن تضمينات كلمة نيتشه المشهورة لا تشمل الإله وحسب، بل تشمل الإنسان والكون، بحسب هجوم نيتشه طبعا! (وكان النموذج الذي هاجمه نيتشه هو النموذج المسيحي)، يقول: «ويُلقي الفيلسوف الألماني هايدجر الضوء على عبارة نيتشه بقوله: «إن الإله بالنسبة لنيتشه هو العالم المتسامي .. العالم الذي يتجاوز عالمنا، عالم الحواس.. الإله هو اسم عالم الأفكار والمثاليات والمطلقات والكليات والثوابت والقيم الأخلاقية، ومن ثم يمكننا أن نقول إن العبارة تعني في واقع الأمر: نهاية فكرة المركز الكائن خارج المادة. بل وفكرة الكل ذاتها، باعتبارها كيانا متماسكاً يعلو الأشياء. ومن ثم يسقط المركز بسقوط فكرة الكل المتجاوز، فيصبح العالم أجزاء لا تشكل كلاً ولا مركز لها»[2].

فنيتشه - بمقولته هذه- حاول تحطيم كل «مقدس» و«خير» و«جميل» و«مطلق»: وذلك – كما يقول المسيري- «حتى يتم القضاء تماماً، لا على اليقين المعرفي والأساس الديني للأخلاق وحسب، وإنما يتم القضاء أيضاً على أي يقين معرفي، بل وعلى مفهوم أو فكرة الأخلاق ذاتها»[3] ، وبدأ الانهيار مع التطور المادي للحضارة الغربية، وسيطرت الفلسفة العلمانية عليها! تطوَّرت الحضارة لكنها أفسدت الإنسان، تقدَّمت لكنها حطمت إنسانية الإنسان، وأهملت حاجاته الكلية، يكفي أنها جعلته حيوانياً وفسرته جنسياً وسلّمت زمامه للمجتمع والتطور المُنْحلّ الذي لا يلبّي حاجات الإنسان الإنسانية والاجتماعية، ولا أشواقه الفطرية أو رعايته المتكاملة في الشباب والشيخوخة.

تحررت من الكنيسة والإقطاع البغيض لكنها لم تقبل ديناً بديلاً كانت قد احتكت به في الأندلس والحروب الصليبية، فأخذت علومه واستفادت من منجزاته وعقوله، وأقبلت تحاربه على منوال حروب الكنيسة! فلم تعطِ الفضل لأهل الفضل ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، بل أقبلت تحاربه بالاستعمار العسكري تارة، وبالاستعمار السياسي والاقتصادي تارة أخرى، والثقافي على الدوام، وكلنا يعرف تاريخ الاستعمار!

محاولة نقل «العلمانية» إلى العالم الإسلامي:

أثناء ذلك كانت السيطرة على بلاد المسلمين قائمة على قدم وساق فغيّرت تشريعاتها واستوردت قوانين أوروبا لحكم بلاد المسلمين وانطلقت البعثات إلى بلاد أوروبا في القرن الثامن عشر لتتعلم في جامعاتها، وحمل معظم العائدين، فوق العلوم النافعة، مذاهب الفلسفة الغربية التي تعلن استقلال الإنسان عن الله والوحي الإلهي!

ودافع بعضهم عن نظرية «دارون» باعتبارها نظرية راقية! ودافع آخرون عن النظريات الأخرى، والتي يهشم بعضها بعضاً.

وأراد بعضهم تحرير المرأة المسلمة من واقعها الذي تعيشه في ظل الأنظمة ذات الصبغة «غير الإسلامية»، بل أراد تحريرها من الإسلام، وكأن الإسلام يستعبدها

(١) انظر كتابه: الكلمات والأشياء، مركز الإنماء القومي، ترجمة مطاع صفدى وغيره، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤. يقول المسيرى: «إن ماحدث - ويقصد في العلمانية- ليس موتاً للاله نتيجة حلوله في المادة وتوحده بها واستيعابه فيها (فهو متجاوز للطبيعة والمادة)، وإنما هو تعبير عن أن نسيان الإنسان للإله أدى إلى نسيان الإنسان لذاته المركبة الربانية (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (الحشر: ١٩).. بل هو تناس لمقدرة الإنسان على تجاوز العالم المادى وعلى اكتشافه لجوهره الربانى الإنسانى، ولكنه على أية حال، ليس نسياناً كاملا، إذ تظل ذاكرة النور الذى يبثه الإله في الصدور قائمة في أعماق وجدان الإنسان»، العلمانية الشاملة للمسيرى، ج ١، ص ١٩٤. ومعنى جوهره الربانى الإنسانى: قبس الروح المخلوق الذى أصله من الله، أى من عند الله، وقبضة الطين المخالفة بطبيعتها للروح غير المخلوق من قبضة الطين.

(٢) الحداثة وما بعد الحداثة للمسيري وفتحي التريكي، ص ٢٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٩.

ويقهرها - كما زعموا - حتى ظهر في القرن العشرين من يدعوها إلى التحرر من الأسرة والزواج و«الرجل» إلى غير الأسرة وغير الزواج وغير«الرجل»![1].

علّمتهُم «أوروبا» كيف يمكن أن يتحرروا من الأسرة والعلاقات الثابتة بين الجنسين، وأن يلفظوا مبادئهم في تربية الإنسان وصنع المجتمعات، وأن يدفعوا بالمرأة في طريق شائك مهلك للجسد وممزق للروح ومؤدٍ إلى عدم الاستقرار والأمن والسكينة، علّموهم ذلك كله، حتى ظهر منهم أخيرا من نادى بانتهاك كل محرّم، وأن القيام بذلك هو «الفضيلة الكبرى»![2].

وعيّنوا - حديثا – د. محمد أركون في جامعة السوربون بفرنسا، ليقول للمسلمين: يجب أن تُنتهك كل المحرمات الدينية والفكرية![3].

واخترع د. حسن حنفي[4] ما يسمى باليسار الإسلامي، واعتبر «أن الإنسان هو القادر على كل شيء»[5] وأنه قادر قدرة مطلقة[6] وأن الإنسان خضع في حال العجز لله!

و نادى د. نصر حامد أبو زيد[7]، بإخضاع القرآن لنظرية غربية / مادية تنكر الخالق وتؤول الوحي الإلهي على أنه إفراز بيئوي أسطوري، ناتج عن المعرفي التاريخي الغارق في الأسطورة[8].

وحتى صنعوا طائفة «العلمانيين» العرب، وغيرهم من أبناء الأقطار الإسلامية من غير العرب ليدّعوا بكافة الطرق، المباشرة والملتوية، إلى نبذ الدين وطرد الشريعة وتحقير الأسرة وتمجيد النمط الغربي في الحياة، وبحجة «الحداثة» دعوا إلى القطيعة مع ثوابت الإسلام وشريعته ومبادئه، وقال أساطينهم إنه لا سبيل لتحديث البلاد العربية والإسلامية إلا بتخلّيها عن الإسلام! البعض قال هذا تصريحاً والبعض الآخر قاله تلميحاً!

يقول أحد كبرائهم، د. محمد أركون: «إن الخط التحديثي الواجب احتذاؤه هو خط العلمانية والعقلانية في مواجهة «الشريعة»[9] ، ويقول: «خط الغرب العقلاني والعلماني والليبرالي»، لذلك فإنه يدعو إلى هذه «الحداثة العقلية والفكرية»[10] مقلداً للفكر الفلسفي الغربي!

هذه «الحداثة» التي دمّرت الغرب ومزقت ببطء «الثابت» و«النهائي» «بلفظ محمد أركون» ولذلك فهي لا تستمد مشروعيتها إلا من الفلسفة الإلحادية والعقل المستقل عن «الوحي»، ولذلك فإن العلمانيين العرب يرفضون «المشروعية الإسلامية» و«المرجعية الدينية» تقليدا للفكر والحداثة الغربيين وسيراً على خط الحداثة في مواجهة الوحي والشرعية تأصيلاً للمشروعية العلمانية

---

(١) مشروع نوال السعداوي.

(٢) سيأتي نص كلام أدونيس في ذلك، في الفصل الذي خصّصناه عنه في هذا الكتاب، وأدونيس هو علي أحمد سعيد، شاعر سوري مشهور، غارق في الإلحاد والإباحية. وبحسب كتاب الثقافة العربية في المهجر فإن «أدونيس» هو ممثل جامعة الدول العربية لدى اليونسكو «بالإنابة»، وله كتاب «الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب»، وصدر له عن دار الأدب، ببيروت «النص القرآني وآفاق الكتابة» طبعة ١٩٩٣م.

(٣) كتبتُ ذلك قبل عام ٢٠٠٠، وقد توفى أركون عام ٢٠١٠، وهو مفكر علماني جزائري، ومدير معهد الدراسات العربية والإسلامية في جامعة السوربون، له كتب وبحوث، أكثرها منشور بالفرنسية، مثل: الفكر الإسلامي، قراءة علمية وله بالعربية «تاريخ الفكر الإسلامي» و«المفكر الإسلامي» و«الفكر الإسلامي قراءة علمية» وغير ذلك مما ترجم حديثاً، وقد خصّصتُ له فصلا خاصا في كتابنا هذا.

(٤) د. حسن حنفي، مصري، وهو أستاذ في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

(٥) من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، ج ٣، ص ١٨٠.

(٦) انظر: من العقيدة إلى الثورة، ج ٤، ص ٥٨، وانظر كتاب لسنج في تربية الجنس البشري، ص ١٤٩، نقلاً عن «المثقفون العرب والتراث»، لجورج طرابيشي، ص ١٤٣ و١٤٨.

(٧) كان أستاذا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة. تلقى في سنة ١٩٧٥ منحة من مؤسسة فورد للدراسة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وفي سنة ١٩٧٨ حصل على منحة من دراسات الشرق الأوسط، بجامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة، وفي عام ١٩٩٥ أصبح أستاذا زائرا في جامعة ليدن بهولندا، حتى سنة ٢٠١٠م. ومدينة لاهاي تبعد عني بالقطار مدة عشر دقائق فقط، حيث كتبتُ هذا الكتاب.

(٨) اسم هذه النظرية «الهرمنيوطيقا»، وهو مصطلح قديم يعود إلى عام ١٦٥٤م، بدأ استعماله في دوائر الاتصالات اللاهوتية، خاصة في الأوساط البروتستانتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني «الكتاب المقدس»، وقد اتسع مفهوم المصطلح – يقول نصر أبو زيد – في تطبيقاته الحديثة، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعا لتشمل كافة العلوم الإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجي وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفولكلور، من علماء «الهرمنيوطيقا» المفكر الألماني شلير ماخر وويلهلم ديلثي ومارتن هيدجر وجادامر، يقول نصر أبو زيد: «وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند جادامر بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي، نقطة بدء أصيلة للنظر إلى علاقة المفسر بالنصّ، لا في النصوص الأدبية ونظرية الأدب فحسب، بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن»، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، لنصر أبو زيد، ص ٤٩، وما قبلها.

(٩) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص ٢٢٧، ٢٣٢.

(١٠) الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص ١٨١.

في مواجهة «المرجعية الإسلامية». يقول د. علي حرب: «هناك معيار يمكن استخدامه للفصل بين العلماني وغير العلماني، هو أصل المشروعية التي يرتكز إليها مجتمعٌ ما في تصوره لهويّته، وفي إرساء نظامه وإدارة وحدته وتسيير شؤونه، ففي المجتمع الديني، تستمد المشروعية، بل المعنى والنظام والوحدة، من خارج المجتمع، من مصدر فوقي، عُلْوي... هذا في حين أن المشروعية، في المجتمع العلماني، هي على الضد من ذلك، تنبع من داخله لا من خارجه(!)... فلا مصدر إذن، لشرعيته غيره»![1].

فالمرجعية في العلمانية هي الإنسان المستقل عن الله، وعن الوحي، وعن الشريعة، وقول د. علي حرب هنا لا يخالف مفهوم العلمانية الغربي، إنه هو هو! لا مكان للدين كمرجعية في العلمانية، ولا شرعية للشريعة، ولا سلطان للوحي.

والمنهجان - بناءً على ذلك- مختلفان، إنهما يشكلان - كما يقول الدكتور العلماني محمد أركون- : «طريقتين مختلفتين في الإدراك والوعي والتفكير والعمل والخلق والمعرفة»[2] ، إذن ليست العلمانية هي فصل الدين عن السياسة فقط!!!

لذلك ينتصر العلمانيون، لا للإسلام كوعي ومعرفة وإدراك وتفكير وعمل، وإنما للعلمانية كمصدر وحيد للمشروعية، كمرجعية شاملة للحياة كلّها، وكما يقول د. أركون: «بصفتها فكراً وطريقة محددة لتشكيل مفهوم جديد عن السيادة والمشروعية»[3].

فالسيادة والمشروعية العليا، في العلمانية ليست للقرآن ومنهجه في الحياة، يقول أركون «إن القرآن يؤسس وعياً خاصاً بالعلم والتاريخ والدولة»[4] ، وهو ينادي، ويطالب بالاقتداء بتاريخانية القرن التاسع عشر (العلمانية): «التي توصلت إلى تهميش العامل الديني والروحي المتعالي وحتى طردته نهائياً من المجتمع»[5].

إنه يطالب - كالعلمانيين- بتعبئة كل الجهود للقيام بعملية طرد للإسلام وسيادة ومشروعية القرآن من المجتمع مهما ادّعى أنه لا يريد طرد الدين، وإنما ترك الحرية له حرية الأشواق الدينية المرفرفة!، فالحرية هذه إنما هي فقط في إقامة الشعائر، وهو يطالب بتغيير مفهوم الدين في عقول المسلمين، وإبعاده عن مجالات الحياة السيادية والقانونية والتشريعية والقيمية، ومعنى ذلك من جهة طرد الإسلام من أهم مناحي الحياة التي جاء لها، وقصدها في أولوياته العليا لتحقيق التوازن في النفس والحياة والمجتمع، ومن جهة أخرى قصر هذا الأركون حدود الإسلام عند حدود الشعائر، بل إن الرجل مع التضييق عليها بالتغيير الفكري.

يقول أركون إنه مع أن الدولة الديمقراطية العلمانية تحمي كل الأديان، إلا أنها تتسامح زيادة عن اللزوم!، وهو يرفض الحياد العلماني تجاه موضوعٍ كالحجاب، أي أنه يحرّض ضد الحجاب، ويضرب مثلا على ذلك بأن الباحثين العلميين الذين يرفضون التدخل في الأمر يتحجّجون إما بواجب التحفظ المفروض(!) عليهم من قبل وظائفهم في الدولة العلمانية، وإما بعدم تهيئتهم نفسيا وفكريا لهذا النوع من العمل ... «منذ زمن طويل وأنا أدين من دون نجاح هذا الفراغ الفكري والعلمي واللاهوتي والفلسفي في الدولة العلمانية الديمقراطية الحديثة. وينكشف هذا الفراغ أكثر فأكثر كل يوم عن طريق المناقشات التلفزيونية المنظمة باستمرار حول مواضيع متكررة كالحجاب والبرقع والشريعة والمآذن والمساجد... نلاحظ أن المسؤولين السياسيين يفضلون الاحتماء خلف الحياد العلماني الذي يشكل قدس الأقداس»[6].

ويقول أركون إن الكنيسة قبلت أخيرا بمبدأ فصل الدين عن الدولة وهو المبدأ الذي سواه قانون ١٩٠٥: «لقد أصبح هذا القانون العلماني ضروريا منذ الآن فصاعدا- يقول أركون- من أجل احتواء تطرفات الإسلام الشعائري الطقوسي الدوغمائي الأصولي المسيس في آن معاً»[7] ، يقصد كما تقدم من كلامه مواضيع كالحجاب والنقاب والمآذن والمساجد!

إن ما يغيظ أركون أو كان يغيظه، هو أن الدولة العلمانية تراعي رجال الدين التقليديين «ويراعونهم أكثر

(١) في كتابه نقد الحقيقة، ص ٥٧.
(٢) الفكر الاسلامي قراءة علمية، ص ١٨١.
(٣) المرجع السابق، ص ١٨٢.
(٤) المرجع السابق، ص ٧٢.
(٥) المرجع السابق، ص ٦٨.
(٦) نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، ترجمة وتقديم هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١١، ص ١٧٢.
(٧) المرجع السابق، ص ١٧٢.

من اللزوم»! فيقول: «إن مراعاة الدولة العلمانية الفرنسية أو الإنكليزية أو الألمانية أو الأوروبية عموماً لرجال الدين التقليديين تتم على حساب الاستنارة والفهم الجديد والمتسامح للدين الإسلامي»، فالدين الإسلامي: «يثير ردود فعل تساهلية أو تسيبية –يقصد من التسيب- ، وحتى نوعا من الدعم الطائش وغير المتعقل لدى محبيه بشكل زائد عن الحد في الغرب نفسه»، ويضيف: «وهكذا نجد أنفسنا بين قطبين متضادين أو موقفين متطرفين ومتعاكسين: القطب الكاره للإسلام بشكل هوسي لا معقول، والقطب المجذوب إليه بشكل متهور ومن دون أي تروٍّ. وهكذا ننتقل من تطرف إلى تطرف بدلا من أن نفهم مشكلة الإسلام بشكل عقلاني هادىء»، ولكن ما هو هذا الموقف الثالث لأركون؟

وهو يحرّض الغرب على القيام بمزيد من تغيير حقيقة الإسلام: «ولكن إذا كانت سياسة التسوية الوسطية ضرورية من أجل إيقاف العنف في المجتمع –يقصد الغربي- وحمايته منه، فإنه لا ينبغي الاكتفاء بها، بل ينبغي تجاوزها من أجل التوصل إلى حلول تأسيسية وتدشينية لفهمٍ جديد للدين»[1].

وقال أركون: «ينبغي العلم أن الإسلام أصبح منخورا من الداخل (يقول أركون ذلك مع أنه هو نفسه سخِر ممّن قال من العلمانيين إن الإسلام سينتهي قريبا)، ومضعفا ومتجاهلا ومستخدما كمجرد أداة داخل كل نظام من الأنظمة السياسية القائمة في العالم العربي أو الإسلامي. لكنه في الوقت نفسه دين مجهول في العالم الغربي أو غير العربي، ومشنّع به، أو على العكس، مقرظ ومتقرب منه ومُتلاعب به من قبل هذا الغرب بالذات. كل المواقف المتناقضة تجاهه نجدها في الغرب. لكي أشرح وضع الإسلام أضرب المثل التالي: نلاحظ أن أغلبية المسلمين نزلوا إلى الشارع بعنف من أجل التظاهر ضد ظاهرة كره الإسلام في الغرب أو «الإسلاموفوبيا». كما نزلوا للتظاهر ضد العنصرية، والصور الكاريكاتورية، ورواية الآيات الشيطانية، ومحاضرة البابا في جامعة راتسبونغ، إلخ. لكن القليل جدا منهم هرعوا إلى المكتبات للاستعلام عن المسار التاريخي الحقيقي لهذا الدين... فالعقلية الدوغمائية الانغلاقية لا تزال مسيطرة في الإسلام، ولا أحد يريد أن يفتح عقله على تساؤلات جديدة بالرغم من كل ما حصل ويحصل!»[2].

ويحاول أركون أن يبرّر بعض التصرفات السياسية تجاه التأفف من المظاهر الإسلامية بقوله إنه في عام ١٩٩٥ تجرأ الرئيس الفرنسي الأسبق جاك شيراك على التحدث والتعبير عن تضايقه «من الانتشار الزائد عن الحدّ لبعض الروائح والألوان والأصوات والألبسة في الفضاء العام للمجتمع. هذا كل ما في الأمر لا أكثر ولا أقل. ومع ذلك فقد ثارت ضده عاصفة من الانتقادات متهمةً إياه بالعنصرية»، وعن الروائح قال: «روائح المطبخ التي تنتشر في أروقة مباني المدن الفرنسية وسلالمها»، إن أركون لا يحاول التبرير فقط وإنما يقدم تفسيرا ساذجا لذلك مع أننا لا نتهم شيراك بالعنصرية التامة، ولكن تفسير أركون للأمر إنما هو تفسير ساذج جدا، يقول: «ينبغي العلم أننا أحيانا نفرح أمام منظر ما، وأحيانا نحبّ شيئا ما، وأحيانا نرغب فيه، وأحيانا نختنق، أو نشعر بالدوخان أو بالرغبة بالتقيؤ، أو قد نشعر بتوعك صحي إذا ما رأينا جسدا مدمى.. إلخ. لا ينبغي أن نفسر كل شيء في الاتجاه السيئ. إن منظر امرأة مغطاة من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها بالرقعة الأفغانية السوداء أو النقاب شيء يثير ردود فعل سلبية كبيرة لدى الأوروبيين، بل حتى لدى المسلمين الذين تربوا في بيئات منفتحة تختلط فيها النساء بالرجال»[3].

في مقابل ذلك فإن موقف الفيلسوف العلماني ذي الأصل المسيحي بول ريكور في موضوع الحجاب يناقض موقف أركون التحريضي ضد الحجاب، لكنه يتخذ موقفه هذا ليس من أجل الحرية، لكن من أجل مواجهته بمكر!

يقول بول ريكور: «وأعترف بأني مصدوم فيما يتصل بقضية الحجاب، لأننا لم نقترح على هؤلاء الفتيات المسلمات حلولا أخرى. فيما يتعلق باليهودية والمسيحية نعتبر أنه يجوز الحديث عن علامات لا تثير الانتباه وأخرى

(١) المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨١.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٠.

تفاخرية؛ فنمنح فرصة للاختيار. فأين هو البديل بالنسبة للحجاب؟ ومن جهة أخرى، ما هو الشكل التفاخري لعلامة كاثوليكية؟ هل هو الشخص الذي يصل إلى المدرسة حاملا صليبا على ظهره؟

لا يمكن أن أمنع نفسي من التفكير بأن هناك شيئا مضحكا في إعطائنا الحق لفتاة مسيحية في أن تظهر مؤخرتها في حين تُحرم فتاة مسلمة من الحق في تغطية رأسها. لنبدأ هنا أيضا في تتبع ما يصنعه الآخرون؟ كيف يتصرف الإنجليز في مثل هذه الحالة؟

إنهم يتقبلون الأمر، وينصحون بارتداء حجاب لا يثير الانتباه.. أما نحن، في فرنسا، فلم نتعلم بعد كيف نعالج هذه المشاكل بطريقة وديّة. بصورة تلقائية سأكون مؤيدا لقبول الحجاب. لأنه لو قبلنا ربما ما كان ليتضاعف ويتكاثر؛ فالرفض سيشجع انتشاره على أبواب المدارس. وسنصل إلى هذه المفارقة التي تؤدي إلى حرمان فتيات من المدرسة التي قد تشكل بحق فرصتهن للارتقاء الاجتماعي وحتى للتحرر من ضغط الأسرة. إنه المفعول المنحرف لقرار المنع. أو أننا سندفع بهؤلاء التلاميذ إلى التوجه صوب تعليم خاص.. حاليا الدول الغربية في علاقة صراعية مع أصولية الإسلام، ... يَنصح هؤلاء الأئمة الفتيات بالصمود وعدم التراجع!، فإننا لن نعرف حينئذ كيف نتدبر الأمر سوى أن القضية انحرفت عن مسارها: فمن جهة نحن أمام دولة علمانية متشددة في معاييرها، وأمام مد إسلامي، من جهة ثانية، يضع قدرات المقاومة لدى ما نسميه دولة موضع اختبار، ويدفعها إلى الخطأ..»[1].

ومع ذلك يعترف بول ريكور أنه لا يعرف شيئاً كثيراً عن الإسلام إلا أنه اندهش لقوته الروحية، كما أنه أشاد ببعض نتائجه في الحياة والمجتمع!!

قال ريكور: «وماذا عن الإسلام؟ إني أنظر إليه من زاوية ثقافية خالصة، وتاريخية، بيد أني لا أعرفه بما فيه الكفاية، ولا أرى ماذا سيضيف حقا إلى ما أجده في التنوع الأقصى لليهودية والمسيحية. غير أن هذا قد يعود ربما إلى جهلي، ويجب الاعتقاد بأنه يتوفر على قوة روحية، لأنه ليس بالعنف فقط، ولا بالغزو اعتنقه ملايين البشر. إنه جهل يتعين تبديده، لأنه يجاورنا منذ زمن بعيد، ويقيم بين ظهرانينا»[2].

وعموما فريكور هو عمود من أعمدة نصر حامد أبو زيد في هرمنيوطيقا نقد القرآن وقلب مفاهيمه، وهو من قال عن الإسلام: «ثم كونه لم ينتج ما أنتجته المسيحية، بالرضى أو بالقوة، أقصد أنه لم يدمج البعد النقدي في اعتقاداته الخاصة. من الخصائص المميزة لليهودية والمسيحية نجاحهما في النهاية في تحقيق زواج صعب بين الاعتقاد والانتقاد»، وأضاف: «فعلمانيتنا لا يمكن أن

(١) الانتقاد والاعتقاد، ترجمة حسن العمراني، دار توبقال، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٣.

وهنا لا أستطيع أن أحجب عن القارئ أن أعظم فلاسفة فرنسا (ريكور)، الذي تسبب انتحار ابنه في أزمة نفسية وفلسفية له، دعا في مجال الأسرة للاستفادة من المسلمين. فردّا على سؤال: لقد عادت مشاكل العلمانية لتحتل مقدمة المشهد الفرنسي مع قضية الحجاب الإسلامي. أي موقف تتخذونه إزاء هذا الموضوع؟

أجاب ريكور: «علينا أن نؤكد ابتداءً أن الدين الإسلامي أصبح هو الدين الثاني في فرنسا، بعد الكاثوليكية، وأن علينا واجب الضيافة وعلينا واجب الفهم. إننا ننزع بشكل مفرط إلى رؤية المسلمين من زاوية التهديد الأصولي، وننسى بالمقابل التهديد الذي يتعرضون له، أقصد التفكك. هذا على الأقل ما يقوله لي أفضل أصدقائي المسلمين؛ فهم لا ينظرون إلينا بصفتنا الاستعمارية القديمة، أي في علاقة خضوع وقهر وإنما كتهديد بالتفكك. إنهم يحكمون على مجتمعاتنا بكونها سائرة نحو الانحلال ويرفضون أن يلقوا ذات المصير. هنا تظهر مسألة النزعة الإسلامية كنوع من الحماية، من نواحٍ مرعبة، إزاء خطر التفكك. بل إني أذهب إلى حدّ القول بأنه في ضواحينا، يمكن للقدرة المقاومة الخاصة بالأسرة المسلمة، ذات البنية الجماعية التي لا تزال حية بفضل الدين، أن تشكل فرصة أو حظا بالنسبة للمجموعة الصغيرة المُفككة من ثقافتنا الخاصة، من الممكن جدا، في القرب مما نسميه الإسلام، أن يمثل هذا الحضور المكثف فعلا فرصة سعيدة بالنسبة لمجتمعنا، ضد عناصر التفكك الذي تلغمة. إن ما يبقى سليما يمكن أن يشكل عنصرا واعدا بالنسبة لنا.

تعود صعوبة المشكل الذي تشيران إليه، وكل المشاكل التي تقترن به، إلى حداثة الوضع الذي نوجد فيه. نحن هنا مع الدخول المفاجئ للإسلام، إلى القضاء الفرنسي، أمام دين جديد لم يشارك في صنع تاريخنا(!!)، ولم يشكل جزءا من مصادرنا الدينية التي هي أصل بناء وطننا، سواء في العصر القديم، أو خلال القرون الوسطى، ولا حتى أثناء النهضة» (الانتقاد والاعتقاد، ص ٥٠)، ورداً على عبارة ريكور: «إن الإسلام لم يشكل جزءا من تاريخنا»، أقول إن الإسلام شارك في صنع تاريخ أوروبا من ناحية العلم والعقل والتسامح والحرية والنقد الإيجابي لا السلبي الفاسد.

ويقول ريكور: «صحيح أنه كانت للغرب في الماضي علاقات مع الإسلام؛ لكن حين تكون محكومة بالعداوة، فإنها تتموقع في مستوى فكري مرتفع، بين الأطباء، والمحامين والثيولوجيين أو الفلاسفة؛ إذ كان هناك عصر ذهبي يهودي- إسلامي- مسيحي، بيْد أن هذا حدث في القرون الوسطى»، (ص ٥١)، وهنا يعترف ريكور بفضل العصر الذهبي الإسلامي، وهذا يعني مدح الإسلام الذي وضع التعارف والتعايش والتسامح داخل أوروبا القديمة وأسس فيها تنظيرية تلك العلاقة الأصيلة.

يَنظر إليها المسلمون إلا بوصفها فكرة مجنونة صادرة عن دين محرف؛ فحين يسمع إمام أن قوانين الجمهورية أعلى من قوانين الدين، فإنه يسمع شيئا يقع خارج خارطته الإدراكية»[1].

وعلى كلّ حال، فأركون الأشد عداوة وحقداً، لا يفتأ يُحرّض في محاضراته على الإسلام، فيما يخص القرآن والسيرة، والشعائر والملابس، وقانون الإسلام وشريعته، والتفاسير وكتب السيرة وعلماء الأمة، فالرجل ببساطة يدعو للمواجهة الفكرية وإن قال بحرية التدين الطليق باعتبار أن التدين الداخلي من الخيال الرطب ومن كشوفات العلم الأخير ومن ثم احترامه للأساطير، فالتدين عنده خيال رطب لا مانع من الإبقاء عليه؟!

وقد خابت علمانيته القديمة في تحقيق وعودها بإفناء الدين والتدين، فيقول: «...الحداثة التي قد وعدتنا منذ القرن الثامن عشر عبر الثورات الفرنسية والأمريكية بأنها ستحقق التحرير الحاسم للوضع البشري، كانت قد وعدَتنا به عن طريق تحقيق الانتقال النهائي الذي لا مرجوع عنه من المرحلة اللاهوتية للعقل، إلى المرحلة الوضعية ... فإذا بنا نفاجأ بعكس ما تنبأوا به وقالوه. فالواقع أن الذي يحصل الآن هو أننا أُخذنا على حين غرّة بعودة الدين إلى الساحة بمثل هذه القوة. ولهذا السبب يصعب علينا أن نتحكم بهذه العودة المزعومة(!) للدين بطريقة ملائمة أو أن نديرها بشكل خصب ومفيد. ولكن في ما يخص المجتمعات الأوروبية المتقدمة، فإن هذه ليست عودة إلى الدين بقدر ما هي عودة إلى تركيبات جديدة للدين والتدين. فقد أصبح الإنسان الغربي ينتقي أجزاء متفرقة من مختلف الأديان ويُركب منها دينا جديدا يتلاءم مع نفسيته وحاجياته الروحية. وبالتالي إنه يعود إلى تركيبات تلفيقية واستملاكات للدين تعسفية كما هي فاسدة روحانيا ومدمّرة سياسيا»[2].

وعلى الرغم من أن الرجل لا يترك للقارئ مجالا لتفسير كلامه، فكلامه واضح لا يحتاج لكثير تفسير، إلا أن أُناسا ينتسبون للإسلام يدافعون عن الرجل، ونحن سنخصص في كتابنا هذا فصلاً كاملاً لعرض ما يمكن عرضه من مواقف الرجل، إلا أننا قدمنا هنا بعض ما له رابط بموضوع فصلنا، وإنك لتراه ينقد الغرب لدفعه لتطبيق المزيد من نظرياته الإلحادية على الإسلام والمسلمين، وينقد الاستشراق للّحوق به لاستعمال أحدث مناهج العلمانية في هدم الإسلام، وفي نفس الوقت، تراه يدعو لترك مساحة للتدين، بينما هو يثمن المواجهة القديمة مع الدين، ما دام الأمر يتعلق بذكاء المواجهة لا سذاجة الموقف!

يقول: «وقد تهوّر بعض الكتاب وتسرع في إدخال نظريات علمية شديدة الجدة، حتى بالنسبة للغرب الذي اكتشفها كنظرية دارون فيما يخص تطور الأنواع. يمكن أن يقال نفس الشيء فيما يخص طه حسين وعلي عبد الرازق اللذين برهنا على سذاجتهما الفكرية عندما اعتقدا بإمكانية التعرض لموضوعين مشحونين بالتصورات الميتولوجية والدينية والتقديسية في الوقت الذي كانت فيه المسلّمات الوضعية والمنهج الفللوجي تحتقر هذه التصورات بالذات وترميها في الدائرة المظلمة للخزعبلات الخيالية. وقد حاول أصحاب النهضة من العرب والمسلمين- تماماً كما حدث في الغرب- افتتاح التاريخية عن طريق إنكار مكانة الأسطورة ووظائفها»[3].

(١) المرجع السابق، ص ٥٠.
(٢) نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، ص ٢٧٨.
(٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص ٣٢.

٦- ثورات الخوارج
الخروج في عام الجماعة

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

يُثير تمرّد الخوارج على المسلمين في سنة ٤١هـ الكثيرَ من الأسى، ففي ذلك العام اجتمعت كلمة المسلمين بعد خمس سنوات من الخلاف والانقسام والحروب، وسُمّي بعام الجماعة، بعد أن تنازل الحسن بن علي، رضي الله عنهما، عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، رغبةً منه في حقن دماء المسلمين، وإعادة الوفاق إلى الأمة.

وحقّق ما أقدم عليه الحسنُ، رضي الله عنه، الخيرَ لهذه الأمة، وحقق بشارة النبي ﷺ، من أن حفيده الحسن سيدٌ، وسيُصلح الله به بين فئتين من المسلمين. يقول الإمام ابن كثير، رحمه الله: «وقد مدَحه رسول الله، ﷺ، على صنيعه هذا، وهو ترْكه الدنيا الفانية، ورغبته في الآخرة الباقية، وحقْنه دماء هذه الأمة، فنزل عن الخلافة وجعل المُلك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد»[1].

أما الخوارج -في القديم والحديث-

فأصحاب مشروع عبثي تدميري، لا يَنظر لخير الأمة أو مصلحتها، فسرعان ما استأنفوا ثوراتهم وحركاتهم التخريبية، غيرَ آبهين بالصلح الذي تمّ بين المسلمين، ولا عودة الوئام إلى صفوفهم. بل العكس من ذلك، فالخوارج «لم يكونوا راضين عن معاهدة الصلح التي أُبرمت بين الحسن ومعاوية، فنيران الثورة التي كانت تتأجج في صدورهم لم تطفئها هذه المصالحة، بل وجدوا فيها تحطيما لطموحهم الذي كان يرمي لأخذ الحكم من كلا الطرفين. وربما شعروا أن هذه المعاهدة تشكل خطرا على كيانهم ووجودهم، فقد يكون تصالحُ الفريقين على حساب تصفيتهم»[2].

وإذا كان مِن محاسن هذا الصلح أنه جمع كلمة الأمة تحت قيادة واحدة، وأدّى إلى أن يستأنف المسلمون فتوحاتهم في مشارق الأرض ومغاربها، فإن من محاسنه أيضًا أن الدولة بدأت تتفرغ للخوارج، وتضيّق عليهم[3].

وقد مرّ بنا مِن قبل أن الخوارج رفضوا التحكيم الذي تم بين عليٍّ ومعاوية، رضي الله عنهما، في أعقاب معركة صفّين سنة ٣٧هـ، فقد اعتبر الخوارجُ التحكيمَ شركًا بالله! وكفّروا الصحابة بذلك، معتبرين أنهم حكّموا الرجال في دين الله، في حين أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿إن

(*) كاتب أردني.

(١) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٥٦٨.

(٢) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٤ – ١١٥.

(٣) د. علي بن محمد الصلابي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، ص ٣٧٤ – ٣٧٥.

الحكم إلاّ لله﴾. وقد نتج عن هذا الفهم السقيم لآيات القرآن الحكيم قتال الخوارج للصحابة، الذين رضي الله عنهم ورسولُه، واغتيال خليفة المسلمين، عليّ بن أبي طالب، ومحاولة اغتيال عددٍ من الصحابة، أمثال الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، رضي الله عنهم.

هي ذاتها الأفهام السقيمة، التي ترى الصلحَ انحرافا، ووحدة الأمة شِركا ينبغي مواجهته وإزالته، لذلك لم يكد الحسن يتنازل لمعاوية في ربيع الأول من سنة ٤١هـ، ويغادر الكوفة، حيث تم التنازل والبيعة، متوجها إلى الحجاز، حيث اختار الإقامة، حتى قام الخوارج بأولى ثوراتهم في العهد الجديد، وكانت البداية مِن قبل ٥٠٠ شخص منهم، بقيادة فروة بن نوفل الأشجعي، كانوا قد اعتزلوا القتال أيام عليٍّ، رضي الله عنه، ولم يشاركوا إخوانهم الخوارج في محاربته في معركة النهروان، سنة ٣٨هـ.

لكن ما إن تناهى إلى أسماعهم تولي معاوية الخلافة، حتى عزموا على الخروج من «قُمقمهم» ومحاربة الخليفة الجديد «معاوية»، فهذا الصحابي عندهم كافرٌ منذ حادثة التحكيم، وليس بينهم وبينه إلاّ السيف[1].

وفور تولي معاوية الخلافة استلّ هؤلاء الخوارج سيوفَهم، وقالوا: «جاء ما لا يُشكّ فيه، فسِيروا إلى معاوية فجاهِدوه. فساروا حتى قربوا من الكوفة، وعليهم فروة بن نوفل، فبعث إليهم معاويةُ خيلاً من أهل الشام فطردوا الشاميين»[2]، وفي الوقت الذي كان معاوية حريصًا فيه على جمع شتات الأمة بعد الصلح مع الحسن، وتجنّب إراقة الدماء، والعمل على رأب الصدع، وجمع القلوب، وإبداء المرونة مع أنصار عليٍّ، حتى الذين لم يبايعوه منهم في البداية، إلاّ أنه أدرك عظم خطر الخوارج وكارثية ما قاموا به ضد الخليفتين عثمان وعلي، رضي الله عنهما، وأن التساهل معهم خطأ كبير، لذلك كان القرار استعمال القوة معهم[3].

وإزاء الهزيمة التي تعرّض لها جند الشام التابعين لمعاوية على يد الخوارج، في بادئ الأمر، كان على معاوية مواصلة العمل للقضاء على هذه المشكلة الخطيرة، والتي ستتفاقم إذا تُركت، وهنا استعمل معاوية «تكتيكا» آخر، وهو إشراك أهل الكوفة على محاربة الخوارج، ليَحرمهم من الحاضنة الشعبية التي يتقوون بها ضد الدولة، قائلاً لهم: «لا أمان لكم عندي حتى تكفّوا بوائقكم.

فخرجوا إلى الخوارج، فقالت لهم الخوارج: ويلَكم، ما تبغون؟ أليس معاوية عدوّكم وعدوّنا؟ فدعُونا حتى نقاتله، فإن أصبناه كنّا قد كفيناكموه، وإن أصابنا كنتم قد كُفيتمونا.

فقالوا: لا والله حتى نقاتلكم.

فقالت الخوارج: يرحمُ الله إخوانَنا من أهل النهر، كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة، فاقتتلوا فهزمهم أهلُ الكوفة وطردوهم»[4].

وإضافة إلى إشراك قبائل الكوفة بمقاتلة الخوارج، دفعها معاوية إلى إقناع أبنائها المتورطين في الخروج على الدولة وولي الأمر، مستعملاً أدوات متعددة، وليس القوة العسكرية فقط، حتى يتسنّى له تشتيت جمع الخوارج بإبعاد قادتهم، وبالفعل تمكنت قبيلتا طيء وبنو شيبان من إقناع بعض أبنائهما من قادة الخوارج، وقامت قبيلة أشجع بإرجاع ابنها فروة بن نوفل قهرا، بعد رفضه النصح والموعظة، غير أن انسحاب هذه العناصر البارزة لم يمنع الخوارج من اختيار قائد جديد، هو عبد

(١) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ، ص ٥٨.
(٢) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٥٧٢.
(٣) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ، ص ٥٨.
(٤) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٥٧٢.

اللّه بن أبي الحوساء، ومواصلة الخروج وبثّ الفوضى[1].

نظّم ابن أبي الحوساء صفوف الخوارج، وخاض بهم معركة خاسرة انتهت بمقتله ومعظم أتباعه، في ربيع الأول، (وقيل: في ربيع الآخر) من ذلك العام، عُرفت بمعركة النخيلة، نسبةً إلى ذلك المكان القريب من الكوفة، وعُدّت تلك المعركة ثاني ضربة قويّة تلقّاها الخوارج بعد معركة النهروان، نظرًا لعدد الذين هلكوا فيها وقيمتهم[2].

وبعد مقتل ابن أبي الحوساء، آلت قيادة الخوارج إلى حوثرة بن وداع الأسدي، وكان في ١٥٠ من أصحابه، اجتمعوا مجددًا في النخيلة، وانضمّ إليهم الناجون من المعركة السابقة، وقد كان حوثرة يرى صحّة قتال الخوارج لعليٍّ، إذ كان يعيب على فروة تركه القتال واعتزاله[3].

ولم يكن حالُ الخوارج في هذه المرة بأحسن من حال أسلافهم، إذ قامت قبائل الكوفة مرّة أخرى لتحاربَهم، وهو ما دعا حوثرة إلى أن يخاطبهم بقوله: «يا أعداء اللّه: أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدّوا سلطانه، واليوم تقاتلون معه لتشدّوا سلطانه»[4]! في إشارةٍ منه إلى أن أهل الكوفة كانوا إلى وقت قريب في صفّ عليٍّ والحسن ضد معاوية.

وفي تفسيرها لتغيّر موقف أهل الكوفة من الخوارج، ترى د. البكاي أن القبائل أدركت قوة معاوية، إضافة إلى نفور بعضهم من الخوارج بسبب موقفهم من عليٍّ وخروجهم عليه ثم قتله، كما أنها لم تستبعد أن بعضَهم حارب الخوارج رغبةً منهم في إنهاء الحروب والانقسامات التي عاشتها الأمة، والعودة إلى الوحدة[5].

نجح معاوية، رضي اللّه عنه، في الثبات على هدفه الاستراتيجي بمحاربة الخوارج والقضاء عليهم للحفاظ على وحدة الدولة الإسلامية مع ابتكار الأساليب المتعددة في محاربتهم، وهو ما جاء انعكاسا لشخصيته وحنكته ودهائه، فإضافة إلى سياسته بإشراك قبائل الكوفة في محاربة الخوارج، والطلب منها استرجاع أبنائها من أيدي الخوارج المتمردين، حاول معاوية التأثير على قائد الخوارج، حوثرة، من خلال إرسال والده إليه ليقنعه بالانسحاب، فلم يسمع حوثرة لنداء والده، ولم يزده ذلك إلاّ قساوة، فعرض أن يُرسل إليه ابنه لعلّه يثير فيه عاطفة الأبوّة، لكن حوثرة ظلّ على عناده وقسوته، كما هي عادة الخوارج، بل قال: «أنا إلى طعنةٍ من يد كافر، أتقلب فيه ساعة أشوق مني إلى ابني»[6].

عند ذاك، يئس معاوية من حوثرة والخوارج، فأرسل إليهم عبدَ اللّه بن عوف، في جمادى الآخرة من العام نفسه، في ألفي مقاتل، فألحقوا بالخوارج هزيمة منكرة، وقُتل حوثرة وأكثرُ أصحابه، ومِن غريب ما يُذكر في هذه المعركة أن قاتلَ حوثرة (ابن عوف) ندم عندما رأى أثر السجود على جبهة حوثرة، ظنًّا منه أنه قَتل إنسانا صالحًا ورِعًا، وأنشد في ذلك يقول:

قتلتُ أخا بني أسدٍ سفاهاً
لِعمر أبي فما لقيتُ رشدي
قتلتُ مصلياً محياء ليلٍ
طويلَ الحزن ذا برٍّ وقصدِ
قتلت أخا تقىً لأنال دنيا
وذاك لشقوتي وعثار جدي
فهب لي توبةً يا رب واغفر
لِما قارفت من خطأ وعمدِ[7]

والحقيقة أن تلك الأبيات من قائد الجيش الأموي المحارِب للخوارج تكشف عن سذاجةٍ

(١) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج، ص ٥٩، و د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٥.
(٢) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج، ص ٥٩.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، أحداث سنة ٤١هـ.
(٤) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٦.
(٥) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج، ص ٦٠.
(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، أحداث سنة ٤١هـ.
(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، أحداث سنة ٤١هـ.

وعاطفةٍ في غير محلّها، وجهلٍ بحال الخوارج الذي بيّنه النبي ﷺ، كما في حديث أبي سعيد الخدري الذي أخرجه الإمام مالك في الموطأ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة تنظر في النصل فلا ترى شيئا، وتنظر في القدح فلا ترى شيئا، وتنظر في الريش فلا ترى شيئا»، ... وهو ما يتكرّر اليوم مِن قِبل كثير من الناس (بل وبعض العلماء والدّعاة) الذين أحسنوا الظنّ بالخوارج المعاصرين من أفراد القاعدة وداعش وجماعات التكفير، لِما رأوه منهم مِن شدّةٍ في القتال، أو التزامٍ ببعض السنن أو المظهر الإسلامي، أو رفعهم لشعارات الخلافة وتطبيق الشريعة، فلبّسوا على الناس، وحسّنوا لهم أفكار الخوارج وأعمالهم.

لم تنتهِ ثوراتُ الخوارج في عهد معاوية عند هذا الحدّ، بل أخذت تتوالى وتتكاثر، لكن ما ذكرناه آنفا كان يتعلق بالثورات وحركات التمرّد التي أعقبت الصلح الذي تمّ بين الحسن ومعاوية مباشرة، فالخوارج -كما أسلفنا- لم يُعطوا للمسلمين فرصة ليتجاوزوا آثار الحرب والخلاف، أو يلتقطوا أنفاسهم، فأولى الثورات لم يفصلها عن الصلح سوى أيام قليلة.

ولم يضع الخوارج الأقدمون في اعتبارهم وحدة المسلمين، وهو سلوك لا يختلف عند الخوارج المعاصرين، فقد رأينا تنظيمي «داعش» و«النصرة» وما تناسل منهما تشقّ صفّ المجاهدين في الشام كلّما أرادوا توحيد صفوفهم، وتطعنهم من الخلف، وتعتدي عليهم، وتستولي على بلادهم ومناطقهم، وأصبح المجاهدون - بدلاً من أن يُحاربوا النظام النصيري المعتدي وأعوانه ويريحوا البلاد والعباد من شرورهم- ينشغلون بردّ اعتداءات داعش عليهم، ما أدّى إلى تراجع المجاهدين وهزيمتهم على أكثر من جبهة.

أما ثورات الخوارج الأخرى التي شهدها عهد معاوية فنتحدث عنها في العدد القادم إن شاء الله.

المراجع

١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية.

٣- د. علي بن محمد الصلاّبي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ٢٠٠٤م.

٤- د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥- د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ خلال (٣٧ – ١٣٢هـ)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، أيار (مايو) ٢٠٠٧م.

حكاية جماعات العنف
من الانحراف إلى فكر الخوارج (١)

أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

تمهيد: تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة، وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أولها شبراً، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعاً، وأميالاً، وفراسخ»[1]، وهذا واقع في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرر تشكيلها!

لقد تطورت هذه الجماعات لتصبح جماعات منظمة وقوية، وتسببت بالكثير الكثير من الكوارث للإسلام والمسلمين، وأصبحت أيضا أداة في أيدي القوى الدولية والإقليمية، التي آوت قياداتها سنوات طويلة ولا تزال، واستغلتهم ووظفتهم لتنفيذ بعض مخططاتها، كما أن وجود هذه الجماعات وما ارتكبته من جرائم كان السبب لكثير من الغزو والاحتلال والتدمير من الخارج والداخل لعدد من الدول الإسلامية، وتم الاحتجاج بمحاربة الإرهاب من الخارج والداخل للتضييق على الإسلام والمسلمين، مما يساهم بدوره في توسيع دائرة الغلو والتطرف والإرهاب بتوفير مبررات للغضب والتهور من جهة، ويكرّس حالة الجهل بإقصاء ومحاصرة أهل العلم والعمل الإسلامي الصحيح.

إن ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب هي حالة متكررة في التاريخ الإسلامي كما أخبر النبي ﷺ «كلما خرج لهم قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عِراضهم الدجال» رواه أحمد، تبدأ بذرة الغلو والتطرف بالجهل بالإسلام والتهور لتنمو بشكل مدمّر بدعم وتحريض من أعداء الإسلام، بدايةً من ابن سبأ الذي بتحريضه للجهلة من الغوغاء تم قتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

لقد أضرّ التهاون في علاج ظاهرة الغلو المعاصرة بشكل سليم وشامل بالمصالح الإسلامية بشكل ضخم جداً، ولعل من أبرز هذه الأضرار التي يراها الجميع اليوم قيام الغلاة والدواعش الخوارج وإخوانهم بقتل الثوار في ظهورهم في سوريا والعراق واليمن وغيرها.

نعم، تم تضخيم التطرف والإرهاب الإسلامي عالميا من قبل أعداء الأمة الإسلامية في الداخل والخارج، والتغاضي عن جرائم الإرهاب اليهودي والنصراني والبوذي والشيوعي والعلماني والشيعي، لكن للأسف فإن التطرف والإرهاب الإسلامي أصبح أداة لهؤلاء المجرمين لضرب الإسلام والمسلمين السنّة، فبوصلة هؤلاء المتطرفين هي أولوية حرب المرتدين - وهم في اعتقادهم جمهور المسلمين- على حرب الكفار، ومن أمثلة ذلك إعلان الغلاة أن محاربة حركة حماس مقدمة على محاربة اليهود! وهو يشابه تماما شعار الخميني «الطريق للقدس يمر ببغداد»، والذي طوّر في عهد خليفته خامنئي من أن الطريق للقدس يمر أولاً ببغداد ودمشق وبيروت وصنعاء وبقية العواصم العربية!

ومن اللافت للنظر أن غالب الدراسات عن هذه الجماعات صدرت عن خصوم الإسلام لا المتطرفين وسعت لإدانة الإسلام ذاته من خلال الزعم بأن منهج هذه الجماعات وسلوكها هو حقيقة الإسلام، كما هو الحال في كتابات اليساريين والعلمانيين والإعلاميين العرب وأيضا غالب الدراسات الاستشراقية والغربية، بينما الكتابات

(*) كاتب أردني.

(١) مجموع الفتاوى، ٤٢٥/٨.

الإسلامية قليلة وضعيفة غالبا، وبعضها يركّز على البعد الشرعي بإبراز انحراف هذه الجماعات وتغفل البحث عن السياق التاريخي والسياسي الذي ظهرت فيه، وتغفل عن التوظيف الأمني لها من قبل القوى السياسية والأمنية المحلية والإقليمية والدولية.

في هذه السلسلة سنتناول العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال ومن ثم مسار تطورها التاريخي ومسار تطور انحرافها الفكري والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية، وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة) والتي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير مما ولّد مناخا مأزوما، وظهرت فيه ردات فعل عنيفة، عُرفت بجماعات الجهاد.

❖❖❖❖❖❖❖❖

أولاً: الساحة المصرية الخلفية التاريخية[1]:

مصر تحت الاحتلال:

مع ضعف الدولة العثمانية تعرضت مصر للاحتلال الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م، لكن لم يتمكن الفرنسيون من البقاء في مصر إلا ثلاث سنوات بسبب مقاومة المصريين للاحتلال ورفض السيطرة الفرنسية برغم مزاعم نابليون أنه لا يريد الإسلام بسوء، وأنه أسلم!!

لكن ضعف العثمانيين واضطراب أحوالهم لم يهيئ لمصر حاكما عادلا يقوم بشأنها، حتى تم تعيين محمد علي باشا عام ١٨٠٥م والياً على مصر باختيار الشعب والعلماء والوجهاء له، فقام بشؤون مصر مع ظلم وبطش، وتعاون مع الأوربيين، وجعل الحكم في ذريته.

سار أحفاد محمد علي على طريقة جدّهم فتعاونوا مع الفرنسيين لشق قناة السويس، وترتب على ذلك وعلى التبذير على أمور لا أهمية لها ديون على مصر للغرب، مما تسبب في بيع نصيب مصر من قناة السويس للإنجليز لسداد الديون!! وفتح الباب أمام النفوذ الأوربي بحجة حماية حقوقها المالية في مصر، حتى وصل هذا النفوذ لدرجة فرض وزيرين أوروبيين في الحكومة المصرية! مما تزايدت معه المظالم والفساد في مصر، ودَعت أحمد عرابي للثورة ضد حكم احفاد محمد علي بتحريض فرنسي وبريطاني.

وعندما شعر الخديوي توفيق بالهزيمة وزال ملكه طلب من الإنجليز حماية ملكه وعرشه، فتدخل الإنجليز وافتعلوا مذبحة للنصارى في الإسكندرية لتكون سبباً لاحتلالهم لمصر عام ١٨٨٢م بزعم حماية رعاياهم، وبذلك بدأ الاحتلال البريطاني لمصر، والذي استمر سبعين سنة (١٨٨٢ – ١٩٥٦).

كان للاحتلال البريطاني مفاسد كبيرة على مصر، على كافة الأصعدة، فقد هاجم هويتها العربية والإسلامية عبر محاربة اللغة العربية وإضعاف الأزهر وتشجيع الحركات الهدامة والأحزاب السياسية العميلة لخلخلة أفكار المجتمع المصري، وحلّ الجيش، وأعاد تشكيله مع تقليل عدده، وأغلق مصانع الأسلحة لإضعاف قوة مصر، وشجّع على نشر الخمارات والحشيش ودور البغاء في كل مكان لإلهاء الشباب ونشر الفساد، فظهر التبرج ونزع الحجاب، وفرض التعليم المدني لمحاربة الدين وإنتاج موظفين ينفّذون له مصالحه على حساب مصالح مصر فتزايدت نسبة الأميّة بشكل رهيب، وسعى الاحتلال لتغيير القوانين وربط الاقتصاد المصري بالصناعات الإنجليزية فخربت الزراعة وتراجعت الصناعة، وصادر الاحتلال استقلال مصر، وألغى البرلمان والدستور، وفرض مستشارين بريطانيين على الوزارات المصرية.

لم يستكِن الشعب المصري للاحتلال البريطاني كذلك، وقاومه بشكل مستمر حتى توجت بثورة ١٩١٩م، والتي كان للأزهر ورجاله والقوى الإسلامية والوطنية الدور الأكبر فيها، وتواصلت المقاومة بعد انطفاء الثورة ضد الاحتلال، وقدّم الفدائيون المصريون بطولات رائعة حتى عجزت بريطانيا عن حماية جنودها وقواعدها في مصر من هجماتهم.

بدأ زوال الاحتلال عام ١٩٥٢م من خلال الإطاحة بالنظام الملكي الذي كان يهيمن عليه الاحتلال، من خلال تعاون الضباط الأحرار وجماعة الإخوان المسلمين، فقد كان لجمال عبد الناصر صلة بجماعة الإخوان حيث يؤكد البعض أنه كان عضوا بتنظيم الإخوان في الجيش المصري منذ عام ١٩٤٤م، لكنه استطاع أن يتجاوز تنظيم الإخوان ويؤسس تنظيما عسكريا جديدا، وأبقى معه فيه أعضاء من الجماعة ، وقد قام الإخوان ليلة انقلاب ٥٢ بحماية السفارات والهيئات وضبط الشارع والتصدي لأي تحرك من

(١) انظر: كتاب موجز تاريخ مصر في الحقبة العلمانية ١٨٠٩- ١٩٨٦، أسامة حميد، نسخة الكترونية.

القاعدة البريطانية في القناة تجاه القاهرة ضد الانقلاب[1].

وبرغم سقوط الحكم الملكي إلا أن الاحتلال البريطاني استمر عدة سنوات، ومن خلال المفاوضات بين الثورة والاحتلال تم الوصول إلى اتفاق عام ١٩٥٤م على جلاء القوات البريطانية عن منطقة القناة خلال عشرين شهرًا، وفعلا تم انتهاء الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٩٥٦م.

وكان الشعب المصري ينتظر من حكومة الثورة مراعاة مصالحه وهويته ولكن سرعان ما ظهرت الأجندة الخفية لجمال عبد الناصر وحدث الصدام مع قطاعات واسعة من الشعب المصري.

مصر تحت حكم جمال عبد الناصر:

رحب المصريون بالانقلاب على النظام الملكي رغبة بالتحرر من الاحتلال الأجنبي واستعادة حقوقهم وحريتهم ولكن سياسات عبد الناصر فاجأتهم فقد كانت تستهدف إقصاء العديد من القوى والمؤسسات الإسلامية والوطنية التي كانت لها مساهمة فاعلة في تحرر مصر من الاحتلال.

١- قوانين استهدفت الإسلام والمؤسسات الإسلامية الرسمية والأهلية:

فبعد أشهر معدودة من نجاح الثورة ورغم بقاء الاحتلال البريطاني أصدر جمال عبد الناصر مرسوماً بإلغاء الوقف الأهلي، وهو القرار الذي خشي الإنجليز القيام به طيلة احتلالهم لمصر! فصادرت الدولة ١٣٧ ألف فدان من أراضي الأوقاف، التي كانت تدرّ على الأزهر حوالي ٨ ملايين جنيه في السنة، لتطويع الأزهر عبر تجفيف موارده المالية التي كانت تمدّه بالاستقلالية والقوة في وجه المستعمر والمستبد على الدوام، وقد تم استثناء الكنائس من قانون ضمّ الأوقاف!

ومن جهة أخرى، تمكّن عبد الناصر من خلال هذه المصادرة للموارد المالية من شراء ولاءات العلماء بالمنح والمنع، مما يشير لوضوح خريطة عبد الناصر ومعرفته بمن قد يتصدى لأجندته الخفيّة ذات الأيدلوجية الاشتراكية.

وفي عام ١٩٥٣م قام بعض الضباط الأحرار ذوي الخلفية الإسلامية والمشاركين في الثورة مع عبد الناصر بمحاولة الانقلاب عليه بسبب محاولته حذف المادة الثانية من الدستور والتي تنصّ على أن الإسلام دين الدولة، ويبدو أن هذا التحرك دعا عبد الناصر للتراجع عن هذه الخطوة، لكننا وعوضا عن ذلك نجده يحذف هذه المادة من دستور دولة الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨م!

ثم قام عبد الناصر في عام ١٩٥٥م بإلغاء المحاكم الشرعية التابعة للأزهر بعد حملة تشويه إعلامية مدبرة، إثر مسرحية مدبرة وتهمة ملفقة لاثنين من قضاة المحكمة الشرعية بالاسكندرية أنهما طلبا رشوة جنسية من إحدى المطلّقات للحكم لصالحها، بحيث أتم عبد الناصر المسيرة الطويلة في العدوان على القضاء الشرعي المصري وحصره في الأحوال الشخصية وإلحاقه أيضا بالمحاكم المدنية العلمانية، تلك المسيرة في هدم القضاء الشرعي التي بدأها نابليون عام ١٧٩٨م، وأكملها الإنجليز، وختمها عبد الناصر باسم التحرر من الاحتلال!

وفي عام ١٩٦١م أصدر عبد الناصر قانون الأزهر، الذي ألغى هيئة كبار العلماء فيه، وقلّص سلطات شيخ الأزهر، وأطلق يد وزير الأوقاف في تعيينات مشيخة الأزهر ووكيله، وحتى يستتبّ له الأمر بدأ بتعيين مجموعة من الضباط من القوات المسلحة كمدراء مؤقتين لإدارة الأزهر للسيطرة عليه والقضاء على أي معارضة من علمائه وشيوخه، كما أعيدت هيكلة مجلس الأزهر بضم ثلاث شخصيات غير شرعية لمجلس الأزهر الأعلى تحت عنوان «خبراء في التعليم الجامعي» وأضيف ممثلون من وزارات الأوقاف والتعليم والعدل والمالية، وشخصيات ذات تخصصات غير شرعية للأزهر لتمييع هويته الدينية، وعبر إدخال عمداء يمثلون مجالات غير دينية في المجلس الأعلى للأزهر، تحوّل الأزهر بذلك من مؤسسة محدودة تتمتع بدرجة عالية من الاستقلالية إلى مؤسسة كبيرة فاقدة لاستقلاليتها.

هذا كله أحدث صِداما داخل المؤسسة الدينية، الممثلة بالأزهر ووزارة الأوقاف، على طريقة «فرّق تسد» مما أضعف الطرفين، لتقوى بضعفهما توجهات أخرى ترى في الاشتراكية والعلمانية الملاذ الأوحد كما صرّح، يوما ما، طه حسين، الوزير والأديب المخضرم.

ولم يقف الأمر عند ذلك، فقد شهد عام ١٩٦٣م إعادة فحص لمواقف علماء الأزهر، ومن ثبت عليه رفض سياسات عبد الناصر وتوجهاته تم فصله عبر لجان شكّلت لهذه الغاية، وكانت النتيجة لهذه السياسات العدائية للأزهر أن انخفض عدد علمائه من ٢٩٨ عالما سنة ١٩٥٩م ليصبح ١٧٠ عالما فقط سنة ١٩٦٨م، مما أضعف الأزهر وأضعف الحالة الإسلامية في مصر.

وعمد عبد الناصر لاستغلال بعض الشخصيات الأزهرية التي لها أطماع في الزعامة والرياسة لتمرير الكثير من سياساته المخربة، وبذلك فقد الأزهر بوصلته، وأصبح تابعاً للحكومة الناصرية الاشتراكية وأجندتها في مصر والعالم

(١) شهادة عبد اللطيف البغدادي، في كتاب أحمد حمروش «قصة ثورة ٢٣ يوليو»، ٣٠٩/٤.

العربي والإسلامي بدلا من أن يكون منبراً للإسلام ومصالحه.

وضِمن سياساته المعادية للمؤسسات الإسلامية، أصدر عبد الناصر عام ١٩٦٧م قراراً بحلّ الجمعيات الإسلامية المستقلة كأنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية ووضعها تحت وصاية الدولة، وعيّن أحد ضباط الجيش للإشراف عليها جميعاً.

٢- عبد الناصر وخدمة اليهود:

بغضّ النظر عن الاتهامات القوية لجمال عبد الناصر بكونه يهوديا، فإن مسيرته قبل الانقلاب وبعده قدمت خدمات جليلة لليهود برغم الشعارات الرنانة ضدهم، والتي يقلدها اليوم محور الممانعة الإيراني والشيعي.

فعبد الناصر ورفاقه شاركوا في حرب عام ١٩٤٨م وفشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً، وحوصروا في منطقة غزة، وقد تفاوض عبد الناصر مع اليهود الذين كانوا يأخذونه لمعسكراتهم بتلك الحجة!

وعقب نجاح انقلاب الضباط الأحرار بقيادة عبد الناصر تواصل مع اليهود في إسرائيل وأخبرهم بنيّته حل الخلاف والصراع معهم، وقبل التفاوض السري معهم سنة ١٩٥٣م بينما رفض العربُ كلّهم التفاوض مع اليهود علنا وسرا!

وقد ضيّق عبد الناصر على مجموعات البدو التي كانت تهاجم إسرائيل في عام ١٩٥٤ وحاكمهم وسجنهم بتهمة مهاجمة إسرائيل وتوريط الجيش المصري، كما لا تزال تفْعل القيادة السورية لليوم بذريعة أنها هي من يختار توقيت المعركة مع إسرائيل!

وبخيانةٍ أو غباء تسبب عبد الناصر بوقوع العدوان الثلاثي على مصر وانتصار اليهود وتسليمهم سيناء والأسلحة والمعدات الضخمة كما فعل نوري المالكي مع داعش في الموصل في ٢٠١٤، وبسبب ذلك وافق عبد الناصر لليهود بالملاحة في مضائق تيران وخليج العقبة بين عامي ١٩٥٦-١٩٦٧ دون أن يعلن ذلك، ومنع الفدائيين من مهاجمة إسرائيل!

ورغم دخول عبد الناصر في حالة حرب مع اليهود سنة ١٩٦٧ من خلال طرد القوات الدولية في سيناء للتغطية على مهادنته للملاحة اليهودية فإنه رفض القيام بالضربة الأولى كما نصحه مستشاروه مما عرّض الجيش المصري، وخاصة الطيران الحربي، للدمار وضربه على أرضه لأنه كان مشغولا بالسهرات الراقصة!

٣- تخريب أحوال مصر:

برغم شعارات عبد الناصر عن الحرية والكرامة والازدهار، إلا أن الديكتاتورية هي التي عمّت مصر، وتراجعت الحالة النيابية والحزبية والإعلامية، وفُتحت السجون وقُتل الأبرياء وجرى تعذيب الآلاف بشكل بشع ورهيب.

وتحوّلت مصر من دولة غنية في زمن الملك فاروق إلى دولة مدينة في نهاية حكم عبد الناصر بسبب الفساد وسرقة خيراتها، وتراجعت خدماتها العامة بعد أن كانت متقدمة وراقية، فتراجع اقتصادها وانهارت عملتها، وبعد أن كانت السودان جزءا من مصر تخلى عنها رائد الوحدة العربية! هذا الوضع الاقتصادي سيفسّر فيما بعد جزءا من اسباب ظهور ظاهرة العنف، حيث يلخّص د. رفعت السيد أحمد العوامل الموضوعية لظهور فكر العنف بـ: الفقر، حيث كانت هناك حزام من مناطق الفقر يحيط بالقاهرة، وظاهرة تقليد الغرب (الاغتراب) وهجران التقاليد والهوية الدينية، وفقدان القدوة لدى النخبة المؤثرة والسياسية[١].

وهنا نتساءل: هل كان النظام الناصري يقصد ويهدف إلى ظهور جيل إسلامي عنيف يبرر له أمام الشعب استمرار وتصاعد سياسة الديكتاتورية كما فعل بشار الأسد ضد الثورة السورية؟ أم أن ذلك كان جهلا وسذاجة بنتائج سياساته القمعية المعادية للحرية والمعادية لهوية المجتمع المصري الإسلامية؟

ففي هذه الأجواء بدأ فكر العنف والتطرف ومسيرة الغلو والإرهاب التي ستتصاعد لتصبح طوفانا عابرا للدول، يدمّر ويخرّب، وبسبب هذه الظروف الموضوعية السيئة والمعادية للدين والإسلام من قبل السلطة العلمانية الحاكمة ظهر جيل يعالج تطرف السلطة وظلمها بتطرف مضاد، حيث كانت البداية مع الشاب نبيل البرعي، مؤسس جماعة الجهاد.

ويقرّر الدكتور محمد مورو أن هناك ثلاثة روافد لفكر العنف في مصر هي: تنظيم الجهاد، وجماعة التكفير والهجرة أتباع شكري مصطفي، والجماعة الإسلامية[٢]، وسوف نعتمد على هذه الخطوط الثلاثة لدراسة وفهم تاريخ وتطورات هذه الروافد الثلاثة.

١. جماعة الجهاد، نبيل البرعي ١٩٥٨

خلفية المؤسس:

حين ولدت فكرة هذا التنظيم على يد نبيل برعي في

---

(١) النبيّ المسلح، رفعت السيد أحمد، ١٣/١.

(٢) الإسلام السياسي، ص ٤٥٤. وأنه يعتمد في هذا التقسيم على صلاته الشخصية بكثير من قادة الجهاد الذين التقاهم في السجن ص ١٧٧.

عام ١٩٥٨ كان برعي يبلغ من العمر آنذاك ٢٢ سنة، ويقول البعض إنه كان عضوا بجماعة الإخوان المسلمين وسجن مع أفرادها لكنه انشقّ عنهم لاحقا[١]، وبحسب رواية نبيل برعي عن نفسه، فإنه قد عثر يوماً ما على أحد كتب ابن تيمية على سور الأزبكية، في إطار اهتمامات شاب متدين بالكتب الدينية، مما جعل د. هاني نسيرة يعلّق على علاقة جماعات العنف بابن تيمية بأنها «جاءت مصادفة»[٢].

وما إن قرأ برعي هذا الكتاب حتى أُعجب بابن تيمية، ثم شرع في البحث عن المجموعة الكاملة لكتبه لقراءتها والتزود منها، ومما أثار إعجاب برعي بشخصية ابن تيمية مشاركته في صدّ الغزو المغولي عن بلاد الإسلام، ومن ثم موته في سجن القلعة بسبب مواقفه السياسية.

تفاعل برعي بسطحية وعاطفية مع شخصية وتجربة شيخ الإسلام ابن تيمية وأنزلها على الواقع السياسي المصري المأزوم بسياسات عبد الناصر العدائية تجاه الإسلام، «واعتبر أن الطريق الصحيح لتعديل مسار العالم الإسلامي يكمن في ممارسة الجهاد، وأن غياب هذا الجهاد هو السبب في الأحوال المتردّية التي يعاني منها العالم الإسلامي... وانتهى نبيل البرعي إلى أن وسيلة التغيير الوحيدة المتاحة أمامه هي العمل السري المسلح»[٣] وأدّى ذلك إلى ظهور أول خلية لتنظيم الجهاد عام ١٩٦٠.

دور المناخ الثوري السائد في تشكل أفكار نبيل برعي وجيله

في الفترة التي ظهرت فيها جماعة الجهاد كانت المنطقة العربية لا تعرف آليةً لتغيير السلطة إلا بالانقلابات العسكرية التي قام بها جمع من القيادات المحسوبة على التيارات اليسارية والقومية كما حصل في سوريا، والعراق، وفي مصر، وغيرها من الدول، حيث نجحت في تحقيق ما تصبو إليه، من حكم ثوري فردي يغلب عليه تصفية الخصوم، بطريقة أو بأخرى.

ساهم هذا المناخ في تشكيل أفكار واستراتيجيات التنظيمات ذات الأرضية الإسلامية بشكل عام، إذ من الطبيعي أن أول فكرة ستردِ على عقل من يريد التغيير هو أن يغيره على الطريقة المألوفة في عصره، وهذا ما حدث مع الشاب نبيل البرعي، وهذا السياق الثوري يمكن أن يفسّر قيام حزب التحرير الإسلامي بتنفيذ انقلاب عسكري في الأردن سنة ١٩٦٨[٤]، ويبين د. كمال حبيب أن فكرة الانقلاب العسكري تم تبريرها بأنها أقرب للروح الإسلامية لكونها أقل سفكاً للدماء من الثورة الشعبية[٥]!

لقد تشكلت قناعة بُرعي بضرورة إنشاء تنظيم سرّي مسلح في داخل الجيش للقيام بانقلاب عسكري من خلال نشر فكرة الجهاد وحث المتقبلين لها على دخول الجيش ونشر هذه الفكرة بين أعضاء الجيش في تكرار لتجربة الضباط الأحرار، لكن مع تجنب خطأ الإخوان بعدم صهر الضباط في رؤية إسلامية، مما تسبب في انقلاب عبد الناصر على الإخوان[٦]!

ولذلك اقتصر عمل التنظيم على التغلغل في الجيش والتدرب على السلاح ولم يقم بأي عمل[٧]، مما تسبب بعد سنوات في انشقاق بعض القيادات عن التنظيم احتجاجا على بطء المسيرة وعدم فعل أي شيء له قيمة!

ومن جهة ثانية، وبسبب هذا البعد الفكري بالاعتماد على الانقلاب العسكري من داخل الجيش كانت غالب العمليات التي قامت بها مجموعات وتنظيمات متولدة من هذا المسار عبر عقدين من السنوات تقريبا (١٩٦٠ - ١٩٨٠) نفذتها شخصيات عسكرية مثل: عصام القمري، يحيى هاشم، حادثة الكلية الفنية، مقتل السادات! وهو ما سنفصّله لاحقا.

بداية الكارثة

لم يتوقف خطأ نبيل برعي على كونه شابا يفتقد إلى العلم، وتتملكه الحماسة، وفهِم كلام أحد العلماء على غير وجهه الصحيح، بل حوّل برعي هذه الفكرة الخاطئة لدعوة وعمل ينشرهما بين الناس دون استشارة لمن هو أكبر منه علما وتجربة وسنّا!

لم تكن هذه الخطوة من نبيل برعي فريدة من نوعها، فسمة الاستئثار بالقرار وعدم مشورة أهل العلم هي من سمات الخوارج الأوائل، الذين خرجوا على الخليفة الثالث عثمان بن عفان و الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، رضي

(١) النبي المسلح، ١٢/١، وفي كراسته الحركات الإسلامية الراديكالية في مصر والصادرة عن مركزالدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ببيروت ص ٧، لكن عبد المنعم منيب ينقل نفي ذلك عن نبيل نفسه في كتابه «خريطة الحركات الإسلامية في مصر»، ص ٤٥، وكتابه التنظيم والتنظير تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة، ص ٢٠.

(٢) الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، محمد مورو ص ١٨٢، متاهة الحاكمية: أخطاء الجهاديين في فهم ابن تيمية، د. هاني نسيرة، ص ١٥٣.

(٣) الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، محمد مورو، ص ١٨٣.

(٤) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية، تحرير فيصل دراج وجمال باروت، ٨٨/٢.

(٥) الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، كمال حبيب، ص ٣٨.

(٦) خريطة الحركات الإسلامية في مصر، ص ٤٤.

(٧) الأصولية في العالم العربي، ريتشارد دكمجيان، ص ١٤٣.

الله عنهما، وفي قصة إرسال علي بن أب طالب ابن عمّه عبد الله بن عباس لمناظرة الخوارج كان من جملة مناظرته مقولته الشهيرة التي تحدد الفيصل بين التهور والقرارات الصائبة الحكيمة: (أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، لأبلّغكم ما يقولون، المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أُنزل، وليس فيكم منهم أحد)[1].

فابن عباس حاججهم بانعدام العلماء بينهم، والذي جعلهم ينحرفون في فهم الإسلام، ثم قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ومن بعده قتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، وإدخال المسلمين في حرب أهلية مدمرة ... مما يكشف عن ضرورة عدم الانفراد برأي عن أهل العلم والمعرفة، وهذا من بدهيات الفكر العلمي والموضوعي، لأن نتيجة البعد والانفراد عن رأي العلماء الوقوع في فجوة السطحية والتناقض في قراءة النصوص الشرعية، وهذه العقلية والمنهجية في فهم الدين عند أفراد جماعات الغلو والتطرف والخروج لا تزال تجرّ على أمّتنا الكوارث كما هو حاصل في فتاوى الغلاة في سوريا والعراق، التي أباحت الدماء والأعراض والأموال المعصومة ظلما وبهتانا ونصرة للطغاة الذين زعموا أنهم خرجوا لمحاربتهم!

برعي وابن تيمية

هل كان ابن تيمية وفكرُه هما المسؤولان عن ظهور فكرة العنف والتغيير المسلّح والجهاد ضد الأنظمة القائمة؟ أم أن برعي وظروفه الذاتية في صغره وحماسته أو تهوره والضغوط السياسية التي عاشها وأبناء جيله وجهله بحقيقة فكر ابن تيمية هي السبب في جنوحه نحو هذا الخيار المتطرف؟

للإجابة عن هذا السؤال دعونا نبحث عن فكر ابن تيمية في مصر، هل سبق للمجتمع المصري الحديثِ أن تعرّف على ابن تيمية أم أن نبيل برعي هو الذي اكتشفه؟ وهل كل من عرف فكر ابن تيمية أو غالبيتهم أو بعضهم وصل لنفس النتيجة التي وصل لها نبيل برعي؟ أم هذه حالة خاصة انفرد بها برعي وتابعه عليها أمثاله؟

الواقع والتاريخ يحدثنا أن فكر ابن تيمية كان حاضرا وبقوة في المجتمع المصري الحديث، فمنذ عصر رشيد رضا (١٨٦٥ – ١٩٢٥م) ومجلته المنار، كان فكر ابن تيمية وكتبه حاضرة، وساهم العلامة محب الدين الخطيب (١٨٨٦ – ١٩٦٩م) من خلال مطبعته ومكتبته السلفية في نشر العديد من كتب ابن تيمية، ثم كان للعلامة حامد الفقي، مؤسس جماعة أنصار السنة (سنة ١٩٢٦م) دور كبير في تحقيق ونشر الكثير من تراث ابن تيمية، وأصبح فكر ابن تيمية ثقافة الجماعة، وواصل عدد من المحققين والعلماء نشر وتحقيق تراث ابن تيمية وفكره، منهم القاضي والمحقق المعروف أحمد شاكر (١٨٩٢ – ١٩٥٨م) والدكتور محمد خليل هراس (١٩١٦ - ١٩٧٥)، ولا يزال كثير من الباحثين والمحققين المصريين يقومون بذلك لليوم.

ولكن لم يظهر بين هؤلاء كلّهم من فَهِم ابن تيمية هذا الفهم المغلوط، وهم عاشوا نفس المرحلة التي عاشها نبيل برعي! ولم يظهر على أتباعهم في جماعة أنصار السنة المحمدية هذه الأفكار برغم أن جماعتهم تعرّضت للحلّ والدمج مع الجمعية الشرعية، التي كانت ذات منحى أشعري!

إن نبيل برعي وزملاءه لم يكن لديهم منهج سليم لفهم الإسلام أصلاً أو فهم وقراءة كلام ابن تيمية، بل كانت سياستهم قبول أي شخص لفكرهم وتنظيمهم إذا قبل فكرة الانقلاب العسكري، وهو ما يتناقض مع فكر ابن تيمية الذي يركّز على النقاء العقدي بالتزام التوحيد وتجنّب الشرك والسلامة السلوكية باتّباع السنة وترك البدع.

وهذه السيولة في الالتزام الشرعي وتبني فكرة الانقلاب العسكري لدى برعي ورفاقه هي سبب استقلالهم عن جماعة أنصار السنة والجمعية الشرعية برغم أنهم كانوا يترددون على مساجدها ومراكزها لأن المساجد الأخرى غالبا هي مساجد صوفية طرقية تتناقض تماما مع الفكرة الانقلابية، لكن هذه الصلة بمساجد أنصار السنة والجمعية الشرعية أكسبتهم - على تفاوت بينهم- تقديرا واحتراما عاماً للمنهج السلفي الذي يرفض البدع والخرافات وكان رموزه عبر التاريخ أصوات الحق أمام الطغيان ورواد العلم والمعرفة، ولكن هذا الاحترام لم يرافقه فهم صحيح وتام للمنهج السلفي ولذلك اصطدموا بالعلماء والشباب والسلفي وانفصلوا عنهم.

إذًا، المشكلة ليست في فكر ابن تيمية وتراثه بقدر ما هي مشكلة في قراءة منهج ابن تيمية من البرعي وأمثاله من بعده، وهذا ما توصل له د. هاني نسيرة في أطروحته للدكتوراه والتي كانت بعنوان «متاهة الحاكمية: أخطاء الجهاديين في فهم كلام ابن تيمية»، حيث يقول: «كان ابن تيمية مرجعية أو مرجعاً واحدا بين مختلفين ومتصارعين، الكل يجتمع عليه وأيضا يختلف فيه ... مرحلة التأسيسات

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه، ١٥٠/١٠.

التي استمرت عقودا ومرحلة المراجعات التي شهدها العقدان الأخيران... ويتصارع الجيل الأول والثاني والثالث من منظّري السلفية الجهادية في الطرفين على الصحة وكلاهما يدّعي وصلا ونسبا بابن تيمية ويعتمده مرجعا له»[1] ، ويضيف د. نسيرة: «عقدنا مقارنة وعرضنا توضيحا لمراجعات السلفية الجهادية في هذه القراءة لشيخ الإسلام، خاصة بعد تراجع كثير من منظّريهم عمّا سبق أن طرحوه في كتاباتهم الأولى، معتمدين عليه ومستندين إليه في المراجعة بعدما اعتمدوا عليه في التأسيس بشكل كبير»![2].

إذا، القراءة الذاتية والمختلة لنبيل برعي لفكر ابن تيمية ومنهجه في التعامل مع الحوادث والظروف انتجت فكراً مشوها لا يمتّ لحقيقة منهج ابن تيمية بصلة من جهتين:

١- من جهة عدم فهم حقيقة قاعدة الجهاد عند ابن تيمية كإمام من أئمة الإسلام والتي تقوم على أن الجهاد لا يكون قبل التربية، بل يكون بعدها، بخلاف قاعدة البرعي التي كان يقدم فيها الجهاد كوسيلة للتربية[3]، فجهاد ابن تيمية، لم يكن عشوائياً مضطرباً كما في قراءة برعي لكلام ابن تيمية في التعامل مع ما يسمّيه العدو الداخلي، وهذا جهل بحقيقة الواقع ومعرفة المآلات، وطرق الجهاد الصحيح، لكنها القراءة الحماسية كعادة أغلب صغار السن والذين يستهويهم الكلام في الجهاد في أوقات الضعف والعدوان بانتقائية وفهم شبابي متهوّر، وهو ما لا يزال يتكرر مع ضحايا خطاب داعش المنتشر في شبكة الإنترنت.

٢- من جهة عدم فهمه ظروف ابن تيمية ومناخ تجربته، فسبب سجن ابن تيمية في سجن القلعة في المرة الأولى كان فتواه التي تخالف خصومه المذهبيين من المتصوفة وغيرهم آنذاك حول مسألة شدّ الرحال إلى قبر النبي ﷺ ، وأيضاً فإن سبب سجنته الثانية فتواه المتعلقة بمسائل الطلاق، وليس لسجنة علاقة بالصراع مع الطواغيت وتحكيم الشريعة[4]!

ففكر ابن تيمية ليس هو المشكلة، بل المشكلة في القراءة المنحرفة من شباب غير مؤهل، وقد عادت هذه الجماعات بعد أكثر من ثلاثين عاما لتعتمد قراءة تلاميذ ابن تيمية في مصر من أتباع أنصار السنة المحمدية والعلماء السلفيين والدعوة السلفية في الإسكندرية بدلا من قراءتهم الخاطئة لابن تيمية التي بدأها نبيل البرعي!

ولادة تنظيم الجهاد المصري

نشط برعي في توزيع فتاوى ابن تيمية حول الجهاد بين أصدقائه، والحوار معهم حول اعتماد العمل السري المسلّح آلية للتعامل مع الواقع السيئ، وقد تجاوب مع فكر برعي عدد من أصدقائه مثل إسماعيل الطنطاوي ومحمد عبد العزيز الشرقاوي وعلوي مصطفى، ونتج عن هذا التقبل للقراءة الخاطئة لفكر ابن تيمية وللواقع المصري ظهور أول خليّة لتنظيم الجهاد عام ١٩٦٠، وبدأ هذا الفكر يتمدد ويتوسع فيما النظام الناصري يطارد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين عقب مسرحية حادثة المنشية سنة ١٩٥٤م[5].

وقد كان الثلاثي المؤسس نبيل برعي، وإسماعيل طنطاوي، وعلوي مصطفى، زملاء في الثانوية العامة، وقد تخرج طنطاوي بعدها من كلية الهندسة بجامعة الأزهر- وكذا كان علوي مصطفى، فيما تأخر نبيل برعي دراسياً ثم التحق بكلية الآداب بجامعة بيروت[6]، ونلاحظ هنا بوضوح أن غالب قيادات تنظيمات العنف و(الجهاد) طيلة مسيرتها لليوم هي قيادات من خلفيات تعليمية غير شرعية، وأنهم شباب في مقتبل العمر، وأنهم مستقلون عن العلماء والتيارات الإسلامية الأسبق منهم ظهوراً[7].

وبدأت الخلية تكبر شيئا فشيئاً بعيداً عن رقابة النظام الناصري، حتى كانت مذبحة عام ١٩٦٥ للإخوان التي أذنت بتمدد هذه الفكرة بين الشباب المتدين الجاهل بحقيقة المآلات، وخلو الساحة من جهة، جعلها قادرة على استقطاب الشباب المتحمس، وبحسب د. كمال حبيب فإن «عنف النظام الناصري في هذا الوقت مع الإخوان، قد قاد إلى طرح مشروعية مواجهته على بساط البحث من منظور

(١) متاهة الحاكمية، ص ١٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٧.
(٣) الإسلام السياسي، ص ١٨٢.
(٤) متاهة الحاكمية، ص ١٩٤.

(٥) الإسلام السياسي، ص ١٨٤، و٤٥٧. ومن اللافت للنظر في مسرحية المنشية مقدار الاختراق الأمني للمنفذين وكيف تلاعبوا بهم، فهل عجزت أجهزة عبد الناصر عن رؤية تنظيم/ات الجهاد، أم أنها كانت تغض النظر عنها عامدة للحظة مناسبة يتم استغلالها فيه؟ خاصة أن عهد عبد الناصر لم يشهد أي عملية عنف ضده من التنظيم/ات، بينما عصر السادات شهد العديد من العمليات برغم أفضلية عهد السادات على عهد جمال؟ مما يذكرنا بواقعنا اليوم من استهداف داعش لتركيا والسعودية وغيرها من الدول السنّية وتجنب ضرب إيران وروسيا؟! فهل سمّن جهاز الأمن الناصري هذه التيارات وضرب بها السادات لما انقلب على مراكز القوى الناصرية، كما فعلت إيران والمالكي وبشار برعاية قادة تنظيم القاعدة في سجونها ومن ثم إطلاقهم لضرب الثورة السنية في العراق وسوريا؟؟
(٦) خريطة الحركات الإسلامية في مصر، عبد المنعم منيب، ص ٤٣.
(٧) الإسلام السياسي، ص ١٨٨.

إسلامي»[1].

استمر التنظيم في العمل على كسب أعضاء جدد، ولا تتوفر في المصادر والمراجع معلومات إضافية عن دور نبيل برعي بعد تأسيس الخلية الأولى، حيث اختفى ذكره[2]، وحلّ مكانه في قيادة تنظيم الجهاد شريكه في التأسيس إسماعيل طنطاوي[3]، الذي نجح بضمّ أيمن الظواهري، وكان عمره آنذاك ١٦ سنة فقط[4]، وانضم إلى التنظيم عدد آخر من الشباب كان لهم شأن فيما بعد، مثل حسن الهلاوي، ويحيى هاشم، ورفاعي سرور، وأصبح للتنظيم أكثر من خلية: خلية في القاهرة بقيادة إسماعيل الطنطاوي، الذي كان لا يزال في وقتها طالب هندسة، وخلية في الجيزة بقيادة حسن الهلاوي الذي كان طالباً في الثانوية الأزهرية[5].

ومعلوم أن من في هذا السن لا يملك أصحابه المعرفة والوعي اللازمين للمهمة التي يتصدون لها، وقد أثبتت الأيام تراجع الكثير من هذه القيادات عن أفكارها وسلوكها العنيف والمتطرف مع تراكم المعرفة والخبرة والتجربة، لكن بعد التسبب بمشاكل وأخطاء كثيرة، وللأسف لا يزال الكثير من الشباب –لليوم– يكرر هذه الأخطاء ولا يتعلم منها، وهذه الدراسة من أهدافها توعية الجيل الجديد من الشباب بالأخطاء التي وقعت لعدم تكرارها.

مسيرة التنظيم وتعرّجاته

ساهمت محنة الإخوان عقب حادثة المنشية عام ١٩٥٤م في إيجاد حالة من التذمر تجاه دكتاتورية عبد الناصر، وتكوّن خلية تنظيم الجهاد، لكن عقب محنة الإخوان عام ١٩٦٥م واعتقال آلاف الأبرياء ومن ثم هزيمة عام ١٩٦٧م أمام اليهود بفساد عبد الناصر تحوّل التذمر إلى غضب عارم، وفي داخل تنظيم الجهاد حدث سجال: هل نبقى على مسارنا في العمل الانقلابي من داخل الجيش أم نبادر لقيادة ثورة شعبية ضد النظام؟

مِن الذين مالوا للرأي الثاني يحيى هاشم، الذي كان يشغل منصب وكيل نيابة، وكان التنظيم قد ضمّه لصفوفه، حيث رأى يحيى أن اللحظة مناسبة لقيادة الجماهير ضد نظام عبد الناصر وأن البقاء في المسار الأول يستغرق وقتا طويلاً حتى ينجح، فقاد مظاهرة في القاهرة ضد النظام من مسجد الحسين عام ١٩٦٨م وطالب بمحاكمة المسؤولين عن الهزيمة وقتال اليهود، وهاجم عبد الناصر. انزعج قائد التنظيم إسماعيل طنطاوي من هذه المظاهرة وخشي أن يُكتشف التنظيم بسبب ذلك، حيث قبض على يحيى ولكن أفرج عنه حين عرفوا أنه وكيل نيابة، وهنا نتساءل: هل فعلا لم تنتبه الأجهزة الأمنية للحقيقة؟

الخلاف حول طريقة العمل وأسلوب التغيير بين طنطاوي الذي يصرّ على الانقلاب العسكري من داخل الجيش وبين يحيى الذي يفضّل مسار الثورة الشعبية أو حرب العصابات تصاعد فيما يبدو ليصل إلى حدّ انفصال يحيى عن التنظيم وخلية القاهرة وليكوّن تنظيما خاصا به سنة ١٩٦٩م سيكون له دور لاحق بعد عدة سنوات مع تنظيم الكلية الفنية برئاسة د. صالح سرية، ومما زاد في مساحة الخلاف أن طنطاوي بحكم احتكاكه بأنصار السنة المحمدية كان يرى وجوب الالتزام الشرعي الفردي بالسنن والواجبات وهو ما كان يحيى لا يرى أهميته ومن يناصره مثل رفاعي سرور قبل قيام الدولة، ولعل تأثرهم بسيد قطب أكثر من تأثرهم بابن تيمية كحال طنطاوي هو سبب ذلك[6]!

ومضى كلا الطرفين في طريقه يجنّد الأتباع ويتدرب على السلاح، حتى جاءت حرب عام ١٩٧٣م وحدثت ثغرة الدفرسوار وتقدم من خلالها الجيش اليهودي، عندها قام علوي محمد وهو من قيادات خلية القاهرة ومجموعة من أعضاء التنظيم بالذهاب إلى هناك والتطوع بجوار الضباط الصامدين ومساعدتهم ضد اليهود، وقد تعرفوا هناك على الملازم عصام القمري، الذي قام بدور بطولي في التصدي للقوات اليهودية، وكرّم على ذلك بمنحه وساما عسكريا.

نجح التنظيم (خلية القاهرة) في كسب القمري كعضو فيه، ولعله يكون أول اختراق للتنظيم في الجيش حيث بدأ عصام ينشئ خلية في داخل الجيش تابعة للتنظيم، وسيكون لعصام دور مهم في التنظيم لاحقاً[7].

---

(١) الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، ص ١٤.

(٢) للأسف أن غالب الكتابات عن تنظيم الجهاد يغفل ذكر نبيل البرعي، كما أن هناك تضارب في المعلومات عن هذه المرحلة من تاريخ نشأة التنظيم، ولكن رواية د. محمد مورو من أوضح الروايات ثم رواية عبد المنعم منيب.

(٣) يتكرر في عدة مصادر وصفه بالقدرة على القيادة والتنظير الشرعي، لكن لم أقف على شيء من فكره.

(٤) أيمن الظواهري كما عرفته، منتصر الزيات، ص ٣٦.

(٥) الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، محمد مورو، ص ١٨٤.

(٦) الإسلام السياسي، ص ١٩٤، و٢٠٠، وخريطة الحركات الإسلامية، ص ٤٦.

(٧) الإسلام السياسي، ص ١٨٥.

وعقب حرب ٧٣ وقع خلاف في داخل التنظيم وخلية القاهرة حول حكم قتلى الجيش المصرى هل هم مسلمون يصلّى عليهم أم هم كفار موالون للطاغوت أنور السادات؟ وذلك أن شقيق علوى مصطفى كان من الذين قُتلوا في الحرب وكان يعتبرهم مسلمين وشهداء بخلاف آخرين في التنظيم اعتبروهم كفارا مرتدين!

حاول إسماعيل طنطاوي أن يوفّق بين الطرفين ويجمعهم على قول واحد أو هدف واحد، فلم يفلح، فانشق علوي عن التنظيم ولم يُعرف له نشاط بعدها، كما فارق آخرون التنظيم دون أن يعملوا في تنظيمات أخرى[١].

وبسبب هذه الخلافات رأت خلية الجيزة بقيادة حسن الهلاوي الاستقلال عن خلية القاهرة ومشاكلها، وبقيت خلية القاهرة تحت قيادة طنطاوي وكان فيها في ذلك الوقت أيمن الظواهري، وعصام قمري، وانضم إليهم سيد إمام الشريف، الذى سيصبح من أبرز منظرى هذه الجماعات[٢].

ويبدو من الواضح جداً سهولة الانشقاقات والسيولة لدى هذه الجماعات وتبدّل مواقفها وذلك بسبب قلة العلم وحداثة السن وضعف الخبرة، كما أن الخلاف حول حكم صحة إسلام ضباط الجيش يدلل على قدم موضوع الغلو والتطرف في هذه الحركات، وأن الغلو فيها يتطور ويتدحرج ككرة الثلج نحو مزيد من الغلو والتطرف ليشمل غالبية الأمة كما هو واقع أفكار القاعدة وداعش وأمثالهما.

وفي نفس العام (١٩٧٣م) جاء إلى مصر د. صالح سرية، الفلسطيني الباحث عن حل عسكري لقضية فلسطين والذي تقلب بين منظمة التحرير وجماعة الإخوان وحزب التحرير وعلاقات بقادة العراق وليبيا قبل وصوله لمصر، فحاول مع جماعة الإخوان المسلمين للقيام بعمل عسكري لكنها رفضت، وحاول مع خلية القاهرة فاصطدم بطنطاوى وخلفيته السلفية التي رفضت ميول سرية لحزب التحرير، وحاول مع يحيى هاشم لكن إصرار يحيى على حرب العصابات ورغبة سرية بالانقلاب فرّقت بينهما. الوحيدة التي انضمت لتنظيم سرية هي خلية الجيزة بقيادة حسن الهلاوى[٣].

وهنا نكون أمام منعطف كبير ومختلف في مسيرة جماعات العنف وهو حادثة الكلية الفنية العسكرية التى قادها صالح سرية وتقاطعت معه بعض المجموعات المنشقة عن تنظيم نبيل البرعي، وتفاصيل ذلك ستكون في المقال القادم بإذن الله.

(١) خريطة الحركات الإسلامية، ص ٤٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٨، الإسلام السياسي، ص ١٨٧.

مظلومية أهل السنة في إيران ١

ماجد العباسي(*) – خاص بالراصد

تمهيد:

إنَّ ما نحن بصدد تقديمه فيما يخص وضع **أهل السنة في إيران** في هذه السلسلة على صفحات الراصد لهو عمل جليل وقضية مهمة وفرصة لنصرة أهل السنة في إيران، ولجعل القارئ على دراية كاملة ورؤية واضحة بقضية أهل السنة المنسيين في الداخل الإيراني، وسنتناول هذا الأمر من جميع جوانبه بإذن الله تعالى ونعتمد أسلوبًا متسلسلًا في سرد الحقائق الخفية وكشف النقاب والستار عن أدقّ وأعمق التفاصيل من داخل الدولة الإيرانية، وما تمارسه حيال أهل السنة خاصة، والأقليات عامة في الداخل.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى السياسات الخارجية التي يتبعها النظام الإيراني في المنطقة العربية بشكل خاص، والعالم بشكل عام، وأثر ذلك على واقع أهل السنة في الخليج والأمة الإسلامية ، كما نودّ أن نلفت عناية القارئ إلى أن مقالاتنا سوف تتنوع ما بين سياسية وحقوقية وإنسانية بإذن الله تعالى، وسوف نتطرق إلى ملفات خطيرة تتعلق بممارسات النظام الإيراني، لم يُتطرق إليها من قبل.

لا يخفى عليكم ما يعانيه أهل السنة من التهميش والاستضعاف والحرمان من الحقوق في جميع النواحي والمجالات من قبل الحكومة الشيعية في إيران، وأخطرها التغيير الديموغرافي الذي يسعى إليه النظام الإيراني سعيًا حثيثًا، الأمر الذي أدى إلى حاجة هذا الشعب المضطهد الصامد لوقوف إخوانهم في الدين معهم في محنتهم، ونشر قضيتهم بشرح ما يعانون منه ويتعرضون له في إطار خطة محكمة وضعها الروافض منذ القدم سعيًا منهم للوصول إلى ما يتطلعون إليه.

ومن هنا رأينا أن يكون مستهل حديثنا عن **القوميات الإيرانية**، وفي القلب والخاصرة منهم أهل السنة والجماعة، الذين يشكلون ثلث سكان إيران تقريبًا، وجغرافيًا يتواجد أهل السنة في إيران في المناطق الحدودية والساحلية، وفي مدن ومناطق وأقاليم متفرقة ومنفصلة بعضها عن البعض؛ وبسبب البطش والظلم الذي كان يُمارس منذ زمن الصفويين إلى يومنا هذا، لجأ أهل السنة إلى الأطراف ليكونوا بعيدين عن مركز الدول الشيعية العنصرية في

(*) كاتب إيراني.

إيران، وهم الأكثرية الساحقة في القومية الكردية والبلوشية والتركمانية، وكذلك في أقاليمهم كإقليم بلوشستان الذي يقع في جنوب شرق إيران على حدود دول أفغانستان وباكستان وعُمان، وإقليم كردستان الذي يقع في الشمال الغربي على حدود العراق وتركيا وأرمينيا وأذربيجان وإقليم جلستان الذي يقع في الشمال الشرقي على حدود تركمانستان وإقليم عربستان (القديم) أو الساحل الشرقي للخليج العربي الذي يقع جنوب بلاد فارس على حدود دول الخليج العربي.

أما بقية أهل السنة فهم متوزعون في المناطق ذات الغالبية الشيعية كالعاصمة طهران ومدينة شيراز، عاصمة محافظة فارس، ومنطقة الأهواز العربية ومدينة مشهد ـ المقدسة لدى الشيعة ـ التي هي مركز إقليم خراسان الرضوية، وغيرها من المدن والمناطق.

وامتدادًا لمواصلة المشروع القومي والطائفي الذي انتهجته الحكومات المركزية في إيران من عهد الدولة الصفوية إلى اليوم، تم قمع الطوائف غير الشيعية والقوميات غير الفارسية، في محاولة لتمزيق وحدة هذه الأقليات وكسر شوكتها، فقد قاموا بتجزئة هذه الأقاليم إلى محافظات ودمجها بالطوائف والقوميات الأخرى كما نرى اليوم على الخارطة الإيرانية.

حيث يتواجد أهل السنة في إيران اليوم في ١٧ محافظة من مجموع ٣١ محافظة، وهي:

١- محافظة خراسان الجنوبية.
٢- محافظة خراسان الشمالية.
٣- محافظة خراسان الرضوية.
٤- محافظة جُلستان.
٥- محافظة جيلان.
٦- محافظة أردبيل.
٧- محافظة أذربيجان الغربية.
٨- محافظة كردستان.
٩- محافظة كرمانشاه.
١٠- محافظة خوزستان (الأهواز).
١١- محافظة هرمزكان.
١٢- محافظة بلوشستان.
١٣- محافظة كرمان.
١٤- محافظة فارس.
١٥- محافظة بوشهر.
١٦- محافظة طهران.
١٧- محافظة كرج.

القوميات الإيرانية والوجود السني فيها:

يقطن الجغرافية الإيرانية الحالية أكثر من ٢٠ قومية أو عرقية من البشر وعلى رأسهم: الفرس، الأتراك الأذريون، الأكراد، البلوش، العرب، التركمان، وغيرهم.

١- **الفرس**: وهم الأكثرية في الأقليات أو أكبر أقلية قومية تعيش على الأراضي الإيرانية، ويقدر عددهم بقرابة ٤٠ مليون نسمة، معظمهم من الشيعة، ويوجد منهم ٥ ملايين سني فارسي تقريبًا، وغالبية الفرس السنة يقطنون محافظات خراسان الثلاث، إضافة إلى أجزاء واسعة من محافظات الجنوب الثلاث (محافظة فارس، محافظة هرمزجان، محافظة أبو شهر).

والفرس عامة متوزعون في مركز وشرق الدولة الإيرانية، موطنهم الأصلي، ولديهم تواجد في جميع المحافظات **الواحدة والثلاثين** الإيرانية تقريبًا؛ بسبب سياسة الاستيطان التي تمارسها الدولة الإيرانية تجاه الأقليات.

٢. **الأتراك**: ومعظمهم من الأذريين، ويقدر عددهم بـ ٢٥ مليون نسمة في أقل تقدير، ويقطنون محافظات كثيرة في إيران مثل: محافظتي أذربيجان الشرقية والغربية ومحافظة أردبيل وزنجان وقزوين وهمدان وطهران وفارس وغيرها،

والأكثرية الساحقة منهم ينتمون للمذهب الشيعي ما عدا ضواحي مدينة خلخال وعنبران التابعة **لمحافظة أردبيل**، وهذه المنطقة متصلة بمنطقة طالش السنية، ولكنهم من الأتراك الأذريين، وعددهم يقدر بـ ١٠٠ ألف سني على أقل تقدير.

٣. التركمان: يقطنون منطقة «**تركمن صحراء**» الواقعة في شمال إيران على سواحل بحر قزوين إلى الحدود الجنوبية لدولة تركمانستان، وتضم هذه المنطقة **محافظة جلستان** بأكملها والجزء الشرقي من **محافظة مازندران** (إقليم طبرستان القديم) والجزء الغربي من **محافظة خراسان الشمالية**، ويقدر عددهم بأكثر من مليوني تركماني سني[1].

٤. العرب: ويتجمعون في منطقتين: **أولا: في محافظة خوزستان (الأحواز)**، حيث يسكن غالبيتهم، والتي كانت تعرف بدولة الأحواز العربية الشهيرة، ومركزها مدينة الأهواز العربية قبل الإحتلال الإيراني على يد الدولة البهلوية بقيادة الشاه، وتقع في غرب وجنوب غربي إيران، وتشكل القومية العربية أكثر سكان المحافظة، والبالغ عددهم خمسة ملايين تقريبا، غالبيتهم من الشيعة، وفيهم نسبة كبيرة من السنة قد تصل إلى **مئات الآلاف** جلّهم من الشيعة المتحولين إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

ثانيا: في منطقة جنوب فارس (عرب فارس): وتعتبر هذه المنطقة امتدادا لدول الخليج العربي، وتقع على حدود هذه الدول من سلطنة عمان مرورا بالإمارات وقطر والبحرين والسعودية حتى الحدود البحرية لدولة الكويت، وتسمى هذه المنطقة بـ «بر فارس» أو «عرب فارس» أو «منطقة الهولة» أو «جنوب فارس» وغير ذلك، وتضم أجزاء واسعة من ثلاث محافظات إيرانية هي: محافظة فارس، محافظة هرمزجان ومحافظة أبو شهر.

ومن أشهر مدن تلك المنطقة، مدينة بندر عباس، مدينة لنجة، مدينة بستك، مدينة العوض وجزيرة جسم و...

كانت تلك المنطقة ملتقى للشعوب والثقافات المختلفة منذ القدم، وقد سكن العرب هذه المنطقة منذ آلاف السنين، وهناك هجرات دورية متواصلة كانت تحصل بين الضفتين الشرقية والغربية للخليج العربي إلى عهد قريب؛ مع العلم بأن معظم العرب في تلك المنطقة دخلت عليهم العجمة في اللغة وتحولت لغتهم العربية إلى الفارسية أو اللهجات المحلية الدارجة هناك مع المحافظة على عقيدتهم السنية وتقاليدهم العربية، ويسكن بجانب هؤلاء العرب كثير من الفرس السنة والبلوش والأتراك السنة أيضا في تلك المنطقة.

يقدر سكان منطقة جنوب فارس بأكثر من **مليوني نسمة** موزّعين بين الفرس والعرب والأتراك والبلوش السنة.

٥. الأكراد: ويتواجدون في إقليم كردستان الذي يقع في شمال غرب، وغرب إيران ويتكون من ثلاث محافظات وهي:

أ. **محافظة كردستان:** وتقع في غرب إيران ومركزها مدينة (سنندج)، والأكثرية الساحقة من سكانها من القومية الكردية، وهم سنة، ومن أشهر مدنها السنية الكردية مدينة «سقز» ومدينة «مريوان» ومدينة «بانه».

ب. **محافظة أذربيجان الغربية:** ومركزها مدينة «أرومية»، وتقع هذه المحافظة في شمال غرب إيران، وغالبية سكانها من الأكراد السنة، وبها مدن سنية كردية مشهورة مثل: «مهاباد» و«ميانداوآب».

ج. **محافظة كرمانشاه:** ومركزها مدينة «كرمانشاه»، ويشكل الأكراد السنة أكبر نسبة من سكانها، ومن أهم مدنها السنية الكردية مدينة «باوه» ومدينة «جوانرود» ومدينة «روانسر»، ويقدر إجمالي عدد أهل السنة والجماعة بهذا الإقليم **تسعة** ملايين سني أو أكثر.

وهناك جزء من الأكراد يعتنقون المذهب الشيعي في الشطر الجنوبي من محافظة كرمانشاه، وكذلك **محافظة إيلام (عيلام)** ويقدر عددهم بأكثر من مليوني كردي شيعي.

وهناك أقلية كردية يزيدية، ويقلّ عددهم عن مليون نسمة، ومعظمهم يقطنون محافظة كرمانشاه الكردية، وتوجد أقليات دينية أخرى من الأكراد كاليهود.

ونتيجة لسياسة التهجير التي مارستها الأنظمة الحاكمة على تلك البلاد فقد هاجر الكثير من الأكراد إلى خارج موطنهم الأصلي، ومن أهم تلك المناطق التي يسكنها الأكراد إلى يومنا هذا، محافظات خراسان الشمالية، محافظة خراسان الرضوية، محافظة جيلان، محافظة بلوشستان وغيرها، ويصل إجمالي عدد الأكراد في إيران إلى قرابة **١٢ مليون كردي بجميع طوائفهم**.

٦. البلوش: وموطنهم الأصلي إقليم بلوشستان، ويقع في جنوب شرق إيران، ويضم هذا الإقليم كل أجزاء **محافظة سيستان وبلوشستان**، ومركزه مدينة «زاهدان»، وتشكل القومية البلوشية السنية الأكثرية الساحقة من سكان هذه المحافظة، ويضم الإقليم أيضًا جزءًا من **محافظة هرمزجان**

(١) هناك أقلية أخرى من الأتراك القزاق (كزاخ) السنة والأتراك القشقايين الشيعة في مناطق مختلفة من الجغرافية الإيرانية ويقدر عددهم بأقل من مليون نسمة في المجموع.

الحالية والمنطقة الشرقية منها تحديدا، كمدينة «جاسك» السنية البلوشية وتوابعها، ومدينة «سيريك» وتوابعها، وبعض القرى التابعة لمدينة ميناب تعد تجمعا للسنة البلوش، كذلك يضم هذا الإقليم جزءًا يسيرًا من **محافظة كرمان** الحالية، ويصل عدد السنة في هذا الإقليم إلى أكثر من **٤ ملايين** بلوشي سني، ومن أشهر المدن السنية البلوشية في تلك المنطقة مدينة «سراوان» ومدينة «جابهار» ومدينة «إيرانشهر».

ونتيجةً لسياسة التهجير التي مارستها الأنظمة الحاكمة أيضا على تلك البلاد فقد هاجر الكثير من البلوش إلى خارج موطنهم الأصلي، ومن أهم تلك المناطق التي يسكنها البلوش في يومنا هذا، محافظات خراسان الشمالية، محافظة خراسان الرضوية، محافظة خراسان الجنوبية، محافظة جلستان وغيرها. ويصل إجمالي عدد البلوش في إيران إلى قرابة **٥ ملايين بلوشي** تقريبا.

وللسنة تواجد في منطقة طوالش الواقعة في **محافظة جيلان**، غرب بحر قزوين في الشمال، ومن أشهر مدنها «رضوان شهر» و«طالش» و«أسالم»، ويقطن هذه المنطقة ما يقارب من **٥٠٠ ألف** شخص من أهل السنة.

وهناك أقليات عرقية صغيرة أخرى لم نذكرها بالتفصيل وهي: اللور، الجيلك، الأرمن، الجورجيون، القزاق، الآشور، اللك، القشقايي، وغيرها.

هذا وقد أعرب مختص وخبير في الشؤون الدينية والمذهبية في إيران، عن قلقه من انخفاض عدد السكان الشيعة وارتفاع عدد أهل السنة في هذا البلد، قائلاً: «إن علماء ومراجع التقليد الشيعة قلقون جداً من انخفاض عدد الشيعة وازدياد أهل السنة في إيران».

وقال الدكتور ناصر رفيعي، العضو البارز في «الهيئة العلمية لجامعة المصطفى العالمية»، خلال كلمة ألقاها بمناسبة افتتاح منتدى «الفاطمية وفرص الدعوة»، في مركز «دين واديشة» للثقافة، إن نسبة عدد أهل السنة في إيران ترتفع بسرعة، وفي المقابل فإن نسبة عدد الشيعة تنخفض، مشيراً إلى أن عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية من أبناء السنة يعادل ٥٠٪ من كل التلاميذ في إيران، ما يعني أن عددهم أصبح يعادل الشيعة.

وأضاف رفيعي: «في إحدى المدن في محافظة أذربيجان الإيرانية يفوق عدد أهل السنة عدد الشيعة، حيث أصبحت نسبة السنة ٧٠٪، والشيعة ٣٠٪، وهذا خطير جدًا»، حسب قوله نقلاً عن وكالة «مهر» الإيرانية.

وأكد هذا الخبير في كلمته أن علماء ومراجع التقليد الشيعة أعلنوا عن قلقهم الشديد إزاء هذا التغيير، وانخفاض عدد السكان في إيران، موكداً أن مراجع الشيعة في إيران حثوا المواطنين على التزاوج وكثرة الإنجاب وازدياد المواليد.

وهذه ليست المرة الأولى التي يعلن المسؤولون الإيرانيون ومؤسساتهم الدينية فيها عن قلقهم الشديد من ارتفاع عدد السنة في إيران.

ولقد نشر موقع «شيعة أونلاين» قبل سنة تقريرًا أوضح فيه أنه خلال الـ ٢٠ عامًا القادمة سيصبح الشيعة في إيران أقلية مذهبية، في المقابل سيتحول السنة إلى الأكثرية، ثم الأديان الأخرى مثل المسيحية والمجوسية.

نقاط التشابه بين الدولة الصفوية والجمهورية الإيرانية

عبد الرحمن السقاف(*) - خاص بالراصد

رغم أنّ حكم الصفويين قد باد وانتهى، إلا أننا نجد في هذا الزمن من أعاد لنا فكره ومنهجه الدموي مع أهل السُنة، وهذا النموذج والمنهج عاد لنا متمثلاً في ثورة الخميني بإعلانه للجمهورية الإيرانية.

أصبحت جمهورية إيران امتداداً للحكم الصفوي، وقامت بإحياء أفكاره تحت ما يُسمّى (تصدير الثورة) وما هو إلا تصدير التشيُّع الصفوي، فأعادت إلينا التضييق على أهل السُنة وقمعهم في الأحواز، وبلوشستان وغيرهما، وكما يحصل لسُنة العراق على أيدي جلاوزة فيلق بدر وعصابات جيش المهدي ومرتزقة وزير داخلية العراق الأسبق الصفوي جبر صولاغ.

وكما حصل لإخواننا الفلسطينيين في لبنان على يد حركة أمل الشيعية الصفوية، وكما حصل أيضا لإخواننا السوريين في مدينة حماة، حين أبادهم حافظ الأسد النصيري الصفوي! وما يحصل حالياً في حمص ودرعا والقصير وغيرها من المدن السورية على يد ابنه بشار، وما حصل أخيراً في مملكة البحرين من قيام صفويي إيران بالتعرّض لأهل السُنة، إمّا بالترويع أو القتل!

وفي عصرنا الحالي وَجَدتُ في إيران أو كما تُطلق على نفسها بالجمهورية الإسلامية الإيرانية تشابهاً كبيراً بالدولة الصفوية، بل أرى أنها امتدادٌ للفكر الصفوي القمعي الدموي الشعوبي، بل الدولة الصفوية

(*) كاتب سعودي.

مصدر اعتزاز وفخر للإيرانيين في العصر الحاضر! وهذا ما جعلني أضع رابطاً وتشابهاً بين الدولتين الصفوية والخمينية الإيرانية.

يقول الدكتور محمد فتحي إدريس: «ويعتز الإيرانيون بالدولة الصفوية أيّما اعتزاز، ويُصورونها على أنها الدولة التي حققت حلمهم في الوحدة والسيادة والقومية، وأنها أول دولة إيرانية تحكم بلادهم بعد استعمار طويل أو حكم أجنبي مستمر منذ الفتح العربي لإيران»[1].

ويُوافقه على ذلك الدكتور محمد سهيل طقوش قائلاً بأن: «... الإيرانيين يفخرون بالدولة الصفوية لأنها أعادت وحدة إيران السياسية بعد مدة طويلة من التردي السياسي والاجتماعي»[2].

كما لاحظ الشيعي توفيق السيف تأثر الإيرانيين بالصفويين، قائلاً: «وفي الوقت الحاضر فإنّ جانباً مهماً من التراث الثقافي والفلوكلوري للمجتمعات الشيعية يرجع في أصوله إلى تلك التجربة»[3].

ويقول جعفر المهاجر: «يُعتبر قيام الدولة الصفوية أكبر حدث في تاريخ شعوب دولتهم، منذ سقوط الإمبراطورية الساسانية، فقد أعادت إلى هذه المنطقة، ذات التاريخ العريق، وحدتها السياسية بعد ما يقرب من تسعة قرون، وجاء إعلان التشيّع الإمامي مذهباً وحيداً في الدولة الجديدة، ليضع هذه الوحدة السياسية في الإطار الروحي المناسب. وبذلك رسمت وجه (إيران) كما لا يزال مستمراً حتى اليوم»[4].

ويقول المؤرخ الشيعي رسول جعفريان: «وقد تمكنت الدولة الصفوية - عبر القوة العسكرية الهائلة التي كانت تتمتع بها - من تكريس اتجاه جديد، شمل المناطق المركزية وسائر النواحي الإيرانية الخاضعة لنفوذها، وبذلك ظهرت إيران الشيعية للوجود»[5].

وبنظرة سريعة أستطيع أن ألخّص نقاط التشابه بين الدولة الصفوية والدولة الخمينية الإيرانية بالآتي:

١ـ المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي للدولة الصفوية، وكذلك للدولة الخمينية الإيرانية[6].

٢ـ الدموية والبطش لكل مَن خالفهما: فالدولة الصفوية نَكّلت بكل مخالف لها، فقتلت الكثير من أهل السُنة لمخالفتهم لها كما مر معنا سابقاً، وكذلك الدولة الخمينية الإيرانية نكلت بالكثير من أهل السُنة في عرب الأحواز وفي غيرها[7]. فهذا سفير إيراني سابق يُدعى عادل الأسدي[8] يُصرّح ببطش وقمع جمهورية الخميني لأهل السُنة هناك، فيقول: «سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية وأقول ذلك لأني كنت مسؤولاً فيها وهي سياسة قمع أهل السُنة سواء في إيران أو خارجها، فهم يُبغضون ويكرهون أهل السُنة كثيراً، ذلك النداء الذي يهتفون به (يا لثارات الحسين) يُريدون به الانتقام من أهل السُنة وفق تفسيرهم»[9].

٣ـ التعصب للعرق والقومية الإيرانية: حيث يقول علي شريعتي: «إنّ حذاقة ودهاء الحركة الصفوية تتجلى أكثر شيء في أنها أرست دعائم حكومتها على أساسين محكمين:

أ ـ المذهب الشيعي.

ب ـ القومية الإيرانية. إنّ توظيف المشاعر والشعائر الخاصة بالشيعة واستثمار الحالة الوطنية والأعراف القومية الإيرانية، أسهما معاً في عزل إيران عزلاً تاماً عن جسد الأمّة الإسلامية الكبير»[10].

ويقول أيضاً: «وتلبّس الصفويون بلباس ولاية علي ونيابة الإمام والانتقام من أعداء البيت... وفي ظل كل هذه المحاولات كان الهدف الأصلي هو إضفاء طابع مذهبي على الحالة القومية الإيرانية وإحياؤها تحت ستار الموالاة والتشيّع، وتمت عملية فصل الشعب الإيراني عن جسد الأمّة الكبير وأجّجت مشاعر العداء بين الإيرانيين من جهة والتُرك والعرب من جهة أخرى»[11]. ويقول: «أوجد التشيّع الصفوي مع القومية الإيرانية حركة جديدة، وامتزجت

---

(١) مقدمة كتاب (إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي) لنصر الله فلسفي.

(٢) تاريخ الدولة الصفوية في إيران للدكتور محمد سهيل طقوش، ص (٧).

(٣) حدود الديموقراطية الدينية لتوفيق السيف، ص (٤٠)، والسيف: شيعي سعودي ومعارض سابق.

(٤) الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي لجعفر المهاجر، ص (١٩).

(٥) سؤال التقريب بين المذاهب: أوراق جادة، لحيدر حبّ الله، ص (٢٩٨).

(٦) حين أعلن الشاه إسماعيل الصفوي مذهب التشيّع المذهب الرسمي للبلاد، وكذلك ورد في الدستور الإيراني بعد ثورة الخميني المادة رقم (١٢): أنّ المذهب الرسمي هو المذهب الشيعي الاثني عشري.

(٧) انظر صفحة (١٣٣٤) من كتابي: (التضييق والبطش بأهل السُنة بالأحواز وباقي إيران).

(٨) عادل الأسدي، كان سفيراً لإيران بالبرتغال، ثم مستشاراً لوزير الخارجية قبل أن يُصبح عام ٢٠٠١م قنصلاً عاماً لبلاده في دبي حتى تاريخ انشقاقه عام ٢٠٠٣م، فكان أوّل مسؤول مدني ينشق عن النظام الإيراني، طلب اللجوء السياسي في السويد، اهتدى إلى مذهب أهل السُنة والجماعة بعد أن كان شيعياً إمامياً.

(٩) لقاء مع الأستاذ عادل الأسدي على قناة كلمة الفارسية، عام ٢٠١٢م.

(١٠) التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي لعلي شريعتي، ص (١٢٠).

(١١) المرجع السابق، ص (١٤١).

هاتان القوتان معاً حتى بات من الصعب التفكيك بينهما ونجم عنهما مركّب جديد يمكن أن نصطلح عليه تارة بأنه (تشيّع شعوبي) وأخرى بأنه (شعوبية شيعية)»[1].

ويقول اليهودي اليعازر تسافرين عن قومية إيران بعد ثورة الخميني: «ومهما تكن إيران إيديولوجية وإسلامية، كل ما كانت تفعله اتسم بالنزعة القومية، بل إنه بدا مشابهاً لما كان يفعله الشاه»[2].

٤ـ الأطماع التوسعية عند الصفويين وذلك باحتلال أرض الجوار والاعتداء عليها بغير وجه حق كما فعل الشاه إسماعيل الصفوي:

يقول الدكتور محمد سهيل طقوش: «كان على الشاه أن ينهض بالحرب، وهذا ما تفرّغ له، وكانت ذريعة الحرب بطبيعة الحال دينية ودنيوية وهي الرغبة في:... التوسّع على الأرض طمعاً في مزيد من الموارد والسكان الذين يمكن أن تفرض عليهم الضرائب»[3]. وكذلك ما تفعله اليوم إيران من أطماع لديها في الخليج، وما جزر الإمارات الثلاث المحتلة عنا ببعيد، إضافة إلى الصيحات المتوالية من صفويي إيران حول مملكة البحرين، وأنها جزءٌ من أصل، وأخيراً التصريح المثير لرئيس هيئة أركان الجيش الإيراني الجنرال حسن فيروزأبادي بأنّ الخليج ملكٌ لإيران![4].

٥ـ السيادة المطلقة التعسفية: فشاه إيران يُصدر الأوامر من غير رد! «فعرفت الملكية الصفوية بأنها مطلقة، فالشاه هو سيّد البلاد والمتصرف في حياة الناس وأموال رعاياه كما يشاء، وكل ما يأمر به يجب أن ينفذ في الحال ومن دون اعتراض أو مناقشة، حتى وإن صدر الأمر وهو ثملٌ فاقد لوعيه، فهو فوق القوانين الطبيعية والوضعية»[5].

وفي عهد الشاه طهماسب الصفوي، أوكل الأمور إلى الشيخ علي الكركي[6] بأن جعله ولياً فقيهاً للدولة الصفوية. يقول الشيخ اللبناني جعفر المهاجر: «أصدر الشاه فرماناً ثانياً بحق الكركي... وفيما يلي تلخيص للجزء الهام منه: نشر التشيّع هو رسالة الدولة الصفوية، وبذلك تُمهد لظهور الإمام المهدي.

أ ـ لا يتم هذا القصد إلا بمتابعة علماء الدين، فهم بما يملكون من معرفة يقودون الناس إلى الهدى.

ب ـ إنّ الشيخ الكركي هو أعظم علماء العصر، ونائب الإمام.

ج ـ لذلك فإنّ الشاه، تحقيقاً لرسالة الدولة السامية، يأمر جميع أركان الدولة باتخاذه مقتدى لهم وإماماً، وأن يتمثلوا لأمره وأن يُقدموا له مراسيم الطاعة في جميع الأمور.

د ـ كما وأنه - أي الكركي- ، يستقل بتعيين المتصدين للأمور الشرعية في المناصب وعزلهم منها.

تلك السلطة الواسعة تشكل سابقة لا مثيل لها في تاريخ الفقهاء الشيعة، وتصعيداً لـ (ولاية الفقيه)، تجاوز عملياً أجرأ تصور حتى ذلك الحين»[7].

وهو ما نراه في إيران اليوم، فولاية الفقيه عندهم أمر مقدس، ولها الأهمية الكبرى والمكانة العظمى في قلوب الإيرانيين، حيث يقول آيتهم الخميني: «إنّ قضية ولاية الفقيه ليست شيئاً أوجده مجلس الخبراء، إنّ ولاية الفقيه شيء وضعه الله تبارك وتعالى، إنها نفس ولاية رسول الله وهؤلاء يخافون من ولاية رسول الله»[8]. وهذا المرجع محمد رضا الكلبيكاني يُصرّح بعظم أمرها عندما سُئل عن رأيه في التنصيص على ولاية الفقيه في الدستور، قائلاً: «إن لم يتم التنصيص عليها فإنّ الحكومة تصير حكومة طاغوت»[9].

ويقول إمامي كاشاني: «نقول للأجانب بأن نظام الجمهورية الإسلامية ليس كما تتصورون، بل إنه في النظام الإسلامي أمر الولي الفقيه مطاع من قبل الجميع شرعاً، وقانوناً، وأخلاقاً»[10]. و«للولي الفقيه الحق في تبديل حكم شرعي بحكم شرعي آخر طبقاً لما تقتضيه الظروف الاجتماعية ورعاية مصالح الإسلام»[11]. ويقول آية الله جواد آملي: «إنّ أصل وجوب طاعة الولي الفقيه كأصل وجوب

---

(١) المرجع السابق، ص (١٤٣).

(٢) حلف المصالح المشتركة (التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة)، د. تريتا بارزي، ص (١٨٦).

(٣) تاريخ الدولة الصفوية في إيران لمحمد سهيل طقوش، ص (٨).

(٤) موقع العربية نت، ٣٠ أبريل ٢٠١١م.

(٥) تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص (٩).

(٦) ترجم له الحرّ العاملي في كتاب: (أمل الآمل)، (١٢١/١) فقال: «الشيخ الجليل علي بن عبد العالي العاملي الكركي. أمره في الثقة والعلم والفضل وجلالة القدر وعظم الشأن وكثرة التحقيق أشهر من أن يذكر، ومصنفاته كثيرة مشهورة».

(٧) الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي لجعفر المهاجر، ص (١٢٩).

(٨) إيران الأحداث المهمة في العقد الأخير، المكتب السياسي لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية، ترجمة عبد الرضا الافتخاري، ص (١٥٤).

(٩) اتفاق الكلمة بين علماء الأمّة على ولاية الفقيه العامة لمالك مصطفى العاملي، ص (٣٦٩).

(١٠) وكالة الأنباء شستان، رمز الخبر:١٠٥٦٢ / أبريل ٢٠١١م .

(١١) شبهات وردود في باب ولاية الفقيه القسم الثاني، لمصباح يزدي ومحمد تقي (نسخة الكترونية غير مرقمه).

تقليد المرجع»[1].

ويقول شيخهم محمد تقي مصباح اليزدي: «وإذا التفتنا إلى سيرة الإمام الراحل قدّس سره فسوف نعرف أنّ صلاحيات الولي الفقيه تفوق ما جاء في الدستور فقد جاء في الدستور قبل تعديله أنّ رئيس الجمهورية يُنتخب من قبل الناس، وأنّ القائد يُنفذ قرار الناس هذا، ولكن الإمام الراحل قدّس سره أعلن في مراسم تنصيب رئاسة الجمهورية (إنني أعيّنكم رئيساً للجمهورية)، ففي الدستور لم يكن الكلام عن تنصيب رئيس الجمهورية من قبل الولي الفقيه ولكن الإمام الراحل كان يُعطي صلاحية أعلى لمقام ولاية الفقيه وكان يعتبر أنّ ولاية الفقيه تمتلك ولاية إلهية عند تعيين الرؤساء المحترمين للجمهورية ويستفيد من مصطلح التنصيب»[2].

وبالفعل قد تم ذلك في الدستور الإيراني الحالي، بجعل ولي الفقيه الإشراف الكامل على مؤسسات الدولة، إذ جاء فيه: «السلطات الحاكمة في جمهورية إيران الإسلامية هي: السلطة التشريعية، والسلطة التنفيذية، والسلطة القضائية، وتمارس صلاحياتها بإشراف ولي الأمر المطلق وإمام الأمّة»[3].

كما أنّ للولي الفقيه كامل الحصانة، وله العصمة من ارتكاب الذنب! حيث تقول صحيفة رسالة الإيرانية: «يتمتع الولي الفقيه بما يملكه من ملكة العدالة والعلم والتقوى، (وعلى مستوى عال) بنوع من الحصانة من الذنب والانحراف، ومن هنا فقد جعله الإسلام عالماً ووليا لأمور الآخرين، والحال مَن وأي كيان يُمكن أن يكون مشرفاً على الولي الفقيه»[4]. وتقول أيضاً: «إنّ ولاية الفقيه هي الأساس الذي يقوم عليه نظام الحكم لدينا اليوم ولا يمكن معارضته ومؤاخذته عبر وسائل الاتصال العامّة»[5].

إذن، نظرية ولاية الفقيه نظرية تعسفية، وقد وقفتُ على كلام جميل للشيعي الإمامي د. موسى الموسوي، حيث قام بنقدها، مع بيان خطرها، قائلاً: «ولاية الفقيه التي هي من أكبر البدع وأبشعها والتي أرغمت الشيعة على تقبلها فقبلتها فئة طائعة وأخرى كارهة، ومهما كان فإنها هي النظرية التي تتحكم في مصير ٦٠ مليون من الشيعة وغيرهم في إيران، ولها أنصار في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية التي تتواجد الشيعة فيها. إنّ الاضطهاد الجسدي والعناء الاجتماعي الذي سبّبته ولاية الفقيه للشيعة هو أكبر ضخامة وحجماً من أن تُعبّر عنها الكلمات والجمل والألفاظ، إنها أساس البلاء والسبب الحقيقي لكثير من البدع التي ألصقت بالمذهب الشيعي، والأكثرية الشيعية تدفع اليوم ضريبتها الباهظة بالدم والمال والنفس والإطاعة العمياء وفقدان الحرية وكرامة النفس ولكل القيم الإنسانية والسماوية على السواء.

وإذا أردنا أن نعطي فكرة موجزة عن ولاية الفقيه، والتي تحتل البند الأول من دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، وعلى ضوئها تُنفذ الدولة سياسة البلاد بحق الشيعة فهي تتلخص في العبارات التالية:

إنّ الولي الفقيه الذي يتخذ من قاعدة ولاية الفقيه منصة للانطلاق يُرغِم الأمّة على الإيمان بأنه وكيل عن الذات الإلهية في تسيير دفة الحكم، ومتحدث بلسان الوحي يتلاعب بالآيات والنصوص القرآنية كما يريد، يُعطل أركان الإسلام ويغير الحدود والموازين الثابتة بالنص وبالإجماع، فيرى نفسه وصياً على عقول الناس ورقيباً على إرادتهم، ومتسلطاً على رقابهم، ومَن يقف معارضاً له أو منداً به لا يعتبر خائناً فحسب، بل كافراً زنديقاً يجب قتله وقمعه من الوجود.

إنّ هذه النظرية هي في حقيقتها وواقعها تتناقض مع المبادئ الإسلامية الأولى التي ألغت حاكمية الإنسان على الإنسان، بل جعلت الحاكمية للّه تعالى وحده وجعلت الناس سواسية أمام اللّه والدين والقانون. ولكن المؤسف المحزن أنّ هذه النظرية التي هي في حقيقتها امتدادٌ لعصور فرعونية وثنية أكل عليها الدهر وشرب تصبح الآن ضمن دستور أمّة إسلامية تحتل أرضاً شاسعة واسعة وتقع في موقع خطير من العالم»[6].

٦ـ إظهار عقيدة التشيُّع وذلك بتأليف ونشر الكتب الطاعنة والمكفّرة لرموز أهل السُنة: ظهر هذا الأمر في حكم الصفويين، وكذلك في عهد الدولة الخمينية الإيرانية. وبرغم أن مصطلح الصفوية قد خرج بعد ظهور التشيُّع بزمن طويل، إلا أنه أخرج لنا بصورة جلية ما في كتب الشيعة الإمامية في العصور الغابرة والأزمنة السابقة، تلك الكتب المليئة بالخرافات والشرك والطعن بصحابة

(١) ولاية الفقيه ولاية الفقاهة والعدالة لآية اللّه جواد الآملي، ص (٢٨).
(٢) حوارات حول ولاية الفقيه لمحمد تقي مصباح اليزدي، ص (٦٧).
(٣) الدستور الإيراني - المادة السابعة والخمسون - صفحة (٦١).
(٤) دورية (عصر ما عصرنا) العدد (٦٥)، ١٩٩٨/٣/٧م، ص (١٥) نقلاً عن صحيفة رسالت الإيرانية ١٩٩٨/٢/١٩م.
(٥) صحيفة (رسالت = الرسالة) الإيرانية، ١٩٩٨/٢/١٥م، ص (١).
(٦) مشروعنا للتصحيح (الأهداف - الوسائل - التقييم) لموسى الموسوي، ص (٨ ، ٩).

نبينا الكريم ﷺ.

يقول الدكتور علي شريعتي: «من هنا نعتبر أنّ هذا التشيُّع بالتشيُّع الصفوي، وإلا فإنّ عناصره المتفرقة كانت موجودة حتى قبل زمان الصفوية، وقد تسلّلت بشكل لا شعوري حتى إلى الكتب القديمة المعتبرة، حالها حال الكثير من العناصر الدخيلة التي تسلّلت إلى هذه الكتب، سواء من الديانات القديمة أو الحضارات المعاصرة أو حتى من عقائد الجاهلية الأولى»[1].

ولذلك فقد تبنت الدولة الصفوية هذا المنحى، وأُلِّفت الكتب المليئة بعقيدة الشيعة الإمامية المغالية بالأئمة الاثني عشر، والطاعنة في رموز أهل السُنة وتكفيرهم، مثل ما قام به شيخهم الوحيد في عصره علي الكركي العاملي فألّف كتاباً من عنوانه يُعرف مدلوله وفحواه، حيث سمّاه: (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت).

ويقول محقق الكتاب الشيخ الشيعي محمد حسون: «هذه رسالة نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت، التي ألّفها المحقق الكركي في مدينة مشهد المقدسة أيّام الشاه إسماعيل الصفوي، وانتهى من تأليفها في ليلة الجمعة السادس عشر من شهر ذي الحجة سنة ٩١٧هـ»[2].

ولأهمية هذا المؤلّف في وقته فقد نالت هذه الرسالة شهرةً كبيرةً في أوساط العلماء والفضلاء وعموم المؤمنين، فترجمت إلى الفارسية أربع مرات، وطُبعت مرتين في مدينة النجف الأشرف وطهران، ولها نُسخ خطيّة كثيرة في مكتبات العالم»[3]. ويَقصد الكركي بالجبت والطاغوت في عنوان كتابه :(أبا بكر وعمر رضي الله عنهما) حيث نال منهما وكفّرهما. حيث قال في مقدمة كتابه: «وليتأمل العاقل المنصف أنه هل يجوز أن يتولى منصب الإمامة - الذي هو معظّم منصب النبوة - مثل شيخ تيم الجاهل بأمور الدين ومواقع الشرع... بعد أن سجد للأصنام حتى شاب رأسه. ومثل عتل عدي الزنيم، ذي الفظاظة والغلظة والمكر والخديعة، المطعون بنسبه، والمجترئ على الرسول في حياته وبعد موته، الذي حَكّمَ الدين برأيه، وغيّر الشرع من عند نفسه»[4]. ويقول أيضاً: «رأيتُ أن أكتب رسالة موجزة أكشف فيها القناع عن ذلك، وأُبَين كُفر هؤلاء وجواز لعنهم»[5].

وبعد عصر الصفويين أصبح هذا الكتاب في حكم المفقود فلا يُعرف له مكان ولا يَعرف أحدٌ عنه شيئاً إلا أصحاب الاختصاص، إلى أن جاءت دولة الخميني الصفوية الحديثة، فأخرجت الكتاب من مرقده ونفضت عنه الغبار وقامت بطباعته بحلّة جديدة وحديثة! وذلك في عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، حيث قامت بطبعه منشورات الاحتجاج في إيران، وتحديداً بمدينة قم فطُبِعَ منه (١٠٠٠) نسخة، بمساعدة معاونية الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي بإيران!

ومثل هذا الكتاب كثير، كبحار الأنوار للمجلسي، أحد علماء الصفوية في وقته، حيث ضمّن كتابه فصلا سمّاه (مطاعن الثلاثة) ويقصد بهم أبا بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم، حيث لا زال يُباع بإيران بنسخته القديمة الحجرية في عهد دولة الخميني[6]، وكذلك كتاب الكافي للكليني، الذي جاء فيه أنّ الأئمة عندهم علم ما كان، وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة! فالتاريخ يُعيد نفسه، وإيران الخميني تُعيد أحقاد الشاه إسماعيل الصفوي.

حيث يقول الدكتور علي شريعتي: «إنّ الأموال المرصودة لإجراء هذا المشروع الضخم كانت تدفع من قبل الصفويين في البداية أمّا الآن فيدفعها الناس من سهم الإمام»[7]. وحقيقةً أرى أنّ للصفويين إيجابيةً بأنهم قاموا بإحياء التشيُّع البغيض المدفون سابقاً بسبب التقيّة فأخذوا يجهرون بعقيدتهم أمام الملأ بتركهم التقيّة، وقاموا بتأليف هذه الكتب المصرّحة بالكفر والطعن في الصحابة الكرام رضي الله عنهم. يقول الدكتور علي شريعتي: «ومع أنّ التشيُّع العلوي كان حريصاً على التحفظ على إثارة مسائل الخلاف مع الأغلبية السُنية من المسلمين موظفاً حجاب

---

(١) التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي، ص (٢٤٠).

(٢) نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت لعلي الكركي العاملي، ص(٥).

(٣) المرجع السابق، ص (٥).

(٤) المرجع السابق، ص (١٥).

(٥) المرجع السابق، ص (١٨).

(٦) تمت طباعة هذه الأجزاء حديثاً في لبنان، وفي محاولة يائسة من الشيعي العلماني العراقي حسن العلوي يقول مدافعاً عن الخميني، في كتابه: (عمر والتشيّع)، ص (١١٦): «وكان الإمام الخميني قد أوقف طباعة أجزاء من موسوعة البحار حرصاً على وحدة المسلمين وحفظ الأجيال الجديدة من تسرب تلك المعلومات إليها والمجلسي متخصص في روايات التشهير بعمر بن الخطاب».

وأقول لحسن العلوي: إن كان قولك صحيحاً حول فعل الخميني، فلماذا في كتابه: (كشف الأسرار) ينال من عمر رضي الله عنه؟! فلا يستقيم - بإيران - منع طباعة كتب المجلسي الطاعنة في عمر رضي الله عنه، مع السماح بالمقابل بطباعة كتب الخميني المكفّرة لعمر رضي الله عنه!

(٧) التشيّع العلوي والتشيُّع الصفوي، ص (١٩٤).

التقيّة أروع توظيف لتحقيق ذلك، بَيدَ أنّ خصمه اللدود (التشيُّع الصفوي) عمد خلافاً لذلك إلى تمزيق هذا الحجاب، بل جرّ حالة الاختلاف والتصعيد إلى موارد كانت من موارد الاشتراك والاتفاق بين المسلمين قاطبة»[1].

٧ـ إعطاء الحرية الدينية لباقي الأديان كالمسيحية واليهودية: ففي عهد الشاه عباس الكبير: «تعهد - لملوك أوروبا - أن يفتح كل إيران أمام أتباع الدين المسيحي من كل مذهب وفرقة، ويسمح لهم بالذهاب حيث يشاؤون ويُقيموا في أي مكان ويُشيدوا الكنائس والمنازل ويُزاولوا طقوسهم الدينية بحريّة تامة ودون أية موانع إذا اتحدت معه أوروبا ضد العثمانيين»[2].

«وبعد أن استولى فيليب الثاني ملك أسبانيا الذي كان شديد التعصب للمذهب الكاثوليكي على البرتغال رأى أن يُرسل سفيراً إلى إيران لثلاثة أسباب: الأول: أن يمنح شاه إيران لأتباع المذهب الكاثوليكي حرية دينية في كل إيران»[3].

ويقول الإيراني رسول جعفريان: «وقد أشارت الوثائق المتوفرة من ذلك العهد[4] بصورة متكررة إلى بثّ الفتنة وتكريس الضغينة في بداية العهد الصفوي، فيما حملت الندم والأسف عمّا قام به الشاه إسماعيل من زرع النفاق وإيجاد النزاع بين المسلمين وأمّة سيّد المرسلين. جاء في وثيقة النجف أنّ الشاه إسماعيل (أوجد بغضاً عظيماً بين أبناء المسلمين، ونشر راية النفاق والاختلاف، بحيث بات الكفّار آمنين مطمئنين في أرجاء البلاد، فيما فروج المسلمين ودماؤهم عرضة للتهديد والاغتصاب)»[5].

والحال نفسه نراه الآن واقعاً في دولة الآيات الإيرانية الخمينية الصفوية، ففي طهران العاصمة، تجد الكنائس والمعابد للمسيحيين واليهود، ووفقاً لإحصاءات تقرير الحرية الدينية الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية عام ٢٠٠٤م، فإنّ عدد المسيحيين في إيران يبلغ نحو ٣٠٠ ألف نسمة أي أنهم يُشكلون أقل من ١ في المائة من تعداد السكان. وبالإضافة لكونهم أقلية ضئيلة، فالمسيحيون الإيرانيون غير موحّدين في الانتماء لمذهبٍ واحد، فمنهم من ينتمي إلى: الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية وهي أكبر الكنائس الإيرانية، كنيسة الشرق الآشورية، الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية، بينما تقدر أعداد الإنجيليين في البلاد بنحو ١٥ ألف شخص، كما أنّ لهم ثلاثة ممثلين في البرلمان»[6].

والحال نفسه كذلك لليهود في إيران، فلهم مطلق الحرية بممارسة شعائرهم وعباداتهم، مع ضمان كافة الحقوق لهم. وهذه حقيقة ذكرها الإيراني تريتا بارزي[7] قائلاً: «لم يفرّ اليهود الإيرانيون إلى إيران، وإنما رحلوا إليها طوعاً، وكانت لهم إيران منذ ذلك الحين، في الأيّام الحلوة والمرة موطناً. حتى يومنا هذا، تستضيف إيران في ظل الجمهورية الإسلامية أكبر جالية يهودية في الشرق الأوسط خارج إسرائيل، بالرغم من هجرة عشرات الآلاف منهم إلى إسرائيل أو إلى الولايات المتحدة... وعلى غرار الأتباع الآخرين في الإمبراطورية الفارسية، تمتع اليهود بالحرية الدينية، والتزموا بأحكام شريعتهم الخاصة في الأحوال الشخصية مثل الزواج وقانون الأحوال الشخصية. وهذه المعاملة اللطيفة جعلت اليهود أقل ممانعة للتأثيرات الفارسية في الديانة اليهودية»[8]. كما «أصدر آية الله الخميني فتوى يأمر فيها بحماية اليهود»[9].

بينما في المقابل لا نجد مسجداً واحداً، ولو صغيراً، لأهل السُنة في عاصمة إيران طهران، رغم أنّ عدد أهل السُنة في طهران يقارب المليون والنصف، وإلى الله المشتكى[10].

٨ـ التكريم والتقريب مع الأديان الأخرى: نقل لنا التاريخ الاستقبال الحافل من الشاه الصفوي عباس الكبير لنصارى أوروبا! فيقول المؤرخ الإيراني نصر الله فلسفي: «ففي سنة ١٠٠٧هـ / ١٥٩٩م جاء إلى إيران قسيسان

---

(١) المرجع السابق، ص (١٣٨).

(٢) إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي للإيراني نصر الله فلسفي، ص (٢٧).

(٣) المرجع السابق، ص (٢٠).

(٤) يقصد بالوثائق: الوثائق والمكاتبات التاريخية الإيرانية في عهد الدولة الأفشارية.

(٥) سؤال التقريب بين المذاهب - أوراق جادة - لحيدر حبّ الله، ص (٣١٣).

(٦) موقع الأقباط الأحرار www.karemlash4u.com

(٧) تريتا بارزي الكاتب الإيراني الأصل، الأمريكي الجنسية، رئيس المجلس الوطني الأمريكي الإيراني، والمدرس بجامعة هوبكنز بالولايات الأمريكية المتحدة. وُلد في إيران ونشأ في السويد وحصل على شهادة الماجستير في العلاقات الدولية ثم على شهادة ماجستير ثانية في الاقتصاد من جامعة ستوكهولم لينال فيما بعد شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة جون هوبكنز عن رسالة حول العلاقات الإيرانية الإسرائيلية، ويُعد تريتا بارزي الوحيد الذي تمكن من الوصول إلى كبار صناع السياسة والقرار الأمريكيين والإسرائيليين والإيرانيين، كما أنه خبير في السياسة الخارجية الأمريكية.

(٨) حلف المصالح المشتركة، ص (٢٦).

(٩) المرجع السابق، ص (٢٧).

(١٠) لأهل السُنة حضور كبير في إيران، وشهد بذلك المرجع الخميني، حيث يقول في كتاب: (مختارات من أقوال الإمام الخميني)، (١١٩/٢): «أهل السُنة المنتشرون بكثرة في إيران، والقاطنون مع العدد الكبير من علمائهم ومشايخهم في أطراف البلاد وأكنافها».

برتغاليان، أحدهما من جماعة الفرنسيسكان واسمه الفونسو كورديرو، والثاني من جماعة الدومينيكان واسمه نيكولا دي ميلو، وذلك عن طريق جزيرة هرمز وقابلا الشاه عباس في مدينة أصفهان وقدّم نيكولاو دي ميلو نفسه على أنه أسقف هرمز والمندوب الخاص لبابا روما وملك إسبانيا، وقد قابل الشاه عباس هذين القسيسين بكثير من المحبة والعطف ومنح نيكولا دي ميلو صليباً من الذهب مكللاً بالماس والفيروز والياقوت»[1]. «وكانت جميع رسائل الشاه عباس إلى ملوك وحكام أوروبا تشتمل تقريباً على النقط والشروط والموضوعات التالية: ١ ـ يفتح شاه إيران باب الصداقة والاتحاد بسبب اهتمامه بالدول: المسيحية ورعاياها»[2].

بل بلغ الأمر من شدة التزلف وحبّ التقرب للنصارى، أن قطع الشاه عباس الكبير يد ولسان أحد سفرائه إكراماً لعيون نصارى أوروبا! يقول الإيراني نصر الله فلسفي: «تشاجر السفير الإيراني وشيرلي في روما حول أهمية مركز كل منهما وأغلظ شيرلي القول للسفير الإيراني وطلب منه أن يُطيع أوامره فحزن السفير الإيراني مما سمعه وانفصل عنه غاضباً وعاد إلى إيران، وحين وصلها وذهب لمقابلة الشاه عباس وشرح له تفصيلات رحلته في حضور روبرت شيرلي أخو انتوني وألصق به كثيراً من التهم، ولكن روبرت دافع عن أخيه وبرهن على أكاذيب السفير، ولهذا أمر الشاه عباس فقطعوا يدي السفير ولسانه أمام روبرت»[3].

ويقول الإيراني علي شريعتي: «من القضايا الواضحة وجود نحو ارتباط بين الصفوية والمسيحية... وقد وجد رجالات التشيّع الصفوي أنه لابد من توفير غطاء (شرعي) لهذا التضامن السياسي، فعملوا على تقريب التشيّع من المسيحية.

وفي هذا الإطار عمد الشاه الصفوي استرضاء المسيحيين من خلال دعوتهم للهجرة إلى إيران، وقد شيّد لمسيحيي (جلفا) مدينة مستقلة قرب العاصمة»[4].

وفي واقعنا المعاصر نجد أن إيران الملالي تعامل اليهود والنصارى بكل ودّ واحترام. وعلى سبيل المثال تذكر لنا صحيفة نشاط الإيرانية مشاركة وزير الإرشاد عطاء الله مهاجراني في احتفال كنسي للأرمن في شالدران، وهي المدينة التاريخية التي انتصر فيها الجيش العثماني على الجنود الصفويين الذين حملوا إيران على التشيّع جبراً بمعاونة إخوانهم الصليبيين وذلك بمناسبة مرور ١٧٠٠ عام على بناء هذه الكنيسة، وقال مهاجراني في احتفال الأرمن ذاك في (قره كليسا): اليوم أشعر بنفس الشعور الذي أجده في المسجد، وكما تذكر الصحيفة أنّ المؤسسات الحكومية والاتصالات ووزارة الطرق ومنظمة الهلال الأحمر الإيراني شاركت في هذا الاحتفال وقامت وزارة الطرق بتعبيد الطريق على بعد ٥ كيلومترات من الطريق الفرعي للكنيسة[5].

إن تعاون الصفويين وتقاربهم مع الأوربيين ضد العثمانيين أهل السُنة، وتعاون إيران الملالي وتقاربها مع أمريكا ضد أهل السُنة في العراق وأفغانستان، حقيقة يعترف بها شيخهم حيدر حبّ الله حيث قال: «ولسنا نعصم أفراد الشيعة ولا جماعتهم عن خطأ ارتكبوه عبر الزمن، ونفتح الباب لمناقشة أخطاء الشيعة التاريخية، في القضايا كافّة التي قيل فيها الكثير، من الغزو المغولي ونصير الدين وابن طاووس، مروراً بالتحالف (الصفوي - الغربي) ضدّ الدولة العثمانية، وصولاً إلى ما يُقال اليوم عن تحالف بين الشيعة وأمريكا... فهذه الموضوعات جميعها قابلة للنقاش، فلم يزعم شيعي عصمة الشيعة بالمطلق ولا أفرادهم، بمن فيهم كبار علمائهم ومراجعهم وسياسيّيهم، لكن هذا أمرٌ والصورة الإقصائية والتخوينية للشيعة أمرٌ آخر»[6].

ونخلص مما تم استعراضه وذكره: أنّ كل عمل إرهابي دموي قمعي، يحتوي على عقيدة خرافية، مغلفة بالطعن لرموز أهل السُنة يجوز لنا أن نُطلق عليه لقب عمل صفوي. ولمن أراد الاستزادة فعليه بمراجعة كتابي (خفافيش الظلام - أكذوبة التقريب بين السنة والشيعة - حقائق ووثائق).

---

(١) إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي، ص (٢١).
(٢) المرجع السابق، ص (٢٦).
(٣) المرجع السابق، ص (٣٣)، هامش (١٤).
(٤) التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي، ص (٣٠٦).
(٥) صحيفة نشاط الإيرانية، عدد رقم (١٠٨).
(٦) مقال بعنوان: (أزمة انتماء واعتراف الشيِّعة جزء لا يتجزّأ من الأمّة الإسلامية) لحيدر حبّ الله، في موقعه الرسمي (نصوص معاصرة)، بتاريخ ٢٠٠٩/١١/١٧م.

حوار مع د. محمد مورو:
المشروع الإيراني سيفشل لأنه عكس اتجاه التاريخ

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

ربما طالت الفترة الزمنية التي تكشفت فيها حقيقة المشروع الإيراني الطائفي والقومي الجديد الذي اتخذ من ثورة الخميني عام ١٩٧٩م وشعاراتها رداء زائفا وخادعا لكنه انطلى على الكثيرين من أبناء الأمة العربية والإسلامية، فحظيت بدعم وتأييد هؤلاء الذين رأوا فيها بدايةَ الطريق للتحرر من قوى الاستعمار والهيمنة وابتعاث نهضة الأمة الإسلامية، غير أن الأحداث والوقائع التي تتالت أكدت - يوما بعد يوم- أن هذه الثورة المزعومة وهذه الشعارات الرنانة لم تكن إلا أداة لتحقيق مشروع حلم توسعي طائفي قومي على حساب هذه الأمة.

في المقابل، وعلى الرغم من حالة الانكشاف التي فضحت المشروع الإيراني بأهدافه ووسائله، خاصة بعد الغزو الأمريكي لكل من أفغانستان والعراق، إلا أنه ما زال هناك من يحاول أن يجمّل من صورة هذا المشروع أو يلتمس له المبررات، وهو ما يؤكد أهمية أن نواصل تسليط الضوء على فضحه وكشف حقيقة أهدافه، وهو ما دفعنا مجددا إلى إجراء هذا الحوار مع الكاتب والمفكّر الإسلامي المصري الدكتور محمد مورو، رئيس تحرير مجلة المختار الإسلامي، ورفيق الراحل الدكتور فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية، والذي كان أحد الذين تحمسوا لثورة الخميني ودعموها قبل أن يتحول عن هذا الدعم ويشارك في عملية كشف الزيف.

كنتم أحد الذين دعموا ثورة الخميني في العام ١٩٧٩م، ما هي منطلقاتك لهذا الدعم في حينه؟

كانت قناعتي، والكثير من شباب الحركة الإسلامية آنذاك، أنه عندما يكون المشروع إسلاميا فنحن معه، وعندما يكون ضد أمريكا و«إسرائيل» حتى ولو كان غير إسلامي فنحن أيضا معه، ولا بد أن ندعمه، لذلك ومن هذا المنطلق أيّدتُ ثورة الخميني التي رفعت شعارات إسلامية وأعلنت تحديها لأمريكا و«إسرائيل»، لكنني أذكر أنني بدأت أتراجع عن تأييد الثورة الإيرانية أيام الغزو الأمريكي لأفغانستان في العام ٢٠٠١ والغزو الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣، حيث اكتشفتُ ساعتها إن إيران الثورة تساعد أمريكا على غزو بلدين مسلمين، فكتبتُ حينها في مجلة «المختار الإسلامي» انتقد هذا الموقف وأدين السلوك الإيراني، فردّ عليّ السفير الإيراني وقتها وشتمني فرددتُ عليه بثلاث كلمات وقلتُ له: «عندما تكون أهدافك إسلامية فأنا معك، وعندما تكون أهدافك شيعية فأنا سنّي، وعندما تكون أهدافك إيرانية فأنا مصري».

وكيف نجح الخميني في أن يخدع كل هذه الملايين؟

الخميني كان يقول (الموت لأمريكا الموت لـ «إسرائيل») وكان رفع هذه الشعارات في ذلك الوقت كفيلا بأن يحشد خلفه الكثير من المسلمين، غير أننا اكتشفنا بعد ذلك أن مشروع الخميني كان مشروعا من أجل القومية الإيرانية، ومن أجل مصالح الدولة الإيرانية، واستخدم فيه التشيع والصراع مع التسنّن، وكلّ ما يمكن لخدمته، كما هو الآن وفق تصوري مشروع أردوغان فهو مشروع غير إسلامي، يخدم مشروع القومية التركية، ويستخدم التسنن كأداة في إطار رفع القومية التركية، لهذا فالقوميون الأتراك يؤيّدون أردوغان جدا، مع أنهم علمانيون، بل إنّ منهم ملحدين وذلك لأنهم يعرفون أن الهدف من الكلام عن الإسلام ليس إلا لتحقيق المصالح القومية التركية.

ونفس الكلام بالنسبة لإيران، حيث اتضح أنه ليس فقط مشروع شيعي ولكنه مشروع إيراني، يستخدم كلمة المشروع الشيعي لحشد الشيعة ولحشد الإسلاميين ولحشد أعداء أمريكا في طريق المصالح القومية الإيرانية فحسب.

وما هي بنظرك المصالح القومية الإيرانية؟

إيران تعمل على بناء دولة قوية وأن تتمدد في المنطقة ويصبح لها نفوذ، وأن تشارك أمريكا في اقتسام الكعكة، وبالمناسبة فالصراع بين أمريكا وإيران صراع على المكاسب، فعلي لاريجاني قال لأمريكا وبصراحة شديدة: نحن على استعداد أن نتفاهم مع أمريكا شريطة أن لا تعطينا «مصاصة» فقط – إشارة إلى ضآلة الثمن - إننا لن نقبل الاكتفاء بـ «المصاصة»، فلاريجاني يريد أن يقتسم مع أمريكا ثروات المنطقة والمصالح فيها وأن تصبح إيران - مثلها مثل الكيان الصهيوني- شرطيا يمكن أن تعتمد عليه أمريكا في المنطقة.

في هذا الإطار كيف تقيّم علاقة إيران بالإسلام، هل هو بالنسبة لها مجرد أداة؟

نعم بكل تأكيد، الإسلام بالنسبة لإيران هو مجرد

(*) كاتب مصري.

أداة لخدمة المشروع الإيراني أو القومية الإيرانية أو المشروع القومي للدولة الإيرانية.

إذن يبقى أن التشيع والانحياز له ليس إلا على سبيل التمايز مع الإسلام السني؟

وهذا أيضا صحيح، والهدف من وراء ذلك حشد الشيعة في العراق ولبنان واليمن وسوريا والمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، فالتشيع هو الذي يكفل أن يكون كل هؤلاء مع إيران، بشكل تلقائي فضلا عن قطاعات من السنة ممّن يعادون أمريكا و«إسرائيل»، وهي بهذا تحقق أوراقا هامة جدا في التفاوض مع أمريكا، خاصة وأنه كما سبق الإشارة لا تمانع من أن تتفاوض مع أمريكا وتصل معها إلى حل، بدليل أنها توصلت للاتفاق النووي مع مجموعة ٥+١.

كيف تقيّم تجربتك الشخصية في دعم إيران وحزب الله؟

كان هذا الدعم على قاعدة العداء لأمريكا و«إسرائيل»، فأنا كان عندي ثلاثة مبادئ أساسية تحكم علاقتي بأي طرف وهي «العداء لأمريكا، العداء لـ «إسرائيل»، مع الاشتراكية الإسلامية» ولديّ قناعة أن النبي محمد ﷺ لو وُجد بيننا الآن فإنه كان سيحارب أمريكا و«إسرائيل» ويقف مع الفقراء.

ومن هذا المنطلق فإن أي طرف يعادي أمريكا حتى لو كان «هوجو تشافيز» سأدعمه وأؤيّده لأنه يدافع عن قضيتنا بعيدا عن إيمانه وكفره.

إذن لم يكن الخلاف العقدي حاضرا في ذهنك وقتئذ؟

ولم يكن حاضرا في ذهن العالم الإسلامي كله، فهذا التمايز الواضح الآن بين السنة والشيعة لم يتضح بشكل جلي لدى الكثيرين إلا بعد غزو أفغانستان والعراق، حيث بدأت إيران تقف مع أمريكا ضد شعبي أفغانستان والعراق، واكتشفنا وقتها أن هذا يتم على قاعدة التشيع فاكتشفنا أننا سنّة ولم نكن نعرف أننا سنة إلا لما بدأت إيران تظهر أنها شيعية.

لكن أليس هذا التمايز كان معلوما لدى الدارسين والمتابعين؟

إلى حدّ ما ..

فلماذا لم تستمع الجماهير السنية وقتها لما تحَدّث به العالمون بهذا التمايز؟

وقتها لم يكن ليستمع أحد لهؤلاء لأنه إذا كنتَ تريد أن تقول: أنا ضد المشروع الشيعي فكان عليك أن تقف ضد «إسرائيل» وتناهضها وتقاومها وأن تقف أيضا ضد أمريكا، ثم لِتقل إن المشروع الشيعي سيئ، لكن أن تأتي لتقول إن المشروع الشيعي سيئ، في الوقت الذي تقيم فيه علاقات مع «إسرائيل» وأمريكا فهذا بكل تأكيد سيبقي المشروع الشيعي لدى الكثيرين هو المشروع الأفضل، لذلك فالجماهير وخلال ما حدث في لبنان عام ٢٠٠٦ صنعوا من حسن نصر الله بطلا بل وأنزلوا خطباء المساجد من على المنابر عندما قالوا إن الشيعة سيئون، لأنهم في هذا الوقت كانوا على قناعة بأن هؤلاء يقاتلون «إسرائيل» فطالما هو يقاتل «إسرائيل» ويقول الموت - ولو زورا - لأمريكا و«إسرائيل» يبقى هو أكثر صدقا منك.

ما الذي منع سنّة لبنان من أن يشكلوا مقاومة ضد «إسرائيل» بدلا من حزب الله؟ إن المشروع الإيراني إذا كان بالتركيب عميلا لأمريكا فأنت في هذه الحالة عميل لأمريكا بالمباشرة، ذلك أن إثبات عمالة إيران يحتاج إلى جهد في ظل رفع الشعارات المضادة والزعم بمقاتلة «إسرائيل».

لكن سنة لبنان يقولون غير هذا؟

أنا لا أقبل ما يتردد حول منعهم من المقاومة، فهذا أمر غير منطقي، فحزب الله لا يستطيع أن يمنعهم. ولو أننا افترضنا جدلا ذلك فإن بإمكان السنة أن يشكلوا مقاومة في الأردن أو في الضفة الغربية أو في أي مكان آخر. والخلاصة أن السنة هم أولى بالمقاومة حتى يُسقطوا مزاعم إيران وحزب الله.

ألا ترى أن موقف إيران من القضية الفلسطينية لا يتجاوز حدود ملامسة مشاعر العرب والمسلمين؟

نعم، ذلك لأنها ذكية والبديل هو أن يدعم السنة حركتي حماس والجهاد بدلا من أن تدعمهما إيران، وأن يقاتل السنةُ «إسرائيل» بدلا من أن تتاح لإيران فرصة ترويج الزعم بأنها هي التي تقاتلها وتقاومها، وأن نقطع علاقتنا بأمريكا بدلا من أن تبدو إيران دائما وأنها هي من تقف ضد أمريكا رافعةً شعار «أمريكا الشيطان الأكبر».

وإذا كانت إيران غير صادقة في كل ادعاءاتها وشعاراتها فلتكن أنت صادقا فيما تقول وتفعل، نعم إنهم كاذبون، لكن عليك أن تقول أنت الصدق، فلو أن شخصا يصوم نهار رمضان أمامي ثم يذهب للبيت فيفطر فيما شخص آخر يفطر أمامي في نهار رمضان فإن الثاني أسوأ من الأول.

وحتى نكون حاسمين نقول إنه طالما كنتَ على علاقة مع أمريكا و«إسرائيل» فسيظل المشروع الإيراني مقبولا لدى البعض وحتى يمكن محاصرته فلا بد أن تتبنى مشروع المقاومة ضد «إسرائيل» وتدعم الجهاد وحماس وكل فصائل المقاومة.

لكن هل ما زالت هذه الخدعة تنطلي على الناس؟

نعم لا زالت، والدليل أن «حماس» حتى هذه اللحظة تتلقى دعما ماليا من إيران، فهي ليس لديها بديل، خاصة أنها في حاجة ماسّة له، ولا تستطيع الاستغناء عنه إلا في حال كان هناك بديل آخر.

لكنني أقصد هنا الجماهير، هل ما زالت مخدوعة في إيران؟

الجماهير إلى حدٍّ ما أصبح لديها حساسية من المشروع الشيعي مقارنة بالماضي لكن يبقى في النهاية أن المشروع «الإسرائيلي» في نظرها هو الأخطر، لأنه خطر استراتيجي، أما المشروع الإيراني فهو خطر تكتيكي.

أليس المشروعان على علاقة ببعضهما البعض؟

أكيد هناك علاقة بين المشروعين من تحت الطاولة، ولكي نفكك هذه المسألة ببساطة شديدة فعلينا أن نعلن عداءنا لأمريكا و«إسرائيل» من غير دخول في متاهات، يوجد تحت الطاولة علاقات بين إيران و«إسرائيل»، وبين إيران وأمريكا، ولكن تفكيكها وإثباتها والتشهير بها لا يكون بأن نوثّق علاقتنا بـ «إسرائيل» و«أمريكا»، فنكون على علاقة بهما أكثر من علاقة إيران بهما.

بعد مرور ٣٨ عاما على ثورة الخميني ما هو تقييمك لها؟

الثورة انتهت لمصلحة الدولة الإيرانية، وتحوّلت لثورة من أجل إيران واقتسام الكعكة مع أمريكا في المنطقة ليس أكثر من هذا، فكل الشعارات كانت من أجل مصالح الدولة الإيرانية، سواء كان الإيرانيون واعين بهذا أم غير واعين.

ماذا تعني بأنهم غير واعين بهذا؟

من الممكن أن الخميني كان على غير وعي بهذا، والله أعلم.

هل تريد أن تقول إن الخميني لم يكن واعيا بما يقوم به، أليس معلوما أنهم يسيرون على نهج الخميني؟

هذا مجرد كلام، وهو نوع من تقسيم الأدوار، بدليل أنه يأتي لسدة الحكم في إيران من يُطلَق عليهم «إصلاحيون» وهم يقولون علنًا إننا على استعداد لإقامة علاقات مع «إسرائيل»، وخاتمي مثلا كان يقول هذا علنًا، هم يأتون بإصلاحيين لفترة وبمتشددين لفترة، وذلك كلّه في إطار مصلحة الدولة الإيرانية وحسب، فالمصلحة هي التي تحكم السلوك والمواقف، فلا سنّة ولا شيعة ولا فلسطين ولا شيء آخر.

كيف تقيّم دور إيران في المنطقة الآن؟

إيران تسعى إلى إمساك عدد كبير جدا من الأوراق حتى تقول لأمريكا إن معي أوراقا فتعالي لنقسّم المصالح والبترول في المنطقة وإنه يجب أن لا تعتمدي على «إسرائيل» وحدها كشرطي في المنطقة فإذا لم تستجيبي لهذا سأعطل مصالحك، وأثير حالة من الفوضى، وأفسد عليك كل شيء.

وهل تدرك أمريكا هذا؟

أمريكا تدرك هذا فهي لا تفكر إلا في مصلحتها، فإدارة أوباما كانت مع إيران، وكانت تريد أن تعتمد على إيران وتستغني عن الخليج، أما إدارة ترامب فلا تريد إيران بمفردها، لكن تريد إيران ومصر والسعودية وتركيا، أي تريد أن يتوزع النفوذ على الجميع.

وإيران لم تعمل شرطيا حتى الآن، لكنها تحاول أن تمتلك الكثير من الأوراق لتقول لدي أوراق وإنني مؤهلة لأكون شرطيا، فهي تسوّق لنفسها حتى تأخذ قطعة جيدة من الكعكة.

هل إيران وهي تتحرك بهذا الإدراك لم يعد يشغلها الصراع الأيدلوجي؟

إيران لا يشغلها أي شيء من كل هذا، فالقصة قصة مصالح، وما سواها مجرد كلام وشعارات يطلق في الهواء لحشد الناس.

هل تعتقد أن شعارات الخميني تجاوزها الواقع؟

نعم بالطبع.

لماذا الإصرار على رفعها للآن؟

حتى يبقى الشيعة خلفها.

لكن ماذا لو اعتمدت إيران كشرطي هل ستظل ترفع نفس الشعارات؟

بالطبع، حتى تستمر في دورها وحتى لا تضعف، فجمهورها ومَن تخاطبهم من الشيعة العرب وغير العرب يعتمد بالأساس على شعاراتها، لهذا تجد الموالين لها متحمّسين جدا ويتحركون بجدية وقد أدركت إيران أهمية ذلك وأن استمرار هذا يحقق نتائج أفضل.

كما نجحت إيران أن تقدم نفسها لأمريكا وللغرب على أنها الوحيدة القادرة على ضرب داعش، وهذا صحيح ولو بشكل جزئي.

ماذا عن بعض الحركات الإسلامية كحماس والجهاد اللتين تصرّان على التواصل مع إيران؟

أولاً هذا خطأ جسيم، وقد انسحبتُ من حركة الجهاد الإسلامي التي أسستُها مع فتحي الشقاقي بسبب ارتهان قرارهم لإيران، ولما واجهتهم بهذا قالوا لي باللفظ الواحد: «ليس لدينا بديل .. هل لديك آخر يعطينا هذه المساعدات فنقطع علاقتنا بإيران.. هل يمكن أن تمنحنا السعودية أو الكويت أو أي دولة سنّية هذه المساعدات؟».

ونفس الكلام بالنسبة لحماس، فهي ليس لديها بديل آخر .. لكن رأيي الخاص أن هذا خطأ، مهما كان حجم الدعم، فالأفضل لدي أن تقاوم هذه الحركات وفق إمكانياتها وأن لا ترهن نفسها لإيران.

هل تعني أن هذه الحركات غير مدركة لحجم الدور الإيراني؟

بالطبع تدرك هذه الحركات دور إيران وأهدافها، لكن للأسف أصبح هناك تشيع سياسي، فالجناح العسكري في حماس كله تابع لإيران سياسيًا، بل إن هناك جزءا من الجهاد الإسلامي تشيّع عقائديا.

هل هذا يعني أنهم تخلوا عن حلم تحرير فلسطين وأصبحوا جزءا من المشروع الإيراني؟

هم يتصورون أن إيران جادّة فعلا في تحرير فلسطين.

وما دلائل ذلك بحسبانهم؟

إنها تعطيهم أموالا وهم يقاتلون.

لكنها تلعب من تحت الطاولة مع «إسرائيل»؟

هم يشكّكون في صحة هذا ويستنكرون ذلك بل ويتّهمون المناوئين لإيران بأنهم هم من يلعبون من تحت الطاولة مع «إسرائيل»، هم يتصوّرون أن إيران تحمي نفسها كدولة، وهذا كلام فارغ لأنه ضد الولاء والبراء، فأي نوع من العلاقات مع أمريكا ضار بك على المستوى الشرعي وعلى المستوى التكتيكي، لكن هم يتصوّرون أن هذا تكتيك لتفادي الضربة الأمريكية، وفي نفس الوقت يساعدون المقاومة الفلسطينية فيبقى وفق التصور الإيراني أن هذا أمر عادي، وهذا أمر مدهش إذ كيف يجيزون التعامل مع أمريكا لكي يضربوا «إسرائيل»؟ هذا غير منطقي، فأمريكا هي التي أنشأت «إسرائيل».

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن الشعب الإيراني يحبّ أمريكا، والإصلاحيون منهجهم الصلح مع «إسرائيل» وأمريكا.

ومرة أخرى أؤكد أنه وبالنسبة للجهاد وحماس فإنهم يقولون إن إيران تدعمهم وتعطيهم السلاح وتهرّبه لهم داخل الأراضي المحتلة، وبالتالي هم مضطرون إلى التعامل معها فضلا عن أن البعض منهم تشيع سياسيا، ومع ذلك فإنه - ووفق تصوري- فإن الأفضل في هذه الحالة هو حل أي حركة ترهن قرارها لإيران، لأنه أفضل لي أن أقاتل بإمكانياتي حتى ولو كانت ضعيفة، فحتما سيبارك الله فيها، وهذا ما قلتُه للشقاقي.

وهنا أوجّه كلامي للحركات المقاوِمة التي لا زالت تتواصل مع إيران وأقول لهم: ربما تتحقق نتائج تكتيكية سريعة بهذه العلاقة، لكن على المستوى الاستراتيجي والتاريخي ستخسرون كثيرا.

هل ترى أن المشروع الإيراني يقترب أم يبتعد عن تحقيق هدفه؟

هذا المشروع على مستوى العالم الإسلامي تم فضحه، أما على مستوى الشيعة فقد أصبح قضيتهم كلّهم، في الماضي كان يوجد خلاف بين الحوثيين والإمامية حول صحة ولاية أبي بكر وعمر- رضي الله عنهما - فهم يجيزون ولاية المفضول، أما الآن فلم يعد هناك خلافات بين الحوثيين وإيران، أو بين الإمامية وإيران، أو حتى بين الإسماعيلية وإيران، فإيران نجحت في أن تأخذ الشيعة كلّهم لطريق واحد ويكونوا جميعا يدًا واحدة، مع بعض الاستثناءات.

لكن هل يعني هذا أن إيران في الطريق لنجاح مشروعها؟

لا، لن ينجح، فهم أقلية في النهاية، وكما نقول إن مشروع «إسرائيل» محكوم عليه بالفشل حتى لو حقّق إنجازات سريعة، فإن المشروع الإيراني أيضا محكوم عليه بالفشل، والمشروع الوحيد القادر على النجاح في المنطقة هو المشروع السني بشرط أن يتبنى العداء لـ «إسرائيل» وأمريكا، أما إذا لم يفعل هذا فلن يتقدم وسيظل كسيحا، فبدلا من أن نجلس ونقول: حزب الله غير جاد في قتال «إسرائيل»، اصنع أنت مقاومة، وكن جادا في مقاومتها.

وهل يقاتل حزب الله «إسرائيل» الآن؟

لا، لكن في يوم من الأيام كان يقاتل، وواجب عليكَ أن تقاتل، وتكون على الأقل قد صنعتَ مثلما صنع حزب الله، فهو يزعم أنه محور الممانعة، وليس لديك ما يمنع أنت أيضا لتكون ممانعة، فـ «إسرائيل» ليست بالبعيدة عنك.

في ظل هذه الأجواء هل تتوقع نجاح المشروع الإيراني؟

لا لن ينجح فهذا عكس اتجاه التاريخ، المشروع الوحيد

القابل للنجاح هو المشروع السني، لهذا لو انتهت الحركة الإسلامية الآن فإن العالم الإسلامي سينتصر! أما استمرار بقائها فمعناه بقاء هزيمة العالم الإسلامي، لأن هذه الحركات لا تأخذ الموضوع بجديّة وتهتم بموضوع السلطة والكرسي والانتخابات والمشروع العصري وهو هدف مستحيل، فلو أنها أخذت مشروع مقاومة «إسرائيل» وأمريكا والاشتراكية الإسلامية وقول الحق وأن لا تكذب لانتهت القصة ولنهض العالم الإسلامي من جديد.

بعد هذه التطورات وتكشّف الدور الإيراني بالمنطقة كيف تنظر لمحاولات التقريب بين السنة والشيعة؟

هي فكرة طرحها الأستاذ حسن البنا وآيه الله الكاشاني وهي فكرة من مبدئها خطأ لأن الشيعة تاريخيًا وقفوا مع أعداء الأمة، فكيف نقف مع أعداء الأمة ونقول تقريب بين المذاهب. سيظل السني سنيا والشيعي شيعيا، والأفضل أن نتفق جميعا على مواجهة أعداء الإسلام أمريكا و«إسرائيل»، لكن التقارب يعني هو أن تضحك علينا «الشيعة» لأنهم ماكرون، أنا ضد الصراع والقتال بينهما لكن حكاية تذويب الفوارق هذه مستحيلة.

هل كل الشيعة متعاطفون مع المشروع الإيراني؟

نعم معظمهم ...

هل يدركون أبعاد المشروع الإيراني؟

نعم، ويعرفون ما يفعلون.

ألا يتعارض هذا مع الانتماء للعروبة؟

هم يقدّمون تشيعهم على قوميتهم، ففي بلد مثل العراق عندما تترشح الأحزاب الشيعية الإسلامية والأحزاب القومية العربية الشيعية فإن الأحزاب الشيعية الإسلامية هي التي تحقق فوزا أكبر.

السياسيات الطائفية للحوثيين

خاص بالراصد

أولاً - سياسة نشر التشيع في اليمن:

دأبت الحركة الحوثية على نشر الفكر الرافضي الإمامي بين أتباعها من جهة، وبين أوساط أهل السنة من جهة أخرى عبر عدة وسائل، منها:

١ - توزيع كتابات حسين الحوثي وغيره، التي تزخر بالرفض والتشيع وتمجيد الخميني على الطلاب والشباب.

٢ – إقامة ما يسمى بالشعائر الحسينية وطقوس عاشوراء واحتفالات يوم الغدير وغيرها، وبث اللطميات الشيعية، التي تعتبر غريبة عن الوسط اليمني الزيدي والسني.

٣- إقامة دورات تعريفية ودعوية بالتشيع للشباب والشابات.

٤- رفع وتعليق صور الخميني وخامنئي وحسن نصر الله وبشار وشعارات التبجيل والتعظيم للتشيع في شوارع صنعاء وغيرها.

٥- استعمال المال في تشييع البعض، خاصة مع تفشي حالة الفقر والبطالة.

٦- شراء ولاء الوجهاء وشيوخ القبائل والأكاديميين من المنتفعين والمرتزقة، خاصة رموز حزب المؤتمر ليكونوا جسرا لنشر التشيع في المناطق السنية.

٧- التضييق على دعاة أهل السنة ومشايخهم عن طريق الاعتقال والاغتيال أو تقييد حركتهم مقابل فسح المجال لدعاة التشيع.

ثانياً – السياسات الطائفية تجاه المساجد ودور القرآن والعلم الشرعي والمؤسسات الدعوية:

١ - سياسة استهداف المساجد ودور القرآن وتدميرها سياسة وإستراتيجية ثابتة، ومن أوائل المساجد والمراكز التي دُمرت مسجد ومركز دمّاج سنة ٢٠١٤، والذي أسسه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله سنة ١٩٧٩م.

٢- بحسب إحصائيات رابطة علماء اليمن لعام ١٤٣٧هـ قام الحوثيون بتفجير ٢٩ مسجداً، دمّرت بالكامل، فيما تعرض ٢٤ مسجداً لأضرار بليغة جداً، وتهدمت أجزاء كبيرة من مبانيها، نتيجة استهدافها بالتفجير أو القصف بالدبابات والصواريخ، وبذات الأسلوب فجر الحوثيون ١٦ داراً للقرآن الكريم ومركزاً دينياً لعلوم الحديث.

٣- كان من أولويات الانقلاب الحوثي واحتلال العاصمة صنعاء مهاجمة جامعة الإيمان، فتم قصفها بالمدفعية ثم الاستيلاء عليها ونهبها وإغلاقها إلى الآن.

٤- إغلاق مركز الدعوة التابع لجمعية الإحسان.

٥- قصف مسجد كوفل في صلاة الجمعة بمحافظة مأرب وقتل الكثير من المصلين.

٦ - وقام الحوثيون بتحويل أكثر من ٣٠٠ مسجد في اليمن إلى ثكنات عسكرية ومستودعات للأسلحة، كما صرح بذلك وزير الأوقاف اليمني أحمد عطية!!

٧- والمساجد التي سَلمت من القصف والتدمير قامت مليشيات الحوثيين بالاستيلاء عليها بقوة السلاح وطرد أئمتها وخطبائها وتعيين أشخاص تابعين للحوثيين، غالبهم لا يُحسنون قراءة الفاتحة وهمّهم السبّ والشتم والترويج للأفكار الحوثية، فعلى سبيل المثال، قام الحوثيون في العاصمة صنعاء بالاستيلاء على مسجد القبة الخضراء في

شارع هائل ومسجد عمار بن ياسر في جولة المرور في شميلة ومسجد المؤيد والجميلي في الأصبحي وغيرها، وهي مساجد تمتاز بكبر حجمها ومواقعها المهمة.

كما أن الحوثيين قاموا بتعيين خطباء من قبلهم في كثير من مساجد صنعاء، ففي حي بيت بوس في جنوب صنعاء لم يسلم أي من مساجده السنية من تغيير خطيب الجمعة سوى مسجد واحد لأن من شيّده أحد المتنفذين ومنع الحوثيين من تغيير الخطيب!!

والكثير من الأئمة والمؤذنين والمصلين تم اعتقالهم وخطفهم، ففي تقرير رابطة علماء اليمن: هنالك ١٥٠ إماما مختطفا في عام ١٤٣٧هـ في مناطق متفرقة من اليمن.

٨- ومن السياسات الطائفية للحوثيين تعطيل حلقات تحفيظ القران في ما تبقى من مساجد أهل السنة، كما تتم مضايقتهم في صلاة التراويح في رمضان بمنعها أو ترديد الصرخة الحوثية فيها بصورة تشمئز منها النفوس ومستفزة للمصلّين، وتعليق ملصقات وشعارات الحوثيين داخل مساجد أهل السنة وعلى أسوارها في استفزاز واضح لمشاعر أهل السنة.

٩- رفع الأذان بالصيغة الشيعية في التلفزيون الرسمي وبعض المساجد.

ثالثاً – السياسات الطائفية لتغيير التركيبة السكانية والوظيفية:

١ – شراء الأراضي والعقارات في المناطق المهمة التي لا وجود لهم فيها، وساعدهم على تنفيذ ذلك نهبهم لثروات هائلة بمليارات الدولارات والريالات اليمنية من البنك المركزي في صنعاء ومن واردات الدولة من الضرائب والجمارك وغيرها من الإيرادات، بل وصل بهم الحال للاستيلاء على مواد الإعانة للفقراء والمحتاجين المقدمة من المنظمات الدولية.

فأحياء الجراف والروضة أصبحت وقفا على جماعة الحوثي، وأصبحت تحاكي الضاحية الجنوبية، معقل حزب الله في بيروت!! كما يتم الشراء في المناطق التي تعتبر مفاتيح مدينة صنعاء، ففي حي حدّة الراقي والمهم في صنعاء بيعت مباني وفلل لقادة حوثيون بـ ١٠ ملايين دولار، وجرى بيع مبنى ضخم مكون من ١٥ طابقا في حي الرباط إلى قيادي حوثي بمبلغ باهظ علما أن هذا الحوثي لم يكن يملك قبل الحرب بيتا في قريته!!

كما أن هناك كلاما عن تمليك مقر الفرقة الأولى مدرع لعبد الملك الحوثي ليقيم عليها حديقة أطفال ربحية بتمويل إيراني!! ومَن يعرف صنعاء يدرك أهمية موقع الفرقة التي تطل على أحد بوابات مدينة صنعاء. وقام الحوثيون بشراء بناية الجامعة البريطانية في بيت بوس بمبلغ أربعة مليارات وخمسمائة مليون ريال يمني، وهي بناية راقية وذات موقع استراتيجي في شارع الخمسين، وتطل على مفتاح صنعاء الجنوبي.

كما أن الجماعة الحوثية سيطرت على دائرة هيئة الأراضي والمساحة وعقارات الدولة التي تتيح لها وضع اليد بغير وجه حق على أراضي كثيرة ومهمة في صنعاء وغيرها من المدن اليمنية.

٢ – يعتمد الحوثيون سياسة قتل واعتقال وتهجير الخصوم وخاصة القادة لتشجيع حالات الفرار والهجرة من المناطق التي يريدون الاستيلاء عليها، فقبل الانقلاب الأخير هجّر الحوثيون الكثير من أهالي قرى سنية كان آخرها تهجير قرابة ١٥ ألفا من طلاب مدينة دمّاج.

وبعد الانقلاب واجتياح العاصمة تم استهداف منازل الوجهاء وزعماء العشائر والأحزاب التي عارضت الانقلاب، مما دعا الكثير منهم للفرار والنزوح عن منازلهم ومناطقهم وإلا تعرضوا للقتل أو الاعتقال والتعذيب، وبالطبع رافق نزوح القادة نزوح مئات الآلاف عن منازلهم خوفا من ظلم وقتل الحوثيين.

وقد كشف حقوقيون يمنيون مؤخرا أن حالات التعذيب قاربت الألف حالة معظمُها من العاصمة صنعاء، ووثق تحالف «رصد» أكثر من ٥٠٠٠ حالة اعتقال وإخفاء قسري وخلال فترة محدودة.

٣ – منذ اللحظة الأولى للانقلاب الحوثي قاموا بنشر لجانه التي تسمى «ثورية» في جميع مرافق الدولة ومؤسساتها لمراقبة كل صغيرة وكبيرة تصدر من تلكم المؤسسات، و ثم وضعوا أتباعهم في المناصب الحساسة والمحورية التي تسيطر على مصادر القرار، ويلاحِظ كل من يراجع تلك المؤسسات بذلك بدءًا مِن الحراسة الحوثية على البوابات إلى المناصب العليا خلف المكاتب، حتى أصبح شريكهم «حزب المؤتمر» مهمشا في هذه الأماكن الحكومية!! لكن تمت إزاحته وتهميشه لصالح الجهلة والمتخلفين من أتباع الحوثي لعامل الولاء فقط، ولعل وزير التربية والتعليم الحوثي أبرز مثال على ذلك.

رابعاً - السياسات الطائفية في الإعلام:

١- برغم أن الحوثيين كان لهم في السنوات الماضية عدد من الصحف والمطبوعات والهيئات الثقافية، منها: صحيفة الأمة، البلاغ، الشورى، ولعبت هذه الصحف دوراً في الترويج لعقائد الشيعة ومهاجمة أهل السنة على اختلاف تياراتهم، لكن الانقلاب الحوثي لم يتوانَ عن إغلاق كافة

مكاتب الصحف الحزبية والأهلية والمستقلة المخالِفة لهم في الرأي، بل أقدمت الميليشيات الحوثية على نهب مكاتبها واعتقال محرريها والعاملين فيها، ومن هذه الصحف: صحيفة الأهالي، أخبار اليوم، صحيفة المصدر، صحيفة الصحوة، صحيفة مأرب برس، صحيفة الميثاق، ولم يبقَ في اليمن اليوم إلا صحف الحوثيين وتلك التابعة لعلي عبد الله صالح مثل اليمن اليوم، والديار، والمسيرة.

٢- كما هاجم الحوثيون مقرات القنوات الفضائية التي لا تتماشى مع الانقلاب الحوثي فأتلفتها وأغلقتها مثل قناة سهيل ويمن شباب والرشد واليسر وآزال.

٣- كما حجب الحوثيون الكثير والكثير جدا من مواقع النت المناوئة لانقلابهم.

٤- كذلك أغلقت الميليشيات الانقلابية التي تحتل العاصمة اليمنية صنعاء قناة السعيدة الفضائية المستقلة.

٥- السيطرة على كلّ الصحف الرسمية مثل صحيفة الثورة، وإجبار رئيس تحريرها فيصل مكرم على الاستقالة.

٦- السيطرة على كافة القنوات الفضائية الحكومية مثل قنوات اليمن والإيمان وسبأ وعدن.

٧- كما تم إغلاق مكاتب قنوات فضائية دولية وعربية مثل الجزيرة والعربية وسكاي نيوز.

٨ - أكد مركز الدراسات والإعلام الاقتصادي اليمني تسجيل ٥٣٠ حالة انتهاك للإعلام في اليمن خلال عام ٢٠١٥، تعرض لها إعلاميون وصحافيون توزعت بين حالات قتل واختطاف وإصابة وتهديد ومحاولة قتل واقتحام ونهب منازل ومؤسسات إعلامية واعتداء بالضرب وإيقاف ومصادرة الصحف، إلى جانب حجب مواقع إلكترونية واختراق أخرى، وأكد التقرير فقدان ٦٣٠ من الصحافيين والعاملين في وسائل الإعلام عملهم جراء وقف ومصادرة واجتياح عدد من المواقع والصحف والقنوات والإذاعات في المحافظات اليمنية التي تسيطر عليها جماعة الحوثي والسلطات التي تخضع لسيطرتها، ونشر قوائم بأسماء الصحافيين تمهيدا لاعتقالهم.

٩- تسخير الصحف ووسائل الإعلام عبر تجنيد طواقم إعلامية للمساهمة في نشر الفكر الشيعي وتلميع صورة إيران ومحور ممانعتها.

خامساً - طائفية الحوثيين في التعليم:

١ – يتم تبديل وتغيير المناهج بهدوء دون إثارة الغالبية من الناس من قبل الحوثيين الذين نصّبوا جاهلاً وزيرا للتعليم وتجييرها لمصلحة توجهاتهم الرافضية والحزبية.

ومن أمثلة التغيرات مثلا: إبدال اسم عمر باسم محمود حتى لو كان في دروس اللغة العربية، كما تم حذف اسم صلاح الدين الأيوبي، كذلك تم إلغاء أحاديث لأن راويتها هي السيدة عائشة، رضي الله عنها، وتم إضافة صورة لزعيم الحوثيين حسين الحوثي في كتب مدرسية.

٢ – طباعة آلاف الكتيبات والنشرات التي تروج لطائفية الحوثيين وتوزيعها على طلبة المدارس.

٣- شكّل الحوثيون لجانا طائفية لتفتيش مكتبات المدارس ومصادرة كتب العقيدة الإسلامية التي تتعارض مع عقيدتهم وتشيّعهم.

٤ – إرسال مندوبين من الحوثيين للمدارس لنشر الفكر الحوثي الشيعي في طابور الصباح وفي الصفوف المدرسية.

٥- محاولة إجبار الطلاب في المدارس على ترديد الصرخة الحوثية رغم امتناع غالبية الطلاب عن هذا، ومعاقبة الطلاب الرافضين كما حدث في مدرسة النصر في بني أسعد التابعة لمحافظة المحويت، حيث أغلق المسلحون الحوثيون - بتوجيه من مدير التربية والمشرف الأمني بالمديرية- المدرسة ومنعوا خروج الطلاب لرفضهم ترديد الصرخة الحوثية.

٦ – العمل على تجنيد الطلاب للقتال في الجبهات، وهنالك يتم غسل أدمغتهم وزرع الأفكار الحوثية الشيعية فيها، عبر استغلال ظروفهم المادية السيئة لقاء راتب شهري يقدمه الحوثيون مع بعض الامتيازات لأهليهم.

٧ – تنفيذ مَعارض في المدارس لما يسمى شهداء الحركة الحوثية.

٨- تقديم منح دراسية للطلاب في إيران والعراق من أجل تشييعهم، وتشجيع البعثات العلمية والزيارات الأكاديمية إلى إيران والعراق وتسهيل كل ما يتعلق بذلك .

المرأة الغربية وتحديات البيت والعمل

فاطمة عبد الرؤوف(*) – خاص بالراصد

لم يكن دخول النساء في الغرب لسوق العمل المأجور نتيجة أفكار مثالية تُعلي من شأن النساء وحقوقهن الاقتصادية في العمل بل كان جزءًا من الفلسفة البراجماتية التي هي الدين الغربي الحقيقي بعد سقوط هيمنة الكنيسة، فمع تفجّر الثورتين الصناعيتين الأولى والثانية وما صاحب ذلك من الحاجة للأيدي العاملة الكثيفة

(*) كاتبة مصرية.

تم الزجّ بالنساء في أتون العمل في المصانع في ظل ظروف عمل بالغة القسوة، فقد عملت النساء لنحو ١٢ ساعة يوميا بأجور أقل بكثير مما يحصل عليه الرجال.

ولم يكن للنساء الضعيفات خيارات أخرى في ظل توحّش رأس المال وتغوّله وسيطرته على مناحي الحياة في الغرب، حيث تم استغلال النساء الغربيات بطريقة بشعة أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية، وذلك على أكثر من مستوى، فمن جهة شكّلت النساء الاحتياطي العمالي الذي تم ضخّه في المصانع كبديل للرجال الذين شاركوا في جبهات القتال، ومن جهة أخرى تم استعمال النساء في صناعات عسكرية خطيرة في مصانع الذخيرة حيث الأبخرة السامة والمتفجرات.

ومن الملاحَظ أنه تم استغلال النساء بالتلاعب العاطفي بمشاعرهن لإغرائهن للانضمام لمصانع السلاح في الحرب العالمية الأولى، من خلال خلق نداء مُرضٍ للنساء اللاتي انضممن إلى القوى العاملة، لكنها كانت دعاية خادعة ومضللة.

أحد الملصقات الدعائية كان عبارة عن منظر رومانسي لامرأة تنظر عبر نافذة مفتوحة إلى الجنود يسيرون إلى الحرب، والملصق يحوي نداء عاطفيا ورومانسيا، بينما في واقع الحال أن العديد من النساء تحمّلن مصاعب جمّة عندما جنّد أزواجهن.

ملصق دعائي آخر للحرب كان بعنوان «هؤلاء النساء يقمن بواجبهن»، صُورت فيه المرأة كما لو كانت تضحي من خلال الانضمام إلى صناعة الذخائر في حين أن الرجال يقاتلون في الجبهة، وصُورت المرأة في هذا الملصق بطريقة مُقنعة كأنثى جميلة ومبتهجة لترويج فكرة أن قيامها بواجب وطني لن يقلل من أنوثتها.

هذه الملصقات لا تصوّر عمل النساء الشاق والمضرّ في مصانع الذخيرة على الحقيقة، كما لا يوجد فيها أي إشارة إلى المواد الكيميائية شديدة الانفجار أو الأمراض الناجمة عن بيئات العمل القاسية، وقد استخدمت في هذه الملصقات صور شخصيات نسائية مثالية... ونتيجة لذلك ترك العديد من النساء حياتهن المحلية للانضمام إلى مصنع الذخيرة فقد اعتقدن إنهن سينلن ظروفا معيشية أفضل ورواتب مرتفعة، وأنهن يقمن بواجب وطني[1].

هذا الخطاب العاطفي للنساء، والذي حقق نجاحا بالفعل يؤكد ما تريد الحركة النسوية نفيه عن طريق إصرارها على التساوي الكامل في طريقة التفكير بين الرجال والنساء، على أي حال نجحت البراجماتية الرأسمالية في استغلال عواطف النساء، فليس المهم ما يقال ولكن المهم حقا هو الواقع الذي يؤكد أن العاطفة مكوّن أساسي في منهجية المرأة للتفكير.

وبعد انتهاء الحرب العالمية وعودة كثير من الجنود للعمل في المصانع تم الاستغناء عن الكثير من النساء العاملات تحت شعارات عاطفية أخرى تطالب المرأة بالعودة للعائلة!

لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة فالتغيرات الاقتصادية وسنوات العمل الشاقة للنساء أحدثت تغيرات حقيقية في الواقع الاجتماعي، حيث ثارت النساء في الغرب على هذا الاستغلال المنظم الذي وقع عليهن، في البداية كانت حركات تحرر النساء تطالب بمطالب عادلة كالمساواة في الأجور عندما تتساوى الأعمال، لكنها سرعان ما اندفعت في اتجاهات أكثر راديكالية وأصبح عمل المرأة المأجور مقدمة لازمة وحتمية لتحررها من الظلم التاريخي الذي تعرضت له، وتمت الدعوة لتهميش الأسرة واعتبار جهود المرأة غير المأجورة داخل نطاق العائلة صورة من صور الظلم والاضطهاد التاريخي الذي تعرضت له النساء، لكنهن مرة أخرى تعرضن للاستغلال في الوقت الذي كنّ يجاهدن فيه للهروب منه، ومن ذلك:

فجوة الأجور: على الرغم من مضي هذه السنوات الطويلة إلا النساء لا يزلن يعملن بأجور أقل بكثير من الرجال، يكفي في هذا الصدد الدراسة التي نشرها المعهد الوطني الفرنسي للإحصائيات حيث تبين أن الرجال يتقاضون أجرا أعلى من النساء، فمن بين ١٠ ملايين من الأزواج الذين كانوا يعيشون ويعملون في فرنسا تبين أن أغلبية الرجال – ثلاثة أرباعهم- تقاضوا أجورا مرتفعة مقارنة برواتب النساء. وأوضحت نفس الدراسة أن الدخل السنوي للنساء اللواتي يعشن في حالة مساكنة كان أقل من الرجال بفارق يقدر بـ ٤٢ بالمائة.

وهو ما أكدته الناطقة باسم الحكومة الفرنسية ووزيرة حقوق المرأة نجاة فالو بلقاسم التي دعت أرباب العمل وأصحاب الشركات إلى بذل جهود أكثر من أجل تقليص الفوارق في الأجور بين النساء والرجال واحترام القوانين التي تحافظ على مبدأ العدالة بين الجنسين وتوفير نفس فرص

---

(١) http://cutt.us/zvrak بتصرف.

العمل للنساء والرجال دون تمييز.

وعلى الرغم من ذلك اعترفت أن النضال من أجل تحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة سيستمر لسنوات طويلة طالما هناك نوع من «التخلف» السياسي لدى بعض المسؤولين والأحزاب السياسية وحتى داخل المجتمع.

وعلى الرغم من كل القوانين والوثائق التي تجرّم ذلك، فـ (عند دراسة الفجوة في الأجور بين الجنسين على مرّ الوقت، نجد أن اللجنة الاقتصادية المشتركة للكونجرس الأمريكي قد أظهرت أنه على الرغم من تراجع حالات عدم المساواة الموضحة، إلا أن الفجوة غير المبررة في الأجور تظل دون تغير.

وبالمثل، فوفقاً لخبيري الاقتصاد فرانسين بلاو ولورنس كان والأبحاث التي قاما بها عن الفجوة في الأجور بين الجنسين في الولايات المتحدة، فإن التقارب المطّرد في الأجور بين النساء والرجال لا يحدث تلقائيًا. ويقول الخبيران إنه بعد الزيادة الكبيرة في أجور النساء خلال ثمانينيات القرن العشرين، انخفضت الأجور في التسعينيات من القرن ذاته. ويتميز القرن الحادي والعشرين بوجود صورة متباينة من الارتفاع والانخفاض. وبالتالي يفترض بلاو وكان أنه: «مع وجود الأدلة التي تشير إلى تباطؤ التقارب في السنوات الأخيرة، تظهر احتمالية عدم استمرار تقلص الفجوة في الأجور بين الجنسين في المستقبل. علاوة على ذلك، هناك أدلة على أنه على الرغم من انخفاض التمييز ضد المرأة في سوق العمل، إلا أن بعض التمييز لا يزال موجودًا»)[1].

نساء وحيدات: لم يكن العمل المأجور للمرأة الغربية مجرد نشاط اقتصادي، بل كان ثورة على النظام الاجتماعي ومؤسسة الأسرة التي وصلت لأضعف حلقاتها مع الثورة الجنسية في ستينيات القرن المنصرم، تلك الثورة التي كانت تجليات لأفكار إنجلز عن مفهوم العائلة والمجتمع البطريركي ونتيجة جهود التيار الفرويدو ماركسي، بالإضافة طبعا للثمار النكدة للتوحش الرأسمالي في سوق العمل والتي تم التعامل بمقتضياتها مع الإنسان كالآلة المادية وتم فيها تسليع المشاعر وحسابها وفقا للفلسفة البراجامتية فكان أن رأت المرأة في الأسرة قيدا وظلما، لكن بعد مرور سنوات تذوقت النساء ثمار هذه التجربة المرة والمؤلمة والتي تحدث ربما للمرة الأولى في التاريخ البشري.

فبينما تفتقد الفتاة الغربية الشابة الاستقرار مع تعدد الشركاء حيث تخضع علاقتها بالشريك وفقا لنظرية السوق أو نظرية العرض والطلب فليس ثمة حقوق لها كأنثى ولا واجبات عليها، ولكن أيضا لا حقوق لها، هي قائمة بذاتها، وعملها المأجور هو الضمان الأكبر لها، فتستمر العلاقة طالما تتحقق المتعة والمصلحة لطرفيها، وتنتهي بمجرد الشعور بالملل أو ظهور شريك آخر أكثر جاذبية، لكن المرأة هي الخاسر الأكبر، فهي وحدها تعيش تجربة الأم العازبة التي تخضع للاستغلال الشديد من قبل الشركاء، وكثيرا ما يهجرها الشريك بدون سبب واضح، وكثيرا ما تعاني من تجربة الوحدة خاصة في المراحل العمرية الأكبر سنا عندما تتخطى مرحلة الشباب، فلم تعد تلك الأنثى الجذابة، وليس لها في الوقت ذاته حقوق على الشريك لئلا يهجرها، ومن ثم تقع الكثيرات منهن في فخ الوحدة، ومهما كانت قيمة الثروة التي حققتها من عملها المأجور ومهما كانت مشاركتها في المجتمع أو تجوّلها وتمتعها بالسياحة تبقى مشاعر الوحدة مهددة لسلامتها النفسية.

وفي هذا السياق لا يمكن تجاهل أن الوحدة مع الثروة شكلت ظاهرة السياحة الجنسية للنساء الغربيات الوحيدات المتقدمات في السن، وهي ظاهرة ملموسة قدّمها مخرج نمساوي في أحد أفلامه، حيث ألقى الضوء على العالَم المجهول للمرأة الأوروبية المسنّة التي تسافر إلى دول العالم الثالث بغرض السياحة الجنسية، لأن المرأة الغربية المسنّة لا يمكنها العيش على النحو الذي تراه في الإعلانات والأفلام، مما يدفعها للذهاب لدول كثيرة، فقط للتغلب على الوحدة وإشباع جزء من دوافعها الغريزية التي دفنت في بلادها الأصلية وفقا لسياسة العرض والطلب وآلية السوق المجتمعية هناك.

وبعض النساء الغربيات يشترين أزواجا بأموالهن حتى يضمنّ الاستقرار في هذا العمر، ذلك الاستقرار الذي افتقدته المرأة الغربية عندما قررت أن العمل المأجور هو ضمانة الاستقرار وليس مؤسسة الزواج التي تمردت عليها فاستغلّها الرجال أسوأ استغلال، وانتهى بها الأمر لمثل هذه الحال.

هذه الحال المزرية كانت الدافع للمخرج النمساوي للبحث عن الأسباب التي تجعل المرأة التي تصل إلى سن محددة تشعر بالتهميش والوحدة في المجتمعات الغربية، وبحسب قوله: «هدفي كان رسم الأمور بأقصى درجة ممكنة من الصدق و(أن أبحث في التكوينات الاجتماعية ... الأمر يتعلق بمجتمعنا. نواجه أسئلة مثل: ما الذي يجعل سيدة مثل تيريزا تفعل هذا؟ لماذا لا تجد الحبّ ولماذا تسعى وراءه في مكان آخر»؟.

(١) http://cutt.us/o6fr.

التحرش الجنسي: تُكثر النسويات في بلادنا من القول إن البلاد الغربية لا يقع فيها التحرش الجنسي، وإن وقع فهو بنسبة ضئيلة للغاية، إنهن يكذبن ويكررن تلك الكلمات حتى تتحول الادعاءات إلى حقائق، بينما الواقع الذي سنوضحه هو أن مشكلة التحرش الجنسي مشكلة بالغة الصعوبة في البلاد الغربية وهي أحد التجليات المنطقية للاختلاط في العمل الذي تعيشه النساء الغربيات والذي أصبح جزءا من المنظومة المجتمعية هناك، ففي دراسة قام بها مكتب مكافحة التمييز في ألمانيا فإن امرأة من بين كل خمس نساء تتعرض للتحرش الجنسي الجسدي هناك، بينما تعرضت ٥٠ ٪ منهن للتحرش اللفظي، وتقف مجالس العمال هناك عاجزة عن حماية المرأة من التحرش أثناء العمل.

العمل في المؤسسة العسكرية هو تطبيق لنظرية المساواة الكاملة في العمل، فالنسويات يصرّحن دائما بأن المرأة لا بد أن تشارك في جميع أوجه العمل، بما في ذلك حمل السلاح ويتجاهلن النتائج البشعة التي تتعرض لها المرأة في العمل، خاصة في بعض القطاعات، ومن ذلك ما كشفه أحد أكبر استطلاعات الرأي الشاملة للجيش الأمريكي، خرج للنور في مارس (آذار) ٢٠١١ وكشف عن تعرض ١٩٪ من المجندات في الجيش الأمريكي لاعتداءات جنسية ولكن نادرًا ما يبلّغ الضحايا رسميًا عن تلك الوقائع. ففي سلاح الجو، على سبيل المثال: هناك أقل من امرأة واحدة تُبلّغ رسميًا من بين كل خمس ضحايا.

وقالت أكثر من نصف الإناث اللاتي تعرّضن للاغتصاب في سلاح الجو الأمريكي: إنهن مِلن لعدم الإبلاغ رسميًا «خوفًا من أن يعاملن بشكل سيئ» أو «لأنهن لا يُردن أن يتسبب في مشكلة بوحداتهن»، فيما أفاد الثلث بأنهن لا يثقن في عملية الإبلاغ الرسمي.

وكشف تقرير يعود لمارس (آذار) لعام ٢٠١٣، بأن ما لا يقل عن ربع إناث الجيش الأمريكي تعرضن لاعتداءات جنسية، وأن ٨٠٪ من إناث الجيش الأمريكي تعرضن للتحرش الجنسي.

تعد الاعتداءات الجنسية في الجيش الأمريكي، على حساسيتها في هذا القطاع الشائك، جزءا صغيرًا من صورة كليّة لمجتمع أمريكي يعجّ بالاعتداءات الجنسية لدرجة كبيرة، تصل لوقوع اعتداء جنسي كل ٩٨ ثانية، بالرغم من الحرية الجنسية التي تتمتع بها أمريكا بالسماح للعلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج.

فبحسب أرقام الشبكة الوطنية لمكافحة الاغتصاب في أمريكا، فإن ٣٢١,٥٠٠ شخص في أمريكا، تتراوح أعمارهم من ١٢ سنة فأكثر، يقعون ضحايا للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي في المتوسط سنويًا، وبذلك تقع - بحسب الشبكة- حالة اعتداء جنسي كل ٩٨ ثانية في المتوسط في الولايات المتحدة الأمريكية.

وتتعرض نساء أمريكا وفتياتها لمعدلات عالية من الاعتداءات الجنسية، فسيدة من كل ست نساء في أمريكا قد تعرضت لمحاولة اغتصاب، أو واقعة اغتصاب كاملة في حياتها، واعتبارًا من عام ١٩٩٨، فقد وقعت ١٧,٧ مليون امرأة ضحية لمحاولة اغتصاب، أو واقعة اغتصاب كاملة، وحول الآثار النفسية للاغتصاب على ضحاياه الإناث، فقد عانى ٩٤٪ من النساء اللاتي تعرضن للاغتصاب من اضطرابات ما بعد الصدمة لمدة أسبوعين، فيما فكّرت ٣٣٪ من النساء اللاتي تعرضن للاغتصاب في الانتحار، فيما حاول ١٣٪ بالفعل الانتحار[١].

مستقبل العمل المأجور

تذوقت المرأة الغربية إذًا كثيرا من الويلات منذ أن اضطرتها الظروف أن تخوض غمار العمل المأجور بحيث يكون ذلك منهج حياة لها، وساهمت الأفكار النسوية الجديدة في الغرب عن مفهوم الأسرة ووظيفتها ودور الرجل والمرأة فيها ومكانة العمل المأجور بالنسبة لأولويات الأسرة في المشكلة المعقدة التي تعيشها النساء هناك.

لكن أصبح من الملاحظ أن أعدادا متزايدة من النساء الغربيات أصبحن يتّجهن للتفرغ لشئون الأسرة ف (بعد عقود من التراجع، تم تسجيل صعود نسبة الأمهات اللواتي اخترن المكوث في البيت، إذ ارتفعت نسبة مكوث الأمّهات اللواتي لا يعملن خارج البيوت إلى ٢٩ في المائة سنة ٢٠١٢ بعد أن كانت هذه النسبة لا تتجاوز ٢٣ في المائة سنة ١٩٩٩ حسب استطلاع جديد صدر عن مركز «بيو» الأمريكي الحكومي.

هذا الارتفاع الذي لم يسجل في عشرات السنين الماضية، يمثل التحول المعاكس لمدى طويل من التراجع في مكوث الأمهات في البيوت صمد لثلاثة عقود في القرن الماضي.

لا تشمل الشريحة الواسعة من النساء الماكثات في البيوت فقط الأمهات اللواتي يصرحن بأنهم اخترن المكوث في البيوت من أجل رعاية أسرهن، ولكن تشمل أيضا

---

(١) http://cutt.us/2vhs.

الأمهات اللواتي اخترن المكوث في البيوت لأنهن غير قادرات على العثور على عمل، أو لأنهن عاطلات، وتحمل ٤٩ في المائة من الأمهات الماكثات في البيوت شهادات من الدراسة العليا أو أقل مقارنة مع ٣٠ في المائة من الأمهات العاملات.

ففي استطلاع حديث أجراه مركز بيو للأبحاث، فإن حوالي ٦٠ في المائة من المستجوبين صرحوا بأن الأطفال يكونون أفضل حين تمكث الأم في البيت، وتركّز اهتمامها على الأسرة وذلك بالمقارنة مع ٣٥ في المائة ممن يرون بأن الأطفال يكونون أيضا بخير مع الأم العاملة[١].

وعلى الرغم من ارتفاع الوعي المجتمعي بأهمية تواجد المرأة داخل الأسرة بشكل أكبر من أجل صالح الأسرة وصالح الأطفال تحديدا، إلا أن التيار العام لا يسير في هذا الاتجاه، لكن يبدو كما أن الفكر البراجماتي المصاحب للثورة الصناعية الأولى والثانية الذي أخرج النساء لسوق العمل المأجور، هو ذاته الذي سيعيدها للبيت مع الثورة الصناعية الرابعة (الثورة الالكترونية) وهو (ما حذر منه تقرير حديث صادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي الذي يعقد اجتماعه السنوي في المنتجع السويسري «دافوس» والذي خلص عبر البحث فيما يُسمى بـ «الثورة الصناعية الرابعة» إلى أن السيدات هن أكبر الخاسرات في سوق العمل، بالنظر إلى أنهن لن يعملن على الأرجح في المجالات التي ستسهم فيها التكنولوجيا المتطورة في خلق وظائف.

وذكر التقرير الذي نشرت نتائجه صحيفة «جارديان» البريطانية على موقعها الإلكتروني أن أكثر الوظائف المختفية ستكون في الأعمال المكتبية والإدارية، بالرغم من أن المسح الذي أجراه المنتدى الاقتصادي العالمي يَتوقع أن يتم تعويض تلك الوظائف عبر إيجاد أدوار وظيفية في مجالات مثل الحوسبة والرياضيات والعمارة والهندسة، مع فقدان النساء خمس وظائف مقابل كل وظيفة يتم توفيرها، مقارنةً بثلاث وظائف أمام كل وظيفة يتم توفيرها بالنسبة للرجال».

وأضاف التقرير: «بالنظر إلى مشاركة السيدات الضعيفة في مهن العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات- واحدة من المجالات التي تنمو بسرعة في خلق الوظائف- تكسب المرأة وظيفة واحدة جديدة فقط في تلك المهن مقابل كل ٢٠ وظيفة تفقدها في المجالات الأخرى، في حين يكسب الرجال وظيفة واحدة جديدة مقابل كل أربع وظائف مفقودة في المجالات الأخرى»[٢].

(١) http://cutt.us/tek0b بتصرف يسير.

التجربة السياسية الشيعية الحديثة... من المعارضة إلى السلطة
٢- التجربة الشيعية العراقية

بوزيدي يحيى(*)- خاص بالراصد

ارتبط تاريخ الشيعة بالعراق منذ ظهور هذه الطائفة في المجتمع الإسلامي؛ وأهم تحولاتها وقعت في الجغرافيا العراقية، ومن حينها لم يمر على هذا البلد تحول سياسي مهم إلا وكان لهم دور فيه، سواء خلال فترة الحكم العباسي، الذي جعل من بغداد عاصمة للخلافة، وغيرها من التطورات السياسية، لعلّ أهمها الحروب العثمانية الصفوية التي كانت بلادُ الرافدين مسرحا للكثير من معاركها، وصولا إلى استقلال العراق ومسارات بناء الدولة الوطنية، التي كان ولا يزال للشيعة دور فيها، خاصة بعد استحواذهم على السلطة منذ عام ٢٠٠٣.

وتتسم الحالة العراقية ببعض الخصوصيات التي تميزها عن بقية التجارب الشيعية؛ يتوجب أخذها بعين الاعتبار عند محاولة تقييمها. أول هذه الخصوصيات يتمثل في وجود حوزة النجف التي تعتبر مركزا علميا للشيعة منذ ظهورها سنة ٤٤٩هـ، والتي كان لها دور في كل المحطات المصيرية، ليس لشيعة العراق فحسب، بل وأيضا لشيعة إيران بعد تحولها إلى التشيع، وهذا يقود للخصوصية الثانية المتمثلة في الموقع الجغرافي المجاور لإيران، التي أصبحت مركزا للشيعة من خلال حوزة قُم، ونموذجا للسلطة ما قبل الدولة المهدوية عند الشيعة؛ التي يتفق الشيعة عليها كهدف نهائي وإن اختلفوا في كيفية التعاطي مع الواقع ريثما يعود الإمام الثاني عشر من غيبته الكبرى.

وفي محاولة رصد التجربة السياسية الشيعية العراقية الحديثة تبرز ثلاث محطات أساسية:

١. تمتد أولها من الحرب العالمية الأولى حتى سقوط الحكم الملكي بانقلاب ١٩٥٨، وتتميز هذه الفترة بالاحتلال البريطاني وصعود التيارات القومية والشيوعية.

٢. والمحطة الثانية تبدأ من نهاية الملكية وتشمل الحكم البعثي حتى الاحتلال الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣.

(٢) http://cutt.us/2cf0z.

(*) باحث وكاتب جزائري.

وتتميز هذه المرحلة بصعود التيارات الإسلامية في المنطقة والتي توجت في سياقها الشيعي بوصول الملالي إلى السلطة في إيران سنة ١٩٧٩، وقبلها تأسيس حزب الدعوة في العراق.

٣. والمرحلة الأخيرة التي نعايشها حاليا منذ ٢٠٠٣ والتي تتميز بوصول الشيعة إلى السلطة عقب الاحتلال الأمريكي.

مرحلة الاستقلال وبناء الدولة: المواطنة على المقاس الطائفي

خرج العراق من عباءة الحكم العثماني ليدخل مباشرة تحت الاحتلال البريطاني، والاستقلال عنه في ١٩٣٢ لم يضع نهاية للنفوذ البريطاني. واستمر الوضع على هذا الحال حتى الإطاحة بالحكم الملكي بانقلاب ١٩٥٨.

وخلال هذه الفترة التي دامت قرابة أربعة عقود عَرفت البلاد سجالات كبيرة بين مختلف الأطياف السياسية دارت جلّها حول الموقف من الاحتلال البريطاني، ثم من نفوذه غير المباشر، والموقف من السلطة السياسية، وقد تنوع الفاعلون في كل هذه الأحداث بين النخب الدينية والحزبية والزعامات العشائرية، ولم يخلُ كل ذلك من تأثيرات خارجية.

لم يغب الشيعة عن تفاصيل هذا المشهد، وقد توزعوا على مختلف ألوان الطيف السياسي، وإن كان جلهم في خط المعارضة، فقد توزع رموز النخبة الشيعة على كل التيارات السياسية التي سادت العمل السياسي، سواء التيار القومي العروبي، أو الإسلامي الوطني، أو الشيوعي، أو الديمقراطي، أو الليبرالي، السرية منها والعلنية، الوطنية منها أو السلطوية[١].

ففي ١٩١٧ تأسس حزب النهضة الإسلامي بمدينة النجف، والجمعية الوطنية الإسلامية في ١٩١٩ بمدينة كربلاء، وفي ١٩٢٢ تأسس الحزب الوطني العراقي ذو الوجود الشيعي الواضح برئاسة محمد جعفر أبو التمّن، وحزب النهضة الوطني ذو الغالبية الشيعية أيضا برئاسة أمين الجرجفجي. والميزة الأهم تمثلت في تزعّم الشيعة للاتجاه الشيوعي الذي كان أغلب قادته ينتمون لهذه الطائفة، فقد كانت القيادات الشيعية، وخصوصا الكوادر المثقفة في الأربعينيات والخمسينيات، هي من نشطت في تأسيس الأحزاب اليسارية وتقويتها[٢]. والكثير من شباب الشيعة المتعلمين كانوا من مؤازري الحزب الشيوعي العراقي نتيجة توسع التعليم الرسمي في المناطق الشيعية إبان الثلاثينيات[٣].

وشارك الشيعة في الحزب الشيوعي العراقي السري بداية، وفي حزب البعث العربي الاشتراكي لاحقا، مشاركة واضحة، وهو ما مكّنهم من تبوؤ مناصب قيادية مركزية في الحزبين[٤]. فقد كان الأمين العام للحزب الشيوعي العراقي «عادل سلام» من أهالي النجف، وينتمي إلى أسرة من السادة، واسمه الحقيقي سيد حسين الرضوي[٥].

وترأس صالح جبر، وهو من نخبة الشيعة المعروفين، حزب الأمة الاشتراكي، الذي تأسس في ١٩٥١، ويكاد هذا الحزب أن يكون محصورا في الشيعة بالدرجة الأولى، رغم أن رئيسه لم يكن معروفا بالطائفية[٦].

وكانت قيادة البعث بيد فؤاد الركابي (الشيعي) حتى ١٩٥٩؛ حيث كان نسيج الحزب متألفا من مزيج من الشيعة والسنة، وكان التوجّه العام للحزب هو التوجه القومي العربي المطعّم بميول اشتراكية[٧].

ويزعم الشيعة أن ما حصل في هذه الحقبة كان إقصاءً ممنهجا لهم، وحتى مشاركتهم بين الفينة والأخرى لا ترتقي إلى مستوى حجمهم في المجتمع العراقي، وأن السنة احتكروا العمل السياسي، ويتداول في الأوساط الشيعية أن المبدأ الذي هيمن على معادلة الحكم في العراق أيام العهد الملكي وما بعدها هو «أن الضرائب على الشيعة والمناصب للسنة»[٨].

وفي دراسة للوزارات خلال هذه المرحلة اتضح أن هناك أربعة من نخبة (الأقلية الشيعية) تقمّصوا رئاسة سبع وعشرين وزارة من أصل أربع وخمسين وزارة، أي أن نصف الوزارات تقمصتها نخبة الأقلية! في حين تقلد أربعة من نخبة الأكثرية رئاسة خمس وزارات فقط، من المجموع العام

(١) عدنان عليان، الشيعة والدولة العراقية الحديثة: الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي (١٩١٤- ١٩٥٨)، بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٥، ص ٤٨٨.

(٢) كمال ديب، موجز تاريخ العراق: من ثورة العشرين إلى الحروب الأمريكية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية الثانية، بيروت: دار الفارابي، ط١، ٢٠١٣، ص ٩٢.

(٣) إسحاق نقاش، (ترجمة عبد الإله النعيمي)، شيعة العراق، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ط١، ١٩٩٦، ص ٢٣٧.

(٤) عدنان عليان، مرجع سابق، ص ٤٨٤.

(٥) رسول جعفريان، التشيع في العراق وصلاته بالمرجعية وإيران: نظرة عابرة، قم: دار الحبيب، ط١، ١٤٢٩هـ، ص ١٢٠.

(٦) عدنان عليان، مرجع سابق، ص ٤٨٨.

(٧) رسول جعفريان، مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٨) المرجع نفسه، ص ١٠١.

للوزارات الملكية البالغ تسع وخمسون وزارة، علما أن جلّ الذين تقلدوا رئاسات الوزارات من الفئتين كانوا ضمن حلقات المتعاونين مع الإنكليز أو محسوبين على البلاط، سواء عند استوزارهم، أو خلال مسؤولياتهم اللاحقة[1].

ومن حيث طبيعة توزيع الحقائب الوزارية لغالبية الوزارات التي تشكلت في العهد الملكي؛ فغالبية الوزارات الحساسة والمهمة، ورئاسة الأركان والقوة الجوية والكلية العسكرية وكلية الشرطة وكلية الأركان والاستخبارات العامة، كانت محصورة في رجالات بقايا ذلك الجيل من نخبة الأقلية وامتداداته[2].

وعند رصد تشكيلات الوزارات التسع والخمسين التي استوعبتها فترة الحكم من ١٩٢٠ – ١٩٥٨، والتي ضمت ١٧٥ وزيرا، نجد أن حصة الشيعة فيها بحدود ٤٥ وزيرا، وهي نسبة تعادل ٢٥ بالمائة، وإذا تم حساب المشاركات الفعلية، يظهر أن عدد المشاركات لنخبة السنة سواء - كرؤساء وزراء، أو وزراء- ، كانت بحدود ٣٦٤ مشاركة متكررة، اضطلع فيها بحدود ١٣٠ شخصية من بين رئيس للوزراء ووزير في حقيبة وزارية، وبدون حقيبة في حين أن حساب المشاركات الفعلية لنخبة الشيعة سواء كرؤساء وزراء، أو وزراء كانت بحدود ١٣٦ مشاركة متكررة، اضطلع فيها بحدود ٤٥ شخصية بين رئيس للوزراء ووزير بحقيبة وزارية، وبدون حقيبة، وهي نسبة تقل عن ٤٠ بالمائة من حجم المشاركات العمومية. أما الوزارات التي تبوأها الشيعة فهي متنوعة شملت كل الوزارات العراقية التي قامت خلال تلك الفترة[3].

لا يمكن نفي ضعف المشاركة السياسية للشيعة في السلطة خلال هذه المرحلة، والتي تمثل - بشكل أو آخر- امتدادا لأسلوب الحكم العثماني الذي تميز إلى حد ما بالتعصب ضد الشيعة[4]. غير أن ما يمكن الوقوف عنده في هذه المرحلة أن النخب السياسية جلها تنتمي للتيار القومي، فكما سبق الإشارة تتميز الحقبة الملكية من التاريخ العراقي بالحضور القوي للاحتلال البريطاني، وما يدفع به ذلك من تراجع الانتماءات الهوياتية تحت الوطنية وصعود الهوية الوطنية في مواجهة الاحتلال الذي يحرك تلك المشاعر.

ومن المعلوم أيضا أن غالب تلك التيارات كانت علمانية أو على الأقل لا تتحرك من خلفيات دينية، وبذلك فإن نعت السلطة في تلك المرحلة بـ «السنية» لا يستند إلى مبررات موضوعية، والقراءة المعاكسة تستلزم منطقيا وصف النخب الشيعية التي كانت تنشط أيضا تحت عناوين قومية ويسارية بالطائفية. ومن هذا المنطلق فإن مشاركة الشيعة تبقى في إطار المعقول عند الأخذ بعين الاعتبار عدم وجود قانون ينص على تقسيم السلطة على أساس طائفي، ناهيك عن الجدل الذي ما زال مطروحا حول حقيقة نسبة الشيعة في المجتمع العراقي.

من جانب آخر فإن من التناقض البيّن أن القيادات الشيعية التي تبوأت مناصب سياسية في هذه المرحلة، والتي اتخذت إجراءات مسايرة للحكم البريطاني والملكي ضد القوى الوطنية المعارضة؛ تبرّر مواقفها - في أسوأ الأحوال- بالمصالح الخاصة أو الضغوط من بلاط الملك أو الإنجليز، بينما نفس المواقف والسياسات حين تصدر عن القوى السياسية السنية في تلك المرحلة تصنّف على أنها طائفية ولا يؤخذ بعين الاعتبار البعد الأيديولوجي أو المصلحي كما في حالة النخب الشيعية!

ومن زاوية ثالثة يُنظر للقوى الشيعية المشاركة في السلطة حينها كقوى وطنية، ويستند على سلوكها كترجمة عملية للانصهار في المجتمع، ونبذ الطائفية. وهذا فضلا عن أنه يستلزم أن القوى السنية في الطرف الآخر لم تكن تحركها الخلفيات الطائفية؛ فإنه بعيدا عن هذا التفصيل يفرض السياق طرح سؤال التدين عند النخب السياسية في تلك المرحلة، والذي نجده بعيدا عن مركز صياغة الرؤى السياسية، والسياق الأمثل لاستحضار هذا البعد في تحليل المواقف السياسية مع بروز الأحزاب الدينية التي رفعت شعارات تعبر عن أيدلوجيتها بشكل مباشر وصريح وعلني.

مرحلة الصحوة: التموضع داخل الطائفة

تزامن التحول من الاتجاه اليساري والقومي إلى الاتجاه الديني مع نهاية الحكم الملكي وصعود البعث لاحقا، وتذهب بعض القراءات إلى أن انتقال شيعة العراق من الشيوعية إلى العمل السياسي الطائفي جاء كردّة فعل على سياسات التهميش والإقصاء التي تعرضوا لها سابقا[5].

غير أن هذا التحليل يغفل السياق العام للظاهرة التي لم

(١) عدنان عليان، مرجع سابق، ص ٣٦٣- ٣٦٤.
(٢) المرجع نفسه، ص ٣٦٤.
(٣) المرجع نفسه، ص ٤٤١.
(٤) عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، بيروت: دار النهار للنشر، ط١، ١٩٧٣، ص ٨١.
(٥) ينظر على سبيل المثال: إسحاق نقاش، مرجع سابق، ص ٢٣٦. وينظر أيضا: كمال ديب، مرجع سابق، ص ٩٢.

تكن حكرا على المجتمع العراقي بشكل خاص، أو الشيعة بشكل أخص، فصعود ثم تراجع التيارات القومية واليسارية ظهر في المنطقة العربية والإسلامية بشكل عام كانعكاس لما كان يحصل في أوروبا، ومع إخفاق هذه التيارات في تحقيق وعودها وفشلها داخليا وخارجيا كانت التيارات الإسلامية تعرف صعودا تدريجيا نضج في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي.

وأهم ما يؤكد ذلك أن مناهضة الشيوعية جاءت من داخل الحوزة الدينية؛ فمحمد باقر الصدر ألّف كتابه الشهير «فلسفتنا» على أساس توصية من المرجع الحكيم، وذلك لمواجهة المدّ الشيوعي الذي اكتسح الوسط الشيعي أكثر من اكتساحه للوسط السني[1]. كما أسهم في صعود الشيعة لجوء المرجع الخميني إلى العراق هربا من ظلم الشاه، مقيما وسط الشيعة في النجف في أوائل الستينيات، مما أدى إلى انحياز الشيعة أكثر فأكثر لمزج الدين بالعمل السياسي[2].

ويمثل حزب الدعوة أول مؤسسة حزبية شيعية تهدف للوصول إلى السلطة لتطبيق نموذج حكم يتوافق مع عقائد الشيعة، وقد انبثق من صميم رحم المؤسسة الدينية الشيعية، بمشاركة ثقل ديني وعلمائي وطبقة من المثقفين الإسلاميين، وعلى رأسهم محمد باقر الصدر ومهدي ابن محسن الحكيم، ونجله الثاني محمد باقر الحكيم، ومحمد بحر العلوم، إضافة إلى نخبة من رموز الشيعة[3].

وقد قويت شوكته بعد إصدار علماء الشيعة فتاوى ضد العضوية في الحزب الشيوعي في ١٩٦٠ فاتسعت قاعدة الحزب في أواخر عقد الستينيات في ظل قائده محمد باقر الصدر. ومع أن مبادئ الحزب المعلنة تجاه القضية العراقية كانت عادية ومعتدلة إلا أن دعوته لقيام جمهورية إسلامية في العراق أعطته صبغة ضيقة لم يتحرر منها[4].

ولم تكن فكرة الوطنية والانتماء للعراق مطروحة عند حزب الدعوة، ذلك أن التوجه السائد للأحزاب الدينية السنية والشيعية هو التوجه الأممي المنادي بوحدة الأمة الإسلامية، ولهذا فكّر قادة الحزب في فتح فروع له في أفغانستان ودول أخرى[5]. وقد تعزز هذا الطرح بعد عام ١٩٧٩، ففي بداية الثورة الإيرانية تحول نداء المعارضة الشيعية العراقية من المطالبة بالمشاركة في الحكم إلى هتاف للخميني وإلى قيام الجمهورية الإسلامية في العراق، وإلى فتوى علمائية بتحريم العضوية في حزب البعث[6]. وأصبح باقر الصدر يتكلم وكأنه متحدث باسم الخميني في العراق ويجاهر بالولاء للثورة الإيرانية، ويذكر الخميني على أنه ولي أمر المسلمين في كل مكان[7].

وما يؤكد هذا الاستنتاج موقف قيادات الأحزاب الشيعية حينها من التيارات الإسلامية السنية، فقد كانت مشاركة الشيعة محدودة في حزبي الإخوان المسلمين والتحرير ذوي الأكثرية سنية التي تكاد تكون مطلقة[8].

وفي تاريخ الحركة الإسلامية الشيعية العراقية فإنّ جلّ التنظيمات الشيعية كانت منغلقة على نفسها، والمبادرات القليلة في هذا المجال التي حاولت تجاوز الإطار الطائفي لم تستطع ذلك، فطالب الرّفاعي الذي كانت له صلة بحزب التحرير والإخوان المسلمين؛ وهما من التنظيمات السنية مع إقراره باتصالاته الوثيقة بهما إلا أنه نفى أن يكون عضوا فاعلا بحزب يقوم على غير الفكر الذي يعتقده ويتبناه (الفكر السياسي الإمامي)[9].

ويبدو أن انضمام شيعة -يضيف رشيد الخيون- إلى أحزاب سنية دينية كان فيه نوع من المكابرة، أو تجاوز على الواقع إلى الأخذ بالدعاية الحزبية، وإلا فالاختلاف الديني والسياسي بين الشيعة والسنة أكبر بكثير من تلك المحاولات الفردية، ألا وهو اختلاف الإمامة، وبالتالي الاختلاف في العقيدة السياسية، فالإمامة والعدل هما الأصلان السياسيان اللذان يميزان الشيعة عن السنة، وتُبنى عليهما فكرة الدولة، ويرتبط لدى المرجعية التقليدية تطبيقهما بصاحبهما وهو الإمام المهدي المنتظر، صاحب الأمر[10].

الشيعة والاحتلال الأمريكي: مغالطات ومفارقات

يجعل الشيعة من سياسات نظام صدام حسين مبررا لأنشطتهم المعارضة التي انتهت بالإطاحة به من فوق الدبابة الأمريكية، وهذه القراءة فيها الكثير من المغالطات

(١) رسول جعفريان، مرجع سابق، ص ١٣٩.
(٢) كمال ديب، مرجع سابق، ص ٩٣.
(٣) عدنان عليان، مرجع سابق، ص ٤٨٤.
(٤) كمال ديب، مرجع سابق، ص ٩٣.
(٥) رسول جعفريان، مرجع سابق، ص ١٤٠.
(٦) كمال ديب، مرجع سابق، ص ١٧٥.
(٧) المرجع نفسه، ص ١٧٤.
(٨) عدنان عليان، مرجع سابق، ص ٤٨٤.
(٩) رشيد الخيون، ١٠٠ عام من الإسلام السياسي بالعراق الجزء الأول الشيعة، دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط١، ماي ٢٠١١، ص ١٨٠- ١٨١.
(١٠) المرجع نفسه، ص ٢١١.

والمفارقات التي يجب الوقوف عندها. وبالنسبة للأولى فتتمثل أهمّها في:

المغالطة الأولى: لم يكن الشيعة المتضرر الوحيد من ديكتاتورية صدام حسين، فكل معارض لنظامه - بغضّ النظر عن خلفيته الدينية والإثنية- تضرر من تلك السياسات، حتى شاع عنه أنه كان عادلا في توزيع ظلمه. فهو كما أعدم أفرادا من عائلة المرجع الديني الحكيم، ومحمد باقر الصدر، أعدم علماء من السنة أيضا كجماعة المهندس فائز الزيدي سنة ١٩٩٠، والشيخ محمود سعيدة، والشيخ تلعة كاظم الجنابي، وغيرهم من أتباع التيار السلفي[١]، وأصدر حكما بالإعدام على كل من ينتمي للوهابية سنة ٢٠٠١، هذا فضلا عن آلاف المعتقلين من السنة، كما أنه لم يستحضر الخلفية الدينية للأكراد «السنة» في حروبه معهم، وبذلك فإن الحديث عن مظلومية شيعية مغالطة تنفي المظلومية العراقية بل حتى العربية أو الكويتية على الأقل.

المغالطة الثانية: لم تكن منطلقات الشيعة وطنية تهدف إلى تعميم الحقوق السياسية، وإنما انحصرت في ما يعتبرونه حقوقهم، وقد سبق الإشارة إلى تموضع الشيعة داخل طائفتهم وتحديد الولاء بناء على الانتماء الشيعي، كما كانت مطالب قادة الشيعة من حكومة البعث تركز على القرارات ذات البعد الشيعي الطائفي على غرار إلغاء قانون الأحوال الشخصية، ومنح الشيعة تمثيلا حقيقيا وكاملا في السلطة[٢].

أما بالنسبة للمفارقات فقد تجلّت عقب الاحتلال الأمريكي ويتمثل أهمها فيما يلي:

المفارقة الأولى: يعيب الشيعة على الحكم الملكي، والجمهوري خاصة في نسخته البعثية، إقصاءهم وتهميشهم، وإضعاف البلد، وغيرها من العناوين التي تداولوها في عقود المعارضة، غير أنهم لما أتيحت لهم الفرصة مارسوا كل ذلك حتى قبل استحواذهم على السلطة، فقد انصبّ اهتمام القوى الشيعية على إسقاط نظام صدام حسين وما يحصلونه لطائفتهم دون الاكتراث للوطن وبقية مكوناته، وتعاملوا مع الاحتلال الأمريكي بمنطق المكاسب لصالح الحزب أولا، والشيعة ثانيا، أما العراق فلم يكن واردا في حساباتهم، وقد تجلى ذلك في دعم الغزو الأمريكي، واستحواذهم على السلطة بدايةً بمجلس الحكم، فمِن بين الـ ٢٥ عضوية المكونة للمجلس ذهبت حصة الأسد للشيعة ممثلة في ١٤ عضوية[٣].

وبدل السعي إلى التوافق مع القوى المعارضة قبل إجراء الانتخابات انشغل الشيعة بالطريقة المناسبة لضمان سيطرتهم على السلطة بترك خلافاتهم الداخلية والتوحد في مواجهة القوى الأخرى وذلك بتوجيه من مرجعية السيستاني -بحكم موقعه الديني يعتبر توجيهه أمرا- ففي أول انتخابات في ظل الاحتلال أيضا والتي فاز فيها التحالف العراقي الموحد الذي يدعمه المرجع علي السيستاني بنسبة ٤٨ ٪ من الأصوات، مع أنها واجهت مقاطعة حادة من السنّة العرب ما أفقد نتائجها الشرعية الشعبية، حيث كانت نسبة المشاركة ٢ ٪ من الناخبين في محافظة الأنبار ذات الأغلبية السنية العربية[٤].

وفي الاستفتاء الشعبي على الدستور الجديد الذي جرى يوم ١٥ أكتوبر ٢٠٠٥ والذي وافق عليه ٨٢ ٪ من المشاركين إلا أنه في التفصيل بينما كانت الموافقة طاغية على الشيعة والأكراد، كان الرفض طاغيا في صفوف العرب السنة[٥]. كما أن العنف والترهيب اللذين سادا المناطق السنية جاءا بنتائج مشوهة وغير ممثلة للمجتمع، وقد مهد هذا المسرح إلى استبعاد السنة العرب بصورة مؤسساتية عن السلطة، ولغيابهم عن الجهاز التشريعي فإنه لم يتسنّ لهم المشاركة في صياغة دستور دائم للبلاد[٦].

والخلفيات الطائفية هي المحدد الأساسي لسياسات الحكومات الشيعية المتعاقبة منذ الاحتلال الأمريكي، ومن أسباب الاحتجاجات التي عرفتها البلاد في صيف ٢٠١٦ دأب الحكومات المتعاقبة على اتباع سياسة توظيف مكثفة؛ اعتمدتها كأداة من أدوات السيطرة على المجتمع، ما جعل الدولة المشغّل الأول في البلاد. ولكن انهيار أسعار النفط جعلها عاجزة عن الاستمرار في دفع رواتب ما يزيد على ٦ ملايين موظف، يمثلون ٤٥ ٪ من القوة العاملة في البلاد، ما أدى إلى اندلاع الحركة الاحتجاجية[٧].

المفارقة الثانية: رفع الشيعة شعارات الوطنية لتأكيد

(١) يحيى الكبيسي، السلفية في العراق: تقلبات الداخل وتجاذبات الخارج، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣/٠٥/٠٦، ص ٦.

(٢) كمال ديب، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٣) كمال ديب، مرجع سابق، ص ٥٠٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ٥٠٨.

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٠٩.

(٦) مجموعة الأزمات الدولية، العراق بعد الحشد العسكري ٢: الحاجة لاستراتيجية سياسية جديدة، مجموعة الأزمات الدولية، تقرير الشرق الأوسط رقم ٧٥ ، ٢٠٠٨/٠٤/٣٠، ص ١٤.

(٧) وحدة تحليل السياسات، العراق: احتجاجات مطلبية تحولت صراعا داخل بيت السلطة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أغسطس ٢٠١٦، ص ٢.

انتمائهم العابر للطائفة، غير أن الممارسة العملية تفند كل ذلك، فالتعايش لقرون طويلة في المجتمع العراقي لم يكفِ لقيام تنظيمات دينية خارج الأطر الطائفية - وهو ما شهدته مرحلة ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق حيث وجهت مرجعية السيستاني بتشكيل الائتلاف الشيعي، ولا زالت الاعتبارات الطائفية هي المحرك الأساسي للأحزاب الشيعية، كما سبق الإشارة.

المفارقة الثالثة: تحجج الشيعة بممارسات النظام ضدهم لانتهاج العمل المسلح، والذي كان يصفه نظام صدام بالإرهابي على غرار محاولة أعضاء من حزب الدعوة في أبريل ١٩٨٠ اغتيال طارق عزيز، نائب رئيس مجلس الوزراء، ووزير الإعلام لطيف نصيف في أبريل ١٩٨٢، ومحاولة اغتيال عدي ابن صدام حسين في يناير ١٩٩٦، وغيرها من الأعمال الإرهابية التي قام بها الحزب، وبعد استحواذهم على السلطة مارسوا نفس الأساليب مع القوى المعارضة، والتي ليس آخرها ما قام به نوري المالكي بحق المعتصمين بمحافظة الأنبار في صيف ٢٠١٤، واتهامهم بالإرهاب، وسياسات التهجير التي مارستها قبل ذلك المليشيات الشيعية، وعلى رأسها فيلق بدر التابع للمجلس الأعلى، وجيش المهدى التابع لمقتدى الصدر.

المفارقة الرابعة: استهجن الكثيرون تلك الازدواجية في الطرح الأمريكي والغربي، التي تقسم المجتمع العراقي إلى سنة وشيعة وأكراد، حيث تقتضي الموضوعية تقسيمه إلى أكراد وعرب، ولكن في المقابل فإن السلوك السياسي للشيعة لم يشذ عن هذا التقسيم، وهذا ما جسده دستور المحاصصة الطائفية، الذي يعتبر الشيعة أنفسهم صانعيه بقرارهم على عكس رغبة المحتل الأمريكي؛ حيث انطلقوا من الإحصائيات التي يعتبرون أنفسهم فيها أغلبية مقابل السنة دون احتساب الأكراد بصفتهم سنة أيضا، ذلك لأنه عند الجمع بين النسبتين يصبح الفرق بسيطا جدا لا يصلح معه الحديث عن أغلبية وأقلية، خاصة في ظل وجود قراءات أخرى تؤكد هشاشة أطروحة الأغلبية الشيعية من الأساس؛ وذلك بالاستناد على معطيات جديدة تتعلق بالانتخابات البرلمانية التي جرت في ٢٠١٢ ونسبة المهجّرين من المحافظات السنية، والتي تؤكد أن العرب السنة لوحدهم يشكلون بين ٣٢ إلى ٣٥ ٪ من المجتمع العراقي دون احتساب الأكراد[١].

المفارقة الخامسة: وضع الحكومة العراقية الحالية شبيه إلى حد كبير بوضع الحكومات الملكية إبان الاحتلال البريطاني للعراق في عشرينيات القرن الماضي ونفوذها فيه الذي استمر إلى غاية الخمسينيات، وبينما يفاخر الشيعة بثوراتهم في تلك المرحلة ويدينون السنة الذين احتكروا السلطة حينها؛ فإنهم يقومون بالسلوكيات نفسها بل أسوأ من ذلك بكثير باعتمادهم على مليشيات مسلحة من فيلق بدر وجيش المهدي إلى الحشد الشعبي (الشيعي).

والأسوأ في الحالة الشيعية الحضور الإيراني، فقد استطاعت الأحزاب العراقية العائدة من إيران إعادة ترتيب أوضاع العراق الجديد بدعم معنوي من المرجعية في النجف وإسناد لوجستي من قبل إيران[٢]. والمفارقة في هذا السياق أنه بينما يدلل على وطنية الشيعة في العراق بقتالهم في صفوف جيش صدام ضد إيران، هذه الأخيرة التي كان يقاتل إلى جانبها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق والذي تحول بعد الاحتلال الأمريكي إلى أحد أبرز الفاعلين في العملية السياسية، وقام في ٢٠٠٧ بحذف كلمة «ثورة» من اسمه فصار «المجلس الأعلى الإسلامي العراقي»، ونقل ولائه من المرشد الأعلى للثورة الإيرانية في طهران علي خامنئي إلى علي السيستاني في النجف، وإن كان الواقع والمنطق ينفيان فك الحزب ارتباطه السياسي بإيران وأن ما جرى لا يعدو أن يكون إجراء شكليا لتجنب الإحراج[٣].

المفارقة السادسة: بينما كانت السلطة السياسية في المرحلتين الملكية والجمهورية المحسوبة على السنة في غالبها علمانية، واعتبرت سياساتها مع ذلك طائفية، فإنه في حالة السلطة الشيعية لا جدال بأن الأحزاب الحاكمة كلها دينية، سواء حزب الدعوة أو المجلس الأعلى أو التيار الصدري، ومدعومة من مرجعية النجف، ما يقطع بتمثيلها للشيعة جملة وتفصيلا.

---

(١) لتفاصيل أكثر ينظر: سمير الصالحي، حقائق جديدة عن نسبة السنة في العراق (الشمس لا تغطى بالغربال)، مجلة الراصد، العدد ١٥٨، ٢٠١٦/٠٨/٠١، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no7483

(٢) رسول جعفريان، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٣) مجموعة الأزمات الدولية، سياسات الشيعة في العراق: دور المجلس الأعلى، مجموعة الأزمات الدولية، تقرير الشرق الأوسط رقم ٧٠، بتاريخ ٢٠٠٧/١١/١٥، ص ١.

من هو عدوّنا في إيران؟

عرض أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

«من هو عدونا في إيران؟» هذا عنوان كتاب جديد للدكتور زياد الدريس، المندوب السعودي السابق بمنظمة اليونسكو العالمية، وصدر عن دار مدارك سنة ٢٠١٦، وقد جمع فيه عدةَ مقالات قصيرة له حول إيران، ولخلفيته الثقافية والدبلوماسية حوت هذه الصفحات التي لم تتجاوز فعليا ٧٥ صفحة نظرات ثاقبة وتحليلات ذكية، ولذلك جعل د. الدريس للكتاب عنوانا فرعيا «سؤال ثقافي مسيّس»، حيث دارت مقالاته على ثلاثة محاور هي:

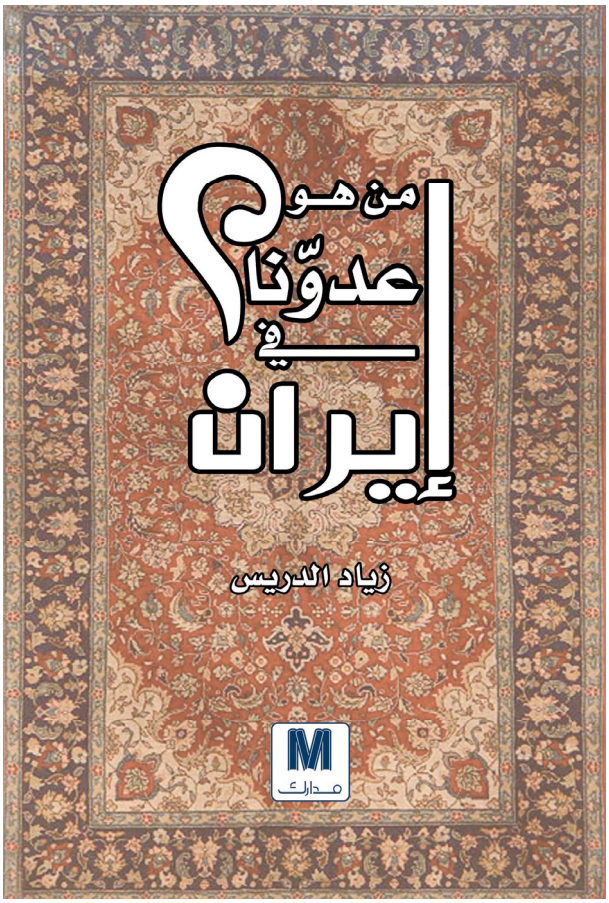

الهويات المتناقضة لإيران، والتوظيف الذكي / الخبيث للإعلام لصالح ثورتها، وحقيقة تلاعبها مع الشيطان الأكبر.

عنوان الكتاب «من هو عدونا في إيران؟» هو سؤال مطروح في أوساط الرافضين للمشروع الإيراني، فهل إيران دولة فارسية أم دولة إسلامية؟ فبينما يقطع العرب غالبا بين مرحلة ما قبل الإسلام وهي مرحلة الجاهلية، فإن النظام الإيراني يعمل على استحضار التاريخ الفارسي المضاد للإسلام! بخلاف دولة مثل مصر كان لها حضارة مخالفة للإسلام لكنها تركتها ولم تحفل بها على طريقة إيران والملالي!

يرى المؤلف أن إيران تلعب بورقة الفارسية وحضارتها وبطشها مع العرب، وتلعب بورقة الإسلام مع الغرب، وأن هذا يحيّر العرب فهم لا يعرفون هل هم يواجهون

(*) كاتب أردني.

مـدّ التـشيع أم زحـف الفارسـية؟ ويـترك المؤلـف الـسؤال مفتوحـا، ويـضيف أن شـيعة العـرب حـائرون: هـل يقفـون مـع إيـران بوصـفها حاميـة للمـذهب الـشيعي أم يقفـون معهـا بوصـفها «فـارس» المهـددة للـسيادة العربيـة؟ ولـو تـساءلنا عـن حقيقـة المحـرك لحـزب الله اللبنـاني والمليـشيات الـشيعية العراقيـة والحـوثيين ضـد مـواطنيهم هـل هـو النزعـة الفارسـية أم الطائفيـة الشيعية، فماذا سيكون الجواب؟

مـن هنـا يـصف الإسـلاميون المـشروعَ الإيرانـي بالمـشروع الطـائفي الـذي يعمـل علـى تـصدير الثـورة وولايـة الفقيـه، وأحيانـا يلجـؤون لوصـفه بالمـشروع الـصفوي لـدرء حـساسية الأقليـة الـشيعية العربيـة بينمـا يفـضّل الليبراليـون وصـفه بالمـشروع الفارسـي، وعلمنـة الـصراع معهـا، رغـم أنهـم يـستخدمون مـصطلحات مـن مثـل عمـائم قـم وحكـم الملالـي. ولـذلك يـرى المؤلـف أنـه مـن المرفـوض مـا يقـوم بـه متطرفـو الـشيعة العـرب الـذين يفـضلون «الكونفيديرانيـة» علـى الكونفيديراليـة الخليجية.

مـن مظـاهر تنـاقض الهويـات يرصـد الـدريس تـداخل الطقـوس المـسيحية في مراسـم التـشيع، فالثـالوث المـسيحي (الـرب والعـذراء والمـسيح)، يقابلـه - شـيعيًا- علـي وفاطمـة والحـسين، والـدم الرمـزي الـذي هـو النبيـذ الـذي يـشربه المـسيحيون يريقـه الـشيعة في عاشـوراء، بـل إن طقـوس عاشـوراء هـي تعـديل صـفوي علـى مراسـم مـسيحيي القفقـاس وأوربـا الـشرقية، وأضـاف شـيعةُ الهنـد عليهـا طقـس المشي على الجمر تأثرا بالهندوس!

أمـا في محـور الإعـلام وتثـويره فيـشير المؤلـف بدايـةً إلى انتهازيـة مؤسـسات حقـوق الإنـسان ووسـائل الإعـلام الغربيـة الـتي تغافلـت عـن كـل جـرائم وإرهـاب إيـران وتـثير دومـا الـشبهات والغبـار حـول المملكـة العربيـة الـسعودية لـصالح أجنـدات غربيـة، وحـديثًا نتيجة اختراقات إيرانية.

وحـول كيـف تم هـذا الاخـتراق الإيرانـي الإعلامـي، يقـول د. الـدريس إنـه تم بتجنيـد كـوادر إعلاميـة محترفـة إيرانيـة متعربـة أولا ثـم تجنيد كوادر إعلامية عربية «متأيرنة» ثانيا.

أمـا العلاقـة مـع الـشيطان الأكـبر فقـد انتقلـت مـن العـداء إلى حالـة مـن العلاقـة المحرمـة الـسرية، بينمـا العـرب غـافلون، ويلخّـص الـدريس خطـوات هـذا الانتقـال باسـتخدام ورقـة الثـورة مـع فـصائل التيـار اليـساري العـالمي، وورقـة الجمهوريـة مـع تيـار اليـمين الغربـي، وورقـة الدولـة المحافظـة مـع المتـدينين والمحـافظين في العـالم العربـي ومنـاطق آسـيا، وورقـة الحـضارة الفارسـية مـع الكـثير مـن المـثقفين والأكـاديميين، وورقـة التـشيع، حيـث وُظّفـت هـذه الأوراق علـى يـد كـوادر وكفـاءات إيرانيـة وغـير إيرانيـة قـادرة علـى التغلغـل في مراكـز صـنع القـرار والتـأثير علـى الرأي العام.

واسـتطاعت إيـران عـبر الأوراق الخمـس الـسابقة ثلـم سـكاكين الإعـلام الغربـي ضـدها، ثـم اسـتبدلتها بملاعـق اسـتثمارية مغريـة للغـرب بـدلا مـن شـركائه العـرب المضطربين!

وينبـه الـدريس إلى أن تعريـة سمعـة إيـران وبيـان حقيقتهـا البـشعة مهمـة وملحّـة ومطلوبـة، ولكنهـا لا تكفـي لتحـسين سمعتنـا، وكـأن المؤلـف يـشير لـضرورة تطـوير الواقـع العربـي، سياسـيا واقتـصاديا، وانتهـاج مـسلك الإصـلاح الحقيقـي حتـى يحترمنـا العـالم لذاتنا.

ويختتم المؤلف كتابه بإعادة تدوير السؤال المركزي: كيف نستطيع مقاومة عدو لم نحدد من هو؟ وما هو؟ ويقترح للحل انتهاج منهج خفي ومعلن، أما الخفي فهو سحب البساط من زعامتها الدينية المزعومة برفع راية الإسلام الشامل وليست الراية السنية مقابل الشيعية، ولا يشرح الكاتب مقصوده بطرح الإسلام الشامل، وهل الطرح الإسلامي الذي كان سائداً في العقود الماضية من جهات كالأزهر وجماعة الإخوان التي كانت توافق طرح إيران الديني بالوحدة الإسلامية والتقارب السني الشيعي هو المقصود؟ وهل كان هذا الطرح ناجحاً؟ أم أن الحساسية أو ضغط الثقافة العلمانية التي عايشها في روسيا لأخذ الدكتوراه وفي جنيف للعمل في اليونسكو هي التي جعلته يلجأ لمثل هذا الطرح الفضفاض الذي لا تتبدى معالمه، بخلاف توصيفه الواضح والدقيق والمفصل لآليات إيران في العمل والاختراق!

أما الحل المعلن عنده فهو مجابهة إيران علانيةً وبوضوح، من دون استدعاء الصراع التاريخي العربي / الفارسي، أو السني / الشيعي، بل الصراع المباشر مع إيران، الدولة التي لم تتوقف طوال أربعين سنة عن استغلال كل الشعارات والوسائل للتغلغل والاختراق في الدول المجاورة، ولعل هذا التوصيف هو ما يمارسه الآن، وبشكل ذكي ومحترف، وزير الخارجية السعودي عادل الجبير.

ختاماً؛ أعتقد أن هذا الكتاب خطوة صحيحة نحو تعامل ذكي وبنّاء مع إيران، وخروجا من دائرة الانخداع بشعارات إيران أو دائرة شتم وسبّ إيران، دون خطة عملية واقعية سياسيا وإعلاميا، وتوجد في الكتاب تفاصيل وهوامش نختلف معها أو نرفضها، لكن الفكرة العامة سليمة وصحيحة وتحتاج إلى تطوير وبناء، وهذه هي مهمة الباحثين الجادّين، فقد استنزفتنا كثيرا الجهود المكررة والمجزوءة لمقاومة إيران والتشيع، والباب مفتوح، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

هوية المجدّدين الحقيقية

قالوا: فمِن غير المقبول عقلا ونقلا أن يرفع رايةَ التجديد في الفكر الإسلامي من لا يلتزم أحكام الدين من صلاة وصيام وزكاة، ويحرّم ما أحل الله ورسوله، ويحلّ ما حرمه الله ورسوله، ولا يقدّس المقدس، ولا يقدر السلف الصالح من العلماء، وإن كانوا ليسوا معصومين، بل يؤخذ منهم ويردّ عليهم، وهذا ما نقوله مرارا وتكرارا، لكن التطاول عليهم جريمة غير مقبولة عند أهل العلم.

وكيل الأزهر

عباس شومان – ٢٠١٧/٣/١٥

حقيقة خطاب الجولاني

قالوا: إنهم يخاطبون المجتمع الدولي بلغة لبيب النحاس، ويخاطبون الفصائل بلغة العدناني!

متعب اليامي،

تغريدة على تويتر

باختصار

قالوا: القصة وما فيها أن النظام عرَض على مجاهدي الغوطة والقابون إخراجهم بالباصات الخضر فالشباب راحوا على الكراجات مشي!

مروان القاضي،

تغريدة على تويتر

خلل الخطاب النسوي

قالوا: نسونة مواقف عائشة كنسبة أبي ذر للاشتراكية، وعائشة التي يؤخذ اعتراضها على قطع المرأة للصلاة، لا يؤخذ نهيها عن مدافعة الرجال في الطواف! انتقائية.

ملاك الجهني،

تغريدة على تويتر

مفارقة عجيبة!

قالوا: لو تأخر ردّ النظام السوري على أهل سوريا كما تأخر عن الرد على غارات إسرائيل لكان الشعب السوري بألف خير اليوم ويسابق تل أبيب بالتطور.

جيري ماهر،

تغريدة على تويتر

فزاعة داعش

قالوا: النظام الإيراني يعمل على الترويج لمصطلح «الإسلام الداعشي» في الغرب وربطه بالدول العربيّة.

د. سلطان النعيمي،

حساب فرسان الإمارات،

تغريدة على تويتر

إرهاب مدلل

قالوا: المقرّرة الخاصة لحقوق الإنسان للأمم المتحدة يانغهي لي قالت إنها تتلقى تهديدات بالقتل.

والتي تعد تقارير للأمم المتحدة عن ذبح المسلمين، وإطلاق النيران على المدنيين من قبل العسكريين دون تمييز، وإضرام النيران في المنازل بعد ربط الناس فيها، وإلقاء الأطفال الصغار في النيران، والاغتصابات والعنف الجنسي، إلى الرأي

العـام، وقالـت إن حكومـة ميانمـار خصـصت لهـا حارسا خاصا.

تجـدر الإشـارة إلى أن المقـررة اعتـبرت مـا تعـرض لها مسلمو أركـان من قبل الجيش والشرطة «جريمة ضـد الإنـسانية»، ودعـت إلى تـشكيل تحقيـق دولـي سريع ومفصل وحيادي.

وكالة الأناضول،

٢٠١٧/٣/١٥

الحقيقة

قـالوا: أكـبر الـرابحين مـن دعـوات الحـوار هـي إيـران، إن تم فستـستغله للاسـتمرار في سياسـتها التوسـعية، وإن لم يـتم فيكفيهـا تـسويق نفـسها بأنهـا دولة مسالمة ووديعة.

سلمان الدوسري،

تغريدة على تويتر

طائفية حتى في الإغاثة!

قـالوا: الحكومـة العراقيّـة قايـضت مـساعدة النـازحين بـدعم مقابـل لمليـشيا الحـشد الـشعبي الشيعي.

د. يحيى الكبيسي،

حساب مركز أخبار العراق،

تغريدة على تويتر

موازين مائلة

قـالوا: الأمـم المتحـدة الـتي طالبـت بوقـف معركـة دمـشق خوفـا علـى المـدنيين لم تطالـب بـذلك طيلـة الـسنوات الماضـية الـتي لم يتوقـف فيهـا الطـيران عـن إلقاء البراميل.

بسام جعارة،

تغريدة على تويتر

ستارة دخان!

قـالوا: كلمـا نـشط الثـوار في العاصـمة وحولهـا تحركـت إسـرائيل فقـصفت أهـدافا للنظـام لتكـسب نظـام ممانعـة الـزور شـرعية ولتحُـول دون وقـوع أي سلاح نوعي بيد الثوار.

د. حذيفة عبد الله عزام،

تغريدة على تويتر

للأسف هم يقودون بعض الجماعات أيضا

قـالوا: طبيعـي أن يتواجـد غوغـاء بـين جماعـات إسـلامية لكـن المـصيبة لمّـا يقـود هـذه الجماعـات غوغـائيون يمتلكـون القـوة، وبهـا يفرضـون غوغائيتهم على أنها هي الإسلام.

أنور مالك،

تغريدة على تويتر

يافا تموت

قـالوا: قبـل النكبـة، كـان عـدد سـكّان يافـا العـرب يقـارب مائـة وعـشرين ألـف نـسمة، ويـشمل ذلـك سـكّان القـرى الخمـس والعـشرين المحيطـة بالمدينـة الرئيـسيّة. أمّـا بعـدها، فلـم يتبـقَّ إلا نحـو أربعـة آلاف تركّـزوا في حـيّ العجمـي المـشهور. واليـوم، هـم نحـو عـشرين ألفـاً يتوزّعـون في أحيائهـا، وأبرزهـا العجمـي والجبليّة والنزهة.

رامي صايغ –

العربي الجديد ٢٠١٧/٣/١٠

خبث أصيل!

قـالوا: إيـران تفـرض عقوبـات علـى ١٥ شـركة أمريكيـة، طبعـا الخـبر مـضحك جـداً، لكـن تخيّلـوا أنّ واحـدة مـن الـشركات المدرجـة علـى اللائحـة كانـت قـد أغلقـت في منتـصف الـسبعينيات مـن القـرن الماضي بعد أن اعلنت إفلاسها!!

علي باكير،

صفحته الفيس بوك

وزارة الشؤون الدينية أصبحت ملحقة بوزارة التربية

نسرين مومن – موقع الحوار ٢٠١٧/٣/١٥

أكدت الدكتورة الأخصائية في علم النفس المدرسي واللغوي مليكة قريفو بودالية في حديث جمعها بـ «الحوار» أن الكتاتيب لا يمكن أن تؤدي في يوم من الأيام دور المدارس التحضيرية، معتبرة تدخل وزيرة التربية الوطنية نورية بن غبريط فيها حاليا جرأة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الكتاتيب الذي يعود إلى ١٤٠٠ سنة، محملة إياها ونظيرها وزير الشؤون الدينية محمد عيسى مسؤولية ما قد ينجر عن هذا القرار الخطير على الأطفال وعلى الموروث الثقافي والديني للجزائر، ورفعت النقاب في معرض حديثها عن «مخطط» قديم يستهدف اللغة العربية انطلقت بوادره بالمدرسة العمومية وسينتهي بالكتاتيب.

– أثار موضوع تأميم المدارس القرآنية من قبل وزارة التربية الوطنية الكثير من الجدل مؤخرا، وهذا بعد حديث الوزيرة عن دفتر شروط خاص ودليل للأساتذة هم بصدد تحضيره.. ما تعليقكم على ذلك؟

جذور هذه الفكرة بعيدة وليست وليدة اليوم، وإنما وصلت اليوم للخاتمة، حيث أن فكرة تحويل الكتّاب انطلقت في حدود ١٩٨٠، ويظهر ذلك جليا عندما نرى أن الوزراء المتعاقبين على حقيبة الشؤون الدينية كانوا مفتشين بقطاع التربية، وأدخلوا معهم نمط التربية إلى القطاع والذي انعكس على واقع الكتاتيب، فمنذ ١٤٠٠ سنة ولا مرة جاء أي مسؤول وتحدث عن تحويل الكتّاب، ما عدا نورية بن غبريط وزيرة التربية التي تجرأت على ذلك.

وجرأة وزيرة التربية الحالية ليست جديدة لأنها نابعة من مخطط عمره ٣٠ سنة، والذي يهدف إلى تحويل اللغة العربية البسيطة إلى الكتاتيب بعد أن فشلوا في تحطيم الشعب الجزائري وضربه في لغته العربية من خلال إقرار لغة بسيطة جدا بالمؤسسات التربوية، وكان من يستهدف التعليم في الجزائر يظن أن ٥٠ سنة تكون كافية لذلك، إلا أنهم وجدوا نخبة تتقن العربية، وعندما حققوا في الموضوع تفطنوا إلى الدور الذي تلعبه الكتاتيب في الحفاظ على اللسان العربي، فوجّهوا أهدافهم هذه المرّة صوبه من أجل إدخال لغة عربية بسيطة عبر مشروع التربية الوطنية، علما أن من يحفظ القرآن الكريم له رصيد قوي ومفردات ثرية ويعتمد على التفكير المركب.

– تحصلت «الحوار» على نسخة من مراسلة رسمية من الوزير محمد عيسى لإحصاء المدارس أو الأقسام المرخصة لمباشرة التعليم التحضيري، بمعنى أن القرار نابع من وزيرة الشؤون الدينية.. فما تعليقك على ذلك؟

هناك اتفاق بين وزارة التربية الوطنية ووزارة الشؤون الدينية، فلطالما كانت هذه الأخيرة ملحقة لوزارة التربية، وكما أشرت سابقا كل الوزراء المتعاقبين على وزارة الشؤون الدينية كانوا مفتشين بقطاع التربية، ما عدا اثنين أو ثلاثة، وهؤلاء الثلاثة لم يعمروا كثيرا بحكم الاختلاف في التوجهات مع الأهداف المرجوة من المخطط القديم، وبالتالي فالوزارتان وجهان لعملة واحدة ويتحملان نفس المسؤولية.

ولكن يمكنني القول إن الوزير الحالي محمد عيسى بريء مما يحدث، لا لشيء إلا لكونه عندما جاء وجد المخطط قائما ووضع في الأمر الواقع الذي يرتبط ببرامج كثيرة وكبيرة لمن كان قبله من الوزراء.

– وزير الشؤون الدينية أكد في تصريح اليوم (أمس) أنه يرفض أي إصلاح للمدرسة القرآنية لا ينبع من أسرة التعليم القرآني ذاتها، فهل هذا ما نشهده في أرض الواقع وعلى الميدان؟

الوزير محمد عيسى هنا في تناقض تام إذا ما رأينا كل تصريحاته وتوجهاته الحالية، واستذكري في هذا السؤال عندما استدعيت مرة إلى أحد الزوايا ولم يتركني مفتش التعليم أتحدث بالمرة، وهذا ما يدل على حجم التطويق الذي كانت تمارسه وزارة التربية الوطنية بمعية وزارة الشؤون الدينية.

وهناك تجاوز في الصلاحيات اليوم من وزارة التربية

وحتى من وزارة الشؤون الدينية، إذن لا يمكن أن تعتبر الكتاتيب مدرسة قرآنية لأن القرآن لا يدرس وإنما يحفظ.

– هل تستطيع أن تكون المدارس القرآنية «تحضيرية» من حيث المحتوى طبعا؟

إذا قلنا مدارس قرآنية فقد اقتنعنا بمخطط وزارة التربية، وتسمية «المدارس القرآنية» ظهرت في ١٨٠٠ عندما لم تكن مدارس عمومية بالجزائر، أما في أوروبا فقد أنشئت مثلها أقطاب لاستمرار الثقافة بعيدا عن الكراريس والسيالات والسبورات.

و«الكتّاب» هي التسمية الصحيحة وليس «المدارس القرآنية» مثلما تريد لها وزارة التربية أن تكون، وإذا أدخلت التربية التحضيرية إليها فستفقد قيمتها ودورها المنوط بها، وبالتالي «لا يمكن أن تلعب الكتاتيب دور المدارس التحضيرية لأنها ستكرس القطيعة».

– تحدثتم في وقت سابق عن «مخطط» يستهدف المدارس القرآنية من أجل تطبيق خطة تخل بذكاء الأطفال، ما هي الغاية من ذلك؟

إذا تكلمنا عن الذكاء، فإن إدخال العربية البسيطة إلى الكتّاب سينعكس على الأطفال في عدد المفردات التي يستطيع استيعابها وتعلمها للتعبير عن ذكائه واستعمال التفكير المركب، لأن القرآن ليس لغة بسيطة، والطفل في الكتاب يتعلم اللغة المركبة ولغة البرهنة.

وكان الطفل قديما يبقى زمنا قصيرا لا يتجاوز ٣٠ دقيقة لحفظ القرآن، وهو ما يسمح له بعيش طفولته بالموازاة مع التعلم، ويتمكن من فهم الواقع من خلال التجربة، ويفهم الزمان والفضاء بنفسه، وليس بالتمارين مثلما نجده في مدرسة بن غبريط حاليا.

– كيف ترون دور المدرسة القرآنية في الحفاظ على الهوية الوطنية والمرجعية الدينية بالجزائر؟

الكتاتيب يجب أن تبقى كالسابق، ثم من قرر تغيير الكتاب اليوم؟، وأؤكد لكم أن هذا القرار غير جزائري، وهو مفروض علينا من الخارج، وهناك من يطبقه ممن ليسوا في مستوى المسؤولية، وعليهم رفع أيديهم عن الكتّاب، وليس عليهم احتكار الماضي الذي يمثله الكتاتيب، لكنه ليس من مركبات الحاضر وهو يخص أجدادنا.

والمسؤلون اليوم لا يحبون النقاش العلمي، وعليهم صون الإرث الذي تركه أجدادنا، لأنهم ليسوا في مستوى فهم الحضارة العظيمة التي مر بها أجدادنا.

إيران و"القاعدة"... الشراكة الفاسدة

حمد الكعبي – صحيفة الاتحاد ٢٠١٧/٣/١٥

ظل النظام الإيراني طيلة العقود الماضية يؤوي بعض قادة الإرهاب ورموز التطرف العالمي في أراضيه وعلى معسكراته لادخارهم واستخدامهم، وفقاً لمصلحة مليشياته وتحركاتهم وخططهم السوداء تجاه المنطقة ودول العالم جمعاء،

غير مبالين ولا مراعين لعهود ولا مواثيق، تجمع بينهم لغة سفك الدماء وانتهاك الحرمات وضرب استقرار وأمن الدول، سعياً لتحقيق الحلم المنشود والأمل المفقود في إعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية، التي حدّث عنها من لا ينطق عن الهوى، ﷺ، فقال: «إذا سقط كسرى فلا كسرى بعده»، إلا أن العنصرية والحقد الدفين والسباحة في سراب الوهم تدفعهم لزعزعة الأمن والسلم الدوليين. فمنذ فرار مسؤولي «القاعدة» وأعوانهم من أفغانستان بعد الهجوم الأميركي عليها هناك أصبحت إيران هي الحاضنة الآمنة لهم، والملاذ الذي ضمن لهم الاستمرار والانتشار، ووجدوا نبعاً دافقاً للتمويلات والسيولة التي تستخدم كرواتب للمرتزقة والإرهابيين، وثمناً لتنفيذ عمليات المجرمين.

وقد مرت «القاعدة» بعدة مراحل في علاقتها مع إيران من ضمنها مرحلة ما قبل ١١ سبتمبر، التي بدأت منذ ١٩٩٢، وكان المُنسّق حينها عماد مغنية وابن لادن، وذلك في بدايات تكوين هويّة وخريطة تنظيم «القاعدة» وعلاقاته مع التنظيمات الأخرى، واتسمت هذه المرحلة بعلاقة تبادل مصالح تكفل لتنظيم «القاعدة» استخدام الأراضي الإيرانية والأراضي التابعة للجماعات التي تنضوي تحت الإشراف الإيراني لتمرير الدعم المادي وعبور الأفراد. وبعد ذلك كانت مرحلة ما بعد أحداث سبتمبر التي ركزت على عملية الاحتواء والحماية والتوظيف من قبل إيران لتنظيم «القاعدة» ورموزه، فقد تعدّت مسألة العبور إلى الحماية وتوفير معسكرات وانطلاق بعض العمليات التي تستهدف دولاً من الأراضي الإيرانية بتنفيذ «قاعدي»، بالإضافة إلى إدماج أعضاء «القاعدة» في معسكرات تدريب، مثل معسكر «ساحل الروح» وهو الأشهر في نظامه العسكري.

والذي يتولى تدريب قيادات ميدانية لـ«حزب اللات».

كما شكل مقتل ابن لادن أيضاً مرحلة جديدة في العلاقات الإيرانية بـ«القاعدة» ورموزها، حيث تم تسريب قيادات من «القاعدة» إلى الدول المجاورة وغيرها، حاملين أجندة في بعض تفاصيلها مصالح لإيران، وذلك وفقاً لطبيعة الأعمال

التي نفذوها في تلك الأراضي. كما تستخدم إيران كذلك رموز «القاعدة» كورقة في بازار المقايضات والمساومات، وأحياناً للابتزاز والاستفزاز. وقد أثبتت وثائق منسوبة لزعيم «القاعدة» وجود تعاون لوجستي بين التنظيم وإيران. ووفقاً للوثائق التي أفرجت عنها أميركا بعد العثور عليها في منزل ابن لادن في مدينة «أبوت آباد» خلال عملية اغتياله، فإن تنظيم «القاعدة» قام بحماية المراقد الشيعية في العراق وسوريا مقابل منح طهران إياه ممراً آمناً لمراسلاته وأمواله، وملجأ يؤوي قادة التنظيم وعائلاتهم. وهكذا بعد نحو خمسة أعوام من مقتل زعيم «القاعدة» كشفت تلك الوثائق جانباً من علاقة التنظيم وإيران.

كما كشفت أيضاً أن النظام الإيراني يمتلك أوراق ضغط يمارسها على تنظيم «القاعدة» في سبيل تسخيره لخدمة أهدافه السياسية، كاستغلال نشاطه لإزعاج الأميركيين في العراق، كما تظهر هذه الوثائق، في المقابل، امتلاك التنظيم أيضاً أوراق ضغط فاوض بها الإيرانيين. ووفقاً للإدارة الأميركية، فإن هذه الوثائق عثر عليها في مايو ٢٠١١، أي في خضم جولات مفاوضات الملف النووي بين إيران والغرب. وإلى جانب تأكيدها نوعاً من ارتباط المصالح بين إيران و«القاعدة» فقد أثارت الوثائق تساؤلات عن حقيقة وجود تقاطع مصالح آخر بين إيران و«داعش»، وخصوصاً في العراق وسوريا، إذ تبرز أحاديث ميادين القتال في سوريا إحجاماً لحلفاء إيران عن مقاتلة التنظيم مقابل خوضهم قتالاً شرساً ضد فصائل المعارضة الأخرى.

إن علاقة إيران بتنظيم «القاعدة» هي علاقة أشبه أن تكون بـ«زواج متعة» أو «زواج مصلحة»، فالنظام الإيراني فتح أبوابه لقيادات التنظيم، على رغم الهوة العقائدية والفكرية الشاسعة بين الطرفين، وقدر عدد من تؤويهم إيران من قيادات التنظيم بنحو ٥٠٠ شخص، وعلى رغم جميع الأدلة والبراهين والاعترافات بالعلاقة الحميمة التي تجمع بين طهران و«القاعدة»، فإن النظام الإيراني ومليشياته لم يعترفوا بذلك، وظلوا يسعون للتمويه عليها، ومحاولة إلصاق التهم المنسوبة إليهم وجرائم «القاعدة» بأطراف أخرى كالمملكة العربية السعودية، تلك «الكذبة» والادعاءات التي تروج لها طهران للنيل من سمعة جيرانها وتشويه الصورة الحضارية والإنسانية التي تتمتع بها السعودية، فشتان بين من ينشر الخير في أرجاء العالم ومن يضطهد شعبه ويؤذي جاره ويؤوي الإرهابيين. وفي النهاية، وكما قال عز وجل «ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله»..فالحفر التي يحفرها النظام الإيراني، والعثرات التي يراكمها على طرق وسبل السلام في المنطقة، سيكون الوقوع فيها مآل الماكرين والمتآمرين، وستكون سبيلهم إلى الهاوية، بإذن الله.

رؤية نقدية حول مسودة الاستنتاجات لجنة مركز المرأة في الأمم المتحدة "التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير"

إعداد اللجنة الإسلامية الدولية للمرأة والطفل

يعقد حاليا في الأمم المتحدة الاجتماع الحادي والستين للجنة مركز المرأة، لمتابعة تطبيق وثيقة بكين (١٩٩٥)، بشكل أساس، وغيرها من الاتفاقيات والوثائق السابقة واللاحقة، مثل اتفاقية سيداو (القضاء على كافة اشكال التمييز ضد المرأة) (١٩٧٩م)، وأجندة ٢٠٣٠ للتنمية المستدامة (٢٠١٥)، وغيرها.

وتمثل الورقة التي نعرضها هنا رؤية نقدية للمسودة الصفرية؛ مسودة «الاستنتاجات المتفق عليها» المطروحة للنقاش في هذا الاجتماع، علمًا بأن الوفود الحكومية الإسلامية الممثلة في الاجتماع، تواجه ضغوطًا تمارسها الأمم المتحدة عليها لتمرير الوثيقة بالتوافق.

الاجتماع ينعقد في مبنى الأمم المتحدة في نيويورك بعنوان «التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير» Women's Economic Empowerment in the Changing World of Work ما بين ١٣ – ٢٤ مارس ٢٠١٧.

نص الورقة:

أولى الإسلام عناية خاصة بحقوق المرأة، في إطار التكامل والتوازن، وتوزيع الأدوار، لتحقيق الخير والسعادة والانسجام داخل الأسرة التي هي النواة للمجتمع السعيد. ومنح الحقوق الطبيعية للمرأة هو إضافة حقيقية للمجتمع الذي يتكون من عنصرين أساسيين هما (الذكر والأنثى). ومن ثم يؤكد على التكامل والتمايز بين الرجل والمرأة في المهام داخل الأسرة والمجتمع، والذي من شأنه تحقيق النهوض والتقدم للأمة بكافة شرائحها.

وقد ضمن الإسلام للمرأة حقوقاً طبيعية، داخل الأسرة والمجتمع، مثل حق الزوجة - ولو كانت ذات مال- في الإنفاق عليها بما يكفيها للطعام والشراب والمسكن والملبس والعلاج من الأمراض بقدر استطاعته يُسْرًا وعُسْرًا في غير إسراف ولا تقتير، على النحو الوارد تفصيلاً في الأحكام الشرعية[1]. حيث يعد الإنفاق واجبا على الزوج

(١) ميثاق الأسرة في الإسلام، المادة (٧٠) «حق النفقة»، المذكرة التفسيرية، ص ٢١٥.

ضمن مسؤوليات القوامة التي فرضها الله تعالى عليه في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. وفي الحديث الشريف «..وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»[حديث صحيح، رواه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجة].

وهذه الحقوق مكفولة للمرأة في جميع أطوارها، فهي مكفولة من أبيها وأخيها إن كانت دون زوج، ومن زوجها إن تزوجت، وإن عُدموا جميعا فعلى العصبة من أهلها، وعلى الدولة كفالتها بما يسد حاجتها. فحقها فيما يسمى الآن «ضمانا إجتماعيا» هو واجب على الدولة دون النظر لوضعها في سوق العمل.

كما أن عمل المرأة خارج بيتها في نظر الإسلام أمر مباح أصلاً، وهو ليس غاية في ذاته، ولكنه وسيلة لتحقيق مصلحة ما تحتاجها الأسرة أو يحتاجها المجتمع، بما يتناسب مع طبيعتها وفطرتها. وليس من الفطرة المطالبة بالتساوي المطلق في فرص العمل بين الرجل والمرأة؛ نظرا للاختلاف الخِلْقي والنفسي فيما بينهما. بل إن ذلك التساوي المطلق غير المحدد هو ظلمٌ لأحدهما أو كليهما.

وإذ تطرح لجنة مركز المرأة في جلستها الواحد والستين (١٣ مارس ٢٠١٧) للنقاش مسودة الاستنتاجات المتفق عليها بعنوان: **«التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير Women's Economic Empowerment in the Changing World of Work»**، فإنه برغم اشتمال المسودة على بعض الأمور الإيجابية مثل، المساواة في الأجر لنفس العمل، وتأمين شروط العمل العادلة لعاملات المنازل، وتأمين الضمان الاجتماعي والحد الأدنى للأجور لعاملات المنازل وغيرهن من العاملات بشكل غير رسمي وصاحبات المشاريع الإنتاجية الصغيرة والمتوسطة، وتأمين حق المرأة العاملة في إجازة الأمومة، وتأمين مرافق للعناية بالأطفال، وتأمين الظروف الملائمة للعمل للأشخاص ذوي المسؤوليات العائلية، وصاحبات الاحتياجات الخاصة، واللاجئات، ومنع الإساءة للمرأة في بيئة العمل.

إلا أن الخطورة تكمن في إصرار هذه المسودة – كسابقاتها – وبدعوى الحفاظ على حقوق المرأة، على تقديم تلك الحقوق ضمن منظومة متفردة من المفاهيم لا تراعي الاختلافات الثقافية والأيدولوجية لمختلف البلدان والمناطق، وهو ما يؤدي إلى استحالة تطبيقها بسبب رفض الكثير من الشعوب والحكومات لها.

وفي هذا المجال نورد أهم الملاحظات على الوثيقة والتي تتكرر في أغلب الوثائق الصادرة عن هيئات الأمم المتحدة المختلفة:

❖ **المطالبة بالتطبيق الكامل للاتفاقيات والمواثيق السابقة مع التأكيد على رفع التحفظات**[1]، خاصة اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة والبروتوكول الملحق بها، ومنهاج عمل بيجين، ومخرجات الجلسات السابقة للجنة مركز المرأة، وجدول أعمال التنمية المستدامة بحلول العام ٢٠٣٠، وإعلان نيويورك لشؤون المهاجرين واللاجئين، والإصرار على اعتبارها إطاراً قانونياً دولياً[2]، برغم تضمنها جميعا لكثير من البنود التي تخالف تشريعات الدول ومعتقدات وثقافات شعوبها، والعديد من التحفظات التي سجلتها الحكومات عند التوقيع عليها. وهو ما يشكل استهانة بإرادة الشعوب ورفضاً للتنوع الثقافي الطبيعي وسعياً لإرساء ثقافة بعينها عوضاً عن السعي لتأمين الحقوق في مختلف المجتمعات.

❖ **تمحور الوثيقة حول منظومة «الجندر (النوع) Gender»**: حيث تكرر ذكر المصطلح في الوثيقة (المكونة من ٦ صفحات) ١٦ مرة! رغم أن العنوان الأساس للوثيقة هو «التمكين الاقتصادي للمرأة Women's empowerment»، وهذا المصطلح يتضمن الاعتراف بالشذوذ الجنسي، ومساواة الشواذ جنسيا بالأسوياء. ويتعدى ما يُشاع بأنه محاولة لتحديد الأدوار والمسؤوليات والمعوقات لكل من المرأة والرجل.

وهذا الأمر واضح في مختلف وثائق الأمم المتحدة، حيث يعرِّف «دليل تنسيق تداخلات العنف القائم على النوع الاجتماعي في الأوضاع الإنسانية» الصادر عن «اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات Inter-Agency Standing Committee (IASC)» التابعة للأمم المتحدة؛ مصطلح «الهوية الجندرية Gender Identity» بأنه: «يشير إلى تجربة الشعور الداخلي العميق والفردي لكل شخص حول النوع، والتي قد تتوافق أو لا تتوافق مع الجنس الذي نسب إليه عند الولادة. وهي تتضمن إحساس الشخص بالجسد (الذي قد يتضمن، إذا أُختير بحرية، تعديل المظهر الجسدي أو الوظيفي بوسائل طبية أو جراحية أو وسائل أخرى) وغيرها من التعبيرات عن النوع، بما في ذلك اللباس والكلام والسلوك»[3].

وبالتالي فإن نوع الإنسان – وفقا لذلك التعريف- أمر متغير ومتوقف على شعوره واختياره! وفي حين يشمل «الجنس» الذكر والأنثى، فإن «الجندر» يشمل كل الأنواع (الرجل، والمرأة، والشواذ بأنواعهم). وبالتالي فإن مساواة

---

(١) مسودة الاستنتاجات المتفق عليها، البند (١٣- a).

(٢) البنود (١- ٢- ٣- ٤- ٥- ٦- ١١- ١٣- a» والفقرات «١٣- t»)

(٣) Guidelines for Integrating Gender-Based Violence Interventions in Humanitarian Action ANNEX2, PAGE 319 ((موقع IASC: https://interagencystandingcommittee.org/ &

الجندر (النوع)، تشمل مساواة كل الانواع!

❖ الإصرار على إقحام مصطلح «الحقوق الجنسية والإنجابية» sexual and reproductive rights في المسودة رغم اختلاف السياق[١]:

من المعلوم أن «الحقوق الجنسية والإنجابية» تتضمن إباحة الإجهاض وإعطاء المراهقات الحق في ممارسة النشاط الجنسي خارج إطار الزواج سواء كانت ممارسة طبيعية أو شاذة، وتأمين المعلومات الكافية لهن وأيضا وسائل منع الحمل[٢]. في حين يتم التشديد على منع الزواج الشرعي قبل عمر ١٨ سنة، ومساواته بالزواج القسري[٣] الذي يتم فيه إجبار المرأة على الزواج بغير إرادتها وهو أمر مرفوض شرعا وبه يبطل الزواج.

كما أن التحديد الأممي لسن الطفولة حتى الـ ١٨ عاماً مخالفاً للشريعة الإسلامية، فالطفولة تنتهي بالبلوغ. واللافت للانتباه، تجريم الزواج تحت سن الـ ١٨، وفي نفس الوقت إباحة الزنا في نفس تلك السن! ولم يقف تجريم الزواج حتى سن الـ ١٨، بل تجري محاولة تعدي تلك السن عن طريق النص على منع: «الزواج المبكر و زواج الأطفال»، أي أن المطلوب هو رفع سن المنع ليتجاوز الـ ١٨! فأي مصلحة تتحقق للمجتمع بتجريم الحلال، و تحليل الحرام؟

❖ الترحيب بتقرير يطالب بالاعتراف بالدعارة كعمل رسمي وتقنينها وحمايتها والاعتراف بالداعرات الشاذات والمتحولات جنسيا:

ترحب المسودة بتقرير الأمين العام حول «التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير- الجلسة ٦١ للجنة مركز المرأة»، والذي استند إلى تقرير لجنة الخبراء حول «التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير»[٤]، والذي تضمن فقرتين متعلقتين بالداعرات، حيث أطلق عليهن تعبير ((عاملات الجنس sex workers)) و ((العاملات المتحولات جنسياً transgender workers)) حيث تمت المطالبة بالاعتراف بالدعارة كعمل رسمي وتقنينها وتأمين الحماية الاجتماعية والصحية للعاملات فيها والسماح بإنشاء روابط ونقابات خاصة بها كمهنة! والمطالبة بالاعتراف بهوية الشاذات جنسيا، والمتحولات من جنس إلى جنس آخر، بشكل رسمي وتأمين الحماية الاجتماعية لهن وتمثيلهن ضمن روابط العمل![٥].

ونظرا لفجاجة ذلك المطلب ووقاحته الشديدة، لم ترد المطالبة به بشكل مباشر في المسودة، وإنما من خلال تأكيد تقرير الأمين العام بكون تقرير لجنة الخبراء المشار إليه أساس في إعداد المسودة، وتلك هي الطريقة التي طالما اتبعتها الأمم المتحدة في تمرير القضايا الشائكة التي يُتوقع لها الرفض من قبل الدول المحافظة.

لذا ندعو لجنة مركز المرأة بالأمم المتحدة، إلى أن تبرهن على حياديتها واحترامها للتعددية الثقافية لشعوب العالم، ولسيادات الحكومات، وذلك بتنقية الوثيقة من المصطلحات والمفاهيم الشائكة والمختلف عليها، التي تم ذكرها آنفا، والسعي لتأمين الحقوق المشروعة في مختلف المجتمعات والمناطق بما يحفظ خصوصيات الشعوب ومعتقداتهم وكراماتهم.

من وراء تنامي ظاهرة الإلحاد بمصر "بلد الأزهر"؟

بوابة الخليج العربي ٢٠١٧/٣/١٥

بين من يعتبرها ظاهرة بدأت تتفشى في المجتمع المصري، وبين آخرين قلّلوا من انتشارها، باعتبار أنها لا ترقى إلى حد الظاهرة، وإنما تنحصر في كونها «آفة» يعاني منها الشباب، أظهرت إحصائية لمحكمة الأسرة المصرية، نشرت الأسبوع الحالي، أن عدد دعاوى الطلاق التي تلقتها خلال عام ٢٠١٥، بسبب إلحاد الزوج أو تغيير عقيدته، بلغت أكثر من ٦٥٠٠ قضية.

وفي السياق ذاته، أكد محامون متخصصون في قضايا الأحوال الشخصية أن قضايا الطلاق أو الخلع بسبب إلحاد الزوج شهدت ارتفاعا بنسبة ٣٠ ٪ بنهاية عام ٢٠١٦.

تشويه الإسلاميين

وكانت دراسة صادرة عن مؤسسة «بورسن مارستلير» الأميركية المتخصصة في شؤون الأديان، في نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠١٣، كشفت أن عدد الملحدين في مصر وصل إلى أكثر من مليوني شخص، مشيرة إلى أن غياب المشاركة السياسية أمام جميع المواطنين، خاصة الشباب، بالإضافة إلى تشويه صورة الإسلاميين المتدينين في الإعلام المصري

(١) مسودة الاستنتاجات المتفق عليها، البند (٦).

(٢) نهى القاطرجي، معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، مركز باحثات لدراسات المرأة ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، ص١٤٧، بتصرف.

(٣) مسودة الاستنتاجات المتفق عليها، البند (٦).

(٤) عقدته وحدة مساواة الجندر وتمكين المرأة UN Women بالتعاون مع منظمة العدل الدولية في الفترة ٢٦- ٢٨ أيلول ٢٠١٦ – جنيف.

(٥) تقرير الخبراء حول موضوع بحث الجلسة الواحدة والستين للجنة وضع المرأة في المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة :التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير وحدة مساواة الجندر وتمكين المرأة بالتعاون مع منظمة العدل الدولية –جنيف، ٢٦- ٢٨ أيلول ٢٠١٦، ص١٦.

عقب الثورة، زاد من تلك الظاهرة.

وفي أكثر من خطاب له، حمّل قائد الانقلاب عبد الفتاح السيسي رجال الدين المسؤولية عن ازدياد الإلحاد في المجتمع، متهما إياهم بتنفير الناس من الدين، على حد قوله.

وكثيرا ما حذر الأزهر الشريف من انتشار ثقافة الإلحاد بين الشباب، ونظم عدة ندوات ومؤتمرات لمواجهة الظاهرة بين طلاب الجامعات، كان آخرها ندوة بجامعة الأزهر بكفر الشيخ، السبت الماضي، تحت عنوان «الإلحاد والطريق إلى المواجهة».

تقصير الأزهر

وطالبت دار الإفتاء المصرية مجلس النواب بسن قانون ينظم الخطاب الديني، وقالت، على لسان أمين عام الفتوى بالدار، أحمد ممدوح، يوم الاثنين الماضي، إن «الفوضى الدينية في الفترة الأخيرة أدت إلى انتشار التطرف والإلحاد»، على حد قوله.

وكان مفتي الديار المصرية السابق، علي جمعة، قد قال إن الأزهر أجرى دراسة على ٦ آلاف شاب، ووجد أن نسبة الملحدين بينهم بلغت ١٢,٣٪، مؤكدًا أن تقصير الأزهر من أسباب إلحادهم، وأن هناك ٥٦ سببا لإلحاد الشباب المصري.

أزهريون أكدوا أن مواجهة الإلحاد لا يجب أن تقتصر على الأزهر والمسلمين فقط، وإنما لا بد أن يجابهها المنتمون للأديان السماوية جميعًا، والمؤسسات التثقيفية المختلفة، في حين ألقى آخرون اللوم على الخطاب الديني الذي يُبغض الشباب في الإسلام، وإلى تنازع المذاهب، فضلاً عن غياب القدوة.

تمرد على العادات الخاطئة

ويرى خبراء نفسيون أن ظاهرة الإلحاد هي في الأساس مرض نفسي يتعرض له الإنسان نتيجة عادات وتقاليد اجتماعية يحاول الفرد أن يتخطاها، بسبب ممارسة رقابة شديدة عليه، ويشعر معها بأنه أصبح سجين هذه العادات والتقاليد، لافتين إلى أن هذا الأمر يحدث كثيرا مع الفتيات بعد مرحلة المراهقة، خاصة من تربين في ظروف أسرية محافظة ومغلقة، مثل كثير من محافظات الصعيد، وعندما تغير الفتاة مكان إقامتها، وتسكن في مدينة جديدة، وتختلط بعادات مختلفة عن عادات الريف، تبدأ في التمرد على ما تربت عليه.

وأضافوا أن الأمر يبدأ بخلع الحجاب، والبحث عن مبررات دينية تتيح لها خلعه، كالأقوال بأنه ليس فرضا، وبعدها تبدأ في التمرد على أشياء وتعاليم دينية مقدسة وواضحة، خاصة إذا كانت تنتمي لمجموعات سياسية أو اجتماعية متحررة تعتنق أفكارا علمانية أو ليبرالية.

تردي الأوضاع الاقتصادية

لا شك أن تردي الأوضاع الاقتصادية والفقر قد يؤدي بضعاف الإيمان والجهلة إلى الإلحاد! قال العيني في عمدة القاري: «وذلك لأن الفقر ربما يحمل صاحبه على مباشرة ما لا يليق بأهل الدين والمروءة، ويهجم على أي حرام كان ولا يبالي، وربما يحمله على التلفظ بكلمات تؤديه إلى الكفر». ولذلك جاءت أحاديث بالاقتران بينهما في الاستعاذة، كدعاء النبي ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر) رواه أبو داود . وقال المناوي: «وقرن الفقر بالكفر لأنه قد يجر إليه».

ثورات وانقلابات

ذكر بعض الباحثين أن هذه الموجات تجتاح المجتمعات في الفترة التي تعقب الثورات والانقلابات، ودلل على ذلك ببعض الحوادث التي حدثت بعد الثورة الفرنسية والثورة البلشفية، لافتين إلى أن الأحداث السياسية التي مرت بها مصر في السنوات الأخيرة ساعدت على ازدياد الإلحاد، خصوصا الانقسامات والصراع مع الإخوان «وغياب دور الأزهر؛ بسبب انشغاله بصراعات دينية وسياسية أخرى، كما أن الإحباط بسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية قد يؤدي بالشخص إلى الإلحاد أو حتى الانتحار؛ هربا من الأعباء النفسية التي يعاني منها»، وفق قوله.

من يقف وراء الإلحاد؟

هناك مؤسسات عالمية ترعى الإلحاد وترعى الملحدين، منها مثلا «التحالف الدولي للملاحدة» ATHEIST ALLIANCE INTERNATIONAL، ورابطة الملاحدة، ومؤسسة ريتشارد دوكنز لدعم العقل والعلم، والاتحاد الدولي للاتجاه الإنساني والأخلاقي، والرابطة الدولية لغير المتدينين والملحدين، وغيرها من المنظمات.

الخطر الإيراني أعظم من أي وقت مضى

علي حسين باكير – العرب القطرية ٢٠١٧/٣/١٢

الخطر الإيراني اليوم على ما تبقى من الدول العربية هو أكبر من أي وقت مضى على الإطلاق، منذ اندلاع الثورة الإيرانية في العام ١٩٧٩، وهناك من يرى أنّ نفوذ نظام الملالي في المنطقة العربية وصل الآن إلى مدى لم يكن قد وصله أي نظام إيراني من قبل منذ قرون.

قبل عقدين ونيّف من الزمان فقط، كانت إيران تصارع من أجل إبقاء موطئ قدم لها في لبنان، وعلى الرغم من استخدامها كل الوسائل والذرائع بما فيها «محاربة إسرائيل»، و«نصرة المستضعفين»، و«الوحدة الإسلامية»، و«محاربة عملاء أمريكا»، لم تستطع أن توسّع من نفوذها.

لكن ومنذ احتلال العراق في العام ٢٠٠٣، استطاعت إيران أن تمد نفوذها ليشمل كلا من فلسطين ولبنان وسوريا والعراق واليمن وبشكل أقل في دول عربية أخرى. لا تسيطر إيران اليوم على هذه الدول فقط، بل

تستخدمها في الدفع بأجندتها القوميّة إلى الأمام بشكل سريع، ولكي تفرض نفسها على دول العالم كزعيمة للمنطقة.

هناك من لا يزال يلجأ إلى الأرقام المتعلقة بالإنفاق الدفاعي للمقارنة بين قدرات إيران العسكرية وقدرات جيرانها، ليصل إلى استنتاج مفاده أن الخطر الإيراني ينطوي على تضخيم، لكنّ أسلوب المقارنات الكمّية هذا هو أسلوب قديم يعود إلى القرن الماضي ولم يعد يقدّم دليلا قاطعاً على تفوّق دولة ما على أخرى، أو على قدرتها على تحقيق أهدافها أو على زيادة الخطر القادم من دولة ما مقارنة بأخرى، فمعنى القوة وشكلها وطريقة استخدامها تغيّر كثيراً.

كلّما مر الوقت كلما أصبح من الصعب إيقاف إيران. طهران أصبحت تسيطر اليوم على القرار في هذه الدول العربية، وتوظّف موارد هذه البلدان (البشرية والمادية والعسكرية) لصالحها، وتستخدمها كخطوط دفاع وساحات قتال لإشغال الآخرين إلى حين تحصين نفسها ذاتيا.

إيران تمتلك الآن جيوشاً من الميليشيات غير النظامية في المنطقة من أبناء البلدان الأصليين، وقد نجحت أيضاً في استقطاب من هم خارج الدائرة العربية، أي من أفغانستان وباكستان وبعدد أقل من دول أخرى في إفريقيا وآسيا الوسطى. بعد الاتفاق النووي الذي تم التوصل إليه مع إدارة أوباما، أصبح من المسموح لها أن تشتري أسلحة تقليدية لتطوير قدراتها العسكرية التقليدية، وأن تقوم بمواصلة تطوير برنامجها الصاروخي، وخلال ١٠ سنوات سيكون برنامجها النووي شرعيا تماما وستكون قادرة عمليا على إنتاج أسلحة نووية في فترة محدود جدا.

دول مجلس التعاون الخليجي لا تمتلك رؤية واضحة لتحديد الأولويات والمخاطر التي تفرضها إيران، ولا تمتلك آلية ذاتية لإيقاف طهران أو عرقلة تقدّمها على الأقل، وغالباً يقتصر عملها على ردود الأفعال. وحتى في هذا السياق، فان نَفَسَها ضعيف وتعمل على مستوى تكتيكي، ولا يوجد توجيه للجهود التي تؤدي إلى استنزاف إيران عسكريا واقتصاديا، وهو أمر يعود إلى عدم وجد استراتيجية لدى هذه الدول للتعامل مع طهران بشكل فردي أو جماعي.

إذا لم تعالج دول المجلس هذه المشاكل المتعلقة بها، فإن مهمّتها ستصبح أصعب لا سيما مع ازدياد حجم التحديات التي تفرضها إيران عليها، التي تتراكم يوما بعد يوم، كما سيصبح من الصعب جداً إقناع أي قوى خارجية بالالتزام بجهود مشتركة لاحتواء أو مواجهة إيران، وهو ربما سبب من الأسباب التي دفعت إدارة أوباما سابقا باتجاه نظام الملالي.

حقيقة مؤسسة المواطن الرسالي الشيعية بالمغرب

إبراهيم الصغير – هوية بريس ٢٠١٧/٣/١٥

الحالة الشيعية بالمغرب تتكون من تيارين كبيرين هما التيار الرسالي والتيار الشيرازي، وسبق وأن انشطرت من كل تيار تنظيمات مستقلة، كحال مؤسسة المواطن الرسالي للدراسات والأبحاث الإسلامية، التي تفرعت عن التيار الشيرازي المتطرف.

فما حقيقة وحجم هذه المؤسسة، وما مرجعيتها، وما عقائدها؟

تعتبر «مؤسسة المواطن الرسالي للدراسات والأبحاث الإسلامية» تنظيما جديدا بالمغرب، فبعد نشاطها على مستوى وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أصدرت سلسلة بيانات تبين فيها أدبياتها ومنطلقاتها الفكرية والمرجعية المتبعة، وكذا التعريف ببعض أعضائها ونشاطاتها.

اختارت مؤخرا الظهور بشكل علني؛ مما جعلها تستأثر باهتمام بعض المنابر الإعلامية التي حاولت فك بعض شفراتها، ومن ذلكم هذه المحاولة التي نحن بصددها.

تتبع مؤسسة المواطن الرسالي للدراسات والأبحاث الإسلامية، لمتشيع مغربي (مستبصر) يدعى أبا الفضل المغربي من مدينة الرباط، واسمه الحقيقي عبد الرحمان بنشرقي يشغل منصب رئيس قسم التوجيه والإرشاد العقائدي، والأمين العام للمؤسسة.

وحسب بيان المؤسسة الأخير فإنها تتحفظ عن باقي أعضائها خوفا على سلامتهم كما يقول البيان، والذين لا يعرف منهم لحد الآن إلا شخص اسمه الشريف الصديقي من مدينة تطوان، وشاب أيضا من نفس المدينة اسمه أنس ينشط على مستوى تنسيقية المؤسسة بلبنان.

يشار إلى أن هذه المؤسسة قد أعلنت في وقت سابق على صفحتها الرسمية على فيسبوك بتاريخ: ٠٥- ٠٣- ٢٠١٦، عن قرب أجل افتتاح مكتبها التنسيقي بتطوان التي أسمتها (العاصمة المهدوية).

كما أعلنت عن نيتها تعميم فروع للمؤسسة في باقي المدن المغربية، وجعلت المكتب تحت إشراف شخص اسمه السيد الشريف الصديقي، وحملت الحكومة المغربية عواقب أي اعتداء تعسفي ضد فروع المؤسسة التي اعتبرتها غير حكومية، حسب نص البلاغ الصادر بالتاريخ أعلاه، والموقع من طرف المكتب الإعلامي للمؤسسة، تنسيقية المغرب، والمحرر في مراكش.

بعد ظهور صفحات لتنسيقيات هذه المؤسسة بكل من

تطوان، الرباط، الدار البيضاء، مراكش، عُلم أن لهذه المؤسسة نشاطا في لبنان حيث درس مؤسسها، والعراق وغيرهما.

واغلب بيانات المؤسسة تصدر من لبنان، كإعلان الحملة الأخيرة التي أطلقتها لجمع التبرعات تحت مسمى «حملة أم البنين للإمداد». وكإعلان خبر اعتقال زعيمها بداية هذا الشهر، في مدينة الدار البيضاء وإطلاق سراحه. ولا يعرف عدد أعضائها ولا أتباعها بالتحديد.

مرجعية مؤسسة المواطن الرسالي:

أعلنت المؤسسة على صفحتها الرسمية على الفايسبوك في ٢٠١٧/٠٣/٢، عن مرجعيتها الدينية المتبعة من خلال البيان التالي: «عاجل .. في أول قرار للأمانة العامة للمؤسسة بعد استلام المنصب سماحة السيد أبو الفضل المغربي كأول أمين عام للمؤسسة أصدر سماحته قرارا باتخاذ المؤسسة سماحة المرجع الديني آية الله الشيخ محمد جميل حمود العاملي حفظه الله كمرجعية معتمدة للمؤسسة.

وبناء على هذا القرار الذي وافق عليه السادة المؤسسون بالمجلس التأسيسي للمؤسسة، يكون أول مرجع معتمد لنهج المؤسسة.

وللاستفسار من سماحته المرجو زيارة موقعه مركز العترة الطاهرة على الانترنت ومراسلة مكتبه الكائن ببيروت. والسلام».

مرجعية يعرف الجميع طائفيتها وتطرفها، فالشيخ محمد جميل حمود العاملي، مرجع شيعي اثنا عشري لبناني معاصر، مشهور بسلاطة لسانه في الصحابة سبا ولعنا وتكفيرا، وهو الذي لا يمل من تكفير المخالفين ورفض التقريب معهم.

وهو صاحب كتاب «خيانة عائشة بين الاستحالة والواقع»، الذي يتهم فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالزنا عياذا بالله.

فقد قال في الصفحة ١١٥، بعدما أخضع ما سرد من نصوص لهواه: «فتحصل مما تقدم أن عائشة خائنة للرسول الأعظم ﷺ في عقيدته، وخائنة له في فراشه». فهو شيرازي لا يحتاج كثيرا من البرهنة على غلوه وتطرفه.

عقائدها:

تتفق مؤسسة المواطن الرسالي للدراسات والأبحاث الإسلامية مع التيار الشيرازي في جميع العقائد، حيث تعتقد بكفر جميع الصحابة ماعدا ثلاثة أو سبعة، ولا يعترفون بإمارة المؤمنين، بل يعتقدون بتكفير جميع حكام المسلمين، معتبرين أن أي راية ترفع قبل ظهور المهدي صاحبها طاغوت، وينعتون كل من تسمى بأمير المؤمنين بأقبح الصفات، ولا يهمهم المذهب المالكي، لأن صاحبه من المنحرفين عندهم، ويكفرون حتى الصوفية وجميع المخالفين لهم، حتى من بعض فرق الشيعة.

مجلس أعلى لشيعة مصر... انفتاح مع إيران يتستر وراء "العمل الخدمي"

الخليج الجديد ٢٠١٧/٣/١٢

«أسعى لتأسيس كيان إنساني أخدم فيه المستضعفين بغض النظر عن هوية أو دين أو طائفة»..

هكذا تحدثت «رانيا العسال» الملقبة بـ«أميرة الشيعة في مصر»، والمشهورة باسم «ابنة زينب»، تزامنا مع تصاعد الحديث حول تأسيس مجلس أعلى للشيعة بمصر.

التقارب المصري مع المحور الإيراني مؤخرا، خاصة في العراق وسوريا، دفع «شيعة مصر» إلى التفكير نحو تأسيس «المجلس الأعلى للشيعة»، ليكون بمثابة هيكل تنظيمي لجموع شيعة مصر، وبمثابة مركز له مراجع فكرية، كما هو الحال في مدينة قم الإيرانية.

المصادر التي نقلت عنها صحف مصرية، قالت إن شيعة مصر يروجون إلى أن هذا الكيان كمنظمة اجتماعية خيرية لخدمة المواطنين الفقراء ودعم الإنسانية عامة، لكنه في الحقيقة سيكون غطاء لهيكل تنظيمي يستهدف نشر الفكر الشيعي، من خلال إصدار صحف أو نشر كتب أو منشورات، والتحرك بين المواطنين.

وأشارت المصادر إلى أن هدف الشيعة من الترويج إلى أن المنظمة التي يسعون لتأسيسها هي منظمة خيرية، هو رفض الدولة المصرية السماح لتأسيس كيان أو مؤسسة طائفية.

وثمة مخاوف من أن يكون هذا الكيان غطاءً لهيكل تنظيمي يهدف لنشر الفكر الشيعي بين المصريين، على خلفية تحركات عديدة للتيار الشيعي تمثلت في تأسيس مدرسة للفكر الشيعي في أحد أحياء القاهرة فضلا عن محاولات سابقة لنشر التشيع بين المصريين.

يتزعم الكيان الجديد، القيادات الشيعية في مصر «طارق الهاشمي» و«عماد أديب» و«سالم مصطفى الصباغ»، بالإضافة إلى «محمد الدريني» مؤسس حركة «آل البيت» في مصر.

وبينما لم ينفِ «الهاشمي» التحركات لإنشاء مجلس أعلى للشيعة في مصر، فإنه اكتفى بالقول إن «مصر هي الانتماء الأول والأخير». وحمّل «الهاشمي»، وسائل الإعلام مسؤولية إطلاق ما وصفها بالشائعات بهدف الاستهلاك الإعلامي، وقال: «الكيان الوحيد الذي نتشرف بالانضمام تحت علمه هو مصر، وأي اسم آخر يمكن أن يكون

مطروحًا سيكون وفقًا للدستور المصري».

الامر نفسه، أكدته «رانيا العسال»، حين قالت: «بالنيابة عن شيعة مصر لا مزايدة على ديننا، أو وطننا ولا نرفع علم سوى علمنا». وأضافت: «أسعى لتأسيس كيان إنساني أخدم فيه المستضعفين بغض النظر عن هوية أو دين أو طائفة»، مشيرة إلى أنها لا تنشر التشيع في مصر، ولن تقوم بذلك في المستقبل.

ولفت القيادي الشيعي «محمود جابر» إلى سعي بعض الشيعة المصريين تأسيس كيانات اجتماعية تعبر عنهم، خاصة بعد فشلهم في تأسيس حزب سياسي شيعي يحمل اسم «التحرير» عقب ثورة يناير/ كانون الثاني ٢٠١١، بسبب ما أسماه «تصريحات مستفزة من بعض الشيعة خارج مصر، بأن هذا الحزب سيكون الكيان المثل لشيعة مصر، وهو ما أثار حالة من الغضب لدى غالبية المصريين».

وفي تصريح مقابل، أنكر القيادي الشيعي البارز «أحمد راسم النفيس»، علمه بهذا الكيان الجديد، وقال إنه «لا يعلم أي معلومات عن الأمر، وهناك البعض الذي يحاول حشر أسماء قيادات الشيعة في أي شيء لإثارة الفتة وتأليب الرأي العام».

وأضاف «علاء السعيد» مؤسس «ائتلاف الصحب والآل»، في تصريحات صحفية، إن «هناك أهدافًا للشيعة من مسألة تأسيس حزب سياسي أو كيان لهم، وهو الحصول على مكاسب داخلية والتمويلات الخارجية، بعد أن باءت جميع محاولتهم بالفشل». وأضاف «السعيد»، أن «البعض منهم لجأ لتأسيس جمعيات خيرية للحصول على تمويلات من العراق وإيران»، موضحًا: «بعدما أسس الطاهر الهاشمي جمعية حملت اسم (الثقلين) تم سحب التراخيص منها وذلك بعدما تأكد أنها تحصل على تمويلات من إيران». الكيان الجديد النابع عن التقارب المصري الإيراني، يجد جدلا واسعا ومخاوف كبيرة في الشارع المصري، سياسيا ودينيا وإعلاميا، وحتى قضائيا.

انفتاح مع إيران

ووسط الاصطفافات المتحركة في المنطقة، يتكاثر الهمس عن انفتاح ايراني مصري، يرده البعض إلى تقارب بين طهران والقاهرة في الأزمة السورية، ويعتبره آخرون محاولة للحجر على علاقات مصر والتحكم بها، بينما لا يراها فريق ثالث بعيدة من اتصالات خليجية- إيرانية ناشطة بحذر.

وظهرت إشارات من الجانبين المصري والإيراني إلى رغبة في تقارب كهذا، ولعل آخرها حديث الناطق باسم وزارة الخارجية الايرانية «بهرام قاسمي» الإثنين الماضي عن اتصالات بين الطرفين في محاولة «لرفع مستوى التمثيل الدبلوماسي»، وإن يكن لفت إلى أن لا تطور حقيقي في مسار العلاقات في الوقت الراهن.

وكان رئيس مكتب رعاية المصالح المصرية في طهران «ياسر عثمان»، أبدى رغبة بلاده في توطيد العلاقات مع إيران، باعتبارها «دولة مؤثرة ورئيسية في الشرق الأوسط»، وذلك عقب لقاءات أجراها مع رئيس لجنة الامن القومي والسياسة الخارجية في مجلس الشورى «علاء الدين بروجردي»، ووزير الخارجية الإيراني «محمد جواد ظريف»، ومساعد رئيس مجلس الشورى الاسلامي «حسين أمير عبداللهيان». اقتصاديا، زار وزير البترول المصري «طارق الملا» إيران، قبل شهور، للتعاقد على صفقة من الغاز والسولار.

التقارب لم يقف عند الحد السياسي والاقتصادي فحسب، بل وصل إلى الساحة الفنية، عندما أطلق الفنان الشعبي «شعبان عبد الرحيم»، أغنية قبل شهور، دعما لـ«الحشد الشعبي» في العراق (مليشيا طائفية شيعية مدعومة وممولة إيرانياً، صنفتها عدد من الدول العربية على أنها منظمة إرهابية)، وذلك بعد أن سبقه فنانين ومطربين مصريين من بينهم الفنان «محمود الجندي» والفنانة «حنان شوقي»، لزيارة العراق أكثر من مرة، وارتداء ملابس «الحشد الشعبي»، وإعلان دعمهم له.

وفي نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، حصلت هيئة إعلام الحشد الشعبي في العراق، على جائزة الإبداع التقديرية بمشاركتها بفيلم وثائقي يحمل اسمها في مونديال القاهرة للفن والإعلام.

كما سارع شيعة مصريون بتدشين العديد من القنوات الفضائية، وشركات للإنتاج الفني والإعلامي في سبيل نشر أفكارهم ومعتقداتهم في مصر، وكانت الباكورة بشركة «قمر بني هاشم» المملوكة للقيادي الشيعي «محمد الدريني»، قبل أن تنضم لها شركات جديدة منها «الطليعة» و«العترة» و«كايروسات».

تخوف سلفي

هذا التقارب، فتح الباب أمام تخوفات كبيرة داخل مصر، ففي مقال تحليلي للكاتب «جينيفي عبدو»، بصحيفة «ناشيونال إنترست» الأمريكية، الشهر الماضي، أكّد أن التخوّف من امتداد التشيّع الإيراني إلى مصر «حقيقي وليس مجرّد مخاوف لدى البعض».

ووصف زيارته الأخيرة إلى مصر بأنها كشفت له كثيراً من جوانب هذه المخاوف، «خاصة لدى السلفيين المصريين»، الذين قال إنهم «يعتقدون أن إيران تسعى إلى استعادة إمبراطوريتها الفارسية عبر نشر التشيّع».

ويصف الكاتب التغوّل الإيراني الشيعي في مصر بأنه «يشكّل تهديداً حقيقياً لهذا البلد، الذي لا يشكّل الشيعة

فيه سوى ١٪»، بحسب إحصائيات وزارة الخارجية الأمريكية. وينقل «عبدو» مشاهداته ولقاءاته مع سلفيين مصريين، وما لمسه من تخوّفهم من التوغّل الشيعي الإيراني في بلادهم، وفق قوله.

وفي شقّة بالإسكندرية (شمالي البلاد)، التقى موفد الصحيفة بـ«عبد المنعم الشحات»، أحد زعماء الحركة السلفية في مصر والمتحدث باسمها، التي ترى في الشيعة أنهم فرقة إسلامية خرجت عن الإجماع الإسلامي. ونقل عن «الشحّات»، قوله: «الشيعة في مصر هم الفرقة أو الجماعة الوحيدة التي ليس لديها معتقلون داخل سجون النظام».

وأشار إلى أن «عبد المنعم وغيره من السلفيين المصريين ينظرون إلى الشيعة على أنهم فرقة مدعومة من إيران؛ لغرض تحقيق طموحات طهران في الهيمنة والتوسّع في العالم العربي»، ويعتقد أنه «يجب طرد الشيعة خارج مصر، وعدم السماح لهم بتخريب أفكار الشباب المصري». ويضيف «الشحّات»: «بالنسبة إلى إيران فإن السياسي يتداخل مع الديني، إنهم يحلمون ببعث أمجاد إمبراطورية فارس، وهو أمر يستدعي نشر التشيّع».

وفي تصريحات سابقة لـ«الشحات»، يقول: «مصر ليس بها شيعة إطلاقا، ولا ١٪ و١ في الألف، وإنما يوجد بها متشيعون، فإذا جاءت اليوم أمريكا لكي تقول أن نسبة الشيعة في مصر- ولو قالت ١ في المليون- فهي تريد أن تثبت أن هناك مصريين شيعة، وبالتالي طالما مصريين شيعة فلابد أن يشملهم الدستور، ولابد من حق العبادة أن يشملهم إلى آخر هذه القائمة الطويلة جدًا من الضغط بإقرار وجود الشيعة في مصر».

نظرة أخرى

أما الدكتور «يوسف زيدان» المفكر والكاتب المصري، فكان له رأي آخر، عندما رفض ما اعتبره تضخيمًا لقدرة الشيعة في مصر، بعدما ذهب إلى أن «الشيعة لا يمثلون في الأساس خطرًا على مصر»، على حد قوله. ومتجاهلاً التعليق على إمكانية اتخاذ خطوة بإنشاء كيان للشيعة في مصر، قال «زيدان» إنه «لا خلاف كبيرا بين السنة والشيعة، وإن القضايا الخلافية يمكن أن تحل بسهولة»، قبل أن يعود ليقول إن «الشيعة ودعوا مصر قبل أكثر من ٢٥٠ عامًا بلا رجعة».

واتفقت معه نسبيا في الرأي، «آمنة نصير» عضو مجلس النواب وأستاذ العقيدة في جامعة الأزهر، حين قالت إن «ما يُشاع عن إنشاء المجلس الأعلى للشيعة في مصر لا يؤخذ بالصدق والدقة، لأن مصر لا تحتمل مثل هذه المهاترات، التي ربما يكون المقصود بها تحقيق أهداف سياسية أو إعلامية»، لكنّها لم تستبعد تفكير الشيعة في تلك الخطوة باعتبار أن «مصر رأس الحربة».

وقالت «نصير» في تصريحات صحفية، إن مصر عصيّة على التمذهب الذي دمّر سوريا والعراق لوجود المؤسسة الأزهرية الوسطية التي تواجه الأفكار الدينية والمذاهب بنشر ثقافة الإسلام الوسطي، وهو ما اعتبرته يقطع الطريق أمام أي طموح ديني لأيٍ من المذاهب الحالية.

بينما ذهب «مصطفى زايد» منسق «الائتلاف العام للطرق الصوفية»، إلى أن «خلافات حالية بين الأطياف الشيعية في مصر، مرتبطة بالرغبة في السيطرة على التمويل القادم من الخارج». ووصف ما يقوم به الشيعة في مصر بأنه «تشيع مادي وليس عقائدي أو مذهبي، والمقصود به الشو الإعلامي».

محاكم وقضايا

يأتي ذلك، في ظل تأجيلات متتالية بين قاعات المحاكم، من دون حكم نهائيّ حتّى الآن، في قضيّة إغلاق القنوات والمواقع الإلكترونيّة الشيعيّة، التي بدأت منذ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٦، بدعوى قضائيّة أقامها المحامي «سمير صبري» في محكمة القضاء الإداريّ، طالب فيها بوقف بثّ القنوات والمواقع الإلكترونيّة الشيعيّة في مصر.

وفي بيان مشترك لعدد من الائتلافات السلفيّة في يناير/ كانون الثاني الماضي، طالب قياديّون سلفيّون بحذف القنوات الفضائية الشيعيّة من قائمة قنوات القمر الصناعيّ النايل سات في حجة أنّ تلك القنوات تتضمّن سباً وقذفاً لصحابة الرسول محمّد، وتروّج للمذهب الشيعيّ بين عموم المسلمين في مصر.

ولا يوجد في القانون المصري، ما يجرّم اعتناق المذهب الشيعيّ أو الترويج له، ويعد مقاضاة أيّ مروّج للفكر الشيعيّ هو توسّع في تطبيق قانون ازدراء الأديان. كما أن الأزهر نقلا عن لسان وكيله «عبّاس شومان»، يرفض تكفير الشيعة، ويعتبرهم «مسلمون مثل السنّة»، كما أنه «يحرّم إهدار أرواحهم أو أموالهم».

بيد أن الدستور والقانون يمنعان تأسيس مصر أي كيانات على أساس ديني أو مذهبي، حيث تقول نص المادة مادة (٧٤) من الدستور: «للمواطنين حق تكوين الأحزاب السياسية، بإخطار ينظمه القانون. ولا يجوز مباشرة أى نشاط سياسي، أو قيام أحزاب سياسية على أساس ديني، أو بناء على التفرقة بسبب الجنس أو الأصل أو على أساس طائفي أو جغرافي، أو ممارسة نشاط معاد لمبادئ الديمقراطية، أو سري، أو ذى طابع عسكري أو شبه عسكري، ولا يجوز حل الأحزاب إلا بحكم قضائي».

وفي رسالة من زعيم التيّار الصدريّ الشيعيّ في العراق «مقتدى الصدر» في ديسمبر/ كانون الأوّل ٢٠١٦، دعا «الأزهر» إلى عقد حوار عقائديّ مفتوح بين علماء المسلمين من كلّ المذاهب لتوحيد العالم الإسلاميّ ونبذ العنف في كلّ المذاهب بما فيها السنيّة والشيعيّة، مما يعبّر عن ثقة جانب من الشيعة في الأزهر.

مخاطر المشروع الإيراني الشيعي على الأمة الإسلامية

استمرار نظام الملالي بتنفيذ سياسات الشاه العدوانية تجاه الأقليات والعرقيات والمعارضين في الداخل واحتلال أراضٍ عربية كالأحواز والجزر الإماراتية.

القيام بتصدير الثورة والإرهاب للعديد من دول الجوار، ودعم انقلابات على أنظمة عربية (البحرين 1981م، واليمن 2014م)، ومحاولة اغتيال أمير الكويت، وخطف طائرتين كويتيتين، وعدد من الهجمات الإرهابية في السعودية والكويت والبحرين ولبنان والعراق، والاعتداء على الحجاج في مكة المكرمة عدة مرات.

تأليب المواطنين الشيعة ضد دولهم وربطهم بالولي الفقيه في طهران.

زرع أسلحة ومتفجرات وخلايا نائمة إيرانية في عدد من الدول العربية والإسلامية.

تكوين وتسليح عصابات ومليشيات مسلحة إرهابية من الشيعة والمتشيعين ضد مواطنيهم الآخرين في عدد من الدول العربية والإسلامية.

دعم الأمريكان في احتلالهم لأفغانستان والعراق.

شنّ حرب إبادة على شعوب العراق وسوريا واليمن.

دعم وإيواء قادة تنظيم القاعدة في إيران، ودعم ومساعدة تنظيم داعش في العراق وسوريا.

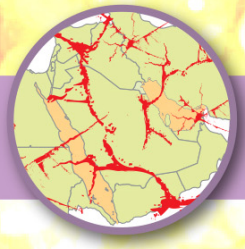

خلخلة الأمن القومي للدول الأخرى من خلال نشر التشيع بين الشعوب السنية ودعم أتباعها للوصول للحكم أو السيطرة على بعض القطاعات.

رعاية عشرات القنوات الفضائية الطائفية التي تهاجم المقدسات الإسلامية كالقرآن الكريم والصحابة وأمهات المؤمنين.

الرشد
www.alrased.net

الرَّاصِد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٦٧ شعبان ١٤٣٨هـ

اليقظة والتكامل
قاربا النهضة لأمتنا

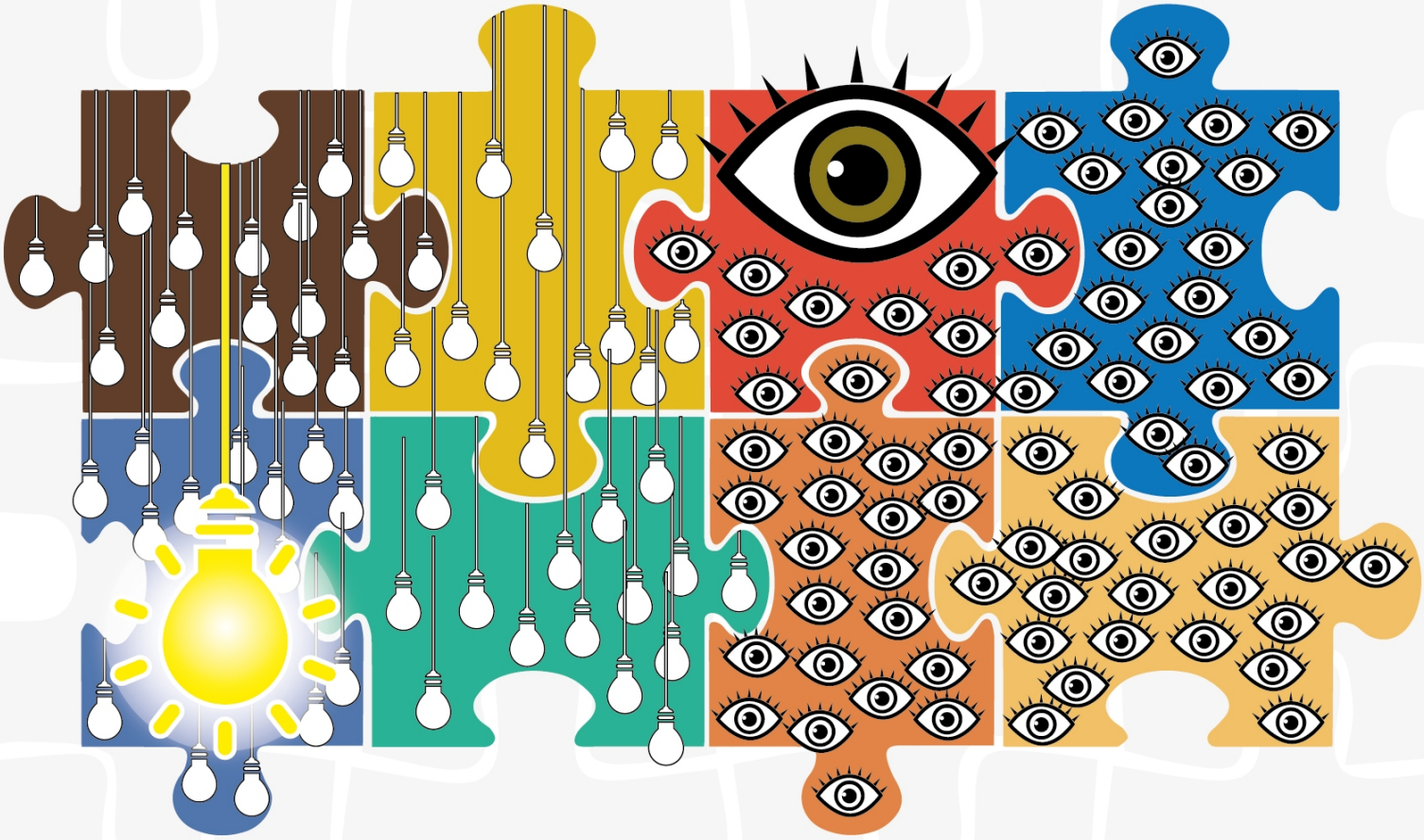

33 الموقف من المرأة...قراءة في ازدواجية المثقف العلماني

46 التصوف السوداني وزيارات أئمة الحرمين

56 الشيعة الإمامية في اندونيسيا

المحتويات

فاتحة القـول

- اليقظة والتكامل قاربا النهضة لأمتنا ٢

فرق ومذاهب

- أقطاب العلمانية (٣) ..... طارق منينة ٤

سطور من الذاكرة

- ٧ـ ثورات الخوارج الخروج على والي الكوفة المغيرة بن شعبة ..... هيثم الكسواني ٢١

دراســـــــات

- التجربة السياسية الشيعية الحديثة... من المعارضة إلى السلطة ..... بوزيدي يحيى ٢٤
- الموقف من المرأة... قراءة في ازدواجية المثقف العلماني ..... فاطمة عبد الرءوف ٣٣
- مظلومية أهل السنة في إيران (٢) المظلومية السياسية ..... ماجد العباسي ٣٧
- التشيع المعاصر في العراق وجهود مقاومته (١ـ٢) ..... عبد العزيز بن صالح المحمود ٤٠
- حوار مع: طاهر بومدرا خبير القانون الدولي ..... شريف عبد الحميد ٤٤
- التصوف السوداني وزيارات أئمة الحرمين... صلاح البدير في سنار نموذجاً ... د. محمد خليفة صديق ٤٦
- مفاوضات التسوية السورية... خطة انتزاع فتيل الثورة ..... أسامة الهتيمي ٥١

كتاب الشهر

- الشيعة الإمامية في أندونيسيا وجهود أهل السنة والجماعة في مواجهتها ..... أسامة شحادة ٥٦

قالوا

..... ٦٢

جولة الصحافة

- شباب الآسيان ومشروع إيران ..... د. محمد السعيدي ٦٣
- الاستفتاء الشعبي ومسألة الانقسام ..... إسماعيل باشا ٦٦
- "داعش" والاستبداد... والتوحش ..... منار الرشواني ٦٧
- علمانية طائفية! ..... د. محمد جميح ٦٨
- جبهة النصرة بين المغارم والمغانم ..... مجاهد ديرانية ٦٩
- هذا ما كنت سأعمله لو كنت صاحب قرار في الإخوان ..... عزام التميمي ٧٠

الرائد
www.alrased.net

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٧)
شعبان- ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

اليقظة والتكامل قاربا النهضة لأمتنا

تمر أمتنا بمرحلة صعبة تشهد فيها عدد من دولها حروبا طاحنة من جهات متعددة، فاليهود لم يتوقف عدوانهم على فلسطين، أرضا وشعبا، رغم اتفاق السلام الموقع معهم، بل إنهم تمكنوا بهذا السلام من التوسع والعدوان أضعافا مضاعفة، حتى غدت الضفة الغربية بيدهم تقريباً، وأصبحت اعتداءاتهم على المسجد الأقصى شبه يومية ووصلوا لمناطق ما كانوا يصلون لها من قبل.

أما ملالي طهران فقد جاهروا بوقاحتهم المعهودة بأنهم احتلوا أربع عواصم عربية، وقد عاثوا ووكلاؤهم في هذه البلاد بالفساد طولا وعرضا، فسرقوا الأموال والخيرات والبيوت ودمروا البنية التحتية وهجّروا ملايين الأبرياء من مساكنهم وقتلوا ما يزيد عن مليون شخص، ولا يزالون ماضين في افسادهم.

أما روسيا فهي قد دكّت الشيشان من قبل واليوم تدك في سوريا، وهي ماضية في تكرار تجربة الشيشان بسوريا من خلال سرقة أحد الثوار وجعله قائدا لسوريا بشرط أن يكون ذيلا لها كحال قديروف!

أما أمريكا فهي تحتل أفغانستان وتعود للعراق وسوريا بعد أن تفرجت على مأساتهم عدة سنوات وسمحت لإيران وروسيا بتهديم مدن السنة وقتل أهلها لتمرير مخططاتها التي لم تستقر بعد، فمنذ الفوضى الخلاقة إلى الشرق الأوسط الكبير إلى الشرق الأوسط الجديد والحبل على الجرار.

وهناك مأساة بورما وعدوان البوذيين الاشتراكيين على المسلمين، وهناك أفريقيا الوسطى حيث تقوم عصابات النصارى المتطرفين بقتل المسلمين وتهجيرهم، وغيرها وغيرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أما الدول التي نجت من العدوان الخارجي فلم ينفكوا عن تدبير الدسائس لها من الداخل، فتارة عبر أحزاب المعارضة، وتارة عبر القوميات والأقليات، ومرة عبر اختراق بعض الجماعات الإسلامية، وتارة بهجمة إعلامية خارجية، وبالانقلابات حينا، حتى حولوا سياسة (صفر مشاكل) التركية مع جيرانها إلى افتعال عشرات المشاكل لها لتحطيمها وتركيعها من جديد، وعلى غرارها ماليزيا وأندونيسيا.

والدول التي نجت من غالب ذلك سرعان ما تم إحداث الوقيعة بينها، فبينما ترى بعض الدول تشترك في التصدي لعدوان معين سرعان ما تتضارب مصالحها في قضية أخرى فتتفرق كلمتها، حتى أصبح من الصعب أن تجد بلدين مسلمين تتطابق غالب سياستهما ومصالحهما، وبالتالي تتشتت قوتهم وتذهب ريحهم، ويصعب عليهم قطف الثمار!

ويوازي هذا العدوان البربري الغاشم عدوان فكري وإعلامي هابط يستهدف دين الأمة، فجيوش المبشرين من الشيعة والنصارى والعلمانيين والملحدين واليساريين تغزو شباب الأمة لحرف عقيدتها ودينها، ومن لم يكن من أهل الدين سلطوا عليه الشهوات المسعورة من الإباحية والمخدرات والمتع الرخيصة.

ومن نجا من هذه الوباءات والطواعين استهدفوه بمنابر الضلال ممّن يتزيّا بزي المسلمين كالعمة واللحية ويتحدث بالقرآن والسنة أو يخطب من على منابر المساجد ليشيع بين المسلمين العقائد الباطلة والمفاهيم المغلوطة من أمثال عدنان إبراهيم وعلي الكيالي وعدنان الرفاعي ومن لفّ لفهم.

ومما سلطه الأعداء على الأمة فكر الخوارج وجماعات التكفير والإرهاب، فبعد أن احتضنت إيران والغرب، وخاصة لندستان، قادة ومنظري القاعدة والعنف والتكفير لسنوات طويلة، أصبح كلاب الغرب وأذنابهم في بلادنا يحاربون الإسلام جهرة باسم محاربة فكر الإرهاب الذي نما في مزرعة حرية التعبير الغربية، وعندها فهمنا لماذا أنفق الغرب ولا يزال ينفق على هؤلاء الإرهابيين أموال الضمان الاجتماعي شهريا!!

حيث قامت القاعدة وابنتها العاقة (داعش) بالكثير من الخدمات لأعداء الأمة بزعزعة الأمن الداخلي عبر التفجيرات والاغتيالات، ودمّرت البلاد وخربتها كالصومال وأفغانستان، وآذت العباد والأبرياء كما في

سوريا والعراق، وضربت أمن وسلامة الدعوة الإسلامية في العالم كله، ثم حاربت المخلصين والشرفاء من العلماء والدعاة والمجاهدين والثوار باسم محاربة المرتدين وتطبيق الشريعة!

إن هذا الحال الصعب والمركب والذي تحفّه الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الداخلية مع الصراع الهائج بين السلطة والمعارضة هو مما يزيد الأمر بؤساً وشقاءً.

وفي كثير من البلاد يساهم غياب أو قصور دور القيادة الرسمية أو الشعبية في توعية الناس بمصالحهم ومصالح أمتهم الحقيقية في تضارب أمزجة الناس وتصادم جهودهم، مما يزيد الطينة بلة بسبب غياب الوعي عن تلك القيادات أصلا أو بحثها عن مصالحها الخاصة أو قصيرة المدى.

وفي خضم هذه التحديات والواقع المعقد لا بد للمسلم الصالح من أن يكون ذا موقف سليم وصحيح يرضي به ربه ويخدم نفسه وأمته حتى لو كان التيار الغالب لا يدرك الحقيقة ولا يرى الصراط المستقيم.

فالواجب على المسلم الصالح أن يكون يقظاً منتبهاً لمصلحة الدين، التي هي مصلحته الشخصية ومصلحة المجتمع والدولة، فلا ينخدع بمشاريع العدوان العسكرية والسلمية والفكرية والإعلامية على بلاد المسلمين، بل ينتبه لمكايدها وشرورها.

فلا ينخدع بدعايات اليهود ولا الروس ولا الإيرانيين والأمريكيين، فهم لا يبحثون إلا عن مصالحهم على حساب مصالحنا، ولكن بسبب تعقد الأوضاع وضعف دول الإسلام فإنه قد يضطر المسلمون لبعض المهادنات والمساومات لتقليل الخسائر أو تفتيت صف الأعداء، ولنا في تفكير النبي ﷺ عندما عرض على اليهود يوم الأحزاب والخندق ثلث ثمار المدينة منهج وقدوة.

ولكن إذا جاز التهادن مع الأعداء سياسيا وعسكريا فإن ذلك لا يجوز على صعيد العقيدة والدين، ﴿لكم دينكم ولي دين﴾، ومن هنا تأتي أزمة كثير من الساسة في بلادنا، الذين يخلطون بين القضيتين، ويجعلون من رفض العلماء والدعاة لكسر حواجز دين الإسلام لصالح الآخرين نوعا من التطرف والتشدد أو التخلف والرجعية، ولذلك على الساسة تقبل موقف العلماء وتطبيق نظرياتهم بالتعددية الفكرية والحرية تجاه العلماء وعدم قصرها فقط على تبرير وجود ونشوء الأفكار السيئة في مجتمعاتنا! وعلى العلماء والدعاة الثبات على موقفهم لكن مع التيقظ والوعي لعدم وقوع صدام من بعض المتهورين أو المندسين، وهم كثر في عصرنا.

ومواجهة الأفكار الضالة والمنحرفة يجب أن تكون بعلم وحكمة وعلانية وعبر السبل القانونية والرسمية، ولو أحسن العلماء والدعاة توظيف الأدوات القانونية والرسمية والتركيز على كسب الجمهور لتبنوا آراءهم ومواقفهم وحققوا الكثير من الإنجازات وقطعوا الطريق على المزاودين من الشباب المتهور والجاهل والميال للعنف، وأيضا من أصحاب الشعارات العاطفية المؤججة للشارع دون تقديم بدائل وحلول.

ومما يساعد على عبور هذه المرحلة بأقل قدر من الخسائر وأكبر قدر من المكاسب، السعي للتكامل والتكاتف على صعيد العلماء والدعاة والهيئات والمجاميع الشعبية، سواء كان ذلك تكاملا مباشرا متفقا عليه أو عبر عدم التصادم وتوزيع الأدوار والتنافس في مجالات متنوعة بدلا من التصادم في نفس المجال!

فأبواب الخير المطلوبة لنهضة الأمة كثيرة جداً ولن يطيقها فرد أو جماعة أو تيار لوحده، والساحة تسع الجميع، والإمكانيات قليلة فلماذا نتصارع؟ لماذا لا نفكر بعقلية هارون الرشيد حين قال: امطري حيث شئتِ فإن خراجك سيأتيني! ونحن كذلك، فجهد أي داعية أو عالم أو جماعة أو مؤسسة سيكون قوة لصالح الإسلام طالما أنه من أهل الحق بالجملة وليس من أهل الباطل الصرف أو من يغلب شره خيره، ولنا في سيرة العلامة ابن باز رحمه الله في التعاون مع أهل الخير عموما مثال وقدوة، ولم يمنعه ذلك من تنبيه من أخطأ منهم على خطئه بعلم ورحمة ومحبة.

كما يجب على أهل العلم والدعوة والخير تشجيع كل عمل وجهد صواب يخدم الدين والأمة مهما كان فاعله، فليس المهم أن نقوم نحن بعمل الخير بقدر ما أن المهم هو وقوع وحصول الخير، ولذلك أخبر النبي ﷺ أنه لو عُرض عليه حلف الفضول مرة أخرى في الإسلام لقبله وشارك به لأنه عمل خير وحق، وقد شكر الله عز وجل لبغي سقت كلبا وأدخلها الجنة.

ومن مجالات التكامل المطلوبة لنهضة الأمة التكامل بين العلماء وأهل الخير والجماعات الصادقة وأهل الحكم والسلطة، بالنصيحة الصادقة والتأييد للمواقف السليمة، فإن النزاع والشقاق بين أهل السلطة وأهل الدين - أفرادا وجماعات- هو غاية الأعداء، فهل نعينهم بأيدينا؟

واستئثار الساسة بالقرار أو الأموال طبيعة البشرية منذ أن خلقها الله عز وجل، والتنازع والتصارع غالبا لا يأتي بخير ويخرّب الأوضاع القائمة ويزيدها فسادا وظلما، ونحن في زمان لا نملك فيه الحصول على الحق التام، فالحكمة الحكمة بتقديم التكامل في مواقف الصواب والنصيحة في مواقف الخطأ، والثبات على الحق مع الصبر والتأني كفيل بالتغيير للأفضل غالبا بإذن الله.

أقطاب العلمانية (٣)
طارق منينة

تباشر الراصد على حلقات نشر الطبعة الجديدة من كتاب الأستاذ الباحث طارق منينة "أقطاب العلمانية"، وهو الكتاب الذي سدّ ثغرة كبيرة في المكتبة العربية قديماً، وتحوي هذه الطبعة مزيدا من الإضافات والفوائد.

الدعوة العلمانية الحديثة في مواجهة مع الإسلام

على رغم التزامات أركون المنهجية وتبنيه موقف وضع الدين في الخيال الرطب الذي هو أوسع دائرة عنده من دائرة الأسطورة والخزعبلات، إلا أن موقفه الحقيقي هو محاربة الإسلام باعتباره الأصلي والثابت والرباني الأصل، فيقول: «إن الدور الذي يلعبه «الإسلام» الأسطوري والجوهراني، والماهياتي الثابت والثبوتي في الخطاب الإسلامي المعاصر هو من القوة والهيمنة بحيث يلزم لمجابهته أن يعبئ كل الباحثين جهودهم»[١].

إن العودة للإسلام ورفض سلبيات الحضارة الغربية، يعتبرها چورچ طرابيشي («عملية سلخ جلد»[٢] «وعي مدمِّر» و«اللاوعي»[٣]، ويقول إنها: «جائحة أيدلوجية ووباء نفسي.. يتهددنا جميعاً..

فالوباء لابد أن يتوقف عند حده، وعدواه عن الانتشار.. وهذا ما يجب أن يكون أمر اليوم على مدى السنوات القادمة في لائحة مهمات كل مثقف عربي حريص على أن تُكْتب له النجْاة»[٤].

لذلك كتب طرابيشي مجموعة كتب غير علمية، نقداً لمفاهيم الإسلام، مثل ما فعل في كتابه (المعجزة أو سبات العقل في الإسلام)، وكتابه (من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث، النشأة المستأنفة)، وكتابه (اللّه في رحلة نجيب محفوظ)، وكتاب (مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام). فكل مثقف عربي ينتمي للعلمانية يجب- عند طرابيشي- أن يواجه الإسلام كدين وثقافة وكرؤية للوجود وللقوة والهيمنة والسيادة العليا، وهذه هي دعوة عموم العلمانيين المنحرفين.

يقول د. هاشم صالح[٥] في تعريف المجتمع الإسلامي الذي يريد (هو وأركون) تغيير وجهته من الإسلام إلى العلمانية، إنه «كل مجتمع يسيطر عليه الإسلام كدين وثقافة وكرؤيا للوجود: أي

(١) المرجع السابق، ص ١٦٥.
(٢) مذبحة التراث، ص ٢٤.
(٣) المثقفون العرب والتراث، ص ١٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١١، وقد ثمن طرابيشي (ص١١) موقف طه حسين الشاذ في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) من أخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها، وطالب بقبول دعوة طه حسين «البديعة» بزعمه بدل النكوص عنها لمدة نصف قرن حتى الآن! ثم قال إن الأمر معركة وأنه لذلك صنع كتابه (المثقفون العرب والتراث) : «وكتابنا ... لا يخفي أنه يريد نفسه عن سبق قصد وتصميم متورطاً في المعركة...» وهو يسمي الفكر الإسلامي الصحيح ظلامية، كما أنه قد حرف في كتبه التي نقد فيها حقائق القرآن وآيات اللّه معنى السببية في القرآن والتوفيق بينها وبين دلالة المعجزات.
(٥) مترجم كتب د. محمد أركون وصديقه الحميم!

كل مجتمع لم يدخل بعد ساحة العلمنة الحقيقية»[1]. فيجب عند د.أركون وغيره من العلمانيين المنحرفين أن تعبئ الجهود لإدخال المجتمعات الإسلامية في ساحة العلمنة الحقيقية الشاملة وليست الجزئية كما هي عليه اليوم في معظم البلاد.

وأما عزيز العظمة فينقل عنه د. المسيري قوله: «العلمانية تستند إلى النظرة العلمية بدلاً من الرؤية الدينية الخرافية في شؤون الكون والطبيعة على العموم (هل الرؤية الدينية «خرافية» بالضرورة؟!)، وتؤثر الكلام في علم الفلك على الكلام القرآني حول التكوير، والكلام في الجغرافيا الطبيعية على الكلام حول جبل قاف (هل يمكن اختزال إسهامات الجغرافيين الإسلاميين إلى هذا الحد)، والأخذ بالاعتبار العقلي بدلاً من الاعتبار الإيماني والخرافي للأمور». وهو لايقف عند هذا الحد- يقول المسيري- بل يتحدث عن «الموروث الكُتبي» و«الماضي المتقادم الزائل»[2].

يعلق المسيري: «المشكلة الحقيقية -في تصورنا- أننا إن قررنا أن نسبح مع هذا التيار العالمي الحتمي سنكتشف أنه في واقع الأمر غربي وحسب (تماماً كما بين لنا عاطف العراقي) إذ ثمة ترادف بين مفهومي العالمية والغرب في كتابات هؤلاء العلمانيين المتأرجحين فالواحد منهما هو الآخر، وهو أمر مفهوم تماماً في إطار النموذج الأحادي الإتجاه (والنماذج المادية لابد أن تكون أحادية صلبة أو ذرية...لا مركز لها) ...ولذا ينصحنا عزيز العظمة، بدلاً من أن نضيع الوقت، ونكد ونتعب، أن نوجه أنظارنا حيث نجد تطبيقاً متبلوراً للقوانين العالمية العامة الحتمية، فتبني المُثُل الغربية هو تبني المُثُل العالمية، والمثل العالمية (كما بين لنا هاشم صالح من قبل) تعني سيادة القوانين المادية الطبيعية العالمية، التي لا تعرف المكان أو الزمان أو الغائيات الإنسانية أو الخصوصيات القومية، فهي «زمانية عالمية» تحول الإنسان إلى كيان طبيعي/ مادي لا يختلف كثيراً عن الكائنات الطبيعية / المادية الأخرى»[3].

فليس الأمر، هو صراع علماني مع الخطاب الإسلامي المعاصر على المشروعية لمن هي؟ أهي للإسلام الذي يتبناه الخطاب الإسلامي أم للعلمانية التي يتبناها أهلها، إنما الأمر هو محاولة تغيير المجتمعات للعلمانية وإلحاقها بالمركزية الغربية، والعمل على إخراج المجتمعات الإسلامية وليس الخطاب الإسلامي المعاصر وحده - من الإسلام إلي العلمانية الشاملة، فالعلمانية المُرجفة تستهدف نبذ الإسلام ونقد معالمه، وتهديم معالم المجتمعات الإسلامية وطرد هويته الحضارية، ورمي الإنسان في هوة المادية والعدمية وذلك بتحويل نصوص الوحي إلى معان مادية وخرافية وأسطورية وخيالية والدعوى أن الزمن تجاوز حرفيتها وقدسيتها.

دول ورؤوساء تبنوا الحرب على الإسلام

ولقد دخلت تركيا هذه «الساحة العلمانية» بسقوط الخلافة وتولي أتاتورك زمام الأمور وحكم الجمهورية الجديدة، لكن بعنف التغيير، يقول د. أركون «راح كمال أتاتورك ينجز ثورة علمانية حقيقية في بلد كان ولا يزال متشدداً إسلامياً.. خلق جمهورية تركية على غرار النموذج الغربي وألغى التقويم الإسلامي الهجري، ثم ألغى الحروف

(١) تاريخية الفكر العربي والإسلامي ص ٣٦

(٢) العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية، للمسيري، دار الشروق، ج١ ص ٩٠. وما بين القوسين من تعليق المسيري نفسه. وقد وجدت ما يشبه هذا النص الذي نقله المسيري لعزيز العظمة في كتاب العلمانية في المشرق العربي، من تحرير لؤي حسين، دار بترا، ص٩٨، فيقول: «اعتماد العلم بالتاريخ وبالجغرافيا بدلاً من الاهتمام بجبل قاف وبمعارك الجان والملائكة وتحول النار برداً وسلاماً والمشي على الماء، واتخاذ المدارس والجامعات بدلاً عن حلقات المساجد».

(٣) العلمانية الشاملة، للمسيري، ج١ ص ٩٦،٩٧.

العربيـــة في الكتابـــة.. ثـــم حـــل وزارة الـــشئون الدينية...»[1]، وألغى الجذور الإسلامية كلها...

فـــالثورة الكماليـــة - يقـــول الـــشيخ يوســـف القرضـاوي - لـ «كمـال أتـاتورك» كانـت قـد جعلت مـن العلمانيـة أسـاس الدولـة وأسـاس التحـديث فيهـا ممـا كـان يعـني أن الإسـلام يجـب أن يخـرج مـن الحيـاة العامة»[2].

ولقـد كـان مـا فعلـه أتـاتورك كمـا قـال المستشرق ڤمبـاري (VEMBARI) هـو نتيجـة للتـأثير والـضغط الغـربيين[3]، لتغـيير معـالم تركيـا المـسلمة وتحويلـها مـن الإسـلام إلى العلمانيـة وذلـك بعـد إسـقاط الخلافـة وإثـارة النعـرات القوميـة! ولقـد فـرح «الغـرب» بمـا آلـت إليـه تركيـا المـسلمة الـتي قـادت العـالم الإسـلامي قروناً عديدة.

فقـد ورد في النـصوص الاسـتعمارية الـسرية والـتي نـشرت أخـيراً، تقريـر وزيـر المـستعمرات البريطانيـة «أورمـسي غـو» لـرئيس حكومتـه في ١٩٣٨/١/٩، : «ومـن أسـباب سـعادتنا أن كمـال أتـاتورك لم يـضع تركيـا في مـسار قـومي علمـاني فقـط، بـل أدخـل «إصـلاحات» بعيـدة الأثـر (!) أدت إلى نقـد المعـالم الإسلامية لتركيا»[4]

تقـول كـارين آرمـسترونج : «كـان مـصطفى كمـال أتـاتورك (١٩٣٨- ١٨٨١م) مؤسـس الجمهوريـة التركيـة الحديثـة، يمثـل عـبر العـالم الإسـلامي عنـف العلمانيـة... كـان أتـاتورك عازمـاً علـى إبعـاد الإسـلام عـن الـشؤون الـسياسية والاقتصادية كافـة، ولأجـل ذلـك فقـد أصبح أتـاتورك محترمـاً في الغـرب باعتبـاره قائـداً مـسلماً متنـوراً، ولكنـه كـان في الحقيقـة دكتـاتوراً كارهـاً للإسلام، الذي وصفه بـ «الجثة المتعفنة»»[5]

(١) تاريخية الفكر العربي والإسلامي، ص ٢٧٧.
(٢) الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه، ص ٦١.
(٣) انظر الاستشراق السياسي، ص ٤٥.
(٤) نقلاً عن هموم داعية، ص ٩٢.
(٥) حقول الدم، كارين آرمسترونج، ص ٤٧٦.

أمـا العلمـاني الـدكتور سمـير أمـين فقـد كـان يـتمني لـو أن أتـاتورك وحزبـه قـاموا بثـورة ثقافيـة داخـل الـدين تكـون أشـد أثـراً وأبعـده ممـا قـام بـه مـن نـسخ أوروبـا بـشكل سـطحي، كـان يتمنـى لـو أن الأمـر كـان نـسخ العلمانيـة بـشكل عميـق ولـيس سـطحي! فيقـول: «لم يفكـروا لحظـة واحـدة أن ثـورة ثقافيـة داخـل الـدين (!) هـي إحـدى نقـاط البـدء للحداثـة الأوربيـة، وأن ثـورة مـشابهة في الإسـلام كانـت ممكنـة وضـرورية، لقـد اكتفـوا بـ «نـسخ أوروبـا بشكل سطحي»[6].

العلمانيـة هـي أسـاطير العلمـانيين عـن الـدين والحياة والإنسان.

فالعلمانيـة في الحقيقـة لا صـلة لهـا بـالعلم، وإن كـان فيهـا مـن جزئيـات العلـم، إنمـا هـي تمتطـي ظهـر الفرضـيات العلمانيـة الوقتيـة (والمؤقتـة!!) الـتي ينتمـي أغلـب مخترعيهـا إلى الفكـر المـادي، وبـصورة مـسبقة، فـإذا ظهـر ضـعف فرضـية مـا أوفـسادها حـاولوا حجبهـا (وكأنهـا لم تكـن، فـأين مـثلا نظريـة رينـان في الأعـراق؟!)، وعـدم إثـارة الكـلام حولهـا، غالبـاً، وإلتجـأوا إلى الفرضـيات الـتي لم تلقـى كـثيراً مـن صـور النقـد الـشديدة، كـذلك فالعلمانيـة تمتطـي العلـم، بـصورة عامـة، بغيـة الإسـتفادة مـن نتائجـه أو جعلـه ينطـق بمـذاهبها ومواقفهـا الإختزاليـة كـما قـال الأسـتاذ محمـد قطـب في كتابـه مـذاهب فكريـة معاصـرة: «فأمـا مـاركس فقـد أنـشأ نظريـة اقتـصادية أو قـل فلـسفة ماديـة كاملـة، بناهـا علـى فكـرة التطـور مـن جهـة وفكـرة حيوانيـة الإنـسان وماديتـه مـن جهـة أخـرى. وأمـا فرويـد فقـد أنـشأ نظريـة نفـسية لتفـسير تركـب الـنفس الإنـسانية ونـشاطاتها، بناهـا علـى فكـرة حيوانيـة الإنـسان. وأمـا دركـايم فقـد أنـشأ نظريـة اجتماعيـة لتفـسير الظـواهر الاجتماعيـة بناهـا علـى حيوانيـة الإنـسان وغلبـة نزعـة القطيـع

(٦) مقدمة الثقافة والأيديولوجية في العالم العربي، ص ٢٨.

الحيوانية عليه من جهة، وعلى انعدام الثبات في القيم الاجتماعية من جهة أخرى»[1]

وهي على كل حال تحرف أدلته، وتأخذ منه وترقع، وتعزل نتائجه الكلية في عالم الإنسان والنفس والحياة والمجتمع لأسباب مادية ورأسمالية أو أو لدعاوى عنصرية واستعمارية، أو لأهواء ومواقف فلسفية وأيديولوجية، وذلك يمنع تحقيق المعالجة الشاملة، الإنسانية والرحمانية، لقضايا العلم والمجتمع والإنسان، والوصول إلى نظرة مكتملة في التفسير والتأويل، ومن ثم تحقيق العدل في الأحكام والمواقف، وتحقيق السعادة الحقيقية للإنسان.

الكفران العظيم

وكما قلنا فإن الغرب قد حرف «الحضارة» فأخذ نصفها المادي وترك الجزء الإيماني الذي صنع به المسلمون انطلاقاتهم الحضارية الباهرة، وأضاف بدلا منها الفلسفة العقلانية (المادية، وهي في حقيقتها لا عقلانية) على النصف المادي حتى دخلت الحضارة في عالم الإلحاد والسيولة، والإحتكار والجشع المادي، فأشْقتْ البشرية من جرّاء ذلك مما أدى إلى تحطيم روح الإنسان وعلاقاته المجتمعية الحميمية الأصيلة، كما أدى ذلك إلى تفكك روابط الأسرة، وقيام حربان كافرتان في ربع قرن وتمزق الروح البشري وانحطاط العقل وضياع الأمان، والفوضى الجنسية، هذه هي النتائج المباشرة للبعد عن المنهج العلمي الشامل في النظر إلى الإنسان والمجتمع والحياة، والعلاقات السببية الخاصة بكل ذلك، كذلك بالغفلة الكلية عن عبادة الله الشاملة، عبادته في المعمل والمختبر، وفي عالم الاجتماع والسياسة وعالم الفن والأدب، والإقتصاد وعلوم الكون والطبيعة كما وعبادته في المسجد.

يقول الأستاذ محمد قطب في هذا السياق إن أوروبا: أقامت السياسة والاقتصاد بمعزل عن القيم الروحية وأقامت شئون الجنس بمعزل عن الأخلاق، وشئون الدنيا بمعزل عن الآخرة، وشئون الحياة بمعزل عن الدين وكانت النتيجة تصادم هذه القيم المقطوعة من جذورها المشتركة والصراع المدمر العنيف، والشد والجذب في داخل النفس بصورة تتلف المشاعر وتُمْرض الأعصاب، فوصلت حوادث الجنون والانتحار وضغط الدم والأمراض العصبية والنفسية إلى درجة لا مثيل لها في التاريخ[2].

فالعلمانية بسلوكها طريق الاستقلال عن الله والوحي الذي أنزله على رسله في هذه العوالم المترابطة المتشابكة التي تشكل عالم الإنسان ككل، جرَّت البشرية إلى الشقاء وفقدان الأمل، بعد أن صورتها في صورة الحيوان وألبستها إهاب الحيوان وأباحت لها فعل الحيوان وأطلقت الدوافع الجنسية بدون ضوابط فطرية أو شرعية، ما جعل عقل الإنسان عقل حيواني لا يؤمن إلا بالمحسوس من الطعام والشراب والجنس والمادة، وروح حيواني لا يحس إلا قبضة الطين وبروز الحيوان، ما جعل «العلم» مطموساً مغيراً للمفاهيم الحقيقية لغاية وجود الإنسان وعلاقته بالكون والحياة والإنسان!

ذلك لأنه انساق وراء الفلسفة التي أدعت العلمانية والكونية والعالمية، الفلسفة التي تخفّت وراء العلم، ولبست إزاره، وتكلمت باسمه حتى اختلط على الناس الفرق الضخم بين الفلسفة وفوضويتها وفرضياتها وتخرصاتها والعلم الحقيقي!

أدوار العلمانية:

قلنا إن العلمانية التي جلبها بعض المثقفين العرب إلى بلاد المسلمين غير مُسْلمة المضمون والهوية،

(١) مذاهب فكرية معاصرة، للأستاذ محمد قطب، دار الشروق، ص ١٠٠.

(٢) دراسات في النفس الإنسانية. ص ٦٣.

الاتجاه والخط، المشروعية والمصدر، الإدراك والتصور، العلم والمعرفة ولم نقل هذا من أنفسنا بل إنها من تعريفات أقطاب العلمانية أنفسهم!

يصف لنا الدكتور فؤاد زكريا موقف الفصائل العلمانية في عالمنا العربي والإسلامي من «المشروع الإسلامي»: «فالعلمانية اليوم تضم القومي واليساري والليبرالي والمثقف غير المُسيس وبقدر ما يختلف هؤلاء في تعريف مفهوم التقدم أو الإصلاح والنهضة، وفي تحديد نوع المسار الذي يسعون إلي توجيه المجتمع نحوه، فإنهم متفقون جميعاً على رفض الأهداف التي يدعوا إليها التيار الإسلامي»[1].

إن الدكتور فؤاد زكريا الذي قال أن: «الاشتراكية هي وحدها المرحلة التي تتحقق فيها للإنسان حريته الحقيقية»[2] هو بحق شيخ العلمانية في عالمنا العربي والإسلامي، وهو هنا يؤكد أن الأهداف التي يدعو إليها المسلمون مرفوضة علمانياً، وكما تقدم من كلام د. أركون فإن ذلك مفهوم، فالذي يختار العلمانية لا بد أن يواجه الإسلام في مفاهيمه الكلية أو على أقل تقدير في بعض مفاهيمه الضرورية، كالمفهوم الإسلامي للدين والدولة والعلاقة بينه وبين سياسة الخلق والرعية.

إن الدكتور فؤاد زكريا تبنى بدلاً من الإسلام مفاهيم غربية مستوردة، وأقامها في مواجهة الحركة الإسلامية والأزهر الشريف، ومؤسسات الإسلام الكبرى، تبنى الماركسية التي زعمت أن الدين والأخلاق والفطرة الثابتة من اختراع وسائل إنتاج المجتمعات الزراعية القديمة!

تبنى «الفلسفة الوضعية» لـ «أوجست كونت»[3] التي دعت إلى رفض الدين وتجاوزه باعتباره لا يصلح إلا لتنظيم الشعوب البدائية، وأنه ليس سوى خطوة من خطوات الإنسانية نحو المبدأ العلمي الحديث[4]!

حاول بهاتان الفلسفتان- مع خليط من فلسفات أخرى! - أن ينسب «تخلف المسلمين» العصري إلى المرجعية الإسلامية! فعالج الحقائق الإسلامية والتراث الإسلامي بهذه الفلسفات التي واجه بها الحركة الإسلامية المعاصرة، وقف يتحدى «الوحي» بالعقل والفلسفة معطياً الهيمنة لا للإسلام ولكن للفلسفة التي آمن بها!

وذهب ليتحدى «التراث» اقتداءاً بالنهضة الأوربية التي رفضت الوحي ونادت باستقلال الإنسان والعقل ما أدى إلى الإلحاد الحديث، دعا إلى ذلك على «أساس الرفض الحاسم للتراث»[5] وهو يُرجِّح أن يُقصره على الفترة الأولى من حياة المسلمين بحيث لا يتجاوز هذه الفترة، لا التراث ولا الدين ولا شريعة هذا الدين يحق لها أن تبقى كما كانت بل يجب في نظره أن يُتجاوز كل ذلك!

وهو لا يخجل من إعلان ذلك فيقول: «الأوربيون لم يخجلوا من إعلان رفضهم القاطع لتراث كامل ينتمي إلى صميم ثقافتهم وتمتد إليه جذورها.. ولم يكن في موقف الرفض القاطع هذا ما يعيبهم (!) بل لقد أصبح هذا الموقف هو أساس مجدهم.. ولم يمنع ذلك، بطبيعة الحال من أن يتخذ الأوربيون فيما بعد موقفاً متوازنا (!) من التراث القديم حيث وضعوه في إطاره التاريخي (!).. ولم يعد هناك ما يُخْجل في الاعتراف بقيمة التراث الكلاسيكي وفي تمجيده بوصفه قوة كانت لها قيمتها التاريخية الكبرى في عصرها، وإن تكن التطورات التالية

---

(١) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل.

(٢) آفاق الفلسفة ص ٧٠.

(٣) مؤسس المدرسة الوضعية التقليدية (١٧٩٨ – ١٨٥٧) وهي المدرسة التي تؤمن بأن ما عدا قضايا العلم الواقعي المحسوس فإنه لا يعدوا أن يكون خيالاً أو كلاماً في كلام، ويعبرعن ذلك فيلسوف ألماني تأثر بـ «كونت» وهو «لودڤيج فورباخ» (١٨٠٤ – ١٨٧٢) فيقول: «الله كانت فكرتي الأولى.. والعقل فكرتي الثانية.. والإنسان بمحيطة الواقعي – هو فكرتي الثالثة والأخيرة»، الفكر الإسلامي الحديث، د. محمد البهي، ص ٢٨١. نقلاً عن بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانية ص ٢٩. وسنتكلم عن فيورباخ في فصل حسن حنفي بصورة أوسع.

(٤) انظر سقوط العلمانية، للجندي، في تعريف الوضعية ص ٢١.

(٥) الصحوة الإسلامية ص ٣٩

قد تجاوزتها إلى حد لا متناه.. فهو يمجد لأنه كان شيئا رفيعا في عصره، على حين أن تخلفه يظهر واضحاً إذا ما قورن بالأوضاع التي تجاوزته في العصر الحالي»[1].

فهو يعلن أن «المشروعية الإسلامية» يجب أن تتوارى مع التاريخ القديم!، كما توارى تراث أوروبا المسيحي/الكلاسيكي، أي الدين المسيحي، والتراث الذي خلفه بما فيه من انحرافات كان المسلمون في الحقيقة قد أدانوه وأظهروا عيبه وخرافاته، كما بين لهم القرآن عيوبه العقلية والنصية، وإنحرافاته المكتوبة والمسطورة، لكن يظهر أن الدكتور زكريا ماهر في طمس حقائق التاريخ وعلى هذا الأساس ينادينا بأن نتجاوز ترثنا مع أن هذا التراث بما فيه الوحي والسنة[2]، وما نتج عنهما من عقل وسببية في العلم والنظرة للعالم هو الذي حرَّض أوروبا على تجاوز تراثها الكنسي المنحرف وعلمها مبادئ العلم وطريق البحث العلمي والتجريب، فكيف نتجاوز الإسلام، وعقائده، ووحيه، وعلمه عن الكون والعقل والآيات الكونية والمادة المدروسة، وهو الذي حرَّك نهضة أوروبا في بدايتها على التحرر من الدين المسيحي المنحرف والكنيسة التي تحالفت مع الإقطاع وأذلت الشعوب وفرضت على الناس الإتاوات كما فرضت عليهم أعمال السخرة فيما تملك من الأرض[3].

تعلم الأوربيون من الحضارة الإسلامية في الأندلس العلوم التجريبية التي انطلقت من التعاليم الإسلامية، كما تعلموا أن أفكار الكنيسة الدينية، والعلمية مخالفة للعلم الذي كان يعلمه المسلمون انطلاقاً من القرآن والتجربة المعملية والنظر والخبرة على السواء.

فما الذي يدعونا إليه د. فؤاد زكريا؟ أن نترك القرآن وشريعته ونحن الذين علّمنا أوروبا الانفتاح على القوانين الطبيعية التي خلقها الله وتحكم الكون بأمره، علمناهم مناهج بحث وطرائق تفكير منفتحة على الكون تلتمس أسبابه وتنفع الإنسانية كلها (فهذا الأصل كيف يُتجاوز؟!).

علمناهم أن الحركة العلمية المواراة لا تنطلق أبداً إذا كان هناك استسلام للخرافة وترك الأسباب لتعمل لوحدها بقدرة الله، وإنما قدر الله الحقيقي هو الأخذ بأسباب الكون والتفكير وتعقُّل السنن الإلهية وتدبرها، السنن التي يجرى الله بها قدره في الكون المادي وفي حياة البشر[4].

علمنا أوروبا النظافة وإنشاء المدن المضاءة والشوارع الممهدة كما يقول الشيخ محمد الغزالي[5].

فكيف نتجاوز هذا الواقع الفريد، وهذا النموذج الإنساني المتوازن المُصلح للعالم، نظام حياة، وواقع جديد، رفيع كريم نام متجدد للحياة

---

(١) الصحوة الإسلامية، ص ٣٩. الغريب أن فؤاد زكريا كان قد ذكر قبل صفحة واحدة من كلامه هذا أن أوروبا استفادت من تراث حضارتنا العلمية: «أما الذين انتفعوا حقا من هذا التراث فهم الأوروبيون، الذين أفادوا من جهود العرب في الميادين الفلسفية والفكرية والعلمية خلال الحقبة الأخيرة من العصور الوسطى... نتيجة لا مفر منها، هي أن الحضارة الأوروبية هي التي حفظت التراث العربي وصانته بالطريقة الصحيح»، في حين أنه قال عن الدين في الغرب: «وكان الدين يصارع الحقيقة العلمية بكل ما أوتي من قوة» ص ١٢٩.وقال: « فقد أتى العلم الأوروبي الحديث بعد فترة انقطاع زال فيها تماما أثر النهضة العلمية الإسلامية الشامخة في العصر الوسيط» ص ١٣٠. وعن معرفته بذلك التأثير واعتراف أوروبا به متأخرا انظر ص١٣٤. فقد اعترف بـ» النهضة العلمية الإسلامية الشامخة في العصر الوسيط «، و» الامتداد الهائل للحضارة العربية الوليدة» (خطاب إلى العقل العربي، فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠م،ص ٣٣)، وإن نادى بتجاوزها!!

(٢) يضع العلمانيون القرآن والسنة في التراث حتى يهدموهما مع التراث الإسلامي! ونحن لا نقبل أن نضع القرآن الكريم في خانة التراث لأن التراث فيه الحق والباطل، ثم هو كلام الله ووحياً إلى البشر وليس جزءاً من التراث صنعوه!

(٣) كانت الكنيسة تملك ثلثي أرض إنجلترا، تاريخ أوروبا لفشر ص ٢٦٢، وكانت أكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا وأكبر ملاك الأرض، قصة الحضارة، ويل ديورانت جـ١٤ ص ٤٢٥. ولمزيد من التوسع انظر: مذاهب فكرية معاصرة، ص ٤٢، ٥٤، والتطور والثبات، ص ٢٦٧.

(٤) انظر كيف نكتب التاريخ الإسلامي، ص ٦٢.

(٥) انظر علل وأدوية، ص ٩٩.

البشرية غير منفصل عن الوحي ولا عن احترام العقل.

نظام ينشئ آثاراً شعورية وخُلقية وحركية في ضمير الفرد وفي سلوك الجماعة، وفي نظام الحياة تقف أمامه النظم الأرضية المختلفة عند مفرق الطرق[1].

لقد قامت الحركة العلمية في الأندلس وصقلية والشرق الإسلامي في ظل العقيدة وبدافع منها، ومن قاعدة طلب العلم «فريضة» يتقرب بها الإنسان إلى الله، وقيامها على هذا المنهج، يقول الأستاذ محمد قطب: «قد صان هذه الحركة عن أن تُستَخْدم في إفساد العقيدة أو إفساد الأخلاق كما تستخدم الحركة العلمية القائمة اليوم في الغرب سواء في تقديم نظريات «علمية!» تنفي صدور الخلق عن الخالق.. أو فلسفات «علمية!» تسخر من الدين والأخلاق»[2]. العلمانيون العرب يريدوننا أن نتجاوز الإسلام بزعم أنه حلقة متخلفة مضى عليها الزمن وعفى عليها الأثر وأكل عليها الدهر وشرب!

ومع أن معطيات الواقع التاريخي المحسوس الحقيقي تؤكد أن الإسلام صنع حضارة علمية تجريبية معملية باهرة، وأنه حث على العلم، مع ذلك فإننا نجد العلمانيين يحرفون حقائق القرآن والتاريخ.. ثم يطالبون بفضح المغالطات التاريخية «زعموا!!» ونقد تاريخي للقرآن والإسلام والحضارة الإسلامية وهذا أحدهم كما قدمناه للقارئ وهو، د. محمد أركون الجزائري- السوربوني، طالب بـ «القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمعالجات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس»[3]!

طالب بذلك في محاضرة له، ألقاها في باريس عام ١٩٧٤ ضمن المؤتمر العلمي الذي عقدته «منظمة الدراسات الإسلامية»[4] (مؤتمر غربي مغرض!)

ويعتبر القرآن «عجيب مدهش ديني مرتبط بالفكر الأسطوري»[5] قالها للأوروبيين في نفس المحاضرة وبما أنه وضعي كفؤاد زكريا ولا مؤمن فإنه يقول: «فيما يخص اللامؤمن أو الروح الوضعية وكما نقول اليوم فإننا نجد على العكس أن العجيب المدهش ليس إلا تنازلاً مؤقتاً يقدمه العقل للإثارة والظواهر الخيالية»[6].

فالقرآن - بحسب مزاعمه - : «القرآن يُنجز أو يبلور (بنفس طريقة الفكر الأسطوري الذي يشتغل على أساطير قديمة متبعثرة) [7] شكلاً ومعنى جديد أي عملاً متكاملاً مجهزاً بطريقة استخدام وأسلوبية خاصة في اللغة العربية» ومازال الكلام له في نفس المحاضرة الباريسية!

ويقول في نفس المحاضرة - التي وضعها كفصل في كتابه الفكر الإسلامي - أن هدفه - زيادة على - ما قاله آنفا - هو: «القيام برد فعل ضد تراث طويل جداً من تفسير القرآن وقراءته» ويُذكرهم بالدكتور محمد أحمد خلف الله الذي اعتبر القصص القرآني قصص غير تاريخي، ليس حقائق تاريخية! الدكتور الذي كان يؤمن بالاشتراكية، يذكرهم أن هذا الدكتور ما كان يملك الأدوات التي تفيد في المهمة الكبرى.. مهمة الخلخلة المباشرة والمتوسعة! ولذلك لم يقم «خلف الله» بها كاملة، ويؤكد لهم أنه هو الذي

(١) مقومات التصور الإسلامي، ص ٤٤.
(٢) مقومات التصور الإسلامي، ص ٤٤.
(٣) الفكر الإسلامي قراءة علمية ص ٣، ٢.

(٤) كما ذكر في كتاب الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص ١٨٧. ولي كتاب عن تلك المحاضرات التحريضية، لأركون نرجو الله أن يصدر قريباً.
(٥) المرجع السابق، ص ١٨٩.
(٦) المرجع السابق، ص ١٩٧. من هذا النص تستطيع فهم موقفه من الدين والتدين والمتدين المسلم، بعيدا عن بقية ما نزل به القرآن من العقيدة والشريعة والحق والقيم والمبادئ.
(٧) ما بين القوسين من كلامه.

يستطيع القيام بالمهمة مع تجاوز ما وقع فيه خلف الله من: «حرصه على مراعاة الموقف الإسلامي الإيماني ونقص معلوماته فيما يخص البحوث الجارية اليوم في مجال التحليل الأدبي»[1] ، فهل هذا هو«الفكر الحر» الذي يطالبون بفتح بلادنا الإسلامية للترحيب به بدلاً من عزله؟ هل يمكن أن يصبح هذا الفكر «تنوعا خلاقا؟! هل كان هذا هو الفكر الحر الذي علم أوروبا كيف تتحرر من خرافاتها وتتطلق بأدوات الحضارة الإسلامية إلى التطور والتقدم؟

مَنْ يعاني مِنْ مَنْ، أَالفكرالمقلد للغرب يعاني كفكر حر - مزعوم!- في العالم الإسلامي أم أن العلماء المسلمين والمفكرين المسلمين هم الذين يعانون من الدكتاتورية العلمانية والإرهاب الفلسفي؟ إنَّ الدكتور فؤاد زكريا، شيخ العلمانية في العالم العربي والإسلامي، والمؤمن بالماركسية والفلسفة الوضعية والمغرم بالوجودية وما شابه الوجودية يعاني كفكر حر في الوطن العربي والإسلامي!!! فيقول: «إنَّ الوطن العربي يعاني في الوقت الراهن من قيود –في الوقت الراهن- من قيود على الفكر الحر لم يعرف لها مثيلا منذ زمن بعيد»[2] ، يقول ذلك وهو الذي يحرض الدولة المصرية على التقليل من الحصة التي رصدتها للدين ومنحتها له في البرامج الإعلامية!

إنه يرفض أن: «تُسخِّر أجهزتها الإعلامية لنشر برامج دينية تزداد مساحتها أو ساعات إرسالها بإطراد»[3] ، يرفض « اهتمام الدولة بنشر الموضوعات الدينية وإذاعتها على نطاق واسع»[4]!

إن الدين عنده كما عبَّر عن ذلك يمثل مرحلة تاريخية غابرة فحسب، وعصر العلم يتجاوزها! يقول شارحا ومعلقا على فلسفة «أوجست كونت» التي يؤمن بها إيماناً أعمى أنها: «نظرت إلى المرحلة الدينية بأسرها على أنها مرحلة أولية من مراحل الفكر البشري (!)، ومن ثم فلابد من تجاوزها، وبالفعل فإن عصر العلم يتجاوز هذه المرحلة بحيث لا تعود لها من الأهمية إلا من حيث أنها تمثل مرحلة تاريخية غابرة فحسب».

قارن هذا التعليق مع ما ذكره آنفا عن موقف أوروبا من تراثها حيث تجاوزته التطورات إلى حد لا متناه، وأن تخلفه يظهر واضحاً إذا ما قورن بالأوضاع التي تجاوزته في العصر الحديث، تجد أنه

(١) المرجع السابق، ص ٢٠٢، والدكتور محمد أحمد خلف الله ولد في الشرقية سنة ١٩١٦، حصل على ليسانس الآداب لغة عربية سنة ١٩٤٠، عضو الأمانة العامة لحزب التجمع اليساري، من أقواله: الإسلام دين العرب فقط، مخالفاً بذلك مفهوم الإسلام ذاته بأنه دين عالمي، يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي بعد توبته العظيمة المهيبة: «أن محمداً ﷺ كانت رسالته عالمية لكل أمم العالم ولو كان نبياً مرسلاً فقط إلى الأمة العربية لما فكر في إرسال هذه الرسائل الأربع إلى حكام العالم المعروفين في ذلك الوقت يدعوهم إلى اعتناق الإسلام هم وشعوبهم.. يؤكد القرآن بوضوح أن النبي محمد ﷺ مرسل إلى الجنس البشري كله، قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سبأ: ٢٨).. إذن ليس ثمة ريب في أن النبي محمد ﷺ رسول من الله عز وجل إلى كل البشر دون تفرقة بسبب الجنس أو القومية أو الحدود أو اللغة أو اللون.. إن عالمية الرسالة المحمدية حقيقة ثابتة لا مراء فيها»، كتابه دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ص ٢٤، لكن د. محمد أحمد خلف الله كغيره من العلمانيين يردد أقوال المستشرقين، يقول الأستاذ فهمي هويدي: (الرأي السائد عند عديد من المستشرقين البارزين، الرواد مثل كيثاني وفلهاوزن وميبور والمحدثون مثل الإنجليزي مونتجمبري وات والألماني رودي بارت، هو: «أن النبي لم يوجه دعوته منذ بعث إلى أن مات إلا للعرب وحدهم « وهو نص عبارة السير وليم مور)، كتاب المفترون لفهمي هويدي، ص ١٨٥، ويقول خلف الله أيضا: «الله معبود عربي» وأول بيت له بني بأرض العرب، من قبل أن يكون الإسلام.. وهكذا نستطيع أن نذهب إلى عروبة المرسل للرسالة (!)، التي تعرف باسم الإسلام (!) «ص ٢٤٢ من كتاب الندوة «= = والمرسل للرسالة المدعي عروبته - يقول الأستاذ فهمي هويدي - ليس سوى الله سبحانه وتعالى» فالمقولة خطيرة وتفتح الباب لتجريح الاعتقاد». المفترون، ص ١٨٦.

(٢) خطاب إلى العقل العربي، ص ٤٤. وهو في نسخة الهيئة العامة للكتاب الصادر عام٢٠١٠م، ص٥٠.

(٣) الصحوة الإسلامية، ص ٥١، وفي هذا السياق تقول مني مكرم عبيد «نصرانية وعضوه في مجلس الشعب المصري وأستاذة في الجامعة المصرية»: «إن أخطر قرار أصدره عبد الناصر في مجرى صراعه مع الإخوان، كان تدريس الدين في مختلف مراحل التعليم»، من مقالة لها في جريدة الحياة اللندنية (١١ يوليو ١٩٩٧م العدد ١٢٥٥١).

(٤) الصحوة الإسلامية، ص ١٥٦.

يعامل الإسلام كما تعاملت أوروبا مع المسيحية مع أن هناك فرق بين المسيحية المنحرفة التي حرَّمت العلم وحرفت الدين، في وقت كان النور يشع من الحضارة الإسلامية في الأندلس والشرق الإسلامي الموحّد النور المنبثق من مشكاة القرآن وتعاليمه الحاثة على النظر في الكون والسعي في الأرض واستخدام سُنة التسخير للسماوات والأرض، لكن الدكتور زكريا يطمس حقائق التاريخ كما طمس حقائق الوحي في كتاباته ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨] فالعلم في الإسلام لم يتجاوز الإسلام وإنما توافقا وتلازماً وتناسقاً معاً وصنعا حضارة زاهية زاهرة عظيمة أفاد منها العالم وما يزال!

فحضارتنا العريقة في التاريخ هي التي اخترعت منهجية العلم التجريبي ومشت فيه خطوات واسعة وطورت أساليب البحث العلمي وهي تتعبد لله في المعامل والمساجد والمدارس فلم يتخلى رجالها عن الوحي لسبب العلم، بل الوحي في الإسلام أنشأ الذهنية العلمية، لكن عبَّاد الغرب لا يفقهون ذلك ولا يعقلون.

بيد أننا لا نلتفت لأفكارهم المتهافتة وتحريفاتها وطمسهم للحقائق فالكون يشهد بأن «الإسلام» لا غيره هو الذي دفع العالم إلى التطوير والتنوير، البحث والكشف، إلى هذه الانطلاقة العلمية التي كان هو مصدرها وملهمها.

فقد دعا إلى وجوب التعلم، وأوجب تدبر آيات الله في الكون والتعرف عليها، بعد أن أخبر سبحانه أن السموات والأرض: «بما تحويان من موجودات وطاقات مسخرة للإنسان بأمر الله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية:١٣] فعليه إذن أن يحقق هذا التسخير بالفعل [المشي في مناكب الأرض والأكل من رزقه]»، من تلك النقطة.. من هذا التوجيه انطلق العقل المسلم يرتاد الكون ويكفي أن يكون هو الذي أنشأ المذهب التجريبي الذي تقوم عليه كل فتوحات العلم الحديث»[1].

ويكفي أن نثبت هنا ما قاله «بريفولت» في الحضارة الإسلامية، التي قامت أساساً على أصول الإسلام ومبادئ القرآن. إذ يقول في كتابه «بناء الإنسانية - Making of humanty»: لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية»[2] على العالم الحديث، ولكن ثماره كانت بطيئة النضج.. إنَّ العبقرية التي ولدتها ثقافة العرب في أسبانيا، لم تنهض في عنفوانها إلا بعد وقت طويل على اختفاء تلك الحضارة، وراء سحب الظلام، ولم يكن العلم وحده هو الذي أعاد إلى أوروبا الحياة، بل إن مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الإسلامية بعثت باكورة أشعتها إلى الحياة الأوربية، لأنه على الرغم من أنه ليست ثمة ناحية من نواحي الازدهار الأوربي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة، فإن هذه المؤثرات توجد أوضح ما يكون في نشأة تلك الطاقة التي تكون ما للعالم الحديث من قوة متمايزة ثابتة، وفي المصدر القوي لازدهاره: أي العلوم الطبيعية، وروح البحث العلمي».

ويستطرد فيقول: «وإن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا إلى الثقافة العربية [يقصد الإسلامية] بأكثر من هذا إنه يدين لها بوجوده نفسه»!

إن الحضارة الإسلامية، والإسلام بطبيعة الحال.. بناء على هذه الحقائق، ليست مرحلة غابرة

---

(١) التطور والثبات في الحياة البشرية، ص ٢٣٥.

(٢) يقصد الحضارة الإسلامية، وقال: «التاريخ لم يعرف للعرب حضارة متميزة إلا بالإسلام، كما أن الحضارة الإسلامية لم تكن قط حضارة للعرب كجنس، إنما كانت نتاج الإسلام ذاته من جميع العناصر المسلمة التي دخلت في الإسلام، وهي تحمل طابع الإسلام لا طابع العرب، والعرب عنصر واحد من العناصر الكثيرة التي صنعت هذا الحضارة»، التطور والثبات، أ.محمد قطب ص ٢٣٦.

كما زعم العلمانيون ومنهم د.فؤاد زكريا، وأنه يجب تجاوز وجود هذه المرحلة، كما دعا وطلب وذلك لسبب بسيط، وهو أن وجود الحضارة مدين للمصدر الذي أمدها بروح البحث والتجريب، وروح البحث العلمي، الروح المنطلق من الدعوة القرآنية للنظر والتعقل والمشي في مناكب الأرض وآيات الكون، أما أن يقتل الإبن البالغ أبيه زاعماً أنه نضج فهذا هو الجنون نفسه (لكن الفلسفة المادية إدعت أنها قتلت الرب، واستغت عن الأب!، واخيراً قال أحد أقطابها: إن الإنسان قد مات).

يقول «بريفولت»: «أما ما ندعوه «العلم» فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة، من طرق التجربة والملاحظة والقياسات ولتطور الرياضيات إلى صورة يعرفها اليونان.. وهذه الروح وتلك المناهج العلمية، أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي»[1]. بيد أن أوروبا رفضت «الإسلام» الذي كان قد خلق هذه الروح في عالم المسلمين!

«رفضت أن تأخذ الإسلام ذاته عقيدة ومنهج حياة، وعادت إلى الجاهلية الإغريقية والرومانية تستمد منها بدلاً من الدين الكنسي الذي لفظته، والدين الصحيح الذي رفضت بدافع العصبية أن تدخل فيه، ومن ثم عادت - كما قلنا- إلى العقلانية اليونانية بزيادة انحراف جديد هو النفور من الدين، والسعي إلى إخراجه من مجالات الفكر والحياة.

لقد كانت الجاهلية الإغريقية جاهلية وثنية خالصة في واقع حياتها، ولكن «المفكرين» و«الفلاسفة» فكروا في الله سبحانه وتعالى، وحاولوا تصوره على قدر ما اجتهدت عقولهم، فاهتدوا إلى وحدانيته وكماله وجلاله، ولكن تشعبت بهم الظنون في متاهات لا قرار لها.. أما جاهلية عصر الإحياء وعصر النهضة فقد سخرت «عقلها» في كيفية الاستغناء عن الله، وإخراج موضوع «الإلوهية» من ميادين الفكر والحياة واحداً إثر الآخر»[2].

إنَّ رفض الإسلام الذي أمد هذه الحضارة بالروح العلمية التي تكلم عنها «بريفولت» يعني رفض «الحياة» التي أمدت أوروبا بالطاقة وقام عليها البناء العلمي الذي اعترف علماء الغرب أنه مأخوذ من مصدر الثقافة الإسلامية! نعم، على هذا البناء ومن هذا المصدر قامت الحضارة الغربية، التي لولا سيطرة الفلسفة - ورفض الإسلام - عليها بعد ذلك لقدمت للبشرية الخير والبر والإحسان والأمان بدلاً من الشقاء، والانتحار والجنون، والشذوذ والجريمة، والفوضى والسعار الجنسي، والضغط العصبي والنفسي وتمزق الروح البشري والانحراف عن الفطرة وعن دين الله والعبودية الحقة.

.. بيد أن فوق هذه الجرائم التي يرتكبها العلمانيون العرب بحق الإسلام فإنَّ لهم جريمة كبرى ارتكبوها وهم يقومون بدور العبد للفكر الفلسفي الغربي، هذه الجريمة هي أنه بدلاً من إعلام أوروبا بالحقائق الإسلامية التي تختلف جذرياً عن خرافات الكنيسة المنحرفة ومقدساتها الكتابية المزورة، بدلاً من إعلامها بأن الإسلام ليس ديناً ينبغي تجاوزه وأنه ليس اختراع الناس البدائيين وأنه دين الله، ودين الفطرة البشرية، دين حث على العلم، واحترام العقل ودعا إلى التقدم والتطور واستخدام السنن الكونية وأن ذلك لا يتعارض مع مفهوم القدر في الإسلام ولا مفهوم العبودية الإنسانية لله، ولا حقيقة الألوهية، بدلاً من إثبات هذه الحقائق وتوصيلها رسالة إلى أوروبا مع الحقائق التي قدمناها عن الإسلام وحضارته، قاموا

(١) كتاب «تجديد الفكر الديني» محمد إقبال، ص ٢٥٠، نقلاً عن مذاهب فكرية معاصرة، ص ٥١٥.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، ص ٥١٦.

بدور المستشرق الخبيث الذي كان يحارب الإسلام وشريعته زمن الحروب الصليبية وأزماننا المعاصرة سواء، والذي يمدحونه فيما يقدحون في صحابة رسول الله ﷺ وعلماء الإسلام القدامى والمعاصرين سواء، قاموا بدور الزنادقة الذين خرجوا قديماً على حضارة الإسلام يريدون شدَّها إلى زندقة الحضارات البالية وفسادها الأخلاقي وتخلفها الروحي، قاموا بدور الصاد عن دين الله ما أدى إلى تشويه رسالة الإسلام عند الغربيين، خصوصاً والإعلام الغربي يستغل هؤلاء العلمانيين فيصنع معهم لقاءات تلفزيونية مغرضة - وآخرها كان لقاء قناة تلفزيونية ألمانية مع د. نصر حامد أبو زيد - ليصبوا في النهاية في بحر الغرب المظلم الغريق، ويُضل بهم جماهير غربية غفيرة، وقد كان يمكنهم بدلاً من ذلك أن يستخدموا مناصبهم ومواقعهم وشخصياتهم في توصيل الحقائق التي دعا إليها الإسلام وأقام بها حضارة إسلامية زاهية، لكنهم نكسوا على رؤوسهم وقلدوا تقليد القرود وغيروا جلودهم كما يُغيِّر الثعبان جلده!

لقد صنعهم «الغرب» ليكونوا «عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية»[1] عقلية تريد: «إزالة عناصر التمييز والذاتية، وخصائص النفس والعقل والمزاج المستمد من الإسلام، وقتل هذه الذاتية واحتواؤها»[2].

كما أنهم يختزلون الإنسان في قوانين مادية فلسفية ويخضعونها لحتمياتها وحتمياتهم أو فرضياتهم، وأساطيرهم وتخرصاتهم، فيبتلعه الحيز المادي الطبيعي أو المصطنع، كافراً بالغيب، معرضاً عن الحق، فيعيش في ظلمات الفكر الطبيعي (نسبة للطبيعة والمادة المجردة)، «بحيث يصبح جزءاً لايتجزأ منها، ويختفي ككيان مركب متجاوز للطبيعة وللمادة، منفصل نسبياً عما حوله وله قوانينه الإنسانية الخاصة»[3].

إنهم يقومون بدور الخديعة للأمة الإسلامية فيقدحون في الوحي الذي أنزل من عند الله وأمنت به، ويدعون إلى هوية أخرى غير هوية هذه الأمة وثوابت غير ثوابتها ومع ذلك يقولون نحن لا نفعل ذلك، ونحن قوم أمناء على هذه الأمة!

وكمثال على ذلك، فإنَّ أركون الذي زعم منذ قليل أن التاريخ يُظهر مغالطات قرآنية تشكيكاً للأمة في قرآنها، هذا «الأركون» ينصره د.علي حرب، بالقول في سياق الدفاع عنه: «ولعل البحث لا يتقدم إلا بخلخلة الاعتقاد وزحزحة القناعات وتبديل زاوية النظر إلى الأمور والأشياء»[4]، ويقول كمال عبد اللطيف تلميذ الجابري، مؤيداً لأركون، في سياق دفاعه أيضاً عن أن الدراسات الشارحة للتراث لاتفيد لأنها: «تظل دون عتبة البحث المنهجي، الرامي إلى خلخلة الأصول ومساءلة الثوابت وإعادة المعطيات في ضوء الأسئلة الجديدة، والمفاهيم المستجدة»[5]، وهي المفاهيم التي استعارها د. أركون من المذاهب الفلسفية الحديثة والتي تُحقِّر «الوحي الإلهي» ويطبق أركون رؤيتها المادية على القرآن فيقدح في هوية القرآن وتنزيله، وهوية الأمة وخيريتها بدينها.

هذا الدكتور السوربوني ليس له هم إلا طمس هوية الأمة ليضع في رقبتها أغلال الغرب التي أشقتها، ومع علم د.علي حرب بذلك وقد قدمنا قوله في خلخلة الاعتقاد وتأييده لأركون في ذلك - وسيأتي من هذه الأقوال الكثير!- فإنه يدافع عن أركون قصد التلبيس على القراء وزيادة في التشويش والخلخلة وإمعاناً في «الخداع» والمكر

(١) شبهات التغريب، أنور الجندي، ص ١٣.
(٢) سقوط العلمانية، أنور الجندي، ص ٢٣.
(٣) حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري (٢) العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير سوزان حرفي، دار الفكر، ص٢٤.
(٤) نقد النص، ص ٧٢.
(٥) جريدة الحياة، ١٦ مايو ١٩٩٧ العدد (١٢٤٩٥).

يقول: «وإذا كان البعض يعترض على قراءة أركون التفكيكية بالقول أنها تؤدي إلى تفكيك الهوية وضياع المعنى ومن ثم يتهم صاحبها بالتهم المعروفة كالتخريب الثقافي، ويصنفه بين الخارجين والمنشقين، أو بين المستشرقين والمستغربين، فما هي إلا أشكال للتصنيفات القديمة إياها.. فالنموذج العقائدي، بما هو عقل مغلق (!)، يري إلى الاختلاف والمغايرة بوصفها ابتداعاً وانحرافاً وينبغي فضحهما وإدانتهما، وقديماً كفّر الفلاسفة على آرائهم واجتهاداتهم.. الإقرار بالاختلاف هو السبيل إلى التوحيد (!) وليس العكس كما يظن ويعتقد، على أننا لا ننظر إلى الاختلاف بوصفه ضلالاً أو انحرافاً، بل بوصفه طريقاً آخر(!) أو مذهباً آخر أو اجتهاداً آخر(!)»[1]. يقول ذلك في نفس الصفحة التي ذكر فيها أن عمل أركون هو خلخلة الاعتقادات وزحزحة القناعات! ويعتبر ذلك فكراً واجتهاداً آخر يجب إعطاءه مساحة للنقد!

ومع أن علي حرب غارق في بحر الفلسفة المظلم إلا أنه يطالب بالتحرر من أي أصول «فمهمة الفكر أن يفكر بالتحرر من كل وصاية ومن أية جهة أتت سواء أكانت وصاية الفلسفة وأهلها أم وصاية الشريعة وأئمتها»[2]! وهو يتهم عقيدة الإسلام بأنها «عقل مغلق» كما فعل أركون تبعاً لمفكرين غربيين كما سيأتي في الفصل الذي صنعناه عن د.محمد أركون.

فإذا كانت الشريعة هي الإسلام وقوانينه ومبادئه وتشريعاته وعقائده وقيمه، فإن التحرر منها يعني التحرر من الهوية الإسلامية وإذا كانت السلطة في الإسلام هي للشريعة الإلهية فإنَّ التحرر من هذه السلطة تحرر من السلطة الإلهية.

(١) نقد النص، ص ٧٢.
(٢) المرجع السابق، ص ٤٤.

وإنَّ د.حسن حنفي[3] يصب أيضاً في هذا الاتجاه، فيقول: «مهمة التراث والتجديد التحرر من السلطة بكل أنواعها سلطة الماضي وسلطة المورُوث، فلا سلطان إلا للعقل ولا سلطة إلا لضرورة الواقع...»[4]! وسيأتي أيضاً في الفصل الذي خصصناه لفكر د.حنفي قوله في عدم لزومية الوحي فالسلطان للعقل فقط!

فهل تحرر هؤلاء فعلاً أم صاروا عبيداً لحفلات السيرك الغربي يغير لهم جلودهم كلما رأى ذلك مصلحة له ومسلياً للنظارة الغربيين!

لننظر إلى قول المتحرر د. علي حرب التالي: «الفكر الغربي هو الذي أيقظنا من سباتنا الحضاري وفتح لنا أبواب النقد... بحيث نغير جلدنا تماماً كما يغير الثعبان جلده»[5]!!! فأين التحرر من الفلسفة وأهلها هنا؟! وقد غيرت له جلده تماماً كما يغير الثعبان جلده!!!

لم يصل «الاجتهاد العلماني!» إلى هذا الحد، بل لقد طالب الأستاذ «كرم الحلو» من خلال مقالاته في جريدة الحياة التي تصدر من لندن بالغزو الثقافي ورياح الغرب المدمرة فقال: «فليكن الغزو الثقافي الغربي الصدمة الكهربائية المنقذة من نهايتنا المحتومة ولتهب علينا رياح الغرب من كل الجهات لتغزنا ثقافته ولتستفزنا قيمه فربما كان من ذلك خلاصنا ويقظتنا من سبات طال وطال حتى كأنه الموت»[6]، يقول ذلك ولا يسأل – يقول الأستاذ منير شفيق[7]- إن كانت بعض تلك الرياح صهيونية

(٣) رئيس قسم الفلسفة (الإسلامية) – آداب القاهرة.
(٤) التراث والتجديد، ص ٤٥، نقلاً عن المثقفون العرب والتراث، ص ٢١٧.
(٥) نقد النص، ص ٤٣.
(٦) جريدة الحياة، ١٩٩٨/١/٥م.
(٧) الأستاذ منير شفيق، مفكر إسلامي فلسطيني، من مواليد القدس ١٩٣٦، من عائلة مسيحية، عمل قبل انتقاله من أرض العلمانية إلى أرض الإسلام في إطار الحزب الشيوعي الأردني حتى عام ١٩٦٥ له كتابات قديمة ماركسية مثل «الماركسية اللينينية والثورة المسلحة»، «المركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري»، «في علم =

وبعضها متصهينة وبعضها جاء ليهب بأبشع ما جاء به الاستعمار القديم وبعضها جاء ليتحكم بالدولة والتعليم والحياة اليومية بأشد مما كان عليه الحال أيام الاستعمار المباشر، وبعضها يحمل كل ما يمكن أن توردہ الثقافة المنحطة التي تشجع على.. تهديم العائلة، وتروج للعنف والجريمة وأنواع الانحراف»[1].

إنَّ كرم الحلو يطالب بتذويب الهوية الإسلامية لصالح العولمة الغربية فيقول: «فلنكف عن استحضار التاريخ واللوذ إلى رموزه صوناً لهوية لم يعد ممكناً تأكيدها إلا بانخراط أكثر فأكثر في ثورة العولمة والحداثة حيث الواقع العلمي الراهن يتجه نحو هوية (معولمة) من خلال التشكيل المستمر التي تخضع لها الهويات القومية»[2].

ومعلوم أن العولمة تُسقط الحدود والخصوصيات، ويصبح كل البشر كائنات وظيفية - كما قال المسيري- أُحادية البعد، وهي «القفص الحديدي»[3] كما هو تعبير ماكس فيبر.

إنَّ جوهر ثقافة «الغرب» اليوم هو إعطاء السيادة للإنسان المنحرف بديلاً عن الله خالق الإنسان، وكل العلمانيين يعلمون ذلك، يقول د. محمد أركون عن «الغرب»: «نجد أن مركز السيادة قد انتقل من السماء إلى الأرض ومن الله إلى البشر»[4]. فالدعوة إلى العلمانية «الغزو الفكري الإلحادي» تعني إعطاء السيادة للإنسان وإبعاده عن الله، نقلها من سيادة الشريعة الإلهية إلى سيادة عقل الإنسان، وفي الحقيقة فإن انتقالها في «الغرب» كان إلى عقل إنسان الفلسفة الإغريقية اليونانية والرومانية الإباحية!

وقد جاء الإسلام لحرب هذه الفلسفات العقلانية المنحطة التي يريد العلمانيون العرب في العصر الحديث أن تنتصر - في أحدث صورها! - على الإسلام! الإسلام الذي قال عنه د. أركون بعد ملاحظة دقيقة: «نلاحظ في كل المجتمعات الإسلامية أن الإسلام بصوره المختلفة... يشهد اليوم انتشاراً وذيوعاً لم يعرفها في ماضيه السابق كله»[5] «الخطاب الإسلامي ذائع أكثر من أي وقت مضى»[6]، إذن، ستكون ضراوة المعركة بين الإسلام والكفر شديدة، أكثر من أي وقت مضى!

وقد أعطى الغرب أسلحته للعلمانيين العرب وغيرهم من أبناء البلاد الإسلامية الأخرى ليقوموا بالحرب المباشرة وغير المباشرة ضد هذا الدين وضد هوية هذه الأمة الإسلامية الحضارية، وضد خصائصها ومقوماتها بلا هوادة ولا ضمير! فامتطى بعضهم «حصان طروادة» ودخل تخوم الإسلام والمسلمين ليهدم البناء من الداخل كما فعل أغلب العلمانيين!

فادعى د.حسن حنفي أنه مجدِّد الدين في القرن العشرين.. ثم نقد الوحي وعقائد الإسلام الثابتة، حتى قال عنه د. على حرب - وهو أخ له في العلمانية! - : «حسن حنفي لا يستطيع نقد العقائد والمذاهب إلا باسم الدين نفسه»[7]! ويوضح لنا إلى ماذا يسعى حنفي فيقول: «يسعى إلى قلب كل المفهومات»[8].

الحرب»، وبعد إيمانه بالإسلام وتركه للماركسية ألف «الإسلام في معركة الحضارة»، «الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر»، «ردود على أطروحات علمانية»، «العلمانية والديمقراطية في التجربة الغربية»، «في الحداثة والخطاب الحداثي»، «تجارب ست ثورات عالمية»، «في نظريات التغيير»، «النظام الدولي الجديد وخيار المواجهة»، «تجربة محمد علي»، «الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات»، «الدولة والثورة رد على ماركس، انجلز، لينين، ومقاربات مع الرؤية الإسلامية».

(١) جريدة الحياة، ١٩٩٨/١/٢٨.

(٢) جريدة الحياة، ٢٠٠٠/٣/٦.

(٣) العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية، للمسيري، ج٢ ص ٤٦٤.

(٤) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص ١٨١.

(٥) المرجع السابق، ص ١١٥.

(٦) المرجع السابق، ص ١١٨.

(٧) نقد النص، ص ٣٠.

(٨) المرجع السابق، ص ٣٠.

ويقول جورج طرابيشي عن حقيقة د. محمد عابد الجابري أنه يأتي العقل العربي - وفي الحقيقة الإسلامي!- متصدياً له - في شبه حصان طروادة جديد - من داخل الأسوار[1].! وسنتعرف بعد قليل على هذه النماذج الفريدة بشكل أكثر وضوحاً!

إنَّ د. فؤاد زكريا يُعرِّي إخوانه الذين اختاروا أن يهدموا الإسلام من الداخل، من داخل نصوصه الإسلامية، ويصفهم بالخوف والخداع!: «يمكن القول إن دخول الفكر الفلسفي العربي المعاصر في «لعبة النصوص» - وهو أمر أصبح عظيم الشيوع في هذه الأيام - هو ذاته أوضح مظاهر الخوف في الفكر الفلسفي»[2]، لكنه يبرر خداعهم في التلاعب بالنصوص الإسلامية واستخدامها بأنه تلاعب بالنصوص تقتضيه الظروف، إذ أنه قد يكون هو الوسيلة الوحيدة في ظروفنا الراهنة لوجود ألف قيد وقيد!

كان د. ذكريا يود لو أنهم أعلنوا الهيمنة المباشرة للفلسفة على الوحي وانطلقوا منها لمواجهة هذا الوحي بدلاً من دخول معركة يُستخدم فيها أدوات الخصم وتنتهي بالهزيمة وانتصار الخصم!

إذ باتخاذ طريقة «لعبة النصوص» من قبل أغلب العلمانيين كما قال: «يظل جهده - يقصد هذا النوع من العلمانيين - في هذا الميدان محدوداً وتظل مناقشته ملتوية غير مباشرة.. مغلول بألف قيد وقيد، بل قد يرغمه على اللجوء إلى الخداع»[3].

والعلماني الذي يتخذ هذه الوسيلة لمحاربة الإسلام والفكر الإسلامي ينتهي - في رأي د. زكريا - إلى الهزيمة: «لأنه يكون في موقف المهزوم الذي سلَّم مقدماً بأنه خسر أهم أرض يرتكز عليها فهو حين يفترض أن النص لا يقبل المناقشة (!) وحين يدعم موقفه الخاص من خلال النص يواجه بها تلك النصوص الأخرى التي يلجأ إليها الآخر، يكون قد سلم مقدماً بأن النص هو المرجع غير القابل للمناقشة العقلية»[4].

فالنص عند شيخ العلمانيين ليس هو المرجع، إنما المرجع هو الفلسفة (الغربية، طبعاً) يقول: «فالفلسفة تناقش كافة المسلمات»[5]، وترفض التسليم مقدماً بأن النص «بحسب مصطلح العلمانيين!» أو «القرآن الكريم» أو «الوحي الإلهي» هو المرجع الغير قابل للرد والتشكيك والمراجعة النقدية التي يقومون بها تقليداً للغرب المادي الإختزالي، أنه يريد إنقاذ الفكر الفلسفي من الخضوع للنص الإسلامي ولو خداعاً وتلاعباً لحين القضاء على الإسلام والفكر الإسلامي!

لأن ذلك تترفع عنه فلسفة الدكتور زكريا! ويضعها في مأزق حرج! مأزق أن يلجأ العلماني مرغماً إلى ممارسة فاعليته بشروط الطرف الآخر وعلى أرض الطرف الآخر، وهو ما يترفع عنه - نظرياً! - الدكتور زكريا!

فعندما يواجه العلماني مفكراً إسلامياً مخضرماً فإن الارتباك المؤدي إلى التلاعب والخداع من قبل العلماني يُصبه بالذعر ما يجعله يهرب إلى نص إسلامي ليجد فيه مخرجاً قد ينقذه من الوقف المحرج هذا. في حين أن فؤاد زكريا يريد من المحاور أو الناقد أن يتصدى للنص ذاته كما قال (ومع ذلك لم يفعل هو ذلك وكان يتوجس خيفة من تلك الفعلة).

يقول زكريا: «فما الذي يفعله المفكر لكي يتخلص من موقف كهذا؟ إنه يتحايل على هذا الموقف (!) بأن يلجأ هو بدوره إلى الاستشهاد بالنصوص لتأييد وجهة نظره الخاصة.. أن الفكر

(١) مذبحة التراث، ص ١١٨.
(٢) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، ص ١٥٦.
(٣) المرجع السابق، ص ١٥٧.
(٤) المرجع السابق، ص ١٥٥
(٥) المرجع السابق، ص ١٥٣.

الفلسفي، حين يجد نفسه مضطراً إلى التخلي عن طريقته الخاصة في البحث، وأعني بها طريقة مناقشة المسلمات مهما كانت أساسية، يلجأ إلى ممارسة فاعليته بشروط الطرف الآخر وعلى أرض الطرف الآخر، فلا يعود مرتكزاً على المنطق الداخلي لحجَجُه العقلية (!) وإنما يجادل في المسائل الدينية من داخل النصوص ذاتها مع تأويلها عقليا ً»[1].

فاللجوء إلى أي نص، يستطيع «العلماني» ملئه بما يشاء من حججه المدعوه «عقلية» لمعارضة الحجة القاهرة هو الوسيلة الأكثر بروزاً وانتشاراً في عالم العلمانية المتسترة بالتفكير الإسلامي والاجتهاد الإسلامي وادعاء الإيمان بثوابت الإسلام!! فإذا أعوزهم الدليل وغلبتهم الحجة الإسلامية فإنهم غالباً ما يلجأون إلى الطعن واللعن.. والتهديد والوشاية.. والأكاذيب وخداع أكبر مما كان!

إنَّ حضور الإسلام في المجتمعات الإسلامية، ويقظة مفكريه وعلمائه، وتنامي الفكر والشعور الإسلامي لهو عائق في عملية الهدم المباشر ما أدى إلى سلوك أغلب العلمانيين كما أشار د. فؤاد زكريا طريق التخفي داخل الفكر الإسلامي والتستر داخل حصونه لإعمال الهدم وتمزيق الإسلام من داخل الأسوار!

(١) المرجع السابق، ص ١١٥. وضرب ص ١٥٧مثلا على اصحاب هذا الموقف بمحمد احمد خلف الله، ومحمد عمارة وخالد محمد خالد (طبعا قبل هدايتهما)، والمدهش أن عمارة واجه زكريا فيما بعد في مناظرات عديدة.

وفي هذا السياق نعرض كلاماً للمسيري عن جاك دريدا اليهودي واتجاهه التفكيكي: «وهذا يفعله أيضاً بعض مؤرخي الأفكار في الغرب، خاصة سوزان هاندلمان.. التى ترى أن المثقف اليهودي الذي يحاول تحطيم النص المقدس لجأ للخديعة بدلاً من المواجهة السافرة...فلم يعلن اليهودي رفضه للحضارة الغربية، بل زعم أنه سيحاول تفسير نصوصها الأساسية تفسيراً جديداً، ولكن تفسيره كان في واقع الأمر تفكيكاً لهذه النصوص وتقويضا لها، أي إنه ألبس هرطوقيته لبوس الهرمنيوطيقا واستخدام آلياتها...إنها فرض اللامعنى بوصفه المعنى، وفرض الظلام بوصفه النور»، الحداثة وما بعد الحداثة للمسيري وفتحي التريكي، دار الفكر، ص ١٤٠.

إنَّ علاقة الفلسفة بالمسيحية المزيفة في الغرب أدت إلى تطاحنهما مما أدى إلى انهيار هذه المسيحية، الشيء الذي جر هذه الفلسفة الغربية إلى إعلانات حاقدة مثل قول نيتشه «اللوطي!» «إن الله قد مات»، والمدهش أن نيتشه كما قال الدكتور المسيري جعل من نفسه إلها: «وقد قال نيتشه الذي كان قد مكث في مصحة عقلية مدة قصيرة : «إذا كان هناك إله، فماذا أكون أنا إذن»، أي أنه يطالب بتأليه الإنسان. ولكن، حينما يتأله الإنسان ويظهر السوبرمان، فإن العالم في الواقع يصبح بلا معنى... ويظل العالم مفتقراً إلى المعنى»[2]، ونيتشه كما يقول د. فؤاد زكريا «أنه يُبرِّر الشذوذ.. تبريراً يجعل منه ظاهرة سليمة»[3].

إن قول نيتشه هو تطور في الفكر المادي سيؤدي كما قلنا، فيما بعد، على لسان فوكو، إلى إعلان «موت الإنسان»، يقول د. فؤاد زكريا: «نجد تطورات هائلة تطرأ على المفاهيم الدينية الرئيسية في ضوء النظريات العلمية الهامة كنظرية التطور والتحليل النفسي والنسبية، (!)[4].

أصبحت هذه النظريات هي المبادئ الفلسفية التي قادت بعد ذلك البحث الفلسفي العلمي

(٢) العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية، للمسيري، دار الشروق، ج١ ص ١٧٨.

(٣) نيتشه، للدكتور فؤاد زكريا، ص ٤٦، ١٢٥، ١٣٣، ١٣٤. *وذكر المسيري أن فوكو الفيلسوف الفرنسي كان شاذاً جنسياً: «فإذا كان المرء ذكراً فيمكنه أن يمارس الجنس مع ذكر مثله... مثل فوكو الفيلسوف الفرنسي مثلاً..ويقال إن فيلسوف النفعية جريمي بنتام كان يحب ملاعبة القرود بطريقة جنسية»، العلمانية الشاملة ج١ ص ٢٥٧. وهناك في الغرب من: «يحاول أن تُجرى له عملية جراحية ليصبح من الجنس الآخر(والعكس بالعكس)... المساواة تحت رايات الحداثة تصل إلى درجة إنكار الأصل والمركز تماما!» العلمانية الشاملة ج١ ص ٢٥٧.* ويقول أيضاً: «وقد صرح فوكو وكان شاذاً جنسياً، يمارس السادية/المازوكية، ويتردد على عاصمة الشذوذ الجنسي في العالم (سان فرانسسكو)، أن لحظة الإنعتاق الوحيدة التي كان يشعر بها، هي لحظة ممارسته الجنس على الطريقة السادية المازوكية..إذ لا يبقى في العالم سوى جهازه العصبى وخلاياه وصيرورته الكاملة»، الحداثة ومابعد الحداثة، للمسيري وفتحي التريكي، ص٩١.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٧.

العلماني إلى الهاوية!، فلم يصر البحث العلمي مجرداً من الهوى والفلسفة (وراس المال!)، وإنما خضع لها تماماً، مع محاولة الضمير الغربي شرعنة أنواع من المقاومة.

وكما اقتنعت الجماهير الغربية اليوم بما تدعي الفلسفة أنه من نتائج البحث العلمي الدؤوب من الإلحاد واعتبار الأسرة شيء بدائي لا يجوز أن يثبت وغير ذلك من مزعومات تُنْسب للبحث العلمي وهو بريء منها، فقد اقتنعت الجماهير المسيحية (إنتهى أغلبها إلى الإلحاد والكفر)، بنتائج نظرية دارون التي قالت بأن أصل الإنسان حيوان، مع نفي حقيقة الخلق الدقيق! وذلك بعد أن وقفت في بادئ الأمر في جانب الكنيسة ضد نظرية دارون لكنها ما لبثت أن غيرت موقفها غضباً من الكنيسة الطاغية.. وفرحت بالانطلاق والتحرر.. ولو في إهاب الحيوان!

وأصبح «التطور» الداروينى الذي لبس مسحة العلم هو بداية تغيير كل شيء تحت مسمى «العلم» فأخذ التحليل النفسي لفرويد «حيوانية الإنسان» من دارون وأضاف أن هذا الإنسان الحيوان الغارق في الحيوانية دوافعه كلها جنسية فقال بأن الطعام جنس والشراب جنس والنوم جنس والصحو جنس والتبول والتبرز جنس والرضاعة جنس ومص الإبهام جنس والنشاط الفكري والنفسي كله نابع من هذه الفوهة الجنسية.فجعل الحياة كلها تنبعث في هذا «الجنس» حتى الدين والأخلاق[1]! «إنَّ أحداً لم يلوث الإنسان بمقدار ما لوثه فرويد» حين أصر على تفسير كل نشاطه بالتفسير الجنسي.. المغرق في الحيوانية..

«أسطورته الكبرى التي جعلها المحور الرئيسي لكل نظرياته.. أسطورة العشق الجنسي للأم، أخذها - باعترافه [في كتابه] Totem & Toboo من مثال أورده دارون من عالم البقر! ففي عالم البقر تهيج الثيران في موسم الإخصاب، فتقتل أباها الشيخ ثم تقتتل فيما بينها على الأم، كل يريد الفوز بها لنفسه، فتموت الثيران الضعيفة أو تخور قواها مما تنزف من الدم، ويبقى الثور الأقوى، يفوز وحده بالأم، ويلبي معها داعي «الجنس»!

وفرويد.. في بساطة.. بلا تحرج ولا تأثم.. ولا تأنيب ضمير.. ينقل هذه الظاهرة الحيوانية إلى عالم الإنسان!.. وينسبها إلى البشرية الأولى، كأنما قد شهد مولدها وعاين تحركاتها[2] وسجل ما جرى لها من الأحداث!

ويغفل في بساطة.. بلا تحرج ولا تأثم ولا تأنيب ضمير.. أن بعض الحيوانات ذاتها يأبى الولد منها أن يطأ أمه ولو دُفع إلى ذلك دفعاً وعوقب على الامتناع بالضرب الأليم، ثم لا يكتفي بأن تكون تلك اللوثة المجنونة قد أصابت البشرية الأولى مرة.. بل يصر على تلويث الأجيال البشرية كلها.

أما «القيم».. فهي «الكبت» لذلك الجنس! هي الوقوف في طريق «النمو الحر للطاقة الجنسية»[3]! - التي يحبذها فرويد - المتسمة «بطابع القسوة حتى في صورتها الطبيعية العادية»[4] هي التي ينشأ

(١) استقذر«الدين والأخلاق» وادعى أن التسامي نوع من الشذوذ! كما في كتابه « Three Contributions to the sexuel theory» ص ٨٢. وفي كتابه « The ego & the id» ص ٨٠ يقول «إنَّ الأخلاق تتسم بطابع القسوة حتى في درجاتها الطبيعية العادية»!! انظر التطور والثبات، ص ١٩، ٢٠، ودراسات في النفس الإنسانية، ص ١٧٤، ٢٠٠، ٣٦١.

(٢) قال تعالى ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ وتنطبق الآية على شياطين الإنس والجن.

(٣) يقول في كتابه Three Contribution ص ٨٥ «إن الحضارة تتعارض مع النمو الحر للطاقة الجنسية»!

(٤) وفي كتابه The ego & the id ص ٨٠ يقوا «إن الأخلاق تتسم بطابع القسوة حتى في درجاتها الطبيعية العادية»، انظر التطور والثبات في حياة البشر، ص ٥١.

عنها القلق والإضراب والعقد النفسية والانحراف والشذوذ»[1].

إذن، فليتحرر الناس من القيم التي تحيل حياة الناس إلى جحيم ولينطلقوا بفلسفة فرويد كما انطلقوا في الغرب! - إلى السعار الجنسي، ولتكن العلاقات الشاذة هي الأصل، ولتزول البشرية التقليدية ولتكون بشرية التهجين العلمانية!

هذا النداء هو نداء المذاهب المادية المغموسة في حمأة الحيوانية ومستنقع البهيمية ونحن نرى اليوم، ونحن نعيش في الغرب، أن الحيوانية هي الأصل والإنسانية كما نعرفها في عالم الدين هي في فرع النسيان!

إنَّ مذهب «السببية» الذي غيَّر من مفاهيم الألوهية والوحي في الغرب هو مذهب عقلي يتجه إلى إزالة الله وما فوق الطبيعية من الكون كما يقول «جون برنتون» ويقول أيضاً: «إنَّ السببية تهدم كل ما بنته الخرافات والإلهامات والمعتقدات الخاطئة في هذا العالم» (يقصد المعتقدات الدينية) ثم يقول: «الإله في عرف نيوتن أشبه بصانع الساعة، ولكن صانع هذه الساعة الكونية - ونعني بها الكون - لم يلبث أن شد على رباطها إلى الأبد.. وإنه ليبدوا أنه ليس ثمة داع أو فائدة من الصلاة إلى إله صانع هذه الساعة الكونية، الذي لا يستطيع - إذا ما أراد - التدخل في شئون عمله»[2].

هذا هو التعديل الذي طرا على مفاهيم الألوهية والوحي والبعث في عالم الغرب فأفسده وأورده مورداً مهلكاً، وهو التعديل الذي يطالب به د. فؤاد زكريا لولا استحالته في المجتمعات الإسلامية، للظروف، للألف قيد وقيد !!

فيقول: «هذا النوع من التعديل في المفاهيم الرئيسية يستحيل تصوره في مجتمعنا، بل إن محاولة كهذه تدان بشدة وتعرض صاحبها - ونحن في الربع الأخير من القرن العشرين - لأخطار معنوية ومادية شديدة»[3].

ولذلك فهو وإن كان قد سلك - نظرياً فقط! - طريق الفلسفة معرضاً عن لعبة النصوص، التي ستورطه في هيمنتها وهو ما يستكبر عنه ويأنف منه! فإنه يعذر العلمانيين الذين اتخذوا طريق «التلاعب بالنصوص الإسلامية» واختراق الأسوار والهدم من الداخل لوجود ألف قيد وقيد، أشياء لم توجد بهذه الصورة الصلبة في ظروف أسياده الغربيون اللهم إلا في الماضي البعيد!

لقد قام البعض وتجرأ وقدح في الوحي القرآني وقام بعملية نقد استعار أدواتها من المستشرقين وفلاسفة المذاهب الحديثة، لكن هذا البعض قليل إذا ما قارناه بالذين يستبعدون «الوحي والنبوة» من النقد الذي يسمونه «النقد اللاهوتي» يستبعدون هذا النوع من النقد لعدم توفر ظروفه!!

---

(١) دراسات في النفس الإنسانية، ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٢) جون برنتون، منشأ الفكر الحديث، ترجمة عبد الرحمن مراد ص ٢٧ نقلاً عن حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ص ٥٧، ٥٨.

لقد درس المسلمون ما امتدت إليه عقولهم من الكون وتعرفوا على بعض أسراره في حضارتهم واكتشفوا، أن هناك سبباً لكل شيء يحدث في الكون من نور وظلام وكسوف وخوف، ورياح ومطر، وجدب وخصب وزيادة ونقص... إلخ، ولكن اكتشاف «السبب الظاهر» لم يكن فتنة لهم كما كان بالنسبة لنيوتن ومن بعده العلماء! فلم يجعلوه بديلاً عن السبب الحقيقي (قلت: موجب الأسباب وخالقها وهو سببها كلها)، وهو الله سبحانه وتعالى، فلم يستغنوا به عن الله ولم يتصوروا أن له حتمية تقيد مشيئة الله الطليقة بحيث =

يعجز سبحانه عن التصرف في الكون بما يشاء، كما توهم نيوتن وغيره»، مذاهب فكرية معاصرة، ص ٢٥١.

(٣) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، ص ١٥٧.

٧- ثورات الخوارج
الخروج على والي الكوفة المغيرة بن شعبة

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

تحدثنا في الحلقة الماضية عن الثورات التي قام بها الخوارج في أعقاب الصلح الذي تمّ بين الحسن بن علي، ومعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، في عام ٤١هـ، والذي أُطلق عليه اسم «عام الجماعة»، لِما ترتب عليه من اجتماع كلمة الأمة على خليفةٍ واحد، وعودة الوفاق إلى صفوفها بعد أعوام من الخلاف.

فالخوارج -بدلاً من أن يكونوا في صفّ الأمة- اختاروا طريق الشقاق، وسرعان ما استأنفوا تمرّدهم وحركاتهم التخريبية على الخليفة الجديد، معاوية، رضي الله عنه، دون أن يعطوا المسلمين فرصة لالتقاط أنفاسهم، وتجاوز آثار الحروب والخلافات، وهو الأمر الذي سار عليه الخوارج طيلة مسيرتهم الهدّامة.

وسيُلاحَظ - ابتداءً من الآن- أنه بعد مغادرة معاوية الكوفة إلى الشام بعد تحقيق الصلح مع الحسن، فإن عبء مقاومة الخوارج، سيقع بشكل أساسي على المغيرة بن شعبة، رضي الله عنه، الذي عيّنه معاوية، رضي الله عنه، واليًا على الكوفة، حيث تركّز نشاط الخوارج في هذه الولاية، إضافة إلى البصرة، التي أصبح عبد الله بن عامر واليًا عليها.

كما سيُلاحظ أن حنكة المغيرة[1] سيكون لها دور كبير في التصدّي للخوارج والقضاء على ثوراتهم، رغم أنه كان يغضّ الطرف عن الخوارج الذين لم يحملوا السلاح في وجه الدولة، وطالما بقي الخلاف معهم في إطاره الفكري، فقد كان يؤتى فيقال له: إن فلانًا يرى رأي الشيعة، وفلانًا يرى رأي الخوارج، فيقول: قضى الله أن لا يزالوا مختلفين، وسيحكم الله بين عباده»[2].

أما حاملو السلاح بوجه الدولة والمسلمين فكان للمغيرة معهم منهج آخر، يقوم على الشدّة والحسم بعد إبداء النصح والإعذار، في انسجامٍ مع سياسة معاوية «فللحلم موضع، وللسيف آخر»[3]، ويتضح ذلك من قول المغيرة للقائد الذي كلّفه بمقاتلة الخوارج: «يا معقل بن قيس، إني قد بعثتُ معك فرسان أهل المصر، أمرت بهم فانتخبوا انتخابا، فسِر إلى هذه العصابة المارقة الذين فارقوا

(*) كاتب أردني.

(١) ذكره ابن كثير في وفيات سنة ٥٠هـ، فقال: «كان المغيرة من دهاة العرب، وذوي آرائها، أسلم عام الخندق...، وشهد الحديبية، وكان واقفاً يوم الصلح على رأس رسول الله ﷺ بالسيف صلتاً. وبعثه رسول الله ﷺ بعد إسلام أهل الطائف هو وأبو سفيان بن حرب فهدما اللاّت،... وبعثه الصدّيق إلى البحرين، وشهد اليمامة واليرموك فأصيبت عينه يومئذ. وقيل: بل نظر إلى الشمس وهي كاسفة فذهب ضوء عينه.
وشهد القادسية، وولاّه عمر فتوحاً كثيرة، منها همذان وميسان، وهو الذي كان رسولَ سعدٍ إلى رستم، فكلّمه بذلك الكلام البليغ، فاستتابه عمر على البصرة. فلما شُهد عليه بالزنا ولم يثبت عليه عزله عنها وولاه الكوفة، واستمر به عثمان حيناً، ثم عزله، فبقي معزولاً حتى كان أمر الحكمين فلحق بمعاوية، فلما قُتل عليٌّ وصالَح الحسن معاوية ودخل الكوفة، ولاّه معاوية عليها، فلم يزل أميرها حتى مات في هذه السنة على المشهور. انظر: البداية والنهاية، ص ١٥٨٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، أحداث سنة ٤٢هـ.

(٣) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١٢١.

جماعتنا، وشهدوا عليها بالكفر، فادْعهم إلى التوبة، وإلى الدخول في الجماعة، فإن فعلوا فاقبل منهم، واكففْ عنهم، وإن هم لم يفعلوا فناجِزهم واستعِن بالله عليهم»[1].

وبعد الثورات التي تحدثنا عنها في العدد الماضي، والتي قادها فروة بن نوفل، وابن أبي الحوساء، وحوثرة الأسدي، وتم القضاء عليها، استأنف الخوارج تمرّدهم، بل تسارعت ثوراتهم وتناسلت، ذلك أن الأفهام السقيمة التي كفّرت الصحابة والمسلمين لم تتغير.

خروج فروة بن نوفل للمرة الثانية

مرّ بنا من قبل أن **فروة بن نوفل** قاد أول ثورة للخوارج ضد الخليفة معاوية فور انعقاد الصلح بينه وبين الحسن، إلاّ أن فروة لم يكمل قيادته للخوارج، لأن قبيلته «أشجع» قامت بإرجاعه قهرا من صفوف الخوارج، وآلت القيادة إلى عبد الله بن أبي الحوساء، لكنّ فروة عاد فثار في الكوفة خلال ولاية المغيرة عليها، فأرسل إليه المغيرة جندا فقتلوه، وقضوا على حركته.

وإذا كانت محاصرة «أشجع» لفروة لم تفلح في منعه من الخروج، إلاّ أنها ساهمت في إبعاد أنصاره عنه، ممّا جعل تحرّكه صغيرا، أمكن للمغيرة القضاء عليه بسهولة[2].

خروج شبيب بن بجرة الأشجعي

وشبيب هذا هو الذي شارك عبدَ الرحمن بن ملجم في قتل علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وعندما دخل معاويةُ الكوفة أتاه شبيب محاولاً التقرب إليه فقال: أنا وابن ملجم قتلنا عليًا، فوثب معاوية من مجلسه مذعورًا حتى دخل منزله، وبعث إلى قبيلة أشجع وقال: لئن رأيتُ شبيبًا أو بلغني أنه ببابي لأهلكنّكم. أخرِجوه عن بلدكم. وهذا يكشف عن عدم رضى معاوية بقتل عليّ، رضي الله عنهما، بخلاف ما يزعم الشيعة.

فلما ولي المغيرة الكوفة خرج عليه شبيب قريب الكوفة، فبعث إليه المغيرة جندا فاقتتلوا فقُتل شبيبٌ وأصحابه[3].

خروج معين بن عبد الله

بلغ المغيرة - وكان له عيون ينقلون له الأخبار- أن **معين بن عبد الله** يريد الخروج، فأخذه وحبسه، وبعث إلى معاوية يخبره أمرَه فكتب إليه: إن شهِد أني خليفة فخلّ سبيله. فأحضَره المغيرة وقال له: أتشهد أن معاوية خليفة وأنه أمير المؤمنين؟ فرفض الإقرار بذلك، وقال: أشهد أن الله عز وجل حقّ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث مَن في القبور. فأُمر به فقُتل. ثم قام الخوارج بعد ذلك باغتيال قاتِله[4]. وهذا يؤكد أن سياسة معاوية كانت التسامح مع الخوارج الذين لا يشكلون تهديدا لاستقرار الدولة.

خروج أبي مريم

وخرج **أبو مريم**، وهو مولى بني الحارث بن كعب، ومعه امرأتان هما: قطام وكحيلة، وكان أول من أخرج معه النساء، فعاب ذلك عليه أحد قادة الخوارج، فقال: قد قاتل النساء مع رسول الله، ﷺ، ومع المسلمين بالشام، وسأردّهما، فردّهما، فوجه إليه المغيرة جابرًا البجلي فقاتله، فقُتل أبو مريم وأصحابه[5].

خروج أبي ليلى

أما **أبو ليلى** فقد جاء مسجد الكوفة، فحكّم بأعلى صوته (أي كرّر عبارة: لا حُكم إلاّ لله، التي اشتُهر بها الخوارج) فتبعه ثلاثون رجلًا من الموالي، فبعث إليه المغيرة معقل بن قيس، فقتله في سواد الكوفة، سنة ٤١، وقيل ٤٢هـ[6].

ويلاحَظ أن حركات الخوارج السابقة كانت تقتصر على مجموعات صغيرة، لم تكلِّف المغيرة إلاّ القليل من الجهد للقضاء عليها[7]، بما يوحي بأنهم

---

(١) د. علي محمد الصلابي، الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٢) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ، ص ٦١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، بتصرّف، أحداث سنة ٤١هـ.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، بتصرّف، أحداث سنة ٤١هـ.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، أحداث سنة ٤١هـ.

(٦) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٧.

(٧) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٧.

كانوا يستهدفون إزعاج الدولة الأموية وإضعافها دون أن يكون لهم أمل في القضاء عليها[1].

خروج بقايا خوارج النهروان

لكن الأمر سيتغير بعد ذلك، وستشهد الأيام القادمة تحركا كبيرا للخوارج الذين كان عليٌّ، رضى الله عنه، قد عفا عنهم يوم النهروان، «وقد عوفي جرحاهم وثابت إليهم قواهم، فلما بلغهم مقتل عليّ ترحّموا على قاتله ابن ملجم، وقال قائلهم: لا يقطع الله يداً علت قذال[2] عليّ بالسيف، وجعلوا يحمدون الله على قتل عليّ، ثم عزموا على الخروج على الناس، وتوافقوا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يزعمون»[3]. وهذا يكشف عن عمق الجهل والانحراف عند الخوارج، فكيف يفرحون بقتل أحد الخلفاء الراشدين، الذين جعل النبي ﷺ سنّتهم متبعة! وهو أحد المبشرين بالجنة، لكنه الجهل والانحراف مهما تلبّسا بلبوس الدين.

وقد تزعّم هذه الجماعة في البداية من الخوارج **حيان بن ظبيان السلمي**، الذي كان قد أصيب في النهروان، وشُفي من جروحه، فخرج في بضعة عشر رجلا من أصحابه وتوجهوا إلى مدينة الري في بلاد فارس، وظلوا هناك إلى أن جاءهم نعي عليّ، فعادوا إلى الكوفة مستغلّين تسامح المغيرة مع الذين لا يحملون السلاح، فوجدوا في ذلك الجو متنفسّا لهم، فأخذوا يجتمعون ويتذاكرون إخوانهم من الخوارج الذين قُتلوا يوم النهروان[4].

أخذ هؤلاء يجتمعون في بيت حيّان، فيقرأون القرآن، ويتداولون أمورهم فيما بينهم، وأمّروا عليهم المستورد بن علّفة، ولقّبوه بأمير المؤمنين، وتواعدوا للخروج في غرّة شعبان من سنة ٤٣هـ، ولمّا علم المغيرة بعزمهم على الخروج أرسل رئيس شرطته إليهم، فاعتقل بعض عناصرهم، وأودعهم السجن، الذي بقوا فيه قرابة العام، في حين أفلت المستورد من الاعتقال، وإزاء التحرّك المرتقب للخوارج، أدرك المغيرة خطورة الأمر، فجمع رؤساء القبائل، وطلب منهم المساهمة في التصدّي لهؤلاء الخوارج، وأنذرهم قائلا: «فليكفني كل امرئ من الرؤساء قومه، وإلاّ فوالذي لا إله غيره لأتحولنّ عمّا كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعمّا تحبّون إلى ما تكرهون، فلا يلُم لائم إلا نفسه، وقد أعذر من أنذر»[5]، وإشراك المجتمع في مقاومة الخوارج سياسة حكيمة تفتقدها كثير من السياسات المعاصرة.

واجتمع من الخوارج ٣٠٠ – ٤٠٠ شخص، برئاسة المستورد، «فجهّز إليهم المغيرة بن شعبة جندا عليهم معقل بن قيس في ثلاثة آلاف»[6]، وحدثت بين الفريقين معركة حاسمة، قُتل فيها قائدا الجيشين، وانتهت بهزيمة الخوارج، «ولم ينجُ منهم إلاّ بضعة رجال فرّوا من أرض المعركة»[7].

المراجع

١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية.

٣- د. علي محمد الصلابي، الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م).

٤- د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥- د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ خلال (٣٧ – ١٣٢هـ)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، أيار (مايو) ٢٠٠٧م.

(١) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١٣٠.
(٢) ما بين الأذنين من مؤخرة الرأس.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٥٧٣.
(٤) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٧.
(٥) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٨، نقلا عن تاريخ الطبري.
(٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٥٧٣.
(٧) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٩.

التجربة السياسية الشيعية الحديثة... من المعارضة إلى السلطة
٣- التجربة الشيعية الخليجية

بوزيدي يحيى(*) – خاص بالراصد

تختلف أوضاع شيعة الخليج العربي من دولة إلى أخرى؛ نظرا لتباين الأنظمة السياسية فيها، والتي رغم أنها تتسم بكونها ملكية إلا أنه يوجد قدر من التمايز بينها، خاصة فيما يتعلق بالمؤسسة التشريعية والظاهرة الحزبية التي تبرز بقوة في الحالتين البحرينية والكويتية، أما السعودية فرغم عدم وجود أحزاب شيعية إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور حراك شيعي وممثلين لهم بأشكال متعددة.

وعند رصد التجربة الشيعية الخليجية مجتمعة فإن المحطة التي تؤرخ لها بشكل أكبر تبدأ مع الثورة الإيرانية في ١٩٧٩، التي أحدثت حالة من التشوير للمجتمعات الشيعية، ونظرا للأهمية الجيوسياسية للخليج العربي فإن الأحداث السياسية التي عرفتها المنطقة تزاوج فيها المحلي بالإقليمي بالدولي، لذلك اقترنت التغيرات في طبيعة الحراك الشيعي بأحداث مهمة على غرار حروب الخليج الثلاث والانتفاضات الشعبية العربية في ٢٠١١.

المرحلة الأولى: ما قبل ١٩٧٩

سادت الأفكار اليسارية والقومية المجتمع الشيعي في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، عندما كانت دول الخليج في مواجهة مع اليساريين والقوميين، وتحديدا التيار الناصري، نظرا للدور الذي لعبه جمال عبد الناصر بشكل خاص، والقوميون بشكل عام، في الترويج لفكرة الوحدة العربية، وتركّز الصراع حول ثنائية «الجمهوريات والملكيّات»، فقد كانت الدعاية الماركسية أقل استقطابا لشيعة السعودية من التيار القومي الناصري الذي راج سوقه في الوسط الشيعي المثقف[١]، فلم تلق أفكار عبد الناصر القومية شعبية في المملكة إلا في البيئة الشيعية، ولم يُبنَ تنظيم ناصري إلا بأيد شيعية وفي وسط شيعي بدرجة أساسية.

وحين زار عبد الناصر مدينة الدمام في ١٩٥٦، تقاطرت الجماهير بعشرات الألوف لتحيّته، وللتنديد بالحكم السعودي نفسه، ولم يكن مدهشا للحكومة أن تكون قاعدة الظهران العسكرية منطلقا لمحاولة انقلاب فاشل ضد نظام الحكم في ١٩٦٩، كما أن حزب العمل الاشتراكي والحزب الشيوعي السعودي – الذي خلف جبهة التحرير الوطني- كان معظم كوادرهما وقيادتهما من الشيعة. بل إن الشيعة شاركوا في وقت مبكر في تأسيس جبهة وطنية حاول الأمير طلال بن عبد العزيز في بداية الستينيات أن يتخذها وسيلة ضاغطة لإصلاح النظام[٢].

وفي الكويت؛ منذ الثلاثينيات من القرن العشرين وحتى انبثاق الثورة في إيران لم يشكل الشيعة جزءا من المعارضة السياسية، خلافا للشيعة في البحرين

(*) باحث وكاتب جزائري.

(١) حمزة الحسن، الشيعة في المملكة العربية السعودية: العهد السعودي ١٩١٣- ١٩٩١، الجزء الثاني، بيروت: دار الساقي، ط ١، ٢٠١٠، ص ٤٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٢٥.

والسعودية، الذين كانوا جزءا أساسيا من المعارضة السياسية لنظام الحكم. كما لم يجد التيار القومي امتدادا له هناك نظرا لانحدار بعض الشيعة من أصول إيرانية وموقف القوميين المعارض لهم، وتنديده بالهجرة الإيرانية في الكويت التي استهدفت -من وجهة نظره- تغيير التركيبة الديمغرافية للخليج العربي بشكل عام، لذلك انحاز الشيعة إلى جانب السلطة[1].

المرحلة الثانية: من ١٩٧٩ إلى ١٩٩١

اندفع الشيعة عقب ١٩٧٩ وراء الأطروحة الإيرانية وسعوا إلى تنفيذها بحذافيرها، حيث تحولت المفاهيم التي جاء بها الخميني إلى مسلّمات لا يجادل فيها أحد[2]، فقد شعر المواطنون الشيعة في منطقة الخليج عموما بعمقهم الروحي المتأتي من انتصار ثورة إسلامية بأركان مذهبية[3] خلقت مدّا ثوريا في أوساط الجماعات المذهبية المماثلة والقريبة، وهي تبقى وراء بروز إعادة إحياء قوة الإسلام السياسي الشيعي في دول الخليج العربي[4].

وبذلك قامت الأقليات الشيعية بتنظيم صفوفها في تنظيمات سياسية طائفية متخذة من النموذج الأصولي الثوري في إيران مثالا لها لمعارضة الحكم الأسروي[5]، فنسخت الجماعات الشيعية من التجربة الإيرانية الأفكار والاستراتيجيات، ومعايير الصداقة والعداوة، وحتى الهموم والمواقف اليومية، وأحيانا المصطلحات، من ذلك موقف الجماعات الشيعية مثلا من النظام الدولي ومؤسساته، وكذا العلاقة مع دول العالم[6].

ولم يقف نظام الجمهورية الإسلامية مكتوف الأيدي أو يكتفِ بتشجيع تلك الحركات فقط، بل عمل على فتح فروع لها ودعمها بمختلف الوسائل والتنسيق بينها لمدّ نفوذه في المنطقة ومحاولة تأسيس أنظمة شبيهة بنظامه وخاضعة لسلطته تمهيدا لظهور المهدي المنتظر؛ حيث وجّه الخميني عدة دعوات للشيعة في المنطقة الشرقية من السعودية، يدعوهم فيها إلى الثورة وإعلان الحكومة الإسلامية، لأن الحكم الوراثي، كما صرّح بذلك «يتعارض مع الإسلام»[7].

وحصلت الأحزاب الدينية -في المناطق الشيعية- على الكثير من الدعم المادي والبشري من قبل الجمهورية لم يحصل عليه أي تنظيم سياسي آخر، وفي مقدمة هذه التنظيمات الدينية «منظمة الثورة الإسلامية في الجزيرة العربية» التي تعتبر التنظيم السياسي الأساس للشيعة[8].

وتشكلت في البحرين بين عامي ١٩٧٩- ١٩٨٠ تنظيمات إسلامية شيعية، مثل حركة الشيخ محمد علي العكري والشيخ علي العصفور، كما تأسست «حركة الشهداء الإسلامية» بقيادة جمال الدين العصفور، و«حركة الوحدة الإسلامية» بقيادة عبد العظيم المهتدي البحراني، و«حركة التحرير الوطني الإسلامي في البحرين» و«الجماعة الإسلامية» و«حركة الشباب المسلم البحريني»[9].

كما برز في الأوساط الشيعية الكويتية تيار إسلامي ثوري متأثر بالثورة الإيرانية، واستطاع أن يؤثّر في توجهات الحركة الإسلامية في الكويت، فقد شهد البلد في الثمانينيات موجات من أعمال العنف السياسي، والمطالبة بالإطاحة بنظام الحكم في الكويت وإقامة جمهورية إسلامية على النمط الإيراني، وجرت محاولة فاشلة لاغتيال أمير الكويت سنة ١٩٨٥، فضلا عن القيام بتفجيرات في السنة التالية، ونسبت هذه الأعمال لتنظيمات شيعية عديدة غير أن الاتهامات اتجهت نحو حزب الله الكويتي[10].

وأهم ملامح هذه المرحلة تمثلت في تصدّر علماء الدين زعامة التنظيمات الجديدة، فبينما كان التصور العام للنخبة الدينية يميل إلى أن التمرد لا يقود سوى لتعميق

---

(١) فلاح عبد الله المديرس، الحركة الشيعية في الكويت، الكويت: دار قرطاس للنشر، ط ١، ١٩٩٩، ص ١٩.
(٢) توفيق السيف، أن تكون شيعيا في السعودية: إشكالات المواطنة والهوية في مجتمع تقليدي، ط ١، ٢٠١٣، ص ٦٩.
(٣) غسان الشهابي، البحرين: الوتر المشدود ما بين ضفتي الخليج، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٦/٠٢/١٨، ص ٠٥
(٤) باقر سلمان النجار، الحركات الدينية في الخليج العربي، بيروت: دار الساقي، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٦٠.
(٥) فلاح المديرس، المرجع السابق، ص ٠٥.
(٦) توفيق السيف، المرجع السابق ص ٧٣.
(٧) هاشم عبد الرزاق الطائي، التيار الإسلامي في الخليج العربي: دراسة تاريخية، بيروت: الانتشار العربي، ص ١٧٧.
(٨) حزة الحسن، المرجع السابق، ص ٤٢٥.
(٩) هاشم الطائي، المرجع السابق، ص ١٧١.
(١٠) المرجع نفسه، ص ١٨٤.

التصدّعات الاجتماعية والمزيد من المشاكل، فضلا عن كونه غير مبرر أو مشروع من الناحية الدينية، أما بعد انتصار الثورة فقد تحوّل كل رجل دين إلى مشروع زعيم سياسي[١]، فأصبح الكلام في السياسة والتفكير في السياسة انشغالا يوميا لكل شيعي في المنطقة، وتحول المجتمع الشيعي من الميل إلى الانفعال والسلبية إلى مجتمع فاعل وطالب للمشاركة، وبدأ يفهم السياسة والسلطة كعالم متغير، يمكن أن تتولد فيه فرص جديرة بالاهتمام، بعدما بقي قرونا طويلة متحجرا على ثنائية الإمامة والغصب القديمة.

واهتم الحركيون الشيعة بإعادة تفسير التراث الديني على نحو يخدم أغراض الصراع السياسي ويسهم في تعبئة الجمهور[٢]. ففي المنطقة الشرقية من السعودية توجه العديد من علماء الدين والشباب الشيعة للاطلاع على تجربة الثورة عن كثب، من خلال التحاقهم بالمدارس والمعاهد والحوزات الدينية في قُم وطهران، كما نظّمت الوفود لزيارة إيران وتقديم التهنئة للخميني وغيره من القيادات السياسية والدينية الإيرانية بمناسبة انتصار الثورة[٣].

وفي البحرين كان لبعض علماء الدين، مثل هادي المدرسي، وجمال العصفور، وعباس الشاعر، وشبر علي الكوراني، وعبد العظيم المهتدي، ومحمد علي محفوظ، دور أساسي في توحيد التنظيمات الشيعية المؤيدة للثورة في إيران، في تنظيم واسع أطلق عليه «الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين»[٤].

وفي الكويت تأسس حزب الله - الكويت بعد قيام الثورة في إيران، على يد مجموعة من الشباب الشيعي الكويتي، الذين ينتمون إلى التيار الشيعي الثوري المتأثر بالثورة الإيرانية، وهؤلاء تلقوا تعليمهم في الحوزة العلمية في قم[٥].

وعلى مستوى المواقف العابرة للحدود فقد كانت الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠ – ١٩٨٨) الحدث الأبرز حينها، وتماهت فيها المواقف الشيعية الخليجية مع الموقف الإيراني، فنظرا للعلاقة الوثيقة بين الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين وإيران، فقد اعتبرت الجبهة أن معركة إيران مع العراق هي معركتها، لذلك أرسلت مجموعات من المتطوعين من أعضائها للقتال إلى جانب القوات الإيرانية. كما تطابق موقف «منظمة الثورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية» في السعودية مع الموقف الإيراني الرسمي من الحرب بوصفها «حربا بين الإسلام والكفر» على حد تعبيرها.

لذلك نددت المنظمة بالمساعدات التي قدمتها الحكومة السعودية للعراق. وفي الكويت أثار الموقف الرسمي للحكومة من الحرب العراقية – الإيرانية سخط التنظيمات الشيعية، التي كانت تنظر إلى تلك الحرب على أنها «حرب بين الباطل والحق، وحرب بين الكفر والإيمان».

وتوجهت تلك التنظيمات بمشاعرها نحو إيران بوصفها المدافعة عن حقوقها الاجتماعية والعقائدية. وقد استغل النظام الإيراني هذا التعاطف والتأييد من لدن الشيعة، ليس في الكويت فحسب، بل في عموم الأقطار الخليجية، لتكوين قاعدة شعبية في الخليج مؤيدة لسياسته الخارجية في المنطقة[٦]، وبذلك ساهمت الحرب العراقية الإيرانية في تعميق الانقسام الطائفي في الجزيرة والخليج العربي، وبدأ الشعور الطائفي يبرز بشكل واضح[٧].

المرحلة الثالثة: من ١٩٩١ إلى ٢٠١١

شهد العقد الأخير من القرن العشرين حدثين مهمين تركا آثارهما على شيعة الخليج، تمثل أولهما في وفاة الخميني وصعود هاشمي رفسنجاني إلى سدة الرئاسة وانتهاجه سياسة براغماتية، والثاني في حرب الخليج الثانية نتيجة الاحتلال العراقي للكويت. ففي هذه المرحلة اتجه الإيرانيون نحو التركيز على الداخل مما دفع بالعديد من قادة المجموعات الشيعية إلى مراجعة متبنياتهم السياسية السابقة، وظهرت أولى صور التحول في مغادرة كثير منهم الأراضي الإيرانية إلى أوروبا بحثا

(١) توفيق السيف، المرجع السابق، ص ٦٩.
(٢) المرجع نفسه، ص ٧٠ - ٧١.
(٣) هاشم الطائي، المرجع السابق، ص ١٧٧.
(٤) المرجع نفسه، ص ١٧٢.
(٥) فلاح المديرس، المرجع السابق، ص ٣١.
(٦) هاشم عبد الرزاق صالح الطائي، المرجع السابق، ص ٢٥٣- ٢٥٤.
(٧) فلاح عبد الله المديرس، المرجع السابق، ص ٥٠.

عن فرص أكبر للتأثير في بلدانهم[1].

وترتب على ذلك تراجع الخطاب الثوري المطالِب بإسقاط الأنظمة وإقامة أخرى شيعية بديلة عنها؛ وانتهج الشيعة في مختلف دول الخليج خطابا سياسيا إصلاحيا ينطلق من الآليات السلمية في المطالبة بحقوقهم بتقديم المبادرات أو المشاركة في البرلمانات، وتكرّس ذلك أكثر في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين.

فمنذ ٢٠٠١ أصبحت مفاهيم «الوحدة الوطنية» و«الهوية الوطنية» و«الولاء للوطن» بين أكثر المفاهيم شيوعا في نقاشات الشيعة السعوديين[2]. وترجم ذلك في الواجهات السياسية التي ظهرت سواء كأحزاب سياسية في الدول التي تعتمد البرلمان والانتخابات مثل البحرين والكويت أو زعماء ممثلين له حتى وإن كانت لا تؤطرهم مؤسسات سياسية حزبية كما هو الحال مع حسن الصفار وتوفيق السيف وغيرهم في المملكة العربية السعودية، حيث حصل تحول في الثقافة السياسية للمجتمع الشيعي السعودي، فانتقل من حالة الانكفاء واعتزال السياسة قبل ١٩٧٩ إلى التمرد والفعالية الشديدة بين (١٩٧٩- ١٩٩٠) ثم الميل إلى البراغماتية بعد ١٩٩٠ وأخيرا البراغماتية السياسية بعد ٢٠٠٣[3].

وفي حرب الخليج الثانية أيّدت التنظيمات الشيعية حكوماتها الوطنية المعارضة للعراق، خاصة شيعة الكويت الذين قاوموا الاحتلال العراقي، الأمر الذي دفع لاحقا الحكومة للعفو عن أعضاء من حزب الله الكويتي، لكن هذا الموقف لا يمكن التأسيس عليه للحديث عن تحول في موقف النخب الشيعية وانعطافة في نظرتها السياسية، لأن الطرف الثاني في الحرب ليس شيعيا كما كان في حرب الخليج الأولى، وكما كان موقف النخب الشيعية العراقية، ممثلة في حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية المؤيدين لإيران والمعارضين لبلده فإن موقف النخب الشيعية في دول الخليج الأخرى لم يكن ليختلف كثيرا عمّا قامت به التنظيمات الشيعية العراقية.

(١) توفيق السيف، المرجع السابق، ص ٧٥.
(٢) المرجع نفسه، ص ٥٢.
(٣) المرجع نفسه، ص ٥٨.

يتأكد هذا التحليل من تتبّع السلوك السياسي للشيعة في هذه المرحلة إلى غاية ٢٠١١، ففي الحالة الكويتية التي تعتبر الأكثر تطورا في الممارسة السياسية البرلمانية لم تتجاوز الأطر الطائفية في النشاط السياسي، حيث انبثق «الائتلاف الإسلامي الوطني» كإطار سياسي يضم في صفوفه القوى السياسية والاجتماعية والدينية الشيعية على اختلاف توجهاتها السياسية[4]. وقد كان بعيدا عن القوى الإسلامية السنية وقريبا إلى «تجمع المنبر الديمقراطي الكويتي» ذي التوجه العلماني، خاصة أن المنبر يضم في عضويته عناصر من الشيعة غير المتدينين، الذين يحتلون مراكز قيادية في هيئته التنفيذية. وساهم «الائتلاف» في دعم مرشحي «المنبر» في الدوائر الانتخابية التي لا يوجد بها مرشحون للائتلاف أو مرشحون مدعومون منه بشكل رسمي[5].

وفي البحرين، برزت في المجال الشيعي بعد إقرار ميثاق العمل الوطني[6] الكثير من الجمعيات أو الأحزاب السياسية (الوفاق، وعْد، المنبر التقدمي، العمل الإسلامي، التجمع القومي، التجمع الوطني، الإخاء) وأهمها جمعية الوفاق الإسلامية الشيعية، التي تمثل الأغلبية في البرلمان البحريني (يشغل نوّابها ١٨ مقعدًا في البرلمان، وقد استقالوا خلال أزمة ٢٠١١) تليها جمعية العمل الإسلامي[7]. ونتج عن هذا اصطفاف طائفي بين السنة والشيعة يتجلى بشكل واضح في الحياة السياسية،

(٤) فلاح المديرس، المرجع السابق، ص ٤٠.
(٥) المرجع نفسه، ص ٤٢- ٤٣.
(٦) صدر في ١٥ فبراير ٢٠٠١، وتضمّن مبادئ عامة للإصلاح السياسي والتحوّل الديمقراطي، وحدّد نظام الحكم بـ «وراثي دستوري»، وأن الشعب مصدر السلطات الثلاث، وحصلت هذه المبادئ على تأييد ٩٨.٤٪ بنسبة مشاركة وصلت إلى ٩٠.٣٪ من البحرينيين. وكان الإعلان عن إجراء انتخابات برلمانية في أكتوبر ٢٠٠٢ من أهم ثمرات هذا الميثاق، ولكن وُجهت انتقادات للدستور الصادر بموجبه، أهمها أنه جاء مخالفا للمبادئ التي تضمنها بمنحه صلاحيات مطلقة للملك. لتفاصيل أكثر ينظر: وحدة تحليل السياسات، الحالة البحرينية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١١/٠٤/٠٢، على الرابط:
http://www.dohainstitute.org/release/c1a13234-4e6c-46b5-9383-37d1f0b14dd9
(٧) شحاتة محمد ناصر، سياسة النظم الحاكمة في البحرين والكويت والسعودية في التعامل مع المطالب الشيعية (٢٠٠٣- ٢٠٠٨): دراسة مقارنة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠١١، ص ٢٠١.

فكما في الكويت التي نظامها قريب جدا من النظام البحريني فإن الكتل البرلمانية في البحرين تعبّر عن انتماءات هوياتية ممثلة في الطائفة بشكل عام، وهذا الانتماء هو المحدد الرئيسي لنشاط الكتل والموجه لبوصلة عملها، وعنصر الهوية في أضيق مستوياته هو من يوصل المترشحين إلى المقعد البرلماني، وهذا أحد مجالات الصراع في المجتمع[١].

ووجد المهتمون بالتحول الديمقراطي في قوة العامل الطائفي الديني في الحركة التي تنشد التغيير في البحرين أمرا يعيق التحول الديمقراطي في البلد، وطالبوا بضرورة أن تعيد الحركة طرح نفسها في مرحلة ما بعد الميثاق الوطني على أساس وطني سياسي واضح ومتوازن يضمن فعاليتها الداخلية ويقلل من معارضتها الخارجية بسبب الطائفية[٢]، غير أن الواقع السياسي أثبت عكس ذلك، إذ لم تستطع القوى الشيعية تجاوز إطارها الطائفي مما أدى إلى تخندقات سياسية على أسس دينية، وحال دون الانتقال إلى مرحلة سياسية أفضل. كما تعد مشكلة القبلية من أبرز التحديات التي يثار حولها نقاش كثير بين النخب الخليجية للانتقال إلى الدولة[٣] مع العلم أن هذه المشكلة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمشكلة القبلية نظرا لكون كل قبيلة يسودها نفس المعتقد أو الانتماء الديني.

المرحلة الرابعة: ما بعد ٢٠١١

أولا: شيعة الخليج والانتفاضات العربية

لم تمر الانتفاضات العربية دون أن تترك آثارها على شيعة الخليج، ومما ميز هذه المرحلة عودة الخطاب الثوري من جديد، فبعد عقود من الإصلاح السياسي، التي برغم كل ما يشوبها من عثرات إلاّ أن الثابت فيها كان محاولة الإصلاح وفق الوسائل السلمية. غير أنه لما لاحت في أفق ٢٠١١ إمكانية تغيير الأنظمة نهائيا لم يتوانَ الشيعة عن استغلال هذه الفرصة والتراجع عن كل الخطوات التي قطعت باتجاه الإصلاح.

وكانت البحرين أهم بؤر الحراك الشيعي، وعلى عكس الحركات الاحتجاجية التي تحولت إلى ثورات شعبية في تونس ومصر، والتي تميزت بأنها «لا حركات اجتماعية»[٤] فإن الاحتجاجات التي شهدتها البحرين هي حركات اجتماعية منظمة، حيث كان بارزا قيادتها من طرف المعارضة الشيعية ورفعها نفس المطالب السابقة بما في ذلك إسقاط النظام، حيث تحولت المطالب الإصلاحية إلى صراع على الشرعية بين النظام والمعارضة؛ حضر في أدنى مستوى على الأقل في العقل الباطن للمعارضة، الوسطية ممثلة في «الوفاق»، والمتطرفة ممثلة في حركة «شباب ١٤ فبراير»، والتي ترى وفق شهادة عددٍ مهم ممّن لهم صلة بها، أن شرعية النظام غير موجودة، حيث فقد شرعيته بسقوط الشهداء منذ ١٤ فبراير ٢٠١١[٥].

وبدورها، عرفت المملكة العربية السعودية هي الأخرى محاولات لمحاكاة الحركات الاحتجاجية فيها من خلال الدعوات للتظاهر في البلد، غير أن تلك الدعوات لم يُستجب لها لأسباب عديدة ومختلفة ليس هذا موضعها، ولكن المنطقة الشرقية التي تقطنها أغلبية شيعية شهدت الكثير من المظاهرات، خاصة في بلدة العوامية، كان من أبر رموزها رجل الديني الشيعي نمر النمر، وعلى غرار القوى الشيعية الأخرى كان الخطاب الشيعي في المنطقة الشيعية مؤيدا ومتضامنا مع نظيره في البحرين.

سلوك شيعة الخليج، خاصة في البحرين والسعودية في ٢٠١١ لم يختلف كثيرا عن سلوكهم سنة ١٩٧٩، والذي اتسم بطابعه العنفي، وبعد ١٩٩١ أقر الشيعة بارتكاب أخطاء في المرحلة السابقة، حيث تقر النخب الشيعية بوجود تطرف في الوسط الشيعي وتدعو إلى ضرورة الوقوف ضد كل مظاهر التقسيم الطائفي والمذهبي، لأن التقسيم لا يضرّ فقط الطرف الموجهة ضده، بل وحدة

(١) أحمد صدام الشابي وآخرون، مجلس التعاون لدول الخليج العربية قضايا الراهن وأسئلة المستقبل، سلسلة كتب المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٤٨.

(٢) أسامة عبد الرحمان وآخرون، الخليج العربي والديمقراطية نحو رؤية مستقبلية لتعزيز مساعي الديمقراطية، الطبعة الثانية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥، ص ٨٨.

(٣) لتفاصيل أكثر ينظر: محمد جواد رضا، صراع الدولة والقبيلة في الخليج العربي أزمات التنمية وتنمية الأزمات، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٣، ٢٠٠٦.

(٤) هي عبارة عن نشاطات جماعية يقوم بها فاعلون غير جمعيين. لتفاصيل أكثر ينظر: رضوى عمار، نموذج اللا حركات الاجتماعية في تحليل سياسات الشارع، مجلة السياسة الدولية، على الرابط: http://cutt.us/5wllf

(٥) إيمان رجب، دلالات استمرار العنف وعدم الاستقرار في البحرين، مجلة السياسة الدولية، ١٨ - ٤- ٢٠١٢، على الرابط: http://cutt.us/xtf6n

الوطن والمواطنين، ويزيد من فرص الاحتراب الداخلي[١].

ولكن بعد ٢٠ سنة من العمل السياسي المطالِب بالحرية والمساواة تحت غطاء المواطنة تغير فجأة كأنه لم يحصل أي تطور ومراجعات، مما يدلل على أن ما حصل حينها لم ينبع من قناعات مبدئية قطعت فكريا وعمليا مع التطرف والعمل العنيف والمسلح، ولم يعدُ أن يكون تكيّفا مع الظروف الدولية التي فرضت عليهم. فإذا كانت كل هذه الفترة لم يترسخ فيها المبدأ الأساسي في الممارسة الديمقراطية وهو الاحتكام للوسائل السلمية في العمل السياسي فإن شعارات الحرية والمواطنة لا تعدو بذلك إلا أن تكون خطابا للمساومة على تحقيق أقصى قدر من المكاسب تعزز النفوذ وامتلاك وسائل القوة المالية واختراق السلطة السياسية ثم توظيف كل ذلك للانقضاض على الدولة إذا طرأ أي تحول في البيئة الخارجية أو الداخلية يسهّل ذلك.

وما يقطع بتكتيكية الخطاب الإصلاحي واستمرار النزوع الطائفي لشيعة الخليج عدم صدور أي تعليقات منهم ترفض التدخل في شؤونهم الداخلية واعتبار ما يحصل مع بلدانهم شأنا داخليا، فرغم كل التدخلات الأجنبية، خاصة الإيرانية منها، لم يتجرأ قادة الشيعة على توجيه انتقادات للمرشد الأعلى الإيراني وغيره من القادة الدينيين والسياسيين الطائفيين في المنطقة، على غرار زعيم التيار الصدري في العراق مقتدى الصدر الذي انتقد إرسال قوات درع الجزيرة إلى البحرين، معتبرا إياه قمعا لإرادة الشعب البحريني، فيما وَصفت عصائب أهل الحق ما يجري في البحرين بأنه محاولة لطمس التوجهات الشعبية بقوة السلاح[٢]، وأوصى محمود شاهرودي (الهاشمي) وهو مسؤول الجهاز القضائي الإيراني وأحد رموز الدولة الإيرانية، وبنفس الوقت المرجع الفقيه المعتمد والحصري لحزب الدعوة وزعيمه آنذاك نوري المالكي خلال زيارته لطهران بضرورة اهتمام الحكومة العراقية بدعم الحركات الشعبية في المنطقة وتشجيعها[٣].

ثانيا: تحديات العمل السياسي الشيعي في الخليج

إن عودة الخطاب الثوري والسعي إلى إسقاط الأنظمة يعيدان طرح إشكاليات علاقة شيعة الخليج بدولهم، وفي هذا المجال يبرز تحديان أساسيان مرتبطان ببعضهما البعض، وهما تحدي المرجعية الدينية، والموقف من إيران.

التحدي الأول: المرجعية الدينية

يحيّد شيعة الخليج مؤسستهم الدينية من النقاش الجاري حول الولاء للوطن، ويحصرون النقاش في إطاره السياسي الضيق المبني على العلاقة بينهم وبين الحكومة؛ من منطلق أن معارضة الحكومة موقف طبيعي لا يعني بالضرورة الولاء للخارج؛ لأنه بذلك يصبح كل معارض متهما في وطنيّته[٤]. ويطرح بعض رموزهم الليبرالية كحل لتجاوز الطائفية في المنطقة، ويأتي هذا الاقتراح بعد قراءة تُفسر ما يحصل بأنه سياسي وليس دينيا، أو أن الدين مجرد وسيلة لتحقيق أغراض سياسية.

بالتأكيد على أن أصل المشكلة سياسي وبالتالي البحث عن حلول سياسية لها[٥]. ويحاججون بأن الشيعة طوّروا مفهوما للشرعية السياسية أدى –وظيفيا- إلى تفريغ فكرة الزعامة من المحتوى السياسي وحصرها في بعدها الروحي. فالقائد الشرعي - حسب الرؤية الجديدة- هو الإمام أو الزعيم الديني الذي ينحصر دوره في توفير التعليمات ورعاية الأتباع في هذا الإطار[٦].

لا يستند هذا الطرح على أرضية فكرية متينة وذلك لاعتبارين أساسيين:

١- هامشية البعد السياسي:

يشير في هذا الإطار الدكتور وليد عبد الحي من خلال دراسته لـ ٢٨٤ أقلية في دول وأقاليم مختلفة خلال الفترة من ١٩٤٥- ٢٠٠٣، إلى أن أهم العوامل في تحريك النزعة الانفصالية هو العامل الجغرافي (أي وجود الأقلية

(١) محمد محفوظ، العرب ودولة الإنسان، القطيف: أطياف للنشر والتوزيع، ص ٢٢٤.

(٢) الصدر يستنكر دخول قوات درع الجزيرة إلى البحرين، موقع قناة الكوثر، ١٦ /٠٣/ ٢٠١١، على الرابط:
http://www.alkawthartv.ir/index.php?option=com_content&view=article&id=11579&Itemid=115

(٣) داود البصري، حرب استنزاف إيرانية ضد البحرين، جريدة السياسة الكويتية، ٢٨/٠٤/٢٠١٢، على الرابط:
http://www.alseyassah.com/AtricleView/tabid/59/smid/438/ArticleID/188637/reftab/92/Default.aspx

(٤) توفيق السيف، المرجع السابق، ص ٨٥.

(٥) بدر الإبراهيم، النزاعات الطائفية في منطقة الخليج، الدوحة: منتدى العلاقات الدولية، مؤتمر شباب الخليج الأول، ص ١٢.

(٦) توفيق السيف، المرجع السابق، ص ٦٠.

على حدود الدولة وتكون مجمعة في نفس المكان وليست مشتتة في أماكن عدة). والعامل الثاني من حيث الأهمية هو السمة التي تميز الأقلية (دين، مذهب، لغة، لون، عرق)، فإذا كانت أقليات دينية تكون النزعة أقوى. والعامل الثالث من حيث التأثير هو العامل الاقتصادي (وجود موارد هامة في منطقة الأقلية).

أما العامل الأخير فهو العامل السياسي (والغريب أن الدراسات تركّز عليه كثيرا) والذي يعني سلوك الأغلبية تجاه الأقلية[1]. ويتجلى هذا التباين في الحالة الكويتية فرغم الانفتاح السياسي الكبير وتحالفهم مع السلطة لعقود إلا أن ذلك لم يمنع من بروز تيار ثوري موالٍ لإيران، وعدم تجاوز الخلفية الطائفية في الممارسة البرلمانية؛ وبذلك فإن محاولة القوى الشيعية الخليجية التركيز على المظالم الاجتماعية والاقتصادية كمنطلق لتبرير سلوكهم السياسي وتحييد البعد الديني بوصفه علاقة روحية لا تتجاوز هذا الإطار، لا ترتكز على أرضية موضوعية صلبة.

٢- محورية العامل الديني:

يبقى العامل الديني موجِّها أساسيا لسلوك المجتمعات بشكل عام، والشيعة ليسوا استثناء من ذلك، خاصة عند الأخذ بعين الاعتبار طبيعة نشأة هذا المعتقد وتطوره، فكل القفزات والتحولات التي حصلت في بنية التشيع كان يقف وراءها علماء شيعة، بل على العكس تماما لم يصبح التشيع بهذا التأثير في المجتمعات العربية إلا بعدما حوّله فقهاء الشيعة إلى منظومة عقائدية وأخرجوه من إطاره السياسي، وبالتالي فإن محاولة تجاوز هذه الحقائق لن تقدم حلولا جذرية لهذا المشكل.

تأسيسا على هذا فإن المعضلة الأساسية تكمن في المنظور الديني الشيعي السلبي للدولة، والذي يبقي العلاقة مضطربة بين الشيعي ودولته، إذ يرتكز الفقه السياسي الشيعي على نظريتين في تفسير العلاقة بالسلطة السياسة والدولة، هما الانتظار وولاية الفقيه، فالنظرية الأولى لها موقف حدّي من كل أشكال الحكم، حيث تعتبرها مغتصبة لسلطة الإمام الثاني عشر، وهذه النظرية لا زالت تُدرس في الحوزات؛ ففي الجانب المعمق من البحوث الفقهية الذي يدرس للمختصين في الشريعة (وهو ما يسمى بالفقه الاستدلالي) تبحث العلاقة مع الدولة ضمن باب خاص يسمى «عمل السلطان» أو «الولاية من قبل الجائر». ويقدم هذا الباب العلاقة مع الدولة باعتبارها حالة من حالات الاضطرار التي تحكمها التعليمات الخاصة بظروف الاضطرار، لا كعلاقة طبيعية أو ضرورية بين مواطن في بلد وبين حكومته[2].

أما نظرية ولاية الفقيه فقد جاءت لاستدراك الفراغ الذي ترتب عن الانتظار، ومنحت الفقيه حقّ تولي زمام السلطة حتى عودة الإمام الغائب، ويعتبر النظام الإيراني التجسيد العملي لهذه النظرية، وهو ما سنفصله لاحقا.

وقد عمد الشيعة الثوريون - على غرار حسن الصفار في السعودية- إلى نقل مرجعيتهم للسيستاني بدل خامنئي للنأي بأنفسهم عن الجدل حول ولاية الفقيه، غير أن هذا لا يعني تجاوز إشكالية المرجعية والولاء للوطن، حيث أثبت الواقع منذ الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣، أن السيستاني تصرف كزعيم روحي لشيعة العراق، وهو الموجّه لهم، ولعب دورا كبيرا في دفعهم لتجاوز خلافاتهم وتشكيل تحالف لدخول الانتخابات، وتوجيه الناخبين للتصويت لهم، كما أنه يقف وراء مليشيا الحشد الشعبي التي يقودها زعماء المليشيات الطائفية من منظمة بدر وجيش المهدي، فلا يمكن لرجل دين بهذه الممارسات أن يسلك سلوكا مغايرا مع أتباعه في الدول الأخرى.

ويمكن الإشارة لمثال واحد حول أثر البعد الديني واقعيا على السلوك السياسي لشيعة الخليج، وهو قضية نمر النمر، فما إن أُعلن عن إعدامه في ٢ يناير ٢٠١٦ حتى انطلقت الاحتجاجات في بعض مناطق محافظة القطيف الواقعة في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، لا سيما في بلدة العوامية مسقط رأس النمر، وفي عدد من الدول التي يشكل المكوّن الشيعي فيها ثقلا ديموغرافيا؛ وذلك كما في البحرين، وإيران، والعراق، ولبنان، وغيرها من الدول في شبه القارة الهندية كباكستان وأفغانستان[3].

---

(١) صفحة الدكتور وليد عبد الحي على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك.

(٢) توفيق السيف، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٣) غسان الشهابي، المرجع السابق، ص ٠٢.

التحدي الثاني: الموقف من إيران:

تؤمن بعض القوى الشيعية بولاية الفقيه؛ والتي لا يمكن المجادلة سياسيا أو دينيا بعدم ولاء أصحابها للمرشد الأعلى الإيراني. والواقع السياسي يؤكد الدور الذي تلعبه إيران، التي جعلت من نفسها وصيّا على الشيعة بشكل العام، ومنهم شيعة الخليج، والأكثر من ذلك موافقة القوى الشيعية على الدور الإيراني، ويتجلى ذلك في المواقف الإيرانية من مختلف القضايا الشيعية.

ورغم مرور قرابة الأربعة عقود على الثورة إلا أن العلاقة مع الشيعة لم تخرج عن الخط الذي رسمه الخميني؛ حيث واصل خلفه خامنئي السياسات نفسها، وأبرز الأمثلة على ذلك التصريحات التي أصدرها حول الأزمة البحرينية وقال فيها: «إن الشعب البحريني سينتصر، وسيحقّق طموحاته رغم المحاولات لتجاهله وخروجه من دائرة الإعلام»[١].

كما رفضت إيران تدخل قوات درع الجزيرة، وتقدمت بشكوى للأمم المتحدة بشأن إرسال تلك القوات إلى البحرين، وقالت إنها لا يمكن أن تقف مكتوفة الأيدي أمام الحملة على الاحتجاجات[٢]، ورفضت الدعوة للاتحاد بين السعودية والبحرين، حيث وصف الناطق باسم الخارجية الإيرانية مشروع الوحدة بين البلدين بأنه يعني زوال البحرين ذات الأكثرية الشيعية[٣]، والرد عليها بمطالبة طهران - كما ورد في جريدة «كيهان» التي يشرف عليها المرشد الإيراني الأعلى علي خامنئي- بضمّ البحرين إلى إيران، معتبرة أن غالبية البحرانيين يريدون الالتحاق بإيران، ودعوة عضو البرلمان الإيراني حسين علي شهرياري إلى التصدي لفكرة الوحدة بين السعودية والبحرين، مشيرا إلى أن البحرين كانت المحافظة الرابعة عشرة في إيران حتى ١٩٧١ ولكن للأسف - كما قال- بسبب خيانة الشاه محمد رضا بهلوي انفصلت البحرين عن إيران[٤]، وهي تصريحات ليست بالجديدة، إذ تتكرر من حين لآخر، ومن مسؤول لآخر أيضا.

وحتى المظاهرات الشعبية ليست بعيدة عن توجهات الحكومة وتوجيهاتها كدعوة السلطات الإيرانية إلى تنظيم تظاهرات في جميع أنحاء البلاد احتجاجا على مشروع إقامة اتحاد بين السعودية والبحرين، واصفة نظامي البلدين بأنهما «تابعان» للولايات المتحدة، وأن الدعوة هي «خطة أميركية لضم البحرين إلى السعودية»[٥]. والأهم أن تزامن المظاهرات الرافضة لمشروع قيام اتحاد بين البلدين، في البحرين وإيران[٦] يؤكد الشكوك بعلاقة المعارضة بطهران، إذ وعلى حد تعبير طارق الحميد أن الجمعيات المعارضة الشيعية في البحرين قامت بالدعوة للقيام بتلك المظاهرات، ومنها جمعية الوفاق، ومجرد الدعوة للقيام بتلك المظاهرات، وبعد الدعوة الإيرانية بيوم، يعني تلقائيا أن المعارضة الشيعية في البحرين طائفية، وتبعيتها لإيران[٧].

وعلى مستوى الدعم الإعلامي فهو أكبر بكثير مِن أن يُحصر، وتكفي الإشارة إلى طريقة تفاعل الإعلام الإيراني الرسمي مع أحداث البحرين في ٢٠١١، حيث جعلت قناة العالَم على سبيل المثال أخبار البحرين هي الرئيسة رغم أن ما كان يجري في مصر وليبيا أهم من ذلك بكثير عقب انسحاب قوات الأمن من دوار اللؤلؤة[٨]، وكان أكبر أخطائه إقدامه على تحريف كلمة الرئيس المصري محمد مرسي باستبدال اسم

---

(١) أصابع إيران وحزب الله تحرّكان الاحتجاجات في البحرين، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٢/٩/٤ على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=138448

(٢) البحرين: قوات درع الجزيرة باقية الى أن يزول الخطر الإيراني، جريدة المدينة، ٢٠١١/٠٤/١٨، على الرابط:
http://www.al-madina.com/node/299458

(٣) إيران مشروع الوحدة زوال للبحرين، الجزيرة نت، ٢٠١٢/٥/١٨، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/news/pages/0de44e92-5f96-4c43-8dea-89ff97d60ca1

(٤) الصراع الخليجي الإيراني والغياب الأمريكي، مجلة البيان، ١٤٣٣/٠٦/٢٥هـ، على الرابط:
http://albayan.co.uk/article.aspx?id=2029

(٥) الاتحاد الخليجي خطر على مشروع الفتنة الإيراني، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٢/٠٥/١٦، على الرابط:
http://middle-east-online.com/?id=131302

(٦) شيعة البحرين يرفضون الاتحاد مع السعودية، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٢/٠٥/١٨، على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=131449

(٧) طارق الحميد، بل قصدهم لبّيك يا إيران!، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠١٢/٠٥/١٩م، العدد ١٢٢٢٦، على الرابط:
http://www.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=677963&issueno=12226

(٨) بوزيدي يحيى، خاص بالعالم من المنامة، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١١/٠٢/٢٧، على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=105793

سوريا بالبحرين في الترجمة الفورية التلفزيونية لخطابه في قمة عدم الانحياز، وقد استدعت المنامة القائم بالأعمال الإيراني لديها للاحتجاج، وطالبت الحكومة الإيرانية بالاعتذار. هذا إلى جانب الدعم الإعلامي من طرف وسائل الإعلام للتنظيمات الشيعية العربية التي لا تحيد عن هذا الخط[1].

أما عن الدعم العسكري فقد اتهمت البحرين طهران بدعم الخلايا النائمة في البلاد وتحدثت عن علاقتها بإيران، إذ أعربت الحكومة البحرينية أكثر من مرة عن امتعاضها وشجبها وإدانتها للتدخل الإيراني في شؤونها الداخلية. وقال وائل بوعلاي رئيس النيابة الكلية في مؤتمر صحفي: «ثبت يقينا من الحكم الصادر علاقة بعض المتهمين سعيهم وتخابرهم مع منظمة خارجية وهي حزب الله الذي يعمل لمصلحة إيران، كما أكد مراقبون أن استهداف السفارة البريطانية هو تكملة لسيناريو استهداف السفارة البريطانية بإيران من خلال الخلايا النائمة في منطقة الخليج العربي[2].

كما اتهمت الرياضُ طهران ضمنيا بخلق حالة من الفوضى في شرق البلاد. وربطت مصادر سعودية بين الصدامات التي حدثت وبين تصريحات الرئيس السوري بشار الأسد والتي نشرت في صحيفة الديار اللبنانية حول أنه يستطيع إثارة القلاقل بجوار آبار النفط وإغلاق المضائق وأنه يمتلك أدواته لتنفيذ ذلك[3]. واتهمتها أيضا بمحاولة تفجير جسر الملك فهد الذي يربط السعودية بالبحرين، إذ تبيّن أن ما بات يعرف إعلامياً بخلية إيران النائمة أو خلية حزب الله البحريني تلقت سابقاً تدريبات عسكرية في سوريا، وكان من المخطط أن تتلقى تدريباً مكثفاً في إيران[4].

كل الدلائل المشار إليها أعلاه حول الدور الإيراني في تحريك شيعة الخليج وتوظيفهم لتحقيق مصالحها، لم يقابله كما سبق الإشارة إلى أي رد فعل يثبت وطنية شيعة الخليج، مما يؤكد أن العلاقات التي يصفونها بالروحية يستحيل أن تبقى كذلك دون أن تكون لها امتدادات سياسية، خاصة وأن الطرف الآخر ليس محصورا داخل أسوار قم أو النجف، وإنما يساهم في صنع السياسات الشيعية في المنطقة كلها، وهذا ليس وليد اليوم، ففي كل الحقب التاريخية كان لمراجع الشيعة دور في الأحداث السياسية، وبالتالي فإن محاولة شيعة الخليج نفي هذا الدور حاليا تكذبه الحقائق والوقائع.

الخلاصة:

وفق الأطروحة الشيعية تبقى الوطنية مرهونة بتحقيق الرفاه الاجتماعي وتقلّد المناصب السياسة الكبرى، وما دام الأمر دون ذلك فإن كل ما يقومون به مشروع؛ بما في ذلك العمل الثوري. ورغم تعريف أنفسهم كأقلية دينية، إلا أنهم يرفضون إقحام الدين في أي نقاش، بوصف العلاقة روحية بحتة. ومن هذا المنطلق تصبح الليبرالية أو العروبة النموذج الأنسب لحل الإشكالات المثارة في دول الخليج.

هذا التوصيف للمشكلات هو هروب منها بدل السعي الجدّي لحلّها، فجلّ المواقف السياسية تجد ما يبرّرها من نصوص شرعية، ولذلك فإن وجود خلفية فقهية لأي موقف سياسي يدفع لمناقشة الأصل؛ وهو ذلك الموقف الفقهي، وليس تجاوزه واعتباره خارج إطار النقاش، والتركيز على تمظهراته الاجتماعية والسياسية، كما أن الاتهامات بالولاء للخارج لم تنطلق من فراغ وإنما من حقائق وأحداث يقرّون بها بأنفسهم، ومن المعلوم أن المعارضة في مختلف الدول تتعدد مشاربها الأيديولوجية، وهي متنوعة، ومنها من يطرح مشروع أمميا وآخر محليا على غرار الأحزاب الشيوعية والقومية، وبالنسبة للمعارضة التي تنطلق من خلفية دينية فلا يمكن نفي البعد الديني كموجّه لمواقفها، سواء كانت أممية أم محلية، فلا يمكن على سبيل المثال نفي تصور الخلافة الإسلامية للحركات الإسلامية السنية، وبذلك فإن محاولة نفي الخلفية العقدية عن الحركات السياسية الشيعية لا أساس موضوعيا له.

وعلى عكس ما يحصل في المجال السني حيث نبذ

---

(١) البحرين تطالب باعتذار إيراني لإقحامها في خطاب مرسي، العربية نت، ٠٢ /٢٠١٢/٠٩م، على الرابط:
http://www.alarabiya.net/articles/2012/09/02/235617.html

(٢) محمد العرب، عبوة ناسفة «محلية الصنع» تستهدف السفارة البريطانية بالبحرين، العربية نت، ٠٤ /١٢/ ٢٠١١م، على الرابط:
http://www.alarabiya.net/articles/2011/12/04/180797.html

(٣) إيران تصنع الفتنة في السعودية للتخفيف على سوريا وحزب الله، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١١/١٠/٢٤، على الرابط:
http://www.middle-east-online.com/?id=118447

(٤) محمد العرب، خفايا خلية إيرانية حاولت تفجير جسر الملك فهد، العربية نت، ٢٥ /٢٠١٢/٠١م، على الرابط:
http://www.alarabiya.net/articles/2012/01/25/190546.html

التطرف محسوم فيه، إلا أنه في المجال الشيعي لم تصدر مواقف تنتقد العنف الذي يمارسه الشيعة في دول أخرى، في حين يعتبرون التعاطف معهم في حالات الاضطهاد علاقة دينية طبيعية، هذه الازدواجية في جوهرها سلوك طائفي يقطع بتأكيد المنطلقات الدينية كمحرك أساسي للشيعة بشكل عام، وشيعة الخليج بشكل خاص، وبينما يحقّ لهم ذلك فإنهم يَتهمون التعاطف والدعم والتأييد السني لغيرهم بالطائفية.

الموقف من المرأة... قراءة في ازدواجية المثقف العلماني

فاطمة عبد الرءوف(*) – خاص بالراصد

يمثل الموقف من القضايا التي تخصّ النساء إحدى الركائز المحورية في المشروع العلماني من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، ولا يمكن بحالٍ إنكار أن ثمة مواقف مختلفة ومتباينة بين أصحاب المشروع العلماني وفقا للفلسفة والفكر الذي يعتمد عليها كل منهم إلا أنه من المؤكد أن هناك قسمات يشتركون فيها جميعا، وغالبا ما يتهم أصحاب المشروع الإسلامي بأنهم لا يمتلكون هذه القيم والقسمات ومن ذلك فكرة: المساواة المطلقة والحرية الكاملة والواحدية في العلاقات.

الكتابات والأدبيات العلمانية تكاد تقدس المرأة وتطرح رؤى مثالية محلقة في الخيال بينما يطفح واقع العلمانيين باستغلال النساء، إن لم يكن احتقارهن فعليا وكأنما كانت الصورة المثالية غير الواقعية التي تم طرحها في تلك الأدبيات هي الطعم الذي يلقى للغافلات الباحثات عن دور بطولة وهمية أو كأنما هي قراءة دفاعية لواقعهم المليء بالثغرات.

إلى أي حد طابقت أفكارُهم واقعَهم؟ هل أفكارهم بخصوص المساواة والحرية قابلة للتنفيذ؟ ما هو الثمن المرّ الذي دفعته النساء العلمانيات جراء هذه الأفكار؟ هذه السطور لن تناقش الأفكار بما تتضمنه من خلل في البناء المعرفي والمنهجي وإنما تحكي جزءا بسيطا من تفاصيل الواقع الأسود الذي تعيشه المرأة في كنف المثقف العلماني اللاديني، الذي قد يبدو ظاهره براقا لبعضهن بينما تكمن في دواخله الكثير من الندبات والجراح الغائرة، ربما لما يحمله من قيم تناقض القيم الدينية وربما أيضا نتيجة أفكار يطرحها للمزايدة والترف الفكري ولكنها تتناقض مع الفطرة والسلام النفسي للإنسان.

الحب والمسئولية

لعل ما كتبَته أروى صالح عن المثقف اللاديني وعلاقته الحقيقية الواقعية بالنساء من أصدق ما كُتب لأن مَن كتبته تنتمي لنفس المدرسة، لكنها كتبت ما كتبت في لحظة صدق ومكاشفة مع النفس، تقول عن المثقف اللاديني: (يتكلم عن العدالة وزيف قيم المجتمع وأشياء أخرى كثيرة، ولكن أهمها، بل الهدف الأصلي منها في الواقع، هو «الحب الحر» الذي لا يحتاج أموالاً لممارسته ولا مسؤوليات من أي نوع، حب على المسؤولية الشخصية، ومن ثم لا يوجد من يعاقب عليه، لذلك فإن رجلنا المقدام يندفع فيه بثبات يعوزه أحياناً في مواقف أخرى ليست أقل أهمية! ولكن «المسؤولية الشخصية» كما يتضح في آخر القصة - القصيرة غالباً - يتحملها من الناحية الفعلية طرف واحد لا اثنان كما اتفق)[1].

بينما تطرح الأدبيات والأفكار العلمانية مفهوم الحرية الكاملة للمرأة قد لا يعني ذلك في الحقيقة سوى تحرر هؤلاء المثقفين من المسئولية، خاصة المادية منها تجاه الحب! فبينما يقنعها أن تحررها الحقيقي لا يكتمل إلا بعد أن تنفق على نفسها وأنها ليست جارية حتى يقدم لها ثمنا أو صداقا، وأن من يملك يحكم، فلو كان هو الذي أنفق عليها فهذا سيحولها لمجرد جارية لا رأي لها، يضحك في داخله من سهولة وبساطة ما يتحمله في مقابل الحصول على متعة مجانية من كل شيء وبلا أي مسئوليات، أو كما تقول أروى صالح: (لقد أسفر الحب الحر عن حب مجاني، بل رخيص في الواقع)[2].

(*) كاتبة مصرية.

(١) أروى صالح، المبتسرون، ص ٨٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٨.

وليس من المبالغة في شيء أنه في داخله يراها كامرأة ساقطة (وبمعجزة يختص بها مثقفو شرقنا العربي، في تحويله إلى مومس! أو على الأقل فإن ذلك هو الرأي المؤكد (سلفاً) للحبيب الأول. أما هو، فإن مسؤوليته تتمخض في النهاية عن إنجاز آخر لفحولته، فيتيه برجولته (حقاً لا هزلاً))[1].

في هذا السياق لا زلت أذكر قصصا كنت شاهدة عيان عليها أثناء نشاطي السياسي في المرحلة الجامعية، فتيات بسيطات لديهن أحلام واسعة للنضال ورغبة شديدة في تغيير الواقع السياسي ينجذبن لتيارات تبدو ثورية تقدمية، أهم بضاعة هذه التيارات هي الكلام، تبدأ الطالبة بالتفاعل مع قضية سياسية معينة ويتم دعوتها لحضور اجتماع التيار والمشاركة في النقاش، في البداية لا نقاشات عن الدين أو نقد للحجاب الذي ترتديه، وتدريجيا ومع الاندماج مع المجموعة تناقش مثل هذه الأمور وتبدو المسكينة التي لم يتحصل لها من العلم الشرعي شيء ضحيةً في وسط هذه التيارات، وكل ما تحمله من قيم ومفاهيم يتم تحقيره لأنه مجرد عادات بالية تقليدية، حتى مفهوم الشرف والطهارة يتم السخرية منه في مقابل الحب الحر للفتاة الحرة ومن ثم تنزلق الفتاة في علاقة غير شرعية بكامل إرادتها، وهي ترى بذلك أنها تتحرر من قيم المجتمع التقليدية لكنها وبعد فترة بسيطة تكتشف أن الطرف الثاني قد ملّ منها وأنه بحاجة لتجربة جديدة أكثر إلهاما أو ربما أكثر جمالا بينما تضطر هي لخوض تجربة أخرى تعوّض بها الفراغ الذي خلفته تجربتها الأولى المؤلمة وتتكرر القصة، وقد ينتهي الحال بالمسكينة للانتحار أو الاحتراف وإقناع أخريات بالتجربة نفسها كحيلة دفاعية نفسية حتى لا تشعر أنها وحدها التي سقطت في مستنقع الحب الرخيص!

جرائم فلاسفة الغرب

نبعت فكرة المساواة الكاملة والمتطابقة في الغرب ثم قام مثقفونا باستيرادها جاهزة، لكن الفلاسفة الغربيين الذين أَطلقوا هذه الأفكار شهد واقعهم الحقيقي جرائم بشعة في حق النساء تناقض تماما تلك الأفكار الزاهية التي يمنون بها النساء، فهايدغر الفيلسوف الألماني الوجودي الكبير ملّ الحياة مع زوجته فعاش في علاقات غير شرعية مع تلميذاته وغير تلميذاته (وقد نشرت دار شبيغل الألمانية في أحد أعدادها الأخيرة تحقيقاً موسعاً عن هايدغر تحدثت خلاله عن نسائه حديثاً مستفيضاً، ومن هؤلاء النساء الباحثة الفلسفية اليهودية حنّة أَرْدِتْ التي كانت إحدى تلميذاته. وتقول المجلة إن زوجة هايدغر اضطرت للاعتراف بهذه العشيقة وللتعايش معها في آن)[2].

لقد عاشت زوجة الفيلسوف الكبير حياة بالغة القسوة لكثرة علاقاته النسائية، ففي الوقت الذي ينتقدون فيه تعدد الزوجات بالشروط الشرعية ويدافعون عن الواحدية المقدسة نرى أن واقعهم يطفح بتعددٍ دون حدّ ودون أي ضوابط، نستلهم ذلك من تلك الرسالة الحزينة التي كتبتها زوجة الفيلسوف الوجودي هايدغر: «كيف مزقت ذاتي التي كان عليها أن تتحمل هذه الإساءات اللا إنسانية بسب إخلاصها لك. وذلك ليس لمرة واحدة فقط، بل لمرات عديدة متكررة طوال أربعة عقود. هل باستطاعة إنسان، إن لم يكن شجراً أو سطحياً، تحمّل هذا؟ دائماً تقول وتكتب أنك مخلص لي ومرتبط بي.. ما هذا الرباط؟ إنه ليس الحب، وإنها ليست الثقة. أنت تبحث عن وطن عند النساء الأخريات. يا مارتن! هل تعرف ماذا يوجد في داخلي؟ وهل تدرك كم هي موحشة، جامدة، ومثلجة، أعماقي؟»[3].

هذا هو المسكوت عنه في الحياة الحقيقية للفيلسوف. صحيح أنهم في ألمانيا مهتمون بنشر مثل هذه الوثائق لكنهم لا يتطرقون أبدا للعلاقة بين الفكر والواقع والتقريب بينهما، بل يؤخذ كل منهما في مدار مختلف، فالواقع المخزي للفيلسوف لا يغض من قيمة فكره بينما يتجاهل المثقف العلماني العربي الأمر برمّته حيث بنى مشروعه على أساس نقد الخطاب الإسلامي ووضع رموزه تحت المجهر.

أما الفيلسوف الوجودي الفرنسي سارتر وعشيقته الرسمية الكاتبة الفرنسية سيمون دو بوفوار، الثنائي الأشهر عربيا والملهم لكثير من المثقفين العرب، فهو نموذج مقزز، حيث انغمس الفيلسوف في علاقات مع

(١) المرجع السابق، ص ٨٨.

(٢) جهاد الفاضل، نساء سارتر وهايدغر، جريدة الرياض.

(٣) المرجع السابق.

مراهقات، وقد كتبت (بعض هؤلاء المراهقات حيث يصفن سارتر في مباذله معهن، وصفاً قد لا يظن أحد أن فيلسوفاً كبيراً مثله يمكن أن يعيشها)[1].

لقد عاش هذا الثنائي حياة بهيمية قذرة فـ (على ضوء الكتب الحديثة الصادرة في باريس عن حياة هذا «الثنائي الذهبي» للوجودية الفرنسية، واستناداً إلى وثائق نُشرت حديثاً عن حياتهما، يتبين أنهما أقاما في ما بينهما نوعاً من حلف غير مقدس، أو نوعاً من عقد مسبق على أن ما يربط بينهما هو «الحب الضروري» وبمقتضى هذا «الحب الضروري» لا مانع في أن يتمتع كل منهما بما اصطلحا على تسميته بالحب الطارئ، أو العلاقات العابرة. وقد اعتاد العاشقان، إن جازت تسميتهما كذلك، على أن يروي كلٌ منهما للآخر تجاربه العاطفية الطارئة هذه، في مراسلات مكتوبة ومطوّلة يعكف الفرنسيون الآن على قراءتها، مصدقين حيناً وغير مصدقين حيناً آخر!)[2].

سيمون دي بوفوار التي تتلقف عنها النسويات العربيات الأفكار الملهمة وصاحبة أشهر مقولة في تاريخ الفكر النسوي (المرأة لا تُولد امرأة وإنما تُصبح كذلك) هذه الجملة التي تشبه العقيدة المقدسة عند النسويات، والتي على أساسها تم رفض كافة الفروق البيولوجية وما يترتب عليها من فروق في الدور الاجتماعي، هذه الكاتبة الكبيرة التي باع كتابها «الجنس الثاني» عند صدوره في الخمسينيات مليوناً ومئتي ألف نسخة في طبعته الفرنسية، وترجم إلى ٢٧ لغة، كانت سيدة شاذة بطريقة مقززة بل ومستغلة لأقصى درجات الاستغلال (ومع أن الفرنسيين كانوا يعلمون في السابق أن شيئاً من ذلك كان يحصل في علاقة سيمون دو بوفوار، بجان بول سارتر، إلا أن دو بوفوار كانت تتكر باستمرار أن يكون لها علاقات مثلية، وهذه العلاقات تتأكد الآن على ضوء الوثائق الخطية التي تفيد أنها كانت تتبادل وتتقاسم مع سارتر عشيقات صغيرات السن)[3].

كانت سيمون دي بوفوار تستدرج طالباتها الصغيرات لإقامة علاقات جنسية شاذة معهن (خرقت المعلّمة دي بوفوار العقود التربوية، وقامت باستدراج أولغا كوساكيويتز إحدى طالباتها (١٩ عامًا) لإقامة علاقة غرامية معها، ثم تعمّقت العلاقة بين المعلمة والطالبة حتى كتبت دي بوفوار روايتها الأولى «أتت لتمكث، ١٩٤٣م» لتدبّجها بإهداء خاص لكوساكيويتز. تجاوزت دي بوفوار هذا الاستدراج غير المهني بإشراك كوساكيويتز في مُساكنة ثلاثية مع حبيبها سارتر وعُشّاق آخرين.

مضت دي بوفوار في هذه الخطط الاستدراجية حتى تعرفت على طالبة أخرى (١٦ عامًا) تُدعى بيانكا لامبلين فأقنعتها لتدخل في علاقة غرامية مشتركة مع سارتر، الذي كان - فيما يبدو- يهيئ نفسه للقاء أي ضحية تقع في حبال دي بوفوار. كتبت لامبلين مذكرات «علاقة مشينة، ١٩٩٣م» واصفة هذه الغراميات الطويلة، شاكية من كونها استغلت استغلالًا شائنًا من جانب دي بوفوار وسارتر على السواء الذي كان يُظهر نزعات سادية.

في عام ١٩٤٣م، مضت دي بوفوار في تعرفها إلى الطالبات لتلتقي هذه المرة طالبة (١٧ عامًا) تدعى ناتالي سوروكين، وهي آخر العشيقات الأحياء لدى بوفوار وسارتر، غير أن من سوء حظ دي بوفوار هذه المرة أن قامت أم ناتالي بعد ملاحظة تغير سلوكياتها برفع قضية تحرش ضد دي بوفوار آلت بعد التحقيقات لتجريم دي بوفوار وسحب رخصتها التدريسية منها مدى الحياة)[4].

هذه العلاقات المقززة الشائنة التي تمتلئ بكل صور الشذوذ هي واقع الفيلسوف الكبير والكاتبة النسوية الملهمة، هذا الواقع الذي لا تريد النسويات في بلادنا أن يعرفه أحد لأنه يفضح العوار في النظري والفكري، هذا الفصام النكد بين الفكر والواقع يؤكد أنه فكر خاطئ لا يراعي الحاجات الحقيقية الواقعية للإنسان، ومن ثم يتسبب بتطرف أصحابه بطريقة مختلة في محاولة لإشباع دوافعه النفسية، وتتسع الفجوة أكبر بين سلوكيات همجية استغلالية وأفكار تكرس للبراءة وتحلق في المثاليات!

---

(١) المرجع السابق.

(٢) جهاد الفاضل، ربع قرن على غياب سيمون دي بوفوار ..العلاقات المشينة مع سارتر ومع ما سواه، جريدة الرياض.

(٣) المرجع السابق.

(٤) متعب القرني، الحياة السرية لمفكرين وفلاسفة، صراعات وجنس وخيالات مازوشية، مجلة الفيصل، بتصرف.

تحرر أم عبودية

عانت زعيمة الحركة النسوية في العالم دي بوفوار من فراغ نفسي رهيب بسبب فكرها المتصادم مع الفطرة الإنسانية السوية، فـ (بمناسبة مرور عشر سنوات على رحيلها، نشرت الصحافة الفرنسية مراسلاتها مع عشيقها الأميركي نيلسون الغرين. في إحدى رسائلها إليه تبدي رغبتها العارمة بالالتحاق به، وبالزواج منه، مقدمة إليه أقصى خضوع ممكن لامرأة من أوروبا أو من الغرب.

فقد كتبت إليه بعد عودتها من الولايات المتحدة إلى فرنسا: «إني مستعدة لأن أطبخ لك يومياً، وأن أكنس المنزل، وأغسل الصحون. أريد أن أكون لك زوجة عربية مطيعة)[1].

الكاتبة الكبيرة على استعداد إذن أن تلقي بمشروعها الفكري خلف ظهرها وتمارس الوظائف التقليدية للمرأة بخضوع يشبه طقوس العبودية لمجرد أنها أحبّت رجلا ما وأرادته، إنه التناقض الرهيب الكامن في أعماق هؤلاء النسويات بين أطروحة المساواة الكاملة العقيمة التي ينظرن إليها وبين المشاعر الفطرية الطبيعية الموجودة في داخل كل أنثى تريد أن تتكامل مع الرجل، لا أن تعيش معه حياة ندية شرسة.

المسئولية المهدرة

لا يمكن الحديث عن موقف فلاسفة الغرب الحقيقي من المرأة والأسرة دون أن نتطرق لجان جاك روسو صاحب العقد الاجتماعي عالم السياسة والاجتماع، روسو الذي كانت له العديد من العلاقات المحرمة مع عدد من بائعات الهوى انتهت لعلاقة غير شرعية بامرأة جاهلة استغلها روسو حتى أنجب منها خمسة أطفال، وأصرّ على التخلي عنهم جميعًا حتى مات معظمهم، يقول روسو عن ذلك: «نتج عن تلك اللقاءات الغرامية خمسة أطفال، تم وضعهم جميعًا في مستشفى اللقطاء دون أن أفكر بهم لاحقًا، إذ لم أحتفظ حتى بسجلات تواريخ ميلادهم... أنا متأكد من أن هؤلاء الأطفال كانوا سيكبرون على كراهية والديهما، وربما خيانتهما»[2].

روسو الذي كتب كتابا بعنوان «رسائل في الأخلاق» والذي وعظ من خلاله بأهمية الإخلاص بين الزوجين، وتكليل الحب بالزواج.

كما لم يثنه تخلّيه عن أبنائه عن كتابة روايته التربوية «إميل أو عن التربية»، وإرشاد قرائه إلى الطريقة السليمة لتربية الأطفال، هذه الازدواجية الغريبة حتى الدهشة بين الفكر والواقع في علاقة المثقف العلماني بالمرأة تحديدا تؤكد أن الأطروحة الفكرية التي يراد لها أن تسود عالميا مزيفة ولا تفيد المرأة وإنما هي تكرس تحرر الرجل من مسئولياته وتحميل كافة الأعباء للمرأة.

النسخة العربية

كثيرا ما تم وصف الكاتبة النسوية نوال السعداوي وزوجها السابق الروائي شريف حتاتة بأنهما النسخة العربية من سارتر ودي بوفوار، أو هكذا أرادوا أن يكونا، وقام هذا الثنائي بتقديم أفكار شاذة صادمة للمجتمع.

فعندما سئلا: (هل توجد بينكما مساحة من الحرية مثل تلك التي يتمتع بها الأصدقاء غير الأزواج؟ بمعنى، هل أنتما مع تعددية العلاقات بين الرجل والمرأة أو العكس؟

نوال السعداوي: أنا وشريف عندنا حرية. ليس لدي مانع أن تكون له صديقة أو حبيبة أو عشيقة، لكن عندي مشكلة في الكذب. ليس عندي أسرار، ولا أحب مواصلة الحياة مع شخص يخفي عني أشياءه. لكنني أوافق على تعدد العلاقات.

شريف حتاتة: الإنسانية منذ خمسة آلاف سنة تُصارع في هذا الموضوع. أعتقد أني تجاوزت أشياء كثيرة جدًا. لو عرفت أن نوال لسبب من الأسباب أحبت إنسانًا آخر، أو كانت لها علاقة بشخص، فأنا يمكنني تجاوز ذلك.

١. حتى جنسيًا؟

شريف حتاتة: حتى جنسيًا. لأن حياتنا المشتركة فيها شيء آخر قيّم، إلى درجة أن الواحد يكون قصير النظر، إذا ضحى بها لهذا السبب)[3].

إنها الدعوة لنقل تجارب سارتر ودي بوفوار المشينة لعالمنا العربي والإسلامي بدعوى كسر التابوهات، لكن هذا هو الفكر، أما الواقع فإنهما لم يستطيعا الحياة الفعلية مع هذه الأفكار المشئومة، فوقع بينهما الطلاق المؤكد، ولم يستطيعا تحمل هذه الحرية المطلقة التي يتم

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق.
(٣) حوار منشور في صحيفة المدن بعنوان: شريف حتاتة الأجرأ من سارتر.

دعوة المجتمع إليها، حتى أن منى حلمي ابنة الدكتور نوال السعداوي اضطرت للدفاع عن أمها بقولها: إن أصل المشكلة التي أدت للطلاق هو إقامة شريف حتاتة زوج أمها علاقات جنسية مع عشيقات مما عرض نوال السعداوي للأذى النفسي وطلبت الانفصال دفاعا عن الحق والعدل.

هذه الازدواجية بين الحرية المطلقة التي كانت تدعو لها السعداوي كتلك الحرية التي مارستها دي بوفوار وسارتر وبين صدمتها الشخصية في حياتها الخاصة فأصبحت أفكار مثل الحق والعدل أفكارا مطاطية ما يبث منها للجمهور يختلف عما يمارس في الواقع الشخصي، وهكذا يكشف هذا الواقع زيف وتهافت الأفكار.

مظلومية أهل السنة في إيران (٢)
المظلومية السياسية

ماجد العباسي(*) - خاص بالراصد

مظلومية أهل السنة دستوريًا:

حرمانهم من المشاركة في صياغة دستور البلاد في بداية حكم نظام الخميني: بعد انتصار الثورة على الشاه، والتي شارك فيها أهل السنة، كان جزاؤهم استثناءهم من المشاركة في كتابة الدستور الإيراني الجديد، والذي أسبغ الدستورية على نهج الطائفية الشيعية وتهميش السنة، وقامت حكومة الملالي بفرضه بالحديد والنار.

وقد نصّ هذا الدستور على:

١- أن المذهب الشيعي الإثني عشري هو المذهب الرسمي لإيران.

٢- رئيس الجمهورية يجب أن يكون من الشيعة.

٣- ولاية الفقيه هي الحاكمة (وهي بدعة جديدة في الفقه الشيعي ولم تكن من قبل، وهي سبب المصائب في إيران باعتراف الشعب الإيراني نفسه).

أعلن أهل السنة رفضهم للبنود الطائفية في هذا الدستور المختلّ لكيلا تعود إيران إلى زمن الصراعات المذهبية والقومية، ولرفع المظالم عن كل طوائف وفئات الشعب الإيراني دون استثناء، فاعترض الأستاذ مفتي زاده وعدد من علماء أهل السنة على المادة الخامسة عشرة بعد المائة، التي توجب أن يكون رئيس الجمهورية شيعي المذهب، والتي تعني تقسيم المواطنين الإيرانيين المسلمين إلى فئتين: مواطن درجة أولى ومواطن درجة ثانية، وبات يحق للأول - بحكم مذهبه- أن يكون حاكمًا على الثاني، ولا يحق للثاني - بسبب مذهبه- أن يكون حاكمًا وإن كان إيرانيًا مسلمًا.

إلا أن اعتراض علماء السنة على طائفية الدستور قوبل بالرفض من قبل الخميني، الذي أصرّ على تنصيص المادة ١١٥ وعدة مواد طائفية أخرى رافضًا نصيحة بعض مستشاريه الذين نصحوا بتعديلها، وهي المادة التي تسببت فيما بعد بحرمان السنة من تولي كافة المناصب العليا في البلاد.

وحيث أن ولاية الفقيه تعني الحاكمية المطلقة لحدّ التدخل في أركان الشريعة! أي أنه يحق للولي الفقيه أن يحرّم الحلال ويحلّل الحرام عند المصلحة، ويعتبر كل مخالف له كافرًا، وأن يصادر أموال الناس وقتما يشاء، وهذا عين ما ادعاه فرعون، بل أشد.

ولمّا كان أهل السنة وبعضُ مفكري الشيعة وعلمائهم يرفضون هذه الخرافات، ولا يؤمنون بها، فإنهم أعلنوا رفضهم واعتراضهم عليها، فالشيخ عبد العزيز ملا زاده الزعيم الشجاع لأهل السنة صاح في مجلس الشورى ضد إقرار هذه البنود، أما الأستاذ أحمد مفتي زاده فقد انتقد الدستور في جمع كبير من الجامعيين والمسؤولين، وأسمعهم رفض أهل السنة للدستور للطائفي في إيران، وكذلك بعض علماء الشيعة أمثال الطالقاني، الذي صدع بالحق قائلًا: (إن هذا الدستور ليس دستورًا إسلاميًا، إنما هو دستور النفاق)، ولكن هذه الصيحات المحقّة خنقت من قبل الطائفيين المتعصبين، فعندما أرادوا إجراء الاستفتاء على هذا الدستور في إيران حُرم علماء أهل السنة وبعض الشيعة كالطالقاني والمهندس بازركان من المشاركة في الاستفتاء، ومنذ ذلك اليوم رفع الطائفيون شعار «الموت لمناهضي ولاية الفقيه» في وجه أهل السنة - لأن مناهضي ولاية الفقيه من الشيعة

(*) كاتب إيراني.

كانوا قلة قليلة- وفعلوا بهم الأفاعيل ولا يزالون.

ولم يقتصر موقف أهل السنة على رفض الدستور الطائفي، بل قاموا بتأسيس مجلس الشورى المركزي لأهل السنة عرف اختصار بـ (شمس)، وقد أسسه الشيخ أحمد مفتي زادة والشيخ عبد العزيز البلوشي، واجتمع أول مجلس سنوي لشورى السنة في طهران، وعقد الثاني في بيت الأستاذ مفتي زادة بمدينة كرمانشاه الكردية، حيث كانت دولة الملالى ضعيفة آنذاك ومشغولة بحرب أعدائها المنشقين والمعارضين، لكن دولة الخميني دبرت للأستاذ مفتي زادة بعض التهم الباطلة وأُودع في السجن ظلمًا مع كثير من الأعضاء البارزين في «شمس» من كردستان وبلوشستان ومناطق أخرى.

الحرمان من المناصب السياسية والإدارية:

إن حرمان أهل السنة من المناصب السياسية والإدارية هو القاعدة الأساسية التي تقوم عليها سياسة ملالي طهران، حيث حرموهم حتى من المناصب العليا في الدوائر الحكومية في أقاليمهم ومحافظاتهم ككردستان وبلوشستان وغيرهما، فلا يكاد يوجد أي مسؤول سني رفيع المستوى في الإدارات الحكومية (ما عدا الكهرباء والمياه وما شابه ذلك) بل هو ممنوع بتاتاً، وهذا المنع قائم عملياً برغم عدم وجود قانون فعلي، حتى في الوزارات التي لا تمثل أي أهمية بالنسبة للحكومة، أما الإدارات أو الوزارات المهمة كالداخلية والخارجية والمخابرات وحرس الثورة والتعليم والتجارة والدفاع فإن أهل السنة لا يحلمون حتى بالعمل فيها كموظفين عاديين فضلًا عن شغل المناصب العليا فيها، إذ لم يصل إلى رتبة الوزير أحد من أبناء السنة بعد الثورة، وكذلك لم يشغل منصب السفير ولا المحافظ سني قط بعد الثورة.

عدم التمثيل المناسب في البرلمان والمجالس الحكومية:

إذا أمعنّا النظر إلى وضع المجالس والبرلمان في إيران فإننا نرَ أن البرلمان الإيراني يقوم بحرمان أهل السنة من حقوقهم بالمساواة والعدل، إذ لكل ٢٠٠ ألف شيعي تقريباً نائب واحد، بينما لكل مليون ونصف سني أو أكثر نائب فقط!!

ومع ذلك فإن عضوية البرلمان لا تتحقق إلا لأفراد قليلين من السنة ترضى عنهم الحكومة الشيعية وليس هم خيار أهل السنة، فمن المعلوم أن البرلمان يتشكل من حوالي ٢٩٠ مقعدًا، وإذا كان أهل السنة على أقل تقدير لا يقلون عن ٢٥٪ من تعداد السكان في إيران فإنهم يستحقون ٧٢ مقعدًا على الأقل في البرلمان، ولكنهم حرموا من هذا الحق، حيث لا يوجد لهم إلا بضعة عشر نائبًا، وليس لهم أي وزن في البرلمان، بل ويستغل الشيعة وجودهم لأهدافهم السياسية بما يتنافى مع مصالح أهل السنة الحقيقية ويعرّض حقوقهم لمزيد من الخطر والضياع، وكذلك فإن الشخص المنتخب في البرلمان والذي يطالب بحقوق أهل السنة المساكين لا يمكن أن يستمر أكثر من دورة واحدة في الانتخاب ثم يتابع بعد ذلك بالقضاء عليه وتعذيبه وإهانته كما فعلوا مع الشيخ نذر محمد البلوشي الذي ألقي القبض عليه وعذب في سجون الحكومة الإيرانية، أو يحرم من الترشح مرة أخرى كالدكتور جلالي زاده الكردي، والكثير من المراقبين يرون أن استشهاد المندوب الشجاع مسعود هاشم زهي مكيدة مدبرة.

أما **مجالس البلديات** - بعد تنفيذها لأول مرة في عهد خاتمي- فوجئوا بنجاح الأغلبية الكاسحة من مرشحي أهل السنة في المناطق السنية، فلجأوا للضغط على الناجحين للتنازل طواعية أو يسقط بالتزوير كما حدث في بندر عباس.

أما باقي المجالس **كمجلس صيانة الدستور ومجمع تشخيص مصلحة النظام** فلم يعيّن فيهما سني واحد، وأما **مجلس الخبراء** فقد يعين فيه سني موال للحكومة الإيرانية ولا شعبية له في أغلب الأحيان لدى أهل السنة وهو كذلك ليس له أدنى تأثير في القرارات الصادرة في المجلس.

حرمان أهل السنة من حقوقهم الدستورية من السلطات الحكومية:

أهل السنة يعانون من جريمة حرمانهم من حقوقهم الدستورية مثل حريّتهم في أداء واحترام شعائرهم الدينية، وحقهم في إدارة التعليم الخاص بهم، وتشكيل المؤسسات والهيئات المختلفة، والفارق بين أهل السنة والطوائف والأقليات الأخرى في إيران أن حقوقهم لا تتجاوز الحبر على الورق، بينما حقوق اليهود والنصارى والزرادشت تجد كل عناية وتقدير من حكومة الملالي!!

الاحترام وحرية أداء المراسم والشعائر الخاصة: حيث نصت المادة (١٢) من الدستور على أن: «الدين الرسمي لإيران هو الإسلام والمذهب الجعفري الاثني عشري، وهذه المادة تبقى إلى الأبد غير قابلة للتغيير، وأما المذاهب الإسلامية الأخرى والتي تضم المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدي فإنها تتمتع باحترام كامل، وأتباع هذه المذاهب أحرار في أداء مراسمهم المذهبية حسب فقههم، ولهذه المذاهب الاعتبار الرسمي في مسائل التعليم والتربية الدينية والأحوال الشخصية، وما يتعلق بها من دعاوى من المحاكم، وفي كل منطقة يتمتع أتباع أحد هذه المذاهب بالأكثرية، وعليه فإن الأحكام المحلية لتلك المنطقة - في حدود صلاحيات مجالس الشورى المحلية- تكون وفق ذلك المذهب، هذا مع الحفاظ على حقوق أتباع المذاهب الأخرى».

حرية استخدام اللغات الخاصة: حيث نصت المادة (١٥) على أن: «اللغة والكتابة الرسمية والمشتركة؛ هي الفارسية لشعب إيران، فيجب أن تكون الوثائق والمراسلات والنصوص الرسمية والكتب الدراسية بهذه اللغة والكتابة، ولكن يجوز استعمال اللغات المحلية والقومية الأخرى في مجال الصحافة ووسائل الإعلام العامة، وتدريس آدابها في المدارس إلى جانب اللغة الفارسية».

كما نصت المادة (١٦) على ما يلي: «بما أن لغة القران والعلوم والمعارف الإسلامية العربية، وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل، لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف والاختصاصات الدراسية».

حرية تشكيل التنظيمات والهيئات المختلفة: حيث تنص المادة (٢٦) على أن: «الأحزاب والجمعيات والهيئات السياسية والاتحادات المهنية والهيئات الإسلامية والأقليات الدينية المعترف بها تتمتع بالحرية بشرط ألا تناقض أسس الاستقلال والحرية والوحدة الوطنية والقيَم الإسلامية، كما أنه لا يمكن منع شخص من الاشتراك فيها أو إجباره على الاشتراك في أحدها».

كيفية ترشيح رئيس الجمهورية: تنص المادة (١١٥) على أن: «يُنتخب رئيس الجمهورية من بين الرجال المتدينين السياسيين الذين تتوفر فيهم الشروط التالية:

١- أن يكون إيراني الأصل ويحمل الجنسية الإيرانية.
٢- قديرًا في مجالس الإدارة والتدبير.
٣- حسن السيرة.
٤- تتوفر فيه الأمانة والتقوى.
٥- مؤمنًا ومعتقدًا بمبادئ جمهورية إيران الإسلامية والمذهب الرسمي للبلاد».

لكن الواقع هو أن أهل السنة محرومون من كل هذه الحقوق الدستورية، فلا وجود لحرية أداء شعائرهم الدينية، فمساجدهم تهدم وتغلق، وأما حقهم في إدارة التعليم الخاص بهم لا واقع له مع منع مدارسهم وتجريم من يقوم بذلك، وهم ممنوعون من تشكيل مؤسساتهم وهيئاتهم المختلفة بشكل مستقل وحر، والفارق بين أهل السنة والطوائف والأقليات الأخرى في إيران أن حقوقهم لا تتجاوز الحبر على الورق، بينما حقوق اليهود والنصارى والزرادشت تجد عناية أكثر من حكومة الملالي!!

وبالقراءة الدقيقة للنصوص الدستورية التي تركز على ترسيخ التشيع في الدستور وإيران، نجد أنها تقيم حالة من الصدام والصراع مع قسم كبير من الشعب (يمثله أهل السنة) وخاصة أنها سوف توجه التصرفات الحكومية وتعطيها غطاء من المحاسبة نظرًا لأن المذهب الجعفري يُسقط كل المذاهب الإسلامية الأخرى ولا يقيم لها وزنًا، وتركيز هذه الصبغة الطائفية في الدستور الإيراني يتكرر في مواد أخرى متعلقة مثلًا بمجلس الشورى أو الجيش وقسَم الرئيس، وهذا القلق في الدستور تجاه الهوية الطائفية من خلال تكرار النص على المذهب الشيعي هو في الحقيقة خوف من المستقبل الذي لا يكون فيه الملالي على رأس النظام الإيراني.

التشيّع المعاصر في العراق وجهود مقاومته (١- ٢)

عبد العزيز بن صالح المحمود(*) - خاص بالراصد

بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لاحتلال العراق، سنتناول قضية قلّ تسليط الضوء عليها رغم أهميتها، وهي محاولة نشر التشيّع في العراق، إذ أن مخطط إيران وأحزابها هناك كان بعيداً تمامًا عن فكرة تشييع السنة؛ حيث كانت غايتهم الأساسية هي تمكين التشيّع في العراق وليس دعوة السنة إلى التشيع[١]؛ لذلك اعتمدوا التغيير الديمغرافي، وتهجير السنة، وقتلهم بأبشع أنواع القتل، واعتقال آخرين وتعذيبهم، دون أمل بالخروج من السجون، وإفقار مناطقهم اقتصاديا، ولكي يضفوا الشرعية على جرائمهم سهّلوا ودعموا خفيةً المتطرفين من السنة للتورط في حوادث طائفية يكون الرابح فيها دوما الطرف الشيعي لأنه مسلح ومدعوم من إيران؛ لذلك كانت إيران تمارس بأيدي المتطرفين الكثير من التفجيرات في الحسينيات والمناطق الشيعية ليكون ذلك مدعاة لاعتقال وقتل وتهجير أهل السنة.

كما سنّوا قانون اجتثاث البعث، والمقصود الحقيقي به البعثي السني فقط، وقانون ٤ إرهاب، والذي طبق على السنة فقط، وغير ذلك من القوانين الظالمة.

لذا كانت المهمة الأولى للشيعي والإيراني هي قهر المجتمع السُني بالقوة لتطبيق مشروعهم الطائفي، والذي هو امتداد لسلوك قديم منذ نشوء الدولة الصفوية التي حولت إيران إلى التشيع بالقوة وإراقة الدماء[٢].

لكن هل مارست إيران وأداوتها في العراق نشراً للتشيّع أيضاً؟

هذا ما سيجيب عليه هذا المقال.

بداية التشيع مع الأحزاب السنية العراقية[٣]:

كانت بداية عملية التشيع مع ساسة السنة منذ الانطلاقة الأولى للعملية السياسية بعد الاحتلال الأمريكي سنة ٢٠٠٣، وبدا ذلك واضحا لدى بعض الساسة السنة عبر تزلّفهم للشيعة في مواسم عاشوراء، فهذا ممثل السنة في مجلس الحكم عدنان الباجة جي يتملق الشيعة بتصريحه لوسائل الإعلام أنه فعل كذا وكذا على المذهب الشيعي، ووزير الدفاع العراقي عبد القادر العبيدي شوهد يضرب صدره في ذكرى عاشوراء تقربًا لعبد العزيز الحكيم ونوري المالكي، وهذا أحد قادة الصحوات يقول علنا: إن سُنيّتنا اليوم ليست مكسبًا، وآخر في حزب إسلامي يقول: لا بأس أن يكون حال سُنة العراق مثل سنة إيران! وهي تصريحات وممارسات تدل على الضعف، وعلى ظهور ظاهرة التقية عند ساسة السنة.

ومما شجع على انتشار هذه الظاهرة بين عامة السنة في مواسم عاشوراء قيام عبد العزيز الحكيم، زعيم المجلس الشيعي الأعلى، بوضع مكافأة مالية لكل من يوزع الأكل لزائري الحسين في موسم عاشوراء، وكان يشجع ويغري السُنة على فعل ذلك، خاصة في المناطق المختلطة.

كما أن الخوف من ظلم الشيعة وبطشهم، والطمع بما عندهم من أموال جعلا بعض السنة يضع في واجهة بيته علما أسود حزنا على الحسين، تشبها بالشيعة، ويعلّق صورا لعلي أو الحسين أو أخيه العباس، رضي الله عنهم، على واجهة الدار أو المحل، حتى صار بعض السنة يتسابق على عمل الأكلات الخاصة بهذه المناسبة كـ (الهريسة) و(القيمة)، وغير ذلك من أطباق يوم عاشوراء، أو يلبس السواد، كل ذلك خوفًا ومجاملة أو بحجّة مشاركة إخواننا الشيعة مآسيهم وذكرياتهم ومراسمهم وطقوسهم.

ولأن الحكومة شيعية بامتياز، والجيش والشرطة

(*) كاتب عراقي.

(١) وهو تفكير صحيح، ويفضل تفكير كثير من السنة الذين اهتموا بهداية الشيعة دون الاهتمام بتحصين السنة.

(٢) انظر كتابنا: عودة الصفويين، وقد نشرته مجلة الراصد إلكترونيا وورقيا، وطبعته مكتبة الإمام البخاري بالقاهرة.

(٣) سبق أن تناولنا في الأعداد ١٢٧، ١٢٦ من الراصد، ظاهرة التسنن عند الشيعة، حيث شكل عشرات الألوف من الشيعة المتسننين ظاهرة أقلقت الأحزاب الشيعية؛ لذا كان هؤلاء المتسننون من أوائل المستهدفين بالقتل والتصفية على يد الميلشيات الشيعية مثل قوات بدر وجيش المهدي منذ بداية الاحتلال.

منهم، والميلشيات والأحزاب الدينية الشيعية موجودة في اتحادات الطلبة في الجامعات والمعاهد حيث صبغت الجامعات بنوع من الهيمنة الشيعية عبر متابعة من ينتقد التشيع مما زرع الخوف في نفوس الطلبة السنة وجعل كثيرا منهم يساير الشيعة في طقوسهم، ولا ننسَ ما فعله الشيعة من ظلم بحق السنة بعد عام ٢٠٠٦ من مذابح بعد تفجير قبة العسكريين. هذا من جهة الشيعة.

أما سنيًا فإن إجرام تنظيم القاعدة بتنفيذ التفجيرات العشوائية في الأسواق والقتل الجماعي، ولّد ردة فعل لدى المجتمع السُني، خاصة عند المثقفين، ضد الدين بشقيه السني والشيعي، فنتج جيل متحلل لا يعرف الفروق بين السنة والشيعة، وأخذ يذم القاتل والمقتول ويساوي بين الجلاد والضحية؛ فحصلت حالات زواج كثيرة بين السنة والشيعة، كما تشيع البعض من هؤلاء ولو شكليا بحجّة عدم وجود فوارق بين المذهبين!

أما في مناطق العشائر السنية التي تسكن قريبا من عشائر شيعية فالتوجهات العشائرية غالبا ليس لها صلة بالدين، وعندها أن الانتماء العشائري أهم من المذهب والديانة؛ لذا كان الأمر أوسع بكثير في التساهل والتماهي مع المناسبات الشيعية ووجود مصاهرات عديدة دون الالتفات للدين.

وبذلك نتج عن مخطط العنف والبطش الشيعي بالسنة ظاهرة جانبية لم تكن في البال وهي ظاهرة تشيع بعض السنة! ولكي ندرس أسباب هذه الظاهرة نقول باختصار:

١- أولا ما قاله العلامة ابن خلدون في مقدمته: (المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب: في شعاره، وزيّه، ونحلته، وعوائده)، وما سماه المفكر المعاصر مالك بن نبي (القابلية للاستعمار)، فالفرد المغلوب والمستعمَر يستبطن مفاهيم غالبه ومستعمرِه ويقبل بالحدود التي رسمها لشخصيته هذا المستعمِر، وليس ذلك فحسب، بل يصبح يدافع عنها ويكافح ضد إزالتها[1]، وهذا ما أصاب بعض السُنة من شعورهم بالهزيمة أمام الطغيان والظلم الشيعي، فجعلهم يتشيعون ولو تقية في البداية!

٢- قلّة الوعي بحقيقة الفكر الشيعي عند الجمهور السني، فمنذ تكون دولة العراق الحديثة سنة ١٩٢١م وثقافة الجمهور العراقي وخاصة السنة تتشكل من الفكر القومي والوطني والشيوعي، وهذه الأفكار الثلاثة لها دور في تخدير وعي السُنة تجاه الخطر الشيعي، وكان حصاد ذلك واضحًا بعد الاحتلال الأمريكي، بل لولا لطف الله وممارسات الشيعة القذرة وغباؤهم لكان تشيّع غالبية السنة سهلا جدًا، لكن حقد الشيعة تحوّل إلى أمر لا نعبّر عنه إلا بقولنا: ربَّ ضارة نافعة.

٣- التدين في المجتمع العراقي ضعيف قياسًا ببقية الدولة العربية؛ كمصر، والأردن ، فضلا عن دول الخليج، والنُفرة من الدين تزداد يومًا بعد يوم بسبب سلوكيات الأحزاب الدينية السُنية والشيعية ودورها في تدمير العراق؛ ونتيجةً لذلك انتشرت ظاهرة الإلحاد، وأصبح التوجّه نحو الشيوعية من جديد.

٤- بعض الثقافة الدينية السُنية، خاصة الحزبية، لا تحمل وعيًا كافيًا بخطر التشيع وعدوانه، فلا ترتب أولويّاتها على مواجهة هذا الخطر، بل جلّ اهتمامها هو نصرة حزبها وحصولها على مكاسب سياسية ووظيفية ومالية.

دور النخب والقيادات السُنية بعد الاحتلال في ظل غياب الوعي السني:

ساهمت النخب السنية في تذويب الخطر الشيعي والتعمية عنه، وعدم توعية أهل السنة بالخطر الشيعي الحقيقي، وقد جرّب أهل السُنة في بداية الاحتلال الخروج بمظاهرات تنادي (إخوان سنة وشيعة وهذا الوطن ما نبيعه)، ولم ينفع هذا الخطاب مع الشيعة.

وتبنّت هيئة علماء المسلمين بقيادة د. حارث الضاري، رحمه الله، فكرة عدم التفريق بين السنة والشيعة (فكرة الوطنية والمواطنة) وأن مقاومة المحتل أولوية عند جميع العراقيين– وهو يعلم علم اليقين إن لا مقاومة على الأرض سوى للسنة- كما تبنّت فكرة أن الصراع بين الشيعة والسنة سياسي، ولذا اشترك بالهيئة عدّة شخصيات شيعية مثل جواد الخالصي، وحسين المؤيد لتعطي الهيئة لنفسها صبغة وطنية زائفة؛ رغم أن جواد الخالصي كان يحمل الجنسية الإيرانية وعَرفت الهيئة حقيقته فيما بعد، والشيخ حسين المؤيد أراد إعلان

---

(١) القابلية للاستعمار في العالم الإسلامي، ساكري البشير، موقع مجلة البيان، ٢٠١٦/٦/٢١م.

تسنّنه، لكن الشيخ حارث الضاري طلب منه أن لا يعلن عن ذلك كي يبقى ممثلا للشيعة داخل الهيئة[1].

وحاولت الهيئة – مع الأسف- التقليل من الخطر الإيراني والشيعي[2]، وزعمت أن الخطر الوحيد هو الخطر الأمريكي، وبخروج المحتل ستخرج الأحزاب الإيرانية والشيعية، وقد أثّرت هذه النظرة في المجتمع السني، ودعمَها وساندها حزب البعث وأصحاب التوجهات القومية، وبدأ منع أي كلام عن الاضطهاد السني؛ كما أن السنة كانوا يشعرون بشعور أبوي تجاه إنقاذ العراق، وأن من يتلاعب بالوطن العراقي من الشيعة والكرد يتم علاجهم بالرؤية الوطنية؛ لذلك رفض السُنة عام ٢٠٠٥ الدستور الجديد لوجود الفيدرالية فيه، والتي تبنّاها الشيعة في وقتها؛ ورفضها السنة لتأثير الرؤية الوطنية والقومية على تفكير الشارع السني وأن ذلك يعتبر تمزيقا وخيانة للوطن.

وقد انعكست تلك الرؤية على الفصائل التابعة لهذه التوجهات؛ ككتائب ثورة العشرين، في وقتها، وعلى جيش الطريقة النقشبندية بعد سنة ٢٠٠٧م، وعلى المجالس العسكرية والعشائرية التي كانت تدار بين الهيئة وحزب البعث فيما بعد.

وأثرت تلك الرؤية على علماء في هذه التوجهات من أمثال د. بشار الفيضي، وآل السعدي)د. عبد الحكيم وعبد الرزاق وعبد الملك) وغيرهم، وأصبح حديثهم عن العراق كوطن وباسم جميع العراقيين، ورفض الحديث باسم السنة ومعاناتهم.

كما كان هناك تخوف من قبل الحزب الإسلامي (الإخوان المسلمين) في العراق من عودة حزب البعث إلى السلطة؛ لأن «البعث» بدأ بعد ٢٠٠٨م بجمع صفوفه وتنظيماته، وتولّد صراع قوي بين الحزب الإسلامي وحزب البعث، وكان هناك تحالف قوي بين حزب الدعوة، والحزب الإسلامي لمنع عودة حزب البعث، منذ الأيام الأولى للاحتلال، وفي تبادل الأدوار السياسية؛ لذا كان سكوتهم عن خطر التشيّع سياسة مقصودة، مع موقفهم النابع من رؤية حسن البنا، رحمه الله، في قضية التقريب.

وكانت مواقف الحزب الإسلامي سيئة في تعاطيه للشأن السياسي، وكان ممثلا غير جيد للسنة، مما انعكس سلبا على القضية السنية؛ وأصبحت مطالب السنة كأنها مطالب للحزب الإسلامي أو هكذا أريد لها.

ورغم أن المقاومة أغلبيتها سنية وذات حس سني إلا أنّ همّها الأول كان إخراج المحتل الأمريكي فقط، دون الاهتمام الكافي بالتوسع نحو العدو الإيراني وأدواته، ولم تفكر بكيفية معالجة ذوبان المجتمع السني بالتشيع الذي بدأ. كل ذلك جعل السنة - نخبًا وأفرادا- يسهل ذوبانهم داخل المد الشيعي.

ظهور مقاومة سُنية لهذا الفكر:

لا يعني هذا أن وعيًا سنيًا لم يكن موجودا على مستوى الجماهير والنخب، فبعد مرور ٨ سنوات على الاحتلال حصل وعي لدى عدة مستويات من النخب والجمهور لمواجهة العدوان الشيعي الناعم والخشن، وبالتحديد بعد إعادة انتخاب المالكي من جديد، في ٢٠١٠م؛ لذلك بدأ التفكير بتكوين مشاريع تراعي الوجود السني وتحصّن أهل السُنة من الذوبان في المخطط الشيعي أو التشيع.

فبدأ مشروع تشكيل مكونات سنية سياسية، وكاد أن ينجح ذلك سنة ٢٠١٢م، لكن عدم التوافق والتسابق على الزعامة من قبل الحزب الإسلامي وبعض الفصائل المسلحة، مع عوامل أخرى، أفشلت المشروع، ومع ظهور الاحتجاجات السنية، خاصة في الأنبار خلال سنة ٢٠١٣ جعلت أهل السنة يركنون إليهم في تحقيق مشروعهم، لكن قضى عليها المالكي بهجوم عسكري.

ظهور داعش:

في أواسط ٢٠١٤ م ظهر تنظيم داعش وخُدع به أهل السنة في البداية لكن سرعان ما كشف الزمن زيف داعش، وتفاقمت نحو الأسوأ أحوال أهل السنة بما لم يسبق من قبل في جميع المحافظات السنية، فهجّر أهل السنة بالملايين، وأصبحوا في حالة من القنوط واليأس؛ فشعب كامل مهجّر في كردستان في الخيام، والبيوت المهجورة، والهياكل.

---

(١) أخبرني بذلك صديق لي قبل كتابة هذا المقال نقلا عن حسين المؤيد نفسه.

(٢) هناك مقال دقيق في مجلة الراصد بقلم: سمير الصالحي، في العدد ١٤٢، سنة ١٤٣٦هـ، بعنوان: مَن يعرقل المشروع السني؟

نموذج من التشيع في الأنبار وصلاح الدين:

بعد انتهاء عمليات الرمادي والفلوجة قام بعض صوفية الأنبار بزعامة خالد الملا[1] بتأسيس مجلس علماء الرباط المحمدي، لنشر ما يسمّى (الإسلام المحمدي) في محافظة الأنبار، وقد بثّت قناة «العراقية» الشيعية ٢٠ حلقة باسم الإسلام المحمدي، قدّمها عبد القادر بهجت الألوسي، صاحب تكية الألوسي في الفلوجة، ومحمد نوري العيساوي، إمام وخطيب جامع النبي يونس في الفلوجة، وهما من أعضاء مجلس علماء الرباط المحمدى، ومعهم الشيخ ظافر العبيدي، وهو معروف بتهجّمه على الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، لأنه شيعي يدعي التسنن، حيث ثبت أنه مسؤول الإسناد لحزب الدعوة الشيعي في الفلوجة، وكان ضمن لجنة المفاوضات الثانية مع الأمريكان في الفلوجة.

كما تشكّلت رابطة مبلغي صلاح الدين من مجموعة شيوخ سُنة يرافقون العمائم الشيعية لغرض التوعية الدينية!

معركة الموصل نموذج جديد لنشر التشيع:

عندما انطلقت معركة الموصل في جانبيها الشرقي والغربي، ولتفادي ما جرى من جرائم شيعية طائفية ضد السنة في بقية المحافظات، تمّ الاتفاق على عدم مشاركة الحشد الشعبي (الشيعي) في المعركة، فضغطت كل من تركيا وأمريكا وبعض الدول على حكومة العبادي، وتمّ التوافق على ذلك، وبقي الحشد متواجدا خارج المدينة، قرب مدينة تلعفر، التي تعدّ هدفا عسكريا إيرانيا مهما، وكذلك لوجود شيعة فيها.

اقتصر دور الحشد خارج الموصل على عملية الإغاثة، وبدأت التصريحات الرسمية وغير الرسمية بالإعلان والترويج عن دور المرجعية والحشد في إغاثة الهاربين والنازحين من مدينة الموصل في نوع من الدعاية للحشد.

وبذلك وظفت إيران الحشد لكي تعطي صورة مغايرة لأهل الموصل عن طائفية الحشد في تمهيد لكسب مجموعة من شباب الموصل للتشيع بأي صورة من الصور، خاصة وأن كثيرًا من شباب هذه المناطق يحتاج إلى لقمة العيش والمعونة والرحمة، وقد قامت الأحزاب الشيعية بفتح مراكز لأحزابها هناك لتشجع شباب الموصل على الانتماء للأحزاب الشيعية، ولو بقوا على المذهب السني!

وقد نقلت أخبار عن تشيع عدد من العوائل وبعض الشباب، ولو كان تشيعا شكليًا أو مؤقتا، بسبب الخوف أو بسبب الحاجة والفقر والنزوح والعيش بالعراء بدون أمل في المستقبل مما يجعل المرء يتنازل عن الكثير، لا سيما وأن أهل الموصل غير مُحصنين ضد الفكر الشيعي، فالفكر العروبي الوطني هيمن على العقلية العراقية، والموصلية بالتحديد.

في المقابل فإن داعش قدّم أبشع صورة للإسلام وأهل السُنة، بما يفوق تشويه المستشرقين والحاقدين على الإسلام، مما يفتح الباب لإيران التي تبحث عن المَواطن الرخوة لتنشر أفكارها المنحرفة خلف شعارات الإغاثة الإنسانية والمساعدة الطبية والغذائية.

حيث تقوم منظمات الإغاثة الشيعية في المناطق التي سيطرت عليها الحكومة في محافظة صلاح الدين وفي مناطق الموصل بإغراء الشباب السني بالعمل معها مقابل أجور وتسحبهم تدريجيا نحو التشيع، فكما تستخدم التشيع السياسي في بعض الدول، فهي في العراق تستخدم التشيع الوظيفي والمعاشي، ولو كان المقابل يفعل ذلك حاجة واضطرارًا، لأنها تريد أن يكون لها وجود في محافظة نينوى وما حولها، وتريد موطئ قدم بأي ثمن.

أما مسألة مقاومة هذا التشيع فسنسلط الضوء عليه في الحلقة القادمة بإذن الله.

---

(١) من المعممين السنة ومن أهالي البصرة، عرف في النظام الاسبق كوكيل للأمن العام، وبعد الاحتلال أصبح وكيلا للمجلس الأعلى، علاقته قوية بمنظمة بدر، ويعتبرونه ممثلا عن سنة البصرة وغيرهم، عمل مع د. عبد اللطيف الهميم، وصلاته قوية بإيران.

طاهر بومدرا خبير القانون الدولي:
نظام "الملالي" في إيران قائم على تصدير الثورة إلى الآخرين... والاعتداء على دول الجوار

أجرى الحوار: شريف عبد الحميد(*) – خاص بالراصد

قال طاهر بومدرا، الخبير المتخصص في القانون الدولي وحقوق الإنسان، المستشار السابق للمبعوث الأممي إلى العراق ورئيس مكتب حقوق الإنسان عن وضعية مخيم «ليبرتي»، إن نظام «الملالي» الحاكم في إيران قائم على «تصدير الثورة» إلى الآخرين، وهو يؤسس دستوريا للاعتداء على دول الجوار، مؤكدا أن الأوضاع المضطربة في العراق وسوريا ولبنان واليمن تسببت فيها الاعتداءات التي يقوم بها «الحرس الثوري» الإيراني.

وأضاف «بومدرا» في حواره لمجلة «الراصد» على هامش مؤتمر «الأمة والسنّة» الذي عقد مؤخرا في إندونيسيا، أن «طهران» نفّذت تصفيات جسدية على نطاق واسع ضد المعارضين تدخل تحت بند «جرائم الإبادة الجماعية»، ومن الممكن محاكمة المسؤولين عن هذه الجرائم بالقانون الدولي.. وإلى الحوار:

❖ كيف ترى العلاقة الملتبسة حاليا بين النظام الإيراني ودول الجوار العربي والإسلامي؟

- نلاحظ أن هناك هجوما عنيفا في الآونة الأخيرة ضد العالم العربي والإسلامي بصفة عامة من طرف نظام «الملالي» الحاكم في إيران، خصوصا أن هذا النظام قائم على ما يسمى مفهوم «تصدير الثورة» إلى الآخرين والاعتداء على دول الجوار، التي لم تبدِ أي «بادرة مقاومة» لهذا التوجه العدواني حتى الآن.

❖ فما أسباب هذا التوجه الإيراني في تقديركم؟

- الحقيقة أن هذا البلد أسس لنظام عدواني من طرف دستور يجبر «الملالي» على تصدير ثورتهم والعمل على خلق بؤر للتوتر والاعتداء على البلدان المجاورة، والأدلة على ذلك كثيرة، إذ يكفي الإشارة إلى ما يحدث في العراق وسوريا ولبنان واليمن، فالأوضاع المضطربة في كل هذه الدول تسببت فيها الاعتداءات التي تقوم بها حكومة الملالي في إيران بواسطة ما يسمى «الحرس الثوري» و«فيلق القدس». ولا جدال أن هذه الاعتداءات مخالفة للمواثيق الدولية، وبالأخص ميثاق الأمم المتحدة الذي يفتح باب العضوية للدول المحبّة للسلام وتلك التي تقبل حل النزاعات بشكل سلمي.

❖ هل صحيح أن هذه الممارسات العدوانية «مؤسّسة دستوريا»؟

- هناك نقطة أساسية يجب الإشارة إليها هنا، وهي كون الدستور الإيراني يؤسس لجيش عقائدي، وهذا الجيش ذو طبيعة مزدوجة، فهناك الجيش الرسمي و«الحرس الثوري»، الذي تتمثل مهمته بالدفاع عن استمرار نظام الملالي وتصدير الثورة إلى الخارج، والتدخل في شئون الدول الداخلية عن طريق «فيلق القدس» ومليشيات أخرى لا يمكن وصفها إلا بالإرهاب، وهي منظمات ترهب الشعب الإيراني داخليا، كما ترهب الشعوب العربية والإسلامية خارج إيران، على السواء.

وعليه، يمكن إدراج مثل هذه المنظمة «الحرس الثوري» في قائمة الإرهاب الدولي، بحيث يصعب عليها أن تمارس سياسة التدخل في شئون الدول بالطريقة التي نراها اليوم، فهي تتدخل في بعض الدول المجاورة لإيران دون أي محاسبة أو عقاب، لكن إذا أُدرجت في قائمة الإرهاب فحينها ستتوقف عن التدخل في الشئون الداخلية للدول، وستصبح حركتها «محدودة».

❖ وكيف يمكن تحقيق ذلك؟

- على العالم العربي والإسلامي أن يعي جيدا كون إدراج «الحرس الثوري» كمنظمة إرهابية باتت مهمة أساسية، يمكن أن تحقق نتائج على أرض الواقع من خلال القانون الدولي وعبر أجهزة الأمم المتحدة.

وما دام الدستور الإيراني يؤسس للتدخل في الشئون الداخلية للدول المجاورة، ويؤسس لتصدير الثورة، فإن هذا يرتقي لكونه «مشروع اعتداء»، ويصنّف القانون الدولي مثل هذا الاعتداء تحت البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

(*) كاتب مصري.

❖ يتساءل الكثيرون: لماذا لم تُفرض عقوبات صارمة ضد نظام الملالي بناء على هذا «البند السابع» من ميثاق الأمم المتحدة؟

- أعتقد أن هذا يعتبر نوعا من الفشل العالمي، فقد فشل المجتمع الدولي في مراقبة هذه الدول التي تبنّت «تصدير الثورة» وسعت إلى التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى.

وكان من المفترض أن تُدرس هذه الوضعية تحت البند السابع للميثاق الأممي، ولكن موازين القوى داخل الأمم المتحدة لم تسمح باتخاذ قرارات ملزمة ضد هذا البلد، غير أن موازين القوى هذه عادةً ما تتغير، وما هو غير ممكن اليوم قد يصبح ممكنا في المستقبل، وبالتالي قد يَسمح الوضع الدولي مستقبلا باتخاذ قرارات ملزمة في هذا الملف الخطير، وعلى الدول المعنية في المنطقة أن تجنّد أجهزتها لهذا الغرض، وأن تخلق «اللوبي» الكافي لتحقيق الإجماع داخل مجلس الأمن الدولي لفرض العقوبات بقرارات ملزمة على النظام الإيراني.

❖ فما هو هدف «طهران» النهائي من وراء ذلك؟

- يسعى نظام «الملالي» إلى تحقيق مشروعه للهيمنة الداخلية والخارجية معا، وهذه الهيمنة دفعت النظام إلى ارتكاب جرائم بشعة داخل إيران نفسها، حيث ارتُكبت تصفيات جسدية على نطاق واسع ضد المعارضين تدخل تحت بند «جرائم الإبادة الجماعية»، وهي جرائم ضد الإنسانية عموما، ومن حق العالم مساءلة مرتكبيها أمام الرأي العام العالمي أولا، وأمام المحاكم الدولية ثانيا، وفق القانون الدولي.

أما بالنسبة للجرائم المرتكبة خارجيا، فإن هناك صنفين من الجرائم ارتكبت من طرف نظام الملالي، وهما:

أولا: الاغتيالات التي قام بها النظام لأشخاص في الداخل والخارج معا.

وثانيا: التعدي على بعض الدول من أجل بثّ الفتنة وخلق بؤر للتوتر فيها، وهو الأمر الذي يخلق الفرصة لـ «الحرس الثوري» للتدخل، كما يحدث في سوريا.

وفي العراق، كمثال آخر، تم تشكيل ما يسمى بـ «الحشد الشعبي»، والحقيقة أن هذا الحشد ما هو إلا امتداد للحرس الثوري، وعليه يؤسفنا القول إن الشعب العراقي يتعرض حاليا لكثير من المجازر المرتكبة من طرف «الحرس الثوري» الذي يمثله «الحشد الشعبي» على أرض الواقع.

❖ ماذا عن رد الفعل الدولي تجاه هذه الجرائم المستمرة؟

- من المعلوم أن نظام «الملالي» كان خاضعا لعقوبات دولية، كما فُرضت عليه عقوبات اقتصادية نتيجة سعيه الحثيث إلى امتلاك أسلحة دمار شامل، وبالأخص الأسلحة النووية.

وفي عام ٢٠١٥ جرت مفاوضات بين هذا النظام والدول الكبرى المعروفة بـ «٥+١» توصلت إلى اتفاقية ورفع العقوبات إذا قبلت إيران التوقف عن العمل في برنامجها النووي.

ولكن الجميع يعلم أن وعود النظام الإيراني مجرد حبر على ورق، ولا يمكن الثقة بها، لأنه لن يحترم وعوده الدولية، وهو عادة ما يعِد بالكثير ويلتزم بالقليل، لهذا كان المفروض أن تستمر العقوبات الاقتصادية الانتقائية ضد الأشخاص وبعض المؤسسات الإيرانية لردعهم وتوقيفهم عن ممارسة السياسة العدوانية ضد الدول التي يكون فيها الأغلبية سنية.

❖ ما هو دور المعارضة الإيرانية في هذا الصدد؟

- الحقيقة إنه إذا كانت دول الجوار لم تأخذ هذا الأمر بالجديّة الكافية، ولم تطرح هذه القضية على مجلس الأمن الدولي، فإن المعارضة الإيرانية في الداخل والخارج تمكّنت من خلق رأي عام ضد ديكتاتورية «الولي الفقيه» الذي جعل من منطقة الشرق الأوسط منطقة توتر وبؤرة لكل الخلافات، ومن الممكن التعويل على مساهمة المعارضة الإيرانية في زعزعة نظام الملالي.

التصوف السوداني وزيارات أئمة الحرمين... صلاح البدير في سنّار نموذجاً

د. محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد

مقدمة:

لم يكن اختيار مدينة سِنَّار السودانية عاصمةً للثقافة الإسلاميةِ لعام ٢٠١٧م عن المنطقة العربية من بابِ المصادفةِ، فقد مثَّل قيام مملكة سنَّار الإسلامية (١٥٠٤م- ١٨٢١م) على أنقاض مملكة سُوبا المسيحية في السودان آنذاك؛ علامةً مضيئةً في رفعِ رايةِ الإسلامِ والحفاظِ على الموروثِ الإسلامي بعد سقوطِ دولةِ الأندلسِ عام ١٤٩٢م، ونقطة تحوّل وفاصلة حضارية مهمة بدلالاتها الفكرية والثقافية في اتجاه تكوين المجتمع السوداني الجديد، فقد كان قيام هذه الدولة الإسلامية بعد سقوط الأندلس مباشرة، رسالة واضحة أن إفريقيا تفتح ذراعيها للإسلام، بينما تطارده أوروبا بمحاكم التفتيش، واستمرت سِنار ترفعُ هذه الرايةَ لأكثرَ من ثلاثمائةِ عام.

ومن ثم أصبحت سنار بموقعِها الجغرافيِّ في صدرِ السودانِ وبتركيبتِها السكانيةِ التي استوعبت جُلَّ الأعراقِ السودانيةِ عنواناً للبلادِ ومركزاً مهماً للإشعاعِ الثقافيِّ والإسلاميِّ في أفريقيا، كما جسَّدت التّمازجَ العرقي والثقافي في ظلِ روح التسامح الإسلامي، بل وصارت دلالة هذا الاسم تنسحب على كل أنحاء السودان، فأشارت المصادر التاريخية إلى الأوقاف السِنارية في المدينة المنورة، ورواق السنَّارية في الأزهر، والقافلة السنَّارية في طريق القوافل التجارية، وكل تلك الإشارات تدل على عموم السودان، بل عُرِفَ أهل سودان وادي النيل في الحجاز والعالم الإسلامي في عهد مملكة سنَّار بالسِنَّارية؛ أو السنانير، وقد اقترح في فجر استقلال السودان اسم سِنَّار للدلالة على السودان الوليد، إلا أن الرئيس إسماعيل الأزهري فضل اسم «السودان» الذي عُرِفت به البلاد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

(*) كاتب سوداني.

صارت مملكة سِنار أو السلطنة الزرقاء أكبر نطاق جغرافي متحد في وادي النيل الأوسط منذ مملكة مروي القديمة، وصارت العاصمة سِنَّار مدينة لا يستهان بها، لها علاقات مع معظم إفريقيا وأجزاء من بلاد آسيا مثل الجزيرة العربية والهند وبنغلاديش، وأصبحت قوة ضاربة لنشر الإسلام والعلم في البلاد، كما استفادت من التراث المعماري لدى سكان الشمال، الموغل في التاريخ إلى الحضارات القديمة في نبته ومروي، وعمِّرت الديار عماراً عظيماً حتى أصبحت وجهة مقصودة من كل الجهات، وصارت من كبرى مدن إفريقيا كما ذكر ذلك كثير من الرحالة الأوربيين، وغيرهم.

وجاء اختيار سِنَّار عاصمة للثقافة الإسلامية عام ٢٠١٧م، بمثابة إضافة حقيقية للرصيد التاريخي والثقافي للأمة السودانية، وامتداداً طبيعياً للدور الذي ظل يضطلع به السودان في الحفاظ على الثقافة الإسلامية على مدى التاريخ، وتُعد هذه الفعالية فرصة لإبراز الدور الحضاري لهذه المدينة والتعريف بها ومؤهلاتها، وضمن هذا الإطار جاءت زيارة الشيخ الدكتور صلاح بن محمد البدير، إمام وخطيب المسجد النبوي، وقاضي محكمة الاستئناف بالمملكة للمشاركة في افتتاح فعاليات سِنار عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٧م، وإلقاء خطبة الجمعة في مسجد مدينة سِنار العتيق، حيث حضر الشيخ افتتاح الفعالية بحضور النائب الأول لرئيس جمهورية السودان رئيس مجلس الوزراء، الفريق أول بكري حسن صالح، ود. عبد العزيز التويجري، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (أيسيسكو)، ود. عصام البشير، رئيس مجمع الفقه الإسلامي السوداني، وعدد من الوزراء، ووالي سنار الأستاذ الضو الماحي، وعدد من وفود الدول الإسلامية والعربية.

الفريق أول بكري حسن صالح شكَرَ تشريف إمام الحرم المدني ومدير المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم وكل ضيوف البلاد من شتى أنحاء العالم لهذه الفعالية، وقال إن السلطنة الزرقاء كانت أقدم دولة إسلامية في شرق إفريقيا، وأول دولة إسلامية كاملة النسق شكلت سودان اليوم، وأضاف أن سنار هى ذخيرة تاريخية فى الحكم والإدارة والتعدد الثقافي والوسطية، بينما أكد الدكتور التويجري أن اختيار العواصم الثقافية يخضع لمعايير دقيقة، مؤكدا أن سنار من

الحواضر العريقة ذات الحضور الفاعل في السودان.

يناقش هذا المقال محتوى خطبة الجمعة المثيرة للجدل، التي ألقاها الشيخ البدير في مسجد سِنّار العتيق، والأثر الذي تركته خطبة البدير على مجتمع مدينة سِنّار وما جاورها، والسودان عامة، وبرنامج عاصمة الثقافة الإسلامية، كما يناقش المقال البيانات التي صدرت من جهات وقيادات الصوفية ضد خطبة البدير، وهل وجدت تعاطفا شعبيا أو حكوميا أم أنها مجرد فرفرة مذبوح؟ كما يتطرق لموقف الحكومة من خطبة الشيخ البدير وتغاضيها عن محتواها، وهل يمثل ذلك تراجعا حكوميا عن دعم التصوف؟ وهل هناك تراجع أم تقدم في حجم الوجود الصوفي في السودان؟

خطبة البدير في سِنّار:

خطبة إمام وخطيب المسجد النبوي الشيخ صلاح البدير في مسجد مدينة سنار العتيق كانت في نفس يوم انطلاق فعاليات سنار عاصمة للثقافة الإسلامية، حيث ألقى خطبتي الجمعة وصلّى بالجموع التي شهدت الفعالية، ورأى المواطنون أن مشاركة إمام الحرم المدني، وإمامته للمصلين في صلاة الجمعة بمسجد سنار العتيق هي أبرز ميزات هذه الفعالية، حيث شهدت مدينة سنار وساحات مسجدها العتيق حضورا غير مسبوق، حيث اصطف المصلون في كل المساحات بالداخل والخارج، وحول المسجد، وتراصّت الصفوف متجاوزة المكان المحيط بالمسجد لمسافات بعيدة، حيث توافد المواطنون من قرى ومدن سنار، بجانب مواطنين من ولايات الجزيرة والنيل الأزرق والنيل الأبيض والخرطوم، لصلاة الجمعة في منظر مهيب وغير مسبوق في تاريخ المنطقة، حيث اصطفت الجماهير الغفيرة من الشباب والشيوخ والنساء والأطفال، وكان الكل يتزاحم من أجل الحصول على موقع يستمع منه لخطبة إمام الحرم النبوي، فكانت هذه الخطبة حدثا سجله التاريخ في مدينة سنار العتيقة.

تركزت خطبة الشيخ البدير في الدعوة لاتّباع ما ورد بالقران الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث قال: أيها المسلمون: أحصن الجُنة لزومُ الكتاب والسنة على نهج سلف الأمة؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ- : «إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي» أخرجه الحاكم، وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- : «لن تضلَّ ما أخذت بالأثر».

وتضمنت الخطبة نقدا لاذعا للتعلق بغير الله، حيث ذكر البدير أنه: «من البدع العظيمة والآفات الشنيعة تعلّق بعض المسلمين بالأضرحة والأموات، يستغيثون بهم ويدعونهم وينادونهم من دون الله، ويسألونهم كشف الكربات ودفع البليات.. ففي العالم الإسلامي قبور تُحج وتُقصد ويُذبح لها ويُسجد ويُعفر عندها الوجه والخد، ويُطلب منها العون والمد والغوث والنهد، أفعال تناقض دين نبينا وسيدنا محمدٍ - ﷺ - .. فيا سبحان الله.. كيف أوجبوا لها الشركة في العبادة، وهي لا تملك نفعاً ولا ضراً ولا تجلب خيراً ولا تدفع شراً ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ❖ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ – ١٤]، ﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٥٦].

ودعا الشيخ البدير المصلين خلال خطبته إلى أن يكون الولاء لله وحده، داعيا إلى الجماعة ونبذ الفرقة، داعيا إلى وحدة الكلمة وجمع الصف والاعتصام بحبل الله، قائلا: كم من وطن اختلف أهله وافتتن ناسه لم يكسب سوى الشتات والفتنة، وأن يكون الناس خلف إمامهم، داعيا إلى مواصلة الأرحام، مؤكدا قوة الإسلام مهما تكالب الأعداء عليه، داعيا إلى تطبيق شرائع الله والتعايش بسلام وحسن المعاملة والتعافي والصفح لوجه الله تعالى وأن يقبل كل منا عذر الآخر، وأوصى بتقوى الله والابتعاد عن الغش والغيبة والنميمة، ودعا جماهير السودانيين للالتفاف حول قيادتهم، موضحا أن ذلك سيفوّت الفرص على المتربصين والأعداء، ويزيد في الأمن والرخاء، داعيا الله أن يحفظ السودان من كل سوء وسائرَ بلاد المسلمين.

وعقب صلاة الجمعة تحدث الداعية المعروف الدكتور عصام البشير، رئيس مجمع الفقه الإسلامي السوداني، ووزير الأوقاف الأسبق مؤكدا أن سنار تعتبر مثالاً لتحقيق التسامح والتصالح بين المكونات وصهرها في

بوتقة واحدة، مبيناً أن سنار عاشت مبدأ التنوع في إطار الوحدة وقدمت نموذجاً للسلم الاجتماعي، محققة التعايش في أبهى صوره. ودعا إلى حقن الدماء واستلهام التجربة السنارية في التعايش، لافتا إلى أن الأمم التي لا تعرف ماضيها لن تستطيع معايشة حاضرها. وأشار د. البشير إلى دور سنار في تخريج الأئمة والفقهاء في أصول الشريعة، معرباً عن سعادته بحضور إمام الحرم المدني هذا الاجتماع المبارك.

أثر خطبة البدير على مجتمع سِنّار وما جاورها:

تركت خطبة الشيخ البدير أثرا بالغا على مجتمع مدينة سِنّار وما جاورها والسودان عامة، وكانت هذه الخطبة ومحتواها العلمي حدثا سجله التاريخ في مدينة سنار.

وكان التفاعل مع الخطبة ومحتواها هو السمة الغالبة لجموع المواطنين، حيث عبّروا عن تقديرهم لعلم الشيخ البدير ونصائحه القيمة التي استدل عليها من الكتاب والسنة، ولم يخالف المنهج النبوي الذي يخطب به في منبر النبي ﷺ في المدينة المنورة، وأكد كثير من المواطنين أنهم سيراجعون كثيرا من مواقفهم وفق ما جاء في خطبة إمام المسجد النبوي.

الجهة الوحيدة التي تململت من الخطبة هي بعض قيادات التصوف في المنطقة والسودان، وسبب غضب هؤلاء يعود إلى أن إمام الحرم المدني دعا إلى الحفاظ على جناب التوحيد بعيدا عن عبادة القبور ودعاء الموتى، وهو ما يتعارض مع أسس المنهج الصوفي القائم على الاعتقاد في الأموات، ونهج القوم الذين ستنقطع عنهم أبواب الرزق الذي انفتح عليهم من سدانة القباب والأضرحة والمقامات والبيانات وصناديق النذور التي استغلوا فيها البسطاء؛ فسلبوا أموالهم واستولوا على ممتلكاتهم.

ردود فعل الصوفية على خطبة البدير:

اتسمت معظم ردود فعل زعامات الصوفية على زيارة الشيخ البدير وخطبته بالسلبية والحدّة والشدة والهجوم اللاذع؛ فتحْت عنوان: «سنار عاصمة الثقافة الإسلامية للعام ٢٠١٧م، نور علم أم نار فتنة؟»، كتب محمد حسن الفاتح قريب الله شيخ الطريقة السمانية على موقع المجمع الصوفي العام على الإنترنت قائلا: إن من أهم وأوضح المعالم الإسلامية السنارية هو الأثر الصوفي، ووصف خطبة البدير بأنها إساءة للسودان والسودانيين، وأنه استغل أجواء الحرية التي قدمت له، ولم يراجع خطبته، فأحرج من قدموا له الدعوة وأكرموه باعتلاء المنبر، بل سفّه وسخِر من عقائد السودانيين وتاريخهم.

واعتبر قريب الله خطبة البدير بأنها عبّرت عن جهل الخطيب بمواضيع الساعة التي تعاني منها الأمة الإسلامية، كما عبرت –بزعمه- عن جهله بالسودان وتاريخ الإسلام فيه، وبمعاني البدعة والضلالة والتميمة، وأدلّة زيارة الصالحين ومسائل تتعلق بالحلف المحرم والمكروه والجائز، وقال: «نحن على استعداد لتنظيم دورات تربوية وتعليمية له ولأمثاله ليعرفوا دينهم وأساليب الدعوة له في مساجد ومساجد السودان المنتشرة، وبسند من علماء أتقياء حافظين متقنين للمتون والفنون».

ودعا قريب الله في مقاله المملكة العربية السعودية لإزاحة الشيخ البدير وأمثاله عن المنابر واختيار دعاة الإسلام الحقيقي الوسطي من كافة أنحاء العالم الإسلامي، ودعا جميع مكونات المجتمع السوداني لإعلان استنكارهم وشجبهم للإهانة البالغة التي تعرض لها الشعب السوداني من الشيخ البدير حيث تم الطعن في عقيدته وحضارته وتاريخه، وطالب المجمع الصوفي العام والمجلس الأعلى للتصوف ومشائخه لأن يعبروا عن احتجاجهم وعدم رضاهم عن هذه الإهانات التعريضية والصريحة لعقائدهم السمحة وتاريخهم الناصع المشرف بالأسلوب المعهود فيهم علما وأدبا وسلما، حتى لا تتكرر ظاهرة استباحة منابرنا ليعتليها من لا يستحق ولا يحترمنا.

وكتب أحد الصوفية مقالا قال فيه: (لا بد أن ننظر إلى الفكر الوهابي بأنه دخيل على بلادنا وليس جزءاً من مكوّنات مجتمعنا المعروفة للقاصي والداني، وقد استغلوا المنابر لتضييع الهوية السودانية والقضاء على مكونات ومرتكزات المجتمع، مستغلين في ذلك العمل الإنساني عبر المنظمات والجمعيات، وكذلك التحالف السياسي، وكما أغلقت مراكز الشيعة الثقافية لا بد من حملة شاملة نسميها حملة التحصين والوقاية ضد الشلل الفكري الوهابي). وقال إن المجمع الصوفي العام ينظر إلى الوهابية والشيعة على أنهما سواء في البغي والعدوان والتطرف – حسب زعمه- .

كما أصدر المجمع الصوفي العام بيانا نشره على

موقعه في الفيس بوك ونشره في بعض الصحف السودانية، جاء فيه : (إن المجمع الصوفي العام ليستنكر بشدة ويرفض رفضاً باتاً ما جاء من (سخف) في خطبة (الوهابي السعودي المدعو صلاح البدير)، والتي ألقاها بمسجد سنار العتيق في افتتاح مشروع سنار عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٧م ، ويدين المجمع ما تفوّه به الرجل من ألفاظ التبديع والتشريك والتضليل التي أطلقها على القوم، داعياً إياهم في صلف واستعلاء إلى عدم زيارة أضرحة الصالحين والتبرك بهم، ونهاهم عن لبس الحجاب واصفاً تلك المسائل بأنها من الشركيات.

ووصف البيان خطبة البدير بأنها تثير الفتنة وتشقّ عصا جماعة المسلمين في السودان، وأن خطابه ينمُّ عن جهل بهوية المجتمع السوداني المُوحّد أصالة، والمتصوف سلوكاً والمتسامح أخلاقاً، ووصف البيان سنار بأنها عاصمة التصوف، ومركز للكثير من البيوتات الصوفية العريقة ومعالمها أضرحة الصالحين. وألقى البيان باللوم على الجهة المنظمة لهذه الفعالية باستجلابها لهذا (الوهابي) ليوجه إساءاته لأهل الإسلام في السودان، وطالب البيان الشيخ البدير والجهة المنظمة للفعالية بالاعتذار فوراً للشعب السوداني الذي - بزعم البيان- يمثل الصوفيةُ غالبيته الغالبة التي أساء إليها البدير، ووجه البيان رسالته للحكومة بأن الإساءات قد تكاثرت على الصوفية والاستعداء بات واضحاً جلياً، محذرا من التمادي في هذا السلوك الذي يؤدي حتماً إلى الفتنة وإثارة النعرات ويؤلب النفوس، مما قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه – حسب نصّ البيان- .

وقد كُتبت عدد من الردود على بيان المجمع الصوفي، منها رد عمر حسن بعنوان: الرد المنصف على بيان المجمع الصوفي المجحف، الذي وصف بيان المجمع الصوفي بضعف الأسلوب، كما أنه جاء مليئا بالسباب والشتم وقبيح القول، والتهجم والمهاترة وتعظيم القباب والأضرحة والتهييج على ولاة الأمر، حتى نزل إلى حضيض المن والأذى بما سلف من إحسان دولة سنار إلى الحجاز في زمانها، ولم يشتمل بيان المجمع الصوفي على آية واحدة، ولا حديث ولا أثر عن صحابي ولا كلمة عن إمام، ولا قول لعالم في أي عصر من عصور الإسلام، بينما اشتملت خطبة الشيخ البدير على ثماني آيات من الذكر الحكيم، واثنين وعشرين حديثا نبويا، وخمسة آثار عن الصحابة رضي الله عنهم، وخمسة أقوال من أقوال الأئمة وعلماء الإسلام.

الحكومة والموقف من زيارة الشيخ البدير وخطبته:

من الواضح الرضا الحكومي عن زيارة الشيخ البدير، فالحكومة هي التي دعت الشيخ وكرّمته، واستقبله وزير الثقافة في مطار الخرطوم، وحضر النائب الأول لرئيس الجمهورية ورئيس مجلس الوزراء خطبته ولم يعترض على محتواها، سواء بشكل مباشر أو ببيان، كما لم يصدر من الحكومة أي موقف ضد الزيارة أو الخطبة، بل وجد الشيخ البدير الترحيب والتكريم في كل الجهات التي حلّ فيها داخل السودان.

كما استقبل الرئيس السوداني عمر البشير الشيخ البدير ومرافقيه في بيت الضيافة بالعاصمة الخرطوم، ورحّب بالشيخ البدير ومرافقيه في بلدهم وبين إخوانهم الذين يحبونهم ويحبون المملكة العربية السعودية بلاد الحرمين الشريفين، ويكنون لقيادتها كل تقدير واحترام، وأكد على أهمية وحدة الأمة العربية والإسلامية لمجابهة التحديات التي تواجهها، مؤكداً على الدور القيادي للمملكة.

وشكر الشيخ البدير الرئيس البشير على الاستقبال وكرم الضيافة في بلدهم الثاني ولأصحاب المعالي والفضيلة والشعب السوداني الذين استقبلوه والوفد المرافق معه خلال حضور فعاليات سنار عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٧ وخطبه وكلماته في عدد من المساجد والملتقيات والجمعيات.

من جهة أخرى، زار الشيخ مجمع الفقه الإسلامي، الذي يتبع لرئاسة الجمهورية، حيث التقى برئيس المجمع د. عصام البشير وقيادات وأعضاء المجمع، واستمع لشرح عن دور المجمع ومهامه وما يقدمه من عمل عظيم في الأمور الشرعية عبر لجانه ومجالسه، وما يلقاه المجمع من دعم ومسانده من الرئيس السوداني، ممّا حقق نقلة نوعية في خدمة المجتمع والمصالح العامة، وفي ختام الزيارة تم تكريم إمام الحرم النبوي الشريف بدرع المجمع الفقهي.

ومما يكشف عن رضا المواطنين ورضا الحكومة عن زيارة الشيخ البدير تكريم وزير الثقافة السوداني الطيب

حسن بدوي للشيخ البدير بإهدائه مصحفا مكتوبا بخط اليد، يعود تاريخه إلى ١٥٠ عاماً، إضافة إلى بعض الهدايا الأخرى.

من الملاحظات التي توضح تدهور علاقة الحكومة بالصوفية ما قاله بعض قيادات الصوفية حول اختيار الحكومة للشيخ البدير وتساؤلهم: لماذا وقع الاختيار على هذا الرجل؟ وهل للعلاقة السياسية مع السعودية دور في غضّ الطرف عن (الشذوذ الوهابي)، باعتبار أن (الرياض وآل سعود) هم رعاة هذه المجموعة التي تسعى بكل جهدها للنيل من المسلمين، والوقوف حربا عليهم ومناهضة لوحدتهم؟، وقال كذلك: ليْتهم إذ أتوا بشخص حجازي أحسنوا الاختيار، وفي بلاد الحرمين العديد من الصالحين ممن لا يؤمنون بالتطرف ولا يدعمونه، بل فيهم أقطاب من التصوف ورجالات التربية والسلوك قامات، لو جاء أحدهم لكان ذلك أمرا مفهوما، لكنها العلاقة مع السعودية ونفوذ تلامذة ابن تيمية هي التي تفسد علينا كل مشروع، نريده أن يسير بعيدا عن مسارات الفتنة والتطرف – حسب زعمه- .

الموقف الحكومي الوحيد المساند لتيار بعض قيادات التصوف ضد زيارة إمام الحرم النبوي هو موقف وزير الإرشاد والأوقاف عمار ميرغني حسين، وهو صوفي ينتمي للطريقة الختمية، ووصل إلى هذا المنصب عبر محاصصة سياسية عبر حزب الاتحادي الديمقراطي الأصل، وهو حزب الطريقة الختمية، حيث أكد في تصريحات صحفية دور الصوفية والتصوف في نشر الإسلام في ربوع السودان، مشيرا الى أهمية قيام ندوة كبرى عن التصوف بمسجد سنار العتيق، وتكريم رموز التصوف، تحت رعاية الجمعيات والمنظمات التي تعمل في نشر التصوف، وهو يقصد هنا المجمع الصوفي العام ومجلس علماء التصوف والطرق الصوفية.

خاتمة:

من الواضح أن بيانات الصوفية ومواقفهم المتشنجة من زيارة البدير وأثرها الكبير على البلاد تشكل خطرا على المجتمع والسلم الاجتماعي، لأنها تغرس التهييج وغلو الشباب على كل من يخالفهم في فكرهم، حيث طالب مراقبون عقلاء التصوف أن يردوا هؤلاء إلى رشدهم، وإيقاف تصرفاتهم الطائشة، ولا سيما أن الإساءة إلى مشايخ فضلاء كمشايخ الحرم المكي والمدني، يسيء إلى السودان نفسه، الذي ظل يحتفي بالعلماء ويستضيفهم لتعليم الناس أمور دينهم، والتشاور معهم في أمر الدعوة الإسلامية في العالم، بما يحقق منهج الوسطية والاعتدال، والقضاء على مناهج التكفير والغلو والضلال.

كما يتضح أن الفئة من الصوفية التي تقف ضد زيارات أئمة الحرمين الشريفين هي فئة قليلة، حيث هناك عقلاء من المتصوفة لم تصدر عنهم أي إساءات أو إشارات سلبية لمن يخالفونهم من الجماعات والفرق الأخرى، وتعايشوا معهم في أمن وأمان لأزمان طويلة، كما أنهم يجلّون ويقدّرون أئمة الحرمين الشريفين، فهم محل حفاوتهم وتكريمهم، ومن ذلك الموقف المشرّف للشيخ الصوفي عبد الوهاب الكباشي خلال استقباله لإمام الحرم المكي الشيخ خالد الغامدي قبل شهور بقريته وتقبل كلامه، بجانب استضافته المتكررة للعلماء والدعاة السودانيين.

من المؤكد أن اتساع المد السني في السودان من خلال آلاف المساجد والمنابر قد ملأ بعض دعاة التصوّف خوفا من تضعضع نفوذهم القديم ومصالحهم المالية، وساهم في التراجع الكبير وسط السودانيين من الانتماء للتصوف، كما أن المعلومات التاريخية التي تبيّن كيف دخل الإسلام للسودان ومن الذي أدخله، تؤكد كذب زعم الصوفية بأنهم هم من أدخل الإسلام للسودان، حيث لا يجادل أحد في أن الإسلام دخل السودان منذ عهد الصحابة الكرام – رضي الله عنهم، حيث وصل الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي السرح، رضي الله عنه، إلى دنقلا في شمال السودان عام ٣١ هـ، كما اشتهر وجود أحد السودانيين من أئمة التابعين، وهو يزيد بن أبي حبيب الدنقلاوي رحمه الله.

مفاوضات التسوية السورية... خطة انتزاع فتيل الثورة

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

على مدار نحو خمس سنوات تقريبا، وبالتحديد منذ شهر يونيو من عام ٢٠١٢ ولا زالت تتواصل جولات ما يسمى بالمفاوضات والمباحثات السورية – السورية التي ترفع حزمة من الشعارات، وتعلن عن هدف التوصل إلى إنهاء حالة الاقتتال التي اندلعت بعد شهور قليلة من تفجر ثورة الشعب السوري السلمية ضد نظام بشار الأسد المستبدّ في مارس ٢٠١١م، ومع ذلك فإن هذه المفاوضات لم تحقق أي تقدم ملموس على الأرض فظلت آلة القمع والقتل الأسدية مستمرة لتكون النتيجة أن أكثر من ١٢٪ من السوريين أضحوا ما بين قتلى أو مصابين وفق تقرير صادر عن أحد المراكز السورية لبحوث السياسات، حيث لقي نحو أكثر من نصف مليون سوري مصرعهم على الأقل فيما أصيب نحو مليونين آخرين، هذا فضلا عن تشريد أكثر من ٦.٥ مليون في الداخل السوري، وتوزع مثل هذا العدد من اللاجئين في دول الجوار مثل تركيا ولبنان والأردن والعراق والدول الإقليمية مثل مصر ودول الخليج العربي، بالإضافة لأعداد كبيرة من السوريين الذين وصلوا أوروبا في موجات لجوء متلاحقة.

بل إن هذه المفاوضات في أساسها بدت وكأنها واحدة من الأدوات التي يتم استخدامها من قبل أطراف متعددة في المنطقة وخارجها ليس إلا، لتحقيق أهداف أخرى ربما يكون ما يتعرض له الشعب السوري من انتهاكات وجرائم ليس أسوأها على الإطلاق بعد أن بدأت تتضح، يوما بعد يوم، بعض ملامح مخطط كبير ومتشعب يراد ليس لسوريا فقط، وإنما للمنطقة برمّتها وذلك بالتزامن مع حالة موات حقيقية، أو على أقل تقدير حالة من الغفلة التي أصابت جل القوى العربية التي يفترض أن تكون في موقع المقاومة والدفاع.

فهذه المفاوضات المزعومة أريدَ لها أن تكون بلا نهاية وتستنزف الوقت والجهد وتضيع في تفاصيلها الكثيرة والملة الهدف الحقيقي الذي لأجله اندلعت الثورة، بل إنها تحيل هذه الثورة التي ما قامت إلا لينتزع السوريون حقوقهم في حياة تتسم بالحرية وبالحفاظ على الكرامة إلى باب واسع للتدخل الأجنبي السافر الذي يضع الشروط والإملاءات ويحدد ما يجب أن تكون عليه الأوضاع، فبدلا من أن تكون سوريا ضحية استبداد بشار الأسد تضحي أسيرة الاستبداد والتدخلات الأجنبية السافرة، التي وبكل تأكيد لن تكون أبدا عاكسة لطموحات وتطلعات الشعب السوري الذي كان يأمل في غد أفضل يستعيد خلاله - بجانب حريته المسلوبة- هويته المفقودة، ويبصر طريق ابتعاث حضارته التائهة.

شركاء المسرحية الهزلية

كانت الخطوة الأهم والأخطر في خطة نظام الأسد هي حين أطلق سراح العشرات ممّن يتبنّون أفكارا إسلامية متشددة ذلك أنه أراد أن يضرب الثورة في مقتلٍ بإثارة حالة من الرعب الدولي فيصور للعالم كله أنه يحمي العالم من الإرهاب متمثلا في هؤلاء الإسلاميين المتشددين الذين إذ قُدر لهم الوصول إلى حكم سوريا فلن يستطيع أحد أن يكبح جماحهم.

وبالطبع، فكما كان من بين هؤلاء من لا يمكننا التشكيك في نواياه المخلصة في المشاركة في جهاد بشار الأسد وقواته فإن بعضهم وبكل أسف ربما كان بالفعل أداة وظيفية في يد النظام

(*) كاتب مصري.

الـذي أراد أن يحـوّل المعركـة إلى قتـال ضـد الإرهـاب الـسني، الأمـر الـذي سـوّغ لـه أيـضا أن يـستدعي الميلـشيات الطائفيـة مـن العديـد مـن البلـدان «إيـران – العـراق – لبنـان – أفغانـستان – باكـستان ..» بـزعم الـدفاع عـن المقدسـات الـشيعية وحمايـة مـذهب آل البيت.

لم تمـر شـهور علـى الثـورة الـسورية حتـى كـان لنظـام الأسـد مـا أراد، فتحولـت الثـورة إلى اسـتقطاب إقليمـي ودولـي لتتـشابك وتتعقـد الأوضـاع، وتـصبح سـوريا سـاحة لـصراعات أخـرى وميـدانا لتـصفية الحـسابات، ويتحـول نـضال الـشعب إلى قـضية نـزاع سياسـي فيـه أخْـذ وردّ، ويقبـل بالتفـاوض والتباحـث ويسمح بوساطة الأطراف الخارجية.

ومـن جديـد لم تمـر شـهور أخـرى حتـى بـدأت اللعبـة الـسياسية بتـدخل مـن الأمـم المتحـدة وتكليـف مبعـوثين أمميـين للبحـث عـن حـل للأزمـة كـان أولهـم كـوفي عنـان، الأمـين العـام الـسابق للأمـم المتحـدة، والـذي تقـدم في فبرايـر مـن عـام ٢٠١٢ بخطـة سـلام مـن سـت نقـاط أبرزهـا فـرض وقـف لإطـلاق النـار، وهـي الخطـة الـتي وعلـى الـرغم مـن إعـلان مختلـف الأطـراف قبولهـا إلا أنهـا لم تنفـذ علـى الأرض، ليعقـب ذلـك الـرفض مـن قبـل بعـض الأطـراف الدوليـة التجديـد لعنـان وطاقمـه ليـستقيل أوائـل أغـسطس مـن نفس العام.

ثـم يعقـب عنـان تعـيين الجزائـري الأخـضر الإبراهيمـي الـذي يفـترض أن لديـه خـبرة كـبيرة بـشئون المنطقـة، غـير أنـه ومـع ذلـك مُـني بالفـشل، هـو الآخـر، فتقـدم باسـتقالته في منتـصف عـام ٢٠١٤م دون أن يحقق أي تطور.

وفي ١٠ يوليـو ٢٠١٤ تم الإعـلان عـن تعـيين سـتيفان دي مـستورا، الـذي وعلـى مـدار أكثـر مـن عـامين لم يـزل يرعـى المفاوضـات، مـن أجـل التوصـل إلى حـل للأزمـة الـتي بـات ثمـة توافـق بـين الجميـع علـى أن حلها يجب أن يكون سياسيا وليس عسكريا.

وربمـا يـرى الـبعض أن الـدور الـذي لعبتـه الأمـم المتحـدة هـو الـدور المنـوط بهـا حيـث العمـل علـى تهدئـة الأجـواء ورعايـة المباحثـات للوصـول إلى أفـضل تـسوية، خاصـة وأن القـضية كمـا أشـرنا آنفـا خـضعت لحالـة مـن الاسـتقطاب الإقليمـي والـدولي، غـير أن هـذا المـبرر لا يمكـن استـساغته فيمـا يتعلـق بالـدور الأمريكـي مـن الأزمـة الـسورية، الـذي وضـح جيـدا إلى أي مـدى كـان متماهيـا مـع رغبـة دفينـة في أن يطـول أمـد هـذا الـصراع الـسوري – الـسوري وأن يمتـد أمـد الحـرب إلى أقـصى فـترة ممكنـة، وأن الادّعـاء الأمريكـي بـدعم مطالـب الـشعب الـسوري ضـد ديكتاتوريـة بـشار الأسـد ونظامـه لم يتجـاوز حـد الكلمـات والـشعارات الرنانـة الـتي لم تعكـسها أيـة أفعـال علـى الأرض، اللّـهم إلا الـدعم المحـدود علـى المـستويين الـسياسي والعـسكري لـضمان أن لا يحقـق الأسـد ونظامـه انتصارا على المعارضة والثورة.

وجـاء الموقـف الروسـي مـن الأزمـة الـسورية دعمـا لإطالـة أمـد هـذا الـصراع أيـضا، فالتـدخل العـسكري المباشـر الـذي جـاء في سـبتمبر مـن عـام ٢٠١٥م، أي بعـد أكثـر مـن أربـع سـنوات مـن عـسكرة الثـورة الـسورية، إنمـا كـان محاولـة لإنقـاذ قـوات الأسـد مـن الهزيمـة الـتي كـادت أن تعـصف بهـا في حـين بـرّرت موسـكو تدخلهـا العـسكري بحـصولها علـى طلـب رسمـي مـن دمـشق للمـساعدة في محاربـة «الإرهـاب»، غـير معتـبرة للتحـالف الـدولي الـذي تم تـشكيله في ٢٠١٤ لقتـال تنظـيم «داعـش»، حيـث رأت روسـيا أن هـذا التحـالف غـير شـرعي ولا يمكـن أن يـنجح في مهمـة القـضاء علـى التنظـيم لأنـه لا ينـسّق مـع «الحكومـة الـسورية الـشرعية» علـى الأرض وهـو مـا اعتـبر قبلـة الحيـاة لنظـام الأسـد، إذ لم تكـن الهجمـات الروسـية موجهـة للإرهـاب كمـا ادّعـت وإنمـا كانـت تـستهدف بالأسـاس قـوات المعارضـة والثـورة الـسورية، الأمـر الـذي مـنح الأسـد قـدرات جديدة للوقوف على قدميه في مواجهة الثورة.

ولا يخفـى علـى أحـد الـدور الـذي لعبتـه إيـران في سـوريا وكـان لـه انعكاسـه علـى واقـع التطـورات في

سوريا وهو الدور الذي بدأ منذ العام الأول لاندلاع الثورة السورية حيث أعلن المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي في سبتمبر ٢٠١١ فتوى بالجهاد لصالح الحكومة السورية، الأمر الذي دفع بالدولة الإيرانية أن تكون فاعلا أساسيا على الأرض، فتقدم أكثر من عشرة آلاف من أبنائها للقتال في صفوف قوات الأسد فيما تدفع بحزب الله اللبناني الموالي لها بأن يقوم أيضا بالمشاركة في القتال، فضلا عن الآلاف من مرتزقة الميلشيات الشيعية من بلدان أخرى كالعراق وباكستان وأفغانستان وغيرها.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل إن إيران لم تتوقف عن تقديم الدعم المالي واللوجستي للسوريين الموالين للأسد، فقامت بتدريب قواته، وإمداده بالأسلحة وصرف رواتب المرتزقة حتى أنه، ووفق تصريح صادر عن وزير الاقتصاد السوري فإن النظام الإيراني ساعد النظام السوري بأكثر من ١٥ مليار دولار.

وكان من أهم تداعيات هذا التدخل الإيراني إسباغ الطابع الطائفي على الثورة السورية، فسعت إيران ومعها نظام الأسد إلى أن تصوّر الثورة السورية وكأنها حرب سنية على الشيعة، فروّجت لهذا الزعم حتى أضحى حقيقة ثابتة لدى قطاعات شيعية كثيرة ومن ثم يصبح بشار الأسد بطلا يدافع عن مراقد آل البيت وتصبح قواته جنودا يجاهدون في سبيل الله، فيما تصبح مجازره ومذابحه بحق السوريين بطولات وأمجادا يتغنى بها الأشاوس المغاوير.

كما أن مواقف بعض الدول الإقليمية كانت سببا أيضا في إطالة أمد النزاع في سوريا، وإن كان بشكل مختلف، حيث كان تراخي هذه الدول وتقصيرها في تقديم دعم قوي وحسْم الموقف منذ البداية سببا في أن تبقى المعارضة السورية عند مستوى عدم القدرة على الحسم، ومن ثم أفرزت الساحة السورية فصائل كثيرة تباينت مواقفها، الأمر الذي شتّت جهود المعارضة السورية وأدخل بعضها في حالة اقتتال بينيٍّ بدلا من مواجهة قوات النظام لتتشابك الأمور وتتعقد لدرجة يصعب على الكثير من المراقبين فك علائقها.

فالثورة السورية الشعبية وبعد فترة من العسكرة تحولت إلى فصائل بالعشرات وتتخذ أسماء عديدة بالعشرات فأصبحت «جيوشا وألوية وأفواجا وسرايا وحركات وأجنادا وكتائب وفرقا وجبهات واتحادات وجماعات وفتوحا وإمارات» وغير ذلك من الأسماء التي حاول القائمون عليها أن يظهروا فصائلهم وكأنها المكون الوحيد المعبّر عن السوريين وتطلعاتهم، والقادر على أن يظفر بالانتصار على جيش الأسد ومن يواليه، في حين كانت النتيجة المؤسفة هي استمرار الاقتتال الذي لم يحسم بعد، فكان الخاسر الأكبر هو الشعب السوري.

سيناريوهات وأهداف التلاعب

وبالطبع وحتى يتم حبك المسرحيات الهزلية التي وضعت فصولها من أجل تضييع الثورة السورية كان لا بد من أن تكون هناك عقدة درامية يتفاعل معها المشاهد فيتوه مع تفاصيلها وتفاصيل تفاصيلها حتى ينسى صلب القضية الرئيسة ويبقى متعلقا بما أريد له أن يتعلق به، فجاءت جولات التفاوض والمباحثات لتلعب هذا الدور الخطير في تخدير المتفاعلين، فمن ناحية تبدو هذه المفاوضات وكأنها معبّرة عن حسن النوايا والرغبة الملحّة لدى الأطراف الراعية في إنهاء معاناة الشعب السوري، ومن ناحية أخرى فإنها أكدت وعبر العديد من التجارب التاريخية أنها أفضل ما يمكن استخدامه، ولنا في تونس والجزائر والمغرب ومصر بل وفي القضية الفلسطينية التي دخلت نفق المفاوضات منذ نحو مائة عام ولم تخرج منه بعد النموذج والقدوة.

ويبدو أن المفاوضات السورية التي بدأت في عام

٢٠١٢م برعاية أمميّة وأطراف دولية ستكرر نفس سيناريوهات مفاوضات البلدان العربية مع الاحتلال الأجنبي «بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا ..» طيلة القرن العشرين الميلادي، والتي كانت خدعة كبيرة، حيث نجحت بلدان الاحتلال عبرها أن تستنزف بها الطاقات والجهود وتكسب بها المزيد من الوقت لتحقيق أكبر قدر من المصالح وتثبيت أقدام مشاريعها الاستعمارية عبر تكوين طبقة جديدة من الموالين لها سياسيا وثقافيا، والذين كانوا الطابور الخامس الذي يحقق للاستعمار مصالحه دون أية مشقة بعد أن يرحل بقواته.

وليس ثمة مبالغة في المقارنة بما كانت عليه مفاوضات البلدان العربية مع بلدان الاحتلال وما يحدث فيما يتعلق بالمفاوضات السورية، فها هي نحو ستة أعوام من المفاوضات السورية التي شهدت الكثير من الجولات والاجتماعات واللقاءات في بلدان كثيرة، وبرعاية متعددة مثل جنيف ١ و٢ و٣ و٤ و٥، وأستانا ١ و٢ و٣ واتفاق ميونيخ واجتماع لوزان وغيرها وغيرها من اللقاءات التي تم التوصل خلالها للعديد من التوافقات التي لم تنعكس عمليا على الواقع السوري.

بل لقد كان انعكاس هذه المفاوضات الطويلة والمملّة سلبيا إلى أقصى درجة على واقع هذه الثورة، ففي الوقت الذي كان يفترض فيه أنه تم التوصل إلى وقف إطلاق النار أو عقد هدنة مؤقتة تسمح للمدنيين بالخروج من الأماكن المتوترة أو إيصال المساعدات الإنسانية لهم كان نظام الأسد يسعى إلى توجيه أشد الضربات الانتقامية التي كان ضحيتها الآلاف حتى أضحت الأنباء التي تتحدث عن التوصل لهدنة بمثابة كارثة بالنسبة للشعب السوري الذي خبر أن مثل هذا الاتفاق إعلان بتوجيه ضربة جديدة لإحدى مناطق سوريا المنكوبة.

ويمثل ما حدث في أعقاب مؤتمر «جنيف ٥» والذي عقد في نهاية شهر مارس من العام الجاري نموذجا جليا يكشف عن زيف وخدعة هذه المفاوضات، إذ أعقب هذه المفاوضات والتي أعرب بعدها دي ميستورا عن أن هناك تقدما في المحادثات بين أطراف الأزمة وقوع جريمة بشعة ارتكبها النظام يوم الرابع من إبريل حيث قام بقصف مدينة خان شيخون بريف إدلب غربي سوريا بغاز السارين السام، الأمر الذي خلّف أكثر من مائة قتيل من المدنيين وأكثر من أربعمائة جريح، معظمهم من الأطفال، ليؤكد الواقع أن مثل هذه المفاوضات ليست إلا مجرد عبارات إنشائية للاستهلاك المحلي.

كذلك فقد منحت هذه المفاوضات فرصة ذهبية لنظام الأسد وداعميه لأن يشوشوا على الأهداف الحقيقية للثورة التي كانت واضحة في مطالبها حيث إزاحة بشار الأسد عن الحكم ووضع دستور جديد وتشكيل حكومة انتقالية وإجراء انتخابات حرة ونزيهة، وهو ما تجلى بوضوح في واحدة من جولات جنيف إذ وفي مناورة جديدة لنظام الأسد طلب وفد النظام المفاوض برئاسة بشار الجعفري دي ميستورا بإضافة بند «مكافحة الإرهاب» على جدول أعمال المفاوضات الأمر الذي اعتبرته المعارضة مناورة وأن الأولوية هي بحث «الانتقال السياسي» وفقاً لقرار مجلس الأمن ٢٢٥٤ وبيان جنيف ١ كملف مركزي في مفاوضات جنيف.

وبالطبع فقد كان واضحا أن نظام الأسد يحاول بمختلف الطرق أن يصنّف الثورة السورية والفصائل التي تقاتله باعتبارهم إرهابيين، متجاهلا أن الإرهاب الحقيقي هو الذي يمارسه هو وداعموه، وأن تمدد بعض التنظيمات المتشددة جزء من المخطط الذي نفذه الأسد بالتعاون مع إيران بهدف تشويه الثورة واستعداء القوى الدولية ضدها، أو على أقل تقدير التوقف عن دعمها يدلل على ذلك أن الجيش السوري الحرّ كان أول من حارب الإرهاب في إدلب وحلب والغوطة ودرعا.

كذلك فقد كان من أخطر ما أراده نظام الأسد ومن يدعمه من إطالة أمد هذه المفاوضات

وتعددها هو التلاعب بممثلي الثورة وتبديل المفاوضين الشرفاء بآخرين من عملائه والموالين له ممّن تم اصطناعهم على عين النظام والترويج باعتبار أنهم من بين صفوف المعارضة، في الوقت الذي يعلم الجميع أنهم شخصيات تابعة وأن ما يقومون به دور تمثيلي يقصد به التغطية على المعارضة الحقيقية، وكان أبرز هؤلاء من يطلق عليهم «معارضة الداخل» و«معارضة موسكو» فضلا عن مجموعات ممّن ليس لها أي ظهير شعبي كما هو الحادث مع ما يسمى بـ «معارضة القاهرة».

وقد تجلى ذلك بوضوح شديد في جنيف، وكذلك في اجتماعات العاصمة الكازاخستانية «أستانا» التي شهدت مشاركة واسعة وفاعلة من أطراف صَنفت نفسها باعتبارها «معارضة وطنية» في حين يعلم المتابعون أنهم موالون للأسد وأنهم لا يلقّبونه إلا بالرئيس الأسد، كاعتراف واضح وصريح برئاسته فيما كان إصرار هؤلاء وتوحدهم على شعار «أنه لا حل عسكريا في سوريا» وهو الشعار الذي ربما ينطلي على كثيرين لكن بكل تأكيد يعني نزع حق المعارضة المسلحة في أن تقف ضد الأسد والميلشيات الداعمة له والتي لا تتوقف عن ممارسة أبشع الانتهاكات بحق السوريين.

وسعى نظام الأسد وداعموه من خلال هذه المفاوضات أيضا إلى تحقيق العديد من الانتصارات على فصائل الثورة السورية إذ كانوا يحاولون من خلالها الحصول على تعهدات الفصائل الثورية بوقف المعارك في بعض المناطق في حين لم تكن تشمل هذه التعهدات القوات الروسية مثلا، رغم أنه من المعلوم أن القوات الروسية ليست محايدة وأنها جاءت لدعم الأسد، وهو ما تجلى في اتفاق ميونخ الذي توصلت إليه أمريكا وروسيا والقوى الإقليمية ١٢ فبراير ٢٠١٦ بعد أكثر من سبع ساعات من المفاوضات وتم الاتفاق خلاله على تخفيف حدة العنف تدريجيا وصولا إلى «وقف المعارك» في كامل البلاد في غضون أسبوع من خلال «وقف الأعمال العدائية» بهدنة عسكرية مدتها أسبوع بين قوات النظام السوري وفصائل المعارضة غير أن الاتفاق لم يلزم روسيا بإيقاف هجماتها الجوية كما لا يستثني من وقف الاستهداف تنظيم الدولة الإسلامية وجبهة النصرة والتنظيمات المصنّفة في «قائمة الإرهاب» لدى مجلس الأمن الدولي.

والخلاصة أن المؤشرات الموضوعية حتى اللحظة تنطق بأن هذه المفاوضات والمباحثات والحوارات لن تجدي نفعا ولن تتوصل إلى ما يرفع عن كاهل السوريين هذا الحمل الثقيل، بل إنها تدفع دفعا إلى تفريغ الثورة من مضمونها وأهدافها الحقيقية والدخول بها في سراديب وأنفاق لا نهاية لها بقصد كسر شوكة الثورة وإضعاف فصائلها إلى أقصى درجة، بل والعمل على توتير العلاقات فيما بين هذه الفصائل إلى حد أن يدخل بعضها في اقتتال بينيّ، يدلل على ذلك عدم منطقية السير في عمليتين تفاوضيتين في وقت واحد إحداهما في جنيف والأخرى في أستانا، إذ لو كانت ثمة نية جادة وحقيقية في التوصل لاتفاق فلماذا لا توحّد جهود التسوية؟ ولماذا لا تكون هناك ضمانات حقيقية من الأطراف التي تزعم أنها ترعى هذه المباحثات لتنفيذ ما يتم التوصل إليه والاتفاق عليه وتحديد عقوبات لأي طرف مخالف وتشكيل لجان تحقيق على مستوى دولي رفيع للتحقق من الانتهاكات؟.. بالتأكيد هي أسئلة لن تجد لها إجابة طالما أن النية الحقيقية لدى الأطراف الدولية الكبرى هي استمرار هذا الوضع في سوريا.

الشيعة الإمامية في أندونيسيا وجهود أهل السنة والجماعة في مواجهتها

عرض أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

هذا الكتاب هو بالأصل رسالة ماجستير تقدم بها الأستاذ محمد طالب زين لقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الملك سعود بالسعودية، وقد صدر الكتاب عن مركز البيان للبحوث والدراسات سنة ١٤٣٧هـ في ٥٢٠ صفحة من القطع الكبير.

والكتاب يعد تقريرا مفصلا ومدعما بالأدلة والأمثلة لنموذج الاختراق الإيراني والشيعي للدول السنية، ويفضح سياسة إيران والشيعة في الغزو الناعم للمجتمعات السنية عبر خطط طويلة المدى وعمل دؤوب ومتواصل لعدة عقود.

ويأتي الكتاب في هذه اللحظة التي تكشف للعالم بأجمعه وحشية المشروع الشيعي الإيراني الذي يزاوج بين الاختراق والغزو الناعم للمجتمعات السنية، وبين الغزو والعدوان الصلب والوحشي بشن الحروب على الدول السنية كما في العراق وسوريا ولبنان واليمن وغيرها.

الكتاب ركز على نشاطات التبشير الشيعية الإمامية فقط في أندونيسيا في الفترة من ١٩٩٠- ٢٠١٥، وجهود أهل السنة في مقاومة هذا السرطان والغزو الشيعي الإيراني، وجاء الكتاب في تمهيد وفصلين، التمهيد للتعريف بأندونيسيا والأخطار الفكرية التي تواجهها خارجيا كالتنصير والصهيونية والشيوعية، والأفكار الخطرة داخليا كالقرآنيين والقاديانية وما يسمى إسلام الجماعة والشيعة.

الفصل الأول خصّصه المؤلف لرصد نشأة وتطور وواقع التشيع في أندونيسيا، فقد عرَفت أندونيسيا التشيع عبر عدة مراحل، حيث وُجد أفراد أندونيسيون قبل الثورة

(*) كاتب أردني.

الإيرانية يعتقدون عقائد شيعية إمامية وزيدية وإسماعيلية ولكن بشكل فردي وغير علني، وبعد قيام دولة الخميني لقيت ترحيبا من بعض المثقفين لمتابعة كتابات بعض المفكرين الإيرانيين كعلي شريعتى ومرتضى المطهري دون اهتمام بالعقائد والفقه الشيعيين، ثم أصبح هناك من تبنّى العقائد والفقه الشيعيين، خاصة مع عودة الطلبة الأندونيسيين من إيران، ولما اشتد عودهم ظهرت بعض المؤسسات الشيعية في مطلع التسعينيات من القرن العشرين، وقام الباحث بعرض واقع التشيع في أندونيسيا في خمسة مباحث تناولت ما يلى:

١- مظاهر التشيع في أندونيسيا، فأول معرفة أندونيسيا بالمظاهر الشيعية كانت عبر جنود شيعة هنود جاؤوا مع الاستعمار البريطاني لأندونيسيا (١٧٥٠ – ١٨٢٥م) حيث كانوا يقيمون طقوس عاشوراء، وبعد رحيلهم بقي بعض السكان يقلّدونهم دون فهم لخلفيات وأبعاد هذه الاحتفالات، وفي الوقت الحاضر لم تبرز المظاهر الشيعية إلا بعد قيام دولة الملالي واستقبالها لبعض الطلبة في الحوزات الشيعية ثم عودتهم لأندونيسيا.

فظهرت مؤسسات دعوية شيعية كانت مؤسسة الحجة والتي تأسست في عام ١٩٨٧ أول مؤسسة شيعية دعوية مما يكشف عن قِدم هذه السياسة الشيعية الإيرانية في اختراق المجتمعات السنية وتجذير الفرقة فيها وتحويل هؤلاء المتشيعين إلى مجتمع متميز ومنفصل عن محيطه، وتكاثرت هذه المؤسسات حتى بلغ عددها سنة ٢٠٠١ قرابة ٤٢ مؤسسة بمعدل ٣ مؤسسات جديدة كل سنة، وفي عام ٢٠١٠ ارتفع عددها ليصبح ٢٠٠ مؤسسة، بمعدل ١٦ مؤسسة جديدة كل سنة، مما يؤكد على وجود مخطط قائم ونشط لتكوين جالية شيعية مرتبطة بإيران!

وبعد تكاثر هذه المؤسسات أصبح من المهم التنسيق بين هذه المؤسسات الشيعية لمضاعفة قوتهم عبر التعاون والتكاتف، ففي سنة ٢٠٠٠ أسس جلال الدين رحمت مع آخرين «رابطة جماعات أهل البيت الأندونيسية» (IJABI) وحضر تأسيسها مندوبون من ٢١ منطقة من مناطق أندونيسيا وشخصيات شيعية من خارج أندونيسيا، ومن أهدافها الانفتاح والتعاون مع المخالفين لكسبهم لخط أهل البيت! وأصبح لها ٨٤ فرعا في ٣٣ منطقة في سنة ٢٠٠٨، لكن يبدو أن جلال رحمت وزملاءه لم يكونوا تابعين تماما لملالي طهران.

ولذلك اصطدمت هذه الرابطة منذ البداية مع عدد من الشيعة الأندونيسيين والذين هم أكثر تبعية لولاية الفقيه الإيراني، فأصدرت رابطة الطلاب الأندونيسيين في إيران بيانا هاجمت فيه الرابطة واتهمتها بالتفريط في المبادئ الأساسية للتشيع، ولذلك في سنة ٢٠٠١ اجتمعت ٢٧ مؤسسة شيعية ودعت للتكاتف تحت راية ولي أمر المسلمين علي خامنئي، في تبعية معلنة لإيران، وهو ما يشكل خطورة بالغة على الأمن القومي لأي بلد يتواجد فيه الشيعة أو المتشيعون.

تواصلت لقاءات هذه الجمعيات الرافضة لرابطة جماعات أهل البيت في منتديات وملتقيات متعددة حتى أسست سنة ٢٠١١ حيث دشنوا جمعية أهل البيت الأندونيسية، وعيّن عمر شهاب رئيسا لها.

ومن هذه المؤسسات الدعوية ظهرت المؤسسات التعليمية الشيعية بجميع مستوياتها من المدارس والمعاهد والجامعات، ولعل أقدم مؤسسة تعليمية شيعية هي معاهد «مؤسسة المعهد الإسلامي» التي أسسها حسين الحبشي سنة ١٩٧٦، مما يؤكد أن التبشير الشيعي في الأوساط السنية كان قائما قبل دولة الخميني لكنه تضاعف بعدها، ويؤكد أن البعد الشيعي الديني هو الأساس في سياسة الملالي وليس القومية الفارسية كما يحاول البعض التضليل والتحريف بذلك.

كما ظهرت بعض الحسينيات في أندونيسيا عادة ما تكون ملحقة بالمؤسسات الدعوية والتعليمية، حيث تقام فيها اجتماعاتهم واحتفالاتهم، والتي يجلبون لها في العادة بعض الملالي من إيران ويحضرها رجالات السفارة

الإيرانية، مما يؤكد حرص إيران على ترسيخ أبوّتها للشيعة في أي بلد، على غرار سياسة دولة اليهود تجاه اليهود في العالم.

وقد كانت هذه الاحتفالات تتم في داخل الحسينيات وسرّا، ولكن منذ سنة ٢٠١٠ بدأ الشيعة بإقامة احتفالاتهم علنًا في القاعات العامة وفي الشوارع.

٢- وسائل نشر التشيع في أندونيسيا، حيث تنوعت هذه الوسائل من طباعة الكتب فأسسوا المطابع ودور النشر مبكرا لغرض نشر الكتب الدعائية الشيعية، ولعل أقدم مطبعة لهم هي مطبعة ميزان التي أسسها حيدر محمد باقر سنة ١٩٨٢، ويملك الشيعة ما يزيد عن ٦٠ مطبعة ودار نشر، وقد طبعوا ما يفوق عن ٦٠٠ عنوان، ولهم أيضا عدة مجلات شهرية ومجلة خاصة بالأطفال.

وهم ينشرون هذه الكتب إما بالبيع في مقر المطابع والمكتبات التابعة لهم أو بالمشاركة في معارض الكتب أو البيع عبر الإنترنت، كما أنهم يُهدون كميات منها مجانا للأفراد والمؤسسات التعليمية والجامعات وخاصة المدارس في المناطق النائية.

كما أن مدرسيهم في الجامعات يُرشدون الطلبة للمراجع الشيعية عند إعداد بحوثهم المدرسية والجامعية، كما أن الشيعة ومؤسساتهم والسفارة الإيرانية يحرصون على إقامة المكتبات العامة المجانية لكسب الجمهور للتشيع، ومن أخطر أساليبهم هو إدراج بعض الكتب الشيعية ضمن قائمة مراجع الكتب الإثرائية لمادة التربية الإسلامية المعتمدة في مدارس وزارة الشؤون الدينية، وقد تم شراء هذه الكتب من بعض المدارس فعلا.

أما على صعيد الإعلام فهناك العديد من مواقع الإنترنت الشيعية باللغة الأندونيسية التي تنطلق من إيران فضلا عن العديد من المواقع المحلية، ولهم مشاركة في عدد من القنوات الفضائية المحلية، كما أن قناة المنار وقناة هادي الشيعيتين يصل بثهما لأندونيسيا عبر شركة إندوسات، وقناة الهادي للأطفال التي تخصص برامج للأطفال باللغة الأندونيسية.

ولعبت السفارة الإيرانية دورا مهما في نشر التشيع، حيث تقوم السفارة بتنفيذ برامج المجلس الأعلى للثورة الثقافية الإيرانية، والذي تأسس سنة ١٩٨٤ بطهران بهدف رعاية التبشير بالتشيع في مختلف الدول من خلال المستشارية الثقافية في السفارات الإيرانية، وتم تعزيز ذلك بإنشاء رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية بطهران سنة ١٩٩٥ والتي أصبح لها ٦٨ ممثلية في دول العالم.

فسفارة إيران في أندونيسيا تقيم المعارض والمهرجانات عن تاريخ إيران والشيعة وكذلك ترعى الأسابيع الثقافية وتعقد الندوات والمؤتمرات في مختلف الجامعات والمناطق للتغلغل في المجتمع الأندونيسي.

كما ساهمت السفارة بإنشاء المركز الثقافي الإسلامي بجاكرتا العاصمة والذي يرأسه دوما معمم شيعي إيراني، وهذا الاسم العام من أسباب خداع كثير من الناس به وبأنشطته.

كما تحرص السفارة على التعاون مع الجامعات الأندونيسية وإقامة ركن فيها لإيران يعرض الكتب الإيرانية لاستقطاب الشباب والشابات للتشيع وتقديم المنح الدراسية المجانية للطلبة الأندونيسيين، حيث تعتمد إيران في ترسيخ غزوها للبلاد السنية واختراق مجتمعاتهم على استقطاب الطلبة للدراسة في حوزاتها وجامعاتها وإدخالهم في برامج غسيل للمخ مما يحولهم إلى أتباع مخلصين للولي الفقيه وذلك بعد تشيعهم، ويشرف على ذلك وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية، وتشارك مؤسسات إيرانية دعوية في تلك الجهود كمؤسسة الإمام الحسين، ويزعم مدير الحوزة العلمية في قم وجود ٦٠ ألف طالب من شتى بقاع العالم يدرسون بالحوزة، وهو رقم مخيف لو كان حقيقيا!

ومرة أخرى نجد أن أول ابتعاث لطالب أندونيسي كان قبل دولة الملالي، حيث أرسل

محمد الحبشي في سنة ١٩٧٤ ابنه علي للدراسة في قُم، بدار التبليغ الإسلامي، ولما قامت دولة الملالى سنة ١٩٧٩ كان هناك ٧ طلبة آخرين يدرسون في دار التبليغ التابعة للمرجع الشيعي كاظم شريعتمداري، وهذا يؤكد مرة أخرى أن النشاط الشيعي التبشيري بين السنّة أقدم من دولة الملالي التي ساهمت في تضخيمه وتسريعه، وهذا النشاط التبشيري الشيعي لا يقتصر على الخميني وأتباع ولاية الفقيه بل إن بقية المراجع السابقين واللاحقين لهم دور في التبشير الشيعي، فشريعتمداري كان معارضا للخميني، ولذلك سجَنَه ومات مسجونا من قبل الخميني!

وقد تم إغلاق دار التبليغ بعد قيام دولة الملالي وأقيم بدلا منها حوزة علمية تسمى «مدرسة الحجتية للعلوم الدينية» أسسها المرجع محمد حجت كوهكماري، وأكمل بعض الأندونيسيين الدراسة فيها، ويبدو أن ذلك التباين في التأسيس في التشيع بين قدماء الطلبة وبين الطلبة الجدد الذين درسوا في جهات تابعة للخميني وخامنئي هي من أسباب الخلاف بين شيعة أندونيسيا، كما سبق بيانه بالصراع بين رابطة جماعات أهل البيت وجمعية أهل البيت الأندونيسية!

بدأت إيران الخميني سنة ١٩٨٢ باستقطاب الطلبة من أندونيسيا للدراسة فيها ولكن مع بداية التسعينيات حوّلت إيران للدراسة في خارج حوزة الحجتية، وحتى سنة ٢٠٠٠ تقريبا بلغ عدد الطلبة ١٠٠ طالب، ولكن ارتفع العدد بعد ذلك حتى تضاعف ٤٠٠٪ حتى سنة ٢٠١٥ حيث يقدر عددهم بـ ٥٠٠ طالب بخلاف عائلاتهم.

٣- أبرز الشخصيات الشيعية الأندونيسية، حيث استعرض الباحث سيرة وجهود عدد من الشخصيات التي قسّمها بين شخصيات تعلن تشيعها وشخصيات تتعاطف مع الشيعة، ويلاحظ على تلك الشخصيات أن أغلبها من المهاجرين العرب لأندونيسيا من السادة الحضارم غالبا، وهذا يبطل قضية البعد الفارسي في نشر التشيع ويطرح قضية تلاعب إيران بقضية حب ودعم آل البيت لاختراق المجتمعات السنية وهو ما يتكرر في بلاد أخرى كمصر واليمن، حيث تركز إيران والشيعة على كسب السادة لصفّهم.

يلاحظ أيضا على هذه الشخصيات أن بعضها شخصيات علمية وبعضها سياسية كنواب وأعضاء مجلس شورى وقيادات حزبية، وبعضها له زعامة في الجمعيات الإسلامية أو المؤسسات الدينية الرسمية، مما يؤشر لوجود مخططات باستهداف القيادات والوجاهات لتسريع وتسهيل عملية تشييع المجتمع الأندونيسي.

٤- أسباب انتشار التشيع في أندونيسيا، انتشار الجهل بالعقائد الصحيحة وما يضادها في المجتمع الأندونيسي يساعد في تمرير شبهات وعقائد التشيع بين البسطاء والعامة، ويساعد في ذلك تركيز الشيعة على جعل دعاة التشيع من السادة العرب حيث يثق الناس بهم، كما أن انتشار الطرق الصوفية يسهل تقبل المجتمع للأفكار الشيعية للتقارب بينهم في بعض الجوانب، فهذا رئيس جمعية نهضة العلماء عبد الرحمن واحد يقول: «الشيعة هي جمعية نهضة العلماء مع زيادة اعتقاد الإمامة، وجمعية نهضة العلماء هي الشيعة بدون اعتقاد الإمامة» وكلامه هذا يدلّ على جهله بالتشيع وحقيقة عقيدة الإمامة التي تستلزم تكفير الصحابة والطعن في القرآن الكريم برغم زعامته لنهضة العلماء!

كما أن نجاح الثورة على الشاه جعل كثيرا من الناس ينبهرون بالثورة وقائدها الخميني وأنه ينوي تحرير القدس، وكان لمهارة دعاة التشيع في خداع الناس دور في تمدّدهم حيث ركزوا على النساء لتأثيرهن الكبير على أسرهن، وقد ركزوا على استغلال شعارات محبة آل البيت والمذهب الجعفري، والأخوة والوحدة الإسلامية، وإعلان العداء للغرب والكفار.

٥- الآثار العقدية الشيعية على المجتمع، حيث أصبح دعاة الشيعة لا يتورعون عن الدعوة لعقائدهم

الشيعية مثل الدعوة للإمامة الشيعية والعصمة للأئمة وغيبة المهدي والطعن بالصحابة، كما أصبح المجتمع الأندونيسي تظهر فيه بدع بسبب المتشيعين كالتوسل البدعي على طريقة الشيعة بعد أن كان المعروف التوسل البدعي الصوفي، وإقامة المناسبات الشيعية كعاشوراء وأمثالها. أيضا أصبح هناك تشكيك في كتب السنة المعتمدة ومحاربة للعقيدة الصحيحة.

هذا كان الرصد والعرض للواقع الشيعي في أندونيسيا وبه ينتهي الفصل الأول.

الفصل الثاني خصّصه الباحث لبيان جهود أهل السنة في مواجهة هذا الهجوم الشيعي الإيراني على المجتمع الأندونيسي، وقد استفتح الفصل ببيان مفهوم أهل السنة والجماعة وأنه يقصد به مفهوم عام وهو كل «من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة» كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد قسم هذا الفصل لبيان مواجهة أهل السنة للشيعة لجهود علمية وجهود عملية.

١- الجهود العلمية، التي تنوعت بين مناقشة عقائد الشيعة الإمامية وبين كشف ما يخفيه الشيعة من عقائدهم وبين الرد على شبهات الشيعة.

حيث قامت المؤسسات السنية الكبرى بالتصدي للغزو الشيعي في وقت مبكر، فمجلس العلماء الأندونيسي المركزي أصدر في سنة ١٩٨٣ تعميما يحذر فيه من الشيعة ويفند عقائدهم الباطلة والعدوانية على الصحابة وغلوّهم في عليٍّ، وغيرها من ترّهاتهم، وفي سنة ١٩٨٤ أعاد المجلس إصدار توصية للمسلمين بالحذر من تسلل وغزو الشيعة لأندونيسيا، وهذا يؤكد أن مشكلة التشيع هي مع كل المسلمين وليس مع الوهابية كما يزعم الشيعة دوما، وأن هذا الغزو الشيعي غزو قديم مع بداية دولة الملالي وأنه يستهدف كل الدول والبلاد.

وفي سنة ١٩٩٧ أصدر المجلس فتوى بتحريم نكاح المتعة عقب انتشار هذا الزواج في المناطق التي يكثر فيها الشيعة، مما يؤشر لاستفحال مشكلة التشيع واستهدافه للطلبة عن طريق إغرائهم بالشهوات الجنسية!

وفي سنة ٢٠٠٧ أصدر المجلس بيانا يحذر فيه من الفرق الضالة ببيان علامات خاصة بها، وكثير منها ينطبق على الشيعة.

وفي عام ٢٠١٣ قام المجلس بإصدار كتاب خاص لفضح التشيع بعنوان «التعرف على انحرافات الشيعة في إندونيسيا» مما يدلل على مواصلة المجلس الدائمة لمحاربة التشيع والتصدي له، وأيضا كان لمجالس العلماء في المحافظات دور في مواجهة التشيع بالبيانات والمحاضرات، وغيرها من الأنشطة.

وهناك أيضا جهود لمؤسسات دعوية منها: مركز البحوث والدراسات الإسلامية الذي أقام ندوة حول الشيعة في قاعة مسجد الاستقلال سنة ١٩٩٧ وطبعت كلمات الندوة في كتاب طبع ست مرات حتى عام ٢٠١١، أما مؤسسة البيّنات فهي تقوم بطباعة وترجمة الكتب والنشرات وإقامة الندوات لمقاومة التشيع.

وهناك جهود أخرى في كشف عقائد التشيع التي يخفيها الشيعة عن عوام الناس، كعقائدهم بتحريف ونقص القرآن الكريم، وعقيدة الطينة التي تحمل مفاهيم عنصرية عن تميز جنس الشيعة عن غيرهم من البشر، وغيرها من العقائد الشيعية الباطلة.

أما شبهات الشيعة تجاه الصحابة أو عداء أهل السنة لآل البيت فقد فنّدها دعاة أهل السنة في أندونيسيا كما فندوا مزاعم الشيعة بأنهم دعاة للأخوة والوحدة الإسلامية.

٢- أما الجهود العملية لأهل السنة في مواجهة التشيع فقد تنوعت أيضا، حيث تفاعل الكثير من المؤسسات مع هذا الخطر الزاحف، وتصدّت له، فالجمعية المحمدية التي تأسست سنة ١٩١٢ وتعدّ من أكبر الجمعيات هناك، نشرت مجلتها الرسمية (تبليغ) بيانا حول موقفها الرافض للأفكار الشيعية

سنة ١٤٣٣هـ، ونشرت بعده عدة مقالات تندّد بالغزو الشيعي لأندونيسيا، برغم أن الرئيس العام الحالي للجمعية د. محمد سراج متعاطف مع الشيعة أو متشيع سرا!!

أما جمعية نهضة العلماء التي تأسست في ١٩٢٦ فقد كتب رئيسها الأول الحاج محمد هاشم الأشعري مهاجما الرافضة في كتابه «رسالة أهل السنة والجماعة في حديث الموتى وأشراط الساعة وبيان مفهوم أهل السنة والجماعة»، وقد شاركت الجماعة بندوة مسجد الاستقلال سنة ١٩٩٧ وشجّعت على طباعة الكتب التي تحذر من الشيعة، وكتب عدة علماء من الجماعة مقالات وكتبا تنكر عقائد التشيع، والرئيس الحالي للجماعة سعيد عقل سراج يبدو أنه تأثر بالدعاية الشيعية وأصبح يهوّن من الخلاف أو يدعو لهم بشكل غير صريح، لكن تصدى له عدد من علماء الجماعة وردّوا عليه!

أما المجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية فقد عقد العديد من المحاضرات والدورات لأعضائه وللعامة لبيان بطلان التشيع وعقائده وينشط في نشر كتاب مجلس العلماء عن الشيعة.

وهناك جمعية الهداية التي تجابه الشيعة من خلال مجلتها «صوت هداية الله» وموقعها الالكتروني.

وهناك أيضا تواصل بين العلماء والدعاة والجهات المسؤولة في الدولة لتوضيح الحقيقة لهم وتنسيق الجهود في التصدي لهذا الغزو الإيراني الشيعي الناعم.

أما على صعيد الكتب والمطبوعات فهناك العديد من المطابع ودور النشر التي تساهم في نشر الكتب ضد التشيع ولكن لا يزال يلزم المزيد من الجهود على هذا الصعيد، من ناحية عدد النسخ ومن ناحية تعدد المواضيع لمقاومة التشيع، وهناك العديد من المقالات في الصحف والمجلات والتي تعنى بهذه القضية.

وعقد الكثير من الندوات والدورات والدروس والمحاضرات لهذا الغرض، لكن حين تتحدث عن بلد تعداد سكانه ٢٣٧ مليونا، ويعد رابع دولة في العالم من حيث عدد السكان ندرك كم نحتاج للمزيد من هذه الندوات والدورات. وأيضا هناك عشرات المواقع الإلكترونية التي تهتم بهذا الموضوع ولها نشاط جيد.

ويختم المؤلف كتابه بأهم النتائج ومن ثم بعض التوصيات والتي منها ضرورة التعاون والتكامل بين مؤسسات أهل السنة للتصدي لمخططات الشيعة، وضرورة نشر الوعي بين الساسة ورجالات الأمن بالخطر الشيعي السياسي والأمني، وضرورة سد الثغرات التي ينفذ من خلالها الشيعة لمواقع القرار، خاصة في وزارة الشؤون الدينية، وأهمية وقف استغلال الشيعة للصوفية لنشر عقائدهم.

وفي النهاية؛ لقد بذل الباحث جهدا طيبا في جمع المعلومات وتبويبها وتقديمها بطريقة سهلة للقارئ برغم ضخامة موضوع الدراسة جغرافيا وزمانيا، وإن كان من ملاحظة فهي خلو الكتاب من الاستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية والتاريخية والسياسية، فموضوع الدراسة له تعلق مباشر بهذه العلوم التي لو ربطت بعلوم الشريعة لخرجت بحقائق وتفسيرات وتوصيات أعمق وأجود، وهذه دعوة لتطوير مناهج البحث في كليات وأقسام الشريعة والثقافة الإسلامية.

الحقيقة المرة!

قالوا: حاربت القاعدة المقاومة العراقية تحت ذريعة الصحوات، ثم اختفت القاعدة وحكم الروافض، ونفس الأمر يتكرر في سوريا. هنيئا للروافض بهكذا قاعدة.

أبو علي عبد الوهاب –

تغريدة على تويتر

هكذا يتمدّدون!

قالوا: يهودي من أصول إفريقية يعيش في القدس المحتلة ينوي الترشح لانتخابات رئاسة الكونغو. هو إلياهو بنحاس سدي، ولد في الكونغو، وفي عمر ٨ سنوات انتقل مع والديه إلى فرنسا، وفي سن ٢٠ عاما اكتشف الديانة اليهودية وقرّر الانضمام إليها.

وخلال سنة تعلّم أسرار الديانة اليهودية وتعرف إلى التوراة، ثم اجتاز اختبارا نهائيا وأصبح يهوديا. وصل بنحاس إلى إسرائيل، تزوج وسكن في الحيّ اليهودي في القدس.

في سن المراهقة، دخل بنحاس المعترك السياسي العالميّ، وقرر الترشح للرئاسة من قبل «الحزب الاشتراكي» ويصل عدد أعضاء حزبه إلى ٢٠ عضوا، حيث هناك نحو ٤٠٠ حزب في الكونغو.

موقع عربي ٢١ بتصرف

في منتصف الجبهة

قالوا: مجلة الطب النفسي الأمريكية: الملحدون هم الأكثر انتحارا.

تعليق: قد يكون الأمر انتخابا طبيعيا!

تنوير الملحدين–

تغريدة على تويتر

أكبر داعم لليهود دوما

قالوا: روسيا زعيمة الممانعة والمقاومة حليفة ايران وبشار الأسد وحسن نصر الله أول دولة في العالم تعترف بالقدس الغربية عاصمة لإسرائيل. ونِعم الممانعة

فيصل القاسم–

تغريدة على تويتر

تناقض!

قالوا: الإعلام اليساري والإيراني يعادي أردوغان الذي يستفتي شعبه ويصفه بالديكتاتورية، نفس الإعلام يطالب بالتعايش مع بشار والحوثيين والحشد!!

أسامة شحادة -

تغريدة على تويتر

فطرة الله عز وجل

قالوا: أوقفتني سياسة التعليم المختلط في اليابان حيث تم الإجماع على رفضه بقول الخبراء إنه يؤنّث الذكور ويذكّر الإناث، أين نحن دعاة الفجور من بني يعرب.

د. فاطمة الوحش–

تغريدة على تويتر

شباب الآسيان ومشروع إيران

د. محمد السعيدي – الوطن السعودية ٢٠١٧/٤/١٠

إيران ليست وحدها ؛ هذا رأي مستقر لدي منذ زمن ليس بالقصير ؛ كما أنها لا تعمل لمصلحة نفسها ولا شعبها ؛ هذه أيضا حقيقة يُصدِّقُها الوضع الراهن في إيران ؛ إن من وراء إيران وهو المحرك لها في كل نشاطاتها الدولية ؛ وهو كذلك من تعمل إيران لمصلحته ، إنما هو الصهيونية العالمية والتي تسعى للانفراد بهيمنة خاصة على العالم الإسلامي ؛ وهي هيمنة لن تستطيع الصهيونية بوجهها السافر الوصول إليها بين مليار ونصف من المسلمين ؛ لكنها حين تلبس قناعاً صفوياً يُردد شعارات إسلامية ويستغل في دعايته هموم المسلمين وما يحل بهم من نكبات . وما يعانونه من أمراض الجهل والفقر ؛ ستكون فرصتها بالنفاذ إلى أعماقهم أكبر بكثير .

لذلك نجد المشروع الصهيوصفوي حاضراً في كل بلاد المسلمين في آسيا وإفريقيا وأوربا ، بل في بلاد الأقليات الإسلامية ، كروسيا وأمريكا الجنوبية ؛ بطاقةٍ حيويةٍ ومالية أكبر بكثير مما تستطيعه إيران وحدها.

أكتب هذه الكلمات وأنا في شرق آسيا أشاهد بأم عيني وأسمع بالسند المتصل نشاطات الأذرعة الإيرانية في إندونيسيا وكمبوديا وتايلاند والفلبين ولاوس وسنغافورة؛ بشكل دؤوب صبور لا كلل فيه ولا ملل ؛ لدرجة أنهم لم ييأسوا من النشاط ولو بأقنعة مزيفة في بلاد تم طردهم منها كماليزيا ، وبروناي ، وجزر المالديف.

لكن الجديد في الأمر والذي أجزم أن القارئ الكريم سوف يُسَرُّ به هو تلك اليقظة العلمائية والشعبية الظاهرة في مناهضة الكثيرين من علماء ودعاة ومثقفي دول مجموعة الأسيان لهذا المشروع ، والمتمثلة في عقدهم مؤتمراً في مدينة بوجور في أندونيسيا للإعراب عن توجههم ونظرتهم لهذا المشروع ؛ وهو مؤتمر حاشد حضره أكثر من مائتين من قادة الجمعيات والمؤسسات والمدارس الدينية في أندونيسيا وفي سائر دول الآسيان .

وقد حضرت هذا المؤتمر وأسعدتني نتائجه كثيراً ؛ كما أسعدتني مخرجات ورش العمل المصاحبة له ؛ والتي يُمكن القول بأنها قواعد مهمة أتمنى أن تظهر في تلك البلاد على شكل مشاريع عملية تقف في وجه هذا المشروع الذي ولاشك لا يريد بالأمة إلا شرا.

وسوف أورد فيما يلي شيئاً مما أنتجته أوراق العمل والجلسات المتخصصة :

«المنهج الوسطي هو الإسلام الحق الذي يلزم المسلمين اتباعه وعدم الحيدة عنه كما

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ولا وسطية إلا باتباع النبي ﷺ ونهج صحابته الكرام ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]».

«ويحرم أن يصل الاختلاف بين الأمة إلى حد الشقاق والتباغض والتنازع المفضي إلى الفشل ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] ماداموا يؤمنون بأركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان ومرجعية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويعظمون آله وصحابته وأزواجه وكلهم ورد الكتاب والسنة بتزكيتهم والثناء عليهم واختارهم لصحبة رسوله ونصرته ونَشَر الله بهم الإسلام في الإفاق وحفظ بهم الدين والعلم».

«الحذر من مناهج الغلو ومنها الغِل على صحابة رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات المفضي إلى تكذيب القرآن الذي نصت أياته على تحريم ذلك ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]».

«وجوب التصدي لما يقوم به النظام الإيراني من العمل على نشر عقيدة البغضاء والكراهية لصحابة رسول الله وأزواجه والطعن في القرآن وزعم العصمة لغير الأنبياء من آله الطيبين ليس من الإسلام في شيئ»

«يوصي المجتمعون الدول والشعوب الإسلامية بالحذر من تغلغل الدعوة إلى مذاهب الغلو والتطرف والتكفير سواء أكان إرهاب تنظيم كداعش والقاعدة وما يسمى بحزب الله والميليشيات الطائفية ؛ أم إرهاب دولة كالنظام الإيراني».

«إن دعاة الطائفية والعاملين على نشر المنهج الصفوي يتبعون من أجل النفوذ في البلدان المستهدفة طُرقَاً ميكافيلية كالرشوة وشراء الولاءات والكذب واستئجار العصابات الإجرامية وتهريب المخدرات والسلاح بل وصناعة جماعات إرهابية لإحداث انقسام في المجتمع وتشويه المجتمع السني وضربه بتهمة الإرهاب».

«كما يعمد هؤلاء أيضا إلى العمل ومحاولة النفوذ والسيطرة من خلال مؤسسات المجتمع المدني والعمل الخيري والحركات الطلابية والبرلمانيين من أجل نشر فكرهم المتطرف بين الشباب ، كما يسعون لاستغلال الفقر في الكثير من المجتمعات للإغراء بالمال لنشر أفكارهم المتطرفة بين فئات الفقراء».

«كما يسعون لاستثمار الجهل بالعقيدة والدين لإقناع الفئات المستهدفة بأن ما يدعون إليه هو الإسلام؛ ويعملون على تشويه التاريخ الإسلامي لاسيما عصر الصحابة والقرون المفضلة وعزل الشباب عن أمجاد أمتهم بل وزرع الكراهية للشخصيات العظيمة في تاريخ الأمة من خلال تصويرهم أعداء لآل البيت ومغتصبون لحقوقهم ولم يتركوا شخصية واحدة لها أثر في التاريخ الإسلامي إلا وطالها تشويههم بدءًا بالصحابة وحتى مطلع العصر الحديث».

«دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تأت بجديد ولا بما يخالف مذاهب الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وليست محاربة الطائفيين لهذه الدعوة ومحاولة تشويهها إلا للتفريق بين أهل السنة وضرب كل من يقف في طريق تآمرهم بتهمة الإرهاب والتطرف والوهابية بزعمهم».

«لكل ذلك ينبغي تحصين المجتمعات المسلمة في الدول الإسلامية من خطورة المشروع الإيراني العقدية والأمنية والسياسية وإدراج خطورته ضمن المناهج الدراسية في التعليم العام والجامعات».

«على علماء المسلمين والفاعلين في النشاط الدعوي وقادة الجمعيات والمنظمات الشرعية والخيرية في البلاد الإسلامية ودول الآسيان بشكل خاص التواصل مع رجال الإعلام والبرلمانيين والساسة والاقتصاديين من أجل بيان خطورة المشروع الإيراني».

«الحيلولة بين أذرعة النظام الإيراني في دول الآسيان وبين النجاح في تكوين أقليات ذات ولاء صفوي عقدياً كان أم سياسياً ، والحيلولة بين الأقليات الصفوية التي نجحت الأذرعة الإيرانية في إيجادها وبين نجاحها في الوصول إلى التأثير على القرار في البلاد بشتى الوسائل القانونية والسلمية التي تقررها الكفاءات الفاعلة في العمل الإسلامي».

«العمل على التواصل بين جميع فئات أهل السنة داخل أندونيسيا ودول الآسيان وجمع كلمتهم وتوحيد رؤيتهم وأهدافهم وتفويت أي فرصة على من يريد استغلال اختلافاتهم لتمزيقهم أو رميهم بالإرهاب والداعشية».

«العمل العلمي البحثي والإعلامي على نشر الصورة الصحيحة للتاريخ الإسلامي وتاريخ الصحابة وآل البيت بشكل أخص ورد ما يفتريه دعاة التشيع من أباطيل حول التاريخ الإسلامي».

«التأكيد على أن تاريخ أهل السنة والجماعة هو العمق التاريخي المنطقي لأبناء دول الآسيان وأنهم جزء لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية الممتدة من عهد رسول الله ﷺ حتى يومنا هذا».

«ربط الشعوب المسلمة في دول الآسيان بكتابها الخالد القرآن الكريم وذلك عبرنشر تلاواته المختلفه وتفسيره وترجمة معانيه فإن ارتباط الأمة بكتاب ربها أعظم حافظ لدينها بعد حفظ الله تعالى لها».

«العمل على ربط الناس بأهل العلم العاملين من أهل السنة والجماعة».

وهذه المعاني التي أوردها المشاركون، وصادق عليها جميع الحاضرين تستوجب منا التحية لهذا المؤتمر والمشاركين والحاضرين فيه. وليس غريباً أن يأتي المؤتمر وسطاً بين أعمال تاريخية تقوم بها المملكة العربية السعودية؛ أولها زيارة الملك سلمان حفظه الله لعدد من دول الآسيان أبرزها إندونيسيا؛ وسوف يتلوها زيارات لعدد من المسؤولين إلى هناك تحمل الخير لبلادنا وبلادهم وللإمة الإسلامية جمعاء.

الاستفتاء الشعبي ومسألة الانقسام

إسماعيل باشا- أخبار تركيا ٢٠١٧/٤/٢٤

تحدث كثير من الكتاب والمحللين عن انقسام الشعب التركي وخطورة تداعياته، في تعليقاتهم على نتائج الاستفتاء الشعبي الذي أجري في تركيا في السادس عشر من الشهر الجاري، لأن نتائج الاستفتاء على التعديلات الدستورية جاءت متقاربة، حيث لم تتجاوز نسبة الأصوات المؤيدة للتعديلات الدستورية ٥١,٤١ بالمائة فيما بلغت نسبة الأصوات الرافضة لها ٤٨,٥٩ بالمائة، وفقا للنتائج الرسمية التي أعلنتها اللجنة العليا للانتخابات.

تقارب النتائج في الانتخابات أو الاستفتاء الشعبي يحدث كثيرا في الأنظمة الديمقراطية، وسبق أن شاهد العالم أمثلته في دول مختلفة. ولعل أقرب مثال له الاستفتاء الشعبي الذي أجري في بريطانيا للخروج من الاتحاد الأوروبي أو البقاء فيه، وكذلك انتخابات الرئاسة الأمريكية الأخيرة.

في بريطانيا، صوت ٥١,٨٩ بالمائة من الناخبين لصالح خروج بلادهم من الاتحاد الأوروبي، في مقابل تصويت ٤٨,١١ بالمائة منهم لصالح بقاء بريطانيا في الاتحاد. وأعلن الجميع، بمن فيهم الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما والمسؤولون الأوروبيون، احترامهم لقرار الشعب البريطاني. ومهما كانت النتيجة صادمة لما يقارب نصف الشعب البريطاني الذي صوت لصالح البقاء في الاتحاد الأوروبي فإن بريطانيا تواصل طريقها نحو الخروج من الاتحاد بناء على تلك النتائج.

وأما في الولايات المتحدة، فكانت الأصوات الشعبية التي حصل عليها مرشح الحزب الجمهوري دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية أقل من الأصوات الشعبية التي حصلت عليها مرشحة الحزب الديمقراطي هيلاري كلينتون. وكان الفارق بينهما حوالي ٣ ملايين، إلا أن المرشح الجمهوري هو الذي انتخب رئيسا، لأنه حصل على ٣٠٦ من الأصوات الانتخابية، في مقابل حصول منافسته على ٢٣٢ صوتا انتخابيا. وبناء على النظام الانتخابي الأمريكي أصبح ترامب رئيسا للولايات المتحدة، على الرغم من أن عدد الناخبين الذين صوتوا له كان أقل من عدد الناخبين المصوتين لصالح كيلينتون.

الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما حصل في الانتخابات الرئاسية التي أجريت في ٢٠٠٨ على ٥٢,٩ بالمائة من الأصوات الشعبية، في مقابل حصول منافسه الجمهوري جون ماكين على ٤٥,٧ بالمائة منها. وأما في الانتخابات الرئاسية التي أجريت في ٢٠١٢ فحصل على ٥١,١ بالمائة من الأصوات الشعبية، فيما حصل منافسه الجمهوري ميت رومني على ٤٧,٢ بالمائة منها. ومع ذلك احترم الجميع قواعد اللعبة الديمقراطية وتلك النتائج، ولم يتحدث أحد عن خطورة انقسام الشعب الأمريكي وتداعياته.

وفي فرنسا، حصل مرشح الحزب الاشتراكي فرنسوا هولاند في الجولة الثانية للانتخابات الرئاسية التي أجريت في ٢٠١٢ على ٥١,٦٤ من أصوات الناخبين، فيما حصل فيها منافسه الرئيس الفرنسي السابق نيكولا ساركوزي على ٤٨,٣٦ بالمائة من الأصوات. وبناء على هذه النتائج، أصبح هولاند رئيسا للجمهورية الفرنسية. وعلى الرغم من تراجع شعبيته إلى حوالي ٣٠ بالمائة حكم هولاند فرنسا لمدة أربع سنوات حتى تنتهي ولايته. ومن المضحك أن الرئيس الفرنسي، على الرغم من فوزه في الانتخابات الرئاسية بفارق ضئيل، قال في تعليقه

على نتائج الاستفتاء الشعبي الذي أجري الأحد قبل الماضي في تركيا، إن النتائج تشير إلى انقسام الشعب التركي حول التعديلات الدستورية ودعا الطرفين إلى الحوار.

يمكن أن نأتي بأمثلة أخرى جاءت فيها النتائج في الاستفتاء الشعبي أو الانتخابات متقاربة، لأنها ظاهرة طبيعية في الأنظمة الديمقراطية. ولا نرى نتائج تفوق فيها نسبة الفائز ٩٠ بالمائة إلا في الأنظمة الشمولية الدكتاتورية، كما أن صورة التوحد والإجماع في تلك الأنظمة القمعية ليست حقيقية. بل يكون المجتمع منقسما بشكل عميق حول قضايا مختلفة، إلا أن عدم وجود حرية التعبير لا يسمح لهذا الانقسام بالظهور.

الأحزاب السياسية في الأنظمة البرلمانية تتنافس في الانتخابات النيابية، وتتوزع مقاعد البرلمان بين عدد من الأحزاب. وقد يصل عدد الأحزاب الممثلة في البرلمان إلى خمسة أو ستة أحزاب. وإن كان تقارب النتائج في الاستفتاء الشعبي أو الانتخابات الرئاسية انقساما فمن المفترض أن يتم وصف توزيع الأصوات ومقاعد البرلمان بين أكثر من حزبين بـ«تشتت الشعب». ولا يمكن القول بأن التشتت أفضل من الانقسام.

"داعش" والاستبداد... والتوحش

منار الرشواني – الغد ٢٠١٧/٤/١

قبل إحكام الطوق عليه بفترة طويلة، بدا واضحاً أن العالم أجمع لا يمكن أن يتعايش مع تنظيم «داعش» أو أن يقبل مجرد وجوده. وهو ما يبقى صحيحاً على الرغم من محاولة البعض تحييده مؤقتاً، على نحو ما فعلت روسيا مثلاً، والتي تدخلت حماية لنظام بشار الأسد، مستهدفة المعارضة السورية وحدها وليس التنظيم الإرهابي أبداً. وقد بقي ذلك قائماً إلى حين بدأ لغز الكر والفر في تدمر وحولها، بين «داعش» ومليشيات إيران والأسد؛ مع استمرار سياسة «تحييد» التنظيم قائمة حتى الآن خارج تدمر، بل وتسارع طائرات الأسد إلى استهداف المعارضة مباشرة في الأماكن التي نجحت في إخراج «داعش» منها.

على الرغم من ذلك، فإن التنظيم الذي أسس لفنائه مبكراً جداً بما ارتكبه من جرائم في المناطق الخاضعة لسيطرته منذ اليوم الأول لهذه السيطرة؛ لم يغير بأي درجة تقريباً وتيرة جرائمه بحق المدنيين رغم اندحاره المتواصل الآن، وذلك بخلاف كل منطق يحتم بالحد الأدنى تقليل الأعداء أو تحييدهم، إن لم يكن كسب المؤيدين والحلفاء.

هذا السر أو اللغز المحير يبدو مطابقاً تماماً لما تفعله أنظمة الاستبداد العربية، على الرغم من «الربيع العربي» الذي أثبت أن الشعوب لم تعد تقبل الصمت الأبدي على إهدار حريتها وكرامتها، بل وفوق ذلك حرمانها لقمة عيشها. إذ بدل أن تبادر هذه الأنظمة إلى أقل الإصلاحات، صارت تتمادى أكثر في اللجوء إلى أساليب القهر والتنكيل ذاتها التي كانت قائمة قبل العام ٢٠١١، انطلاقاً من قناعة بأن خروج الناس إلى الشارع ومطالبتهم بالحقوق الإنسانية الأساسية، هما دليل على عدم كفاية جرعات الترهيب السابقة، فلا بد بالتالي من زيادتها. لكن النتيجة المحتمة لذلك هي العودة للانفجار بطريقة أكثر عنفاً وتدميراً للجميع، بما في ذلك الأنظمة. وخير دليل هنا هو الأسد الذي قد يتباهى وشبيحته؛ المحليون والقومجيون العابرون للحدود، باستمراره في المنصب، لكنهم جميعاً يدركون أنه وجود بلا أي تأثير، باستثناء أنه واجهة يبرر بها للغزاة غزوهم لسورية وتقتيل أهلها وتشريدهم.

هذا التلاقي حد التطابق بين الإرهاب والاستبداد على مبدئية التوحش، يمكن تفسيره في علاقة التعايش المؤكدة بين الطرفين؛ بل وحتى وحدة المنشأ في حالة «داعش» خصوصاً؛ فعلى الأغلب أن القادة إما من كبار الجلادين سابقاً في أنظمة مستبدة، أو من ضحايا هذه الأنظمة ذاتها.

ومبدئية التوحش أيضاً هي ما يفسر تناقضاً آخر يجمع الدواعش والمستبدين الفاسدين. فعلى الرغم من ادعائه تمثيل السُنّة والسعي إلى حمايتهم، كانت الغالبية العظمى من ضحايا التنظيم الإرهابي هي سُنّة العراق وسورية. وذلك تماماً كما أن الأنظمة ذاتها التي ادعت التقدمية والسيادة الوطنية في مواجهة الخارج والإمبريالية، صارت تسلم البلاد الآن لكل الغرباء، وهي مستعدة علناً للشراكة مع صهاينة غربيين، فقط لإبقاء «الزعيم الخالد بؤساً»، على حساب الشعب!

في المقابل، فإن الأنظمة التي وُصفت يوماً بالرجعية والخيانة، لكنها أسست شرعيتها على الاستجابة لتطلعات مواطنيها بأي درجة كانت، وليس إرهابهم، تبدو اليوم -كنتيجة طبيعية- الأكثر سيادة واستقلالاً، وهي بالتالي الأكثر استقراراً.

علمانية طائفية!

د. محمد جميح - مأرب برس ٢٠١٧/٤/١٢

أخونا العزيز، «المنظر العلماني»، و«الكاتب الليبرالي»، حسين الوادعي يركز على نقد التاريخ الإسلامي من منطلقات شيعية لا علمانية. هو ينتقد هذا التاريخ لأنه يراه تاريخاً «سنياً»، لا لأنه مجرد تاريخ «ديني».

وفرق كبير بين طرح علماني ينتقد «تاريخاً دينياً»، وآخر شيعي ينتقد «تاريخاً سنياً».

سبق الوادعي إلى هذا المنهج «نبي الحداثة»، وأستاذنا الكبير أدونيس، الذي رفض الثورة السورية لأنها «خرجت من المساجد»، في حين أنه مدح الخميني وثورته الدينية، بقصيدة عصماء.

ينظر الوادعي من زاوية واحدة في معظم كتاباته، هي زاوية طائفية تحاول جاهدة أن تذر بعض المساحيق الليبرالية للإمعان في التسويق لا أكثر.

يريد من العرب والمسلمين أن يعتذروا عن تاريخ من «الرقيق» الذي مارسوه، ولا يشير إلى أن بيوت الأئمة في اليمن كانت تعج بأنواع السبايا والرقيق من رجال ونساء اليمن.

لو لم يكن الدافع الطائفي - لا العلماني - وراء تلك المطالبات «الإنسانوية»، لأخينا البالغ الحساسية تجاه «متاجرة العرب» بالرقيق، لكان الأولى به أن يطالب بالاعتذار عن استعباد اليمنيين في عهد دولة الإئمة القريب، بدلاً من المطالبة بالاعتذار عن أفعال الأمويين والعباسيين في سالف الزمان...

طبعاً من بين مئة نقد يوجهه المفكر العلماني الحداثوي للتاريخ الإسلامي الذي يعتبره «تاريخاً سنياً»، لا مانع من تقديم نقد واحد للحوثيين وإيران، دون أن يتجاوزهم إلى أصل المشكلة الدينية المذهبية التي أنتجت الأفكار الظلامية لدى جماعته...

مشكلة الوادعي إزاء التاريخ الإسلامي، ليست أن في هذا التاريخ فترات مظلمة، بل تكمن المعضلة أن الوادعي أساساً لا يراه تاريخاً له أو لجماعته، ولذا يهاجمه، على طريقة، «ما ليس لي، هو منجز غيري، وفِي هدمه إبراز لمنجزي»...

سلام الله على الطائفية التي ترتدي ثوب العلمانية والليبرالية، وتطالبني بالاعتذار عن تاريخ هارون الرشيد، دون أن تلزمه هو بالاعتذار عن جريمة عبدالله بن حمزة، الذي سبى نساء اليمنيين المسلمين من الزيدية المطرفية، وأنجب من بعض «نساء السبي » بعض أولاده، ممن أصبحوا أئمة بعد ذلك...

قديماً قال زهير بن أبي سلمى:

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ
وإن خالها تخفى على الناس تُعلَمِ

جبهة النصرة
بين المَغارم والمغانم

مجاهد ديرانية – الإسلاميون ٢٠١٧/٤/٢٤

قال محدّثي: لقد خسرت هيئة فتح الشام المناطق التي حررتها في حماة. قلت: وما الغريب؟ هل كنتَ تتوقع غير ذلك؟ ومن أين يأتيك التفاؤل وسجلّ جبهة النصرة مليء بالإخفاقات والمغامرات الفاشلة؟

قال: كيف تقول هذا عن أقوى وأهم فصيل في الثورة؟ قلت: أدرك نفسك يا صاحبي، لقد خدعوك كما خدعوا غيرك كثيرين. إنه أسلوب غوبلز المشهور: اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس! نعم، ما زالوا يروّجون هذا الوهم الكاذب (أكبر وأقوى فصيل في الثورة) حتى صدّقوا أنفسهم وصدقهم كثيرون. ولولا طائفة من «المستقلين» الذين ما فتئوا يلمّعون النصرة ولولا بعض الفضائيات التي تعمدت تصديرها في نشرات الأخبار لما فاقت سمعةُ النصرة سمعةَ أي فصيل ثوري من الفصائل الكبار، ولكنه الإعلام يا صاحبي، الإعلام!

قال: لماذا تخذّل وتقلّل من قيمة جبهة النصرة؟ قلت: ما هذا أردت، بل أردت أن يعلم الناس الحقيقة حتى لا يطالبوا الثورة باحتمال غُرْم النصرة مقابل غُنْمها المزعوم. أردت أن يعلموا أنها لا مغانمَ تأتينا منها تستحق كل هذا التطبيل والتهويل، وأن مغارمها تفوق مغانمها بكثير. وإلا فخبّرني: ما هو النصر العظيم الذي حققته النصرة في أي يوم قط؟ هذه خريطة سوريا أمامك، أرني المناطق التي حررتها جبهة النصرة بمفردها، ما هي؟ وأركز على كلمة «بمفردها» لأن النصرة كانت دائماً (وما تزال) عبقرية في

استغلال دماء وتضحيات الفصائل الأخرى ونسبة النصر إليها. ألا تتذكر معبر نصيب؟ إنها قصة تكررت في الثورة على الدوام.

نعم، إن تاريخ جبهة النصرة هو سلسلة من الإخفاقات والمغامرات الفاشلة، فهي التي سلّمت دير الزور لداعش وسلّمت القلمون الغربي للنظام وأهدرت دماء شبابنا في مغامرات حمقاء لم تثمر شيئاً، في مغامرتَي حماة الأولى والثانية وفي مغامرات حلب والساحل. آلاف الأرواح قُدِّمت مجاناً لأن مغامراً أحمق وضع نفسه في موضع القيادة وهو أقل الناس جدارة بها، ولأنه «الأحمق المطاع» فقد تبعه أولياؤه بلا سؤال ولا تفكير فقادهم إلى المهالك.

فكّر جيداً وسوف تكتشف هذه الحقيقة المؤلمة: إن المعارك الوحيدة التي انتصر فيها الجولاني هي غزواته على فصائل الجيش الحر، فقد نجح فيما فشل فيه النظام واستطاع تفكيك عشرين فصيلاً وتهجير آلاف المجاهدين خارج الحدود. يا له من إنجاز عسكري عظيم!

لو كان الأمر إليّ لحاكمت الجولاني محاكمة عسكرية بسبب هذه الخسائر والإخفاقات والمغامرات والاعتداءات، ولئن أنقذه شبيحته ومريدوه من سؤالنا في هذه الدنيا فمَن ينجّيه يوم القيامة من سؤال العزيز الجبار؟

الخلاصة: إن جبهة النصرة (باسمها القديم أو باسمها الجديد) فصيل من حجم ووزن سائر الفصائل الكبرى في سوريا، ليس أكثر، وإذا استثنينا قادتها الخونة (وعلى رأسهم الجولاني المجرم الذي أنهك الثورة وقاتل الفصائل واعتقل الأبرياء، عليه من الله ما يستحق) إذا استثنينا هؤلاء سنجد في صفوفها كثيراً من المجاهدين المخلصين الصادقين كما نجد في كل فصيل آخر.

بهذا المقياس فإننا نحتمل من النصرة ما نحتمله من سائر الفصائل من تقصير وأخطاء مقابل ما تقدمه للثورة من تَقْدِمات وتضحيات، لكننا لا نحتمل أبداً ما يصدر عن النصرة من بغي وظلم وإفساد ولا نحتمل غُرم ارتباطها الفكري والمنهجي بالقاعدة (وما كلمة «سفيه الأمة» الأخيرة إلا دليل على أن هذا الارتباط كان وما يزال). إن مطالبتنا بأن نحتمل ذلك كله من النصرة وهي لا تقدم للثورة أكثرَ مما يقدمه أي فصيل آخر في الميدان أمر لا يرضاه عاقل، ولا يمكن أن يقترحه شخص يريد الخير لسوريا والسوريين.

هذا ما كنت سأعمله لو كنت صاحب قرار في الإخوان

عزام التميمي – عربي ٢١ ٢٠١٧/٣/١٣

كان حدث مشاركة جماعة الإخوان المسلمين في الأردن في انتخابات تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٩ حدثا في غاية الأهمية. وكانت تلك الانتخابات فريدة من نوعها في تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية لأنها كانت تقريبا الانتخابات الوحيدة التي تتسم بالنزاهة والحرية، ولم يكن لها مثيل من قبل ولا من بعد.

أسفرت الانتخابات عن فوز ٢٢ من المرشحين الستة والعشرين الذين تقدمت بهم الجماعة، يضاف إليهم ما لا يقل عن عشرة نواب يحسبون بشكل أو بآخر على التيار الإسلامي العريض في البلاد.

اختار الإخوان زعيما لكتلتهم النيابية الدكتور عبد اللطيف عربيات، الذي لم أكن قد التقيته من قبل، ولم أعرف عنه الكثير، وبالتأكيد لم يكن يعرفني ولا يسمع بي.

وكان الفضل في وصلنا ببعض للأستاذ زياد أبو غنيمة رحمه الله، الذي كنت قد التقيته صدفة في لندن بعد حدث الانتخابات المشار إليه، فلما عاد إلى عمان وعلم برغبة الإخوان في إنشاء مكتب لكتلتهم النيابية، بادر إلى ترشيحي لدى الدكتور عبد اللطيف عربيات لأكون مديرا لذلك المكتب، لما توسم في من قدرات أهمها ما اجتمع لدي من خبرة في مجال الإعلام والعلاقات العامة، ومهارات الترجمة من العربية إلى الإنجليزية، وبالعكس. اتصل بي د. عبد اللطيف وطلب مقابلتي، واتفقنا مباشرة، والتحقت به مديرا للمكتب الذي أسسناه وأثثناه معا.

قصة تجربتي في العمل مع الكتلة النيابية للإخوان المسلمين طويلة، وقد يتسنى سردها في فرصة أخرى، إلا أن ما يهمني هنا هو أن تطورات الأحداث والتفاعلات داخل الجماعة، اضطرتني بعد ما يقرب من عامين إلى الاستقالة، والسفر إلى لندن لاستكمال الدراسة العليا.

وجاء ذلك بعد أن تأسست جبهة العمل الإسلامي، التي كان من المفروض أن تكون الواجهة السياسية للإخوان، والحزب الذي يخوض معترك العمل السياسي نيابة عنهم.

لم يكتب لمشروع الجبهة أدنى درجات التوفيق، فقد تراجع الانفتاح السياسي في البلاد، وهمشت الديمقراطية، وتوجه النظام نحو ضبط الانتخابات من خلال تشريعات تحول دون حصول أي حزب سياسي على عدد من المقاعد يخل بالتوازنات التي أراد النظام الملكي الحفاظ عليها.

إلا أن هذه الأسباب القاهرة لم تكن الوحيدة التي أدت إلى فشل مشروع الجبهة، بل كانت الخلافات الداخلية عامل تقويض مهم، خاصة فيما يتعلق بالصلاحيات والمرجعيات، ورغبة البعض في إبقاء الجبهة خاضعة لصانع القرار في «المركز العام» للإخوان.

تركت كل ذلك، وانتقلت إلى بريطانيا، حيث عكفت على إعداد أطروحة في موضوع الإسلام والديمقراطية والعقبات التي تعترض التحول الديمقراطي في المنطقة العربية، مسلطا الضوء على تجربة حركة النهضة التونسية، وفكر راشد الغنوشي كحالة دراسية.

عدت بعد سنوات إلى الأردن، وذهبت لزيارة مكتب جبهة العمل الإسلامي، الذي انبثق عن مكتب نواب الحركة الإسلامية. كانت سمات التردي والتراجع بادية في كل شيء، ولا أدل عليها من أن الشخص الذي كان حينها مكلفا بإدارة المكتب - أي يشغل نفس الوظيفة التي كنت أول من شغلها- هو الشاب الذي أرسله إلى الإخوان عندما كنت مديرا لأكلفه بمهام إعداد وتقديم القهوة والشاي لمن يتردد علينا من النواب أو الضيوف.

لست أقل من قيمة الأخ، ولعله عند الله خير مني وأكرم، ولكن فرقا هائلا وبونا شاسعا يفصل بين مؤهلات من يطلب منه إدارة مكتب حزب سياسي ومؤهلات من يطلب منه تقديم الضيافة لرواد ذلك المكتب.

تذكرت هذه القصة وأنا أتأمل فيما آلت إليه أحوال مكتب الإخوان المسلمين في منطقة كريكلوود في لندن، ذلك المكتب الذي كان في الأساس بمثابة مقر لأمانة عامة لما كان يعرف بالتنظيم الدولي، مهمته بالدرجة الأولى الترتيب لاجتماعات التنظيم، من حيث إجراءات سفر واستقبال المندوبين، وما يتعلق بأمور إقامتهم

وضيافتهم أثناء وجودهم في لندن أو حيث يعقد اللقاء.

لم يكن يصدر عن هذا المكتب إلا النزر القليل مما يمكن أن يهتم له أحد في وسائل الإعلام أو الوسط السياسي. وما صدرت عنه فيما بعد من نشرة مطبوعة ثم إلكترونية تعرف باسم «رسالة الإخوان» كانت جهدا متواضعا، لا يضر وإن كانت فائدته محدودة، ولعل بعضنا كان يعتبره اجتهادا أدبيا مشكورا، رغم ضعفه وعدم اكتراث كثير من الناس به، لمن يشكلون طاقم مكتب الخدمات هذا.

جاءت أحداث الربيع العربي، ثم الثورة المضادة، ثم الأزمة الحادة داخل جماعة الإخوان المسلمين، فإذا بمن كانت مهمته يوما ما ترتيب الضيافة وإجراءات السفر والاستقبال يتصدر المشهد، ويصدر القرارات الحاسمة الفاصلة، وينشر البيانات ويوجه الرسائل، وينطق باسم أكبر جماعة إسلامية إصلاحية عرفها التاريخ المعاصر، رغم أن أوجه القصور في قدراته ومؤهلاته لا يتسع المجال هنا لسردها.

ولعل هذا ما ساهم مساهمة فاعلة في تعميق الصدع داخل الجماعة، وفي إطلاق العنان للشامتين والمتربصين بالإخوان، بل وشجع أعدادا من المحبطين واليائسين على اللجوء إلى معاول الهدم ليأتوا بها على ما تبقى من احترام وقيمة وتقدير لهذه الحركة المنتشرة حول العالم.

ولقد كانت الرسالة التي وجهت إلى مؤتمر القمة العربية في عمان وما تلاها من تصريحات وبيانات ركيكة ومتهافتة ومنبطحة ومناقضة لفكر الجماعة ومنهجها القشة التي قصمت ظهر البعير، وكشفت عورة مكتب كريكلوود ومحدودية قدرات وتواضع مؤهلات القائمين عليه.

لقد قامت جماعة الإخوان المسلمين على فكرة، وما من شك في أن الفكرة نبيلة وجميلة وطموحة، وهي أن نهضة أمتنا وصلاح حالها لا يكون إلا بالإسلام، وأن إصلاح أحوالنا يبدأ بالفرد فالأسرة فالمجتمع فالدولة، وأن عملية الإصلاح داخل مجتمعاتنا لا تتم إلا بنهج سلمي طويل النفس وطويل المدى، ينتهي بإرادة الله إلى إعادة الاعتبار لشرع الله تعالى وللحكم الشوري الذي أسست له الخلافة الراشدة.

إلا أن الفكرة اليوم لا تجد من يخدمها كما ينبغي بسبب ما تعرضت له الجماعة من ضربات قاصمة متتالية، وما آلت إليه أوضاعها من أحوال من التشظي والتشاحن والتدابر والتنافس بين أبناء الجماعة الواحدة. والأمر يتطلب إلى علاج سريع، وإلى جرأة وإقدام.

لو كنت صاحب قرار في جماعة الإخوان المسلمين لأمرت بادئ ذي بدء بما يلي:

١- إغلاق مكتب كريكلوود في لندن، وإعفاء جميع من فيه من أي مهام كلفوا بها من قبل، أو نصبوا أنفسهم للقيام بها من بعد.

٢- إلغاء القرارات كافة التي صدرت عن أي جهة تدعي النطق باسم القيادة، ونجم عنها فصل أو تجميد أو غير ذلك من العقوبات بحق أي عضو من أعضاء الجماعة منذ الانقلاب العسكري الغاشم في مصر في تموز/ يوليو ٢٠١٣.

٣- حظر احتكار أي عمل أو نشاط أو مبادرة أو جهد يخدم الفكرة التي قامت من أجلها الجماعة، والإعلان بأن هذه الأعمال أو النشاطات أو المبادرات أو الجهود مرحب بها فرديا وجماعيا وفي كل الميادين والساحات، ومن يوفق تجني الجماعة ثمار نجاحه ومن يخفق فلن يضرها إخفاقه، ولكل مجتهد نصيب.

٤- الدعوة إلى البدء بإجراءات عملية لرأب الصدع ولم الشمل ورص الصفوف حتى تستعيد الجماعة عافيتها وتستأنف جهادها وتؤدي رسالتها.

التعاون الإسرائيلي الإيراني

بقيت ثورة الخميني تسير على نفس منهج الشاه بالتعاون مع إسرائيل، وكان الشاه يقول عن هذه العلاقة: "إن العلاقة بين إسرائيل وإيران تشبه تلك القائمة بين عاشقين يعيشان قصة حب غير شرعية".

أبو الحسن بني صدر، أول رئيس لجمهورية إيران بعد الثورة، سأل الخميني: هل سمحت باستيراد السلاح من إسرائيل؟ فقال: نعم، إن الإسلام يسمح بذلك، وإن الحرب هي الحرب!

أما "تريتا بارسي" صاحب كتاب "التحالف الغادر: التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة الأمريكية" فيعتقد أنّ العلاقة بين المثلث الإسرائيلي-الإيراني- الأمريكي تقوم على المصالح والتنافس الإقليمي والجيو-استراتيجي وليس على الأيديولوجيا والخطابات والشعارات التعبوية الحماسية، ولذلك فإن إيران وإسرائيل ليستا في صراع أيديولوجي بقدر ما هو نزاع استراتيجي قابل للحل.

أولاً : التعاون في مجال التسليح:

1 - لقد كانت إسرائيل المصدر الأول للسلاح لإيران في الفترة من -1980 1985.

2 - بدأ هذا التعاون من خلال شركة صادق طبطبائي بالتعاون مع يوسف عازر المرتبط بأجهزة المخابرات والجيش الإسرائيلي، وقد زار طبطبائي إسرائيل في 6/12/1980، فبدأت شحنات السلاح الإسرائيلي تتدفق على ثورة الخميني.

-3 أندريه فريدل وهو يهودي إسرائيلي، صدّر كميات ضخمة لإيران بإشراف وزارة الدفاع الإسرائيلية.

4 - العقيد يعقوب النمرودي، الملحق العسكري الإسرائيلي الأسبق بطهران زمن الشاه، فتح خط تسليح لإيران من إسرائيل.

5 - في 18/7/1981 أسقطت طائرة أرجنتينية بروسيا كانت تنتقل بين إيران وإسرائيل، محمّلة بأنواع السلاح وقطع الغيار، بما قيمته 150 مليون دولار.

6 - في سنة 1984 تم عقد صفقة أسلحه إسرائيلية إلى إيران قيل إن قيمتها بلغت 4 مليارات دولار.

7 - نشرت صحيفة "هاآرتس" "تقريرا لوزارة الدفاع يؤكد تزويد إيران بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية بـ 58.000 قناع مضاد للغازات السامة، كاشفات للغازات تستعمل لغرض الكشف عن عوامل الأسلحة الكيماوية، ونصب أنظمة السيطرة على الحرائق في الدبابات.

8 - نشرت صحيفة "هآرتس" أيضاً مقالاً عن محاكمة دانبار السرية تضمن ما يلي: بين 1990 إلى 1994 باع لإيران 150 طنًا من مادة كلوريد التايونيل، التي تدخل في صناعة غاز الخردل، ووقع عقدًا لبناء مصنع قادر على إنتاج العديد من الأسلحة الكيماوية، إضافة لمصنع ينتج أغلفة القنابل التي تستعمل لتلك الأسلحة، وباع الإيرانيين 22 عربة مزوّدة بمعدات خاصة بالحرب الكيمياوية، وأنه كان حلقة الوصل بين إيران وما يقارب من 100 شركة إسرائيلية.

9 - كذلك نشرت صحيفة "جيروسليم بوست" مقالا كشف أن شركة إسرائيلية باعت لإيران بين الأعوام 1980 - 1990 معدات بلغت قيمتها أكثر من 50 مليون دولار، وبموافقة وزارة الدفاع الإسرائيلية.

ثانيا: التعاون في مجال النفط:

-1 اشترت إيران من إسرائيل ما استولت عليه من سلاح الفلسطينيين في لبنان سنة 1982م بقيمة 100 مليون دولار دفعتها شحنات نفط لإسرائيل.

2 - في 12/2002 قام رجل أعمال إيراني مقرب من الرئيس خاتمي بزيارة سرية إلى إسرائيل لتجديد عمل أنبوب النفط إيلات- أشكلون الذي تعود ملكيته إلى الحكومتين الإيرانية والإسرائيلية، وتم الاتفاق على نقل النفط الإيراني بحراً إلى ميناء إيلات ومنها إلى أشكلون عبر الأنبوب، حيث سيسوق من هناك الى الدول الأوروبية، لاختصار الوقت وتجنب عمولة قناة السويس المصرية!

3 - في 1/2007 ظهر مشروع إسرائيلي لنقل الغاز الطبيعي من إيران إلى إسرائيل عبر تركيا، من خلال أنبوب بحري بطول 610 كيلو متر بين الشاطئ الجنوبي - الشرقي لتركيا وحيفا.

4 - كشفت "نشرة أخبار الطاقة الإسرائيلية" أنّ إسرائيل تستورد النفط الإيراني عبر أوروبا منذ سنوات!!

ثالثاً : تعاون في مجالات متعددة:

1 - كشفت صحيفة يديعوت أحرونوت أن ثلاثة مهندسين إسرائيليين شاركوا في ترميم بنى تحتية قريبة من المنشأة النووية في مدينة بوشهر الإيرانية تضررت من هزات أرضية.

وكان وزير البنى التحتية أرييل شارون في حكومة بنيامين نتنياهو بين السنوات 1996-1999 قد أمر بتسليم الإيرانيين قسما من مخططات البناء التي نفذتها إسرائيل في إيران أيام الشاه!

2 - ووفقا ليديعوت أحرونوت فإن نائب مدير عام وزارة الزراعة الإيرانية من منطقة بوشهر زار إسرائيل سرا لفحص إمكانية تجديد مخزون العتاد الزراعي من إسرائيل.

3 - أبرمت إيران صفقة كبيرة بواسطة شركة صينية مع شركة إسرائيلية تختص بأجهزة إنذار للسيارات الحكومية، ومن ضمنها سيارات الشرطة الإيرانية وسيارة أحمدي نجاد شخصيا!!!

4 - أكدت صحيفة معاريف أن إيران وإسرائيل تقيمان علاقات في مجال الأبحاث، حيث تقابَل مندوبون رسميون منهما في الأردن مع نظرائهم من الدول العربية لبحث إقامة "مُسارع للذرات" يستخدم في الأبحاث البيولوجية والكيميائية والفيزيائية والطبية.

-5 وبحسب الإحصاءات الصادرة من مراكز يهودية فإن اليهود يتناقصون في تجمعاتهم المنتشرة في العالم أجمع إلا في إيران فإنهم يزدادون!!

* هذا ملخص بحث "التعاون الإسرائيلي الإيراني"، المنشور في الراصد العدد 71.

www.alrased.net

الرصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٦٨ رمضان ١٤٣٨هـ

السعودية تتفوق مجدداً بحزم وعزم

31 السلاح الإيراني تصدير للثورة ونشر للفوضى

38 التجربة السياسية الشيعية .. شيعة لبنان

62 ذاكر نايك حين اصبح مسؤولا عن الإرهاب

المحتويات

فاتحة القول

$ السعودية تتفوق مجدداً بحزم وعزم ٢

فرق ومذاهب

$ حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج: (٢) تنظيم الكلية الفنية.....أسامة شحادة ٤

سطور من الذاكرة

$ ثورات الخوارج (٨): الخروج على والي البصرة عبد الله بن عامر.....هيثم الكسواني ٢٥

دراســــــــات

$ التشيع المعاصر في العراق وجهود مقاومته (٢-٢).....عبد العزيز بن صالح المحمود ٢٨

$ السلاح الإيراني.. تصدير الثورة، ونشر الفوضى.....أسامة الهتيمي ٣١

$ التجربة السياسية الشيعية الحديثة (٤): شيعة لبنان.....بوزيدي يحيى ٣٨

$ المرأة في المشروع الإسلامي.. قراءة أولية.....فاطمة عبد الرؤوف ٥١

كتاب الشهر

$ المدُّ الرافضي في الفلبين: النشأة والواقع والآثار وسبل المقاومة.....أسامة شحادة ٥٥

قالوا

..... ٦٠

جولة الصحافة

$ حين أصبح الداعية الهندي (ذاكر نايك) مسؤولًا عن (الإرهاب) في العالم!.....ميرفت عوف ٦٢

$ كفى متاجرة بقضية فلسطين.....أنور مالك ٦٤

$ ترمب والحلفاء والخيارات الثلاثة لإيقاف أنشطة إيران المقلقة.....أمير طاهري ٦٦

$ روحاني: الاعتدال والديمقراطية!.....منار الرشواني ٧١

$ وفاز روحاني... إيران والسُّنَّة.....توفيق محمد مصيري ٧٢

صدى الرائد

www.alrased.net

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٨)
رمضان (١٤٣٨ هـ)

www.alrased.net
info@arased.net

السعودية تتفوق مجدداً بحزم وعزم

في ظل الأوضاع السياسية غير المستقرة، وعلى وقع المعارك العسكرية في المنطقة، وبرغم التحولات الدولية والتقلبات غير المستقرة؛ **نجحت السعودية بترتيب عدة قمم سياسية في هذا الوقت العصيب.**

نجحت السياسة السعودية في التعامل مع ترامب -صاحب التصريحات النارية ضد السعودية والإسلام!-؛ بحيث جعلته يعدل عنها، وفتحت معه صفحة جديدة نحو علاقة متوازنة بدلًا من حالة الإعراض أو التحريض، ونجحت السعودية في قيادة العرب والمسلمين والشراكة مع أمريكا نحو محاربة الإرهاب؛ الذي تتزعمه إيران تجاه عدد من الدول والشعوب المسلمة وغير المسلمة، ومحاربة الإرهاب الذي تقوم به داعش لخدمة مصالح أعداء الأمة؛ من إسرائيل وإيران وروسيا، بل وحتى مصالح أمريكا والغرب.

كما نجحت السعودية في تعرية إيران وإرهابها، واعتبارها عدوًّا مشتركًا للسعودية وأمريكا، بعد توقيع الإستراتيجية المشتركة، وذلك بعد أن ظنت إيران أنها بصفقتها النووية مع أوباما قد تفوقت على غريمتها السعودية السنية، وطوت صفحتها للأبد!

لكن السياسة السعودية والمعروفة بالهدوء، وعدم الإثارة، والنفَس الطويل؛ قلبت الطاولة على رؤوس الملالي، مما استدعاهم للتجديد لروحاني لتمرير الخسارة، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من عدوانها في العراق وسوريا واليمن، بعد تبدل الموازين.

فمِن المعلوم: أن ديمقراطية الملالي تتكون من مرحلتين:

الأولى: يختار وليها الفقيه عبر رجالاته من يصلح للترشح، وفعلًا من مئات المرشحين اختاروا ستة فقط!

ثم في الدرجة الثانية: يختار المرشد من ينجح بعد أن يأمر الآخرين بالانسحاب، وعندها تشتغل ماكنة التزوير لتنفيذ خيار المرشد الذي توافق مع خيار الناس فيما يبدو، وإلَّا فحملات التزوير كانت معلنة والبطاقات بلا صور كانت منتشرة، ولكن حاجة إيران الملالي للرضوخ وعدم العناد والتصعيد أسهمت في عودة روحاني علَّه يتمكن من تهدئة ترامب!

فإذا كانت إدارة أوباما سمحت أو تغاضت عن سعي إيران لإنشاء طريق يمتد من إيران للبحر الأبيض؛ فإن إدارة ترامب واضح أنها لن تسمح بذلك، ولذلك فهناك تسابق محموم الآن لملء فراغ داعش على حدود العراق وسوريا، وبسبب ذلك تمركزت القوات الأمريكية في البادية الشرقية قرب معبر التنف في عمق الصحراء، وقصفت طائرات التحالف القوات السورية وحزب الله؛ التي حاولت التقدم نحوه، في خطوة لقطع طريق بغداد-دمشق على إيران.

نجحت السعودية بكسب أمريكا لصفِّها في هذا الجانب، بعد أن تواطأت إدارة أوباما مع جرائم إيران والميلشيات الشيعية والنظام السوري، فلم تسمح للثوار بالتسلح، ولا دافعت عنهم، ولا منعت قصفهم وقتلهم! وتركت الروس والإيرانيين والمليشيات الطائفية الشيعية والنظام السوري المجرم يواصلون القتل بالقصف وبالكيماوي، ويواصلون تعطيل مجلس الأمن بالفيتو الروسي.

نجحت السعودية بتبنِّي معالجة الإرهاب على مستوى العالم؛ من خلال إطلاق «المركز العالمي لمحاربة التطرف والإرهاب»، وذلك بعد فشل محاولات إيران وشركائها ولوبيِّها السياسي في أمريكا بوصم السعودية بكونها مصدر الإرهاب.

ولكن الحقائق سرعان ما تكشفت للعالم كله؛ بأن التشيع كفكر خرافي يقوم على تكفير المخالفين، واستباحة أموالهم، والسعي للهيمنة على العالم أجمع هو محضن الإرهاب، ولذلك قامت إيران بتأسيس مئات الميلشيات الشيعية الطائفية والإرهابية في ربوع العالم، وعبر مختلف القارات؛ لتنفيذ مخططاتها بالهيمنة والنفوذ.

ومن جهة أخرى؛ رعت إيران العديد من التنظيمات المقاتلة والإرهابية، وعلى رأسها: تنظيم القاعدة، وتنظيم داعش، وقد صدرت

عدة قرارات قضائية تدين إيران وأتباعها بجرائم إرهابية، ومن آخر هذه الأحكام القضائية: إدانة إيران بهجوم (٩/١١) في نيويورك.

نجحت السعودية وبالتكامل مع الدول العربية والإسلامية -وخاصة الأردن- في طرح قضية فلسطين بوضوح في القمة الإسلامية، وأن الإرهاب اليهودي بالاعتداء على الفلسطينيين والمسجد الأقصى وإنشاء المستوطنات لا بد أن يتوقف، ويوضع له حد؛ لينتهي الإرهاب من المنطقة، بل إن الإرهاب اليهودي بظلم الأبرياء الفلسطينيين؛ بالقتل، والتفجير، والحصار، واحتلال الأرض؛ هو مما تتغذى عليه ذرائع الإرهاب الإيرانية الشيعية، وجماعات التكفير والإرهاب؛ كداعش.

هذا النجاح السعودي المتجدد أغاظ أبواق الملالي؛ من مرتزقة الإعلاميين القوميين واليساريين -وبعضهم نصارى-، فانطلقت حملة إعلامية مكثفة لمهاجمة السعودية والقمم الثلاث، فبعضهم يتباكى على فلسطين، وأن القمم لم تكترث للأسرى المضربين!

وتناسى هؤلاء أن إيران (المقاومة) هي من طلبت اقتصار صفقتها السرية مع إدارة أوباما على النووي الإيراني! **بينما القمم السعودية طرحت قضية فلسطين علنًا**، وكانت كل اتفاقياتها مكشوفة معلنة.

وبعضهم أخذ يحدِّثنا عن الخيانة والعمالة بالتطبيع مع أمريكا وإسرائيل، بينما حين كان ظريف وجون كيري يلفان العالم معاً لم يكن ذلك خيانة ولا عمالة! وحين يحضر مندوبو إيران وإسرائيل من سنوات اجتماعات «المركز الدولي لضوء السنكروترون» (سيسامي) لا يعد هذا تطبيعًا! لكنها المزايدة السياسية وبيع الشعارات على الأغبياء!!

وبعضهم ردد تصريحات وزير خارجية إيران -غير الظريف-: أن أمريكا تستنزف أموال السعودية، وتبتزها بشراء الأسلحة.. وكأن مليارات نفط إيران ينعم بها الشعب الإيراني الرازح في الفقر والحاجة؟! وكأن الشعب العراقي يعيش بحبوحة! وهو الذي نهبت مئات مليارات من الحكومات الشيعية المتعاقبة لصالح طهران، ألم تصرف هذه المليارات على قتل الشعب السوري، وعلى سداد فاتورة الغزو الروسي لسوريا؟!

إن هذه النجاحات للسعودية هي في الواقع تصب في مصلحة أمة الإسلام، ففي الوقت الذي تشهد فيه عدة دول مسلمة أزمات طاحنة كانت السعودية في طليعة من مدَّ يد العون لإنقاذهم مما أصابهم، وتنوعت هذه المساعدات والمساهمات من دعم سياسي واقتصادي، ومساعدات خيرية في فلسطين وسوريا والعراق ولبنان ومصر وليبيا وغيرها، إلى شن حرب على الحوثيين الطائفيين في اليمن.

وإن بقاء السعودية قوية قادرة على دعم قضايا الإسلام على الأصعدة السياسية والاقتصادية والعسكرية لهو من الأهمية بمكان، ومن هنا ينبع شدة الخبث والمكر الذي يروجه الإعلام الإيراني واليهودي ضد السعودية، والذي يردده كثير من الطيبين بسذاجة وغفلة واستدراج شيطاني! يشْبه خداع ابن سبأ اليهودي لمحمد بن أبي بكر الصديق ليهاجم مع الخوارج الدهماء صاحب رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه -ذي النورين، والخليفة الراشد الثالث، والمبشر بالجنة-.

فإذا كان ابنُ اليهودية خدع ابنَ الصديق؛ فكيف لا ينخدع بعض الطيبين في زماننا؟ وإذا كان ذو النورين في عصر الخلافة الراشدة وجد من يشكك به؛ فكيف بالسعودية في زمن المُلك الجبري والعضوض؟

إن التعاون على الصواب من السعودية -أو غيرها من الدول- هو الواجب على العقلاء، وهو الذي يؤصل لنهج التعاون والتكامل على القضايا المشتركة، وهو النهج الذي يحقق إنجازات، لأن التطابق في كافة المسائل أو غالبها من الصعوبة بمكان، فلنتعاون على النقاط المشتركة دولًا وشعوبًا، **ولو نجمع مع هذا التوافق على القضايا المشتركة:** عدم تعمد العرقلة والخلاف ممن لم يتوافق؛ لحققت أمتنا كثيرًا من آمالها وطموحاتها.

للأسف هناك ازدواجية لدى بعض الإسلاميين من المواقف السياسية؛ إذ لا يقيمونها بذاتها بل بأصحابها، فمثلًا: هم يتقبلون المواقف التي لا يحبونها إذا صدرت من تركيا وأردوغان، بينما نفس الموقف لو صدر من دولة أو زعيم آخر فإنهم ينتقدونه، وهذا من أسباب تخلف النصر التام عن الأمة؛ لأنه نوع من الظلم الذي لا يقبله الله ﷻ!

وحتى يكمل نجاح السعودية ينبغي أن: تجتهد في تطوير ماكنتها الإعلامية؛ على غرار تطور ماكنة وزارة الخارجية، فلا يزال الإعلام الإيراني ومرتزقته يتفوقون على الإعلام السعودي، ولن يحصل ذلك إلا بإعلام يليق بهوية السعودية الإسلامية، ويمتلك الحرفية والمهنية والذكاء والمعرفة بالمشروع الإيراني؛ عقيدة، وأيديولوجية، وسياسة، وتاريخًا..

كما بيَّن الأمير محمد بن سلمان في مقابلته الأخيرة عن استحالة الحوار مع نظام يعمل على مجيء المهدي لينشر الفوضى والخراب في المنطقة!!

حكاية جماعات العنف
من الانحراف إلى فكر الخوارج (٢)

أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوَّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ»(١)، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

في هذه السلسلة سنتناول: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

أولًا: الساحة المصرية:

٢- تنظيم الكلية الفنية العسكرية (١٩٧٤):

في يوم (١٨/ ٤/ ١٩٧٤) قام عدد من الشباب الصغار وبعض طلاب الكلية الفنية العسكرية بالهجوم على حراس بوابة الكلية وحراس مستودع الأسلحة؛ من أجل السيطرة على الكلية، والاستيلاء على الأسلحة الموجودة فيها؛ لمهاجمة مقر اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، واحتجاز الرئيس السادات، وإجباره على التنازل عن الحكم، وإعلان قيام حكم إسلامي في مصر!

وفعلًا تمَّ الهجوم، وقُتل (١١) شخصًا، وأصيب (٢٧) آخرون، لكن لم يتمكن المهاجمون من السيطرة على الكلية، وفشلت

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٢٥).

(٢) «الإسلام السياسي في مصر، من حركة إصلاح إلى جماعات عنف»، هالة مصطفى، (ص١٣٩)، وسيشار له لاحقًا: «الإسلام السياسي في مصر».

العملية، لكنها جرَّت مصر وبقية بلاد الإسلام لمسار من دوامة العنف والتطرف والتكفير؛ لم يتوقف إلى اليوم!

إذ لم تمضِ (٦) شهور على انتصار السادات على اليهود في معركة العبور، وسنتان على الإفراج عن آلاف المساجين الإسلاميين من سجون عبد الناصر، وثلاث سنوات على استلامه الحكم بعد موت عبد الناصر؛ حتى قام الشباب المسلم بمحاولة انقلاب على السادات؛ الذي أطلق على عهده: (دولة العلم والإيمان)!!

فما هي خلفيات ذلك الهجوم؟ وما هي تفاصيله؟

في غياهب السجون:

سبق أن ذكرنا: أن عبد الناصر تبنَّى سياسة عدائية تجاه الإسلام، وحارب العديد من الحركات الإسلامية؛ وخاصة جماعة الإخوان المسلمين، والذين ملأ بهم السجون، وسامَهم سوء العذاب ظلمًا وعدوانًا؛ حتى أفرز هذا مناخًا غاضبًا عامًّا، بسبب الظلم، وبسبب هزائمه المتكررة أمام اليهود، مما دعا الشباب بكافة شرائحه للنزول للميادين؛ متظاهرًا ومحتجًّا على الهزيمة النكراء سنة (١٩٦٧)[١].

وفي نفس الوقت، ولكن في السجون؛ كان هناك مناخ آخر أكثر سوءًا وظلمًا، ويبدو أن هذا المناخ كان يتشكل بوعي من سلطات عبد الناصر، فمعلوم أن عبد الناصر اعتمد سياسة تقوم على افتعال التخريب والتفجير؛ كما أقرَّ بذلك خالد محيي الدين -أحد الضباط الأحرار- في مذكراته، ومنها: حادثة المنشية.

وبسبب هذه الجرائم المفتعلة تم حلُّ جماعة الإخوان، ومن ثم اعتقال الكثير من قادتهم وأفرادهم.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل كان هناك التعذيب المنظم[٢] الذي يستهدف -فيما يبدو- تحويل السجناء لقنابل موقوتة، تؤمن بالعنف وتمارسه بوحشية، ولما يكفِ التعذيب؛ لذلك تم تدبير وافتعال عدة محاولات للتمرد في السجون من أجل إقامة مجزرة بحق السجناء[٣].

لقد كان تأثير الظلم والتعذيب في السجن كبيرًا على السجناء، ويكفي أن نستمع لما يقوله محمد قطب عن بداية مرحلة السجن وكيف غيَّرته -رغم أنه لم يُسجن طويلًا-: «أول تجربة من نوعها كانت من العنف والضراوة بحيث يمكن لي القول: إنها غيرت نفسي تغييرًا كاملًا، كنت أعيش من قبلها في آفاق الأدب والشعر والمشاعر المهمومة، أعاني حيرة عميقة، وكانت تلك الحيرة تشكل أزمة حقيقية في نفسي، استغرقت من حياتي عدة سنوات.

غير أن الدقائق الأولى منذ دخولي ذلك السجن، والهول الذي يلقاه نزيله، بدَّلت ذلك كل التبديل، لقد أحسست إذ ذاك أنني موجود، وأن لي وجودًا حقيقيًّا، وأن الذي في نفسي حقيقة وليس وهْمًا، وهذه الحقيقة هي: السير في طريق الله، والعمل من أجل دعوته، وعرفت حينها حقيقة المؤامرة الضارية ضد الإسلام، وانتهت الحيرة الضالة، ووجدت نفسي على الجادة»[٤].

وأما عن التأثير البعيد للسجن والظلم والتعذيب؛ فيحدِّثنا عنه سيد قطب فيقول: «العنف الذي يتضمن: التعذيب والقتل والتشريد وتخريب البيوت.. هذا العنف هو الذي أنشأ فكرة الرد على الاعتداء -إذا تكرر- بالقوة»[٥].

سيد قطب وردة العنف السياسي:

خلال هذا السجن أعاد سيد قطب البحث والتأمل في تجربة جماعة الإخوان المسلمين مع زميله محمد هواش؛ فوصلا للنتائج

---

(١) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة»، كمال حبيب، (ص٢٦).

(٢) حول تعذيب سيد قطب، راجع: «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد»، صلاح الخالدي، (ص٣٤٧).

(٣) «لماذا أعدموني؟»، سيد قطب، (ص١٥)، ومن اللافت للنظر أن سيد قطب يتهم تلميحًا الصاغ (الرائد) عبد الباسط البنا -شقيق حسن البنا، وقائد كتيبة ليبان طره- بمحاولة جرِّ الإخوان لفخِّ التمرد لإبادتهم! (ص١٤).

(٤) «علماء ومفكرون عرفتهم»، محمد المجذوب، (ص٢٨٠).

(٥) «لماذا أعدموني؟» (ص٦٢).

التالية: «الحركة الإسلامية اليوم تواجه حالة شبيهة بالحالة التي كانت عليها المجتمعات البشرية يوم جاء الإسلام أول مرة؛ من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة الإسلامية...

ولا بد -إذن- أن تبدأ الحركات الإسلامية من القاعدة: وهي إحياء مدلول العقيدة الإسلامية في القلوب والعقول... وعدم إضاعة الوقت في الأحداث السياسية الجارية، وعدم محاولات فرض النظام الإسلامي عن طريق الاستيلاء على الحكم قبل أن تكون القاعدة المسلمة في المجتمعات هي التي تطلب النظام الإسلامي...

وفي الوقت نفسه.. لا بد من حماية الحركة من الاعتداء عليها من الخارج، وتدميرها، ووقف نشاطها، وتعذيب أفرادها... كالذي حدث للإخوان سنة (١٩٤٨)، وسنة (١٩٥٤)، وسنة (١٩٥٧)... وهذه الحماية تتم عن طريق وجود مجموعات مدربة تدريبًا فدائيًّا، بعد تمام تربيتها الإسلامية من قاعدة العقيدة ثم الخلق.. هذه المجموعات لا تبدأ هي الاعتداء، ولا المحاولة لقلب نظام الحكم، ولا المشاركة في الأحداث السياسية المحلية... ولكنها تتدخل عند الاعتداء على الحركة والدعوة والجماعة... بالقدر الذي يسمح للحركة أن تستمر في طريقها»[1].

هذا كان الإطار الحركي والعملي للتصور الجديد لدى سيد قطب، وهو -أيضًا- يتضمن مضمونًا جديدًا لم تعرفه جماعة الإخوان من قبل، يقول سيد قطب: «أصبحت هذه الصورة للحركة الإسلامية في حسِّي تمامًا -كما أصبحت واضحة في حسِّ الأخ هواش-، وبقيت مهمَّة نقلها إلى أفراد ومجموعات أخرى من الإخوان بأية وسيلة؛ لبدء حركة على أساسها، وفي سنة (١٩٦٢) بدأت الحركة فعلًا»[2].

من هنا؛ وصف د. كمال حبيب -أحد مؤسسي تيار الجهاد في مصر -تركه مبكرًا- فكرَ سيد قطب الجديد بقوله: «أما سيد قطب فقد طوَّر نظرية متكاملة ذات طابع ثوري، تقف من النظم موقف الرفض، من منطلق كونها أنظمة جاهلية، لا تفرِد الله بحق الحكم والتشريع..

كما جرى وصف المجتمعات بأنها: مجتمعات جاهلية -أيضًا-؛ لأنها تحكم بقوانين غير إسلامية»[3].

بدأ سيد قطب نشر أفكاره الجديدة بين الإخوان في السجون، وحيث أنه كان في مستشفى سجن (ليمان طره) فقد كان يتواصل مع مساجين الإخوان القادمين للعلاج بالمستشفى؛ سواء من سجن طره أو سجن الواحات أو سجن القناطر، وكانت هذه اللقاءات تتنوع بين لقاءات عابرة بسبب قلة مكث السجين المريض في المستشفى، وبين لقاءات مطوَّلة ومتكررة لمن يمكث مدة أطول للعلاج، وكانت فسحة الرياضة اليومية هي فرصة للالتقاء وتعريفهم بالأفكار الجديدة بحذر؛ لكون سيد قطب ليس له «صفة حركية إدارية في الجماعة تعطى له الحق الشرعي في رسم خطة حركية ولا من توجيه الإخوان إليها»[4].

ولذلك تراوح الموقف من أفكار سيد قطب لدى السجناء الذين قابلوا سيد قطب بين القبول والتوقُّف والرفض؛ بسبب تباين أعمارهم وخلفياتهم الفكرية، ومدة اللقاء بسيد قطب، مما أدَّى لتنوع صورة فكر سيد الجديد عند القطاعات والقيادات الإخوانية؛ حيث فهِم البعض في سجن الواحات: أن سيد يكفر الناس، ولما جاء مندوب من قيادة الجماعة بسجن الواحة للعلاج بيَّن له سيد أنه لا يكفِّر الناس، ولكن «ظل الآخرون في القناطر يلحُّون عليهم بوجوب وقف ما أسموه بالفتنة في صفوف الجماعة.

وظل الحال كذلك؛ حتى نُقل إلى مستشفى طره الأستاذان: عبد العزيز عطية وعمر التلمساني -من أعضاء مكتب الإرشاد

(١) «لماذا أعدموني؟»، (ص١٨، ٢٨).

(٢) المصدر السابق، (ص١٩).

(٣) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة»، د. كمال حبيب، (ص١٥).

(٤) «لماذا أعدموني؟» (ص٢٠).

الباقين في السجون -، والتقيا بي، وأفهمتُهما حقيقة المسألة؛ فاستراحا لها»[1].

إذًا؛ أحدث سيد قطب تجديدًا في الفكر، واعتبر نفسه من سنة (١٩٦٢) منفصلًا عن جماعة الإخوان، وبدأ في طريق جديد، وقد سجل بعض رفاق سيد وأتباعه خلفيات هذا التطور الفكري؛ فيقول رفيقه في السجن وأحد المقربين منه في تنظيم (٦٥) أحمد عبد المجيد: «حدث تغيير في أفكار سيد قطب، فعندما كان في مستشفى ليمان طرة طلب من أسرته كُتب الشهيد حسن البنا، والأستاذ أبو الأعلى المودودي، فبدأ يتنبه إلى أمور كانت غائبة عنه؛ خاصة في ضرورة التركيز على موضوع العقيدة، ثم بدأ يطلب كتب ابن تيمية وابن القيم.

وبدأ التغير في تفكيره وكتاباته، وظهر ذلك جليًّا في الطبعة الثانية من «الظلال»، بدءًا من الجزء (١٣) والأجزاء الأخيرة، وكتاب «خصائص التصور الإسلامي»، و«مقومات التصور الإسلامي» و«معالم في الطريق»»[2].

ويقول الشيخ يوسف القرضاوي: «حدثني الأخ د. محمد المهدي البدري أن أحد الإخوة المقربين من سيد قطب -وكان معه معتقلًا في محنة (١٩٦٥م)- أخبره أن الأستاذ سيد قطب -عليه رحمة الله- قال له: إن الذي يمثل فكري هو كتبي الأخيرة: «المعالم»، والأجزاء الأخيرة من «الظلال»، والطبعة الثانية من الأجزاء الأولى، و«خصائص التصور الإسلامي ومقوماته»، و«الإسلام ومشكلات الحضارة»، ونحوها، مما صدر له وهو في السجن، أما كتبه القديمة فهو لا يتبناها، فهي تمثل تاريخًا لا أكثر.

فقال له هذا الأخ -من تلاميذه-: إذن؛ أنت كالشافعي لك مذهبان: قديم وجديد، والذي تتمسك به هو الجديد لا القديم من مذهبك؟

قال سيد رحمه الله: نعم، غيَّرت كما غيَّر الشافعي رضي الله عنه، ولكن الشافعي غيَّر في الفروع، وأنا غيَّرت في الأصول!».

ويعلِّق القرضاوي: «فالرجل يعرف مدى التغيير الذي حدث في فكره، فهو تغيير أصولي أو إستراتيجي؛ كما يقولون اليوم»[3].

ويوضح القرضاوي طبيعة هذا التحول الفكري بأنه «ركون إلى فكرة التكفير والتوسع فيه، بحيث يفهم قارئه من ظاهر كلامه في مواضع كثيرة ومتفرقة من «الظلال» ومما أفرغه في كتابه «معالم في الطريق»: أن المجتمعات كلها قد أصبحت (جاهلية).

وهو لا يقصد بـ (الجاهلية): جاهلية العمل والسلوك فقط، بل (جاهلية) العقيدة، إنها: الشرك والكفر بالله، حيث لم ترضَ بحاكميته تعالى، وأشركت معه آلهة أخرى، استوردت من عندهم الأنظمة والقوانين، والقيم والموازين، والأفكار والمفاهيم، واستبدلوا بها شريعة الله، وأحكام كتابه وسنة رسوله ﷺ»[4].

ويورد القرضاوي عددًا من نصوص سيد قطب التي تقطع بالتكفير، منها: قول قطب: «ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون!.. إن قضية (وجود) الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج إلى علاج»[5].

وهذه القراءة لطبيعة تطور فكر سيد قطب، وأنها باتجاه التكفير والغلو فيه؛ يقررها عدد من كبار قادة ومفكري جماعة الإخوان المسلمين منهم: المستشار سالم البهنساوي، د. عبد الله أبو عزة.

ولعل مما يدعم هذه القراءة لتوجه فكر قطب الجديد: شهادة محمد رأفت؛ الذي كان عضو قيادة الإخوان المسلمين في الأردن في نهاية الستينيات الميلادية من القرن الماضي، ثم وصلته مناهج التربية التي أقرها سيد قطب لتنظيم (٦٥)، فانقلب محمد رأفت على فكر

---

(١) «لماذا أعدموني؟» (ص٢٤).

(٢) «سيد قطب والتكفير»، تحرير: معتز الخطيب، (ص١١٦، ١٤٧).

(٣) «ابن القرية والكتَّاب»، د. يوسف القرضاوي، (ج ٣، ص ٦٢)، نقلًا عن «سيد قطب والتكفير».

(٤) «سيد قطب والتكفير» (ص٥٥).

(٥) المرجع السابق، (ص٧٥)، نقلًا عن «الظلال» (ج١٠، ص١٩١).

الإخوان سنة (١٩٧٣)، وأسَّس مجموعة باسم «طليعة البعث» تبنَّت تكفير المجتمع، وسحب خلفه غالبية أعضاء الإخوان في منطقة مخيم البقعة في الأردن، وقد استنجدت جماعة الإخوان يومها بالشيخ الألباني للقدوم للأردن، ومعالجة هذا الانقلاب الفكري التكفيري، والذي نجح الألباني في إخماده -بتوفيق الله-[١].

وهذا التأثير السلبي للفكر الجديد لسيد قطب حصل في زمن سيد نفسه، وعلم به وتبرأ منه! فقد سجَّل هو في أوراق اعترافاته بالسجن: أن البعض فهِم منه تكفير الناس، ولكنه اعتبر ذلك فهمًا منحرفًا؛ بسبب قلة وقت اللقاء، أو عدم أهلية من فهِم ذلك[٢].

ويروي عدد من الشخصيات الإخوانية كزينب الغزالي أنها: راجعت سيد قطب شخصيًّا في ذلك، فاستغرب هذا القول، وبيَّن أنه فهْم خاطئ لما كتبه، وأنه سيوضح ذلك في الجزء الثاني من كتاب «معالم في الطريق».

ويروي عبد الحليم خفاجي أنهم: أرسلوا مع إبراهيم الطناني لسيد في مستشفى السجن يسألونه عن فكر التكفير الذي ينتشر بين الشباب ويُنسب إليه، فأجابهم سيد: «لقد فهموني خطأ، ولقد وضعت حملي على حصان أعرج!»[٣].

إذًا؛ هناك فكر جديد نشرَه سيد قطب في السجن، بين سنتي (١٩٦٢-١٩٦٤)، حيث انقسم الناس في السجون لمؤيد لفكر سيد قطب الجديد، وقسم يعارض تلك الأفكار تمامًا، وقسم لم يحسم أمره.

ومن الذين تبنوا الفكر الجديد: مصطفى كامل، ورفعت الصياد، وسيد عيد، وفوزي نجم، لكن سيد لم يبيَّن لنا هنا الذين تبنوا التكفير الأهوج بين المساجين، والذي اشتكى منه قادة الإخوان من أي الأقسام هم؟![٤].

سيد قطب والخروج للحرية:

وفي خارج السجن كان فكر سيد قطب الجديد ينتشر؛ من خلال كتبه التي بقيت تصدر وهو مسجون، خاصة «في ظلال القرآن»؛ والتي أَدخل عليها سيد قطب فكره الجديد، حيث ضمَّن سورة الأنعام أصل كتابه المركزي «معالم في الطريق»[٥].

وقد اعترضت الرقابة على طبع كتاب «معالم في الطريق»، ولم يسمح بطباعته إلا عندما قرأه عبد الناصر، وقال: «لا مانع من نشره»[٦]، فهل كان عبد الناصر يجهل قيمة الكتاب؟ أم كان يسير على سياسة واضحة في رعاية تطور وتوسع هذا الفكر القلِق على الأقل؛ كما تفعل السلطات الأوروبية بالسماح لمنظِّري التكفير في البقاء في أوروبا، ونشر تطرفهم وغلوهم علنًا في أرجاء العالم؛ لتوظيف هذا الفكر مباشرة أو استثمار الفوضى الذي يتسبَّب بها؟

وفي تلك الأثناء -أيضًا- بدأ يتشكل خارج السجن وفي داخل الإخوان تنظيم لإعادة جماعة الإخوان، من عبد الفتاح إسماعيل وزينب الغزالي، وبموافقة المرشد حسن الهضيبي، وفي سنة (١٩٦٢) تواصلت زينب الغزالي مع سيد قطب وهو بالسجن من خلال شقيقات سيد لطلب مشورته في منهج تثقيف التنظيم الجديد، وكان من ضمن المنهج: (مقدمة سورة الأنعام)، وعدد من كتب محمد قطب التي تطورت لتصبح كتاب «معالم في الطريق».

وقد اطلع الهضيبي عليه، ووافق على تدريسه، «وبإذن من المرشد الهضيبي كان الأستاذ محمد (قطب) يأتي بشكل دوري إلى بيتي في مصر الجديدة؛ ليوضِّح للشباب ما غمض عليهم

---

(١) انظر القصة كاملة بقلم محمد رأفت: في كتاب «نصائح وتوجيهات المفكرين وعلماء الإسلام للجماعات والأحزاب الإسلامية» (ص٣٦٦ وما بعدها).

(٢) «لماذا أعدموني؟» (ص٢٣).

(٣) «سيد قطب والتكفير» (ص١٣٥).

(٤) «لماذا أعدموني؟» (ص٢٣).

وسيد عيد بعد الإفراج عنه سيرحل للكويت ويلتقي به هناك عصام برقاوي، والذي سيشتهر لاحقًا باسم أبي محمد المقدسي!

(٥) «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد»، صلاح الخالدي، (ص٣٦٧، ٥٤٦، ٥٥٤).

(٦) «النبي وفرعون»، جيل كيبيل، (ص٢٧).

فهمه، وكان الشباب يستوضحونه ويسألونه أسئلة كثيرة، يجيب عنها»[1].

وحين خرج سيد قطب من السجن سنة (١٩٦٤) التقى بمسؤولي هذا التنظيم الإخواني الجديد (عبد الفتاح إسماعيل، وعلي عشماوي، وأحمد عبد المجيد، ومجدي (عزيز)، وصبري (عرفة)[2] والذي كان سيد يشرف على منهجه التربوي، وحرِص سيد على أن لا يتصل من آمن بفكره بالسجن بهذا التنظيم خارج السجن؛ لأنهم شباب قليلو الخبرة.

وقد حاولوا مع عدد من قيادات الجماعة قيادةَ التنظيم السري الجديد؛ فلم يوافقوا، وبعد قراءتهم لكتابات سيد قطب فهموا ضخامة المهمة، وطلبوا منه قيادتهم.

وأصبح سيد بين خيارين: رفْض ذلك؛ لكونهم لم يكملوا تكوينهم الفكري والعقدي قبل البدء ببعض التدريبات الفدائية، وبين قيادتهم واستكمال النقص في التكوين العقدي والخُلقي وضبط حركتهم.

واختار سيد قطب الخيار الثاني، فكانت قيادته لهم قيادة فكرية لم تتعدَّ لقاء أسبوعيًّا في أفضل الحالات[3].

بدأ سيد مع التنظيم بترسيخ مبدئين:

الأول: إحياء العقيدة في قلوب الإخوان والمسلمين، لكن كان تركيز سيد قطب على قضية الحاكمية تأثرًا بأبي الأعلى المودودي[4]، لكن مع ذلك كان لديه اضطراب في معرفة مفهوم العقيدة والتوحيد عند أهل السنة.

فهو -مثلًا-: يخلط ويعكس بين مفهومي توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وفي توحيد الأسماء والصفات كان يُثبت حينًا ويؤول حينًا!

ولذلك؛ يستنتج د. هاني نسيرة عدم قراءة سيد قطب لتراث ابن تيمية وتلامذته[5]، وهذا يؤكد أن فكر العنف والصدام والتكفير نشأ بعيدًا عن مدرسة ابن تيمية.

والمبدأ الثاني -الذي عمل على ترسيخه سيد قطب في التنظيم الجديد-: مبدأ رد الاعتداء على الحركة الإسلامية، فطُرحت فكرة تفجير بعض المنشآت العامة؛ كالجسور والقناطر، ثم نبَّههم علي العشماوي إلى خطأ ذلك، وأنه تنفيذ لمخطط أعداء الإسلام؛ فتراجعوا عنه.

وهذا يكشف عن سذاجةٍ في التفكير!

وقد توسع د. صلاح الخالدي في بيان خطأ فكرة الرد على الاعتداء، وما جلبتْه من كوارث على الحركة الإسلامية عند تطبيقها![6].

ثم عرض عليهم العشماوي توفير أسلحة للتنظيم، وهو ما يعتبره د. الخالدي توريطًا للتنظيم[7]، وهو يتساوق مع رواية زينب الغزالي عن تعاون العشماوي مع المحققين في السجن[8]، وهذا يؤكد قدرة الأنظمة على اختراق هذه التنظيمات الشبابية، وتوريطها في العنف؛ للبطش بها، وتمرير أجندتها الظالمة، وقد بيَّن سيد قطب: أن

---

(١) «أيام من حياتي»، زينب الغزالي، (ص٣٥).

(٢) «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» (ص٣٧٩).

(٣) «لماذا أعدموني؟» (ص٢٩ وما بعدها).

(٤) حين اطلع المودودي على كتاب سيد قطب «معالِم في الطريق»، قال: «إن ما ورد في الكتاب هو نفس ما أراه، بل كأنني أنا الذي كتبتُه، فقد عبَّر عن أفكاري بدقة». «أعلام الحركة الإسلامية»، عبد الله العقيل، (ص٤٧)، و«سيد قطب والتكفير» (ص١٤٧)، «الحركات الإسلامية في الوطن العربي»، إشراف د عماد عبد الغني، (ج ١ ص ٢٥٥).

(٥) «متاهة الحاكمية» (ص١٧٥)، والصواب عندي: أن سيد تعرَّف على ابن تيمية في نهاية حياته؛ بحسب شهادة أحمد عبد المجيد، والتي سبق إيرادها، لكنها لم تتعمق بسبب إعدامه.

وفي ظني أن سيد لو امتدت به الحياة لغير وعدل في فكره وكتبه، كما عدل غالب ما تم انتقاده عليه في الطبعات الأولى من «الظلال» وغيره، وقريب من ذلك عرضه في أخر حياته المصالحة مع عبد الناصر، راجع: «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» لمعرفة المزيد.

(٦) «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» (ص٣٩٧).

(٧) المرجع السابق، (ص٤٠٠).

(٨) «أيام من حياتي» (ص١٤٩).

إمكانيات التنظيم كانت محدودة، وأنه اضطر لمسايرة واقع التنظيم؛ ولذلك جاءت الضربة للتنظيم سريعة.

ومن هنا نعلم: أن (الكارثة) هي ما ينتظر التنظيمات المستعجلة والشبابية؛ ولو كان مثل سيد قطب على رأس التنظيم[1]!

وفي هذه المرحلة القصيرة لسيد قطب خارج السجن؛ والتي استمرت لعدة أشهر التقى سيد بالكثير من الناس من مصر وخارجها، فقد كان يوم الجمعة مفتوحًا لاستقبال الضيوف، وهذا سمح لسيد بنشر رؤيته، فقد زاره مندوبون عن إخوان العراق والأردن والسودان وسوريا والجزائر[2]، كما أن كتب سيد قطب بقيت تطبع وتنتشر في مصر وفي العالم، ويتفاعل معها الناس بدرجات مختلفة.

المحنة الأخيرة لسيد قطب:

سرعان ما رجع سيد قطب للسجن بتهمة: تكوين تنظيم، عرف باسم تنظيم (٦٥)، وتعرض للتعذيب، ومن ثمَّ حكموا عليه بالإعدام، ونفذوه سنة (١٩٦٦) رحمه الله.

وبدأت مرحلة جديدة من التعذيب الشديد تولد عنه ظهور فكر (تكفير المجتمعات المسلمة) بشكل صريح على يد شكري مصطفى -وهو ما سنتناوله لاحقًا-، وصالح سرية نوعًا ما.

كما أن إعدام سيد قطب كان له تأثير كبير على الشباب في كثير من الدول؛ حيث ملأ قلوبهم بكره السلطة السياسية المصرية عمومًا، والناصرية خصوصًا، وجعل من السهل تقبل فكرة سيد قطب بجاهلية الأنظمة الظالمة، وجاهلية الشعوب اللاهية!

نتائج فكر سيد قطب:

ماذا كان أثر فكر سيد قطب الجديد؟

يجيبنا على ذلك الشيخ يوسف القرضاوي: «ومما قاله بعضُهم: إن الناس قرأوا «الظلال» ولم يفهموا ما فهمته من فكرة (التكفير)، وهذا كلام غير صحيح، فقد أثار جدلًا طويلًا داخل الإخوان في السجون.

ومن آثاره بحث قضية: هل نحن جماعة المسلمين؟ أم نحن جماعة من المسلمين؟ حتى أن مكتب الإرشاد أرسل إلى سيد الأخَ عبد الرؤوف أبو الوفا يسأله عن هذه المسألة... وقد رأينا تجمعات في أقطار مختلفة يُسمون: (القطبيين) يتبنَّون فكرة التكفير... على أن الذين لم يأخذوا فكرة التكفير لم تخطئهم رشحات من تأثير هذا الفكر الثائر الرافض على مفاهيمهم وعلاقاتهم بالآخر، ورفض الانفتاح والحوار..»[3].

ويقول د. عبد الله أبو عزة -الذي كان بمثابة سكرتير التنظيم الدولي للإخوان-: «وقد ظهرت من ثمار هذا التوجيه المعالمي -«معالم في الطريق»-: مجموعات من الشباب تردِّد هذه الأفكار بحرفية وتزمُّت شديدين! حتى أنهم كفَّروا آباءهم وأمهاتهم؛ رغم صَلاتهم وصيامهم! بل كفَّروا إخوانهم في التنظيم؛ لأنهم لم يوافقوا على القول بتكفير المجتمع!!»[4].

الخلاصة: أن فكر سيد قطب الجديد -الذي كُتب بِلغة أدبية وليس بِلغة علمية منضبطة- مهد لوجود قراءات عدة له: منها القراءة التي كفَّرت المجتمع، واستنكرها قادة الإخوان، وراجعوا سيد فيها؛ فأنكرها، وتبرأ منها، وذلك بين سنتي (٦٢-٦٤)، لكن لم نعرف أين ذهب هؤلاء؟ وماذا فعل سيد ليصلح فهمهم! وتكرر ذلك في سنة (١٩٦٥)، ونفى سيد أن يكون هذا فكرُه![5]

---

(١) يرى محمد قطب أن تنظيم (٦٥) كان فخًّا لضرب الشباب المسلم، «البوابة السوداء»، أحمد رائف، (ص٣٨٦).

(٢) «لماذا أعدموني؟» (ص٦١ وما بعدها).

ومهمٌّ هنا زيارة مندوب العراق الذي أعجب بالفكر الجديد لسيد قطب، حيث سيأتي صالح سرية لمصر من العراق بعد عدة سنوات.

(٣) «سيد قطب والتكفير» (ص١١٧).

(٤) المرجع السابق، (ص٤١).

(٥) يقول القرضاوي: «حكى ذلك الأخ إبراهيم عبده نفسه؛ حين قال: لما دخلنا المعتقلات سنة (١٩٦٥) فوجئت -كما فوجئ كثيرون غيري من الإخوان- بفتنة =

وهناك قراءة بقيت داخل تنظيم (٦٥)، وداخل الإخوان، وتتكون من المجموعة التي رافقت سيد في محنته الثالثة والأخيرة، وهي المجموعة التي تُتَّهم بأنها تقود جماعة الإخوان حتى الآن، منذ ذلك الوقت ولو من خلف ستار[١].

وهناك قراءة ثالثة لفكر سيد قطب؛ نبعت من خارج الإخوان، وتنقسم إلى شقَّين: قراءة شقيقه محمد قطب؛ الذي لم يكن في تنظيم (٦٥)، والتي واصلها بعد وفاة سيد، وقراءة في داخل تنظيم (٦٥) لكنها خرجت من الإخوان، وهي قراءة عبد المجيد الشاذلي[٢] (جماعة التوقف والتبين) -وسنعود لها لاحقًا-.

وقراءة رابعة: وهي التي تلقفها كثير من الشباب وأسسوا -بتأثير منها- تنظيمات العنف، أو انضموا إليها، فقد كانت كتابات سيد قطب ملهمة لقادة تيار العنف والقتال مثل: صالح سرية ومحمد عبد السلام فرج وأيمن الظواهري وأبي قتادة وغيرهم[٣]، وهي القراءة التي تهمنا في الوقت الراهن.

ومع وفاة عبد الناصر وتولي السادات للحكم أفرج الأخير عن السجناء، وخرج الإخوان والقطبيون، وبدأ الشباب يتجه بقوة ناحية الإسلام[٤]، وأصبحت مصر تشهد مناخًا فكريًّا مزيجًا من قراءة خاطئة لفكر ابن تيمية -كما بيَّنا سابقًا-، وبين قراءة حرفية -بتعبير د. أبو عزة- لفكر سيد قطب الجديد.

«وهكذا تولَّدت لدى هذا الجيل فكرتان:

الأولى: قتال الطائفة الممتنعة.

والثانية: جاهلية النظام السياسي»[٥].

يقول د. عبد المنعم أبو الفتوح بصفته رئيسًا لاتحاد الطلبة سنة (١٩٧٤) عن وعي الشباب في تلك المرحلة تجاه العنف؛ فيقول: «في ذلك الوقت كانت فكرة استخدام العنف في التغيير مقبولة عندنا، أو على الأقل لا تجد منا رفضًا صريحًا..

وكان أقصى خلافنا مع من تبنوا العنف منهجًا للتغيير: أنهم يتعجلون بطرح أفكارهم في غير أوانها... وكان خلافنا حول التوقيت فقط والملائمة»[٦].

أما د. السيد عبد الستار فيصور عقيدة الشباب في تلك اللحظة التاريخية؛ فيقول: «أستطيع القول أن الحرب بدأت وانتهت ولم يشعر بها غالبية الشباب المتدين، الحرب كانت في بداية الصحوة (١٩٧٣)،

وفي هذا التاريخ كانت العقيدة المسيطرة على الشباب: أن الحاكم فرعون، والجيش هامان، والشباب المتدين يمثلون موسى وهارون! وكان الخطاب الديني السائد يتمحور حول: التكفير وجاهلية المجتمع»[٧]!

وفي خضم هذا المناخ وصل للقاهرة صالح سرية هاربًا من نظام البعث العراقي، لتبدأ فصول تنظيم (شباب محمد) أو تنظيم (الكلية الفنية).

= عارمة، تقول بتكفير المسلمين جميعًا! وتزعم أن هذا القول مرجعه الأستاذ سيد قطب، أوحى به إلى الذين التقوه في مستشفى طره»، «سيد قطب والتكفير» (ص١٢٥).

(١) مرشد الإخوان محمد بديع وعضو هيئة الإرشاد محمود عزت كانوا ضمن المتهمين بتنظيم (٦٥)، «الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة»، حسام تمام، (ص٤١)، بواسطة «اختلاف الإسلاميين»، أحمد سالم، (ص٤٧٤).

(٢) في ترجمته لعبد المجيد الشاذلي كتب رفاعي سرور عن صلة فكر الشاذلي بفكر سيد قطب: «وكان قد سبقها إلى الخروج -أي: رسالة حد الإسلام- كتاب «معالم في الطريق» للأستاذ سيد قطب فكانت أوراق «المعالم» و«الحد» كقطرات اللبن للرضيع، حتى أصبح شباب الدعوة الجدد يردِّدون عبارات هذه الكتابات بثقة ويقين»، فجعلهم شيئًا واحدًا!!

(٣) المصدر السابق، (ص٢٦).

(٤) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص٢٧).

(٥) المصدر السابق، (ص٢٩)، «الإخوان المسلمون الحركة الأم»، د. عبد الله أبو عزة، (ص٢٠٩).

(٦) «عبد المنعم أبو الفتوح، شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر»، (١٩٧٠-١٩٨٤)، (ص٦٥).

(٧) «تجربتي مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري»، د. اليد عبد الستار، (ص١٨٢).

صالح سرية:

يعدُّ صالح سرية شخصية مركزية في جماعات العنف والتطرف المصرية بشكل خاص، والعابرة للقارات أيضًا!

فصالح سرية يعد أول من أسس تنظيمًا ذا خلفية إسلامية؛ للاستيلاء على السلطة بالقوة العسكرية، مما جرف خلفه الكثير من الشباب والطاقات لمسار مدمِّر ومهلك دون ثمرة!

ولم يتبين ذلك لأغلبهم إلا بعد سنوات طويلة في غياهب السجون؛ كقادة الجماعة الإسلامية، وبعض قادة جماعة الجهاد.

بينما لا يزال يواصل نهج الفوضى والتدمير آخرون؛ كأيمن الظواهري وأتباعه، ومن انشقَّ عنهم؛ كالخليفة المزعوم أبي بكر البغدادي!

وقد ساهمت عوامل مختلفة في تكوين شخصية صالح سرية، سنحاول التعرف عليها من خلال تجميع سيرته الذاتية من شتات الكتابات الجزئية عنه.

والغريب: أن سيرة سرية غير واضحة، ولا معلومة بشكل جيد؛ رغم دوره المركزي، وكثير من المعلومات المتداولة عنه مغلوطة أو ناقصة وغير مترابطة!

مولده وتعليمه ووظائفه:

ولد صالح سرية في قرية إجزم التابعة لقضاء مدينة حيفا في فلسطين سنة (١٩٣٦م)، وبقي فيها حتى وقعت هزيمة (١٩٤٨م)، وقامت دولة اليهود، فقامت قوات الجيش العراقي التي انسحبت بنقله وكثيرٍ من الفلسطينيين للعراق؛ ليبدأ مسيرة اللجوء في الشتات وعمره آنذاك (١١) سنة.

فأكمل تعليمه الأساسي هناك، ثم انتظم في كلية الشريعة بجامعة بغداد[1] بعد وساطة الشيخ الصواف له بصفته رئيس جمعية إنقاذ فلسطين، حيث كان يحظر على الفلسطينيين دخول الجامعات العراقية.

أتمَّ البكالوريس سنة (١٩٥٨) تقريبًا، ثم واصل دراسته بعد انقطاع لعدة سنوات، فأخذ الماجستير من كلية التربية، وكانت رسالته بعنوان: «تطوير التعليم الصناعي في العراق»، وقد نشرتها دار الجاحظ ببغداد سنة (١٩٦٩).

وواصل تعليمه حين انتسب لجامعة عين شمس، غالبًا سنة (١٩٧١) للحصول على الدكتوراه؛ والتي نالها عن أطروحته «تعليم العرب في إسرائيل» سنة (١٩٧٢)، وطبعت في بيروت عن مركز الأبحاث الفلسطيني سنة (١٩٧٣)[2].

وقد كان لهذا التخصص في موضوع التربية وعلم النفس دور بارز في كارزمية صالح سرية؛ التي أسر بها الكثيرين! فبجانب الموهبة الربانية كان يمتلك المعرفة العلمية بفنون التأثير والإقناع.

عمل في جامعة بغداد وترقى -بدعم الرئيس عبد السلام عارف-؛ ليصبح وكيل كلية الهندسة التكنولوجية في (١٩٦٥)، وبعد حصوله على الدكتوراه سنة (١٩٧٢) من القاهرة تعاقد مع كلية اللغة العربية بجامعة الرياض، لكن سرعان ما تم إيقاف تعاقده قبل السفر من قبل وزارة الداخلية السعودية.

ثم وظِّف في منظمة التربية والثقافة بجامعة الدول العربية بالقاهرة؛ كخبير في إدارة التربية، ثم سكرتيرًا أول لها[3].

ميوله الفكرية، ونشاطاته التنظيمية المتعددة:

الدارس لسيرة صالح سرية يجد فيها: تنوعًا، وتعددًا، وتبدلًا، وتقلبًا، وجمعًا بين المتناقضات! وأعتقد أن ذلك يرجع لشخصيته

---

(١) مِن اعتراف صالح سرية للمحكمة، «موسوعة العنف»، مختار نوح، (ص١١٩)، ويقول سرية في الاعتراف أن دراسة الماجستير كانت في كلية الشريعة أيضًا، لكن بعد صفحة من نفس الاعتراف يقول إنه تخرج من كلية التربية! ثم يعود بعد عدة صفحات ليقول إنه درس ماجستير شريعة في جامعة بغداد!! فهل هذا خطأ من صالح، أو هو من =

= طابع الاعتراف في المحكمة؟ الغريب أنه في مقابلة مع ابنه أحمد صالح بموقع «محيط» ينفي دراسة والده للشريعة، ويؤكد أنه خريج تربية! ورسالتاه في الماجستير والدكتوراه مطبوعتان، ولا علاقة لهما بالشريعة!

(٢) «الموسوعة الفلسطينية» (ج ٣، ص ٢).

(٣) اعترافه بالمحكمة، «موسوعة العنف» (ص١١٩)، «الموسوعة الفلسطينية» (ج٣، ص٢).

القوية من جهة، ولذكائه ونزعته القيادية وصغر سنه وفرط نشاطه، وأظن أن هذا كان المدخل الذي تم فيه التلاعب بصالح سرية -أيضًا- من قبل آخرين متعددين!

فعلى الصعيد الديني: تعرف الصبي صالح سرية في سنة (١٩٥١) على أنشطة جماعة الإخوان المسلمين الدعوية والخيرية في العراق؛ وخاصة دروس الشيخ الصواف، وانضم لهم وانخرط في أنشطتهم بالكامل عام (١٩٥٨)، وجزء من ذلك: أن النشاط الفلسطيني كان ممنوعًا، فاتخذ من الإخوان جسرا للعمل والنشاط، وأصبح لاحقًا من رموز الإخوان القيادية والعسكرية، حين تولى قيادة الإخوان أو فصيل منهم على الأقل سنة (١٩٧٠)، وهم الذين رفضوا اشتراك رئيس الإخوان عبد الكريم زيدان في حكومة البعث برئاسة أحمد البكر[١].

لكنه -أيضًا- تعرَّف على الشيخ عبد الكريم الصاعقة، وحضر بعضَ دروسه، وهو أبرز العلماء السلفيين في العراق في وقته (توفي سنة ١٩٥٩)، مما ترك بصمات في وعي سرية.

ولعل من تأثير الصاعقة عليه: تأليف سرية كتاب «بين الاتباع والتقليد»، والذي طبع سنة (١٩٥٦) بتحقيق د. عبد الكريم زيدان.

وأيضًا كان لصالح سرية علاقة بحزب التحرير؛ الذي تأسس عام (١٩٥٠) من جهتين:

الجهة الأولى: أن مؤسس الحزب الشيخ تقي الدين النبهاني هو مِن نفس القرية التي ينحدر منها صالح سرية، وهي: قرية إجزم، وأن النبهاني -أيضًا- هو عمُّ زوجة عبد الله سرية -شقيق صالح سرية-، ومن الطبيعي أن يكون صالح قد سمع بفكر وحزب النبهاني، واطَّلع على كتبه ونشراته، أو أن يكون هناك ما يزيد على ذلك من صلة مباشرة أو بالمراسلة.

ومن جهة ثانية: كان لحزب التحرير نشاط في العراق، فقد أرسل النبهاني بعض منظري الحزب للدعوة له في العراق في بداية الخمسينيات من القرن الماضي، كان أولهم وأهمهم: عبد القديم زلوم؛ الذي سيخلف النبهاني في قيادة الحزب[٢]، وقد استجاب لدعوة زلوم الشيخ عبد العزيز البدري؛ فانتسب للحزب، ورحل إلى عمَّان، والتقى بالنبهاني، ودرس عليه فكر الحزب، وأصبح البدري زعيم الحزب في العراق[٣].

وعبد العزيز البدري هو من أصدقاء صالح سرية المقربين، لكنه يكبره بعدة سنوات، فهو من مواليد (١٩٢٩)، وكان لهما لقاءات كثيرة، وقد ترافقا في جولة لعدة دول ضمن وفد العراق في المؤتمر الإسلامي للتعريف بالقضية الفلسطينية سنة (١٩٦٧)[٤].

فكم ساهم البدري في زرع مفاهيم حزب التحرير بعقل صالح سرية؟ بل هناك من يقول: إن سرية كان أحد الأعضاء الموقعين على عريضة ترخيص حزب التحرير في العراق سنة (١٩٥٤)[٥]، لكن لا أدري مدى صحة هذا، فسنُّ صالح سرية آنذاك (١٨) سنة! وهل كان يسمح لغير العراقيين بالمساهمة في إنشاء الأحزاب؟ أم أنه كان حاصلًا على الجنسية العراقية؟

لكن بالتأكيد أن صالح سرية كان على معرفة بفكر حزب التحرير، ومتأثرًا به على الأقل، وساهم ذلك في ميله نحو المشاركة في الأعمال العسكرية للاستيلاء على السلطة في العراق ومصر،

---

(١) «صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين في العراق، نبذة عن التنظيم العسكري»، قصي عبد العزيز فهمي، (ص١٧، ٢٨)، وهو ينقل اعتراف صالح سرية للمحكمة وينسبه لمذكرات صالح سرية! لكن تعليقاته توضح جوانب من الغموض والاضطراب الموجود في اعتراف صالح سرية.

(٢) «أمالي السيد طالب الرفاعي»، رشيد الخيون، (ص٩٩).

(٣) «الحركات الإسلامية في الوطن العربي»، إشراف د. عبد الغني عماد، (١/ ٧٧٦)، «عبد العزيز البدري»، محمد الآلوسي، (ص٦٩).

ويقول الآلوسي: «إن البدري ابتعد عن الحزب منذ سنة (١٩٥٦)، لكنه لم يعلن ذلك لعدة سنوات».

(٤) «صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين في العراق» (ص٢٤).

(٥) «الحركات الإسلامية في الوطن العربي»، نقلًا عن «الإسلام السياسي في العراق الملكي»، رسول محمد رسول، (ص٨٤).

استجابة لفكرة طلب النصرة من الجيش ضد السلطة؛ والتي يتبناها حزب التحرير.

على صعيد نشاطاته الحركية مع جماعة الإخوان -بحسب رواية صالح نفسه في المحكمة- فإنه كان منتسبًا للإخوان المسلمين وأصبح من قادتهم، وأنه كان يرى ضرورة قيام الإخوان بانقلاب عسكري قبل ثورة (١٩٥٨) بالعراق، وأنه فاتح القيادة بذلك، والتي طمأنته أن العمل جارٍ على ذلك.

وبعد الانقلاب اكتشف صالح أن الإخوان شركاء فيه وليسوا قادته، وهو ما أغضبه ولم يقبل به، وحاول مع بعض الضباط في الإخوان المسلمين أن يستولوا على الحكم، لكن الشيوعيين كانوا أسرع من الإخوان، وجاؤوا بعبد الكريم قاسم، واستولوا على الحكم.

وهنا حاول صالح سرية مرة ثانية مع ضباط الإخوان المسلمين في الجيش القيام باغتيال عبد الكريم قاسم، لكن د. عبد الكريم زيدان -رئيس الإخوان المسلمين آنذاك- رفض ذلك.

ولكن يبدو أن سمعة سرية الثورية أصبحت معروفة، فاتصل به البعثيون نهاية سنة (١٩٦٢) للقيام بثورة مشتركة ضد قاسم، لكنه رفض العرض؛ لأنه يرغب بأن يكون الإخوان هم قادة الثورة، ولما نجح البعثيون في انقلابهم تم اعتقاله سنة (١٩٦٣) حتى سنة (١٩٦٤).

ويبدو أن صالح سرية أصبح مغرمًا بالانقلابات العسكرية والمؤامرات السرية، ولم يتعلم من تجاربه الفاشلة! لكنها حماسة أو تهور الشباب، والجهل وقلة العلم!! ففي سنة (١٩٦٨) طلب منه آمر الحرس[1] الجمهوري أن يقنع الإخوان بالاشتراك معه في الانقلاب على الرئيس عبد الرحمن عارف، ويبدو أن آمر الحرس كان قد نسَّق مع البعثيين أيضًا، فلما علِم الإخوان ذلك توقَّفوا عن المشاركة.

ومرة أخرى سبق البعثيون الإخوان؛ وقاموا بالانقلاب، ولكن شارك بعض ضباط الإخوان الذين لم يُبلَّغوا بالتوقف عن المشاركة في الانقلاب، وعيَّن البعثيون رئيسَ الإخوان عبد الكريم زيدان وزيرًا في حكومة الرئيس الجديد أحمد البكر.

لكن مرة أخرى يرفض صالح سرية وبعض قادة الإخوان المشاركة مع غيرهم في الحكم، وبدأ سرية يعمل من جديد على ترتيب انقلاب لإسقاط حكم البعثيين الجديد، يحدثنا ابن صالح سرية: أن بعض شباب الإخوان وحزب التحرير طلبوا من صالح سرية المساعدة في اغتيال البكر ونائبه صدام حسين -الحاكم الفعلي-، وأنه تم التخطيط لذلك بمشاركة عبد العزيز البدري والعميد محمد الفرج -من قيادات الإخوان في الجيش-، ولكن العملية كُشفت، وقُبض عليهما، وأُعدِما، وللتغطية على إعدامهما اتهم النظام صالح سرية بمحاولة قتل البكِر أثناء خضوعه لعملية جراحية؛ من خلال ممرض بالمستشفى من الإخوان المسلمين[2].

ويقول سرية أنه رفض المحاولة لما علم بها، لأنها لا تسقط النظام، بل تبدل الأشخاص فقط، ويؤكد قصي عبد العزيز ذلك، وأنه وصالح سرية لا علاقة لهما بهذه القصة المفبركة، وأنه هرب للكويت ومنها للسعودية وهرب صالح لسوريا عبر الأنبار، وتم القبض على زوجة صالح ووالدة وشقيق عبد العزيز بسبب ذلك[3].

---

(١) في «موسوعة العنف»: «آمر الحزب الجمهوري»، وهو خطأ مطبعي واضح من السياق، والصواب: «آمر الحرس الثوري»، وهو ما صحَّحه -أيضًا- قصي عبد العزيز في كتابه «صفحات من تاريخ الإخوان» (ص٣٤).

(٢) في مقابلة موقع «محيط» مع ابن صالح سرية يقدم رواية ثانية: أن عضوا بالإخوان اسمه: عدنان السعد كان ابن خالته تمرجيًّا (ممرضًا) في مدينة الطب، فحاول إقناعه بالاشتراك في عملية اغتيال صدام حسين وأحمد حسن البكر بدون علم الوالد، وكان هذا الشخص من صفوف حزب البعث، فقال له: أنا سوف أقوم بالمهمة لوحدي، لكن أعطني مسدسًا وسوف أنهي المسألة، وأوهمه أنه سوف يساعده، وأبلغ عنه صدام حسين شخصيًّا، وتم إلقاء القبض على عدنان السعد.

(٣) «صفحات من تاريخ الإخوان المسلمين في العراق» (ص ١٠، ٣٦).

وعلى الصعيد العسكري الفلسطيني: يبدو أن صالح سرية كان يشتعل نشاطًا وهمَّةً نحو تحرير فلسطين؛ كحال الغالبية من الشباب الفلسطيني في الشتات، فانتسب للكلية الحربية ببغداد، وتخرج منها سنة (١٩٥٩) برتبة ملازم ثان[١]، وانضم لجيش التحرير الفلسطيني؛ الذي أنشأه الزعيم العراقي عبد الكريم قاسم، حتى أصبح أقدم ضابط فيه سنة (١٩٦٢).

ولكن صالح سرية لم يكتفِ بهذا العمل العسكري الرسمي، فسرعان ما انخرط بشكل سرِّي سنة (١٩٥٩) في تأسيس «جبهة التحرير الفلسطينية»، مما يؤشر لتعدد الأدوار التي يقوم بها سرية وهو في وقت مبكر من عمره!

«جبهة التحرير الفلسطينية» ستتطور لاحقًا بقيادة أحمد جبريل سنة (١٩٦٨) لتصبح «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» المعتمِدة على الفلسفة الماركسية، والتي سينشق عنها أبو العباس سنة (١٩٧٦) ليعود للاسم القديم.

وهنا يبرز تناقض كبير بين توجُّه صالح سرية الديني، وبين رفاقه في الجبهة؛ الذين هم من التيار اليساري الماركسي، وإذا كان صالح لم يكن يعرف حقيقة رفاقه في سنة (١٩٥٩)، فهو بالتأكيد عرفها سنة (١٩٦٨)؛ حين عُقد مؤتمر بدمشق لكافة مكونات وفروع الجبهة في الدول العربية، دعا له سرية نفسه[٢]!

ويقول صالح سرية: إن ياسر عرفات جاء إليه في العراق في (١٩٦١ و١٩٦٢) لتوحيد عمل المنظمتين (جبهة التحرير، وحركة فتح)، ومن هنا نسجت علاقته الوطيدة مع عرفات، والتي ستتوج بعد هزيمة (١٩٦٧) باندماج في حركة فتح سنة (١٩٦٨)، وأصبح سرية عضوًا في المجلس الوطني الفلسطيني، وشارك في مؤتمره بالقاهرة في نفس العام.

ويقول صالح سرية: إن جبهة التحرير كانت بحاجة إلى المال والسلاح بعد أن كبرت، فوجد أن الحل يكمن في السطو على أموال يهود العراق، وفعلًا نظَّم ونفَّذ سرية وتنظيم الجبهة عدة عمليات ضد اليهود أفرادًا وشركات، وهذا يبيِّن جانبًا من طريقة تفكير سرية غير السوية!

ويواصل سرية بيان انحراف مسار جبهة التحرير عن قضية فلسطين حين طلب فرع الجبهة في الأردن منه المساعدة في قبول نظام عبد السلام عارف على دعمهم في اغتيال الملك الحسين، وقلب النظام الملكي، لكن عبد السلام رفض الفكرة[٣].

وهنا نلاحظ ازدواجية الأدوار الذي يقوم به صالح سرية؛ فهو منتمٍ للإخوان المسلمين، لكنه -أيضًا- عسكري في جيش التحرير التابع للحكومة العراقية! وأيضًا يقود تنظيمًا فدائيًّا فلسطينيًّا سريًّا، ثم يصبح عضوًا في المجلس الوطني الفلسطيني؛ ذي الصبغة العلمانية!

وفوق هذا كله على علاقة وطيدة بزعيم حزب التحرير في العراق، ويشارك في عدة محاولات فاشلة للانقلاب على السلطة!

يقدم حازم الأمين تحليلًا بخصوص تناقضات صالح سرية هذه مفاده: أن «الجهاديين الفلسطينيين» حاولوا توظيف جماعة الإخوان للصدام مع الأنظمة العربية، لكن الإخوان لم يلبُّوا تطلعاتهم، فتوجهوا للعمل على ضفاف التنظيم وفي هوامشه الأمنية![٤]

الخروج من العراق:

بسبب اتهام صالح سرية بمحاولة اغتيال الرئيس البكر -التي ينفيها سرية وصديقه قصي عبد العزيز- هرب سرية إلى سوريا في أواخر سنة (١٩٧١)، وطلب اللجوء السياسي من سفارة مصر بدمشق، ولكنها لم ترد عليه، فجاء إلى مصر بشكل طبيعي لإكمال

(١) «الموسوعة الفلسطينية» (ج٣، ص ٢).

(٢) «الفصائل الفلسطينية من النشأة إلى حوارات الهدنة»، تحرير: صبحي عسيلة، (ص ١٢٩).

(٣) «موسوعة العنف» (ص١٢٠).

(٤) «السلفي اليتيم»، حازم الأمين، (ص٢٦).

دراسته في جامعة عين شمس.

وصول صالح سرية إلى مصر:

جاء سرية لمصر نهاية سنة (١٩٧١) محمَّلًا بأفكاره المتنوعة، ومواقفه الحادة والعسكرية، وعلاقاته المتعددة والمتناقضة!

في البداية: انشغل بإكمال دراسته للدكتوراه؛ والتي حصل عليها في السنة التالية، وفي القاهرة قدم طلب لجوء سياسي لسفارة الأردن، وذكر في الطلب أنه سبق له الاشتراك بمحاولة انقلاب في الأردن؛ فرفض طلبه! وكذلك قدم طلب لجوء لسفارة ليبيا؛ ورُفض الطلب أيضًا -وسنعود لقصة سفارة ليبيا لاحقًا-.

وبعد حصوله على الدكتوراه تعاقد مع جامعة الرياض، ولكن في ليلة السفر جاءت برقية للسفارة بمنعه من السفر للسعودية، فتعاقد مع منظمة التربية والثقافة التابعة للجامعة العربية[١].

تواصل سرية مع جماعة الإخوان المسلمين:

كانت البداية في تواصل سرية مع الإخوان من خلال زينب الغزالي، في بداية سنة (١٩٧٢)، والتي زارها عدة مرات، وتدارس معها حال الإخوان، وأنه لا يصلح النهج السلمي الذي يسيرون عليه، وأنه لا بد من استعمال القوة للوصول لتطبيق الإسلام! فوافقته زينب على ذلك، ولكن أخبرته بضرورة مراجعة المرشد حسن الهضيبي بأي شأنٍ يخصُّ الإخوان، ورتَّبت له مقابلة مع المرشد بناء على طلب سرية.

وفي اللقاء أخبره سرية بسوء أوضاع الإخوان في مصر والخارج، وضرورة إعادة تنظيم صفوفهم ليتمكنوا من الاستيلاء على السلطة، وإقامة الدولة الإسلامية!

وتكررت اللقاءات، وتكرر عرض سرية، وتكرر رفض المرشد لذلك التصوُّر! فيئس سرية من الإخوان، وأيقن أنه لا فائدة ترجى منهم في تنفيذ عمل مسلح، وقرر تكوين تنظيمه الخاص بعيدًا عن الإخوان.

هذه رواية سرية، ولكن شهادة زينب الغزالي تخالف كثيرًا ما قاله سرية، فهل أخطأت زينب أم أخطأ سرية تحت التعذيب؟ أم أنه يميل للمبالغة في دوره؟ أم يكذب ليموِّه على تنظيمه[٢]!؟

علاقة سرية بفكر سيد قطب:

كان سرية مؤمنًا بضرورة العمل العسكري لإقامة الدولة الإسلامية قبل قدومه إلى مصر، وتاريخه في العراق يؤكد ذلك[٣]، أيضًا كان مندوبٌ لإخوان العراق قد زار سيد قطب في سنة (١٩٦٤) عن طريق علي العشماوي، وأعجب بفكر سيد الجديد، وأخبر جماعته بالعراق بذلك، وعاد بعد مدة وقدم (٢٠٠) جنيه دعمًا للتنظيم الجديد؛ الذي يقوده سيد قطب[٤]، فهل كان هذا مندوب أهل العراق فعلًا؟ وهل تعرف صالح سرية من خلال ذلك على فكر سيد قطب الجديد، وتبنيه فكرة ردة الاعتداء، والقوة؟ أم كان هذا -أيضًا- فخًّا من العشماوي للتنظيم؟

لكن تأثير سيد قطب على فكر صالح سرية محل اتفاق بين الباحثين، فمعتز الخطيب يقول: «صالح سرية، وهو صاحب أول تطبيق فعلي للعنف في مصر عام (١٩٧٤) (تنظيم الفنية العسكرية) يقول في «رسالة الإيمان» التي كتبها سنة (١٩٧٣): «إن كل الأنظمة وكذلك كل البلاد الإسلامية التي اتخذت من نفسها آلهة وأربابًا، فكل من أطاعها مقتنعا بها فهو كافر»، معتبرًا هذا «الفرض الأول؛ لأنها أساس التوحيد والشرك في هذا العصر»، ومحيلًا إلى سيد قطب.

---

(١) «موسوعة العنف» (ص١٢٣).

(٢) «موسوعة العنف، اعتراف سرية» (ص١٢٧)، و«شهادة زينب الغزالي»، (ص ١٤٦)، حيث تقول زينب: «إن سرية قدم نفسه لها بصفته عالم حديث، وجاء بعدد من الشخصيات عدة مرات يشهدون له بالتبحر في علم الحديث، ولا يوجد ما يدلل على علاقة سرية بعلم الحديث! وإنه كان معجبًا بجيفارا كثائر ناجح!»، وقد اتهمت زينب سرية بالكذب في إحدى إجاباتها على النيابة.

(٣) «الإسلام السياسي» (ص١٨٦).

(٤) «لماذا أعدموني؟» (ص٤٢).

بل إنه اعتبر في مقدمة رسالته تلك: أن مِن خير التفاسير لمعرفة التفسير الحق للقرآن «في ظلال القرآن» في طبعاته الأخيرة»[1].

أما هاني نسيرة؛ فيعتبر سرية: «الرابط بين تحول الفكر القطبي إلى فكر جهادي انقلابي»، وأن سرية كان جاهلًا بتراث ابن تيمية وخطابه أو مقولاته[2]، وهذا الجهل مفهوم في ضوء سن سرية الصغيرة؛ حيث كان في سن (٣٧) حين اعتُقل في قضية (الفنية العسكرية)، وكان مشغولًا بدراسة التربية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه؛ فضلًا عن انضمامه للكلية الحربية ببغداد، وسجنه هناك سنة تقريبًا، فضلًا عن دوره في نصرة القضية الفلسطينية وسفرياته من أجلها عدة مرات، فمتى يطالع سرية مطولات ابن تيمية ويفهمها؟

ويرى د. محمد مورو: أن سرية اعتمد على ابن تيمية وسيد قطب[3].

عمومًا؛ كان صالح سرية -بحكم تكوينه وتجربته في العراق- جاهزًا للتفاعل مع فكر سيد قطب الجديد الثوري والمناخ الشبابي الغاضب، وحين قرر سرية تكوين تنظيمه الخاص بدأ يبحث في محيط الإخوان المسلمين وبقية المجموعات الشبابية المائلة للعنف.

فكر صالح سرية:

بلور صالح سرية فكره في «رسالة الإيمان»؛ التي ألفها سنة (١٩٧٣)، وهي سنة تأسيس التنظيم، وذكر في مقدمة الرسالة تعريفًا بها يكشف ملامح فكره العامة؛ فقال: «وهذه الرسالة - حسب علمي - هي أول رسالة من نوعها في تشخيص الكفر الذي وقع فيه المسلمون عن علم أو عن جهل؛ بسبب الظروف الجديدة التي وقعوا فيها، ودراستها -في نظري- أهمّ ألف مرة من دراسة قضايا العقيدة التي كُتبت في الماضي»[4]!!

ونلاحظ هنا الانطلاق من الكفر والتكفير للتنظير! وواضح التأثر بفكر سيد قطب في هذا المنطلق، وواضح تصريح سرية بالتأسيس لهذا الفكر التكفيري، الذي يكفِّر غالب المجتمع بدعوى الرضى بالحكومة الكافرة[5]!

لكن يجب أن نتنبَّه إلى أن سرية له مشارب متعددة، لذلك فقد مزج هذا التأثر بسيد قطب الذي يدعو للمفاصلة الشعورية مع فكر حزب التحرير الإسلامي[6]، وتجربة منظمة التحرير الفلسطينية، فخرج بنظرية خليطة؛ تأخذ من سيد قطب نظرة تعميمية في التكفير، ومن حزب التحرير فكرة الانقلاب العسكري التي مارسها الحزب في الستينيات، ثم تخلى عنها وآمن بطلب نصرة الجيش له! ولذلك لم يمانع سرية في الانخراط في الجيوش للانقلاب على السلطة (الكافرة)[7].

واليوم تطور فكر جماعات الجهاد والعنف، وأصبح الانتساب لمؤسسات الدولة؛ وخاصة الجيش والأمن: كفرًا مخرجًا من الملة، ولذلك فهي تستهدف معسكرات الجيش ومراكز التجنيد في عدد من الدول.

تأسيس التنظيم:

التقى سرية بعدد من قادة المجموعات التي تكونت سابقًا في تنظيم نبيل البرعي وانشقّت عنه، وغيرهم؛ فالتقى بإسماعيل طنطاوي، لكنهم لم ينسجموا بسبب فكر طنطاوي المائل للمنهج السلفي نوعًا ما، بينما كان سرية -المتأثر بالإخوان وحزب التحرير- يرغب بتأجيل نقاش القضايا الشرعية والمنهج المتبع، وعدم تقييد العضوية بمن يوافق على ذلك فقط.

---

(١) «سيد قطب والتكفير» (ص٢٦)، وانظر أصل كلام صالح سرية في: كتاب «النبي المسلح» (ص٣٣)، وقد عزا كلامه هذا لـ «ظلال القرآن»!

(٢) «متاهة الحاكمية» (ص١٧٥-١٧٧).

(٣) «الإسلام السياسي»، محمد مورو، (ص١٨٧).

(٤) «النبي المسلح» (ص٣٢).

(٥) «الإسلام السياسي في مصر» (ص١٤٣).

(٦) «الحركات الإسلامية في الوطن العربي» (ص٧٩٩).

(٧) «من النكسة إلى المشنقة، شهادة طلال الأنصاري»، تحرير د. عبد الله سرور، (ص١٠١).

وقابل سرية يحيى هاشم، ولكنهما اختلفوا على منهج التغيير؛ حيث كان سرية يفضل أسلوب الانقلاب العسكري، بينما كان هاشم يصر على طريقة حرب العصابات[1]!

والتقى سرية بمجموعة تكفيرية متطرفة يقودها محمد إبراهيم سالم وشكري مصطفى[2]، وبعبد الله السماوي[3]، لكنه لم ينجح معهم أيضًا.

الغريب: أن هذه المشاورات كانت شبه علنية! يقول د. السيد عبد الستار: «ومثل عملية اغتيال السادات تمامًا كانت عملية (الفنية العسكرية) محسوسة لدى العديد من الإسلاميين؛ الذين دعاهم صالح سرية للمشاركة في الانقلاب، في منطقة النزهة بمصر الجديدة -حيث إقامتي-.

في هذا الوقت تحدث معي أحد الإسلاميين حول استعدادي أن أشارك في عملية لقلب نظام الحكم، وكعادتي بدأت مناقشته حول الموضوع، وعندما قلت له: يجب أن يتلقى المشاركون تدريبًا على الأسلحة أولًا، ثم نختار منهم من يصلحون، قال: يبدو أنك من الذين يقولون: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ﴾[آل عمران:١٦٧]... إنسى الموضوع، ولا تحدث به أحد»[4]، **وتحتار أيهما أغرب العرض أم الرد!!**

لكن بحكم شخصية سرية الكارزمية استطاع استقطاب بعض الشباب الصغار الذين كانت لهم صلة بجماعة الإخوان، على رأسهم كان: طلال الأنصاري، ينتمي لمجموعة من شباب المرحلة الثانوية بالإسكندرية تؤمن بجماعة الإخوان.

لكنها تربَّت على أفكار سيد قطب ومحمد قطب منذ سنة (١٩٦٨)، وكانوا يبحثون عن دور ونشاط يقومون به لخدمة الإسلام.

وعقب إفراج السادات عن عناصر الإخوان سنة (١٩٧١) تواصلوا مع الشيخ علي إسماعيل -شقيق عبد الفتاح إسماعيل، رفيق سيد قطب في تنظيم (٦٥)، وأول من تبنَّى فكر التكفير في السجن علنًا، ثم تراجع عنه.

ومنه استلم شكري مصطفى فكر التكفير، وهو ما سنفصِّله لاحقًا-، فعرَّفهم على قادة الإخوان في الإسكندرية، ثم عرَّف طلال على زينب الغزالي، ومن ثم عرَّفه على المرشد حسن الهضيبي وبايعه[5].

وقد تمكن سرية من تسخير تنظيم الأنصاري ورفاقه لصالحه، فعند صالح سرية وجدوا الدور الذي يبحثون عنه وهو: الإعداد لانقلاب عسكري ضد الدولة.

لكن سرية فصلهم عن الإخوان، ولم يعد لهم صلة بالإخوان في الحقيقة، فيقول طلال الأنصاري -طالب الطب الذي يعد من أقرب مساعدي سرية، والذي تعرف عليه بوساطة زينب الغزالي-: «فهمتُ بعد ذلك أن (حسن الهضيبي) قد توصل إلى صيغة جديدة لاستمرار تنظيمنا وبقائه في يده، ولكن من خلال قيادة أخرى هو: صالح سرية، وأنا اسمِّي ذلك: مرحلة تسليم وتسلم...

فور انتقالنا لقيادة صالح سرية طرحت مسألتين اثنتين:

الأولى: البيعة التي بايعناها لحسن الهضيبي.

والثانية: علاقتنا الحالية -وقتها- بالإخوان كجماعة إسلامية.

وقال لنا صالح: «إن البيعة السابقة للهضيبي مستمرة»، وقرر أن علاقتنا بالإخوان لن تكون إلا من خلاله فقط، وبعدها لم أقابل لا حسن الهضيبي، ولا زينب الغزالي»[6].

وفرض هذه القطيعة بين الأنصاري والهضيبي في ظني: حيلة من صالح للسيطرة على مجموعة الأنصاري، وعدم فضحه عند

---

(١) «التنظيم والتنظير»، عبد المنعم منيب، (ص٢٣).

(٢) «من النكسة إلى المشنقة» (ص٩٥).

(٣) «موسوعة العنف، شهادة حسن الهلاوي» (ص٣٠٤).

(٤) «تجربتي مع الإخوان» (ص١٨٢).

(٥) «موسوعة العنف» (ص١٦٤).

(٦) «موسوعة العنف، شهادة طلال الأنصاري» (ص١٧٢).

قيادة الإخوان[1]؛ خاصة أن المرشد رفض هذا التنظيم، وكذلك سبق أن رفض عدد من قادة الإخوان طلب بعض شباب الإخوان إعادة التنظيم؛ والتي قبل بها سيد قطب، كما أن شخصية الهضيبي ليست شخصية صدامية أو مغامرة، ولكن بساطة طلال الأنصاري وقلة خبرته بدهاليز التنظيمات! جعلته يظن أن صالح سرية كان يعمل لصالح الإخوان، ولذلك بقي يصر على إخوانية التنظيم، وهذا خطأ.

لكن قد يصح أن الأنصاري ومجموعته بقيت على ولائها للإخوان، ولكنها لم تفهم أنها في تنظيم مستقل!![2]، ويؤكد حسن الهلاوي -والذي يعد قائد جناح التنظيم في القاهرة- أن تنظيم سرية كان منفصلًا عن الإخوان.

الشخصية الثانية المهمة في التنظيم كان: طالب الكلية الفنية كارم الأناضولي؛ الذي كان شخصًا عاديًّا، وله عاطفة دينية، وبعد دخوله الكلية صُدم بوقاحة بعض الطلبة في التطاول على الدين وشتم الله ﷻ، مما جعله يزداد تمسكًا بالدين، واعتزالًا لهذه الفئة، لكنها حاربته وأمثاله في الكلية[3]؛ فقد كانت الناصرية والشيوعية لا تزال هي المسيطرة على الجيش.

وهناك روايتان لتعرُّف كارم على سرية:

الأولى: أنه تعرَّف عليه -أيضًا- عند زينب الغزالي[4].

والثانية: أن طلال الأنصاري هو الذي قام بذلك، ولكونهما في القاهرة تطورت علاقتهما سريعًا[5]، وكارم فتح الباب لسرية للتعرف على مجموعة من زملائه بالكلية الفنية، وسخَّرهم للتنظيم.

(١) يؤيد هذا الرأي د. محمد مورو، «الإسلام السياسي» (ص١٨٩).

(٢) مقابل تأكيد الأنصاري لتبعيتهم للإخوان بسذاجة، يأتي النفي المبالغ به لحد رمي الأنصاري بالافتراء من عبد المنعم أبو الفتوح في «شهادته على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر» (ص٦٦).

(٣) «موسوعة العنف» (ص١١٢).

(٤) «الإسلام السياسي»، محمد مورو، (ص١٨٦)، «التنظيم والتنظير» (ص٤٨).

(٥) «من النكسة إلى المشنقة، شهادة طلال الأنصاري» (ص١١٣).

ثم انضم للتنظيم حسن الهلاوي -الذي كان انفصل عن تنظيم إسماعيل طنطاوي[6]-، وكان ذلك مفاجأة للجميع.

مكونات تنظيم سرية:

وبذلك أصبح التنظيم في سنة (١٩٧٣) يتكون من ثلاث مجموعات أساسية:

١- **مجموعة الإسكندرية،** بقيادة الدكتور كامل عبد القادر وطلال الأنصاري.

٢- **مجموعة القاهرة والجيزة،** بقيادة حسن هلاوي.

٣- **مجموعة العسكريين،** ويرأسها: صالح سرية شخصيًّا.

وهي قسمان: عسكريو الجيش ويتبعون سرية، وطلبة الكليات العسكرية ويترأسهم كارم الأناضولي[7].

وكان هدف التنظيم هو: التمهيد لانقلاب عسكري من داخل الجيش للاستيلاء على السلطة، وذلك ضمن برنامج زمني ينتهي بنهاية سنة (١٩٧٥)[8].

لكن حدث ضغط على سرية جعله يسرِّع من موعد التنفيذ، ويبدل الخطة من انقلاب عسكري إلى خطة للقبض على الرئيس السادات في المطار أثناء عودته من يوغسلافيا.

لكن لم تنجز مجموعة الهلاوي التجهيزات فألغيت، وتم استبدالها بخطة القبض على السادات ومعاونيه، في اجتماع لهم يوم (١٩/ ٤/ ١٩٧٤)، ولكن تغيرت الخطة فجأة، وما حدث هو: هجوم فاشل على الكلية الفنية التي كانت خارج الخطط![9]

فكيف حدث هذا؟ وما تفسيره ودلالاته؟

لا توجد إجابة واضحة وصريحة، ولكن من شتات التصريحات والمعلومات يمكن أن نقدم تصورًا قريبًا لما حدث.

(٦) «الإسلام السياسي» (ص١٨٧).

(٧) «من النكسة إلى المشنقة» (ص١٠٣)، «الإسلام السياسي» (ص١٩٠)، «الإسلام السياسي في مصر» (ص١٤٦).

(٨) «من النكسة إلى المشنقة».

(٩) «موسوعة العنف، شهادة طلال الأنصاري» (ص١٧٤).

المهم يجب أن نستحضر أننا نناقش تنظيمًا غالبه من الشباب صغير السن وقليل التجربة، فبحسب أوراق المحاكمة لهذا التنظيم فهو: يتكون من (٩٢) متهمًا، منهم: زعيم التنظيم الذي يحمل شهادة الدكتوراه، ولا يزال عمره (٣٧) سنة، وهو أكبر الأعضاء، ومعه شخص واحد بنفس السن، و(٦) أعضاء فوق (٣٠) سنة، و(٨٤) عضوا تحت (٣٠) سنة، و(٧٤) عضوًا منهم تحت سن (٢٥) غالبيته طلاب!

هذا التنظيم بهذه الإمكانيات الساذجة المادية والمعنوية يريد إقامة دولة إسلامية والقضاء على دولة قائمة انتصرت في حربٍ قبل أشهر، ولديها جيش وشرطة مدربان وقويان! وللأسف لا تزال تتكرر هذه السذاجات؛ فها هو أبو بكر البغدادي يعلن إقامة دولة الخلافة، وهو لا يستطيع أن يؤم أتباعه علنًا في الصلاة في مقر دولته وعاصمة خلافته!

ثم تجد الشباب المتحمس يطير بذلك فرحًا وشوقًا، ويصبح حطبًا في هذه الفخاخ والمؤامرات!!

وتنظيم بهذا المستوى هو ما يعده الباحثون: النواة الأساسية لتنظيم الجهاد[١]؛ الذي سيكبر مع الأيام، ويتفرع عنه تنظيمات، ويقوم باغتيال السادات، ومن ثم يُدخل مصر في دوامةٍ من العنف المدمر الأهوج، ثم يخرج للخارج ويتحالف مع أسامة بن لادن ويقوم بعملية (٩/١١) في أمريكا، ويجرُّ العالم الإسلامي كله لهجمة أمريكية هوجاء على الإسلام والعمل والإسلامي.

ولا تزال هذه المسيرة تفرِّخ تنظيمات أكثر دموية وإرهابًا وتكفيرًا؛ كداعش، وقد أصبحنا حاليًّا على مشارف مرحلة جديدة قد تشهد اندماج القاعدة وداعش أو ظهور ما بعد داعش!

حادثة الكلية الفنية:

يقول طلال الأنصاري أنه ورفاقه في الإسكندرية لم يطيقوا الصبر حتى سنة (١٩٧٥)، وضغطوا على سرية لدرجة التآمر -تقريبًا- على سرية للقيام بعمل الآن، فقد اكتملت التجهيزات وهم في شوق للجهاد!

ويعترف الأنصاري أن ذلك الضغط كان خطأ، وهو يشبه الضغط على عبود الزمر لقبول فكرة عملية اغتيال السادات[٢] - وهو ما سنفصِّله لاحقًا -.

وهذا يؤكد لنا عفوية وبساطة وسذاجة إدارة هذه التنظيمات، هذا في حالة حسن الظن بها!

ولكن هذه المعلومة لا تتوفر عند غير الأنصاري، لأن أغلب المصادر تتحدث عن ضغط كارم الأناضولي على سرية للاستيلاء على الكلية الفنية[٣]! ويمكن أن نجمع بين الروايتين بأن هناك نوعين من الضغط حصلًا فعلًا: ضغط الأنصاري ورفاقه؛ من أجل تقديم الموعد من سنة (٧٥) إلى سنة (٧٤)، وتم ذلك فعلًا.

ثم حصل ضغط من الأناضولي في آخر ليلتين لتغيير الخطة لتكون مهاجمة الكلية الفنية[٤]، والاستيلاء على الأسلحة فيها، واستخدامها في مهاجمة اجتماع السادات! إذ كانت الخطة تقضي بأن يتحرك العسكريون التابعون لسرية لمهاجمة اجتماع السادات وقادته في اجتماعهم بمبنى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي، لكن كارم كان -قبل يومين- قد أبلغ كامل عبد القادر -زميل الأنصاري- أن الهجوم سيكون على الكلية الفنية، وهو لم يكن في مخططات الجماعة؛ كما يقول الأنصاري.

ورغم اندهاشه والأنصاري لكنهما كانا يريدان أي عمل وحركة! فلم يدقِّقا في الأمر وصحته وجدواه[٥]! ويزعم الأنصاري أنه لم يتح له مراجعة سرية والأناضولي عن سبب تغيير الخطة؛ بسبب إعدامهم سريعًا[٦].

---

(١) «الإسلام السياسي في مصر» (ص١٤٠).

(٢) «من النكسة إلى المشنقة» (ص٩٨).

(٣) المصدر السابق، (ص١١٣)، «الإسلام السياسي» (ص١٩١).

(٤) «من النكسة إلى المشنقة» (ص١١٣)، «الإسلام السياسي في مصر» (ص١٤٥).

(٥) «من النكسة إلى المشنقة» (ص١١٣).

(٦) «موسوعة العنف» (ص١٧٥).

ولا تزال هذه العقلية المتهورة تقود كثيرًا من الأعمال في تنظيمات العنف، وتجلب الكوارث على المسلمين؛ بحجة: حب الجهاد والاستشهاد!

لكن حسن الهلاوي ينقل عن سرية أنه أبلغه: أن الأنصاري والأناضولي انقلبا على سرية، واتهماه بالخوف على أولاده؛ كونه ليس مصريًّا، وأنه انسحب من قيادة التنظيم الذي تولاه الأناضولي، وهو الذي وضع الخطة الساذجة للهجوم[1]!

وهذا إن صح؛ فإنه يكشف عن خلل في قيادة هذه التنظيمات، مما يؤكد تحذير النبي ﷺ من كوارث: «حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام»!

لم تتوقف السذاجة على ذلك، بل حتى تنفيذ الهجوم على بوابة الكلية الفنية العسكرية كان من السذاجة أو الخيانة بمكان! حيث قام بضعة طلبة من جامعة الإسكندرية غير مؤهلين بقيادة طلال الأنصاري بالهجوم؛ فقُتل بعض الجنود، وبعض المهاجمين، وحاول بعض طلبة الكلية مهاجمة حراس مخازن السلاح، لكنهم فشلوا، وفشلت العملية، وتم القبض على الجميع خلال العملية أو بعدها بأيام، وعُثر مع الطلبة المهاجمين على دفتر به أسماء الطلبة ومهمَّاتهم في الهجوم! ومخططات لمبنى كلية الطيران، وهذا يدلل على مدى ذكاء قيادة هذا التنظيم ودقة تخطيطه!

لكن أمر هذه السذاجة والغباء قد يزول أو يتضاعف إذا علمنا أن عضوًا من التنظيم ذهب إلى أمن رئاسة الجمهورية وأخبرهم بكل تفاصيل الخطة قبل يوم من تنفيذها، لكنهم لم يأخذوا الأمر على محمل الجد![2].

وأثناء الاقتحام هرب أحد الأعضاء، وذهب للأمن يبلِّغ عن الهجوم[3]، ومع ذلك لم يتحرك الأمن بالشكل المطلوب!

ويعزو مختار نوح ذلك لإخفاق الأمن وتراخيه؛ حتى قُتل السادات فيما بعد[4].

لكن هناك تفسيرات أخرى من أعضاء بالتنظيم؛ فطلال الأنصاري يعلق على رضوخ سرية لضغط الشباب بتجاوز المخطط الرئيسي الذي ينتهي في (١٩٧٥) بقوله: «هل كان هذا الموقف ضعفًا من صالح أمام ضغط الشباب عليه؟ أم كان لصالح تصور آخر يُخفيه؟»[5].

ومن مظاهر السذاجة: أن أحمد الرجال الذي بلَّغ عن التنظيم قبل حادثة الفنية العسكرية بساعات كان يَعتقد أن حسين الشافعي -نائب الرئيس السادات-، هو قائد التنظيم[6]!

وينقل عن طلال الأنصاري أن كارم الأناضولي كان على خصومة مع عميد الكلية؛ ولذلك أراد الانتقام منه[7]، وهذا يتَّسق مع شهادة كارم في المحكمة عن حياته في الكلية الفنية!

وهذا يفتح الباب للتساؤل: هل تمكَّن الأمن المصري من كشف التنظيم قبل قيامه بالعملية، وقبل التبليغ عنها؟ وما هو سبب التراخي في التعامل معه وتركه يقوم بمهاجمة بوابة الكلية؟

لا يمكن الجزم بشيء، لكن من الممكن ذلك، بل لعله الأرجح؛ لأن تنظيمًا بهذه السذاجة لا يصعب اختراقه والتجسس عليه، ولا يصعب -أيضًا- توجيهه لصالح الأمن.

---

(١) «موسوعة العنف» (ص٣٠٥).

(٢) المصدر السابق، (ص٤٧).

(٣) المصدر السابق، (ص٨٣، ٩٥).

(٤) المصدر السابق، (ص٥٤).

(٥) «من النكسة إلى المشنقة» (ص٩٩).

(٦) ينقل صلاح الإمام أنه جاءه شريط من محاكمة سرية فيه قوله للمحكمة: «إن النيابة ضغطت عليه لتوريط حسين الشافعي باتهامه أنه زعيم التنظيم»، مقال له بعنوان: (حسين الشافعي قصة مع السادات) على شبكة الإنترنت.

(٧) مقابلة مع أحمد الرجال على موقع «مبتدأ»، وقد أصدر الرجال كتاب بعنوان: «هاتف الخلافة»، ولم أطلع عليه.

وهذا قد يفسر سبب تقاعس مجموعة الهلاوي عن تنفيذ مهمَّتها الأساسية في استطلاع المطار، مما أدى لإلغاء العملية، ولما تم التوافق على اقتحام الكلية الفنية -أيضًا- تقاعست مجموعة الهلاوي عن المشاركة؛ لدرجة أنه لم يصدر أي حكم على عضو بمجموعة الهلاوي في حادثة الكلية سنة (٧٤)[١]، لكن لاحقًا سيقوم أحد أعضاء المجموعة في القاهرة بقيادة عملية سنة (١٩٧٧)، لكن وُجد في المجموعة عضو مرتبط بالأمن، وسلَّم المجموعة[٢]!

أيضًا مَن تحرَّك فقط الطلبة المدنيون والعسكريون، وبلا نتيجة، بينما جناح التنظيم العسكري لم يتحرك، ولم يتم الكشف عن أعضائه في المحاكمة! فهل كان وجودهم ادعاء من سرية وكذب؟ أم تم تركهم بمعرفة الأمن لمرحلة تالية انتهت باغتيال السادات؟

وهنا -أيضًا- يبرز سؤال عمَّا إذا كان الأمن المصري يريد ترك التنظيم أن يعمل؟ وهو أمر قد تكرر مع أكثر من تنظيم مسلح؟[٣]

هناك فرضيتان:

إحداهما: ترى أن كارهي السادات في الأمن من الناصريين كانوا يرغبون بتورط الإسلاميين بصِدام مع السادات؛ ليعود إلى نهج عبد الناصر، ويعود السادات لهيمنة الناصريين الذين انقلب عليهم.

(١) يقول الهلاوي في شهادته «بموسوعة العنف» (ص ٣٠٤): «إن سرية قسَّم التنظيم إلى عسكريين يقومون بالانقلاب، ومدنيين لا علاقة لهم بالانقلاب، لكن الوقائع تخالف ذلك!».

أيضًا يقول الهلاوي أنه حين سمع إطلاق النار انسحب بمجموعته، لأنهم يؤمنون بثورة بيضاء بلا دماء.

(٢) «موسوعة العنف» (ص٨٩).

(٣) المصدر السابق، (ص٥٠٢).

وقد يتقاطع مع هذه الرؤية الاتهامات لسرية بتلقي الدعم من الرئيس الليبي معمر القذافي لتنفيذ اغتيال السادات؛ حيث يقول طلال الأنصاري إنه تعرض لضغوط أثناء التحقيق للاعتراف بدور للقذافي في دعم التنظيم[٤]، حيث سبق لسرية أن طلب اللجوء من السفارة الليبية، وكان عضوًا بمنظمة التحرير الفلسطينية، وله رفاق يساريون، مما قد يكون فتح له صلة بليبيا أو القذافي، حيث كان سرية معجبًا بثورة القذافي وجيفارا[٥]!

وأيضًا نجد ريتشارد ديكون يورد في كتابه «المخابرات الإسرائيلية»: أن سرية وضباطًا مصريين كانوا على صلة بمخابرات القذافي[٦]، ومعلوم أن القذافي كان مؤيدًا قويًّا لعبد الناصر، فهل أراد الانتقام له من السادات الذي انقلب على نهج عبد الناصر؟ أم فعل القذافي ذلك انتقامًا لليهود؛ حيث يعتقد كثيرون أن القذافي يهودي الأصل، وكذلك عبد الناصر؟

الفرضية الثانية تقول: إن الأمن المصري -الذي كشف التنظيم- كان يتبع السادات فعلًا، وقام بتحييد العسكر وسرية عن التنظيم، وترك الطلبة الصغار (يلعبون)؛ ولو قُتل بعضهم وبعض العسكر مقابل إيجاد مناخ ملائم للتخلص من بقايا الناصريين وخصوم السادات في الداخلية والأمن والمخابرات.

يقول مختار نوح: «لقد قام الرئيس السادات بعد هذه الواقعة بتغيير الهيكل الأمني، وقد بدأ بوزير الداخلية في هذا الوقت .. تغيير الجهاز الأمني بأكمله»[٧].

(٤) «من النكسة إلى المشنقة» (ص١١٥).

(٥) «موسوعة العنف» (ص١٥٠، ١٧٢).

(٦) حسام أبو حامد، مقاله: (توجيه الدين ضد الدولة والمجتمع.. بين سيد قطب وصالح سِرّية)، «العربي الجديد» (٢٣/ ٤/ ٢٠١٥).

(٧) «موسوعة العنف» (ص٥٥).

وعمومًا؛ فحتى لو كان الأمن المصري لم يعلم بالتنظيم، وفوجئ به، وتخاذل عن التصدي له؛ كسلًا وإهمالًا، أو تقصدًا وعمدًا؛ فإن كل الدارسين يؤكدون أن السادات استغل ذلك لترتيب الجهاز الأمني لصالحه، مقابل تقديم عشرات الشباب والعساكر ضحية للتهور والجهل، وربما الاختراق الأمني أيضًا!!

تنظيم الفنية وبداية سلوكيات داعش:

لفت نظري بعض التصرفات التي رواها أحمد الرجال؛ والتي أصبحت سلوكيات دائمة في تنظيم داعش، منها: قيام سرية بإعطاء أحد المشاركين في الهجوم على الكلية الفنية سكين (مطواة)، وقال له بالحرف الواحد: «هتتقدِّم إنت ومحمد عشرة ومحمد مرسي -أعضاء التنظيم- إلى الحارس، وتدَّعي أنك مريض، وتذبحوا هذا الكلب»[1].

وقد تطور هذا السلوك عند داعش وأخواتها حتى اخترعوا لها اسمًا باطلًا هو: (سنة الذبح)!!

ومنها قول الرجال: إن أميرهم صالح سرية كان يردد دائمًا «راياتنا سود كراية أحمد»[2]، وهو ما تحقق لاحقًا في رايات تنظيم القاعدة وداعش!

ما بعد القبض على عناصر التنظيم وفشل العملية:

مَن تورط بالهجوم تمت محاكمته: فحُكم بالإعدام على صالح سرية وكارم الأناضولي، والسجن على الكثير من الشباب الصغار، والذين اختلطوا في السجن بجماعات وتنظيمات أخرى؛ مما أفرز انشقاقات فيما بينهم، حيث انفصل الهلاوي ومن معه عن مجموعة الأناضولي التي تبنَّت العنف[3].

وفي عام (١٩٧٥) قامت مجموعة يحيى هاشم -التي كانت قد ظهرت سابقًا كانشقاق عن تنظيم إسماعيل طنطاوي[4]- بمحاولة تهريب سجناء الكلية الفنية؛ من خلال تزوير أوامر ترحيلهم من سجن لسجن، وقد كُشفت المحاولة في اللحظات الأخيرة، فهرب هاشم إلى الصعيد، ولكن الأمن استطاع الوصول إليه وقتله، فتشتَّتت مجموعته، وانضم بعضهم لمجموعة الكلية الفنية -مجموعة الإسكندرية[5].

أما الذين لم يُقبض عليهم أو تمت تبرئتهم؛ فيقول ياسر سعد -أحد من برَّأتهم المحكمة-: «حصلنا على تعليمات أخرى من صالح سرية بتأسيس تنظيم ينقسم إلى أربعة أقسام: قسم مدني، والثاني: جيش، وقسم دعوي، وقسم حرب عصابات»[6]، وقد يفسر هذا قيام بعض أعضاء التنظيم بعملية لاحقة، وعَيَّن سريةُ أحمد صالح زعيمًا للتنظيم.

انقسم التنظيم لمجموعة الإسكندرية؛ التي تعصبت لأفكار سيد قطب، وبقراءة متشددة لها، بل إن طلال الأنصاري قد انحاز لفكر شكري مصطفى التكفيري المتطرف، أما مجموعة الجيزة بقيادة حسن الهلاوي فقد رفضت ذلك، وتصدى الهلاوي لمناظرة شكري مصطفى نفسه، بفضل متابعة الهلاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وسوف نستعرض تفاصيل ذلك لاحقًا؛ عند دراسة تنظيم شكري مصطفى.

كان في مجموعة الإسكندرية بعض الشباب المتهور؛ الذي يجاهر بضرورة الصِّدام مع الدولة بأي طريقة وبأي وسيلة، ولو كانت إبرة! وفعلًا تمكن أحدُهم من إقناع عدة شباب معه لا

---

(١) مقابلة مع أحمد الرجال في موقع «مبتدأ».

(٢) أحمد الرجال، مقال على موقع «محيط» بعنوان: (هاتف الخلافة: شهادتي على أحداث الفنية العسكرية) (١٩/ ٤/ ٢٠١٥).

(٣) «موسوعة العنف» (ص٣٠٧).

(٤) تحدثنا عنها في الحلقة الأولى.

(٥) «الإسلام السياسي» (ص١٩٥).

(٦) مقابلة مع «اليوم السابع» (١٦/ ٣/ ٢٠١٤).

يتجاوزون (٦) أشخاص بتهوِّره، وفي يوم مرُّوا بجوار حارس للسفارة القبرصية كان نائمًا وبجواره بندقيته، فقاموا بسرقتها فاستيقظ فطعنوه، ومات.

فاهتم الأمن بالحادثة، ولكنه لم يصل لنتيجة، لكن خال أحد الشباب حين وَجد البندقية مخبأة أبلغ عن ابن أخته، فطلب الأمن منه التجسس عليه لمعرفة أبعاد الموضوع، وفعلًا قَبض الأمن على المجموعة السارقة.

لكن الأمن توسَّع في الاعتقال لحد اعتقال (٢٠٠) شخص، منهم: أحمد صالح، وحسن الهلاوي؛ إذ اختلق الأمن تنظيمًا غير موجود، وحكم عليهم أحكامًا عاليةً.

مما جمع الكثير من الشباب في تنظيم متطرف جديد، كوَّنه أمن الدولة في السجن، وكان له الدور الأكبر في حادثة اغتيال السادات لاحقًا[1]!

فهل كان هذا التجميع مقصودًا أم هو خطأ متكرر من أجهزة الأمن لليوم؟ فحديثًا في العراق جُمع في سجن (بوكا) بين قادة القاعدة وضباط الاستخبارات العراقية، والذي نتج عنه -لاحقًا- ظهور تنظيم داعش الذي يجمع بين أبي بكر البغدادي وحجي بكر (سمير عبد محمد الخليفاوي) -وهو عقيد استخبارات سابق في نظام صدام حسين!-.

وبعد حملة الاعتقالات التي طالت حسن الهلاوي برز خلفه مصطفى يسري -وهو أحد من أفرجت عنهم المحكمة مبكرًا-، فأخذ يجمع أعضاء الجيزة والقاهرة من جديد، ولكن تمكَّن الأمن من اختراق التنظيم عن طريق عبد القوي؛ حيث سلَّمته بعض القنابل ليسلمها للتنظيم، وقبضت عليهم الشرطة أثناء التسليم، لكنه اعترف أمام المحكمة بالحقيقة؛ فبرأتهم المحكمة، فحلَّ مصطفى التنظيم الذي بات مكشوفًا[2].

وبذلك انتهت مجموعات تنظيم الكلية الفنية، لكن فِكر صالح سرية انتشر بين الشباب، فطبعت «رسالة الإيمان» عدة مرات ووزِّعت في الجامعات من قبل اتحاد الطلبة، وكذلك شريط مرافعة كارم في المحكمة[3]، وبذلك صار المناخ مناسبًا لظهور جماعات جديدة.

وفعلًا قام بعض أعضاء تنظيم سرية -لاحقًا- بتأسيس تنظيم الجهاد؛ الذي سينموا ليغتال السادات سنة (١٩٨١).

في الحلقة القادمة -إن شاء الله- سنتعرف على جماعة شكري مصطفى، وفكر التكفير والهجرة.

❁❁❁

(١) «موسوعة العنف» (ص٣٢٩).

(٢) «الإسلام السياسي» (ص١٩٥).

(٣) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص٣١)، «موسوعة العنف» (ص٣٢٤).

ثورات الخوارج (٨):
الخروج على والي البصرة عبد الله بن عامر

هيثم الكسواني – كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

انتقلت مسؤولية مقاومة الخوارج بالدرجة الأساسية إلى الوالِيين

الَّلذين عيَّنهما خليفةُ المسلمين الجديد: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على الكوفة والبصرة، المغيرة بن شعبة، وعبد الله بن عامر رضي الله عنهما، وقد تناولنا في الحلقة الماضية دور المغيرة -والي الكوفة- في محاربة الخوارج والقضاء على حركاتهم وثوراتهم، كوْن الكوفة كانت مركز الخوارج، ومنها خرجت معظم ثوراتهم، أما البصرة فاحتلت -آنذاك- المرتبة الثانية.

ومما يجدر ذكره قبل الحديث عن حركات الخوارج في البصرة: الإشارة إلى أن ولاية المغيرة على الكوفة امتدَّت حتى وفاته في سنة (٥٠هـ)[١]، حيث خلَفه على الكوفة زياد بن أبي سفيان.

أما البصرة؛ فقد ولِيها عبد الله بن عامر كالمغيرة، في عام (٤١ هـ)، وهو العام الذي شهد المصالحة بين معاوية والحسن بن علي رضي الله عنهما فيما عُرف بعام الجماعة، لعودة الوفاق إلى الأمة، واتفاقها على خليفة واحد.

ومثلما أشهَر الخوارج سيوفَهم في وجه المسلمين والصحابة في الكوفة؛ فعلوا ذلك في البصرة، دون أن يعطوا للمسلمين فرصة لالتقاط أنفاسهم وترتيب أوضاعهم، وتجاوز آثار الخلافات التي نشبت بينهم.

(١) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ج ٣، ص ١٥٨٨).

وهذا تصرف لا يصدر عن مسلم يحبُّ الخير لأهله، ما يؤكد وجود جهات خفيَّة تشعل الفتن كلما خبت!

وعبد الله بن عامر رضي الله عنه: صحابي، وُلد -على الأرجح- بعد الهجرة، وقد ذكره ابن كثير في وفيات سنة (٥٨هـ)، فقال: «عبد الله ابن عامر بن كريز...، ابن خال عثمان بن عفان، وُلد في حياة رسول الله ﷺ، وتفَل في فِيه، فجعل يبتلع ريق رسول الله ﷺ، فقال: "إنه لمسقاء"، فكان لا يعالج أرضًا إلا ظهر له الماء، وكان كريمًا ممدحًا ميمون النقيبة.

استنابه عثمان على البصرة بعد أبي موسى، وولاَّه بلادَ فارس بعد عثمان بن أبي العاص، وعُمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة، ففتح خراسان كلَّها، وأطراف فارس وسجستان وكرمان وبلاد غزنة.

وقُتل كسرى ملك الملوك في أيامه -وهو يزدجرد-، ثم أحرم عبد الله بن عامر بحِجَّة -وقيل: بعمرة- من تلك البلاد؛ شكرًا لله ﷻ، وفرَّق في أهل المدينة أموالًا كثيرةً جزيلةً، ... ولم يزل على البصرة حتى قُتل عثمان، فأخذ أموال بيت المال، وتلقى بها طلحة والزبير، وحضر معهم الجمل.

ثم سار إلى دمشق، ولم يُسمع له بذكر في صفين، ولكن ولاَّه معاوية البصرة بعد صلحه مع الحسن...»[٢].

ورغم اختلاف المؤرخين في سنة وفاته؛ إلاَّ أنهم يَذكرون أنه تُوفي قبل معاوية، الذي حزن على وفاته، وقال: "بِمن نُفاخر وبِمن نُباهي بعده؟!"[٣].

(٢) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ج ٣، ص ١٦١٤).

(٣) الإمام الذهبي، «سير أعلام النبلاء»، نسخة إلكترونية.

ويذكر د. علي الصلاَّبي: أن تعيين عبد الله بن عامر واليًا على البصرة من قِبل معاوية لم يكن لأسباب شخصية، بل "كان نتيجة خبرته السابقة في ولاية البصرة وحرب سجستان وخراسان أيام عثمان، فما كان من معاوية إلاَّ أن أسند الأمر إلى أهله، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب"[1].

واجَه عبد الله بن عامر الخوارجَ في البصرة في وقت مبكر، فقد سبقت الإشارة إلى أن الخوارج لم يعطوا المسلمين فرصة لالتقاط أنفاسهم، وخلال السنوات الثلاث التي قضاها واليًا على البصرة، يُعتبر خروج يزيد الباهلي وسهم الهجيمي في سنة (٤١هـ) أبرز ثورة للخوارج في البصرة.

ففي هذه السنة؛ خرج سهم بن غالب الهجيمي على ابن عامر، في سبعين رجلًا، منهم: الخطيم الباهلي، وهو: يزيد بن مالك، وقد سمّي بالخطيم لضربةٍ أصابتهُ على وجهه، فنزلوا بين الجسرين والبصرة، فمرَّ بهم الصحابي عُبادة بن قرص الليثي ومعه ابنه وابن أخيه، فقال لهم الخوارج: من أنتم؟ قالوا: قوم مسلمون، قالوا: كذبتم، قال عُبادة: سبحان الله! اقْبلوا منَّا ما قبِل رسول الله ﷺ مني، فإني كذَّبته وقاتلتُه، ثم أتيتُه فأسلمتُ، فقبِل ذلك مني! قالوا: أنت كافر، وقَتلوه، وقتلوا ابنه وابن أخيه[2].

تذكِّرنا جريمة خوارج البصرة هذه بقتل صحابي وابنه وابن أخيه، واستباحة دماء الصحابة والمسلمين وتكفيرهم: بجريمة إخوانهم من قبل بقتل عبد الله بن خباب -زمن الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه-؛ فقد أسروه وامرأته معه وهي حامل، فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب، صاحب رسول الله ﷺ، وأنتم قد روَّعتموني! فقالوا: لا بأس عليك، حدِّثنا ما سمعت من أبيك؟ فقال: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ستكون فتنةٌ، القاعدُ فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي**»، فقادوه بيده، فذبحوه، وجاؤوا إلى امرأته؛ فقالت: إني امرأة حبلى، ألا تتقون الله عز وجل! فذبحوها، وبقروا بطنها عن ولدها[3].

ومن هنا نعرف مصدر طريقة الذبح للخصوم والمخالفين عند دواعش العصر!!

ولم يُبدِ هؤلاء الخوارج الندم على ما اقترفوا من سفك دماء الأبرياء والصالحين، بل أرسلوا إلى عليٍّ رضي الله عنه يقولون: "كلُّنا قتل إخوانكم، ونحن مستحلِّون دماءهم ودماءكم"[4].

وعلى خطى هؤلاء وهؤلاء يسير الخوارج المعاصرون؛ فقد رأينا "الدواعش" يتباهون بالذبح والنحر والحرق أمام الشاشات، وبعض من فعلوا ذلك بهم مسلمون صالحون، لا لشيء إلاَّ لأنهم لم يسيروا في ركابهم، ولم يتَّبعوا جماعتهم، ولم يتبنُّوا بدعتهم، فكان الحكم عليهم بالرِّدة، والإفتاء بقتلهم!

وبالعودة إلى عبد الله بن عامر؛ فقد خرج إلى هؤلاء المفسدين بنفسه وقاتلَهم، وقَتل عددًا منهم، وفرَّ الآخرون، وفيهم: سهم والخطيم[5].

لكن ابن عامر رضي الله عنه لم يسِر بالوتيرة ذاتها بمحاربة الخوارج والتشدد معهم، وقطْع شأفتهم، فإن هؤلاء سألوه الأمان بعد ذلك، فمنحهم إيَّاه، ورفض أمر معاوية بقتلهم، وكتب إليه يقول: "قد جعلتُ لهم ذمَّتك، فقال معاوية: تلك ذِمَّة لو أخفرتها[6] لا سُئلت عنها".

فلم يزل هؤلاء الخوارج آمنين حتى عُزل ابن عامر عن البصرة[7].

---

(١) «الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار» (ج ١، ص ٣٠٤).

(٢) الإمام ابن جرير الطبري، «تاريخ الرسل والملوك» (ج ٥، ص ١٧١)، وابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٤١هـ).

(٣) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ج ٣، ص ١٥١٣).

(٤) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ج ٣، ص ١٥١٣).

(٥) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٤١هـ).

(٦) جاء في المعاجم: خفر العهد، أي: نقضه، وخفر بالرجل، أي: غدر به.

(٧) الإمام ابن جرير الطبري، «تاريخ الرسل والملوك» (ج ٥، ص ١٧١)، وابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٤١هـ).

وفي تفسير ذلك التساهل؛ يقول ابن كثير أن عبد الله كان "ليِّنَ العريكة، سهلًا كريمًا، وكان لا يأخذ على أيدي السفهاء، ولا يقطع لصًّا، ويريد أن يتألف الناس، ففسدت البصرة بسبب ذلك"[1].

وهنا خبرة تاريخية مهمة وهي: أن التساهل مع الخوارج المتورطين بجرائم وإراقة دماء يعتبر نوعًا من العجز، ومآله الفساد العريض في المجتمع!

كان عبد الله بن عامر مسالمًا، يحاول أن يبتعد -ما أمكن- عن استخدام السيف؛ حتى مع الخوارج، فعندما شكى إلى زياد بن أبي سفيان فساد الناس في البصرة، قال زياد: "جرِّد فيهم السيف، فقال ابن عامر: إنِّي أكره أن أُصلحهم بفساد نفسي!"[1].

ورغم تسامح عبد الله بن عامر مع الخوارج إلاَّ أن تحركهم وثوراتهم في البصرة كانت محدودة مقارنةً بالكوفة، وترى د. لطيفة البكّاي أن ذلك مردُّه إلى توجيه ابن عامر الناس نحو الفتوحات شرقًا، وكذلك قلة عدد الخوارج في البصرة، وافتقادهم للتنظيم[2]، وهذا دليل على أن إشغال شباب الخوارج الذين لم يتورطوا في جرائم بأعمال نافعة سياسة حكيمة وناجحة.

وفي العام التالي -أي: (٤٢هـ)- كان عبد الله بن عامر على موعد جديد مع الخوارج؛ ذلك أن الخوارج الذين حاربوا المغيرة في الكوفة بقيادة المستورد بن علّفة، وخلال عمليات الكرِّ والفرِّ، والبحث عن مدينة ينطلقون منها؛ حاولوا دخول البصرة، فاستدعى ابنُ عامر شريك بن الأعور الحارثي -وكان من شيعة عليٍّ- على رأس جيش من (٣٠٠٠) مقاتل، لصدِّ الخوارج، وقال له: "اخرج إلى هذه المارقة، ففعل"[3].

وعلى الرغم من أن جيش البصرة لم يشتبك مع الخوارج؛ إلاَّ أنه تمكَّن من الدفاع عن أراضيها، ومنعهم من دخولها[4].

وقد استخدم عبدُ الله بن عامر في ذلك نهجًا كان المغيرة قد سبقه إليه؛ بالاستعانة بأنصار عليٍّ في قتال الخوارج، لأن لهم خبرة سابقة في قتالهم، وذلك في معركة النهروان، سنة (٣٧هـ)، كما أن الحقد ملأ قلوبَهم على الخوارج بعد قيامهم باغتيال عليٍّ.

وقد كان المغيرة يهدف من ذلك: إلى إشغال أنصار عليّ من الكوفيين عن معارضة الأمويين، ومنْع قيام أي تقارب بينهم وبين الخوارج[5].

ونحن نرى اليوم خطورة تحالف الشيعة وإيران مع الخوارج من تنظيم القاعدة وداعش، وكيف أنه شوَّه صورة الإسلام، وضرَب الثورتين السورية والعراقية، وزعزع أمن عدد من بلاد الإسلام، وغيرها.

لم يطُل مقام عبد الله بن عامر في البصرة؛ فقد عُزل عنها في سنة (٤٤هـ)، وعَيَّن معاويةُ بدلًا منه الحارث بن عبد الله الأزدي، لكنه لم يمكث سوى أربعة أشهر؛ إذ قام معاوية بعزله، وعيَّن بدلًا منه زياد ابن أبي سفيان، لتبدأ مرحلة جديدة في التعامل مع الخوارج، قائمة على القسوة والقمع، وشنِّ حرب بلا هوادة، وهو ما سنتحدَّث عنه في الحلقة القادمة -بإذن الله ﷻ-.

*** المراجع:**

١- الإمام ابن جرير الطبري، «تاريخ الرسل والملوك»، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (١٩٦٣).

٢- الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).

٣- ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية.

٤- الإمام الذهبي، «سيَر أعلام النبلاء»، نسخة إلكترونية.

٥- د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية: عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار»، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، (١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م).

٦- د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي خلال (٣٧-١٣٢هـ)»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، (أيار / مايو ٢٠٠٧م).

(١) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ج ٣، ص ١٥٧٥).

(٢) «حركة الخوارج» (ص٦٧).

(٣) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، حوادث سنة (٤٢هـ).

(٤) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٦٤).

(٥) د. علي محمد الصلابي، «الدولة الأموية» (ص٢٤٨).

التشيع المعاصر في العراق وجهود مقاومته (٢-٢)

عبد العزيز بن صالح المحمود – كاتب عراقي

خاص بـ «الراصد».

سبق أن بيَّنا: أن الشيعة وإيران عملوا على نشر التشيع في العراق، بعد احتلاله في عام (٢٠٠٣م)، لأن التشيع لا يستطيع الانتشار إلا وقت ضعف أهل السنة، وهذه حقيقة على مدى التاريخ العراقي، فصعود التشيع يعني: تردي أوضاع السنة في العراق، والعكس صحيح.

لكن برغم تردِّي الأوضاع السُّنية، ومع شراء ذمم كثير ممَّن ينتمي للسنة بالمال والمصالح والنساء والمناصب؛ فلا زال هناك مقاومة لهذا العدوان الشيعي الطائفي من جهات متعددة بشكل أو بآخر، ومن الطبيعي أن تكون في طليعة الوعي بهذا الخطر: التجمعات والمؤسسات الدينية السنية.

وهو شيء فطري لكل متدين يدرك: أن التشيُّع فرقة منحرفة ساهمت وتساهم دومًا بتحطيم الأمة، **وبيان ذلك هو موضوعنا.**

جهود مقاومة التشيع المعاصر في العراق:

❁ أولًا: السلفيون:

وهم من أوعى الناس بفهم التشيع وخطره، وخطورة نشره، والجمهور السلفي محصَّن ضد التشيع بشكل فطري، ولا يحتاج إلى توعية جديدة تجاه الخطر الشيعي، لكن هذا التيار يحتاج إلى ترتيب أوراقه، والعمل بشكل مؤسسي لتحصين المجتمع من هذا الخطر الزاحف، ويجب أن تستفيد الدول من هذا التيار؛ لأنه يمثل سدًّا منيعًا في وجه التشيع وتمدده.

وبعد الاحتلال الأمريكي نهض السلفيون بكل طاقاتهم لمواجهة المد الشيعي من خلال:

١ - نصيحتهم للمقاومة العراقية مبكرًا منذ دخول المحتل بأن يتيقظوا للاحتلال الإيراني الخفي خلف / تحت الاحتلال الأمريكي، ومع الأسف لم يُلتفت لكلامهم!

٢ - أسسوا وكالة (حق) العراقية؛ التي كشفت المخططات الأمريكية والشيعية، وتعاون أفراد منهم مع موقع «الرشيد»، ومع المواقع الأخرى لكشف المخططات العدوانية الأمريكية والشيعية.

٣ - إصدار كتابات فكرية وعلمية في الرد على الشيعة؛ كمؤلفات عبد الملك الشافعي[١]، وعلاء الدين البصير[٢]، ومحمد عودة، ومجيد الخليفة[٣]، وإعادة نشر جهود العلماء السابقين في مواجهة التشيع[٤]، وعشرات غيرهم كتبوا في المواقع التي واجهت الفكر

(١) من مؤلفاته: «إمامة الشيعة توجب الاعتقاد بالتحريف»، «إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النبوة»، «هذا هو التشيع بلسان الخوئي»، «الفكر التكفيري عند الشيعة.. حقيقة أم افتراء؟!»، «موقف الشيعة الإمامية من باقي فرق المسلمين»، «طهارة المسلمين عند الشيعة بين إشراقة الظاهر وبشاعة الباطن»، «زيف دعاوى الشيعة للتقريب .. جعفر السبحاني أنموذجًا»، «التشيع مذهب إسلامي أم تنظيم سياسي؟».

(٢) من مؤلفاته: «ابن سبأ، الشبح المخيف للفكر الجعفري ومرتضى العسكري»، «الشهادة الثالثة في الأذان، حقيقة أم افتراء؟»، «أسطورة الخطبة الشقشقية»، «الرد الكافي على نجاح الشافي في كتابه: صاحب الغار: أبو بكر أم رجل آخر؟»، «جعفر السبحاني، كذاب مخرب أم محقق مقرب؟»، «أسطورة النص الجلي على إمامة علي».

(٣) مما حققه: «السيوف المشرقة، مختصر الصواعق المحرقة»، و«المنحة الإلهية، تلخيص ترجمة التحفة الإثني عشرية»، وكلاهما لأبي المعالي الألوسي، «شم العوارض في ذم الروافض» لملا علي القاري، «نهج السلامة إلى مباحث الإمامة» لأبي الثناء الألوسي -صاحب التفسير-.

(٤) لراقم هذه السطور مساهمة في هذا الأمر؛ فقد نشر ستة كتب: «النكت الشنيعة في بيان الخلاف بين الله -تعالى- والشيعة» لإبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري، «الرد على الرافضة» للعلامة اللغوي مجد الدين الفيروزأبادي، «الأجوبة البندنيجية على =

الشيعي والإيراني علميًّا كموقع «مجلة الراصد»، وموقع «البرهان»، و«مفكرة الإسلام»، وشبكة «الدفاع عن السنة»، و«السرداب»، وغيرها.

٤ - **في خارج العراق** كان لهم دور بتوعية المجتمعات والحكومات العربية بالخطر الشيعي والإيراني؛ فعقدوا الدروس والمحاضرات في سوريا والأردن والسودان وتركيا ودول الخليج، وقد واجه بعضهم الاعتقال والطرد، وأوذي عدد منهم بسبب مواقفه هذه.

فكان السلفيون العراقيون سفراء لمقاومة المد الشيعي في البلاد العربية.

٥ - **ترجمت المنظمات السلفية الكردية العراقية** كثيرًا من الرسائل الصغيرة والنشرات باللغة الكردية؛ لمواجهة التشيع والخطر الإيراني، وتوعية الشعب الكردي بهذا الخطر.

٦ - **إنشاء مؤسسات سلفية لهذا الغرض**، مثل: «**مؤسسة الصرح للبحوث والتنمية**»، التي يتبع لها «مركز حقائق، ومركز التأصيل الشرعي»، والمؤسسة تعنى بمواجهة التطرف السني والتطرف الشيعي والإيراني، ووضع حلول للقضية العراقية والسنية[1].

❁ **ثانيًا: جماعة الإخوان المسلمين:**

منها: الجهود المبكرة للدكتور عدنان الدليمي رحمه الله -المحسوب على خط الإخوان المسلمين-؛ إذ كان له وعي مبكر بخطر التشيع، فنبَّه منذ سنة (٢٠٠٦م) على أن هناك حرب إبادة طائفية شيعية ضد السنة، وقد عارض هذا التحذير د. حارث الضاري رحمه الله، والذي اعتبر أن هذا يمثل سلوكًا سياسيًّا وليس طائفيًّا من الشيعة، وهو ما تراجع عنه الضاري لاحقًا؛ لكن بعد فوات الأوان!

وكان للدكتور عدنان مبادرة لتأسيس البيت السُّني منذ سنة (٢٠١٢م)، حيث كانت داره في عمَّان منطلقًا للاجتماعات الأولى التي حضرها أشخاص من مختلف المشارب السنية، ومع الأسف لم تنجح المبادرة أو تتحول لواقع عملي!

ولكثير من قواعد وجماهير الحزب الإسلامي وعي جيد في مقارعة التشيع وتثبيت أهل السنة، رغم أنها غير معلنة، وهي تتفوق على قياداتها بذلك!

ولبعض شباب الحزب والجماعة تعاون ومساهمة بشكل غير معلن مع مواقع إلكترونية تواجه التشيع؛ كبعض العاملين في موقع «الرشيد»، أو دورهم الإيجابي في كشف محاولات التغيير الديمغرافي في محافظة ديالى، وفضحه على مواقع التواصل الاجتماعي.

وقام بعض رموز جماعة الإخوان بكتابة مقالات، وعقد جلسات بخصوص خطر التشيع المعاصر في العراق، ولكن كل ذلك تم خارج العراق، مثل: كتابات د. محمد عياش الكبيسي، ود. سامي الجنابي، في تبيين أهمية إظهار القضية السنية، وأهمية قيام إقليم سني، وحث الدول والملوك العرب على مساندة القضية السنية.

لحَق الحزب الإسلامي بموجة توعية الجماهير والنخب السنية بخطر التشيُّع، وعقد لذلك جلسات في تركيا، بعد أن تحركت جهات سنية أخرى لتبني مشروع تحصين السنة، لكنهم لم يستمروا به!

ثالثًا: شخصيات مستقلة:

لبعض الشخصيات المستقلة جهد فكري متميز، مثل: جهود د.طه الدليمي في كتاباته في موقعه «القادسية»، ولعله أكثر شخصية عراقية لها مؤلفات في مجابهة التشيع[2]، وله مؤلفات تعالج الوضع

= الأسئلة اللاهورية» لأبي الهدى البندنيجي، «سعادة الدارين في شرح حديث الثقلين» للعلامة الهندي عبد العزيز الدهلوي، بترجمة وعناية العلامة الألوسي، «الروض الرائض في عدم صحة نكاح أهل السنة للروافض»، لمفتي الشام علي المرادي، «الاعتقاد في الصحابة وبيان فرق الشيعة ومشابهتهم لليهود» للشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي. ومن مؤلفاته: «عودة الصفويين»، «جهود علماء العراق في الرد على الشيعة».

(١) ومن منشوراتها: «الجماعات المتطرفة وإيران، علاقات متجددة، أجندات متعايشة» «العرب السنة في العراق، المأساة وآفاق الحل»، وسيصدر لها كتاب قريبًا بعنوان: «مدخل إلى القضية السنية العراقية».

(٢) من مؤلفاته الفكرية والعلمية لمواجهة التشيع: «المنهج القرآني الفاصل بين أصول الحقِّ وأصول الباطل»، «التشيُّع، عقيدة دينيَّة أم عُقدة نفسيَّة؟»، «أسطورة المذهب الجعفري»، «إمامة الصدِّيق»، «التَّوحيد والشِّرك في ضوء القرآن الكريم»، «الإمامة في منظور القرآن الكريم»، «العصمة في منظور القرآن الكريم»، «عصمة الأنبياء عليهم السلام»، «آية الولاية وعلاقتها بالإمامة»، «آية التَّطهير وعلاقتها بعصمة الأئمَّة»، «هذا هو =

السني الراهن[1]، كما له عشرات الحلقات الفضائية في قناتي «صفا، ووصال»، لمواجهة التشيع وفضحه، ولطرح مشروعه السني، وألقى عشرات المحاضرات في عدة بلدان، وشارك في مؤتمرات عدة تعالج قضية التشيع وإيران.

ومن الشخصيات الفكرية التي ربطت إيران بالتطرف السني القاعدة والميلشيات: كتابات الباحث سعيد بن حازم السويدي، فله عشرات المقالات[2].

رابعًا: هيئة علماء المسلمين:

رغم أن مؤسسها د. حارث الضاري صرَّح في مجالس متعددة: أن لا عودة للعراق إلا على يد السنة، لكنَّ سلوكه الواقعي كان يختلف عن تصريحاته الخاصة، وجرت بينه وبين الحزب الإسلامي -برغم خلفيتهما الإخوانية المشتركة- صراعات للهيمنة على سنة العراق، أضرَّت بالقضية السنية!

وبعد الانسحاب الأمريكي من العراق في سنة (٢٠١١م) أحسَّت الهيئة بالخطر الإيراني، ووجهت جهودها لفضح الميلشيات الطائفية وإيران؛ من خلال فضائية «الرافدين» التابعة لها، وقسم الثقافة والإعلام الذي أصدر بيانات دقيقة عن كل حادثة وجريمة ضد أهل السنة.

وقد انشق عن الهيئة جمال الضاري -ابن شقيق الشيخ حارث-، وأسس في نهاية عام (٢٠١٥) «المنتدى العراقي للنخب والكفاءات»، وشكَّل «منظمة سفراء العراق للسلام»، ومن ثم أسس «المشروع الوطني العراقي»، ورغم أنه غير سني التوجه إلا أنه أعتمد على السنة برؤية ظاهرها غير طائفي.

خامسًا: المجموعة العلمائية:

وهم: مجموعة من العلماء الكبار، ممن كان لهم مكانة في الحكومة السابقة.

وتوجهات هؤلاء صوفية، أما اهتماماتهم فهي تشبه طرية تفكير هيئة علماء المسلمين، وأن الشيعة شركاء في الوطن، وأن الخطر القادم من إيران هو قومي.

ومع ذلك لا يخلو هؤلاء من حس سني، أما مقاومة مشروع التشيع وإيران فلا يوجد عندهم شيء من ذلك.

ولعل من الجهود التي تشكر: المقابلات الإعلامية للشيخ رافع الرفاعي العاني في نقد إيران والمرجعيات والسياسيين الشيعة.

أما حزب التحرير -على قلَّته- فليس له جهد في مقاومة التشيع أو إيران، ربما تجد حميَّة دينية من بعض الأفراد لكنها لم تنعكس على جهود مقاومة التشيع، فهموم القوم مختلفة عن هموم العراق!

والطرق الصوفية لا جهود لها تذكر -أيضًا- في مقارعة التشيع، بل بعضهم عاون التشيُّع؛ خاصة بعد دخول داعش، ومنهم: عبد اللطيف الهميم -رئيس الوقف السني-، المرتمي بأحضان إيران.

وأما جماعات القتال ممَّن يدعون أنهم سلفيون جهاديون؛ كمهدي الصميدعي، فعلاقته معروفة بنظام بشار الأسد، وإيران، وحكومة المالكي، وكمحمود المشهداني الذي تقاضى الملايين من إيران، وأصبح من سنة المالكي.

وأمثال جماعة أنصار الإسلام، والقاعدة، وداعش؛ فقد وقفوا مع التشيع لتحصيل مكاسب مالية، وأصبحوا صنيعة لإيران ومصالحها، وارتبطوا بالنظام السوري من قبل؛ لذلك كانوا ضد مصالح سنة العراق.

سادسًا: التوجهات غير الإسلامية:

كحزب البعث، والعاملين في النظام السابق، وبعض النخب العسكرية والسياسية والقومية، والزعامات العشائرية، فهم ينطلقون من أرضية علمانية قومية غالبًا.

لكن مع ذلك برز لبعضهم جهود فكرية جيدة في مواجهة التشيع وفضح إيران ومشروعها وأذنابها من الأحزاب الشيعية الدينية،

= الكافي»، «نظرة في نهج البلاغة».

(١) من ذلك: «هذه هي الحقيقة: الأعداد والنِّسب السكَّانيَّة لأهل السنَّة والشِّيعة في العراق»، «البادئون بالعدوان»، «غربان الخراب في وادي الرَّافدين»، «العلوي وكتابه: عمر والتشيُّع»، «جرائم الإبادة الجماعية»، «الفيدرالية، أو اللامركزية السياسية».

(٢) من ذلك: «الجماعات المتطرفة وإيران، علاقات متجددة، أجندات متعايشة»، «الدور الإيراني في دعم الجماعات المتطرفة».

وفضح الحكومة العراقية.

وأصبحوا يشكلون كتلا سياسية معارضة متواجدة في الأردن وتركيا وبعض الدول العربية، لكن نادرًا ما تتناول الشأن الشيعي كمذهب.

وهي تزعم وجود فَرق بين التشيع العربي والصفوي، وتتكلم عن الشعوبية، وتحاول حصر الشر بإيران بصفتها فارسية.

وأزعج إيرانَ والشيعةَ وجودُ هؤلاء في العديد من المؤتمرات والندوات السياسية، وفضحهم التوجهات الإيرانية وأدواتها؛ من الأحزاب والميلشيات الشيعية في العراق، بما لهم من معرفة بمخططات إيران والصلات الوطيدة مع منظمة «مجاهدي خلق»، وحركات «عرب الأحواز».

مقاومة التشيع المعاصر في العراق تحتاج إلى:

١ - إغاثة النازحين السنة، لأنه يثبِّتهم في العراق، ويحدُّ من هجرتهم في هذه المرحلة المهمة.

٢ - السعي لعودة النازحين لمناطقهم، وصد التغيير الديمغرافي لصالح الشيعة.

٣ - محاربة تطرف داعش وأمثالها؛ التي تعتبر محاربة لذراع إيرانية في مناطقنا.

٤ - فضح سنة المالكي، وسنة إيران؛ لأن ذلك نصر للقضية السنية في العراق.

٥ - قيام سنة العراق المتواجدين في الخارج بفضح العدوان الشيعي عبر الإعلام، والتعريف بالقضية السنية، وأن عودة السنة إلى وضعهم وحجمهم الطبيعي في العراق هي مفتاح الاستقرار والاستثمار.

٦ - انخراط السنة - شبابًا وعشائر - في الأجهزة الأمنية والعسكرية في مناطقهم، بشرط: أن لا يكونوا قلَّة أو مشتَّتين لا يملكون حماية مناطقهم ومصالحهم.

السلاح الإيراني.. تصدير الثورة، ونشر الفوضى

أسامة الهتيمي - كاتب مصري

خاص بـ «الراصد».

إعلان مصر عن العثور على أسلحة إيرانية الصنع في إحدى المزارع بمحافظة البحيرة - شمال مصر - خلال شهر (إبريل) من عام (٢٠١٧م) لا يعد المرة الأولى التي يتم فيها الإعلان عن وجود مثل هذه الأسلحة على الأراضي المصرية.

فقبيل أسابيع قليلة من هذا الإعلان شاهد العالمُ كلُّه وعبر الفيديو الذي بثه تنظيم (ولاية سيناء) - المبايع لتنظيم داعش -، وحمل عنوان: (صواعق القلوب)؛ كيف أن عناصر التنظيم المسلح يَقتلون عناصر وجنود القوات المسلحة المصرية باستخدامهم بنادق (إيهإم ٥٠) إيرانية الصنع.

وهو الأمر الذي طرح وقتها العديد من التساؤلات حول: لماذا هذه البنادق بالذات؟ وكيف وصلت إلى هذه العناصر في سيناء؟ وما دلالة الظهور بها خلال هذا الفيديو؟

وعلى الرغم من أن السلطات المصرية لم توجِّه اتهامًا صريحًا لإيران بالمسئولية عن تواجد هذه الأسلحة في مصر، بل على العكس فإن بعض المحللين القريبين من النظام السياسي برروا ذلك بأنه ربما تم تهريبها مع عناصر تنظيم (داعش)؛ الذين كانوا يتواجدون على أرض العراق، ونجحوا في الاستيلاء على كميات كبيرة من أسلحة الجيش العراقي عام (٢٠١٤م).

إلا أن ثمة شواهد وأدلة كثيرة تؤكد: أن هذا السلاح لم يأتِ لمصر اعتباطًا أو محض مصادفة! إذ المعلوم أن الأجهزة الأمنية في إيران ذات قبضة حديدية لأقصى درجة، بل إن الحرس الثوري الإيراني الذي هو أقوى الأجهزة الأمنية المسئول الأول والأخير عن مراقبة خروج الأسلحة.

ومن ثم فليس من المنطقي أن تنتقل هذه الأسلحة وبهذه الكميات الكبيرة خارج الحدود الإيرانية، أو حتى خارج البلاد التي تخضع للسيطرة الإيرانية دون أن تكون إيران على علم بذلك.

بل إننا حتى لو افترضنا -جدلًا- صحة ما ذهب إليه هؤلاء المحللون؛ فإن ذلك لا يعد -أيضًا- دليل تبرئة لإيران، لأن كل المؤشرات تؤكد أن عملية الانسحاب التي قامت بها القوات المسلحة العراقية من الموصل عام (٢٠١٤م)، ودخول عناصر تنظيم داعش للعديد من المناطق دون قتال يذكر؛ كانت بإيعاز مباشر من الحكومة العراقية التي تأتمر -كما هو ثابت- بأوامر القيادات الإيرانية.

وهو حديث طويل، يدرك تفاصيله وأبعاده كل المتابعين للشأن العراقي وتطورات الموقف هناك، وبالتالي فإنه وعلى أقل الافتراضات فإن مسئولية انتقال السلاح الإيراني الذي كان بيد الجيش العراقي إلى عناصر تنظيم داعش تتحملها إيران بالأساس خاصة، وأن هذه التحركات كانت بمثابة الدفعة الأولى والأقوى للتنظيم الجديد، كونها أعطت له زخمًا شعبيًّا وجماهيريًّا دفع البعض إلى مبايعته والاعتقاد بقدرته على تحقيق النصر.

إيران وداعش والقاعدة:

تؤكد الوقائع وعلاقات إيران المتشابكة: أن قيام إيران بمدِّ التنظيمات المسلحة في مصر وغيرها بالسلاح والعتاد لم يعد أمرًا بعيد التصور، بل هو الأقرب للمنطق والعقل؛ فقد باتت لدى الكثير من المتابعين قناعة كبيرة بأن إيران على علاقة قوية ومباشرة مع تنظيمي: (القاعدة وداعش)، وأن القول بذلك ليس من باب الاستنتاج أو التكهن بعد أن تكشفت طبيعة هذه العلاقات.

ففي مقال سابق تناولنا بالتفصيل كيف أن إيران ونظام بشار الأسد في سوريا نجحا في أن يوظفا وبشكل جيد وجود تنظيم (داعش) في كل من العراق وسوريا؛ ليحوِّلا أنظار العالم بعيدًا عن استهداف نظام بشار الأسد، لتكون كل تحركات العالم وجهوده هي لاستهداف التنظيم.

وهو الأمر الذي مثَّل للأسد طوق نجاة، وقبلة حياة! إذ كان قبيل ذلك قاب قوسين أو أدنى من السقوط والانهيار بيد الثوار في سوريا، غير أن النفخ في هذا التنظيم عبر خطة إيرانية أفزع العالم، ودفعه إلى أن تكون أولوياته هي مواجهة (الإرهاب)؛ فيشكل تحالفًا دوليًّا لمحاربة التنظيم وتكون الذريعة بأن تحشد روسيا قواتها وترسل بها إلى سوريا.

كذلك فقد كشفت الكثير من الأحداث على الأرض السورية: أن تنظيم داعش كان واحدًا من أهم المعضلات والعقبات أمام ثوار سوريا في معركة الحسم؛ فقد كانت أسلحته وهجماته ضد الثورة، وليس ضد النظام الذي دخل معه في صفقات علنية، ومنها ما فضحته شبكة (سكاي نيوز) بشأن السيطرة على المدينة القديمة (تدمر)؛ حيث تم تسليمها بشكل سلمي لقوات النظام السوري، بالإضافة إلى سلسلة أخرى من اتفاقيات التعاون بين الطرفين حول تجارة النفط والمنشآت النفطية، وترتيبات لإخلاء بعض المناطق من مقاتلي (داعش) قبل هجوم جيش النظام عليها.

وبالطبع لا يخفى على تنظيم داعش -الذي يُفترض أنه كان ردة فعل على الانتهاكات التي جرت بحق أهل السنة على يد الميليشيات الشيعية الطائفية في العراق وسوريا- هذه العلاقة القوية التي تربط بين إيران وكل من الحكومة العراقية والنظام السوري.

وعليه؛ فقد كان الأولى بالتنظيم -وهذا أضعف الإيمان- أن يوجِّه سلاحه لإيران، وأن يسعى بكل الطرق إلى أن ينشئ له فرعًا في إيران، وهو ما لم يحدث، بل على العكس فإن التنظيم نفسه أعلنها صراحة أنه لن يستهدف إيران ومصالحها، وهو ما تجلى في الرسالة التي وجهها المتحدث باسم الدولة الإسلامية في العراق والشام أبو محمد العدناني لأيمن الظواهري؛ حيث قال: «ظلت الدولة الإسلامية تلتزم نصائح وتوجيهات شيوخ الجهاد ورموزه، ولذلك لم تضرب الدولة الإسلامية الروافض في إيران منذ نشأتها، وتركت الروافض آمنين في إيران، وكبحت جماح جنودها المستشيطين غضبًا رغم قدرتها -آنذاك- على تحويل إيران لبرك من الدماء، وكظمت غيظها كل هذه السنين تتحمل التهم بالعمالة لألد أعدائها إيران؛ لعدم استهدافها، تاركة الروافض ينعمون فيها بالأمن والأمان امتثالًا لأمر (القاعدة) للحفاظ على مصالحها وخطوط إمدادها في إيران».

ولا يتوقف أمر إثبات العلاقة بين داعش وإيران على علاقة التعاون بين نظام بشار؛ الذي لا يتحرك إلا بأوامر إيرانية، وبين داعش، ففي هذا السياق الكثير من الأدلة التي يمكن الاطلاع عليها عبر الكثير من المقالات التحليلية والتقارير التي تناولت هذه القضية؛

فضلًا عن أنها تأتي -أيضًا- في إطار استحضار سابقة تتعلق بعلاقة إيران بتنظيم القاعدة؛ الذي هو الأب الروحي -إن جاز التعبير- لتنظيم داعش، وهي العلاقة التي لم يعد يشكك في طبيعتها أي طرف.

فمضمون الرسالة السابقة بين العدناني والظواهري واضح جدًّا، ففضلًا عن أنها تؤكد أن تنظيم داعش لم يستهدف إيران؛ فإنها تشير -أيضًا- إلى أن ذلك جاء امتثالًا لأوامر القاعدة، وهي إشارة صريحة للعلاقة الوثيقة بين القاعدة والدولة الإيرانية، وإن كان مبرر داعش لعدم استهداف إيران لا يمكن بالطبع أن ينطلي على أحد؛ إذ أصبح معروفًا أن العلاقة بين داعش والقاعدة سيئة لأقصى درجة، أو بالأحرى فإن هذا المبرر إن كان مقبولًا في السابق فإنه لم يعد مقبولًا الآن، بعدما أصبح كل من القاعدة وداعش في مواجهة مسلحة مباشرة في سوريا.

كما يبرز في هذا السياق: الحكم الذي أصدرته إحدى المحاكم الأمريكية في مدينة نيويورك الأمريكية عام (٢٠١٦)، والقاضي بتغريم السلطات الإيرانية تعويضات بقيمة عشرة مليارات دولار لأُسر ضحايا أحداث (سبتمبر ٢٠٠١م)، حيث استند القاضي في حكمه إلى أن إيران أخفقت في الدفاع عن نفسها ضد الادعاءات التي تفيد بتورطها في هذه الادعاءات؛ التي قام بتنفيذها عناصر محسوبة على تنظيم القاعدة.

وكان قد ثبت للعالم كله أن عددًا من قيادات القاعدة كانت ولا تزال تربطه علاقات بإيران، وأنهم تواجدوا لفترات زمنية مختلفة على الأراضي الإيرانية، بل إن بعض أفراد أسر هذه القيادات ربما لا يزال يتواجد على الأرض الإيرانية، وهو ما يؤكد متانة هذه العلاقات؛ التي ربما سمحت بأن يكون تنظيم القاعدة وسيطًا في وجود علاقة طيبة تربط بين إيران وحركة طالبان الأفغانية؛ رغم الاختلاف المذهبي والأيدلوجي، ومن ذلك: ما جرى منذ أيام؛ حيث تعرض الملا منصور أختر -زعيم حركة طالبان الأفغانية- إلى الاغتيال عبر ضربه بطائرة، خلال عودته لأفغانستان قادمًا من إيران عبر باكستان.

وبالطبع، وفي هذا السياق لم يعد ما يتعلل به البعض من الرافضين للربط بين إيران وبعض التنظيمات المسلحة التي تنتسب إلى أهل السنة؛ من أن الطرفين ليسا على توافق فكري أو عقدي ذا جدوى؛ ذلك أن إيران دولة مصالح، وكل ما يشغلها هو: تحقيق هذه المصالح، فأمامها تنهار الأيدلوجيا كما تنهار الشعارات ومواد الدستور الإيراني، بل لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن إيران ستكون أحرص الدول على بقاء مثل هذه التنظيمات المسلحة ذات السمعة العالمية السيئة، لتظل فزاعة يمكن بها أن ترهب الغرب وأمريكا، وتروج أنها الوحيدة القادرة على التصدي لهذه التنظيمات وتوقف زحفها.

إيران وإرهاب الخليج:

والسلوك الإيراني تجاه أغلب بلدان الخليج يأتي كدليل ماثل أمام الأعين: أن إيران بالفعل لا تتورع عن استخدام كل الوسائل من أجل إثارة التوتر وبث الفزع داخل دول الجوار.

وهو السلوك الذي اتخذ شكلين:

الأول: دعم الميليشيات والعناصر المسلحة بالمال والسلاح والتدريب، في عدد من الدول؛ لإشعال حروب طائفية، كما هو الحادث في كل من سوريا والعراق واليمن ولبنان.

ففيما يخص الشأن السوري لم تتردَّد إيران -ومنذ تصاعد حدة الثورة السورية- في أن تقدم كل الدعم اللازم لبشار الأسد، فأمدت النظام السوري بكل ما يحتاجه من أسلحة ودعم مالي بلغ عشرات المليارات من الدولارات، فوفق وزير الاقتصادي السوري قدمت إيران لسوريا حتى عام (٢٠١٤) نحو (١٥) مليار دولار؛ فضلًا عن إرسال أكثر من عشرة آلاف مقاتل إيراني، فيما أوعزت إلى كل من شيعة لبنان والعراق وأفغانستان وباكستان للانخراط في مقاتلة الثوار السوريين.

والأمر لا يختلف كثيرًا في العراق؛ حيث قامت إيران بتقديم الدعم اللازم، وفي المقدمة: السلاح الإيراني، لقوات الحشد الشعبي التي تتشكل من نحو (٦٧) فصيلًا، أغلبها من الشيعة المتطرفين، والذي جاء على إثر ما عرف بفتوى الجهاد الكفائي؛ التي أصدرها رجل إيران في العراق والمرجعية الدينية في النجف «علي السيستاني»، ورغم أنه تم إدراجه ضمن المؤسسة الأمنية الرسمية إلا أن أمر تورطه في انتهاكات جسيمة وبالجملة بحق أهل السنة يعلمه القاصي والداني!

وهو ما شكل التحفظ الرئيس لدى الكثير من بلدان المنطقة على إشراك هذه القوات في المعارك التي تستهدف تنظيم داعش في المدن العراقية.

وبصورة أخرى؛ ترسل إيران السلاح الإيراني إلى ميليشيات الحوثيين في اليمن، وهو ليس مجرد اتهام توجهه لإيران الحكومة الشرعية بقيادة الرئيس عبد ربه منصور هادي أو المملكة العربية السعودية، ولكنه اتهام أكدته العديد من المؤسسات والهيئات الدولية، ومن ذلك: ما أكده محققون دوليون في تقرير لهم نشر في (٢٩ نوفمبر) الماضي حول وجود خط بحري لتهريب الأسلحة من إيران إلى الحوثيين في اليمن، عبر إرسالها أولًا إلى الصومال، وذلك بالاستناد إلى عمليات تفتيش بحرية تمت بين شهري (فبراير ومارس ٢٠١٦)، وضبطت خلالها أسلحة مهربة على متن سفن الداو الشراعية التقليدية.

وقالت منظمة «أبحاث تسلح النزاعات» التي تتخذ من بريطانيا مقرًّا لها: إنها حللت صورًا فوتوغرافية للأسلحة التي صودرت من هذه السفن خلال عمليات تفتيش تولتها السفينة الحربية الأسترالية (إتش أم أيه أس دارون)، والفرقاطة الفرنسية (أف إس بروفانس) وأنه تم ضبط أكثر من ألفي قطعة سلاح بينها رشاشات كلاشنيكوف و(١٠٠) قاذفة صواريخ إيرانية الصنع. أما الفرقاطة الفرنسية فضبطت على متن سفينة داو أخرى ألفي رشاش تحمل مميزات (صناعة إيرانية)، و(٦٤) بندقية قناص من طراز (هوشدار-أم) إيرانية الصنع.

وليست هذه المرة الأولى التي يتم الكشف فيها عن أسلحة إيرانية متجهة إلى اليمن، بل تم إثبات ذلك عشرات المرات فيما اعترف العديد من المسئولين الإيرانيين بهذا بطريقة مباشرة أو ضمنية، ما يعد انتهاكًا واضحًا لقراري مجلس الأمن رقم (٢٢١٦ و٢٢٣١).

ولا تكمن خطورة السلاح الإيراني الموجَّه لليمن في استمرار النزاع اليمني فحسب، بل إن الأمر تعدى الحدود الجغرافية لليمن؛ إذ لا يفتأ يهدد الحوثيون بشكل صريح الجارة السعودية، بل وكثيرًا ما تحول هذا التهديد إلى فعل واقعي؛ حيث وجه الحوثيون وأنصار الرئيس اليمني المخلوع علي عبد الله صالح صواريخ إيرانية الصنع - وغير إيرانية - إلى الأراضي السعودية.

حتى أن الناطق باسم التحالف العربي -الذي تقوده السعودية ضد الحوثيين وحلفائهم- كشف في تصريحات له في نهاية (مارس) الماضي: أن المتمردين أطلقوا نحو (٤٠) ألف صاروخ وقذيفة على الأراضي السعودية المجاورة، ما أسفر عن مقتل نحو (٣٧٥) مواطنًا سعوديًّا، وتهجير نحو (١٧) ألفًا من قراهم ومدنهم، علاوة عن إغلاق نحو (٥٠٠) مدرسة.

وتأتي لبنان كنموذج رابع لهذا النوع، فالمسلَّم به: أن إيران هي الداعم الأول والرئيسي لحزب الله اللبناني، وهو أمر لا تنكره القيادات الإيرانية ولا حتى قيادات حزب الله؛ التي تؤمن بولاية الفقيه، فيما يعلن أمينه العام حسن نصر الله ولاءه لمرشد الثورة الإيرانية.

والسلاح الإيراني هو السلاح الأساسي بيد عناصر الحزب، بل إن إيران اتخذت خطوات أكثر جرأة؛ حيث أنشأت مصانع لتصنيع أسلحة داخل الأراضي اللبنانية، وهو ما كشفته مؤخرًا شبكة (سكاي نيوز)؛ التي نقلت عن أحد مساعدي قائد الحرس الثوري الإيراني قوله: إن طهران تنشئ مصانع للأسلحة والصواريخ لحساب حزب الله في لبنان، على عمق يزيد على (٥٠) مترًا، فوقها طبقات مختلفة من المتاريس المتنوعة؛ حتى لا تستطيع الطائرات ضربها.

وأن المصنع ينتج أنواعًا مختلفة من الصواريخ يصل مداها إلى أكثر من (٥٠٠) كيلومتر، بينها صواريخ أرض-أرض، وأرض-بحر، وطوربيدات بحرية تطلق من قوارب خفيفة وسريعة، وغيرها من الأسلحة.

وأضافت: أن مصنعًا واحدًا لا يقوم بصناعة الصواريخ بشكل كامل، بل تُصنع كقطع مستقلة في مصانع مختلفة، وفي النهاية يتم تجميعها.

مشيرة إلى أنه تم تأسيس فرع خاص في جامعة الإمام الحسين في إيران التابعة للحرس الثوري يدرب لبنانيين وأجانب على صناعة الأسلحة.

وهنا يجدر أن نشير إلى أن الأكذوبة التي طالما رددتها إيران من

أن دعم حزب الله إنما هو لمواجهة الكيان الصهيوني؛ قد تكشفت أمام الجميع بعد أن سقط قناع الحزب، وظهر على طائفيته المقيتة ومشاركته في محاربة الشعب السوري!

ومن قبل موقف حزب الله من الأحداث في سوريا؛ فقد تابع العالم كله تدهور الوضع السياسي في لبنان، وكيف أن حزب الله عطل لسنوات انتخاب رئيس الجمهورية اللبنانية وأعمال كل من الحكومة والبرلمان، الأمر الذي انعكس سلبًا وبشكل ملحوظ على حياة المواطن اللبناني، وهو الأمر الذي لم يكن لأي فصيل سياسي -حتى الدولة اللبنانية نفسها- أن تتعامل معه بشكل جدي خشية أن تتصاعد الأمور إلى حد خطير، في ظل امتلاك حزب الله لكل هذا الكم من السلاح الذي يرهب به كل الداخل اللبناني!!

الثاني: دعم العناصر الإرهابية والمخربة لتنفيذ تفجيرات وعمليات مسلحة واضطرابات في عدد من البلدان، ومنها: المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين، وهو ما أكدته مرارًا وخلال التحقيقات القضائية في هذه البلدان العديد من العناصر التابعة للخلايا التي تم ضبطها؛ سواء بعد تنفيذ عمليات، أو خلال القيام بتهريب أسلحة ومتفجرات.

ويمكننا أن نستدل على ذلك بنماذج لا حصر لها، الأمر الذي دفع المملكة إلى أن تؤكد ذلك في كلمة نائب المندوب الدائم لوفدها في الأمم المتحدة أمام اللجنة الأولى، خلال أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في الدورة (٧١) للشق الخاص بالأسلحة التقليدية، ألقاها في (أكتوبر) من العام الماضي؛ حيث أعلن أن المملكة ألقت القبض على خلايا إرهابية تابعة لإيران، قامت بتهريب الأسلحة والمتفجرات إلى المملكة والبحرين والكويت، معربًا عن قلق المملكة البالغ من الآثار الإنسانية والاقتصادية والاجتماعية بالغة الخطورة لعمليات الاتجار غير المشروع في الأسلحة الصغيرة والخفيفة، داعيًا المجتمع الدولي لبذل الجهود الممكنة للتعاون من أجل التصدي لتلك الظاهرة الخطيرة، والتأكيد على استمرار التزام المملكة ببرنامج عمل الأمم المتحدة لمكافحة الاتجار غير المشروع في الأسلحة الصغيرة والخفيفة.

وقال الدبلوماسي السعودي: «ما تمارسه إيران من دعم النزاعات الطائفية في عدد من دول المنطقة؛ من خلال تقديم الأسلحة إلى الميليشيات الطائفية والجماعات الإرهابية تأكيد على نهج إيران في نشر الدمار والخراب، وتأجيج الطائفية بين أفراد المجتمع في تلك الدول بشكل يثير التساؤل: هل إيران دولة تحترم القانون الدولي؟ أو أنها ثورة تريد تصديرها للدول الأخرى»؟.

تصدير الثورة والتمدد:

ويعد المشروع الإيراني للتوسع على حساب بلدان المنطقة العربية والإسلامية، ودعوى تصدير الثورة الإيرانية: كأحد أهم ما يفسر سياسة إيران لتسليح الجماعات والتنظيمات في هذه البلدان، فلِكي تحقق إيران هيمنتها على هذه الدول فإن الخطوة الأولى يجب أن تكون: إضعاف هذه الدول، وتفكيك بُنيتها، ومن ثم فإن أفضل ما يحقق ذلك هو: نشوب الصراعات والنزاعات داخل كل دولة على حدة، الأمر الذي يسهل لإيران عملية الاختراق والنفاذ، ودعم الأطراف الموالية لها؛ لتحقيق المزيد من المكاسب السياسية، وإخضاع هذه الدولة أو تلك لسيطرة الولي الفقيه، وهو ما شهدناه واقعًا وفعلًا في العديد من البلدان.

وتأتي الكثير من تصريحات القادة والمسئولين الإيرانيين للتأكيد على هذا، ومنها -مثلًا-:

ما صرح به حيدر مصلحي -وزير الاستخبارات الإيراني السابق في حكومة أحمدي نجاد- من أن «إيران تسيطر فعلًا على أربع عواصم عربية؛ كما قال رئيس الوزراء (الإسرائيلي) بنيامين نتنياهو»،

مضيفًا أن «تصريحات نتنياهو تبين مدى تنامي قوة إيران في المنطقة».

وبحسب مصلحي؛ فإن «الثورة الإيرانية لا تعرف الحدود، وهي لكل الشيعة»، مؤكدًا أن «جماعة الحوثيين في اليمن هي إحدى نتاجات الثورة الإيرانية»، وهو نفس ما أكده مرارًا رئيس الحرس الثوري الإيراني محمد علي جعفري؛ الذي قال: «إن مشروع تصدير الثورة الإيرانية إلى الخارج يسير بشكل جيد، وإننا نشهد صحوة ومقاومة إسلاميتين».

وليست هذه المرة الأولى التي تصدر فيها تصريحات عن قادة في إيران -سياسيين وعسكريين- حول توسعهم ونفوذهم في المنطقة العربية؛ بواسطة الجماعات والميليشيات الطائفية التابعة لطهران في بعض الدول، فقد سبق أن قال الجنرال حسين سلامي -نائب قائد الحرس الثوري الإيراني- إن «المسؤولين في إيران لم يكونوا يتوقعون هذا الانتشار السريع لـ «الثورة الإسلامية» خارج الحدود؛ لتمتد من العراق إلى سوريا ولبنان وفلسطين والبحرين واليمن وأفغانستان»، فيما اعتبر مستشار الرئيس الإيراني لشؤون الأقليات علي يونسي في تصريحات سابقة -أيضًا- أن العراق «عاصمة لإمبراطورية إيران الجديدة»، وهي التصريحات التي أحدثت ضجة كبيرة وقتها، وتسببت في نشوب خلافات داخل النظام الإيراني؛ حيث اعتبر نواب بالبرلمان ومسؤولون بأن هذه التصريحات تضر بالأمن القومي الإيراني، وتضعف نفوذ طهران بالمنطقة.

كذلك؛ فقد سبق وأن قال نائب قائد فيلق القدس، التابع للحرس الثوري الإيراني اللواء إسماعيل قاناني: إن «إيران مستمرة بفتح بلدان المنطقة، وإن الجمهورية الإسلامية بدأت بسيطرتها على كل من أفغانستان والعراق وسوريا وفلسطين، وإنها تتقدم اليوم في نفوذها في بقية بلدان المنطقة».

والموقف الإيراني من مسألة التوسع بذريعة تصدير الثورة ليس مجرد زلات لسان، أو تعبير عن مواقف عابرة؛ وإنما هو جزء أصيل متجذر في عقيدة ملالي وقادة إيران، فهذا كله يأتي اتساقًا مع ما قد أعلنه الخميني -المرشد الأول للثورة-؛ حيث قال: «إننا سنصدر ثورتنا إلى كل العالم، حتى يعلم الجميع لماذا قمنا بالثورة، لقد كان هدفنا: الاستقلال، بمعنى: التحرر من القيود والتبعية للشرق والغرب، أي: أمريكا والاتحاد السوفيتي، والحرية، أي: التحرر من أغلال استبداد إمبراطورية شاه إيران والجمهورية الإسلامية، أي: أن يحقق الإيرانيون حلمهم بإقامة حكومة على أساس الإسلام والديمقراطية».

وفي هذا الإطار -ووفق هذه القناعة- فهم يعتبرون: أن احتلالهم للجزر الإماراتية استرداد للتراب الوطني الإيراني، فقد سبق وأن أكد المتحدث باسم الخارجية الإيرانية بهرام قاسمي: أن جزر «أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى» الواقعة في الخليج (الفارسي) هي جزء لا يتجزأ من التراب الإيراني.

الأمر الذي استفز رئيس البرلمان العربي أحمد بن محمد الجروان، ليؤكد في بيان للرد على الخارجية الإيرانية بأن هذه التصريحات تنمُّ عن جهل مَن يحكم إيران بالقوانين الدولية، وتؤكد على تورط النظام الإيراني في العدوان على دول الجوار.

وقد تكرر الأمر -أيضًا- مع البحرين؛ فقال نائب قائد الحرس الثوري الإيراني اللواء حسين سلامي عقب سيطرة قوات الأسد على مدينة حلب السورية: إن «الانتصار في حلب مقدمة لتحرير البحرين»، مشيرًا إلى أن مشروع إيران التوسعي سيمتد إلى البحرين واليمن والموصل بعد سقوط مدينة حلب السورية»، ومضيفًا: أن «شعب البحرين سيحقق أمنيته، وسيسعد الشعب اليمني، وسيتذوق سكان الموصل طعم الانتصار؛ وهذه كلها وعود إلهية»!

ولا يخفى أن تصريحات سلامي تأتي في ضوء ما كان أعلنه المرشد الإيراني علي خامنئي صراحة عن دعم بلاده لمحاولات بث الفوضى في مملكة البحرين والمنطقة، وأنها ستواصل هذا النهج العدائي في المستقبل؛ فضلًا عن تصريحات أخرى لمسئولين وقيادات الدولة الإيرانية، ما استدعى -أيضًا- أن تصدر الخارجية البحرينية بيانًا شاملًا ترد فيه على هذه التصريحات، فضلًا عن استدعاء القائم بأعمال السفارة الإيرانية بالإنابة لدى المنامة، وسلمته مذكرة احتجاج رسمية على تصريحات خامنئي الداعمة للمعارضة.

وتأتي أخيرًا التهديدات الصريحة التي وجهها خلال شهر (مايو) من العام الجاري وزير الدفاع الإيراني حسين دهقان للمملكة العربية السعودية؛ حيث قال -تعقيبًا على تصريحات ولي ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان بشأن نقل المعركة إلى الداخل الإيراني-: إن إيران لن تُبقي أي مكان آمنًا في السعودية -باستثناء الأماكن المقدسة- إذا ارتكبت الرياض (أي حماقة!)، رغم أن المسئول السعودي لم يتطرق إلى الأمور العسكرية، وإنما كانت إشاراته إلى تعرية المشروع الإيراني.

والمعلوم أن هذا الموقف الإيراني ضد المملكة ليس مجرد ردة فعل على تصريحات الأمير محمد بن سلمان، وإنما هو توجه ثابت لدى إيران تجاهها، فلا زالت تتردد في الأصداء تلك التصريحات التي كان قد أطلقها اللواء محمد علي جعفري -القائد العام للحرس الثوري الإيراني- عام (٢٠١٥م)، والتي قال فيها: «إن الحرس الثوري مستعد لتوظيف جميع قدراته لتوجيه رد سريع وعنيف في أي زمان ومكان ضد آل سعود، بسبب كارثة منى، واسترداد حقوق الحجاج الإيرانيين الضحايا، وتحقيق طلب المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي».

بل إن خامنئي نفسه هدد وفي العام ذاته «برد عنيف وقاس في حال أساءت السعودية للحجاج»، فيما قال العميد مقتدى قرباني -المقرب جدًّا من الجنرال قاسم سليماني رئيس فيلق القدس-: «إن ألفي صاروخ جاهزة لضرب السعودية إذا أصدر مرشد الثورة أوامره بالتنفيذ».

وبالطبع لا يمكن التعاطي مع هذه التصريحات باعتبارها كلامًا عابرًا أو للاستهلاك المحلي، وتأجيج المشاعر والتلاعب بالعواطف، وغير ذلك من أمور تتعلق بالشحن النفسي والتعبوي للجمهور الداخلي؛ إذ جاءت أغلب هذه التصريحات على لسان شخصيات لها وضعها وثقلها! بل وكان من بينها الشخصية الأولى في إيران، ومن ثم فبكل تأكيد سيكون لها آثار وانعكاسات على أرض الواقع.

إيران وإشعال المنطقة:

في ضوء ما سبق لم يكن من المبالغة على الإطلاق القول بأن هناك بالفعل خطة إيرانية تستهدف بسط النفوذ، وأن أحد أهم أدوات تنفيذ هذه الخطة هو: نشر الفوضى في كل الدول الإقليمية، بل والخارجة عن الإقليم؛ والتي يمكن عبر تمديد النفوذ الإيراني إليها أن تكون أدوات ضغط تمارس على دول أخرى، وتحقيق مصالح تصب في النهاية لما تهدف إليه إيران.

وهو ما لا يمكن بطبيعة الحال أن يتحقق إلا بتسليح التنظيمات والجماعات داخل هذه البلدان، وإثارة النعرات الطائفية والقومية، وهو الدور الذي تجيده إلى حد كبير الدولة الإيرانية بغض النظر عن الاتفاق الفكري أو الأيدلوجي مع هذه التنظيمات، فالهدف هو: ضرب الجميع بالجميع، واستنزاف الطاقات؛ لتبقى إيران هي اللاعب الأساسي والأقوى.

وتأتي مصر كواحدة من هذه البلدان التي تحتل مكانة متميزة في السياسة الإيرانية، كونها من أهم القوى السنية التي يمكن أن تقف بالمرصاد وكحائط صد أمام النفوذ الإيراني، وهو ما دفع إيران فور نجاح ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١) إلى محاولة نسبة هذه الثورة المصرية لثورة الخميني، وأنها -بحسب المسئولين الإيرانيين- مجرد سير على خطى الثورة الإيرانية أو استنساخ لها، الأمر الذي أثار حفيظة المصريين!

وقد عبرت كلمة رئيس الإذاعة والتلفزيون عزت الله ضرغامي التي ألقاها على مسامع وفد الدبلوماسية الشعبية المصرية -الذي زار إيران بعد الثورة- عن الكثير من نوايا إيران تجاه مصر؛ إذ قال ضرغامي مخاطبًا الوفد الزائر: «إن الغرب يريد شراء ثورتكم بـ (٤٠) مليون دولار، ونحن سندفع أكثر، فهل ستقبلون ببيعها؟».

كذلك فقد عملت كل جهدها على أن توطد علاقاتها بمصر، وتفتح صفحة جديدة في هذه العلاقات؛ حتى يكون لها ولرجالها موطئ قدم في الساحة المصرية لتحقيق المراد، فانتهزت وصول الإخوان المسلمين إلى الحكم في مصر؛ حيث قام رئيسها أحمدي نجاد بزيارة البلاد، لتكون أول زيارة لرئيس إيراني لمصر بعد أكثر من ثلاثين عامًا، وهي الزيارة التي التقى خلالها بعدد كبير من الشخصيات السياسية والفكرية المعروفة.

فيما أثير النقاش حول فتح باب السياحة المصرية أمام السائحين الإيرانيين، وغير ذلك؛ ما قوبل برد فعل من قبل العديد من القوى والتيارات السياسية التي رأت في كل هذا محاولات إيرانية لاختراق مصر، ولعل مما يدعم هذا التصور: أن الدولة الإيرانية أيدت ودعمت الجماعة الإسلامية المصرية؛ التي دخلت وعلى مدار سنوات في صراع مسلح مع السلطة في مصر، بل إنها أطلقت اسم قاتل الرئيس المصري الأسبق أنور السادات (خالد الإسلامبولي) -ولا زالت تطلق اسمه- على أحد شوارع العاصمة طهران، في حين استضافت لسنوات العديد

من قيادات الجماعة الهاربين خارج مصر وأسرهم.

وتأتي ليبيا كنموذج آخر، رغم البعد الجغرافي بين إيران وليبيا، ومن ثم فإنه من المفترض أن لا تكون ضمن القائمة المدرجة لديها للاستهداف، غير أن العديد من التقارير أشارت إلى اكتشاف سفن إيرانية محملة بالسلاح متجهة إلى سيناء وليبيا؛ فضلًا عن أنه وخلال (عملية الكرامة) في ليبيا اكتشفت مختلف القوى الليبية وجود أسلحة إيرانية مع القوى الأخرى.

وهو ما يؤكد أن إيران ضالعة في كل ما يحدث من معارك وإرهاب في ليبيا، وأن ما يشغلها هو: احتدام الصراع بين جميع الأطراف، والأمر نفسه يحدث مع البلدان الأفريقية، ففي (أكتوبر عام ٢٠١٠) قامت السلطات النيجيرية باعتقال أحد عناصر فيلق القدس ومعه حمولة من الأسلحة كان متجها بها إلى غامبيا؛ التي تعرف بالصراعات السياسية وجهود نشر التشيع بين مسلميها البالغة نسبتهم (٩٥%) من عدد سكانها.

والنظر إلى تطور إنتاج السلاح في إيران لا يحتاج إلى كثير جهد لإثبات أنها متورطة بالفعل في توريد سلاحها للعديد من المنظمات والجماعات المسلحة في بلدان المنطقة، خاصة وأن إيران محرومة وبشكل رسمي من تصدير السلاح؛ حتى برغم توقيع الاتفاق النووي عام (٢٠١٥)، والذي مع إلغائه للعقوبات الاقتصادية إلا أنه أبقى على حظر شراء وبيع الأسلحة.

وتاريخ تصنيع السلاح في إيران يعود لزمن الشاه، غير أنه وبعد عامين على الحرب الإيرانية-العراقية (١٩٨٠-١٩٨٨) تمكنت إيران من إنشاء أكثر من (٢٤٠) مصنعًا، و(١٢) ألف ورشة يعمل فيها (٤٥) ألف شخص، الأمر الذي يجعل الصناعة العسكرية تشكل (١٥%) من المعدل الإجمالي للصناعات الإيرانية.

وعليه؛ فإنها مدفوعة إلى أن تسلك كل الطرق من أجل تصدير هذا السلاح لتحقيق أرباح مالية، ومن ثم فهي تضرب عصفورين بحجر: نشر الفوضى، وجني المكاسب.

التجربة السياسية الشيعية الحديثة..
من المعارضة إلى السلطة:
٤- التجربة الشيعية اللبنانية

بوزيدي يحيى-باحث وكاتب جزائري

خاص بـ «الراصد».

تنفرد لبنان بمساحتها الجغرافية الصغيرة جدًّا؛ في مقابل تنوع الإثنيات والطوائف الدينية المشكِّلة لها، حيث تكاد تجتمع فيها كل الطوائف، إضافة إلى موقعها الجيوسياسي الهام في المشرق العربي؛ الذي جعل منها نافذة للصراعات والتحالفات الإقليمية والدولية.

وقد انعكس كل ذلك على طبيعة نظامها السياسي والتفاعلات بين مختلف عناصر عمليته السياسية؛ التي تكاد تكون سلسلة متواصلة من الحروب وعدم الاستقرار، تتخللها فترات قصيرة من السلم الحذر.

هذه الخلفية؛ من المهم استحضارها عند محاولة تقييم التجربة الشيعية اللبنانية الحديثة.

والجانب الثاني المهم في هذه التجربة: أنها تمثلت في فصيلين أساسيين هما: (حركة أمل، وحزب الله)، ورغم استمرار وجود الحزبين في الساحة اللبنانية إلا أن حجم التأثير والدور على المستوى الداخلي بشكل خاص والعربي يكاد يتقاسمانه زمنيًّا، إذ تمثل (حركة أمل) بدايات هذه التجربة مع موسى الصدر، والتي تطورت تدريجيًّا لتفقد بريقها مع اختفائه في (١٩٧٨)، ثم نجاح الثورة الإيرانية في السنة التالية؛ والذي أدى إلى انقسام داخل الحركة، انتهى بتشكيل (حزب الله) تحت رعاية الحرس الثوري الإيراني، وأفلت زمام المبادرة من الحركة من حينها.

والجانب الثالث الذي يجب أخذه بعين الاعتبار -أيضًا-: أن الحراك السياسي شديد التسارع الذي يميز لبنان جعله يمر بالكثير من الأحداث المهمة التي يصعب تتبع آثارها على السلوك الشيعي، ولذلك ستركز المقالة على أحداث مفصلية شكلت منعطفات حاسمة في هذه التجربة.

إضافة إلى قضايا كبرى تثار بشكل مستمر لعل أهمها: التوازنات بين مختلف الطوائف، وسلاح حزب الله، والموقف من الاحتلال الصهيوني، والتبعية لأطراف خارجية.

تأسيسًا على ذلك؛ فإن الدراسة ستقسم إلى أربعة محاور رئيسية:

يتركز أولها: على الدور الذي لعبه الصدر في الوسط الشيعي اللبناني.

والمحور الثاني: على حزب الله ودوره داخل لبنان أيضًا.

ويخصص المحوران الثالث والرابع: لموقف شيعة لبنان من فلسطين والأزمة السورية على التوالي.

المحور الأول: موسى الصدر وشيعة لبنان.. المأسسة والعسكرة:

ارتبط شيعة لبنان - كطائفة مؤثرة في العصر الحديث - باسم موسى الصدر؛ الذي أحدث نقلة كبيرة في الوسط الشيعي اللبناني بعد انتقاله إليه قادمًا من إيران موطنه الأصلي، وقبل ذلك لم يسجل أي حضور فعال لهم في الساحة السياسية، وهو ما يعتبرونه إقصاء وتهميشًا متعمدًا من طرف الدولة للطائفة.

وإن كان الحرمان والفقر حقيقة لا جدال فيه؛ إلا أن تخصيصه للشيعة دون غيرهم من الطوائف لا يستند إلى حقائق موضوعية، كما أن تحميل أسبابه للدولة فيه قدر كبير من المبالغة؛ وذلك لأنه بالعودة إلى لحظة تأسيس الدولة نجد الدستور قد منحهم ثالث أهم منصب في النظام السياسي: (رئاسة البرلمان)، وبالتالي فإن من يتحمل المسؤولية من هذا المنطلق هو: زعماؤهم الإقطاعيين الذين تقاعسوا عن تلبية الحد الأدنى من طموحات الغالبية الساحقة المسحوقة من أبناء طائفتهم في توفير لقمة العيش الكريم، ورفع مستواها الاقتصادي، والمطالبة بما تراه حقوقًا مهضومة لها في النظام السياسي، وتوسيع مشاركة الطائفة في صنع القرار السياسي في البلاد[1].

فرغم أن ميثاق (١٩٤٣) الذي صاغ قواعد تقسيم المناصب السياسية اعترف بالحصة الديمغرافية للشيعة عبر منحهم ثالث أهم منصب سياسي في البلاد؛ إلا أن ذلك لم يكن انعكاسًا للوعي السياسي للطائفة، فحصة الشيعة هي حصة الزعماء السياسيين التقليديين؛ الذين يتربعون على السلطة بدون منازع! لذا بقيت الطائفة ترزح تحت وطأة سيطرة عدد قليل من هؤلاء الزعماء، دون أن يكون لها تأثير في مجرى السياسة اللبنانية[2].

ويتحمل المسؤولية تاليًا زعماؤهم الدينيون؛ حيث سيطر الاتجاه الشيعي التقليدي على تصورات رجال الدين الشيعة، لذلك لم يكن لهم أي تأثير في الحياة السياسية، وغالبًا ما ترافق تحاشي المؤسسة الدينية الشيعية اللبنانية مسَّ ثوب السياسة مع محضها التأييد والولاء -على الأقل ضمنيًّا- للزعامات التي أفرزتها بيوتات الإقطاع السياسي الشيعي وإسلاس قيادة الطائفة لها، وأسفر ذلك عن شيوع ارتفاع أصوات الشكوى في صفوف أبناء الطائفة من تخلف رجال الدين الشيعة عن ركب الزمن ومواجهة تحدياته؛ فضلًا عن التشكيك والتهكم والازدراء بهم.

وشهد الابتعاد عن الممارسات والشعائر الدينية توسعًا متزايدًا في صفوف الشرائح الشبابية، وملأت ذلك الفراغ الأحزاب اليسارية والقومية التي انجذب أبناء الطائفية لها، إذ لعبت شعاراتها التغييرية دورًا في دغدغة آمال الساعين منهم وراء الانتقال من ضيق الهامشية والتهميش إلى رحاب العدل الاجتماعي، وموقع محوري في النظام السياسي اللبناني[3].

وفي الخمسينيات كان المزاج الشيعي يميل إلى الأحزاب القومية العربية؛ ولهذا سجَّل انكفاء للحزب الشيوعي والقوميين السوريين[4].

---

(١) خليل فضل عثمان، «موسى الصدر ويقظة الهوية الشيعية في لبنان»، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي: (الشيعة العرب: المواطنة والهوية العربية)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، (٢٧-٢٨/فبراير ٢٠١٦).

(٢) غسان فوزي طه، «شيعة لبنان: العشيرة-الحزب-الدولة (بعلبك-الهرمل نموذجًا)»، بيروت، معهد المعارف الحكمية للدراسات الدينية والفلسفية، (ط١)، (٢٠٠٦)، (ص٨٠).

(٣) خليل فضل عثمان، المرجع السابق.

(٤) علي شعيب، «التجربة الحزبية عند شيعة لبنان»، مجموعة باحثين، «الشيعة في لبنان:

=

طرأ تحول في هذا المسار مع دخول موسى الصدر إلى لبنان[1]، فاستثمر في الأوضاع المعيشية المزرية للطائفة الشيعية برفعه شعار (الحرمان)، وجعل منه عنوانًا عريضًا ولافتة لتحركه في ميدان السياسة، سعيًا وراء تحقيق مطالبها، وإعادة التفاوض على موقعها في صيغة الشراكة الوطنية[2].

وشكَّل تحركه عبر بث الخطب المنددة بالإهمال والتهميش للشيعة بداية لصعود حركة استقطابية داخل الطائفة، وقد لاقت هذه التعبئة نجاحًا في الانتقال نحو تسييس أفراد الطائفة؛ عبر تنمية الوعي الجماعي بالعمل على تعزيز دورهم باتجاه التغيير الذي لا بد لتحققه، من الاندماج في إطار الحركة الناشئة تحت اسم: (حركة المحرومين)[3].

وأهم انجازات الصدر في هذا الاتجاه: أنه استطاع إيقاظ الطائفة الشيعية سياسيًّا، ونظَّمها كقوة فاعلة لها صوت ناجز يعمل على تحسين أوضاع هذه الجماعة[4]، بعد أن تحولت الدعوة إلى رفع الحرمان التي أطلقها إلى إطار تنظيمي للطائفة الشيعية، راح يتنامى بين أفرادها على حساب الدور الاستقطابي للحركات الحزبية[5].

وبذلك سحب البساط من الأحزاب القومية واليسارية، وغيَّر بشكل جذري أوضاع شيعة لبنان، بإضعافه إلى حد كبير من دور الزعامات الشيعية التقليدية التي لم تكن لها تطلعات ثورية، وارتضت واقع العيش اللبناني، والتمسك بالمكاسب الخاصة دون النظر لتطلعات وآمال وآلام الأمة الشيعية؛ إن لم يكن قضى عليها[6].

فانتقل الشيعة من دائرة الانتماءات القرابية والحزبية إلى دائرة الانتماء لصفوف الطائفة المتسيسة حديثًا[7].

وأبرز معالم إنجازات الصدر كانت: في قدرته على خلق أطر مؤسساتية، تمثلت في الجمعيات الخيرية التي تكفلت بتغطية الحاجات الاجتماعية للطائفية[8]، وأيضًا تأسيسه «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى» الذي أصبح الواجهة الدينية والسياسية للشيعة،ومكنته هذه المؤسسات من تخطي زعماء الإقطاع السياسي الشيعي والأحزاب السياسية الإيديولوجية المنافسة في آن معًا.

وهي عبر تأطيرها للوجود الاجتماعي للطائفة الشيعية اللبنانية في أُطُر مؤسساتية فاعلة تنظم الكفاءات والطاقات، تركت آثارًا عميقة الغور على تحفيز الوجدان الجماعي الشيعي في لبنان.

وإذ وفرت هذه المؤسسات لأبناء الطائفة أُطُرا للالتحام والذوبان والانصهار في جماعتهم الطائفية، ولحشد طاقاتهم وكفاءاتهم وحتى انفعالاتهم في سبيل قضاياها، فإنها -أيضًا- عززت لديهم الانتماء التمايزي[9].

= من التهميش إلى المشاركة الفعالة»، بيروت، دار المعارف الحكمية، (ط١)، (٢٠١٢)، (ص٢٩٥).

(١) وُلد في (٤ جوان ١٩٢٨) في مدينة قُمّ-إيران، من عائلة من كبار العلماء، درس الاقتصاد في جامعة طهران، قدم إلى مدينة صور-لبنان في أواخر (١٩٥٩)، وبدأ العمل فيها كعالم دين خلفًا لعبد الحسين شرف الدين.

في (١٩٦١) أطلق عمله الاجتماعي المؤسساتي بدءًا بإعادة تنظيم هيكلية «جمعية البر والإحسان»، ومرورًا بإنشاء مؤسسات عامة تعنى بالشؤون التربوية، المهنية، الصحية، الاجتماعية والحوزوية.

وبتأثيره أقر مجلس النواب قانون إنشاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في (١٩٦٧). ثم أسس لاحقًا حركة أفواج المقاومة اللبنانية (أمل).

وفي (١٩٧٨) اختفى بعد زيارة له إلى ليبيا، وتوزعت الاتهامات بين العديد من الأطراف، أبرزها: حركة المقاومة الفلسطينية والخميني.

لتفاصيل أكثر ينظر: «محطات تاريخية في سيرة سماحة الإمام موسى الصدر»، مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات، على الرابط:
http://imamsadr.net/Home/contents١.php?id=٢

(٢) خليل فضل عثمان، المرجع السابق.

(٣) غسان فوزي طه، المرجع السابق، (ص٢٠٩).

(٤) «مجموعة الأزمات الدولية، حزب الله والأزمة اللبنانية، مجموعة الأزمات الدولية»، تقرير الشرق الأوسط رقم (٦٩)، (١٠/١٠/٢٠٠٧)، (ص٤).

(٥) غسان فوزي طه، المرجع السابق، (ص١٣٥).

(٦) عبد المنعم شفيق، «حقيقة المقاومة: حزب الله رؤية مغايرة»، (ط١)، (٢٠٠٠)، نسخة إلكترونية عن موقع «البيِّنة»، (ص٧٢).

(٧) غسان فوزي طه، المرجع السابق، (ص٩٥).

(٨) أسس الصدر عددًا كبيرًا جدًّا من الجمعيات الناشطة في المجال الاجتماعي، والتي كانت في حاجة لأموال كبيرة جدًّا لتسييرها، وطرحت علامات استفهام كبيرة حول مصادر التمويل، واعتبر ذلك مؤشر على دعم شاه إيران محمد رضا بهلوي للصدر، وأن قدومه إلى لبنان كان في إطار مهمة استخباراتية كلِّف بتنفيذها من طرفه وبتنسيق مع مراجع الدين أيضًا.

(٩) خليل فضل عثمان، المرجع السابق.

الصدر وثقافة المواطنة:

يعزو الكثير من الشيعة للصدر تكريسه لثقافة المواطنة بين المجتمع الشيعي اللبناني؛ وذلك من خلال إلحاحه المستمر على الانتماء الوطني، غير أن هذا الادعاء لا يصمد أمام جملة من الحقائق يأتي في مقدمتها: إيرانية مولده ونشأته؛ حيث بقيت لكنته الأعجمية في خطبه حتى بعد سنوات على تمكنه من اللغة العربية، فمن أين تأتي هذه الوطنية؟

وإذا كان هذا البعد عرضيًّا -على أهميته من الناحية السيكولوجية- فإن الأسباب الأكثر عمقًا تكمن في خلفيته الدينية والأيديولوجية، فدوره السياسي لم يخرج عن الحالة التي سادت في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي في العالم العربي والإسلامي؛ حيث رافق الصحوة الإسلامية في المجال السني صحوة أخرى في المجال الشيعي.

فالحركات الشيعية كانت تسعى لتجسيد نموذج سياسي يتوافق مع معتقداتها، وقد تأثرت الحركة الإسلامية الشيعية اللبنانية في بداياتها وقبل انتصار الثورة في إيران بأفكار وتجربة حزب الدعوة العراقي، وبمرجعية محمد باقر الصدر الفكرية والسياسية أيضًا، قبل أن تتحد مجموعات وأحزاب ولجان هذه الحركة وتذوب عام (١٩٨٥) في حزب الله[١].

وهذه التيارات لم تكن تعترف بالدولة الوطنية، وكانت ترفض كل أشكال التعاون مع أهل السنة والجماعة؛ نظرًا لتصادم أسس التصورات حول الدولة من التأسيس بين الخلافة والإمامة إلى الدولة المهدوية[٢].

ولئن كانت قراءة الصدر الحركية للتشيع قد صدرت من موقع التغاير مع القراءة الموروثة فإنها لم تغادر أصول التشيع الإيمانية الدينية، وشأن كل القراءات التي تنطوي على تدخل إيديولوجي في المتون، فإن قراءة الصدر أعادت تفسير هذه الأصول وتقديمها في قالب من المفاهيم التي كسرت تقاليد انكفاء المؤسسة الدينية الشيعية عن الشأن العام، وسحبت -عبر التأكيد على موضوعة العدل الاجتماعي- البساط من تحت أقدام اليسار، وقدمت إجابات كان الإقطاع السياسي الشيعي عاجزًا عن تقديمها على الأسئلة المحيرة التي قضَّت مضاجع شرائح واسعة من الشباب الشيعي، وأضفت مشروعية دينية على حراكه[٣].

ويظهر ذلك من سعيه إلى الانفصال التام للشيعة؛ باعتبارهم طائفة مستقلة عن المسلمين السنة، فقد كان للمسلمين في لبنان مفتٍ واحد، ودار فتوى واحدة، وكان المفتي وقتها هو الشيخ حسن خالد، وادعى الشيعة أنه رفض التوصل إلى عمل مشترك معهم.

وفكَّر الشيعة في إنشاء «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى» عام (١٩٦٦)، وأصبح هذا المجلس المرجعية السياسية والدينية الجديدة التي تهتم بكل ما يتعلق بالشيعة اللبنانيين وبجميع شؤون حياتهم ومماتهم، وتحولت المرجعية بهذا المجلس من مرجعية فردية إلى مرجعية مؤسسية؛ وإن لم يتم التخلي عن دور المرجع الشخصي[٤].

فإذا كان الصدر يتحرك من وازع ديني، وينطلق من رؤية وحدوية تتقبل الآخر المسيحي المختلف كليًّا تحت سماء الوطن؛ فيفترض -انسجاما مع هذا المبدأ- أن يجد مجالًا للتعاون والتفاهم مع السنة تحت السقف الإسلامي؛ خاصة في ظل خطاب التقريب بين المذاهب الإسلامية الذي كان رائجًا في تلك الفترة، أما وأنه اختار بدل ذلك الاستقلال المؤسساتي، فهذا دليل على خلفية طائفية يحتكم إليها.

ومن المعلوم أنه في استنهاضه للشيعة ارتكز على خطاب طائفي تجسد فيحشده لمشروعه من خلال أسلوب التعبئة التي بثها في الخطاب الذي وظف فيه البنية الثقافية الشيعية باستعادتها من الذاكرة

---

(١) طلال عتريسي، «تغير أحوال شيعة لبنان»، ضمن مجموعة باحثين، «الشيعة في لبنان: من التهميش إلى المشاركة الفعالة»، بيروت، دار المعارف الحكمية، (ط١)، (٢٠١٢)، (ص٢٤٩).

(٢) لتفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: المقالة الثانية في هذه السلسلة -والتي كانت حول التجربة العراقية-، وبوزيدي يحيى، «التجربة السياسية الشيعية الحديثة.. من المعارضة إلى السلطة، ٢-التجربة العراقية»، مجلة «الراصد»، العدد (١٦٦)، (٢٩/٣/٢٠١٧)، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٧٧٤٦

(٣) خليل فضل عثمان، المرجع السابق.

(٤) عبد المنعم شفيق، المرجع السابق، (ص٧٢).

ومن تقليديتها إلى حيز الواقع، فعبَّرت عن إدراكه بالمواءمة في الخطاب بين الاعتقاد والغايات السياسية[1]، فرفع شعارت تندد بالحرمان والتهميش؛ في إشارة إلى المظلومية التي يرتكز عليها الشيعة في ردود أفعالهم السياسية التي ترجع مشاكلهم إلى عدوان الآخر عليهم.

فكانت مواجهة الحرمان وما يختزنه من مظلومية جماعية هي العنوان الأساسي للقضية الجذَّابة التي رفعها الصدر، وتضرب هذه القضيَّة جذورها عميقًا في الثقافة الدينية[2].

كما أولَت (حركة أمل) منذ بداية نشوئها اهتمامًا كبيرًا بالشعيرة الحسينية؛ وذلك لما تمثله من أهمية في وجدان الشيعة من جهة، ولكون الخطاب السياسي للحركة قد ارتكز في الكثير من مبادئه على معاني الثورة الحسينية.

وقد أراد الصدر تقديم عاشوراء من خلال فهم جديد، يستند على تعميق المأساة، وتحريك الوجدان والمشاعر، وتحويلها من مناسبة تقتصر على البكاء والحزن إلى تجسيد الواقع بكونها ثورة هدفت إلى إصلاح حال الأمة؛ التي كانت تعيش حال الإحجام عن ممارسة دورها، جراء الخوف من ضغوط السلطات والطمع[3].

من جانب آخر؛ وعند الأخذ بعين الاعتبار موازين القوة فإنه لا يمكن التأسيس على الخطاب الوطني الوحدوي الذي رافق مسيرة موسى الصدر للتدليل على نضجٍ في الممارسة السياسية وثقافة المواطنة عند الشيعة؛ لأنه في تلك المرحلة كانت الطائفة في موقف ضعيف جدًّا، ولا تمتلك أذرعًا سياسية ولا اقتصادية، ولذلك فإن الخطاب الذي سوَّقه الصدر حينها أمْلته ظروف المرحلة، وحصَّل من خلاله العديد من المكاسب، والتي يأتي في مقدمتها: الاعتراف بالطائفة من خلال «المجلس الشيعي الأعلى».

وقد اتجَّه الصدر لاحقًا إلى ممارسة مستوى من الضغط المسلح؛ من خلال تأسيس «حركة المحرومين»، وكل ما قامت به (أمل) لاحقًا كان الصدر قد وضع لبناته الأولى.

وأهم الإشارات في هذا السياق: تأييده التدخل السوري في لبنان؛ حيث زار في (٢٣ جويلية ١٩٧٦) مع وفد من نواب جبهة المحافظة على الجنوب؛ الرئيس حافظ الأسد، لطلب حل مسألة الجنوب، وبعدها أصبحت (أمل) مع حلفاء سوريا في مواجهة تحالف الأحزاب اليسارية والفلسطينية المؤيدة لأبي عمَّار[4].

المحور الثاني: حزب الله.. الولي الفقيه، والجمهورية الإسلامية في لبنان:

نشأ حزب الله نتيجة انشقاق التيار المتدين داخل (حركة أمل) بإيعاز وتوجيه من الحرس الثوري الإيراني، وقد مثَّل الحزب آلة بروبغندا إيرانية فعالة في المنطقة لعقود، كسبت بفضله قطاعًا واسعًا من الرأي العام العربي؛ بتسويق نفسه كحركة مقاومة في مواجهة العدو الصهيوني، كما مكنها -أيضًا- من التمدد في المنطقة العربية وزعزعة استقرارها؛ حيث تدرب الكثير من شيعة الخليج والعراق في مراكزه، وخطط ونفذ معية الحرس الثوري عمليات داخل لبنان وخارجها.

وبخلاف موسى الصدر -الذي ساير الخصوصيات اللبنانية ومكَّن تدريجيًّا الشيعة من تحقيق مكاسب سياسية هامة- اندفع (حزب الله) بحماسة منتشيًا بالزخم الذي أحدثته الثورة الإيرانية، فسعى إلى محاكاتها في لبنان، وقد ساهم الاجتياح الإسرائيلي للجنوب ورفع الحزب شعار «المقاومة والتحرير» في التغطية على هدفه الأساسي الذي لم يحِد عنه؛ كما أثبتت التجربة.

استند الحزب في تعبئة عموم أفراد الطائفة حول الزعامة والولاء للفقيه، فجرى الربط بين الإمام الحسين -المثال الأعلى والرمز والقائد الفقيه العادل، جاعلًا طاعته بمثابة طاعة ترفد إلى قدسية الأولياء- والأئمة العظام.

هذا الربط بين الرمز الشهيد والولي الفقيه لم يكن يقتصر على المناسبات التي تتعلق بانتصار الثورة أو الذكرى السنوية لرحيل

(١) غسان فوزي طه، المرجع السابق، (ص٢٨١).

(٢) حسين فضل الله، «حزب الله والدولة في لبنان: الرؤية والمسار»، بيروت، شركة المطبوعات النشر والتوزيع، (ط٣)، (٢٠٢٥)، (ص٧٦).

(٣) غسان فوزي طه، المرجع السابق، (ص٢٩٠).

(٤) علي شعيب، المرجع السابق، (ص٣٠٣).

الخميني، وإنما غدا موضوع المناسبة: الافتتاح بعد الصلاة على النبي والأئمة الإثني عشر، وإرسال التحية أمام الجموع المحتشدة إلى الولي الفقيه، وتجديد البيعة والبقاء على العهد في طاعته والتزام أوامره.

والالتزام بقيادة الفقيه أصبح يشكل من الناحية العملية أحد متمِّمات الاعتقاد الشيعي المستمد من الأصول المرجعية للطائفة، وعنصرًا من عناصر القوة لدى الحزب، ومدخلًا للتماسك الحديدي لدى الأفراد المنخرطين في صفوفه، ولدى الجماعات القرابية المؤيدة لمشروعه الجهادي[1].

وعلى عكس الكثير من التجارب الشيعية العربية -خاصة الخليجية منها-؛ التي تحولت للولاء إلى السيستاني بعد وفاة الخميني بدل خامنئي، تجنبًا للإحراج الذي تسببه مرجعية ولاية الفقيه لانتمائهم السياسي، وولائهم الوطني؛ حرص (حزب الله) على إعلان ولائه للولي الفقيه الجديد علي خامنئي، لأنه وجده الأقدر بعد الخميني على إعطاء الرأي والفتوى لكل الحركات الإسلامية والجهادية، ومدركًا لساحات الجهاد، ولخوض معركة التحدي ضد الاستكبار وأدواته[2].

وكما هو ملاحظ فإن كل هذه التبريرات سياسية، ولا ترتبط بأي خلفية فقهية موضوعية؛ خاصة مع الإشكال الذي طرح حول الدرجة العلمية لخامنئي.

وفي إطار البعد السياسي نفسه؛ لم يأخذ الحزب بعين الاعتبار تبعات ذلك على المستوى الداخلي، وكيفية المواءمة بين انتمائه الوطني وولائه للمرشد الأعلى الإيراني.

العملية السياسية اللبنانية: الطائفة والمواطنة:

ولج حزب الله معترك الحياة السياسية البرلمانية منذ (١٩٩٢)؛ حيث أصبح له ممثلون في البرلمان، ومن حينها شارك في الاستحقاقات الانتخابية؛ سواء في المجلس النيابي أو المجالس المحلية، وفي هذه التجربة لم يتجاوز الأطر الطائفية أيضًا، بتحالفه المستمر مع حركة أمل، فإزاء التطورات الدستورية التي أحدثها اتفاق الطائف عمدت الطائفة الشيعية -ومن خلال جناحيها الممثلين بحركة أمل وحزب الله- إلى الاندراج بالصيغة الجديدة.

وأصبح حزب الله شريكًا لحركة أمل في مقاعد البرلمان التي تخصُّ الطائفة الشيعية في مختلف الدوائر[3]، وبعدما تجاوز التنظيمان مرحلة الخلاف والصدام انتقلا إلى (التحالف المتين) و(العروة الوثقى)؛ التي أصبحت عصية على كل محاولات الفصل وتجديد الشقاق[4].

وقد ساير الشيعة (حزب الله وأمل) الطوائف الأخرى إلى حد كبير جدًّا في المرحلة السابقة لـ (٢٠٠٥)، لأنها كانت تخدم في المجمل مصالح الراعيين السوري والإيراني، ولكن عند كل منعطف تضرب فيه مصالح أحدهما يتعمق التوافق بينهما، وتكون الطائفية في أوضح تجلياتها.

ففي انتخابات (٢٠٠٥) برز تحالف (العروة الوثقى) بين حزب الله وأمل؛ لمواجهة الطوائف الداخلية وسياساتها، والتحولات الإستراتيجية الإقليمية والدولية، وكنتيجة للدفاع عن المصالح السورية بعد اغتيال رئيس الوزراء رفيق الحريري.

وعندما صدر قرار مجلس الأمن (١٥٥٩) في (٢٤ سبتمبر ٢٠٠٤)، والقاضي بخروج القوات السورية من لبنان، لم يلتحق أي من قادة الشيعة السياسيين بهذه الحركة المعارضة لاستمرار وجود سوريا في لبنان[5].

وفي (٢٠٠٥) نظَّم حزب الله مظاهرات حاشدة لتقديم الشكر إلى دمشق، والإعراب عن الامتنان لوجودها العسكري، لأن مصالح

---

(١) غسان فوزي طه، المرجع السابق، (ص٣٠٩-٣١٠).

(٢) المرجع السابق، (ص٣٠٥).

(٣) المرجع السابق، (ص١٣٨-١٣٩).

(٤) طلال عتريسي، «تغير أحوال شيعة لبنان»، المرجع السابق، (ص٢٥٥).

(٥) طلال عتريسي، «الانتخابات النيابية: وحدة الطائفة وحماية المقاومة»، ضمن مجموعة باحثين، «الشيعة في لبنان: من التهميش إلى المشاركة الفعالة»، بيروت، دار المعارف الحكمية، (ط١)، (٢٠١٢)، (ص٣١٣-٣١٤).

سورية حيوية كانت معلقة في الميزان[1].

وعندما اختار حزب الله وحركة أمل (وحدة الطائفة) أرادا -أيضًا- أن يجعلا أي بحث في سلاح (المقاومة) مسًّا بقدرة الطائفة ككل، وكانت وحدة الموقف استجابة لوحدة التهميش[2]، ففي الحالتين احتكم الحزبان لخلفيتهما الطائفية.

فأيام الصدر كان التهميش مبررًا للتكاتف الطائفي، وبعد تمكنهم بل وتفوقهم على طوائف أخرى أصبحت الخشية من التهميش وهواجس الإضعاف مرتكزًا للطائفية؛ حيث استطاع الشيعة فرض الثلث المعطل في اتفاق الدوحة سنة (٢٠٠٨)، والذي بمقتضاه: لا يجوز اتخاذ قرار من قبل الأغلبية دون موافقة الأقلية، من خلال ثلث (معطل)، أي: يكون له القدرة على منع قرار من الصدور، أو باختصار يكون له حق (الفيتو) على كل ما يجري من قرارات[3].

وإذا كانت وظيفة الثلث المعطل في اتفاق الطائف: إعطاء الضمانات للطوائف، في ظلِّ الصراع الطائفي الذي كان سائدًا قبل هذا الاتفاق، فإنَّ الوظيفة الجديدة التي أدخلها الحزب بحكم الأمر الواقع، ويسعى إلى تشريعها لاحقًا تتمثَّل بتحويل الفيتو من فيتو طائفيٍّ إلى فيتو مذهبي[4].

وهكذا لا يجب على أي فريق سياسي أن يحظى بأكثرية الأصوات داخل البرلمان والحكومة والسلطة القضائية والسلطات الأمنية ليصبح صاحب القرار... يكفيه أن يحصل على الثلث، فيعطل، ويجبر الآخرين على التفاوض معه للحكم الفعلي الذي يتجاوز المسائل البسيطة التي تحتاج إلى «النصف زائد واحد» من الأصوات.

فصاحب الأكثرية لا يستطيع انتخاب رئيس للجمهورية، لأنه على الرغم من أن صاحب الثلثين قادر على انتخاب من يريد، فإن صاحب الثلث قادر على إفقاد الجلسة نصابها، وهو ما حصل في نهاية العهد السابق عندما شغر منصب الرئاسة بعد أن عجز فريقا المعارضة والموالاة على الاتفاق على اسم رئيس للبلاد.

وفي مجلس الوزراء؛ يمكن لصاحب الثلث إقالة الحكومة، كما يمكنه أن يمنعها من إجراء أية تعيينات إدارية أو أمنية قبل أخذ خاطره بحصة وازنة، قد تكون أكبر من حصة صاحب الأكثرية[5].

وبذلك يظهر تهافت الطرح الذي يستند على الحرمان كمبرر للطائفية، مع العلم أن الحقوق التي حصل عليها شيعة لبنان لا يمتلك عُشرها سنة إيران، وعند طرق حديث من هذا القبيل فلن يتردد حزب الله وأشياعهم في اتهام هؤلاء بالطائفية.

حزب الله والسلاح في الداخل:

أصرَّ حزب الله على أن شرعية سلاحه مستمدة من مقاومته، وهو ضرورة للدفاع عن الجنوب بشكل خاص، ولبنان بشكل عام، وأنه ليس موجهًا للداخل أبدًا.

هذه الادعاءات تفندها الوقائع منذ لحظة تأسيس الحزب، فهو ليس فقط (ابن الثورة الإسلامية الإيرانية)، وابن المسألة الجنوبية اللبنانية، بل هو قبل ذلك ابن الحرب الأهلية اللبنانية، وخاضها بشكل أساسي كحرب (أهلية شيعية داخلية)؛ للسيطرة تباعًا على الضاحية الجنوبية لبيروت، والجنوب والبقاع الشمالي، وبعد صراع دموي مع حركة أمل، دون إغفال وقائع تنكيله باليساريين، أو تهجيره للمسيحيين؛ كما في مشغرة[6].

---

(١) «مجموعة الأزمات الدولية، حزب الله والأزمة اللبنانية»، المرجع السابق، (ص ١٥).

(٢) طلال عتريسي، «الانتخابات النيابية: وحدة الطائفة وحماية المقاومة»، المرجع السابق، (ص٣٢٢).

(٣) عبد المنعم سعيد، (مأساة الثلث المعطل)، «جريدة الشرق الأوسط، العدد (١١١١٠)، (٢٠٠٩/٠٤/٢٩)، على الرابط:
http://archive.aawsat.com/leader.asp?section=٣&article=٥١٧١٠٦&issueno=١١١١٠#.WR٩utbgcZq٠

(٤) شارل جبور، (لماذا يتمسك حزب الله بالثلث المعطل؟)، «جريدة الجمهورية»، على الرابط: http://www.aljoumhouria.com/news/index/٩٧٨٥٥

(٥) ثائر عباس، (مأسسة الثلث المعطل في الديمقراطية اللبنانية)، «مجلة المجلة»، (١٩/ ٦/ ٢٠١٣)، على الرابط: http://cutt.us/EWmIs

(٦) وسام سعادة، «هالة المقاومة التي نسجها حزب الله حول سلاحه»، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، (٢٤/ ٠٣/ ٢٠١٤)، (ص٢).

ولاحقًا؛ مع بداية المطالبة بانسحاب سوريا من لبنان لم يألُ الحزب جهدًا لضرب خصومه، واستعمال القوة بما في ذلك الاغتيالات السياسية من أجل ضمان تلك المصالح؛ حيث يتهم الحزب باغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، وهذا الاتجاه أخذ منحى تصاعديًّا لاحقًا، وكانت أبرز تجلياته في (٢٠٠٨)، عندما اندفعت جحافل الحزب عبر ميليشياته التي خرجت من مربَّعاتها الأمنية في الضاحية الجنوبية ومن مخيم احتلال وسط العاصمة إلى تنفيذ سلسلة اعتداءات على أهالي بيروت وعلى المرافق الاقتصادية والخدماتية.

وأقفل الحزب مطار رفيق الحريري الدولي؛ من خلال نشر مسلَّحيه على طريق المطار، وقطع الطريق المؤدية إليه بالإطارات المشتعلة، وملأت مواكب مسلَّحي (حزب الله) و(أمل) والحزب (السوري القومي الاجتماعي) و(البعث) شوارع بيروت بطولها وعرضها من دون حسيب أو رقيب[١]!

وحينها استطاع حزب الله مع حركة أمل وحلفائهما أن يفرضوا (بالقوة) بعد السابع من (ماي ٢٠٠٨): حكومة وحدة وطنية، وفقًا لـ (اتفاق الدوحة) الذي وقعته الأطراف اللبنانية كافة في الشهر نفسه[٢].

وتطور هذا السلوك بشكل أكبر مع بداية الأزمة السورية، لدرجة أن الحزب أصبح بالفعل دولة داخل الدولة، وفرض شروطه ومطالبه عليها، فقد سقطت حكومة سعد الحريري في (يناير ٢٠١١) بفعل استقالة ثلث وزرائها، بإيعاز من بشار الأسد؛ كما تناقلت عدة تقارير[٣].

والحزب متَّهم في العديد من الأعمال الإرهابية والتفجيرات، من بينها: اغتيال العميد وسام الحسن -رئيس شعبة المعلومات في قوى الأمن الداخلي-، وسبعة آخرين، وجرح نحو مئة في تفجير سيارة مفخخة بمنطقة الأشرفية (شرقي بيروت)، في (أكتوبر ٢٠١٢)، ووزير المالية السابق والسياسي المنتمي لتيار المستقبل محمد شطح، مع خمسة آخرين، وجرح نحو سبعين في تفجير عنيف وسط بيروت، في (ديسمبر ٢٠١٣)[٤].

وتفجير بنك لبنان والمهجر في (جوان ٢٠١٦)، بعد تهديد الحزب له بسبب تسليمه الأميركيين لائحة بالحسابات المصرفيَّة التي ترتبط بشكلٍ مباشر أو غير مباشر بالحزب.

وسبق أن اعتبرت كتلة الوفاء للمقاومة (كتلة حزب الله النيابيَّة) في بيان لها في منتصف شهر (مايو/أيار) الماضي أن القانون الأميركي وتطبيق المصارف لها «يؤسس لحرب إلغاء محلية، يسهم في تأجيجها المصرف المركزي»[٥].

كما تورطت السرايا التي أنشأها حزب الله عام (١٩٩٧) بعنوان: احتواء الشباب اللبناني من مختلف الطوائف الراغب في المقاومة ضد إسرائيل؛ في معارك داخلية ضد الشيخ السلفي أحمد الأسير في حارة صيدا، ثم معارك عين الحلوة، مرورًا بتسليح الشباب السني والمسيحي في البقاع، وصولًا إلى معركة السعديات في (جوان ٢٠١٥)[٦].

المحور الثالث: شيعة لبنان وفلسطين:

أولًا: حركة أمل:

تدثُّر موسى الصدر بغطاء: «مواجهة العدوان الصهيوني»، وجعله مبررًا لعسكرة الطائفة؛ لصد الاعتداءات الإسرائيلية على الجنوب، التي عجز الجيش اللبناني عن إيقافها، لكنه سرعان ما غير من أولوياته

---

(١) طوني بولس، (٧ آيار.. حين احتل حزب الله بيروت)، «أورينت نيوز»، (٧/٥/٢٠١٦)، على الرابط: http://cutt.us/٢WLFg

(٢) طلال عتريسي، (الانتخابات النيابية: وحدة الطائفة وحماية المقاومة)، المرجع السابق، (ص٣١٤).

(٣) مركز الجزيرة للدراسات، «حزب الله: الحسابات التكتيكية والأثمان الاستراتيجية»، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، (٢٠١٣/٦/٣)، (ص٢).

(٤) (أبرز تفجيرات لبنان منذ ٢٠١٢)، «الجزيرة نت»، (٢٠١٥/١١/١٣)، على الرابط: http://cutt.us/Jrr٥o

(٥) (لبنان: ملابسات تفجير مصرف التزم بعقوبات ضد حزب الله)، «العربي الجديد»، (٢٠١٦/٦/١٢)، على الرابط: http://cutt.us/AaB٣o

(٦) علي سعد، (سرايا المقاومة بلبنان..أداة للدفاع أم الهيمنة؟)، «الجزيرة نت»، (٢٠١٥/٧/١١)، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/home/print/f٦٤٥١٦٠٣-٤dff-٤ca١-٩c١٠-١٢٢٧٤١d١٧٤٣٢/٦٤٣٨٩٥ce-٢c٠١-٤b١f-٩٢٨٨-e٢٥٦١ec١f٥f٧

بدخوله مع مواجهة مع فصائل المقاومة الفلسطينية، وجعل من الجنوب مناطق شيعية خالية من أي وجود مقاوم؛ سواء كان فلسطينيًّا أو لبنانيًّا، حيث منعت (أمل) القوى الأخرى اللبنانية والفلسطينية من المقاومة في الجنوب، واستأثرت بها لوحدها، وخاضت معارك طاحنة ضد الشيوعيين والحزب التقدمي الاشتراكي في بيروت، ولم تتوانَ عن إقصاء (المرابطون) عام (١٩٨٥) عن العاصمة[١].

يقتضي ما قامت به (حركة أمل) العودة إلى طريقة تأسيسها، فالتحول في مسار عمل الصدر - بانتقاله من العمل الاجتماعي السياسي إلى العمل المسلح - لا ينسجم مع الخطاب الذي كان يروِّجه لسنوات حول السلم ورفض العنف، وإضرابه عن الطعام على طريقة (المهاتما غاندي)، ذلك أنه كان يكوِّن سرًّا مليشيا شيعية مسلحة، جاء الكشف عنها - اضطراريًّا - بعد انفجار البقاع، حينها فقط كشف الصدر عن التنظيم الشيعي المسلح، وتحجج بأنه لمواجهة العدو الإسرائيلي!

لكن مسار الأحداث أثبت عكس ذلك تمامًا؛ عندما قامت الحركة بمجازر في حق الفلسطينيين بالتعاون مع الاحتلال الصهيوني؛ والتي كانت أبشعها مذبحة «صبرا وشاتيلا» في (سبتمبر ١٩٨٢م)، والتي كانت حلقة من حلقات الصراع بين حزب الكتائب وحركة أمل من جهة، وكمال جنبلاط ومنظمة التحرير الفلسطينية من جهة أخرى.

وكان من ضمن أسباب المذبحة هو: اتهام السلطات اللبنانية لحركة فتح بأنها تسعى للاستقلال، وتوريط لبنان؛ من خلال مهاجمة الكيان الصهيوني من الأراضي اللبنانية، ما يُعرِّض لبنان للقصف الإسرائيلي، ومن ثم دخلت الدولة حربًا مع المخيمات الفلسطينية، واستغلت إسرائيل تلك الفرصة، وقامت بمساعدة منفذي المجزرة.

فكانت مهمة جيش الاحتلال محاصرة المخيمات من كل النواحي، ومنع أي وكالة من وكالات الإعلام الدخول لنقل وقائع تلك المجزرة التي استمرت لمدة ثلاثة أيام متواصلة، بتنسيق مشترك بين (إسرائيل وحزب الكتائب وحركة أمل) راح ضحيتها حوالي (٣٥٠٠) من الرجال والنساء والأطفال.

وكان لحركة أمل أسبابها في الاشتراك في تلك المجزرة، بعد غضب الرئيس السوري السابق (حافظ الأسد) على منظمة «فتح» الفلسطينية، ومن ثم أعطى توجيهاته للحركة بتطهير لبنان من المخيمات[٢].

وبعد ثلاث سنوات، وتحديدًا في (٢٠ مايو ١٩٨٥م) عادت حركة أمل للمخيمات مكررة الجرائم نفسها، مدعومة بالجيش السوري والجيش اللبناني وبعض الفصائل الفلسطينية المدعومة من قبل سوريا، ضد قوات فتح الموالية لياسر عرفات ومقاتلي حركة المرابطين؛ حيث قامت حركة أمل بالفعل بما كانت ترجوه إسرائيل للمخيمات الفلسطينية في لبنان.

فعلى مدار سنتين ونصف أذاقت حركة أمل المخيمات الفلسطينية ويلات حرب ضروس، عُرفت إعلاميًّا بـ «حرب المخيمات»، حيث اقتحمت ميليشيات أمل مخيمي صبرا وشاتيلا، وقامت باعتقال جميع العاملين في مستشفى غزة، وساقوهم مرفوعي الأيدي إلى مكتب أمل في أرض جلول، وقد منعت قوات الحركة الهلال والصليب الأحمر، وسيارات الأجهزة الطبية من دخول المخيمات، وقطعوا إمدادات المياه والكهرباء عن المستشفيات الفلسطينية.

وفي فجر اليوم التالي: بدأ مخيم صبرا يتعرض للقصف المركَّز بمدافع الهاون والأسلحة المباشرة، من عيار (١٠٦) ملم، كما تعرض مخيم برج البراجنة لقصف عنيف بقذائف الهاون، وأصدر قائد الحركة نبيه بري أوامره لقادة اللواء السادس في الجيش اللبناني بخوض المعركة، وقد شارك بالفعل بكامل طاقاته، وقام بقصف مخيم برج البراجنة من عدة جهات، وقد بادرت قيادة الجيش اللبناني، ممثلة في

---

(١) علي شعيب، المرجع السابق، (ص٣٠٥).

(٢) منى عوض، (صبرى وشتيلا: كيف بدأت حركة أمل حربها على المخيمات الفلسطينية؟)، موقع «إضاءات»، (١٨/٠٩/٢٠١٦)، على الرابط:
http://ida٢at.com/sabra-and-shatila-how-amal-movement-began-its-war-on-palestinian-camps/

ميشيل عون، ولأول مرة منذ شهر (فبراير ١٩٨٤م)، إلى إمداد اللواء السادس بالأسلحة والذخائر.

وتم حصار المخيم ثلاثين يومًا، ودُمر حوالي (٩٠%) منه تدميرًا كاملًا، وسقط ما يقرب من (٨٥) شهيدًا وشهيدة.

وفي أواخر (١٩٨٦م) تجددت المعارك، وامتدت لستة أشهر أخرى، تعرض المخيم خلالها لمجاعة حقيقية، ونقص حاد في المواد المعيشية والطبية، فأكل الناس لحم القطط والكلاب!

وعن أسبابها الحقيقية؛ صرح أحد قادة (أمل) عن سبب اندلاع الحرب في (٢١ مايو/أيار ١٩٨٥م)، فكان مما قاله: «إن الفلسطينيين يريدون أن يستعيدوا حرية العمل التي كانت لهم قبل الاجتياح الإسرائيلي، ورأت أمل أنهم يجلبون الأسلحة، وعندها بدأ القتال».

وكانت أمل قد رفضت قبل أسبوعين من اندلاع المعارك ورقة عمل، عرضتها جبهة الإنقاذ الفلسطينية على نبيه بري، وتنص هذه الورقة على أن تتولى الجبهة أمن المخيمات.

ولا شك أن مصالح أمل تلاقت مع مصلحة إسرائيل في تصفية مخيمات الفلسطينيين في لبنان، وقد امتدت وعلى تقطع لفترات زمنية طويلة، وانتهت مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الكبرى الأولى نهاية العام (١٩٨٧م)، وقد فشلت حركة أمل في اقتلاع الوجود العسكري والتنظيمي لقوى المقاومة الفلسطينية وفصائلها في لبنان، كما خسرت كذلك جسمها العسكري الذي تحطم على أرض المخيمات الفلسطينية؛ بالرغم من الهجمات المتكررة التي قامت بها قوات حركة أمل على امتداد زمن تلك الحرب، والدعم اللوجستي الهائل الذي قُدم لها من أجل إنجاز مهمتها في القضاء على المخيمات الفلسطينية.

وكانت تلك الحرب - بالفعل - من أصعب الحروب التي شُنَّت على الفلسطينيين في الشتات، وقد فاقت في خسائرها كل جولات القتال والاقتتال التي وقعت في عموم الأرض اللبنانية منذ انفجار الحرب الأهلية عام (١٩٧٥م)[١].

إذن؛ تكشف هذه الممارسات كيف لم يتوانَ الصدر وبري في استعمال السلاح ضد الفرقاء اللبنانيين، وكيف أيدا التدخل الأجنبي السوري ضدهم، وكيف انقلبا على المقاومة الفلسطينية التي علَّمت أتباعهما كيفية حمل السلاح، مبررين ذلك بتجاوزاتها في حق سكان الجنوب! تلك التجاوزات التي جاهر بها ووجهها بالسلاح فقط بعدما أصبحا يجيدا استعماله!!

ثانيًا: حزب الله:

كان مبرر الجماعة التي انفصلت عن حركة أمل وأسست حزب الله لاحقًا: رفضها انضمامها إلى (هيئة الإنقاذ) التي تشكلت برئاسة رئيس الجمهورية آنذاك إلياس سركيس، وعضوية قادة المليشيات الثلاث الرئيسة: بشير الجميّل، وليد جنبلاط، ونبيه بري، وذلك بناء على قاعدة فتوى الخميني بضرورة «الجهاد ضد إسرائيل؛ حتى إزالتها من الوجود»[٢].

كما رفض حزب الله في بداية انطلاقه حواجز الجغرافيا، أي: الكيانات السياسية، فاعتبر أن «المقاومة الإسلامية في لبنان هي جزء من حركة المقاومة الإسلامية في العالم؛ والتي يقودها الإمام الخميني».

ولبنان ليس سوى دائرة جغرافية ومكان لا أهمية خاصة له؛ إلا لأن الغرب حاول أن يجعل منه موقعًا متقدمًا في مواجهة المسلمين[٣].

وما زال الحزب يتمسك (خطابيًّا) بهذه المبادئ؛ حيث عقَّب نائب أمين عام الحزب نعيم قاسم على الوثيقة الجديدة لحركة حماس بالقول: «إذا لم تكن المقاومة من أجل تحرير فلسطين من البحر إلى النهر لا يمكن أن تنفع، لسنا مع المقاومة التي تمهِّد للتسوية، ولسنا مع المقاومة التي تقسم فلسطين إلى دولتين، ولسنا مع المقاومة التي تبادل الدم بالأرض.

نحن مع المقاومة التي لا تقبل إلا الأرض محررة بالكامل، بلا قيد ولا شرط؛ ليعود الفلسطينيون إلى أرضهم أعزَّة وكرماء في آنٍ معًا».

يخيل عند سماع هذه التصريحات: أن الحزب حريص فعلًا على تحرير فلسطين، وأنها شغله الشاغل أكثر من حماس نفسها، وأن

(١) المرجع نفسه.

(٢) علي شعيب، المرجع السابق، (ص٣٠٧).

(٣) المرجع نفسه، (ص٣٠٨).

الحزب في وضع مقاوم مختلف عن حماس، بينما الواقع عكس ذلك تمامًا! فعند الوقوف على واقع ممارسة حزب الله يلاحظ أن ما ينتقد الحركة عليه قد سبقها في ذلك.

فبتتبع مسار العلاقة بين الحزب والكيان الصهيوني يكشف قدر كبير من البراغماتية التي تتعامل مع الموضوع برؤية واقعية تراعي مصالح الحزب بالدرجة الأولى، وأن الشعارات التي يرفعها وأصبح يزايد بها على المقاومة الفلسطينية (حماس) بدأت سلسلة التراجع عنها منذ تسعينيات القرن الماضي -قبل التحرير- وتواصلت في اتجاه تصاعدي إلى أن بلغت مستوى (ترسيم) الحدود بموجب قرار مجلس الأمن (١٧٠١).

ففي (١٩٩٣) حصل ما بات يعرف بتفاهم (تموز)، وهو تفاهم شفهي بين (حزب الله وإسرائيل) يقوم على تجنيب المدنيين أي معارك، وهنا يعترف الحزب بشيء اسمه: (مدنيين إسرائيليين).

وفي (١٩٩٦) حصل -أيضًا- تفاهم (نيسان)؛ والذي كان كتابيًّا، على عكس التفاهم الأول، ما يعكس استعدادًا من الحزب على الالتزام.

ومما جاء في بنوده -إضافة إلى عدم استهداف المدنيين-: عدم شن أي هجمات في داخل إسرائيل، وفي هذا اعتراف بشيء آخر اسمه: (حدود إسرائيلية)! وبذلك فإن حتى العسكريين مشمولون بعدم الاستهداف.

والمهم: أن هذين الاتفاقين حصلا قبل تحرير الشريط الحدودي اللبناني سنة (٢٠٠٠)، وبعد الانسحاب كان من تبعاته: اعتراف الحزب بالخط الأزرق الذي تمَّ تحديده بعد الانسحاب الإسرائيلي؛ الذي تم وفق القرار الدولي (٤٢٥)، والذي يمنع الحزب من القيام بأي عمليات ضد إسرائيل على طول الخط.

ومنذ (١٩٩٧) وحتى (٢٠٠٠) لم تتعرض الحدود الإسرائيلية لأي هجوم؛ باستثناء بعض الخروقات التي لا تذكر.

ومنذ عام (٢٠٠٠) وحتى (٢٠٠٦) كانت الحدود مع إسرائيل كما هي حدود الأردن ومصر مع إسرائيل.

وبذلك تحول الحزب إلى مدافع عن الحدود الإسرائيلية، في حين كان يروِّج أن إسرائيل لا تجرؤ على مهاجمتنا؛ لأننا نردعها[1].

وفي حرب (٢٠٠٦) أصبحت الحدود الإسرائيلية اللبنانية أكثر أمنًا؛ حيث أصبح الحزب محرومًا من هامش المناورة، بسبب وجود (١٥٠٠٠) جندي لبناني و(١٣٠٠٠) جندي ينتمون لقوات الأمم المتحدة؛ التي تم تعزيز وسائلها، وولايتها بالقرار (١٧٠١)، والتي طبقًا لها تم إعادة انتشار حزب الله، ونقله من المنطقة الحدودية إلى شمال نهر الليطاني[2].

هذا العرض الكرونولوجي للصراع بين الطرفين يكشف كيف بدأ الحزب بشعار (تحرير القدس، وزحفًا زحفًا حتى القدس، ولبيك يا أقصى! وإبادة إسرائيل)، ثم تراجع إلى تحرير الأراضي اللبنانية، ثم تراجع إلى حماية المدنيين اللبنانيين، ثم تراجع إلى الحدود الإسرائيلية تحت شعارات «العقلانية والاعتدال والظروف»، ثم انكفأ إلى الدفاع، ثم عمل على ضرب كل هذه المفاهيم وتزويرها؛ من خلال طرح مفهوم مزوَّر وهو: (الردع)[3]!

والجدير بالملاحظة -أيضًا-: أن حزب الله استطاع تحييد المقاومة الفلسطينية من العمل في جنوب لبنان، هذه الأخيرة التي كان وجودها ونشاطها في هذه المنطقة من العوامل التي ساعدت في هيكلة الطائفة الشيعية وتمكنها داخل لبنان؛ حيث جعلت من الاعتداءات الصهيونية مبررًا للعمل المسلح وتشكيل أفواج المقاومة اللبنانية (أمل)، كما استثمرت في ضعف الموقف الحكومي لجذب أبناء الطائفة والتفافهم حول الزعامات الدينية ممثلة في موسى الصدر بداية، ثم حزب الله لاحقًا.

والمفارقة -هنا-: أنه بينما كان تورط المقاومة الفلسطينية في الحرب الأهلية اللبنانية سببًا في مجازر الشيعة بحقها، فإن موقف حماس الذي نأى بنفسه عن التورط في الصراع السوري الداخلي كان

---

(١) لتفاصيل أكثر ينظر: علي حسين باكير، (حزب الله تحت المجهر: رؤية شمولية مغايرة للعلاقة بين إيران وإسرائيل)، كتاب «الراصد٢»، (ص٥٢-٦٩).

(٢) «مجموعة الأزمات الدولية، حزب الله والأزمة اللبنانية» المرجع السابق، (ص ١٣).

(٣) لتفاصيل أكثر ينظر: علي حسين باكير، المرجع السابق، (ص١٠٣).

سبب توتر علاقتها مع حزب الله (ومن ورائه إيران)، هذا فضلًا عن ممارسته دور تلك الفصائل الفلسطينية بتدخله في الصراع إلى جانب نظام الأسد.

المحور الرابع: شيعة لبنان والمحرومين في سوريا:

سوَّقت لحزب الله صورة قبل الثورة السورية؛ وخاصة بُعيد حرب (٢٠٠٦)، جعلت منه مقاومة ليس في ذمتها دم حرام، مقاومة نظيفة في أهدافها ووسائلها، ولا يوجد أنظف منها اليوم، وذلك لأنها تواجه العدو من داخل أراضيها، ولم تصوِّب سلاحها ضد الشعب، ولا ضد أي جهة أخرى، وليس لها أجندة خارج حدود الوطن[١].

سبق دحض الأساس الأول لهذه الأطروحة؛ بكشف المناسبات التي استعمل فيها الحزب السلاح ضد أبناء الوطن، كما كشفت حقيقة مقاومة الحزب ورؤيته للصراع مع العدو الصهيوني؛ بناء على معطيات موضوعية، وبقي الأساس الأخير وهو: استعمال الحزب سلاحه خارج حدود الوطن، وهنا لم يعد خافيًا على أحد مدى تورط الحزب في الأزمة السورية، وحججه الطائفية التي ساقها لتبرير تدخله.

وحتى حركة أمل التي - وإن لم تعلن تدخلها العسكري إلى جانب الأسد - إلا أن جمهورها لا يخفي هو الآخر دعمه لحزب الله وإيران هناك من منطلقات طائفية أيضًا.

وقد حاول الحزب في البداية التظاهر بالتماهي مع الموقف الحكومي بدعمه سياسة النأي بالنفس، والابتعاد عن الأضواء؛ لا سيما بعد انفجار قضية وزير الإعلام الأسبق مشال سماحة، واتهامه بنقل متفجرات للقيام بأعمال إرهابية[٢]، لكن سرعان ما أملت عليه تطورات الأحداث الإفصاح عن مواقفه وتدخله دون مواربة.

فقد أجبرت الانتفاضة السورية حزب الله على التخلي عن خصائصه اللبنانية الطاغية، واستبدالها بخصائص شيعية صريحة، وذلك باستخدام قوَّته عبر الحدود، وإقحام نفسه في صراع إقليمي ذي صبغة طائفية[٣].

وعكس سلوكه هناك انزلاقًا فاضحًا في المسار الثقافي الطائفي والمذهبي؛ الذي يتماشى مع التجزئة ومسار نشوء الكيانات الطائفية[٤]، وتبين أن الحزب لا يتحرك استجابة إلى تحديات فرضت عليه؛ وإنما يعمل وفق قرار مرجعيته التي أوجدته ودعمته، وفي النهاية وظَّفته واستخدمته في (أجندات) لا علاقة لها بالسبب الذي قال أنه نشأ من أجله!

لقد تأكد بشكل واضح وتراكمي أن الحزب مجرد أداة، وليس له أي كيانية قائمة بحد ذاتها من ناحية الاستقلال؛ سواء بالقرار أو التمويل أو التسليح[٥]، ولا يستطيع الحزب تغيير مساره في سورية من غير موافقة إيران[٦].

وبينما كان يفاخر الشيعة بتاريخهم النضالي الذي بدأ مع الصدر، وانتظار عودته لأنه دافع عن المحرومين الشيعة في لبنان، واسترد حقوقهم السياسية المهضومة؛ فإن الطائفية جعلتهم في الوقت نفسه يقفون ضد ثورة (المحرومين) السنة في سوريا؛ الذين يشكلون الأغلبية ضد نظام لا يُختلف على تسلطه واستبداده؛ وإن جادل البعض حول طائفيته، ووقفوا بالسلاح ضد إرادة هؤلاء المحرومين، كما جعلوا من حملهم للسلاح إرهابًا، بينما كانت فعلتهم في لبنان مقاومة.

كل هذا جعل الحزب الذي كان يحظى بتأييد شرائح عربية

---

(١) إدريس هاني، «حزب الله: البعد الاستراتيجي»، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (ط١)، (٢٠٠٨)، (ص١٥٥).

(٢) مركز الجزيرة للدراسات، «حزب الله: الحسابات التكتيكية والأثمان الاستراتيجية»، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، (٢٠١٣/٦/٣)، (ص٢).

(٣) «مجموعة الأزمات الدولية، معضلة حزب الله في سورية، مجموعة الأزمات الدولية»، تقرير الشرق الأوسط رقم (١٧٥)، (٢٠١٧/٣/١٤)، (ص١).

(٤) علي الأمين، (حزب الله والشيعة)، دراسة منشورة ضمن كتاب: «هل الثورة السورية "محرقة" حزب الله؟!»، عمان - دار عمار للنشر والتوزيع، (ط١)، (٢٠١٤)، (ص٨٨).

(٥) علي حسين باكير، (حزب الله إلى أين: سيناريوهات مستقبلية)، دراسة منشورة ضمن كتاب: «هل الثورة السورية "محرقة" حزب الله؟!»، عمان - دار عمار للنشر والتوزيع، (ط١)، (٢٠١٤)، (ص١٠٤).

(٦) «مجموعة الأزمات الدولية، معضلة حزب الله في سورية، مجموعة الأزمات الدولية»، تقرير الشرق الأوسط رقم (١٧٥)، (٢٠١٧/٠٣/١٤).

واسعة؛ لنضاله ضد عدو مشترك، آخره كان في حرب (٢٠٠٦)؛ بات ينظر إليه أكثر فأكثر على أنه ميليشيا شيعية طائفية، وفي أجزاء من سورية بوصفه محتلًّا عديم الرحمة[١].

وأضحى يواجه معارضة متزايدة -حاليًّا- في مناطق نفوذه، استنادًا لمواقف وفتاوى شخصيات شيعية تخالف مقاربته للملف السوري، أمثال: الشيخ صبحي الطفيلي، والسيد علي فضل الله، والسيد علي الأمين، إلا أنه لا شيء يدل عن تراجعه عن (دعاية الفتنة)، ولا عن القتال في سورية[٢].

الخلاصة: خلصت الدراسة إلى جملة النتائج التالية:

١ - يتحمل زعماء الإقطاع بدرجة أكبر مسؤولية الواقع المزري للشيعة، ذلك أنه منذ بدايات الدولة الوطنية كان هناك اعتراف بهم تجلى من خلال منحهم ثالث أهم منصب سياسي، وبعد عقود طويلة؛ وحتى مع امتلاكهم وسائل القوة -بما في ذلك المسلحة منها- لم يحصلوا على مناصب سياسية أكبر.

٢ - أزاح موسى الصدر العائلات الإقطاعية الشيعية من مراكز النفوذ باسم الطائفة، كما استقطب شباب الطائفة الذي كان منجذبًا للأحزاب اليسارية والقومية، واستحوذ على مكانة رجال الدين التقليديين، كما ضم البعض منهم إليه، كما أنشأ أطرًا مؤسساتية أضحت حاضنة للطائفة الشيعية، ومكَّنتها سياسيًّا؛ خاصة بعدما تأسس جناح مسلح تابع لها.

٣ - مكنت خصوصيات لبنان المتعدد طائفيًّا وضعف الدولة من تيسير عملية مأسسة الطائفة الشيعية.

٤ - استنكر شيعة لبنان على الطوائف الأخرى اتهامهم لهم بعدم الولاء لوطنهم، وتنفيذهم لمشاريع خارجية فيه، معتبرين أن تلك التهم تمارسها كل مكونات المجتمع اللبناني، وهذا المنطق إقرار منهم بتنفيذ مشاريع أجنبية.

٥ - بينما جعلت الطائفة الشيعية من الحرمان مبررًا للتموضع في الساحة، واسترداد ما تعتبره حقوقًا مهضومة من مدخل ديني، فإنها جعلت لاحقًا من هذا المدخل مبررًا للسطو على حقوق بقية الطوائف؛ بالسعي لخلق نظام سياسي يتماشى مع تصوراتها الدينية الجديدة التي جاء بها الخميني في إيران، والعمل على فرضها بقوة السلاح، ثم التراجع عن ذلك؛ نتيجة ضغط واقع التوازنات السياسية والطائفية وليس لتغير في القناعات الدينية.

٦ - أعلن الصدر بأن سلاح حركة المحرومين (أمل لاحقًا) موجَّه فقط للعدو الإسرائيلي، وأنه لن يكون ضد أبناء الوطن؛ لينكث بذلك! ويدخل أتون الصراع الأهلي، ويبدأ بالمنظمات الفلسطينية التي علَّمت حركته أبجديات حمل السلاح، ليتكرر الأمر نفسه بعد قرابة الثلاثة عقود مع حزب الله الذي وجه سلاحه للبنانيين والسوريين المحرومين، مدافعًا عن نظام الأسد التسلطي المستبد.

٧ - بينما التزمت الميليشيات الأخرى بالاتفاقيات، ونزعت سلاحها؛ يتمسك حزب الله به؛ بحجة: خطر الاعتداءات الإسرائيلية وحماية الشيعة، ولكنه بدل ذلك انتقل إلى جبهات أخرى تحت الحجة نفسها.

٨ - أكد حزب الله على عدم طائفيته؛ من خلال تحالفاته مع تيارات متنوعة إسلامية ومسيحية، ولكن هذه العلاقة كانت مشروطة بمدى توافقها مع السياسات الإيرانية، وخدمتها المشروع الشيعي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وفي حالة ابتعادها عن هذا المشروع تتغير مواقف الحزب، والذي لم يتوانَ في استعمال السلاح ضد الفرقاء اللبنانيين.

٩ - استفرد حزب الله بالساحة اللبنانية؛ من خلال امتلاكه القوة، حيث أصبح الفاعل الوحيد الذي يوظف سلاحه لفرض رؤيته السياسية، على عكس القوى الأخرى التي تراجعت عن هذا العمل مستندًا إلى وضعه كحركة مقاومة.

١٠ - أثبتت الأزمة السورية مخاوف الطوائف الأخرى من سلاح حزب الله؛ الذي ادعى لعقود أن وجهته الوحيدة هي باتجاه الاحتلال الصهيوني، ولكنه سرعان ما حوَّلها إلى سوريا وإلى الداخل اللبناني؛

---

(١) «مجموعة الأزمات الدولية، معضلة حزب الله في سورية، مجموعة الأزمات الدولية»، تقرير الشرق الأوسط رقم (١٧٥)، (١٤/ ٠٣/ ٢٠١٧).

(٢) فادي شامية، (سجل العار)، دراسة منشورة ضمن كتاب: «هل الثورة السورية "محرقة" حزب الله؟!»، عمان - دار عمار للنشر والتوزيع، (ط١)، (٢٠١٤)، (ص٣٥).

بطرق غير مباشرة خدمة لمصالح النظامين السوري والإيراني، على عكس ما حاول نفيه مرارًا وتكرارًا.

١١ - كشفت الحقائق على أرض الواقع الممتدة على ست سنوات من عمر الثورة السورية الدور الذي لعبه حزب الله في توطيد أركان الهلال الشيعي.

١٢ - كان الهدف الصهيوني من غزو لبنان: إخراج المقاومة الفلسطينية منها، وقد نجح بالفعل في تحقيق هذا الهدف، وإن استطاع الحزب تحرير جنوب لبنان فإنه جعل من المقاومة ممارسة تخصه وحده دون غيره.

وأمكنه ذلك من إبرام اتفاقيات بطرق مختلفة مع العدو الصهيوني، لعل أوضحها: الهدوء الذي يسود الحدود بينهما منذ (٢٠٠٦).

المرأة في المشروع الإسلامي.. قراءة أولية

فاطمة عبد الرؤوف - كاتبة مصرية

خاص بـ «الراصد».

الانتصار للمرأة في المشروع الإسلامي هو انتصار للإنسان، فإذا كان من قتل نفسًا فكأنما قتل الناس جميعًا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا، فما بالك بمن قتل جنسًا كاملًا بوأده معنويًّا، وظلمه، والاستخفاف به، والاستهانة بمشاعره..؟!

لقد أحيا الإسلام المرأة؛ تلك التي لم يكن يعتبرها المجتمع الشرقي والغربي شيئًا، ولستُ هنا بصدد مراجعة نظرة المجتمعات القديمة للمرأة؛ فموقفها معروف، وتناولته كثير من الدراسات، لقد كان وضعها لا يختلف كثيرًا عن وضع الرقيق حتى أنزل الله فيها ما أنزل.

جميع الفرقاء لا يختلفون على هذا، ويتَّفقون على أن الإسلام أحدث نقلة هائلة في أوضاع النساء، لكنهم يزعمون أن هذه النقلة كانت تمثل مرحلة من تطور الوعي التاريخي، وأن المجتمعات المعاصرة -بما تمتلكه من قيم الحداثة- تجاوزت هذه النقلة، وأن أحدث نسخة لحقوق المرأة نجدها في وثيقة «السيداو»، وما استتبعها من وثائق مرتبطة بالمؤتمرات الأممية الخاصة بالمرأة.

تلك الوثائق العوراء التي رأت في المرأة رجلا ثانيًا! وقفزت فوق كل التمايزات البيولوجية والنفسية لتقرر المساواة الكاملة في كل شيء؛ حتى في وظيفة الأمومة والتي أثمرت ثمارها المرَّة، وتحطمت الأسرة في الغرب، وتناقص عدد المواليد بطريقة مرعبة وأصبح السِّفاح وأبناؤه هو الأصل.

وانتكست الفطرة انتكاسًا رهيبًا! وحدثت بلبلة كبيرة، وتشكيك وصل صداه لبلادنا التي ذاقت من الويلات بقدر ما أخذت من قيم وأفكار الحداثة الغربية وبقدر ما ابتعدت عن قيم دينها وأحكامه.

في هذا المقال نلقي الضوء باختصار على الموقف من المرأة كما قدمه المشروع الإسلامي المعاصر، والمقصود هنا بالمشروع الإسلامي: التصور القيمي والأحكام المترتبة عليه كما جاءت في القرآن الكريم والصحيح من السنة، أما اجتهادات الفقهاء في الأحكام والشروح التي قدمها المفسرون والعلماء، فهي في المحصلة النهائية جهد بشري، لا بد من قراءته باحترام وتقدير، لكننا لا نضفي عليه قداسة؛ لأنه -كجهد بشري- مرتبط بظروف اجتماعية وتاريخية قد تكون تغيرت كثيرًا.

ولا بد من ملاحظة واقعنا الراهن فاختلاف الزمان والمكان يؤثر على بعض النقاط التفصيلية، أما المرتكزات العامة والقيم الحاكمة فهي ثابتة وواضحة.

المساواة المطلقة في القيمة الإنسانية:

هذه مسألة لا تقبل جدلًا؛ فهي بالغة الوضوح، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧]، فالآية تساوي بوضوح بين الذكر والأنثى عندما يتعلق الأمر بأهم ما في الوجود، وهو: العمل الصالح والحياة الطيبة.

المساواة في القيمة الإنسانية مطلقة، ولا تقبل أي مناوشات، ومن ثم ففي الجزاء هناك مساواة مطلقة: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾[آل عمران: ١٩٥]، وهذه الآية هي إجابة الله ﷻ عن سؤال المؤمنات عن عدم ذكر

المؤمنات صراحة، ومن المعلوم أن اللغة العربية توجه خطابها العام للمذكر ويقصد به: الرجال والنساء، ولكن المؤمنات المشغولات بقيمة المرأة وقيمة جهادها أردْن نصًّا واضحًا؛ فكان لهن ما أردن.

ومن هنا؛ كانت المساواة المطلقة في الثواب والعقاب والحدود، ولا يتصور أحد أن اختلاف الدية له علاقة بالقيمة الإنسانية، وإنما له علاقة بنظام النفقات تمامًا، مثله مثل الميراث، فالدية ليست ثمنًا للإنسان، ولكنها تعويض مالي لأهله كبديل ما كان يعطي وينفق.

وهناك شبهة دائمًا ما تتردد في هذا السياق من بعض أهل الهوى، وبعض أهل الجهل للدلالة على أن القيمة الإنسانية للنساء أقل؛ لأنهن ناقصات عقل ودين، في إشارة منهن للحديث النبوي: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمرَّ على النساء فقال: «**يا مَعْشَرَ النساء تَصَدَّقْنَ وأَكْثِرْن الاستغفار، فإني رأيتكُنَّ أكثر أهل النار**»، فقالت امرأة منهن جَزْلة: وما لنا يا رسول الله أكثرُ أهل النار؟ قال: «**تُكْثِرْنَ اللَّعن، وتَكْفُرْنَ العشير، وما رأيت من ناقصاتِ عقلٍ ودين أغلبَ لذي لبٍّ مِنْكُن!**»، قالت: يا رسول الله وما نقصانُ العقل والدين؟ قال: «**أما نُقصانُ العقل: فشهادة امرأتين تعْدِلُ شهادةَ رَجُل، فهذا نقصان العقل، وتمكثُ الليالي ما تُصلي، وتُفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين**». متفق عليه.

ونقصان العقل لا يعني: قلة الذكاء والحدة في الفهم، فهل كانت أمهات المؤمنين خديجة وعائشة وأم سلمة -مثلًا- ينقصهن الذكاء، أو لديهن ضعف في الفهم، هل يقول هذا مسلم؟وهل يزيد عنهن ذكاء رجل من عامة الناس لأنه رجل؟

نقصان العقل المقصود هو: أن شهادة المرأة على الديون في السفر هي على النصف من شهادة الرجل، وليست شهادتها على النصف منه في كل شيء، فهناك قضايا لا تُقبل فيها إلا شهادة النساء، وقد يقضي القاضي بشهادة رجل واحد مع اليمين، وهناك صحابي هو خزيمة رضي الله عنه شهادته بشهادة رجلين، فهل قيمة عقله وذكائه تساوي قيمة عقل أبي بكر وعمر مجتمعين!

المسألة غاية في البساطة، ولا تحتمل كل هذا التهويل، والمقصود منها: المزيد من التثبت وفقًا لما هو عام وشائع من أن النساء على وجه العموم مشغولات بأمور البيت والأطفال ويعانين -أحيانًا- من مشكلات في الحيض والحمل، واكتئاب ما بعد الحمل والرضاعة، وما قد تسببه من قلة نوم وإرهاق، فاحتمال الخطأ أو النسيان لبعض التعاملات المالية التي قد لا تكون لها الأولوية في قائمة مهامها وارد على وجه العموم.

والأحكام تأتي لتغطي العموميات، وتغطي أكبر قدر ممكن من الحالات الطبيعية، والهدف منها هو: توثيق الحقوق وليست نتيجة لاختبار ذكاء.

أما مسألة النقص في الدين -المشار إليها في الحديث- فتعني: افتقاد ثواب الطاعات وقت الحيض، فهي تفتقد أجر الصلاة والصيام؛ وإن كانت تؤجر على إطاعتها للأمر، فلو صلَّت وصامت لأثِمت.

وتستطيع النساء الحصول على الأجر من أبواب أخرى للخير في هذا التوقيت؛ كالذكر والاستغفار، والتصدق وبذل الجهد في معاونة الآخرين، والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل تستطيع النساء أن يجعلن من هذه الفترة حافزًا تشجيعيًّا لهن، فعندما تعود المرأة لصلاتها وصيامها بعد فترة غياب يكون شوقها أكثر، وصلاتها أكثر حرارة؛ فيعوِّض الكيف الكم.

والله سبحانه وحده هو من يعرف مَن الأكثر إيمانًا: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم:٣٢].

وكتطبيق لهذا المبدأ العام تتساوى النساء مع الرجال في الحقوق المدنية والاقتصادية والسياسية بوجه عام؛ كالحق في الحصول على التعويض، والحق في الخصوصية، والحق في محاكمة عادلة، والحق في التصويت، والحق في الحرية الشخصية، والحق في حرية التنقل، والحق في الحماية المتساوية، والحق في التعليم.

عدا ما جاء نص في تقييده؛ كوجوب إذن الزوج عند السفر -مثلًا-، لوجود حقٍّ له فلا بد من التوافق.

التمايز وأحكامه:

خلق الله جنسين متمايزين لهما نفس الأصل الإنساني؛ إنهما: الذكر والأنثى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾[آل عمران:٣٦]، فرغم أن هذه الحقيقة تبدو كبدهية فطرية إلا أن شياطين الإنس شكَّكوا في البدهيات وفي الفطرة، وأرادوا تبديلها.

ومن ثم تحدثوا عن النوع الاجتماعي والجندر والتفضيل الجنسي كبديل لوجود الذكر والأنثى بكل السمات البيولوجية، وما يتبعها من سمات نفسية أو اجتماعية.

الإسلام كان حاسمًا في إبراز الفروق بين الجنسين؛ حتى لا يحدث خلط بينهما، وتهدر الحكمة من خلق جنسين متمايزين، لذلك قال رسول الله ﷺ: **«لعن الله المتشبِّهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»**. رواه البخاري.

الفروق البيولوجية التي لا ينكرها أحد من البشر؛ بداية من الطول والحجم، مرورًا بعمل الهرمونات، انتهاء بمهمة الحمل والرضاعة، لا بد أن يترتب عليها فروق اجتماعية.

فإذا كانت الأم مضطرة للبقاء مع رضيعها؛ فكيف تكلَّف بالعمل المأجور خارج المنزل لإعالة نفسها؟ المنطقي أنها تستطيع القيام ببعض العمل المنزلي داخل مساحتها الخاصة؛ فهو لن يتناقض مع مهمة الرضاعة.

وهذا مجرد نموذج كاشف لمنهجية أن الفرق البيولوجي لا بد أن يترتب عليه فرق في الدور الاجتماعي بل وفارق نفسي، ففي المثال السابق المرأة بحاجة لمقدار كبير من الصبر والتحمل حتى تستطيع السهر ليلًا، وحتى تستطيع أن تنام نومًا متقطعًا؛ لأن الرضيع لا يستطيع النوم أكثر من ثلاث ساعات متصلة، وهكذا.

هذه القدرة على التحمل والصبر تحمل أبعادًا نفسية لا يمكن إغفالها..

التمايز يعني: التنوع في خصائص كل جنس، وتكامل هذه الخصائص معًا يؤدي للنجاح في الحياة؛ لأنها متكاملة مشبعة تسير على سنن الفطرة.

هذا التمايز البيولوجي والاجتماعي والنفسي ترتب عليه أحكام مختلفة في المشروع الإسلامي، وأبرز نموذج على ذلك: الأحكام المتعلقة بالأسرة.

مركزية الأسرة في المشروع الإسلامي:

* **الأسرة هي وحدة المجتمع الإسلامي،** واهتم الإسلام اهتمامًا شديدًا بتكوين الأسرة، فتمَّ رفض فكرة الرهبانية، وتم رفض أي علاقة خارج إطار الزواج.

وجعل الله الزواج أحد آياته في الكون: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم:٢١].

المشروع الإسلامي يحترم الفرد ويمنحه حقوقه كاملة، في انسجام كامل مع حقوق الجماعة.

* **في المشروع الإسلامي لا يمكن الحديث عن حقوق النساء** بمعزل عن حقوق الأسرة أو بالتناقض معها؛ كما يقوم المشروع الغربي بوثائقه المختلفة.

المشروع الغربي يضع المرأة في مواجهة الأسرة، بينما المشروع الإسلامي يجعلها جزءًا متناغمًا مع الأسرة.

* **يحثها الإسلام أن تتزوج من ترضى دينه وخلقه؛** حتى يكون فاهمًا لمعنى القوامة وللمسئولية الملقاة على عاتقه، وحتى تكون متقبلة لقوامته عليها، وما يترتب على ذلك من أحكام، واشترط الإسلام: رضاها الكامل عن هذا الزواج، دون إجبار من أي طرف؛ حتى لو كان والدها.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن جارية بكرًا أتت النبي ﷺ فذكرت له أن أباها زوَّجها وهي كارهة، فخيَّرها النبي ﷺ». رواه ابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

* **لا تتزوج الفتاة إلا إذا كانت بالغة عاقلة راشدة،** لذلك نرفض تحديد سن الزواج بسن الثامنة عشرة المنصوص عليه في الوثائق الأممية، والذي عَرف طريقه للقوانين المحلية، والمرشح لرفعه لسن الحادية والعشرين.

لأن ذلك يترتب عليه: انتشار الفواحش -كما هو مشاهد-، بل متى ما بلغت الفتاة وكانت عاقلة وراشدة ولديها استعداد لتحمل

مسئولية الزواج يكون من حقّها الزواج، وأي قانون يخالف ذلك يعادي المرأة.

* **للمرأة الحق في تقديم مهر لها**، وليس من حق وليِّها أخذه منها، أو التنازل عنه كهدية واجبة، ولا حد لأقله أو أكثره، مع أهمية مراعاة التيسير في الأمر.

والمهر يعد في ناحية منه: إقرار بذمة المرأة المالية المنفصلة، وإنشاء حساب مالي خاص بها، يمكن بالإضافة لما تحصل عليه من ميراث أن يمثلا دعمًا ماديًّا لها، ويمكنها استثماره في مشروع تجاري أو صدقة أو حتى لأداء الحج أو ما شاءت، فلها حرية مطلقة في التصرف فيه، وليس المهر بحال من الأحوال ثمنًا للمرأة؛ كما يروج بعض أعداء المرأة الذين يريدون أن يحرموها من هذا الحق!

* **الزواج في المشروع الإسلامي لا بد فيه من موافقة ولي الفتاة**، وليس في ذلك أي انتقاص لقدرها، أو قدرتها على اتخاذ القرار السليم، بل هو إعزاز لها، ودعم لرأيها، ولا ننسى أن الزواج في المشروع الإسلامي لا يربط مجرد فردين، بل يبقى للأسرة دورها؛ سواء في بدء الزواج، أو التدخل لحل بعض المشكلات التي تقابله.

* **من حق الزوجة الحصول على النفقة**؛ بحسب طاقة الزوج يسرًا أو عسرًا، والنفقة أحد التزامات قوامة الرجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء:٣٤].

* **القوامة، وتعني: القيام بالأمر**، ويمنح المشروع الإسلامي الرجل مسئولية القوامة كحق أصيل له، وواجب ملتزم به، والقوامة تشتمل على النفقة التي تحدثنا عنها في النقطة السابقة، وتتضمن: أخذ القرار النهائي لصالح الأسرة، وهي تحقق أفضل صورها بتفعيل مبدأ الشورى في الحياة الزوجية.

* **عمل المرأة المأجور خارج المنزل يتم بالتراضي مع الزوج**؛ بحيث لا يؤثر على واجبات والتزامات المرأة تجاه أسرتها.

* **النسل أحد المطالب الشرعية**: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم»، رواه أحمد.

ويجوز تنظيم النسل والمباعدة بين الولادات للحفاظ على صحة المرأة، وليس خوفًا من قلة الرزق.

* **يباح للرجل تعدد الزوجات حتى أربع**، ويشترط في ذلك: القدرة الجسدية والمالية، وتحقيق العدل قدر المستطاع بين الزوجات، وللمرأة الحق في اشتراط عدم زواج زوجها عليها؛ فهو شرط مشروع، ويجوز لها طلب الطلاق إذا وقع عليها ضرر بحيث لم تعد تطيق معاشرته.

ومن الجدير بالذكر: أن تعدد الزوجات موجود بين جميع الأمم، لم يخل منه عصر من عصور، وهو موجود في قلب الحضارة الغربية المعاصرة، ولكن لا يطلق عليه تعدد زوجات؛ فالزوجة الثانية أو الثالثة هي مجرد عشيقة في الظلام! وقد تكون في النور ولكن دون عقد أو حقوق.

والإسلام كدين واقعي يحقق المثالية بقدر ما يطيق البشر، كما أنه وبعد الحروب يزيد عدد النساء عن عدد الرجال؛ كما كان في المجتمع الإسلامي على أيام الرسول ﷺ، أو كما يحدث اليوم في سوريا -مثلًا-، فلا بد من حل نظيف، ولا يكفي تجاهل الأمر وتجاهل المشكلة، وفتح الأبواب الخلفية للفاحشة.

* **الطلاق حق للرجل، وهو أحد مظاهر القوامة**، ويجوز أن تشترط المرأة: أن يكون لها الحق في تطليق نفسها، وهذا لا ينفي حق الزوج في إيقاع الطلاق، ويقع على المجتمع الإسلامي نشر ثقافة الحفاظ على البيوت حتى لا يقع الطلاق لأتفه الأسباب -كما نرى كثيرًا-؛ خاصة في السنوات الأولى للزواج.

* **إذا كان للرجل حق القوامة في مجال الحياة الخاصة**؛ فإن ذلك لا يتناقض مع حق المرأة في تولي الولايات العامة؛ كأن تكون عضوة في المجالس النيابية والمحلية، أو تكون مسئولة عن قطاع مهم، أو وزيرة؛ على خلاف بين الفقهاء في توليتها القضاء، وشبه إجماع على منعها من الإمامة الكبرى أو الخلافة.

وهو على أي حال طرح وجدل نظري؛ فحتى كبريات الدول الغربية يندر أن تحكمها رئيسة.

على أي حال؛ الاجتماعي يسبق السياسي في أولويات المرأة المسلمة، بل ربما في أولويات نساء العالم كله.

المدُّ الرافضي في الفلبين

-دراسة وصفية تحليلية-

عرض: أسامة شحادة-كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

هذا الكتاب هو في الأصل: رسالة ماجستير تقدم بها الأستاذ عَبدُ الله مَانجُولاَمَاس أَبْتَاهِي للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتقع في (٤٥٠ صفحة)، ولم تطبع بعد.

والكتاب يكشف بالأدلة والأمثلة المشروع الإيراني لاختراق الدول والمجتمعات السنية، والغزو الناعم للمجتمعات السنية عبر خطط طويلة المدى وعمل دؤوب ومتواصل لعدة عقود.

والكتاب تناول تاريخ الشيعة في الفلبين من الفترة التي سبقت قيام ثورة الملالي حتى وقتنا الحالي، وبيَّن مبالغات الشيعة في تضخيم حجمهم، ورصد نشاطاتهم ورجالاتهم ومؤسساتهم، وأوضح جهود أهل السنة في مقاومة هذا الغزو الباطني، وبيَّن المطلوب في المرحلة القادمة لإتمام هذه الجهود المباركة، وجاء الكتاب في تمهيد وأربعة فصول.

ويؤكد الكتاب: أن المشروع الشيعي يقوم بتفتيت الوحدة الإسلامية، وزعزعة أمنها وسلمها الاجتماعي؛ من خلال استقطاب بعض ضعفاء النفوس وتحويلهم لطائفة مغايرة وعدوانية للبيئة التي انبثقوا منها، ومن ثم التعاون والعمالة مع السلطات الظالمة في الداخل أو الخارج ضد المسلمين؛ لفرض وصايتهم وسلطتهم على المسلمين وشؤونهم، ومن هنا تتضاعف خطورة هذا المشروع الشيعي على استقرار البلاد والمجتمعات المسلمة.

في التمهيد أوضح الباحث: أن الاسم الحالي للفلبين هو نسبة إلى الملك الإسباني (فيليب الثاني)، والذي استخدم عقب احتلال إسبانيا لهذه المنطقة التي كانت العرب تسمِّيها: (عذراء ماليزيا)، والفلبين عبارة عن أرخبيل من الجزر يفوق عددها (٧) آلاف جزيرة، عدة آلاف منها غير مأهولة، أما مساحة هذه الجزر فقريب من (٣٠٠ ألف كم٢)، ويبلغ امتدادها من الشمال إلى الجنوب حوالي (١.٨٠٠ كم٢).

وبحسب إحصاء عام (٢٠١٣م) فقد بلغ عدد سكان الفلبين (٩٨) مليونًا، وتتفاوت تقديرات نسبة المسلمين بين (٥ % إلى ١١%) من مجموع السكان، بينما كانت جريدة الأهرام في (٤/٤/١٩٧٥م) نقلت عن رئيس الفلبين آنذاك فرديناند ماركوس أن عدد المسلمين هو: (٨) ملايين،أي: بنسبة (٢٢%) من السكان، وهذا يدل على ما يعانيه المسلمين من الإبادة والتهجير من قبل الدولة التي يحكمها الكاثوليك المتعصبون.

وأغلب المسلمين يتركزون في المناطق الجنوبية، وفي الأرياف والسواحل والجزر، وهناك أكثر من (٧٨) لغة دارجة، وغالب هذه اللغات تحتوي على ألفاظ عربية، وكانت تكتب بالحروف العربية، والتي لا تزال بقاياها موجودة عند كبار السن، وفي أسماء المحلات في

الأريـاف، واللغـات الدارجـة بـين المـسلمين هـي: «تاوسـوغ، وماجنداناو، وماراناو، وإيرانون، وياكان، وساما».

والإسلام هو أول دين سماوي وصل للفلبين، بعد سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ) على يد المغول؛ حيث هاجر كثير من المسلمين إلى جنوب شرق آسيا، في (الملايو وسومطرة وجاوة وجزر مولوكي وبورنيو وعذراء ماليزيا - الفلبين)، فنشروا الإسلام بالدعوة والتجارة وحسن المعاملة،

وأوَّل مسجدٍ شُيِّد كان سنة (٨٠٤هـ - ١٣٨٤م)، وقد سيطرت عدد من الإمارات والسلطنات الإسلامية على كافة الجزر هناك في القرن العاشر الهجري.

لكن الاستعمار الإسباني والأمريكي والياباني تسلَّط على الفلبين لأربعة قرون منذ عام (٩٤١هـ - ١٥٢١م)؛ حيث وصلت أول بعثة إسبانية، ومن يومها تم العمل على هدم الحكم الإسلامي، وقتْل المسلمين لليوم؛ بحيث أصبحوا أقلية مضطهدة، وذلك بعد سياسات الإهمال والتضييق والتفريق والتجهيل على مناطق المسلمين بالجنوب.

وقد ساهمت هذه السياسات بإغلاق المدارس الإسلامية، وتشتت العلماء المخلصين، وتكوين هيئات إسلامية تتبع للحكومة النصرانية المتعصبة.

ومع الانفتاح الثقافي والاقتصادي ووسائل الإعلام تغيرت البيئة الإسلامية المحافظة، وظهرت السلوكيات المنافية للدين، وهُجرت المساجد.

الفصل الأول: خصصه المؤلف لبيان نشأة التشيع وتطوره في الفلبين:

حاول بعض الشيعة الادِّعاء بقِدم التشيع في الفلبين؛ بزعم أن بعض العرب العلويين الذي جاءوا مبكرين كانوا شيعة، وهذا زعم باطل! يخالف الواقع والتاريخ، ولا دليل عليه، لكنها حيلة شيعية متكررة بمحاولة نسبة كل علوي وصوفي للتشيع بعلَّة القرابة لآل البيت، أو التشابه في بعض العادات والبدع!

والصحيح: أن التجار والطلبة الإيرانيين الشيعة الذي تواجدوا في الفلبين منذ منتصف الستينيات من القرن العشرين كانوا أول من نقل التشيع للفلبين، لكن ذلك كان بشكل فردي وغير مؤسسي في البداية، وتركَّز نشاطهم في الجامعات وعلى الطلبة الفلبينيين في التخصصات العلمية.

لكن مع قيام حكم الخميني تصاعد النشاط الطلابي في نشر التشيع، وقد دعمته السفارة الإيرانية بعد استيلاء الطلبة عليها بداية، ثم خضوعها لحكم الملالي، وأخذ الطلبة الإيرانيون الموالون للملالي بالعمل في أوساط المسلمين، مما استدعى من الحكومة الفلبينية إيقاف دخول الطلبة الإيرانيين، وتسفير بعض الموجودين منهم؛ على اعتبار أنهم يدعمون الثورة الإسلامية ضد الحكومة.

وساهم الجهل وقلة الوعي بالتشيع لدى العلماء والمؤسسات الإسلامية والمسؤولين وقادة الجبهات الثورية والجهادية في تسهيل نشاط الإيرانيين والمتشيعين بين المسلمين، وكذلك انتشار التصوف والذي يسهل خداع بعض أتباعه وجرِّهم للتشيع؛ خاصة الطرق المنحرفة القبورية؛ كالأحمدية، وكثير ممَّن تشيع هم أصلًا من الجهلة بالدين من العوام والمثقفين.

وبقي هذا النشاط الشيعي الإيراني والمتشيعون الفلبينيون في نطاق ضيق حتى عام (١٩٨٧)، حيث نشب حريق قرب مركز للشيعة في قرية بالعاصمة مانيلا، فسارع الشيعة للمساعدة، ودعمتهم السفارة الإيرانية؛ مما فتح لهم باب مع السكان والجيران، فكان ذلك بداية نشاطهم العلني؛ فنظموا مؤتمرًا في نفس العام ودعوا له (٧٠) من علماء الفلبين، ومن ثم اختاروا (٦) منهم لزيارة طهران، وفعلًا زاروا طهران، وأصبحوا قادة الشيعة اليوم في الفلبين!

وفي عام (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) تأسست أول حركة موالية للشيعة في الفلبين، باسم: «حركة المؤيدين لأهل البيت في الفلبين»، وقد تقرب الشيعة من جبهة تحرير مورو، وفتحوا لهم مكتبًا بسوريا وسفارة بطهران، ووعدوهم بالدعم المالي والعسكري، ولكنهم عندما

لم يجدوا منهم قبولًا للتشيع نبذوهم.

وعقب أحداث (١١/٩/٢٠٠١) في أمريكا زاد النشاط الشيعي في الفلبين، مقابل التضييق على المؤسسات الإسلامية السنية؛ فظهرت المراكز الشيعية والحسينيات والمدارس والجامعات، وأخذوا يعلنون سبَّ الصحابة، وإقامة احتفالاتهم علانية، وتعززت في هذه الفترة العلاقة بين إيران والفلبين اقتصاديًّا وسياسيًّا.

أما الفصل الثاني؛ فخصصه الباحث لرصد واقع الرافضة وآثارهم على مسلمي الفلبين:

رصد الباحث عددًا من قادة المتشيعين في الفلبين، وغلب عليهم التشيع بسبب الطمع بالمال والجاه، أو الجهل بحقيقة الإسلام، لكن اللافت للنظر هو: أنهم أصحاب مناصب في الدولة تختصُّ بمراقبة المسلمين وإخضاعهم للحكومة النصرانية المعادية للمسلمين في دَور أقرب ما يكون للعمالة؛ خاصة أن بعضهم يحثُّ الحكومة على التضييق على المسلمين؛ وخاصة أهل السنة السلفيين، بحجة أن في ذلك محاربة للإرهاب والتطرف، مما يكشف عن خطورة التشيع على المجتمعات الإسلامية وأنه -بخلاف إفساد العقائد والأخلاق الإسلامية- يلعب دور العميل والجاسوس على المجتمعات السنية.

وبخصوص حجم الشيعة؛ فقد فنَّد الباحث ادعاءهم بوجود (٣٠) ألف متشيع أو (٤٦) ألفًا؛ من خلال تتبُّع أماكن تواجد الشيعة، والتي قسمها إلى: أماكن فيها تواجد، وأماكن فيها أعداد بسيطة، وقد فصَّل الباحث في بيان واقع المتشيعين في هذه الأماكن ورموزها، والأسباب التي ساهمت في وجود بؤرة تشيع فيها.

وخلص من خلال زيارات ميدانية ومتابعة نشاطاتهم العامة المعلنة في مواقعهم وصفحاتهم إلى: أن عدد المتشيعة لا يتجاوز (٢٠٠٠) شخص طيلة هذه السنوات، وبرغم ضخامة الإمكانيات، وأن هناك تقلصًا في نشاط التشيع بسبب فضح التشيع في العالم بسبب عدوان وجرائم إيران في سوريا والعراق واليمن، وبسبب نشاط العلماء والدعاة في الفلبين ضد التشيع.

لكن الخطورة تنبع من تواصل جهود إيران في نشر التشيع، والتحالف مع السلطات ضد الدعاة والعلماء السنة، وتولي أتباعها مناصب رسمية تشرف على الشؤون الإسلامية؛ برغم ضآلة نسبتهم بين المسلمين، مما قد يتسبب -لاحقًا- بزيادة أعداد الرافضة في الفلبين، وتعطيل عمل الدعوة الإسلامية الصحيحة.

وقد تصدى أهل السنة لجهود التشيع هذه؛ فأصدر مجلس العلماء فتوى تحذِّر من الشيعة وعقائدهم الباطلة، وأصدر الدعاة والأئمة في منطقة لاناو الجنوبية ولاناو الشمالية بيانًا مشابهاوقَّع عليه (١٠٠) منهم، وتُرجم بعدة لغات محلية، ووزع منه (٧٠) ألف نسخة.

كما تم تسيير عدد من القوافل الدعوية لمناطق المسلمين؛ لبيان خطورة التشيع وبطلانه، وعقد الندوات والمحاضرات والدورات وتوزيع المطبوعات المختصَّة بذلك في مناطق متعددة، وقد تفاعل الجمهور مع هذه الفعاليات؛ حيث تم سحب كثير من التلاميذ من مدارس الشيعة، وشارك العديد من الوجهاء والقيادات الشعبية والرسمية في حضور ودعم هذه الفعاليات.

والفصل الثالث؛ خصَّصه الباحث لبيان مناشط الرافضة المتنوعة:

وجعلها في سبعة أقسام:

١- المناشط الدينية للرافضة في الفلبين:

كإقامة الحفلات والمناسبات الشيعية؛ كيوم عاشوراء، وغدير خم، والمولد النبوي، والإسراء والمعراج، والتي يستقطبون بها العوام والصوفية، ولم تظهر هذه الاحتفالات إلا بعد عام (٢٠١٠)، ويحضرها عادة مندوب من السفارة الإيرانية.

أيضًا ظهرت بعض الحسينيات كمُرفقات مع بعض المراكز والمؤسسات الشيعية؛ كالمركز الثقافي الإيراني، التابع للسفارة الإيرانية، ومركز علوم الدين.

٢- المناشط التعليمية والدعوية:

لعل أهم نماذج هذا الجهد: تأسيس فرع لجامعة المصطفى

الإيرانية سنة (٢٠١٠م)، حيث يتولى هذا الفرع تعليم شباب الشيعة -وغيرهم- مجانًا للتأثير عليهم، كما تقوم الجامعة بالإشراف على معظم المراكز والمعاهد والمدارس الشيعية في الفلبين.

كما قامت السفارة الإيرانية هناك بعقد اتفاقيات مع العديد من الجامعات الحكومية بالفلبين؛ لتبادل الأساتذة والطلبة والخبرات، وفتْح قسم لغة فارسية بجامعة الفلبين، مما يفتح للتبشير الشيعي مجالات واسعة بين الطلبة والأساتذة؛ خاصة من المثقفين وغير المختصِّين شرعيًّا.

ويتفاخر الشيعة في مواقعهم وتقاريرهم بأنهم يملكون الكثير من المدارس، وفي الحقيقة أن أغلبها هي: منازل لبعض الشيعة! وليست مدارس مؤهلة للتعليم، ويجمعون فيها بعض الطلبة، وأعدادهم متواضعة، ولكنها حِيل إعلامية لتضخيم نشاطهم وجهودهم!!

وفتَح الشيعة عدة مكتبات عامة في عدد من مراكزهم، كوسيلة لجذب الطلبة والباحثين، لندرة وجود مكتبات سنيَّة؛ بعد التضييق على المؤسسات السنية وإغلاقها.

كما أنهم يُصدرون بعض الكتب الشيعية الدعائية باللغات المحلية؛ لاصطياد الجهلة والمغفلين من المسلمين، إذ لا نشاط للشيعة بين غير المسلمين، بينما يركزون على اجتذاب المسلمين الجدد للتشيع!

ونقص الكتب المحذرة من التشيع باللغات المحلية من أسباب انتشار التشيع في بعض الجزر والمدن التي يركِّز الشيعة نشاطهم فيها باللغة المحلية!

وتقدم السفارة الإيرانية منحًا مجانية للطلبة للدراسة في إيران في تخصصات كالطب والهندسة وما شابهها، وأيضًا العلوم الدينية، بهدف تشييع هؤلاء الطلبة، وربطهم بمؤسسات إيران، وتحويلهم لدعاة للتشيع ومندوبين لإيران في الفلبين عند عودتهم وتولِّيهم مناصب مهمة!

أسس الشيعة (١٥) مسجدًا في الفلبين لنشر عقيدتهم الباطلة؛ عبر المحاضرات والدروس التي تعقد فيها وفي مراكزهم والأماكن العامة أيضًا.

٣- نشاطهم الإعلامي:

حيث وقَّعت «وكالة مهر الإيرانية للأنباء» اتفاقية مع «وكالة الفلبين الرسمية»، مما يدلل على وعي التشيع بضرورة اختراق الإعلام الفلبيني الرسمي.

ويلاحظ وجود عدد من الصحفيين الفلبينيين غير المسلمين أصلًا يروِّجون لإيران دومًا، مما يشير لاختراق السفارة للصحفيين والإعلاميين، ولذلك تكون أخبار ونشاطات السفارة والشيعة حاضرة في الإعلام الفلبيني.

وعمل المتشيعة على شراء أوقات بثٍّ في الإذاعات المحلية المسموعة والمرئية؛ لنشر عقائدهم المنحرفة، بخلاف نشاطهم في قنوات (اليوتيوب) وبرامج التواصل على شبكة الإنترنت.

٤- نشاطهم الاجتماعي:

حيث يستغلُّون حاجة الناس للمساعدات الغذائية والصحية لبث دعايتهم في أوساط الفقراء، كما أنهم يشترون أراضي زراعية للمتشيعين.

٥- نشاطهم الاقتصادي:

عزَّزت إيران علاقاتها الاقتصادية بالفلبين؛ حتى أنها رفضت في سنة (٢٠١٢م) تطبيق العقوبات الاقتصادية على إيران من خلال وقف استيراد النفط، وطالبت بإعفائها من ذلك!

وتسعى إيران -حاليًّا- لفتح بنوك مشتركة مع الفلبين فيها، وتحرص على استثمار علاقاتها الاقتصادية مع الفلبين لتمرير مشروعها الناعم بنشر التشيع؛ من خلال المطالبة الدائمة بربط ذلك بالتعاون الثقافي الذي يعني: مزيدًا من نشر التشيع في الفلبين!

٦- نشاطهم الإغاثي:

حيث حرصت السفارة الإيرانية والمتشيعين على استغلال الكوارث والحوادث لتقديم المساعدات، وتغطية ذلك إعلاميًّا؛ من خلال اختراقهم للإعلاميين، مما يُكسبهم صورة حسنة عامة، ويفتح

الباب للتواصل مع التجمعات المحلية.

٧- نشاطهم السياسي:

فقد ركَّز الشيعة في الفلبين على إقامة تحالف مع الحكومة الكاثوليكية ضد المسلمين، مما يفتح الباب لهم للعمل بدعم حكومي، حيث أخذت الحكومة تولِّيهم المناصب التي تشرف على الشؤون الإسلامية والأمنية.

وأصبح هؤلاء الشيعة هم مَن يقترحون القوانين والإجراءات للحدِّ من الدعوة الإسلامية وحصارها، مما يفتح الباب للحكومة للقضاء على الإسلام والمسلمين، ويفتح الباب للشيعة للتغلغل وتحويل السنة إلى شيعة.

وختم الباحث رسالته بالفصل الرابع: عن سبل مواجهة الرافضة في الفلبين:

١) تفعيل جهود العلماء وطلبة العلم؛ كونهم المعنيين بذلك بالدرجة الأولى؛ من خلال مناظرة الشيعة وحوارهم ودعوتهم للحق، وتأليف الكتب والنشرات لتوعية الجمهور من المسلمين وتحصينهم من الشبهات الشيعية.

وينبِّه الباحث إلى ضرورة مراعاة اللغات المحلية في الحديث والتأليف؛ لتصل الفائدة لمختلف المدن ولا تنحصر ببعضها، وتكوين لجنة متخصصة من العلماء لتولي متابعة هذا الملف وإبطال شبهات الشيعة المتجددة.

٢) اضطلاع الأسرة والمجتمع بدورهما في التنشئة الدينية والفكرية والأخلاقية السليمة للأبناء وأعضاء المجتمع، وتجنُّب مدارس الشيعة في تعليم الأطفال.

والاهتمام برعاية الفقراء والضعفاء؛ حتى لا يتسلل لهم الشيعة، ورصد محاولات التسلل ورفع الشكاوى ضدها للجهات الرسمية، والتحذير من ضررها على السلم والأمن المجتمعي؛ بإثارة النعرات، وبث الخلافات والصراعات الطائفية، وتفتيت النسيج المجتمعي المتجانس.

٣) تطوير حال المدارس، ودعمها، ورفع سوية المناهج لتواكب المستجدات، وإدخال اللغة العربية إليها، مع تقوية تعليم اللغات المحلية والإنجليزية؛ لرفع سويَّة الدعوة، حيث يسعى الرافضة لفرض اللغة الفارسية والتشيع ضمن مناهج التعليم في المدارس الإسلامية كافة، وليس الشيعية فقط.

أيضًا هناك حاجة لرفع مستوى المدرسين، وإكسابهم مهارات احترافية في التعليم، والاهتمام بالعلوم العصرية والعلمية، وعدم الاقتصار على العلوم الشرعية.

وأيضًا فتح كليات للمرحلة الجامعية؛ حتى لا يبقى التعليم الجامعي تحت هيمنة العلمانيين أو الشيعة، أو السفر للخارج.

٤) دعم المراكز الإسلامية والجمعيات والمساجد في أنشطتها وبرامجها للتصدي للتمدد الشيعي؛ من خلال توسيع دائرة برامجها والمستفيدين منها، وتقديم البديل الصحيح عن إغراءات مراكز الشيعة، والحرص على تأهيل الأئمة والخطباء والعاملين في المراكز ليقوموا بالواجب المناط بهم.

٥) تقوية وتعميم مقاومة المد الرافضي؛ من خلال وسائل الإعلام.

فللأسف! لا يوجد موقع إلكتروني خاص بالفلبين يجمع المواد المقروءة والمسموعة والمرئية الخاصة بصدِّ التبشير الشيعي!! برغم انتشار الإنترنت ووسائط التواصل الاجتماعي في الفلبين،

وتعزيز الجهود الإعلامية في الإعلام المسموع والمرئي؛ فهو اليوم من ضرورات العصر.

وبهذا تنتهي هذه الرسالة القيِّمة في بابها، والتي تؤكد أننا -كأمة مسلمة- نواجه مشروعا شيعيًّا إيرانيًّا راسخًا في عدوانه، وممتدًا في بلاد وقارات مختلفة.

لكن جهود أهل الحق ستقضي عليه -بإذن الله-.

الخطر الإيراني الحقيقي على الخليج من الداخل

قالوا: رغم اتفاقنا مع الرؤية الأميركية بأن لإيران مشروعاً توسعيًّا يُعتبر المهدِّد الأول لدول المنطقة، فإن معالجة ذلك المهدد الأمني لن يكون بتقوية دفاعاتنا العسكرية فحسب، أو بتشكيل حلف عسكري كحلف الناتو -كما يقترح الرئيس ترمب-؛ فإيران لن تفكر في شنِّ حرب بجيشها على دول الخليج ... إيران تعلم أنها ليست في حاجة إلى تلك المجازفة وتَكبد تلك الخسائر، والبدائل متوافرة!

الصواريخ الباليستية والنووي وغيرها من الأسلحة المدمرة؛ مما تصدح به إيران بين حين وآخر؛ ذلك كلّه من أجل تحسين وضعها التفاوضي لا للاستخدام الفعلي...

«الضجة» المصاحبة للأنشطة العسكرية أهم مليون مرة من «الدرجة الواقعية والحقيقية» لامتلاكها والقدرة على استخدامها... ليضج العالم ثم يدخل في مفاوضات معها... تكسب به مساحة جيوسياسية دون أن تخسر جنديًّا أو رصاصةً.

أما كيف تهدد إيران أمن دول الخليج دون أن تطلق صاروخاً أو تحرك مدرعة؟ فذلك عن طريق الآيديولوجيا، فهي تجند ميليشيات محلية من دولنا تخوض حرباً تسميها: «مقدسة»! ضد أنظمتها، وصنعت منهم جيوشًا بديلة تنشط وتعمل من خلالهم إيران داخل دول مجلس التعاون.

ما تنفقه إيران على تلك الميليشيات أقل بكثير مما تنفقه على جيشها، لكنها تحصد من خلالها مناطق نفوذ، وتُسقط من خلالها أنظمة أكثر بكثير مما تقوم به جيوشها.

وعملت على دعمهم بمنظومة لوجيستية، تعمل على نطاق محلي بتضليل الرأي العام لتخلق تعاطفاً مع الضالعين في العمليات الإرهابية.

وتعمل كذلك على نطاق دولي للتغطية على جرائمهم، فتجد لها مستمعاً في وزارة الخارجية الأميركية أحيانًا من فلول الإدارة السابقة.

إنهم مجموعة نشطة في أروقة تلك الوكالات تقوم بعملية غسل وتبييض للإرهاب، لذا لا بد من اللجوء للتعامل القانوني مع هذه المنظومة.

الحرص على الحقوق المدنية، تلك الخديعة الكبرى من إعلام ومؤسسات ووكالات عملت على تشويه الواقع؛ من أجل أجندة سياسية لدعم تلك الميليشيات، أي: دعم التمدد الإيراني.

ما تقوم به تلك المنظومة الإعلامية ليس حرية للتعبير أو التجمع السلمي، فتلك حقوق محفوظة في دستورنا، إنما تلك المنظومة تريد أن تستغل تلك المساحة من الحرية لدعم الميليشيات الإرهابية، وتحدِّيها الضوابط القانونية.

سوسن الشاعر، «الشرق الأوسط»، (٢٠١٧/٥/٢١)، باختصار

رفض حزب شيعي مصري

قالوا: قررت الدائرة الأولى بالمحكمة الإدارية العليا برئاسة المستشار محمد مسعود -رئيس مجلس الدولة-: رفض الطعن المقام من الناشط الشيعي أحمد راسم النفيس ضد لجنة الأحزاب السياسية، لرفضها تأسيس حزب جديد تحت مسمى: «حزب

التحرير الشيعي».

وأكدت لجنة شئون الأحزاب في طعنها: عدم استيفاء عدد التوكيلات المطلوبة لتأسيس الحزب، وكان تقرير مفوضي الدولة أوصى بقبول طعن لجنة شئون الأحزاب، ورفض تأسيس حزب التحرير.

«موقع محيط»، (٢٠١٧/٥/٢٠)

منع قيام مجلس أعلى لشيعة موريتانيا

قالوا: منعت السلطات الموريتانية اجتماعًا بمدينة دار النعيم في العاصمة نواكشوط، كان ينوي أصحابه تشكيل مجلس إسلامي خاص بالشيعة بموريتانيا، اختاروا له اسم: «المجلس الإسلامي الأعلى للشيعة بموريتانيا»..

وأن مدير أمن الدولة استدعى المجموعة، وصرح للمجموعة بأن ما كانت ستقدم عليه أمر خطير ومرفوض! مضيفًا: أن عليهم التوقف بشكل كامل عن أي تصرف مشابه.

وكانت دراسة سرية أعدها رئيس مؤسسة «انقلاب» الثقافية محمد جواد أبو القاسمي، ونشرتها الأخبار سنة (٢٠١٥) كشفت عمل جهات موريتانية مع جهات إيرانية على إعادة (المكانة التاريخية) للشيعة في موريتانيا، ناصحةً بالتركيز على مناطق الشمال الموريتاني؛ باعتبارها مكان اجتماع الثروة والسلطة، وضعف حضور علوم أهل السنة فيها؛ حيث تقل بها المَحاضر (المدارس التقليدية)، والعلماء.

«موقع الأخبار الموريتاني»، (٢٠١٧/٥/٢٠)

أنواع الدواعش

قالوا: في ناس مريضة بتحريف الدين، وفي ناس مريضة بمعاداة الدين...

الطرفان دواعش، الطرفان من أسباب البلاء، الطرفان يغذيان بعضهما البعض، ويخلقان حلقة مفرغة من القرف الذي نعيشه منذ عقود.

الفرق: أن الطرف الأول يتم محاربته عسكريًّا، والثاني يركب الموجة!!

د. علي باكير، صفحته على «الفيس بوك»

باختصار

قالوا: إيران تقوم بأدوار قذرة! فهي تتدخل في شؤون الدول، وتشعل الحروب، وتهدد الأمن القومي للشعوب.. وهذا ليس حقًّا في الدفاع عن المصالح، بل هي جرائم نظام طالح.

أنور مالك، تغريدة على «تويتر»

اعتراف صريح!

قالوا: ألمح وزراء في حزب «الليكود» الإسرائيلي الحاكم عن مخاوفهم بشأن قدرة إسرائيل في الحفاظ على تفوُّقها النوعي العسكري في الشرق الأوسط.

وذلك في أول رد فعل للحكومة الإسرائيلية على حزمة الأسلحة بقيمة (١١٠) مليارات دولار التي وقَّعت عليها الولايات المتحدة مع السعودية، وفق ما أورده موقع «تايمز أوف إسرائيل».

وقال زير الطاقة يوفال شتاينتس -عن حزب «الليكود»- إن «السعودية هي دولة عدو، وعلينا أن نضمن الحفاظ على التفوق النوعي العسكري الإسرائيلي»، زاعمًا أن «واشنطن لم تتشاور مع إسرائيل قبل إبرامها لصفقة الأسلحة الضخمة»!

ورأى أنه من الواجب على الإدارة الأمريكية: أن تقدم توضيحًا لما جرى، بقوله: «مئات الملايين من الدولارات على شكل أسلحة؛ هو أمر يجب أن نتلقى توضيحات حوله!».

«موقع عربي ٢١»، (٢٠١٧/٥/٢١)

حين أصبح الداعية الهندي (ذاكر نايك) مسؤولًا عن (الإرهاب) في العالم!

ميرفت عوف، «ساسة بوست»، (٢٠١٧/٥/١٩)

كان صبيًا يعاني من مشكلة في النطق، ثم تلميذًا بالكاد يحصد درجات النجاح في مدرسته، والآن هو رجل في الخمسينات من العمر يقف محاضرًا أمام حشد، تحتاج كاميرات التصوير الحديثة لتقنية عالية لإجمال مليون شخص يحضرون محاضرةً له.

إنه الداعية والخطيب والمنظر الإسلامي الهندي: ذاكر عبد الكريم نايك، إحدى الشخصيات الأكثر تأثيرًا في العالم الإسلامي.

يُوصف بأنه ديدات الأكبر، فهو تلميذ الداعية الراحل -الجنوب أفريقي- أحمد ديدات.

الملايين يستمعون إلى خُطب ومحاضرات نايك المسجلة بالإنجليزية، عبر القنوات الفضائية، وأشرطة الفيديو والكاسيت، والأقراص المضغوطة، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، وما يُبهر المستمعين لنايك: قدرته على حفظ الكتب الدينية، والكتب المقدسة، واستحضار الشواهد التي تدعم فرضياته وحديثه.

لكنه على عكس غيره من الدعاة كان سببًا في إثارة الجدل؛ بعد أن منعته عدة دول غربية من دخول أراضيها؛ بحجة دعم الإرهاب!

وقبل أيام اتهمته الحكومة البنغالية بالتحريض على هجوم (دكا)، الذي وقع في الأول من (يوليو-تموز) الجاري؛ لأن أحد المهاجمين كان يتابع نايك على شبكات التواصل الاجتماعي.

فيما استكملت الحكومة الهندية المعركة ضده بمراقبة بيته ومؤسساته، وأحال التهديد بالاعتقال دون عودته من السعودية إلى الهند.

من تلميذ ضعيف القدرات إلى محاضر أمام الملايين:

لم يكن ذاك التلميذ النجيب؛ الذي يحصد درجات مرتفعة في تحصيله المدرسي، إذ اعترف أنه بالكاد كان يحصل على درجات النجاح،عندما تحدث عن سنوات دراسته في مدرسة (سانت بيتر الثانوية) بمومباي، مستدركًا: «لكنني أدركت أن تعثري توقف عندما شرعت في الحديث عن الحق».

ذاكر المولود في مومباي عام (١٩٦٥) درس الطب، لكنه ترك العمل في تخصصه، واتجه إلى الدعوة الإسلامية، حدث ذلك مصادفة عندما استمع لمحاضرة ألقها الداعية الجنوب أفريقي أحمد ديدات في مومباي، عام (١٩٨٧)، فقرر أن يكون ديدات مصدر إلهامه.

اعتمد ذاكر على الإنجليزية للتواصل مع الجماهير، وتخصص أكثر في المناظرات الدينية وحوار الأديان عبر وسائل الإعلام، بهدف: دعوة غير المسلمين، والإجابة على استفساراتهم.

كانت المحطة الأولى الأبرز في حياته: إنشاء المؤسسة الإسلامية للبحث، عام (١٩٩١)، لتتوالى بعد ذلك إداراته لعدة مؤسسات تعليمية هناك، لكن تبقى «مؤسسة البحوث الإسلامية» هي الأهم، كونها تملك قناة «بيس تي في» الدعوية، والناطقة بعدة لغات.

ويجول ذاكر نايك في العالم؛ ليلقي مئات المحاضرات، من الولايات المتحدة، فكندا، إلى بريطانيا، وجنوب أفريقيا، ودول الخليج العربي، وماليزيا، والفلبين، كما أن له جولات مناظرات شهيرة، من بينها: مناظرة عالم الأحياء الشهير وليام كامبل، في شيكاغو، عام (٢٠٠٠)، وكذا مناظرة الزعيم الروحي الهندي شانكار.

«على كل المسلمين أن يكونوا إرهابيين»، هذه الجملة المنتقاة من خطبة طويلة لنايك، ألقاها في (٢٠١٠)، دفع ثمنها باهظًا! بدايةً من

منعه دخول بريطانيا وكندا، واعتراض الولايات المتحدة على منحه جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عام (٢٠١٥).

وشنت صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية هجومًا حادًّا على المملكة العربية السعودية بعد تكريم نايك بهذه الجائزة.

كما أنه اتُّهِمَ بأنه قال على الملأ أن: «اليهود يتحكمون في أمريكا، وإن المرتدين يجوز قتلهم، وإن الولايات المتحدة هي الإرهابي الأكبر في العالم، وإن هجمات الحادي عشر من (سبتمبر) كانت من فعل إدارة الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن».

من جانبه يحاول نايك التصدي لمحاولات ربطه بـ (الإرهاب)، فيطالب بالعودة إلى مشاهدة محاضراته بالكامل لمعرفة ما كان يقصده تحديدًا من وراء جملته تلك، ويُؤكد نايك أنه جرى اقتطاع جملته من سياق خطبة كاملة.

وقال إنه كان يقصد بها: «الشخص الذي يرهب شخصًا آخر، وأن المسلم يجب أن يكون إرهابيًّا للعناصر التي تعادي المجتمع».

ويضيف: «لقد انتقدت علانية في الكثير من المناسبات كل أعمال الإرهاب، وأدنت بصورة قاطعة أعمال العنف؛ بما فيها هجمات (١١ سبتمبر-أيلول)، والسابع من (يوليو-تموز)، و(١١ يوليو-تموز)، وذكرت في عدة مناسبات: أن مثل هذه الأعمال خسيسة، وغير مبررة على الإطلاق طبقًا لأي معايير».

وفي حلقة من برنامج «بلا حدود» المذاع على قناة «الجزيرة الإخبارية»، في (١٣ يوليو-تموز) الجاري، قال ذاكر نايك أن: «الإعلام العالمي يصور للعالم أن الإسلام هو مشكلة البشرية، بينما هو الحل لمشكلاتها»، مُضيفًا أن: «وسائل الإعلام تريد فقط أن تسيء للإسلام، وتختار النماذج السيئة من المسلمين، وتبرزهم على أنهم إرهابيون؛ ليقولوا بذلك: إن كل مسلم إرهابي!».

حكومتا الهند وبنجلاديش تلاحقانه.. ومكافأة لقتله:

في الثالث من (يوليو-تموز) الجاري وقع هجوم على مقهى «هولي أرتيسان بيكري»، في العاصمة البنجالية (دكا)، أسفر عن مقتل (٢٢) دبلوماسيًّا، مُعظمهم إيطاليون ويابانيون، ونفَّذ العملية ستة مُسلحون.

ومع توالي التحقيقات الحكومية حول الحادث؛ سرعان ما كشفت السلطات في بنجلاديش: أن أحد منفذي الهجوم، ويدعى: روحان امتياز، كان من متابعي الداعية ذاكر نايك على وسائل التواصل الاجتماعي؛ لتتجه أصابع الاتهام إلى نايك بالتحريض على العنف.

وقررت الحكومة البنجالية: وقف مكاتب «قنوات السلام» التابعة له، الموجودة في دكا، بحجة أنها: «تحث كل المسلمين على أن يكونوا إرهابيين».

وخلال جولته في المملكة العربية السعودية تلقى نايك قرار الحكومة البنجالية، كما تفاجأ بإعلان الحكومة الهندية أنها: سوف تتخذ إجراءات ضده، «بسبب خطابه الذي يحض على الكراهية، والذي كان دافعًا للإرهابيين في هجوم (دكا)، في وقت سابق»، وعليه أرجأ مغادرة السعودية إلى الهند خشية اعتقاله، ومن المتوقع أن يغير قريبًا وجهته من الهند إلى دولة أفريقية.

ولم تكن تلك المرة الأولى التي يتعرض فيها نايك للهجوم؛ إذ أعلنت جماعة «نمور الحسيني» الشيعية، مكافأة قدرها (١٥) مليون روبية (ثمانية ملايين، و٣٨٥ ألف ريال سعودي) لمن يأتي برأس نايك.

وجاء في بيان للجماعة أنها قررت: «عرض مكافاة قدرها (١٥) مليون روبية هندية لمن يتمكن من قطع رأس نايك في السعودية؛ لأنه أهان النبي محمد».

وأضاف البيان: «من سيقتله لن ينال مكافأته في الآخرة فقط؛ ولكنه سيحصل على مكافأة مالية منَّا أيضًا».

وبعد يوم واحد فقط من إعلان جماعة «نمور الحسيني»، أعلنت زعيمة حزب «هندوتفا» الهندوسية (سادفيبارتشي) مكافأة قدرها خمسة ملايين روبية هندية (مليونين و٧٩٥ ألف ريال سعودي) من مالها الخاص، لمن يتمكن من قتل نايك.

وأوضحت: «لقد قمت بعرض هذه المكافأة لأن ذاكر نايك ليس واعظًا دينيًّا، بل إرهابيًّا».

كفى متاجرة بقضية فلسطين

أنور مالك، «أخبار تركيا»، (٢٠١٧/٥/٢٠)

قرر الرئيس الأمريكي دونالد ترامب: أن أول محطَّة في زيارته الخارجية الأولى منذ تولِّيه الرئاسة ستكون الرياض، عاصمة المملكة العربية السعودية، وطبعًا لما تتمتَّع به من مكانة في العالم الإسلامي، وبما تضطلع به من دور رئيسي في الراهن الدولي.

منذ ذلك الحين هبَّ أنصار ما يسمى بـ «حلف المقاومة والممانعة» للطعن في هذا الخيار، والذهاب بعيدًا في توزيع اتهاماتهم المعتاد عليها، وهذا أمر متوقع في ظل الاستقطاب القائم حاليًّا خاصة في الملف السوري، غير أن آخر صيحة هي التي خرج بها زعيم منظمة «حزب الله» الإرهابية كعادته في الطعن بالسعودية، وكل من يناهض ذوبانه في أقداح «الولي الفقيه»؛ حيث قال: «بعد أيام سيحجُّ زعماء إلى ترامب في السعودية وسنرى ماذا سينتج عن هذه القمة؟ هل سيكون للأسرى الفلسطينيين أيُّ مكان في هذه القمة؟».

طبعًا لم نسمع هذا الكلام من حسن نصر الله في مفاوضات إيران مع القوى الكبرى! المتمثلة في أمريكا وفرنسا وألمانيا وروسيا والصين وبريطانيا، وقد كان وزير الخارجية الإيراني يلتقي مع نظيره الأمريكي أكثر مما كان يلتقي مع أهل بيته، وتابعنا الأنباء التي وردت بخصوص تلك اللقاءات الثنائية والجماعية، ولم يتم التفاوض فيها مطلقًا على قضية فلسطين، ولا الأسرى الذين بينهم من كانوا يُضربون عن الطعام، في إطار معركة الأمعاء الخاوية؛ التي بدأت في (١٧/ ٤/ ٢٠١٢).

في (ديسمبر - كانون الأول ٢٠١٣) بخصوص التفاهم بين إيران والدول الستّ؛ أكد حسن نصر الله من أنه «كرَّس واقعًا جديدًا هو: تعدد الأقطاب»، ولم يكتف بتجاهله لتجاهل إيران التام لقضية فلسطين، بل زعم نصر الله أن: «الإيرانيين هم من طلبوا حصر النقاش بالموضوع الإيراني، وتأجيل البحث في الملفات الأخرى».

ترى ماذا لو أن السعودية هي التي رفضت الخوض في قضية فلسطين أو غيرها باجتماع تفاوضي مثل: مفاوضات الاتفاق النووي؟ بالتأكيد أنه سيتمُّ تخوينها، ويرفع نصر الله - وحلف مقاومته المزعومة - من سقف المزايدات بقضية فلسطين إلى أبعد الحدود، لكن لما يتعلَّق الأمر بإيران فهو يبرِّر لها ما لا يبرَّر! بل حوَّلها إلى قطب دولي؛ رغم أنها خرجت من الاتفاق النووي متخليَّة عن مشروع صدَّعت به رؤوس العرب خاصة!!

إن تدخل إيران في ملف فلسطين كان الهدف منه ليس تحريرها؛ كما يزعمون! ولا من أجل الدفاع عن الفلسطينيين الذين يقتلهم حليفها الأسد وميليشياتها الطائفية - أيضًا - بمخيم اليرموك في سوريا منذ اندلاع الثورة، بل هو: من أجل استعمال القضية في العالم العربي لاختراقه، وإيجاد موطئ قدم لها، وابتزاز المجتمع الدولي بخصوص أمن (إسرائيل).

اتضح من عمل الحرس الثوري على صناعة قوى عسكرية تابعة لها في الدول المتاخمة لحدودها مع الكيان الصهيوني؛ حيث نجد من جهة لبنان لديها ميليشيات «حزب الله» التي حققت لأمن الكيان العبري ما لم يتحقق له من قبل، وبفضل حرب (يوليو - تموز ٢٠٠٦) جلبت قوات «اليونيفيل» لحماية (إسرائيل) على حساب خزانة الأمم المتحدة.

وأيضًا شكَّل «حزب الله» حزامًا يوازي الحزام الأمني، ويمنع من خلاله تسلُّل المقاومين الفلسطينيين الذين كانوا يؤرقون الصهاينة على مدار سنوات طويلة.

والأكثر من ذلك: أن نصر الله عدَّ حربه التي أعلنها على السعودية أكثر أهمية من حرب (تموز ٢٠٠٦)! وهو تأكيد على أن أولويته ليست (إسرائيل) كما كان يزعم وينتقد غيره؛ إن جعلوا أولويتهم هي إيران.

أما من جهة الجولان؛ فنجد أن نظام الأسد لعب دور الحارس الوفي، وعلى مدار عشرات السنوات من الاحتلال، إلا أن جيش الأسد لم يطلق رصاصة واحدة، في حين لما انتفض الشعب السوري استعمل ضده شتى الأسلحة من كيماوي إلى فوسفور، وغيره من الأسلحة المحرمة دوليًّا.

بلا أدنى شك أن إيران -أيضًا- تعمل على صناعة كيانات مسلحة لها في كل الدول التي لديها حدود مع (إسرائيل)؛ ليبقى أمنها الحدودي بين يديها، وتستعمله في كسب الدعم الدولي لنظام الملالي، رغم أنه نظام إرهابي، يمارس شتى الانتهاكات بحقِّ البشرية.

لما خضعت إيران للمجتمع الدولي عَدَّه حلف المقاومة والممانعة المزعومة أنه: انتصار للشعوب؛ كما زعم حسن نصر الله!! رغم أن ذلك لم يقدم شيئًا للأسرى الفلسطينيين، ولا لقضية فلسطين، بل أن فلسطين لم يذكر اسمها في كل المفاوضات بين إيران والقوى الكبرى!

لماذا حسن نصر الله يزايد على السعودية وفي الوقت نفسه يبرِّر لإيران التي رفضت فتح أي ملف يخص الفلسطينيين في مفاوضاتها مع الغرب؟

منذ احتلال فلسطين والقضية تستعمل من عدة أطراف وأولهم: أدعياء المقاومة، وقليل جدًّا من يستعمل القضية لأجل القضية نفسها، بل لصالح قضايا أخرى، ومكاسب لا تمت بصلة لقضية فلسطين ولا لمآسي الفلسطينيين.

القومجيون العرب يرفعون شعارات (عروبة فلسطين)، ويطعنون في تركيا وكل من يناهض جرائم الأسد؛ بزعم العروبة، لكنهم يرتمون في أحضان إيران التي ترافع من أجل قوميتها الفارسية وعلى حساب قومية العرب وغيرهم.

بل طبَّلوا أكثر من ذلك لـ «حزب الله» ومقاومته الكاذبة! وها هو يقتل الشعب السوري بقيادة روسيا التي تعدُّ أقوى حليف للكيان الصهيوني، بل أن بوتين ينسِّق مع نتنياهو في كل كبيرة وصغيرة من حربه على شعب سورية.

لقد ذبح هؤلاء قضية فلسطين، والآن يذبحون الشعوب العربية بها، فعندما نتحدث عن خطر مشروع إيران التي صارت تحتل عدة عواصم عربية، يهب أبواقها في المنطقة ويتهموننا بترك فلسطين والانشغال بعدو وهمي المتمثل في ملالي إيران؛ رغم أن لهم ميليشيات تقتل العرب والمسلمين على الهوية في عدة دول، بل منهم من يذهب إلى القول أن العواصم العربية التي يحتلها الملالي لا تعني شيئًا أمام الأقصى.

يتجاهل هؤلاء أن مشروع إيران هدفه الأساسي هو: احتلال الحرمين الشريفين، في المملكة العربية والسعودية، وقد وجهت تهديدات كثيرة، بل أن حلم الخميني نفسه هي: رفرفة علم إيران في الرياض، بعد احتلال مكة والمدينة.

يوجد في التراث العقائدي الشيعي: أن مهدي الشيعة سيهدم المسجد الحرام، كما جاءت تصريحات كثيرة تدعي: أن مكة والمدينة محتلتان من (الوهابيين)؛ الذين وصفهم مهدي صادق -أحد زعماء ثورة الخميني- من أنهم شرذمة أشد من اليهود!

نذكر في هذا السياق: أن رفسنجاني هدَّد باحتلال الحرمين الشريفين؛ حيث صرَّح لجريدة «اطلاعات» قائلًا: «إذا كان علماء المسلمين في العالم مستعدِّين لتقبل مسؤولية إدارة مكة المكرمة، فإن جمهورية إيران الإسلامية لديها الاستعداد للحرب من أجل تحرير هذا المكان المقدس».

لم يقتصر الأمر على أفكار نظرية، بل وصلت إلى التنفيذ العملي؛ حيث نجد الحوثيين قد وجهوا صاروخهم نحو مكة المكرمة في (أكتوبر-تشرين الأول ٢٠١٦)، كما استهدف الحرس الثوري مرات عديدة مواسم الحج بعدة أعمال إرهابية، وأدت لمقتل أبرياء من ضيوف الرحمن، آخرهم ما حدث في حج (٢٠١٥)؛ حيث تسبب الإيرانيون في تدافع سقط فيه مئات الضحايا.

لا يوجد في الفقه الإنساني: أن تترك عدوا يتمدَّد بسبب انشغالك بقضية أخرى! ولا يقول بهذا الزعم إلا من يريد خدمة غزو جديد لديه مصالح ايديولوجية أو قومية أو جغرافية معه.

ففلسطين قضية الجزائريين بلا أدنى شك، وقد كانت الأساسية، ورغم ذلك لم يستسلم الجزائريون لهذا الطرح، وقاوموا حتى حرروا الجزائر عام (١٩٦٢) من المستعمر الفرنسي، ولا يوجد من قال لهم حينها: اتركوا بلادكم محتلة من فرنسا؛ لأن فلسطين هي الأولى!

لا يعقل أبدًا أن يصمت السوريون على ميليشيات إيران تذبحهم وتنتهك أعراضهم لأن فلسطين هي الأولى، بل يستسلموا لعصابات «حزب الله» الإرهابية وهي تعيث فيهم قتلًا وذبحًا ونهبًا بمبرِّر: أن

الحزب مقاوم وممانع!!

كما لا يمكن أبدًا أن تركيا -مثلًا- تغضُّ طرفها عن عصابات كردية إرهابية تستهدف أمنها الوطني، وتتحرش بوحدتها الترابية؛ لأنه توجد قضية فلسطين المحتلة من طرف الصهاينة!

لقد قال السوريون بكل وضوح: تبًّا لمقاومة وممانعة تقتل أطفالنا بزعم تحرير فلسطين! بل أن الفلسطينيين أنفسهم أكدوا أنهم لا يشرفهم أبدًا مشاركة القتلة في تحرير وطنهم من براثن الصهيونية.

بل تبرَّأ الكثيرون -أيضًا- **من منظمات وميليشيات** تغتصب الحرائر، وتسقط العواصم، وتشارك في مخططات قذرة ضد أمن أوطان المسلمين وعلى رأسها: بلاد الحرمين الشريفين، وتزعم أنها تناضل وتقاوم من أجل تحرير أولى القبلتين في فلسطين!

لا يوجد من خدم الصهاينة مثل أدعياء المقاومة، ويكفي أن جرائم إيران في سورية جعلت المسلمين والعرب لا يهتمون بقصف (اسرائيل) لمواقع في سورية، بل صاروا يشيدون بـ «إنسانية» جرائمها أمام هول ما يقترفه جيش الأسد وميليشيات إيران بحق السوريين!!

لقد عُذبت فلسطين لما سمح العرب لخمينية متوحشة أن تتسلل بينهم، **وتألمت كثيرًا** لما تاجر القومجيون بها في كل المحافل، **وسيُذبح ما تبقى منها** ما دام يوجد من يُطبِّل لملالي طهران؛ وهم يذبحون المسلمين في العراق وسورية واليمن ولبنان وغيرهم.

ترمب والحلفاء والخيارات الثلاثة لإيقاف أنشطة إيران المقلقة

أمير طاهري، «الشرق الأوسط»، (٢٠١٧/٥/١٢)

ما الذي يمكن فعله بشأن إيران؟

شغل هذا السؤال بال كل الإدارات الأميركية منذ عام (١٩٧٩) عندما استولت مجموعة من طلاب الجامعات الإيرانية على مبنى السفارة الأميركية في طهران، واحتجزت الدبلوماسيين رهائن لمدة (٤٤٤) يومًا.

وعلى مدى العقود الأربعة التي أعقبت ذلك أحلَّت الجمهورية الإسلامية في إيران نفسها محل العدو الرئيسي للولايات المتحدة الأميركية؛ لا سيما بعد تفكك الاتحاد السوفياتي السابق.

وخلال تلك الفترة الزمنية الممتدة عمدت إيران على احتجاز المزيد من الرهائن الأميركيين؛ سواء داخل الأراضي الإيرانية أو في لبنان؛ حيث النفوذ الإيراني الكبير، عبر وكلائها المحليين هناك.

وفي حقيقة الأمر، ومنذ عام (١٩٧٩) لم يكد يمر يوم من الأيام من دون احتجاز إيران لرعية من الرعايا الأميركيين.

ووفقًا لما صرح به الجنرال ديفيد بترايوس -الرجل الذي تولى قيادة القوات الأميركية في العراق وأفغانستان-؛ فإن إيران كانت المسؤول المباشر عن مقتل المئات من الجنود الأميركيين في الحروب منخفضة الكثافة في تلك البلدان.

وفي الوقت الذي استهدفت فيه إيران الولايات المتحدة الأميركية بصورة مباشرة، كانت إيران الثورية قد حاولت كذلك زعزعة استقرار أو الإطاحة بأنظمة الحكم في البلدان المتحالفة مع الولايات المتحدة، فيما بات يُعرف إعلاميًّا باسم: «منطقة الشرق الأوسط الكبير»، وهي قوس الأزمة الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربًا، وحتى المحيط الهندي شرقًا.

وعلى رغم كثير من تقلبات المد والجزر وفترات التوتر الموجزة التي أخمدت نيرانها لم يفقد سؤال «ما الذي يمكن فعله بشأن إيران؟» إلحاحه أو زخمه حتى الساعة، وليس من المستغرب -رغم كل شيء- أن الإدارة الأميركية الجديدة برئاسة دونالد جيه ترمب تتولى هي الأخرى التصدي لمثل هذا السؤال الملحّ.

ورغم الجهود الشاقة والمضنية التي بذلتها الإدارات الأميركية المتعاقبة منذ الرئيس جيمي كارتر وحتى الرئيس باراك أوباما؛ فإنها قد أخفقت كلها في العثور على إجابة فعالة وشافية لهذا السؤال!

ومن أحد الأسباب وراء ذلك هو: عدم تفهم وإدراك طبيعة المشهد السياسي الإيراني الجديد.

كما أنهم لم يدركوا أن إيران ما بعد عام (١٩٧٩) -عام اندلاع الثورة- باتت منقسمة بين واقعين متباينين: إيران الدولة القومية، وإيران الخمينية صاحبة الآيديولوجية التي تسعى لتعزيزها ونشرها

بكل وسيلة ممكنة.

تعاملت السياسة الأميركية -كمثل ما تعاملت بقية بلدان العالم- مع أولئك الذين يزعمون تمثيل إيران كدولة قومية، من أصحاب الابتسامات الكبيرة، والأحاديث الدمثة المهذبة باللغات الإنجليزية، وربما الفرنسية، الذين يتصرفون بوجه عام كمثل الموظفين العموميين العاديين في أي نظام حكم من الأنظمة المعروفة!

ولقد استغرق الأمر أعوامًا عديدة من السياسيين الغربيين لكي يدركوا أن الرجال أصحاب الابتسامات العريضة والأخلاق الرفيعة ليسوا أكثر من ممثلين موهوبين ومحترفين، يقومون بأدوار محددة ومرسومة لهم بكل عناية؛ من مستوى رئيس الجمهورية، أو وزير الخارجية، أو السفراء الدبلوماسيين، وأن صُنَّاع القرارات السياسية الحقيقية في إيران مختفون تمامًا وراء جدران من الغموض، لا يعلم بهم أحد!!

ونظرا لسوء الفهم -المشار إليه- لم تدرك الحكومات الغربية -بما فيها الولايات المتحدة الأميركية- أنه على الرغم من التنازلات الكثيرة المقدمة إلى إيران بصفتها دولة قومية، فإنها لم تُفلح في إخماد نيران العداوة الإيرانية كمحرك من أكبر محركي الآيديولوجية الثورية في المنطقة.

كتب الرئيس الأسبق جيمي كارتر خطابات التملق والثناء إلى آية الله روح الله الخميني، وأقام اتصالات المستوى الرفيع مع النظام الإيراني الجديد، مع وعود أكيدة بمد جسور المساعدات الاقتصادية والعسكرية.

حتى إن الرئيس الراحل رونالد ريغان كسر قواعد القانون الأميركي المعمول بها؛ مع تهريب الأسلحة إلى إيران عبر إسرائيل لمساعدة حكومة الملالي في قتالها ضد نظام صدام حسين في العراق.

ولقد تقدم الرئيس الأسبق بيل كلينتون مرتين بالاعتذار إلى ملالي طهران عن كل المساوئ أو المصائب التي لحقت بإيران على أيدي الغرب، كما أنه رفع مجموعة كبيرة من العقوبات الاقتصادية التي فرضها الرئيس كارتر على إيران، في أعقاب حادثة الاستيلاء على السفارة الأميركية في طهران.

حتى الرئيس جورج دبليو بوش الذي بذل قصارى جهده بما في ذلك نشر بيان «التسول» الشهير مستجديًا الملالي لفتح قناة للحوار، على أمل جلب إيران إلى داخل الخيمة العالمية، وفي العراق؛ عمل على مساعدة وكلاء إيران: إبراهيم الجعفري ونوري المالكي، في تأمين منصب رئيس وزراء البلاد على حساب حلفاء واشنطن الأساسيين في العراق.

وعندما يتعلق الأمر بالرئيس باراك أوباما؛ فقد شهد العالم الجهود الحثيثة من جانب الولايات المتحدة للمضي قدمًا على طريق إقناع الجمهورية الإسلامية في إيران بتغيير جوانب ما من سلوكياتها السياسية، واليوم؛ فإن الآراء كلها تتفق على أن جميع هذه الجهود قد تكللت بالفشل الذريع.

وبالتالي؛ فإنه يتعين على إدارة الرئيس ترمب الاضطلاع بمعالجة المسألة الإيرانية على خلفية عقود ممتدة من الإخفاق والفشل، وعندما يتعلق الأمر بالتعامل مع إيران، تملك إدارة الرئيس ترمب الكثير من المزايا التي افتقرت إليها الإدارات الأميركية السابقة.

إحدى هذه المزايا تتضمن: بعض الشخصيات المعنية ذات المعرفة والدراية العميقة بالسياسات الإيرانية وخبرات الشأن الإيراني؛ التي تعود إلى عقود ماضية.

إذ بدأ نائب الرئيس مايك بنس التخصص في القضايا الإيرانية منذ أيامه الأولى كعضو في الكونغرس الأميركي.

كما تراكم قدر معتبر من الخبرة والمعرفة بالسياسات الإيرانية لدى وزير الدفاع الجنرال جيمس ماتيس -المحارب الأسبق في العراق وأفغانستان-، من عمله في الخطوط الأمامية؛ إن جاز التعبير.

وكان الرئيس الجديد لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية مايك بومبيو، وعبر كثير من السنوات الشخصية الرئيسية في مجلس النواب الأميركي المعني بالقضايا وثيقة الصلة بالشأن الإيراني.

كما ينتمي مستشار الأمن القومي الأميركي الجنرال ماكماستر إلى حفنة صغيرة من القادة الأميركيين الذين درسوا وراقبوا الجمهورية الإسلامية في إيران؛ لأكثر من عقدين من الزمان.

وعلى القدر ذاته من الأهمية يأتي قرار الإدارة الأميركية الجديد

بإقصاء أصحاب المناصب السياسية المؤثرة من بقايا إدارة الرئيس أوباما السابقة، ممن لا يزالون يحدوهم الأمل في تغيير الوضعية الإيرانية من «العدو» إلى «الصديق».

وقد أمضت الإدارة الأميركية الجديدة الشهور القليلة الماضية في محاولات صياغة المنهج المتماسك حيال المشكلة الإيرانية، مع تفادي أية خطوات متسرعة على هذا المسار.

وهذا هو السبب في قرار الرئيس ترمب بتجديد رفع بعض العقوبات على إيران لمدة ثلاثة شهور أخرى، كما أنه كان السبب وراء تأجيل خطوة الكونغرس الأميركي في إعلان قوات الحرس الثوري الإيراني منظمة إرهابية.

كما تدرك إدارة الرئيس ترمب كذلك أنه - وعبر إسقاط خيار الحرب الشاملة المستبعد في الوقت الراهن -: لن يمكن لواشنطن بمفردها كسر الإرادة الإيرانية في المنطقة.

دائمًا ما سعت الإدارات الأميركية السابقة للوصول إلى عقد صفقات حصرية مع الجانب الإيراني، الأمر الذي دائمًا ما أبقى حلفاء الولايات المتحدة في أوروبا ومنطقة الشرق الأوسط على الهامش.

أما الرئيس ترمب - رغم ذلك - فهو يسعى وراء تكوين تحالف واسع النطاق مع كل من الحلفاء الأوروبيين والشرق أوسطيين، كما أنه لمح - باعتبار ظروف خاصة ومعينة - إلى إمكانية ضم روسيا إلى هذا التحالف المزمع.

ويحول هذا المنهج دون إيران وممارسة ألاعيبها المعتادة التي استمرأتها خلال العقود الماضية؛ من تأليب البلدان الأوروبية على الولايات المتحدة، ومحاولات تقسيم القوى المستقرة في منطقة الشرق الأوسط، بما في ذلك: دول مجلس التعاون الخليجي، ضد بعضها البعض.

ويستند تحليل واشنطن الجديد على الدفع بإيران كعدو وحيد يشكل تهديدًا للنظام العالمي بأسره، ولا بد بالتالي أن تكون مدعاة لكل قلق لدى الجميع بمن فيهم: روسيا، وتركيا، والاتحاد الأوروبي، والدول العربية، وإسرائيل.

ورغم كل ذلك؛ فإن ما لم يتضح بعد هو: الغاية النهائية لدى الإدارة الأميركية الجديدة فيما يتعلق بإيران.

ويفتقر السؤال الحاسم ما إذا كانت الإدارة الأميركية تسعى إلى إحداث تغير في السلوكيات الإيرانية، أم تغيير النظام الحاكم في طهران إلى إجابة شافية؟

وتأمل بعض العناصر قريبة الصلة بالإدارة الأميركية - التي تستوحي مواقفها أحيانًا من وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري كيسنجر - في إجراء تغيير في السلوكيات الإيرانية بالدرجة التي تسمح لإيران بالتغلغل داخل النسيج الجديد للأمن الإقليمي، والتعاون الذي أرست أسسه اتفاقات (هلسنكي) في سبعينات القرن الماضي، أو حتى معاهدات (ويستفاليا) التي أبرمت قبل قرنين من الزمان.

ومع ذلك؛ فإن الرفض القاطع لاستراتيجية القبعات قد خرج بالفعل، وبكل صرامة من مكان غير متوقع؛ ألا وهو «المرشد الأعلى» للجمهورية الإسلامية الإيرانية: آية الله علي خامنئي.

فلقد صرح خامنئي في خطابه إلى الجيش الإيراني في جامعة الإمام الحسين خلال الأسبوع الماضي بأنه لن يسمح أبدًا بإجراء أدنى قدر من التغيير في سلوكيات حكومته، لأن ذلك قد يؤدي في نهاية المطاف إلى تغيير النظام الحاكم في إيران بأسره.

وقال علي خامنئي مضيفًا: «إن غايتنا تغيير العالم، ولا يمكن أن نسمح للعالم بتغييرنا».

ولقد ذهب كبير خبراء الاستراتيجية الإيرانية في الحرس الثوري الإيراني الدكتور حسن عباسي - والمعروف إعلاميًّا باسم «كيسنجر الإسلام» - إلى ما هو أبعد من ذلك؛ من خلال الإصرار على أن الغاية القصوى للثورة الخمينية في إيران هي: تحويل الولايات المتحدة الأميركية إلى جمهورية إسلامية! وتحويل البيت الأبيض إلى «حسينية»!

ووفقًا للسرد الإيراني مع استثناءات طفيفة؛ فإن جميع حكومات العالم اليوم هي: حكومات غير شرعية، ولا بد من الإطاحة بها عن طريق الأعمال الثورية.

والتركيز العاجل لهذه السياسة - بطبيعة الحال - ينصب على الدول ذات السواد الأعظم من المسلمين.

وتقع مسؤولية تصدير الثورة الإيرانية إلى تلك البلدان على عاتق

أمانة الصحوة الإسلامية؛ التي أنشأها الإمام الخميني، وترأسها وزير الخارجية الإيراني الأسبق علي أكبر ولاياتي.

أما وزارة الخارجية الإيرانية الرسمية؛ التي يرأسها في الوقت الراهن محمد جواد ظريف، فهي أبعد ما تكون -حاليًّا- عن القضايا المتعلقة بالدول ذات الأغلبية المسلمة.

والانقسام الحاد في الشخصية الذي تعاني منه إيران بات واضحًا لكل مراقب للأحداث؛ فهناك في إيران منصب المرشد الأعلى إلى جانب منصب رئيس الجمهورية، وهناك مجلس رسمي للوزراء إلى جانب مجلس استشاري غير رسمي، وهناك برلمان قائم في إيران تحت اسم (مجلس الشورى)، ولكن يمكن بكل سهولة إلغاء أي أو كل من التشريعات الصادرة عنه بفتاوى من مكتب المرشد الإيراني الأعلى.

كما أن هناك جيشًا تقليديًّا في إيران من القوات البرية والبحرية والجوية إلى جانب جيش آخر موازٍ تحت اسم (قوات الحرس الثوري الإيراني)، بقوات برية وبحرية وجوية مماثلة، وهناك قوات الشرطة العادية إلى جانب قوات الباسيج الخاصة، أو الشرطة الثورية الإيرانية.

وهناك -أيضًا- نظامان متوازيان للعدالة والقضاء في إيران: أحدهما تحت إدارة المحاكم الحكومية، يشرف عليها قاضي العدل، ونظام آخر في المحاكم الإسلامية، يترأسه القضاة الدينيون.

وهناك -كذلك- نظامان أمنيان في البلاد، يمكن لأحدهما إلقاء القبض على أعضاء وعملاء من النظام الآخر! نظام تحت قيادة وزارة الأمن والمعلومات، والآخر تحت قيادة قوات الحرس الثوري الإيراني.

وللحكومة الرسمية الإيرانية سفارات وسفراء في (١٧٧) دولة حول العالم، وإلى جانب ذلك: للمرشد الأعلى سفاراته الخاصة ومبعوثوه الخواص.

وفي الداخل الإيراني تبرز ازدواجية السلطة في البلاد؛ من خلال حكام المحافظات أو رؤساء المدن، وغيرهم من رجال الدين الذين يمثلون «الزعيم»، والمكلفين بمهام الإبقاء على جذوة نيران الثورة مشتعلة.

كما أن لدى إيران نظامين اقتصاديين: أحدهما هو: النظام الرسمي، والمنظم على نحو شديد الغموض من واقع الخطط والميزانيات التي تضعها الحكومة الرسمية، وهو يمثل نحو نصف الناتج المحلي الإجمالي في البلاد.

أما النصف الآخر فهو: عالم السوق السوداء، الخاضع لسيطرة الأجهزة العسكرية والأمنية.

وهناك كثير من المؤسسات والشركات التي يترأسها الملالي، إلى جانب الجمعيات الخيرية الوهمية التي تزعم كثير من الشخصيات أنهم من أصحاب المصالح فيها إلى جانب الأئمة.

ويسيطر الحرس الثوري الإيراني على (٢٥) رصيفًا من أرصفة الموانئ الرئيسية في البلاد؛ التي يمكنهم من خلالها استيراد أو تصدير ما يشاءون من دون أية رقابة أو إشراف من أي هيئة حكومية رسمية!

وبعض من المؤسسات الكبرى -بما في ذلك «مؤسسة الإمام الرضا» في مدينة مشهد- هي من بين التكتلات الاقتصادية العملاقة التي تدر عائدات بمليارات الدولارات سنويًّا، ولكن لا يعلم أحد كيفية إدارتها! كما أنها لا تسدد أي قدر من الضرائب المستحقة على أرباحها.

وفي كل حالة من الحالات يكون العذر السائد هو «الثورة»؛ الذي يجسد واحدة من الإيرانيتين المعروفتين، والتي لا بد وأن تتمتع بالأولوية القصوى في كل منحى من مناحي الحياة على إيران «الدولة القومية».

وغني عن القول؛ فإن مصالح الإيرانيتين -إيران الدولة القومية، وإيران الثورة- دائمًا ما تتعارض.

وخلال العقود الأربعة الماضية كان الفوز دومًا هو حليف إيران الثورة، في كل مرة يثور نزاع أو تعارض بين مصالح الإيرانيتين.

ولقد أوضح كل من الخميني وخامنئي الأمر بجلاء: أنه كلما لزم الأمر فإنهما مستعدان للتضحية بإيران بأسرها لقاء المحافظة على «نسختهما» المفضلة من الإسلام!

وهذا يعني: أن ممارسة المزيد من الضغوط على إيران الدولة القومية لن يؤدي بالضرورة إلى إجبار إيران الثورة على تغيير سلوكياتها أو سياساتها المعتمدة.

وفي حقيقة الأمر؛ لا يمكن لإيران في الوقت الراهن التعامل كدولة قومية لدرجة عدم السماح لها بمجرد استخدام النظم المصرفية العالمية لسداد رواتب موظفيها أو وكلائها في الخارج.

وفي العام الماضي؛ اشتكى السفير الإيراني الجديد لدى المملكة المتحدة حميد بعيدي نزاد من أنه يضطر إلى سداد رواتب موظفي السفارة بالأموال النقدية المنقولة إلى مبنى السفارة في مطلع كل شهر!

وحتى الآن؛ وعبر الإدارات الأميركية المتعاقبة، ولدى أغلب الحكومات الأخرى؛ قد حاولت جميعها التعامل مع دولة إيران الرسمية ومساعدتها على استعادة وضعيتها؛ من خلال أن تصبح دولة قومية عادية من جديد.

ولقد أخفقت كل هذه الجهود في جزء منها؛ بسبب أن إيران الثورة كانت دائمًا ما تعتبر هذه المحاولات من قبيل المناورات الرامية إلى تغيير الطبيعة الثورية للسياسات الإيرانية القائمة، وفي ظل استمرار هذه الازدواجية لن تتمكن إيران من تغيير سلوكياتها أو تبديل الجوانب الرئيسية من سياساتها على الصعيدين المحلي أو الدولي.

وتلك الحفنة التي تمثل إيران الدولة القومية -على سبيل المثال: منصب رئيس البلاد، ومجلس وزرائه- قد يأملون وبكل أمانة في تغيير سلوكيات النظام، ولكنهم لن يستطيعون فعل ذلك في الواقع؛ لأن كلا من الرئيسين: محمد خاتمي وحسن روحاني قد اعترفا بكل صراحة بأنهما يفتقران إلى ممارسة السلطة الحقيقية في البلاد.

وإلى ذلك؛ فإن الخيارات المتاحة أمام الرئيس ترمب وحلفائه محدودة جدًّا؛ فقد يقررون: تجاهل إيران بشكل أساسي، وتركها لتحترق بنيرانها الذاتية حتى تنفجر تلقائيًّا؛ إثر تناقضاتها الداخلية الفجة.

والخيار الآخر: قد يسعون إلى إبرام صفقة مباشرة مع أولئك الذين يمارسون السلطات الفعلية في إيران، وهذا يعني: التجاهل التام لإيران الرسمية، والتواصل بشكل مباشر مع المرشد الإيراني الأعلى وشبكات الأعمال الواسعة في مؤسساته العسكرية والأمنية؛ التي تعمل من حوله وبأمره.

وكان هذا هو الخيار المعتمد لدى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين؛ الذي قام بزيارة طهران، وقضى عدة ساعات في محادثات مع السيد علي خامنئي، متجاهلًا الرئيس حسن روحاني وحكومته تمامًا.

وكانت النتيجة هي: «التحالف الاستراتيجي» مع روسيا؛ الذي أعلن عنه السيد علي خامنئي، مقوضًا بذلك سنوات من الجهود المبذولة من جانب الشخصيات الموالية للرئيس باراك أوباما في حاشية الرئيس روحاني بغية استعادة العلاقات الثنائية مع الولايات المتحدة الأميركية.

وإبرام الصفقة المباشرة مع إيران الثورة قد يهدئ من مخاوف الإطاحة بها من قبل المتآمرين الدوليين، وقد يؤدي إلى إقناعها بالتلطيف من بعض سلوكياتها العدائية في المنطقة، ولكنها لن تحول دون إثارة عدم الاستقرار ورعاية الإرهاب، ولن تنجح أبدًا في تحويل العدو إلى صديق!

قد يتعين على العالم الخارجي تعلم كيفية التعايش مع الجمهورية الإسلامية على وضعها الحالي، وقبول غدراتها وفجراتها، والتعامل معها وكأنها مرض عضال! يزيد من صعوبة الحياة، غير أنه لا يقضي عليها بالكلية.

ولا بد لسياسة كهذه أن يرافقها: قدر معتبر من الاحتواء الفعلي، وضمان أن الملالي يدركون أن كل خطوة يخطونها لها عواقبها ولا بد.

أما الخيار الثالث -وهو أمر يتجاوز مستوى الخيارات الحرة، وهو المفضل لدى مختلف الإدارات الأميركية السابقة-: من تغيير النظام الحاكم الرامي إلى مساعدة إيران على استيعاب تجربتها الثورية ومعاودة الظهور على المسرح العالمي كدولة قومية عادية.

وحتى الآن لم تفكر أي من الإدارات الأميركية المتعاقبة في هذا الخيار؛ ولو من الناحية النظرية، على الرغم من أن بعضًا منها قد راقت لها تلك الفكرة؛ إذ إن خيار تغيير النظام الحاكم في إيران هو من الصعوبة بمكان على التنفيذ الفعلي، ولكن إن نجحت المحاولة فسوف يكون من أكثر الخيارات فعالية وكفاءة في الإطاحة بأهم مصدر من مصادر زعزعة الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط.

وباعتبار أنها الثورة التي تحاول جاهدة لأن تجعل بقية بلدان

العالم على شاكلتها؛ سوف تبقى إيران على الدوام هي: التهديد الأول للجميع.

ولكن باعتبار أنها الدولة القومية التي لا تملك أي سبب ملموس للصراع مع أي دولة أخرى، يمكن لإيران أن تتحول إلى قوة رائدة في تشييد بنية قوية وراسخة من السلام والاستقرار في هذا الجزء من العالم؛ الذي مزقته الحروب المتتالية تمزيقًا.

عندما يجتمعون مع إيران على رأس جدول أعمالهم؛ فهل يملك الرئيس الأميركي وحلفاؤه الرئيسيون الرؤية الواضحة للنظر في واعتبار أمر آخر من مجرد الخيارات الحرة؟

روحاني: الاعتدال والديمقراطية!

منار الرشواني، «**الغد**»، (٢٠١٧/٥/٢٢)

للمرة الثانية، ومن الجولة الأولى للانتخابات: يفوز حسن روحاني برئاسة إيران، بنسبة (٥٧ %) من الأصوات، مقارنة بنسبة (٥١%) في انتخابات العام (٢٠١٣) التي فاز فيها روحاني من الجولة الأولى أيضًا.

ومرة أخرى؛ فإن فوز روحاني قد لا يكون خبرًا سيئًا بالضرورة لمعسكر المحافظين عمومًا؛ والذي ما يزال يمسك بمفاصل الدولة، ويستفيد في الآن ذاته من حضور روحاني وفريقه على المسرح العالمي، باعتبارهما يجسدان (جزرة الاعتدال) التي يسعى الغرب وراءها منذ أربع سنوات على الأقل.

لكن الجديد والمهم اليوم هو: الخطاب الذي يقدمه روحاني، الأكثر ثقة بفوزه الثاني والكاسح كما تم وصفه! إذ بدت الرسالتان / العنوانان الأبرز لخطاب الفوز، وبشكل شديد الوضوح: الاعتدال في مواجهة التطرف، والديمقراطية في مواجهة التدخل الخارجي، وهما رسالتان داخليتان وإقليميتان بالقدر ذاته.

فنتائج انتخابات يوم الجمعة الماضي -بحسب روحاني- هي: رسالة واضحة جدًّا من الشعب الإيراني بأنه اختار «طريق التوافق مع العالم، بعيدًا عن التطرف». وبداهة؛ فليس يقصد بالتطرف إلا المعسكر الذي ينتمي إليه منافسه الأبرز في الانتخابات: إبراهيم رئيسي، المقرب من المرشد علي خامنئي.

وعلى الرغم من كون هذه الرسالة داخلية في المقام الأول؛ إلا أنها إقرار ذو أبعاد إقليمية أيضًا، فتطرف معسكر المرشد -بكلمات روحاني- يجد أبشع صوره في سياسة إيران الإقليمية التي يتولاها الحرس الثوري التابع لخامنئي؛ ولا سيما في العراق وسورية، فهل عنى الرئيس ذلك، ولو ضمنًا؟

في السياق نفسه؛ يبرز العنوان الثاني لخطاب روحاني، وهو: أنه بانتخابه «أعلن شعبنا للدول المجاورة والمنطقة برمتها: أن مسار ضمان الأمن يكون بتعزيز الديمقراطية، لا التعويل على القوى الخارجية».

إذ بعيدًا عن التفسير الإعلامي للمستهدف بالرسالة يظل مهمًّا السؤال: هل يقصد روحاني: بشار الأسد أيضًا؛ الذي قرر تدمير سورية تمامًا، رفضًا لأي إصلاح! ناهيك عن إجراء انتخابات نزيهة على أي مستوى؟ وهو حتمًا لم يفعل ذلك إلا بفضل خامنئي، وليكون السؤال -بالتالي- عما إذا كانت الرسالة -كما يُفترض- داخلية بقدر ما هي إقليمية؟

كما يُثبت الواقع؛ فإن رسالتي: «الاعتدال والديمقراطية» ليستا موجهتين للإقليم بما يزيد عن المزايدة، فالرئيس الإيراني الساعي إلى التوافق مع العالم -يقصد بذلك: «الغرب» طبعًا (الإمبريالي بلغة عروبيي الولي الفقيه)-، يريد هذا التوافق عبر مسار الهيمنة الإقليمية أساسًا، وهي هيمنة لا يمكن أن تتحقق -كما يؤكد ما آل إليه الوضع في العراق ولبنان وأخيرًا سورية-؛ إلا عبر تفكيك هذه الدول وجعلها كانتونات تخضع لمليشيات إيرانية تسمى: (جيوشًا وطنية).

بعد كل ذلك؛ ستبدو مضحكة مبكية حقيقة: أن من سيخرج علينا ليعيِّرنا بانتخابات إيران الرئاسية النزيهة والشفافة هم: (عروبيو ويساريو الولي الفقيه)؛ الذين يصرون في الآن ذاته على أن مطالبة الشعوب العربية بالحرية والكرامة هي مؤامرة صهيو-أميركية؛ تمامًا كما يغدو كل تقارب إيراني-غربي فطنة سياسية من نظام الملالي، لكنه عمالة إن حصل عربيًّا!

هكذا؛ قد تغضب الشعوب العربية عن حق، وهي ترى انتخابات

ديمقراطية في إيران؛ لأنها شعوب تطالب أصلًا بالديمقراطية، وضمنها: الحرية والكرامة؛ اللتان تضمنان لها مكانة بين دول العالم.

لكن من يجب أن يخجل من هذه الانتخابات فهم: (عروبيو الولي الفقيه) وحدهم.

وفاز روحاني...
إيران والسُّنَّة

توفيق محمد مصيري، «**المصريون**»، (٢٠١٧/٥/٢١)

الانتخابات الإيرانية مع أن نتيجتها محسومة مسبقًا بين مرشحين لا يخرجون عن مسار الثورة الإيرانية؛ إلا إن هذه الانتخابات لها ما يميزها عن غيرها!

فهي لم تكن انتخابات كما تجري سابقًا، بل تميزت بعدة أمور لم تكن تجري عادة ومنها: الكشف لكثير من الفضائح في المناظرة التي كانت بين المرشحين للرئاسة.

ومن كان من أبرز هذه الفضائح: السرقات والتلاعب بالمال العام، والضعف السياسي في المواقف الخارجية، وغيرها.

لكن فضيحة من الفضائح لكان لها أثر أكبر وهي: ما ذكره روحاني أنه حاول مرارًا ترشيح وتعين عدد من أهل السنة من أصحاب الكفاءة والتخصص في مناصب نائب مدير عام أو وكيل وزارة، وكان يواجه بحرب شعواء واعتراضات من أعلى المستويات؛ كيف يرشح سني لهذه المناصب؟!

مما يكشف الوجه القبيح للطائفية التي يتميز بها خط الثورة الإيرانية، وسياسة الحكم في إيران -عمومًا-، المقياس ليس الكفاءة وإنما الانتماء المذهبي الضيق.

أيضًا ما تميزت به هذه الانتخابات: اجتماع أهل السنة والجماعة تحت ائتلاف «مجلس شورى للشؤون الاستراتيجية لأهل السنة» ودخولهم على خط المفاوضات مع المرشحين للرئاسة ومساومتهم على تحصيل حقوقهم.

وكان روحاني هو من رجحت كفته لدعم الكيان السني في هذه الانتخابات؛ حيث إن التجمع السني أخذ عددًا من الوعود مقابل تصويته الروحاني أو مقاطعة الانتخابات عمومًا، وقد تم الاتفاق بين روحاني والمكون السني.

والسؤال: هل سيفي روحاني بوعوده والأصح أن نقول: هل سيستطيع أن يفي بوجوده؟

هذا ما ستكشفه الأيام...

الجدير بالذكر هنا: الوقوف عند التجربة السنية في هذه الانتخابات، وهل ستكون هذه التجربة للانطلاق نحو تكوين لوبي ضعيف لاسترداد الحقوق المعلومة؟

أم تكون ثورة جديدة تعصف بالمكون الإيراني المتعدد الطوائف والكيانات والأعراق؟

هذا ما ستحكي الأيام القادمة...

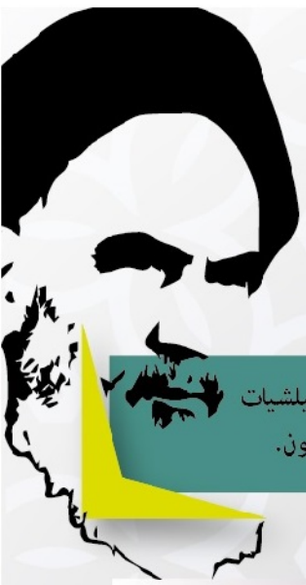

الشيعة وإيران وحقيقة الوحدة الإسلامية

وظّف الشيعة وإيران شعار الوحدة الإسلامية بذكاء لاختراق الدول المسلمة ونشر التشيع بين المسلمين وتكوين الخلايا النائمة والميليشيات الطائفية الإرهابية، وفي ما يلي حقيقة مواقف الشيعة وإيران في نسف الوحدة الإسلامية كي يستيقظ النائمون ويتنبه المخدوعون.

1

تعمّد الشيعة العرب وإيران في كل سنة مخالفة المسلمين كافة في مواقيت العبادات: كالأذان وصيام رمضان والحج ووقفة عرفة وعيدي الفطر والأضحى.

والأعجب مخالفة المسلمين في نفس البلد الذي يجتمعون فيه معهم كالعراق ولبنان، أو حتى حين يجتمعون مع المسلمين من كل البلاد في مكة المكرمة.

2

تعمد الشيعة الانشقاق عن المسلمين وتكوين مؤسسات شيعية طائفية خاصة بهم، ومن أمثلة ذلك:

أ- لبنان: وقبل بروز أي نزعات طائفية، حاول الشيعة إنشاء مجلس خاص بهم في سنة 1956م، لكن المحاولة فشلت، وتمت محاولة ثانية وفشلت أيضا!

ولكن وفي أواخر عام 1967م نجح موسى الصدر باستصدار قانون لإنشاء «المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى» والذي تأسس سنة 1969م برئاسة موسى الصدر.

ب- الكويت: أصرّ الشيعة على الانفصال عن وزارة الأوقاف في عام 2002 وإنشاء "هيئة للأوقاف الجعفرية الشيعية"، بدلا من وحدة الأوقاف الجعفرية في وزارة الأوقاف، والتي كل أعضائها من الشيعة!

ج- العراق: بعد الاحتلال الأمريكي عام 2003 قام الشيعة بتقسيم وفصل دائرة الأوقاف إلى الوقف السني والوقف الشيعي رغم أنهم هم المسيطرون على زمام الأمور.

د- البحرين: رفض الشيعة البقاء في "المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية" الذي وزّعت عضويته مناصفة بين السنة والشيعة، وقامت 80 شخصية شيعية سنة 2004 بتأسيس «المجلس الإسلامي العلمائي».

هـ- مصر: حاول بعض المتشيعة تأسيس "المجلس الأعلى لآل البيت في مصر" في أواخر عام 2004، لكن لم يتم الاعتراف به رسمياً.

و- فلسطين: أعلن المتشيع محمد غوانمة سنة 2006 عن تأسيس "المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في فلسطين" بغزة، لكن لم تمكنه من ذلك السلطات.

3

العدوان الإيراني والشيعي على الشعوب والدول المجاورة:

أ- إصرار نظام الملالي على قمع واحتلال الشعوب والأقليات داخل إيران والتمسك بسياسة نظام الشاه تجاهها.

ب- الاستمرار باحتلال الجزر الإماراتية الثلاث.

ج- الاحتلال والهيمنة على العراق وارتكاب الجرائم الإرهابية المتعددة بحق الشعب العراقي سنةً وشيعة.

د- مواصلة الحرب الوحشية على الشعب السوري.

هـ - دعم الانقلابيين الإرهابيين في اليمن.

4

ثبات موقف الشيعة بإفشال محاولات الوحدة

أ- العلامة محمد رشيد رضا: فمنذ سنة 1920م قاد في دمشق حوارات مع عدد من الشخصيات الشيعية، وتجددت هذه الحوارات في القاهرة سنة 1926، ولكن تبيّن أن الشيعة لا يريدون علاقات بنّاءة للطرفين أو للأمة بل علاقات لمصلحتهم فقط، وسجل رضا ذلك في كتابه "السنة والشيعة".

ب- د. مصطفى السباعي: ففي سنة 1953 مضى في مسار التقارب والانفتاح والوحدة مع مرجع الشيعة عبد الحسين شرف الدين، ولكنه صُدم من إصرار الشيعة على التمسك بكل ما يحطّم الوحدة الإسلامية، وقد سجل السباعي تفاصيل ذلك في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي".

ج- الشيخ يوسف القرضاوي: والذي أيّد الوحدة والتقارب بين السنة والشيعة لعقود طويلة، لكنه أصيب بخيبة الأمل من إصرار الشيعة على استغلال الوحدة الإسلامية لتشييع المسلمين واختراق مجتمعاتهم، فأعلن في سنة 2006 ندمه على انخداعه هذه السنوات الطويلة.

إن شعار الوحدة يرفعه الشيعة لأسباب عدة:

1 - إذا كان الشيعة في موطن ضعف حيث يقويهم هذا الشعار ويدفع عنهم الضرر.

2 - لخداع النخب والجماهير العربية والإسلامية، والتغطية على عدوانهم وتسللهم بين المسلمين.

3 - لإسكات من يطالبهم بإنصاف شركائهم وجيرانهم ومنحهم حقوقهم ورفع الظلم عنهم.

4 - للتشويش على من يرفض الاحتلال والعدوان الشيعي والإيراني على دول الجوار والأقليات الإيرانية.

الراصد

www.alrased.net

سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٦٩ شوال ١٤٣٨هـ

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ

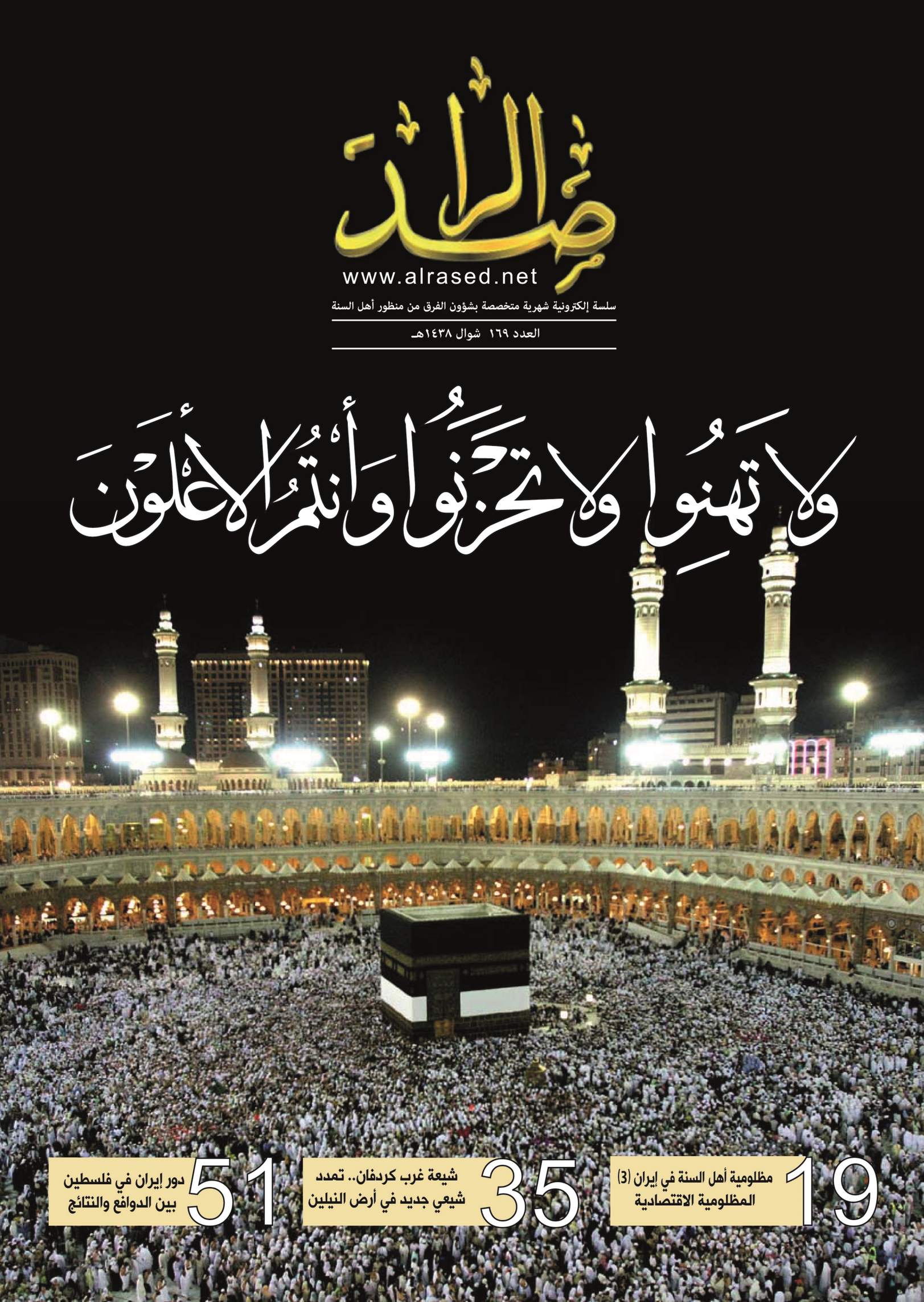

19 مظلومية أهل السنة في إيران (3) المظلومية الاقتصادية

35 شيعة غرب كردفان.. تمدد شيعي جديد في أرض النيلين

51 دور إيران في فلسطين بين الدوافع والنتائج

المحتويات

فاتحة القول

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ ٢

فرق ومذاهب

- حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج: (٣) جماعة المسلمين، شكري مصطفى..... أسامة شحادة ٤

سطور من الذاكرة

- ثورات الخوارج (٩): زياد بن أبي سفيان يواجه الخوارج في البصرة والكوفة ..... هيثم الكسواني ١٤

دراســـــــات

- مظلومية أهل السنة في إيران (٣) المظلومية الاقتصادية..... ماجد العباسي ١٩
- الطلاب الدارسون في إيران .. مخططات «النفوذ الناعم» لنشر التشيّع عبر العالم..... شريف عبد الحميد ٢٠
- التجربة السياسية الشيعية الحديثة (٥): شيعة اليمن..... بوزيدي يحيى ٢٦
- شيعة غرب كردفان.. تمدد شيعي جديد في أرض النيلين..... د. محمد خليفة صديق ٣٥
- الاغتيال السياسي في إيران .. الملالي ومواجهة المختلفين..... أسامة الهتيمي ٣٨
- المرأة وتناقضات الحداثة..... فاطمة عبد الرؤوف ٤٥

كتاب الشهر

- دور إيران في فلسطين بين الدوافع والنتائج..... أسامة شحادة ٥١

قالوا

- ٥٤

جولة الصحافة

- المجاهرة بالإفطار في رمضان مراهقة فكرية تشوّه العلمانية، وتقوّض أركان الحرية..... موسى برهومة ٥٦
- (إس-٤٠٠) لتركيا: حقيقة أو مراوغة؟..... علي حسين باكير ٥٧
- ثعابين اليمن.. «المكايدة» وصعود الحوثي..... د. محمد جميح ٥٨
- هل «فتح الشام» خوارج أم لا؟!..... موسى الغنامي ٦١
- «دير شبيغل» تكشف بالصور جرائم الحشد الشعبي الإيراني، ومنافستهم على اغتصاب النساء..... بندر الدوشي ٦٣
- (٧) ملاحظات حول عملية طهران المسلّحة..... د. محمد السلمي ٦٦
- «الحشد الشعبي» الخطر الأكبر القادم من الشرق!..... هيثم المومني ٦٨
- «حزب الله» بعد أوباما... انتهاء شهر العسل..... حنين غدار ٧٠

الرّاصد
www.alrased.net

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٦٩)
شوال (١٤٣٨ هـ)

www.alrased.net
info@arased.net

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾(١)

في هذه المرحلة من تاريخ أمتنا يجب على الدعاة والعلماء: بثّ روح الصبر واليقين بموعود الله لهذه الأمة؛ بالبقاء والتمكين والنصر، مهما اشتدت الخطوب، وتكالب الأعداء، وتكاثروا من الداخل والخارج.

نعم؛ واقعنا صعب وأعداؤنا كثر وخبثاء، وفينا ضعف وفينا خونة وفينا منافقون، وفينا من يبذل جهده لنصرة الحق والإسلام في المكان الخطأ!

ولكن برغم هذا كله؛ فإن التاريخ يخبرنا جميعًا: أن أُمتنا تعرضت لأكثر من هذا وانتصرت، وذاقت هزيمة أشد من هذه ثم نهضت وتغلبت على خصومها، وأصبحت قائدة للدنيا قرونا عديدة، ومن جهة أخرى فإن شدة العداوة التي تواجهها أمة الإسلام اليوم هي بسبب تزايد قوتها، مما أخاف الأعداء.

فأمة الإسلام اليوم تشهد قوة إيمانية تسري في جنباتها في كل مكان، وها هو رمضان يظهر ذلك؛ من امتلاء المساجد في أنحاء العالم، وتوافد الملايين للكعبة -مركز الإسلام-، واحتفاء الكبار والصغار بالصيام وقراءة القرآن، وانتشار الحجاب، والإعراض عن الربا وبنوكِه، والإقبال على تعلم الشريعة، والتلاحم الرائع بين شعوب المسلمين على اختلاف لغاتهم وعرقياتهم، وعلوّ روح الفداء والبطولة في الجهاد والمقاومة ضد المحتل والمغتصب والظالم والمتجبر، والصبر على الآلام والجراح؛ مع الثبات على الحق برغم التشريد والنزوح واليتم والترمل.

ومع هذه القوة المعنوية؛ فإن بلاد المسلمين شهدت نهضة تعليمية؛ بعد عقود من الأمية والجهل والتخلف، وشهدت تقدمًا اقتصاديًّا وعمرانيًّا بعد عقود من الفقر والعازة، وأصبح هناك نماذج تفوّق عالمية كماليزيا وتركيا ودول الخليج.

وأصبح عباقرة المسلمين وأذكياؤهم جزءًا رئيسًا من نهضة العالم والمدنية؛ سواء في بلاد المهجر، أو في بلادهم حين تتوفر لهم الأسباب.

ولكل ما سبق؛ فإن حركة الدخول في الإسلام من كل بلدان العالم وأديانه؛ بمختلف شرائحهم ومستوياتهم الثقافية والاقتصادية أصبحت ظاهرة معلنة، برغم كل حملات التشويه والتضليل ضد الإسلام والمسلمين، وأيضًا فإن كل المؤشرات العالمية تصرّح بهيمنة الإسلام والمسلمين بعد عقود قريبة على سكان الكوكب، مما أفزع الأعداء الذين يلمسون انقراضهم؛ بسبب مفاهيمهم المنحرفة تجاه الأسرة والمتعة واللذة!

إن إدراك هذه المعالم من قوة المسلمين اليوم مفتاح مهم لفهم سبب تلاحق المؤامرات والخيانات التي تصب على المسلمين؛ لتفتيت صفّهم وإشعال الخلافات والصراعات بينهم، وعرقلة كل الجهود المخلصة لتمتين قوتهم والقضاء على أعدائهم.

فالاحتلال اليهودي لفلسطين والأقصى يتم تجاهله عالميًّا، وتجاهل كل جرائمه وإرهابه وعنصريته طوال عقود طويلة، ويتم وَأْد كل محاولة لإدانته دوليًّا ورسميًّا وشعبيًّا؛ ليبقى المسلمون في حالة حيرة واتهامات داخلية.

والطاغية المجرم بشار! ما الذي يبقيه لليوم موجودًا إلا مكر الأعداء وخبثهم لعرقلة تحرر مسلمي سوريا من ربقة الظلم والطغيان، مما يعرقل مطامعهم في خيرات سوريا من الغاز والبترول، أو الخشية من إقلاق اليهود في جبهة الجولان النائمة منذ عقود؛ باسم: «الممانعة والمقاومة»!

والغزو الإيراني الطائفي المباشر، وعبر الوكلاء والفرقاء دون

(١) سورة آل عمران، من الآية (١٣٩).

الدولاتي للدول العربية والإسلامية؛ ما الذي يضفي عليه غطاء المشروعية سوى أنه يشغل المسلمين عن نهضتهم بالصراعات الداخلية والحروب الأهلية، مع تدمير كل المكتسبات والبنى التحتية، مما يحقق كل الأهداف الاستراتيجية للأعداء شرقًا وغربًا.

وما السكوت عن داعش وأخواتها ودعمها من قِبل العديد من الاستخبارات العالمية والإقليمية والمحلية إلا لتشويه صورة الإسلام في العالم وبين عامة المسلمين، وحرف الصراع بين المسلمين وأعدائهم للصراع بين المسلمين وأبنائهم المخدوعين.

ولماذا قضايا الإسلام يدخلونها في دوامة المفاوضات لعقود وعقود دون نتيجة؟! بينما قضايا غير المسلمين تبت بسرعة؛ كفصل تيمور الشرقية عن أندونيسيا، أو فصل جنوب السودان؛ سوى الفزع من قوة الإسلام، والخشية من المارد القوي أن يستيقظ بالكامل!

فمعرفة مواطن قوة الإسلام والمسلمين ومكائد خصوم الإسلام: هي نقطة الأساس لفهم الدور المطلوب من المسلم اليوم ليكون في مربع نصرة الإسلام، ويتجنب المكائد التي يدفعون لها المسلمين للإرهاب والتطرف أو الصدام الداخلي؛ مما يفتت القوة الإسلامية والصف الإسلامي.

إن الفرد المسلم قد لا يمكنه أن يتدخل في سير القضايا الكبيرة بشكل مباشر، لكنه يمكنه فعل ذلك بشكل غير مباشر؛ من خلال الوعي بدوره، ومن خلال الوعي بالأدوار التي تسلط عليه.

فوعي الفرد المسلم اليوم بدوره الحقيقي وهو: الثبات على الحق، ولزوم أمة الإسلام كخطوة أولى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾[هود:١١٢]، حيث يبقى الإسلام وشعائره وأحكامه هي الحكم والفيصل في الآراء والمواقف التي يلتزم بها من جهة، والحفاظ على البقاء مع الأمة المسلمة في همومها ومصالحها.

والخطوة الثانية: التواصي بالحق والصبر، بالحكمة والموعظة الحسنة بما لا يَنتج عنه مفاسد عليه أو على الأمة، إذ في هذه المرحلة من تاريخ الأمة لا يوجد في كثير من القضايا والمواقف السياسية والعامة حق صاف دائمًا، بل هو حق يشتمل على شيء من الباطل، فلذلك يلزم الحكمة في تأييد الحق وإنكار الباطل؛ بما لا يضر بالمصلحة العامة.

ولنتذكر حوار الخليفة القدوة عمر بن عبد العزيز مع ولده عبد الملك؛ حين قال لأبيه الخليفة الصالح: «يا أبتِ! مالك لا تنفذ في الأمور؟ فوالله لا أبالي في الحق لو غَلَت بي وبك القدور! قال له عمر: لا تعجل يا بنيّ! فإن الله -تعالى- ذمّ الخمر في القرآن مرتين، وحرّمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه، وتكون فتنة!».

واليوم نحن مطالبون بنصرة الحق والدفاع عن الإسلام والمسلمين وردّ عادية الأعداء؛ بحسب الوسع والإمكان، ولكن نحن لا يمكننا أن نفعل كل المطلوب معًا، وهذا باب تختلف فيه الأنظار، فالواجب علينا أن نجتهد في ذلك ما أمكننا، ولا يعرقل بعضنا بعضًا إذا لم نتفق على أجندة موحدة، بل ينشغل كل منا بثغرة من ثغور الإسلام، ولا نزيد الفرقة فرقة والخلاف خلافًا!

وما يقع من خلاف وتصادم بين المسلمين إذا لم يمكننا الإصلاح وتسوية الخلاف وتعديل الأخطاء؛ فلا نكون طرفًا في الخصومة ونشعل نارها! ولنتجنب في هذه الفتن الإشاعات والأكاذيب والأراجيف التي يقف خلفها السفهاء والخبثاء، ولنحذر من الدعايات المنمقة والشعارات المزخرفة، فقد تميل بنا عن الحق والصدق.

وكم عانت أمتنا من خداع الشيعة وأذنابهم بشعارات الممانعة والمقاومة وتحدي الشيطان الأكبر، فإذا هم حلفاؤه وشركاؤه! فلنحذر من أمثال هذه الشعارات في صراعنا مع ملالي طهران الطائفيين، فإنهم يجيدون شق الصف وبناء شراكات تهدم الصف، ولنحذر من التساهل مع الغلاة والإرهابيين؛ فهم خنجر في الظهر دومًا؛ لقابليتهم للاختراق والتوظيف.

الخلاصة: لتكن بوصلتنا دومًا: مصلحة الإسلام، ولنراعِ قوتنا وضعفنا، ولا نهدم صفنا بعلاج خطأ بخطأ أكبر منه، وإذا اختلفنا في قضية فلنحذر أن نهدم بقية قضايانا المشتركة الأخرى، ولنتجنب فخاخ الإرهاب، وردة الفعل المتهورة التي يدفعنا إليها الأعداء، ولنحرص على أن نبقى دومًا في خدمة الإسلام.

وهذه المحنة لن تدوم، وسرعان ما تزول..

حكاية جماعات العنف
من الانحراف إلى فكر الخوارج (٣)

أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوَّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ»(١)، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

في هذه السلسلة سنتناول: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

أولًا: الساحة المصرية:

٣- جماعة المسلمين، شكري مصطفى:

لقد تسبب الظلم المتمثل بالسجن والتعذيب في سنوات (١٩٥٤) وما بعدها، حتى سنة (١٩٦٤) في بروز مناخ غاضب مائل للعنف والتكفير ضد السلطة في المجتمع المصري؛ سواء في داخل السجون أو خارجها، ونتج عن ذلك ظهور مجموعات تتبنى تكفير جمال عبد الناصر، وتسعى إلى ترتيب انقلاب عسكري عليه من داخل الجيش.

وبدأت هذه التنظيمات بدءًا من سنة (٥٨) حتى كانت أول محاولة على يد تنظيم د. صالح سرية سنة (٧٤).

لكن حملة الاعتقالات التي قام بها عسكر جمال عبد الناصر سنة (١٩٦٥) والتي كشفت عن تنظيم سيد قطب

(١) «مجموع الفتاوى» (٤٢٥/٨).

الجديد داخل الإخوان تسببت بظهور موجة جديدة من العنف والتكفير، استهدفت المجتمع المصري نفسه، ولم تكتفِ بتكفير وقتال رأس السلطة وعساكره، وذلك بظهور فكر جماعة المسلمين على يد الشيخ علي إسماعيل، ومن ثم شكري مصطفى؛ الذي تورط في عدد من العمليات الإرهابية، كان أبرزها: خطف وقتل الشيخ محمد حسين الذهبي -وزير الأوقاف المصري-.

فما هي تفاصيل ميلاد هذا الفكر؟ وما مساراته وتطوراته؟ وما هي الكوارث التي سبّبها للعمل الإسلامي؟

▣ أصل الحكاية في السجن:

في سنة (١٩٦٥) قام الأمن المصري ببضعة اعتقالات عشوائية في صفوف الإخوان المسلمين، نتج عنها: كشف تنظيم الإخوان الجديد؛ الذي يقوده سيد قطب، ولم يكتفِ عسكر عبد الناصر باعتقال أعضاء التنظيم الجديد، بل قاموا باعتقالات طالت كل الإخوان المسلمين؛ الذين في التنظيم والذين خارج التنظيم وخارج السجن، حتى بلغ عدد المعتقلين عشرات الآلاف[١] بينما كان أعضاء التنظيم حوالي (٣٠٠) شخص فقط!!

ولم يقف الأمر عند ذلك؛ بل طال الكثير من أعضاء الجماعات الإسلامية الأخرى؛ كأنصار السنة النبوية وجماعة الدعوة والتبليغ والجمعية الشرعية، بل حتى بعض الشخصيات والرموز المستقلة مثل: الأستاذ محمود شاكر وفؤاد سراج الدين![٢]

ومن ضمن المعتقلين كان الشيخ علي إسماعيل -خريج الأزهر وشقيق عبد الفتاح إسماعيل-؛ الذي كان (دينامو) تنظيم (٦٥)، والذي أعدم في القضية مع سيد قطب ومحمد هواش فقط دون بقية المعتقلين، حيث أعدم سيد قطب باعتباره المنظر لهذا الفكر، ومحمد هواش باعتباره البديل الفكري لسيد قطب، وعبد الفتاح إسماعيل باعتباره محرك التنظيم.

ومن ضمن المعتقلين: شاب صغير كان لا يزال في السنة الثالثة في كلية الزراعة اسمه: شكري مصطفى، ويبدو أنه كان من الشباب الذين جذبتهم نشاطات الإخوان السرية في ذلك الوقت، أو كان من الشباب الذين انضموا لحلقات تنظيم (٦٥) دون أن يعرف عن ذلك؛ كما سيأتي في شهادة أحمد رائف.

وقد تعرض المعتقلون لتعذيب شديد، وظلم كبير؛ كعادة نظام عبد الناصر، وبعد انتهاء المحاكمات الهزلية وإعدام سيد قطب وهواش وعبد الفتاح في سنة (١٩٦٦)، هدأت الأحوال قليلًا في السجن، ولكن في عام (١٩٦٧م) طُلب من المعتقلين إرسال برقيات تأييد لعبد الناصر عقب إغلاقه خليج العقبة، أملًا في الإفراج عنهم.

وهو طلب تكرر عدة مرات من قبل في سجون عبد الناصر؛ فأرسل الجميع برقيات التأييد بسبب أجواء الحرب، إلا مجموعة صغيرة رفضت التأييد؛ لأنها تعتقد كفرَ عبد الناصر وعمالته لليهود، وقد كانت بحدود (٣١) شخصًا فقط، منهم: محمد قطب ومأمون الهضيبي وأحمد نصير وعلي إسماعيل وشكري مصطفى، وبعد التحقيق معهم صدر قرار بإعدامهم، وتم عزلهم عن بقية المساجين[٣].

مِن بين هذه المجموعة خرج فكر تكفير المسلمين؛ كما يقرر أحمد رائف، فيقول: «ومن الطريف أن فكرة (تكفير المجتمع) كانت قد ظهرت بين أصحاب زنازين شمال بعد ذلك الظلم الذي أصابهم، والقتل الذي كان ينتظرهم يوم (خمسة يونيو).

وسمعتُ بهذا ونياديتهم من الفناء: أصحيح أنكم تكفّروننا؟ وردّ المرحوم أحمد نصير -وكان جاري في (عنبر ١٢)-: نعم!

وامتلأتُ دهشة: أترونا كذلك؟ لسنا من أهل القبلة؟ وهل ترون أنفسكم من المسلمين؟ الإيمان والكفر كلمات تقال!

---

(١) تم اعتقال (٣٤) ألف شخص، منهم (٤٥٠) امرأة، انظر: «اختلافات الإسلاميين»، أحمد سالم، (ص١٣٤).

(٢) «التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين»، علي العشماوي، (ص٢٤٠)، «البوابة السوداء»، أحمد رائف، (ص٣٧٢).

(٣) «البوابة السوداء» (ص٣٩٤، ٤٠٣).

...وعدت شاردًا واجمًا أفكّر فيما قاله المرحوم أحمد نصير، وأنا أعجب كل العجب!! كيف يفكّرون على هذا النحو؟

ولا شك أن الحكومة هي التي غرست في رؤوسهم هذا التفكير بظلمها وانحرافها وجهلها»[1].

واللافت للنظر هنا: أن أحمد نصير هو ابن أخت سيد قطب، والذي يفتخر ويعتز بفكر خاله سيد في تكفير عبد الناصر علنًا في ندوات السجن لغسيل عقول المساجين[2]! وكان أحمد نصير وابن خالته عزمي بكر شافع مسجونين مع خالهم محمد بعد إعدام سيد ﷺ.

وهذا يذكرنا مرة أخرى بأن بعض من اقتنع بفكر سيد قطب سنة (٦٢) من المساجين أخذ يصرح بتكفير الناس! وهذا يدلل على **خطورة فكر سيد قطب؛ خاصة في مناخ الأزمات**، وأنه في أقل أحواله قابل للتطرف والغلو والتكفير، حتى أن د. عبد المنعم أبو الفتوح يعتبر شكري مصطفى وجماعته وتنظيم صالح سرية من نتاج تنظيم (٦٥)[3].

وممن تبنى التكفير في السجن وكان له دور بارز في ذلك بحكم خلفيته الأزهرية: علي إسماعيل، والذي يروي لأحمد رائف أن التعذيب الرهيب والكفر الذي كان يتلفظ به الضباط كان السبب في دفعه لتكفيرهم وتعميم ذلك على الجميع، ولكنه عقب موت عبد الناصر سكنت نفسه واستطاع العقلاء -ومنهم: المرشد الهضيبي- أن يصلحوا من حاله[4].

(١) «البوابة السوداء» (ص٤٣٢).

(٢) المرجع السابق، (ص٣٥٦).

(٣) عبد المنعم أبو الفتوح، «شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر»، تحرير حسام تمام، (ص٦٣).

(٤) «سراديب الشيطان» (ص١١٤)، «تجربتي مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري»، د. السيد عبد الستار، (ص١٣).

لكن نجيب ابن عبد الفتاح إسماعيل وأخاه أنس وأختيهما، وهم أبناء شقيقه عبد الفتاح دينمو تنظيم (٦٥)، سيصبحون لاحقًا من رؤوس التكفير الغلاة؛ لدرجة أن كفّروا أباهم عبد الفتاح الذي أعدم مع سيد قطب لكونه إمامًا وخطيبًا بالأزهر! وكفّروا كثيرًا =

ونجد مزيدًا من التوضيح لواقع التطرف والغلو والتكفير في السجون عقب سنة (١٩٦٥) وبداية تشكل فكر شكري مصطفى عند إبراهيم الزعفراني، وهو أحد قيادات الإخوان المسلمين السابقين؛ حيث ينقل عن الشيخ علي إسماعيل قصة بداية الغلو في فكر الغلو والتكفير الذي سيحمل رايته لاحقًا شكري مصطفى؛ فيقول الزعفراني: «حكى فضيلة الشيخ علي عبده إسماعيل -وهو مؤسس فكر هذه الجماعة وأول أمير لها، وهو شيخ أزهري سُجن مع الإخوان المسلمين في الستينيات، وهو أخ شقيق للشهيد الشيخ عبد الفتاح إسماعيل، نحسبه كذلك ولا نُزكّي على الله أحدًا! وهو أحد قادة الإخوان الذين أعدمهم عبد الناصر-، قال فضيلته:

خرجتُ ذات مرة أصلّي في السجن فرأيت بعض الإخوان يصلّون وحدهم دون الجماعة، فثارت ثائرتي لذلك، وأنكرت عليهم ذلك! وجاءني كلا الطرفين لشرح الموقف، واكتشفتُ أن الفريق الأعظم من الإخوان المسلمين لا يقولون بكفر الحاكم والنظام، ويعدّون عامة الناس مسلمين، في حين أن عددًا منهم -بسبب ما وقعوا فيه من تعذيب، وتجرؤ المعذبين على دين الإسلام أثناء التعذيب-، هؤلاء يقولون: إن الحاكم كافر، وإن أعوانه كفرة، وإن الناس -برضاهم وسكوتهم عن الحاكم- هم كفرة أيضًا، فوقعتُ في حيرة من أمري حيال الرأيين!

ثم ما لبثتُ أن خرجت برأي ثالث اعتقدتُ أنه وسط بين الرأيين، وهو: أن من يسمي نفسه بأسماء المسلمين أو يحمل في بطاقته الديانة (مسلم)؛ فلا نحكم عليه بالإسلام ولا بالكفر، ولكن نتوقف في الحكم عليه حتى نتبيّن إسلامه من كفره، ومن هنا نشأ مذهب (التوقف والتبيين).

ويستطرد قائلًا: لقد حاروتُ كلا الفريقين في السجن،

= من رؤوس التكفير؛ حتى سميت جماعتهم بـ (جماعة تكفير التكفير)! نقلًا عن بعض من سُجن معه في بداية الثمانينيات.

وكنتُ مؤهلًا بوصفي شيخًا أزهريًّا أن أدافع عن آرائي، وتتلمذ على يدي كل من شكري مصطفى وعبد الله السماوي، وكانا شابّين في العشرينات، وكان شكري يسجل كل مناظراتي مع الخصوم، ويرتّبها ويستعملها في مناظراته، وذات يوم جلستُ مع نفسي أراجع نظرية (التوقف والتبيين)؛ فوجدتُ أن عليّ أن أنشئ فقهًا جديدًا لم يسبقني به أحد من أهل الفقه الأولين هو: فقه المتوقف فيهم، فمثلًا (هل يجوز لزوجة المتوقف فيه أن تظل على ذمته؟ وإذا مات المتوقف فيه قبل تبيّن إسلامه يرثه أولاده أم لا؟ هل يُدفن في مدافن المسلمين أم ننشئ مدافن تسمى مدافن المتوقف فيهم؟).

وغيرها من المسائل الفقهية التي تستلزم أن أخرج على الأمة الإسلامية بفقه جديد لم يسبقني إليه أحد من أهل السنة.

واستفقتُ على ما استدرجني الشيطان إليه ليجعل مني رأسًا لبدعة ضالة مضلة! وفي صباح اليوم التالي جمعت الإخوان في السجن ووقفت وسطهم أعلن براءتي من نظرية (التوقف والتبيين).

وما أن فعلت ذلك؛ حتى صاح كل من شكري مصطفى وعبد الله السماوي واتهماني بالجبن، وأنهما سيظلان متمسكين بهذه النظرية رغم رجوعي»[1].

وفي هذه الرواية عدة فوائد مهمة لتاريخ التكفير والغلو، هي:

١ - هناك انقسام في صفوف جماعة الإخوان حول تكفير عبد الناصر والعسكر وعموم الناس، فالغالب على قدماء السجناء من الإخوان المسلمين الذين سجنوا في سنة (١٩٥٤) أنهم لا يرون تكفير عبد الناصر والمجتمع، بينما الذين تأثروا بسيد قطب سنة (٦٢) في السجن أو الذين تأثروا بسيد قطب عبر تنظيم (٦٥) يكفّرون عبد الناصر وعسكره وحكومته، وبعضهم كفّر المجتمع الصامت عن جرائم عبد الناصر، وبعضهم كفر رفقاءه في السجن؛ كما في قصة أحمد نصير!

ويؤيد هذا: ما حكاه أحمد عبد المجيد -أحد القياديين الخمسة في تنظيم (٦٥)؛ حيث ذكر انقسام سجناء الإخوان حول فكر سيد قطب فقال: «فعندما وصل سجناء إخوان (١٩٦٥) إلى سجن قنا، طلب منهم الإخوان القدامى المحكوم عليهم في عام (١٩٥٤) -بعد فترة من استقرارهم- كتابة بعض الأوراق الخاصة بآرائهم، وقالوا: إننا نريد أن نسمع منكم بعد الزوبعة التي أثيرت حولكم، والكلام الذي قيل عنكم بأنكم تكفّرون الناس، وتصدرون الأحكام السريعة، وترمون الحاكم بالكفر، وقد ساهمت أجهزة الإعلام المختلفة في ذلك؟!

وقد أوضح لهم إخوان (١٩٦٥) الأمر، وأنهم لا يقولون بذلك، ولا نكفر أحدًا دون ضوابط شرعية، ثم إنه ليست قضيتنا هي: إصدار الأحكام على الناس والانشغال بذلك، بل نحن ندعو الناس إلى الإسلام بصورته الواضحة الناصعة التي نزل بها على رسول الله ﷺ، مع تبيان ما هم فيه من الانحراف عن منهج الله؛ حتى يفيقوا ويرجعوا إلى الله.

وبعدها تم كتابة مذكرة تقع في أربع وثلاثين صفحة (فولسكاب) تشرح جوانب العقيدة، وما عليه أعضاء تنظيم (١٩٦٥)، اشترك في كتابتها البعض، أذكر منهم: الشيخ فتحي رفاعي، مبارك عبد العظيم، وعبد المجيد الشاذلي.

وبعد فترة من تسلّمهم هذه المذكرة، قالوا: إنه سيحضر مذكرات في هذا الشأن تعالج القضايا والاستفسارات المثارة وستكون من الأستاذ المرشد، وعلينا جميعًا أن ننتظر ذلك».

وبعد فترة وصل خطاب من فضيلة الأستاذ حسن الهضيبي -المرشد العام- كان مما جاء فيه: «... وما كنتُ أعلم أن صاحب «الظلال» قد غيّر في مفهوم الجماعة!

وكانت صدمة شديدة لأفراد قضية (١٩٦٥) بالذات! فهل سيد قطب بعد ما بذل وجاهد حتى قتله الطغاة، تكون هذه نظرة

(١) «جماعة التكفير والهجرة»، صفحة د. إبراهيم الزعفراني على (الفيس بوك)، (١٢/ ١١/ ٢٠١٥).

الجماعة إليه؟

وكان بعضهم يقول: إننا نعلم أن سيدًا اقتفى أثر أهل السنة والجماعة فيما قال وكتب، ولم يأتِ ببدع جديد! ثم قال: إنه غيّر في مفهوم الجماعة، وهل مفهوم الجماعة يخالف ما عليه السلف؟!

وحدثت تساؤلات واستفسارات كثيرة، مع حيرة واضطراب ودوامة! عاش فيها هؤلاء الشباب في تلك الأيام، واستمر تأثيرها فيما بعد.

وكان بالإمكان التريث والتأكد قبل الوصول لإثارة النفوس، ولكن لم يحدث ذلك، ولم تمضِ فترة طويلة حتى وصلت تلك المذكرات التي عارضها إخوان (١٩٦٥) جميعًا بلا استثناء، وكذلك بعض إخوان (١٩٥٤)، والبعض أبدى عليها بعض الملاحظات، أما بقية إخوان (١٩٥٤) فقد وافقوا عليها بلا تحفظ؛ باعتبارها تتفق مع آرائهم، إلى جانب أنها صادرة من الأستاذ المرشد ﷺ، باستثناء البعض منهم -كما ذكرت-.

وأعيدت للأستاذ المرشد -في مزرعة طرة- مع الملاحظات، والاعتراضات، وعلمنا أن كثيرًا من إخوان طرة والمزرعة والقناطر -أيضًا- لهم اعتراضات واستفسارات كثيرة على ما ورد فيها، فجزاهم الله خيرًا على صبرهم الطويل وما لاقوه، بعد أن سجلوا صفحة ناصعة لموكب الدعاة، وما يلقونه في سبيل الله»[1].

ويؤيد هذه القصة د. السيد عبد الستار؛ الذي يقول عن (كشكول) دعاة لا قضاة: «صارت عملية تمرير هذا الكشكول على مجموعة من المعتقلين الذين انفردوا بفكر خاص بهم، وكان على رأسهم: الأستاذ محمد قطب وشكري مصطفى وعلي عبده إسماعيل، وكثير ممّن يسمون بـ (القطبيين)، أصحاب الفكر الجديد في الإخوان المسلمين.

وطلب محمد قطب ترتيب جلسة مع الأستاذ الهضيبي ليستفسر منه على بعض النقاط... في المسجد القديم.. وانتهى الاجتماع بين الاثنين على عدم وفاق واقتناع»[2].

ويصف أحمد رائف هذا الخلاف بالانشقاق؛ فيقول: «وكان الانشقاق قد حدث بين الإخوان حول مفهوم الدعوة واستراتيجية الحركة، والأطروحات التي ينبغي طرحها للناس.

وكانت مشكلة المستشار الهضيبي تتلخص في كلمات: (لا نكفّر مسلمًا نطق بالشهادتين)، ويضيف إليها شكري مصطفى ومِن قبله محمد قطب: (وعمل بمقتضاها).

... وكانت ترتب الاجتماعات في المسجد المهجور، القائم بجوار المستشفى في معتقل طرة السياسي في عز الظهيرة حيث لا يتجول إنسان.

وكان المرحوم الإمام الهضيبي -على مرضه وسنّه- ينتقل إلى هناك ليجلس إلى الأستاذ محمد قطب وتلاميذه، ويحاورهم ويناقشهم، ويحاول أن يردّهم إلى ساحة الجماعة»[3].

٢ - من حكاية علي إسماعيل يتكرر استنتاج: أن الفريق الذي يميل للتكفير والغلو فيه كان له صلة مباشرة أو غير مباشرة بسيد قطب، فعلي إسماعيل هو شقيق عبد الفتاح إسماعيل؛ الذي كان دينامو تنظيم (٦٥)، وكان له مشاركة في التنظيم؛ بحسب رواية علي العشماوي، ولذلك قُبض عليه، وبحسب رواية أحمد عبد المجيد أنه قبض على علي بسبب عدم القبض على شقيقه عبد الفتاح! وإن كان يمكن جمع الروايتين أن الهدف الأساسي كان هو: عبد الفتاح، لكن جرت عادة عسكر عبد الناصر القبض على أقرباء الهارب أو المختفي، فكيف إذا كان عضوًا بالإخوان وشيخًا أزهريًّا!

ويلزم التذكير هنا: أن علي إسماعيل -بعد الإفراج عنه في عهد

(١) «الإخوان وعبد الناصر: القصة الكاملة لتنظيم (١٩٦٥م)»، أحمد عبد المجيد، نسخة إلكترونية على موقع «الموسوعة التاريخية» الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين.

(٢) «تجربتي مع الإخوان من الدعوة إلى التنظيم السري» (ص١٣).

(٣) «سراديب الشيطان»، أحمد رائف، (ص٦٢).

السادات - كان هو السبب في تعريف طلال الأنصاري ومجموعته -التي تربت على كتب سيد قطب - على زينب الغزالي والمرشد حسن الهضيبي، ومن ثم انضموا لصالح سرية في تنظيمه، وهم يظنون أنهم لا زالوا مع جماعة الإخوان[1]، كما أن علي إسماعيل وشكري مصطفى كانا مع محمد قطب في نفس العنبر بالسجن[2].

ولذلك يمكن الإقرار بأن «كلام سيد قطب -بغضّ النظر عن مراده منه بالفعل- صار أحد البذور المهمة التي أثمرت الاتجاهات القطبية الجهادية والتكفيرية التي نشأت في مصر في الستينات والسبعينات»[3].

٣- هذه القصة تبيّن لنا: أن شكري مصطفى كان ضحية لفكر الغلو والتكفير، وليس منشئًا له، وهو ما سنَشرحه لاحقًا.

وقد يكون محاولة البعض تضخيم دور شكري مصطفى للتغطية على الدور السلبي لفكر سيد قطب؛ الذي بدل معالجة أخطائه بتنقيح كتبه وإزالة المواضع المبهمة فيها على الأقل؛ بقي الإصرار على طبعها كما هي! برغم ما تولد عن ذلك من نتائج سلبية عبر هذه السنوات الطويلة!

٤- نتج عن الظلم والتعذيب في السجن والفكر الغالي والتكفيري: ظهور عدة جماعات تكفيرية في داخل السجن «الجماعات الإسلامية الجديدة بمعتقل طرة السياسي؛ والتي تجاوزت الثلاثين، وعدد أفرادها مجتمعين لا يتعدى العشرين»!![4].

ولاحقًا بعد الإفراج عن المعتقلين زادت فرقة هذه الجماعات، ويحدثنا عنها د. إبراهيم الزعفراني: «استمر هذا الفكر التكفيري ينتشر داخل طبقة الشباب حتى أوائل السبعينيات، حتى بعد السنوات الأولى لخروج عدد من الإخوان من السجون في عهد الرئيس السادات، وكان عددٌ قليل منهم يحملون الفكر التكفيري.

مثلًا في الإسكندرية أ.محمد سالم، وأ. محمد عبد المجيد، وكانوا قيادات سابقة لإخوان الإسكندرية، بل وتكونت جماعات تحمل هذا الفكر أكبرها: (جماعة التكفير والهجرة)؛ التي كانت تسمي نفسها: (جماعة المسلمين)، ولا أبالغ إن قلت: أن عدد هذه الجماعات كان بالمئات، وكل جماعة منهم تزعم أنها تمثل جماعة المسلمين، وتكفّر الجماعات الأخرى! بل وكانت بعض الجماعات تكفّر الخارجين عليها، وتعتدي عليهم بالضرب وأحيانًا بالقتل»[5].

وهذه طبيعة الغلو والتكفير.. التشرذم، والتفتت، ومعاداة الاجتماع والوحدة، ومن ذلك: ما نعيشه -لليوم- من انشقاقات جماعات العنف والتطرف على بعضها البعض! ومن أبرزها في حاضرنا: انشقاق (داعش) عن (القاعدة)!

٥- تقدم لنا هذه القصة مثالًا حيًّا ومعاصرًا على كيفية تولّد البدع من بعضها البعض، وكيف تكبر وتتضخم بسبب الجهل، فعلي إسماعيل وجد فريقين: الأول يكفّر بحق وبغير حق، والآخر يتهاون في تعظيم حرمات الله، فلم يكتف بذلك بل ابتدع قولًا جديدًا لا سند له شرعيًّا! ثم بدأ ينزل تطبيقات اجتماعية له، وبعد تراجعه أصر شكري مصطفى وعبد الله السماوي على المضي في الغلو، مع جهلهما وصغر سنهما، ثم لم يكتفيا بغلو شيخهما المتراجع، بل زادا على ذلك كثيرًا؛ وخاصة شكري -وسوف نعرض ذلك بعد قليل-.

٦- أيضًا هذه القصة تقدم لنا دليلًا على ضرورة نشر العلم والتزامه؛ للوقاية من الفتن والغلو، فعلي إسماعيل تمكّن من التيقظ لخلل مساره وغلوه برحمة من الله ﷻ وتوفيقه أولًا، ثم بما

---

(١) فصّلنا ذلك في الحلقة السابقة.

(٢) «البوابة السوداء» (ص٣٩٨، ٤٠٥).

(٣) «اختلاف الإسلاميين» (ص٤٧٣).

(٤) «سراديب الشيطان» (ص١٠٣).

وغالب هؤلاء التكفيرين لم يكن يتجاوز سنه (٢٥) سنة، نفس المرجع (ص١١٦)، وهي علامة من علامات الخوارج في السنّة النبوية.

(٥) «مذكرات الزعفراني.. الفهم الإسلامي في مواجهة الفكر التكفيري(١)»، منشور على شبكة الإنترنت، «اختلاف الإسلاميين» (ص٤٧٠).

لديه من رصيد علمي أزهري تم استثماره للخروج من الفتنة.

▣ شخصية شكري مصطفى وتدرجه في الغلو والتكفير:

شكري مصطفى من مواليد سنة (١٩٤٢م)، وحين قبض عليه سنة (١٩٦٥) كان عمره (٢٣) سنة، وفي السنة الثالثة من كلية الزراعة، وكان شابًّا عاديًّا من شباب الإخوان المسلمين ليس له أي معرفة أو شأن في العمل الإسلامي، ولكن قدّر الله له أن يُسجن مع الزعماء؛ وخاصة مجموعة محمد قطب، ومن هنا بدأت مسيرته في الغلو والتطرف.

وسنعتمد شهادة رفيقه في رحلة السجن أحمد رائف؛ حيث يقول: «ترجع معرفتي بشكري مصطفى إلى أيام التعذيب الأولى بالسجن الحربي، ثم رجعنا إلى معتقل أبي زعبل على قدر، وجمعنا عنبر الزعماء -هكذا كانوا يسمونه-، ثم انفصل مع الآخرين إلى زنازين الشمال، عندما رفضوا تأييد (الملهم)[1]، ثم غادرنا معتقل أبي زعبل السياسي وغادره معنا أهل زنازين شمال، وذهب الجميع إلى معتقل طرة السياسي»[2].

أما نشأته الأسرية؛ فيتحدث عنها أحمد رائف بقوله[3]:

«كانت ظروفه الأسرية شديدة؛ فقد طلقت أمه، وتزوج أبوه امرأة أخرى، وتزوجت أمه رجلًا آخر، وهو لا يدري أين يذهب بعد الإفراج عنه! وكان كثيرًا ما يتندر بهذه الحالة ويقول ضاحكًا: هذا الاعتقال حلّ لي الكثير من المشكلات».

أما عن شخصيته وتكوينه الشرعي؛ فيقول أحمد رائف:

«قد جاء صدفة إلى السجن الحربي، وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره -هذا خطأ لا يناسب تاريخ مولده ولا دراسته!-، وعذّب مثل الآخرين، ... وفوجئت به في عنبر الزعماء وهو الغلام الحدث! وفوجئت أنه لا يعرف الكثير أو القليل عن الإسلام! اللهم إلا الصلاة، ...

كان يسكن في العنبر على مقربة مني، وكان هذا أدعى للأحاديث الكثيرة بيننا، كنتُ في أغلبها المتحدث الذي يجيب على أسئلته الكثيرة النهمة! فهو يريد أن يعرف قصة الإخوان المسلمين وكيف اعتقلوا؟ ولماذا؟ وما هو الجهاد في سبيل الله؟وكيف قامت دولة الإسلام في سالف عهدها؟ وما معنى: دين ودولة؟ مصحف وسيف؟ كان يَسأل ويَسأل، ولا يفعل أكثر من ذلك، وفيما عدا ذلك فهو مهرّج مع المهرّجين! ضاحك مع الضاحكين في مرح بالغ!!».

ثم بدأ بالتحول قليلًا؛ كما يقول رائف: «ثم انتابته حالة ... فهو يصمت ويستمر في الصمت؛ حتى أنه لا يتبادل الحديث مع أحد بالمرّة! واقتربتُ منه أيامها -وكنت الذي أجيب على أسئلته الكثيرة- أسأله عن سبب صمته المريب؛ فلا يجيب، ويكتفي بالقعود على بطّانيته محدقًا في لا شيء، ويأكل في موعد الطعام ويصلي مع المصلّين، وإذا خرجنا إلى طابور الفسحة لا يخرج معنا ويكتفي بالجلوس وحيدًا في العنبر، متأملًا محدقًا حتى يعود الناس! وتطور الأمر معه فصار يصلي في الليل، وكان في العنبر كثير يفعلون هذا، وانضمّ إليهم وصار واحدًا ممّن يقيمون الليل.

وكففت عن سؤاله عن سبب صمته، واكتفيت بملاحظته عن كثب؛ أحاول أن أدرك ما يفكر فيه، بلا فائدة حتى جاء اليوم الذي رفض فيه التوقيع على التأييد، وانحلّت عقدة لسانه وصار مرحًا ثرثارًا كما كان من قبل... وقال لي بشوشًا: لعلك تعجب من عدم توقيعي على التأييد؟ في الحقيقة نعم.

تريد أن تعرف السبب؟ وقلت له ملحًّا: لو سمحت!

وتنهّد شكري مصطفى تنهيدة طويلة ملأت عينيه بالحزن وفارقه مرحه وبدا جادًّا صارمًا: قد رأيت ما حلّ بنا وما فعلته الحكومة معنا: استباحت أبناءها، وضربتهم بالسياط، وقتلتهم، واغتصبت الفتيات والأطفال، قد رأيت بنفسك هذا هنا في هذا المكان، وفي السجن الحربي كنا سويًّا، وصنّفوني من الزعماء ولست كذلك، قد عرفت هذا بنفسك.

---

(١) «سراديب الشيطان» (ص٩٥).

(٢) نفس المرجع، (ص٩٦).

(٣) «البوابة السوداء» (ص٣٩٩ وما بعدها).

لقد سمعت منك قصة الإسلام بالتفصيل لم أسمعها من قبل، وكلما ازددت معرفةً ازددت غيظًا، والظن أنه إن لم تأتني هذه الفرصة للمعارضة وإعلانها لمتّ كمدًا، أقل ما نفعله لحكومة مثل هذه التي تحكمنا: أن نظهر لها احتقارنا لها، هذا أقل ما ينبغي علينا فعله، ولو استطعت أكثر من هذا ما ترددت».

وهو هنا يتحدث عن تأييد عبد الناصر في حرب (٦٧) -وسبق الإشارة إليه-، وواضح هنا تأثير الظلم بالسجن والتعذيب على شخصية شكري.

وفي قصة شكري خطأ يتكرر كثيرًا في السجون وهو: خلط الشباب الصغار أو المساجين الجنائيين مع شخصيات فكرية أو رمزية في جماعات العنف، مما يحوّل هؤلاء الشباب لمسار العنف والتطرف، فشكري في محيط يعلن كفر الرئيس والحكومة ومعاونيه على لسان محمد قطب[١]، ثم يكفّر أحمد نصير بقية السجناء وهو ابن شقيقة محمد قطب[٢]، ثم كانت فتنة علي إسماعيل بابتداع (التوقف والتبيّن)؛ والتي استمسك بها شكري، ثم غلا فيها وزاد.

ويواصل أحمد رائف تسجيل تطور شخصية شكري مصطفى فيقول: «كان عنبر اثنين هو أعظم العنابر خطرًا على الإدارة والحكومة، وكان في تسلسله يبدأ بغرفة اثنين؛ حيث بها شكري مصطفى ومحمود حلمي والشيخ علي إسماعيل وعبد الله بن أحمد السماوي، وآخرون يبلغ عددهم حوالي العشرين، حيث الحدة في تناول الأمور من وطأة الاعتقال الرهيب والتعذيب البشع الذي كان!

ثم انتقل محمود حلمي وآخرون إلى غرفة ثلاثة؛ حيث محمد قطب (والعشرات)، وهي طبقة الذين قضوا عشر سنين كاملة في السجن دون تأييد، وهؤلاء أقل حدة»[٣].

«وكانت غرفة اثنين حيث شكري مصطفى ومن معه تضطرم بالثورة العارمة! شكري يريد أن يعلنها حربًا على العالم أجمع!! ومن ليس معه فهو من الكافرين، وعنبره هو سفينة نوح والناجي من ركب فيها، ومن ليس معه فهو عليه!

كانت نفسه تضطرم بالغضب والرغبة بالانتقام، ويعلن هذا في كل مكان ولكل شخص، وكلّمه العقلاء والحكماء بلا فائدة، وصار الغضب يغلي في صدره؛ حتى جافاه النوم فهو يقطع الليل جيئةً وذهابًا في الممر الطويل، صامتًا متأملًا يفكر كيف يبدأ ومتى يخرج؟!»[٤].

«وتغيرت أحوال شكري مصطفى داخل زنازين شمال، ومن داخل هذه الزنازين نضج فكر الرفض الذي بلغ مداه عندما قالوا بكفر الحكومة، وزادوا في هذا حتى اعتَبروا أن الأرض كلها دار حرب ليس فيها إسلام! وقد تم هذا كله على مراحل»[٥].

وكان غضب شكري المعلن يواجَه بكثير من الحوارات بلا فائدة، منها: هذا الحوار الذي نقله أحمد رائف على هامش لقاءات المرشد الهضيبي بمحمد قطب لمحاولة جمع الآراء، لكن لم يتم ذلك، وبقي المرشد على رأي، ومحمد قطب على رأي[٦]، وشكري وبعض الشباب على رأي ثالث في غاية الغلو والتطرف!

يقول أحمد رائف: «وكان شكري مصطفى يرى القتال الضروس والإرهاب، وقتْل كل من اشترك في تعذيب المعتقلين؛ ليكونوا عبرة لغيرهم، ويجب تعليم الشباب معنى الشهادة والتضحية، وأنه لو قتل ضابط واحد فلن يفكر آخر بتعذيب معتقل واحد بعد ذلك...

---

(١) «البوابة السوداء» (ص٣٥٥).

(٢) نفس المرجع، (ص٤٣٢).

(٣) نفس المرجع، (ص٥٠٨).

(٤) نفس المرجع، (ص٥٠٩).

(٥) «سراديب الشيطان» (ص٩٥).

(٦) «كان محمد قطب نسيج وحده...والفرق بينه وبين أصحاب العنف أنه يدعو إلى الثبات والمواجهة بكلمة الإسلام... وإن كان لا بد من شهداء فليسقطوا تحت هذا الشعار، ويومًا سوف ينتصرون ويتبين الشعب إلى أي شيء يدعون الناس». «سراديب الشيطان» (ص٨٢).

ويقول: إنه من العار على المسلمين أن يمسك بهم كالدجاج دون مقاومة... فلماذا لا نستشهد عندما يفكرون بالقبض علينا... ولماذا لا نبدؤهم بالحرب؟..

وكان يقول: إننا نستطيع تصفية هذه الحرب لصالحنا؛ بقتل بضع مئات من الضباط قبل أن ينتبهوا.

ويسأله عاقل: وما نتيجة ذلك في نظرك؟

...سوف نخلق جيلًا جديدًا من الضباط المؤمنين، سيخافون من القتل، وينتبهون لكلمة الإسلام، ولن ينفذ واحد منهم الأوامر، نحن نسلب الظالم سيفه الذي يضرب به الناس.

ويهز الشيوخ رؤوسهم أسفًا... ويقول حكيم: أنت تدعو إلى فتنة تأكل الأخضر واليابس!»[1].

هكذا كان يفكر شكري في السجن، لكنه حين خرج من السجن هدأ قليلًا، ووجّه طاقته وغلوّه نحو المجتمع بدلًا من النظام ورجالات التعذيب! فهل كان هذا بسبب الغلو في الغلو أم بسبب توجيه خبيث ذكي؟!

يقول رائف: إن شكري واجَه حسن طلعت - مدير مباحث أمن الدولة - حين زارهم في السجن، وقال له: «أنت كافر، ورئيس جمهوريتك كافر، ولئن أحياني الله وخرجت من المعتقل لأقاتلنّكم قتالا شديدًا، ولئن متّ فسوف يأتي من بعدنا من يقضي عليكم ويزيل دولتكم...

وبطبيعة الحال تحركت الرشاشات والتفّ الجند حول شكري مصطفى، وبإشارة يسيرة من مدير المباحث تركوه... وقام الرجل - حسن طلعت - إلى مبنى الإدارة، وصحب معه شكري مصطفى الذي غاب ساعات»!![2].

ومن يَعرف وحشية أجهزة أمن عبد الناصر يوقن أن ترك شكري حيًّا لم يكن عبثًا! هذا الاستخدام من الأمن لشكري مصطفى لن يتوقف بل سيصبح نهجًا علنيًّا بعد أن يقيم تنظيمه عقب الإفراج عنه.

واستقلّ شكري بغلوّه عن بقية الإخوان ومجموعة محمد قطب[3] وبعد عام (٦٨) أصبح شكري يخلو في سجن طرة بالمسجد المهجور الذي شهد اجتماعات الهضيبي ومحمد قطب، فقد كان «شكري عنيفًا غضوبًا متنائيًا عن الناس، يمهّد لأمر عظيم سوف يكون بعد الإفراج»[4]، ولم يكن يوافقه إلا شخص واحد، ثم انشق عنه وأسس جماعة تبعه فيها شخص واحد أيضًا[5].

وفي سنة (٧٠) كان شكري منبوذًا في السجن من الإخوان[6].

يعلق أحمد رائف بعد سرده لحوار طويل مع شكري مصطفى بقوله: «كان شكري مصطفى مشروعًا خطيرًا، يوشك أن يكون، قد قام المعتقل بإعداده إعدادًا جيدًا، وأشرف عبد الناصر وضباطه على صناعته، ولم يغفلوا تفصيلة صغيرة فيه»[7].

وفي نبوءة صادقة عن أثر سياسات الظلم الرسمية؛ التي

---

(١) «سراديب الشيطان» (ص٦٢).

(٢) «البوابة السوداء» (ص٥٧٤، ٥٨٣ - ٥٨٤)، وسبق الإشارة لتلاعب إدارة السجن بشكري في (ص٥٠٩)؛ حيث قال أحمد رائف: «واستثمرت الإدارة هذه الروح - الغاضبة - في إجراء التدريبات السمجة»، والتدريبات تعني: الترويض للمساجين.

(٣) يقول د. عبد الله أبو عزة: «تميزت المجموعة القطبية التي تزعمها الأستاذ محمد قطب - شقيق سيد - وهي التي حملت لواء التطرف، ثم انشق عن هذه المجموعة فئة تزعمها شكري مصطفى، وتوالت الانشقاقات بعد ذلك، فقد انسحب من فريق شكري مصطفى شخصان كوّنا من نفسيهما مجموعة منفصلة عن الآخرين، تتبرأ منهم وتكفرهم»! كتابه «الإخوان المسلمون الحركة الأم دراسة نقدية» (ص٢٠٨).
ورصد انشطارات جماعة شكري مصطفى في السجن ثم تطورها باسم (التوقف والتبين) محمد سرور في مقدمة كتابه «الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو» الجزء الثاني (التوقف والتبين).

(٤) «سراديب الشيطان» (ص١٣٤).

(٥) المرجع السابق، (ص٧٦، ٩٦، ١٠٣).

(٦) «ذكرياتي مع جماعة المسلمين»، عبد الرحمن أبو الخير، نقلًا عن «موسوعة العنف»، مختار نوح، (ص٥٢٥).

(٧) «سراديب الشيطان» (ص١١٢ - ١٢٣).

انتهجتها الأنظمة القمعية على شاكلة نظام عبد الناصر اليساري قال أحمد رائف: «وتركتُه... وأنا أفكر في جريمة عبد الناصر التي ارتكبها في حق هذه الجماهير الممتدة في ذلك الجسد الهائل الممتد من المحيط إلى الخليج، فقد صنع نظامًا إرهابيًّا صار قدوة لكل البلاد المجاورة وهم يقلّدونه.

ومن ثم سوف يكون في كل بلد شكري مصطفى آخر، بملابس مختلفة، ولهجة أخرى، ولكنه سيكون بنفس هذه الروح المدمّرة التي ترفض العلم، وتلقي بنفسها في مجهول الخرافة ... عالَمًا قد ملئ بالفتية والفتيات، وقد ملئت أخيلتهم بأحلام الشهادة، وضباب التضحية؛ من أجل غاية لا يفهمونها، ومُثل لا وعي لهم بها! ومن خلال طريق مخوفة مجهولة؛ قد فَرض الوهم نفسه عليها!!...»[1]، **وكم ينطبق هذا الكلام على فتنة (داعش) في واقعنا المعاصر**؛ التي عصفت بآلاف الشباب والشابات، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وينقل أحمد رائف عن محمد قطب توقعه الذي تحقق بانتفاش هذه الجماعات التكفيرية الصغيرة، فينقل عن محمد قطب: «قد ترى واحدًا ممّن نراهم رائحين وغادين هنا وهناك يبحثون عن نصير لهم أو تابع فلا يجدون، ولكنهم خارج هذا المعتقل سوف يتبعهم الكثيرون، أكثر مما يظن أي أحد، ربما عشرات الألوف، أو قل: مئات الألوف»[2].

وفعلًا سرعان ما تبع شكري مصطفى عدة آلاف، وانتشر فكره في عدة دول، واليوم (داعش) تجد من يصدق أكاذيبها في مختلف دول العالم!

وينبّه أحمد رائف لقضية مهمة وهي: غفلة الجماعات الإسلامية -وخاصة جماعة الإخوان المسلمين- عن مثل هذه الحالات، وكيف سيكون مستقبلها خطيرًا بسبب إغفالها فحص العقائد والأفكار، ومراعاة دروس وتجارب التاريخ.

يقول رائف لشكري مصطفى: «مشكلة الإخوان: أنهم لا يدركون خطورتك، ولا يفكّرون فيك، ولا يتناولونك تناولًا جادًّا، أما أنا فأرى المستقبل؛ لأني قرأت الماضي وفهمتُه، وأكاد أتخيل ما سوف تفعله عندما تغادر هذا المكان»[3].

ويؤيد مختار نوح أن جماعة الإخوان قصّرت في معالجة التطرف فيقول: «إنها -أيضًا- لم تشارك بصورة جادة أو حقيقية في مواجهة هذه الأفكار؛ بالقول أو بالعمل على الأقل»[4].

وهو الأمر الذي ما يزال يتكرر من الجماعة؛ بالاستخفاف بكثير من بؤر التطرف؛ حتى تتضخم وتجلب الكوارث التي كان يمكن علاجها بقليل من العلم والفطنة وسلامة المنهج والتفكير!

▣ الخلاصة:

إن شكري مصطفى الشاب الغر المهرج تحت ضغط السجن والتعذيب والكفر الذي لم يكن يتورع عنه عسكر عبد الناصر، وبسبب سجنه مع مجموعة محمد قطب؛ تشرب فكر سيد قطب[5]، ويبدو أنه فقد توازنه في تلقي فكر سيد -كبعض من سبق لهم تكفير الناس، وتبرأ منهم سيد-، فتحول إلى وحش فكري! يعتقد كفر كلّ الناس؛ حتى من علّمه الغلو والتكفير إلا نفسه ومن تبعه! ويتوعد السلطة بتكوين جماعة تحاربها!

كل هذا وهو جاهل بالشريعة، وسنه آنذاك لم تتجاوز (٣٠) سنة، وتم إطلاق سراحه للمجتمع ليتحول إلى وحش فكري! يطبق نظرياته على خصومه قتلًا وعدوانًا!!

في الحلقة القادمة: نتعرف على تنظيم شكري جماعة المسلمين.

---

(١) «سراديب الشيطان» (ص١١٤).

(٢) نفس المرجع، (ص ١٤٦).

(٣) نفس المرجع، (ص٩٩).

(٤) «موسوعة العنف» (ص١٩٩).

(٥) «الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو»، محمد سرور، (١/ ٣٠٠)، والعجيب أن المؤلف يورد نص كلام شكري في اعتماده كلام سيد، ثم ينفى صلة شكري بسيد قطب! قد يصلح أن يقول: إن شكري غلا في فكر سيد أو تجاوزه أو انحرف به عن مراد سيد، لكن القول بأنه لا يربطه رابط بسيد قطب فهذه مجازفة!

ثورات الخوارج (٩):
زياد بن أبي سفيان يواجه الخوارج في البصرة والكوفة

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

أصبح زياد بن أبي سفيان واليًا على البصرة في سنة (٤٥هـ)، والبصرة آنذاك أحوالها مضطربة، وتعجّ بالفساد، والفسق فيها ظاهر، والخوارج يثورون فيها مِن حينٍ إلى آخر، بسبب تساهل واليها السابق عبد الله بن عامر رضي الله عنه ولين عريكته، ما أدّى إلى عزلِه عنها، وتعيين الحارث بن عبد الله الأزدي واليًا هناك، لكنه لم يمكث في منصبه سوى أربعة أشهر؛ إذ قام خليفة المسلمين معاويةُ رضي الله عنه بعزله أيضًا، وعيّن زياد بن أبي سفيان بدلًا منه، لتبدأ مرحلة جديدة في التعامل مع الخوارج، قائمة على القسوة، وشنّ حرب بلا هوادة.

ولعلّ المواصفات القيادية التي كان يتحلّى بها زياد سرّعت بتوليته البصرة، فهو أحد دهاة العرب المعدودين، فقد رُوي عن الشعبي قوله: «الدهاة أربعة: معاوية، وعمرو ابن العاص، والمغيرة، وزياد»[١].

(١) الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٥٨٩).

وبرزت مواهب زياد القيادية في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم؛ فقد كانت له وجاهة عند عمر بن الخطاب[٢]، وكان كاتبًا لأبي موسى الأشعري -زمن إمرته على البصرة... وكتب -أيضًا- للمغيرة، ولابن عباس، وناب عنه بالبصرة[٣]، وولّاه علي بن أبي طالب على بلاد فارس، في سنة (٣٩هـ)[٤]، وظلّ عليها إلى أن صالَح ابنُه الحسن بن علي معاوية، وتنازل له عن الخلافة مطلع العام (٤١هـ).

كما اشتهر زياد بالرأي والحزم والقسوة، قال أبو الشعثاء: «كان زياد أفتك من الحَجّاج لمن يخالف هواه»[٥].

واشتهر -أيضًا- بالفصاحة، وكان خطيبًا مفوّهًا، قال الشعبي: «ما سمعتُ متكلماً قط تكلم فأحسن إلا أحببتُ أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زياداً، فإنه كان كلما أكثر كان أجود كلاماً!»[٦].

دخل زياد البصرة في بداية (جمادى الأولى من سنة ٤٥هـ)، ووجد الفسق ظاهرًا فيها، وأحوالها مضطربة -كما

(٢) المصدر السابق، (ص١٥٧٦).

(٣) الإمام الذهبي، «سِيَر أعلام النبلاء»، نسخة إلكترونية، الجزء الثالث.

(٤) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٣).

(٥) الإمام الذهبي، «سِيَر أعلام النبلاء»، نسخة إلكترونية، الجزء الثالث.

(٦) الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٥٧٦).

أشرنا قبل قليل -، وعلى الفور ألقى في أهلها خطبةً، عُرفت بـ «البتراء»، وفيها تهدّد سكان البصرة وتوعّدهم، كما قدّم فيها الخطوط العريضة لسياسته والإجراءات التي سيقوم بها لإصلاح الأوضاع[1].

ومما جاء في الخطبة: قوله: «أيها الناس! كأنكم لم تسمعوا ما أعدّ الله من الثواب لأهل الطاعة، والعذاب لأهل المعصية، أتكونون كمَن طرقت عينه الدنيا، وسدّت مسامعه الشهوات، فاختار الفانية على الباقية؟!»[2].

وكان زياد يرى منهج السيف وصوابه، وضرورة استعماله في البصرة؛ قبل أن يصبح واليًا عليها، فعندما شكى عبد الله بن عامر إليه فساد الناس في البصرة، قال زياد: «جرّد فيهم السيف!» فقال ابن عامر: «إنّي أكره أن أُصلحَهم بفساد نفسي»[3].

ولم يطل المقام بزياد حتى انتهج الشدّة في البصرة، وزاد من عدد الجند والشرطة، يقول ابن كثير: «ثم ما زال يقيم أمر السلطان، ويجرّد السيف؛ حتى خافه الناس خوفاً عظيماً، وتركوا ما كانوا فيه من المعاصي الظاهرة»[4]، واستطاع في فترة وجيزة الحدّ من حالت التسيّب التي كانت تسود البصرة قبل قدومه[5].

(١)- د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٦٨).
(٢) الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٥٧٦).
(٣) المصدر السابق، (ص١٥٧٥).
(٤) المصدر السابق، (ص١٥٧٦).
(٥) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٦٨).

▣ خروج الخطيم الباهلي وسهم الهجيمي:

أما الخوارج؛ فقد عادوا لممارسة هوايتهم الدائمة بالتمرد والثورات؛ ففي السنة التالية لقدوم زياد إلى البصرة -أي: في سنة (٤٦هـ)- خرج عليه الخطيم الباهلي وسهم الهجيمي.

وهذان الاثنان سبق لهما الخروج على عبد الله بن عامر، في سبعين رجلًا، في بداية ولايته على البصرة، في سنة (٤١هـ)، وقتلوا الأبرياء، لكنهم سألوه الأمان بعد ذلك، فمنحهم إيّاه، ورفض أمر معاوية بقتلهم، فلم يزل هؤلاء الخوارج آمنين حتى عُزل ابن عامر عن البصرة[6].

لكن عندما عاود هؤلاء الخروج زمن زياد كان التعامل مختلفًا؛ فالتساهل مع الخوارج المتورطين بجرائم وإراقة دماء مآله الفساد العريض في المجتمع!

يقول ابن الأثير في حوادث سنة (٤٦هـ): «وفيها خرج الخطيم، وهو: يزيد بن مالك الباهلي، وسهم بن غالب الهجيمي فحكّما[7].

فأما سهم؛ فإنه خرج إلى الأهواز؛ فحكّم بها، ثم رجع فاختفى، وطلب الأمان فلم يؤمّنه زياد، وطلبه حتى أخذه، وقتله وصلبه على بابه.

وأما الخطيم؛ فإن زيادًا سيّره إلى البحرين، ثم أقدمه، وقال لمسلم بن عمرو الباهلي -والد قتيبة بن مسلم-: اضْمنه،

(٦) الإمام ابن جرير الطبري، «تاريخ الرسل والملوك» (٥/ ١٧١)، وابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٤١هـ).
(٧) أي: رفعا شعار الخوارج المعروف: (لا حُكم إلاّ لله).

فأبى، وقال: إن بات خارجًا عن بيته أعلمتُك، ثم أتاه مسلم؛ فقال له: لَمَ بِيت الخطيم الليلة في بيته، فأُمر به فقُتل وألقي في باهلة»[1].

وعلى الرغم من القسوة التي واجه بها زياد تحرّك الخوارج السابق؛ «إلاّ أنه لم يستغل هذا التحرك للانتقام من بقية الخوارج الموجودين في البصرة، وظلّ وفيًّا لما التزم به في خطبته، معتبرًا أن عدم خروجهم عليه يكفي لضمان أمنهم»[2].

وأكثر من ذلك؛ فقد حاول زياد استمالة بعضهم، وجلبهم إلى صفّه؛ إذ كان في بعض الأحيان يميّز بين الخوارج الذين التزموا بيوتهم ولم يحملوا السلاح في وجه الدولة، وبين الذين أصرّوا على التمرد، وولغوا في دماء المسلمين.

فقد استعمل زياد أحدَ الخوارج على جند سابور، ومنحه أربعة آلاف في كل شهر[3].

ويلخّص المبرد سياسته مع الخوارج في تلك الفترة بأنه: «يقتل المعلن، ويستصلح المسرّ، ولا يجرّد السيف حتى تزول التهمة»[4].

لكن زيادًا سيجنح بعد ذلك للتشدد مع الخوارج والقسوة المفرطة، مع قيام قسم منهم بالخروج في سنة (٥٠هـ)؛ حيث خرج قريب الأزدي وزحّاف الطائي بالبصرة، في سبعين رجلاً، مستغلّين غياب زياد في الكوفة، وأتوا بني ضبيعة، وقتلوا منهم شيخًا، ثم أخذوا يستعرضون الناس، فلا يمرّون بقبيلة إلّا قتلوا من وجدوا في طريقهم منها، ثم جاؤوا إلى البصرة واغتالوا عددًا كبيرًا من شرطتها، **ومضوا إلى الجامع الكبير؛ فقتلوا خلقًا كثيرًا هناك!**[5]

وهو الأمر الذي يكرره خوارج اليوم؛ فجميع العسكريين في نظرهم كفّار، ودماؤهم مباحة، والمصلّون كذلك! إن لم يكونوا على مذهبهم وعلى هواهم فهم كفار أيضًا، ويجب قتلهم، والمساجد التي يعبدون الله فيها هي مساجد ضرار، لا بأس من تفجيرها أو تدميرها!!

فقد رأينا أحد هؤلاء مؤخرًا وهو يهمّ بالقيام بتفجير في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة.

وأمر زياد قبائل البصرة بأن تتصدى معه للخوارج، وخطب على المنبر؛ فقال: «يا أهل البصرة! والله لتكفنني هؤلاء أو لأبدأن بكم! والله لئن أفلت منهم رجل لا تأخذون العام من عطائكم درهمًا!

فثار الناس بهم؛ فقتلوهم»[6].

وتكاد العبارة السابقة تلخّص اثنين من الأساليب التي اتّبعها زياد في مواجهته للخوارج:

---

(١) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٤٦هـ).

(٢) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٦٩).

(٣) المصدر السابق، (ص٦٩).

(٤) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٥)، نقلًا عن «الكامل في اللغة والأدب» للمبرد.

(٥) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٠هـ)، ود. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٥)، نقلًا عن «الكامل» للمبرد، و«تاريخ اليعقوبي».

(٦) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٠هـ).

الأول: إلزام قبائل البصرة بمحاربة الخوارج ومطاردتهم وقتلهم.

الآخر: تهديدها بقطع العطاء عنها؛ إن أفلت خارجي من أيديهم، لذلك جدّت القبائل بملاحقة الخوارج من أبنائها، والإبلاغ عنهم.

ويذكر المؤرخون والباحثون: أن خروج قريب وزحّاف كان نذير شؤم على الخوارج[1]، فقد اشتد زياد في أمر الخوارج فقتلهم وأمر عامله على البصرة -سمرة بن جندب- بذلك؛ فقتل منهم خلقًا كثيرًا.

وانتهى خروج قريب وزحّاف وأصحابهم بمقتلهم جميعًا؛ حيث خرجت إليهم بعض القبائل فقتلوهم عن آخرهم.

ولم تقتصر شدة زياد على الخوارج، بل شملت ذويهم وأهليهم؛ إذ كان يسجن بعضهم، وينفي البعض الآخر[2].

كما لم يقتصر تشدد زياد على رجال الخوارج، بل تعدّاه إلى نسائهم؛ فقد أخرجوا معهم امرأة، فلما ظفر بها قتلها وعرّاها، فلم تخرج النساء بعد ذلك على زياد، وكُنّ إذا دُعين إلى ذلك قُلن: لولا التعرية لسارعنا[3].

ففجور الخوارج قابله فجور زياد والبادي أظلم!

▣ مواجهة الخوارج في الكوفة:

وعندما توفي والي الكوفة -المغيرة بن شعبة رضي الله عنه- في سنة (٥٠هـ) لم يجد معاوية خيرًا من زياد ليولّيه، فاستعمله على الكوفة والبصرة معًا، فكان أول مَن جُمعتا له[4]، فأخذ يقيم في الكوفة ستة أشهر، ومثلها في البصرة، وعيّن على البصرة عاملًا له هو: سمرة بن جندب.

وإن كان من اختلاف بين الإقليمين، هو: أن الأمن في الكوفة كان أكثر استقرارًا منه في البصرة يوم أن تولاها زياد، إضافة إلى أن الشيعة هناك كانت أكثر عددًا وأعظم قوة، كما كانت خوارج الكوفة أقوى شكيمة وأشد مراسًا[5].

واستمر الخوارج في ثوراتهم طيلة ولاية زياد على البصرة والكوفة؛ ففي سنة (٥٢هـ) خرج زياد بن خراش العجلي في ثلاثمائة فارس، فأتى أرض مسكن من السواد، فسيّر إليه زياد خيلًا عليها سعد بن حذيفة -أو غيره-؛ فقتلوهم.

وخرج على زياد -أيضًا- في هذه السنة رجل من طيء، يقال له: معاذ، في ثلاثين رجلًا فبعث إليه زياد مَن قتله وأصحابه[6].

---

(١) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٥).

(٢) د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٠).

(٣) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٥)، نقلًا عن «الكامل في اللغة والأدب» للمبرد.

(٤) المصدر السابق، (ص١٢٤)، وانظر -أيضًا-: ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص ١٥٧٩).

(٥) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٤).

(٦) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٢هـ).

ولذلك من يظن أن فكر الخوارج يمكن أن يكون (وجهة نظر) فهو واهم! فكر الخوارج هو: شعلة فوضى، وشغب دائم! لا يصلح له إلا العلم والحزم.

وبالمجمل؛ فإن حزم زياد مع الخوارج أدّى إلى إخماد تحركاتهم في مهدها، وجعل الكثير منهم يترددون في القيام بالثورة وتعكير صفو الأمن[1].

كما أن سياسته تركت أثرًا على العراق كلّه؛ فقد أولى الحياة الاقتصادية اهتمامًا زائدًا، فحفر الأنهار، واستصلح الأراضي، وراقب الأسعار في الأسواق، فبسط الرزق وزاد الخراج.

وعلى المستوى الأمني؛ انتشر الاستقرار، وساد الأمن؛ حتى كان الشيء يسقط عن الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد حتى يأتيه صاحبه، وتبيت المرأة فلا تغلق عليها بابها[2].

توفي زياد في رمضان من سنة (٥٣هـ)، بعد أن قدّم تجربته في محاربة الخوارج، والقائمة على الشدّة والحزم، واستخدام أساليب متنوعة في محاربتهم (بعضها استعملها معاوية والمغيرة)، مثل: إشراك القبائل، وتهديدها بقطع العطاء عنها إن لم تردع أبناءها الخارجين، وغير ذلك.

المراجع:

١ - الإمام ابن جرير الطبري، «تاريخ الرسل والملوك»، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (١٩٦٣).

٢ - الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

٣ - ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية.

٤ - الإمام الذهبي، «سيَر أعلام النبلاء»، نسخة إلكترونية.

٥ - د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

٦ - د. لطيفة البكّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ خلال (٣٧ – ١٣٢هـ)»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، (أيار - مايو، ٢٠٠٧م).

(١) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٦).

(٢) المصدر السابق.

مظلومية أهل السنة في إيران (٣)
المظلومية الاقتصادية

ماجد العباسي - كاتب من عرب فارس

خاص بـ «الراصد».

كما هو معلوم لدى الجميع: أن إيران من أغنى دول العالم من حيث الخيرات والثروات الأرضية، وأهل السنة في إيران يقطنون أكثر من (٧٠%) من المناطق الحدودية الغنية بالثروات النفطية والغازية وسائر الخيرات الأرضية؛ كمدينة العسلوية السنية العربية؛ التي فيها أكبر احتياطي غاز في العالم، إضافة إلى الحقول النفطية والغازية الموجودة في مدينة بندر عباس وجزيرة قشم.

كما توجد أكبر موانئ تجارية واقتصادية للبلد والجمارك والطرق التجارية البحرية في المدن والمناطق السنية؛ كميناء رجائي، وميناء باهنر في مدينة بندر عباس، ومعظم المدن والأسواق الحرة الاقتصادية -أيضًا- تقع في المدن السنية؛ كالأسواق الحرة في جزيرتي قشم وكيش، ومدينة جابهار في إقليم بلوشستان.

الإضعاف الاقتصادي والحرمان من الوظائف:

رغم وجود تلك الثروات الهائلة في مناطق السنة، فإن السنة في إيران يعانون اضطهادًا وتمييزًا اقتصاديًّا وسياسيًّا وثقافيًّا، مما أدى إلى ارتفاع عدد العاطلين عن العمل؛ وبالتالي انتشار الفقر، وإدمان المخدرات، وارتفاع معدل الجريمة؛ حتى ضاقت السجون بالمحكومين، مما يضطر معظم شباب السنة إلى أن يعمل في مجال تهريب البضائع على الحدود مع العراق وباكستان وأفغانستان، وعن طريق البحر مع دول الخليج، وجُلّ تلك البضائع هي مواد غذائية وملابس، وما شابه ذلك.

وهذا العمل لا يخلو من المغامرات والمخاطرات؛ لأنه يعتبر عملًا محظورًا وغير شرعي لدى الدولة، وبالتالي فإن الشاب السني يعرض نفسه لمخاطر عديدة؛ كالقتل والسجن، والإهانة والتعذيب من قبل الأمن والسلطات، حتى يحصل على لقمة العيش.

وفي عهد أحمدي نجاد أصبح رجال الأمن يطلقون النار مباشرة على العاملين في تهريب البضائع، ولأن جُلّ أصحاب هذا العمل من شباب السنة فالجنود لا يبالون باستهدافهم؛ لأنهم لا يخافون من المساءلة والمعاقبة! مما أدى إلى مقتل العشرات، بل المئات منهم في المناطق الحدودية السنية فقط؛ كإقليم كردستان والمدن السنية الساحلية الجنوبية؛ كمدينة لنجة وخمير وجزيرة قشم، وإقليم بلوشستان وغيرها، بحسب شهود عيان وحسب البيانات الصادرة من منظمة حقوق الإنسان الإيرانية (هرانا)، ومنظمات حقوقية أخرى.

وبما أن السنة هم سكان الشريط الساحلي الذي تقع فيه الموانئ؛ فقد عمد النظام الإيراني إلى فرض ضرائب باهظة على أهل المنطقة من أهل السنة، وفي مقابل ذلك وضعت تسهيلات كثيرة للشيعة لجلبهم إلى مدن الموانئ التجارية والاستحواذ على جميع الغرف التجارية فيها، وهذا الاستيطان جعل أهل السنة تحت رحمة هؤلاء المستوطنين الشيعة، إذ كل الأمور الإدارية هي بتصرفهم؛ وفقًا للصلاحيات التي أعطيت لهم من قبل الحكومة.

ونجح هذا المخطط التآمري في تغيير التوازن السكاني في كثير من المدن الساحلية في المحافظات الجنوبية الساحلية؛ كمدينة لنجة وبندر عباس وعسلوية وكنكون وقابندية وجزيرة

قشم [جسم] وجزيرة كيش [قيس] وجزيرة خارك، وغيرها.

كما دأبت حكومة الملالي على حرمان أهل السنة ومناطقهم من تواجد كافة أنواع المصانع والصناعات الثقيلة والخفيفة، كما تعرضوا للحرمان من الحصول على تراخيص للبناء أو المساهمة في مصانع أو شركات وطنية كبيرة، حتى وإن وجدت في مناطق السنة فإن الشيعة يتملكونها في الغالب.

بل حتى إن المدن السنية الساحلية حرم معظم أهلها من الحصول على ترخيص مصانع لتعليب السمك أو شركات لصيده، وكل الثروة السمكية تذهب إلى المدن الرئيسة التي يقطنها الشيعة؛ كطهران وأصفهان وغيرهما، في حين تجد أن أقرب المدن السنية إلى الساحل تعاني من قلة توفر الأسماك في أسواقها، وأهلها يخشون من معاقبة الحكومة لهم إذا قُبِضَ عليهم متلبّسين بتهمة صيد السمك!!

يُمارَس كل هذا الظلم والتهميش في حق أبناء السنة في موطنهم الأصلي، ومناطقهم التي عاشوا فيها أبًا عن جد طيلة القرون الماضية، ويُحَرَمون فيها من العمل في المصانع والموانئ والحقول النفطية، والشيعي يُؤتى به من أقصى البلاد ويتملك من أراضي السنة، ويشغل الوظائف والمناصب العليا، ويعيش بين السنة كأنه سيدهم وهم عماله! في ظل عدلِ (ولاية الفقيه)!!

وبشكل عام، وبعد مضيّ قرابة أربعة عقود من (الثورة الإسلامية) كما يسمونها! نلاحظ تفشي الفقر والبطالة في جميع أنحاء البلاد؛ لا سيما في مناطق السنة.

كما أن معظم القوميات السنية في إيران؛ كالبلوش والأكراد والتركمان والعرب محرومون من إدارة مناطقهم، وتولّي الوظائف الحكومية؛ حيث إن أكثر من (٩٠%) من وظائف الدولة في مناطقهم يستولي عليها الشيعة؛ من الفرس والأذريين واللور وبقية القوميات.

❁❁❁

الطلاب الدارسون في إيران ..
مخططات «النفوذ الناعم» لنشر التشيع عبر العالم

شريف عبد الحميد - كاتب مصري

خاص بـ «الراصد».

بعد قيام الثورة الإيرانية عام (١٩٧٩م) أضحى الهاجس الأول المُسيطر على نظام الملالي الحاكم في طهران هو: «تصدير الثورة» إلى العالمين العربي والإسلامي؛ لكي يجري إسقاط الأنظمة الحاكمة في هذين العالمين، وبالتالي تصبح الأنظمة الجديدة -المُفترضة- بمثابة «رديف سياسي» لهذا النظام!

وسَعت إيران إلى محاولة التمدّد سياسيًّا وثقافيًّا؛ من خلال تدابير مختلفة، على رأسها: «النفوذ الناعم»، المتمثّل في: إنشاء جيوب شيعية عبر بلدان آسيا وأفريقيا ومنطقة الشرق الأوسط؛ من خلال استقطاب عشرات الآلاف من الطلاب العرب والمسلمين من مواطني هذه البلدان للدراسة في المؤسسات الإيرانية التعليمية، ضمن مساعٍ حثيثة للسيطرة على عقول الأجيال الجديدة من الشباب، وفي إطار استراتيجية كبرى لنشر التشيّع عبر العالم.

يقول الباحث السيد أبو داود أن: «نظام الملالي يستهدف استقدام الطلاب العرب والمسلمين للدراسة في الجامعات الإيرانية؛ وخاصةً في جامعتي (المصطفى والخوميني)، حيث يتم إخضاع هؤلاء الطلبة لعمليات تشييع واسعة النطاق؛ من خلال تنظيم دورات في الفكر الشيعي، يكون لزامًا عليهم الانتساب لها، من أجل منحهم شهادات التخرج.

فضلًا عن مساعدة الفقراء منهم ماديًّا؛ لكسب تعاطفهم مع هذا الفكر، ومن ثم مع الدولة الإيرانية، لكي يصبحوا لقمة سائغة في أيدي النظام، يحركهم كيفما شاء بعد عودتهم إلى بلادهم لخدمة أهدافه في مواجهة الأعداء العرب!»[1].

(١) السيد أبو داود، «تصاعد المد الإيراني في العالم العربي» منشورات دار «العبيكان =

التبشير الشيعي في أفريقيا وآسيا:

يقول خبراء في الشأن الإيراني: إن إيران تنتهج سياسة جريئة في مشروعها لنشر التشيّع في أفريقيا؛ حيث فتحت كافة جامعاتها ومؤسساتها للطلاب والطالبات -ذكورًا وإناثًا-، واستقبلت العشرات من العلماء الأفارقة ودعمتهم، في إطار مساعٍ حثيثة لتشييع أكثر من (١٠) ملايين شخص في الدول الأفريقية؛ عن طريق المؤسسات الرسمية وغير الرسمية الإيرانية؛ التي تمددت في القارة السمراء، إثر خروج المؤسسات الخيرية الخليجية من أفريقيا بعد أحداث (١١ سبتمبر ٢٠١١) في الولايات المتحدة[1].

ومنذ نحو عام، وتحديدًا في (مايو ٢٠١٦) أطلقت إيران مشروعًا هو الأخطر من نوعه لنشر التشيّع في (٣٠) دولة أفريقية، كجزء من استراتيجية يتبناها النظام الحاكم في طهران؛ للسيطرة على مُقدرات الشعوب العربية والإسلامية، ضمن المد الشيعي الذي يسعى «الملالي» إلى دعمه بكل السبل؛ من خلال استقطاب مئات الآلاف من الطلاب للدراسة فيما يسمى: «الحوزات العلمية» في كل من مدينتي: (قُم ومشهد)، فضلًا عن الجامعات الإيرانية المختلفة، واستخدام هؤلاء الطلبة لأهداف سياسية محضة، كـ«حصان طروادة» لنشر التشيّع، وإيجاد أجيال جديدة من الطلاب المرتبطين روحيًّا وثقافيًّا بنظام «الملالي»، من الممكن استخدامهم فيما بعد كـ«طابور ثقافي خامس»، أي: بمثابة «جواسيس ثقافيين» لهذا النظام.

وعن النشاط «التبشيري الشيعي» المستمر منذ عدة عقود في أفريقيا وآسيا، يقول الباحث إبراهيم منشاوي: «تسعى إيران إلى توظيف قوّتها الناعمة في تحقيق أهداف سياستها الخارجية؛ وخاصة تلك القائمة على أساس ديني، وذلك بالعمل على نشر مذهبها الشيعي القائم على أساس (ولاية الفقيه)، والإعلاء من الحوزة العلمية لديها في قم الإيرانية؛ من أجل جذب المزيد من الطلاب المريدين، وتخريج الأئمة الموالين لها، والذين يعملون كسفراء لقوتها الناعمة، ينشرون رسائل إيران الدينية والثورية والإعلامية والثقافية والسياسية.

يضيف الباحث: «وتركز قوة إيران الناعمة، والقائمة على أساس ديني: على منطقة الخليج العربي والمنطقتين العربية والأفريقية.

وهي في ذلك تعتمد على مجموعة من الأدوات تأتي ضمن النشاط الثقافي والتعليمي والإعلامي الإيراني، وهو يشمل:

- **نشر الكتب التي تدعو للتشيع علانيةً، وإنشاء مكتبات ودور نشر متخصصة لهذا الغرض،** والمشاركة الدائمة للمكتبات الشيعية في معارض الكتب الدولية المقامة في دول المنطقة، ونشر أفكار الشيعة وكتبهم بين هذه الشعوب، وتوزيع عدد كبير من هذه الكتب مجانًا؛ كنشاط مرافق لهذه المعارض، والعمل على طرح منتجات بأسماء إسلامية.
- **إنشاء مراكز ثقافية شيعية تحت مسميات مختلفة،** ومن ثم إصدار المنشورات والصحف والبيانات منها، وتبني العديد من الفعاليات والأنشطة الثقافية المجتمعية.
- **تقديم المنح الدراسية للطلاب لتشييعهم،** وتشجيع البعثات العلمية والزيارات الأكاديمية إلى إيران، وتسهيل كل ما يتعلق بذلك.
- **استغلال القنوات الفضائية الشيعية الكثيرة؛** لنشر المذهب الشيعي، والدعوة لاعتناقه ببرامج ووسائل متعددة.
- **تفعيل دور السفارات الإيرانية في دول المنطقة؛** من خلال إقامة الفعاليات الثقافية، والندوات العلمية، وإنشاء المُلحقيات الثقافية والمكتبات العامة المليئة بالكتب الشيعية، ودعم الجمعيات والملتقيات والمراكز الثقافية، وحضور احتفالاتها.
- **استغلال شبكة الإنترنت؛** وخاصةً مواقع التواصل

= للنشر» الرياض، السعودية، الطبعة الأولى (٢٠١٤)، (ص١٨٠-١٨١).

(١) محمد مجيد الأحوازي، «إيران تطلق أكبر مشروع لنشر التشيع في أفريقيا». موقع «عربي ٢١»: https://goo.gl/jb٠zSg

الاجتماعي، في نشر فكر التشيّع وتجنيد الأتباع.

● **الاحتفال بالأعياد والمآتم الشيعية المختلفة في دول المنطقة**، كل بلد بحسب السيطرة والقدرة فيه، مع ما يرافق ذلك من ندوات ولقاءات ومحاضرات، يتم فيها شرح ما وقع في هذه المناسبة، وسبب الاحتفال بها، وسرد «المآثر» والقصص وغيرها».

ووفق الباحث: استخدمت طهران هذه الإستراتيجية في اليمن؛ من خلال مجموعة من الأدوات للتغلغل في الشأن اليمني، ونشر مذهبها في المناطق الشيعية في اليمن.

وقد كان أبرز ما اعتمدت عليه طهران في هذا الصدد ما يلي:

١ - البعثات الطلابية:

حيث دأبت إيران منذ استقبال بدر الدين الحوثي - ومن بعده حسين الحوثي في طهران - على تقديم عدد من البعثات العلمية لعدد من الطلبة اليمنيين الذين ينتمون إلى «الحركة الحوثية» للدراسة في مدينة «قم» الإيرانية، حيث تم إرسال الطلاب الشيعة من أبناء مشايخ القبائل ومن حملة الشهادات الثانوية في بعثات علمية على حساب السفارة الإيرانية إلى إيران؛ للدراسة في الحوزات العلمية في طهران لمدة (٤) سنوات؛ لدراسة العقائد «الاثنى عشرية»، ونظريات الثورة الإيرانية.

كما أخذت السفارة الإيرانية عشرات الطلاب في المرحلتين المتوسطة والثانوية إلى مراكز علمية جعفرية في صنعاء وصعدة؛ لتلقي دورات علمية تتراوح بين (٦) أشهر وعامين، وبدعم كامل من السفارة الإيرانية؛ من أجل تعليمهم وتأهيلهم ليصبحوا دعاةً في المناطق الشيعية اليمنية المختلفة.

وقد صاحب ذلك الأمر ظاهرة أخرى: تتمثل في تدفق العديد من الطلاب اليمنيين إلى إيران للتعلم، ولكن خارج أطر الابتعاث الرسمية، حيث تتكفل إيران بجميع تكاليف الإقامة والدراسة.

وتهدف إيران من وراء هذه العملية إلى:

■ **تجنيد هؤلاء الطلاب للعمل لصالحها في اليمن؛** من أجل دعم «الحركة الحوثية» وبعض الأحزاب السياسية الشيعية اليمنية.

■ **تشييع الطلاب بالمذهب «الاثنى عشري»؛** من أجل العمل على نشره في اليمن، وإكسابهم المهارات الكافية لكي يكونوا دعاةً أو أئمةً يدعون إلى هذا المذهب.

■ **إكسابهم المهارات القتالية اللازمة؛** من أجل مساعدة العناصر الموالية لها في اليمن، حيث كشفت بعض التقارير عن أن هؤلاء الطلاب تم استقبالهم من قيادات في «الحرس الثوري» الإيراني، ومن ثم جرى توزيعهم على (٣) معسكرات تابعة للحرس في ثلاث مدن إيرانية، وهي: شيراز ومشهد وأصفهان، وهي مدن استحدث فيها الحرس معسكرات تدريبية لإعداد المقاتلين في صفوف الحرس الثوري، وحزب الله اللبناني، وعدد من دول القارة الأفريقية.

٢ - إنشاء المدارس والحسينيات الشيعية:

وهي وسيلة أخرى تسعى من خلالها إيران لنشر المذهب الجعفري في اليمن، وفي هذا الإطار أنشأت «الحركة الحوثية» وشيعة اليمن عددًا من المدارس بدعم إيراني، منها:

- **«دار العلوم العليا»:** وتم بناؤها على نفقة إيران، ويصل الطلاب فيها إلى (١٥٠٠) طالب.

- **«المدرسة الجعفرية»:** تعتبر هذه المدرسة - ومقرها عدن - اللجنة التبليغية لجمعية الشيعة «الاثني عشرية»، ويديرها عبد الكريم علي عبد الكريم، وهي تنضوي تحت كيان مؤسسي يعتبر الأقدم على الإطلاق في اليمن.

- **«دار أحباب أهل البيت»:** وهي مركز ثقافي في محافظة تعز، يديره أبو حسين علي الشامي، وهي أول دار في هذه المحافظة.

- **«مؤسسة دار الزهراء» للإعلام الثقافي:** مؤسسة شيعية في صنعاء، ويديرها محمد الحاتمي.

- «مركز بدر العلمي»: مقره صنعاء، وكان يديره الدكتور مرتضى زيد المحطوري، ويقوم المركز بتدريس علوم المذهب الزيدي، كما يضم مكتبة عامة كبيرة.

- «مركز الدراسات الإسلامية»: ومقره صنعاء أيضًا، ويرأسه إبراهيم بن محمد الوزير، وتصدر عنه جريدة «البلاغ» الأسبوعية التي يرأس تحريرها عبد الله بن إبراهيم الوزير -نجل رئيس المركز-.

- «مدرسة الهادي»: وتعد المركز الرئيس لانطلاق «الدعوة الحوثية»، وتقع في قمة جبل مران بمحافظة صعدة.

- «مركز ضحيان»: ويقع في محافظة صعدة أيضًا، وقد قام بافتتاحه السفير الإيراني في صنعاء.

- «مركز الثقلين»: مقره صنعاء، ويشرف عليه شيعي عراقي، إضافةً إلى شيعي يمني درس في مدينة قم الإيرانية يدعى: إسماعيل الشامي، ويمارس المركز مختلف الأنشطة، ويدعو أهالي المنطقة إلى ممارسة عقائد الشيعة[1].

وتوجهت طهران -بشكلٍ خاص- إلى أطراف العالم الإسلامي؛ لاسيما إلى إندونيسيا، باعتباره البلد الأكبر من حيث الكثافة السكانية بين الدول الإسلامية، حيث يبلغ عدد سكانها (٢٥٠) مليون نسمة، (٨٦%) منهم من أهل السنة، فعمدت إيران إلى إرسال الدعاة الشيعة إلى مناطق لامبونج، وبسولاويسي جنوب الشرقية، وبونجيت جاكرتا، وبينجكولو، وسومطرة الجنوبية، والشمالية، وكاليمانتان الغربية، وغيرها.

كما عمدت لابتعاث الطلبة الإندونيسيين إلى إيران؛ لتغيير قناعاتهم السنية، ونشر الكتب التي تروج للمذهب الشيعي مثل: كتاب «المراجعات»؛ الذي طبع منه أكثر من مليون نسخة باللغة الإندونيسية، مع الانتشار المقنن في جامعات مختلفة مثل: «الجامعة الإسلامية الحكومية، وجامعة المحمدية، وجامعة مالاحياتي باندر لامبونج، وجامعة (١٩) نوفمبر»، وسواها.

ويتولى حسين الحبشي -مدير معهد التربية الإسلامية في جزيرة «جاواه الشرقية»- نشر الأفكار الشيعية منذ قيام الثورة الإيرانية في (١٩٧٩)، تحت شعار «الوحدة بين المسلمين»، ثم بدأ «الحبشي» في عقد الثمانينيات يرسل عددًا من طلابه إلى إيران، ليدرسوا في حوزة «قم».

وبعودة أولئك الطلاب من إيران فإنهم يصبحون أبواقًا للشيعة في إندونيسيا بأنشطتهم المتنوعة، فعلى الصعيد السياسي: يتوغلون في الأحزاب؛ سواء الأحزاب الإسلامية أو العلمانية، وعلى الصعيد التربوي: يفتتحون المدارس بدءًا من رياض الأطفال إلى المرحلة الجامعية، وعلى الصعيد الدعوي: ينشطون في المحاضرات والندوات واللقاءات؛ سواء عن طريق الدروس أو التجمعات أو القنوات أو مواقع الإنترنت، وغيرها من الوسائل[2].

وفي (فبراير ٢٠١٦) حذّر شيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب من خطر التشيع في إندونيسيا، ولم يتوانَ الطيب خلال زيارته لهذه الدولة عن دعوة الشباب الإندونيسي السني إلى «التمسك بعقيدة جمهور أهل السنة والجماعة، وعدم الانجراف إلى دعوات الفرقة والتعصب المذهبي المذموم»[3].

من جهة أخرى؛ يقول الباحث بخاري مردابي موسى: «تشهد جمهورية جزر القمر في السنوات الأخيرة تصاعدًا ملحوظًا للنفوذ الإيراني وللتمدد الشيعي، بصورة متسارعة وملفتة، شأنها في ذلك شأن سائر حركات التشيع والحملات الصفوية المنتشرة في الدول الإسلامية بصفة عامة، وفي القارة الإفريقية بصفة خاصة.

---

(١) إبراهيم منشاوي «النفوذ الناعم: البعد الديني في السياسة الخارجية الإيرانية والحركة الحوثية في اليمن». موقع «المركز العربي للبحوث والدراسات»: https://goo.gl/ldDd١k

(٢) «التشيّع في إندونيسيا» موقع «مجلة البيان»: https://goo.gl/nWS٧RL

(٣) الأزهر يحذر من خطر التشيّع في إندونيسيا. موقع «الشرق الأوسط»: https://goo.gl/MMkBij

ومنذ انطلاقة الثورة الإيرانية وهي تحاول مد النفوذ الشيعي خارج أراضيها؛ وإن تغيرت أساليبها لتحقيق ذلك، من الشكل الصريح لنموذج تصدير الثورة، إلى التغلغل في صورة منظمات خيرية، ومؤسسات اجتماعية، مرورًا بالكتب والمنشورات، حيث شرعت إيران في السعي لتحقيق العديد من الأهداف، وفي مجالات متعددة، وهذا ما يجري في جزر القمر؛ فحركة التشيع في الجزر قد بدأت تأخذ زخمًا متزايدًا خلال الفترة الأخيرة».

ويضيف موسى أنه: «منذ تولي عبد الله سامبي -المتهم بالتشيع منذ أن كان طالبًا في إيران- رئاسة الجمهورية في عام (٢٠٠٦) أخذ التوجه نحو التشيع لدى أبناء جزر القمر في التنامي بصورة مرحلية وممنهجة، بل ومؤسسية، وعبر آليات ووسائل متنوعة ومتعددة، تحت ما يسمى بـ (تصدير الثورة)، مما شكل نقطة مفصلية في تاريخ جزر القمر».

ويتابع الباحث: «ولا شك أن التغلغل الإيراني في جزر القمر وسعيها الحثيث لتشييع مواطنيها قد حقق نجاحات لا بأس بها نسبيًا؛ وذلك يرجع إلى عدة عوامل، من أهمها:

١ - الطلاب القمريون الذين يدرسون في مدغشقر وكينيا؛ حيث يتم تشييعهم من قبل السفارات الإيرانية ومراكزها الثقافية الموجودة في هذين البلدين؛ وذلك من خلال استغلال خبيث لظروف الطلاب المعيشية وظروف الغربة، وقد ثبت من خلال المتابعة والرصد: أن معظم المتشيعين في جزر القمر تشيعوا في مدغشقر؛ حيث يوجد فيها وفي كينيا مراكز وهيئات إيرانية لأجل تشييع شرق إفريقيا والقرن الإفريقي.

٢ - المنح الإيرانية الدراسية المجانية للجنسين؛ التي فتحت على مصراعيها في الدولة الصفوية، أو بمراكزها التعليمية في كينيا، حيث «معهد الرسول الأكرم»؛ الذي أسسه الإيرانيون، أو غيره من المراكز الأخرى في بعض الدول الإفريقية، ليعودوا غدًا على نهج الرئيس السابق.

وهناك خلايا تنشط في استقطاب الطلاب لهذا الغرض، ويوجد في إيران حاليًّا المئات من الطلاب يواصلون دراستهم في جامعة «قم» الإيرانية.

٣- تولي الرئيس سامبي -المتشيّع والموالي لإيران- منصب الرئاسة في بلاده، فحرص على تقوية علاقات بلاده بإيران، ففي (يونيو ٢٠٠٨) زار «سامبي» إيران على رأس وفد اقتصادي-سياسي رفيع المستوى، وأكد على ضرورة الاستفادة من تجارب الخبراء الإيرانيين في تنمية بلاده، حيث تم استثمار هذا الحدث من قبل إيران والشيعة في تحقيق وجودهم في جزر القمر؛ من خلال تكثيف نشاطاتهم الدعوية والتبشيرية بصورة ملفتة؛ كمًّا ونوعًا»[١].

وفي إطار مساعي الاستقطاب هذه: تقدم إيران ما يمكن اعتباره «إغراءات دراسية» للطلبة، ففي (سبتمبر ٢٠١٣) وافقت «جامعة طهران» التي تُعد من بين أفضل (٥٠٠) جامعة في العالم، على قبول الطلاب المصريين الحاصلين على الثانوية العامة المصرية بمجاميع منخفضة في كلياتها، حيث قبلت الجامعة في تلك السنة أول دفعة من الحاصلين على الثانوية شعبة «العلمي علوم» في كليات «الطب البشرى» بنسبة (٧٥%)، و«طب الأسنان و«الصيدلة» بنسبة (٧٠%).

في حين أن مثل هذه المجاميع لم تكن تؤهل أصحابها في تلك السنة الدراسية للالتحاق بكليات أدنى في سلّم الدراسة الجامعية، مثل: كليات «التجارة أو الآداب»![٢]

وتحكي الطالبة المصرية ميار حمدي عن تجربتها في هذا الصدد، قائلةً: «كنت أعمل مندوبة مبيعات بشركة خاصة، بعد أن تركت كلية التجارة بسبب ظروفي المادية الصعبة، وكنت

---

(١) بخاري مردابي موسى «المد الشيعي في جزر القمر... دلالات وأبعاد». موقع «الراصد»: https://goo.gl/spQWCI

(٢) عصام عبد الجواد «طهران تستقطب الطلاب المصريين بتخفيض نسب القبول». موقع «روز اليوسف»: https://goo.gl/nID٦PI

أساعد أسرتي في تكاليف المعيشة، وأستغل فترة الليل في تسويق المنتجات عبر الإنترنت (..).

وفي يومٍ ما قمت ببيع منتج إلى شخص يدعى الشيخ محمود العقيلي العراقي، ومع الوقت تعارفنا أكثر حتى أصبحنا أصدقاء، إلى أن جاء مصر، وقمتُ بمقابلته بناء على طلبه، وكان يأخذ جميع المنتجات التي معي بسعر يتجاوز سعرها الأساسي بكثير، وعندما سألته عن سبب ذلك، قال: إنه عضو في جمعية (الإمام الفاطمية) التي تقوم بمساعدة الفقراء، فتشيّعت، وأصبحت عضوًا في الجمعية».

وتضيف ميار: «ظللت أعمل لمدة سنة بالجمعية، حتى عرض على الشيخ العقيلي السفر إلى العراق، وبالفعل سافرت، وتعلمت في الحوزة العلمية بمدينة كربلاء، ثم التحقتُ بجامعة المصطفى في إيران لدراسة فقه وأصول الدين، ووجدت ما يقرب من (١٥٠) فتاة مصرية يدرسن معي بالجامعة، وتعارفنا هناك، وجميعهن تلقّين مساعدات بنفس الطريقة، وتم إعلان تشيّعهن أيضًا»[1].

المؤسسات التعليمية الناشطة في مجال التشييع: لا تجري عملية استقطاب الطلاب للدراسة اعتباطيًّا!

فثمة جهات راعية ومؤسسات وقوانين إيرانية تنظّم ذلك، ويُعد ما يُسمى: «المجمع العالمي لآل البيت» الذي يتبع المرشد الأعلى علي خامنئي مباشرةً، والذي تأسس عام (١٩٩٠) بمثابة «الدينامو الإيراني» لنشر التشيع عبر التعليم في دول العالمين العربي والإسلامي، وفق هدف مُعلن هو: «نشر معارف أهل البيت، وترسيخ الوحدة الإسلامية، والعمل على اكتشاف وتنظيم وتعليم ودعم أتباع العترة الطاهرة عليهم السلام».

وهو ما يعني -بكلمات أخرى-: نشر التشيّع، وتغذية ودعم المد الشيعي بكافة الطرق الممكنة.

وحسب الباحثين: فإن «المجمع أشبه ما يكون بشبكة دولية، أو بالأحرى (دولة شيعية مُصغّرة) هدفها: وضع مشاريع وخطط دورية لنشر التشيع في العالم، تشرف على تنفيذها شخصيات رفيعة المستوى من النخب والرموز الشيعية حول العالم.

ولعل البند الرابع في بيان المجمع عن أهداف التأسيس يكشف الكثير من آلية عمله، واعتماده ميزانيات ضخمة لتجنيد العملاء والأتباع؛ حيث ينص هذا البند على (مكافحة الفقر والجوع، والمحاولة لإيجاد السلام الدولي، وتوسعة الأسس المادية والمعنوية لأتباع أهل البيت في العالم، والمساعدة على نمو وإصلاح الوضع الفكري والثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي لأتباع أهل البيت)».

وتتم تحركات ونشاطات المجمع في دول العالم الإسلامي تحت غطاء: «تحقيق الوحدة الإسلامية»، وهو الشعار الذي قد لا يخلو منه أي من بياناته، لكن المتابع لأنشطة المجمع لا يجد عناءً في اكتشاف اصطفاف هذه المنظمة -قلبًا وقالبًا- خلف «مصالح إيران» وحدها في المنطقة والعالم!

ويتكوّن المجمع من هيئات وأذرع مختلفة، تتنوع أنشطتها المعلنة بين: طرح ومناقشة البرامج، ووضع الأهداف وآليات العمل، والخطط الثقافية لاستقطاب الطلاب من مختلف الدول حول العالم للدراسة في إيران؛ لدفع «المشروع الشيعي» قُدمًا إلى الأمام.

ويترأس المجمع محسن مجتهد شبستري -المرجع الشيعي المعروف-، وهو يتكون من (٢٥) عضوًا من دول مختلفة، غالبيتهم من إيران، وبعضهم من العراق ولبنان والسعودية والبحرين، ودول إفريقيا، ومن ضمنهم: حسن نصر الله -أمين عام «حزب الله» اللبناني-، والكويتي حسين المعتوق، والبحريني عيسى قاسم، وسيد مرتضى، عن قارة أفريقيا.

ويُذكر أن هناك زيادة كبيرة في أعداد الطلاب اليمنيين الدارسين في إيران بعد عام (٢٠١١)، وأن عددًا منهم شارك في عملية اقتحام السفارة السعودية، بعد أن أُخضِعوا لعمليات

(١) بسمة محمد «مفاجأة.. إيران تستقطب (١٥٠) مصرية لدراسة الفقه الشيعي بطهران». موقع «الصباح»: https://goo.gl/١٠YwnU

«غسيل مخ» طائفية، دشنوا على إثرها حملة تحت عنوان: «يمني هستم (أنا يمني) في إيران، جمعوا خلالها التبرعات لـ «الحوثيين»، وشاركوا في نشاطات سياسية في الخارج، كما أن بعضًا منهم أصبح جزءًا من قوات التعبئة الإيرانية «الباسيج».

ولهذا السبب أصدرت وزارة التربية والتعليم اليمنية في (يناير) الماضي قرارًا بوقف البعثات الدراسية إلى إيران، وعدم اعتماد الشهادات التي تُمنح من قبل المتمردين «الحوثيين».

وقال عبد الله لملس -وزير التربية والتعليم اليمني- أن: «الوزارة قررت وقف المبتعثين للدراسة في إيران، نظير ما يتلقونه من أفكار هدامة، تكرس مفاهيم المذهبية والطائفية»، مشيرًا إلى وجود أكثر من (٧) آلاف طالب يمني يتلقون تعليمهم في مدينة «قم» الإيرانية حاليًا.

وأكد نبيل البكيري -الباحث اليمني المتخصص في شؤون الجماعات الإرهابية- أن: «ما يجري لهؤلاء الطلاب ليس سوى استكمال لمسلسل الاستراتيجية الإيرانية في تفتيت النسيج العربي طائفيًا؛ من خلال التعبئة الطائفية التي تفتت المجتمع العربي الواحد».

وأضاف البكيري: «لو كان هناك نية حقيقية لدى الإيرانيين في دعم العرب واليمنيين؛ لتمّ استيعاب هؤلاء الطلاب في الكليات والمعاهد العلمية، لكن للأسف فالهدف ليس هذا وإنما: تفكيك المجتمع العربي مذهبيًا»[1].

وفي (إبريل) الماضي أعلن حسين سالار آملي -نائب وزير العلوم الإيراني للشؤون الدولية-: أن (٥٢) ألف طالب جامعي أجنبي يدرسون في الجامعات الإيرانية في الوقت الحاضر، موضحًا أن نحو (٢٣) ألفًا من هؤلاء الطلبة الجامعيين يدرسون في جامعات تابعة لوزارة العلوم، فيما يدرس البقية في جامعة «المصطفى»، والجامعة الإسلامية الحرة «آزاد»، وجامعات وزارة الصحة والعلاج والتعليم الطبي[2].

ويؤكد متخصصون في الشأن الإيراني: أن الصراع بين إيران والدول العربية ليس صراعًا عسكريًّا وجغرافيًّا وأمنيًّا فحسب، بل إنه يطال الجانب التربوي والثقافي أيضًا.

ومن ذلك: أن إيران عمدت إلى تشويه منظّم لصورة العرب في المناهج التعليمية التي يتلقاها الطلاب الإيرانيون والوافدون معًا؛ بحيث اختزلت الحضارة العربية من خلال الصراع المذهبي بنظرته الضيقة، مشوهةً التاريخ العربي، ما يُورث الطلاب العرب الدارسين في إيران كراهية لأوطانهم الأصلية، ويُفقدهم انتماءهم الوطني، وهو أمر بالغ الخطورة! ينبغي التنبّه له وإيقاف الابتعاث الدراسي إلى الجامعات الإيرانية فورًا، وقبل فوات الأوان.

التجربة السياسية الشيعية الحديثة .. من المعارضة إلى السلطة
٥- التجربة الشيعية اليمنية.

بوزيدي يحيى - باحث وكاتب جزائري

خاص بـ «الراصد».

يمثل الحوثيون النسخة اليمنية من التجربة الشيعية السياسية الحديثة، وقد شغلوا حيزًا كبيرًا من النقاش في اليمن خلال العقد الأول من القرن الواحد والعشرين، بحروبهم الست ضد نظام علي عبد الله صالح؛ التي كانت أحد مظاهر هشاشة الدولة.

وبعد تراجعهم مع بداية الثورة اليمنية في (٢٠١١)، والتي بشّرت بمرحلة جديدة أساسها: إدارة الخلافات بالآليات السلمية في مجتمع غلبت لغة السلاح على تسوية مشكلاته، وكان انحياز الحوثيين للثورة في بداياتها أحد المؤشرات على هذا التحول، غير أنه

(١) (٧) آلاف طالب يمني يتلقون تعليمهم في «قم».. والحكومة توقف الابتعاث إلى إيران. موقع «الناشر»: https://goo.gl/tLQ٢٦i

(٢) (٥٢) ألف طالب جامعي أجنبي في الجامعات الإيرانية. موقع «قناة المنار»: https://goo.gl/I٧QOyY

لم تمضِ إلا فترة قصيرة لتتبدد كل هذه الأحلام والأوهام، وعاد الحوثيون مرة أخرى ليشغلوا الساحة السياسية، بعد سيطرتهم على كل مفاصل الدولة.

ولم يغب البعد الخارجي عن هذه التجربة أيضًا؛ حيث تبرز معالم التأثير الإيراني بأوجه عديدة؛ سواء عقدية أو فكرية أو سياسية وحتى عسكرية، من هنا أخذت هذه التجربة أبعادًا جيوسياسية خاصة مع تماس مناطق الحوثيين مع الحدود السياسية السعودية.

وعند رصد هذه التجربة تكشف مراحل تطورها تأثرها بما كان يحصل في اليمن من تحولات بدرجة كبيرة، إضافة إلى التأثير الخارجي.

وفي هذا الإطار يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل:

تمتد الأولى: من الثورة اليمنية في (١٩٦٢) إلى الثورة الإيرانية في (١٩٧٩)، حيث كان لسقوط نظام الإمامة تداعيات عميقة على الزيدية مثلّت إرهاصات الظاهرة الحوثية.

والمرحلة الثانية: تمتد من (١٩٧٩) إلى قيام الثورة في (٢٠١١)، وخلالها تطورت الجماعة سياسيًّا وتنظيميًّا وعسكريًّا، وتوج ذلك بسلسلة من الحروب، انتهت سادستها قبل ثورة (٢٠١١).

والمرحلة الأخيرة: ما بعد (٢٠١١)؛ والتي ساهمت في تمدد الحوثيين جغرافيًّا، ومكّنتهم سياسيًّا، على عكس التوقعات التي ذهبت إلى احتمالات احتوائهم في المشروع الوطني؛ باعتبار أن المشكل الأساس كان في نظام علي عبد الله صالح.

وهذا ما يفتح الباب للتساؤل حول تأثير الحوثيين على مستقبل الدولة الوطنية؟!

❑ إرهاصات المشروع الحوثي بين الديني والسياسي:

برز الحوثيون تنظيميًّا على الساحة اليمنية في (١٩٩٢)، مع تأسيس نادي (الشباب المؤمن)، غير أن إرهاصات هذا المشروع بدأت منذ الثورة اليمنية في (١٩٦٢)، مرورًا بالثورة الإيرانية، فسقوط نظام الإمامة لم يكن يعني: اندثارها كفكرة؛ لارتباطها بالعقائد الزيدية[١]، وقد شكلت بذلك أرضية استند عليها الحوثيون، فهم ينتمون إلى تيارات إمامية في اليمن حاربت الثورة اليمنية في (سبتمبر ١٩٦٢) وما بعده؛ بكل ما أوتيت من قوة، ولما رأت أنه لا قدرة لها على العودة باليمنيين إلى الوراء، عادت ولبست القبعة الجمهورية التي تخفي جماجم الإماميين[٢].

فالمشروع في الأصل: حركة لإحياء الزيدية السياسية التي تقوم على أحقية الولاية في ما يسمى بـ: «البطنين» (سلالة الحسن والحسين)، لذلك فإن الحركة ترتبط عضويًّا بالمذهب الزيدي[٣].

وتحركها يفسره تصورات الجماعة العقائدية بفكرة التمكين الإلهي لاسترداد إرثها التاريخي والديني، وهو: حكم الإمامة لليمن، أو للجزء الشمالي من اليمن منذ القرن السابع عشر حتى قيام ثورة (١٩٦٢م) الجمهورية[٤].

تكشف هذه الخلفية كيف ساهمت الأيديولوجية الزيدية في حشد التأييد للمشروع الحوثي بأقانيمها الثلاثة، المتمثلة في:

الحق الأزلي في السلطة السياسية (الرئاسة تحديدًا).

والثاني هو: القول -بلسان الحال-: إن الرجولة الحقيقية

---

(١) واجه رموز الزيدية تحديًا كبيرًا بعد سقوط نظام الإمامة في اليمن سنة (١٩٦٢)، لإيجاد انسجام بين النظام الجديد وبين الفكرة التي تشترط في السلطة (إمامًا) من آل البيت، وعلى إثر ذلك انقسمت الزيدية بين من بدأ بإسقاط شرط الإمامة، وبين من تعامل مع النظام الجمهوري من باب الأمر الواقع، وليس باعتباره حكمًا شرعيًّا.
وظلت صعدة أحد أهم معاقل المذهب، والمساحة الأبرز لتحرك رموز الزيدية السياسية؛ والتي لم يكن بعضها يجاهر بموقفها بالتمسك بالإمامة. ينظر: عادل الأحمدي، «الزيدية السياسية.. ولاية الإمام اليمنية تنسخ الولي الفقيه في إيران». «يمن برس»: http://yemen-press.com/news٥١٦٢٤.html

(٢) محمد جميح، «الحوثيون وثورة الشباب». «مأرب برس»:
http://marebpress.net/articles.php?id=١١٢٦٣&lng=arabic

(٣) عبد الناصر المودع، «مستقبل الحركة الحوثية»، مجلة سياسات عربية، العدد (١٤)، (ماي ٢٠١٥)، (ص١١٠).

(٤) ميساء شجاع الدين، «الحوثيون وإيران: تحالفات السياسة وتوترات المذهب». «أوبن ديمكرسي»:
https://www.opendemocracy.net/north-africa-west-asia/maysaa-shuja-al-deen/yemen-iran-houthis-war

والرجال الحقيقيين هم: أبناء هذه المناطق، ولذا فإن أغلبيتهم تأنف ممارسة بعض الأعمال ذات الطابع الخدمي.

والثالث: يتمثل في حرص أبناء هذه المناطق على بقاء التقسيم التراتبي للمجتمع اليمني إلى أعراق وفئات؛ فالناس منقسمون إلى: قبائل وبطون، وهناك داخل القبائل والبطون تقسيم على أساس المهن، وتحول مع الزمن إلى تقسيم عرقي[1].

فبالنسبة لجماعة الحوثي -كوحدة اجتماعية لا تختلف عن النسق الاجتماعي الناظم لأي قبيلة؛ إلا من حيث جمعها إلى جانب الهوية القبلية الهوية الطائفية/المذهبية-، والجديد في «الوثيقة الفكرية والثقافية» هو: توسيع دائرة العصبية الهاشمية، وإنعاشها في ضوء الأمل الذي أعادته لها الهوية الحوثية.

هذا التداعي الذي يستثمر العصبية الهاشمية كنسبٍ والزيدية كمذهبٍ لا يمكن فصله عن الطموح السياسي، مهما اتخذ من عناوين ومسميات![2]

وبذلك؛ فإن المشروع الحوثي يخدم -بشكل أو آخر- سلالة السادة الهاشميين المنحدرين من نسل الحسن والحسين بن علي؛ الذين يشكلون عصب الحركة الحوثية، وأصبحوا يستحوذون على معظم المناصب الحكومية في المناطق التي سيطرت عليها الحركة[3].

❑ الثورة الإيرانية وانطلاقة المشروع الحوثي:

أنتج التفاعل بين «الزيدية السياسية» و«الثورة الإيرانية»: (الظاهرة الحوثية)؛ حيث حدث انتقال من الزيدية إلى الإثني عشرية بواسطة بدر الدين الحوثي؛ خاصة مع عقائدهم الجاردوية القريبة من الإثني عشرية، مما سهّل عملية الانتقال تلك، إذ تتكئ جماعة الحوثي في رؤيتها وعقيدتها على مقولات الجارودية وامتدادها في المهدوية، أما في شعاراتها فتأخذ بنصيب وافر من الإسلام السياسي الشيعي الإثني عشري[4].

وقد سهّلت الثورة الإيرانية من عملية التكيّف العقائدي، كونها زودت شيعة العالم الإسلامي بمثال إيجابي؛ وفي الآن ذاته شهد اليمنيون الزيديون بروز جيل جديد من العلماء والمسلحين غير موصوم بإرث الحرب الأهلية[5].

وعمليًّا بدأت السفارة الإيرانية في الثمانينيات بتقديم دعوات لشباب يمني لزيارة إيران والتعرّف على تجربة الثورة الإيرانية، واجتذبت بالفعل الكثير من الشباب الزيدي، أبرزهم: محمد عزان وعبد الكريم جدبان وحسين الحوثي -مؤسّس الحركة الحوثية-، وكذلك زارها بعض علماء الزيدية مثل: بدر الدين الحوثي -والد حسين المؤسّس-، وعبد الملك -القائد الحالي للجماعة-[6].

وبدأ أول تحرك مثمر مدروس في (١٩٨٢) على يد رجل الدين صلاح أحمد فليتة، في محافظة صعدة، والذي أنشأ في (١٩٨٦) «اتحاد الشباب»، وكان من ضمن ما يتم تدريسه: مادة عن الثورة الإيرانية ومبادئها، يقوم بتدريسها محمد بدر الدين الحوثي.

وفي (١٩٨٨) تجدّد النشاط بواسطة بعض الرموز الملكية التي نزحت إلى المملكة العربية السعودية عقب ثورة (١٩٦٢)، وعادوا بعد ذلك، ومن أبرزهم: مجد الدين المؤيدي، وبدر الدين الحوثي، ويعد الأخير الزعيم والأب الروحي للحركة الحوثية[7].

---

(١) عصام القيسي، «التجمع اليمني للإصلاح: المشهد الراهن»، مجلة سياسات عربية، العدد (١٤)، (ماي ٢٠١٥)، (ص٩٠).

(٢) عبد الله السالمي، «اليمن وسؤال الهوية الوطنية: قراءة في التدافع الطائفي والقبلي والمناطقي»، موقع «أكديميا»، (ص١٧).

(٣) عبد الناصر المودع،المرجع السابق، (ص١١٠).

(٤) عبد الله السالمي، المرجع السابق، (ص١٥).

(٥) «مجموعة الأزمات الدولية، نزع فتيل الأزمة في صعدة»، تقرير الشرق الأوسط رقم (٨٦)، بتاريخ (٢٠٠٩/٥/٢٧)، (ص١٠).

(٦) ميساء شجاع الدين، المرجع السابق.

(٧) عادل الأحمدي، «الزهر والحجر: التمرد الشيعي في اليمن وموقع الأقليات الشيعية في السيناريو الجديد»، (ص١٢٩).

وكانت أهم إشارات الفراق مع الزيدية في التسعينيات عندما عارض الشيخ بدر الدين الحوثي وعلماء دين آخرون من صعدة بيانًا وقّعه علماء دين زيديون مرتبطون بحزب (الحق) يقول بعدم وجوب أن يكون الحاكم أو الإمام هاشميًّا؛ وانشقوا عن الحزب، ومن ثم قام حسين الحوثي وآخرون بتأسيس (الشباب المؤمن)، ساعين لإحياء النشاط الزيدي عن طريق التثقيف والدعوة[1].

ومنذ (١٩٩٨) نجح المذهب الإمامي في توسيع أرضيته في اليمن، مستميلًا أبناء الأسر الكبيرة الذين شكلوا أرضية كبيرة للانطلاق والنشاط؛ الذي بدأه حسين بدر الدين الحوثي في (١٩٩٧)، بإنشاء مراكز دينية في مديرية حيدان، في محافظة صعدة، دون ترخيص قانوني، أطلق عليها اسم: (الحوزة)، ثم امتد نشاطه بإنشاء مراكز مماثلة في بعض المحافظات والمديريات، وقام بتوسيع نشاطه؛ من خلال تلك المراكز[2].

❑ الحوثيون بين السياسة والحرب:

برز الوجود المؤسسي للحوثيين من خلال (منتدى الشباب المؤمن)[3]؛ الذي تأسس في بداية تسعينيات القرن الماضي، والذي كان «النواة الأولى لِما أصبح لاحقًا يُعرف بـ (الحوثيين)».

وكان من أبرز مؤسسيه: محمد عزان؛ الذي ترك الحركة بعد ذلك إثر خلافات مع حسين بدر الدين الحوثي؛ الذي تسلم بدوره قيادة التنظيم، ووسّع نشاطه ليأخذ طابعًا مسلحًا، وصولًا إلى (٢٠٠٤) لحظة انفجار الحرب الأولى بين الحكومة اليمنية والجماعة[4].

وقد ولج الحوثيون في البداية العمل السياسي؛ إذ ظهرت في الساحة اليمنية بعد إقرار التعددية الحزبية في مطلع التسعينيات أربعة أحزاب شيعية وهي: حزب الثورة الإسلامية، حزب الله، حزب الحق، اتحاد القوى الشعبية اليمنية، وقد توارى الحزبان الأولان (حزب الثورة، حزب الله)، فيما بقي في الساحة حزب الحق واتحاد القوى الشعبية.

وكانت تجربة حزب الحق البرلمانية ضعيفة جدًّا؛ حيث حصل على مقعدين فقط في انتخابات (١٩٩٣)، وفي انتخابات (١٩٩٧ و٢٠٠٣) لم يحصل على أي مقعد، مع تراجع في نسبة التصويت[5].

وبدأ الصعود المتنامي لتنظيم (الشباب المؤمن) بقيادة الحوثي يتم على حساب الحجم السياسي والشعبي لحزب الحق بقيادة المؤيدي، ورجّح من كفة تيار الحوثي استغلاله الدعم الإيراني المخصص لتصدير الثورة إلى اليمن، وكان في بداية الأمر دعمًا فكريًّا أكثر منه ماديًّا، ما أدى إلى معارك فكرية عدة بين الشباب والشيوخ، صدرت خلالها بيانات التبرؤ من (تنظيم

---

(١) «مجموعة الأزمات الدولية، نزع فتيل الأزمة في صعدة»، المرجع السابق، (ص ١٠).

(٢) «القصة الكاملة للحوثي والزيدية في اليمن». «العربية نت»:
http://www.alarabiya.net/articles/٢٠٠٤/٠٧/١٠/٤٩١٧.html

(٣) على أساس هذه التسمية يتم تفريق اليمنيين إلى مسلمين لا يتبعون هذه الحركة، ومؤمنين وهم أتباعها.
يعضد ذلك أنه في الفكر الراديكالي الشيعي لدى الجماعات الأصولية الشيعية -والحوثيون جزء منها- لا بد من التفريق بين المؤمن والمسلم، فقد يكون الإنسان مسلمًا لكنه غير مؤمن، منطلقين من تأويلهم الخاص للآية: { قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } [الحُجُرات:١٤]، ولذلك تسمّي هذه الجماعات الراديكالية أتباعها: (مؤمنين)؛ لتميزهم عن غيرهم، الذين قد يكونون مسلمين لكنهم غير مؤمنين بالضرورة حسب رؤيتها!
وهذا واضح في طائفة كبيرة من الخطاب الشيعي عند الخميني من المعاصرين، وقبله =

= الشيخ المفيد؛ من الذين جعلوا الإيمان بإمامة ﷺ شرطًا للإيمان. ينظر: محمد جميح، المرجع السابق.

(٤) عادل الأحمدي، «الزيدية السياسية.. ولاية الإمام اليمنية تنسخ الولي الفقيه في إيران»، المرجع السابق.

(٥) عادل الأحمدي، «الزهر والحجر: التمرد الشيعي في اليمن وموقع الأقليات الشيعية في السيناريو الجديد»، (ص١٣٠-١٣٣).

الشباب المؤمن)، ومن أطروحاتهم الرامية للانقلاب على المذهب[1].

ففي (١٩٩٧) تم تحويل الاسم من مدلوله الثقافي الفكري، كمنتدى إلى المدلول السياسي؛ حيث أصبح (تنظيم الشباب المؤمن)، وتفرّغ له حسين بدر الدين عازفًا عن الترشّح لمجلس النواب، تاركًا المقعد الذي كان يشغله لأخيه يحيى بدر الدين الحوثي.

وبرز بدر الدين الحوثي كمرجعية عليا للتنظيم، وتم إقصاء المؤيدي وفليتة، وحدثت على إثر ذلك خصومات واتهامات وتبرؤات بين كلا الطرفين، اتهمت فيها جماعة المؤيدي تنظيم (الشباب المؤمن) بالانقلاب على مبادئ الزيدية، فيما كان الأخيرون يتهمون جماعة المؤيدي بالتحجر والجمود، والميل للأفكار (الشوكانية)[2].

قادت هذه التطورات إلى ابتعاد الحوثيين عن العمل السياسي وتحولهم إلى العمل العسكري، فبين عامي (١٩٩٩-٢٠٠٤) بدأ نشاط (تنظيم الشباب المؤمن) يأخذ طابعًا عسكريًّا إلى جانب تكثيف الدور الثقافي عبر المخيمات الصيفية.

وخلال هذه الفترة توسع نشاط التنظيم في أرجاء محافظة صعدة، ثم افتتحت العديد من الفروع في محافظات الجمهورية.

وبعد أحداث (١١ من سبتمبر) رَفع التنظيم ما عرف بعد ذلك بـ (الصرخة)، وهي: «الله أكبر، الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل، النصر للإسلام، اللعنة على اليهود».

وتحت هذا الشعار تم حشد الآلاف من الشباب الناقم على الجبروت الأمريكي المتغطرس، وتحت هذه اللافتة تم التجييش الداخلي للتنظيم والتعبئة المواكبة للقبائل في صعدة وما جاورها[3]، وتحولوا إلى معارضين رئيسيين للنظام، بعد أن شعروا بالغربة عن الدولة التي جرّدتهم من منزلتهم السابقة، ولم تُعر تطورهم الأمني والاقتصادي أي اهتمام[4]، ليقوموا بسلسلة من المواجهات، مدّعين أن الحكومة تتحرك لاعتبارات طائفية وأيديولوجية وتاريخية في تمييز صارخ ضد أصحاب المذهب الزيدي المتمركز في المحافظات الشمالية، وتجرّدهم من حقوقهم، فضلًا عن كونها تستبعد المحافظات الشمالية من برامج التنمية الاقتصادية[5].

زادت تلك الحروب الحوثيين قوة، وضاعفت خبرتهم القتالية، الأمر الذي أحيا نزعة العودة إلى السلطة، وبما أن المرجعية التاريخية الداعمة للأسرة الإمامية لم تعد كذلك، توجهت القيادات الشابة لـ (الشباب المؤمن) إلى إيران لطلب الدعم والمساعدة، وأدخلت تعديلات على مرجعيتها.

فمنذ انطلاق الحرب الأولى في (٢٠٠٤) مع الدولة وحتى السادسة عام (٢٠١٠) كوّنت مجموعات قتالية محترفة، شكلت منها مليشيات؛ في استدعاء واضح لنموذج حزب الله في لبنان[6].

تجدر الإشارة في هذا السياق: إلى أن تركيبة الحركة من الداخل تماثل حزب الله، مثل: المكتب السياسي للقيادة، وكذلك الشكل التنظيمي للتيار العسكري للحركة. كل هذا يعزز من حقيقة أن الحوثيين على تواصل مع حزب الله وتلقوا تدريبًا من قبله[7].

---

(١) عادل الأحمدي، «الزهر والحجر: التمرد الشيعي في اليمن وموقع الأقليات الشيعية في السيناريو الجديد» (ص١٣٤).

(٢) المرجع نفسه، (ص١٣٠-١٣١).

(٣) المرجع نفسه، (ص١٣٧).

(٤) «مجموعة الأزمات الدولية، نزع فتيل الأزمة في صعدة»، (ص ١٠).

(٥) حسين عليوي ناصر الزيادي، «الدليل الجغرافي لمشكلة الحوثيين في اليمن: دراسة في جغرافية السياسة»، مجلة «البحوث الجغرافية»، العدد (١٣)، (ص٣٦١).

(٦) عبد الباقي شمسان، «اليمن ما بعد عاصفة الحزم: متطلبات إعادة بناء الحقل السياسي»، مجلة سياسات عربية، العدد (١٤)، (ماي ٢٠١٥)، (ص١٠٥).

(٧) ميساء شجاع الدين، المرجع السابق.

وتأخر شيعة اليمن في الصعود إلى الساحة مقارنة بنظرائهم في دول الخليج ولبنان والعراق، مردّ ذلك إلى عاملين أساسيين:

الأول: يتعلق بعدم وجود شيعة إثني عشريين، كون الحوثيين -كما سبقت الإشارة- ينتمون عقديًّا إلى الجارودية، وجرى تحول بطيء في معتقداتهم، وتدريجي؛ لينضج في تسعينيات القرن الماضي، وهي الفترة التي تراجع فيها شيعة الخليج عن العمل المسلح وانتقلوا إلى العمل السياسي.

والعامل الثاني: يتمثل في الحروب التي كانت تعيشها اليمن في تلك المرحلة، والتي جعلت من الحوثيين قوة هامشية في الساحة، بل كانوا مجرد أداة في يد الحزب الاشتراكي الذي سعى لكسب حليف فكري مضاد للتحالف بين المؤتمر الشعبي العام (حزب الرئيس علي عبد الله صالح)، والتجمع اليمني للإصلاح (الإخوان المسلمين)، فقام بتشجيع حزب الحق وتقويته عملًا بمبدأ (لعبة التوازنات).

وكان الحزب قد استغل الحركة الحوثية ذاتها في صراعه مع شريك الوحدة (المؤتمر) في الفترة الانتقالية، وتفاعلت رابطة النسب العلوي لكل من بدر الدين الحوثي وزعيمي الاشتراكي علي سالم البيض وحيدر أبو بكر العطاس، لتفضي إلى تأييد الحوثي للانفصال.

وحدثت عقب حرب (١٩٩٤) مناوشات بسيطة في صعدة من قبل أتباع الحوثي، وانتهى الأمر بحملة عقب الحرب دمرت منزل بدر الدين الحوثي، وخرج على إثرها إلى لبنان وإيران، قبل دخول وساطة في الخط أعادت الرجل إلى اليمن في (١٩٩٧)[١].

❑ الحوثيون والثورة اليمنية:

انضم الحوثيون إلى الاحتجاجات ضد علي عبد الله صالح، وأقاموا علاقات مع النشطاء المناهضين للنظام في سائر أنحاء البلاد، واستفادوا من الفراغ في السلطة الذي تركته النخب المنقسمة المكونة للنظام القديم، ووسّعوا سيطرتهم على الأرض وعملوا على توسيع قاعدتهم الشعبية، ووضع برنامج سياسي، والمطالبة بمكان لهم في صناعة القرار الوطني[٢].

وخلال المرحلة الانتقالية عادوا مرة أخرى إلى العملية السياسية؛ دون التخلي عن المعسكر الثوري، فقد أصبحوا السلطة الحاكمة بحكم الأمر الواقع في صعدة، وعيّنوا حاكمًا، وجمعوا الضرائب، وأشرفوا على عمل الحكومة المحلية، وأداروا الجهاز القضائي[٣].

وقد دفعتهم مواقفهم المعادية بشدة للنظام إلى عدد من التحالفات التي لم تكن متوقعة، بما في ذلك: تعاونهم مع الشباب ذوي الميول الليبرالية، ونشطاء المجتمع المدني؛ الذين يطالبون بحكومة جديدة، كما أنهم تحالفوا مع نشطاء الحراك الجنوبي؛ الذين يهدفون إلى قلب النظام السياسي؛ من خلال تشكيل فيدرالية بين الشمال والجنوب، أو حتى استقلال الجنوب[٤].

وبسبب ضعف مؤسسات الدولة، وتنحي صالح وفي وسط الفراغ السياسي في السلطة بدأت الجماعة بالنمو، حتى أنها قامت بتأسيس دولة فعالة داخل الدولة، عندما خرج الحوثيون من مراكزهم في أقصى شمال اليمن (محافظة صعدة)، وتمددوا جنوبًا عقب استيلائهم على العاصمة صنعاء، ورغم توقيع اتفاقية السلم والشراكة برعاية الأمم المتحدة إلا أن التوترات استمرت وانتهت بفرض جماعة الحوثي الإقامة الجبرية على رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، والعديد من أعضاء مجلس الوزراء[٥].

---

(١) عادل الأحمدي، «الزهر والحجر»، المرجع السابق، (ص١٣٥).

(٢) «مجموعة الأزمات الدولية، الحوثيون: من صعدة إلى صنعاء»، تقرير الشرق الأوسط، رقم (١٥٤)، بتاريخ (١٠/٥/٢٠١٤)، (ص١٠).

(٣) المرجع نفسه، (ص٢٠).

(٤) المرجع نفسه، (ص٦٠).

(٥) سماء الهمداني وآدم بارون وماجد المذحجي، «أدوار اللاعبين المحليين في الحروب

=

وفي هذه الفترة زاوج الحوثيون بين العمل السياسي؛ من خلال مسايرة شباب الثورة في عملية إسقاط النظام، ولكن في الوقت نفسه لم يتخلوا عن الأدوات العسكرية في تحقيق مكاسب خاصة على مستوى منطقة صعدة، وعندما لاحظوا اتجاه الحلول -سواء من خلال المبادرة الخليجية أو الحوار الوطني- في غير ما يصبون إليه انقلبوا على الثورة، ودخلوا في تحالف مع نظام علي عبد الله صالح؛ الذي كان بالأمس القريب عدوّهم اللدود، فقد كان الحوثيون معارضين للمبادرة الخليجية، وبدأ التنسيق بينهم وبين الرئيس المخلوع، ورفعوا شعار: (محاربة الفساد)، والتصدي للقرارات الحكومية، وتنظيم المظاهرات الشعبية في صنعاء، رفضًا لقرارها برفع الدعم عن المشتقات النفطية،

وفي الجانب الآخر؛ أقدموا بتحركات عسكرية على السيطرة على المناطق؛ خاصة منطقة صعدة حاضنتهم الرئيسية.

وبعد الحوار الوطني بتسعين يومًا هاجموا مركز الشيخ مقبل ابن هادي الوادعي في دمّاج (المركز تابع للجماعة السلفية العلمية)، وحاصروا المركز، وقاوم السلفيون تسعين يومًا دون تلقي دعم أو مساندة من أي طرف! وقامت الحكومة بدور الوسيط بين الطرفين، وانتهى الأمر بإخلاء المركز، وتهجير المقيمين والطلاب؛ بمن فيهم العائلات إلى خارج منطقة صعدة.

ثم هاجموا القرى والمراكز التابعة لشيخ قبيلة حاشد وأولاده، وسيطروا على هذه المراكز فعليًّا، كما طالبوا بإقالة مدراء تلك المحافظات والقيادات العسكرية فيها، لكن اللواء حميد القشيبي رفض توسع الحوثيين عندما أرادوا إسقاط محافظة عمران في أيديهم، لأن سقوط عمران يمثل سقوطًا تدريجيًّا للعاصمة صنعاء، وهو ما سيحدث لاحقًا[1].

تكشفت خيوط المؤامرة بعدم تلقي اللواء القشيبي أية مساندة من الدولة، ولا من الطيران الحربي، بل كان وزير الدفاع يقوم بدور الوساطة بين الحوثيين والجيش الوطني، ومما زاد الطين بلّة: أنه كان يرجع إلى صنعاء دون أن يزور مقرات الجيش اليمني، وفي النهاية قُتل القشيبي، وانتهت المعركة لصالح الحوثيين، وسيطروا على المعسكر، وعلى الأسلحة الثقيلة[2].

وفي (٢١ سبتمبر ٢٠١٤) قامت ميليشا الحوثي باقتحام العاصمة صنعاء من عدة محاور، وتمكنت من السيطرة على كل مؤسسات الدولة السيادية والمقرات الحكومية والأمنية والتعليمية والإعلامية، في غضون ساعات معدودة، مع وجود أكثر من (١٥) لواء عسكريًّا من ألوية الحرس الجمهوري -الذي صممه صالح لحمايته وحماية مشروعه في توريث السلطة[3]- تحرس العاصمة، وتسيطر على كل المواقع والمنافذ والجبال التي تحيط بالعاصمة وداخل العاصمة.

أعلنت كلها الحياد، بل والأسوأ من ذلك: أنها قامت بضرب قوات من الجيش الذي كان يتبع الفرقة الأولى مدرعة من الخلف عندما ظلت تقاوم لفترة وجيزة وتدافع عن العاصمة، قبل أن تتأكد لهم الخيانة، فأمر اللواء علي محسن بالمغادرة حفظًا على الأرواح، ومنعًا لكارثة كانت ستحرق العاصمة[4].

وبكل سهولة، تمكن الحوثيون من الوصول إلى صنعاء، واحتلال المقرات الرئيسة في العاصمة، وطالبوا بإلغاء قرار رفع الدعم عن المشتقات النفطية، وإقالة الحكومة، وهو ما تم الاستجابة له، وتسارعت الأحداث إلى أن استطاع الحوثيون السيطرة على عدن، وخرج الرئيس هادي إلى السعودية، ثم طالب

= الدائرة في اليمن»، مركز «صنعاء للدراسات الإستراتيجية، غرفة الأزمات اليمنية»، ورقة سياسات رقم (٢)، (جويلية ٢٠١٥)، (ص٢٠).

(١) فهد ياسين، «تطورات الأوضاع في اليمن وآفاق الخروج من الأزمة الراهنة»، الدوحة، مركز «الجزيرة للدراسات»، (ص٤٠).

(٢) المرجع نفسه، (ص٥٠).

(٣) عصام القيسي، المرجع السابق، (ص٩١).

(٤) «وحدة الدراسات والأبحاث، الدولة العميقة في اليمن النشأة والمستقبل، أوراق سياسية»، بيروت، مركز «صناعة الفكر للدراسات والأبحاث»، (ص١٦).

بالتدخل العسكري العربي في اليمن لإنقاذ الدولة من الحوثيين[1].

❑ الحوثيون ومستقبل الدولة اليمنية:

يؤكد سلوك الحركة الحوثية منذ لحظة تأسيسها مرورًا بكل مراحلها وطبيعة تعاملها مع الفرقاء الاجتماعيين والسلطة السياسية: مخاطر هذه الجماعة على كيان الدولة اليمنية ووحدتها الجغرافية، كما أن استمرارها في امتلاك الوسائل العسكرية ينذر بالمزيد من الحروب وما يتبعها من تفاقم مشكلات المجتمع اليمني.

فعلى المستوى الديني: تعد المسألة المذهبية في تمظهرها الحوثي إحدى العقبات الرئيسة للدولة اليمنية؛ من حيث التعصب المذهبي لجيل من الشباب جرت تنشئته على تلك الأفكار منذ حوالي ربع قرن، وجعلته يحدد الآخر بالنسبة إليه تحت مفردة (الدواعش)، واستيلاء أنصار الله على أسلحة الدولة وتخزينها، علاوة على امتلاكهم مليشيات وأجهزة سياسية وإعلامية تجعل من استمرارهم على شاكلة حزب الله ممكن الاحتمال.

وهذا يعني بوضوح: انعدام فرص بناء الدولة واستقرارها من جانب آخر[2].

وعلى المستوى السياسي: لا يَسمح تصورهم للسلطة السياسية المنطلِقة من خلفيتهم العقدية بإيجاد أي مساحات مشتركة مع بقية مكونات المجتمع، فهم يقدّمون أنفسهم كمدافع عن الهوية الزيدية ضد الذوبان في الهوية الإسلامية السنية الأوسع انتشارًا؛ وتحشد الدعم لنفسها بتبني مواقف معادية للولايات المتحدة وإسرائيل واليهود أحيانًا[3].

والجماعة تؤمن سلفًا: أن مسألة الحكم مفروغ منها؛ إذ أنها لقوم اختصّهم الله بها لأنهم: «أقوى من غيرهم في هذا الشأن»؛ على حد تعبير الحوثي الأب، وبالتالي فإن ما يظهر من نعومة أو انفتاح في بعض الأحيان إنما تحسبه هذه الجماعات من قبيل التكتيك المرحلي ليس إلَّا[4].

ومن جهة أخرى؛ أثبت الواقع أنه لا يمكن الوثوق في هذه الجماعة التي خالفت كل الاتفاقيات، كما أنها لا ترتكز على أي مبادئ، حيث ركبت موجة الثورة ثم انقلبت على شبابها، وتحالفت مع الرئيس الذي قامت الثورة ضده!

وإذا كانت (سياسة التوازنات، وتغيير الحلفاء) سمة عامة لمختلف الأنظمة السياسية؛ خاصة التسلطية منها، فإن التحول في موقف علي عبد الله صالح من الحوثيين ليس غريبًا، ولكن بالنسبة لهؤلاء فالمسألة فيها الكثير من الغموض! لأن نظام صالح مسؤول عن مقتل حسين الحوثي، وخاضوا ضده ست حروب، وهي تكفي للتدليل على حجم العداء المفترض بين الطرفين.

وما زالت الجماعة تتحرك كمليشيا مسلحة، وتحسم الخلافات عسكريًّا، والشعارات السلمية التي ترفعها غالبًا ما تستعمل كغطاء للآلة العسكرية، جعل الحوثيون من الزيادة في أسعار الوقود مبررًا لحملتهم التي امتدت لسنوات، وسيطروا بها على العاصمة، ووضعوا الرئيس قيد الإقامة الجبرية، وهذا العمل لا ينسجم مع مبادئ الثورة التي ركبها الحوثيون، كما أنه تجاوز عن السبب المباشر المتمثل في أسعار الوقود إلى مطالب سياسية جاءت جلّها لخدمة مصالح وأهداف الجماعة أولًا وأخيرًا.

وكل ذلك جاء بقوة السلاح، وليس بالحوار؛ رغم نسبتهم الهامشية جدًّا في الوعاء الانتخابي التي أثبتتها التجارب السابقة.

وفي الإطار السياسي -ولكن في بعده الخارجي-: تبقى الجماعة مجرد أداة إيرانية خاضعة لإرادة (الولي الفقيه) وتوجيهات (الحرس الثوري)، وهو ما يؤكد ضَعف احتمالات زحزحتها عن مواقفها، ومؤشرات التبعية أضحت بادية للعيان.

---

(١) فهد ياسين، المرجع السابق، (ص٥٠).

(٢) عبد الباقي شمسان، المرجع السابق، (ص١٠٦).

(٣) «مجموعة الأزمات الدولية، نزع فتيل الأزمة في صعدة»، المرجع السابق، (ص ٤٠).

(٤) محمد جميح، المرجع السابق.

فإضافة إلى الجوانب الفكرية والسياسية -التي تمت الإشارة إليها في المحاور السابقة- هناك إشارات أخرى تعزز ذلك، لعلّ أهمها: قيام الحوثيين في أول مهمة بعد إسقاط صنعاء بمحاصرة مبنى الأمن السياسي للإفراج عن المعتقلين بذمة قضية ما يعرف بـ (السفينة جيهان)، التي قالت الحكومة اليمنية: إنها سفينة إيرانية كانت محملة بالأسلحة للحوثيين.

ترافق هذا مع إعلان مندوب مدينة طهران في البرلمان الإيراني علي رضا زاكاني بأن صنعاء أصبحت رابع عاصمة عربية تقع تحت النفوذ الفارسي![1]، وقد حصل ذلك رغم عِلم إيران بتحالف الحوثيين مع علي عبد الله صالح، وهي التي ناصرت -سياسيًّا وإعلاميًّا- الثورة اليمنية ضد الحكم الفردي لعلي عبد الله صالح، وكانت تنظر لما يجري في اليمن على أنه امتداد لثورتي تونس ومصر[2].

وبالموازاة مع ذلك، وعلى عكس شعارات الحوثي وخطابه في أنه يحارب قوى الإمبريالية والاستعمار؛ إلا إن تحركاته العملية تقول: إنه ليس إلا قوة عسكرية تسعى للسيطرة على الحكم منفردًا باليمن، ورغم خطابه المعادي لأمريكا فهو أبدى حسن نية للتعاون معها في مكافحة الإرهاب، ولم يتعدّ على مصالحها باليمن[3].

تقطع الأبعاد -المشار إليها أعلاه- بالتأثيرات السلبية للظاهرة الحوثية على الدولة اليمنية، كما أنها ترجح لعبها دورًا حاسمًا في تقسيمه إذا لم يتم احتواء الجماعة وتجريدها من كل وسائل القوة، ذلك أنهم غير راضين عن التقسيم الحالي للحدود الفيدرالية ويدفعون -سياسيًّا وعسكريًّا- لمراجعتها.

فمع قبولهم بالفيديرالية من حيث المبدأ؛ لكنهم يرفضون الخطة الفيدرالية التي تقسم البلاد إلى ستة أقاليم، على أساس أنها لا تستند إلى معايير سليمة[4].

وقد تحالفوا مع الانفصاليين -كما سبقت الإشارة-، وما يعزز هذه الهواجس: الطبيعة الجغرافية للمذهب الزيدي بوجوده في منطقة الشمال، أي: شمال صنعاء وحولها، وهو مذهب منتشر في أراضي قبائل همدان فقط، أي: هو مذهب مناطقي -قَبلي داخل اليمن، والمنطقة التي ينتشر فيها المذهب الزيدي تدعى باليمن الأعلى.

وهو تقسيم قديم يسبق الإسلام، ومختلِف عن تقسيم اليمن الحديث إلى شمال وجنوب، وهذه المنطقة هيمنت على حكم اليمن منذ القرن السابع عشر وحتى الآن[5].

وطبيعة التحالف المكون في غالبيته من مراكز القوى في شمال الشمال اليمني، وذلك يعزز شعور الحركة الانفصالية في الجنوب لتطلق على مسلحي الجماعة تسمية: (قوى الاحتلال الشمالي).

كما أن تقديم جماعة الحوثيين كجماعة شيعية فتح الباب على مصراعيه لمختلف الصراعات الطائفية والجغرافية؛ حتى الهامدة منها لتطفو على السطح في جميع أنحاء البلاد[6].

❁❁❁

(١) ميساء شجاع الدين، المرجع السابق.

(٢) حسن أحمديان، «الموقف الإيراني من تطورات اليمن: وجهة نظر إيرانية»، الدوحة، مركز «الجزيرة للدراسات»، (٢٥/٦/٢٠١٥)، (ص٤٠).

(٣) ميساء شجاع الدين، المرجع السابق.

(٤) «مجموعة الأزمات الدولية، الحوثيون: من صعدة إلى صنعاء»، المرجع السابق، (ص١٣).

(٥) ميساء شجاع الدين، المرجع السابق.

(٦) سماء الهمداني وآدم بارون وماجد المذحجي، المرجع السابق، (ص٣).

شيعة غرب كردفان..
تمدد شيعي جديد في أرض النيلين

د. محمد خليفة صديق- كاتب سوداني

خاص بـ «الراصد».

بعد قرارات الحكومة السودانية بتجفيف منابع الشيعة بالسودان، وإغلاق مراكزهم الثقافية وإيقاف نشاطهم بالبلاد، وإغلاق السفارة الإيرانية بالخرطوم؛ توقف النشاط الشيعي العلني بالبلاد، ولكن تبيّن قبل فترة أن في مدينة (أبو زبد) بولاية غرب كردفان في الجنوب الأوسط للسودان وجودًا شيعيًّا، ومراكز شيعية مفتوحة، وأتباعًا للمذهب الشيعي، معروفين لجميع الأهالي هناك، يمارسون نشاطهم جهارًا نهارًا!

وهذا الوضع كان مستفزًا لأهل مدينة أبو زبد، فنظموا كثيرًا من الأنشطة المناهضة للتشيع، وبيان خطره على عقيدة الأمة وأخلاقها ووجودها.

▣ النشاط الشيعي .. البدايات والرموز:

تقع ولاية غرب كرفان في الجنوب الأوسط للسودان، تحدها من الشمال ولاية شمال كردفان، ومن الجنوب دولة جنوب السودان، ومن الشرق ولاية جنوب كردفان، ومن الغرب ولايتا شمال وشرق دارفور، وعاصمة الولاية هي: مدينة الفولة، وأهم المدن فيها هي: غبيش والنهود والخوي والأضية وأبو زبد والرهد وهجليج.

ترجع بدايات وجود التشيع في ولاية غرب كردفان ومدينة أبو زبد إلى عام (١٩٩٦م)، بزيارة قام بها لمدينة أبو زبد شيعي معروف بالخرطوم يدعى: جلال الدين، وهو متقاعد من الجيش السوداني، وكان يتردد على المركز الثقافي الإيراني بالخرطوم، وقام خلال تلك الزيارة بتأسيس الوجود الشيعي بالمدينة، وجنّد شخصًا يدعى: (عيسى مدني العنيني)، صار فيما بعد أبرز رموز شيعة الولاية ومدينة أبو زبد.

يقول إمام مسجد سلمان الفارسي شيخ الدين بلال عبيد:

«إن النشاط الشيعي -حاليًّا- انتقل إلى خارج أبو زبد جنوبًا، ووصل حتى منطقة لقاوة، ويتراوح عدد الشيعة في المنطقة ما بين (٢٠٠- ٢٥٠)، وخطورتهم تكمن في: استهداف طلاب المرحلة الثانوية والجامعية؛ حيث يقدمون لهم المساعدات المالية».

مؤكدًا أن هذا الفكر يعتمد في انتشاره على إغراء المال، وأن ثلاثة من أكبر التجار بسوق أبو زبد شيعة، ويعملون على استقطاب البسطاء بعاطفة العصبية والقبلية والولاء القديم، وأغلب المتشيعين هم من البسطاء وأصحاب المصالح الخاصة، وهم من الطبقة غير المستنيرة، ونشاطهم ضعيف (حسب رأيه!)، ولا يؤثر إلا على ضعاف النفوس والدين.

○ وفيما يلي وقفة مع أبرز رموز الشيعة بولاية غرب كردفان ومدينة أبو زبد، وهم:

أولًا: عيسى مدني:

تعود أصول عيسى مدني إلى دوله تشاد، المجاورة للسودان من جهة الغرب، وجاء هذا الرجل إلى السودان بعد أن تم طرده من تشاد لأسباب عقدية، وطاب له المقام بقرية الدبكر (١٧ كيلو شرق أبو زبد)، وكذلك تم طرده منها، فانتقل إلى مدينة أبو زبد، وعندما جاء إلى أبو زبد كان صوفيًّا ينتمي للطريقة التجانية، لكنه تحول لفكر آخر يسمى: (التربية)، وهو جزء من الفكر الصوفي، وهذا التحول أفقده كثيرًا من الأتباع الذين جاء بهم من تشاد.

بدأ مدني دراساته الإسلامية منذ عام (١٩٦٥م)، وبعد فترة صار عالمَ مدينة أبو زبد ومرجعها الديني، وقلّده السكان منصب الفتوى في عام (١٩٧٠م)، ولم توجه له انتقادات فيما يصدر عنه من فتاوى.

ويقول عبد الدائم تاج الدين أحمد -إمام وخطيب مسجد الأنصار بالمدينة-: «إن مدني كان مفتي المدينة، ومن أئمة التصوف البارزين، ولكن بعد نشرِه كتابًا لأحد مرجعيات الشيعة الإمامية اجتمع الصوفية بالمدينة، وألغينا دوره كمفتٍ، وتم فصله من

الطرق الصوفية، وخاطبنا الأوقاف بذلك، وأبلغنا الحكومة بكافة مستوياتها بأن هذا الرجل خرج عن إطار التصوف الحق المبني على الكتاب والسنة، ودخل في مذهب الإمامية الجعفرية، ونشرنا هذا القرار في الوسائط الإعلامية، ونظّمنا ندوات لتنوير المواطنين والطلاب والطبقات المستنيرة بذلك، وعملنا على مقاطعته اجتماعيًّا».

وقال: «كنتُ أفتي على مذهب الإمام مالك، ولكن الآن أفتي على مذهب الشافعي، وأحمد بن حنبل، وأبي حنيفة، وزيد بن علي، وجعفر الصادق، والظاهري، وأبحث لأرى أين الحق فأتّبعه، ولا أتقيد بكتاب معين، بل الكتاب والسنة، لاعتقادي أن كل ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل، وما وافقهما فهو الحق، وفي بحثي لا أعتمد على مذهب واحد، بل أرى ما هو أقوى دليلًا ونصًّا فأعمل به».

حاول مدني الانضمام لجماعة أنصار السنة وفشل، ثم انضمّ للحركة الإسلامية، وكان من المرشدين في معسكرات الجهاد في التسعينيات، وفي فترة المفاصلة داخل حزب المؤتمر الوطني الحاكم انضم لحزب المؤتمر الشعبي المعارض بقيادة د. حسن الترابي، وعاش فترة من الفراغ لقلة نشاط الحزب هناك، وهذا ما جعله يوافق مباشرة بمجرد أن عُرضت عليه فكرة الانضمام إلى الشيعة.

ويقول عنه د. عمار صالح - مدير المركز الإسلامي للدعوة والدراسات المقارنة بالسودان -: «هذا الرجل حيثما ذهبنا إلى مكان في كردفان وجدنا آثاره، وقد وجدنا له أثرًا واضحًا في مدينة لقاوة، فقد استطاع تجنيد بعض الأشخاص الذين يعملون في مراكز حساسة هناك، ومنهم شخص مسئول في منظمة كبيرة فرع لقاوة، والآن بدأوا يتكتلون في مدينة النهود وما حولها، ولهم اتصالات خارجية».

وفي منشور مطبوع ومتداول في مدينة أبو زبد، كتبه أمير سيد أحمد عطا السيد من أبناء المنطقة قال: «إن الرجل يتمتع بذكاء خارق ساعده على نشر التشيع بصورة كبيرة، وإنه تزوج من معظم القبائل الموجودة بالمنطقة لتتوفر له الحماية، وصاهر العُمد والشخصيات النافذة ليضمن عددًا من الأتباع، وأنه يجيد المراوغة ويتعامل بالتقية، فأحيانًا يزعم أنه من أتباع الطريقة التيجانية، وتارة أنه من أهل السنة أو من جماعة الإخوان المسلمين!

كما تم ترشيحه لتمثيل حزب المؤتمر الوطني الحاكم في المحلية، مما أتاح له فرصة جيدة ليعمل تحت غطاء هذا الحزب، ويخرج مع أتباعه علنًا لإحياء ذكرى عاشوراء، وإقامة طقوس شيعية أسبوعية، وذلك قبل قطع العلاقات مع إيران، أما الآن -والكلام لأمير- فهو يتعامل بالتقية، ويقيم الاحتفالات في أماكن مغلقة، ولا يعمل الرجل في أي مهنة، ولا يخرج من مكتبته التي بها كل كتب الشيعة، وكتب السنة ليجادل بها من يناظره، وله أبناء صغار يسبّون الصحابة، ويكفّرون أبا بكر وعمر علنًا.

كما يكفل الرجل عددًا من طلاب كلية الشريعة والقانون في بيته، وجعلهم يتركون داخلية الجامعة، ليقيموا معه؛ لينهلوا من معين الشيعة الروافض، وقيل: إن حوالي (٣٠) منهم تشيعوا، وقد ابتعث عددًا من الشباب صغار السن إلى إيران بعد الشهادة السودانية، وسافروا إلى مدينة قُم ليدرسوا منهج التشيع، وهم الآن يشكلون القنبلة الموقوتة في المنطقة بعد عودتهم لديارهم.

ويسافر عيسى مدني كثيرًا إلى إيران ولبنان، ويتمتع بعلاقات مع زعماء الشيعة في أنحاء العالم.

من أبرز ملامح عقيدة وفكر عيسى مدني: أنه يطعن في «صحيح البخاري»، ومن مقولاته: إن أبا بكر رضي الله عنه قتل الصحابة! ومعلوم أن الصديق رضي الله عنه قاتل المرتدين، ومن مقولاته: إن الله لم يرضَ عن الصحابة أجمعين، ومن ممارساته العملية أنه يمسح في الوضوء من غير جوارب ولا خفّ، وهذه أعمال الشيعة المعروفة في مذهبهم.

صار لعيسى مدني أتباع كثر بالمنطقة، منهم (م.أ) الذي له مركز شيعي يسمى: «مركز الحسيني»، تقام فيه الاحتفالات

ومناسبات الشيعة، ويعدّ هو المركز الثاني للشيعة في أبو زبد، وتتم الآن توسعته ليستوعب المناسبات الشيعية التي تقام فيه بحضور الأتباع من الداخل والخارج، ومن أتباعه اللامعين العمدة (ع.ح) والعمدة (م.أ)، و(م.ع.س)، و(ع.س)، و(ع.ك)، و(ر.ع) وهو إمام مسجد بالسوق الشعبي، وفي منطقة الدبكر القريبة من أبو زبد و(أ.ش)، و(ع.د) وغيرهم».

ثانيًا: مهدي جمعة:

استطاع عيسى مدني تجنيد بعض النافذين في المدينة مثل: مهدي جمعة -أمين مكتبة كلية الشريعة والقانون بجامعة غرب كردفان-، وهو الذي ساهم في دخول كتب الشيعة لمكتبة الكلية، وقد ذهب إلى إيران أكثر من مرة.

وتقول أمينة مكتبة كلية الشريعة والقانون: «إن (مهدي جمعة) زميل لهم في المكتبة، وهو ينتمي للشيعة، ولكنهم لا يناقشونه في أفكاره»، وعن دخول بعض الكتب الشيعية إلى المكتبة قالت: «عند بداية تأسيس المكتبة فإن الكتب التي وردت للمكتبة كان من بينها كتب شيعية، وكان يجلبها مهدي جمعة لمكتبة الكلية، لكنه مُنع من قبل إدارة الجامعة، وتم عزلها في حينه، والآن لا توجد كتب شيعية».

وقد تقدم بعض الطلاب من أهل السنة بشكوى لإدارة الجامعة حول وجود كتب تدعو للمذهب الشيعي في مكتبة الكلية، فتم إخراج الكتب من المكتبة، ولم يتم حرقها، بل تم تسليمها لمهدي جمعة، وقد جعلها الرجل في بيته ليحصل عليها من أرادها في أي وقت.

ثالثًا: محمد إسحاق:

الشيخ محمد إسحاق هو أحد الذين جنّدهم مدني، وهو تاجر في سوق أبو زبد، وينتمي للطريقة التجانية منذ الصغر، يقول عن نفسه: «شيخنا أحمد التجاني من الأشراف المنسدلين من ذرية سيدنا الحسن بن علي، وبالتالي التجانية يعظمون الأشراف لأنهم من نسل الرسول ﷺ».

ومن مقولات محمد إسحاق: «في الحديث الشريف الرسول ﷺ قال لسيدنا علي: «**لا يحبّك إلا مسلم، ولا يبغضك إلا منافق**»، وكوننا نحب عليًّا أو نبقى من شيعته ليس هنالك عيب، مؤكدًا أنهم لا يتفقون مع من يسبّ الرسول أو أصحابه، بل ولا يقبلون حتى سب المسلم لأخيه المسلم».

وعن الطعن في أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، يقول محمد إسحاق: «إنها أمّنا، ولا يمكن أن يتحدث الإنسان في أمه»، وعن زوجات الرسول قال: «هن (معصومات) لا يمكننا أن نتحدث فيهن»، وعن صحابة رسول الله قال: «إنهم مكرمون ولهم اعتباريتهم، ولا أحد يتجرأ على سبّهم».

وقد تم ابتعاث أحد أبناء محمد إسحاق للدراسة في إيران في حوزة «قُم» المقدسة لدى الشيعة! وكانت تقام كل المناسبات والحولية الحسينية واحتفالات الموالد بزاوية محمد إسحاق.

▣ المؤسسات والمناشط الشيعية بغرب كردفان:

يعتبر مركز ومجمع عيسى مدني هو أكبر مركز للتشيع بمدينة أبو زبد بولاية غرب كردفان، وقد أطلق عليه اسم: «مركز جعفر الصادق»، ويتكون هذا المركز من مسجد وخلوة (كُتّاب لتحفيظ القرآن الكريم)، ومكتبة ضخمة غنية بالكتب والمراجع الإسلامية، تمثل مرجعًا لكل الطلاب الباحثين وطلاب العلم في المدينة، ويحوي المجمع -أيضًا- داخلية طلاب، كما عمل مدني على توسعة المسجد، وحفر بئرا إرتوازية لمد المجمع بالمياه.

وبعد انضمامه للشيعة كوّن مكتبة أخرى حوت كتب ومراجع الشيعة، وتعتبر هذه المكتبة أكبر وأضخم مكتبة شيعية بغرب السودان، وقد تم بناؤها بطريقة متينة وحديثة، يتضح منها الدعم المادي الذي يتلقاه هذا الرجل من إيران ولبنان، وشيعة الكويت.

وأنشأ مدني كذلك مستوصفًا طبيًّا بواسطة أحد الشيعة الكويتيين، كما تم جلب عربة له لتمكينه من متابعة وتوسيع نشاطه

في الدعوة للتشيع، وأتيحت له فرص بعثات خارجية لطلابه إلى إيران، كما أتيحت له زيارة إيران مرتين ولبنان وقابل زعيم حزب الله اللبناني حسن نصر الله.

أما المركز الثاني للشيعة داخل مدينة أبو زبد فهو: المركز الذي يسمى: «مركز الحسيني»، وتقام فيه الآن المناسبات الشيعية بحضور الأتباع من الداخل والخارج، ويتميز «مركز الحسيني» بنشاط شيعي كثيف، وصاحبه ذو إمكانيات مالية كبيرة، ويعتبر المموّل الرئيس للتشيع بالمنطقة كلها، وقد أصدر مؤخرًا كتابًا أسماه: «مَن هم أهل البيت؟».

ومن أبرز مناشط الشيعة: ابتعاث الطلاب إلى إيران، وقد اعترف عيسى مدني أن لديه أبناء يدرسون هناك، وقد وصف ذلك الابتعاث أنه في إطار ضيق، وهم جميعًا لا يتعدون (١٠) طلاب، اثنان منهم من أبناء مدني نفسه، وذلك للاستفادة من الفرص المجانية التي أتاحتها إيران في ذلك الوقت، عندما كانت العلاقات بين السودان وإيران جيدة.

ومن أبرز مناشطهم كذلك: إقامة كل المناسبات الحولية الحسينية، واحتفالات الموالد لأئمة الشيعة، وتوجد حسينيات في أماكن غير معلومة في مدينة أبو زبد وما جاورها.

▣ خلاصة:

يتضح من خلال ما سبق: الوجود الشيعي الكبير في منطقة غرب كردفان، وهو ما يقتضي ضرورة تجفيف منابع الشيعة، ومتابعة قنوات تمويلهم الذي يساهم في توسع نشاطهم بالمنطقة، وأن يسعى سكان المنطقة والحكومة للتحرك لإدراك ما يمكن إدراكه قبل استفحال انتشار هذا الفكر الضال!

ويحمّل كثير من المراقبين الحكومة المحلية في المنطقة، ورئاسة ولاية غرب كردفان والحكومة في الخرطوم مسؤولية انتشار هذا الفكر، حيث لم يتم تنفيذ توجيهات رئاسة الجمهورية الآمرة بإغلاق مراكز الشيعة بالسودان؛ حيث لم يطبق هذا التوجيه بمدينة أبو زبد، حيث ظلت دعوة الشيعة مستمرة ومراكزهم مفتوحة واحتفالاتهم جهارًا نهارًا، ولم تضع الحكومة يدها على «مركز جعفر الصادق» بالمدينة و«مركز الحسيني» وغيرهما من المؤسسات.

وحذر مراقبون من التساهل مع الشيعة، والذين تتوسع دائرتهم يومًا بعد يوم، وطالبوا بضرورة الإسراع بإغلاق مركزهم وتوقيف نشاطهم، ووضعهم تحت المراقبة المكثفة، وحذروا من خطورة أن يتمدد الفكر الشيعي في السودان من هذه المدينة!

مراجع:

١ - «صحيفة الصيحة السودانية»، بتاريخ: (الجمعة، ٩ يونيو ٢٠١٧م)، سلسلة حلقات بعنوان: (الصيحة تقتحم معاقل الشيعة بغرب كردفان).

٢ - «حوار مع د. عمار صالح»، مدير المركز الإسلامي للدعوة والدراسات المقارنة بالسودان.

٣- «قصّة الشيعة في (أبو زبد)»، منشور بتاريخ (١١ مارس ٢٠١٣م)، على الرابط:

http://sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/٢bb.cgi?seq=msg&board=٤٥٠&msg=١٣٨٣٥٦٢٥٣٦&rn=

الاغتيال السياسي في إيران .. الملالي ومواجهة المختلفين

أسامة الهتيمي - كاتب مصري

خاص بـ «الراصد».

تفتح قضية اغتيال المعارض ورجل الأعمال الإيراني سعيد كريميان في مدينة إسطنبول التركية نهاية شهر (إبريل) الماضي من جديد: ملف الاغتيالات السياسية في إيران، والذي بالنظر في صفحاته المتخمة بالأحداث والقضايا يتكشف إلى أي مدى يمكن أن يوصف نظام الملالي منذ أن وصلوا لحكم البلاد عام (١٩٧٩م) بالعنف والدموية، ليس فقط تجاه هؤلاء المختلفين معهم على مستوى التوجهات الأيدلوجية، بل ومع أي شخص

راودته نفسه بأن يعرب عن تباين -ولو بقدر ضئيل- مع ما يتبناه المرشد وقادة الثورة المزعومة!

فضلًا عن تلك الاغتيالات التي تأتي على خلفية دوافع قومية أو عرقية، أو حتى بحقّ هؤلاء الذين اعتبرهم الملالي عقبات تعرقل تنفيذ مشروع تصدير ثورتهم، فهم لا يترددون في استهداف أي شخص؛ ولو كان من غير الإيرانيين.

وبغضّ النظر عن كون إيران واحدة من الدول الراعية للإرهاب، أو تصنيفها باعتبارها الثانية عالميًّا من حيث عدد الإعدامات بعد الصين، والأولى بحسب نسبة السكان، وهي الإعدامات التي تتم وفق محاكمات علنية؛ رغم أنها ناقصة وغير نزيهة؛ حيث لا يتوافر فيها للمتهمين الحد الأدنى من الحقوق القانونية، إلا أن الاغتيالات السياسية التي نعنيها هنا هي: عمليات القتل التي تتم وفق قرارات خاصة بقتل شخص بعينه خارج دائرة القانون الذي يفترض أن يتم التحاكم إليه.

فهي -إذن- قرارات تتخذ بحق المستهدفين ليست لها معايير قانونية، ويغلب عليها هوى متخذيها الذين لهم وحدهم حق اتخاذ قرارًا تقتل المستهدفين في الزمان والمكان اللذين يحلو لأصحاب القرار اتخاذهما، ودون أن يعلم الضحايا الأسباب وراء قرار اغتيالهم!

ومن ثم؛ وفي هذا الإطار، فإنه ليس من المبالغة في شيء الاعتقاد بأن أعداد الذين تعرضوا لعمليات اغتيال سياسي بيد السلطة الإيرانية وعبر رجالها؛ سواء كان ذلك في إيران أو في خارجها، والذين بلغوا وفق ما تم تسجيله عشرات الآلاف، يرقى لجعل إيران الدولة الأولى عالميًّا في معدل الاغتيال السياسي -إن كان ثمة قائمة عالمية بذلك-.

الأمر الذي يطرح علامات استفهام وتساؤلات جديدة تضاف لغيرها حول حقيقة الموقف الدولي ممّا يحدث في إيران؟ ولماذا لا يتم التحرك فعليًّا من أجل محاسبتها على كل هذه الانتهاكات التي تجري بحق الإيرانيين أو غيرهم من خلال هذه السلطة، في الوقت الذي لا يتردد للحظة واحدة هذا المجتمع الدولي بمؤسساته ومنظماته في أن يثير العواصف إذا ما وقعت حادثة انتهاك هنا أو هناك في البلاد العربية أو الإسلامية الأخرى؟

إن ذلك -بكل تأكيد- يعكس إلى أي مدى تصبح المصالح هي المهيمنة على القيم والمبادئ، والتي تجعل من هذه المؤسسات نماذج للكيل بمكيالين؛ حتى إذا ما تضاربت المصالح أو دعت الحاجة لاستدعاء هذه الانتهاكات فإنه في هذه الحالة يمكن استخدامها من قبل القوى الدولية كورقة ضغط لتحقيق أهداف بعينها ليس إلا، ودون حل جذري للقضية.

وما ذهبنا إليه ليس تجنيًّا على المجتمع الدولي، بل هو أقل ما يمكن أن نصف به مجتمعًا تخلى عن دوره في حماية حقوق الإنسان في بلد يمارس كل أنواع الإيذاء البدني والنفسي تجاه كل مَن يعارضه أو يختلف معه قيد أنملة! متشدقًا بشعارات يلبسها ثوب دين هو في قيمه وتشريعاته أفضل نموذج على الأرض للتعددية وقبول الآخر، واحترام الآراء، وتقدير الاختلاف، فارتكب بأفعاله هذه جريمتين كبيرتين استحق بهما العقاب:

أولاهما: الإساءة للإسلام.

وثانيتهما: تلك الانتهاكات بحق الضحايا.

وهو ربما ما دفع البعض إلى مظنة أن تتم مطالبات بمحاكمة قادة إيران المسئولين عن هذه الجرائم!

○ فتاوى واعترافات:

يعلم كل المتابعين للشأن الإيراني أنه: ووفق النظام السياسي الحاكم في البلاد؛ فضلًا عن الدستور فإن كل سلوك أو تصرف يصدر عن أية جهة في الدولة الإيرانية يجب أن يحظى برضا وقبول من قبل المرشد الأعلى للثورة، ومن ثم فإنه ليس هناك جهة إيرانية قادرة على اتخاذ قرارات بإعدام أشخاص بعينهم دون العودة إلى مرشد الثورة، بل وبإصدار فتوى منه شخصيًّا.

ولعل الفتوى التي أصدرها المرشد الأول للثورة

الخميني عام (١٩٨٦) بشأن اغتيال الدكتور كاظم رجوي نموذج على ذلك، والتي جاءت عقابًا لرجوي على دوره في فضح ملف الانتهاكات الحقوقية في إيران، والتي كان من آثارها: المصادقة على أول قرار إدانة لانتهاك حقوق الإنسان من قبل نظام الملالي في «الجمعية العامة للأمم المتحدة» في خريف عام (١٩٨٥)، الأمر الذي أجّج نار الغضب في صدر الخميني وأعوانه؛ فأصدر فتواه تلك.

كذلك يعلم الجميع: أن المذبحة المروّعة التي وقعت في السجون الإيرانية في صيف عام (١٩٨٨)، وراح ضحيتها عشرات الآلاف من المعارضين الإيرانيين كانت بأمر مباشر من الخميني، فيما أن الذين تولوا أمر تنفيذها أصبحوا فيما بعد يحتلون مناصب مهمة في الدولة الإيرانية؛ فأحدهم: أصبح نائبًا لرئيس المحكمة العليا للبلاد، وزعيم العتبة الرضوية، ومرشحًا لخلافة علي خامنئي، وآخر: يتولى وزارة العدل في حكومة روحاني، وثالث: يدير مكتب محاماة في طهران.

وكانت قد أسفرت حادثة الاغتيالات التي استمرت لنحو خمسة أشهر متواصلة عن اندلاع أعمال عنف وشغب في ربوع إيران برغم محاولات النظام أن تمر في سرية تامة؛ مع إنكارها المستمر وخلق أسباب لتبرير إقدام النظام عليها، غير أن منظمات حقوق الإنسان المحلية والدولية رفضت تبريرات النظام، وعلى رأس تلك المنظمات «العفو الدولية» التي أكدت رسميًّا اختفاء أكثر من (٤٤٨٢) سجينًا، فيما أشارت جماعات المعارضة الإيرانية إلى أن عدد السجناء الذين تم إعدامهم أكبر بكثير مما ذكرته المنظمة، في إشارة إلى أن النظام الإيراني أعدم ما بين (٨) آلاف إلى (٣٠) ألف سجين سياسي.

وحاول النظام الإيراني أن يروج لأسباب تبرر هذه الاغتيالات بحق المعارضة السياسية؛ فادّعى أن الضحايا ينتمون لحركة «مجاهدي خلق»! وذيلت ذلك بكونهم إرهابيين، مستندًا في ذلك لفتوى الخميني التي صدرت قبيل الحادثة بوقت قصير، وذلك لإضفاء الشرعية على الحادثة.

وقد جاء فيها: أن «أعضاء مجاهدي خلق يحاربون الله، واليساريون مرتدّون عن الإسلام»، وأن «أعضاء منظمة مجاهدي خلق لا يعتقدون بالإسلام، وإنما يتظاهرون به، وبالتالي نظرًا لشنّ منظمتهم الحرب العسكرية على الحدود الشمالية والغربية والجنوبية لإيران، ولتعاونهم مع صدام في الحرب والتجسس ضد إيران، ولصِلتهم مع القوى الغربية للمطالبة بالاستقلال؛ فإن جميع أعضاء منظمة مجاهدي خلق الذين ما زالوا يدعمون (خلق) ومواقفها فهم مشمولون باعتبارهم مقاتلين أعداء، ونحتاج إلى تنفيذ أحكام الإعدام بشأنهم»[1].

وكان الإيراني نيما سرفستاني قد استعرض وثيقة فتوى الخميني في فيلم وثائقي تحت عنوان: «أولئك الذين قالوا: لا للملالي»، قدّمه في ألمانيا، ووثق خلاله الجرائم التي ارتكبها النظام في إيران بعد قيام ما يسمى بـ «الجمهورية الإسلامية» عام (١٩٧٩).

كذلك؛ فقد تم في عهد الرئيس الإيراني محمد خاتمي تسريب قائمة تقضي باغتيال (١٩٧) مثقفًا وكاتبًا، استنادًا إلى فتاوى صادرة عن علماء شيعة من أمثال: مصباح يزدي، وجنتي، وآخرين.

وبحسب وسائل إعلامية؛ فقد اعترف التلفزيون الرسمي الإيراني -وللمرة الأولى- خلال شهر (فبراير) الماضي بتنفيذ عمليات اغتيال لمعارضي النظام خارج البلاد على يد عملاء له، وذلك ضمن برنامج حواري حضره أنيس النقاش المعروف بتدريبه لعماد مغنية -القائد العسكري السابق لميليشيات حزب الله اللبناني-.

ففي هذا البرنامج أشار النقاش إلى أنه كان مسجونًا في فرنسا، عندها تدخل المذيع الإيراني وحيدي أمينبور المنتمي إلى

---

(١) http://cutt.us/٣hl٥

التيار الأصولي والمعروف بعلاقاته مع الأجهزة الأمنية الإيرانية موضحًا سبب اعتقال أنيس النقاش في فرنسا؛ فقال المذيع: «بعد مرور عام من الثورة الإيرانية ذهب أنيس النقاش إلى فرنسا لاغتيال رئيس وزراء الشاه شابور بختيار، وأن العملية لم تتكلل بالنجاح، واعتُقل إثرها أنيس النقاش، وسُجن عدة سنوات».

وكان وزير الاستخبارات الإيراني محمود علوي قد اعترف هو الآخر في عام (٢٠١٤) بـ «تنفيذ اغتيالات ضد معارضين لنظام الجمهورية الإسلامية في الخارج»، ضمن نشاطات وزارته خارج البلاد؛ حيث أكد أن «الاغتيالات شملت زعيم جيش النصر البلوشي عبد الرؤوف ريغي، وابن شقيقه، وأشخاص آخرين في باكستان»[١].

بل إنه وفي عام (١٩٨٥م) نشرت صحيفة «كيهان» تصريحًا لقائد الحرس الثوري -آنذاك- محسن رضائي ألقاه في المؤتمر الوطني للطلاب جاء فيه: «إننا نحكم من خلال الإرهاب»، ومضيفًا في موضوع آخر من التصريح: «لقد نشرنا إرهابًا مكّننا من التحكم في المعارضين».

يضاف إلى ذلك: تلك الأنباء التي تتوارد من إيران بين الحين والآخر حول قيام السلطات الإيرانية بتدمير مقابر جماعية تضم رفات العشرات بل والمئات من الذين تعرضوا للموت خارج دائرة القانون، ومن ذلك: ما تم الكشف عنه في أول (يونيو ٢٠١٧)؛ حيث اتهمت «منظمة العفو الدولية» السلطات الإيرانية بتدنيس حرمة مواقع قبور جماعية تحوي رفات أربعة وأربعين شخصًا على الأقل من عرب الأحواز، تمت تصفيتهم في ثمانينيات القرن الماضي.

وأكدت المنظمة في تقرير صادر عنها: أن تدمير وإزالة تلك المقبرة الجماعية أو غيرها سيمحو كافة الأدلة الشرعية المتوفرة، ويقطع الطريق على أي محاولة مستقبلية لمساءلة مرتكبي جرائم القتل الجماعي والتصفية العرقية بحق المعتقلين في تلك الفترة أو تقديمهم للعدالة.

والمقبرة الجماعية -التي تبعد نحو (٣) كيلومترات عن مقبرة بيهيشت آباد- ليست الوحيدة التي يتم طمس معالمها! حيث أفادت منظمة العدالة لإيران بأن مقبرة جماعية أخرى تضم رفات أكثر من (١٧٠) معتقلًا سياسيًّا قرب مشهد تتعرض -أيضًا- لمحاولات حثيثة من أجل العبث بها، وإخفاء الحقائق التي دفنت مع الضحايا فيها[٢].

○ اغتيال المثقفين:

الاغتيالات التي تعرض لها المثقفون والسياسيون الإيرانيون أكثر من أن يكون بمقدورنا حصرها! ذلك أن مسلسل استهداف هؤلاء بدأ مع وصول الخميني للحكم في نهاية السبعينيات من القرن الماضي وحتى الآن، إذ يبرز من هؤلاء: زعيم حزب الشعب الوطني داريوش فروهر، وزوجته براونة؛ اللذين قتلا عام (١٩٨٩م)، والكتاب مجيد شريف، ومحمد مختاري، ومحمد جعفر بونيده؛ الذين قُتلوا بصورة بشعة بأمر من سعيد إمامي -نائب وزير الاستخبارات السابق علي فلاحيان-، بالإضافة إلى الكاتب سعيدي سيرجاني؛ الذي قتل في السجن عام (١٩٩٤م)، والفنان الإيراني فريدون فرخ زاد؛ الذي كان يعتبر من وجوه الشاشة الإيرانية في عهد الشاه.

وفي مقال للكاتب التونسي العفيف الأخضر، نشر عام (١٩٩٩م) كشف فيه: أن عضو البوليس السري الإيراني «السافاك» الذي فرّ إلى ألمانيا محمد عامريان أكّد أنه بعد جمع المعلومات حكمت «اللجنة السرية» غيابيًّا على (١٨٠) مثقفًا بالإعدام؛ لاقترافهم جريمة «عدم التطابق مع النظام»!!

وفي دراسة للباحث المتخصص في الشأن الإيراني علاء إبراهيم حبيب؛ والتي جاء عنوانها: «نظام الملالي في إيران وجرائم

(١) http://cutt.us/g٠hvu

(٢) http://cutt.us/KxaVF

اغتيال المثقفين»[1] رصد خلالها الباحث أسماء العديد من المثقفين الإيرانيين الذين تعرضوا للاغتيال طيلة أكثر من (٣٥) عامًا، وخلال عهدي الخميني وخامنئي؛ فضلًا عن الفترات الرئاسية لكل الرؤساء الإيرانيين، وهي الجرائم التي قام بعض الباحثين والكتاب بتوثيقها في مؤلفاتهم، ومنها: كتاب «شهادات واقعية من داخل إيران» لعبد المنعم الجبيلي، وكتاب «الاغتيالات السياسية في إيران» للدكتور أحمد الشاذلي، وكتاب «الثورة البائسة» للدكتور موسى الموسوي.

ونقل الباحث عن دراسة نشرتها «صحيفة العرب» في (أكتوبر ٢٠١٦م) تحت عنوان: «التنوع العرقي في إيران مصدر أزمة»، أكد خلالها مدير حملة استقلال بلوشستان في إيران محراب سرجو: أنه خلال عام (٢٠١٦) قُتل نحو (٥٠) شخصًا عن طريق إطلاق النار على مختلف نقاط التفتيش الأمنية في بلوشستان، فيما أشار إلى أن ناشطًا من البلوش أخبره بأن كثيرًا من طلبة العلم البلوش يختفون في ظروف غامضة!

وحول عهد الخميني (١٩٧٩-١٩٨٩) أوضحت الدراسة: أن الخميني كان على شعبه أشد وطأةً وظلمًا من سلفه الشاه، وأن عدد الذين تم اغتيالهم من (١٩٧٩م) وحتى (١٩٨٨م) أكثر من خمسين ألفًا، من ضمنهم آلاف المثقفين.

ومن نماذج الضحايا: الأديب والشاعر الأحوازي نبي كريم هاشم النيسي، وهو من مدينة الحويزة التاريخية، حيث تم اغتياله بأوامر من الخميني، وقد نصب له كمين وهو في طريق عودته من أمسية شعرية أقيمت في جزيرة (صلبوخ).

وأوضحت الدراسة: أن هاشمي رفسنجاني (١٩٨٩-١٩٩٧) ركز على اغتيال رموز المعارضة الإيرانية خارج الحدود الإيرانية.

فيما باشر عهد خاتمي (١٩٩٧-٢٠٠٥) بدوره عمليات الاغتيال التي شملت المثقفين والسياسيين، فتم تصفية العشرات منهم، وهي العمليات التي عرفت آنذاك بـ «الاغتيالات المتسلسلة»، ومن بينهم: الكاتب والصحفي العربي الأحوازي يوسف عزيزي بني طرف.

ورأت الدراسة: أن عهد أحمدي نجاد (٢٠٠٥-٢٠١٣م) هو عهد اغتيال الشعراء، إذ تمّ في مارس من عام (٢٠٠٨م) اغتيال ثلاثة شعراء عرب من الأحواز المحتلة في ليلة واحدة، هم: طاهر سلامي، وعباس جعاوله، وناظم هاشمي، بعد عقدهم أمسية شعرية في مدينة دينة معشور.

كما أنه وفي عام (٢٠١٢م) تم اغتيال الشاعر منان بن صياح -الذي اشتهر بقصائده الثورية-، وهو في الطريق إلى أمسية شعرية.

وبعدها بعام واحد تم اغتيال الشاعر سعيد جاسم عباس، بعد حضوره لأمسية شعرية في إحدى المدن الأحوازية.

أما عهد حسن روحاني -الذي يتولى الرئاسة الإيرانية منذ عام (٢٠١٣)-؛ فقد وصلت فيه عمليات الاغتيال السياسي إلى حد غير معقول؛ خاصة المثقفين في كل من العراق وسوريا واليمن ولبنان!

○ استهداف الدبلوماسيين:

ووصلت الدموية الإيرانية إلى حد استهداف الدبلوماسيين التابعين لبعض الدول التي تنظر إليها إيران كأعداء، فحاولت اغتيال السفير السعودي في واشنطن عادل الجبير، في (الحادي عشر من أكتوبر عام ٢٠١١)، وهي المحاولة التي تم تسميتها في وسائل الإعلام: «بمؤامرة الاغتيال الإيرانية»، و«مؤامرة إيران الإرهابية»، في حين سمى مكتب التحقيقات الفيدرالي المؤامرة: بـ «عملية التحالف الأحمر».

وتم بعد إجهاضها القبض على المواطنين الإيرانيين غلام شكوري ومنصور أربابسيار، واتهامهما من قبل المحكمة الاتحادية في نيويورك بالتآمر لاغتيال السفير السعودي عن طريق تفجير المطعم المتواجد فيه، وبعد ذلك التوجه للسفارة السعودية

(١) http://akhbar-alkhaleej.com/news/article/١٠٤٨٣٠٦

وتفجيرها -أيضًا-، فيما اعترف المتهمان بأنهما خططا بالفعل لتفجير السفارة السعودية.

وكانت إيران تسعى من وراء هذه العملية -ووفق تقارير إعلامية وقتها- للعمل على تسريع وتيرة الثورة في البحرين بطرق تمت مناقشتها ووضعها في قمة أولويات لجنة خاصة تنسيقية، برئاسة علي أصغر حجازي، وتحت إشراف المرشد الأعلى علي خامنئي، فيما أن مخطط الاغتيال كان بمباركة وموافقة علي خامنئي نفسه.

أما السبب الآخر فهو: أن الجبير كان يتنقل يوميًّا بين أروقة الكونجرس الأمريكي والدوائر الحكومية مثل: وزارة الخارجية، ومجلس الأمن القومي؛ لإطلاعهم على ما يحدث في سوريا[1].

وبالطبع ليست محاولة اغتيال الجبير هي المحاولة الأولى أو الوحيدة؛ فقد تم الكشف مرارًا عن تورط إيران في محاولات اغتيال دبلوماسيين سعوديين وغيرهم، ضاربة عرض الحائط بكل الأعراف والقوانين الدولية التي تشدد على الحفاظ على حياة الدبلوماسيين والسفراء والبعثات والمقرات الدبلوماسية!

ومن أمثلة هذه المحاولات: محاولة اغتيال السفير السعودي في العراق ثامر السبهان، على يد عناصر تتبع لميليشيات عراقية طائفية كـ «عصائب أهل الحق» و«كتائب خراسان»، ومحاولة اغتيال (٤) دبلوماسيين سعوديين في تايلاند وهم: عبد الله المالكي، وعبد الله البصري، وفهد الباهلي، وأحمد السيف، في الفترة من (١٩٨٩-١٩٩٠)، وكذلك محاولة اغتيال الدبلوماسي السعودي حسن القحطاني في مدينة كراتشي عام (٢٠١١م)، واختطاف وقتل عدد من الدبلوماسيين الأمريكيين في لبنان عام (١٩٨٩م)، ومحاولة اغتيال مسؤولين ودبلوماسيين أمريكيين في باكو -عاصمة أذربيجان- عام (٢٠١٢م)، وغير ذلك من عشرات حوادث الاعتداء على السفارات والدبلوماسيين الأجانب.

(١) http://cutt.us/yZJhH

القتل المعنوي:

ولم يكن الاغتيال الجسدي وحده هو وسيلة الملالي لفرض السيطرة على الشعب الإيراني، بل لجأ الملالي -أيضًا- إلى القتل المعنوي كوسيلة للتعامل مع الرفقاء الذين تجرؤوا يومًا على أن يتخذوا مواقف أو يتبنوا آراء تختلف عن تلك التي يجب أن يلتزموها!

وقد طال هذا السلوك السياسيين والعلماء والفنانين؛ وحتى المعممين من علماء الدين الشيعة، بل وأحيانًا مَن هم برتب علمية أعلى من خامنئي نفسه! والذين تعرض بعضهم بالفعل لاغتيال جسدي، فيما تعرض آخرون لاغتيال معنوي؛ حيث فُرضت عليهم الإقامة الجبرية؛ فمنهم من مات، ومنهم من بقي في السجن حتى اللحظة مثل: المرجع كاظمي بروجردي؛ الذي مضى عليه ثماني سنوات في السجن، ومورس ضده أنواع التعذيب النفسي والجسدي بوضعه في الزنزانات الانفرادية، ومنع الدواء والعلاج عنه، مما تسبب له بالعديد من الأمراض، فيما منع من حضور دفن والدته التي توفيت كمدًا عليه[2].

ويبرز من السياسيين الذين هم أبناء المؤسسة الحاكمة في إيران وإن حُسبا على ما يسمى بـ (التيار الإصلاحي) كل من: مير حسين موسوي، ومهدي كروبي؛ اللذين يخضعان للإقامة الجبرية منذ ست سنوات، عقابًا لهما على تشكيكهما بنتائج الانتخابات التي خاضاها ضد أحمدي نجاد عام (٢٠٠٩)، ومشاركتهما في الاحتجاجات على خلفية هذه الانتخابات، وهي العقوبة التي اعتبرها البعض رأفة بهما! إذ كان يمكن أن يعدما بتهمة الفتنة.

وبالطبع؛ فإن ما تعرض له موسوي وزوجته -زوجته زهراء رهنورد-، ومهدي كروبي هو شكل من أشكال الاغتيال المعنوي؛ إذ توارد أن شرط النظام الإيراني لكي يرفع عنهما الإقامة

(٢) http://elaph.com/Web/opinion/٢٠١٥/١/٩٧٦٠٦٧.html

الجبرية هو: إعلانهما صراحة الانسحاب من الحياة السياسية، وهو ما يعني: الخيار بين استمرار حبسهما حتى الموت أو نهايتهما سياسيًّا.

ومن النماذج البارزة -أيضًا- للاغتيال المعنوي: المعمم حسين علي منتظري؛ والذي كان قد تم انتخابه نائبًا للولي الفقيه بعد الثورة، ولكن تم عزله بسبب معارضته للإعدامات في إيران عام (١٩٨٨)، فظل مهمشًا حتى حُكم عليه في عام (١٩٩٩) بالإقامة الجبرية في منزله بمدينة قم، وذلك بسبب نقده اللاذع للمرشد الحالي، إلى أن رفعت عنه بعد خمسة أعوام.

○ القتل خارج الحدود:

منذ اللحظة الأولى لانتصارها لم يتردد قادة الثورة الإيرانية في الإعلان عن رغبتهم في تحقيق ما أسموه بـ «تصدير الثورة»، ومن ثم فإن مشروع هذه الثورة ليس مشروعًا استبداديًّا فحسب، وإنما هو -أيضًا- مشروع توسعي، وهو الأمر الذي دفعها إلى أن تتخذ حزمة من الإجراءات تتجاوز حدودها؛ فشملت هذه الإجراءات -أيضًا- آلتها الدموية وقرارات الاغتيال السياسي التي استهدفت الكثيرين؛ سواء من الإيرانيين المقيمين خارج إيران والذين باتوا وفق تصور قادة الثورة يمثلون خطرًا على الثورة؛ بنشاطهم وجهدهم لفضح الانتهاكات وواقع الأوضاع في إيران، أو من غير الإيرانيين الذين يمثلون للثورة عقبات لتحقيق التمدد أو نشر أفكار الملالي الجديدة.

ومن النماذج الإيرانية التي تعرضت للاغتيال في الخارج يبرز: الدكتور كاظم رجوي -شقيق مسعود رجوي، زعيم منظمة مجاهدي خلق الإيرانية-؛ والذي تم اغتياله بتوجيه من الرئيس رفسنجاني في سويسرا عام (١٩٩٠)، وبفتوى صادرة عن الخميني عام (١٩٨٦م)، وكذلك: ممثل المجلس الوطني للمقاومة الإيرانية في روما محمد حسين نقدي؛ الذي كان قبل الالتحاق بالمقاومة سفير إيران في إيطاليا، حيث تم اغتياله بعد الدكتور كاظم بثلاثة أعوام.

وفي عام (١٩٩٦) تم اغتيال: السيدة زهراء رجبي -القيادية في حركة مجاهدي خلق في اسطنبول-، هذا بالإضافة إلى العشرات من أعضاء حركة مجاهدي خلق الذين تم اغتيالهم في العراق وباكستان وتركيا.

وفي تصريحات لزعيمة المعارضة الإيرانية مريم رجوي نشر في تقرير أعده موقع «إيران بلا أقنعة» أكدت رجوي: أن الاستخبارات الإيرانية بين عامي (١٩٨٧ و١٩٩٣) اغتالت معارضين في المدن التالية: دبي، هامبورغ، فيينا، جنيف، لندن، لارنكا، باريس، برلين، روما، كما أن التحريات التي أجرتها الأجهزة الأمنية في تلك الدول كشفت عن وجود آثار مشابهة في عدة حالات.

ولا يمكن هنا تجاهل ما تعرض له عناصر منظمة مجاهدي خلق المقيمين في العراق، والذين كانوا يقيمون في مخيم أشرف؛ حيث بدأ مسلسل التنكيل بهم منذ عام (٢٠٠٩) إلى أن تم ترحيلهم عن العراق.

كما طالت قرارات الاغتيال السياسي -أيضًا-: شابور بختيار؛ والذي تولى رئاسة وزراء إيران في (٤ يناير ١٩٧٩) وحتى (٥ فبراير ١٩٧٩)، ليكون آخر رئيس وزراء قبل ثورة الخميني، غير أنه وبعد قيام الثورة هرب إلى باريس، ليشكل في منفاه جبهة المقاومة الوطنية في إيران (NAMIR)، المعارضة لنظام الملالي، فتم آنذاك اغتياله من قبل حرس الثورة الإيراني.

ومن أشهر الاغتيالات التي نفذت بحق المعارضين الإيرانيين خارج البلاد: تلك التي طالت الزعيمين الكرديين الإيرانيين: عبد الرحمن قاسملو في النمسا، وصادق شرفكندي واثنين من رفاقه في برلين بألمانيا، حيث أكّدت صحيفة «إلموندو» الإسبانية عام (٢٠٠٥م) ونقلًا عن صحفي إيراني -كان على صلة بجهاز المخابرات الإيراني وهرب إلى فرنسا-: أن الرئيس أحمدي نجاد متورط في اغتيال القيادات الكردية الإيرانية عام (١٩٨٩) في فيينا.

وتعد المحاولة الفاشلة لاغتيال أمير الكويت الشيخ جابر

الأحمد الصباح عام (١٩٨٥) هي المحاولة الأشهر للاغتيال السياسي، بقرار من السلطة الإيرانية لشخصية غير إيرانية، والتي تمت عندما كان الشيخ جابر الأحمد في طريقه للذهاب إلى مكتبه في قصر السيف، عن طريق سيارة مفخخة، غير أنه نجا منها، فيما قُتل في تلك العملية اثنان من مرافقيه.

ويرى البعض أن هذه المحاولة التي نفذها عضو «حزب الدعوة الإسلامية» العراقي جمال جعفر علي الإبراهيمي والمعروف باسم (أبو مهدي المهندس) جاءت على خلفية موقف الكويت من حرب الخليج الأولى بين إيران والعراق؛ حيث أيدت الكويت العراق في الحرب.

المرأة وتناقضات الحداثة

فاطمة عبد الرؤوف - كاتبة مصرية

خاص بـ «الراصد».

يروّج الكثير من مثقفينا لمشروع الحداثة باعتباره المشروع الذي انتقل بأوربا من عصورها الوسطى المظلمة لعصر الأنوار! ويرون أن الخروج من حالة التخلف الاقتصادي والحضاري لا يكون إلا باتباع خطوات التحديث الغربية، وفي قضية المرأة تحديدًا يتم التبشير بقيم الحداثة باعتبارها المخلص الذي سيرفع عن كاهل المرأة المظالم التي تعيشها على المستوى الخاص والعام.

هذا الترويج للمشروع الحداثي ليس جديدًا؛ فقد شهد القرن العشرين الكثير من المعارك الفكرية الشرسة والصريحة من أنصار مشروع الحداثة والتنوير، ويكفي في هذا الصدد أن نذكّر بالمقولة الشهيرة التي أطلقها الدكتور طه حسين: «السبيل إلى ذلك -أي: إلى النهضة والحداثة- ليست في الكلام يُرْسَل إرسالًا، ولا في المظاهر الكاذبة والأوضاع الملفقة، وإنما هي واضحة بيّنة مستقيمة ليس فيها عِوَجٌ ولا التواء، وهي واحدةٌ فَذَّةٌ ليس لها تعدد، وهي: أن نسير سيرة الأوربيين، ونسلك طريقهم؛ لنكون لهم أندادًا، ولنكون لهم شركاءَ في الحضارة؛ خَيْرِها وشَرِّها، حُلْوِها ومُرِّها، وما يُحَبّ منها وما يُكْرَه، وما يُحْمَد منها وما يعاب»[1].

وأول ما حاولوا السير على طريق الأوربيين كان ذلك في مجال الحياة الاجتماعية والأسرية وقضايا المرأة في المجتمع.

وإذا كان القرن العشرين شهد جدلًا ساخنًا لتغيير وضع المرأة كي تسير على طريق الأوربيات في الحداثة، وهو ما تجلى في كتاب قاسم أمين «المرأة الجديدة»، أي: المرأة الحداثية؛ فإنه قد شهد -أيضًا- بدء أهم تطبيقات الحداثة وهي: القطيعة مع التراث، وهو لفظ فضفاض يشمل الكثير من الملفات على رأسها: الدين.

ففي مجال وضعية المرأة في الدين الإسلامي جاء مؤلَّف منصور فهمي «أحوال المرأة في الإسلام» كمحاولة تفكيكية منه لمنهجية الإسلام في التعامل مع المرأة، وعلى الرغم أن المؤلف كتب بالفرنسية وتحت إشراف المستشرقين، ومنع لفترة طويلة من الترجمة للعربية؛ إلا أنه وعلى المستوى الفكري أكثر خطورة بكثير مما كتب قاسم أمين الذين انتقد العادات والتقاليد، بينما صوّب منصور فهمي مدافعه وبشكل مباشر للدين ذاته وبصراحة تامة!

تصدّت التيارات الإسلامية بمدارسها المختلفة لكشف عوار الحداثة، وللدفاع عن منهجية الإسلام في التعامل مع القضايا الاجتماعية وقضايا النساء، لكن وبالتأكيد فالمعركة لم تكن سهلة، فبينما انحازت القاعدة النسائية العريضة للمشروع الإسلامي؛ على تفاوت في ذلك بين البلدان المختلفة وتفاوت -أيضًا- في المراحل التاريخية.

فبينما شهدت بداية القرن: تمسك النساء بالدين بطريقة تقليدية ترتبط كثيرًا بالعادات والأعراف، ربما لضعف التعليم الذي كانت تتلقاه النساء عمومًا، واستطاع تيار الحداثة أن يفرض

(١) «مستقبل الثقافة في مصر»، د.طه حسين.

أجندته في أواسط القرن المنصرم بعد أن استطاع رواده -كأحمد لطفي السيد ومصطفى فهمي وطه حسين- من الإمساك بمقود التعليم، وتوجيه الوعي النسائي (مع عدم إغفال دور ونشاط الحركات النسوية بالطبع).

وشهدت نهايات القرن معارك حامية الوطيس بفعل عولمة الحداثة، فأصبحت هناك المؤتمرات الأممية النسوية؛ كمؤتمر (بكين) وتوابعه، وأصبحت ثمة وثائق أممية ملزمة للدول؛ كاتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة «السيداو» وما تلاها.

ولا يمكن إغفال الدعم المادي اللامحدود الذي تلقته مؤسسات ومنظمات المرأة الحداثية من الولايات المتحدة ومن الاتحاد الأوربي.

ولكن المفارقة الواضحة في نهايات هذا القرن: أن القاعدة النسائية المتعلمة الواعية اختارت -وبعيدًا كل البعد عن العادات والتقاليد، وبطريقة حرة تمامًا- المنهج الإسلامي بشموله وتكامله ووسطيته.

وعلى الرغم من ذلك؛ واصل أنصار الحداثة في بلادنا التكريز باسمها، ولم يتقبلوا الهزيمة أو الرفض الشعبي لمشروعهم؛ خاصة في الأوساط النسائية، ولعل السبب الرئيس في ذلك: أنهم ليسوا وحدهم في هذه المواجهة، فالنظام العالمي الجديد الذي يتشكل يدعم بكل قوة هؤلاء المثقفين الذين يبشرون بأطروحته، والذين لا يجدون غضاضة في الاستقواء بهم والاستعلاء على القاعدة الجماهيرية وخياراتها، وهو تناقض حاد بين الممارسة والتنظير.

والحقيقة: أن المشروع الحداثي التنويري بوجه عام وفيما يتعلق بقضايا النساء بوجه خاص: يعتريه الكثير من التناقضات مع الحداثة والأسس التي تقوم عليها!!

وتدور السطور القادمة لبيان التناقضات فيها مع إسقاط وتطبيق ذلك على قضايا المرأة:

▣ الحداثة:

على الرغم من أنه ليس هناك تعريف ثابت وواضح تمام الوضوح لمصطلح الحداثة؛ حيث «يأخذ مفهوم الحداثة (La Modernité) مكانه اليوم في حقل المفاهيم الغامضة.

وإذا كان هذا المفهوم يعاني من غموض كبير في بنية الفكر الغربي الذي أنجبه، فإن هذا الغموض يشتد في دائرة ثقافتنا العربية، ويأخذ مداه ليطرح نفسه إشكالية فكرية هامة تتطلب بذل مزيد من الجهود العلمية لتحديد مضامينه وتركيباته وحدوده»[1].

وعلى الرغم من ذلك، وعلى الرغم من كثرة تعريفات الحداثة إلا أن مجموعها قد يعطينا تصورًا تقريبيًّا للمقصود بالحداثة؛ فمثلًا: «يرى كل من كارل ماركس، وإميل دوركهايم، وماكس فيبر: أن الحداثة تجسد صورة نسق اجتماعي متكامل، وملامح نسق صناعي منظم وآمن، وكلاهما يقوم على أساس العقلانية في مختلف المستويات والاتجاهات.

وتتمثل الحداثة -كما يحددها جيدن- في نسق من الانقطاعات التاريخية عن المراحل السابقة؛ حيث تهيمن التقاليد والعقائد ذات الطابع الشمولي الكنسي.

فالحداثة تتميز بأنماط وجود وحياة وعقائد مختلفة كليًّا عن هذه التي كانت سائدة في المراحل التقليدية؛ حيث عرفت التغيرات التي شهدتها الحداثة بطابع التسارع والتنوع والشمول، ولا سيما في مجال التكنولوجيا والمعرفة العلمية التكنولوجية، كما عرفت هذه المرحلة -أيضًا- بتنامي الاتصالات الفعالة بين جوانب الحياة الإنسانية؛ حيث شملت الأقاليم والمناطق المتباعدة في جغرافية الكون.

وهذه هي المرحلة التي حدثت فيها تحولات جوهرية في عمق المؤسسات على مدى تنوعها، وقد سمحت هذه التحولات والتغيرات الجوهرية في شروط الوجود للناس من

(١) «مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة»، علي وطفة.

السيطرة على مقدرات وجودهم وشروط حياتهم»[1].

بعيدًا -إذن- عن الجدل الفلسفي لتحديد تعريف للمصطلح يمكننا أن نناقش أهم أسس الحداثة كما أجمع عليها المفكرون والفلاسفة، وهي:

- **تأليه العقل**:

ليس من المبالغة في شيء القول بأن المشروع الحداثي يقوم على تأليه العقل الإنساني؛ بجعله حكمًا مطلقًا، وإذا كانت الحداثة ترفض الدين وأحكامه وتسخر منه؛ فإنها قامت باستبدال العقل بالإله، وأحكام العقل بأحكام الإله!

والحداثيون العرب في معظمهم لا يصرّحون برفض الدين، وإنما يوجهون سهام نقدهم للفقهاء وعلماء الدين؛ الذين يطلقون عليهم: رجال الدين.

وهؤلاء الحداثيون جعلوا من العقل -عقلهم- سلطة أعلى من النص ومهيمنة عليه، ومن المعلوم أنه لا تعارض بين الإسلام والعقل، وقد ألّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابًا ضخمًا بعنوان: «درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»، أثبت فيه أنه لا يمكن تعارض صحيح النقل مع صريح العقل.

فالتزييف أو التناقض الذي يقع فيه الحداثيون العرب:

أنهم يسقطون الترهات التي أدخلها رجال الدين المسيحي على المسيحية، وجعلوا منها ديانة لا عقلانية على الإسلام حتى يستطيعوا خداع الجماهير، وهذا نموذج يوضح مدى التجني والكذب والتزييف الذي يشوه به الحداثيون العرب الإسلام، وكيف يتم إسقاط ذلك كله على قضية المرأة تحديدًا؟!

ولنتأمل في كلمات الدكتورة التونسية رجاء بن سلامة لنرى كمّ الهذيان والتزييف والكذب في تشويه صورة الإسلام، وكيف ربطت كل ذلك بقضية المرأة، وكيف داست على قيم الحداثة ذاتها في الاختلاف والتمايز! حيث تقول: «نستعمل أحدث الأجهزة ووسائل الاتصال، ونتمسك على نحو هذياني بأنماط علائقية عتيقة عن الفرد والأسرة والعلاقة بين النساء والرجال.

نستعمل الانترنت لنشر فتاوى تحرّم القول بكروية الأرض ودورانها حول الشمس، أو لنشر فتاوى تدعو المرأة إلى الحجاب، بل إلى النقاب وانعدام الوجه.

أو على نحو آخر: نتمسّك بالنّموذج الدّيمقراطيّ لنطالب بحقّ المرأة في أن تكون محجّبة، ونحوّل الحفاظ على اللاّمساواة بين النّساء والرّجال إلى حقّ في الاختلاف»[2].

هكذا بكل وقاحة! أسقطت الدكتورة رجاء أفعال الكنيسة على الإسلاميين!! الكنيسة التي تبنّت القول بأن الأرض مسطحة وليست كروية، وكانت تروج لهذا، وكان المُعارض لهذا الفكر يتعرض للتعذيب على الخازوق أو الحرق حيًّا، بتهمة الهرطقة؛ حيث أعدمت (برونو) حرقًا، وسجنت (جاليليو) حتى استسلم وتخلى عن آرائه، لكن ذلك أصبح فتاوى الإسلاميين على الشبكة العنكبوتية!

ثم وضعت القول بتسطيح الأرض في كفة واحدة مع حجاب المرأة، وكأن الذي يقول بالحجاب لا بد أن يؤمن بأن الأرض مسطحة؟!

وهذا مجرد نموذج واحد للتلاعب بالعقل من دعاة الحداثة.

وفي هذا السياق لا يمكن أن نتجاهل التناقض في الحداثة الغربية التي تقوم على أنقاض الدين، وفي الوقت ذاته تحمل الإرث الصليبي كاملًا، بل إن التيار اليميني في الولايات المتحدة -مثلًا- يضع أساطير الصهيونية المسيحية في مرتبة أعلى من العقل النفعي الذي يبشروننا به!

---

(١) «مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة»، علي وطفة.

(٢) (المرأة والحداثة والتفكيك والجندر في العالم العربي في حوار مع د. رجاء بن سلامة)، موقع «الحوار المتمدن».

القطيعة مع التراث:

القطيعة مع التراث وتفكيكه والثورة عليه هو: الركيزة الثانية للحداثة.

إنهم لا يريدون تنقية التراث من العادات والتقاليد الباطلة، بل يريدون القطيعة معه، وتفكيكه ثم نسفه «يرى ناصيف نصار في مجال التمييز بين الحداثة والتقليد «أن الحداثة هي: المفهوم الدال على التجديد والنشاط الإبداعي، فحيث نجد إبداعًا نجد عملًا حداثيًّا.

وبهذا المعنى فإن الحداثة: ظاهرة تاريخية إنسانية عامة، نجدها في مختلف الثقافات.

وتتحدد الحداثة في هذا المعنى بعلاقتها التناقضية مع ما يسمى بـ (التقليد أو التراث أو الماضي)، فالحداثة هي حالة خروج من التقاليد وحالة تجديد»[1].

والحداثيون العرب يرون أن فكر النهضة كان «حداثة متعثّرة باهتة، لأنّ النّهضة كانت عودة وإحياء، ولم تكن خروجًا ووعيًا بضرورة الخروج والقطيعة.

وهذا ما جعل فكر النّهضة ينتج: توليفات باهتة، وإجابات مأساويّة في تردّدها، أهمّ مثال عليها: قضيّة المرأة، فالكثير من روّاد النّهضة دعوا إلى تعليمها وخروجها من الحجاب، ولكنّهم حافظوا على كتل أساسيّة من كتل التّقليد، أهمّها: مبدأ قوامة الرّجال على النّساء، وهو مبدأ ما زال إلى اليوم يهيمن على أغلب المنظومات القانونيّة العربيّة؛ في جانب الأحوال الشّخصيّة منها خاصّة، وما زال يهيمن على تصوّراتنا للشّرف والأخلاق»[2]، ما لم يستطع الحداثيون الأوائل قوله في بدايات القرن العشرين.

بل إنهم أصروا بإلحاح على رفضه لم يكن إلا كذبًا، تمهيديًّا لمرحلة الصراحة المطلقة، مرحلة القطيعة الكاملة، وإسقاط ذلك على قضية المرأة يعني: التخلص من الحجاب، القوامة، الميراث، العفة والشرف.

كتابات حداثية كثيرة اليوم تتحدث عن القطيعة مع الدين، وتبني نمط الحياة الاجتماعي في الغرب، لكن نمط الحياة الغربي الحداثي يحمل تناقضات كثيرة ليس على مستوى العامة من الناس فحسب ولكن على مستوى النخب المنظرة له، وإلا كيف نستطيع فهم كلمات سيمون دي بوفوار -رمز الحداثة الغربية- خاصة فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي، وهي تعلن استعدادها لممارسة كل الأدوار التقليدية للمرأة، فـ «بمناسبة مرور عشر سنوات على رحيلها، نشرت الصحافة الفرنسية مراسلاتها مع عشيقها الأميركي نيلسون الغرين، في إحدى رسائلها إليه تبدي رغبتها العارمة بالالتحاق به، وبالزواج منه، مقدمة إليه أقصى خضوع ممكن لامرأة من أوروبا أو من الغرب.

فقد كتبت إليه بعد عودتها من الولايات المتحدة إلى فرنسا: "إني مستعدة لأن أطبخ لك يوميًّا، وأن أكنس المنزل، وأغسل الصحون. أريد أن أكون لك زوجة عربية مطيعة"»[3].

الحداثة والحرية:

لعلها أشهر أسس الحداثة: تلك الحرية.. حرية التفكير، حرية المعتقد، حرية السلوك، وكثيرًا ما استخدم الحداثيون العرب هذا السلاح لإرهاب الآخر، وقاموا بتمجيد الحرية كأنهم وحدهم من له الحق في اعتبار الحرية أساسه المتين!

وهو ادعاء مزيف! فقد قامت الحضارة الإسلامية على مبدأ (لا إكراه في الدين)، وعلى مستوى قضية المرأة: منحها الإسلام الحرية المطلقة في كل ما يخصها وحدها؛ كذمتها المالية

(١) «مقاربات في مفهوي الحداثة وما بعد الحداثة»، علي وطفة.

(٢) (حوار د. رجاء بن سلامة).

(٣) «الحياة السرية لمفكرين وفلاسفة: صراع اتوجنسو خيال اتمازوشية»، متعب القرني، «مجلة الفيصل».

-مثلًا-، أما فيما يشترك معها فيه آخرون فلا بد -أيضًا- من مراعاة حقوق الآخرين.

فالحرية المطلقة في هذه الحالة هي: ضرب من الفوضى!!

المشروع الحداثي ضربه التناقض بأبشع صوره في مبدأ الحرية هذا بالذات، وإلا فبمَ نفسر رفض الكثير من الدول الأوربية، وعلى رأسها: فرنسا؛ لارتداء المسلمات الحجاب في المدارس والأماكن العامة، أليست حرية اللبس حرية شخصية؟! بل ربما تكون أولى الحريات الشخصية.

هذا التناقض القبيح وراؤه فلسفة إقصائية استعلائية بالغة التناقض «لا أرى معنى لحرّيّة المرأة في اختيار قيدها، كما لا أرى معنى في حقّ الإنسان في بيع جسده -مثلًا-.

المرأة التي تبيع جسدها لا حرّيّة لها ولا كرامة، ولا يمكن للمثقّف أن يدافع عن حقّها في هذه العبوديّة، والمرأة المحجّبة امرأة تستبطن القيم العتيقة التي تعتبر المرأة آثمة إلى أن تثبت العكس، وتعتبرها حريمًا ممنوعًا.

ولذلك فلا أرى معنى للدّفاع عن هذا الحقّ، حقّ المرأة في هذا الاستثناء التّمييزيّ.

ثمّ إنّني لا أعتبر الحجاب لباسًا، بل شطبًا لجسد المرأة! الدّليل على ذلك: أنّ أشكاله وأنواعه تتعدّد، ولكنّ المهمّ فيه هو: وظيفة التّغطية والمنع التي يؤدّيها.

وفيما يخصّ استصدار القوانين، أقول: إنّ ما حقّقته المرأة من مكاسب يجب المحافظة عليه، وقد أثبتت التّجربة أنّنا نحتاج إلى قوانين لحماية الفئات المستضعفة.

نحتاج -مثلًا- إلى قوانين تحمي الطّفلات من العنف الذي يسلّطه عليهنّ الآباء عندما يفرضون عليهنّ الحجاب، ويمنعونهنّ من حرّيّة الحركة واللّعب، ويفرضون عليهنّ قبل الأوان ما لا طاقة لهنّ به.

نحتاج إلى قوانين تحمي النّساء من عنف إكراههنّ على الحجاب»[1].

هذا الخلط المقصود بين التعالي على المرأة المحجبة بكامل اختيارها، واعتبارها على نحو ما تشبه من باعت جسدها، وبين إكراه الطفلات على الحجاب هو: خلط مقصود ومتعمد؛ حتى تبقى شبهة حماية الحرية الشخصية المفرغة من كل معنى هنا، وإكراه الجميع على التبرج هو عين التناقض في هذا المشروع الحداثي التنويري!

فلا حرية إلا لمن يمتلك نفس الأفكار؛ أما المخالف فمكانه النفي أو السجن.

وهو أمر ينطبق على قضايا كثيرة غير قضية المرأة؛ كحرية التعبير عندما تخالف معتقدات القوم؛ كما حدث للفيلسوف رجاء جارودي -مثلًا-، إنها الحرية العرجاء للمنظومة العرجاء.

▣ المرأة والحداثة:

هل حقق مشروع الحداثة السعادة للمرأة الغربية أم زادت معاناتها وشقاؤها بهذا النمط من الحياة؟ هل حققت الرفاه المادي أم ظلت تعيش في ظل منظومة تأنيث الفقر وتأنيث المعاناة؟

«ويمكن الإشارة هنا إلى جذور ما يُسمى: ظاهرة «تأنيث الفقر» (feminization of poverty)؛ التي أصبحت ظاهرة اجتماعية معروفة في الولايات المتحدة، إذ يبدو أنه في إطار حرية المرأة وحرية الرجل يتعايش رجل مع امرأة تنجب منه طفلًا أو طفلين عادة دون أن يرتبطا بعقد زواج، وبعد فترة قصيرة أو طويلة يتملك الرجل الملل، وتنشب المعارك بين الطرفين؛ فيقرر الرجل أن يحقق ذاته خارج إطار الأسرة، فيحمل متاعه ويذهب، تاركًا الأم

(١) (حوار د. رجاء بن سلامة).

المهجورة وحدها ترعى الطفلين؛ فتزيد أعباؤها النفسية والاجتماعية والاقتصادية -مهما دفع الرجل من نفقة-، وازداد الرجال متعة وحركية استهلاكية.

أي: أنه تم تأنيث الفقر، ويمكن أن نضيف: أنه تم كذلك تأنيث الجهد النفسي والإرهاق البدني.

ولعل هذا من أهم الأسباب السوسيولوجية لزيادة معدلات السحاق في المجتمعات الغربية، فهو يحل في نظرها مشكلة ضرورة تفريغ الطاقة الجنسية للأنثى؛ دون أن يدخلها في دوامة العلاقة مع الرجل التي توردها موارد التهلكة والفقر والألم والهجران»[1].

ولم تحصل المرأة الغربية في ظلال مشروع الحداثة على المساواة في الأجور، ولا على الحماية من العنف الذي يمارس ضدها، ولا منع عنها التحرش في أماكن العمل، فعاشت حالة من الإحباط والفشل!

«فتحولت إلى سلعة، إلى شيء يُستخدم لمن يدفع، أو لمن يخدع؛ فالأمر سيان! يبقى فيهما الرجل صاحب المتعة والامتياز والسيطرة ماديًّا وجسديًّا، كل ذلك في إطار عالم لمجتمع تطورت فيه التكنولوجيا والصناعة لتجعل الإنسان عمومًا، والمرأة على وجه الخصوص في معاناة واضطهاد أعلى، وأكثر تعقيدًا مما عاشته النساء في العهود السابقة، إذا ما قُورن العصر بخطاباته وادعاءاته حول مفاهيم التحرر، والديموقراطية، وحقوق الإنسان، وتحرر المرأة الاجتماعي والجنسي؛ مع بساطة وسذاجة خطابات العصور القديمة.

ويمكن تلخيص الواقع النسائي بالقول: إنه لم يسبق للمرأة أن كانت مسحوقة ومنهارة ومستعمرة وخامدة مثلما هي عليه الآن! ويمثل عصرنا أكثر العمليات دناءة في تاريخ المرأة!!

فهي بما تقدمه لها مجتمعات التكنولوجيا الحديثة، والتطور الاقتصادي، والحقوقي انخرطت في لعبة مضطهديها، فولجت إلى التمتع بمهارتها في استعراض رأسمالها الجسدي.

وفي ردها على ما يُوصف باضطهاد الذكورة، وبعد إشباع جنسي ميكانيكي لجسدها شرعت تبحث عن الجنسية المثلية نكاية بالرجل، أو بالاستعاضة عنه بالمنتجات البلاستيكية تمارس معها علاقة الانتقام من الرجل، بينما هي في الواقع تحط من قدر نفسها!

لقد اندفعت النساء إلى «الاسترجال»، وكلما أردن أن يكنَّ كالرجال ابتعدن عن أنوثتهن، فإنهن عاجزات عن تصور أن الأنوثة -والمرأة -يمكن أن تكونا مزيتين.

إنهن رجال خائبون ونساء فاشلات ويتعرضن إلى خطر.. يائسات ودون هدف، في متاهات الشعور بالدونية»[2].

إنها ببساطة.. الحداثة وتناقضاتها؛ التي أتعست المرأة، وهي توهمها أنها تسير على طريق السعادة!!

(١) «قضية المرأة بين التحرير والتمركز حول الأنثى»، د. عبد الوهاب المسيري.

(٢) «المرأة والحداثة من الاضطهاد إلى الاستلاب»، مصطفى الولي.

دور إيران في فلسطين
بين الدوافع والنتائج

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

هذا الكتاب يعالج قضية ساخنة على الساحة السياسية ومتجددة، وهي: حقيقة دور إيران في فلسطين، وهل إيران جادة وصادقة في دعم قضية فلسطين أم هي شماعة لتمرير أجندة إيران في المنطقة وفلسطين؟

يقدم المؤلف بلال وليد حمدي عابدين رؤيته في دور إيران في فلسطين من خلال فصول هذا الكتاب الصغير الذي يقع في (١٣٤) صفحة، وبدون دار نشر.

ينطلق أ. بلال من بدء انتشار التشيع في فلسطين بحسب شهادة د. صالح -وكيل وزارة الأوقاف الفلسطينية بغزة سابقًا، والقيادي المعروف في حركة حماس-، ليدلل على خطورة المشروع الصفوي في المنطقة، وأن هذا المشروع لم يعد خيالًا أو وهمًا، وأن تعرية الباطل مطلب شرعي.

جاء الفصل الأول: للتعريف بدولة إيران:

ففي المبحث الأول: تناول تسميتها، وموقعها، ومساحتها، ثم حالة أهل السنة فيها.

وفي المبحث الثاني: تناول قضية تصدير الثورة في فكر ملالي إيران، والذي ضمّنوه في دستورهم.

ويوضح المؤلف: أن تصدير الثورة يعني: محاربة مَن ليس شيعيًّا من المسلمين ليتشيع، وأن إيران أسست الميلشيات الطائفية في إيران وخارجها من أجل هذه الغاية.

وأن أدواتهم في تصدير الثورة: تتراوح بين توظيف القوة المسلحة، والخطاب الحماسي الموجّه، والصفقات الاقتصادية، والمنح الدراسية.

ولا تتورع إيران في الوصول لتصدير الثورة وبسط هيمنتها على دول الإسلام من التهادن والتآمر مع أعداء الأمة؛ كما حدث في أفغانستان والعراق، وإشعال الحروب الطائفية في الدول السنية.

ولتجاوز العوائق في وجه تصدير الثورة الشيعية والإيرانية والتي تتمثل في رفض الهيمنة الفارسية والشيعية من قبل الشعوب والدول، ومعارضة الأطماع الأمريكية في المنطقة؛ تلجأ إيران لكسب الشعوب لصالحها؛ من خلال تبني الشعارات البراقة: (الممانعة، والمقاومة، والوحدة الإسلامية، ومقاومة أمريكا)، مما يحدث اصطفافًا بين الشعوب وحكوماتها، أما الأطماع الأمريكية فقد ساوم الملالي الغرب على الحصص؛ كما حصل في الاتفاق النووي.

أما الفصل الثاني: الذي يبيّن الدوافع الإيرانية تجاه التلاعب بالقضية الفلسطينية، فقد تضمن ثلاثة مباحث:

الأول: تناول القضية الفلسطينية في السياسة الإيرانية، والتي تدرك أنها رافعة مهمة لها بين الشعوب العربية والإسلامية، فمنذ سنة (١٩٧٩) أعلن الخميني أنه «لا قيمة لسياساتنا إذا لم يكن لنا يد في القضية الفلسطينية»، وسار على نفس النهج حزب الله اللبناني، وقد تسبب ذلك في حصول الحزب على شعبية كبيرة في الشارع العربي والإسلامي، وكذلك استفاد النظام السوري من استضافة قادة حماس ليحصل على شعبية كبيرة، ويتمّ تجاهل هويته النصيرية الطائفية.

في المبحث الثاني: تناول الباحث الأهداف من زعم إيران دعم القضية الفلسطينة، وأنها: الرغبة بعودة الأمجاد الأمبراطورية لفارس، ونشر التشيع، وتوسيع النفوذ، وتسهيل بناء التحالفات، وحماية مصالحها السياسية؛ من خلال التلاعب بالورقة الفلسطينية، وكسب التعاطف العربي والإسلامي الذي يمهد لها قيادة العالم الإسلامي، وهو الحلم الأكبر الذين تسعى له!

في المبحث الثالث: تناول وضع التشيع في فلسطين قديمًا وحديثًا، حيث أن فلسطين بلد سني فتحه الفاروق عمر بن الخطاب؛ عدو الشيعة الأول! وكان جزءًا من بلاد الشام الأموية التي يناصبها الشيعة العداء.

ولم تَعرف فلسطين التشيع إلا على يد دولة العبيديين الفاطميين بشكل مؤقت، حتى هدمها صلاح الدين، فاندثر التشيع من مصر وفلسطين، وبقي في بعض جبال لبنان، ومع ضعف الدولة العثمانية ظهرت جيوب شيعية في فلسطين تصدى لها الولاة والحكام.

أما في عصرنا الحاضر؛ فقد كان لقيام دولة الخميني دور في انخداع بعض الفلسطينيين بالتشيع وتبنّيه، ثم جاء دعم إيران لبعض الشخصيات والفصائل في تسهيل تكوين جيوب للتشيع في فلسطين.

وقد استخدمت إيران وسائل عدة من أجل هذا الاختراق: من تقديم المساعدات والإغاثات والتمويل، ونشر الكتب والمجلات، وتأسيس جمعيات موالية لها؛ كجمعية «الغدير» في بيت لاهيا بغزة، وتبني بعض الفصائل الفلسطينية؛ كتنظيم الجهاد.

وجاء الفصل الثالث: ليعرض النتائج التي حققتها إيران من خلال اختراقها للساحة الفلسطينية، بدايةً تناول العلاقة مع منظمة التحرير الفلسطينية، فبرغم أن «منظمة التحرير» لها يد الفضل على الثورة الخمينية بتدريب أفرادها ودعمهم ورعاية نشأة «حركة أمل»، وكون ياسر عرفات أول الواصلين لطهران لتهنئة الخميني بالثورة؛ إلا أن الخميني حاول تسخير المنظمة لتمرير مخططاته الطائفية في إيران، ولتأييده في حرب العراق، ومع رفض المنظمة لذلك هاجمتها إيران ودعمت المنشقّين على عرفات.

وسعت إيران لمد الجسور مع العديد من الفصائل الفلسطينية مثل: «الجبهة الشعبية»؛ التي لا تزال لليوم تخدم إيران، و«كتائب الأقصى» التي تعاونت مع إيران ثم انقطعت الصلة بينهما، وبعض الفصائل الصغيرة.

المبحث الثاني هو: للعلاقة مع حركة الجهاد، حيث أيّد قادة الجهاد الخميني منذ اللحظة الأولى، وتجاوزوا البعد العقدي الشيعي في فكره، وقد نمت الجهاد بفضل الدعم الإيراني؛ حتى تشيّع عدد من قادتها، وتُلقى عليها التبعة في انتشار التشيع في فلسطين في العصر الحاضر.

وتقوم الحركة برعاية بعض المناسبات الإيرانية في غزة؛ كيوم القدس، والتعاون مع المؤسسات الإيرانية في توزيع المساعدات ونشر الفكر الشيعي -أحيانًا- في منابرها الإعلامية.

وجاء المبحث الثالث: ليستعرض العلاقة الإيرانية مع حركة

حماس، حيث كانت حماس في البداية معادية للتشيع، وهو ما تنتقدها عليه صحف الجهاد حاليًّا بعد اختلاف موقفها من إيران، وكان مبعدو مرج الزهور سنة (١٩٩٢) الخطوة الأولى في تواصل حماس الداخل مع الشيعة في حزب الله؛ حيث تم فتح مكتب لحماس في لبنان، وعقد تفاهم مع حزب الله لتدريب كوادر حماس، وتصاعدت العلاقة مع إيران عقب فوز حماس بانتخابات (٢٠٠٦)، حتى أعلن خالد مشعل أن حماس ستصعّد ضرباتها ضد الاحتلال إذا تعرضت طهران لهجوم عسكري!

وتبرّر قيادة حماس علاقتها بإيران بأنها: علاقة تقاطع مصالح، وليست تبعية، ومصالح إيران هي: استخدام حماس كجسر للعبور للشارع العربي والإسلامي، وتحقيق مشروعها السياسي الذي يتقاطع جزء منه مع جماعات الإسلام السياسي؛ وخاصة جماعة الإخوان المسلمين.

لكن وقوف حماس على الحياد في الثورة السورية أضرّ بعلاقتها بسوريا وإيران، فبرغم عدم إعلان حماس تأييدها للثورة السورية، ولا استنكار الإرهاب بحقّ الشعب السوري والفلسطيني في سوريا إلا أن إيران لم تقبل منها هذا الموقف، وحرصت حماس على أن لا تقطع العلاقة مع إيران؛ برغم كل جرائمها في سوريا وغيرها من البلاد العربية، وفعلًا وصلتا لتفاهم على تنحية الملف السوري من علاقتها المشتركة، وعاد الدعم الإيراني بوتيرة أقل بعد انقطاعه.

وتحاول إيران عدم قطع العلاقة مع حماس لتمرّر دعايتها برعاية المقاومة والممانعة، ولكنها -أيضًا- تحاول اللعب على ورقة حماس الخارج وحماس الداخل، ودعم «كتائب القسام»، وبرز ذلك في تعزية الكتائب في سمير قنطار وعماد مغنية؛ برغم أن ذلك من شأن المكتب السياسي للحركة! في محاولة لفرض سياسة فتح أكثر من خط مع حركة حماس مما يلبي متطلبات الأجندة الإيرانية من هذه العلاقة.

اضطرت حركة حماس للتغاضي عن بعض السلوكيات والتصريحات لمتشيعين في غزة؛ بسبب الحصار والدعم الإيراني؛ برغم أنها ترفض التشيع وتتصدى -أحيانًا- لبعض الاستفزازات؛ كموقفها من «حركة الصابرين»، لكن هناك تساهل في الموضوع بين الفينة والأخرى، وهو ما يجب أن تتنبه له قيادة حماس؛ خاصة في الداخل.

المبحث الرابع هو: العلاقة مع «حركة الصابرين»؛ والتي تعد النسخة الفلسطينية من حزب الله اللبناني -في فكره وشعاره-، وهم منشقون عن «حركة الجهاد».

وكانت الغاية الإيرانية من تأسيس الحركة: نشر التشيع عبر العمل الثقافي والإغاثي، وإلَّا فدورها الجهادي باهت لقلة عدد أفرادها.

وخطورة الحركة تكمن في: أنها ستكون بديلًا عن حركتي «حماس والجهاد»، أو منافسًا قويًّا خلال بضع سنوات؛ كما جرى مع الحوثيين في اليمن -مثلًا-.

وقد استعرض الباحث مواقف «الصابرين» من عدد من القضايا الشيعية والإيرانية؛ كالموقف من الثورة السورية، والحوثيين، وشيعة البحرين؛ فإذا هي متطابقة مع السياسات الإيرانية!

ويختم الباحث كتابه بعدد من التوصيات للتصدي للمشروع الشيعي الإيراني في فلسطين والمنطقة، وبملحق فيه صور لبعض المقالات والبيانات المؤيدة لإيران والتشيع من غزة.

وفيكم سمّاعون لهم

قالوا: ينشط حاليًّا جيش إلكتروني يتكون من أكثر من (١٥٠٠٠) حساب مزور بمعرفات وأسماء خليجية.

هدفها: نشر الكراهية بين شعوب المنطقة.. فاحذروها!

تغريدة على تويتر، عبد العزيز أبو زياد

على نفس الخطى

قالوا: الأوّلون قتلوا عثمان وهو صائم.

والخوارج قتلوا عليًّا في رمضان وهو صائم.

وخوارج «هتش» يقتلون أهل المعرة في رمضان وهم صائمون.

شابهوا أسلافهم!

تغريدة على تويتر، حسان الجاجة

متى نفهم؟

قالوا: جولاني: أهلكك الله!

لم أرَ في حياتي أنذل من الجولاني، يقول النبي ﷺ: «**إنّ ممّا أدرك الناسُ من كلامِ النبوّة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت**»، ويقول العامة في أمثالهم: «عليك أن تخاف ممّن لا يخاف من الله».

وهذا النذل الجولاني لا يخاف من الله، ولا يخجل من الناس!

في رمضان يا عدو الله؟ في رمضان؟! ووقت الإفطار والناس آمنون في البيوت والمساجد؟ تركتَ الأعداء الذين يتقدمون في كل الجبهات ويقضمون الأرض، وقاتلتَ كرام المجاهدين الذين يحمون الأرض، ويرابطون على الجبهات؟!

مؤسفٌ أن شياطين الإنس لا تُصفَّد في رمضان كما تُصفَّد مَرَدة الشياطين.

لو صُفّدوا جميعًا لنجونا من بغي الجولاني وإجرامه، وإجرام عصابته وقطعانه في هذا الشهر الفضيل.

لو كانت لي في هذه الليلة المباركة دعوة مستجابة لجعلتها في فرعون الثورة وهامانها (الجولاني والمحيسني)، فلن تنجو الثورة ولن نعيش في سلام حتى يهلكهما الله؛ هما وأمثالهما وأضرابهما وأشياعهما من المجرمين والمنافقين.

اللهمّ في هذه الليلة المباركة أدعوك وأرجوك: خذهما، وخذ سائر العصابة، وأرِحنا منهم أجمعين!

مجاهد مأمون ديرانية

سلاحنا المعطل

قالوا: شيعة باكستان سبقونا إعلاميًّا، مما سبّب لهم النجاح في زيادة الشيعة بشكل كبير؛ حتى أن هناك قرى سنية تشيّعت

بسبب الإعلام، ونحن غائبون!

تغريدة على (تويتر)، «قناة وصال»

عادي!

قالوا: صحف طهران: مخدرات طهران أرخص من الحليب.. واتهامات لمديري «تليغرام» بالتجسس.

تغريدة على (تويتر)، «مركز الدراسات الإيرانية»

إسلام شيطاني!

قالوا: أسس مسلمون داخل مبنى تابع لكنيسة في برلين مسجد «ابن رشد-غوتيه»، وصفوه بالمسجد الليبرالي؛ يكسر المحظورات!

إذ يمكن فيه: أن يصلي الرجال والنساء سويًّا؛ بمن فيهم غير المحجبات والمثليون.

وأن تؤم المصلين فيه امرأة!

وذلك في محاولة منهم للترويج لما وصفوه بالإسلام المعتدل.

في هذه الصلاة الأولى المؤذن هو امرأة، بعدها تستهل امرأة أخرى بعباءتها البيضاء وشعرها القصير المكشوف صلاة الجمعة بعبارات ترحيب بالمصلين!!

والمبادرون إلى تأسيس هذا المسجد هم: سبعة ناشطين وناشطات؛ لم يجدوا مكانًا لهم في المساجد المحافظة لأداء الصلاة كما يريدون، فأطلقوا هذه المبادرة.

وتقول أتيس -التي أثارت فضيحة في أوساط المسلمين بدعوتها الإسلام إلى ثورة جنسية- أن: «هؤلاء السادة والسيدات (السلفيين) عليهم أن يكفوا عن السعي لسلبي حقي في أن أكون مسلمة»!

«هاف بوست عربي»، (٢٠١٧/٦/١٧)

خطر القاديانية

قالوا: يستهدف الأحمديون في الجزائر المناطق النائية والأرياف، حيث يعمدون إلى إغراء الجزائريين بالمال والسيارات، وبعض الامتيازات، باعتراف الذين تم القبض عليهم.

كما يستعملون منشورات مبسطة، وأقراصًا مضغوطة في دعوتهم.

ويقول المتخصص في الجماعات الإسلامية نور الدين ختال: إن هناك أوامر عُليا أعطيت إلى المصالح الأمنية بالتحرك ضد هذه الجماعة، بعد سنوات من البحث والتحري وجمع المعلومات.

كما يؤكد: أن التهديد الذي تمثله الجماعة يكمن في ولائها لقيادة خارج الجزائر، وتحويلها الأموال -بحسبه- من وإلى الجزائر، بعيدًا عن مراقبة الأجهزة الأمنية والبنوك؛ «حيث تتم العملية عن طريق أفراد ينتمون إلى الطائفة الأحمدية».

من جانبه؛ يؤكد الباحث والأستاذ الجامعي محمد أمين مقراوي: أنهم استعادوا نشاطهم بداية العام (٢٠٠٧)؛ حسب اعتراف أميرهم وقتها محمد فالي.

مشيرًا إلى تزايد نشاطهم بفعل بعض المغتربين الذين يأتون من أوروبا.

عبد الحميد بن محمد، «منتديات الجزيرة»

المجاهرة بالإفطار في رمضان
مراهقة فكرية تشوّه العلمانية، وتقوّض أركان الحرية

موسى برهومة - موقع «قنطرة» الألماني (٢٠١٧/٦/١٤)
-رؤية علمانية هادئة لترسيخ العلمانية، «الراصد»-

يُخطىء كثيرًا من يتوهّم أنه يُحقّق نصرًا إنْ هو عارض الحساسيات الدينيّة، أو تصادم مع الأعراف الاجتماعيّة؛ بزعم أنه «ليبرالي» أو «علماني» أو شخص غير متديّن!

ما القيمة المرتجاة من التغنّي بالخمر، والمجاهرة بالإفطار في شهر رمضان! بذريعة: أنّ الإفطار حريّة شخصيّة، وليس على الدين أن يُقيّد البشر، وأنّ على الدولة أن تضمن الحريات المدنية لمواطنيها من دون ضغط أو إكراه أو تضييق.

المعضلة ليست هنا أبدًا؛ إنها في مكان وسياق مغايرين، فإنْ كنتَ تدعو إلى فكرة نبيلة فمن المستحسن أن تجمع النّاس عليها، وتحبّبهم بها على قاعدة الآية الكريمة: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩].

أما أن تخرج -أيها الليبرالي أو العلماني!- على البشر في مجتمع محافظ دينيًّا شاهرًا سيجارتك، وماضغًا علكتك، ومتباهيًا بترنّحك، غير عابىء بمشاعر الصائمين؛ فهذا أشدّ ما يشوّه العلمانية والليبرالية، ويقوّض مشروع التنوير، ويؤكد أنّ من يفعل ذلك لا يفقه شيئًا عن جوهر العلمانية باعتبارها ضمانة لممارسة متكافئة للحرية لسائر الأفراد في المجتمع.

وتعكس بعض ردود أفعال من ينتسبون إلى التيارات الليبرالية والعلمانية ضيق أفق في النظر إلى الحريات؛ وبخاصة الدينية منها!

وثمة من يعتقد أنّ: الإقرار أو الامتثال لما تمليه السلطة الدينية في مجتمع غالبيته المطلقة مسلمون -مثلًا- يعني: التنازل لهذه السلطة عن الحرية الشخصية، وبالتالي يتوجب معاندة هذه السلطة؛ من خلال القيام بأفعال استفزازية؛ كالإفطار العلني في شهر رمضان، والاستخفاف بمشاعر الصائمين عبر تقصّد إيذائهم بالتدخين أو الطعام والشراب في الأماكن العامة، والهزء بطقسهم الديني، ووصفه بأنه «مجرد جوع لا طائل منه»!

○ الحرية الشخصية لا تطبق على أنقاض حرية الآخر:

وتكشف هذه التصورات سطحية وضحالة في النظر إلى الحرية، ويصدر أصحابها عن وهم بأنّ الحرية الشخصية لا تتم إلا على أنقاض حرية الآخر، فالعقل الإقصائي لدى بعض الليبراليين والعلمانيين يضيق بالآخر المختلف، ويود الإلقاء به في البحر؛ ليتخلص من عبء مزاحمته في الفضاء العام، وهو إذ يفعل ذلك فإنه يتخلّص من أهم ما يعتنقه: التسامح، التعايش، احترام الحقوق المتساوية والمتكافئة للجميع، وتوقير الحساسيات الدينية، مراعاة الوجدان الجمعي...

وليس في مراعاة الليبرالي أو العلماني للتقاليد الدينية من سلوك وشعائر وزي في مجتمع يدين أفراده بالإسلام -مثلًا- أيّ ارتهان لسلطة فئة دون سواها، وحتى لو كانت الغلبة -عددًا

وعدة وجهوزية - هي لمصلحة الطرف الآخر، فذلك ليس معناه: أن أناصبه العداء! فالحرية في المجتمعات المتمدنة تتسع لسائر المختلفين، والديمقراطية كفيلة بأن تكون الفيصل في النزاعات ما دام الناس يخضعون لآلياتها، ومن حق الفرد في تلك المجتمعات أن يمارس ما يحلو له من دون تجاوز القانون.

بيْد أن تلك الصورة المتبلورة في السياقات الاجتماعية والثقافية للعالم المتمدن لا يجوز إسقاطها بقضّها وقضيضها على المجتمعات العربية، والمطالبة بأن يتمّ التعامل مع المفطر في عمّان أو القاهرة كالمفطر في روما أو باريس، وتلك أغلوطة لا ينفك يرتهن إليها بعض الليبراليين والعلمانيين؛ الذين يريدون تفكيك المجتمع وتثويره وتخليصه من إرثه الديني، ووضعه على سكة الدولة المدنية برمشة عين.

ويصدر بعض أولئك الليبراليين والعلمانيين عن «مراهقة فكرية» حينما يتعالون على أصحاب الحساسيات الدينية والنفسية؛ على اعتبار أنّ هؤلاء أدنى مرتبة منهم، وبالتالي فإنّ هذا في زعمهم ذريعة لازدراء عباداتهم والهزء منها!

الفريق الأول يعبر عن رغبته في تفكيك وجدان الفريق الثاني؛ وإذ يفعل ذلك لا يرى غير السخرية من عقائد الفريق الثاني وتحديها، والارتطام بما استقر في الذاكرة الشعبية الدينية باعتباره مقدّسًا، وهذا الارتطام يتخذ شكل التحدي، وإعلان الكراهية للدين، والتحرّش بشعائر الصوم؛ عبر انتهاكها في المجال العام، بحجة أنّ الآخر المتدين لا يحترم حساسيات الطرف الأول، ولا يفسح له المجال كي يمارسها بحرية!

ومعنى الحرية هنا: أن يأكل الليبرالي أو العلماني جهارًا نهارًا في الشارع والفضاء العام؛ حتى لو لم يكن مضطرًا للأكل والشرب والتدخين، المهم هو: استفزاز الوجدان الديني وتهشيمه؛ بدعوى الحرية، ومن دون أيّ وعي أو مسؤولية أخلاقية.

لا يتعامل أولئك العلمانيون والليبراليون بالمنطق التدريجي في تغيير الوجدان الجمعي، ولا يتوسلون بالحسنى مع الآخر؛ حتى لو كان مغايرًا!

إنهم يأخذون من الآخر أبشع ما فيه: إقصائيته، عنفه، انغلاقه، نزعته الاستئصالية، واحتماءه البراغماتي بالمقدّس.

ويصدّرون للآخر أبشع ما في الكراهية من عتمة: الازدراء، التعالي، الارتطام باليقينيات الشعبية، انعدام الرحمة، وفقدان التسامح.

لذا؛ في غمرة ذلك كله لا غرو أن تكون صورة الليبرالي والعلماني في المجتمعات العربية ملتصقة بالكفر والإلحاد، والتحلّل الأخلاقي، والفساد الاجتماعي، والانتهازية، والإدمان على المخدرات والكحول، والتفكّك العائلي، والخيانات التي تجري مجرى الماء في نهر يسيل بلا مصبّ أو ضفاف!

(إس-٤٠٠) لتركيا: حقيقة أو مراوغة؟

علي حسين باكير - «عربي ٢١»، (٢٠١٧/٦/٣)

أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الخميس: أنّ بلاده مستعدة لتزويد تركيا بنظام الدفاع الصاروخي المتقدّم (إس-٤٠٠)، وذلك خلال كلمة ألقاها بمدينة سان بطرسبرغ الروسية، مؤكدًا أنّه بحث الموضوع مؤخرًا مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان.

يبدو التصريح غريبًا بعض الشيء! سيما وأنّنا كنّا قد رجّحنا في مقال مطوّل سابقًا عدم حصول مثل هذا الأمر؛ بالرغم من تأكيد الجانب التركي بأنّ المحادثات حول شراء هذه المنظومة الدفاعية المتطورة تسير على ما يرام، حيث سبق لوزير الدفاع

التركي فكري أيشك أن أكّد في (مارس) الماضي: أنّ المفاوضات بين مسؤولي البلدين بهذا الخصوص وصلت إلى مرحلتها النهائية.

إذا ما تابعنا كامل التصريح الذي أدلى به الرئيس الروسي فسنلاحظ بأنّ هذا الترجيح لا يزال ساريًا، وأنّ ما قاله بوتين لا يعدو كونه مناورة سياسية على الأرجح.

فبعد أنّ أكّد استعداد بلاده تزويد تركيا بهذه المنظومة أشار إلى أنّ: روسيا لم تبدأ بعد بإنتاج (إس-٤٠٠) خارج البلاد، قائلًا: «في هذه اللحظة، نحن لا نقوم بإنتاج هذه المنظومة في الخارج، لكنّنا مستعدون لتوريد النظام إلى تركيا».

يدرك المسؤولون الأتراك -بطبيعة الحال- مدى أهمّية هذه المنظومة الدفاعية، لكن وكما أكّدت تركيا دوما فإن اهتمامها في المجالات العسكرية لا يتمثل في استيراد السلاح فقط، وإنما في الاستفادة من الشراكات لإنتاجه محليًّا، وللحصول على التكنولوجيا المرتبطة به أيضًا.

لم تخل أي من المناقصات السابقة التي أجرتها تركيا بخصوص صفقات السلاح المتطورة من هذه الشروط، وآخرها: الصفقات المتعلقة بالحصول على منظومة دفاع صاروخي.

الجانب الروسي يعلم هذه المعطيات جيدًا؛ ولذلك فإن التعقيب الذي تلا التصريح الأساسي لبوتين أهم من التصريح نفسه! ذلك لأنّه يتعارض مع ما يطلبه الجانب التركي، وهو ما يعني: أنّه سيكون على أنقرة في حال الموافقة أن تقوم بالشراء فقط دون المشاركة في الإنتاج أو الحصول على التكنولوجيا، وهو أمر من الصعب تصوّر حصوله إلا إذا اضطرت أنقرة للحصول على عدد محدود جدًّا من البطاريات؛ التي لن يتم دمجها مع منظومة (الناتو).

لكن حتى في هذا السيناريو المفترض -الذي نتحدّث عنه- سيكون هناك مشاكل عدّة، أهمها: ما يتعلق بالتمويل.

الحكومة التركية تحاول تأمين قرض من روسيا؛ في حال الموافقة على تزويدها بالمنظومة، وقد سبق لـ «سبوتنيك الروسية» أن نقلت عن فلاديمير كوجين -مساعد الرئيس الروسي لشؤون التعاون العسكري التقني- قوله بأنه لم تتم الموافقة على إقراض تركيا لشراء منظومة الدفاع الجوي الروسية المتطورة (إس-٤٠٠)؛ على الرغم من عدم وجود إعتراض على مبدأ تزويدها بها.

فضلًا عن ذلك؛ هناك حقيقة تقول بأنّ روسيا لم تصدّر هذه المنظومة بعد إلى أي من الدول؛ بما في ذلك الأكثر أهمّية من تركيا بالنسبة إليها.

فعلى سبيل المثال: تشير التقارير إلى: أنّ الصين ستكون أوّل من سيتم تزويده بهذه المنظومة من قبل روسيا، لكن ذلك لن يتم قبل العام (٢٠٢٠) على الأرجح، وفقًا للهيئة الفدرالية الروسية للتعاون العسكري التقني، أين يضع ذلك تركيا؟

تصريح بوتين يأتي على الأرجح في توقيت لا تزال فيه العلاقات التركية-الأوروبية، والتركية-الأمريكية مسمومة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى علاقة تركيا مع «حلف شمال الأطلسي»، ولذلك فإن فهمه من هذه الزاوية يعطي تقييمًا أكثر واقعية له في المرحلة الحالية على الأقل.

ثعابين اليمن.. «المكايدة» وصعود الحوثي

د. محمد جميح - «القدس العربي»، (٢٠١٧/٦/١٥)

يمكن البدء هنا بما يمكن الاختتام به: الحوثي لم يولد من فراغ! هو خطأ وخطيئة اليمنيين؛ بكل مكوناتهم السياسية وانتماءاتهم المذهبية، وتنميطاتهم الاجتماعية والثقافية.

كلمة السر في فهم حركة صعود الحوثي ليست «النصر الإلهي» الذي يردده الحوثيون، لأنهم وإن زعموا أنهم «أنصار الله»! فإنها دعوى من الدعاوى والشعارات الكثيرة المزيفة التي

رفعوها، وفي مقدمتها شعارهم الإيراني: «الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل».

كلمة السر في فهم تقدم الحوثيين في مسارهم العسكري من صعدة شمالًا إلى عدن جنوبًا: تكمن في لفظة واحد هي: «المكايدة»، المكايدة السياسية والمذهبية والقبلية هي التي أعطت الحوثي فرصته الذهبية للتقدم؛ حتى بسط سيطرته على اليمن كلها مع نهاية (٢٠١٤).

وعودة إلى الوراء، في (٢٠٠٤) أعلن عن تأسيس «تنظيم الشباب المؤمن» في محافظة صعدة، دعمه الرئيس السابق علي عبد الله صالح، بمبلغ شهري كان يصرف لدعم أنشطة التنظيم الثقافية والدينية؛ حسب حديث لأمينه العام السابق محمد عزان؛ الذي عُزل في ما بعد، لإتاحة الفرصة لحسين الحوثي.

كان هدف صالح من زراعة التنظيم هناك: أن يضيف مكونًا سياسيًّا ودينيًّا إلى المكونات الموجودة؛ من إصلاح وسلفيين، ليتسنى لصالح ممارسة لعبته المفضلة في «الرقص على رؤوس الثعابين»!

كانت محاضرات حسين الحوثي تعج بعبارات طائفية، وكانت تمتلئ بالعبارات التي تقدح في رموز المسلمين مثل: أبي بكر وعمر وغيرهما، وكانت النار الطائفية تلتهب رويدًا رويدًا على وقع تفريغ محاضراته وكتابتها وتوزيعها على الناس في صعدة، وبعض مناطق صنعاء، لغرض فتح الباب للاحتقان الطائفي؛ الذي كان مطلوبًا له أن يزداد إلى القدر الذي تحلو معه «رقصة الثعابين»، دون أن تنفلت هذه الثعابين لتلدغ الراقصين!!

لكن «الثعبان الطائفي» خرج عن الطور، وكشر عن نابيه؛ بإعلان الحرب على الدولة والمجتمع في (٢٠٠٤)، وخلال حروب ست بين الجيش اليمني والحوثيين، امتدت من (٢٠٠٤ إلى ٢٠١٠) كانت «رقصة الثعابين» تؤدى بين الحين والآخر؛ حيث دخل المسرح لاعبون/راقصون جدد!

كانت أحزاب «اللقاء المشترك» التي تزعمها حزب الإصلاح - حينها - تقف ضد الحرب التي قضى فيها آلاف الجنود والمواطنين على يد مليشيات الحوثي، وكانت تتحدث عن «مظلومية الحوثي»، وكان ناشطون وناشطات من الحزب يقومون بحملات متواصلة للتأكيد على هذه «المظلومية»، وكان لوجود حزب «الحق» برئاسة حسن زيد، واتحاد القوى الشعبية؛ الذي كان يقوده الدكتور محمد عبد الملك المتوكل (وهما حزبان شيعيان)؛ كان لوجودهما ضمن «اللقاء المشترك» دور في اتخاذ الإصلاح موقفًا أقرب للتضامن مع الحوثيين، من باب المماحكات السياسية.

مرت السنوات ثقيلة ملطخة بالدم، إلى أن وصلنا إلى مشارف عام (٢٠١١)؛ حيث وصلت موجات «الربيع العربي» إلى صنعاء، وفجأة اجتاحت تلك الموجات شوارع العاصمة ومدنًا يمنية أخرى، ودخل الإصلاح للساحات، وتولى قيادة العمل الجماهيري المعارض.

وحينها أراد صالح أن يضغط على الموجات الهادرة في الشوارع بإخافتها من الحوثيين، فقام بسحب الوحدات الأمنية من صعدة، وسلمت المدينة للحوثيين، ورد الإصلاح بفتح ساحات صنعاء للحوثيين الذين ركبوا الموجة، وتدفقوا «بصورة سلمية» إلى صنعاء يهتفون مع «الإخوة في الإصلاح» بشعار الثورة: «الشعب يريد إسقاط النظام».

أذكر حينها أنني من لندن اتصلت بأحد قيادات الإصلاحيين في «ساحة التغيير» في صنعاء، بعد ورود أخبار تشبه «الإشاعة»! بأن الحوثيين يتدفقون على صنعاء، وسألته: هل صحيح أن الحوثيين متواجدون في الساحة؟ فأجاب: «نعم، وهم إخواننا وشركاؤنا في الثورة الشعبية السلمية»، في وقت أفتى شيوخ الإصلاح بجواز جمع صلاتي الظهر والعصر للمتظاهرين في «ساحة التغيير»، كما هو الحال عند الشيعة؛ انسجامًا مع المذهب الديني للحوثيين.

كان صالح في إحدى غرف «دار الرئاسة»، يفكر في مخرج من «الورطة» التي وجد نفسه فيها! وتم تداول عدد من الحلول لشق صف المتظاهرين، وفي أحد الأيام بدأت فكرة التواصل مع الحوثيين تلح عليه.

لا دليل بالطبع على أن الرئيس السابق كان قد نسج خيوط علاقته مع الحوثيين في ذلك التاريخ المبكر، لكن الأرجح أن الفكرة تم تداولها على وقع تزايد الهدير في شوارع صنعاء.

في (مايو ٢٠١١) اتصلت هاتفيًّا بأحد شيوخ قبيلة بكيل، وكان من المعارضين لصالح، فقال لي: «إن هناك مخاوف من أن ينتقم صالح من الإصلاح بالتحالف مع الحوثيين».

بدت الفكرة لي -حينها- ضربًا من الجنون! إذ كيف يمكن أن يتم التحالف بين الأعداء الذين جرت في حروبهم أنهار من الدماء؟! لكن بدا أن الشيخ القبلي كان يدرك بواطن الأمور بشكل مدهش!

مع تقدم السنوات، وحلول (٢٠١٢)، وانتخاب الرئيس عبد ربه منصور هادي، والوصول إلى الحوار الوطني في بداية (٢٠١٣): ذهبت إلى صنعاء عضوًا في الحوار، كنت حينها ضمن قائمة رئيس الجمهورية، وكنت أندهش لحجم التنسيق العالي بين أعضاء حزب المؤتمر الشعبي العام وأعضاء جماعة الحوثي في «مؤتمر الحوار»، وكنت أدخل في مشادات -أحيانًا- مع زملائي من حزب «المؤتمر» الذي أنتمي إليه، معترضًا على ذلك التنسيق، غير أنهم كانوا يذهبون بعيدًا فيه؛ لدرجة تفضح وجود أوامر تنظيمية بذلك.

مع نهاية الحوار في (يناير ٢٠١٤) شددت الرحال إلى لندن؛ لأفاجأ بأن الحوثيين في اليوم التالي تحركوا لغزو منطقة «دماج»؛ التي يقطنها سلفيون يتبعون الشيخ الراحل مقبل الوادعي.

صمدت العزلة شهورًا طويلة تحت الحصار، قبل أن يأمر الرئيس هادي أهاليها بالخروج منها؛ كحل للحرب عليها، وهو ما تم؛ حيث شهد اليمن أول عملية «تطهير مذهبي» في تاريخه الحديث، بتهجير آلاف السلفيين من دماج!

كان علي عبد الله صالح يقف وراء الستار يمسح شاربيه، ويرقب الأحداث؛ التي كان هو لاعبها الرئيس، تحرك الحوثيون من صعدة إلى عمران، وبالحجج التي يكررونها «في الدفاع عن النفس، ومواجهة الإخوان (حلفاء ٢٠١١)، والتكفيريين حتى دخلوا صنعاء في (سبتمبر ٢٠١٤).

كان صالح حينها يتواصل مع القيادات، وينسج خيوط التحالفات، وكان اللاعب الجديد الذي دخل المسرح هو: الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي.

لم يكن هادي بعيدًا عن عملية دخول الحوثيين عمران وصنعاء، مع إنه كان يتعلل بالقول إنه لم تكن لديه سيطرة على الجيش الذي كان يقول أنه يدين بالولاء لصالح، غير أنه في الواقع لم يصدر أوامره لمواجهة الحوثيين، ولا دليل على وجود نية حقيقية من هادي لمواجهتهم؛ حيث رأى فيهم هادي عنصرًا يمكن أن ينسق معه ضد الرئيس السابق من جهة، وللحد من قوة «الإصلاح» والجنرال علي محسن الأحمر؛ الذين خرجوا من أحداث (٢٠١١) في قوة بات هادي يخشاها، رغم أنه جاء إلى السلطة على إثر الثورة التي دعموها.

كان هناك لاعبون آخرون في «مشهد المكايدة» هذا؛ حيث رأى «الحراك الجنوبي» في الحوثيين قوة مهمة لضرب خصميه اللدودين: «الإصلاح» و«صالح»، فكان الحراك يقف بكل ثقله الإعلامي والجماهيري والتعبوي مع حركة الحوثي، وكانت الفرحة غامرة في أوساط الحراكيين بدخول الحوثيين صنعاء.

بعد دخول الحوثيين صنعاء، وتحديدًا في (١٤ أكتوبر ٢٠١٤) كان القيادي الحوثي محمد البخيتي هو الوحيد من قيادات المكونات اليمنية الذي دعي إلى مهرجان أقيم بمناسبة ذكرى ثورة أكتوبر، في ساحة العروض في عدن، بدعوة من الحراك الجنوبي.

وقبل ذلك كان التنسيق عاليًا بين الحوثيين والحراكيين داخل قاعات «مؤتمر الحوار الوطني»؛ حيث كان الحوثيون يؤيدون طرح «حق تقرير المصير» للجنوب، وكان الحراك يؤيد فكرة (الاعتذار للحوثيين) في «مؤتمر الحوار» عن حروب صعدة.

وتمر الأحداث، ويأتي التحالف العربي على خريطة يمنية معقدة، تتم فيها التحالفات والتحالفات المضادة بسرعة فائقة! محكومة بفكرة «المكايدة» التي استطاع الحوثي توظيفها -داخليًّا وخارجيًّا- إلى أن وصل إلى سواحل عدن مطلع (٢٠١٥).

وباختصار: الكل أخطأ، والكل أسهم في تقوية الحوثي، وإن بنسب متفاوتة، ولأغراض مختلفة! مع أن الحوثي ضرب كل الذين تحالفوا معه دون استثناء؛ فالإصلاح (حليف ٢٠١١) شهد كارثته الأعظم على يد الحوثيين بعد دخول صنعاء، والحراك غزاه الحوثي إلى عدن، وصالح يعيش اليوم تحت رحمة مليشيا عبد الملك؛ التي فتح لها معسكرات الدولة.

أما هادي الذي حاول أن يوظف الحوثي لصالحه؛ فقد انتهى به الأمر في الإقامة الجبرية، قبل أن يهرب إلى عدن؛ ليضربه الحوثي بالطيران الحربي، قبل أن ينجو إلى الرياض.

الكل رقص مع الثعبان! والكل حاول ترويضه! لكن الثعبان التهم الجميع، وها هو اليوم يلتهم نفسه، ينتحر في كل الجبهات، بعد أن خرج لقتال «الأمريكيين والإسرائيليين» في كل بقعة على تراب اليمن.

هذا غيض من فيض، وهناك تفاصيل ولاعبون لا يتسع المقام لذكرهم هنا، ربما أتيحت الفرصة لتناول طرائق رقصهم في مناسبة أخرى.

البلد ينهار، والثعابين المجهدة تأكل بعضها، وتأكلنا!

وقديمًا طلب حاكم فاسد من أحد المجانين أن يدعو له بالصلاح، فقال المجنون: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[يونس:٨١].

هل «فتح الشام» خوارج أم لا؟!

تغريدات الشيخ موسى الغنامي

▣ تأصيل: ترتكز عقيدة الخوارج على أمرين:

١) التكفير بغير مكفر؛ سواء في الكبائر أو المعاصي أو حتى المباحات.

٢) استحلال الدماء؛ بناء على تكفيرهم.

دليل ذلك حديث النبي ﷺ: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»، فلو لم يكفروا ما بنوا حكم القتال!

هاذان الأمران يبينان بجلاء معتقد الخوارج.

▣ ومن ناحية السلوك فينطلق الخوارج من قاعدتين:

١) تخوين المخالف لهم، واتهامه في دينه.

٢) يكون أساس هذا التخوين أمرًا دنيويًّا يلبسونه لبوس الشرع!

دليل ذلك حديث ذو الخويصرة عندما أتهم النبي ﷺ في دينه؛ عندما رآه يقسم المال فقال: «أعدل يا محمد! فإنك لم تعدل»، فطعن في دينه لأمر دنيوي.

هذان أهم مرتكزان للخوارج في الاعتقاد، وأهم منطلقين في السلوك، وأزعم أن فهمها كفيل بأن يعرف طالب العلم أي حزب أو جماعة تنحى منحى الخوارج.

إذا تقرر ما سبق فدعونا ننزلها على «فتح الشام»، ونرى هل ينطبق عليها وصف الخارجية أم في ذلك إجحاف؟ مع الاتفاق -حتى من بعض شرعييهم- أن عندهم غلو!

▣ وسأبدأ بالمرتكزات العقدية للخوارج:

أولًا: التكفير بغير مكفر، فنجد أن أبا فراس السوري -متحدث النصرة سابقًا ومدير المعاهد العلمية لاحقًا- **يصف من حضر مؤتمر الرياض ومن يأخذ الدعم من الملوك** من الفصائل والإئتلاف بأنهم وقعوا في (ردة صريحة) وعليهم أن يتوبوا قبل القدرة عليهم!

ولا يقف عند هذا بل يصف أحرار الشام بـ (رسل المرتدين)، وكل ذلك بسبب حضور مؤتمر الرياض؛ والذي لا يقول (مسلم) بأن حضوره محرم؛ فضلًا أن يكون ردة!

وهذا هو أول مرتكزات الخوارج العقدية = التكفير بغير مكفر.

قد يقول قائل: أبو فراس لا يمثل إلا نفسه، وليس معتقد «فتح الشام» كجماعة ؟!

والجواب:

١ - لم يصدر عن قيادة «فتح الشام» وقتها أي اعتراض؛ رغم استنكار قادة الفصائل والعلماء.

٢ - بل ذكر أبو فراس: أن كبار شرعييهم وافقوه على حكمه!!

٣ - ذكر شيخ صالح الحموي -أحد مؤسسي النصرة-: أن رأي أبا فراس في التكفير يتبناه (٦٥%) من أفراد «فتح الشام» وشرعييهم وقادتهم!

فهذا الأصل الأول.

ثانيًا: القتال بناء على التكفير، فنجد «فتح الشام» بنَت قتالها للفصائل على تكفيرهم؛ وهذا جلي في الصوتيات التي تنشر حال عدوانهم على الفصائل! وأيضًا في كتابات جنودهم على مقرات الفصائل التي يحتلونها بعد القتال!

قد يقال: الذي نقرأه في بيانات القوم أنهم لا يكفرونهم؛ ولو قاتلوهم؟!

والجواب:

١ - لا يختلف اثنان: أن المقدسي هو المحرك الفعلي لـ «فتح الشام»، وقد أفتى بأن قتال الفصائل هو كقتال بني قريضة؛ وليس تغلبًا، وهذا صريح!

٢ - المعروف عن القاعدة أنهم: لا ينزلون للشرع مع من يرونه (مرتدًا)، وهذا ما تكرر أكثر من (١٦) مرة مع من يطالبهم بالشرع، ويأبون إلا استئصاله!

٣ - الذي يعرف القاعدة يعلم باطنيتهم؛ كما فعل العدناني -أيام إخوة المنهج- عندما استعاذ بالله من استباحة وتكفير المجاهدين! فلما تمكن نكل بهم!!

ما مضى مرتكزًا عقيدة الخوارج، وكما ترون تحققها على «فتح الشام» بواقع الحال؛ وأما تكذيبهم لها بالمقال فلن تجد جماعة تقر على نفسها بالخارجية!

أما بخصوص سلوك الخوارج مع مخالفهم بالأمرين الذي ينطلقون منها، فهذا واضح في «فتح الشام»، وأدنى متابع للشأن السوري لا يحتاج إلى دليل لذلك!

أولًا: تخوين المخالف لـ «فتح الشام» واتهامه؛ فهذا أمر سارت به الركبان، وما وصف (مميع -ديمقراطي -عميل -مطية للغرب -موك -بلا قرار) إلا دليل تخوين!!

وهذه الأوصاف التخوينية تجدها حاضرة في بيانات «فتح الشام» الرسمية ضد الفصائل وقادتهم والمفاوضين عن الشعب في المحافل الدولية على السواء!

ثانيًا: يكون تخوين «فتح الشام» ذريعة لهم لأمر دنيوي يلبسونه لبوس الشرع، وهذا -أيضًا- ظاهر في سطوهم على أسلحة الفصائل ومستودعاتهم بحجة الخيانة!

وأمثلة ذلك تتزاحم في ذهني: فسرقة معامل جيش الإسلام في الغوطة، وأسلحة تجمع، فاستقم في حلب، وجيش المجاهدين قبل أيام، وقبل ذلك (١٥) فصيلًا.

فهذا معتقد الخوارج وسلوكهم قد ظهرت في «فتح الشام»، ولا يغرنّكم معسول الكلام وإدعاء المظلومية! فقد دندن عليها الدواعش قبلهم؛ ثم رأينا ما صنعوا!

ختامًا: أشهد الله أن: «فتح الشام» ينطبق عليهم وصف الخوارج، أقول ذلك ديانة لله، وقد نطق بهذا الحكم المجلس الإسلامي؛ وهو أكبر مرجع للثورة السورية.

«دير شبيغل» تكشف بالصور جرائم الحشد الشعبي الإيراني، ومنافستهم على اغتصاب النساء

بندر الدوشي - «صحيفة سبق»، (٢٠١٧/٥/٢٤)

وصفت مجلة «دير شبيغل» الألمانية قوات الحكومة العراقية وميليشيات الحشد الشيعية بـ (الوحوش)! وذلك على خلفية ممارساتهم الطائفية التي كان بعضها بعلم القوات الأمريكية بحق أهالي مدينة الموصل السُّنية الواقعة شمالي العراق، ضمن استراتيجية إفراغ تلك المناطق، وإرغام السنة على الخروج وترك مناطقهم؛ حتى يتم التغيير الديموغرافي المطلوب!

ووثقت المجلة الألمانية بالصور العديد من حالات الانتهاكات التي ارتكبتها قوات الحكومة العراقية وميليشيات الحشد الشيعية في الموصل، منذ انطلاق العمليات العسكرية في المدينة؛ بحجة طرد تنظيم الدولة في (١٧ أكتوبر ٢٠١٦).

❑ (وحوش)! وليسوا (أبطالًا):

مراسل المجلة الألمانية علي أركادي -بحسب «أورينت نيوز»- رافق قوات الحكومة العراقية وميليشيات الحشد الشيعية، منذ انطلاق الحملة، وخرج بحصيلة من الحقائق التي تكشف لأول مرة؛ حيث كان يعد تقريرًا عن أبطال التحرير في الموصل، غيَّر رأيه بعد معايشته للواقع عن قرب، وأطلق وصف: **(وحوش)! بدلًا من (أبطال)**؛ الذي كان ينوي إطلاقه على الجنود العراقيين وعناصر ميليشيات الحشد!

❑ إعدام وتعذيب:

يؤكد الصحفي أنه شهد أول عملية تعذيب وإعدام في يوم (٢٢ أكتوبر) من العام (٢٠١٦)، عندما اعتقلت قوات الرد السريع شابين في قاعدة القيارة جنوب الموصل، وقامت هذه القوات بتعذيبهما لعدة أيام، ومن ثم أعدموهما.

وبعدها ذهب الصحفي إلى منطقة حمام العليل، بتاريخ (١١ نوفمبر عام ٢٠١٦)، ومنذ ذلك الحين حدثت أمور أكثر؛ تعذيب، واغتصاب، وقتل الناس؛ لأجل الشك فقط!!

وأوضح: أن قوات حكومة بغداد -بعد أن سيطرت على قرية قبر العبد قرب حمام العليل- اعتقلت عناصر الاستخبارات أشخاصًا عدة من بينهم: رائد هندية -وهو حارس لأحد المساجد في القرية-؛ حيث أخذوه، واستجوبوه، وضربوه لعدة ساعات، وأطلقوا سراحه.

ويستطرد الصحفي: «بتاريخ (٢٢ نوفمبر) دهمت ليلًا قوة مكونة من (١٠) أشخاص، وكانت القوات الأمريكية في مكان قريب وتراقب المداهمة عبر طائرة مسيرة، كان هندية نائمًا مع عائلته عندما اعتقلوه للمرة الثانية، وعذبوه لساعات قبل أن ينقلوه إلى مقر الاستخبارات، وهناك تم تعذيبه لمدة أسبوع، وبعد ذلك تم قتله مع عدد آخر من المشتبه بهم؛ وهذا حسب قول النقيب ثامر

الدوري -أحد ضباط الاستخبارات-.

وفي الليلة نفسها اعتقلوا شابًّا يدعى: رشيد، وكان بريئًا، وشهد له عناصر استخبارات في الجيش، لكن ذنبه: أن شقيقه الأكبر التحق بداعش هو وزوجته، توفي رشيد بعد (٣) أيام من التعذيب، ورأيت جثته في مقر الاستخبارات».

وبحسب قول الصحفي؛ فإن الكابوس قد بدأ الآن: قوات الرد السريع اعتقلت العديد من الأشخاص من حمام العليل، من بينهم أب وابنه البالغ من العمر (١٦) عامًا، وتم اقتيادهما إلى مقر العمليات، الأب مهدي محمود تم تعليقه من يديه خلف رأسه، وهو معصوب العينين، وضربوه على ظهره، وكان ابنه في الغرفة المجاورة، وكان يستطيع سماع صراخ أبيه.

مستطردًا: «كنت هناك وصورت؛ ولم يحاولوا منعي، وبعدها ضربوا الابن أمام أعين أبيه، وبعدها قتلوه».

ويتابع: «بعدها أصبحت الأمور خارج السيطرة أكثر فأكثر، وكنت أفكر وأقول: كيف استطعت الوصول إلى هنا؟ لماذا يجعلونني أصورهم وهم يعذبون الناس؟ كيف يكون هذا وثائقيًّا عن التحرير من داعش؟ لكنهم لا يفكرون مثل الصحفيين؛ بالنسبة إليهم أصبح هذا الشيء أمرًا عاديًّا! وبالوقت نفسه قلت لنفسي: يجب أن توثق هذا، وتثبت أنهم فعلوا هذه الأمور التي تظهر كيف ارتكبوا جرائم الحرب».

❑ على الطريقة الأمريكية:

ويوضح الصحفي -الذي يعمل مراسلًا مع المجلة الألمانية-: أن المنطقة كان يعمل فيها صحفيون غربيون، لكنهم يأتون في النهار فقط، ويعودون إلى أربيل في المساء.

ويقول: «كنت أبقى وحدي مع القوات التابعة لوزارة الداخلية، في منتصف شهر (ديسمبر) تم نقلنا إلى مقر آخر في بازوايا، في الأطراف الشرقية لمدينة الموصل، كان هناك شقيقان ليث وأحمد، وتم اعتقالهما بوساطة الفرقة الذهبية، وتم إطلاق سراحهما لنقص الأدلة، والآن تم اعتقالهما مرة أخرى، وإحضارهما إلى هنا.

في المساء لم يكن هناك ضباط، فقط جنود؛ وكانوا مسؤولين عن التعذيب، بدؤوا أولًا بضرب الاثنين، أولًا بالضرب، وبعدها وضعوا سكينًا خلف أذن أحمد، وكانت تقنية تعلموها من الجنود الأمريكيين!

علي -أحد الجنود تفاخر بذلك!-، وفوجئت بأنهم سمحوا لي بالتصوير! وبقيت هناك لمدة ساعة، وفي الصبح أخبرني أحد الجنود أن كِلا الشقيقين تم تعذيبهما حتى الموت، وأظهر لي فيديو فيه جثثهما حتى إنه أرسله لي على «الواتساب»، كما يروي ما حصل معه».

❑ الاغتصاب:

ويسرد المراسل الصحفي ما حدث معه في يوم (١٦ ديسمبر)، ويقول: «وصلت قوة من الرد السريع إلى بازوايا، وكانوا قد حصلوا على بعض الأسماء من أحد المخبرين لمن قيل: إنهم أشخاص قاتلوا مع داعش، وفي الليلة نفسها خرجت معهم في حملة مداهمة، قاموا بمداهمة أحد المنازل، وأخرجوا رجلًا يدعى: فتحي أحمد صالح، قاموا بسحبه من غرفة النوم؛ حيث كان إلى جوار زوجته وأطفاله الثلاثة.

أحد العناصر يدعى: حيدر علي دخل إلى الغرفة، وقال: إنه سيقوم باغتصاب المرأة، وأنا رافقت البقية لأرى ماذا سيفعلون بزوجها، بعد (٥) دقائق شاهدت المدعو حيدر علي أمام الباب المفتوح، وفي الداخل المرأة وهي تبكي، فسأله النقيب عمر نزار: ماذا فعلت؟ فأجاب حيدر: أنها حظيت بيومها!

قمت بتصوير المرأة وهي بداخل الغرفة، وبين يديها أصغر أطفالها، فنظرت إليّ؛ ولكني كنت أصور بلا تفكير».

❑ سرقة وتعفيش بمعرفة القوات الأمريكية:

ويتابع رصد ما حصل معه: «في أثناء ذلك قام بقية الجنود بإخلاء المنزل، وسرقوا ما استطاعوا حمله معهم.

السجين الأخير في تلك الليلة كان أحد عناصر الحشد العشائري السُّني، لكن الحشد الشيعي لا يحبون السُّنة؛ لذا قاموا بأخذه لأحد الأبنية وقام أحد الجنود باغتصابه!

وعندما عادوا إلى المقر سألهم المشرف الأمريكي عبر اللاسلكي: ماذا فعلتم؟ فأجابه النقيب عمر نزار: كل شيء؛ لقد أخذنا رجالًا ونساء، وقمنا بنهب المنازل، فأجاب المشرف الأمريكي: حسنًا؛ أنتم تعرفون ما تفعلون.

الأمريكان كانوا على دراية بكل ما يحدث.

❑ المنافسة على اغتصاب امرأة:

ويتابع: «كان هناك نوع من المنافسة بين الشرطة الاتحادية وقوات الرد السريع، عندما قالت عناصر الشرطة الاتحادية: إنهم وجدوا امرأة حَسنة المظهر في أحد المنازل، وقاموا باغتصابها، قالت عناصر الرد السريع: إنهم يريدون الذهاب إلى ذلك المكان مرة أخرى.

❑ طوز خورماتو:

كذلك شهد مراسل مجلة «دير شبيغل» الألمانية حملة قتل مأساوية، قامت بها الميليشيات الشيعية في (مايو) العام الماضي، في مدينة طوز خورماتو جنوب كركوك.

وذلك الوقت قيل: إن أكثر من ألف سني قد اختفوا من طوز خورماتو وحدها!

الهاربون من مناطق القتال في العراق قد أكدوا شهادات اختفاء الكثيرين أيضًا، ولكن للأسف كل هذه الشهادات افتقرت إلى الأدلة الدامغة.

❑ الهروب مع الوثائق:

ويتذكر الصحفي العراقي آخر أيامه مع قوات الرد السريع، مشيرًا إلى أنه لم يعد باستطاعته تحمل ذلك.

ويضيف: «تخيلت أن تلك قد تكون زوجتي أو ابنتي! وعندما كان النقيب وأحد الجنود يضربان المعتقلين طلبوا مني أن أنضم إليهم وأشاركهم في ضرب المعتقلين.

لقد كان موقفًا عبثيًّا! الجميع عاملني كأني جزء من فريقهم، كان عليّ فعل ذلك لأني كنت خائفًا، فأنا كردي وأعمل لدى وكالة صحفية أمريكية، وكانوا أربعة أشخاص ويحملون السلاح، وطلب مني عدة مرات أن أشاركهم، قمت بصفع أحد المعتقلين، لكن ليس بقوة، كان أمرًا فظيعًا!! وكان آخر شيء فعلته هناك».

وفي محاولته الخروج من المنطقة سالمًا؛ تحدث الصحفي عن الطريقة التي تمكن من خلالها من المغادرة، وقال: «ادعيت أن ابنتي مريضة، وعدت إلى عائلتي في خانقين، وبقيت هناك بضعة أيام، وبعدها أخذت عائلتي إلى مكان آمن خارج العراق؛ لأنه كان من الواضح أن حياتي ستكون في خطر فور نشري للأدلة التي تثبت هذه الجرائم».

الصحفي علي أركادي يختم تقريره المطول بالقول:

«الآن عرفت كيف استطاعت داعش السيطرة على الموصل وغيرها من المناطق السُّنية بسهولة».

ويضيف: «أنا وعائلتي الآن نعيش خارج العراق، أين بالضبط؟ لا أستطيع أن أكتب عن ذلك لأسباب أمنية، أنا لم أصور أي شيء حدث هناك سرًّا، الجميع كان يشاهدني وأنا أوثق انتهاكاتهم لساعات طويلة.

نعم؛ لقد كانوا يرسلون لي -أيضًا- فيديوهات عن جرائمهم عندما أطلب منهم ذلك، وفيما يخص قتل الأخوين لقد قالوا لي: إني لي مطلق الحرية في إضافة فيديوهات القتل التي

صوروها إلى فيلمي الوثائقي.

لقد فقدوا كل مقاييس الخطأ والصواب! لقد حاولت أن أستمر بمجاراة هؤلاء الاثنين حتى الانتهاء من معركة الموصل، ولكن ذلك لم يحدث، لقد أردت أن أجعل منهم أبطالًا ، لن يحدث ذلك أيضًا.

إنه من الصعب أن تبدأ حياة جديدة في مكان آخر، خانقين كانت موطني، لقد أحببت أن أعيش هناك، ولكن هذا ثمن عليّ أن أدفعه من أجل أن أنشر ما رأيته هناك».

❑ جرائم حرب:

وكانت منظمات حقوقية دولية قد أكدت قيام ميليشيات الحشد الشيعية بأعمال انتقامية طائفية بحق السنة في العراق، حيث اتهمت منظمة العفو الدولية «أمنستي» حكومة بغداد بغض الطرف عما سمته: (نمطًا ممنهجًا) من انتهاكات خطيرة ترتكبها ميليشيات الحشد الشعبي، وتغذي التوترات الطائفية؛ باستخدام سلاح الجيش، وشن جرائم هجمات انتقامية استهدفت بصورة رئيسة: العرب السنة، دون أن يخضعها أحد للمحاسبة.

كذلك اتهمت منظمة «هيومان رايتس ووتش» ميليشيا الحشد الشعبي بالقيام بأعمال نهب منازل، وإلحاق أضرار بها، أو تسويتها بالأرض في بلدة وأربع قرى قرب الموصل، خلال عمليات استعادتها من تنظيم الدولة؛ من دون أي ضرورة عسكرية ظاهرة، مشيرة إلى أن ذلك «يرقى لمصاف جرائم الحرب».

❁❁❁

(٧) ملاحظات حول عملية طهران المسلَّحة

د. محمد السلمي - «الوطن السعودية»، (٢٠١٧/٦/١٤)

وقعت يوم الأربعاء من الأسبوع الماضي حادثتان على يد مسلَّحين في العاصمة الإيرانية طهران:

في الأولى: هاجم مسلَّحان ضريح الخميني بالبنادق الرشاشة، وفجّر أحدهما نفسه بحزام ناسف، وأصابوا عددًا من أفراد الأمن.

وفي الثانية: هاجم أربعة مسلحين مبنى البرلمان الإيراني، واحتلوا طابقَين من طوابقه، وأطلقوا النار على رجال الحراسة والمواطنين.

وأعلن حسين ذو الفقار -نائب وزير الداخلية الإيراني-: أن عدد ضحايا الهجومين بلغ (١٣) قتيلًا، و(٤٣) مصابًا.

هذه الأحداث كشفت كثيرًا من جوانب الضعف في الداخل الإيرانيّ وبنية النِّظام الحاكم، وأثارت بعض الاستفهامات نعرض أهمها في ما يلي:

١ - سهولة دخول المسلَّحين إلى مقر جهة حكومية، يُفترض أنها تتمتع بحراسات أمنية مشددة، وقد كشف ذلك أحد المصابين عندما زاره وزير الصحة الإيرانيَّة؛ إذ قال: «كيف يُعقل في الهيئة التشريعية وسط منطقة بهارستان أن يدخلوا بأسلحة بهذا الحجم؟! لم يكُن هناك أي عنصر من الشرطة، ولا أي قوات أمنية!».

وهذا يثير الشكّ حول العملية بأكملها، وما إذا كانت مدبَّرة!

نعلم أن إيران تواجه تحديات أمنية على حدودها؛ بخاصَّة في كردستان وبلوشستان، وأنها في مواجهات مسلَّحة مع عناصر انفصالية، فهل عجزت إيران عن مواجهتهم؛ فرأت وصف تلك

التنظيمات بالدواعش لكسب التعاطف الدولي والتجهيز لعمليات عسكرية ثقيلة ضدّ الأقلِّيَّات العرقية؛ بخاصَّة في شرق البلاد وغربها؟

يؤيد هذه القراءةَ: انتشارُ مقطع فيديو مطلع الأسبوع الجاري يُظهِر توجه أرتال ضخمة من الدبابات وراجمات الصواريخ الإيرانيَّة نحو الحدود مع الباكستان.

٢ - تدنِّي مهارات رجال الأمن في التعامل مع المسلَّحين، فقد شاهدنا الإرهابيين يظهرون عبر النوافذ ويطلقون النار، وبعضهم يخرج ثم يعود إلى داخل المبنى بكل سهولة، فأين الاحترافية في التعامل مع هذا النوع من المسلَّحين؟ وأين القنَّاصة؟

وأيضًا أظهرت الصور اختباء رجل أمن مسلَّح وراء بعض المدنيين؛ دون أن يحاول مواجهة المسلحين، ناهيكم بحماية المدنيين!

٣ - أظهرت مقاطع فيديو مصوَّرة في إيران حدوث تشابُك بالأيدي بين عناصر من قوات الأمن الداخلي، وآخرين من قوات الحرس الثوري المتخصصة في التعامل مع الشغب! ويبدو أن كل جانب كان يرغب في التعامل بطريقته مع حادثة البرلمان، في ما يمثّل صورة مصغرة لطبيعة البنية السياسية في النِّظام الإيرانيّ.

ففي إيران: مؤسَّسات الحكومة المرتبطة بوزير الداخلية ورئيس الجمهورية.

وفيها: «دولة الثورة» المرتبطة بالحرس الثوري والمرشد الأعلى علي خامنئي.

وهذا الصراع أمام الجميع يكشف حقيقة عدم التنسيق وعدم التناغم، وربما حقيقة التنافس غير الشريف بين أجنحة النِّظام الإيرانيّ!

٤ - كشف ردّ الفعل بعد الحادثة في طهران ارتباك النِّظام الإيرانيّ؛ بخاصَّة الحرس الثوري، فقد وجدنا العميد حسين سلامي - نائب قائد الحرس الثوري - يتّهم السعوديَّة صراحةً بالوقوف وراء العملية المسلَّحة، ثم يخرج بعدها وزير الاستخبارات محمود علوي ليقول: إنه لا يزال من المبكر التأكُّد من تورط السعوديَّة في هذه الحادثة.

أيضًا خرج بعض مَن وصفوهم بـ «خبراء اللغة العربية في إيران» ليقولوا: إن لهجة المتحدث الذي ظهر في التسجيل الذي بثَّه تنظيم داعش تؤكّد أن العناصر المسلَّحة تتحدث بلهجة مغاربية، وحدّد: اللهجتين الليبية والتونسية.

الواقع يؤكّد: أن مَن تحدث بالعربية ليس بعربي، وأكبر دليل على ذلك كلمة «أتزُنُّون» (أتظُنُّون).

الأهَمّ من ذلك: أن إيران بعد ذلك أصدرت قائمة بالعناصر المسلَّحة التي قُضِيَ عليها، وجميعهم يحملون الجنسية الإيرانيَّة!

٥ - نشرت وسائل الإعلام الإيرانيَّة صورًا لأحد القتلى من العناصر المسلَّحة، ونجد فيها شيئًا غريبًا؛ فتارة تُظهِر الصور المسلَّح مطروحًا على الأرض منتعلًا حذاءه، وتارةً أخرى تُظهِره وقد أُلقِيَ الحذاء إلى جواره، وتارةً جسده منحنٍ وتارةً منبسط، وتارة بنطلونه ممزَّق وتارةً سليم! مما يوحي باحتمالية تلفيق هذه الصور التي يشير فيها الأمن الإيراني إلى تمكُّنه من قتل المسلَّحين منفِّذي العملية.

٦ - للمرة الأولى يتبنى تنظيم «داعش» عملية مسلَّحة، ولا يزال التعامل الأمني معها مستمرًّا، فعادةً يتبنى داعش عملياته بعد ساعات من وقوعها، مما يثير علامات استفهام كثيرة!

فهل أرادت: قطع الطريق على جهات أخرى من جهة، ونفي التهم التي ترى ارتباطها بنظام «ولاية الفقيه»، من جهة أخرى؟

لماذا وجهوا خطابهم باللغة العربية؛ بينما إيران تتحدث

الفارسية؟ ولاحقًا ثبت أنهم من الإيرانيين؟

أسئلة كثيرة تبحث عن إجابة؟!

٧- كان المسؤولون الإيرانيّون يقولون: إن تنظيم «داعش» لن يجرؤ على الاقتراب من الحدود الإيرانيَّة، ناهيك باختراقها، وأن الشعب الإيرانيّ -بشيعته وسُنَّته- أبعد ما يكونون عن التأثُّر بالفكر الإرهابي.

بعد هذه العملية -إذا ما سلّمنا جدلًا بأن منفّذيها مرتبطون بداعش فعلًا- ثبت: أن إيران ليست بالقوة التي تحاول أن تصوِّر نفسها بها، والأهمّ: أنه حتى إذا كانت علاقة إيران بالتنظيمات الإرهابية جيدة؛ سواء القاعدة سابقًا أو داعش حاليًّا، وبينها وبينهم مصالح مشتركة؛ فالإرهاب يستهدف الأقرب إليه إذا شعر بتضييق الخناق عليه.

وهذا -أيضًا- يعيدنا مجدَّدًا إلى تسجيل الفيديو، عندما قال المسلَّح: «أتظنون أننا سنرحل؟»، فإذا كان هؤلاء دواعش فعلًا؛ فماذا يعني بـ «نرحل»؟ هل قرَّرَت إيران التخلي عنهم وطلبت منهم المغادرة؛ فانتقموا منها؟

ختامًا: الإرهاب معضلة عالَمية، تحتاج إلى جهود كبيرة للقضاء عليه ومحاصرته، وإلى تعريف دقيق ومواجهة جادَّة لجميع التنظيمات الإرهابية؛ شيعية كانت أو سُنّية، المستقلة، وتلك التي ترعاها الدول وتموِّلها، وما لم يتحقق ذلك فسيستمر الخطر ولن ينجو منه أحد.

ولكي تثبت إيران محاربتها للإرهاب والانضمام للجهود العالمية في هذا الصدد فعليها إيقاف خلق الميليشيات، ودعم التنظيمات الإرهابية، وتسليم قيادات القاعدة المتواجدة على الأراضي الإيرانية.

بمعنى: الجميع ينتظر أفعالًا لا مسرحيات ومراوغات!

«الحشد الشعبي» الخطر الأكبر القادم من الشرق!

هيثم المومني - «الكون نيوز»، (٢٠١٧/٦/٤)

ميليشيات «الحشد الشعبي العراقي» في العراق ليست إلا ذراع عسكري لإيران الفارسية، كأذرعها العسكرية في دول أخرى؛ كحزب الله في لبنان، والحوثي في اليمن، وغيرها..

والهدف من هذه الأذرع العسكرية هو: السيطرة على هذه الدول، وتصدير ثورة الخميني إليها.

وقد تأسس الحشد الشعبي في العراق بفتوى دينية من المرجع الشيعي الأعلى علي السيستاني، وهو مكوّن بشكل رئيسي من الآلاف من المقاتلين الشيعة، بقيادة القائد في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني.

والحشد الشعبي اليوم جيش منظم ومسلح، ومدرب أكثر من القوات الأمنية العراقية، ويقوم بإبادة وتهجير غير الشيعة من سنة ومسيحيين وأكراد وغيرهم؛ لتكريس هيمنة الشيعة على زمام السلطة في العراق، ودعم السياسيين الشيعة الموالين لإيران بعد أن تراجعت ثقة الشارع العراقي بهم؛ لتحكم إيران قبضتها على العراق؛ الذي أصبح اليوم ولاية من ولايات الفقيه في إيران.

ميليشيات الحشد الشعبي الشيعي المجرمة تفننت بالتطهير العرقي للسنّة في المناطق التي دخلتها، مثل: الموصل والفلوجة وتكريت وغيرها، من: تعذيب، وسحل، وحرق، وتقطيع أجزاء من أجسامهم وهم أحياء، والتمثيل بجثثهم بعد قتلهم، وإعدامات جماعية، واغتصاب للحرائر، وسرقة أعضاء الجثث للاتجار بها، ونهب للبيوت، وخطف للآلاف من أبناء وبنات المناطق التي يدخلونها، وغيرها من الممارسات البشعة الوحشية التي لا تمت للإنسانية بصلة!!

وهم لا يميزون بجرائمهم بين مسن أو طفل، رجل أو امرأة.

وكل هذا يحدث تحت حقد طائفي واعتقادات وفتاوى شيعية، وصل بعضها إلى «أن من يقتل سني له الجنة»!

ولمن أراد أن يستزيد ويرى بشاعة جرائم الحشد الشعبي؛ فليشاهد عشرات الفيديوهات المنتشرة على «اليوتيوب»، وليقرأ اعترافات الصحفيين الأجانب، وتقارير «هيومان رايتس»، واعترافات من استطاعوا الفرار من الحشد الشعبي..

وقد حذر عدة قادة دول ومسؤولين كبار من الخطر الإيراني القادم إلى الدول العربية، منهم:

الملك عبد الله الثاني بن الحسين؛ الذي حذر في وقت مبكر سنة (٢٠٠٤) من الهلال الشيعي،

والملك سلمان بن عبد العزيز، والرئيس الأمريكي ترامب، في القمة السعودية الأمريكية.

والرئيس التركي رجب طيب أردوغان،

ووزير الخارجية السعودي الجبير، في أكثر من مناسبة، وغيرهم من القادة.

وسيستمر هذا الجيش الموازي «الحشد الشعبي» بما بدأ به من جرائم وتطهير عرقي للسنّة في مرحلة ما بعد تنظيم «داعش»، وخاصة بعد تمرير قانون الحشد الشعبي؛ الذي عزز وقوقن وجوده في العراق، وعمل على تكريس هيمنة الطائفة الشيعية على المشهد العراقي؛ خصوصًا وقد برزت مطالبات واضحة بإسناد دور سياسي للحشد الشعبي؛ من خلال السماح له بالتقدّم للانتخابات البرلمانية القادمة كهيكل قائم الذات، بينما تتداول أوساط سياسية عراقية إمكانية منح قادة الحشد ميزات سياسية من قبيل: الحصول على حقائب وزارية سيادية، وغيرها من الامتيازات.

اليوم الحشد الشعبي وصل الحدود العراقية السورية، لا بل إنه قد دخل بعض القرى السورية؛ حسبما طالعتنا بعض وكالات الأنباء العالمية، والتي أكدت -أيضًا- بأن إيران دفعت بقوات كبيرة من حرسها الثوري وميليشيا الحشد الشعبي إلى الحدود العراقية الأردنية.

وبعد تحذيرات التحالف الدولي لإيران والنظام السوري ومن خلفهم روسيا بعدم الاقتراب من منطقة «التنف» على الحدود الأردنية السورية الأردنية، واعتبارها خط أحمر، ووجود قوات التحالف الدولي على الحدود الأردنية السورية في الجانب الأردني، وإرسال الأردن لتعزيزات عسكرية إضافية إلى الحدود العراقية السورية، بعد أن أصبح الجيش الأردني وقوات الحشد الشعبي والحرس الثوري الإيراني وجهًا لوجه على الحدود، وتوتر العلاقات بين العديد من الدول العربية -حكومات وشعوب- مثل: السعودية والأردن والإمارات وغيرها مع كل من إيران وأزلامها في العراق وسوريا، وتحذيرات السعودية وسياسة ترامب المعادية لإيران، وتحذير فرنسا للنظام السوري وإيران بأن الكيماوي خط أحمر في سوريا..

كل هذه العوامل وغيرها تدعم نظرية: أن وصول ميليشيات الحشد الشعبي الشيعية إلى الحدود الأردنية السورية **قد تكون الشرارة الأولى لحرب عالمية ثالثة.**

إن الحديث عن الحشد الشعبي وجرائمه وخطره يحتاج لصفحات كثيرة، لا يتسع لها مقالنا، **لكن ما بات مؤكدًا أن الحشد الشعبي هو «الخطر القادم من الشرق»**، وقد يكون أخطر على السنّة من «داعش» حتى!

«حزب الله» بعد أوباما... انتهاء شهر العسل

حنين غدار - «مجلة المجلة»، (٢٠١٧/٦/١٢)

يتساءل الكثير في لبنان والمنطقة: ماذا تحضّر إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترمب لمواجهة إيران في المنطقة؟ بسبب تصريحات الكثير من المسؤولين الأميركيين المناهضة لإيران و«حزب الله»، وبشكل رئيسي بعد الضربة العسكرية الأميركية في سوريا.

وعلى الرغم من أن الاستراتيجية التي ستتبعها الإدارة الأميركية ما زالت غير واضحة -وذلك إن اتبعت استراتيجية شاملة- لإيران أو للشرق الأوسط بشكلٍ عام.

وبغض النظر عن النتيجة؛ هناك شيء واحد مؤكد، وهو: أن (شهر العسل) الذي تمتعت به إيران خلال عهد أوباما قد انتهى!

وبالتالي فإن على إيران، وبالتالي «حزب الله»: الاستيقاظ ومواجهة الواقع الجديد وغير السار!

▣ عقوبات إضافية على «حزب الله»:

الولايات المتحدة تبحث عن طرق لمواجهة إيران في المنطقة؛ سواء من خلال شن ضربات، أو فرض عقوبات، أو بذل جهود دبلوماسية ضد إيران وحلفائها في المنطقة.

فيقوم الكونغرس الأميركي -مثلًا- بالنظر في فرض عقوبات إضافية وشديدة على «حزب الله»، وقد تم بالفعل القبض على قاسم تاج الدين -أحد ممولي «حزب الله» الرئيسيين؛ الذي أُدرِج اسمه في اللائحة السوداء لوزارة الخزانة الأميركية في (٢٠٠٩)- في المغرب، وإرساله إلى الولايات المتحدة.

هذه التدابير وغيرها قد لا تجبر إيران على الخروج من سوريا ولبنان والعراق واليمن، ولكنها تستطيع حصر عملياتها في المنطقة.

وتحاول إيران اليوم تحقيق أقصى قدر من مكاسبها، وترجمة تقدمها إلى واقع طويل الأمد في المنطقة؛ وذلك لمعرفتها بأن قواتها وميليشياتها ستواجه المزيد من التحديات في سوريا، وربما العراق.

وإحدى السبل التي اتبعتها إيران لإثبات وتأسيس وجودها هي: إنشاء منطقة آمنة، بحكم الأمر الواقع تحت سيطرة «حزب الله» بين دمشق وحدود لبنان.

ولكن قد يكون لبنان المكان الوحيد الذي يمكن لإيران استغلال هذه المكاسب فيه على مستوى أعلى، واستخدامها لخلق بيئة مناسبة تسمح لـ «حزب الله» باستكمال سيطرته على جميع مؤسسات الدولة وقراراتها في لبنان.

لبنان، أو الرقة الشيعية؛ ستكون الفناء الخلفي الآمن والدائم للجيش الإيراني.

يعلم «حزب الله» أنه لن يحقق الانتصار الكامل والاستراتيجي في سوريا بالطريقة التي كان يأمل بها عندما دخل سوريا أول مرةٍ، وإيران تدرك تعقيدات العراق، واستحالة قدرتها على السيطرة على جميع مؤسسات الدولة؛ كما يفعل «حزب الله» في لبنان.

وبالإضافة إلى ذلك؛ فإن إسرائيل تزيد من ضرباتها ضد «حزب الله» في سوريا، وآخرها كان: شن ضربة على مستودعات الأسلحة التابعة لـ «حزب الله» بالقرب من مطار دمشق.

▣ إيران تعاني العزلة:

وعلى الصعيد السياسي: تجري مفاوضات ومحادثات بين الولايات المتحدة وروسيا، وروسيا وتركيا، وتركيا والسعودية، وروسيا وإسرائيل، حيث يتم اقتراح الصفقات ومناقشتها، وكل ذلك في حين أن إيران تبتعد أكثر فأكثر عن هذه المفاوضات وتعاني المزيد من العزلة.

وهم يعرفون أن نتائج هذه المفاوضات الدولية لن تكون

لصالح الأسد أو أي من شركاء إيران الآخرين، ستحدث أمور، وقريبًا ستدقق المنطقة أكثر على إيران.

وبالتالي؛ فإن «حزب الله» لن يضيع الفرصة التي تتيحها الانتخابات البرلمانية المقبلة في لبنان لحماية سلطته على لبنان، وضمان سيطرة الحزب على مؤسسات البلد.

وسيحدد القانون الانتخابي -الذي يسبب نقاشًا ساخنًا اليوم في لبنان- البرلمان الجديد، وبالتالي يمكن للحكومة الجديدة أن تكون إحدى وسائل إنشاء وضمان تلك السيطرة.

ولا يستطيع «حزب الله» تحمل المخاطرة بسيطرته على مؤسسات الدولة في لبنان، ويجب أن تكون إيران هي من يعطي القرار الرئيسي عندما يتعلق الأمر بقرارات لبنان الأمنية والعسكرية.

ويعتبر القانون الانتخابي الجديد حيويًّا لـ«حزب الله»؛ لأنه سيحدد كل ذلك.

▣ التهديد بالعنف:

ومنذ انسحاب الجيش السوري من لبنان في (٢٠٠٥) أجريت انتخابات برلمانية في (٢٠٠٥)، وأخرى في (٢٠٠٩).

وفي المرتين فاز بهذه الانتخابات فريق (١٤ آذار)، وهو: المعسكر السياسي المناهض لـ «حزب الله»، وتمكن من تشكيل حكومة.

ولكن في كلتا الحالتين كان على «حزب الله» اللجوء إلى العنف أو التهديد بالعنف؛ لتغيير نتائج الانتخابات البرلمانية الديمقراطية!

في المرة الأولى: شكل «حزب الله» أكبر وأطول اعتصام في وسط بيروت، لمدة عام ونصف العام، والذي انتهى فقط مع «أحداث ٧ أيار» من عام (٢٠٠٨)، و«اتفاق الدوحة» الذي أسفر عن إنشاء «حكومة الوحدة الوطنية».

وأزال هذا الاتفاق حكومة «١٤ آذار»، واستبدلها بحكومة لا تستطيع الحكم!

وفي المرة الثانية: أطاح «حزب الله» بحكومة رئيس الوزراء سعد الحريري، وهدد بظاهرة «القمصان السود» -التي تظهر إمكانية تكرار «أحداث ٧ أيار»-، وجعلت حليفها السابق نجيب ميقاتي يشكل حكومة جديدة.

وهذه المرة لا يريد «حزب الله» المخاطرة بالخسارة بعد الآن.

إن مرشحي «حزب الله» و«حركة أمل» سيفوزان، بغض النظر عن القانون! وذلك ببساطة لأن المجتمع الموال لحزب الله ليس لديه بديل سياسي آخر؛ ولذلك مهما كان مستوى عدم الرضا بين أنصار نصر الله عاليًا فإنهم سيفوزون لا محالة!

وما يثير قلق «حزب الله» فعليًّا هو: حلفاؤه السنة والمسيحيون والدروز، وقد خسر هؤلاء عمومًا الانتخابات البرلمانية لعامي (٢٠٠٥ و٢٠٠٩)، و«حزب الله» مشغول جدًّا في المنطقة، ولا يمتلك الوقت للقيام بانقلابٍ آخر ضد خصومه في حال فوزهم.

أما على صعيد الخدمات اللوجيستية؛ فكان من المقرر إجراء الانتخابات البرلمانية بين (٢١ مايو-أيار) و(٢١ يونيو-حزيران)، بيد أن أزمة قانون الانتخابات الجديد ستؤدي حتمًا إلى تأجيلها.

والمشكلة هي: أن البرلمان مدد ولايته مرتين في (٢٠١٣ و٢٠١٤)، بسبب المخاوف الأمنية.

وسيكون من الصعب جدًّا تمديد فترة البرلمان للمرة الثالثة، ولكن الأيام الأخيرة شهدت تقدمًا في التوافق بين القادة السياسيين على قانون انتخاب جديد؛ على أساس النسبية الكاملة وفق (١٥) دائرة، مع الصوت التفضيلي؛ على أساس القضاء.

ومن المفترض أن يبصر النور في الأيام القليلة المقبلة،

وذلك بعدما أقدم الرئيس اللبناني ميشال عون وفي (أبريل - نيسان) على تعليق البرلمان لمدة شهر لعرقلة خطط تمديد ولاية المجلس دون انتخابات للمرة الثالثة، بهدف دفع السياسيين إلى الاتفاق على إصلاحات قانون الانتخابات.

ولكن ارتفاع أسهم الاتفاق على قانون جديد سيحتم على المسؤولين إقرار تمديد تقني للمجلس النيابي الحالي لمدة لا تقل عن (٧) أشهر؛ بحسب تصريح وزير الداخلية اللبناني نهاد المشنوق؛ الذي أكّد: أن الوزارة تحتاج إلى (٦ أو ٧) أشهر كحد أدنى للتحضير لإجراء الانتخابات النيابية وفق القانون الجديد.

هذه المرة الانتخابات بالنسبة لـ «حزب الله» أكثر حيوية ووجودية من أي وقت مضى؛ لذلك فإن «حزب الله» عرقل مرور كل قانون كان من شأنه أن يعرض حلفاءه للخطر، وأصرّ على النسبية التي يحتفي بها حلفاؤه اليوم؛ لأنها ستؤمن صحة التمثيل؛ بحسب تصريحاتهم.

يحتاج «حزب الله» أن يكون لبنان مكانه الآمن والاستيعابي للعودة إليه في حال تدهورت الأوضاع في سوريا، كما أن إيران تحتاج إلى لبنان حيث يمكن لها أن تهدد وتشن حربًا منه ضد إسرائيل عندما تجد الوقت مناسبًا.

لا ينبغي على لبنان ومؤسسات الدولة والشعب اللبناني أن يكونوا قادرين على الرفض، ولكن وبالنظر إلى الصورة الأكبر؛ يرتبط لبنان اليوم جغرافيًّا بالمناطق الخاضعة لسيطرة «حزب الله» في سوريا.

بعد إبرام الصفقات على الزبداني ومضايا الشهر الماضي؛ فإن معظم المناطق الواقعة بين دمشق والحدود اللبنانية لم تصبح فقط تحت سيطرة «حزب الله»، بل - أيضًا - تغيرت ديموغرافيًّا؛ أجبر السنة على الخروج من بيوتهم لإعطائها للشيعة.

والهيمنة السياسية والديموغرافية في هذه المنطقة وارتباطها المستمر بلبنان تجعل «حزب الله» أقوى في لبنان، أي: إذا تحولت الانتخابات لصالح «حزب الله».

هذه لحظة حاسمة وجوهرية جدًّا بالنسبة للبنان، والقرارات المقبلة بشأن قانون الانتخابات قد تغير المشهد السياسي في لبنان للأسوأ!

ولا يبدو أن المجتمع الدولي يهتم بلبنان؛ ولا سيما عندما يتعلق الأمر بهذه المسألة بالذات؛ إذ إن الاهتمام الدولي ينصب على القضايا الأمنية، والحفاظ على استقرار لبنان.

ولكن بعد أن يفرض «حزب الله» قانونه الذي يرغب فيه، وبالتالي النتائج الانتخابية والبرلمان؛ سيبدو لبنان مثل (مستعمرة إيرانية)، وهذا لا يمكن بالضرورة أن يوصف بأنه استقرار.

صدى الرافدين

مكة

الكويت

بلوشستان

اليمن

الاحواز

البحرين

سوريا

العراق

إرهاب ملالى الشيعة ومليشياتهم دائم وممتدد

الراصد

www.alrased.net

سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٧٠ ذي القعدة ١٤٣٨هـ

هل تراجع خطر التطرف والغلو وداعش؟

15 الاسلاميون العرب في الرؤية الإيرانية

37 الخميني في فرنسا

69 خسارة الأقصى من التطبيع

المحتويات

فاتحة القول

- هل تراجع خطر التطرف والغلو وداعش؟ ٢

فرق ومذاهب

- حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج (٤): شكري مصطفى خارج السجن ..... أسامة شحادة ٤

سطور من الذاكرة

- ثورات الخوارج (١٠): الخوارج في بداية عهد عبيد الله بن زياد ..... هيثم الكسواني ١٠

دراســـــــات

- المشهد العراقي: مرحلة ما بعد داعش ..... سمير الصالحي ١٣
- الإسلاميون العرب في الرؤية الإيرانية .. الثابت والمتغير ..... بوزيدي يحيى ١٥
- إيران واستغلال الأزمات.. ولا عزاء للشعارات ..... أسامة الهتيمي ١٩
- الأدب النسائي الإسلامي.. تحديات وآفاق ..... فاطمة عبد الرؤوف ٢٧
- حراك جماعات التصوف السوداني.. الواقع وفرص النجاح ..... محمد خليفة صديق ٣٢

كتاب الشهر

- كتاب «الخميني في فرنسا» ..... عرض: أسامة شحادة ٣٧

قالوا

- ٤٠

جولة الصحافة

- العنف في التراث الديني الشيعي.. وحيٌ (المسورة) ..... موسى الزهراني ٤٢
- إمبراطورية إيران الإعلامية ..... مصطفى حسين ٤٣
- تأزم العلاقات الإيرانية التركية: الدوافع والآفاق ..... مركز «صناعة الفكر» ٤٦
- تضامن القاعدة وإيران.. واقع ينفيه الطرفان (تقية) ..... صحيفة «العرب» ٥٠
- سوق «الشأن الإيراني» ..... مدى الفاتح ٥١
- طابور إيران الخامس: «آيات الله» الصغار في مصر ..... شريف عبد الحميد ٥٣
- علاقة إيران بقيادات الإرهاب في ليبيا ..... «إيران بوست» ٥٦
- لماذا اهتم نور الدين وصلاح الدين بإنشاء المدارس السُنِّية؟ ..... علي الغامدي ٥٩
- ماذا بقي من ثورتنا؟ ..... مجاهد ديرانية ٦٠
- مدينة الذهب الأسود على موعد مع المجهول! ..... فراس الزوبعي ٦٢
- معارك خطيرة منسية في حرب التغيير الديموغرافي ..... مطيع البطين ٦٣
- هل سيستفيد «الروهينغيا» من تدويل قضيتهم؟! ..... زياد الشامي ٦٥
- من الفتنة في الدين: ازدراء الصحابة ..... محمد السعيدي ٦٦
- توأمة مع تجار القدس ..... أسامة شحادة ٦٨
- خسارة الأقصى من «التطبيع» ..... أمير سعيد ٦٩
- تفريغ القدس والأقصى ..... يوسف رزقة ٧١
- هل يتحقق سلام مع إسرائيل؟ ..... بسام العموش ٧٢

الرَّاصِد
www.alrased.net

رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٧٠)
ذو القعدة (١٤٣٨هـ)

www.alrased.net
info@arased.net

هل تراجع خطر التطرف والغلو وداعش؟

مع اختفاء داعش من الموصل وتدميرها على يد الحشد الشيعي والجيش العراقي وقوات التحالف؛ يتصاعد الحديث عن انتهاء داعش وزوالها أو قُرب ذلك..

فهل هذا صحيح؟

لا يمكن الإجابة عن هذا السؤال بشكل صحيح؛ دون استحضار بعض الأسس والمفاهيم والحقائق لفهم واستشراف مستقبل التطرف والغلو وداعش وأخواتها.

وهذه الأسس هي:

١ - إن التطرف والغلو قضية فكرية أولاً، وإن الجهل والتدين المنحرف هما الدافع الأول لهما، وإن الفوضى هي المحضن الأفضل لانتشارهما وتفاعلهما، وإنه لا توجد حصانة من ظهور التطرف والغلو في أي عصر.

وقد أوضحت السنة النبوية ذلك؛ في قوله ﷺ عن ذي الخويصرة التميمي؛ الذي اعترض على قسمة النبي ﷺ للغنائم، وطلَب الفاروق قتلَه لنفاقه: «**دَعْه! فإن له أصحابًا يَحقرُ أحدُكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يَقرؤون القرآن لا يُجاوز تَراقِيهم، يَمرُقُون من الدِّين كما يَمرُق السَّهم من الرَّمية**». متفق عليه.

فأصل شبهة الغلاة والمتطرفين من المنافقين الذين يجذبون الجهلاء: «يَقرؤون القرآن لا يُجاوز تَراقِيهم»، ولهم عبادة بلا فهمٍ ولا تقوى!

وأخبر النبي ﷺ أنه: سيكون لهم ظهور في المستقبل، وفعلًا ظهروا في زمن الخلفاء الراشدين لاحقاً، وتسبَّبوا بكثير من الفوضى والخراب وخدمة الأعداء.

وأخبر النبي ﷺ أن: هذا المنهج المنحرف سيستمر ظهوره عبر الزمن؛ حتى ظهور الدجال آخر الزمان، فقال ﷺ: «**سَيخرُج أُناس من أُمتي مِن قِبل المَشرق، يَقرؤون القرآن لا يُجاوز تَراقِيهم، كلَّما خَرج مِنهم قَرن قُطع، كلَّما خَرج مِنهم قَرن قُطع** - حتى عدَّها زيادة على عشر مرات - **كُلَّما خَرج مِنهم قَرن قُطع، حتَّى يَخرج الدَّجال في بقيَّتهم**». رواه أحمد وصحَّحه أحمد شاكر.

وعليه؛ فيجب أن نعي: أن فكر التطرف والغلو سيبقي موجوداً حتى آخر الزمان، ولكن ظهوره واشتداده له ارتباط بعوامل وأسباب أخرى.

ومن هنا؛ يجب على أهل العلم في المرحلة القادمة: تحصين الناس من شبهات الغلاة والخوارج، وفضح حقيقتهم وتاريخهم العدواني على المسلمين، وبيان انحرافهم عن الصراط المستقيم؛ برغم عبادتهم الظاهرة أو جهادهم المزعوم!

٢ - في التجربة التاريخية للتطرف والغلو كان الاختراق الخارجي سمة لازمة ودائمة له، وذلك بسبب الجهل المسيطر على الغلاة والمتطرفين، مما يسهل على الخبثاء الاندساس بينهم، وقيادتهم للكوارث والخراب.

وبدأ ذلك مع ابن سبأ اليهودي -الذي تظاهر بالإسلام والإصلاح، وإنكار (منكرات!) الخليفة الراشد الشهيد عثمان ذي النورين رضي الله عنه -؛ حيث حرَّض الغوغاء بدايةً ثم اجتذب بعض الأفاضل كعمَّار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر، ومن ثم ألَّب أهل مصر والعراق والأعراب حتى تسوَّروا على عثمان داره وقتلوه؛ وهو يتلو القرآن صائماً!!

وفي عهد الاستشراق تنبَّه أعداء الملة لأهمية التعاون مع فرق الضلال - كالشيعة والخوارج -، فرأينا التحالف الأوربي والروسي مع الصفويين ضد العثمانيين، واليوم نرى التوظيف الغربي والشرقي لتنظيمات الخروج والغلو ضد مصالح الأمة.

ففي عصرنا الحاضر تكرر اختراق الكفار وأجهزة الأمن لكثير من تنظيمات التطرف والغلو والخوارج، فالكثير من ضباط المخابرات الأجنبية تسلَّموا مناصب كبيرة في تنظيمات مثل: القاعدة، ولعل من آخر ما اشتهر: قصة مورتن ستوم (أبو عمر الناصري)؛ الذي أصدر كتابًا بعنوان: «عميل في قلب القاعدة»، كشف فيه عن عمالته للمخابرات الدنماركية والبريطانية والأمريكية عندما كان قياديًّا بالقاعدة وعلى علاقة برموزها الكبار؛ كأنور العولقي اليمني، وآخرين كعمر بكري اللبناني!!

أما اختراق المخابرات العربية لهذه التنظيمات؛ فيبدأ من اختراق تنظيم صالح سرية في مصر سنة (١٩٧٤)، ومن ثم تنظيم الجهاد الذي اغتال السادات بتسهيل من جناح -على الأقل- في أجهزة الأمن؛ حيث سهلوا لخالد الإسلامبولي الاشتراك في العرض العسكري، ونصَّبوه رئيسًا لمجموعة، وأوصلوا له -عبر ضابط كبير- إبر إطلاق النار، وتغاضوا عن استبدال الإسلامبولي لأفراد مجموعته بمتقاعدين عسكريين من أصدقائه!

أما في أفغانستان؛ فكم تفاجأ كثير من الشباب المجاهد المخلص -حين عاد لوطنه-: أن محقق الأمن يذكِّره بحوادث بسيطة تمَّت في أفغانستان في مناوبة حراسة على رأس جبل، ليتَّضح أن زميله في المناوبة تلك -في سبيل الله!- هو من يجلس خلف طاولة التحقيق معه!

ولعل الكتابات التي صدرت عن منشقِّين أمنيين فضحت صناعة الأمن الجزائري لغالب مسيرة العنف والتطرف في العشرية السوداء، بعد إقصاء جبهة الإنقاذ؛ كنموذج مثالي لهذا الاختراق، ومن هذه الكتب: «الإسلاميون والعسكر» للعقيد محمد السمراوي، و«الحرب القذرة» لحبيب سويدية، الضابط السابق في وحدة مكافحة الإرهاب.

٣- وسيكون من الطبيعي نتيجة للاختراق والجهل: أن تقدَّم هذه التنظيمات العديد من الخدمات الجليلة للأعداء، وتنفذ كثيرًا من أجنداتهم؛ بوعي أو غير وعي، وبشكل مباشر وغير مباشر!

فداعش -مثلاً- لم تتقدم نحو الحدود الإيرانية طيلة سنواتها، والتزمت بتحذير وزير الداخلية الإيراني عبد الرضا رحماني فضلي؛ بعدم الاقتراب لمسافة (٤٠) كم من حدودها! كما أنها لم تشتبك مع النظام السوري إلا في (١٤%) من عملياتها في سوريا، وكان الباقي مع المعارضة السورية!

أما داعش الروسية في سوريا؛ فقد حمت عمليات نقل الغاز وتمديداته، فبقي سليماً لم يتعطل؛ رغم كل هذا الدمار الذي شهدته سوريا!

كما أن داعش رابطت على حدود الجولان مع العدو اليهودي كقواتٍ لحفظ السلام! لكنها غدرت بالمعارضة السورية عدة مرات نيابة عن قوات النظام وروسيا؛ حين تلجم باتفاقيات دولية!

وفي اليمن كان نشاطها الغالب ضد الشرعية اليمنية، بينما سلم منها الحوثيون الطائفيون!

وقد يكون هذا عبر اختراق في قيادة داعش أو في مفاصل مهمة منها، وقد يكون هذا عبر اختراع فصائل داعشية عميلة ترتبط بدوائر استخباراتية متعددة في أماكن محددة، لكن قيادة داعش تغطيها بغباءً أو عمالةً على مبدأ: «تحقيق صيت قوة ورعب»!

ولذلك؛ فإن تكرار توظيف هذه التنظيمات لتمرير أجندات خارجية احتمال واردٌ جدًّا وعمليٌّ من وجهة نظر الأعداء.

٤- إن السياسات الإيرانية الشيعية الطائفية، والسياسات العلمانية الإلحادية المتطرفة؛ التي تستهدف دين الأمة المسلمة ومقدراتها، وتعيث خراباً ودماراً في بلاد الإسلام، وتحاصر التدين الصحيح؛ توفر الحاضنة المناسبة لتقبُّل الشباب السني الغاضب! أفكار الغلو والتطرف والإرهاب باسم: «حماية الدين والدفاع عن المستضعفين»؛ خاصة مع ضعف دولنا، وقلة حيلتها، وعزوف كثيرٍ من ساستها وقياداتها عن الدفاع عن مصالح الإسلام والمسلمين، وأيضًا بسبب غياب المشروع الإسلامي السُّنِّي الصحيح؛ الذي يحمله العلماء الصادقون، ويدعمه الأمراء الموفَّقون.

إن استحضار هذه الأسس يجعل من استشراف بقاء خطورة التطرف والغلو في أمتنا هو الأمر المتوقع، ولكن قد يكون هناك تغيير في التكتيك؛ عبر تغيير أساليب داعش وأخواتها في العمل بالعودة لمنهج النكاية، والعمليات الخاطفة من الذئاب المنفردة أو تطوير ذلك، أو عبر اختلاق راية جديدة واسم جديد؛ بعد استهلاك اسم «داعش» وانفضاحه بين الجماهير! كما فعل الجولاني بنبذ اسم «القاعدة» ورفع راية «جبهة النصرة»، ثم استبدله بـ «جبهة تحرير الشام»، بينما الحقيقة واحدة!

إن إعادة توظيف التطرف لضرب الإسلام والمسلمين احتمال قائم وواردٌ جدًّا؛ ولذلك يجب استجماع الجهود على فضح الغلاة والخوارج؛ في دينهم، وفكرهم، وشبهاتهم، وتاريخهم الأسود؛ لنقي شبابنا وأمتنا من شرورهم، ولنحافظ على ما تبقى من قوة ووحدة لنا.

حكاية جماعات العنف
من الانحراف إلى فكر الخوارج (٤)

أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر؛ لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة!

وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أوَّلها شبرًا، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعًا، وأميالًا، وفراسخ»[1]، وهذا واقعٌ في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود؛ حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها، بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرِّر تشكيلها!

في هذه السلسلة سنتناول: العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال، ومن ثم مسار تطورها التاريخي، ومسار تطور انحرافها الفكري، والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخَّمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية.

وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات هو: منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة)؛ التي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير، مما ولَّد مناخًا مأزومًا، وظهرت فيه ردَّات فعل عنيفة، عُرفت بـ (جماعات الجهاد).

أولًا: الساحة المصرية

شكري مصطفى خارج السجن

أفرج عن شكري عقب وفاة عبد الناصر وقيام السادات بتفريغ السجون سنة (١٩٧١)، فأكمل دراسته الجامعية، وأخذ شكري يطور من أفكاره ويضع لها كتبًا يشرحها فيه، وأخذ يدعو الناس لفكره (والأصوب: لبدعته وضلاله!)؛ ليشكل منهم جماعة لتعبيد الناس لله وإعادة الإسلام في الأرض كلّها.

يقول عبد الرحمن أبو خير عن شخصية شكري في هذه المرحلة: «وكنتُ كلما استمعت إلى الأخ شكري ازددت يقينًا في أنه تغير، فلم يعد شكري ذلك الفتى العصبي الذي لا يؤبه بشأنه؛ كما شاهدته آخر مرة في معتقل طره السياسي.

لقد كان حينئذٍ: شكري الداعية المكتمل لعناصر الإمامة؛ لولا بقية من الهياج العصبي الذي يدفعه لتجريح محدِّثه إن لمس فيه أدنى من ذرة

(١) «مجموع الفتاوى» (٨/ ٤٢٥).

من الخلاف في الرأي»[1].

▣ فكره:

فِكر شكري مصطفى لا قيمة له! لأنه فكر رجل جاهل أصلًا بالعلوم الشرعية، فهو خريج زراعة، ثانيًا: أخذ فكره بطريقة مشوهة من خلال علي إسماعيل؛ حين انحرف نحو التكفير وأعاد إحياء فكر الخوارج، واخترع بدعة (التوقف في الحكم على المسلمين)، ولذلك جاء فكر شكري متناقضًا، ويحوي الأعاجيب!

ولم ينطبق فكره على واقعه هو، وهو مثال ساطع على خطورة امتزاج الجهل والبدعة، وكيفية تصاعدها لتصبح بدعة ضخمة؛ قد تصل لحد الكفر والخروج من الإسلام!

فهو: يكفِّر كل الحكام، ويكفِّر كل أعوانهم في الحكومة والأمن والجيش، ثم يكفِّر من لم يُكفِّرهم من العلماء والناس، ويكفِّر العامة بطاعة الحكومات الكافرة، ويكفِّر بارتكاب الكبيرة، ومع ذلك يتعاون مع الأمن ضد الحركات الإسلامية الأخرى باسم: «نصرة الجماعة الحقة»! ويكذبون على غيرهم![2]

ومدَّ شكري حكم الكفر على كل تاريخ الإسلام من القرن الرابع الهجري؛ بحجة: أن التقليد في الإسلام كفر لا يجوز، وأن الاجتهاد واجب على كل مسلم! وأن التقليد كان أول كفر وقع بين المسلمين!

والحقيقة: أن شكري -نفسه- كان مقلدًا في ذلك للمعتزلة ولابن حزم والشوكاني، وكان أتباعه مقلدين له!![3]

وقد اضطرته هذه الضلالات: لرمي الصحابة بالجهل، وإنكار الإجماع والقياس، والزعم بأنه وجماعته أفضل من جيل الصحابة[4].

ورأى بعض أتباع شكري: أن الصحابة وقعت منهم أخطاء، ولو كانوا في عصرنا وعُرض عليهم فهم شكري وجماعته ثم رفضوه لكفروا![5]

واعتقدوا: أن شكروا هو «المهدي وأمير المؤمنين» الواجب الطاعة والاتباع، برغم أن شكري لا يطابق اسمُه اسمَ النبي ﷺ، وليس من أهل البيت؛ كما تخبر الأحاديث! وهذا الاعتقاد جعله لا يأبه لأحد من العلماء؛ على جهله وقلة فهمه وبضاعته!

ومن خلال أجوبة شكري لأسئلة المحكمة، يلخص مختار نوح فكر شكري بـ: «أن الأصل في أمة الإسلام: أنها أمة أميَّة لا تقرأ ولا تكتب، ويَحرم عليها تعلم الكتابة.

ويفر من أمام إسرائيل، ويعتبر أن الأصل هو: الفرار من العدو .

وهو شخص لم يقرأ الدستور ولا يعرفه.

والخلافة عنده هي: سلطة مطلقة للإمام على المحكومين»[6].

وطوام شكري وأتباعه كثيرة! وقد سطروها في كتبهم المعروفة، وضلالهم يتطور مع الزمن؛ إما بالغلو فيه، أو بالانشقاق عنه وتكوين جماعة ضلال جديدة، أو بالتسلل لمجموعات أخرى وحرفها؛ كما حدث في اختراق بعض أتباع شكري لجماعة (جهيمان)؛ الذي احتل الكعبة المشرفة! في تدحرج من ضلال إلى ضلال أكبر[7].

▣ استراتيجية شكري في الدعوة:

كان السائد لدى مجموعات العنف السابقة لشكري مصطفى: اعتماد أسلوب الانقلاب العسكري من داخل الجيش على الحاكم، والاستيلاء على السلطة والحكم، وكان البعض يفضل خيار الثورة الشعبية وحرب العصابات؛ لأن صراعهم كان مع السلطة.

لكن شكري مصطفى ساوى بين السلطة والمجتمع في التكفير، ولم يعد مهتمًّا بالمجتمع! ومنها تغيرت استراتيجيته في العمل لإقامة الجماعة المسلمة، ومن هنا اخترق شكري وجماعته لصالح السلطة لضرب المجتمع أو فئات منه لصالح السلطة!

«إن جماعة المسلمين كان لها استراتيجية مغامرة، تتسم

---

(١) «ذكرياتي مع جماعة المسلمين» (ص١٨)، بواسطة «الحكم بغير ما أنزل الله» (١/ ٣٠٥).

(٢) «الحكم وقضية تكفير المسلم»، سالم البهنساوي، (ص٣٠٥)، نقلًا عن «الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو» (١/ ٣٢٠).

(٣) «الحكم بغير ما أنزل الله» (١/ ٤٨).

(٤) نفس المرجع السابق، (١/ ٧١، ٩٦، ١٠١، ٣١١)، و«الموسوعة الميسرة».

(٥) «التكفير والهجرة وجهًا لوجه»، رجب مدكور، (ص٧٩)، نقلًا عن «الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة»، د. سعد الدين صالح، (ص٢١٠).

(٦) «موسوعة العنف» (ص٢٣٧).

(٧) «الحكم بغير بما أنزل الله» (١/ ٢٢٦، ٢٢٩).

بالنفس الطويل؛ لأن الحكم «بالكفر» لم يكن قاصرًا على النظام... وبالتالي فإن الاستراتيجية الخاصة «بالانقلاب العسكري السريع» لم تكن هي الملائمة لأفكار شكري مصطفى.

وتقوم استراتيجية الجماعة على تحقيق أهدافها من خلال المراحل المختلفة؛ التي تبدأ بتشكيل خلية للجماعة أو «مجتمع صغير من المؤمنين»، يكون هو الخطوة الأولى في سبيل تنفيذ استراتيجية الجماعة؛ التي تجعلها الجماعة على ثلاث مراحل:

الأولى هي: التبليغ التي يتبعها التنظيم؛ حتى يستطيع نشر أفكارها ودعوتها.

تليها: الهجرة وهي مرحلة ثانية، وفي هذه المرحلة تنشغل الجماعة ببناء المجتمع المسلم، والتدريب على استخدام السلاح ... وقد مارست الجماعة المرحلتين معًا؛ حيث هاجر جزء منها للإقامة بالمنيا منذ (١٩٧٣) في عزلة عن المجتمع.

وتأتي المرحلة الأخيرة: حين تخرج الجماعة من عزلتها لتفتح الأراضي «الكافرة»»[١].

▣ مسيرة شكري:

يلخص مختار نوح محطات حركة جماعة شكري بقوله: «تمثل في: كف الأيدي خلال المرحلة الأولى، وفي الإعلان عن الجماعة في المرحلة الثانية، وأخيرًا: الجهاد من أجل التمكين في المرحلة الثالثة»[٢].

باشر شكري نشاطه ودعوته بمحافظته (أسيوط)، ثم انتقل للقاهرة، وكان أول من قَبِل دعوته: ابن اخته ماهر عبد العزيز بكري في عام (١٩٧١)[٣]، وتمكَّن شكري من استقطاب أتباع له، كان غالبهم من صغار السن والطلبة، والذين كانوا يوظفون في نشر الدعوة مباشرة.

فلم يكن شكري يكتفي من متابعيه بطاعته، بل كان يأمرهم بدعوة الناس لضلالهم، يقول د. السيد عبد الستار: «زارنا في مسجد الفرقان والسيدة عائشة بالنزهة بمصر الجديدة شاب نحيف، عليه مظاهر البؤس والفاقة، وعرَّفنا بنفسه: عبد المحسن تاجر البيض، هكذا باقتضاب شديد! وقال: إنه مكلف من أمير المؤمنين شكري مصطفى لإبلاغنا بالحق الذي هم عليه، وطلب أن نناظره؛ فإن كان على الحق فقد وجبت في أعناقنا بيعته.

وبالفعل؛ اجتمعنا في بيت الأخ محمد شريف الفخفاخ.. غير أنه اتضح خلال المناقشة أن تاجر البيض خالٍ تمامًا من المعرفة بالدين! وأنه مجرد مردِّد لمقولات شكري!!...

خلال عام (١٩٧٦): بدأ شكري يفرض أفكاره على الناس بالقوة، وحدث هرج ومرج ومشاجرات، وسالت دماء في أكثر من حي!»[٤].

كما يروي د. عبد المنعم أبو الفتوح -أيضًا- نشاط أتباع شكري مصطفى في الدعوة لضلالهم، وتوزيع كراساتهم بين شباب الجماعة الإسلامية في جامعة القاهرة، ولكنهم رفضوا فكرهم القائم على تكفير المجتمع بالكلية[٥].

هذه كانت الخطوة الأولى في نشر الدعوة (الضلالة!) بين الناس، وعقبها جاء تنفيذ الخطوة التالية وهي: العزلة والهجرة من المجتمعات الجاهلية للجبال، وفعلًا هاجرت مجموعة من الطلبة لجبال المنيا والوجه القبلي في شهر (٩ من سنة ١٩٧٣)، بعد أن تصرفوا بالبيع في ممتلكاتهم، وزودوا أنفسهم بالمؤن اللازمة والسلاح الأبيض.

وسرعان ما قبض عليهم وعلى شكري، ولكن أفرج عنهم بعد (٦) شهور[٦].

عاود شكري -بعد الإفراج عنه- لنشاطه بقوة، وتوسع في إرسال مبعوثين عنه للدول الأخرى؛ للتبشير به، وجلب الدعم المالي، فوسع انتشار ضلاله وبدعته لخارج مصر[٧]؛ حيث وصلت السعودية وأفغانستان وباكستان والجزائر[٨].

---

(١) «الإسلام السياسي في مصر»، هالة مصطفى، (ص١٤٨)، وقريب منه: «الأصولية في العالم العربي»، ريتشارد دكمجيان، ترجمة عبد الوارث سعيد، (ص١٤٢).

(٢) «موسوعة العنف» (ص١٩٨).

(٣) نفس المرجع السابق، (ص٢٣٢).

(٤) «تجربتي مع الإخوان» (ص١٨٤).

(٥) عبد المنعم أبو الفتوح، «شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر»، (ص٦٤).

(٦) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص٣٥)، و«الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب»، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، فصل جماعة المسلمين (التكفير والهجرة)، نسخة إلكترونية.

(٧) «الموسوعة الميسرة».

(٨) «موسوعة العنف» (ص٣٠٨).

لقد استطاع ضلال شكري مصطفى أن يجد له قبولًا وأتباعًا؛ حيث «أن جماعة التكفير قد أحرزت تواجدًا في الجامعة أيضًا؛ وخاصة في بيوت الطلبة المغتربين بالقاهرة وفي المدن الجامعية بالأقاليم ... وفي خارج الجامعة كان تيار التكفير ينتشر انتشار النار في الهشيم! لكنها كانت ومضة خاطفة كومض البرق سرعان ما خبت وزالت»[(١)].

لقد ظهرت «حركة التكفير والهجرة بصورة عملاقة أكبر من حجمها الواقعي أو السياسي، وأكبر حتى من حجم المعرفة السياسية لدى مؤسسها»[(٢)].

نعم، زالت قوة تنظيم جماعة شكري؛ لكن فكر التكفير لا يزال حي للآن في بؤر محدودة ومتعددة عبر الدول[(٣)]، وإذا وجد مناخًا مناسبًا فسينفجر من جديد!

وفي أثناء هذه المسيرة للدعوة كانت تقع مشادات مع الرافضين لفكره؛ من قبل الدعاة والجماعات الإسلامية، ومن المنشقِّين عنه، أو التائبين عن غلوه وتكفيره، ومن العلماء الرسميين الذين يفندون شبهاته وأباطيله.

«وكان التيار السلفي (الجهادي والمدرسي) له الأثر الكبير في محاصرة أفكار شكري وجماعته»[(٤)]، ومن أبرز المناظرات التي تمت مع شكري وجماعته: مناظرتهم مع حسن الهلاوي؛ الذي كان زعيم جناح القاهرة في تنظيم إسماعيل طنطاوي، ومن ثم انضم لتنظيم صالح سرية لكنه لم يشارك في حادثة الكلية الفنية؛ حيث كان معروفًا بمرجعيته الفكرية لابن تيمية، ولذلك «استطاع أن يدخل في مرحلة مبكرة مع شكري مصطفى في جدل لنقض مذهبه الفكري، ونجح في ذلك؛ بحيث كان شريط المناظرة سببًا في نهاية جماعة التكفير، فبرغم تماسك البناء الفكري للتكفير إلا أنه فكَّكه عن طريق منهج أهل السنة، وكان ذلك سببًا في اقتحام (الكتيبة الخضراء) لمنزله ومحاولة قتله»[(٥)].

(١) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة»، د. كمال حبيب، (ص٣١).
(٢) «موسوعة العنف» (ص٢٠١).
(٣) «الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو» (١/ ١٢).
(٤) «الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة» (ص٣٦).
(٥) نفس المرجع السابق، (ص ٣٣)، وانظر كلام الهلاوي على الحادثة في: «موسوعة العنف» (ص٣٠٨).

ومن الذين حاول شكري وجماعته قتله: رفعت أبو دلال، بسبب انشقاقه عن الجماعة؛ رغم أنه من مؤسسيها، والمهندس أحمد عرفة، والمهندس محمد سعد الدين[(٦)].

وهنا نجد أن شكري يخالف منهجه بالعزلة والهجرة للقيام بتصفية خصومه، والانشغال بالاعتداء عليهم، بينما يرى ترك المواجهة مع الدولة الكافرة! فهل كان هذا من وسوسة الشيطان؟ أم من وسوسة شياطين الإنس؛ الذين راقبوا أو رعوا هذه الغلو والتطرف والتكفير والإرهاب في السجن وعقب السجن؟

وقد أشار الشيخ محمد سرور لظاهرة تفتت جماعة الإخوان في السجن وأنها ظاهرة لم تلقَ حقها من العناية والدراسة والمراجعة، وتسببت بظهور كثير من الجماعات والشخصيات التي سببت أضرارًا بالغة لمسار الدعوة والمجتمعات الإسلامية[(٧)].

ويبدو أن أجهزة الأمن -التي تعرف شكري منذ كان في السجن، وتعرف استقلاله عن بقية المساجين والجماعات- عادت لاستثماره وجماعته، فيروي عضو الجماعة عبد الرحمن أبو الخير: أن زملاءه في قيادة الجماعة أخبروه بوجود اتصالات مع الحكومة في بداية شهر (٩/ ١٩٧٦)؛ حيث «عرضت الحكومة على الجماعة رغبتها في التعاون معها، على أساس أن جماعتنا تصرف الشباب عن المناهج الانقلابية، وتدعو إلى الهجرة.

إن الحكومة في حاجة إلى جماعة إسلامية تستوعب الخاصة من الشباب، ثم إلى جماعة أخرى تستوعب العامة، ونحن -إن شاء الله- جماعة الخاصة، وقد قبلنا ذلك.

وقد يقولون عنا عملاء؛ فليقولوا! المهم -إن شاء الله- نحقق تقدم الجماعة، وستصبح -إن شاء الله-: الجماعة الوحيدة في مصر.

وفي مقابل أي شيء يطلق الطاغوت أيدينا...؟ في مقابل صرف الشباب عن الانقلابات، فالحكومة قدمت هذا العرض وهي تعلم أن منهجنا لا يتصادم مع خطتهم حاليًّا، فهو منهج هجرة، ويصرف الشباب عن التجمعات ذات المناهج الانقلابية...

(٦) «الحكم بغير ما أنزل الله» (ص٣١٥).
(٧) نفس المرجع السابق، (ص٢٩٤).

إن الحكومة جادة في عرضها، وقد عرضت علينا -أيضًا-: تعويضنا عمَّا لحِق بنا من أضرار في الماضي؛ كدعاية سيئة أو اعتقال، وطلبت منا رفع قضية ضد دور الصحف والأجهزة الأخرى للحصول على التعويض المناسب ... إننا في حاجة إلى المال لتقوية الجماعة»[1].

وهكذا تهادنت جماعة شكري مصطفى مع الحكومة والأمن، كما تهادنت داعش -اليوم- مع نظام بشار، وكما أطلقت يد تنظيم شكري ضد التيار الإسلامي أطلقت يد داعش ضد فصائل الجيش الحر والفصائل الإسلامية الأخرى!

وأيضًا كشفت معلومات موثقة عن شراء نظام بشار النفط من داعش، وثبت تقاضي داعش والقاعدة الفدية والأموال من جهات تكفِّرها بحجج شتى! وأنها تفاوضت مع «المرتدين والكفَّار» بينما كفَّرت بقية الفصائل؛ لأنها تحاورت وتفاوضت مع «المرتدين والكفَّار»، **لكنها التناقضات والضلال!!**

لم يقتصر قبول جماعة شكري للتعاون مع نظام السادات، بل حين تلقوا عرضًا ليبيًّا من القذافي بدعمهم للانقلاب على السادات؛ قرروا قبول الدعم المالي منه، لكنهم رفضوا الانقلاب؛ لأنهم لا يؤمنون به![2] مما يؤكد قابلية هذه الجماعات للتقاطع مع الأنظمة (الجاهلية) لتحقيق مصالحها؛ كما حدث من تنسيق تنظيم القاعدة مع إيران عقب «تورا بورا»، وتنسيقهم مع نظام بشار عقب احتلال العراق (٢٠٠٣)، وقبول جبهة النصرة وتحرير الشام لصفقات مع إيران وحزب الله في قطر في مارس (٢٠١٧).

العجيب: أن مستشار شكري مصطفى -السياسي الصحفي- عبد الرحمن أبو الخير كتب لشكري محذرًا أكثر من مرة من فخ ينصب لهم، قال فيه: «وإني أرى أننا مقبلون على محنة، نقدم فيها من خلال أجهزة الإعلام للجمهور على أننا: خوارج القرن العشرين، وسوف نضرب بتفويض من مجلس الشعب»[3].

وهو ما حدث؛ إلا أن شكري لم يستفد من مستشاره الذي كان يشخص أزمة شكري وأمثاله بأنهم: جهلة بسبيل المجرمين، وهو ما تكرر لاحقًا مع عدة جماعات لم تتيقظ لما ينصب لها من فخاخ لتشويه الإسلام من خلالها، وضرب مسيرة الدعوة الإسلامية، وآخرها: ما حدث من إفساح المجال لداعش لتتمدد وتتوحش، وتعلن بشاعتها بأعلى درجات الاحتراف الإعلامي، ومن ثم انطلقت صافرة النهاية!

وفعلًا بدأت عمليات الاعتداء على المنشقين عنها، والاعتداء على حسن الهلاوي؛ الذي ناظرهم وهزمهم، وقامت الجماعة بتفجير عبوة ناسفة في سينما، وتفجير في معهد الموسيقى، وتفجير في ميدان العتبة، ولكن الأمن لم يتحرك بجدية لردعها ومعاقبتها[4]، حتى حدثت قضية خطف وقتل الشيخ الذهبي من قبل جماعة شكري مصطفى في (١٩٧٧/٧/٣).

هذه الحادثة التي يختلط فيها التطرف والإرهاب الناشئ عن الجهل والغلو مع الاختراق الأمني والسياسي والتوجيه للإرهاب واستثماره لصالح أجندات وتصفيات سياسية لصالح السلطة!

فهناك الكثير من التساؤلات عن سبب اختيار الجماعة لخطف الشيخ الذهبي: هل -فعلًا- بسبب مواقفه من الجماعة وردِّه عليهم؟ أم كان بتوجيه خفي من الدولة لوجود خلافات بينه وبين الدولة؟ أم أن الجماعة هي التي اختارت خطف واغتيال الذهبي؛ لكن الدولة استثمرت ذلك وتخلَّصت من خصم ووجدت من يتحمل المسؤولية ويصنع قصة تلهي الشارع عن استثمار الدولة للجريمة؟ أم أن جناحًا في جهاز الأمن أراد توريط السادات مع الجماعات الإسلامية التي أفسح لها المجال في وجه الناصريين والشيوعيين؟[5]

وسبب هذه التساؤلات: التعامل البارد من أجهزة الأمن مع قضية بهذا الحجم؛ حيث يُخطف وزير من بيته بشكل بدائي! حيث لم تحضر قوى الأمن لمسرح الحدث إلا بعد ساعات! تمكن فيها الجيران من القبض على أحد الجناة، بعد أن قام أحد مجموعة المراقبة دون مبرر في لفت الأنظار لجريمة الخطف من خلال تهديد أحد المارة بمسدسه بدون

(١) «ذكرياتي مع جماعة المسلمين» (ص٥٨)، نقلًا عن «الحكم بغير ما أنزل الله» (ص ٣٢٢).

(٢) «موسوعة العنف» (ص٢٢٣، ٢٥٤).

(٣) نفس المرجع السابق، (ص٢٦٠).

(٤) المرجع السابق، (ص ٢٠٥، ٢٢٦)، و«الحكم بغير ما أنزل الله» (١/ ٣٤٠).

(٥) «موسوعة العنف» (٢٠٥، ٢٢٨).

مناسبة، مما دعاه للتوقف ليشاهد جريمة الخطف! ويصبح الشاهد الرئيسي في القضية[1].

فهل السذاجة وصلت لهذا الحد؟ أم أنها حركة متعمدة لِلفت النظر للعملية من أحد المخترقين في التنظيم؟ أيضًا؛ أليس من السذاجة: أن ترسل الجماعة (٣) من أفرادها لرئاسة الوزراء ووكالة الأنباء الفرنسية وصحيفة الجمهورية يحملون بيانًا بتبني الاختطاف ومطالبهم، ويقبض عليهم الأمن، ثم لا يتم معرفة مكان الذهبي وتحريره[2]؟!

هناك الكثير من الشكوك في كون نظام السادات هو المستفيد من إزاحة الذهبي؛ حيث يقال: إنه كان معترضًا على سرقة كبيرة من وزارة الأوقاف، ورفع قضية ضد بعض المتنفذين في الأوقاف والمقربين من السادات، فجاء اختطافه وقتله للتغطية على القضية![3]

ومما يعزز هذه الشكوك: عدم تحرك الشرطة لمحاصرة المكان إلا بعد (٣) ساعات، رغم تبليغهم بعد (٥) دقائق من حدوث الاختطاف! ورفض الداخلية دفع فدية للإفراج عنه[4]، وأن السادات كان في الجابون لحضور القمة الأفريقية؛ فلم يقطع زيارته بل واصل سفره لرومانيا والمغرب[5].

وتم قتل الذهبي برصاصة في عينه لتخرج من رأسه[6]، في داعشية مبكرة، ولكن الغريب في الموضوع: أن من تولى ذلك هو ضابط سابق يدعى: أحمد طارق؛ والذي كانت تحوم حوله الشكوك.

فهل أحمد طارق هو عميل مزروع في الجماعة؛ كما ثبتت زراعة الكثير من رجال الاستخبارات بين قادة داعش والقاعدة؛ اللتين تعلنان كل فترة عن إعدام عدد من قادتها بتهمة: الخيانة والتجسس لأجهزة المخابرات![7]

وبعد قتل الذهبي تمكن الأمن المصري من القبض على الجناة وأعضاء الجماعة وزعيمها بالكامل، وتعرضوا للتعذيب المعهود في السجون، وخلال شهور قليلة تمّت محاكمة أعضاء الجماعة، وفعلًا نفذ حكم الإعدام بشكري وعدد من أعوانه في صبيحة يوم سفر السادات لتل أبيب، في (١٩٧٨/٣/٣٠)!

وبعد إعدام شكري -الذي كان يعتقد أنه المهدي ولن يعدم!- أصبح فكر الجماعة يعتمد على انتظار ظهور المهدي للانضمام إليه، وبقي بعض الأعضاء على أفكار الجماعة، ونشروها في مصر وخارجها مثل: تأثيرهم على جماعة «جهيمان» في المدينة المنورة، وقسم أصبح مخبرًا للأمن[8] على جماعته والجماعات الأخرى، وهي الظاهرة المنتشرة في غالب الجماعات الإسلامية -مع الأسف!-، والتي يبدو أن الأمريكان اقتبسوها من الأمن المصري بدسِّ جواسيس على الشخصيات الإسلامية في أمريكا؛ والتي تطورت -لاحقًا- لتعرف باسم: الأدلة السرية!

من اللافت للنظر: أن عبد الرحمن أبو الخير يلخص فشل شكري مصطفى بكونه تحاكم للطاغوت حين قبل بالتعاون معها وطلب تعويضات من محاكمها![9]، وهو الذي زعم أنه أقام دعوته على محاربة الطاغوت حتى كفَّر سائر المسلمين من القرن الرابع الهجري! وكيف أن الغلو ينعكس على أصحابه!!

▣ الخلاصة:

تزاوُج الجهل والظلم من جديد لإنتاج نسخة أشد من الغلو والتكفير، وتقاعُس الإخوان المسلمين عن علاج أفكار الغلو، وتواطؤ الأمن المصري في التلاعب بشكري وجماعته؛ تسببت في ارتكاب عدة جرائم، وتشويه صورة الإسلام، وانتشار هذا الفكر لخارج مصر.

وللأسف.. لا تزال جَهَالات هذا الفكر حية بصورة مطورة.

ولا تزال سياسات شكري الخاطئة تتكرر عند كثير من جماعات العنف والتكفير المعاصرة.

ولا يزال كثير من الشباب المتحمس يندفع للتورط في فكر الغلو والتكفير وسلوك الإرهاب والإجرام؛ وهو يظن أنه يجاهد في سبيل الله!

---

(١) نفس المرجع السابق، (ص٢١٢).

(٢) نفس المرجع السابق، (ص٢٢٠، ٢٢٣).

(٣) «الحكم بغير ما أنزل الله» (١/ ٣٣٣).

(٤) نفس المرجع السابق، (١/ ٣٣٩).

(٥) «الفرق والجماعات الإسلامية المعاصرة»، د. سعد الدين صالح، (ص٢٠٥).

(٦) «موسوعة العنف» (ص٢٠٤).

(٧) آخرها: إعدام جيش خالد بن الوليد في درعا والتابع لداعش عددًا من قادته، منهم: قائده السابق أبو عبيدة قحطان في (٤/ ٦/ ٢٠١٧).

(٨) «ذكرياتي مع جماعة المسلمين» (ص١٣٤)، نقلًا عن «الحكم بغير ما أنزل الله» (١/ ٣١٨).

(٩) «موسوعة العنف» (ص٢٦٨).

ثورات الخوارج (١٠):
الخوارج في بداية عهد عبيد الله بن زياد

هيثم الكسواني - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

توفي زياد بن أبي سفيان سنة (٥٣هـ-٦٧٣م)، بعد أن شنَّ على الخوارج حربًا بلا هوادة، وتمكَّن في السنوات التي كان فيها واليًا على الكوفة والبصرة: أن يضبط أمور العراق؛ لدرجةِ أنه تطلَّع لحكم الحجاز أيضًا، وبعث إلى خليفة المسلمين معاوية ﷺ يقول: «إنِّي قد ضبطتُ لك العراق بشمالي، ويميني فارغة؛ فأشغِلها بالحجاز»[١].

أما النوَّاب الذين كان زياد قد عيَّنهم قبل موته؛ فقد أقرَّهم معاويةُ في بادئ الأمر، فأبقى سمرة بن جندب واليًا على البصرة، وعبد الله بن خالد بن أسيد على الكوفة، لكنَّ هذا الحال لم يدم طويلًا؛ إذ قام معاوية بعزل سمرة بعد ستة أشهر، وعيَّن بدلاً منه عبد الله بن عمرو ابن غيلان[٢]، كما عيَّن الضحَّاك بن قيس واليًا على الكوفة.

▣ عبيد الله واليًا على البصرة:

في هذه الأثناء يفِد عبيد الله بن زياد على معاوية؛ فيسأله الأخير عن نوَّاب أبيه في البلاد، ثم يولِّيه على خراسان، وهو ابن خمسٍ وعشرين سنة[٣]، وما هي إلَّا بضعة أشهر حتى عزل معاويةُ عبد الله بن عمرو بن غيلان، وعيَّن عبيد الله واليًا على البصرة، حيث وجد معاوية أن خير من يخلف زيادًا على البصرة ابنُه عبيد الله[٤].

كانت البصرة -آنذاك- تشهد حالة من الهدوء؛ بفعل الإجراءات الصَّارمة التي اتخذها زياد فيها قبل موته، وبتولي ابنه عبيد الله الإمارة هناك سنة (٥٥هـ)، كان أول قرار اتخذه هو: الإفراج عن الخوارج الذين كانوا في سجون والده في البصرة، ويبدو أنه أراد من ذلك: استمالة الخوارج وتأليفهم، وتجنُّب ثوراتهم[٥].

لكنَّ الأيام ستثبت: أن القرار لم يكن في محلِّه؛ إذ أن الخوارج لم يحفظوا هذا الجميل لعبيد الله[٦]، فما هي إلَّا ثلاث سنوات حتى عاد الخوارج في البصرة لممارسة «هوايتهم»! بالتمرد والخروج، وهو ما يذكِّرنا بصنيع بعض جماعات العنف في مصر إزاء الرئيس السادات؛ الذي بدأ عهده بالإفراج عن المعتقلين الإسلاميين الذين كانت تغصُّ بهم سجون جمال عبد الناصر، والتنصُّل من النهج الاشتراكي الذي تبنَّاه سلفه، وإبعاد القيادات الناصرية تدريجيًّا من السلطة، ومحاربة إسرائيل في (أكتوبر ١٩٧٣م)؛ ليُفاجأ بعد أشهر قليلة بمحاولة الانقلاب عليه! فيما عُرف بـ «حادثة الكلية الفنِّية»، في (نيسان-أبريل) من سنة (١٩٧٤م).

أما السنوات الثلاث التي ظلَّ فيها الخوارج بدون تمرُّد وثورات في البصرة؛ فلم تكن لرغبتهم بحفظ الجميل لعبيد الله، بل لأسباب أخرى، تتمثل بحالة التشتت التي صاروا عليها بعد سلسلة الإجراءات والعقوبات التي كان زياد قد اتخذها ضدَّهم، ومراقبة تحرُّكاتهم[٧].

---

(١) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٣هـ)، والحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٥٩٨).

(٢) ابن كثير، «البداية والنهاية» (ص١٦٠١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٧).

(٥) المصدر السابق، و د. لطيفة البكَّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٢).

(٦) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٧).

(٧) د. لطيفة البكَّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٢).

بدأ الخوارج بعقد اجتماعات سرِّية في بيت أحدهم، وفيها شرعوا بالتهجُّم على بني أُميَّة وذمِّ حكمهم، ولـمَّا علِم عبيد الله بأمر هذه الاجتماعات وما يدور فيها قام باعتقال الخوارج المشاركين فيها، وألقى بهم في السجن[1]، لكنه كان مصمِّمًا -هذه المرة- على قتلهم، وعدم إعطائهم الفرصة للتمرُّد والخروج عليه.

▣ يقتل بعضُهم بعضًا!

وابتكر عبيد الله طريقة لقتل الخوارج، رأى أنها ستزيد من الخلافات فيما بينهم، وتشقُّ صفّهم وتخلِّصه من العناصر النشيطة منهم، وهي: الطلب منهم أن يَقتل بعضُهم بعضًا مقابل الإفراج عن القاتلين! وبالفعل نجحت خطَّته، وأخذ الخوارج يقتلون إخوانَهم، في انتهازية واضحة، أملاً في الخروج من السجن، وأفرج عبيد الله عن القتلة كما وعدَهم[2].

وحقَّقت الخطَّةُ بعضَ ما كان يهدف إليه عبيد الله؛ من إحداث الفرقة بين الخوارج، إذ أخذوا يتلاومون فيما بينهم[3]، وفي المقابل كان لها تأثير عكسي؛ فقد استاء هؤلاء الخوارج مما اقترفته أيديهم، وقرَّروا التصعيد ضد عبيد الله؛ كنوع من التكفير عن الذنب![4]

ومِن بين الذين أَفرج عنهم عبيد الله من الخوارج بعد قتلهم إخوانهم: رجلٌ يدعى: طواف بن غلاق، استفتى أحد (علمائهم!) بكيفية التكفير عن الذنب والتوبة، بعد رفض أهالي المقتولين قبول الدية والقوَد[5]؛ فأشار عليهم بالهجرة، استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[سورة النحل:١١٠][6].

وما يزال منهج «الهجرة» يتوارثه الخوارج المعاصرون عن أسلافهم، بل إنَّ إحدى هذه الجماعات المعاصرة اشتهرت باسم: «التكفير والهجرة»؛ حيث شكَّلت الهجرة العنصر الثاني في فكرها، بعد التَّكفير، ويُقصد بها: العزلة عن المجتمع، بحكم أن المجتمعات الحالية كلها مجتمعات جاهلية[7].

واستجابةً لفتوى عالمِهم، خرج طواف مع سبعين من أنصاره من بني عبد القيس بالبصرة، بعد أن بايَعوه، وأخذوا يستعرضون الناس[8]، ما يدلُّ على أن تكفير الخوارج لم يكن ينحصر بالولاة والحكَّام، بل شمل كل الذين لا يسيرون في ركب الخوارج، أو يرتضون منهجهم وبدعتهم.

وعندما علِم عبيد الله بخروج طواف وأتباعه أرسل إليهم الجند فقاتلوهم، وقاتل أهلُ البصرة مع الجند، في استمرار للسياسة التي درج عليها الأمويون بضرورة اشتراك الأهالي والقبائل بمحاربة الخوارج، ولِما رأوه من إفسادهم.

وانتهت مغامرة طواف بهزيمته، ومقتله، ومقتل أصحابه، وكان ذلك يوم عيد الفطر، سنة (٥٨هـ-٦٧٨م)[9].

▣ خروج شؤم!

كان هذا الخروج شؤمًا على الخوارج؛ فقد تشدَّد عبيد الله في أمرهم بعد ذلك؛ «فقتل عددًا كبيرًا منهم، وحبس آخرين؛ حتى أصبحوا بين مقتول، ونزيل في سجون البصرة، وقد فاق ابن زياد أباه في

---

(١) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٧)، و د. لطيفة البكَّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٢).

(٢) المصادر السابقة.

(٣) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٧).

(٤) د. لطيفة البكَّاي، «حركة الخوارج» (ص٧٢).

(٥) أي: القصاص، وقتل القاتل بدل القتيل.

(٦) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ).

(٧) د. مانع الجهني، «الموسوعة الميسرة» (١/ ٣٣٨-٣٣٩).

(٨) جاء في بعض المعاجم: استعرض القوم، أي: قَتَلَهُم، ولم يُبالِ بِمَن قتل.

(٩) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية، حوادث سنة (٥٨هـ)، و د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٧).

تشدُّده عليهم، فقد كان زياد يقتل المُعلن، ويستصلح المسرّ، أما عبيد الله فقتلهم على الشبهة والظنَّة»[1].

ومِمَّا جعل عبيد الله يصبُّ جام غضبه على الخوارج أيضًا، ويعزم على قتل المسجونين منهم: تحدِّيهم له، وقيامهم باغتيال السَّجَّانين، وقد عبَّر عبيد الله عن غضبه من ذلك بقوله: «ما أدري ما أصنعُ بهؤلاء! كلَّما أمرتُ رجلاً بقتل رجلٍ منهم فتكوا بقاتله! لأقتلنَّ مَن في حبْسي منهم»[2].

وقد أخذ الخوارج المعاصرون من أسلافهم نهجَ قتل الشرطة والضباط والسَّجانين لإخافتهم، وكان شكري مصطفى -زعيم إحدى هذه الجماعات المعاصرة التي خرجت من مصر، واشتهرت باسم «التكفير والهجرة»- يدافع عن ذلك، ويرى قتْل كلِّ من اشترك في تعذيب المعتقلين؛ ليكونوا عبرة لغيرهم، وأنه لو قُتل ضابطٌ واحدٌ فلن يفكِّر آخر بتعذيب معتقل واحد بعد ذلك...

وكان يقول: إنه من العار على المسلمين أن يُمسك بهم كالدجاج دون مقاومة...

فلماذا لا نستشهد عندما يفكِّرون بالقبض علينا؟...

ولماذا لا نبدؤهم بالحرب؟...

وكان يقول: إننا نستطيع تصفية هذه الحرب لصالحنا؛ بقتل بضع مئات من الضباط قبل أن ينتبهوا!

وعندما سأله أحدُهم: وما نتيجة ذلك في نظرك؟

أجاب: سوف نخلق جيلًا جديدًا من الضباط المؤمنين؛ سيخافون من القتل، وينتبهون لكلمة الإسلام، ولن يُنفِّذ واحد منهم الأوامر، نحن نسلب الظالم سيفه الذي يضرب به الناس[3].

لكن هذا لم يحدث! بل ازداد التعذيب والظلم في السجون للمعتقلين، وازداد الظلم والإرهاب من المعتقلين وأنصارهم ضد المجتمع وليس السجانين!!

المراجع:

١ - الحافظ ابن كثير، «البداية والنهاية»، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).

٢ - ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، نسخة إلكترونية.

٣ - أبو العباس المبرد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية.

٤ - د. مانع بن حمَّاد الجهني (إشراف وتخطيط ومراجعة)، «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة»، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الثالثة، (١٤١٨هـ).

٥ - د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م).

٦ - د. لطيفة البكَّاي، «حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويِّ خلال (٣٧-١٣٢هـ)»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، (أيار-مايو ٢٠٠٧م).

(١) د. نايف معروف، «الخوارج في العصر الأموي» (ص١٢٨).

(٢) المبرد، «الكامل في اللغة والأدب»، نسخة إلكترونية.

(٣) أسامة شحادة، (حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج-٣)، المنشور في مجلة «الراصد»، العدد (١٦٩)، شوال (١٤٣٨هـ)، نقلاً عن «سراديب الشيطان» لأحمد رائف.

المشهد العراقي: مرحلة ما بعد داعش

سمير الصالحي- كاتب عراقي

خاص بـ «الراصد».

تعتبر الموصل أكبر مدينة سُنِّية عراقية، وهي ليست مدينة عادية، فهي متميزة على مستوى العراق بمواردها البشرية؛ حيث تحتضن الكفاءات من جميع المستويات.

والتدمير الذي حصل لها؛ سواء كان من داعش أو من الحكومة العراقية أو قوات التحالف: هو تدمير مقصود، فالاستراتيجية الإيرانية -خصوصًا- تهدف إلى: إذلال وتحطيم هذه المدينة التي تمثل قلعة من قلاع أهل السنة في العراق، واليوم هناك أكثر من مليون شخص من أهلها نازحون في العراء ومدينتهم محطَّمة، وثمة مستقبل مجهول ينتظرها وأهلها!

فبعد معارك دامت ستة أشهر بين الجيش العراقي وداعش؛ انتهت معركة الموصل بدمار (٨٠%) منها؛ بحسب تقدير محافظ نينوى، حيث تم تدمير أكثر (٧٠) جسرًا، وهناك حارات ومحلات مسحت بالكامل من الخارطة، وتشعر وأنت ترى صور المدينة كأن قنبلة نووية كقنبلة (هيروشيما أو نجازاكي) في اليابان ضربت الموصل!

وبلغ عدد القتلى المدنيين أكثر من (١٥ ألف) قتيل، أكثرهم من النساء والأطفال، وأكثر من (٣٠ ألف) جريح ومعوَّق، وما زال الأمر مرشحًا للزيادة لوجود ضحايا مفقودين، والراجح أنهم تحت الأنقاض؛ فضلا عن آلاف المعتقلين ظلمًا.

أما الخسائر المادية للمدينة؛ فتقدر بـ (٤١ مليار) دولار.

لكن كيف يبدو المشهد اليوم؟ وما هي تداعيات ذلك على المستقبل؟

• واقع الحكومة العراقية:

مع تولي حيدر العبادي انقسم المشهد الشيعي العراقي، فالعبادي يريد تحسين صورة الشيعة بعد فضائح المالكي وفساده السياسي المالي والإداري، وتحويل العراق إلى بلد مدين، وتردي الحالة الاقتصادية للعراق.

ولتحسين صورة الشيعة والحفاظ على هيمنتهم على السلطة والحكم: عمدَ العبادي وفريقه للضغط لتغيير سلوك الأحزاب الشيعية، وفرض نوع من التصالح الداخلي، والتواصل مع الدول العربية، مع إبقاء العلاقات القوية مع إيران.

لكن العبادي ليس بالرجل القوي داخل المكوَّن الشيعي، وقدرته على السيطرة على الشيعة ليست كالمالكي، رغم مساندة التيار الصدري وعمار الحكيم لحكومته.

كما أنه يتعرض لعرقلة مشروعه من قبل الفريق الإيراني الشيعي في العراق (نوري المالكي، هادي العامري، أبو مهدي المهندس، وقيس الخزعلي، وأحزابهم)؛ حيث يسعون لدعم الحشد الشعبي الشيعي ليكون قوة عسكرية تفوق الجيش العراقي، على غرار نموذج «حزب الله» اللبناني، ليصبح كذلك قوة سياسية تمثل ولاية الفقيه داخل العراق، تأتمر بأوامر إيران وتدور في فلكها!

حاولت الدول العربية المجاورة للعراق ودول الخليج الاستفادة من الصراع بين الإرادتين الشيعيتين في العراق؛ من خلال التقرب من حكومة العبادي ودعمه كي ينال ولاية جديدة لأربع سنوات؛ كونه الزعيم الشيعي الأكثر إيجابية تجاه الدول العربية.

فالعبادي يرغب بالسيطرة على الحشد الشعبي وضبط نشاطاته داخل العراق وليس خارجه، بخلاف سعي إيران التي تريده قوة عابرة للدول ويأتمر بأمرها، ومن أجل ذلك تعاون العبادي مع الأمريكان

وسهَّل لهم إنشاء أكثر من أربع قواعد عسكرية معلنة في العراق[1]، وقواعد صغيرة منتشرة بين العراق وسوريا، وهذا يزعج الوجود الإيراني في العراق.

كما أن العبادي يريد التخلص من داعش، بينما يريد الفريق الإيراني إبقاء ذريعة داعش للهيمنة على جميع العراق.

والعبادي يشجع على إيجاد بديل سني متوازن يتعامل معه؛ لذا شجع عقد مؤتمر «اتحاد القوى السنية»[2]، وشجع على أن يُعقد في بغداد، لكن الفريق الإيراني (الحشد وأحزابه) هدَّده وتوعَّده؛ لأنهم يريدون بقاء (سنة المالكي وإيران) فقط في سدَّة الحكم.

ودخول وجوه سنية عراقية جديدة للِّعبة العراقية، وكذلك تدخُّل الدول السنية المجاورة للعراق في تحديد مستقبل العراق عمومًا وسنة العراق؛ قد يعرقل المشروع الإيراني، ولذلك حرَّكت إيران ممثليها لإفشال المؤتمر الذي عقد في (١٤/ ٧/ ٢٠١٧)، حيث أقام بعض سنة المالكي مثل: محمود المشهداني، وعبد الرحمن اللويزي، ومشعان الجبوري، وغيرهم قبل أيام من المؤتمر مؤتمرًا مناهضًا للطائفية؛ للتعطيل والعرقلة!!

وبعد انعقاد المؤتمر تمكَّنت إيران وفريقها من حث بعض المشاركين (قتيبة الجبوري، أحمد الحلبوسي، وأحمد أبو ريشة) على الانسحاب من مؤتمر بغداد بحجة طائفية المؤتمر، بغية بث الخلافات والفرقة بين المجتمعين.

وتسعى الدول العربية - خاصة الخليجية، وعلى رأسها: السعودية -، إلى أن تكون داعمة لإعمار المناطق السنية في العراق، بإشراف عربي دولي، ووجود سنة العراق بشكل فاعل، وهذا ما يرحِّب بها حيدر العبادي مضطرًا؛ لأن خزينة العراق لا تساعد على إعمار الدمار الهائل في المحافظات العراقية السنية؛ وهذه المحاولة تترافق مع ضغوط أمريكية موازية لها بخصوص الإعمار، والنفط، والتخلص من الحشد الشعبي أو إضعافه، ووجود عسكري قوي داخل العراق.

وبالمقابل سيكسب العبادي من خلال هذه الصفقة - إن نجحت - ولاية جديدة لأربع سنوات قادمة، لأنه هو من حقق النصر للجيش على داعش، بخلاف المالكي الذي هُزم من داعش! وقدَّم أطماع إيران على حساب مصلحة العراق، بل حتى على مستقبل شيعة العراق!

- **مستقبل الحشد الشعبي الشيعي:**

رغم أن الحكومة العراقية قرَّرت ضم الحشد للتشكيلات الحكومية؛ إلا أن الحشد يشعر بوجود ضغط أمريكي وعربي للتخلص منه والقضاء على كل ما ينتمي علنًا لإيران؛ لكثرة جرائمه وتجاوزاته، ولأنه في الحقيقة عبارة عن «منظمات مجرمة» لا تقل جرمًا عن داعش! فهو وجود عقائدي شيعي طائفي يأتمر بأوامر إيرانية، ومتمرد على الدولة العراقية.

وقد ظهر هذا التباين في إعلان العبادي تحرير الموصل، فلم يذكر الحشد وجهوده استجابةً للضغط الأمريكي، لكنه شارك الحشد في استعراض ساحة الاحتفالات الذي نظمته الحكومة، وهذا يبيِّن للجميع سياسة العبادي بمسك العصا من الوسط بين أمريكا والدول العربية، وبين إيران.

أما إيران؛ فتهدف إلى جعل الحشد القوة العسكرية والسياسية الأولى في العراق، والرادعة لأي سلوك داخله ضد إرادة إيران وطموحاتها، فلم تعد إيران تثق كثيرًا بالأحزاب الشيعية؛ التي بدأت تفكر بمصالحها خارج السرب الإيراني؛ ولو بمستوى محدود.

والمهمة الجديدة للحشد من منظور إيران اليوم في داخل العراق هي: تمهيد الطريق البري بين إيران وسوريا لساحل البحر الأبيض مرورًا بالعراق، الذي يسمى: «خط الحرير القديم»، والذي يبدأ بالصين وينتهي من خلال البحر المتوسط إلى أوربا.

فكان يراد من الحشد: أن يفتح طريقًا من منطقة التنف؛ التي تلتقي فيها الحدود العراقية السورية الأردنية، وتمر بطريق عبر صحراء من خلال تدمر، مرورًا بحمص ثم البحر المتوسط، فأغلقت أمريكا خط التنف بإنشاء قاعدة أمريكية هناك!

---

(١) قاعدة في منطقة القيادرة جنوب الموصل، وقاعدتان في محافظة صلاح الدين «قاعدة سبايكر، وقاعدة بلد»، وقاعدة عين السد في الأنبار، قرب مدينة البغدادي، وكلها قواعد في محافظات سنية.

(٢) مشروع لبناء بيت سني برعاية السعودية، الأردن، الإمارات، قطر، تركيا، ويتشكل من شخصيات سياسية مشاركة بالعملية السياسية في العراق بحصة ثلثين، وثلث من المعارضة السنية.

أو أن يؤسس الحشد الشيعي طريقًا ثانيًا من الشمال من منطقة البعاج جنوب مدينة الموصل إلى الحدود الشمالية، ومن ثم إلى حلب وصولًا للبحر المتوسط، ولكن -أيضًا- أغلقت أمريكا الطريق الثاني بتحريك الوحدات الكردية لمقاتلة داعش في الرقة!

كما أن محاولات ترسيخ الهدنة الروسية الأمريكية في جنوب سوريا تسعى لإغلاق الطريق على قوات الحشد الشعبي الإيرانية في المنطقة، لكن محاولات إيران والحشد لتأمين وجودهما وطريقًا للساحل لا تزال مستمرة.

- **هل انتهت مهمة داعش في العراق؟**

انتهت معركة الموصل، لكن مهمة داعش لم تنتهِ؛ فلا تزال داعش تتواجد في عدة مناطق عراقية، ففي مدينة تلّعفر -تبعد (٧٨ كم) عن الموصل، و(٦٠ كم) عن الحدود السورية-، وهي مدينة مهمة للحشد الشيعي؛ لأنها المدينة الوحيدة في مناطق الموصل التي فيها شيعة (تركمان)، وفيها مطار يعتبر نقطة مواصلات هامة للقوات الشيعية القادمة من إيران لسوريا.

وهناك وجود لداعش في مناطق الحويجة بمحافظة كركوك، أبقاها الكرد والحكومة العراقية تحت سيطرة داعش؛ لأن القضاء على داعش يعني: أن تلتقي القوات الكردية (البيشمركة) وجهًا لوجه مع الحشد الشعبي أو الجيش العراقي، وكلاهما (الكرد والشيعة) لا يريدان الاصطدام ببعضهما البعض.

والمنطقة الثالثة هي: الحدود العراقية السورية (منطقة القائم)؛ فلا تزال بيد داعش.

ومن هنا؛ تتعارض سياسة أمريكا التي تدفع الحكومة العراقية للتخلص من بقية داعش؛ حتى لا تبقى ذريعة لإيران والحشد الشعبي الشيعي، مع سياسة إيران وفريقها العراقي التي تريد إبقاء ذريعة وجود الحشد قائمة للتحرك ضد داعش؛ ليكون ذلك مبررًا لدخول الحشد إلى سوريا.

هذه هي خلاصة المشهد العراقي بعد التخلص من داعش في الموصل.

الإسلاميون العرب في الرؤية الإيرانية .. الثابت والمتغير

بوزيدي يحيى - كاتب جزائري

خاص بـ «الراصد».

ركّزت جلّ الكتابات التي اشتغلت على موضوع علاقة الإسلاميين العرب بإيران والشيعة على بُعد واحد منها؛ تمثل في: مواقف الإسلاميين منهم سياسيًّا وعقديًّا، وتراوحت بين: التنبيه عن أخطائهم أو الانطلاق منها للتدليل على ضلالهم!

ورغم استمرار الكتابة في هذا الاتجاه لعقود طويلة إلا أنها لم تُحدث تغييرًا جوهريًّا في مواقف الجناح الإسلامي المؤيد لإيران والشيعة، ممثلًا بشكل خاص في الإخوان المسلمين، إلى أن جاءت الانتفاضات العربية وفي محطتها السورية التي اضطرت الإخوان لتعديل مواقفهم من إيران، بعدما أصبح مستحيلًا إيجاد تبريرات لمجازرها في حق الشعب السوري.

فشل هذا البعد من النقاش بين الإسلاميين يدفع لبحثه من زاوية أخرى، تتمثل في: موقف إيران والشيعة من الإسلاميين بشكل عام، والإخوان المسلمين بشكل خاص، وذلك بعدما أصبح متداولًا محاولات لإعادة العلاقة بين الطرفين إلى سابق عهدها في ظل الأزمات العربية-العربية؛ وبحث مختلف الأطراف عن سند ودعم خارجي.

وفي هذا الإطار؛ فإن أي تطور في مسار العلاقة بين إيران والإخوان لن يخرج في سياقه الإيراني عن جملة من الثوابت التي لن تحيد عنها إيران في رؤيتها للإخوان المسلمين.

نجمل أهمها فيما يلي:

١ - جماعات إخوانية:

تباين مواقف الدول العربية من إيران لا يختلف كثيرًا عن موقف الإسلاميين منها، فقد نقل محجوب الزويري -المختص في الشأن الإيراني- عن دبلوماسي إيراني في برنامج «في العمق» على قناة «الجزيرة»: أنهم يسعدون عندما تصلهم من سفاراتهم تقارير مختلفة من

اثنتين وعشرين دولة عربية، وسعادتهم -لا شك- أنها تكون أكبر عندما تصلهم أضعاف ذلك من التيارات الإسلامية من كل دولة، بل داخل التيار الواحد في القطر نفسه.

فعلى مدى العقود الثلاثة السابقة لم يستطع الإسلاميون العرب صياغة موقف أو رؤية واحدة لفهم طبيعة المشروع الإيراني وكيفية التعامل معه، ولا زال هذا التباين السمة المميزة للموقف من السياسات الإيرانية في المنطقة، ويظهر ذلك في الدولة الواحدة، وبين دولة وأخرى.

وستعمل إيران دائمًا على الاستثمار في هذا الجانب دون السعي لتغييره.

وعلى سبيل المثال لا الحصر: وصل مستوى الالتباس إلى درجة التناقض الحاد! فبينما يصدر زعيم الإخوان السوريين الشيخ سعيد حوى كتابه «الخمينية شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف»، يقوم زعيم الإخوان التونسيين الشيخ راشد الغنوشي بسلسلة من الفعاليات الثقافية ليثبت أن الخميني إمام مجدِّد، وأنه لا يختلف عن نظيريه: أبي الأعلى المودودي وحسن البنا! وأن الثورة الخمينية هي: الركن الثالث في مشروع إقامة المجتمع المسلم والدولة المسلمة، إلى جانب الركنين الآخرين: الجماعة الإسلامية في القارة الهندية، والإخوان المسلمين في العالم العربي![1]

وعندما نُبِّه الإسلاميون من: خطر التوظيف العقدي لحرب (٢٠٠٦) من طرف «حزب الله» لنشر التشيع، وأكدوا على ضلالاته؛ أعلن المرشد السابق محمد مهدي عاكف عن استعداده لدعم «حزب الله» بآلاف المجاهدين،

ثم استضيف على قناة «المنار» ليؤكد هذه «النصرة الواجبة»، وتهكَّم بالمعترضين الذين «يريدون أن يشغلوا الأمة بقضايا تافهة»[2].

في المقابل؛ هناك من يستغرب كيف يتبرع المرشد بشباب الإخوان؛ ليعلن عن استعداده لدفعهم جنودًا لحسن نصر الله! ثم يبخل بهذه النصرة عن إخوانه في دمشق ودرعا وحمص وحماة وحلب.. إلخ.

كما بخل -أيضًا- عن نصرة إخوانه في الفلوجة يوم خاضوا أكثر من معركة شاملة مع الاحتلال الأميركي[3].

٢- أدوات تغلغل ونفوذ:

نظر الإسلاميون العرب لإيران -بُعيد نجاح الثورة- على أنها: «جناح إسلامي» يجب التعاون معه؛ لمواجهة الأخطار الخارجية، وكانوا من أوائل المهنئين للخميني، وشكَّلوا واجهة مهمة للدفاع عنها خلال العقود الثلاثة الماضية.

ولكن إيران لم تبادلهم الرؤية نفسها؛ فقد كانت تنظر إليهم كأدوات لتصدير الثورة، وضرب الأنظمة العربية واختراقها كلما سنحت الفرصة بذلك، وهذا ما حصل منذ أول يوم ولا زال مستمرًا؛ كما في وقوفها إلى جانب الجبهة الإسلامية للإنقاذ الجزائرية في بداية تسعينيات القرن الماضي، لما رأت أنها قاب قوسين أو أدنى من السلطة، ودعمتها؛ ثم سرعان ما تراجعت عن مسارها بعدما استطاع النظام السياسي الإمساك بزمام السلطة مرة أخرى، وأصبحت -لاحقًا- تتبنى وجهة نظره.

وتكرر الأمر نفسه مع الثورات العربية؛ حيث دعمت صعود الإسلاميين، وبشكل خاص الإخوان المسلمين في مصر والنهضة في تونس، وتسويق فكرة أن: الانتفاضات هي امتداد للثورة الخمينية، ولكن بعدما أظهر الرئيس مرسي قدرًا من التباين عن سياساتها؛ وتحديدًا في الموضوع السوري، تغيرت المواقف الإيرانية، ومارس إعلامها والنخب المثقفة الملحقة به الكثير من النكاية والتشفي فيها بعد انقلاب (٣٠ يونيو ٢٠١٣).

كما جعلت إيران من دعمها لحركة حماس رافعة لمشروعها الذي يفند طائفيتها، وثبوتها على ذلك؛ رغم ما يكلفها من ضغط دولي وحصار، وخيِّل للكثيرين أن هذا الدعم صادق، وينبع من قيم إسلامية، وخالٍ من أي شروط! لكن حين رفضت حماس مطالب تأييد إجرام نظام بشار تأزمت العلاقة بين الطرفين، وتراجع الدعم الإيراني المالي والعسكري للحركة.

---

(١) محمد عياش الكبيسي، «إيران وربيع الإخوان» (٢/١)، (٢٠١٢/٨/٢٨)، جريدة «العرب» القطرية، على الرابط: http://cutt.us/IOSDz

(٢) يمكن مشاهدة الفيديو على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=VMaiAxXIkSc

(٣) محمد عياش الكبيسي، «إيران وربيع الإخوان» (٢/١)، (٢٠١٢/٨/٢٨)، جريدة «العرب» القطرية، على الرابط: http://cutt.us/IOSDz

وبدأت إيران تبحث عن حلفاء في الساحة الفلسطينية لسد الفراغ الذي أحدثه توتر العلاقة مع حماس، دون أن تعلن طهران عن رغبة واضحة في قطع العلاقة معها، وما زال خطابها الرسمي يتحدث عن «حماس المقاومة والمناضلة»، لكنها تحاول فتح حوار مع حكومة السلطة وحركة فتح[1].

وبالموازاة مع ذلك؛ يشنُّ الإعلام الإيراني والشيعي بين الفينة والأخرى حملات ضد الحركة؛ بالترويج للانقسام داخلها بين الجناحين العسكري والسياسي، وعندما تكون هناك مؤشرات تقارب تخفت تلك الانتقادات؛ لتعود عند مواسم التأزم.

إذن؛ يتضح من هذه النماذج: أن الثابت في تعامل طهران مع الإخوان المسلمين: أنهم جماعة تستثمرها لتحقيق مصالحها؛ دون الالتفات لأيِّ قيم دينية، وفي النهاية لن تقدِّم أي دعم بدون مقابل إن عاجلا أم آجلا!

٣- التقريب للاعتراف بالشيعة ونشر التشيع:

تبعًا للتصور أعلاه؛ سعى الإخوان المسلمون للتقريب كهدف نبيل لوحدة الأمة الإسلامية، وفي المرحلة الأولى من المحاولات في هذا الاتجاه لم يكن هناك احتكاك كبير بين السنة والشيعة، وكان هناك تجاهل متعمد تجاه حقائق العقيدة الشيعية.

ويكفينا هنا الإشارة لمقالات العلامة محبِّ الدين الخطيب لتلميذه الأستاذ حسن البنا في الاعتراض على موقفه من التقريب مع الشيعة، ومحاولات التقريب لم تكن في الدول التي يتواجد بها هؤلاء؛ وإنما في دول كمصر.

وبعد نجاح الثورة الإيرانية لم تكن وسائل الإعلام متطورة بالشكل الذي هي عليه الآن؛ لذلك كانت دعوات التقريب تجد آذانًا صاغية لها؛ لجهل هذه المجتمعات السنية بالعقائد الشيعية! إلى جانب سيطرة الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمين) وموقفها المرن من الشيعة بأولوية السياسي على العقدي في أيديولوجيتها، خاصة وأن الأمة كانت تشهد يومها هجمة شرسة، وأمام تراجع الأنظمة العربية تقدمت إيران الخمينية المشهد برفع تلك الشعارات.

وبعد الثورات العربية والمواقف الشيعية الطائفية -خاصة من طرف حزب الله- ثبت عدم جدوى التحالف على منطلقات سياسية وإغفال البعد العقدي[2]، فقد أفرزت الثورة السورية واقعًا جديدًا نسف كل الأسس السياسية للتقارب! لدرجة أصبح معها مجرد حضور وفد ممثل لحزب الله في مؤتمر «حركة النهضة» محل جدل ورفض من مناضليها، مما اضطر الأخيرة للاعتذار.

ومن جهة أخرى؛ فإن القوى الشيعية التي روَّجت كثيرًا للتقريب ونبذ التعصب لم تستطع في هذه الثورات أن تتجاوز السقف الطائفي؛ والإيراني تحديدًا، ولم تبرهن بخطوات ملموسة وعملية عن أدنى شروط التقارب، ولو بإدانة التحريض الطائفي الذي تمارسه إيران.

والضجة التي أثارها خطاب الرئيس المصري محمد مرسي في طهران، خلال «قمة عدم الانحياز» في نهاية شهر (أوت ٢٠١٢)، والتي ترضَّى فيها عن الصحابة؛ تعكس نتائج كل جهود التقريب خلال العقود الثلاثة الماضية، إذا استثنينا الجهود التي سبقتها في خمسينيات وستينيات القرن الماضي؛ حيث لم تسفر كلها عن مجرد تقبل الشيعة للترضي عن صحابة رسول الله ﷺ، رغم عشرات المؤتمرات والندوات العالمية التي نظَّمتها إيران، والتي تبين أن الهدف منها: دعوة القيادات السنية لتقدم خلالها وعلى هامشها خطابات وتصريحات وبيانات في الإشادة بالثورة الإيرانية والخميني وخامنئي، ويتهجمون من على تلك المنابر على القوى السنية التي تعارض هذا المسار في العلاقة.

تكشف هذه الوقائع: أن مشروع التقريب سيبقى في الرؤية الإيرانية مجرد (أداة لنشر التشيع وتقبله في المجتمعات السنية)،

---

(١) فاطمة الصمادي، «علاقة إيران بحركات المقاومة الإسلامية في المنطقة العربية، في ظل الثورات العربية» (دراسة لحالات حماس-الجهاد-حزب الله)، عبد الله النفيسي وآخرون، «المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية»، مركز أميَّة للبحوث والدراسات الاستراتيجية، (ط٢)، (٢٠١٤)، (ص٢٣٢).

(٢) كان الشيخ يوسف القرضاوي قد تحوَّل عن موقفه المؤيد للتقريب سنة (٢٠٠٧م)، في موقف مبكر نسبيًّا، تواصل بعد الثورات العربية بانتقاله إلى الهجوم على إيران وسياساتها، واعترافه بخطئه سابقًا.

كما خلص إلى ذلك الدكتور مصطفى السباعي؛ الذي كان من المهتمين بالتقريب بين السنة والشيعة، وبعد تجربة طويلة من التدريس وجد أن المقصود من دعوة التقريب هو: **تقريب السنة إلى مذهب الشيعة**[1].

ومحاولة الإسلاميين تبرير علاقتهم بإيران من منطلقات دينية، بل وجعلها أساسًا في ذلك؛ على غرار مشروع التقريب الذي اشتغلوا عليه لسنوات طويلة: من الأخطاء الجسيمة التي يجب أن لا تتكرر.

فالثابت في العلاقة مع الشيعة: أن الفوارق العقدية أكبر من أن يتم تجاوزها أو التغاضي عنها، وأنها ستبقى في الخلفية المحرك الأساسي لأي مشروع شيعي؛ سواء كان ذلك في صيغة المشروع الإيراني حاليًّا، أو الصفوي سابقًا، أو تحت أي عنوان مستقبلي لاحقًا.

وأي علاقة سياسية يجب: أن لا تغلَّف بأي غلاف ديني، وتوضع في سياقها السياسي بتقدير المصلحة والمفسدة.

٤ - الأولوية للشيعة:

في مختلف المواقف التي اختُبر فيها القرار الإيراني كان ينحاز -دائمًا- إلى جانب الشيعة! بدايةً من سوريا؛ عندما لم يتردد نظام الخميني في مساندة حافظ الأسد في جرائمه بحق أهل حماة والإسلاميين، تحديدًا في سنة (١٩٨٢).

وحين زار صادق خلخالي -رئيسُ المحاكم الثورية، سوريا- ودماء المجازر في حماة لم تجف بعد؛ بدلًا من أن ينصف القاضي الثوريُ نصيرُ المستضعفين دماء الثوار؛ قام باتهام الإخوان المسلمين، ووصفهم بأنهم (إخوان الشياطين)!

وعلى نفس المنوال هوجم الإخوان في مسجد الخميني بطهران، ونُشر هذا الهجوم على الصفحة الأولى لصحيفة «كيهان» الإيرانية، بل في نفس العدد هوجم الإخوان -أيضًا- بمقال بتوقيع: «وحدة الحركات التحررية في الحرس الثوري»؛ حيث وَصف الإخوان وقادتهم بأنهم: عملاء ومنافقون!!

وحسمت إيران موقفها حين أعلن علي أكبر ولايتي - وزير الخارجية السابق -أن إيران تقف إلى صفّ الرئيس حافظ الأسد.

وأتى هذا الموقف بعد أن أخبر الخميني الوفد الإخواني بمعرفته بما يجري في سوريا، وأنه سيتكلم مع حافظ الأسد في ذلك[2]، وهو الذي كان يعد بلاده لقيادة العالم الإسلامي، دون أن تتحرك الجمهورية الإسلامية لنصرة هؤلاء المستضعفين، بل تحتفظ بعلاقات وطيدة مع نظامهم الحاكم، كان يشير بوضوح إلى الفجوة العميقة بين شعارات الثورة الإيرانية وسياساتها!

وقد كانت هناك بدائل أخرى؛ تستطيع من خلالها إيران أن تصل إلى دبلوماسية توفِّق بين حفاظها على علاقتها مع النظام السوري؛ الذي ساندها من أول لحظة، وبين حرصها على الشعب السوري بأكثريته المسلمة المستضعفة، لكن الجمهورية الإسلامية التزمت الصمت، وساعدها على ذلك: أن الأبعاد الحقيقية والكاملة لما جرى بالذات في حماة لم تتكشف إلا بعد أعوام في ظل تخلف وسائل الاتصال في حينه[3].

وما قام به الإسلاميون في سوريا ضد نظام حافظ الأسد قام بمثله -أيضًا- المعارضون لنظام الشاه، كما أن المحاولات المماثلة من طرف شيعة العراق ضد نظام صدام حسين كانت محلَّ ترحيب وتشجيع؛ رغم أن النظامين بعثيان.

والأمر نفسه ينطبق على الحالة المصرية؛ حيث احتفى الخميني بقتلة الرئيس أنور السادات، والاستثناء -كما سبقت الإشارة- كان فقط في الحالتين العراقية والسورية.

ولا شك أن الوشائج الطائفية كانت المحدد الأساسي، مع

---

(١) أسامة شحادة، «المشكلة الشيعية»، إصدارات مجلة «الراصد»، نسخة إلكترونية، (ص٢٧).

(٢) أسامة شحادة، «خيانة إيران والشيعة إزاء مجازر سوريا مرة أخرى!!»، مجلة «الراصد»، على الرابط:

http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=٣٦٤٨

(٣) نيفين عبد المنعم مسعد، «موقف إيران من الأزمة السورية»، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، (٢٧/٦/٢٠١١)، على الرابط:

http://www.ecssr.com/ECSSR/print/ft.jsp?lang=ar&ftId=/FeatureTopic/Nevine_Mossaad/FeatureTopic_١٤١٦.xml

العلم أنها بدأت قبل نجاح الثورة وتشابكت أكثر بتعاونهما في لبنان[1].

تأكدت هذه العلاقة في مختلف المحطات على طول الجغرافية العربية؛ وذلك بمساندة إيران للجماعات الشيعية في الخليج، وأيضًا وقوفها إلى جانب الشيعة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، وتمكينهم من السلطة، وتدخلت في الكثير من المواقف لتسوية الخلافات بين الأحزاب الشيعية؛ لقطع الطريق أمام السنة الذين مثَّلهم الإخوان المسلمون داخل السلطة.

وكانت ثالثة الأثافي في سوريا بعد الثورة؛ حيث تجاوزت إيران الدعم السياسي والإعلامي إلى حشد الحرس الثوري والمليشيات الشيعية من لبنان والعراق وأفغانستان وغيرها؛ لدعم نظام الأسد، والقتال إلى جانبه، ما يقطع بأن إيران -والشيعة بشكل عام- لن يتوانوا في التعاون السياسي والعسكري في تعضيد مشاريعهم، والتغاضي عن كل الخلافات فيما بينهم.

ولعل صمت المراجع الدينية الكبرى عن هذه المجازر ودعمها من أهم العلامات على ذلك.

■ **الخلاصة:**

استطاعت إيران تجاوز العديد من الأزمات التي واجهت تمدُّدها دون أن تنعكس سلبًا على علاقتها مع الإسلاميين، فموقفها من مجزرة حماة (١٩٨٢) لم يحُل دون تأزم علاقتها من الإخوان المسلمين.

والأمر نفسه ينطبق على دعمها للحركات الشيعية في الخليج، حيث بقيت أصوات خليجية إسلامية تدافع عنها، واستمر ذلك -لاحقًا- بعد الاحتلال الأمريكي للعراق؛ الذي لم يمنع من مواصلة الإسلاميين الدفاع عن إيران ومشروع التقريب، مع علمهم بمجازر الشيعة في حق الفلسطينيين هناك.

(١) لتفاصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر: باتريك سل، «الأسد: الصراع على الشرق الأوسط»، بيروت: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، (ط١٠)، (٢٠٠٧)، (ص ٥٧١-٥٩٤).

إلى أن وصل المطاف للانتفاضات الشعبية في (٢٠١١)، والأزمة السورية؛ والتي رغم كل ما كشفته عن حقيقة المشروع الإيراني الشيعي إلا أن ردود الأفعال الإسلامية لم تكن في مستواها وحجمها، حيث انتقلت من التأييد والدفاع السابق إلى الصمت المطبق، والانتقاد المحتشم في أفضل الأحوال.

أما الانتقادات القوية؛ فتبقى محصورة بين الإسلاميين المتضررين بشكل مباشر من إيران؛ على غرار الإسلاميين في العراق أو سوريا، وحتى في هذين البلدين -وخاصة في العراق عقب الاحتلال الأمريكي- لم يمنع ذلك من بروز تباين في المواقف بين الإسلاميين أنفسهم.

تأسيسًا على هذا؛ فإنه لا يستبعد إطلاقًا أن تتجاوز إيران كل ما خسرته جراء الانتفاضات الشعبية لتجد لنفسها طريقًا لاستكمال مشروعها ما دام هناك من الإسلاميين مَن له الاستعداد لتبرير علاقته بها تحت حجج، مهما كانت موضوعية فإنها تبقى نقطة سوداء في قلب المشروع الإسلامي.

وفي النهاية؛ لن تتزحزح إيران والشيعة عن خطهم العقدي والسياسي، ويبقى المتغير فقط في حجم الدمار الذي يلحق بالأمة جراء التغافل عن ثوابتها.

إيران واستغلال الأزمات.. ولا عزاء للشعارات

أسامة الهتيمي-كاتب مصري

خاص بـ «الراصد».

لم يكن أي متابع أو مراقب لتطورات أحداث الثورة الإيرانية عام (١٩٧٩م) يتصور أن دولة الملالي الجديدة التي تأسست في أعقاب إزاحة الشاه محمد رضا بهلوي ورفعت شعارات نصرة المظلومين ومواجهة المستبدِّين؛ ستصبح -وبعد سنوات قليلة- بهذه الوضعية التي باتت تمثل تهديدًا حقيقيًّا، ليس لدول المنطقة فحسب، بل وللعالم كله!

إذ أثبتت الدولة الوليدة وعبر ما يربو على الثلاثين عامًا أنها: نموذج فج للبراجماتية التي لم تتردد -ولو للحظة واحدة- في استغلال الأزمات والصراعات، بل واصطناعها في الكثير من الأحيان؛ لتحقيق

طموحاتها المذهبية والقومية، بعيدًا عن شعاراتها الزائفة ودعواها بأنها دولة القيم والمبادئ! وهو ما تكشف وإن كان على مراحل زمنية مختلفة أمام الكثيرين ممَّن خدعتهم الشعارات وبهرتهم أحاديث المبادئ، فيما لم يبقَ بوق دعائي لها إلا هؤلاء السذج المستغفلين أو المستفيدين والمنتفعين!

وكانت صدمة هؤلاء المخدوعين في إيران كبيرة إلى أقصى درجة؛ بعد أن تبيَّن لهم أن دولة الخميني لم تكن فقط مجرد دولة كبقية الدول التي تتحين فرصة هنا أو هناك من أجل تثبيت أقدامها أو تحقيق بعض المصالح دون أن تمسَّ بأمن غيرها أو تتجاوز حدود المعايير القيمية والأخلاقية، وهي ربما سلوكيات مشروعة إلى حد كبير في عالم السياسة الدولية؛ فتلتمس لها الأعذار، وإنما تكشف للجميع أنها دولة إنما تحيا وتتمدد على جثث الآخرين، وباستلاب حقوقهم دون الأخذ بأية اعتبارات!

ومن ثم فإن ما ترفعه وتردِّده ليس إلا مما تتلون به وبعض من أدوات النصب والاحتيال!

◙ منذ لحظة الولادة:

وفلسفة استغلال الأزمات هي نهج اتبعه الخميني وأنصاره؛ حتى من قبل تأسيس الدولة الإيرانية الجديدة، وتحمل المسئوليات التي ربما تفرض على قادتها ممارسة بعض السياسات للوفاء بالاحتياجات والالتزامات السياسية والاقتصادية والجماهيرية، الأمر الذي يؤكد أن مبدأ «الاستغلال» في حد ذاته جزء لا يتجزأ من استراتيجية هؤلاء القادة، وأن ستائر الشعارات فقط هي التي أعمت الأبصار عن رؤية الحقائق الكاشفة.

ويبرز في هذا السياق: قدرة الخميني ومَن معه على استغلال الصراع بين القطبين الأمريكي والسوفيتي -الذي كان محتدما آنذاك- إذ وفي الوقت الذي كان يعلم فيه الجميع موقف الخميني المعلن من الشيوعية والاتحاد السوفيتي، باعتباره مرجعية شيعية، ويدعو إلى دولة دينية في الوقت الذي لم يمنعه ذلك من التواصل مع حزب «تودة» الشيوعي الإيراني؛ الذي يعود تأسيسه لعام (١٩٤٥)، ليكون هو وغيره من الفصائل اليسارية الإيرانية كـ «فدائيو خلق- ومجاهدو خلق»، ممَّن ساهموا وبشكل فعال في دعم ثورة الخميني ضد الشاه؛ الذي هو أحد أهم حلفاء الولايات المتحدة الأمريكية -العدو اللدود للاتحاد السوفيتي- في هذا الوقت.

بل إن مصادر عديدة أشارت إلى أن: أعضاء حزب «تودة» كانوا ممن شاركوا -أيضًا- في احتلال السفارة الأمريكية بطهران، ومن ثم فقد جسَّد ذلك إلى أي مدى كان الخميني ومَن معه قادرين على استغلال الصراع فيما بين أمريكا -التي تَعتبر الشاه أحد رجالها-، وبين الاتحاد السوفيتي -الذي اتسمت علاقته بالشاه بحالة من التوتر؛ لعلاقته مع واشنطن- لكسب دعم وتأييد اليسار لصالح تحركاتهم، غاضِّين الطرف عن الخلاف الأيدلوجي المفترض بينهم وبين السوفييت.

بل الأكثر من ذلك: أن حركة الخميني كانت على اتصال مباشر بالسوفييت وحلفائهم في المنطقة آنذاك؛ إذ تولت كل من ليبيا وكوريا الشمالية الدعم المالي والتقني لتهيئة الكوادر الإيرانية على أرض لبنان، فبلغ الدعم المالي -وفق العديد من التقارير- نحو (١٠٠ مليون) دولار، وهو مبلغ ضخم للغاية بالتقديرات المصرفية في نهاية السبعينيات من القرن الماضي؛ فضلًا عن الدعم المالي والعسكري من قبل المنظمات الفلسطينية الاشتراكية.

كما تلقت الكوادر التابعة للخميني تدريباتها على يد الأنظمة والتنظيمات الماركسية في ليبيا وسوريا واليمن الجنوبي والعراق والمنظمات الفلسطينية والألوية الحمراء الإيطالية والجيش الأحمر الياباني؛ فضلًا عن علاقة جيدة كانت تربط بين الخميني وصدام حسين؛ الذي كان منحازًا وقتها للمعسكر الشرقي، رغم توتر العلاقة بين صدام والشيعة العراقيين.

ولعل ما يؤكد متانة هذه العلاقات: أنه وبعد انتصار ثورة الخميني وهيمنته على مقاليد الحكم في إيران قدَّم الروس الدعم الاقتصادي لها، وذلك عبر توقيع بروتوكول لتنشيط الاقتصاد، شمل قطاعات الطاقة والكهرباء والسدود والأسلحة والخبراء الفنيين عام (١٩٨٢)، على الرغم من مقاطعة العالم الإسلامي كله للاتحاد السوفيتي آنذاك؛ بعد أن قيامه باحتلال أفغانستان، بل وكان الاتحاد السوفيتي هو الداعم العسكري الأساسي لإيران في حربها مع العراق، والتي امتدت لنحو (٨) سنوات، فيما أجرى الطرفان محادثات لعقد معاهدة دفاع مشترك عام (١٩٨٧م)، وتعاون مشترك يتعلق بالمفاعلات النووية.

وقد أثارت هذه العلاقة بين الخميني والمعسكر السوفيتي بعض المعاصرين له، حتى أن الدكتور موسى الموسوي كتب في كتابه «الثورة البائسة»: «لا أجد صعوبة في رمي الخميني بالشيوعية؛ مع ما عليه من الطيلسان والعمة والرداء!»، بل إن بعض الباحثين الإيرانيين أشاروا إلى أن عددًا ممن يطلق عليهم: «آيات الله» في إيران قد تتلمذوا على كتابات ماركس وفيورباخ، وأن قراءتهم لهذه الكتابات لم تكن من باب النقد للنظرية الماركسية -كما قد يخيَّل للبعض!-.

غير أنه من الخطأ -وترتيبًا على ما سبق-: أن يكون الاعتقاد بأن الخميني أراد أن ينحاز للمعسكر الشرقي ليستفيد منه في الانقضاض على الشاه المحسوب على المعسكر الغربي، إذ أنك وما أن تتبين شكل العلاقة بين الخميني وأمريكا وطبيعة الاتصالات بينهما؛ ستتكشف إلى أي مدى كان هذا الاعتقاد ساذجًا! فقبيل عام واحد فقط كشفت وثائق جديدة للاستخبارات الأمريكية (CIA) نشرتها هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي» عن اتصالات سرية قبيل الثورة في إيران بين الخميني في منفاه بباريس والرئيسين الأمريكيين كيندي وكارتر.

وهو ما حاول المرشد الأعلى للثورة الإيرانية الحالي علي خامنئي أن ينفيه، مؤكدًا على أنه تقرير مفبرك، إلا أنه وبحسب تقرير لصحيفة «شرق» الإيرانية أن إبراهيم يزدي -وزير الخارجية الإيراني الأسبق، والوارد اسمه في الوثائق، والمصاحب للخميني أثناء إقامته في ضاحية نوفل لوشاتو بباريس- لم ينكر الرسائل المتبادلة بين الجانبين.

وقال يزدي: «إن الإمام الخميني لم يرسل خطابات إلى الرئيس الأمريكي كارتر، بل الأخير هو الذي أرسل له، وردَّ الخميني على رسالته».

مضيفًا: «أن الرسائل المتبادلة بين الجانبين قام جاري سيك -عضو المجلس الأعلى للأمن القومي الأمريكي في حكومة كارتر- بنشرها لأول مرة في كتاب له».

وأكد يزدي: أن الخميني قبل انتصار الثورة الإسلامية كان يجري مفاوضات مع المسئولين الأمريكيين عبر (٣) طرق وليست اثنين مثلما جاء في الوثائق الأمريكية.

مشيرًا إلى أن: الاتصالات كانت تتم مع واشنطن عبر المجلس الثوري في إيران، حيث كان التواصل مع اثنين من الموظفين العاملين في السفارة الأمريكية في طهران.

فيما كان الدكتور بهشتي يجري اتصالات مباشرة في طهران مع السفير الأمريكي وليام ساليفان.

أما الطريق الثالث؛ فكان عبر موظف رفيع بالسفارة الأمريكية بباريس يدعى زيمرمن، وكان يتواصل مع الخميني نفسه.

كذلك كان من بين ما كشفت عنه هذه الوثائق: أن لقاءات سرية عقدت بين مبعوثي جيمي كارتر ومستشار الخميني (١٩٧٩) في باريس، قبيل الثورة بأسابيع قليلة، والتي أسفرت عن تنسيق كامل بين الإدارة الأمريكية والخميني للاستحواذ على مقاليد الحكم في إيران، ومن ثم أكدت على دعم الخميني للمصالح الأمريكية في إيران.

وأوضحت الوثائق: أن الاتصالات السرية بدأت قبل يوم من خروج الشاه بهلوي من إيران في (يناير ١٩٧٩)، فيما عبَّرت واشنطن وقتها عن امتنانها لفرنسا -التي كانت همزة الوصل بينهما-، وذلك بعد أن علمت باريس أن كارتر أوعز لسفير بلاده بطهران والملحق العسكري رابرت هايزر أن يشرعا في مفاوضات بين زعماء المعارضة والجيش، وهو ما دفعها للتعاون مع الخميني.

وأشارت الوثائق إلى أنه: في أعقاب هروب الشاه من إيران دخلت العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والثوار مرحلة جديدة تحطَّم فيها تابو الحوار مع الخميني، فقد التقى وارن زيمر -أحد كبار موظفي السفارة الأمريكية في باريس- بمستشار الخميني، وهو اللقاء الذي اعتبر بدء عملية التواصل بين أمريكا والخميني.

وقالت الوثائق: إن الخميني كان دائمًا في مقابلاته الصحفية يتحدث عن كارتر بلهجة لطيفة! حيث أنه كان يخشى بعد خروج الشاه من إيران أن يتكرر سيناريو انقلاب (١٩٥٣) وتعيد الولايات المتحدة الشاه مرة أخرى إلى العرش، لذا كان يتعمَّد لقاء مواطنين أمريكيين عاديين، ويستغل ذلك لإبلاغهم برسائله، ومن ذلك: لقاء جمع بينه وبين مواطن أمريكي يدعى: ليونارد فريمن، حمَّله رسالة إلى أمريكا أكد فيها أنه إذا سيطر على مقاليد الحكم في إيران سيقيم حكومة العدل، و«سيستمر في بيع البترول للولايات المتحدة الأمريكية»، وأكد على نقل الرسالة إلى الحكومة الأمريكية.

وكشفت الوثائق عن: التنسيق الكامل بين الخميني وواشنطن قبيل رحيل الشاه عن إيران، وسأل مبعوث الخميني المسئولين الأمريكيين: متى سيترك الشاه إيران؟ وأخبره دبلوماسي أمريكي أنه لا يمتلك معلومات؛ إلا أن الخارجية الأمريكية عادت وأخبرته بيوم رحيله.

ولعل ما استعرضناه -بإيجاز شديد- يشير بوضوح إلى مدى قدرة الخميني ورجاله على استغلال الصراع الأمريكي السوفيتي، واللعب على كل الحبال؛ من أجل تحقيق أهدافهم! وبغضِّ النظر عما كانوا يخدعون به الجماهير، ففي حين كان يتم التواصل مع أمريكا كانوا يلقبونها بـ (الشيطان الأكبر)، وفي حين كان يتم التواصل مع الاتحاد السوفيتي؛ كانوا يلقبونها بـ (الشيطان الأصغر).

وبطبيعة الحال؛ لم تفتأ تمارس إيران الملالي استغلالها للصراع بين أمريكا وروسيا بعد أن سقط الاتحاد السوفيتي وحتى اللحظة، وهو الاستغلال الذي استطاعت من خلاله أن تحقق منافع كبيرة، وسنشير إلى بعض مظاهره في السطور المقبلة.

◙ ترامب وأزمة الشرعية:

لم يكد يمر أحد المؤتمرات الانتخابية لدونالد ترامب قبل انتخابه رئيسًا للبلاد في (يناير ٢٠١٧)؛ حتى أعرب الرجل خلاله عن استيائه تجاه الاتفاق النووي الذي وقعته بلاده ضمن مجموعة (٥+١) مع إيران! ملمِّحًا إلى أنه يعتزم -في حال فوزه- إلغاء هذا الاتفاق، وهو ما كان يعكس موقف ترامب الرافض للسياسات الإيرانية في المنطقة، الأمر الذي دفع ببعض الأطراف العربية -وخاصة الخليجية- إلى التفاؤل بأن ضغوطًا ستمارس بحقٍّ إيران لإجبارها على التراجع عن التدخل في شئون جيرانها، والقيام بأدوار أقل ما توصف بأنها قذرة بشأن العديد من الملفات.

غير أن الرياح لم تأتِ بما تشتهي السفن! وبقيت الأوضاع كما هي؛ رغم وصول ترامب للحكم ومرور أكثر من سبعة أشهر على جلوسه في البيت الأبيض، إذ لم يستطع ترامب أن يفي بما كان قد تعهَّد به، وبقي الاتفاق النووي الذي ترى الكثير من الأطراف أنه سيمنح إيران الفرصة لاستكمال برنامجها النووي وتهديد جيرانها.

الأمر الذي يُعد بالطبع تراجعًا من قبل ترامب عن أحد وعوده الانتخابية، ما دفعه ليعمل على حفظ بعض ماء وجهه؛ فتعلن إدارته عن فرض عقوبات اقتصادية جديدة شملت (١٨) فردًا ومؤسسة إيرانية، لن يكون لها بكل تأكيد أيّ تأثير على مسار السياسات الإيرانية، وهو ما أكَّدته الخارجية الإيرانية نفسها عندما أعلنت: أن هذه العقوبات أمر سخيف؛ وبدون قيمة!

ورغم ذلك؛ فإن إيران وجَّهت تهديدًا صريحًا لواشنطن نتيجة هذه العقوبات المحدودة؛ إذ قال قائد الحرس الثوري محمد علي جعفري: أن الولايات المتحدة إذا أرادت مواصلة عقوبات الحرس الثوري عليها أولًا: أن تزيل القواعد الأمريكية حتى عمق (١٠٠) كلم حول إيران، مضيفًا: «لِتعلم الولايات المتحدة أن حساباتها الخاطئة ستكلِّفها الكثير كي تصححها!»، ومشيرًا إلى أن ما أسماه بـ: «رقعة النفوذ المعنوي للثورة الإسلامية» قد اتسعت.

وكان قائد القوات المسلحة الإيرانية اللواء محمد باقري قد هدد قواعد الولايات المتحدة حال إدراج واشنطن الحرس الثوري على قوائم الإرهاب، أو فرض عقوبات عليه؛ قائلًا: «فرض عقوبات أو إدراج الحرس الثوري على قوائم الإرهاب يُعد مجازفة كبيرة للولايات المتحدة وقواعدها وقواتها المنتشرة في المنطقة».

والحقيقة: أن هذه العقوبات الأمريكية الجديدة -أيضًا- لم تأتِ حتى استجابة لتوجهات ترامب فيما يخص إيران، بل ربما كانت الحد الأدنى للرد على الاستفزازات الإيرانية التي لا تتعلق فقط بسياساتها في المنطقة وما تمارسه في سوريا واليمن والعراق وغيرها، وإنما -أيضًا- لإجرائها تجارب صواريخ بالستية، إذ كان البيت الأبيض قد أعلن خلال يناير (٢٠١٧): أن واشنطن على علمٍ بأن إيران اختبرت صاروخًا بالستيًّا متوسط المدى، انفجر على مسافة (٦٣٠) ميلًا، ومن ثم ندد رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأميركي السيناتور بوب كوركر بالخطوة، وتعهد بالعمل على محاسبة طهران.

ويعكس ذلك مدى استغلال إيران لأزمة شرعية ترامب، وأن الرجل لا يحظى برضا جماهيري أمريكي؛ حيث شهدت أغلب المدن الأمريكية تظاهرات عارمة للاحتجاج ضد فوزه برئاسة البلاد، وبالتالي فإن أية خطوات تصعيدية -ومنها ما يتعلق بملف إيران- ربما تواجَه برفض شعبي، ليس بالضرورة أن يكون نابعًا من توافق مع ما تقوم به إيران بقدر ما يعبِّر عن احتجاج على سياسات ترامب ذاته؛ خاصة وأن

انطباعًا ترسَّخ لدى الأغلبية وأكدته مواقف ترامب وتصريحاته حول قضايا الأقليات واللاجئين والمسلمين في أمريكا بأنه (عنصري).

◙ الصراع الأمريكي الروسي:

والاستغلال الإيراني للصراع بين أمريكا وروسيا -التي ورثت الاتحاد السوفيتي عقب انهياره عام (١٩٩١م)- لا يقل حجمًا أو أهميةً عن استغلال الصراع بين القطبين السابقين، بل ربما نجحت إيران في توظيف هذا الصراع إلى حد كبير لخدمة مشروعها لتأسيس إمبراطوريتها في المنطقة على مستوى العديد من القضايا والملفات،؛ سواء في الداخل الإيراني، أو فيما يتعلق بمحيطها الخليجي والعربي.

ويبرز من ذلك -مثلًا-: استغلال إيران تباين المواقف -ولو بشكل نسبي- من وجود الكيان الصهيوني في المنطقة؛ إذ وعلى الرغم من أن كلا القوتين الأمريكية والروسية تدعمان الكيان الصهيوني وتتعهدان بحمايته، وتعتبران تهديد أمنه خطًّا أحمر؛ إلا أن الروس أقاموا تحالفات مع قوى عربية وإسلامية في المنطقة تتظاهر بأن علاقتها بالكيان الصهيوني متوترة! وهو ما نجحت طهران أن تستغلها.

انطلاقًا من هذا؛ فقد نجحت إيران في أن تواصل دعمها لحزب الله اللبناني؛ الذي هو في الظاهر المعلن أحد أدوات مقاومة الكيان الصهيوني، لكنه في الحقيقة والواقع ليس إلا أداة لتحقيق المشروع الإيراني، فضمنت إيران -ومن خلال الصراع الأمريكي الروسي على النفوذ في المنطقة وتعضيد تحالفات كل طرف منهما- توفير بعض الحماية لكيان «حزب الله» الذي لم تصنِّفه روسيا -حتى اللحظة- كمنظمة إرهابية، كما هو الحادث في أمريكا وأوروبا وبعض المنظمات العربية «التعاون الخليجي-الجامعة العربية».

حيث أكدت موسكو مرارًا: أنها لا تعتبر الحزب منظمة إرهابية، ومن ذلك: ما أعلنه مبعوث الرئيس الروسي للشرق الأوسط وإفريقيا ميخائيل بوغدانوف: أن موسكو لا تعتبر «حزب الله» و«حماس» و«حزب الوحدة الديمقراطي» في سوريا منظمات إرهابية.

مضيفًا أن: «البعض يقول: إن حزب الله منظمة إرهابية.

نحن نجري اتصالات ونبني علاقات معهم؛ لأننا لا نعتبرهم منظمة إرهابية، إنهم لم يرتكبوا أي أعمال إرهابية في أراضي روسيا.

والشعب اللبناني انتَخب حزب الله في برلمان البلاد، وهناك أعضاء في الحكومة ووزراء عن حزب الله في لبنان، إنها منظمة سياسية شرعية».

بل إن روسيا ارتضت أن يشارك الحزب في القتال في سوريا كأحد فصائل القوات الداعمة لنظام بشار الأسد -الذي هو حليف لروسيا-؛ حيث تأكدت أدلة على أن: الحزب تلقى أسلحة ثقيلة من روسيا وبشكل مباشر، وبدون أي قيود أو شروط مسبقة، إذ وبحسب صحيفة «ديلي بيست» الأمريكية فإن مسؤولين بحزب الله أكدوا: أن الحزب حصل على صواريخ طويلة المدى وصواريخ موجهة بالليزر وأسلحة مضادة للدبابات من روسيا، فيما أفادت تقارير أخرى: أن علاقة مستقلة يتم تعزيزها بين موسكو وحزب الله.

وهو بالطبع ما يصبُّ في صالح إيران، إذ يعلم الجميع أن حزب الله في لبنان ليس مجرد حزب وإنما هو: دولة داخل الدولة، وجيش مواز يفرض سيطرته وقراراته على الدولة اللبنانية، وبمقدوره تعطيل الحياة السياسية؛ كما كان الحادث في الفترة الأخيرة، وهو ما يعني ببساطة شديدة: هيمنة إيرانية على لبنان؛ من خلال حزب الله الذي يبايع أمينُه العام مرشدَ الثورة الإيرانية باعتباره الولي الفقيه والنائب عن الإمام الغائب -وفق المعتقد الشيعي-.

ولا يختلف الأمر فيما يتعلق بسوريا؛ التي شهدت ثورة شعبية ضد بشار الأسد اندلعت في مارس (٢٠١١)، واضطرت إلى العسكرة بعدها بعدة شهور كردٍّ فعل على ما مارسه الأسد وقواته إزاءها؛ حيث ارتكاب أبشع أنواع الانتهاكات، فقد استطاعت إيران أن تحمي حليفها الأسد وتحُول بينه وبين السقوط؛ عبر استغلال المتناقضات الدولية، وتحويل سوريا لساحة صراع إقليمي ودولي، الأمر الذي أضعف الثورة السورية وأدخلها في متاهات لا نهاية لها، تصبُّ في نهاية الأمر في صالح الأسد وإيران.

فكلُّ المتابعين للأزمة السورية يدركون: أن هزيمة الأسد كانت قاب قوسين أو أدنى، وأن التدخل الروسي العسكري في سوريا في (سبتمبر ٢٠١٥) جاء بمثابة طوق النجاة لقوات الأسد والميلشيات الداعمة له؛ سواء الإيرانية أو اللبنانية أو العراقية، أو بعض المرتزقة الباكستانيين والأفغان.

والقوات الروسية -التي جاءت بناء على طلب من الأسد-

كانت تحظى بكل قبول وترحيب من الدولة الإيرانية؛ حتى أنها سمحت لهذه القوات أن تستخدم قواعدها العسكرية، حيث أعلن وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف: أن روسيا يمكن أن تَستخدم قواعد عسكرية إيرانية «لمكافحة الإرهاب في سوريا»، على أن تكون كل حالة «على حدة»؛ لتصبح إيران التي كانت تدَّعي أنها إنما كانت لتخليص المظلومين والمستعبدين من الظلم والاحتلال ممن جلبوا هذا الاحتلال إلى أرض المسلمين، لحماية رجلها ونظامه في سوريا؛ ولو كان ذلك على جثث وأشلاء الملايين من المسلمين والعرب!!

وبالطبع؛ فإنه لا يبرر لإيران هذه الفعلة ما كانت روجته بعض الصحف من أن: هذا السلوك الإيراني بمثابة رشوة للقوات الروسية بعد اتفاق روسي أمريكي على مساعدة الكيان الصهيوني على طرد إيران وميلشياتها من سوريا.

وعليه؛ فإن هذا التقارب الإيراني الروسي كان مقصودًا لسببين رئيسين:

أولهما: أن الولايات المتحدة اتخذت موقفًا داعمًا للثورة السورية، بل إنها وفي بادئ الأمر أعلنت عن استعدادها لتدريب بعض فصائل المعارضة السورية وإمدادها بالسلاح اللازم لمقاتلة قوات الأسد، وقد توافقت في هذا مع أغلب بلدان الخليج؛ التي اتخذت موقفًا داعمًا -أيضًا- للثورة السورية، قبل أن تشهد أغلب المواقف تحولًا أثّر بالسلب على مسار هذه الثورة ووضعها على الأرض.

أما السبب الثاني: فلأن سوريا واحدة من الدول التي تمثل نقطة لصراع النفوذ بين واشنطن وموسكو؛ حيث كانت تعتزم كل من أمريكا وأوربا إقامة خط غاز جديد يمر بعدد من الدول من بينها سوريا، ويكون بديلًا عن خطوط الغاز التي أقامتها روسيا وتنقل عبرها الغاز إلى أوروبا، وهو ما يمنح روسيا حق التحكم في الغاز المتَّجه لأوروبا.

ومرة ثالثة يتكرر السيناريو في اليمن؛ التي تشهد صراعًا بين الشرعية ممثلة في الرئيس عبد ربه منصور هادي من ناحية، والمتمردين الحوثيين والمخلوع صالح من ناحية أخرى، إذ تعدُّ اليمن -أيضًا- واحدة من القضايا الخلافية بين أمريكا وروسيا، فاستغلت إيران هذا الصراع لتبقي على حالة الصراع في اليمن، وتبطئ من عملية استعادة الشرعية واستقرار الوضع في اليمن.

ولم تتوقف العلاقات الروسية مع الحوثيين عند حدود الدعم السياسي فحسب، بل امتد إلى أن تقوم روسيا بتزويد الحوثيين بأسلحة ثقيلة منها: صواريخ «توشكا» وصواريخ «سكود» التكتيكية الباليستية، لتؤجج بذلك نار الحرب والصراعات في اليمن.

◙ محاربة تنظيم داعش:

فجأة وفي منتصف (يونيو ٢٠١٤) وبدون مقدمات: انسحب نحو (٧٥ ألفًا) من عناصر الجيش والشرطة العراقية دون قتال، وسلَّموا مدينة الموصل إلى تنظيم «داعش»، وهو الانسحاب الذي طرح العديد من علامات الاستفهام حول الأسباب وراء هذا الانسحاب وأهدافه! ومن هي الجهة التي أصدرت أوامر الانسحاب؟ فيما ذهبت الكثير من التحليلات إلى أن ثمة مؤامرة استهدفت تقوية وتمدد تنظيم داعش في العراق.

وقتها ربما لم يكن مفهومًا الدوافع وراء ذلك! غير أنه ومع تطور الأحداث تبيَّن أن المستفيد من وراء ذلك هو: إيران وحلفاؤها في العراق، إذ كان ذلك مبررًا وذريعةً لتأسيس ما سمي لاحقًا بـ «قوات الحشد الشعبي»؛ التي لا تعدو عن كونها ميلشيا طائفية، قُدِّرت أعدادها بعشرات الآلاف المنتمين إلى عشرات الفصائل الشيعية، والتي أوكل إليها -فيما بعد- مهمة ما سمي بـ «حروب التحرير من تنظيم داعش»، وهو ما شكَّل اعترافًا رسميًّا بأن قوات الجيش العراقي النظامي غير قادرة على القيام بهذه المهمة، ليصدر رئيس الحكومة العراقية بعد عامين من التأسيس قرارًا بإدماج هذه الميلشيات بالجيش، وأن تكون رواتبهم من ميزانية الدولة العراقية.

ولا شك أن إيران حققت -بهذا القرار- نجاحًا كبيرًا، حيث السيطرة الكاملة على الجيش العراقي؛ قيادةً وجندًا، إذ أنها ووفق ما أعلن قائد «فيلق القدس» في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني فإن انضمام الحشد الشيعي إلى الجيش العراقي حوَّله إلى جيش عقائدي.

كذلك؛ فإن الحشد الشعبي كان الأداة الإيرانية الفاعلة لتحقيق هدف آخر لا يقلُّ أهمية عمَّا سبقه؛ يتعلق بالسيطرة على الحدود العراقية السورية؛ ليكون الباب مفتوحًا على مصراعيه أمام الحشد

الشيعي للتدخل في الأراضي السوريةوأن يزيد من المذابح بحق ً الشعب السوري، وكل ذلك بدعوى تأمين الحدود ومطاردة التنظيم في عمق سوريا، لتنتقل إيران بعد ذلك لكل من لبنان وفلسطين، وتحقيق مشروع (الهلال الشيعي).

وترتيبًا على ذلك؛ فإنه ليس من المتوقع أن تحرص إيران على القضاء تمامًا على تنظيم داعش أو ما يماثله من فصائل مسلحة متشددة، ذلك أنه بالقضاء على مثل هذه التنظيمات تنتفي تمامًا ذرائع تواجد الحرس الثوري الإيراني في كل من سوريا والعراق، والحد من التطلعات الإيرانية، فيما أن بقاء مثل هذه التنظيمات -أو على أقل تقدير بقاء تهديداتها- يدفع الجميع -بما فيها القوى الغربية- إلى القبول بالدور الإيراني في هذه الدول؛ باعتباره مهمًّا في محاربة الإرهاب.

◙ الحرب، وبيع سوريا:

باتت الأطماع السياسية لإيران في سوريا معلومة لدى الجميع، لكن إيران لم تكتفِ بفرض السيطرة والهيمنة على سوريا وتوجيه قراراتها؛ حتى أضحت سوريا تابعًا سياسيًّا لمرشد الثورة الإيرانية، فقد أكدت الوقائع: أن إيران استغلت الأوضاع التي تعيشها سوريا منذ اندلاع المواجهات بين الثورة وقوات الأسد؛ إذ وفي محاولة منها لاستلهام التجربة الصهيونية في فلسطين بدأت عبر رجالها وعملائها في شراء الأراضي والعقارات السورية واستيطانها؛ لتصبح الأرض السورية والقرار السوري بيد إيران فعلًا وواقعًا.

وقد أكدت تقارير صحفية متواترة أنه: وبهدف: تسديد الديون المتراكمة لإيران، وبهدف: ضمان مالها ودعمها ومساندتها له؛ باع الأسد أراضي سوريا ومنشآتها وفنادقها والنُّزل المُختلفة بها، إذ أصبحت تلك العقارات اليوم وبشكل رسمي مسجلة بأسماء إيرانيين في مناطق متعددة ومختلفة من أنحاء سوريا؛ بخاصة العاصمة دمشق وريفها.

وكشفت التقارير عن أنه: وعلى سبيل المثال: يوجد مشروع سكني إيراني كامل أقيم في منطقة «المزّة» -التي توجد بها السفارة الإيرانية في دمشق-، بالإضافة إلى مُناقصات حكومية سورية مفتوحة فقط للإيرانيين؛ فضلًا عن الأحياء السكنية المُدمرة التي اشتراها إيرانيون لإعادة إعمارها ثم استيطانها، وأحياء أُخرى تم ابتزاز سُكَّانها؛ وإن كانوا مُؤيدين للنظام السوري، وإجبارهم على التخلي عن مساكنهم.

وأوضحت: أن النظام قدَّم كل ما يُسهِّل عمليات البيع والشراء بالقانون؛ كأن يُصدر الأسد قانونًا يُسهِّل للإيرانيين تملُّك كل ما يريدون من سوريا، مثل: القانون رقم (٢٥ لعام ٢٠١٣)؛ الذي سمح بتبليغ المدعى عليه بالدعوى غيابيًّا عن طريق الصحف في المناطق الساخنة، أو أن يصدر مراسيم رئاسية تسمح ببيع وشراء الأراضي السورية على قاعدة الربحية والتشاركية، وهو أمر متاح للإيرانيين لأنهم يملكون المال، بينما رجال الأعمال السوريون منكوبون بسبب الحرب.

وأضافت التقارير: أن الحكومة الإيرانية قامت بدور كبير في تشجيع الشركات والتجار والمقاولين على تملك العقارات المختلفة في سوريا، إذ وبحسب موقع «بيك نت» الإيراني فإن «التجار والأثرياء الإيرانيين دفعوا مبالغ مالية كبيرة جدًّا لشراء البيوت الفخمة والفلل والشقق في المناطق الشهيرة والراقية بالعاصمة السورية دمشق، وأن أغلب الأراضي والبنايات المحيطة بمزار السيدة زينب تم شراؤها من قبل الإيرانيين المقربين من النظام بمبالغ كبيرة، ما سبب ارتفاعًا كبيرًا في أسعار العقار في هذه المناطق.

◙ استفتاء أكراد العراق:

ليس من السهل على الإطلاق محاولة فهم العلاقات المتشابكة والمعقدة إلى حد كبير للقوى الإقليمية والدولية؛ خاصة تلك اللاعبة بقوة في العراق وسوريا، ومن ثم فإن أية محاولة للتعرف على النهج السياسي لأي من هذه القوى تستلزم تفكيك المشهد السياسي القائم.

وتأتي القضية الكردية كواحدة من القضايا التي تتعقد عندها وتتشابك الكثير من الملفات؛ إذ أنها ترتبط جغرافيًّا بأربع دول هي: تركيا وإيران والعراق وسوريا، ومن ثم فإن المصالح القومية للأكراد تصطدم بمصالح دول أربع، وإن كان حجم هذا الاصطدام يختلف نسبيًّا من بلد إلى آخر.

غير أن إيران -وكالعادة- استغلت الأزمة الكردية بشكل يخدم مصالحها، ويبعدها عن أراضيها؛ رغم أنها أحد أطرافها، فعلى

الرغم من معارضتها الشديدة لإقامة دولة كردية في العراق وانفصال أكراد العراق؛ باعتبار أن ذلك يمثل تهديدا لأمنها القومي؛ إلا أنها لم تمانع -بل شجعت- على أن يكون للأكراد حكم ذاتي في إطار فيدرالية عراقية.

وكانت تهدف من ذلك إلى: أن يقوم أكراد العراق بالضغط على أكراد إيران للتخفيف من عمليات التمرد داخل الأراضي الإيرانية، وهو ما كان لهم.

واستغلت إيران -أيضًا- الدعوة التي وجهها أكراد العراق لإجراء استفتاء حول استقلال إقليم كردستان في (٢٥ سبتمبر) القادم، في التقارب مع تركيا؛ التي ترفض هي الأخرى بشدة إجراء هذا الاستفتاء، وتتخوف من نجاح أكراد العراق في إقامة دولة خاصة بهم، لأن ذلك يعني: تعضيد موقف «حزب العمال الكردستاني التركي»، وبالتالي انفصال جزء من تركيا ليلحق بالدولة الكردية الكبرى؛ التي ما فتأ يحلم بها الأكراد من قبل الحرب العالمية الأولى.

وبالطبع؛ فإن إيران ستعمل على استغلال هذا التقارب مع تركيا على عدة محاور، لعل أهمها: المحور السوري، إذ تتباين المواقف التركية الإيرانية أشدَّ التباين فيما يتعلق بمستقبل بشار الأسد؛ خاصة وأن الأكراد لاعبون فاعلون -أيضًا- في الملف السوري؛ إذ تتلقى القوات الكردية «قوات سوريا الديمقراطية» دعمًا من القوات الأمريكية؛ بدعوى: قتالها لتنظيم «داعش»، الأمر الذي يثير حفيظة ومخاوف أنقرة، في الوقت الذي ترعى فيه إيران العلاقة بين الأسد وهؤلاء الأكراد؛ مما يبعث برسالة بإمكانية الحد من طموحاتهم والسيطرة على الأوضاع.

◙ الأزمة الخليجية:

إن كل ما شهدته المنطقة مؤخرًا هو: مما تشتهيه السفن الإيرانية! فكل التطورات -تقريبًا- تصبُّ في صالح إيران؛ التي تُحسن استغلال الأزمة تلو الأزمة، وآخرها كان: توتر علاقات بعض دول الخليج مع قطر؛ التي تتشارك معها في أكبر حقل غاز بحري في العالم (حقل غاز الشمال).

وجاء ردُّ الفعل الأولي لإيران خبيثًا لأقصى درجة! إذ حاولت أن تبدو وكأنها لا تصطاد في الماء العكر، فدعت في بادئ الأمر إلى التهدئة، فيما علَّق وزير الخارجية الإيراني في تغريدة له قائلًا: «الجيران دائمون، ولا يمكن تغيير الجغرافيا.

الإكراه ليس حلًّا أبدًا، الحوار أمر حتمي؛ خاصة في شهر رمضان الكريم»!

لكن سرعان ما أبدت إيران تضامنها ودعمها الكامل لقطر؛ خاصة وأن علاقتها بقطر كانت إحدى أهم الإشكاليات التي أدت إلى ما هي عليه العلاقات الآن.

ولا شك أن إيران باستغلال هذه الأزمة ستحقق العديد من المصالح ومنها:

١- **التقارب مع تركيا؛** التي تتخذ نفس الموقف الداعم لقطر.

٢- **العمل على تحريك الموقف القطري من تطورات الوضع في سوريا؛** إذ تدعم قطر بعض فصائل الثورة السورية.

٣- **ستجني إيران أرباحًا ماليةً كبيرةً** نتيجة تغيير مسار بعض الرحلات التابعة لشركة قطر للطيران نحو الأجواء الإيرانية؛ فضلًا عن أن إيران ستقوم بتوفير الاحتياجات الزراعية والغذائية وبعض المستلزمات الأخرى؛ التي كانت تعتمد في استيرادها على المملكة العربية السعودية والإمارات والبحرين ومصر.

٤- **إضعاف مجلس التعاون الخليجي؛** الذي يتبنى مواقف موحدة ومتقاربة من إيران.

٥- **التقارب مع حركة حماس؛** بعد أن شهدت العلاقة بين الطرفين توترًا إثر اندلاع الثورة السورية، وطرد قيادات الحركة المقيمين في دمشق.

الأدب النسائي الإسلامي.. تحديات وآفاق

فاطمة عبد الرؤوف-كاتبة مصرية

إذا كان الأدب يمثل جزءًا أصيلًا من روح الإنسان؛ بما قد يسكنها من مشاعر وأفكار وأحلام ومخاوف وتطلعات وأشواق، فإنه يمثل -أيضًا- جزءًا من روح الحضارة التي يحياها هذا الإنسان في لحظتها الراهنة وفي أفقها المستقبلي..

لذا؛ فإن وجود الأدب يشبه الحتمية الإنسانية، فلا يمكن بحالٍ أن ننكر أهمية الأدب، أو نتصور حياة الإنسان بدونه!

والمضمون الذي يحمله الأدب وما به من تصورات عن الحياة وواهب الحياة، وعن الإنسان نفسه: تمثل نقطة حاسمة وجوهرية في ذلك الدور الذي يمكن أن يلعبه الأدب، ولا يمكن أبدًا أن نقلل من أهمية الشكل الأدبي .. اللغة .. الجماليات في المتعة الوجدانية التي يستشعرها الإنسان، لكن يبقى المضمون أهم تحدٍّ يواجهه الأدب.

ومنذ اللحظة الأولى لنشأة الدولة الإسلامية في عهد النبي ﷺ بدأ ما يمكن أن نطلق عليه: «الأدب الإسلامي»، وكان وقتها الشعر هو الممثل الحقيقي للأدب، وكان الشعراء الصحابة هم المجاهدون بلسانهم.

جاء في «سير أعلام النبلاء»: قال ابن سيرين: كان شعراء أصحاب رسول الله ﷺ حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك.

قال عبد الرحمن بن كعب عن أبيه: أنه قال: يا رسول الله! قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل؟! قال: **«إن المجاهد مجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده! (لكأنما) ترمونهم به نضح النبل».**

قال ابن سيرين: أما كعب؛ فكان يذكر الحرب يقول: فعلنا ونفعل ويتهدَّدهم، وأما حسان؛ فكان يذكر عيوبهم وأيامهم، وأما ابن رواحة؛ فكان يعيِّرهم بالكفر.

وإذا كان الشعر قديمًا هو أهم الأشكال الأدبية لدى العرب، فإنه يمكن القول بكل ثقة: إن الرواية الآن احتلت هذه القيمة لدى العربي المعاصر، بعد أن احتلتها على مستوى العالم كله.

نجح المثقف العلماني اليساري والليبرالي في بلادنا في السيطرة على مفاصل الحركة الأدبية -إبداعًا ونقدًا-، وجاءت الكتابات المعبِّرة عن الأدب الإسلامي خاصة في شكله الروائي قليلة وغير مترابطة، ربما كمظهر آخر من مظاهر التراجع الحضاري، وربما لاهتمام الحركات الإسلامية بالخطاب المباشر مع الجماهير، وبقيت كتابات نجيب الكيلاني تغرد خارج السرب! أما الأقلام النسائية التي تعبِّر عن هذا الاتجاه فشِبه معدومة.

والأعمال الروائية العربية: إما تتجاهل المتديِّن؛ وكأنه غير موجود، أو تشوِّه صورته وسلوكه؛ فهو إما برجماتي، وإما معقَّد نفسيًّا، وإما شخصية منافقة يفتي وفقًا للهوى .. أما شخصية الفتاة المتديِّنة مستقيمة الفطرة -ناهيك عن الداعية المؤثرة-؛ فإن هذه الأعمال تخلو منهما.

ولا شك أن التيار الإسلامي -أيضًا- يتخبط! فالبعض كان يتحرَّج من الأدب، ومن الروايات على وجه التحديد، ويعتبرها أكاذيب تلهي الناس وتهدر أوقاتهم.

والحقيقة: أن الرواية تعمل بطريقة بالغة التأثير على الإنسان من الناحية النفسية، فالعمل الروائي المتقن يأخذك لعالمه وشخوصه وقوانينه وأفكاره الظاهرة والخفية بطريقة ناعمة، فتجدك وقد تعاطفت حد التقمُّص مع الأحداث؛ وكأنك تعايشها بالفعل، وكأن ما يدور من سعادة وفرح أو ألم وحزن أو حيرة وتردد هو عين ما تشعر به، يكفي أن تطالع قارئًا مندمجًا مع روايته ستجده يقطب جبينه.. يبتسم أو تدمع عيناه ..

أتذكر جيدًا ذلك اليوم الذي اندمجت فيه مع رواية، وأنا في مكان مزدحم يضج بالناس من حولي؛ أنه ولشدة تفاعلي مع أحداثها وكانت تصف الحرب الأهلية الأمريكية؛ حيث أبدعت الكاتبة في تصوير الخراب والدمار ورائحة الجثث المتعفنة و... أنني أخذت أنظر للحياة من حولي وهي تسير بهدوئها المعتاد؛ وكأنها هي أمر غريب!!.. فأين طلقات الرصاص؟ وأين جثث الموتى؟ فأصوات الرصاص ومشاهد الترويع التي في خيالي أصبحت تحاكي الواقع الذي أصبح غريبًا، فالخيال الخصب يتحول إلى واقع عندما تصدقه، بينما الواقع الذي ترفضه قد يتحول إلى خيال، وكثيرًا ما تجده غاضبًا بعد انتهاء روايته حتى

لو كانت خاتمتها سعيدة مبهجة، فقط لأنه خرج من أجواء الرواية من زمانها ومكانها وشخوصها من أحب فيها ومن كره.. من يوميات أبطالها وتفاصيلهم، فما بالك لو جاءت خاتمتها مؤلمة قاسية مروعة؛ أنه يجد نفسه وكأنما يعتصر قلبه اعتصارًا.

ومن هنا تكمن الخطورة البالغة لتأثير الرواية، فعندما يقوم القارئ بقراءة مقال أو دراسة عن موضوع ما فإنك ستجد عقله متيقظًا منتبهًا، يناقش ويفكِّر وينتقد؛ مهما كانت الحجج قوية وساطعة.

والأمر ليس كذلك في العمل الأدبي؛ حيث تخاطب الرواية قلبك قبل أي شيء، بل إن الرواية الناجحة هي: التي تخاطب قلبك، فالمباشرة التي تخاطب العقل تقلل من قيمة العمل الأدبي، ولا بد من استذكار أن كاتب (أو كاتبة) الرواية نادرًا ما يكون مؤهلًا شرعيًّا أو فكريًّا لإعطاء الرأي الصواب فيما يطرحه في روايته.

ولذلك عندما يكون القلب هو المخاطَب؛ فإن ما يقنعه هو: عمق التأثير العاطفي، ومن ثم قد يتعرض الإنسان لحالة من التشويش عندما تُعرض أفكارٌ مخالفة بطريقة تجبره على التفاعل معها، تمامًا كتلك الروايات الكثيرة التي دافعت عن المرأة البغي المسكينة التي أجبرتها ظروفها بالغة القسوة على سلوك هذا الطريق، بينما قلبها أنقى من قطرات الماء العذب الهاطلة من السماء..

ومن هنا كانت الأهمية البالغة لوجود أدب ملتزم، يراعي القِيم والأخلاق الصحيحة، وينشر الفكر الصحيح بتلك الطريقة الناعمة المؤثرة التي تتلمسها ما بين الكلمات والسطور.

- **نسائي إسلامي:**

شهدت السنوات الأخيرة مزيدًا من الاهتمام بالأدب الإسلامي، والفن الروائي تحديدًا، وشهدت ظاهرة بالغة الأهمية، ألا وهي: بزوغ نجم عدد من الروائيات الملتزمات اللاتي كتبن روايات اجتماعية بل ورومانسية أيضًا، ولكن انتصرن فيها للرؤية الإسلامية؛ خاصة فيما يتعلق بقضايا المرأة.

وهي ظاهرة تستحق التوقف، لأنها كانت لافتة للنظر؛ حتى أن موقع «قنطرة» الألماني قام بعمل تحقيق مطوَّل بعنوان: «ظاهرة الكاتبات المنقَّبات تثير جدلًا أدبيًّا في مصر».

نظر النقاد التقليديون لهذا الأدب نظرة ريبة ورفْض! واعتبروا أن هذه الأعمال تفتقد الأسس الجمالية للرواية، وعلى الرغم من أن هذه الروايات حققت شعبية كبيرة، حتى أن بعضها طبع (٢٦) طبعة، وهو ما يؤكد مدى تعطش الشارع الأدبي لنوعية جديدة من الروايات تحمل مضمونًا مختلفًا؛ إلا أن الغالبية الكبرى من النقاد يحملون مشروعًا مغايرًا؛ وإن لم يكن معاديًا للمشروع الإسلامي، ومن ثم بدت الحاجة الماسة لنوعية مختلفة من النقاد تتوافق مع النوعية الجديدة من المبدعين.

- **الماهية والأهمية:**

لكن في البداية لا بد من تعريف المقصود بـ «الأدب النسائي الإسلامي».. إنه ليس أدب المنتقبات -كما يذكر الموقع الألماني-، فالمهم هو: مضمون العمل، وليس لباس صاحبته؛ حتى يكون التعريف على قدر من الموضوعية، وهناك أديبات محجَّبات وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يمكن تصنيف أعمالهن تحت هذه النوعية.

فإذا انحزنا في تعريف الأدب الإسلامي لتعريف الدكتور مأمون جرار -الأستاذ في جامعة عمَّان الأهلية، ورئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن-: «إن الأدب الإسلامي هو: الأدب الذي يُقدِّم التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان.

وهناك يجب التركيز على شرط الأدبية والإسلامية معًا»، فإن الأدب النسائي الإسلامي هو: ذلك كلِّه؛ ولكن برؤية أنثوية.

تكمن أهمية الأدب النسائي الإسلامي بفئتين من النساء:

الأولى: جمهور النساء المتدينات؛ اللاتي يشتقن لقراءة أدب يحكي عنهن وعن عالمهن وعن المشكلات التي تواجههن، وعن مشاعرهن الخاصة الدفينة، بل حتى عن العواطف بين الرجل والمرأة بما لا يخدش الحياء.. وإلى من يذكِّرهن بالمنهج الصحيح بطريقة غير مباشرة تلامس القلب والمشاعر قبل أن تخاطب العقل.. وإلى من يدعمهن ويشد أزرهن.

الثانية: النساء الحائرات؛ اللاتي لعب الأدب المستهتر دورًا كبيرًا في تزييف الحقائق في قلوبهن قبل عقولهن، فكان ما كان من الحيرة والخيبة والألم الذي يعشن ويتجرَّعن مرارته! فتأتي هذه الكتابات كأنوار كاشفة وملهمة لهن.

● **قراءة من الداخل:**

إذا كان الأدب النسائي الإسلامي يمثل ظاهرة جديدة فإن أفضل الطرق للتعرف عليه عن قرب هو: قراءته ونقده، وفي السطور القادمة عرض وقراءة سريعة لبعض النماذج التي حققت نجاحًا، ولتكن البداية من رواية «صرخات أنثى»؛ فعلى الرغم من أنها الرواية الأولى للأديبة زينب علي إلا أنها أحدثت حالة من الاهتمام الشديد في أوساط النساء الملتزمات:

فبطلة الرواية «آمال» نموذج للفتاة الملتزمة؛ التي تقوم لصلاة الليل كل ليلة، وتحافظ على وِردها وأذكارها، وهذه هي النقطة المميزة في شخصيتها: تستعين بالله -تعالى- في كل أمورها الصغيرة والكبيرة، وكلما صرخ قلبها لألم حلَّ به تلجأ لدعائها وصلاتها، ومن ثم ينجيها الله في كل مرة..

تتزوج «آمال» برجل لديه غيرة وشكوك مرضية، ومن ثم يُسمعها الكثير من الكلمات المؤلمة والجارحة، ولكنها تصرُّ على نجاح حياتها الزوجية، ومن ثم تصبر صبرًا شديدًا، وتلجأ إلى الله -تعالى- مع كل مشكلة حتى تصل لبر الأمان..

هذه الرواية تم نشرها كحلقات مسلسلة في منتدى نسائي إسلامي شهير، ومع كل حلقة كانت النقاشات الساخنة من عضوات المنتدى الملتزمات حول موقف «آمال» وعلاجها لمشكلةٍ ما من المشكلات الصعبة التي واجهتها تبيِّن مدى أهمية الرواية الإسلامية للداخل الإسلامي، وأن تأثيرها قد يفوق الوعظ المباشر بمراحل.

ما يعيب الرواية من الناحية الفنية هو: الخلط في بعض الأجزاء بين الرواية والمقال، واللجوء للنصح المباشر والاستشهاد بأكثر من نص داخل النسيج الروائي؛ حتى علَّقت بعض القارئات: أن الرواية تصلح ككتاب نصائح تحت عنوان: «كيف تسعدين زوجك؟»، أو «كيف تديرين منزلك؟».

وهي ملاحظات صادقة، فالكاتبة كانت تستطرد في شرح برنامج التنظيف اليومي والأسبوعي، أو كيفية غسيل الملابس البيضاء، أو حتى في فوائد بعض الأطعمة؛ ربما لتفيد القارئة التي تم توجيه العمل إليها، ولكن ذلك انتقص من القيمة الفنية للعمل الأدبي.

● **نضج فني:**

تأتي كتابات دعاء عبد الرحمن كأشهر الكتابات التي تمثل هذه النوعية من الأدب التي لا تزال تتشكل.. والمتتبِّع لكتابات دعاء يلاحظ النضج الفني المتزايد في رواياتها..

روايتها: «مع وقف التنفيذ» تمتلئ بالأشخاص والمواقف الدرامية المعقدة، وتدور في أجواء حي شعبي بسيط؛ حيث الظروف الاقتصادية القاهرة من خلال شخصية «فارس»؛ الذي كان يستحق التعيين في النيابة لحصوله على تقدير جيد جدًّا، واجتيازه جميع الاختبارات بنجاح إلا أنه لا يمتلك واسطة، ويعيش في حي شعبي، وتربطه علاقة صداقة بطبيب شاب ملتحٍ، ومن ثم يفقد حلمه، لكنه يحاول تعويضه بإصراره على النجاح كمحام ودراسته الأكاديمية حتى الحصول على درجة الدكتوراه ..

صديقه الملتحي الدكتور بلال، وعلى الرغم من أنه ليس الشخصية المحورية في الرواية، لكنه النموذج المطلوب تقديمه؛ فالدكتور شديد الاهتمام بالدعوة في كل المواقف الحياتية البسيطة ولديه طريقة لطيفه للدخول إلى قلب من حوله؛ خاصة كبار السن الذين يقفون موقفًا متوجسًا من كل صاحب لحية!

أما عروسه عبير؛ فهي الأخرى ليست محور الرواية، ولكنها نموذج تقدِّمه الكاتبة بلغة مرهفة، فعبير المنقَّبة التي أتمَّت الثلاثين من عمرها، والتي تتهم والدتُها النقابَ بأنه سبب تأخرها في الزواج، والتي تخطب أختها الصغيرة قبلها، والتي تسخر منها بعض الجارات بطريقة خفية، وتبدو متماسكة أمام الجميع؛ تذرف دموعها ليلًا على وسادتها.

وتتساءل الكاتبة: لماذا يظنُّ البعض أن المنتقبة إنسانة بلا مشاعر؟.. حقًّا هي صامدة متماسكة لكن بداخلها مشاعر وهواجس تؤرِّقها! ولكن وبطريقة غير متوقعة يتقدم لها الدكتور بلال الذي لم يكمل عامه الرابع والثلاثين بعد، ثم يرزقها الله بأربعة أطفال توائم، وكأنما يعوضها صبرها وانتظارها سنوات من عمرها..

الرواية لا تخلو -أيضًا- من بعض الإشارات السياسية؛ من خلال المناقشات التي دارت في المعتقل والمشاهد التي رآها أبطالها في سجن طرة، بل والحوار المهم الذي دار بين الدكتور بلال وأحد النزلاء؛ حيث اتهمه النزيل أن المشايخ يضربون الزوجات والأخوات لأنهم

متشددون وإرهابيون، وكان حوارًا ممتعًا عن العلاقة بين الفن والسياسة والدعوة والواقع.

حرصت دعاء عبد الرحمن -أيضًا- في هذه الرواية على أن توضح مدى التلاحم الإنساني والاجتماعي بين المسلمين والمسيحيين، وكيف أن من يمنح المسيحيين كامل حقوقهم هم الملتزمون، فعندما يتعرض الدكتور فارس لموقف تحكيم بين حماه المسلم وبين جاره المسيحي؛ لا يتردد في نصرة الحق الذي كان مع المسيحي، بينما تولى صديقه الدكتور بلال إقناع الرجل المسلم: أن الإسلام هو مع العدالة المطلقة، وأنه في ظل الشريعة الإسلامية لا يمكن أن يُظلم أحد بسبب دينه..

ويتجلى ذكاء الكاتبة في: إبراز كيف أن الجار المسيحي كان هادئًا مطمئنًا، بينما كان ابنه الشاب ممتلئًا بالغضب؛ وهو لا يتصور أن يأخذ حقه عبر تحكيم رجل ذي لحية!

وبنفس هذه الطريقة الاجتماعية الرومانسية جاءت روايتها: «اغتصاب.. لكن تحت سقف واحد»؛ لتناقش موضوع حجاب الفتاة وأنه يحميها من ظن السوء، وكيف أن المظهر السليم يحمي القلب الطيب؛ من خلال شخصية «مريم» التي تتعرض لتجربة قاسية قاربت الاغتصاب بسبب تبرجها؛ رغم أنها ترتدي غطاءً صغيرًا للشعر، وحديثها مع الشباب كأصدقاء وإخوة، ثم بسبب صديقة السوء التي صادقتها، واعتبرت أن كل إنسان مسئول عن عمله.

في المقابل كانت أختها إيمان -التي درست الشريعة في جامعة الأزهر- نموذجًا للفتاة التي يحترمها الجميع، والتي ييسر الله أمرها في كل صعب؛ حتى عندما تتزوج برجل لا يحبها، فقط ينفذ نصائح والده الذي هو عمها، فإن قربها من الله -تعالى- يجعل حبها يسكن قلبه بطريقة لا تتصورها على الإطلاق!

أما روايتها الأخيرة: «إيماجو»؛ فتبدو الأكثر نضجًا من الناحية الفنية، فالإشارات فيها خفية لا تكاد تُرى أو تلحظ.

- **رومانسية اجتماعية:**

تعد الأديبة منى سلامة التي عرفَتها -أيضًا- الساحة الأدبية النسائية الإسلامية: فارسة الرواية الاجتماعية، ذات المذاق الرومانسي الهادئ، ولاقت كتاباتها نجاحًا وقبولًا منقطع النظير.

تهتم منى سلامة اهتمامًا خاصًّا بالفتاة المصرية العادية -سمراء اللون-؛ التي لا تملك حظًّ كبيرًا من الجمال، التي لا توصف أبدًا بالقبح، ولكنها لا تمتلك الجمال الصارخ..

الكثير من بطلات منى يحملن هذه الصفات الشكلية، ويحملن -أيضًا- مشاعر إيمانية قوية في قلوبهن، وحجابًا واسعًا يغطي أجسادهن، لذلك فلا عجب أن وصلت كتاباتها لقلوب الفتيات بهذه البساطة.

في روايتها: «مزرعة الدموع» تدور الأحداث حول شخصية «ياسمين» الطبيبة البيطرية الملتزمة، التي تتزوج من مهندس بترول يفتقد إلى الحد الأدنى من المقومات الإنسانية! والتي لا تلبث أن تكتشف ارتكابه للفواحش، ومن ثم تطلب الطلاق منه؛ فيضربها بعنف وقسوة، فتهرب منه لاجئة لبيت والدها، وترفع عليه قضية خلع، ولكنه يهددها.

ومن ثم توافق على عرضٍ للعمل بمزرعة، بعيدة عن القاهرة، في طريق الإسماعيلية؛ حيث تسافر إلى هناك بصحبة والدها وأختها.

وبفضل حجابها وتعاملها المتحفظ مع الرجال تلفت انتباه رجل الأعمال الثري صاحب المزرعة؛ الذي عانى كثيرًا من جراء خطبته لفتاة مدللة بالغة التبرج من قَبل في سعى للزواج منها بمجرد حصولها على الخلع، لكنها تتردد كثيرًا خشية أن يكون ممن يستحلُّ الحرمات، فأُسرته الثرية المنفتحة، وقرياته المتبرجات، وتلميحات بعض الموظفات؛ تجعلها لا تطمئن له!

فهي لا تبحث عن الثراء أو حتى الحب، وإنما تبحث عمَّن يرضي الله ويحفظ حرماته، وهو ما تتأكد منه بعد عدد من المواقف..

ليست ياسمين فقط، وإنما أختها ريهام التي تقتدي بأختها وصديقتها المقربة التي لفتت انتباه زوجها عندما وجدها جالسة تقرأ القرآن بخشوع في صالة الانتظار بالمطار.. كل ذلك في قالب رومانسي اجتماعي، وبوليسي بعض الشيء..

رسالة منى سلامة واضحة، فأي فتاة ستقرأ كلماتها لن تتبرج من أجل أن تحصل على زوج! إنها لا تدعو لذلك ببرجماتية ولكن بطريقة شفافة، تصل للمعنى الذي تريده وهو: أن ما عند الله لا يُنال بمعصيته.

وفي روايتها: «جواد بلا فارس» بالغة الرومانسية تناقش الكاتبة فكرة «الظلم»، وكيف أن البحث عن ردِّ المظالم لا بد أن يكون بطريقة

عادلة؛ وإلا تحول المظلوم إلى ظالم؛ من خلال شخصية الدكتور آدم الذي تنكَّر لقِيمه حتى يسترد حقه؛ حتى أنه خطب فتاة بريئة فقط لينتقم من عمِّها، إلا أن أمره يتم كشفه، وتتحطم مشاعر الفتاة ولا تستردها إلا بالسير على طريق الالتزام الذي يشفي قلبها من جروحه.

وبعد محاولات مشتتة وتائهة من الدكتور آدم يهتدي لنفس الطريق، ومن ثم يبدآن معًا فصلًا جديدًا من قصتهما.

وفي أجواء مختلفة بعض الشيء تأتي روايتها: «قطة في عرين الأسد»؛ حيث تدور أحداث الرواية بين القاهرة والصعيد ..

الرواية - أيضًا - بوليسية اجتماعية، تغوص في أعماق النفس البشرية، وأيضًا تلعب فيها الفتاة السمراء ذات الثلاثين ربيعًا «مريم» دور الشخصية المحورية، وهي فتاة ملتزمة للغاية.

وعلى الرغم من أنها تعيش وحدها لأنها يتيمة إلا أنها تحافظ جدًّا على نفسها، ومتحفظة جدًّا في علاقاتها، وهي تعيش حياة وحيدة قاسية بعد وفاة والديها، وبعد ذلك وفاة خطيبها الذي كان قد تم عقد زواجه عليها.

يستطيع أهل والدها في الصعيد العثور عليها، بعد أن فرَّ والدها قديمًا من الصعيد؛ لأنه كان مطلوبًا في عملية ثأر غامضة، وهناك - وبطريقة درامية - تتزوج من مراد رجل الأعمال؛ الذي بُترت ساقه، وظل يعاني من مشاعر الرفض أو الشفقة؛ خاصة بعد أن طلبت زوجته الطلاق، وتزوجت بآخر.

ولكنها تعاني كثيرًا في زواجها من مشكلات زوجها النفسية، ومن ملابسات الزواج نفسه؛ حتى تنجح في نهاية المطاف، وعن طريق الحب اللا مشروط الذي تقدمه له ولأسرته؛ تستطيع كسب ثقته والخروج به من أزماته النفسية، وتحظى أخيرًا بالإحساس بالأمان والدفء الأسري..

تسرد ذلك كله بطريقة مشوقة ومواقف مليئة بالمفاجآت غير المتوقعة.

- **مذاق مختلف:**

لكتابات حنان لاشين مذاق مختلف تمامًا، فهي تعشق الغوص في أعماق النفس البشرية، وما يعتملها من ضغوط نفسية حقيقية أو وهمية.

ففي روايتها: «غزل البنات» تناقش أحلام اليقظة؛ خاصة لدى الفتيات.. تلك القصص الصغيرة التي تدور في رؤوسهن عن فارس الأحلام..

تلك الأحلام الممتعة التي تشبه مذاق حلوى غزل البنات التي سرعان ما تذوب..

تلك الأحلام كيف تكون حاجزًا حقيقيًّا يمنعهن من اكتشاف الواقع وما به من جمال قد يفوق الحلم؛ لو تم تأمُّله جيدًا حتى أن بعضهن - وبعد أن تتسرب لحظة الحقيقة من بين يديها! - تتحول إلى حلم يقظة.

ناقشت الكاتبة في روايتها: الفارق بين حلم اليقظة الذي يمنح الإلهام، وذلك الذي ينهي على حياة صاحبه؛ لأنه يعيش فقط في عالم من الخيال، وذلك كله من خلال شخصية دعاء - الاختصاصية النفسية؛ التي تتعايش مع مشكلات البنات وتحاول حلَّها -، وفي خضمِّ ذلك تكتشف حقائق عن نفسها، هي الأخرى.

أما في روايتها: «الهالة المقدسة» فتناقش قضية الحياة والموت، وما بينهما عندما يغيب الإنسان عن وعيه وعن أحلامه وأفكاره وعلاقته بما يسمع من حوله..

تحكي روايتها عن جدلية العلاقة بين الفرد والجماعة، والطموح الشخصي ودفء الأسرة .. تدفعك دفعًا كتاباتها للتأمل ومحاولة الوعي بالذات وما يجري في دهاليزها، ولكن ذلك في إطار من الأحداث المشوقة.

- **روايات شائكة:**

كتابات آلاء غنيم هي الأخرى ينبغي التوقف عندها، لأنها قد تهدد هذا التيار الوليد كله! لأنها - وعلى الرغم من لغتها الثرية الدافئة، المليئة بالرموز والأفكار، والمسكونة بالمشاعر - تروج لأفكار بالغة الخطورة!

يكفي في هذا الصدد الإشارة لروايتها: «الذاهبون إلى الشهادة» التي وإن كانت تدور في إطار رومانسي مهذب إلا أنها تناقش التيارات والمذاهب الإسلامية الموجودة على الساحة..

فالرواية منحازة للتيار الجهادي؛ كما تمثله القاعدة - مثلًا - في أفغانستان، ولكنها تنتقدها - أيضًا -؛ خاصة تلك العمليات التي نفذت في الغرب..

الرواية -أيضًا- تتحدث عن الإخوان والسلفيين، وما تطلق عليه: «السلفية المستقيمة»، ونحو ذلك؛ من خلال الحوار بين أبطالها الذين هم أبناء للحركة الإسلامية.

والرواية -أيضًا- تتطرق للعلاقة بين السنة والشيعة؛ التي وصفت في جملة في الرواية أنها: تشبه نهر له رافدان.. فالبطل المحوري أبو البراء «عصام الشرقاوي» كان زميلًا أيام الدراسة لمهدي العراقي الشيعي؛ الذي يصبح أحد المرجعيات في النجف بعد ذلك.

ورغم الخلاف الفكري كانت تجمعهما صداقة عميقة، وكان ذلك أثناء الثورة الخمينية التي قرَّبت كثيرًا بينهما، وجعلت ثمة حلمًا مشتركًا -بحسب الكاتبة-.

ولكن وبمرور الوقت أصبح كل منهما رمزًا لتيار معاد للآخر، لكن مهدي ظل على احترامه لعصام الشرقاوي -أبو البراء-، ويرى أن الإعلام يشوه صورته.

وفي لقاء لمهدي مع شاب سُنِّي يتهمه بالعمالة للإيرانيين؛ تُظهر الكاتبة الوجه الإنساني لمهدي وقدرته على التبرير والدفاع.

وتناقش الكاتبة العلاقة بين الشيعة الفرس والشيعة العرب..

يستقيل مهدي من البرلمان العراقي، ويصدر كتابًا يكشف فيه حقيقة تدخل الإيرانيين، وينتهي الأمر بقتله.

وهي أفكار بحاجة لكثير من المناقشة؛ خاصة عندما يشهر سلاح الأدب في المعركة.

بغضِّ النظر عن الاختلاف مع أفكار ولاء غنيم إلا أنها تمثل نمطًا مختلفًا من الأدب، نمطًا مرتبطًا بعالم المتديِّنين، وما يدور فيه من أفكار وحوار ومراجعات.

وفي لغتها رموز لا يفهمها إلا أبناء التيار الإسلامي..

هو نمط شائك؛ نعم، ولكنه قيمته الكبيرة: أنه قد يشحذ نوعية جديدة من النقاد لإثراء الساحة الأدبية الإسلامية التي تتخفف تدريجيًّا من الوعظ المباشر، ومناقشة الأفكار بالتنظير لأفق أوسع وأشد رحابة.

حراك جماعات التصوف السوداني.. الواقع وفرص النجاح

د. محمد خليفة صديق- كاتب سوداني

خاص بـ «الراصد».

مقدمة

الحراك الأخير داخل جماعات التصوف السوداني، وتضجر المتصوفة من توسع القبول السلفي داخل المجتمع السوداني شعبيًّا وحكوميًّا قديم، وقد بدأ بمقالات في الصحف، وأحاديث في لقاءات عابرة، وفي تجمعات الصوفية في الموالد والحوليات، وغيرها، كما برز الصراع أكثر بعد أن تمت محاكمة تلميذ للشيخ الصوفي (دفع الله الصائم ديمة) ومتهمين آخرين وسبع سيدات؛ بعد أن وجهت لهم تهمة «الدجل والشعوذة»، بموجب قانون النظام العام بولاية الخرطوم لسنة ١٩٩٦م.

ثم تطور هذا الحراك من الصوفية في السودان إلى اتهام الحكومة السودانية بأنها أصبحت وهابية، وتحابي السلفيين على حسابهم! ونظموا لقاءات متعددة، ودعوا لأمور عديدة منها: إلغاء المواد التي تجرم ممارسة الدجل والشعوذة من القوانين السارية في السودان، وحذف ما وصفوه بـ (الأثر الوهابي) من المناهج، وإصلاح مجمع الفقه السوداني، وتخليصه من قبضة السلفيين، وأن يتم تخصيص وزارات في التشكيل الوزاري للصوفية، وغير ذلك.

سنحاول من خلال هذا المقال: استجلاء أبعاد هذا الحراك الصوفي وأسبابه، وهل سينجح في مساعيه تلك؟ كما سيوضح المقال بيانًا لحقيقة التصوف الذي ينتمي إليه هذا الحراك، ومدى إيمانهم بالعقائد الفاسدة مثل: القبورية والشرك والخرافة والدجل والشعوذة، ومدى رغبتهم في الرجوع لعصور الانحطاط والتخلف والخرافة والأساطير، وما هي مصادر دعمهم داخل المجتمع السوداني وخارجه؟ وعلاقتهم برموز التصوف العالمي مثل: علي الجفري، وغيره.

❁ بدايات الحراك الصوفي في السودان:

البداية العلنية للحراك الصوفي الأخير بالسودان جاءت بعد حادثة منع الحكومة السودانية لقيام ندوة صوفية كبرى بعنوان:

(التصوف.. قضايا آنية ورؤى مستقبلية)؛ حيث كان هذا المنع بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير! وكان يراد لهذه الندوة لأن تكون استفتاء على حجم الوجود الصوفي بالسودان، وقد ازدحم لها قيادات وقواعد الطرق الصوفية في السودان؛ برياتهم وطبولهم! من كل حدب وصوب، حول فضاء قاعة الصداقة بالخرطوم في شهر (إبريل) الماضي.

بعد منع الجهات الأمنية لقيام الندوة خرج قيادات التصوف السوداني مخاطبين لأنصارهم في الشارع العام، ومما طالبوا به في تلك المخاطبات: تضمين التصوف في ثنايا الدستور السوداني أسوة بالمملكة المغربية، والشكوى من تمدد نموذج الإسلام السلفي في البلاد، علاوة على إظهار امتعاضهم من تجاوزهم في الحوار الوطني السوداني الأخير!

ومما قاله الصوفية بعد منع ندوتهم: تأكيد أمين الأمانة العلمية بالمجمع الصوفي العام عوض الكريم عثمان العقلي: أن ما حدث يؤكد تحقق مصالح الجهات السلفية جراء هذا القرار بمنع المتصوفة من ملاقاة أنصارهم.

كما استنكر شيخ الطريقة السمانية الطيبية القريبية محمد حسن الفاتح قريب الله شكل العلاقة التي تصل بين السلفيين والحكومة، وقال: أن التقارب السوداني السعودي قد ساق الخرطوم إلى تبني نموذج عقدي سلفي، داعيًا إلى تضمين التصوف في ثنايا الدستور، أسوة بالمملكة المغربية.

وحث قريب الله السلطات لتقريب الصوفية وتمثيلهم في لجان تعيد المساجد لأصحابها، وتعيد للصوفية دورهم؛ الذي لطالما باهى به الرئيس البشير، وقاد من ضمن جهود أخريات لرفع العقوبات الأمريكية ضد السودان، مشددًا على ضرورة أن تشركهم -السلطات- في الأمر (أمر الفقه، وأمر الأوقاف وإداراتها، وأمر الحوار الوطني؛ الذي دُعي له الناس وتم إغفالهم فيه).

وسرت أقاويل حول اتجاه المتصوفة في السودان إلى تكوين حزب سياسي؛ يلم شعثهم، وينصر قضاياهم، ويجعلهم كتفًا بكتف مع زعماء جماعات دينية وسياسية تشارك في السلطة ومناصب الدولة، وتودع حياة الزهد والتقشف؛ التي يقوم عليها التصوف من ظهوره في تاريخ البشرية.

❁ لقاء (أم ضوًا بان):

سبق ندوة قاعة الصداقة -الملغاة- اجتماع لستين من قيادات التصوف السوداني في منطقة (أم ضوًا بان) شرق الخرطوم، تحدث فيه عدد من شيوخ التصوف السوداني، على رأسهم: الخليفة الطيب الجد العباس -شيخ السجادة البدرية-، وهو مستضيف اللقاء، وكشف قيادات الصوفية خلال ذلك الاجتماع عن قلقهم من التقارب الأخير لحكومة السودان مع دول الخليج، والذي أثمر عن زيارات متكررة لمشايخ سلفيين سعوديين، آخرهم: وزير الشئون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

حيث يخشى الصوفيون من أن يكون التقارب مع التيار السلفي على حسابهم، وخاصة أنهم يمثلون نسبة (٧٠%) من الشعب السوداني (حسب زعمهم!)، ويمثلون قوة ضاربة، ولكنهم لم يتدخلوا في سياسة الدولة السودانية، ولكن بعد الاضطهاد الذي تعرضوا له مؤخرًا واللقاءات التي تمت بين ممثلين عن التيارات السلفية بدول الخليج والحكومة السودانية؛ جعلت هناك تخوف كبير داخل الطرق الصوفية السودانية!

كما تم في الاجتماع الاتفاق على: تقديم طلب للحكومة السودانية لإشراك الصوفية في تشكيل الحكومة المقبلة؛ أسوة بالسلفيين الذين يشاركون في الحكومة بمقاعد وزارية وبرلمانية، كما طالبوا بإلغاء المادة (٢٢) في قانون النظام العام؛ التي تتحدث عن الدجل والشعوذة، ويعتبرها الصوفيون تستهدفهم وتستهدف معتقداتهم وتقاليدهم الدينية!

كما حذر زعماء الصوفية المشاركون في الاجتماع الحكومة من احتمالات تكوين جناح عسكري للصوفية، ونشوء قوة عسكرية ضاربة لهم على الأرض؛ إذا لم تستجب الحكومة السودانية لهذه المطلوبات.

وأكد الشيخ الطيب الجد العباس ود. بدر -شيخ السجادة البدرية- خلال الاجتماع أن الهدف من هذا الاجتماع هو: التصدي للهجمة الشرسة الموجهة ضد الصوفيين بالسودان؛ وخاصة المادة (٢٢) في قانون النظام العام؛ التي تجرم الدجل والشعوذة ، والتي أصبحت سيفًا مصلتًا على رقاب الصوفية.

مشيرًا إلى أن السودان لم يشهد من قبل إقرار مثل هذه القوانين التي تكبل الصوفية، وتمنعهم من ممارسة شعائرهم ومعتقداتهم الدينية!

بينما حذر الدكتور على محيى الدين وراق -رئيس المجمع الصوفي السوداني- من تمدد الفكر السلفي الوهابي، مشيرًا إلى أن الصوفية لم تقف ضد الحكومة في أي وقت، بل وقفت معها وناصرتها في كل مراحلها، والآن تأتي الحكومة السودانية لتمكن السلفية من رقاب الصوفية؟!

وقال: لن يكون هناك صمت بعد الآن! وسيكون هناك تصعيد من الصوفية ضد الحكومة؛ من خلال تشكيل لجنة من كبار المشايخ لمقابلة الرئيس عمر البشير، وإسقاط هذه المادة التي تضطهد الصوفية.

في السياق ذاته؛ قال أحمد الفكي -ممثل الطريقة الإدريسية-: إنه يجب على الحكومة السودانية احترام هذا الجمع من أهل الطُرق، لأنه يمثل الصوفية في السودان؛ خاصة وأن الصوفية أصحاب قوة كبيرة ويمثلون (٧٠%) من مواطني الدولة السودانية -حسب قوله-، والاقتراب من مناهجهم يعتبر حربًا مفتوحة ضد الصوفية والتصوف، وذلك لن يحدث أبدًا.

وضم ذلك الاجتماع: الشيخ عبد الوهاب الكباشي، والشيخ عبد الرحيم محمد صالح، والشيخ السماني البصري، والشيخ محمد عبد الله -رئيس اتحاد شباب التصوف-، والشيخ البدوي، والشيخ برير، والشيخ الجيلي النور موسى، والشيخ المبارك، الشيخ البشير شمبات، والشيخ عمر بركات ولد حسونة، والشيخ إبراهيم الشيخ الفادني، والشيخ محمد عثمان ولد حسونة، والشيخ عمر عبد القادر عمر -ممثل المشايخ في النيل الأبيض-، والشيخ بابكر محمد الفادني، والشيخ بروفسور قرني الأزرق، والشيخ بدر الخليفة الطاهر، والشيخ محمد الشيخ سيف الدين أبو العزائم، والشيخ بكري أحمد الفكي -ممثل السادة الأدارسة-، والشيخ بابكر سالم بابكر -رئيس وفد التصوف بالولاية الشمالية-، والشيخ التقي، والشيخ المكاشفي، وعدد آخر من مشايخ الطرق الصوفية بالسودان.

كما وخرج اجتماع مشايخ الصوفية بتكوين لجنة بقيادة: الشيخ الطيب الجد العباس، والشيوخ عبد الرحيم محمد صالح، وعبد الوهاب الكباشي، والطيب الغزالي، وعباس الفادني، ومحمد عبد الله التجاني، لكتابة وثيقة لرئيس الجمهورية؛ تبين الحال والمآل، ويتم فيها إعلان رفض الصوفية للمادة رقم (٢٢) من قانون النظام العام؛ التي تنص على الآتي: «لا يجوز لأي شخص ممارسة أعمال الشعوذة والدجل والسحر والزار»، حيث يرى قادة الصوفية أن فيها اضطهاد واضح لهم!

❁ الرئيس البشير والحراك الصوفي:

بمجرد شعور الحكومة بتطور الحراك الصوفي وانتقاله إلى العلن دعا الرئيس البشير عدد كبير من زعامات وقادة البيوت والطرق الصوفية لمائدة إفطار ببيت الضيافة (منزل الرئيس)، في رمضان الماضي؛ لامتصاص الغضبة الصوفية، وتوضيح وجهة نظر الرئاسة في كل ما يحدث.

وحاول الرئيس البشير صرف الصوفية عن ميدان معركتهم وهو: السلفية والسلفيين، حيث تحدث لهم عن المؤامرات والمكائد التي تستهدف كيان أهل السنة، وحذَّر من الانسياق وراء دعوات الفتن والشقاق الطائفي، مشيرًا للفتنة التي وقعت في البيت الخليجي، وقال: «الفتنة تسير، ولا توجد دولة مستثناة، وأول الدول المستهدفة السودان».

ودعا البشير إلى: تفويت الفرصة أمام الطامعين في إحداث شرخ بين أهل السنة، وطالب في ذات الأثناء بعدم السماح بذلك.

وأضاف قائلًا: «نحن في وجه المدفع، والذين دمروا العراق لم يدمروه من فراغ، لأنه كان أقوى دولة في المنطقة».

ولفت في ذات الوقت إلى: أن تدمير الشام وسوريا مقصود.

وأعلن البشير عن تشكيل لجنة لدراسة كل الملاحظات التي أبداها شيوخ الطرق الصوفية، وقال: إن كل المساجد والزوايا تقام فيها صلوات التراويح والتهجد، وأصبح الأمر الآن «ليس ما يطلبه المستمعون من الأغاني، إنما ما يطلبه المصلون من شباب يتلون كتاب الله»!

ودغدغ البشير مشاعر متصوفة السودان بقوله: «إن الطرق الصوفية كانت سببًا في قيام أعظم ثورة إنسانية في القرن التاسع عشر وهي: الثورة المهدية بالسودان».

وقال البشير: «إن جده -هو: الشيخ حمد أبو دنانة- هو أول من نشر الطرق الصوفية في السودان؛ من خلال الطريقة الشاذلية».

وأضاف: «إن السودان بلد باركه الله، وهو أرض خير وتسامح»!

داعيًا رموز الصوفية بالبلاد إلى الاستمرار في التمسك بقيم المحبة والتسامح، والانتباه إلى ما يحاك ضد البلد من مؤامرات ودسائس.

ونوه بحملات قادها الاستعمار لتنصير السودان والسودانيين، ومضى قائلًا: «لم يستطيعوا تنصير سوداني واحد، واتجهوا للخطة الثانية وهي: قانون المناطق المقفولة، ومنع انتشار الإسلام والثقافة العربية في جنوب السودان وجبال النوبة وجنوب النيل الأزرق».

ومن جهته قال الشيخ عبد الوهاب الكباشي -التي تحدث في الإفطار نيابة عن شيوخ الصوفية-: «إن هناك عملًا منظمًا يدور ضد الصوفية، وتوجد مناهج دراسية تدرس في مدارس السودان تحط من قدر الصوفية».

مشيرًا لشكوى المتصوفة من قانون النظام العام، في مادة الدجل والشعوذة، وتكوين مجمع الفقه الإسلامي غير المتوازن.

❁ من وراء الحراك الصوفي؟

من الواضح: أن الحراك الصوفي في السودان له أصابع خارجية! سيما وأن كثير من قادة هذا الحراك الصوفي لهم ارتباطات خارجية، وبعضهم له علاقات خاصة بإمارة أبو ظبي، كما أن عددًا من المؤسسات الصوفية ذات الصلة بالحراك مثل: «المجمع الصوفي العام» بالسودان لها تعاون مع الداعية الصوفي الحبيب الجفري؛ وهو صاحب دعوته لزيارة السودان.

ومعلوم أن علي الجفري يسعى لضم صوفية السودان للمشروع الصوفي العالمي؛ حيث رتب لهم المشاركة في «مؤتمر غروزني»؛ الذي حضره لفيف من العلماء تم اختيارهم بطريقة انتقائية، واعتمد المؤتمر جمهورية الشيشان مركزًا لرصد الفرق الجديدة ودراستها، وأبعد «مؤتمر غروزني» الوهابية والسلفية والإخوان المسلمين من تصنيف أهل السنة التي تراها روسيا حاضنات إرهاب، و«مؤتمر غروزني» جعل روسيا هي مرجعية للدين الوسطي الجديد! وتلعب الدور الأكبر في إعادة ضبط الإسلام!!

وأفلح الجفري كذلك في الدفع بمشاركة عدد من رموز التصوف السوداني في «مؤتمر غروزني»، وهم: محمد حسن الفاتح قريب الله -شيخ الطريقة السمانية، ورئيس المجمع الصوفي العام-، وصلاح الدين سر الختم -نائب رئيس المجمع الصوفي العام-، ومحمد توم الأمين -مسؤول المال بالمجمع الصوفي العام-.

يلاحظ أن: تركيز الجفري في مشروعه بالسودان على الصوفية السودانية ذات الصلة الحميمة بالغرب؛ حيث يحظى أبرز معاونيه بالسودان محمد حسن الفاتح قريب الله -شيخ الطريقة السمانية، ورئيس المجمع الصوفي العام- بتقدير كبير في بريطانيا التي نشأ فيها! وهو يجيد اللغة الانجليزية بطلاقة، ويحظى بتقدير كبير لدى السفراء الأوربيين بالسودان! كما تتم دعوته سنويًا لأنشطة دينية بالولايات المتحدة منها: الإفطار الرمضاني السنوي للرئيس الأمريكي، وغيرها!

كما يلاحظ: أن الحراك الصوفي الأخير يميل لمعتقدات: الدجل والشعوذة والخرافة، والوقوف مع القبورية، وتقديس الأضرحة والمقامات، والذكر الصوفي الجماعي المصحوب بالرقص والطبول، وتشجيع الموالد والحوليات، وغير ذلك من مواصفات التصوف المعروفة.

❁ مستقبل الحراك الصوفي في السودان، وفرص نجاحه:

يلاحظ أن: الحراك الصوفي كان آخذًا في التوسع، ودخول مناصرين جدد، ولكن بعد لقاء الصوفية بالرئيس عمر البشير -في الإفطار الرمضاني- بدأ الحراك يخفت تدريجيًا، مع بقاء بعض الصوفية في المناداة ببعض الأمور مثل: إصلاح مجمع الفقه الإسلامي، حيث يرى القيادي الصوفي محمد مصطفى الياقوتي -وزير الدولة بوزارة الإرشاد والأوقاف سابقًا، وعضو مجمع الفقه الإسلامي-: أن طريقة إدارة المجمع تعتم على الوسطية، وتعتدي على الجانب الصوفي، ودلل على ذلك: بمنع إصدار كتاب يبيح الصلاة في المساجد التي توجد فيها أضرحة وقبور، ولفت إلى أن ذلك تم بناء على قرارات للجان مجمع الفقه؛ بحجة عدم استيفائها للشروط العلمية، بينما يتم السماح بإدخال

الكتب التي تحرم وتكفر الصلاة في المساجد التي فيها قبور وأضرحة، ويتم استيراد هذه الكتب بالحاويات من وراء البحار -كما ذكر الياقوتي-.

بينما يرى صلاح الخنجر -عضو المجمع الصوفي العام-: أن مجمع الفقه الإسلامي السوداني مزاجه العام: وهابي، وأن المتصوفة الأعضاء بمجمع الفقه الإسلامي لا أثر لهم في عمل المجمع.

وقال في حوار مع «صحيفة الوطن» السودانية: «بلادنا لها توجه ومشرب عام، ومذهب هو: المذهب المالكي، ولا نمانع في الأخذ ببقية المذاهب؛ ولكن بدلًا عن تغليب المذاهب الأربعة فإن رئيس مجمع الفقه السوداني وأمينه العام ورئيس دائرة الفتوى يميلون إلى أفكار ابن تيمية وابن القيم.

ومعلوم أن مدرسة ابن تيمية هي سبب البلاء والتكفير والإرهاب والغلو والتشدد -حسب قوله!-، وأماتها الله بجهود العلماء، وأحياها محمد بن عبد الوهاب في ثوب جديد -حسب قوله!-، ولا نرضى أن يكون السودان هو الحاضن لها؛ من خلال الواجهات الرسمية مثل: مجمع الفقه السوداني».

ولا يبدو في الأفق أن الحراك الصوفي سيصل إلى مطالبه؛ سيما وأن هناك خلافات داخل الصوفية أنفسهم حول جدوى هذا الحراك وتوقيته، حيث يرى القيادي الصوفي وعضو مجمع الفقه الإسلامي د. علاء الدين أبو زيد أن: «المجمع لا يمالي السلفيين، وما يصدر من بعض الصوفية حول المجمع فيه نوع من التسرع ، وعدم التثبت.

وعدد المتصوفة بالمجمع هم أكثر من السلفيين؛ فالسلفيون ثلاثة، وهم: الشيخ الدكتور إسماعيل عثمان -رئيس جماعة أنصار السنة- ود. محمد الأمين إسماعيل، وأخيرًا انضم د. حسن محمد الهواري.

وهؤلاء ثلاثة مقابل ثمانية متصوفة، على رأسهم: الشيخ الطيب الشيخ الفاتح قريب الله، والشيخ محمد مصطفى الياقوتي، والدكتور العبيد معاذ -وهو ينتمي للطريقة السمانية-، والشيخ ياسين محمد طه -من الطريقة الختمية-، والشيخ سليمان كرم -أيضًا من الطريقة الختمية-، والبروفيسور عمر يوسف حمزة -وهو سماني-، وشخصي الضعيف تيجاني الطريقة».

مراجع:

١ - قانون النظام العام بولاية الخرطوم، لسنة (١٩٩٦م).

٢ - حوار «صحيفة الوطن السودانية»، مع صلاح البدوي الخنجر - عضو المجمع الصوفي العام بالسودان-، بتاريخ (١٥ يونيو ٢٠١٧م).

٣ - (الصوفية في السودان يطالبون بإعادة تشكيل علاقتهم بالسلطة)، تقرير: مقداد خالد، منشور بـ «صحيفة الصيحة»، الخرطوم، بتاريخ (٢٦ مايو٢٠١٧ م).

٤ - (الصوفية ومجمع الفقه.. نذر مواجهة في الأفق)، تقرير منشور بـ «صحيفة الجريدة» السودانية، بتاريخ (٢٩ مايو ٢٠١٧م).

الخميني في فرنسا

عرض: أسامة شحادة - كاتب أردني

خاص بـ «الراصد».

صدر هذا الكتاب بالعربية مطلع عام (٢٠١٧)، بعد أن صدر بالفرنسية مرتين: في عامي (٢٠٠٩ و٢٠١٠).

وعنوانه الكامل: «الخميني في فرنسا: الأكاذيب الكبرى والحقائق الموثقة حول قصة حياته وحادثة الثورة».

وهو من تأليف د. هوشنك نهاوندي؛ الذي كان وزيرًا للإسكان، ثم وزيرًا للعلوم، ثم رئيسًا لجامعة طهران في عهد الشاه.

وقد تولى ترجمته ونشره: مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية ومقره بالرياض، ويقع الكتاب في (٢٦٠) صفحة من الحجم المتوسط.

الكتاب مدهش بتفاصيله ومعلوماته ووثائقه الغائبة عن القارئ العربي، ويتناوله مرحلة ما قبل قيام دولة الملالي! وهو يؤكد الحاجة الماسة لترجمة العديد من الكتب الفارسية والأجنبية المفصلية والموثقة عن دولة الملالي؛ حتى نفهم عدوَّنا بشكل أفضل ونحسن التعامل معه.

الكتاب يتناول: نشأة الخميني وظهوره على الساحة، ومن ثم انتقاله للعراق، ومن بعدها ذهابه لفرنسا، ويركز هنا على فضح الأكاذيب التي روَّجها الإعلام الغربي -وخاصة الفرنسي- لتلميع صورة الخميني وتضخيمه في ذهن الشارع الإيراني خاصة، والعالم عامة.

ويتناول: سياسة الشاه وتعامله مع الاضطرابات منذ ستينيات القرن الماضي، ومن ثم تعامله مع الثورة.

ويتناول: موقف الجيش الإيراني والقوى الدولية (أمريكا وفرنسا وروسيا) من إسقاط الشاه، ودعم الثورة والخميني.

ويتناول: دور اليسار الإيراني والعربي والعالمي في روسيا وأوربا وأمريكيا في دعم الخميني.

ويشير إلى انقلاب الخميني على داعميه في أوربا وأمريكا، وهذه النقطة تفتح من الأسئلة ما يفوق إجابات الكِتاب! فكيف خدع الخميني داعميه؟ وكيف تخلَّص من رجال الغرب في إيران؟ وكيف هدم الجيش الإيراني وبقي الجميع يتفرج دون حراك؟

هذه الأسئلة -وغيرها- لن تجد جوابها في هذا الكتاب، وقد يكون أجاب عنها المؤلف في كتاب آخر، أو تكون من الأسئلة التي لا زالت تبحث عن إجابة، فللأسف أن ما نجهله عن الخميني وثورته ودولته أكثر بكثير ممَّا نعرفه بعد هذه السنين الطويلة!!

جعل المؤلف كتابه في مقدمة و(١٠) فصول، لكنه فرَّق فيها المعلومات بحسب التتابع الزمني أو البعد الجغرافي، مما جعلها جزرًا مفصولة برغم أنها تتعلق بفكرة واحدة؛ ولذلك لن أعرض للفصول

التي كتبها المؤلف، **ولكن سأعرض لأهم الأفكار والمعلومات التي كشفها المؤلف تجاه كل موضوع على حدة:**

١ - الفكرة الأساسية في الكتاب هي: بيان وفضح أكاذيب الإعلام الغربي -والفرنسي تحديداً- لتضخيم حجم وصورة الخميني؛ والتي تمثلت في تقديم وكالة «فرانس برس» سيرة ذاتية مزيَّفة له! حيث تم إسقاط جذوره الهندية! حتى لا تهتز شرعيته؛ لكون الدستور ينصُّ على: أن يكون رئيس الجمهورية إيراني الأصل! وبخصوص والد الخميني «مصطفى»؛ والذي كان سكرتيرًا وبلطجيًّا عند أحد الإقطاعيين، وتم قتله بسبب خلافات مع أحد المتضررين من والد الخميني.

لكن في السيرة الفرنسية المزيفة تم تحويل مصطفى إلى شهيد وضحية لإجرام الشاه! برغم أنه حين قتل مصطفى كان الشاه لا يزال ضابطًا صغيرًا! ثم تم تطوير الكذبة: أن مصطفى أُعدم نتيجة مقاومته للمستعمرين، وأنه كان يقود قريته!

كما تم الزعم بأن: والدته ابنة أحد رجال الدين المرموقين، وهي في الحقيقة: امرأة قروية فقيرة.

كما تم تصوير مرحلة شباب الخميني بأنها نضال وكفاح، وهي في الحقيقة: كانت مؤيدة للشاه، ومعترضة على سياسة مصدق لصالح الشاه وبريطانيا!

ثم زعموا أن ابنه مصطفى قتل بسبب معارضته للشاه، بينما مات مصطفى نتيجة سكتة قلبية لمرضه بالسكري.

وكانت غاية التزوير منحه لقب: «الإمام وآية الله العظمى» من الصحافة الغربية وليس من قبل المراجع الشيعة الأعلى منه!

ومن ثم تم تبجيله وتقديمه بصورة: الحكيم، والديمقراطي، وداعية حماية حقوق الإنسان! وقد قام كثير من رموز اليسار الفرنسي؛ كجان بول سارتر، وسيمون دي بوفوار، وميشيل فوكو، ومن أمريكا ريتشارد كوتام، وريشتارد فولك، والعديد من الصحف المرموقة؛ كصحيفة «لوموند» وغيرها، بالدعاية والتأييد للخميني حين كان في فرنسا؛ كتمهيد له وكحملة علاقات عامة لتقبل المجتمع الإيراني والعالمي لإزاحة الشاه، ومجيء الخميني لقيادة إيران.

٢ - لم يكن للخميني دور بارز في عقود حياته الخمسة الأولى، وكان مؤيدًا لمواقف المرجع أبي القاسم الكاشاني ضد المواقف القومية لرئيس الوزراء مصدق والداعمة للشاه، بل لقد قاد الخميني المظاهرات الشعبية المطالِبة بعدم مغادرة الشاه لإيران في (١٩٥٣/٢/٢٨م)! وهو ما يخالف الدعاية الكاذبة بأن الخميني بطل مقاومة للاستعمار!

ولكن عدم قبض الخميني ثمن دعمه للشاه -كما حدث مع آخرين من أتباع الكاشاني- كان سببًا لشعوره بالمرارة، وبدء حقده على الشاه، وابتعاده عن المشهد؛ حيث لم يلتفت له أحد، وبعد عدة أعوام -أي: في سنة (١٩٦٢م)- وقَّع الخميني مع آخرين بَرقية احتجاج للشاه على انتخابات المحافظات، ولكن مع إعلان نتائج الانتخابات أصدر الخميني فتوى اعتبر فيها أن الاستفتاء مخالف للشرع المنير!

وبعد حوالي أسبوعين أصدر فتوى جديدة ضد نظام الشاه، وأنه يتعمد مصادمة الإسلام! ودعا للحداد العام ولمقاطعة مراسم عيد النيروز، ولكن لم تلقَ هذه الدعوة استجابة من الشارع، لكن أبرزت الخميني كمعارض سليط اللسان، والتفَّ حوله المعارضون المبعثرون للشاه، واسترعى انتباه أجهزة المخابرات الأجنبية -كما يقول المؤلف-.

وعاد الخميني بعد عدة أشهر، وذلك في عام (١٩٦٣) ليهاجم اليهود وإسرائيل، لكنه بقي غير معادٍ للشاه؛ فقال يخاطبه: «سيدي الملك! إنهم يريدون أن يظهروك يهوديًّا؛ حتى أُكفِّرك، عندها سيخرجونك من إيران ويصفونك»!

وأخذ الخميني يصعِّد من خطاباته؛ حتى هدَّد بإسقاط الحكومة، وعندها تم اعتقاله ونقله لطهران، وخرجت بعض المظاهرات تأييدًا له بتحريض من حزب «توده» الشيوعي! وتبين أن جمال عبد الناصر يموِّل هذه المظاهرات، وهو ما سيتوسع ويصل الدعم الناصري للخميني!

قضى الخميني (١٠) أشهر مسجونًا دون محاكمة، ثم عفا عنه الشاه؛ خاصة بعد أن قام (٥) من مراجع التقليد بترفيع الخميني من درجة «حجة الإسلام» إلى «آية الله»!

وبعد أشهر هاجم الخميني الاتفاقية العسكرية مع أمريكا، فاتخذت الحكومة قرارًا بنفيه، فذهب لتركيا، ولكنه لم يرتح هناك، وطلب

الذهاب للعراق، فتعاونت تركيا مع حكومة الشاه وسهَّلت انتقاله للعراق، وطويت صفحته عدة سنوات.

٣- اجتمع على الشاه عددٌ من الأعداء المتشاكسين؛ من الإقطاعيين ورؤساء العشائر في الداخل، الرافضين لفقد امتيازاتهم عبر الإصلاحات التي يطالب بها الغرب والشعب، وحزب «توده» وعبد الناصر والروس؛ الذين يريدون تحويل إيران لدولة شيوعية، والأمريكان؛ الذين أزعجهم رفع سعر البترول ومحاولته التحرر من التبعية، والأوربيين لاحقًا، وضعف شخصيته ومسالمته الزائدة مع الخصوم؛ اجتمع كل هؤلاء عليه فأسقطوه!

٤- الخميني لم يكن صانع الأحداث، بل الواجهة الإعلامية لها، فالذين كانوا يثيرون المشاكل على الأرض هم: اليساريون، من أنصار حزب «توده» وغيره، بتحريض من الروس، بل يكرر المؤلف عدة مرات وجود يساريين فلسطينيين في طهران مارسوا البلطجة وتأجيج الأوضاع!

والذين كانوا يلمِّعون صورة الخميني ويشوهون صورة الشاه ويرتِّبون الأمور السياسية هم: الأمريكان والفرنسيون، وكان إبراهيم يزدي -الإيراني الأمريكي، ووزير خارجية الخميني لاحقاً- هو مسؤول هذا الملف في فرنسا.

والذين كانوا ينشرون خطابات الخميني هم: إذاعة «بي بي سي» الفارسية، وخليط من المخابرات الأمريكية والفرنسية؛ التي تسجل خطابات الخميني وتبثها لإيران، عبر مركز بريد استحدث قرب مكان إقامته في فرنسا، أو عبر الحقيبة الدبلوماسية الأمريكية! والتوزيع في إيران يتولاه نشطاء حزب «توده»!

وكان للإيرانيين اليساريين في أمريكا والأنشطة الإعلامية في أمريكا دور ضد الشاه بتمويل من الحكومة الأمريكية!

٥- الجيش الإيراني بقي وفيًّا للشاه لآخر لحظة، لكن تردد الشاه في حسم الأمور، وسوء إدارته للأزمة، وتخاذل قياداته السياسية، واضطرابهم، وتآمر الأمريكان ضده، ومنعهم الجيش من التحرك؛ كل هذه الأمور أدت لفشل الشاه بالحفاظ على عرشه.

كان الخميني في غاية الخوف من الجيش، ولذلك لم يتردد -حين سنحت الفرصة- من قتل قيادات الجيش بكل وحشية، والكثير من أفراده -لاحقًا-، ثم تم تهميش الجيش -لاحقًا-، والتركيز على الحرس الثوري.

٦- كان الروس يعدُّون الخميني: عميلًا وجاسوسًا لهم، وكان الأمريكان يعتبرونه: دمية بيدهم، فكالوا له المديح بسبب ذلك، وكانوا لا يتوقعون أن يكون عنده طمع ورغبة بالسلطة والحكم المطلق.

لكن الخميني استطاع أن ينقلب عليهم، ويفُوقهم في الخبث! على طريقة مسخ رواية د. فرانكنشتاين، ويستقل بنفسه، ويقضي على أنصار الروس: (حزب توده)، وأنصار الأمريكان: (الجيش، والساسة)، ولم يستيقظ الغرب للحقيقة إلا بعد أن استتبَّ الأمر للخميني! في قصة لم تفهم أبعادها وتفصيلاتها بعد!!

٧- في مواضع كثيرة من قصة صعود الخميني تشعر أن ما ينقله المؤلف من أحداث وقعت في إيران قبل (٤٠) سنة جرى تكرار بعضها في الربيع العربي، أو على الأقل تم تداول وقوعها فيه!

مثلًا: قصة البلطجية الغرباء في المظاهرات: إطلاق النار من طرف ثالث على الشرطة والمتظاهرين، تمويل غربي للثورة بمئات الملايين، منع الجيش من التحرك، نشر أخبار وصور ومقاطع كاذبة عن القمع الوحشي للجيش والأمن تجاه المظاهرات، تسخير الإعلام الغربي (بي بي سي) لتأييد الثورة، تخلي الأمريكان عن حليفهم، الغضب من ارتفاع أسعار البترول، وغيرها.. وهي حَرية بالفحص والتأمل -قديماً وحديثاً-!

هذه أهم الخطوط الفكرية في هذا الكتاب، وهناك المزيد من المعلومات التفصيلية لهذه المحاور في الكتاب، والذي ينبغي مطالعته لكل مهتم بدولة الملالي.

هذه هي الحقيقة: التطرف ينبع من (النت) والعولمة، وليس من المساجد والمصاحف!

قالوا: أظهرت دراسة ألمانية: أن الشباب الألماني الذي ينضمُّ لمجموعات إسلامية متطرفة لا يعرف كثيرًا عن الإسلام -غالبًا-.

«حيث يمكننا القول: إن هؤلاء الشباب يصنعون مكونات إسلامهم الخاص»!

وذلك حسبما أوضح ميشائيل كيفر -من معهد العقيدة الإسلامية التابع لجامعة أوسنابروك-؛ حيث درس كيفر بالتعاون مع باحثين من معهد أبحاث الصراعات والعنف التابع لجامعة بِيلِفِلد الألمانية مجموعة من (١٢) سلفيًّا شابًّا؛ من خلال تحليل (٥٧٥٧) منشورًا على موقع (واتس أب) للمجموعة التي تتراوح أعمار أعضائها بين (١٥) إلى (٣٥) عامًا.

وقال الباحثون: إن قابلية الشباب للتعرض لخطر المحتويات المنشورة على الإنترنت كبير.

وقال تسيك: إن تصورات المجموعة «ساذجة، وإنها تنظر للأمور بشكل رومانسي».

مضيفًا: أن الشباب يحلمون بالوقوف في ساحات معارك الجهاد ليصبحوا رجالًا من خلال هذه المعارك.

وتابع تسيك: أن «الجهاد الرقمي» أمر محبَّب لدى الشباب؛ لأنه يجيب على القضايا الطبيعية بشكل متطرف، ويعطي حلولًا لقضايا التنمية؛ «حيث أصبح الجهاد ثقافية أساسية، الجهاد موجود بالفعل في غرفة الأطفال».

«القبس»، باختصار (٢٠١٧/٧/١٠)

ويكفيكم هذا التفاوت بيننا!

قالوا: كيف نسخرُ من المسلمين لأنهم يتزوجون (٤) نساء؟! ونحن نسمح بزواج الشواذ، ونسمح بممارسة الفاحشة مع الحيوانات؟!!

المفكر الأمريكي هنري ماكوو

أهل داعش

قالوا: داعش ليست واحدة، هنالك التي نعرفها في الرقة والموصل، وامتدادها ورايتها السوداء.

أما داعش الأخرى فهي: التي تتغطى بمكياج العلمانية، وهي الابن الشرعي لهؤلاء الذين صفقوا للأسد وهو يقتل شعبة بدم بارد، وانحازوا للانقلابات، وهي تحز رقبة الديموقراطية وشرعية الصناديق، وهتفوا باسم «أدونيس» الذي أعاد علينا قراءة مزامير الكراهية.

داعش هذه التي نرى وجهها القبيح في بلداننا هي التي تستقوي بهؤلاء لإقناع شبابنا بأنها تواجه «الفجور» الذي يرفع أصواته في شوارعنا.

حسين الرواشدة، «صحيفة الدستور» (٢٠١٧/٧/٧)

اعتراف متأخر، وقتل متواصل في أماكن أخرى!

قالوا: اعترف الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، بأن مذبحة سربرنيتسا التي ارتكبتها القوات الصربية في (يوليو ١٩٩٥): «تعد أكبر ظلم حصل في أوروبا منذ تأسيس الأمم المتحدة، وعلينا الاعتراف بأننا سمحنا بوقوعها»!

وقال: «اليوم نستذكر ونكرِّم الآلاف من الذين قُتلوا، ونعرب عن تضامننا مع أسر وأصدقاء من قضوا في الأحداث الفظيعة التي وقعت في

سربرنيتسا في (يوليو ١٩٩٥).

مؤكدًا أن: «تلك الأحداث هي حقائق تاريخية موثقة بشكل تام»، وأن المحكمة الجنائية، ومحكمة العدل الدوليتين، قررتا اعتبار ما حصل في سربرنيتسا: «إبادة جماعية»، و«المجتمع الدولي -وخاصة الأمم المتحدة- اعترف بمسؤوليته عن مأساة سربرنيتسا».

وكانت القوات الصربية بقيادة راتكو ملاديتش دخلت بلدة سربرنيتسا في (١١ يوليو ١٩٩٥)، بعد إعلانها منطقة آمنة من قبل الأمم المتحدة، وارتكبت مذبحة جماعية راح ضحيتها أكثر من (٨) آلاف مسلم، تراوحت أعمارهم بين (٧ إلى ٧٠) عامًا، وذلك بعدما قامت القوات الهولندية العاملة هناك بتسليم عشرات الآلاف من البوسنيين إلى القوات الصربية.

«وكالات»، (١١/٧/٢٠١٧)

كارثة تحرير الموصل!

قالوا: اضطريت أضحِّي بالأم والجنين عشان الأب يعيش!

مختصر قصة تحرير الموصل المزعوم، وخبرة قادة العراق الجدد في القتال.

حساب د. فراس الزوبعي على (تويتر)

هنا يعارضون الغرب!

قالوا: مدارس الأولاد في الغرب فقط ناجحة جدًّا، وسيتم فتح مدارس للبنات فقط..

والبعض عندنا يطالب بالاختلاط!

حساب د. مالك الأحمد على (تويتر)

هذه إنجازات العلمانية الملحدة!

قالوا: حقوق الإنسان هو: غطاء وجه الإلحاد القبيح..

أنور خوجة يدمِّر (٢١٦٩) مسجدًا ليلة إعلان ألبانيا دولة ملحدة!

حساب RobinOfArabia ، تغريدة على (تويتر)

هذه موضوعيّتهم!

قالوا: كشفت دراسة أمريكية -اليوم الاثنين-: أن التغطية الإعلامية للهجمات الإرهابية المتَّهم فيها مسلمون، تتضاعف (٥) مرات، مقارنةً بتلك المخصصة لتغطية الهجمات التي يرتكبها غير المسلمين.

وتوصلت الدراسة -التي أجراها باحثون من جامعة جورجيا الأمريكية- إلى: أن اهتمام وسائل الإعلام بالهجمات التي يرتكبها مسلمون تزداد بنسبة (٤٤٩) بالمئة، مقارنة بالهجمات المماثلة التي يتهم فيها أشخاص لا يتبعون الإسلام!

واعتمدت الدراسة على رصد جميع التغطيات الصحفية التي تناولت أي هجمة إرهابية تقع في الأراضي الأمريكية، خلال الفترة ما بين الأعوام (٢٠١١ و٢٠١٥).

كما أوضحت الدراسة: أن المسلمين كانوا مسؤولين عن (١٢.٤) بالمئة فقط من الهجمات الإرهابية، خلال فترة البحث، لكن في المقابل يحظون باهتمام إعلامي يتخطى (٤١.١) بالمئة من حجم التغطية الإعلامية الخبرية للصحف الأمريكية.

«وكالات»، (٤/٧/٢٠١٧)

مشروعهم الطائفي حاضر وقيد الإنجاز

قالوا: عصابات الحوثي تغيِّر المناهج الدراسية، وتحذف أسماء الصحابة -رضوان الله عليهم- من الكتب الدراسية الرسمية الحكومية.

حساب قناة «صفا» الفضائية على (تويتر)

العدو الحقيقي لإيران والشيعة

قالوا: منذ أن أطلق الخميني شعار: (يوم القدس العالمي) للتجارة بفلسطين! قتلت إيران أكثر من (٢) مليون عربي، ولم تقتل إسرائيليًّا واحدًا!

حساب منشق عن «حزب الله» على (تويتر)

العنف في التراث الديني الشيعي.. وحيٌ (المسورة)

د. موسى آل هجاد الزهراني، صحيفة «مكة» الإلكترونية، (٢٠١٧/٧/٨)

عندما يقرأ الشيعي البسيط نصوصًا في كتب تراثه، من العهد البويهي (٩٣٢هـ-١٠٥٦م) إلى الصفوي الأول والثاني من (١٠٥٢هـ-١٦٤٢م) إلى سنة (١١٤٨هـ-١٧٣٦م)، أو يسمعها من علماء الحسينيات، تنطق بمثل كلام نعمة الله الجزائري (ت:١١١٢هـ):

«معنى الناصب الذي ورد في الأخبار: أنه نجس، وأنه شرٌّ من اليهودي والنصراني والمجوسي، وأنه كافرٌ نجسٌ بإجماع علماء الشيعة الإمامية -رضوان الله عليهم-، فالذي ذهب إليه أكثر الأصحاب هو: أن المرادَ به: من نصب العداوة لآل بيت محمد..»[(١)].

فإنَّ الناصبيَّ -عنده- هو: كل من ينتسب إلى أهل السنة؛ لأنهم يقدمون أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما في الخلافة -كما هو معلوم-.

كما قال -أيضًا-: «وقد روي عن النبي -صلى الله عليه وآله-: أن علامة النواصب تقديم غير علي عليه»[(٢)]، وبالتالي فإنه سيستحضر نصَّ الجزائري السابق: أن السني: «نجسٌ، وأنه شرٌّ من اليهودي والنصراني والمجوسي، وأنه كافرٌ نجسٌ بإجماع علماء الشيعة الإمامية»، ويُنزل هذا النص على أرض الواقع؛ فيحكم على أهل السنة بالكفر، ويلزم من هذا: استحلال دمائهم!

وهو في هذا ينطلق من فتوى الجزائري -في مرجعه المتقدم-، وقوله: «والثاني: في جواز قتلهم واستباحة أموالهم»[(٣)].

وأسوأ من هذا: ما بيَّنه شيخهم يوسف البحراني (ت ١١٨٦هـ): «إن إطلاق (المسلم) على الناصب، وأنه لا يجوز أخذ ماله من حيث الإسلام، خلاف ما عليه الطائفة المحقة -سلفًا وخلفًا-، من الحكم بكفر الناصب ونجاسته، وجواز أخذ ماله، بل قتله»[(٤)].

ولو تتبع الباحث نصوص كتب علماء الشيعة -الذين يوصف بعضهم بأنه (آية الله العظمى) أو (حجة الإسلام) أو (الولي الفقيه)!-؛ فإنه سيصاب بالدهشة للإيغال في تكفير من سوى الشيعة الاثني عشرية، واستحلال قتلهم، وأخذ أموالهم!

وهذا الفكر هو أكثرُ المذاهب والطوائف التي تُكفِّر الناس عمومًا، وبعض طوائف الشيعة أيضًا.

وما يحدث في (منطقة القطيف) وحي (المسورة) -تحديدًا- من: استهداف للعاملين في الأمن من العسكريين والمدنيين بشكلٍ يوميٍ، وتوجيه القنابل والأسلحة إلى صدورهم ما هو إلا تطبيقٌ عمليٌّ لتلك النصوص التي تطفح بها كتبُهم القديمة والحديثة؛ فضلًا عن دروس الحسينيات، المقترنة بالنواح المصطنع، وادعاء المظلومية.

والأغرب من كل هذا: أن هذا الوطن -المملكة العربية السعودية- الذي احتضن في شرقه الشيعة الاثني عشرية عقودًا طويلةً، ومنحهم من الحقوق ما يربو -أحيانًا- على حقوق غيرهم، فلم يميز بين شيعيٍّ وسُنيٍّ في الحقوق..

الأغربُ: أنه ليس له نصيبٌ من ولائهم، ولا ولاء كثيرٍ من علمائهم، وإن تظاهروا بالتقية الدينية أو السياسية، بل ولاؤهم لمرجعياتهم الشيعية الفارسية وغيرها.

---

(١) الجزائري، السيد نعمة الله بن عبد الله الموسوي، (١١١٢هـ)، «الأنوار النعمانية»، دار القارئ-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، (٢/٣٠٦-٣٠٧).

(٢) السابق، (٢/٣٠٧).

(٣) السابق، (٢/٣٠٧).

(٤) البحراني، يوسف، (ت١١٨٦هـ)، «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»، تحقيق محمد تقي الإيرواني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم-إيران، (١٢/٣٢٣-٣٢٤).

ولو أنَّ الدولة تعاملت معهم على حسب ميولهم، ومنحتهم الفرصة للسفر للعيش في موطن الفكر الاثني عشري في إيران أو العراق؛ لذاقوا الأمريَّن من التمييز بأنواعه! ولعادوا يلثمون تراب الوطن، ويحمدون الله على نعمه التي لن يجدوها في تلك البلاد!! حتى إن أحد أصدقائي -وهو شيعيٌّ من مملكة البحرين- قال لي عندما كنتُ أجمع مادة رسالتي للدكتوراه عن (الفكر الاثني عشري في القرنين التاسع والعاشر)، قال: «إذا ذهبنا إلى إيران فإننا نُعامل هناك أسوأ معاملة؛ لأننا عربٌ! قلت: وهم يعرفون أنك شيعيٌّ؟ قال: ويعلمون أني (سيدٌ)»! -وهذا اللقبُ والانتساب له أهميته في الفكر الشيعي بطبيعة الحال-.

مثل هذه الحوادث التي أقضت مضاجعنا كل يومٍ؛ من المفترض أن تستدعي جهود علماء الشيعة الاثني عشرية على جميع الأصعدة؛ لاتخاذ ما يلي:

١ - التبرؤ من النصوص والتفسيرات الداعية لقتل من ليس على مذهبهم -من أهل السنة وغيرهم-، وإصدار بيانٍ يُجمع فيه علماؤهم على ذلك.

٢ - تخصيص برامج في القنوات الفضائية -حتى القنوات الرسمية أو شبه الرسمية مثل: «السعودية الأولى والإخبارية والعربية» وغيرها- **للحديث من قبل علماء الشيعة السعوديين -وليس غيرهم-** لمناقشة وتفنيد تلك النصوص، بأسلوبٍ علميٍّ مقنعٍ؛ بعيدًا عن التقية أو استعطاف السلطة.

٣- عقد المؤتمرات الصحفية وغيرها لإخراج المنطقة من حالة العنف التي تعيشها، و تأسيس الحوار الجاد مع شباب الشيعة في مراكز الأحياء والملتقيات الحوارية، وتفعيل دور الجامعات في إعطاء حرية النقاش لشباب الشيعة؛ دون قيود على الفكر في إطار الإجابة على الإشكالات والشبهات التاريخية والمعاصرة.

وأنا أعتقد أنهم عندما يجدون المناخ الحر فإنهم سيظهرون ما لديهم من إشكالات فكرية، وتاليًا يُجاب عليها، بعيدًا عن النسق التقليدي الجاهز الذي غلب فيما مضى على الجو الفكري العام.

وبما أننا نتحدث عن الغرابة والأغرب؛ فإني أستغرب جدًّا قلة كتابات الفئة التي تدعي بأنها (ليبرالية) عن الحوادث الطائفية في (القطيف)، أم أنَّ الوطنية الليبرالية لها معاييرُ لم يتنبَّه لها (جون لوك) (ت ١٧٠٤م) صاحبُ الفلسفة (الليبرالية) الأول؟!

إمبراطورية إيران الإعلامية

مصطفى حسين، موقع «المثقف الجديد»، (٢٠١٧/٣/١٩)

منظومة إعلامية كبيرة أسستها إيران تتدخل في شأن الدول العربية، ممثلًا بذلك: طبيعة موقف إيران من العرب والأنظمة العربية.

واجتاحت العرب بحملة إعلامية؛ من خلال القنوات الفضائية الإيرانية الناطقة بالعربية، والإذاعات، والصحف، ومراكز الدراسات، مستغلة الوضع الأمني الرهان.

ترتبط مؤسسة الإعلامية إيرانية ارتباطًا مباشرًا إداريًّا مع مكتب المرشد الخامنئي، ويشرف المرشد ومؤسسة الحرس الثوري على تمويل الإعلام والوزير والمسؤولين الكبار.

يعمل الإعلام إيراني ممثلًا بعشرات القنوات الفضائية باللغة العربية، والمئات من الوكالات الخبرية، ومراكز الدراسات على تنفيذ أجندات سياسية تصب في مصلحة إستراتيجية النظام الإيراني التوسعية في الدول العربية، وهذا ثبت من خلال ما تقدمه القنوات الإيرانية من برامج وتغطيات إخبارية لأحداث الوطن العربي.

تواجد الإعلام الإيراني على الإنترنت والتلفزة يعتبر من الأقوى في العالم، حيث ينطق بأكثر من ثلاثين لغة وبحسب «رابطة العلماء الأميركيين» يقدر إنفاق طهران على الميزانية السنوية للإعلام الخارجي قد تصل إلى (٩٠٠ مليون) دولار أميركي، وهذا في حين كانت إيران خاضعة للحصار الاقتصادي!

ويعمل في وكالة الأنباء الإيرانية الرسمية ما يقارب (٤٥ ألف) شخص، يمثلون طواقم متكاملة من جميع أنحاء العالم، بهدف: حفظ منافع النظام الفارسي في جغرافية إيران، والسيطرة على الأخبار المعارضة، ونقل الرؤية الإيرانية للعالم.

تسعى إيران من خلال هذه القنوات والمكاتب الإعلامية التحريضية -التي تأجيج الوضع الداخلي للدول العربية، وتخلق قلاقل تهدد السلم الأمني- لبسط سيطرتها على دول المنطقة.

كما تسعى من خلال ما تقدمه من دعم لبعض الجماعات الإرهابية أو المشاغبة في الدول العربية بهدف: خلق مناصرين ومؤيدين لها في هذه البلدان.

لكل بلد سياسته في الإعلام، والمؤسسة الإعلامية الإيرانية عبارة عن: مخطط سياسي وإستراتيجي، يأتي في بداية الأمر بمثابة عمل دبلوماسي ثم توجيهي، وأخيرًا مرحلة تبني الفكرة الإستراتيجية، وله مرتكزات ثابتة، وهذه المرتكزات تتغير تكتيكيًّا حسب تغير الأهداف والظرف السياسي، لكنها لا تغيب نهائيًّا.

طالما سلك النظام في طهران التقية في جميع مفاصله؛ إلا أن الإعلام الإيراني بجميع مفاصله أصبح مرآة تظهر فيه السياسة الإيرانية وعدوانيته تجاه البلدان العربية بجلاء تام، يظهر من خلال هذا الإعلام: المواقف الإيرانية من مجمل القضايا العربية والإستراتيجية العامة التي تهدف إليها إيران في المنطقة.

وتبعًا لهذه الإستراتيجية أنشأت إيران -أو موَّلت- عشرات فضائيات تبث من الأراضي العربية وبأقمار عربية؛ كقناة: «أغانينا، قيثارة الفضائية، بلادي، السلام، الحرة عراق، وبغداد، العراقية، آفاق، الفرات، الفرات (٢)، الإمام الحسن، المرجعية، الفرقدين، أهل البيت –المدرسي- صوت العترة، فرسان العراق، الشعائر، الأوحد، الأنوار -تستعد لإطلاق قناة جديدة باللغة الإنجليزية باسم: أنوار الحسين-، الأنوار (٢)، باقة إيرانية -تحتوى على أربع قنوات-، أي فيلم عربي -(I film Arabi)، أي فيلم انجليزي-(I film English)، الغدير، النبراس، الإمام الحسين، الاتجاه، النعيم، الأضواء، طه، المعارف، فتية كربلاء، البيان، حشدنا، الموقف، الكاظمي، المهدي، المنهاج، الولاء، الإباء، العقيلة، الصراط، الكوت، أهل البيت -تتظاهر بأنها دينية وتقدم برامج إسلامية في الظاهر، و يتم تمرير أهداف الثورة الإيرانية من داخلها-، النجباء، الكاظمي، المرجعية، كربلاء، الأهواز، الحجة، فورتين، المعارف، القمر، الراية، الحجة، الولاية، الدعاء، الإشراق، الثقلين، هدهد-للأطفال-، الأوحد، بالإضافة إلى قناة أهل البيت، وفدك -تقدم برامجها باللغة العربية والفارسية والإنجليزية-.

تأتي هذه الإمبراطورية الإعلامية في سياق أن إيران تعتبر نفسها بأن لديها جميع ملفات «قيادة العالم الإسلامي»؛ حيث اعتبر مساعد القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية للشؤون الثقافية والاجتماعية حميد رضا مقدم فر، أمام المؤتمر الدولي «دور العالم الإسلامي في هندسة القوى العالمية» إيران المحور الأساس والرئيس لهندسة العالم الجديد، وأكد أنها باتت تتبوأ اليوم مكانة متميزة بين دول العالم الإسلامي؛ حيث بإمكانها أن تقوم بالدور المحوري بين «الشعوب الإسلامية»، لذلك تؤمن إيران أنها تمتلك المؤهلات الفكرية والسياسية والدينية والمستقبلية، وحتى الإلهية (ولاية الفقيه)، واستخدم هذا النظام الإعلام خاصة لترويج ونشر هذه المبادئ.

لذلك أنشأت إيران عام (٢٠٠٥) وبرئاسة على لاريجاني -الرجل المقرب من خامنئي، و رئيس البرلمان الإيراني الحالي-: «اتحاد العالمي للإذاعات والتلفزيونات الإسلامية في العالم»، والتي يضمُّ أكثر من (٢١٠) أعضاء من (٣٥) بلدًا من القارات الخمس.

ويعمل هذا الاتحاد تحت الإشراف الإيراني، ويدار بتمويل الدولة الفارسية، كما يخطط ليكون لديه نحو (٦٠) قناة تلفزيونية و(٧٠) إذاعة و(٣٥) موقعًا الكترونيًّا، إضافة إلى مؤسسة إنتاجية وموقع للتبادل الإخباري المصوَّر.

إيران تحلم بالسيطرة على الدول العربية! وبعد التطورات التي شهدتها المنطقة والتي تعتبرها طهران واقعة في مجالها الحيوي والإستراتيجي؛ فكثفت رقعة نشاطها الإعلامي بهدف: «تصدير الثورة الخمينية» على شكل أوسع، فكانت عدة قنوات انطلقت منها؛ كقناة «المسيرة» التابعة للإرهابي عبد الملك الحوثي، وأخرى قناة «الساحات» التي تحمل شعار تغطية أخبار ساحات الثورة في اليمن، وقناة «عدن لايف» التابعة للرئيس اليمني الجنوبي الأسبق علي سالم البيض -إلا بعد إعلان دعمه لعاصفة الحزم أخذت إيران قرارًا بإقفالها-.

كما أسست إيران قناة خاصة بكتائب حزب الله العراق، تحت عنوان: «الاتجاه»، وأخرى تخص المملكة العربية السعودية، تحت مسمى: «قناة النبأ»؛ التي تهتم بأخبار المنطقة الشرقية، وتعمل لإثارة البلبلة في هذه المنطقة من بوابة الانتماء المذهبي، وقناة أخرى تختص بالشأن البحريني، تحت مسمى: «قناة اللؤلؤة»، وأطلقت قناة «الميادين»؛ والتي تعتبر من أهم محطات التي أسستها إيران ودفعت مصاريفها بشكل كامل.

وتوسعت هذه الإمبراطورية الإعلامية؛ لتكون هناك قنوات أخرى تدار بأموال إيرانية كـ «قناة آسيا»، التابعة لأحمد الشلبي، و«قناة بلادي»، القريبة من إبراهيم الجعفري، و«قناة الفرات»، الناطقة باسم المجلس الأعلى العراقي، بقيادة عمار الحكيم.

تتمحور الدولة الإيرانية الخمينية على «الثورة الخمينية؛ المتمثلة بـ «ولاية الفقيه»، وتصديرها إلى دول الإقليم؛ لاسيما البلدان العربية، لذلك سخرت إيران زهاء (٥٠) قناة ناطقة بالعربية، وعلى أشكال عدة: ثقافي ودعوي وتعبوي وسياسي، وبرامج أطفال، وإنتاج مسلسلات تاريخية؛ لتصدير الثورة الخمينية.

ويحارب هذا النظام من خلال هذا الإعلام المنظومات الفكرية والسياسية المخالفة له، وأخيرًا بشكل ملحوظ ركزت الدولة الفارسية تركيزًا تامًّا في خطابها الإعلامي على بلدان الخليج العربي.

حين نرى الاستقواء والفرعنة على البحرين بموضوع الادعاءات بملكيتها؛ من خلال خطابها الإعلامي والسياسي اليومي، ويأتي هذا الخطاب بالسعي لتحقيق أهداف التوسعية في قلب الخليج العربي بإشعال النار والفتنة؛ من خلال الإعلام، وتحريض المندسين، حيث خصصت قنوات فضائية وصفحات وسيعة جدًّا في الإعلام الإيراني يتكلم عن مملكة البحرين وعن تشكيل «جمهورية بحرين الإسلامية شيعية»، تابعة لنظام ولاية الفقيه.

حيث أصبح الغطاء السياسي والإعلامي أبرز أوجه التدخل الإيراني المكشوف في شؤون البحرين الداخلية، بشكل يصعب إخفاؤه أو التستر عليه، كما لعبت تصريحات المسؤولين الإيرانيين والحركة الإعلامية الضخمة دورًا كبيرًا في تأجيج الوضع الداخلي في البحرين.

وقد تولى معظم المواقع الإعلامية قيادات الحرس الثوري، بدء من محسن نبوي لفترة عامين من (١٩٨٧ حتى عام ١٩٨٩)، ومِن ثم أورثها محمد علي أبطحي لمدة ثلاثة أشهر، وبعد ذلك جاء دور شعبان شهيدي مؤدب و تولى الإدارة بين عامي (١٩٨٩ حتى ١٩٩٤)، ومن ثم استلم محمد سرافراز رئاستها منذ عام (١٩٩٤) حتى تاريخ تعيينه رئيسًا لمؤسسة الإذاعة والتلفزيون عام (٢٠١٤)، و أخيرًا تولى رئاسة هذا القسم ضابط جديد من حرس الثورة المدعو: (محمد أخگري).

يشرف القسم الخارجي -التابع لمؤسسة الإعلام الإيرانية- على: المحطات المرئية والصوتية المختصة بمخاطبة الإيرانيين في الخارج، وبشكل أدق بالشعب الفارسي، وأيضًا بالشعوب الأخرى في الدول المحيطة والدول الأخرى.

وتضم شبكة المحطات التلفزيونية عدة قنوات منها: «قناة العالم، قناة برس تي في، قناة سحر (١ و٢و٣)، وقناة جام جم (١و٢و٣)، قناة الكوثر، وقناة الأفلام، وهيسبان تي في -باللغة الاسبانية-. وتبث قنوات سحر -ثلاثة قنوات- برامجها باللغات الفارسية، العربية والانجليزية، إضافة إلى الإسباني، البوسنية، التركية، الآذرية، الفرنسية والألمانية.

وأما فيما يتعلق بالمحطات الإذاعية؛ فإن هذه الدائرة تمتلك نحو (٣٢) محطة إذاعية تبث باثنتين وثلاثين لغة مختلفة هي: الإنجليزية، البوسنية، الألبانية، الإيطالية، العربية، الفارسية، المنغولية، الألمانية، التركية، الروسية، الطالشية، الأوزبكية، الدرية، الآذرية، الإندونيسية، الهوس، الفرنسية، الأوكرانية، السواحيلي، البشتو، الارانية، التاجيكية، الصينية، الأرمنية، اليابانية، الهندية، البنغالية، الأردية، الإسبانية، الكردية، الجورجية و التركمانية.

هذا بالإضافة إلى «قناة العالم»؛ التي تعتبر من ضمن القنوات العملاقة في الإعلام، تبث باللغة العربية، وتمتلك قسمًا ضخمًا للإعلام الخارجي، يضم العديد من القنوات والراديوهات الناطقة بمختلف لغات العالم، وتلعب دورًا مهمًا في ترويج مبادئ ثورة الخميني.

كما تمتلك إيران ما يفوق (١١ ألف) موقع إلكتروني، و(٢١٠٠) مركز دراسات، تعمل باللغة العربية لخدمة مشروعها في المنطقة على حساب بلدان العربية، ونشر أيديولوجيتها بين مختلف الأوطان العربية (بالإضافة إلى المئات المراكز والمواقع التي تعمل باللغات الأخرى)، وفقًا لإحصائيات «ويكيليكس».

المطلوب: أن تعمل دول العرب عامة ودول مجلس التعاون الخليج العربي بشكل خاص لوضع ضوابط للإعلام المتسلل إلى أمنها القومي أولًا.

وثانيًا: العمل على تغيير المنهج الإعلامي وارتقائه، وتجاوز الإعلام الفارسي المتسلل، وبأسلوب أجدى ومهنية أعلى.

تأزم العلاقات الإيرانية التركية: الدوافع والآفاق

وحدة الرصد والتحليل، مركز «صناعة الفكر» (٢٠١٧/٣/١٢)

مقدمة

تمثل تركيا وإيران قوَّتين إقليميتين صاعدتين، تمتد مصالحهما إلى خارج حدودهما الجغرافية، في ظل تشابك مناطق النفوذ بينهما؛ خاصة في العراق وسوريا.

وتشهد العلاقات التركية الإيرانية تأزمًا غير مسبوق، تمثَّل في: حدة تصريحات القيادة التركية تجاه جارتها ومنافستها إيران، والردود الإيرانية المنفعلة عليها، حيث شملت مواقف القيادة التركية مستويات سياسية عدة، تصدرها الرئيس رجب طيب أردوغان خلال كلمة له في «معهد السلام الدولي» بمملكة البحرين، أكد فيها رفضه لتوجهات البعض لتقسيم سوريا والعراق، وعدم الوقوف مكتوفي الأيدي أمام الظلم الحاصل هناك، وضرورة التصدي للقومية الفارسية في البلدين.

بالمقابل ردت إيران باستدعاء السفير التركي لديها، وأبلغته استنكارها وانزعاجها من التصريحات التركية، ثم توالت تصريحات سياسيي البلدين التصعيدية، قبل أن ينعكس لقاء التهدئة بين رئيسي البلدين؛ أردوغان وروحاني، في العاصمة الباكستانية، على هامش قمة «منظمة التعاون الاقتصادي»، بالاتفاق على تحسين العلاقات؛ بحسب وكالة الأنباء الإيرانية.

أتى هذا التصعيد في العلاقة بين البلدين بعد التدخل التركي العسكري في شمال سوريا (عملية درع الفرات)، وما نتج عنه من مساندة للجيش الحر السوري بهدف: إقامة منطقة آمنة، وتزامنت هذه التطورات مع تغيرات شهدتها علاقة البلدين مع القوى الدولية، وفي مقدمتها: الولايات المتحدة، بالإضافة إلى انشغال الدولتين في استحقاقين ديمقراطيين مهمين على مستقبل نظامهما السياسي والانعكاسات الخارجية، والمتمثلين في: الاستفتاء التركي على التعديلات الدستورية في (أبريل/نيسان) القادم؛ الذي يستهدف: تغيير النظام التركي من برلماني إلى رئاسي، والانتخابات الرئاسية الإيرانية في (مايو/أيار) القادم، والمتوقع أن تشهد تنصيب المرشد الثالث للجمهورية الإيرانية خلفًا لخامنئي.

تتناول هذه الورقة البحث عن دوافع التصعيد بين البلدين، وظروفه، وآفاقه، والمحددات الحاكمة له:

◙ قراءة المستجد في مواقف تركيا وإيران:

خلال أسبوع واحد زار زعيما تركيا وإيران دول الخليج العربي، فبينما زار الرئيس رجب أردوغان كلًّا من البحرين والسعودية وقطر، زار الرئيس روحاني الكويت وعُمان.

سعى الرئيس التركي خلال الزيارة إلى: تعزيز التعاون مع دول الخليج؛ التي تواجه تهديدات إيرانية؛ في محاولة منه لتقديم بلاده شريكًا قادر على المساهمة في حفظ الأمن وتبادل المصالح.

في حين حاول الرئيس الإيراني: إحداث اختراقات في علاقة بلاده بدول الخليج، بعد أن شهد توترًا معها خلال المرحلة الماضية؛ باستثناء سلطنة عُمان التي تتمتع بعلاقات جيدة مع طهران.

تعمد الرئيس التركي في أثناء زيارته مملكة البحرين -التي غالبًا ما تشتكي من تدخلات إيران في شؤونها الداخلية- إلى انتقاد سياسة إيران الطائفية في المنطقة، ودعا للتصدي للقومية الفارسية في العراق وسوريا، وكان الرئيس أردوغان صرَّح -سابقًا- بأن الحشد الشعبي يمثل تهديدًا لأهالي الموصل في العراق ومنهم: التركمان، وقال أن دور هذا الحشد، وما وصفه بـ«التوسع الفارسي» في العراق، ليس بالأمر الإيجابي.

ردة فعل طهران تمثلت باستدعائها سفير تركيا لديها، وأبلغته استنكارها الشديد لتصريحات الرئيس أردوغان، لكن أنقرة وعلى لسان وزير الخارجية مولوود تشاويش أوغلو -خلال ندوة على هامش المؤتمر الـ (٥٣) للأمن في مدينة ميونخ الألمانية- كررت الانتقادات التركية للسياسة الإيرانية في المنطقة، ووصفتها بالطائفية.

وهو مصطلح كثر تداوله في الآونة الأخيرة من قبل الساسة الأتراك، بصيغ متعددة؛ منها: «سياسة إيران الطائفية تقوِّض -للأسف- السلام في عدد من الدول الإقليمية؛ مثل: البحرين والسعودية، وعدد آخر من بلدان الخليج.

كذلك؛ فإن إيران تسعى إلى تحويل سوريا والعراق إلى دولتين شيعيتين، وهذا أمر خطير للغاية، ولذلك نحن بحاجة إلى أن

نحث إيران على التوقف عن هذا الطموح الذي يمس بالاستقرار والأمن».

المتحدث باسم وزارة الخارجية الإيراني بهرام قاسمي رد قائلًا: «إن أولئك الذين يدعمون المنظمات الإرهابية، ويتسببون بسفك الدماء، ويمهدون الطريق للتوترات وعدم الاستقرار في المنطقة؛ لا يمكنهم الهروب من المسؤولية من خلال اتهام الآخرين».

وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف انتقد ما عدها المواقف اللامسؤولة للحكومة التركية تجاه بلاده، ووصف تركيا بأنها: جارة ذاكرتها ضعيفة وتنكر الجميل؛ حيث يتَّهمون الجمهورية الإيرانية بالطائفية، وكأنهم تناسوا موقفنا في ليلة حدوث الانقلاب العسكري الأخير، وكيف أننا بقينا نتابع الأوضاع حتى الصباح.

المتحدث باسم الرئاسة التركية إبراهيم كالن صرح قائلًا: «لا يمكن غضُّ النظر عن جهود إيران للحصول على نفوذ خارج حدودها»، مؤكِّدًا أن بلاده لا تريد تصعيد الموقف مع إيران، لكن «عليها أن تعيد حساباتها».

وكان مستشار المرشد الإيراني علي أكبر ولايتي صرح: «أن الشعبين العراقي والسوري سيطردان الجنود الأتراك إذا لم تسحب أنقرة قواتها من تلك الدولتين».

المتحدث باسم الخارجية التركية حسين مفتي أوغلو، قال: أنَّ إيران مسؤولة عن التوتر وعدم الاستقرار في المنطقة، مشيرًا إلى أن النظام الإيراني لا يتورع عن إرسال من لجؤوا إليه بسبب الأزمات في المنطقة إلى ساحات الحروب؛ في إشارة إلى اللاجئين الأفغان والباكستانيين.

الجدير بالذكر: أن العلاقات التركية الإيرانية مرت منذ صعود حزب العدالة والتنمية إلى السلطة عام (٢٠٠٢) بمرحلتين:

الأولى: استمرت إلى عام (٢٠١١)، تعززت فيها العلاقة بين البلدين، نتيجة حاجة التبادل للمصالح بينهما؛ وخاصة الاقتصادية، في ظل الحصار المفروض على إيران حينها، ورغبة تركيا في أن تمارس دور الوسيط في تسوية ملف البرنامج النووي، وتبنيها دبلوماسية تصفير المشاكل.

المرحلة الثانية: بروز التباينات على التفاهمات حول بعض المواقف السياسية، وهو ما أدى إلى اهتزاز الثقة -الضعيفة أصلًا- بين أنقرة وطهران، وتجلت تلك التباينات في مواقف الدولتين من الثورة السورية، وزيادة التدخل الإيراني في شؤون العراق.

وازدادت العلاقات سوءًا نتيجة التدخل الإيراني عسكريًّا في سوريا، بقيادة قائد فيلق القدس قاسم سليماني، وحشد إيران للمليشيات الموالية لها؛ «مليشيات حزب الله» من لبنان، و«مليشيات الحشد الشعبي» من العراق، و«ألوية فاطميون وزينبيون» الأفغاني والباكستاني.

أثرت تلك التوترات في مؤتمر الأعمال؛ الذي كان مقرَّرًا في الـ (٢٥ من فبراير / شباط) في طهران بين تركيا وإيران، وكان سيمثل تركيا: وزير الاقتصاد نهاد زيبكجي، وسيمثل إيران: وزير الصناعة والتعدين والتجارة محمد رضا نعمت زاده، لكن بسبب التوترات المتصاعدة بين البلدين ألغى زيبكجي رحلته، ثم أُجِّل المؤتمر، وحتى الآن لم تحدَّد مواعيد جديدة.

◙ نقاط التشابك:

تتسم العلاقات الإيرانية التركية بـ: التباين والتنافس، مع ضعف للثقة بينهما، وتجمعها الجغرافيا والاقتصاد، وتفرقها السياسة والتنافس على النفوذ في المنطقة.

استطاعت إيران خلال السنوات القليلة الماضية أن تحدث اختراقات إستراتيجية على حساب جارتها التركية وجيرانها العرب، حيث وجدت تركيا ذاتها العام الماضي محاصرة بالنفوذ الإيراني في كل من العراق وسوريا، في ظل علاقات صعبة مع روسيا من جهة، قبل تحسنها، وفتور في علاقاتها مع شركائها في «حلف الناتو» من جهة أخرى، بالإضافة إلى محاولة انقلاب فاشلة.

في المقابل حظيت إيران بشراكة مع روسيا في حربها المساندة لنظام بشار الأسد، وبعلاقات جيدة مع إدارة الرئيس الأمريكي السابق، وحصلت بعد ذلك محاولة لإعادة التوازن في علاقات البلدين الخارجية؛ بعد التفاهم الروسي التركي، وتغير الموقف الأمريكي من إيران وتركيا لحساب الأخيرة.

سوريا: فوجئت إيران بسرعة التفاهمات بين تركيا وروسيا، وتجاوزهما لحادثة إسقاط أنقرة للطائرة الروسية، ومن ثم التنسيق بين البلدين حول خروج المدنيين والمسلحين من حلب، على عكس ما كانت تريد إيران وحلفاؤها (نظام بشار الأسد والمليشيات الشيعية)؛ من الاقتحام العسكري والقضاء عليهم.

ومن ثم جمعت تركيا الروس بقيادة المعارضة السورية، وتكلل الاجتماع باتفاق أنقرة، وبعدها أشركت روسيا إيران إلى جانب تركيا في اجتماعات موسكو؛ التي ضمت وزراء خارجية ودفاع البلدان الثلاثة، وتوج بإعلان موسكو الذي دشن حوار المعارضة مع النظام السوري -لاحقًا-، في مؤتمر (أستانة) و(جنيف٤)، وهو ما شكل بداية لعودة النفوذ التركي في سوريا.

العراق: خلال العام الماضي تصاعدت حدة الانتقادات الإيرانية لوجود قوات تركية داخل الأراضي العراقية في معسكر «بعشيقة»، ويرى بعض المراقبين: أن إيران كانت وراء رفض حليفتها الحكومة العراقية مشاركة القوات التركية في الحرب على تنظيم داعش في مدينة الموصل العراقية.

بدورها رفضت تركيا خروج قواتها؛ متعللة بخطر وجود المليشيات الكردية على حدودها، ورفضت مشاركة مليشيات الحشد الشعبي في المعركة، وطالبت قوات التحالف الدولي بمنعه من دخول الموصل ومدينة تلعفر التي فيها التركمان.

واتهمت تركيا الحكومة العراقية بتبني سياسة طائفية، وممارسة انتهاكات ضد أهل السنَّة، وإقصائهم، وترى في مليشيات الحشد الشعبي أداة إيرانية تهدد مصالحها.

*** الدوافع:**

◙ الدوافع التركية:

● المحافظة على مصالحها الإقليمية، وتحجيم النفوذ الإيراني في المنطقة:

منذ فوز «حزب العدالة والتنمية» برئاسة الحكومة في العام (٢٠٠٢) بدأت السياسة الخارجية تولي اهتمامًا بمحيطها الجنوبي، ومع مماطلة مفاوضاتها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي اتجهت أكثر تجاه المنطقة العربية، واستطاعت تقوية علاقاتها بدول المنطقة؛ مع تبنيها سياسة تصفير المشاكل.

لكن دعم تركيا لثورات الربيع العربي عقَّد علاقاتها ببعض دول المنطقة؛ إلا أن تدخل إيران العسكري الفج في سوريا، ودعمها للحوثيين في اليمن -ومن قبل في العراق-، وكذلك زيادة حدة التصريحات الإيرانية المستفزة تجاه دول الخليج؛ أسهمت في عودة التحسن إلى العلاقة التركية الخليجية.

● تعزيز علاقاتها السياسية والاقتصادية والأمنية بدول مجلس التعاون الخليجي العربي:

تحتاج تركيا إلى علاقات إيجابية مع دول مجلس التعاون الخليجي، على غرار علاقتها بدولة قطر؛ تمكنها من استقطاب الاستثمارات الخليجية.

فتركيا تعتقد: أن تبنيها سياسة حادة تجاه إيران سيعزز من علاقتها بدول الخليج؛ وخاصة المملكة العربية السعودية، وتنعكس -أيضًا- على عقد بيع صفقات أسلحة لدول الخليج، المشهورة بكثرة الإنفاق العسكري.

● استغلالها للتغير في سياسة الإدارة الأمريكية الجديدة:

تسعى تركيا إلى استغلال فرصة التغير في سياسة الإدارة الأمريكية الجديدة تجاه إيران؛ التي قد تعمل على كبح طموحات إيران التوسعية، وتُضيِّق حجم نفوذها بالمنطقة.

◙ الدوافع الإيرانية:

■ المحافظة على نفوذها في المنطقة:

ترى إيران: أن أي مرونة تجاه تركيا ستقلل من إنجازاتها التي حققتها خلال الفترة الماضية في العراق وسوريا، وينعكس سلبًا تجاه حلفائها، في مقابل عودة حظوظ أسهم تركيا وحلفائها؛ وخاصة في سوريا ودول الخليج العربي.

■ خشية إيران من تعزيز العلاقات التركية مع دول الخليج:

تخشى طهران من تعزيز علاقة أنقرة بدول الخليج العربي؛ وعلى وجه التحديد المملكة العربية السعودية، لذا تحاول تطويق تركيا والحد من مكانتها، لإدراكها بخطورة التقارب والتنسيق بين تركيا ودول الخليج العربية على مصالحها في المنطقة.

كما تعمل على تبني سياسة مراوغة؛ لتقريب تركيا منها، ومنع تحولها إلى خصم جديد.

◙ محددات حاكمة للعلاقات بين البلدين:

تتوافر عدة محددات ثابتة ومتغيرة تحكم مستوى العلاقات التركية الإيرانية في حالتي: التصعيد والتفاهم، منها: جغرافية الحدود المشتركة، وملف الأكراد، والاقتصاد والطاقة، وتطلعات البلدين الخارجية -وقد سبق بيان بعضها في الدوافع أعلاه-.

الجغرافيا: تجمع الجغرافيا بين تركيا وإيران في حدود مشتركة تبلغ نحو (٥٠٠ كم)، وتتشارك الدولتان خطر احتمالية تمكن الأكراد من إقامة «كردستان الكبرى» على المنطقة الحدودية بينهما وأجزاء من العراق وسوريا.

وهو ما يفرض على البلدين استمرارية التنسيق والتعاون بينهما؛ ولو بالحدود الدنيا، التي تمنع الأكراد من استغلال أي فرصة لإقامة دولتهم على حساب البلدين.

الاقتصاد: بلغت قيمة التبادل التجاري بين إيران وتركيا (٨ مليارات و٤٠٠ مليون و٤٠٠ ألف) دولار خلال الشهور العشرة الأولى من العام الماضي (٢٠١٦)، وهو ما سجل انخفاضًا بلغ (٢١٥ مليونًا و٨ آلاف) دولار خلال الفترة المشابهة من العام الماضي.

ووفقًا للمعهد الإحصائي التركي؛ فقد بلغ حجم التبادل التجاري بين البلدين (٩.٧ مليارات) دولار خلال عام (٢٠١٥).

الغاز الإيراني: تستورد تركيا عشرة مليارات متر مكعب من الغاز الطبيعي من إيران سنويًّا، أي: نحو خمس احتياجاتها السنوية، وكان رئيس شركة «الغاز الوطنية الإيرانية» صرح: أن إيران ستخفض سعر تصدير الغاز الطبيعي إلى تركيا (١٣.٣) بالمئة، وتدفع إلى أنقرة (١.٩ مليار) دولار تعويضًا، عقب قرار محكمة تحكيم دولية.

يأتي التصعيد التركي بعد أن أوشك فصل الشتاء على الانتهاء، وعودة العلاقة مع روسيا، وهو ما يقلل من خطر انقطاع الغاز الإيراني في هذه الفترة، مع إدراك الحاجة المتبادلة إلى تحسن العلاقة وانعكاسها على قيمة التبادل التجاري بين البلدين، في ظل تشدد سياسة الولايات المتحدة بعهد الرئيس ترامب تجاه إيران.

◙ آفاق العلاقات بين البلدين:

في ضوء طبيعة العلاقات التركية الإيرانية، ورصد المواقف الأخيرة ودوافعها، وتحليلها، مع استحضار المحددات الحاكمة للعلاقة بين الدولتين؛ يكمن أفق العلاقة بين التصعيد والاحتواء كما اعتادت الدولتان، مع بقاء التباين تجاه القضايا والمصالح والتنافس على النفوذ.

◙ السيناريوهات:

الأول: التصعيد:

قد تسعى قيادة أحد البلدين أو كليهما إلى تصعيد المواقف، بهدف: الاستقطاب الإقليمي، وتعزيز النفوذ، وصرف الاستحقاقات الداخلية باتجاه الخارج.

إلا أن إمكانية تحقق هذا السيناريو ضعيفة؛ نظرًا لطبيعة المرحلة التي يمر بها البلدان، في ظل تشاركهما في علاقات دولية متوترة مع القوى الدولية، ولكن شريطة: تجنب الاحتكاك المباشر بين الدولتين في العراق أو سوريا.

الثاني: الاحتواء:

قد يسعى البلدان إلى احتواء الأزمة، واستمرار التعاون بينهما في تبادل الاحتياجات الثنائية اقتصاديًّا، والتنسيق السياسي في بعض القضايا المتعلقة بالمصالح المشتركة.

إلا أنه من المتوقع أن تبقى الأسباب الرئيسية المتعلقة بالنفوذ تثير المشاكل بينهما طرديًّا، مع تطور إمكانيات البلدين الصاعدين، ورغبتهما في توسيع نفوذهما في ظل محيط عربي هش، تمزقه الحروب والاستقطابات الإقليمية.

ما يعزز هذا السيناريو: انشغال الدولتين بشؤونهما الداخلية خلال المرحلة المقبلة، وتغير علاقات الدولتين بمحيطيهما الإقليمي والدولي؛ خصوصًا أن القوى الدولية لا تفضل صعود أي منهما، بالإضافة إلى مرونة السياسة التركية وقدرتها على الموائمة بين علاقتها مع دول الخليج؛ وخاصة المملكة العربية السعودية من جهة، وإيران من جهة أخرى، مع تأكيد استمرار تباين موقف الدولتين من قضايا المنطقة، وتناقض مصالحهما، والتنافس على النفوذ.

تضامن القاعدة وإيران.. واقع ينفيه الطرفان (تقية)

صحيفة «العرب» اللندنية، (٢٠١٧/٧/٣)

(خلاصة بحث علي عبد العال: (موقف القاعدة وداعش من إيران)، ضمن الكتاب (١٢٤)، (إبريل ٢٠١٧) «إيران والإخوان الشيعة القطبيون»، والصادر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث - دبي).

الصلة التي تجمع التنظيمات الإسلامية المتطرفة - وإن اختلفت مذاهبها - لا تحتاج حججًا وبراهين، بل تؤكدها الوقائع، وصلة إيران بأغلب التنظيمات الإرهابية - حتى التي لا تقاسمها المذهب - لا تحتاج جهدا لبيانها.

فلول تنظيم القاعدة الهاربة من أفغانستان مطلع الألفية وجدت الملاذ في إيران، قبل التوجه للعراق للمساهمة في توسع الحريق بعد حدث (١١ سبتمبر ٢٠٠١)، ثم سقوط العراق تحت الاحتلال في العام (٢٠٠٣).

استقبلت السلطات الإيرانية لجوء أُسر تنظيم القاعدة إلى أراضيها «بهدوء»؛ على حد وصف مصطفى حامد أبي الوليد المصري - مؤرخ القاعدة، ومنظر المجاهدين العرب -، «وعرضت عليهم تسهيل عبورهم إلى خارج البلاد»..

ثم وضعت أسرة أسامة بن لادن وبعض القيادات رهن الإقامة الجبرية بمجمع سكني في طهران، تشرف عليه استخبارات الحرس الثوري، بينما هرب داخل إيران من هرب، وآوت المناطق السنية في بلوشستان أعدادًا أخرى.

كانت إيمان - ابنة أسامة بن لادن - قد هربت من حراسها الإيرانيين، في شهر (ديسمبر ٢٠٠٩)، ولجأت إلى السفارة السعودية في طهران؛ فاستضافتها السفارة لأكثر من ثلاثة أشهر ونصف الشهر، إلى حين مجيء والدتها نجوى الغانم من سوريا، فوصلت إلى طهران في مارس (٢٠١٠)، وقامت مع ابنتها بمراجعة الدائرة المختصة بالأجانب، ثم سافرتا إلى سوريا على متن رحلة تجارية.

وأما أم حمزة - وهي إحدى زوجات ابن لادن، وهي: خيرية صابر -؛ فقد وصلت إلى باكستان، ثم تولى وسيط من «القاعدة» إيصالها إلى المجمَّع السكني في «أبوت أباد»؛ حيث كانت تقيم مع زوجها إلى حين مقتله في مايو (٢٠١١)، ولكنها لم تكن الخيط الذي أوصل الأميركيين إليه، ربما لأنهم لم يتتبعوا تحركاتها، أو لأنهم فقدوا أثرها في باكستان.

وطبقًا لرواية مصطفى حامد؛ فإن إيران خلال حوالي عام بعد الغزو الأميركي عام (٢٠٠١) اتبعت سياسة «الباب المفتوح» إزاء الذين فروا من أفغانستان، ولقد سمح الإيرانيون للعرب وعائلاتهم بدخول البلاد، «حتى أنهم عرضوا المساعدة على بعضهم».

ويضيف موضحًا: «في الواقع فإن بعض رجال الدين الشيعة تحمسوا لإيواء العرب في إيران وحمايتهم وعدم تسليمهم، وقد جابهتهم معارضة معاكسة، فظهرت كتابات رأيناها على بعض الجدران في طهران تدعو إلى إبعاد العلماء الشيعة الطالبانيين إلى أفغانستان!

وأقول - أيضًا -: إن هؤلاء قدموا دعمًا مهمًّا غير منظور للعرب في زاهدان وطهران».

أما العبور الثاني؛ فيحكي قصة المرور الطوعي لبعض المقاتلين، بهدف: الوصول إلى العراق عبر إيران؛ للتصدي للغزو الأميركي الذي كان متوقعًا للعراق.

ففي إطار حكايته عن قصة خروج أبي مصعب الزرقاوي من أفغانستان إلى العراق مع مجموعته؛ حكى سيف العدل - المسؤول الأمني في القاعدة، واسمه: محمد صلاح الدين زيدان، وهو مصري الجنسية -، قائلًا: «الأميركان لمسوا أن الإيرانيين يغضون الطرف عن نشاطنا في إيران؛ فبدأوا بشن حملة إعلامية مركزة على إيران، وبدأوا يتهمونها بأنها تساعد القاعدة والإرهاب العالمي».

يضيف سيف العدل: «كانت ردة فعل الإيرانيين: أن بدأوا بملاحقة الشباب واعتقالهم، والبدء بعملية ترحيلهم إلى أوطانهم السابقة، أو إلى حيث يريدون، المهم: أن يخرجوا من إيران».

وتابع: «الخطوات التي اتخذها ضدنا الإيرانيون أربكتنا، وأفشلت (٧٥) بالمئة من خطتنا! تم اعتقال العدد الأكبر من الشباب: مجموعة أبي مصعب الزرقاوي، تم اعتقال حوالي (٨٠) بالمئة من أفرادها، كان لا بد

من وضع خطة سريعة لخروج أبي مصعب والإخوة الذين بقوا طلقاء معه، الوجهة كانت: العراق، الطريق: الحدود الشمالية بين العراق وإيران، الهدف كان: الوصول إلى مناطق السنة في وسط العراق، والبدء بالتحضير والبناء لمواجهة الغزو الأميركي وهزيمته -بإذن الله-.

وقد تمكنَّ أبو مصعب الزرقاوي مِن الهرب، مع الإخوة من إيران، بِخطة ومكيدة مُحكمة -يسرها الله ﷻ-».

أخيرًا، يحكي أبو الوليد المصري مفصلًا؛ فيقول: «بعض العرب وافقوا على أن تشرف السلطات الإيرانية على عبورهم للحدود، أو أن تسلمهم لحكوماتهم -حسب رغبة بعضهم-؛ خاصة الجدد الذين وفدوا إلى أفغانستان في وقت متأخر، وليست لهم سوابق جهادية، فأسكنتهم في فندق كبير في طهران إلى أن تسلمتهم حكوماتهم، تحت إشراف «الأمم المتحدة»؛ كنوع من الضمانة».

لكن فر بعضهم «خوفًا من أن تسلمهم إيران لحكومات بلادهم؛ على خلاف ما يرغبون هم فيه، فتفرقوا في مدن مختلفة كي يختبئوا فيها، وتم إلقاء القبض عليهم في فترة لاحقة، وحدث القليل من الاشتباكات المسلحة، فأودعوا السجون».

ويعتقد أبو الوليد (مصطفى حامد): أن هؤلاء الذين بقوا في إيران وقد أذيع أن من بينهم قياديين في القاعدة والجهاد الإسلامي في مصر، وآخرين لديهم مكانة أو خبرات مميزة، قد تم التحفظ عليهم هناك كأوراق للمساومة، فهم «يعاملون كأوراق لعب، وإيران تريد أن تستخدمهم لعقد صفقة».

كما يرى: «أن القاعدة كانت تريد الارتباط بإيران، ولكن لأهداف مختلفة، لقد أرادت: أن تنشئ خطوط عبور خاصة بها عبر البلد.. القاعدة حاولت إيجاد خطوطها الخاصة صوب أفغانستان؛ دون علم الحكومة الإيرانية، وعبر بلوشستان».

كان من بين مَن خرج: أُسر قيادات في التنظيم: أسرة أسامة بن لادن، وفيهم إحدى زوجاته (خيرية صابر)، برفقة ابنها حمزة، وابنته فاطمة -بنت أسامة بن لادن-، برفقة زوجها سليمان أبو غيث، وسعد وعثمان وبكر وإيمان أبناء ابن لادن من زوجته الأولى نجوى الغانم، إضافة إلى أحفاده من ابنه سعد وهم: أسامة وأسماء وضُحى.

ومن القيادات: أبو الخير المصري، والمسؤول الشرعي أبو حفص الموريتاني، والمسؤول الأمني سيف العدل، ومصطفى حامد أبو الوليد المصري، وسليمان أبو غيث، وغير هؤلاء.

يروي أبو الوليد المصري قصة فرار مجموعات من الأُسر -وكان يقودهم «شاب عربي» لم يسمه-؛ فيقول: «نجا بصعوبة هو ومن معه من النساء والأطفال (عرب وأستراليين)، ثم عبر الحدود إلى باكستان، وبعد عدة أشهر نجح في الاتصال بعدد من السكان البلوش الإيرانيين السنة في مدينة زاهدان الحدودية، ورتب معهم بيوتًا للعرب المنهكين؛ الذين عبروا الحدود مع المهربين.

فاختبأ العرب المرعوبون في بيوت البلوش؛ الذين قدموا لهم كل دعم ممكن من جهد المقلين، إلى أن ضج العرب من الكلفة النفسية للاختباء في أماكن ضيقة ومزدحمة؛ فطلب قادتهم من عبد الله الاتصال بالمسؤولين الإيرانيين للتفاوض (للاستسلام)».

سوق «الشأن الإيراني»

د. مدى الفاتح، «القدس العربي»، (٢٠١٧/٦/٢١)

منذ بزوغ نجم إيران كأحد اللاعبين الرئيسيين في المنطقة، وتجاوزها لمساحتها وحدودها لما يصل إلى ما هو أبعد منذ ذلك العهد؛ الذي يمكن التأريخ له بحرب الخليج الأولى: ازدهر في العالم العربي «سوق المتناولين للشأن الإيراني»؛ فظهرت الكتابات والإسهامات التي حاولت إلقاء الضوء على ما وصف بأنه من أهم تحديات القرن!

هذه «البضاعة» التي وجدت رواجًا كبيرًا كان الكثير منها -للأسف!- مغشوشًا! لكن ذلك لم يمنع استهلاكها أو الترويج لها؛ لما تحمله من رسائل، ربما لأنه لم تكن هناك رؤى منافسة أو بديل منهجي.

البضاعة المغشوشة تلك لم يسلم منها الاتجاهان المتناقضان: الاتجاه الذي يتعامل مع إيران كتحدٍّ جادٍّ، والآخر الذي يتعامل معها كقبلة للممانعة.

ما يشغلني في هذا المقال ليس الاتجاه الثاني؛ الذي وجد رواجًا إبان الدعاية التي صاحبت حرب (٢٠٠٦) في لبنان، وما تم

الترويج له -آنذاك- من انتصار لميليشيات المقاومة «الشيعية» المدعومة من طهران، ذلك الاتجاه الذي انحسر إثر تدخل هذه «المقاومة» في سوريا، ومشاركتها في نصرة النظام، وفي الحرب ضد الشعب هناك.

وإنما سنتعرض هنا لبعض الإشكالات المرتبطة بالاتجاه الأول: المندد بالمشروع الإيراني، وهي إشكالات متنوعة بحسب حالة أصحابها، من هؤلاء -مثلًا- من تسيطر عليه فكرة وحيدة، وهي: أن إيران إنما تستهدف عقيدة أهل السنة، وأنها تريد: نشر التشيُّع، وتخريب الدين الصحيح.

هذا الرأي لا يخلو من صحة بالتأكيد، ولكن الاكتفاء بترديد مثل هذه العبارات الفضفاضة يقود في نهاية المطاف لتسطيح الصراع!

أصحاب هذه النظرة -وتهربًا من مناقشات واقع القرن الواحد والعشرين؛ الذي هو واقع معقَّد ومربك ومتشابك-، يلجأون إلى التنقيب في كتب التاريخ، واستعادة وقائع الدولة الصفوية؛ من أجل إثبات الصراع التاريخي بين الشيعة وعموم أهل السنة.

استلهام التاريخ مفيد، ولكن المشكلة تكمن في: فقدان القدرة على الربط بين التاريخ وما هو قائم بين يدي الناس، ولذلك فإن أصحاب هذا الطرح يعجزون في كثير من الأحيان عن تبيان السبب الذي يجعل إيران تدعم حركات المقاومة ضد الكيان الصهيوني، وهنا سوف تشمل المقاومة «حزب الله»، ولكن -أيضًا- وإن كان بدرجة أقل «حركة حماس» السنية.

لن يفسر طرح الهوس «الصفوي» بملاحقة أهل السنة علاقة إيران بتركيا الدولة السنية الناهضة، وما تحمله في طياتها من وشائج اقتصادية، رغم الاختلاف حول بعض ملفات المنطقة، كما لن تفسر الكثير من تحركات طهران التي ظلت لعقود مناهضة للغرب، عكس بعض دول «السنة» التي كانت -وما تزال- تفتخر بكونها من حلفائه.

بالمقابل؛ نجد أن هناك طرحًا آخر مبنيًّا على نقد تلك المدرسة الأولى، وهو طرح يدَّعي المهنية والروح الأكاديمية، ويقوده في كثير من الحالات بعض الذين درسوا أو ترددوا لفترات طويلة على إيران.

خلاصة هذا الطرح نجدها في مخرجات بعض مراكز البحوث والدراسات؛ التي يمكن وصفها بالخالية من الدسم! لأنها رغم ما تقدمه في كثير من الأحيان من أطر موضوعية ومنهجية إلا أنها تتعمد -مدعية التسامي عما هو طائفي-: أن تتجاهل البعد العقدي للتحركات الإيرانية، فتكتفي بالتركيز على الجوانب السياسية، وكأنها تتناول بلدًا علمانيًّا أو ملحدًا لا مكان للعقائد فيه!

من المؤسف انتشار مثل هؤلاء الباحثين في بعض المراكز؛ التي وجدت أساسًا لمجابهة الخطر الإيراني، فإذا بهم يسعون لإقناعنا بأن «الجمهورية الإسلامية» ليست سوى مجرد دولة «عادية»، تبحث عما يدعم اقتصادها ويعزز أمنها!

المدرستان تقدمان رؤية مضللة وغير واقعية، وتخدمان بشكل غير مباشر السياسة الإيرانية في المنطقة، فالأولى المرتكزة بشكل وحيد على صراع السنة والشيعة، والتي تلقى قبولًا ورواجًا كبيرًا عند شرائح اجتماعية واسعة؛ يتم الاستدلال بها من قبل طهران على ضيق أفق العرب، وهوسهم الطائفي غير المبرر.

أما الثانية -والتي هي على النقيض-؛ تتحدث عن تنافس سياسي مجرد مع السلطة التوسعية في إيران، فتجد تشجيعًا من قبل الأخيرة رغم ما تقدمه من نقد لاذع -أحيانًا- لسياستها، بسبب أنه اتجاه يبدو قابلًا للنقاش والالتقاء عند نقطة المنتصف، طالما تم تحييد العامل الديني.

هذا هو السبب في أن إيران تفضل دعوة أمثال هؤلاء لحلقاتها البحثية وملتقياتها الحوارية، كما ترحب بهم إذا كانوا يريدون تغطية أحداث مهمة؛ كالانتخابات الإيرانية -مثلًا-، وحينها سيذهب هؤلاء وسيحدثوننا عن «صراع الأجنحة» وعن «العرس الديمقراطي» في إيران، كما سنرى تغطيتهم السطحية لفرحة الشارع بفوز «الإصلاحي» روحاني، وربما يحدث أن يلتقطوا صورًا في ذلك الشارع مع العامة فرحًا بفوز «رمز الاعتدال»!

إلا أن هذا ليس كل شيء، فهناك ضمن هذا السوق الكبير: دجالون يتم تقديمهم كخبراء ومتخصصين في الشأن الإيراني، وهم في حقيقتهم: مجرد ديكور يعمل على إكمال المشهد؛ بإضفاء صبغة تبدو وكأنها علمية عليه، في حين أن كل ما يقولون ليس سوى دعاية! دعايات عن ضعف إيران وترنحها الاقتصادي، ومشكلاتها الداخلية المعقدة، رغم أن كل من عنده نظر لن يستطيع منع نفسه من التساؤل البسيط:

إيران بهذا الضعف قد احتفلت بوضع أربع عواصم عربية في جيبها، فما بالك لو كانت في أحسن حالاتها؟

من أهم مشكلات هذا الدجل: الخلط بين التحليل والخبر، فلا شك أنه يجب ألا يحجر على رأي أي شخص، وعلى رؤيته وتحليله مهما بدا للآخرين غير مقنع، إلا أن الأخبار شيء آخر؛ فهي لا تقبل أن تؤخذ من أكثر من زاوية، ولا يمكن لحدث أن يكون خبرًا إلا إذا كان موثقًا.

من أمثلة ذلك الخلط: الخبر «العاجل» الذي تناقلته عدة منابر إخبارية تابعة لمحور «الاعتدال» عن تدخل الحرس الثوري الإيراني لحماية الأمير القطري، إثر الأزمة مع دول الخليج المجاورة.

كان من الواضح أن مصدر الخبر هو: أحد «الدجالين»؛ الذين أرادوا ركوب الموجة التي كانت تروِّج لعلاقة «خاصة» بين الدوحة وطهران، وانطلاقًا من هذا لم يستبعد «المصدر» تدخلًا إيرانيًّا مباشرًا، ووصولًا للحرس الثوري إلى قصور الإمارة، وهو ما تم تناقله ليس على كونه تخمينًا أو مجرد تحليل، بل كخبر عاجل في سياق مجموعة من الأخبار المفبركة الهادفة للتحشيد والتهييج!

مثال آخر على فوضى الخلط هذه: ما تعلق بتحليل العمل الإرهابي الذي استهدف العاصمة الإيرانية مؤخرًا؛ حيث تجاهل كثيرون إعلان تنظيم «الدولة» مسؤوليته، مركزين على فرضية وحيدة، وهي: أن هذا العمل معد من قبل إيران، ومشكلة هذه الفرضية أنها تمنع مناقشة الأسباب الموضوعية التي جعلت «التنظيم» يتجه لاستهداف العمق الإيراني، في سابقة هي الأولى من نوعها.

مع تجاهل ذلك تتناسل نظريات المؤامرة المترابطة والمتناقضة التي تربط إيران بالتنظيم، وتكاد تجزم أنها قد سهلت له هذه الضربة للاستفادة منها إعلاميًّا.

إيران بالنسبة للبعض من الضخامة بحيث يستبعدون حدوث أمر داخل أو خارج حدودها، دون تخطيطها وعلمها المسبق.

من الحقائق الموضوعية -على كل حال-: أن الحرس الثوري قد يكون المستفيد الأكبر من هذا الحادث، وبالنظر إلى دخول هذه المؤسسة في منافسة لإثبات الأهمية مع أجنحة أخرى نافذة داخل السلطة الإيرانية، يبدو ذلك أمرًا مهمًّا.

هذه المنافسة يدلل عليها: تصريح أخير لعلي لاريجاني -رئيس البرلمان- عن اختلاف وجهات النظر حول دور الحرس الثوري.

ربما يكون الحرس هو المستفيد الأكبر من هذه الأحداث؛ التي جعلته يرد على المشككين بأهمية الدور الذي يلعبه في المنطقة؛ خاصة تجاه تسليح وتجنيد «الحلفاء» في جزيرة العرب. أو لعلها تكون -كما وصفها البعض- مجرد مسرحية لإثبات قدرة الحرس الثوري؛ الذي وصل بسرعة إلى مكان الحادث وقتل الإرهابيين، وهو ما سيمنح المؤسسة حرية أكبر في التحرك والتسلط، دون أن تجد معارضة؛ خاصة من جهة البرلمانيين الذين يشعرون تجاهها ببعض الغيرة.

كل هذا سيحدث؛ حتى إن لم يكن هناك تنسيق فعلي مع التنظيم؛ الذي اعتدنا على قيامه بتحركات متهورة وغير مدروسة، فلم يخطر ببال المنفذين -مثلًا- أنه قد ينتج عن عملهم هذا مزيد من الإجراءات القمعية تجاه المناطق السنية التي تعاني مسبقًا من التمييز.

كل ذلك يبقى في دائرة الاحتمال، الشيء الوحيد المؤكد هو: استفادة إيران من ذلك الحدث، وتوظيفه لتبرير وجودها في كل من سوريا والعراق، باعتبارها قد صارت معنية بخطر الإرهاب وليست مجرد طرف ثالث.

المهم هو: أن يبقى الاحتمال احتمالًا، والتحليل تحليلًا، والخبر خبرًا، ويا له من أمر صعب في زمن الاستقطاب الحاد الذي نعيش فيه!

طابور إيران الخامس: «آيات الله» الصغار في مصر

شريف عبد الحميد، قناة «الحمرة»، (٢٠١٧/٧/٦)

للنظام الإيراني «طابور خامس» من السياسيين والإعلاميين والمثقفين في العالم العربي، هم بمثابة «أبواق طهران» المدافعين عنها وعن مواقفها السياسية في كل المحافل والمناسبات؛ حيث لا يتورع «آيات الله» الصغار هؤلاء عن دعم نظام «الملالي» بكل قوة؛ على الرغم مما ارتكبه هذا النظام من مذابح في حق المواطنين العرب في سوريا والعراق واليمن، وفي غير بلد عربي، في سياق الحرب الطائفية التي تشنها طهران من منطلقات طائفية محضة ضد أهل السنة؛ سواء في داخل إيران أو خارجها.

وتعد قيادات حزب «العمل» المصري أحد أهم القوى السياسية التي حرصت على تأييد إيران، والتواصل معها بشكل دائم منذ منتصف عقد الثمانينيات من القرن الماضي، ما جعل الحزب وصحيفته «الشعب» صوتًا مدافعًا عن سياسة طهران في كل مناسبة.

ووفق الكاتب والباحث أسامة الهتيمي كان من بين أهم مظاهر العلاقة الإيرانية المتميزة بحزب «العمل»: أن أصدر الحزب الكثير من الكتب والدراسات التي تتحدث عن كون الدولة الإيرانية «نموذجا للنهضة والتنمية»، يجب أن يُحتذى في مصر والعالم العربي!

الرابط الخفي:

ثمة رابط خفي بين هذا التوجه الذي تبناه حزب «العمل» تجاه إيران، وبين تولي المستشار الدمرداش العقالي منصب نائب رئيس الحزب حتى عام (١٩٨٥)، وكان «العقالي» قد أصبح شيعيًّا في السبعينيات من القرن العشرين، ووجد لنفسه موطئ قدم في قيادة حزب سياسي كبير نسبيًّا، ما دفع الحزب إلى تبني وجهات النظر الإيرانية حيال القضايا المطروحة في العالم العربي.

وتصاعد تحكم إيران في مقدرات حزب «العمل» بعد تولي الكاتب الراحل عادل حسين منصب الأمين العام للحزب؛ حيث اتهمته السلطات المصرية صراحةً بالعمل لحساب إيران، وبأنه أداة التواصل بين الدولة الإيرانية وعناصر الجماعات الأصولية المسلحة، وتم احتجازه لنحو (٤٥) يومًا.

وبعد ثورة (٢٥ يناير ٢٠١١) واصل حزب «العمل» بقيادة مجدي أحمد حسين تأييد طهران على طول الخط، من خلال موقع صحيفة «الشعب» على شبكة الإنترنت؛ فضلًا عن المؤتمرات الجماهيرية التي كان يعقدها الحزب في المسجد الأزهر كل يوم جمعة، والتي كانت تتضمن خطبًا وكلمات لقيادات الحزب تدعم وتؤيد السياسات الإيرانية.

وأسس مجدي أحمد حسين حزبًا جديدًا، تحت اسم: «حزب العمل الجديد»، تغير فيما بعد إلى «الاستقلال»، متخذًا له مقرًّا فخمًا في حي «جارن سيتي» -أحد أرقى وأهم أحياء القاهرة-، وهو أمر غريب إذا علمنا أنه كان يدير الحزب في السابق من شقة متواضعة بحي «المنيل»! كما استبدل الرجل سيارته القديمة من ماركة «شاهين» بأخرى من موديل حديث، كما زار طهران أكثر من مرة.

وحسب الهتيمي؛ فقد عكست اللقاءات التي عقدها مجدي حسين في طهران حجم التقدير الإيراني له، وأن طهران لا تتعامل معه باعتباره زائرًا عاديًّا، إذ التقى حسين -وفق مقال كتبه ونشره في صحيفة «الشعب»- كلا من وزير الخارجية علي أكبر صالحي؛ الذي استقبله استقبالًا حافلًا، وجلس معه قرابة الساعة، وفي تصرف «غير بروتوكولي» -بتعبير حسين نفسه- أصر الوزير على مصاحبته إلى الممر الخارجي المفضي إلى المصعد.

كما التقى حسين -أيضًا- الدكتور علي لاريجاني -رئيس مجلس الشورى-؛ والذي رحب به ترحيبًا شديدًا.

وعندما زار الرئيس الإيراني السابق محمود أحمدي نجاد مصر؛ التقاه حسين، وأثنى خلال اللقاء على «الدور الإيراني» في المنطقة العربية، واصفًا طهران بأنها: «راعية المقاومة الفلسطينية»! كما صرح حسين خلال لقائه مع سعيد جليلي -أمين المجلس الأعلى لمجلس الأمن القومي الإيراني- في العاصمة الإيرانية طهران بأن: «الشعب المصري استلهم ثورته من الثورة الإيرانية».

وثمة حديث متكرر يتردد في أروقة الحزب عن تشيع مجدي حسين، استنادًا لبعض الأفكار التي يطرحها في الندوات واللقاءات التثقيفية الخاصة بأعضاء الحزب وكوادره، وهناك من يصر على أنه تشيع بالفعل، ومن بين هؤلاء: الصحفي أسامة عبد الرحيم؛ الذي كان ناشطًا في الحزب، كما عمل -أيضًا- في صحيفة «الشعب» الإلكترونية؛ إذ يقول: «بعد وفاة عادل حسين أحضر المستشار الدمرداش العقالي مرجعًا شيعيًّا إيرانيًّا اجتمع مع مجدي حسين، وهو من قام بدعوة مجدي للتشيع».

أما الكاتب الدكتور رفعت سيد أحمد -أحد قادة حزب «العمل» سابقًا- فهو يشرف على لجنة دعم المقاومة الإسلامية في الجنوب اللبناني برئاسة «حزب الله»، ويرأس «مركز يافا للدراسات»؛ الذي تموله جهات شيعية، والذي يُصدر العديد من الدوريات والكتب للدفاع عن أفكار ومنهج «حزب الله»، في حين يهاجم بعض الدول السنية بقسوة.

وتولى أحمد السيوفي -أحد صحفيي جريدة «الشعب» السابقين- منصب مدير مكتب قناة «العالم» الشيعية الإيرانية في القاهرة، وطالب السيوفي في أكثر من ندوة ومناسبة عامة بـ «تجاوز الحديث عن مسألة الشيعة والسنة»، قائلًا: «لا نريد التوقف أمامها كثيرًا؛ فهي توضع بين يدي العلماء الذين لعبوا بشكل كبير في هذا الموضوع ولهم مقارنات كبيرة بين المذهبين، فعلينا أن نغلق هذا الملف».

فيما يتعلق بالجانب السياسي؛ قال السيوفي أن: «هناك ثلاث دول تقاطع إيران هي: أمريكا وإسرائيل ومصر، وليس من العدل: أن تكون مصر في قطيعة مع إيران، فمن الناحية الجغرافية؛ مصر لها وضع إفريقي متميز، وإيران لها وضع آسيوي متميز، وبالتالي سيصبح كل منهم نافذة على قارة الآخر من خلال العلاقة بينهما».

واعتبر السيوفي أنه: «لو كانت هناك إرادة سياسية حقيقية يمكن أن يحدث تفاهم بين الطرفين، لأن الخلافات بين مصر والولايات المتحدة، ومصر وإسرائيل، أكثر من الخلافات بين مصر وإيران، فلماذا -إذن- القطيعة بين القاهرة وطهران؟ إن هذا الأمر غير منطقي، ولا بد من تصحيحه فورًا!».

ومن عملاء إيران -أيضًا-: الكاتب المصري المتشيِّع صالح الورداني؛ الذي كان عضوًا في تنظيم «الجهاد»، والذي كتب في أحد كتبه قائلًا: «بعد خروجي من المعتقل في منتصف الثمانينيات احتككت بعدد من الشباب العراقي المقيمين في القاهرة، من المعارضة وغيرهم، وكذلك مع الشباب البحرينيين الذين كانوا يدرسون في مصر، فبدأت التعرف على الفكر الشيعي وعلى أطروحات التشيُّع؛ من خلال مراجع وكتب وفروها لي، ومن خلال الإجابة على كثير من تساؤلاتي الفكرية».

العرَّاب الفارسي:

ويعد الكاتب الصحافي فهمي هويدي أحد أشد المدافعين عن إيران، وله كتاب بعنوان: «إيران من الداخل»، يدافع فيه باستماتة عن النظام الإيراني! وكان هويدي هو أول صحفي عربي يجري حوارًا مع الرئيس الإيراني وقتها محمود أحمدي نجاد، عقب فوزه بالانتخابات الرئاسية التي أُجريت عام (٢٠٠٩)، إلى حد أن البعض أطلق على هويدي لقب: «العرَّاب الفارسي».

وتحت عنوان: «فهمي هويدي مدافع صلب عن النظام الإسلامي في إيران»، قالت «وكالة أنباء فارس» في تغطيتها للزيارة: «استقبل الرئيس نجاد الكاتب المصري فهمي هويدي الذى يزور طهران حاليًا، والمعروف بعلاقاته الوطيدة مع المسئولين في إيران».

ووصفت الوكالة «هويدي» بأنه: «من المنظرين المصريين المعارضين لمواقف حكومة الرئيس (الأسبق) حسنى مبارك، مشيرة إلى أن «هذه أرفع مقابلة من نوعها للكاتب المصري مع المسئولين الإيرانيين خلال زياراته المتعددة لطهران، حيث يعد من أكثر المدافعين عن السياسة الإيرانية».

ويقف هويدي مع إيران في كل الأزمات، ولا يرى أي خطورة في محاولاتها التبشيرية لنشر التشيُّع في مصر والعالم العربي، إذ كتب قائلًا: «لا يوجد تبشير بالشيعة، فهذه مجرد دعوة لمذهب يقوم به بعض الأفراد المقتنعين بأن من واجبهم الدعوة إلى هذا المذهب، كما لا يوجد ما يسمى: «المد الشيعي» أصلًا؛ إنما يوجد إعجاب بالنموذج الشيعي في إسقاط الشاه، ويوجد إعجاب بالنموذج الشيعي في مقاومة إسرائيل».

ويغض هويدي الطرف كل أطماع إيران في المنطقة العربية، ويرى أنه (لا وجود للأطماع الإيرانية): «هذا ما يريدونه في الغرب: أن نخاف من إيران! فلا نتحد معها سياسيًا، لأنهم يعرفون لو أن السنة اتحدوا مع الشيعة سياسيًا لتغيرت موازين القوى في العالم كله، ولكن المقصود من الدول المهيمنة الكبرى: ألا يحدث أي تقارب بين إيران والدول السنية»!

وحسب الباحثيْن مهدي مبارك ومحمود الشهاوي؛ فإن من بين أبرز المشاهد في علاقة هويدي وإيران: هجومه على الدكتور أحمد الطيب -شيخ الأزهر- أثناء زيارة الرئيس الإيراني «نجاد» ووفد مصاحب له إلى المؤسسة، بعد حديث «الطيب» في المؤتمر الصحفي الذي أعقب اللقاء عن اضطهاد السنة في طهران وبغداد.

وفي كتابه «من الحوار اكتشف الحقيقة» يكشف الكاتب الشيعي السوري هشام آل قطيط صراحة عن تحوُّل هويدي إلى اعتناق المذهب الشيعي؛ حيث يقول -آل قطيط-: «إن أحد أبرز المثقفين المتحولين إلى المذهب الشيعي: الأستاذ القدير فهمي هويدي، الكاتب

المصري الشهير، صاحب كتاب «إيران من الداخل»، وغيره من المقالات والكتب الجيدة» (ص ٢٢٠ من الكتاب).

اللوبي الإعلامي الإيراني:

يقول محمد محسن أبو النور -الباحث في العلاقات المصرية-الإيرانية- أنه: «منذ نجاح ثورة (٢٥ يناير) في إسقاط مبارك والدولة الإيرانية تسعى إلى توثيق علاقتها بعدد من الإعلاميين المصريين البارزين، وذلك بهدف: استخلاص مواقف داعمة ومؤيدة للتحركات الإيرانية، بل ومدافعة -أحيانًا- عن سياساتها التي -غالبًا- ما تثير لغطًا وحساسيات لدى الأنظمة والشعوب العربية».

ويضيف أبو النور أن: «من بين هؤلاء الإعلاميين المصريين: الكاتب الصحفي والإعلامي وائل الإبراشي، صاحب برنامج «العاشرة مساء» على قناة (دريم ٢)، والمقدم السابق لبرنامج (الحقيقة)»، مشيرًا إلى أنه: «كان من المعلوم لدى المتابعين لبرامج الإبراشي الحالية والسابقة ذلك الانحياز في مواقفه للدولة الإيرانية وسياساتها».

ويوضح أبو النور أن: الإبراشي هو من قدم تلك الحلقة الخاصة من برنامج (الحقيقة) عن زواج «ملك اليمين» التي أثارت جدلًا كبيرًا في الشارع المصري، والتي قدم فيها الإبراشي بطلها المدعو: المهندس عبد الرؤوف عون باعتباره: «داعيةً ومفكرًا إسلاميًّا، وأنه واحد من آل بيت النبي محمد ﷺ».

ويشير الباحث إلى أن: إيران حرصت -أيضًا- على أن توثق علاقتها وتتواصل مع ما يسمى: «بوكالات وشركات البث المباشر»؛ والتي تقوم بإعداد وتقديم مواد تلفزيونية كخدمة إعلامية لبعض القنوات الفضائية التي ليس لها مكاتب خاصة في القاهرة.

وكان من أبرز هذه الشركات: «الشركة المصرية للإعلام»؛ التي تعود ملكيتها للإعلامي خالد السيوفي -نجل أحمد السيوفي، مدير مكتب «قناة العالم»-؛ والذي يقوم بعمل تقارير يومية لـ (٢٠) قناة شيعية.

واعتقلت المخابرات المصرية خالد السيوفي بتهمة: بث برامج على الهواء بدون ترخيص، حيث أمدت الشركة عشرات القنوات الشيعية في الخليج بمواد تلفزيونية دون أن تحصل على إذن من الهيئات المختصة ببث هذه المواد.

ومن بين الشركات -أيضًا-: شركة «فيديو كايرو سات»، وهي شركة بارزة تعود ملكيتها إلى المهندس محمد جوهر -صاحب «قناة ٢٥»-؛ التي تم استقطابها عن طريق إرسال تعاقدات بينها وبين قنوات شيعية في العراق، من بينها: قناتا «الاتجاه والزوراء»، وهي قنوات تقدم مبالغ مالية كبيرة في مقابل الخدمات الإعلامية.

ويكشف أبو النور عن أنه في أعقاب ثورة (يناير): انتشر ما عرف بـ «موسم الحج إلى طهران»؛ حيث يتم تنظيم رحلات سفر لنحو (٣٠ أو ٤٠) إعلاميًّا مصريًّا وإعلامية إلى طهران كل أسبوع أو أسبوعين، حيث تقوم هيئات إيرانية بتنظيم برنامج خاص لهؤلاء الإعلاميين للتعرف على إيران خلال فترة الزيارة، ولاستخلاص مواقف متضامنة مع إيران؛ إذ أن الإعلاميين والصحفيين بشكل لا إرادي يتعاطفون مع الدولة الإيرانية نتيجة حالة الإبهار التي تنتابهم مما يشاهدونه! حيث لا يرون إلا كل ما هو جميل ومنظم في إيران.

وهو بالطبع أمر متعمد؛ فليس للإعلامي أو للصحفي حق التنقل بحرية كاملة، وفي حال رغب في التنقل بمفرده يكون في صحبته أحد رجال الاستخبارات الإيرانية.

ويورد أبو النور بعض أسماء الشخصيات والهيئات القائمة على تنظيم رحلات الإعلاميين لطهران، ومنهم: الكاتب والصحافي طارق السنوطي؛ الذي اعتبره الأبرز في هذه المسألة، وهو رئيس القسم الدبلوماسي بصحيفة «الأهرام المسائي»، ومنهم -أيضًا-: الباحث أحمد عبد الرحمن.

ويذكر أن: عدد الإعلاميين الذين سافروا لإيران منذ ثورة (٢٥ يناير) وحتى الآن بلغ -تقريبًا- نحو (٥٠٠) إعلامي.

علاقة إيران بقيادات الإرهاب في ليبيا... ومخطط طهران لنشر الفوضى في شمال أفريقيا

«إيران بوست»، (٢٠١٧/٦/١٢)

تظهر وثائق وزارة الخزانة الأميركية: أن تاريخ العلاقة بين إيران وتنظيم القاعدة الليبي والعناصر ذات الصلة بتنظيم القاعدة بما في ذلك «الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة»؛ يرجع إلى ما قبل بداية الثورة في (٢٠١١).

أكدت وثائق وزارة الخزانة الأميركية إلى: وجود علاقات إيرانية مع المقاتلين ذوي الصلة بتنظيم القاعدة الذين انضموا للصراع ضد القذافي.

وأخيرًا؛ وفي فعل درامي من قبل وزارة الخزانة الأميركية في (٢٠١١) زعمت الوزارة وجود «تحالف بين القاعدة وإيران»، وأشارت إلى بعض عملاء تنظيم القاعدة في ليبيا الذين كانوا يعملون مع ابن لادن، وكانوا يعيشون في وقت ما في إيران.

وفي الوقت نفسه؛ كان هناك عدد من الرسائل المرسلة من ابن لادن أو إليه؛ التي عثر عليها في منزله بأبوت آباد عقب اغتياله، والتي تشير إلى بعض أتباعه الليبيين الذين يعيشون في إيران.

وفي (فبراير - شباط ٢٠٠٦) صنفت وزارة الخزانة الأميركية خمسة أشخاص وأربعة كيانات كإرهابيين «عن دورهم في تمويل (الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة)، وهي جماعة تابعة لتنظيم القاعدة ومعروفة بالقيام بأنشطة إرهابية في ليبيا وبالتعاون مع تنظيم القاعدة في جميع الأنحاء، وكان من بينهم: الليبي محمد بن حامدي؛ الذي وصف بأنه «من الممولين الرئيسيين للجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة».

وذكرت الوثيقة: أنه قبل أربعة أعوام «احتجز» المسؤولون الإيرانيون ابن حامدي عندما وصل إلى إيران قادمًا من أفغانستان، ومع ذلك -وكما قال الصحافي الأميركي توماس جوسلين- أفادت إحدى هيئات الأمم المتحدة في ذلك الوقت بأن ابن حامدي «ربما يكون قد أرسل أكثر من (١٠٠ ألف) دولار من إيران إلى المملكة المتحدة؛ باعتباره ممولًا للجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة».

وفيما يتعلق بفكرة احتجاز إيران لمقاتلي «القاعدة»؛ نقل جوسلين عن أحد كبار المسؤولين بالاستخبارات الأميركية قوله: «إن الاحتجاز قيد الإقامة الجبرية يعد فرصة جيدة لعقد الاجتماعات».

وبعد عام من تصنيف بن حامدي في (يونيو - حزيران ٢٠٠٧)؛ صنفت وزارة الخزانة مواطنًا ليبيًّا آخر باعتباره عميلًا للجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة وهو: نور الدين دبسكي، ووفقًا لوثيقة وزارة الخزانة فإن دبسكي «سافر إلى أفغانستان في بداية التسعينات، وانضم لتنظيم القاعدة وتلقى تدريبًا عسكريًّا في معسكرات تنظيم القاعدة.

ويعتقد أن دبسكي من كبار أعضاء الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، وعضو في اللجنة العسكرية لتلك الجماعة الإرهابية.

انضم دبسكي إلى الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة عندما كان في أفغانستان، وفي (أغسطس - آب ٢٠٠٥) تم اعتباره أحد أعضاء الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة في إيران».

وبعد ذلك باثني عشر شهرًا؛ صنفت وزارة الخزانة المواطن البحريني عادل محمد محمود عبد الخالق باعتباره إرهابيًّا؛ نظرًا «لتقديمه الدعم المالي والعيني واللوجيستي إلى تنظيم القاعدة وللجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة».

وذكرت الوثيقة أنه: «في الفترة بين (٢٠٠٤ و٢٠٠٧) سافر عبد الخالق إلى إيران خمس مرات نيابة عن تنظيم القاعدة والجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة؛ لتسهيل بعض المهام، وخلال كل من هذه الرحلات كان يلتقي بأحد كبار المسؤولين بـ (القاعدة) عن عمليات التسهيل.

وخلال نفس تلك الفترة الزمنية قدم عبد الخالق دعمًا ماديًّا إلى تنظيم القاعدة والجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة؛ من خلال تزويدها بالأجزاء الكهربائية التي تستخدم في المتفجرات، وأجهزة الكومبيوتر، والمعاطف، وأجهزة الـ (جي بي إس)، وغيرها من الأجهزة.

بالإضافة إلى أن عبد الخالق كان يرتب نقل المقاتلين والأموال والمواد لمعسكرات الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة بباكستان».

وفي (٢٨ يوليو - تموز ٢٠١١) قالت وزارة الخزانة: أن الحكومة الإيرانية عقدت تحالفًا مع تنظيم القاعدة تسمح بمقتضاه للجماعة الإرهابية بنقل مقاتليها وذخيرتها وأموالها إلى قواعد في أفغانستان وباكستان.

وفي وقت الانتقال نحو انسحاب القوات الأميركية من أفغانستان، يعتقد محللو الاستخبارات الأميركية: أن إيران وسوريا كانتا تعملان لفترة طويلة مع تنظيم القاعدة للقضاء على الجيش الأميركي في العراق، وكانت إيران تلجأ إلى تكتيكات مشابهة لتعزيز رحيل القوات الأميركية من أفغانستان.

وصنفت وزارة الخزانة ستة من عملاء «القاعدة»، نظرًا لقيامهم بالإشراف على شبكة تنظيمهم في إيران، ومن بينهم كان: عطية عبد الرحمن الليبي، وهو مواطن من مدينة مصراته بشرقي ليبيا.

وأفاد التصريح بأن: «أسامة بن لادن هو من عينه لكي يعمل ممثلًا لـ (القاعدة) في إيران، وهو المنصب الذي يمكنه من دخول إيران والخروج منها بتصريح من المسؤولين الإيرانيين».

ووفقًا إلى صفحة بوثيقة «مكافآت وزارة الخارجية من أجل العدالة» -التي كانت قد صدرت من قبل حول عبد الرحمن، وكانت تقدم جائزة لاعتقاله-: كان العميل -أيضًا- «يجند أعضاء الجماعات الإسلامية الأخرى، ويسهل المباحثات معهم للعمل تحت تنظيم القاعدة.. (و) كما أنه عضو بالجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة وجماعة أنصار السنة».

ويرجع تحالف عطية عبد الرحمن مع تنظيم القاعدة إلى الفترة الأصلية للعرب الأفغان في الثمانينات، ووفقًا لوزارة الخارجية انضم عطية «لأسامة بن لادن في أفغانستان عندما كان لا يزال في مرحلة المراهقة، ومنذ ذلك الوقت حاز وضعًا مميزًا في تنظيم القاعدة؛ كخبير مفرقعات، وفقيه إسلامي».

الصلة بين إيران وكبار أعضاء تنظيم القاعدة الليبيين:

وأضافت الوثيقة: أن عبد الرحمن كان تعرف على أبو مصعب الزرقاوي شخصيًّا في مدينة «هرات»، في أواخر التسعينات، واصطحب أسامة بن لادن نفسه في رحلة إلى الحدود الأفغانية الباكستانية في خريف (٢٠٠١).

وفي (أكتوبر-تشرين الأول) السابق على تصنيف وزارة الخزانة لعبد الرحمن كإرهابي؛ كانت الحكومة الأميركية تتمنى أن تتمكن من قتله في هجوم بالدرون في شمال وزيرستان الخاضعة لهيمنة طالبان، ولكن من الواضح أنه تمكن من تفادي الطائرة.

ويمكن النظر إلى مثال آخر على وجود صلة بين إيران وكبار أعضاء تنظيم القاعدة الليبيين في وثائق بن لادن نفسه؛ التي تمت مصادرتها من منزله بأبوت آباد؛ ففي تقرير مرسل لابن لادن من أحد عملائه، يرجع تاريخه إلى (٢٠ أبريل ٢٠١١) كانت هناك فقرة مكثفة حول مساعي «القاعدة» في ليبيا، تكرر فيها ذكر إيران.

ولمح العميل إلى: أن «الإخوة» من الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة «الذين يخرجون من السجون وغيرهم في شرق ليبيا (في بنغازي ودرنة والبادية والمناطق المحيطة) يقولون: إن هناك صحوة جهادية إسلامية نشطة، وإنهم كانوا ينتظرون هذه الفرصة منذ فترة بعيدة للغاية».

وأفاد: بأن أحد العملاء الذي يطلق عليه: «أنس» سمح له بالسفر من ليبيا إلى إيران، ومن الواضح أن أنس ليبي الأصل، كان محتجزًا لفترة من الزمن في إيران مع أبو مالك الليبي المعروف باسم: (عروة الليبي)؛ باعتباره أحد أهم الإخوة، والذي سمح له -أيضًا- بالسفر من إيران إلى ليبيا.

ووصفت الرسالة «عروة» باعتباره: أحد أهم الإخوة في الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة، وأضافت الوثيقة أنه «ظل في إيران ولم يأت إلينا، وقبل شهر سافر إلى ليبيا ووصل بسلام، ودعا بعض الإخوة، وكان واحدًا من أهم الإخوة في الميدان، ونتوقع أن يكون له دور كبير في ليبيا».

ولكن بعد عدة أيام من الخطاب المرسل لابن لادن ظهرت تقارير في ليبيا تفيد بأن قوات القذافي قتلت أبو مالك.

وعند النظر إلى هذه القائمة من عملاء تنظيم القاعدة الليبي أخبرت بعض الشخصيات بالاستخبارات الأميركية «المجلة» بأن جميعهم بينهم عنصر مميز يجعلهم أقوياء ومهمين من ناحية الحوكمة الجهادية في ليبيا: «فإذا ما أخذت جماعة مثل: الجماعة الإسلامية المقاتلة، هناك اختلاف رئيسي بين عملائها الذين سافروا إلى أفغانستان ولم يعودوا إلى ليبيا، وبين هؤلاء الذين عادوا واعتقلهم القذافي: فمن خلال صدور عفو عام في (٢٠٠٩-٢٠١٠) حصل مقاتلو الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة على حريتهم مقابل الموافقة على خلع الحكومة.

وفي ليبيا -ما بعد القذافي- كان الأعضاء السابقون بالجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة هم الأكثر اعتدالًا؛ حيث كانوا أكثر استعدادًا للعمل مع حكومة انتقالية ذات مصداقية، أو المشاركة في شكل من أشكال الحكومة المنتخبة أو النظام الديمقراطي.

وفي المقابل؛ فإن العائدين كانوا أكثر استعدادًا للانضمام لتنظيم داعش».

وهناك الكثير من المسؤولين عن المأساة الكبرى التي تشهدها ليبيا -ما بعد سقوط القذافي-، بعضهم معروف تمامًا، والبعض الآخر ليس معروفًا بهذا القدر.

ولكن من بين الكثير من الأطراف التي تسببت في مرض السياسة الليبية الحالي والذين يستحقون قدرًا أكبر من الاهتمام هو: الدور الخفي الذي تلعبه إيران هناك، فعندما وصلت رياح ثورة (٢٠١١) للسواحل الليبية أعربت بعض الأصوات القيادية في طهران علانيةً عن تأييدها لخلع نظام القذافي؛ رغم رفضهم الصارم للتدخل الغربي في النزاع.

ومباشرة بعد سقوط طرابلس؛ صرح وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي في حوار مع صحيفة «جام جام» الإيرانية بالقول: «لقد كنا على اتصال مع الجماعات المتمردة في ليبيا قبل سقوط القذافي».

وأضاف: أن حكومته أرسلت شحنات من المساعدات غير العسكرية للكثير من الجماعات هناك.

وأضاف: أنه في أعقاب خلع القذافي تلقى الرئيس الإيراني في ذلك الوقت محمود أحمدي نجاد رسالة شكر من رئيس «المجلس الوطني الانتقالي» مصطفى عبد الجليل.

وبعيدًا عن هذا المستوى الرسمي من التفاعل بين القيادتين الثوريتين؛ من المحتمل أن يكون هناك تاريخ خفي للعلاقات بين إيران من جهة، والمقاتلين الليبيين الذين ينتمون لـ «القاعدة»، ويتقاطع تأثيرهم العسكري والسياسي والثقافي على البلاد مع ظهور تنظيم داعش.

وكما اتضح من اكتشافات وزارة الخزانة الأميركية، وأرشيف أسامة ابن لادن نفسه -الذي حصلت عليه القوات الأميركية من منزله بأبوت آباد بباكستان - كان الكثير من كبار المتطرفين الليبيين يعملون من داخل إيران، وينقلون الأموال عبر إيران، ويستخدمون إيران كنقطة وسيطة بين قواعد التدريب في أفغانستان وباكستان ومعقلهم في شمال أفريقيا.

وفي بداية اندلاع الثورة الليبية صنف أحد كبار مساعدي ابن لادن أحد هؤلاء العملاء على وجه خاص باعتباره: «أحد أهم الإخوة في الميدان، والذي نتوقع أن يكون له دور في ليبيا».

لماذا اهتم نور الدين وصلاح الدين بإنشاء المدارس السُّنِّية؟

د.علي بن محمد عودة الغامدي، «المرصد السني»، (٢٠١٧/٧/٧)

لقد اهتم العبيديون منذ أن استولوا على مصر والشام سنة (٣٥٨ هجرية) بنشر عقيدتهم الباطلة -مثلما تعمل إيران اليوم-؛ فأنشأوا «دور الدعوة الإسماعيلية» في كل مدينة وبلدة في تلك البلاد.

واستطاعوا خلال قرن من الزمان تحويل الكثير من المسلمين فيها الى عقائدهم الإسماعيلية الباطنية الباطلة، ومما يدل على انتشار مذهب الرفض الباطني العبيدي: أن حلب -قلعة السنة عبر العصور؛ والتي تدمر الآن بسبب سنيتها!- قد انتشر فيها هذا الدين الباطل قبل سيطرة السلاجقة عليها، فلما أمر حاكمها المرداسي سنة (٤٦٢ هجرية) بالدعوة في خطبة الجمعة للسلطان السلجوقي والخليفة العباسي بدلًا من العبيدي، فخرج معظم من كان في جامع حلب الكبير احتجاجًا على هذا، وأخذوا معهم حصر المسجد، وقالوا: هذه حصر علي بن أبي طالب، وليأت أبو بكر وعمر بحصر للمسجد!!!!

وقد عمل السلاجقة في بلاد العراق وفارس على القضاء على الرفض؛ الذي نشره البويهيون بأنشاء المدارس التي كان على رأسها: «المدرسة النظامية»؛ التي أنشأها الوزير السلجوقي، ذو العبقرية الفذة، نظام الملك.

ولم يتمكن السلاجقة من إنشاء مدارس في الشام؛ بسبب مقاومة العبيديين الروافض في ذلك الحين، وبسبب الحرب الأهلية التي اندلعت بين ملوك البيت السلجوقي بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة (٤٨٥ هجرية).

ولما وصلت الحملة الصليبية سنة (٤٩٠) إلى الشام لم يكن في بلاد الشام مدارس، ولم يبدأ إنشاء المدارس إلا في عهد نور الدين؛ الذي منع الروافض في حلب من إقامة لطمياتهم المعروفة.

ولا يمكن للمنع وحده أن يقضي على العقائد الباطلة، فلا بد من تعليم النشء العقيدة الصحيحة؛ لذلك اهتم نور الدين بهذا أشد الاهتمام، بحيث لم يقل عن اهتمامه ببناء الجبهة الإسلامية المتحدة وجهاد الصليبيين، وسار بعد ذلك صلاح الدين على خطاه في إنشاء المدارس السنية على المذاهب الأربعة.

فقبل نور الدين لم يكن في حلب مدرسة واحدة، وكذلك لم يكن في دمشق مدرسة واحدة، وفي نهاية العهد الأيوبي أصبح في حلب (٤٦) مدرسة، وفي دمشق (٩٢) مدرسة، وفي القدس (١٢) مدرسة، ناهيك عن المدارس الأخرى في بقية مدن الشام المهمة مثل: حمص وحماة والخليل، غيرها من بلاد الشام.

ويمكن لمن يريد أن يعرف المزيد عن تلك المدارس: أن يرجع إلى كتاب عز الدين بن شداد: «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة» أجزاء حلب ودمشق وفلسطين... إلخ، وهناك كتاب النعيمي في مجلدين عن مدارس الشام، وعنوانه: «الدارس في تاريخ المدارس»، وكتاب «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» للعليمي، وغيرها كثير.

أما في مصر؛ فيمكن لمن أراد أن يتعرف على مدارسها التي أنشأها صلاح الدين ومن جاء بعده: أن يقرأ خطط المقريزي المشهورة «المواعظ والاعتبار».

ومن أشهر مدارس الشام: «المدرسة العادلية» بدمشق، إلى الشمال الغربي من الجامع الأموي، والتي بدأ بناءها نور الدين محمود سنة (٥٦٨)، لكنه توفي قبل أن تكتمل، ثم واصل بناءها الملك العادل وأتم بناءها ابنه المعظم عيسى.

وكان من أشهر مدرسيها: القاضي جمال الدين بن بدران المصري، وفخر الدين بن وفخر الدين بن عساكر، ومحي الدين بن الزكي -الذي ألقى أول خطبة جمعة في القدس بعد استرداده من الصليبيين-، وسيف الدين الآمدي، وغيرهم من كبار العلماء.

وكان لهذه المدرسة مكتبة ضخمة؛ إذ أوقف عدد من العلماء كتبهم عليها ليستفيد منها طلبة العلم؛ حتى أن بعض العلماء اكتفوا بما فيها من كتب، وصنفوا كتبهم.

وترتب على كثرة المدارس: أن ازدهرت الحياة العلمية في بلاد الشام، وبرز فيها علماء عظام مثل: ابن قدامة، والعز بن عبد السلام، وابن الصلاح، وغيرهم.

ومن المدارس العجيبة: «المدرسة الدخوارية»؛ التي اختصت بتدريس الطب، حيث أنشأها الطبيب المشهور مهذب الدين عبد الرحيم ابن حامد، الملقب بـ «الدخوار»؛ الذي أوقف عليها أوقافًا كثيرة تدر دخلًا كثيرًا للنفقة عليها وعلى الأطباء وطلبة الطب الذين يدرسون بها، وكانت تشبه إلى حد كبير كليات الطب الحديثة.

ومن أشهر مدارس حلب: «المدرسة الظاهرية»؛ التي أنشأها الظاهر غازي بن صلاح الدين؛ الذي جعل إدارتها بيد القاضي بهاء الدين بن شداد -قاضي جيش والده-.

وهذه مجرد لمحات موجزة عن تلك المدارس؛ التي أحيت السنة وأماتت بدعة الرفض، وأدت إلى ازدهار الحياة العلمية، وهو ما يمكن أن يكتب فيه مجلدات كثيرة.

ماذا بقي من ثورتنا؟

مجاهد مأمون ديرانية، «مدونة الزلزال السوري»، (٢٠١٧/٧/٦)

١ - ينبغي أن نملك ما يكفي من الشجاعة والواقعية لنعترف بأن ما فقدناه كثير كثير، وأن نملك ما يكفي من التفاؤل والإنصاف لنقرر أن ما بقي معنا كثير كثير.

باختصار: سوف ندرك حجم ما فقدناه عندما نقارن حالة الثورة اليوم بحالتها في مطلع عام (٢٠١٣)، حينما غطى العلمُ الأخضر سبعةَ أعشار الأرض السورية، وسوف ندرك حجم ما بقي معنا عندما نقارن حالنا اليوم بحالنا في بداية عام (٢٠١١)، عندما أحكم نظامُ الاحتلال الأسدي قبضتَه الفولاذية على أربعة وعشرين مليون سوري، يوم كان الهمسُ بكلمة انتقاد خجولة ضد النظام حلمًا من أشد الأحلام تحليقًا في عالم الخيال!

٢ - نعم، ما أكثرَ ما خسرناه وضيّعناه! وهما كلمتان مقصودتان غيرُ مترادفتين: «خسرنا» -بشرف- أراضيَ ومكتسبات سالت دفاعًا عنها دماؤنا أنهارًا،وبذلنا في سبيلها كرائمَ التضحيات، و«ضيَّعنا» -بغباء- أراضيَ ومكتسبات لم نحسن الدفاع عنها، فتخلَّينا عنها لعدو خَدَّاع رفعَ راية الجهاد وتقنَّعَ بقناع الدين.. والدينُ والجهاد منه بَراء!

وإنَّ مأساتنا لَتتضاعف ويزيد الجرح ألمًا حينما نعلم: أن ما ضيَّعْناه بغباء يبلغ عشرةَ أضعاف ما خسرناه بشرف! أكثر من نصف

مساحة سوريا (حرفيًّا) سلَّمناها لداعش بلا مقاومة تُذكَر ولا قتال، ثم عادت داعش فسلَّمتها للمليشيات الكردية والإيرانية والنظام.

أما ما فقدناه بشرف؛ وبعد مقاومة واستبسال سوف يسجلها التاريخ (في داريا والزبداني والوعر ووادي بردى وسائر المناطق التي طال صمودها قبل الانهيار)؛ فلا يكاد يبلغ معشار ما خسرناه بسبب داعش، وإنَّ من أعجب العجب: أن ما نذرفه على العُشر الأخير من دموع يبلغ أضعافَ ما ذرفناه على الأعشار التسعة الباقيات!!

٣- ذلك ما ضاع، أما ما بقي فما أكثرَه وما أعظمَه!

بقيت معنا: أراضٍ محرّرةٌ تكفي -بالميزان العسكري الصرف- «رأسَ جسر» إلى التحرير الكامل؛ لو عرفنا كيف نخوض المعركة.

بقيت في أيدينا: أسلحة كان حصولنا على عُشر معشارها في أول الثورة ضربًا من الخيال.

بقيت في قلوبنا: روح الثورة التي اتَّقدَت نارُها بالتضحيات العِظام الجِسام، ومهما ذهب منها فإنَّ في جمرتها الباقية من العنفوان ما يوقد مئة ثورة.

بقيت في أنفسنا الكرامة الُتي ضللنا الطريقَ إليها ثلاثين سنة، بل خمسين؛ حتى اهتدينا إليها وتذوَّقنا طعمها الجميل، فلن نعود إلى الذلة راغبين مستسلمين بعد اليوم.

بقيت في أذهاننا: التجربة المُرّة التي خضناها مع الغلوِّ والغلاة، فصار في مخزون السوريين من الوعي ما يوزَّع على شعوب العالم الإسلامي ويزيد.

بقيت لدينا: كفاءاتٌ وإبداعاتٌ صنعتها الثورة وطاقاتٌ وخبراتٌ صقلتها الثورة، كفاءات وخبرات في كل المجالات: العسكرية والسياسية والإدارية والقانونية والإعلامية، لو أُحسن تنظيمها وتفعيلها لقادت الثورة حتمًا إلى الانتصار بأمر الله.

٤- وماذا الآن؟

نستطيع أن ندفن رؤوسنا في الرمل ونقنع أنفسنا بأننا في أحسن حال! فلا نبحث عن عيوبنا وأمراضنا، ونتركها حتى تستكمل الفتك بثورتنا -لا قدَّر الله-، وهو أمر سيصنعه فريق منا بالتأكيد.

ونستطيع أن نصنع صنيع العاجزين؛ فنرفع راية الاستسلام ونقول: لم يبقَ شيء وعلى الثورة السلام، وهو أمر سيصنعه آخرون.

ونستطيع أن نتقمص الدور الأسوأ على الإطلاق، فنقول: لماذا ثرتم أصلًا ودمرتم البلد؟ أما كنا عايشين؟، وهو أمر صنعه ويصنعه قوم متبلِّدون، نقول لهم: بئس مَن يترك الجلاد ويلوم الضحية! ونقول لهم: ما أسوأه من وصف لحياة لا تزيد عن حياة البهائم في أقفاص حدائق الحيوان!

ونستطيع أن نكون خيرًا من أولئك جميعًا، وأقربَ إلى فهم القانون الإلهي القرآني الصارم؛ فنبحث عن الأسباب ونعالجها قبل فوات الأوان.

لقد كسبنا في أول الثورة مكاسبَ كبيرةً خسرنا -من بعدُ- كثيرًا منها، فمَن سأل عن سبب التراجع بعد التقدم وعن الخسارات بعد الانتصارات؛ فليقرأ قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[الشورى:٣٠].

اللهمَّ لك الحمد! لولا أنك عفوت عن كثير لأهلكَتْنا أفعالُنا منذ حين!

٥- يا أيها الناس! لا تكونوا من الآيسين؛ فتنفضوا من الثورة أيديكم، فإنها أعظم مشروع قام به أهل سوريا في نصف القرن الأخير، ولا تكونوا من المتواكلين؛ فتنتظروا تغييرًا بلا تغيير، فإن الله وعدكم بتغيير مقابل تغيير؛ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١].

ولا تكونوا من المتبلدين الذين يريدون أن نعود إلى أقفاص البهائم وحياة العبيد!

لو ماتت ثورتنا اليوم -لا قدَّر الله- فسوف يبدأ جيل قادم بثورة أخرى بعد سنوات؛ فيدفع مثلَ الثمن الذي دفعه هذا الجيل، لأن احتمال الحياة في قفص النظام الأسدي مُحال، فلماذا ندفع الثمن نفسه مرتين؟

إن إصلاح ثورة بقي من جَذوتها نصفُها أو نصفُ النصف أهون من بدء ثورة جديدة من الصفر بعد حين، فتداركوا ثورتنا قبل أن تحل الكارثة ونفقد ما بقي في أيدينا من إرث الثورة العظيم.

مدينة الذهب الأسود على موعد مع المجهول!

د فراس الزوبعي، «الوطن» البحرينية، (٢٠١٧/٧/٥)

ما يعرف بالعراق المصغر بسبب تنوعه العرقي والديني، وبمدينة الذهب الأسود بسبب غناها بالنفط وحقوله: كركوك.

تلك المدينة العراقية الغنية التاريخية، التي يبلغ عمرها (٥٠٠٠) سنة، تقف على موعد مع المجهول! وربما تسير على خطى الموصل في التدمير، وأتمنى أن أكون مخطئًا في التقدير.

منذ أيام وهناك تركيز مقصود في مواقع التواصل الاجتماعي على أن: تنظيم الدولة «داعش» خرج من الموصل؛ إلا أن (٢٠٠) مقاتل منهم يعتزمون الذهاب إلى كركوك.

وقد تكون هذه الأخبار توطئة لما سيحدث فعلًا، فلم يعد خافيًا أن تنظيم «داعش» كشركة مقاولات متخصصة في الهدم والتدمير والتخريب، وأن مقاتليها يشبهون بلدوزرات وآليات الهدم؛ تستعين به جهات سياسية لتسوية الأرض التي تريد السيطرة عليها.

ومن المتوقع أن تسمح الحواجز الأمنية في كركوك بدخول بعض أفراد هذا التنظيم إلى داخل المدينة لتنفيذ عمليات إجرامية، بعدها تدخل القوات الحكومية وميليشيات الحشد الشعبي التي بدأت بالفعل بالسيطرة على المناطق الجنوبية من المدينة؛ من خلال المتطوعين فيها من التركمان الشيعة من أهل المدينة الموالين لإيران؛ بالإضافة إلى بعض العرب الموالين لإيران أيضًا، ثم تبدأ عمليات القصف وتدمير المدينة، وتهجير أهلها منها.

لكن لماذا كركوك؟

ولماذا الآن؟

وما الهدف؟

ومن المستفيد من ذلك؟

كركوك تمتلك كل المقومات لتكون الهدف التالي؛ فالمدينة محاطة بالنفوذ الإيراني في محافظات صلاح الدين وديالى والسليمانية في إقليم كردستان.

كما أن السيطرة الكردية فيها لحزب «الاتحاد الوطني الكردستاني» التابع لجماعة جلال الطالباني، وهم على علاقة متميزة بإيران، وعلى خلاف مع الحزب «الديمقراطي الكردستاني» الحاكم في أربيل، كما أن إيران لها نفوذ داخل المدينة.

والأهم من ذلك كله: الثروات التي تحظى بها المدينة، وهي مدينة متنازع عليها، الكرد يريدون ضمها إلى كردستان، وبغداد تريد فرض سيطرتها عليها.. **ومن يسيطر عليها يسيطر على الثروة!**

أما لماذا الآن وفي هذا التوقيت؟

فهذا يتعلق بأمور عدة، أهمها: تلويح كردستان بالانفصال عن العراق، وإعلان الدولة الكردية، وعزمها إجراء استفتاء شعبي بهذا الخصوص.

وانفصال كردستان بدون ضم كركوك لها أمر غير ممكن، فكركوك تعني لهم موارد الدولة الجديدة.

يضاف لذلك: قرب الانتخابات البرلمانية في العراق، وكل الجهات تحشد لها، وهو موسم وسوق المزايدات المرتبطة بالدم والخراب.

كما أن الموصل انتهى العمل من تخريبها وتدميرها كليًّا، وهناك ميليشيات الحشد الشعبي التي لا بد من إشغالها وإلا عاد أفرادها إلى مدنهم، وبدؤوا بإشغال الحكومة والأحزاب بالمطالبة بحقوقهم، وافتعال المشاكل هناك؛ خصوصًا وأن أكثرهم فقراء مسلحون، اعتادوا القتل.

وهنا يظهر أن المستفيد من هذا العمل المتوقع: إيران أولًا؛ التي لا تريد السماح للأكراد بالانفصال عن العراق، وتريد إحكام سيطرتها على المدن العراقية.

يضاف لها: الأحزاب والحكومة العراقية الذين يريدون إجراء عملية استباقية للسيطرة على كركوك، وإجراء عملية تغيير ديمغرافي كبير فيها، وفي العملية وسيلة لعدم الدخول في مواجهة مع الأكراد والظهور بمظهر المساعد الذي يقدم لهم يد العون للتخلص من «داعش».

هذا هو السيناريو الذي حصل في كل المحافظات التي دخلتها جماعة «داعش»، ودمرتها بعد ذلك الحكومة والميليشيات.

معارك خطيرة منسية في حرب التغيير الديموغرافي

مطيع البطين، «ترك برس»، (٢٠١٧/٧/١٠)

إنَّ التعامل مع مخطَّط التَّغيير الدِّيموغرافي على أنَّه: مجرَّد تحويل وتبديل في البنية السُّكانيّة هو تعامل يتَّسم بالسَّطحيّة إلى حدٍّ بعيد في فهم الموضوع ومناهضته، والسَّعي بعد ذلك لإفشاله!

ولذلك؛ فإنَّ التَّركيز على أعداد المهجَّرين، وبشاعة الوسائل الَّتي يقوم بها المنفِّذون للتَّغيير الدّيموغرافي؛ قصفًا وتجويعًا وحصارًا وتهجيرًا واغتيالات وتصفيات في السجون، واعتقاد أنَّ هذه الحرب محصورة في ساحة هذه المعركة هو تركيزٌ وحصرٌ خاطئٌ، وتوصيف قاصر، يهمل معارك خطيرة كبرى ينبغي معرفتها، وتبيين مدى خطورتها، والعمل بعد ذلك على إفشال أهداف هذه الحرب في ميادينها المختلفة؛ معركةً فمعركةً وساحةً فساحةً.

وإنَّ إعطاب العجلة الواحدة في العربة يعيقُ حركتها، وإعطاب العجلات جميعًا يوقف سيرها تمامًا، فإذا كنَّا اليوم لا نستطيع ضرب عربة التَّغيير فإنَّنا وإلى حدٍ بعيدٍ نستطيع إعطاب العجلات وصولًا بعد ذلك إلى ضرب ماكينة التغيير، وبالتَّالي إيقاف عربة التَّغيير عن استكمال طريقها والوصول إلى أهدافها.

فما هي هذه المعارك المهمَّة المغفلة التي ينبغي معرفتها وخوضها؟

أولًا: معركة التَّوثيق:

وهي معركة تبيَّن بالحجج والوثائق من هم أصحاب الحقِّ والأرض والبلد الأصليُّون، مقابل هجمة التَّزييف والتَّحريف للصُّورة الحقيقيَّة للبلاد وأهلها، وهي قضيَّة نحتاج إليها في كلِّ المراحل الحاضرة والمستقبليَّة للأجيال، وفي مختلف المواضع والمحافل.

أمّا عن المفردات التي نحتاج توثيقها؛ فما أكثرها! وأهمَّها وأخطرها:

١ - **العقارات وملكيَّتها،** وخصوصًا بعد حرق السِّجلات العقاريَّة في مناطق متعدِّدة (القصير وحمص كأمثلة).

٢ - **السجل المدني؛** الذي تم استهدافه في العديد من المدن والمناطق.

٣ - **المباني ذات الدلالة،** نوثِّقها قبل وبعد وتاريخ البناء (السيدة سكينة في داريا مثالًا).

٤ - **البيوع للإيرانيين،** والأساليب المتبَّعة والوسائل التي تمارسها إيران في ذلك (محلات العصرونية في دمشق مثالًا).

٥ - **الأملاك المصادرة** من قِبل النِّظام في سورية (حي الأتراك في دمشق مثالًا).

٦ - **أعداد المجنَّسين وأصولهم،** وعلى أي أساس يتمُّ التَّجنيس؟ والقوانين التي يتَّبعها النِّظام لاستكمال التَّجنيس على أساس طائفي.

٧ - **أراضي الوقف ومصادرتها.**

٨ - **مفرداتٌ كثيرةٌ مهمة؛** كشهود العيان، والتَّقارير الدوليَّة، والوثائق المسرَّبة ذات الصِّلة، وحملات التَّهجير، والسِّجل المدنيِّ، و...

إنَّ البدءَ بعمليَّات التَّوثيق هذه بشكلٍ واسعٍ ومنهجيٍّ أمرٌ يُفشِل إلى حدٍ بعيد مخطَّط التَّغيير الديموغرافي، ذلك أنه يدل على وجود المشروع المضاد الذي يعتمد الحقائق بدلًا من التزييف في مخطَّط التغيير.

ثانيًا: المعركة الثقافيَّة:

وحتى ندرك مدى خطورة هذه المعركة يكفينا أن ننظر إلى ممارسات إيران المخيفة لأجل تغيير هويَّة سورية ثقافيًّا؛ من خلال إنشاء مقاطعات إيرانية صارخة في دمشق ومحيطها، مقاطعات يتم التعامل فيها بالعملة الإيرانية، واللغة السائدة فيها هي الفارسية، والسكان فيها إيرانيون أو شيعة من جنسيَّات مختلفة.

تمَّ هذا حتَّى الآن في: حيِّ الأمين، وحيِّ العمارة، والجورة، وزين العابدين، ومنطقة السَّيدة زينب، بل وتم توسيع هذه الأحياء والمناطق على حساب محيطها.

إضافة لهذه المقاطعات الطائفيَّة تعمل إيران على إشاعة مظاهر اللطميَّات والرايات وغير ذلك؛ مما يساهم في محو ثقافة البلد وإحلال ثقافة طائفيَّة إيرانيَّة.

ثالثًا: المعركة المخابراتيَّة:

وهي معركة خطيرة خفيَّة، يقودها ضباط مخابرات يخترقون الفصائل ويوجهونها، ويغذون فيها فكر القتل والتكفير، واستحلال الدماء والاستهانة بحرمتها ومصونيتها، ويوظفون الإيديولوجيات في هذا الصراع الكارثيِّ؛ والذي يساهم بشكل واضح وخطير في تغيير ديموغرافيَّة البلاد.

رابعًا: معركة الخرائط:

هذه المعركة تبدو جليَّة في تصريحات إيرانية وميليشياتية طائفية يعبرون عنها بقولهم: «الهلال الشيعي»، ومؤخرًا «البدر الشيعي»؛ كما وصفه قيس الخزعلي -زعيم ميليشيات «عصائب أهل الحق» في العراق-، أو رسمهم لطرق تمرُّ بالكثير من المدن في المنطقة، تبدأ من طهران وتمرُّ ببغداد ودمشق وبيروت وغيرها، وكذلك العمل على إحاطة دمشق بحزام شيعي(كما حصل في بغداد تاريخيًّا)، وتصريح زعيم ميليشيا «حزب الله» بأنَّ طريق القدس يمر من الزبداني وحلب و...

إنَّ ضرب هذه الطرق وهذه الخرائط في أيِّ نقطة أو موضع منها هو: كسب وربح لكلِّ أبناء المنطقة، فإذا لم نستطع ضرب كلِّ هذه المواضع فإن الضرب والتركيز على موطن واحد يكفي لإفشال هذه الخرائط وإلى حد بعيد.

خامسًا: معركة المصطلحات:

إنَّ حصر الجريمة في حرفيَّة التغيير الديموغرافي القاضي بحدوث أمرين معًا (الأوَّل: استهداف شريحة معينة، والثَّاني هو: المجيء بشريحة أخرى تحلُّ محلَّها)؛ هو حرفٌ للأنظار، وتهوين من شأن الجرائم الأخرى التي تصبُّ المخطط ذاته، فجرائم التر ّحيل والتهجير الطوعي أو القسري، والتطهير العرقيِّ، أو المصالحات والهدن التي تنتهي باتِّفاقات تفضي إلى انزياحات سكانيَّة؛ كلها جرائم لا تنفكُّ عن العنوان الأبرز: **جريمةِ التغيير الديموغرافي.**

أما الأخطر من ذلك كله فهو: استخدام مصطلح: «الحرب الأهلية» لتضييع الحقوق، وعدم محاسبة أصحاب جرائم التغيير الديموغرافي!

سادسًا: المعركة الإعلامية:

وهي معركة مهمَّة خطيرة، تحاول من خلالها إيران حشد كل الدعم لما تقوم به على أساسٍ مذهبيٍّ يعتمد على مسألة: حماية المراقد والدفاع عنها، وتنفي أنها تهدف إلى: التغيير الديموغرافي؛ كما صرَّح زعيم ميليشيا «حزب الله» التابعة لها، بينما يقوم الإعلام في دول المنطقة المستهدفة بهذا المخطَّط بدورٍ سطحيٍّ، ولا يتعامل مع القضية كقضية محوريَّة ومعركة مصيريَّة.

يقتضي خوض المعركة الإعلامية: العمل بحرفيَّة عالية، وبرامج متواصلة هادفة، تحدِّث وتعرض باستمرار إجراءات التغيير، وتفضح المباشرين والمساهمين، وتقوم بحشد الرأي العام ضدَّ هذا التَّغيير، وتضغط بقوة لإيقاف هذا المخطط وإعادة الحق إلى أصحابه.

سابعًا: المعركة الحقوقية والشرعية والقانونية:

وهي -لا شكَّ- معركة مهمَّة، تقوم بها الشخصيات والمؤسَّسات المعنيَّة، تقوم بالتوصيف الصحيح للواقع، وتوظيف القوانين في مختلف المحافل الدوليَّة؛ لتبيين الحق، والمطالبة بمحاسبة المجرمين ومحاكمتهم، وكذلك العمل على إبطال أعمال التجنيس على أساس طائفي، وتطويب الأملاك المعتمد على الإكراه والإلجاء والابتزاز.

هذه هي أهم المعارك في حرب التَّغيير الديموغرافي؛ والَّتي تُظهر: أنَّ هذه الحرب طويلة الأمد، ساحاتها متعدِّدة واسعة؛ فكريَّة، بشريَّة، حقوقيَّة، ثقافيَّة، سياسيَّة، جغرافيَّة، وتاريخيَّة.

حرب تخوضها إيران -ومَن معها- حاملين مخططًا متكاملًا، يستهدفون فيه: الإنسان، والعمران، والثَّقافة.

هي حرب طويلة الأمد، ونحن نتعامل معها بردَّات الأفعال!

وهي استراتيجيَّة، ونحن نتعامل معها عاطفيًّا! وفي آخر اهتماماتنا.

وهي مدروسة، ونحن نريد إفشالها عشوائيًّا!

هي معركة نحتاج في خوضها إلى استنفار الاختصاصيِّين وأصحاب الكفاءات وصنَّاع القرار؛ لا أن تبقى ندبًا وتنظيرًا مجردًا.

هي معركة تستند إلى المال والدَّولة والإيديولوجيَّة، وتستهدف: العراق وسورية والأردن ودول الخليج وتركيا.

فلماذا يتركنا إخوتنا نواجهها لوحدنا، ولا يحسبون حساب مرحلة قريبة؟! نخشى عليهم أن يقولوا وقتها: أكلنا يوم أكل الثَّور الأبيض!!!

هل سيستفيد «الروهينغيا» من تدويل قضيتهم؟!

د. زياد الشامي، موقع «المسلم»، (٢٥ شوال ١٤٣٨هـ)

بداية؛ لا بد من التنويه بالفترة الزمنية الطويلة التي تعامى فيها المجتمع الدولي عمومًا عن محنة ومأساة مسلمي الروهينغيا، والتزم خلالها الإعلام العالمي -والغربي على وجه الخصوص- بسياسة (الصمت والتجاهل المشين) تجاه حقائق الاضطهاد والتنكيل المنهج ضد أكثر من مليون روهينغي يعيشون على أرضهم التاريخية «أراكان» في ميانمار.

فمن المعروف: أن محنة أقلية «الروهينغيا» لم تكن بدايتها عام (٢٠١٢م)؛ كما تحاول بعض وسائل الإعلام أن تروج له! بل تعود جذور محنتهم إلى عام (١٧٨٤م) الذي تم فيه احتلال مملكة «أراكان» المسلمة -التي حكمها (٤٨) ملكًا مسلمًا لمدة (٤) قرون تقريبًا- من قبل ملك بورما حينها «بودايا» الذي ضمها إليه، لتبدأ رحلة محنة المسلمين الذين تمت معاملتهم كالغرباء المهاجرين غير النظاميين منذ ذلك الحين.

ويمكن اعتبار عام (١٩٨٢م) محطة مفصلية في محنة مسلمي الروهينغيا؛ حيث أصدرت حكومة ميانمار في ذلك التاريخ قانونًا سمته: «قانون المواطنة»، وتم بموجبه سحب بطاقة المواطنة من آلاف الناس، ومنهم: عرقية الروهينغيا.

أما عام (٢٠١٢م) فهو في الحقيقة: مجرد استمرار للمحنة التي تجددت فصولها مع اندلاع أعمال عنف ضد مسلمي الروهينغيا، قتل فيها المئات منهم، كما تم إحراق قرى للمسلمين بأكملها، وتهجير الآلاف منهم إلى دول الجوار.

بعد هذه العقود الطويلة من محنة الروهينغيا والسنوات العجاف الأخيرة من الاضطهاد البوذي الحكومي الممنهج؛ خرجت الأمم المتحدة عن صمتها المشين! واعترفت بأن أقلية الروهينغيا هم الأكثر تعرضًا للاضطهاد في العالم.

بيانات كثيرة صدرت عن مؤسسات وهيئات تابعة للأمم المتحدة؛ توثق جرائم وانتهاكات حكومة ميانمار بحق أقلية الروهينغيا، وجلسات أخرى عقدت في مجلس حقوق الإنسان لإرسال بعثة دولية إلى «أراكان» للتحقيق بحقيقة انتهاكات حكومة ميانمار ضد مسلمي الروهينغيا؛ إلا أن ذلك لم يحدث حتى الآن بسبب رفض ميانمار مجرد استقبال تلك البعثة!

الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأمريكية اكتفت بممارسة نفاقها المعهود في كل ما يتعلق بحقوق المسلمين المستهدفين في العالم! ففي الوقت الذي أظهرت دعمها لإرسال بعثة التحقيق الدولية إلى «أراكان»، لم تحرك ساكنًا تجاه صلف وتعنت ميانمار حيال استقبال البعثة أو القبول بالتحقيق.

يكفي الاستشهاد بما صرح به المستشار الأمني لزعيمة ميانمار «أونغ سان سوتشي» لدبلوماسيين يوم الثلاثاء الماضي كدليل على ذلك الصلف والتعنت البورمي إزاء بعثة التحقيق الأممية؛ حيث قال: «إن بعثة تابعة للأمم المتحدة للتحقيق في مزاعم تعذيب واغتصاب وقتل مسلمي الروهنغيا المسلمين لن تؤدي إلا إلى (تفاقم) التوتر في ولاية أراكان بغرب البلاد»!

منتهى ما سمحت به حكومة ميانمار تجاه المطالبات الخجولة باستقبال لجنة تحقيق دولية هو: السماح لبعض الصحفيين الدوليين بزيارة ولاية «أراكان» ضمن شروطها، ومرافقة رجال أمنها، وهو ما دفع مسلمي الروهينغيا لاتهام حكومة ميانمار بتضليل وفد الصحفيين، وتأكيدهم على أن الصحفيين الدوليين لم يذهبوا إلا إلى المواقع التي وضعتها الحكومة في خطة السير.

وبعيدًا عن تزامن انفجار لغم أرضي مع وصول الصحفيين منطقة زراعية بشمال ولاية «أراكان»، والشكوك حول قيام حكومة ميانمار بزراعة هذا اللغم لمنع الصحفيين من التقدم إلى داخل القرى التي تعرضت بشكل كبير للحرق والقتل؛ فإن عدم سماح الحكومة للناس بمقابلة الصحفيين بمفردهم والإصرار على مرافقتهم في كل مكان، ناهيك عن محاولة الحكومة اعتقال بعض الأشخاص الذين تحدثوا للصحفيين بعد مغادرتهم؛ يؤكد مدى محاولة ميانمار تضليل الصحفيين وتفريغ زيارتهم من محتواها.

ثم إن تعرض مسلمي الروهينغيا -حتى الآن- إلى الاضطهاد والتنكيل رغم التدخل الأممي والدولي المزعوم؛ يؤكد: أن تدويل

قضية الروهينغيا لا يعدو أن يكون مجرد استعراض إعلامي، وتصريحات دبلوماسية، وتحركات بهلوانية!

فها هي سلطات ميانمار تجبر المسلمين الروهينغيا في مدينة أكياب -عاصمة ولاية أراكان- على هدم مسجد، بعد أن هددت بإنزال عقوبات صارمة -أقلها السجن- في حال لم يستجيبوا لقرار الهدم، والذريعة: اعتبار حكومة ميانمار ما قام به أهالي المنطقة من ترميم المسجد -بعد أن تعرض لأضرار كبيرة جراء موجة أمطار ورياح شديدة تعرضت لها المدينة الشهر الماضي- **بمثابة بناء مسجد جديد، وهو ما ترفضه الحكومة، وتمنع المسلمين من فعله في كل أرجاء ولاية «أراكان».**

لا يبدو أن مسلمي الروهينغيا سيستفيدون من تدويل قضيتهم مع استمرار هيمنة الدول الغربية -غير العابئة بقضايا المسلمين بل والمتواطئة ضدهم- على هيئات ومؤسسات الأمم المتحدة، ومع ضعف تأثير وفاعلية الدول العربية والإسلامية في إجبار حكومة ميانمار على رفع الظلم الواقع على إخوة لهم في العقيدة والدين.

من الفتنة في الدين: ازدراء الصحابة

د. محمد بن إبراهيم السعيدي، «جريدة الوطن»

من خصائص دين الإسلام ونعم الله ﷻ التي خص بها المسلمين دون من سبقهم من الأمم: أن هيأ لنبيهم صحبًا كرامًا؛ آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، فقضى الله لهم بالفلاح في كتابه الكريم حين قال: { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [الأعراف:١٥٧]، وأنعم عليهم بالرضى، وأخبر ﷻ أنه أعد لهم الجنات ولما يزالوا في حياتهم الدنيا؛ كما قال: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة:١٠٠].

ووصفهم ﷻ على الإجمال مرات، وعلى التفصيل مرات أُخر بالجليل الكريم من الصفات؛ كالشدة على الكفار، والرحمة بينهم، وكثرة التعبد لله، والصدق، والفلاح، ونقاء القلوب، وتنزل السكينة عليهم.

وأمر ﷻ نبيه بالصلاة عليهم: { وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [التوبة:١٠٣]، وفضل الله ﷻ بعضهم على بعض؛ لكنهم مع هذا التفاضل سواء في الوعد الصريح بالجنة، ولا يخلف الله الميعاد: { لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [الحديد:١٠].

فكانت النصوص الدالة على تزكية الله لهم ووعدِهم بالجنة وثناءِ الله ﷻ عليهم في عشرات المواضع من كتاب الله ﷻ؛ ما بين نصوص صريحة لا تحتمل التأويل؛ كقوله ﷻ: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الأنفال:٧٤-٧٥]، وكالآية المتقدم ذكرها من سورة التوبة، أو الآية التاسعة والعشرون من سورة الفتح، أو الآيتين الثامنة والتاسعة من سورة الحشر.

وما بين آيات تدل على ذلك بدلالة الالتزام أو التضمن أو السياق؛ كقوله ﷻ: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } [التوبة:١١١].

وأمر الله ﷻ من جاء بعدهم بالدعاء والاستغفار لهم ومحبتهم حين قال ﷻ: { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } [الحشر:١٠]، وهو أمْر جاء في صيغة الخبر، وهذا من أبلغ صيغ الأمر في الدلالة على الوجوب.

وهؤلاء الذين جاءوا من بعدهم، هم: من لقي رسول الله ﷺ ممن لم يشرف بالهجرة ولا النصرة، ومن جاء بعدهم من التابعين، ومن

تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ فكلهم مأمورون بما تضمنته هذه الآية من الدعاء والاستغفار والمحبة لأصحاب رسول الله ﷺ.

وهذا ما فهمه كل أئمة علماء المسلمين من القرن الأول وحتى يومنا هذا؛ من علماء أهل الحديث وفقهاء الرأي والأشاعرة والماتوريدية والظاهرية والصوفية، فليس من هذه الفرق إلا من هو معظِّم للصحابة، قائل بعدالتهم، مقر بتزكية الله ﷻ لهم؛ ومن هؤلاء: أكابر علماء الحديث والفقه واللغة وعلم الكلام والمنطق والسلوك، فليس تعظيم الصحابة وتحريم الخوض فيهم مما اختص به الحنابلة أو ابن تيميه كما يصور البعض! بل هي مسألة إجماع أمة محمد -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-؛ ولم يخالف في ذلك إلا فرق لا تُعَظِّم النص القرآني بل ولا تَعِيه! وهم: الروافض والخوارج وبعض المعتزلة؛ حيث يشتركون في القول بتكفير صحابة رسول الله ﷺ أو بعضهم؛ على خلاف في داخل مذاهبهم في تحديد من يحكمون عليه بالكفر منهم.

والحقيقة: أن هذه المذاهب لا تشترك في تكفير الصحابة أو بعضهم وحسب، بل يشتركون في القول بتكفير الأمة، ولذلك فليس قولهم هذا خارقًا لما قدَّمْتُه من إجماع الأمة على تعظيم الصحابة.

ومنذ ظهور حركة إحياء الاعتزال في العالم العربي والإسلامي -منذ بداية القرن الميلادي الماضي، أو ما سُمِّي بـ: «الحركة العصرانية»- ولا يزال يخرج كل بضع سنوات بعض الكتب ومن يتزيون بزي البحث العلمي يتعمدون مخالفة قول الله ﷻ: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} [الحشر:١٠]، كما يتعالون على آلاف أذكياء العلماء خلال أربعة عشر قرنًا، ويزعمون أنهم أدركوا بعقولهم وبحثهم ما لم يدركه من قبلهم! ليجعلوا شغلهم الشاغل (تأصيل الانتقاص من الصحابة جملة، أو الانتقاص من آحادهم تفصيلًا)، فيزعم أحدهم: أن هذا من التجديد الفكري! ويزعم آخر: أنه نقض لأصول الوهابية المتحجرة الإرهابية -بزعمه!-؛ وكأن تعظيم الصحابة حكر على محمد بن عبد الوهاب ومن جاء بعده؟!!

والذي لا بد من التنويه إليه: أن حركة العصرانية وإحياء الاعتزال قامت مرتبطة بالاستشراق المموَّل من الاستعمار، وكان من أهدافها: عزل الثقافة الإسلامية المعاصرة عن مصادرها، وهي بلا شك النتيجة المتوخاة من إسقاط الصحابة ﭫ؛ فحين يزول تعظيم هذا الجيل من النفوس فسوف يزول تعظيم الكتاب والسنة؛ اللذين هم نَقَلَتُهما إليها.

ولذلك؛ فإنه يُندر أن تجد كاتبًا شغل نفسه بانتقاص بعض الصحابة إلا وانتهى به الأمر إلى انتقاص جميعهم، ثم إنكارِ حجية السنة النبوية، ثم التشكيكِ في القرآن الكريم!

وهذا ما يُراد أن يصل إليه الجيل المسلم عبر الترويج لأمثال هؤلاء تحت أوصاف: الفكر، والحرية، والتصحيح!

وكثيرًا ما يحاولون الوصول إلى العقول عبر استخدام القرآن نفسه؛ وذلك بتنزيل الآيات الواردة في المنافقين على كل الصحابة أو آحادهم؛ كقوله ﷻ: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} [التوبة:١٠١]، فإذا كان الله أخفى المنافقين عن رسوله ﷺ بادئ الأمر وهو بينهم، ولم يعلم بهم إلا بوحي من الله ﷻ، ونهاه -لحكمة إلهية!- عن الإعلام بأسمائهم؛ فكيف تسنى لهؤلاء بعد أربعة عشر قرنًا معرفتهم؟ بل والحكم على بعضهم بالدرك الأسفل من النار -كما فعل أحدهم-؟! وسوف يكون لي حديث مستقل عن المنافقين في العهد النبوي -إن شاء الله ﷻ-.

ومن المشككين في الصحابة من يستخدم من القرآن الآيات التي وردت في تربية الصحابة ﭫ؛ كقوله ﷻ: {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} [التوبة:٤٧]، وقوله: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [الحديد:١٦]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ} [الحُجُرات:٢]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ} [التوبة:٣٨]، وغيرها من الآيات التي ناقشت بعض العيوب في المجتمع المدني؛ لإصلاحها، وتهيئة هذا الجيل ليقود العالم بأسره بعد سنوات قليلات من نزول تلك الآيات.

وحين يُرَبِّي القرآن الصحابة فلا بد من تذكيرهم بعيوبهم التي يراد إصلاحها، وهذا لا يعارض -لغةً ولا عقلًا- تزكيةَ الله لهم، ووعدهم بالجنة؛ وهو ما فهمه كل مفسري القرآن طيلة القرون الخالية، بل قد نصت آية أخرى على ذلك وهي: قوله ﷻ: {إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا} [النساء:٣١].

كما أن أكثر هذه الآيات المؤدِّبَة مُصَدَّرة بالخطاب للذين آمنوا، وهذا في ذاته شهادة من الله لهم بالإيمان.

والقول بغير هذا يفضي إلى القول بتناقض آيات القرآن! وهي نتيجة -للأسف!- يصل إليها دائمًا أولئك المشككين في الصحابة؛ حيث كثيرًا ما تنتهي أطروحاتهم إلى القول بتحريف القرآن.

وكان لهم متسع لو صلحت نياتهم في قوله ﷻ: {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [البقرة:١٣٤ و١٤١].

توأمة مع تجار القدس
لنعمل على نصرة الأقصى والقدس والمقدسيين

أسامة شحادة-كاتب أردني

في هذه الأيام التي يئن فيها محراب ومآذن الأقصى وقلوب المقدسيين والمسلمين في كل مكان بسبب ظلم وطغيان اليهود على الأقصى خاصة، وفلسطين عامة؛ فإن التفكير في نصرة الأقصى والقدس والمقدسيين بالأعمال والأفعال هو واجب الوقت الأول.

ذلك أن هذا العدوان اليهودي المتجدد والمتعاظم يحاول أن يكرر ما سبق من ظلم وعدوان وإجرام ضد الإسلام والمسلمين والقدس والأقصى حين تمكنوا من ذلك.

فحين احتل الصليبيون بيت المقدس سنة (٤٩٢هـ) أقاموا المجازر الرهيبة بحق المسلمين فيه، لخَّصها مؤرخ الحملة الصليبية ريموند بقوله: «لقد كان الذبح مهولًا! لدرجة أن الدماء كان تُغطي أرجلنا حتى الرُّكب، ولم نستطع السير في الطريق؛ بسبب أشلاء قتلى المسلمين»، ويقال أن هذا هو سبب المثل الشعبي السائر عن حالة الفوضى: «الدَّم للرُّكَب»!

أما المؤرخ ابن العبري فسجل لنا مدة المذبحة وضخامة ضحاياها من الأبرياء في كتابه «مختصر الدول» فقال: «لبث الفرنج في البلد أسبوعًا يقتلون فيه المُسلمين، وقُتل في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا»!

ولأخذ صورة أشمل عن مدى الجريمة التي ارتكبت في بيت المقدس قديمًا، وما يتمنى مجرمو اليهود تكراره اليوم؛ لنستمع للمؤرخ الصليبي فوشيه الشارتري وهو يصف جريمة أهله: «وهرب بعض هؤلاء العرب إلى برج داود، وأغلق آخرون على أنفسهم معبد الرَّبّ ومعبد سليمان، وتَمَّ شنُّ هجوم وحشي على المسلمين في فناء هَـذينِ المعبـدَيْنِ، ولم يكـن هنـاك مكـانٌ يمكـن أن ينجِّـيهم مـن سيوف رجالنا، ولو أنك كنتَ موجودًا هناك لغاصَتْ قدماك حتى العقبينِ في دماء المذبوحِينَ!

ترى ماذا أقول؟ لم نترك منهم أحدًا على قيد الحياة، ولم ينجُ حتى النساء والأطفال!

كم سيكون مُدْهشًا لو أنّك رأيتَ فرساننا ومشاتنا بعد أن اكتشفوا خداعَ المسلمينَ؛ فشقُّوا بطونَ الذين ذبحوهم؛ لكي يَستخرجوا من المعدة والأمعاء العُمْلاتِ الذهبية التي كان المسلمون قد ابتلعوها وهم أحياء!!

ولنفس السبب قام رجالُنا بعد أيام قلائل بجمع كومة من الجثث وأحرقوها حتى صارت رمادًا؛ حتى يمكنهم أن يجدوا بسهولة الذهب -الذي ذكرنا خبره-.

عندما جرى رجالنا وسيوفهم مشرعة عبر أرجاء المدينة، ولم يُبقوا على أحد، حتى أولئك الذين يرجون الرحمة؛ سقط الجميع كما تسقط التفاحات العَفِنَة جميعًا من الأغصان المهزوزة، وبعد هذه المذبحة الكبيرة دخلوا بيوت السكان، واستولَوْا على كلِّ ما وجدوه فيها، وتمَّ هذا بطريقة جعلت كل من كان يدخل أولًا -سواء كان فقيرًا أم غنيًّا- لا يجد من يُنازعه من الفرنج الآخرين، وكان له أن يحتل المنزل أو القصر، ويمتلِكُه بكل ما فيه؛ كما لو كان ملكية خالصة له.

وهكذا اتَّفقوا جميعًا على هذا النمط من الملكية، وبهذه الطريقة صار كثيرون من الفقراء أثرياء» (كتابه: «أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس»).

وهذا النص التاريخي يكشف لنا: أن الداعشية لها جذور عريقة عند خصوم الإسلام، وأن المسلمين -دومًا- ضحايا هذه الداعشية على مر العصور!

وكان نتيجة هذه الوحشية: أن خلت القدس من المسلمين، وتم تحويل المسجد القبلي لإسطبل للخيول وحظيرة للخنازير! وهذا ما

يسعى له اليهود اليوم بتهجير المقدسيين من القدس؛ عبر التضييق عليهم في شؤون حياتهم، وفرض الضرائب والرسوم الباهظة، وتشجيع تداول المخدرات، والتسرب من التعليم، وحماية الاستيطان اليهودي حول القدس وفي داخلها؛ ولو بالغصب والتزوير.

كما أنهم يسعون للسيطرة على المسجد الأقصى -وهو كل ما في داخل السور والسور نفسه- عبر الحفريات تحته، أو الاستيلاء على بعض أجزاء السور؛ كحائط البراق وبعض الغرف والمدارس في السور، وعبر محاولة فرض (التقسيم الزماني) على الأقصى، وعبر جولات السياحة لليهود في ساحات الأقصى.

وهذه الأطماع لا يجب أن تواجه بدعوات الشجب والاستنكار والمظاهرات والمسيرات والبيانات لوحدها -مع ضرورتها-! بل نحتاج إلى أعمال وأفعال إيجابية؛ تساهم بسرعة في دعم المقدسيين في القدس، وعدم تفريغ القدس من أهلها، وهو ما تحقق للأعداء أيام الصليبيين وما يكاد يحصل عليه اليهود في هذه المرحلة.

ومن الأفكار التي لها دور كبير في تثبيت أهل القدس في قدسهم: دعم المحلات والشركات والحرفيين في القدس، لأن بقاء هؤلاء في متاجرهم ومحالِّهم يحفظ الوجود المسلم والعربي في القدس ووجود عائلاتهم، ويحمي المسجد الأقصى ببقاء المرابطين والمرابطات فيه، كما أنه يظهر هوية القدس الحقيقية لزائريها من الفلسطينيين والعرب والمسلمين وغير المسلمين.

وهذا الدعم من الممكن أن يكون عبر: قيام مبادرة توأمة بين محال ومتاجر وشركات القدس مع محال ومتاجر وشركات العرب والمسلمين في العالم؛ حيث يقوم أصحاب المهن المتشابهة في القدس وخارج القدس بعمل توأمة فيما بينهم.

ويمكن أن تتعدد التوأمة مع المتجر الواحد في القدس مع عدة أطراف من الخارج، مما يفتح المجال لأكبر عدد ممكن من الناس للمساهمة فيها، فقد يعجز البعض عن توفير كل الرسوم أو الإيجار لمتجر في القدس مثلًا، فليكن هناك مساهمات متعددة كأسهم من عدة محلات خارجية.

وهدف التوأمة هو: مساندة محلات ومتاجر وشركات القدس في توفير رسوم البلدية المرتفعة، وتغطية الإيجار السنوي، ومصاريف الماء والكهرباء على الأقل، مما يحفز هذه المتاجر على البقاء والصمود، ومما يوفر لعائلات المقدسيين الحياة الكريمة التي تدفعهم لمزيد من حماية قبلة المسلمين الأولى والتضحية لصد العدوان والإجرام اليهودي.

ومما يساعد على التوأمة: قيام جهة مقدسية موثوقة بالإشراف على ذلك -كلجنة زكاة القدس-؛ فتطلق موقعًا إلكترونيًّا بمحال ومتاجر القدس ومصاريفها، ويتم الإعلان بشفافية عن الشراكات والتوأمات التي تمت، وبذلك نقدم خدمة حقيقية وسريعة لأهل القدس وحماة الأقصى.

ويمكن لغرف التجارة والصناعة في بلاد العرب والمسلمين المساهمة في ذلك، وحث مشتركيها للمساهمة والمبادرة في نصرة الأقصى.

هذه فكرة يمكن تطويرها وتحويرها لما يحقق المصلحة الكبرى للقدس وأهلها، وآمل ممن لهم القدرة والعلاقات على تبنِّيها وتفعيلها بأسرع ما يمكن؛ حتى نوجه مشاعر الغضب ضد عدوان اليهود ومشاعر ونوايا نصرة الأقصى والمرابطين والمرابطات لعملٍ بنَّاءٍ منتجٍ ومثمرٍ، وفي الوجهة الصحيحة؛ بتثبيت المقدسيين في وطنهم المبارك.

خسارة الأقصى من «التطبيع»

أمير سعيد، موقع «المسلم»، (٢٥ شوال ١٤٣٨هـ)

سيقولون: وما الذي جناه الأقصى من المقاومة؟!

الإجابة ببساطة: الكثير؛ فلولاها -بعد الله ﷻ- لكانت الخرائط الدولية تشير إليه الآن باسم: «هيكل سليمان»؛ الذي سيكون قد بُني على أنقاض الأقصى المبارك، فلم يزل الكيان الصهيوني في حذر وهو يخطو خطوات التهويد لمسرى النبي ﷺ، وهو يعاين المقاومة لمخططه بكل الطرق المشروعة، والتي تتنوع آخذة كل مراتب إنكار منكر اغتصاب الصهاينة للمسجد الأقصى في أجندتها المقاوِمة.

يقولون: نحن نسمع جعجعة ولا نرى طحينًا في هذه المناهضة المستمرة، والرباط الدائم!

لكن -تنزلًا- يقال في المقابل: أفضل من ألا نرى طحينًا، ولا نسمع حتى جعجعة من فريق المطبعين مع الكيان الصهيوني.

هذا خير ممن لا يلقون بالًا بخطوات التهويد، ولا ينكرون ما يرونه من بغي وعدوان واغتصاب؛ لا تقره القوانين الدولية؛ فضلًا عن الشريعة الإسلامية الغراء، وخير ممن يطمرون كل ما يخدش «سمعة الصهاينة»، وما يؤجج مشاعر المسلمين من جراء عدوان الكيان الصهيوني على مقدسات المسلمين الكبرى، مشاركين في تغييب هذه القضية الرئيسة، ودفن الشعور الإسلامي الدافق نحوها.

ماذا يفيد خبر، أو تظاهرة، أو مهرجان، أو فعالية، أو رباط، أو اعتصام قبالة الأبواب الإليكترونية، أو... في إعادة الحرية السليبة للأقصى؟

ماذا -إذن- يفيد التواطؤ، والتغييب، والصمت، والاستنكار المصطنع، والتقليل من الجرائم الصهيونية تجاه الأقصى وأهله...؟

في الأول: هناك إحياء للقضية، بقاؤها ساخنة، تعريف لجموع النشء الذي غاب الأقصى عن مناهجه التعليمية المتغربة، فعل المستطاع والممكن والمتاح، حياة القلوب، غضبة المشاعر، استمرار الوهج.

في الثاني: الموت للأقصى وقضيته؛ لا سواه.

ولمز المطوعين القائمين لله بواجب الوقت، وملء الفراغ المتاح، والقيام بالجهد المقدور عليه؛ ولا سواء.

الأقصى واقع تحت تهديد خطير، واحتمالات هدمه تظل قائمة، وتتصاعد نسبتها، لكن لا يعني هذا: أن موجات الغضب الضعيفة في الأردن والمغرب والسودان والجزائر وفي قلب فلسطين لم تحدث أثرًا.

ولا يعني: أن صمود المرابطين النشامى على أعتاب الأقصى رافضين مذلة البوابات الإليكترونية والسيادة المتنامية -قهرًا واغتصابًا- للصهاينة على مسرى النبي ﷺ؛ لا يمثل رقمًا معتبرًا في معادلة الصراع حول أولى القبلتين.

لا يخشى الصهاينة تصريحات المطبعين الخجولة والمرسومة لتأدية دور في امتصاص الغضب الجماهيري، وإنما يخشون أولئك المرابطين في حر الصيف، في البقعة المباركة، ويحذَرون من اشتعال الغضب شيئًا فشيئًا في الضفة وغزة، وامتداد الأثر التوعوي للقضية إلى بلدان العرب النائمة!

ويثير انزعاجهم: عدم انصياع الفلسطينيين لإجراء تركيب البوابات الإليكترونية، المفضي إلى نزع سيادة الأردن عن الأقصى، وتسليمها كاملة للصهاينة، ولهذا قالت «هآرتس العبرية» في تقرير لها: «إن الأيام الأخيرة في القدس كشفت أن المقدسيين هم أصحاب السيادة الفعلية على المسجد الأقصى وليست إسرائيل.

فالمواطنون الفلسطينيون -وخاصة المقدسيين- حققوا إنجازًا غير مسبوق؛ من خلال الاحتجاجات والاعتصامات على مداخل الأقصى، وعدم الانصياع للمرور عبر البوابات الالكترونية الجديدة (...).

هذه الفعاليات؛ أجبرت إسرائيل على التفكير بجدية على تفكيك البوابات، وإعادة الوضع القائم كما كان».

خصم المطبعون أنفسهم من قوة الأمة الإسلامية وفعاليتها، بدعوى: فتح قنوات اتصال مع الصهاينة من أجل «حل المشكلات» مع مسؤوليهم، ومنها: «مشكلة الأقصى».

وزعموا أنهم بهذا قد حازوا أوراق ضغط على الصهاينة، تمكنهم من الحديث مع زعماء بني صهيون والتأثير فيهم، وانتزاع قرارات عادلة منهم!

غير أن عكس ذلك كله هو ما قد حصل؛ فلا هم قاوموا، ولا هم ضغطوا، والحاصل: أنهم لم يفعلوا سوى نقل أنفسهم من خانة المقاومة إلى مستنقع التخاذل والتواطؤ والصمت المريب.

وبجردة حساب يسيرة؛ لا يظهر على الأوراق أي قيمة أو فعل للمطبعين مع الكيان الصهيوني لصد الهجمة الغاشمة على المسجد الأقصى المبارك؛ فلا ساسة المطبعين يتحركون بالاتجاه الصحيح قيد

أنملة، ولا إعلامهم يحيي قضية المسرى، ولا سلطاتهم تسمح بتعبير الغاضبين عن آرائهم.

وحشد الأمة أمام تحدٍ هائل لمصداقية إيمانها بمقدساتها وفرضية تحريرها والدفاع عنها.

إليهم -أيضًا- ينضم كل مماحل كذوب، يغلف التطبيع بأوهام الهدنات وأحلام الصلح الزائفة، فسلوكه وإياهم واحد، والأقصى عند كليهما سواء، في آخر سطر من آخر صفحة من أجندة طموحاتهم المريبة؛ إن لم يكن قد توارى تمامًا منها!

فريق يقاوم، يكتب أو يصرخ، يئن أو يبكي، يدافع أو يرابط..

وفريق يطمر كل هذا بسبيل تطبيعه الآثم؛ فسلامًا للمرابطين وهلك المطبعون!

تفريغ القدس والأقصى

أ.د. يوسف رزقة، «فلسطين أون لاين»، (٢٠١٧/٧/٢١)

من المعلوم: أن دولة الاحتلال قد اتخذت قرارًا ذاتيًّا بضم القدس الشرقية، وإقامة القدس الكبرى، وهذا يجري بحسب مخطط صهيوني يستهدف: تهويد مدينة القدس، وتفريغها من سكانها الفلسطينيين؛ سواء عن طريق طرد النشطاء في المدينة إلى الضفة، أو من خلال سحب الهويات؛ لا سيما من الذين يغادرون المدينة للدراسة في الخارج.

ولا يمكن لكاتب مقال أن يتتبع إجراءات دولة الاحتلال لتفريغ المدينة المقدسة من سكانها العرب الفلسطينيين.

وفي المقابل؛ تشجع حكومة الاحتلال الاستيطان في القدس، وفي المستوطنات التي تراها امتدادا لهذه المدينة المقدسة، فيما يعرف بـ «القدس الكبرى».

سياسة دولة الاحتلال تقوم على قاعدة: (القضم والهضم التدريجي)، وأعتقد أن المدينة فقدت عددًا كبيرًا من سكانها العرب على مدى السنوات الماضية.

ثمة احتجاجات فلسطينية رسمية وشعبية ضد سياسة الاحتلال في القدس، ولكن حكومة الاحتلال لا تلتفت لهذه الاحتجاجات؛ باعتبار أن المدينة لا تقبل القسمة، وهناك إجراءات في الكنيست لسن قانون يمنع تقسيم القدس.

إنك إذا ربطت بين سياسة تفريغ المدينة من سكانها العرب مع ما جرى مؤخرًا من تركيب بوابات إلكترونية على مداخل المسجد الأقصى؛ تجد أن هذه البوابات الإلكترونية ستعمل من خلال التعقيدات الإجرائية التدريجية على تفريغ المسجد الأقصى من أكبر عدد ممكن من المصلين، إضافة إلى أن عمل الاحتلال في ذاته هو اعتداء سافر على قبلة المسلمين الأولى.

في الحديث الشريف: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد -منها-: المسجد الأقصى»، أي: أن الحديث يحث المسلمين على زيارة الأقصى والصلاة فيه، فكيف يمكن للمسلمين القيام بموجبات الحديث الشريف والبوابات الإلكترونية تعيقهم، وتمنعهم من حرية العبادة؟!

حكومة الاحتلال تستثمر قتل الشرطيين على بوابات المسجد الأقصى؛ فتضع كل المصلين في خانة الاتهام والشبهة، ووجوب التفتيش، وهذا نوع من العقاب الجماعي، يستهدف -كما قلنا آنفًا-: تفريغ المسجد الأقصى من أكبر عدد ممكن من المصلين.

لهذا -وربما لغيره- كانت احتجاجات الفلسطينيين الرافضة للبوابات الإلكترونية، فهي تتجاوز قصة الضبط الأمني إلى ما هو أبعد من ذلك من أهداف سياسية!

لذا نأمل أن يتحرك الأردن ومصر من أجل الضغط برفع هذه البوابات.

وعلى السلطة أن تتحرك من خلال علاقاتها الدولية لإزالة هذه البوابات، بالمناسبة؛ يجدر بالسلطة وبقادة البلاد العربية العمل معًا لتثبيت سكان القدس من العرب في أماكنهم، ومكافحة كل الإجراءات الاحتلالية التي تستهدف التهويد أو التفريغ.

هذا؛ وقد أعلنت المرجعيات الدينية والوطنية في القدس، في اجتماع طارئ لها يوم الجمعة: عدم الدخول عبر البوابات الإلكترونية نهائيًّا، وذلك للصلاة في المسجد الأقصى.

هل يتحقق سلام مع إسرائيل؟

د. بسام العموش، موقع «عمون»، (٢٠١٧/٧/٢٠)

اخترق الرئيس الراحل أنور السادات الحاجز النفسي بين العرب وإسرائيل يوم زار القدس وخطب في الكنيست، وما تبع ذلك من اتفاقات «كامب ديفيد»؛ والتي شكلت صدمة للشارع العربي والإسلامي.. تلك الصدمة تم امتصاصها بنقل الجامعة العربية إلى تونس، وقطع العلاقة العربية مع مصر.

تم اغتيال السادات، وطويت صفحة ذلك الحدث بالاغتيال العبثي!! وقامت حرب الخليج، واستنفدت طاقات الأمة في حرب عبثية بين العراق وإيران، راح ضحيتها الملايين! وتم اجتياح الكويت في عمل عبثي آخر! نتج عنه تدمير أكبر قوة عسكرية عربية هي قوة العراق.

وتمت الدعوة لمؤتمر مدريد، وجاء الاختراق الثاني الحاجز النفسي، وجلس العرب مجتمعين مع الصهاينة، ونتج عن ذلك: اتفاق «أوسلو»؛ الذي أنتج السلطة الفلسطينية، ومن ثم انقسام فلسطيني.

وتبعه توقيع اتفاقية وادي عربة؛ التي أوجدت علاقات دبلوماسية بين الأردن وإسرائيل!!

كل ذلك تم، لكن إسرائيل لم تقدم شيئًا؛ فالمستعمرات تبنى كل يوم، والمقدسات لم تعد، ورفضت إسرائيل المشروع العربي (السلام)؛ الذي صدر عن مؤتمر بيروت، ولم يتم سحبه حتى الآن!!

بالرغم من استفادة إسرائيل من عنصر الزمن؛ حيث أعلنت القدس عاصمة أبدية موحدة، والتهمت أراضي الضفة؛ وبخاصة القدس، وتهدد صباح مساء المسجد الأقصى.

فهل سيقوم سلام في المنطقة؟

لماذا تتنازل إسرائيل وهي ترى حالة التمزق والضعف العربي؟!

هناك فرصة سلام على «طريقة نتنياهو»، وهي: حكم فلسطيني في مناطق الكثافة الفلسطينية، مع ارتباط هذه المناطق بمصر من جهة وبالأردن من الجهة الأخرى.

مما يعني: أنه لا دولة فلسطينية !!!

ويعني -بعد الوطن البديل-: قيام النظام البديل، ولهذا ترتيبات تعد من الآن!!

أما السلام الذي يطلبه العرب الرسميون وهو: العودة إلى أرض الرابع من (حزيران ٦٧)؛ فهذا لم ولن تقبله إسرائيل!!

أما حديث الشارع العربي والإسلامي الشعبي؛ فلا يزال يعتقد أنه لا سلام مع إسرائيل، ولا سبيل إلا القوة؛ بالرغم من عدم توفرها؛ إلا أنها ممكنة، ولو بعد حين.

وحتى تصل الأمة إلى ذلك؛ فلتستمر المقاومة التي تزعج العدو، وتضغط عليه، وتجعل الأجيال الجديدة في دائرة الاهتمام بالشأن العام القومي والإسلامي، قبل أن تبتلعها العولمة والأخلاق المدمرة.

هذا عصف فكري سياسي؛ فما رأيكم أنتم؟

حصاد «داعش»

- دمار مناطق أهل السنة في العراق والشام.
- تسلط الصفويين على مناطق أهل السنة الحرجة.
- قتل قادة السنة من العلماء والساسة والمجاهدين.
- قتل وتشريد مئات الألوف من المسلمين على أيديهم أو بسببهم.
- تدمير وتفتيت الكثير من مجموعات المقاومين والمجاهدين الصادقين.
- تعاظم نسبة الكراهية للإسلام والمسلمين في عموم بلاد العالم.
- ازدياد نفرة الناس وخوفهم من الهدي الظاهر للرجال، واللباس المحتشم للنساء.
- انصياع الحكومات الإسلامية للضغوط الغربية في إعادة النظر في المناهج الدراسية المتضمنة للمعاني الشرعية والآداب الإسلامية.
- توحش العلمانيين والليبراليين وأذنابهم باتخاذ سلوكيات "داعش" ذريعة للطعن بشريعة الرحمن.
- تراجع قبول المجتمعات للطرح السلفي المعتدل، على إثر التشويه "الداعشي" له، واستغلاله من قبل المناوئين للمنهج السلفي.
- تقديم أعظم الأسباب لتسليط قوى الغرب على بلاد المسلمين.
- استنزاف موارد البلاد العربية والإسلامية لمواجهة خطرهم، وتجنب آثار انتشارهم.

فهذه دولة التباب والخراب، تؤذن برحيلها ملعونة على ألسنة أطفال تيتموا، ونساء فُجعن بآبائهن وأبنائهن وأزواجهن وإخوانهن، وشيوخ أثقل كاهلهم الهزيل ذلُ التشريد، وأنينُ الجوع الصامت.

ألا: عليكِ ثم عليكِ الدهرَ متصلاً لعائنُ اللهِ إسراراً وإعلانا

الرشد
www.alrased.net